

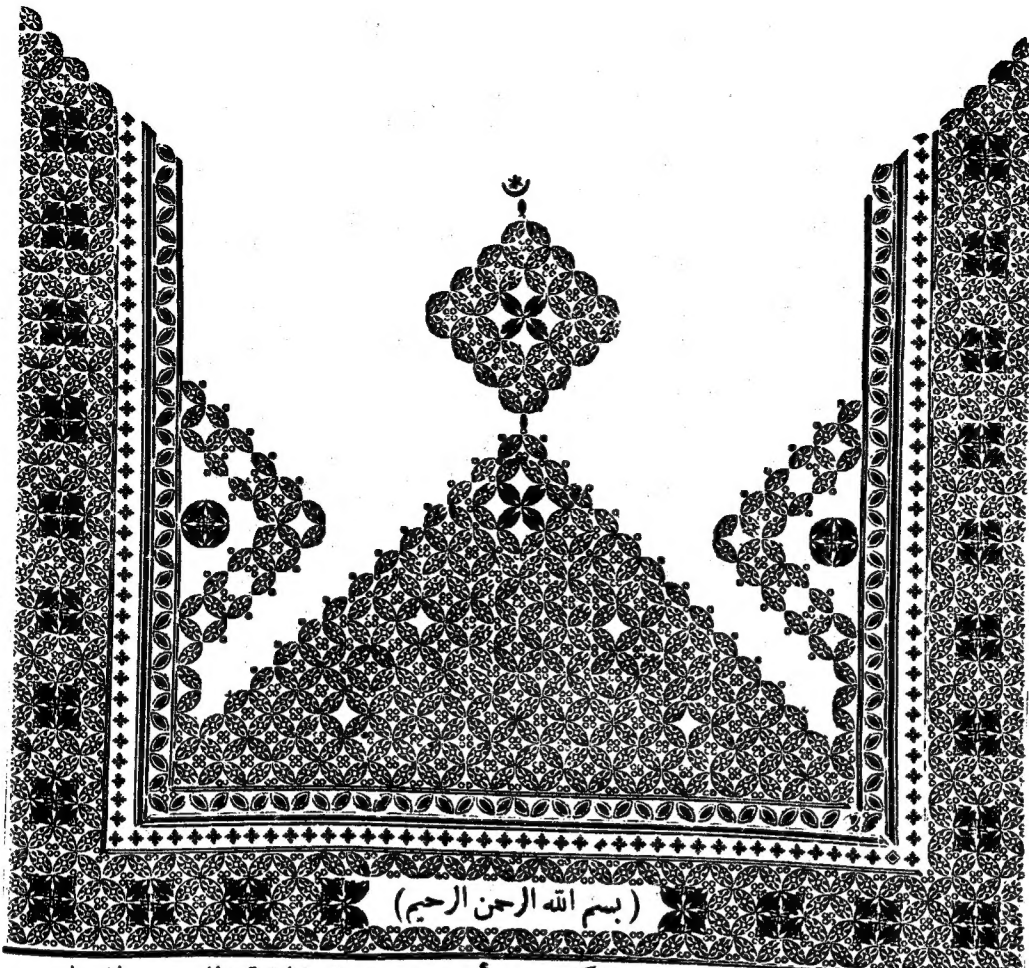
كِتَابُ
المَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ
بِذِكْرِ الْخَطِّ وَالْأَشْأَرِ
المعروف بالخط المقرئ

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الأول

طبعة جديدة بالأوفست

دار صادر
بيروت



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرّف وفهم وعلم الانسان ما لم يكن يعلم وأسبغ على عبادہ نعمًا باطنة وظاهرة ووالى عليهم من مزيد آلائه من منّا متظافرة متواتره وبثهم في ارضه حينًا يتقلبون واستخلفهم في ماله فهم به يتعممون وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوقهم للتقن في مسارج التدبر والركض ببيادين الفهوم وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووقفهم للاعتماد في كل امر عليه وصرف آخرين عن كل مكرمة وفضيلة وقبض لهم قرناء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيلة وطبع على قلوب آخرين فلا يكادون بيقظة قولًا ونبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكّم على الكل بالفناء ونقلهم جميعا من دار التعصيص والابتلاء الى برزخ البيود والبلاء وسجّسهم اجمعين الى دار الجزاء ليوفي كل عامل منهم عمله ويسأله عما اعطاه وخوله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعتدله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون احمده سبحانه حمد من علم أنه لا يعبد الاياه ولا خلق للخلق سواء جدا يقتضى المزيد من النعماء ويوالى المن يتجدد الالات وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبه وخيله سيد البشر وأفضل من مضى وغير الجامع لمحاسن الاخلاق والسبر والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذى كان نبيا و آدم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل في عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكية الى الارحام الطاهرة المرضية حتى بعثه الله عز وجل الى الخلائق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين وأعطاه ما لم يعط أحد من العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذام الافعال ليرغب عنها اولوا النهى لاجرم ان كانت الانفس الفاضلة به راقية والهمم العالية اليه ماثلة وله عاشقه وقد صنف فيه الائمة كثيرا وضمن الاجلة كتبهم منه شيا كبيرا وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب اتراي وجمع ناسي ومغني عشيرتي وحامتي وموطن خاصتي وعاشتى وجو جوى الذى ربي جناحي في وكره وعش ما ربي فلا تهوى الانفس غير ذكره لازلت منذ ذورت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم ارجب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاعتراف من آبارها وأهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها

فقيدت بخطى في الاعوام الكثيرة وجعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او مجموع العزتها وغرايتها
 اهاب الا انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة مانسج على منوال فأردت أن الخص منها انباء ما بديار
 مصر من الآثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد
 يفنيه البلى والقدم ولم يبق الا ان يحور سمها الفناء والعدم واذكر ما بديسة القاهرة من آثار القصور
 الزاهرة وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المباني البديعة الاوضاع مع التعريف
 بحال من اسس ذلك من اعيان الامائل والتنويه بذكر الذي شاهدها من سراة الاعاظم والافاضل
 وأثر خلل ذلك نكالا لطيفه وحكا بديعة شريفة من غير اطالة ولا اكتنار ولا اجفاف مخجل بالغرض
 ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين فلها اسميته (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط
 والاثار) واني لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك ولا ينبوعه طباع العاظم والصالحين
 ويجله العالم المنتهى ويعجب به الطالب المبتدى وترضاه خلائق العابد الناسك ولا يجهل سماع الخليل الفاتك
 ويتخذ اهل البطالة والرافية سمرا وبعده اولوا الرأي والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة
 الله تعالى في تبديل الابدال ويعرفون به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان
 كنت احسنت فيما جعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت فذلك من عيم من الله تعالى وجزيل فضله
 وعظيم انعمه على وجليل طوله وان انا اسأت فيما فعلت واخطأت اذ وضعت فما جدر الانسان بالاساءة
 والعيوب اذ لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسي اني بشر * اسهو وأخطئ ما لم يحمى قدر

ولا ترى عذرا الى بذى زلل * من أن يقول مقرا اني بشر

فليسبل الناظر في هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرتب به هضوه وليغض قبا وزا وصفها ان وقف منه على
كعبه اذ نبوه فأي جواد وان عنق ما يكبو وأي غضب مهند لا يكل ولا ينبو لاسما وانما طار بالافكار
 مشغول والعزم لالتواء الامور وتعرسها فآثر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل
 والقلب اتوا الى المحن وتواتر الاحن عليل

يعاندني دهرى كأي عدوه * وفي كل يوم بالكرمية يلقاني

فان رمت شيأ جاءني منه ضده * وان راق لي يوما تكدر في الثاني

اللهم غفر ما هذا من التبرم بالقضاء ولا التجبر بالمقدور بل أنه سقيم ونفثة مصدور يستروح ان ابدى التوجع
 والابتن ويجد خفا من ثقله اذ اباح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوائح والحشا * رأوا من كتاب الحب في كبدي سطر

ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى * اذا عذروني أوجعلت لهم عذرا

والله اسأل أن يحل هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلماء كما عوذ به من تطرق ايدي الحساد اليه
 والجهلاء وأن يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء السبيل انه حسبنا ونعم الوكيل
 وفيه جلت قدرته لي سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل في جميع الحوادث لا اله الا هو ولا معبود سواه

* (ذكر الرؤس الثمانية) *

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأثروا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهي الغرض
 والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أي صناعة هو وكل فيه من اجزاء وأي انحاء التعاليم المستعملة
 فيه فنقول (أما الغرض) في هذا التأليف فانه جمع ما تفرق من اخبار ارض مصر وأحوال سكانها كي يلتزم من
 مجموعها معرفة جل اخبار اقليم مصر وهي التي اذا حصلت في ذهن انسان اقتدر على أن يخبر في كل وقت بما كان
 في ارض مصر من الآثار الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتدأها ومن حلها وكيف كانت مصار امورهم
 وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب)
 اعني الذي وسمته به فاني لما خضت عن اخبار مصر وجدتها محتلفة متفرقة فلم تهيا لي اذ جعلتها أن جعل
 وضعها من تساعلي السنين اعدم ضبط وقت كل حادثة لاسيما في العصر الخالية ولا أن اضعها على اسماء الناس

لعل اخر تطهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا افترقتها في ذكر الخطط والآثار فاحتوى كل فصل منها على ما يلائم
وبشا كله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم التحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه
بطريقة يستحسنها الا ريب ولا يستحسنها الفطن الا ديب كي يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما في غيره
من الفصول فلذلك سميته (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان
الامر فيها يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه اعني أن منفعته هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان
في ارض مصر من الحوادث والتغيرات في الأزمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر ذلك نفسه
وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا فيحفظ بالاعراض عنها والاقبال
على ما ينبغي (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسي العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي أن
يتفرغ لمطالعة وتدبر مواعظه بعد اتقان ما تجب معرفته من العلوم النقلية والعقلية فانه يحصل بتدبر لمن
ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التحول في الاموال والجنود من
الفناء والبيود فاذا مرتبه بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومرتبه) فاسمه احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ويعرف بالمقريري
رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة الممزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبع مائة من سني الهجرة المحمدية ورتبته من
العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أي علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها
عرفت شرائع الله تعالى التي شرعها وحفظت سنن انبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدي به من وقفه الله
تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والقرا عنه
وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من انباء البشر على معرفة ما دقوه
من العلوم والصنائع وتأني لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر
فضله ولكل امة من امم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائد هم اخبار عندهم معرفة مشهورة
ذائعة بينهم ولكل مصر من الامصار المعمورة حوادث قدمرت به يعرفها علماء ذلك المصريف كل عصر
ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما
أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) * اولها يشتمل على جمل من اخبار ارض مصر وأحوال نيلها وخراجها
وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها * وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن
ملكها * ورابعها يشتمل على اخبار القاهرة وخلائقها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر
ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها
يشتمل على ذكر الاسباب التي نشأ عنها خراب اقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة
اقسام * وأما أي انحاء العالم التي قصدت في هذا الكتاب) فاني سلكت فيه ثلاثة انحاء وهي النقل من
الكتب المصنفة في العلوم والرواية عن ادركت من شجرة العلم ووجه الناس والمجاهد لما عاينته ورأيت *
فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في انواع العلوم فاني اعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه
لاخلص من عهده وأبرأ من جريرته فكثيرا من ضمني واياء العصر واشتمل علينا المصراع لقله اشرافه
على العلوم وقصور باعه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس بهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف
لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه
وحسب العالم أن يعلم ما قبل في ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عن ادركت من الجسلة والمشايخ فاني
في الغالب والاكثر اصرح باسم من حدثني الا ان لا يحتاج الى تعيينه أو اكون قد أنسيته وقل ما يتفق
مثل ذلك * وأما ما شاهدته فاني ارجو أن اكون والله الحمد غير متهم ولا ظنين * وقد قلت في هذه الروس
التيانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن اشرع فيما قصدت وعزى أن اجعل الكلام في كل خط من الاخطاط
وفي كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع وأكثر فائدة واسهل
تناولا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم

بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاي كتاب المنعوت المختار في ذكر الخطط والامارات في سنة سبع وخمسين واربع مائة قبل سني الشدة قدرأكثر ما ذكر اه ولم يبق الا ببلغ وموضع يقع بمحل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين واربع مائة من الغلاء والوباء فمات اهلها وغربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجاني القسطنطينية والشرق فاما الغربي فمن قنطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريسا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالصدوانت مارا الى القرافة الكبرى واما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي تلي القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجبالى مصر في سنة ست وستين واربع مائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها قد ابادهم الوباء والتباب وشتمهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصقرت وجوههم وتغيرت سميتهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والمهية ولم يجد من يزرع الاراضى هذا والطرق قد انقطعت بجرا وبرأ الانحطارة وكافة كثيرة وصارت القاهرة ايضا يابا داثرة فاباح للناس من العسكرية والمهية والاربن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من دور القسطنطينية بموت اهلها فاحذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمرها في القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنية بعد القضاي على الخطط والتعريف بها تليده أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تاليف لطيف به فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجبالى على مواضع قد اغتصبت وتلكت بعد ما كانت اجبا سا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجوالى كتاب النقط بعجم ما شكل من الخطط به فيه على معالم قد جهلت واما قد دثرت وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل في الخططين فيه جلا من احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبع مائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع واربعين وسبع مائة ثم في وباء سنة احدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبع مائة وكتب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم تزايدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق على اهلها حتى حل بها وباء سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين وغربت به عادة اما كن فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما اتصل اليه قدر في ان شاء الله تعالى

* (ذكر طرف من هيئة الافلاك) *

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبين موضع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم واذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجايبها وكنوزها واخلاق اهلها واذا ذكرينها وخلقها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكية الكواكب واقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثاني علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوال البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذة من علم الهيئة تكون نواة لما يأتي ذكره * اعلم أن الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكما بالصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهى على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد انطمت في بيت واحد وهو زحل شري مرتيحه من شمس * فتزاهرت بعطارد الاقار

ويقال لهذه السبعة الخمس وقيل انها التي عنها الله تعالى بقوله فلا قسم بالخمس الجوارى الكنس والتي عنها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخمس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تتجوز في البروج ثم تكنس أى تسترك كما يكنس الطبى وقيل الكنس والخمس منها خمسة وهى ما سوى الشمس

والقمر سميت بذلك من الانحناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله
خنس أى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس
الطبي اذا دخل الكناس وهو مقمره فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه
الكواكب المحيرة لانها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأى العين فيكون
هذا الارتداد لها شبه البحر وهذه الاسماء التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من
زحل فلان اذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره وقيل للزحل والزحل الحقد وهو يزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد
في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك لحسنه كانه اشترى
الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشراء والبيع ودليل الرخ والمال في قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ
وهو شجر يحنك بعض اغصانه ببعض فيورى ناراً سمي بذلك لاجاراه وقيل المريخ سهم لاريش له اذ رمى به
لا يستوى في مخرمه وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت
واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التي في
المنطقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وعطارد هو النافذ في كل الامور ولذلك
يقال له أيضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلبسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمره وهي
البياض والاقترابيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري نبروالبرجيس أيضا والمريخ بهرام وللشمس
مهر وللزهرة اياهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعت في بيت واحد وهو هذا
لازلت تبقى وترقى للعلي ابدا * مادام للسبعة الافلاك احكام

مهر و ماه و كيوان و تيرمعا * و هرمس و اياهيد و بهرام

ويقال للماعدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في الفلك
بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة *
ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشقات بعضها
في جوف بعض وهي تسعة اقربها اليها فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس
وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى
السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك
الكل وقد اختلف في الافلاك فقل هي السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير
ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم
الدوران كالدولاب ويدور في كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدًا من المشرق
الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دوران حركته قسرية لادارة التاسع
لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالتأخر مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة
الشمس تحت افق الارض وذلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كجز البليخة كل قسم منها يقال له
برج وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج الاثني عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال لكل قسم منها
درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه
الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوابت والاربع والخوامس الى
الثواني عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول وهي الربيع
والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب *
والاركان اربعة النار والهواء والماء والتراب * والطبائع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة * والاخلط اربعة الصفراء والسوداء والبلمم والدم * والارياح اربعة الصبا والدبور
والشمال والجنوب * فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل
والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهي السرطان والاسد
والسنبلة

والسنبله وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس
وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو والحوت * والفلك المحيط
كما تقدم دائم الدوران كالذوالب يدور أبدا من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها
فيكون دائما نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر هو ستة بروج بمائة
وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثمانمائة وستون
درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج
طلوعها بالليل * والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المشرق والمغرب من السماء والفلك يدور على
قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحلق على قطبي المخروطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين
بعدهما من كلا القطبين سواء ونسبى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج
تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريباً وهذا النصف
فيه خمسة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبله ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل
ذلك وفيه خمسة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين
الدائرتين اعنى دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعنى رأس الحمل ورأس
الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتزخر الشمس على
دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء
الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين
الشمالي والجنوبي سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجاً في مدة ثمانمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم
بالقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوماً وكسر من يوم وتكون ابداً بالنهار ظاهرة
فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبله فانها تكون مرتفعة في الهواء قرية من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل
الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل
الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعثت عن سمت الرأس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله
تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله بارداً رطباً وخلق الربيع فجعله حاراً رطباً وخلق الصيف فجعله حاراً
يابساً وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل
الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخبره أول
السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار
تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف
الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما بعد امصر ونبت
العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاّ الزهور وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتجت البهائم
ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصية شامية قد تزينت للتأطرين والله در القائل
وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد العمري وجه الله تعالى

واستنشقوا الهواء الربيع فانه * نعم النسيم وعنده الطاف

يغذى الجسوم نسيمة وكأنة * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ولا يعرفون
الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدر فيه الثمار وهو الخريف وفصل
الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه
العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدر فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى
الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمام والنور الربيع الثاني وكلهم مجتمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا
حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج السرطان تنال أطول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة

الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السماء ونقصت المياه الابصر
وبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت
أخلاف النعم وصارت الارض كأنها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار
مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء
وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الابرار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرت الثمار ودرست البيادر
واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الارض الابصر وهزلت البهايم وماتت الهوام وانجبرت الحشرات
وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الداغمة وأخذ الناس يجنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة
كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولى ولله در القائل وهو الامام عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن معقل
الازدي المهلبى الحصى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذه * برد الهواء لقد أبدى لنا عجا
اهدى الى الارض من اوراقه ذهبا * والارض من شأنها أن تهدى الذهب

وقال أيضا

لله فصل الخريف فصلا * رقت حواشيه فهورائق
فالماء يجري من قلب سال * والدمع يبدو بوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا * يلهذه ذاتق وواثق

وقال أيضا

انى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلبا وعينا
ارانا الدوح مصفرا نضارا * وصافى الماء مبيضا لجينا
فأحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ فى التدثر فى الخريف فانه * مستوبيل ونسيمه خطاف
يجرى مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر

يا عابا فصل الخريف وغابا * عن فضله فى ذمه لزمانه
لا شئ ألطف منه عندى موقعا * ابدا يعزى الغصن من قصانه
وتراء يفرش تحته أثوابه * فاعجب لأفته وفرط حنانه
وألد ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل
في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات
أكثر النبات وغارت الحيوانات فى جوف الارض وضعف قوى الابدان وعزى وجه الارض من الزينة ونشأت
الغيوم وكثرت الانداء وأظلم الجو وكل وجه الارض الابصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كأنها
بجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه
ذلك تقدير العزيز العليم وتدير الخبير الحكيم لاله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع برمان الطفولية
وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتقلها فى البروج
الاثنى عشر المذكورة تكون ازمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها وعن حركة القمر فى البروج
الاثنى عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثنى عشر ويقطع الفلك كله فى مدة
ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقع فى كل برج يومين وثلاث يوم بالتقريب ويقع فى كل منزلة من منازل القمر
الثمانية والعشرين منزلة يوما ويلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره فى كل
ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلئ فى ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر

في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يحق نوره في آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلالة
ويتم في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويدور في ناحية الغرب ويستمر الى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهي
السرطان والبطين والثريا والذبران والهقعة والهقعة والذراع والنثرة والظرف والجبهة
والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكيل والقلب والشولة والنعائم
والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر
وبطن الحوت * وحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لاتعلمون

(ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها)

ولما تقدم في الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب
الشهور والاعوام منها ما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول * الجهات من حيث هي ست الشرق وهو
حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب والسماء وهو
حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو ممالي السماء والتحت وهو
ممالي مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرة الشكل وهي واقفة في الهواء بجميع
جبالها وبحارها وعامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالخ في جوف البيضة وبعدها من
السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عرق باطنها ممالي مركزها من أي جانب كان
ذهب الجمهور الى أن الارض كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالخ في البيضة وأنها في الوسط وبعدها
في الفلك من جميع الجهات على التساوي وزعم هشام بن الحكم أن تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع
وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما بعده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان
الله تعالى وقفها بلا عمد وقال ريمقراطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجرد مخرجها فيضطر
الى الانتقال وقال أخرى واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فذلك
لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان
الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدبير الفلك
ودفعه اياها من كل جهه الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدبرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وقال
محمد بن احمد الخوارزمي الارض في وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهي مدورة مضرسة من جهة
الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت بجملة الان مقادير الجبال وان شئت
يسيرة بالقياس الى كورة الارض فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا تأمتها شيء أو غار فيها
لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغرها بحيث لا يظهر منها شيء
حينئذ تبطل الحكمه المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسيحان من لا يعلم أسرار حكمه
الاهو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها
من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحد فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو أعلى
الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاه وقيل لا خلاه ولا ملاء وكل موضع
يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدى يكون ممالي السماء الى فوق ورجلاه ابدى تكون اسفل
ممالي مركز الارض وهو دائري من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر حدية الارض وكلما انتقل
من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه * والارض غامرة بالماء كعنبه طافية فوق الماء
قد انحسر عنها شحو النصف وانحسر النصف الآخر في الارض وصار المنكشف من الارض نصفين كائنا قسم
بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير
مرتبين فيها ويكونان هناك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية
الشمال قدر درجة ارتفاع القطب الشمالي الذي هو الجدي على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب
الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب
كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض

البلد عبارة عن ميل دائرة معتدل النهار عن سمت رؤس اهلها وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا بعد ما بين سمت
رؤس اهل ذلك البلد وسمت رؤس اهل بلد لا عرض له فأما ما أنكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط
الاستواء فإنه خراب والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الراجح العامر وهو المسكون
من الارض وخط الاستواء لا وجود له في الخارج وانما هو فرض بوهمننا أنه خط ابتداء من المشرق الى المغرب
تحت مدار رأس الحمل وسمي بذلك من اجل أن النهار والليل هناك ابداسواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر
شيأ البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتنا هذا الخط ملازمان للافق احدهما على مدار سهيل في ناحية
الجنوب والاخرى مما يلي الجدي في ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من
الجنوب الى الشمال من خط اريس الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف
خط اريس وهو مقدار ستة عشر درجة وبجولة معمور الارض نحو من سبعين درجة لا اعتدال مسير الشمس
في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تتأخر فيهما
الامرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لا ارتفاعها واتقاء ضرر قوتها غير
ساكنة ولان حضيضها في الجنوب عدت العمارة هنالك * وقد اختلف الناس في مسافة الارض فقيل مسافتها
خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليا جوج
وما جوج واثنا عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة
ليا جوج وما جوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران
وقيل الارض اربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألف وللروم ثمانية آلاف ولقارس ثلاثة آلاف
وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن
تابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة
والاطراف اربعة والدواحي خمسة واربعون والمدائن عشرة آلاف والرسائق مائة ألف وستة
وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون احدى وعشرون ألفا وستة مائة مدينة وحصن في الاقليم الاول ثلاثة
آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني ألفان وسبع مائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة
آلاف وتسعون مدينة وقرية وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس
ثلاثة آلاف مدينة وست مائة وفي السادس ثلاثة آلاف واربع مائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف
وثلاث مائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض
والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لانيات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر
رأسه الصين والجنح الايمن الهند والسند والجنح الايسر الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه
الغرب * وقيل قطر الارض سبعة آلاف وأربعمائة واربعه عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل واربع مائة
ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر * وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الارض من اقصى المشرق
الى اقصى المغرب نحو اربعمائة مئة حلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكين
يا جوج وما جوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكين السودان مائة وثمان وعشرون مئة حلة
وما بين براري يا جوج وما جوج الى البحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب
خراب ليس فيه عمارة ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها * والطريق في
معرفة مساحة الارض أن الوسر ناعلى خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معتدل النهار عن
سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءا وارتفاع القطب علينا درجة
نظير تلك الدرجة فانا تعلم اننا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزءا من ثلاثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من
الفلك فلو قسمنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفاع القطب علينا درجة فانا نجد
حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل عن خمسة وعشرون
فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب
عشرون ألفا واربع مائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الارض

على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهي مساحة قطر الارض فلوضربنا هذا القطر في مبلغ دور الارض بلغت مساحة بسط الارض $\frac{1}{2}$ كسيرا مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعده مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض واتنهاؤه الى جزيرة تولى في برطانية وهي آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذي هو مساحة عرض الارض في النصف وهو مقدار الطول كان للعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه ما تساجل طوال وما تانهر وأربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوي على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة وقال في كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة بوليس الملقب قبصر الملك في عانة الدينا تخبر اربعة من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدينا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم في نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة في الدينا تسعة وعشرين بحرا قد سموا منها بحيرة المشرق ثمانية وبحيرة الغرب ثمانية وبحيرة الشمال أحد عشر وبحيرة الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في المشرق ثمان وفي الغرب ست عشرة وفي جهة الشمال احدى وثلاثون وفي جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الدينا ستة وثلاثون وهي أمتها الجبال وقد سموا فيها فاسر ومنها في جهة المشرق سبعة وفي جهة الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثناعشر وفي الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها في المشرق سبعة وفي المغرب خمسة وعشرون وفي الشمال تسعة عشر وفي الجنوب اثناعشر وقد سموا والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها في المشرق خمس وسبعون وفي المغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة في جميع الدينا ستة وخمسون منها في المشرق سبعة عشر وجزء الغرب ثلاثة عشر وجزء الشمال تسعة عشر وجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قدمه طول من المشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمتد وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمتد وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من المشرق الى الغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عرضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا وأقصرها طولها وأعرضها الاقليم السابع وطوله من المشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء الذين جالوا في الارض ليقتفوا على حقيقة حدودها ويتقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجأة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هناك البرد وصارت ستة أشهر ليلا مستمرة وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة أشهر بغربليل وهي مدة الصيف عندهم فيجى الهواء ويضرم ما يحرقها يهلك بشدة جزءه الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحية المشرق تمنع من سلوك الجبال الشاخنة وصار الناس اجتمعهم قد انحصروا في الربع المسكون من الارض

ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الأرباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى القللك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الأقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الأقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والنور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب واقرب الى الشرق * وقد ذكر القديما أن العالم السفلى مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فأقليم الهند وحمل واقليم بابل للمشتري واقليم الترتل للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر * وقال قوم الحمل والمشتري لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمريخ للترتل والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثني عشر برجاً فالحمل ومثله للشرق والنور ومثله للجنوب والجوزاء ومثله للغرب والسرطان ومثله للشمال فالواو في كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بين كل كوكب الاقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس في كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وستمائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج القللك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقائق روابيع كانت اناس هذه الاقاليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال أن عدد مدن الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن في الثاني ألفان وسبع مائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة آلاف وست مدن وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة في الجزائر * فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلاثاد درجة وهو العرض وانتهى عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتدأه من اقصى بلاد الصين فيتر فيها الى مايلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد المسند ويمر في البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القازم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقله من ارض النوبة ويمر في ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طويلا منها ما طوله ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سودا اللون ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشتري وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الا أن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكنثرة المروج وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء ثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر الغرب ومن هذا الاقليم يأتي نيل مصر وشرة هم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن * والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة وعشرين جزءا وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم اربعمائة ميل

ويتبدى من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيتر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد أفريقية فيتر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربع مائة وخمسون مدينة كبيرة وألوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة في المغرب منهم حداله وصنهاجه ولتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون يحمل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة الترك * والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومساقته ثلاثمائة وخمسون ميلا ويتبدى من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان ومجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهاواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والاباروهيت ويمر ببلاد الشام الى سبلة وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وعزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل أرض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه القيوم والاسكندرية والعرواوتيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومائة وعشرون مدينة واهل سمر الألوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمار المتواصلة من أوله الى آخره اه * والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحت هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلاث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويتبدى من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان ومجندة وفرغانة وسمرقند وبخارى وهراة ومرو والروندوسرخس وطوس ونيسابور وخران وقومس وطبرستان وقزوین والمديلم والرى واصفهان وهمدان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وأمد وراس العين وشمس طاب والرقه ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالسن ومسح وملطية وحلب وانطاكية وطرابلس والصبيصة وجماه وصبيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد طنجة فينتهى الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائة وثلاث عشرة مدينة وألوان اهل ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو في قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهم اعلى جنبه وبقية الاقاليم منخطة اهلها ناقصون ومخطون عن الفضيلة لتسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبيشة واكلهم الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع يا جوج وما جوج والتغرغر والصقالبة ونحوهم * والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلاث درجة وابتداءه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجة ومساقته خمسون ميلا يتبدى من الشرق الى بلاد يا جوج وما جوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسيجاب واذر بيجان وبردعه ومجستان وأردن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهى الى البحر الذى في المغرب وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا ومن المدائن الكبار ما تامة واهل بيض الألوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر * والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمسة

واربعين درجة وخمسي درجة وابتداءً من حدتهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول
خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعا وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا
ميل وعشرة اميال ويتبدى من المشرق فيتر بمسكن الترك من ابخر خير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال
تجومهم على اللان والشير وارض برحان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي هذا
الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار
تسعون مدينة واكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة
الترنج * والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالي
وهو العرض ثمانيا وأربعين درجة وثلاثي درجة وابتداء هذا الاقليم من حدتهاية الاقليم السادس الى حيث
يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة
وثمانون ميلا قتيبن أن ما بين أول حد الاقليم الأول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع
القطب الشمالي ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة واربعين ميلا ويتبدى الاقليم
السابع من المشرق على بلاد يا جوج وما جوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر حران مما يلي الشمال ويقطع
بحر الروم على بلاد جرجان والى مقابلة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال
طوال واربعون نهرا طوالا واثنان وعشرون مدينة كبيرة وأهل شقرة الألوان وله من البروج الميزان ومن
السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امة مختلفة اللسان والألوان وغير ذلك من الطبايع
والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعبادات والعبادات لا يشبه بعضهم
بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنسب مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف
أهوية البلدان وترتبة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوابع كل بلد من البروج على افقه وممر
الكواكب على مسامته البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب
الحكمة ليتدبرا ولوالته ويعتبر ذوا الحجي بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك
فإن الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امة كبارهم الصين والهند والسودان
والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض
في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر
وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الامم الست

* (ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة) *

واذ ينسب الله سبحانه بذكر اجل احوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من اقاليم الارض فلنذكر محل مصر من
ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد
الاعلى كقوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة
الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والقيوم والقاهرة والاسكندرية والغرما
وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة وهو بعد مائة من أول
العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار
الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة وفسطاط
مصر مع القاهرة من مكة شرقيها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشريفا
لبعد عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكة من غربيها ومصر
لا يتوصل اليها الا من مقارعة في شرقها ببحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربيها صحراء المغرب وفي جنوبها
مقارعة النوبة والحبيشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي في ما بين بحر الروم وبحر القلزم بين مصر وبغداد
على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب المهالك والمسالك ألف وسبع مائة وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين
فرسخا ومائة وبضعا وأربعين بريدا وبين مصر والشام اعني دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تكون من
الفرسخ مائة واحدى وعشرين فرسخا وثلاثي فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن جرداديه ارض الحبيشة

والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من سنتين جزءاً من أرض السودان وأرض السودان جزء واحد من الأرض كلها وفي كتاب هردوشيش بلد مصر الأدنى شرقه فلسطين وغربه أرض ليسيه وأرض مصر الأعلى تمتد إلى ناحية الشرق وحدثه في الشمال خليج القرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الأدنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنساً

* (ذكر حدود مصر وجهاتها) *

اعلم أن التصديق هو صفة الحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشيء والحدود تكثر وتقل بحسب الحدود والجهات التي تحتها المساكن والبقاع أربع جهات وهي جهة الشمال التي هي إشارة إلى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكب الجدي والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين الذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الأربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحدد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يمتدى الناس في اسفارهم وبها يستخرجون سمك محار يربهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهة المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبداً مستديراً الشمال وبصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الأربع هي التي ينسب اليها ما يحده من البلاد والاراضي والدور الآن أهل مصر يستعملون في تحديد هم بدلاً من الجهة الجنوبية لفظة القبلة فيقولون الحد القبلي ينتهي إلى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي إلى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عروضها عرض مكة إذا كانت أطولها أقل من طول مكة فإن القبلة تكون في هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التي توافق عروضها عرض مكة إلا أن أطولها أطول من طول مكة فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدد في شيء من هذه البلاد ارضاً أو مسكاً بحدود أربعة فانه يصير حدان منها حد واحد وكذلك جهة البحر لما جعلوا قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسامتها منه فانهم أخطأوا بذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة فإذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي إلى ظهر الواحات ويمتد إلى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان على حد أرض السبعة في قبلي اسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويحاذي القلزم إلى طور سيناء ويعطف على تبة بني اسرائيل ماراً إلى بحر الروم في الجفار خلف العريش وريح ويرجع إلى الساحل ماراً على بحر الروم إلى الاسكندرية ويصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز في رسالته المصرية أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمهما في الثالث وحكي المعنونون بأخبارها وتواريخها أن حدّها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والريج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من اربعين يوماً وحدّها في العرض من مدينة اسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخمة لأرض النوبة إلى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً ويكتشفها في العرض إلى منتهاها جبلان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر في الضفة الغربية منه والنيل متشرف فيما بينهما وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جداً في وضعهما من لدن اسوان إلى أن ينتهيا إلى القسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلاً ويأخذ المقطم منهما مشرقاً والآخر مغرباً على وراب في مأخذيهما وتفرج في مسلة بينهما فتتسع أرض مصر من القسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه القرماء وتيس ودنياط ورشيد والاسكندرية فهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلا في الجنوب وأوغلا في الشمال وإذا نظرتنا بالطريق البرهانية في مقدار

هذه المسافة من الامسال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصا تاما له قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة اسوان التي هي اوغها في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي اوغها في الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طولها افضل له قدر يعتد به ونوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبيه ومراقبه وفي آخر أرض مراقبه تلقى أرض انطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو بحري أرض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيئا ما فاذا بلغت آخر أرض مراقبه عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى افرقة وعن يسارك من أرض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الاربعة فذلك غربي مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الواحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير عما في ساحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الاسلام هناك ويلها بلاد النوبة ثم يتقطع النيل فتأخذ من اسوان في المشرق منكبا عن بلد اسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فمن اسوان الى عيذاب خمس عشرة فرساجلة وذلك كله قبلي أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم يتقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوراء أقول أرض مصر وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليلة وهو الحاجر فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر وما كان بعده من الحد الغربي فمن قنوج اهل مصر وثغورهم من البرقة الى الاندلس

* (ذكر بحر القلزم) *

القلزم الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شريقها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم داخل في أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربي في شرقي أرض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكرى قرى مصر ومدنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية ثم تسوب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيا ناس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البحار المتصاعده منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الا في ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السلي نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة اجزاء عظمتها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر البيني والبحر الحبشي بحسب ما يتر عليه من البلدان وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فأن مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعير من بلاد كران فاذا صار الى بلاد كران ينقسم هناك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والاخر يسمى بحر الصين فيخرج بحر الصين من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هنالك الى مدينة طافار ويسير الى المسجور وساحل بلاد حضر موت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانية

ألف ميل في عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فإذا انتهى إلى باب المندب يخرج إلى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تجاهه فإذا فارق باب المندب مرقى جهة الشمال بساحل زبيد والحرون إلى عثر وكانت عثر مقر الملك في القديم ويمر من هنالك على حلى إلى عسفان وأما وهي فرضة المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الحفة حيث يسمى اليوم رايغ إلى الحوراء ومدين وإيلة والطور وفاران ومدينة القلزم فإذا وصل إلى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومز إلى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير إلى عذاب وهي فرضة التحية ويمتد من عذاب إلى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر ووطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربع مائة ميل إلى مادونها وهو بحر كربة المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كأنها جزائر احاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر الرومي لنيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة إيلة مكان يعرف بمدينة فاران وعند هاجبل لا يكاد ينبو منه مركب لشدة اختلاف الرياح وقوة عزمها من بين شعبي جبلين وهي بركة سعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرندل يقال أن فرعون غرق فيه ما إذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان في القديم هنالك قد وضع ليجس من خرج من أرض مصر مغاضبا للملك أوفارامنه وأن موسى عليه السلام لما خرج بيني إسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجندوه في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسير دخبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كائس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهي جزيرة دهلج وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الأعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دفاقه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وبلاد مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

(ذكر البحر الرومي)

ولما كانت عدة بلاد من أرض مصر مغطاة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتينس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد أرض مصر ينتهي في الجهة الشمالية إلى هذا البحر وهونهاية مصب النيل حسن التعريف بشئ من أخباره وقد تقدم أن يخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الأقاليم الرابع بين الأندلس والغرب سائرا إلى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار خضره وأجراه من البحر المحيط الغربي وأن جزيرة الأندلس وبلاد البر كانت أرضا واحدة يسمى كنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض إلى أن ملك اسكندر الجبار بن سلقوس بن أعر يس بن دويان فرغب إليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجان من البحر يسمى كنها به احتراز كل طائفة عن الأخرى فحفرزقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبني بجائيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها إلا بأذن وكان قاموس البحر أعلى من أرض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطني على عدة بلاد ويقال أن المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكر أن البحر إذا جزر ترى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الأول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان في أول الدهر مما علمه بعض الأوائل وأما أن يكون خيرا واهيا والا فزمان اسكندر حدث بعد كون هذا البحر والله اعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج وإذا خرج البحر من هذا الزقاق مرقا مشرقا في بلاد انبربر وشمال الغرب الأقصى إلى وسط بلاد المغرب على أفريقية وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف

من هناك الى العلالي وانطاكيا الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقبل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعة مائة ميل الى ثلثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة الا انه ليس من شرط هذا الكتاب منها مقلية وصورقه واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب ببحر خارج من المحيط في مغرب بلاد الرنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي اسفله جزائر الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق ببحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصليب ببحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برسلونه ولهم بحر يعرف بأجوج وما أجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومي نحو أربعة اشهر وقال أبو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتعظيم مسافات المساكين وقد كان حترض بعض ملوك الفرس في بعض استبلائهم على مصر على أن يحفروا ما بين البحرين القانم والرومي ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القانم على ارض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القاصرة طموه منعان يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السمر من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادهاوين القسطنطينية كان في قديم الزمان ارضاً تبت الجيز وكانت مسكونة وخجة وكان اهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيمار يعمون الطائر الذي يقال له قفنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما عيت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصباح وزرعوا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت قفنس في تلك الحال فغشى ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد اذنيه سداً محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيئاً بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة ايام يريد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا ينفخه حسنه في أول مرة فيأق عليه وزرعوا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل في الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحاً فيه سم ليسر به فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل اعجز أن اكون مثل قفنس

* (ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسماؤها) *

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان جرله ثم سميت مصر وقد اختلف اهل العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصر بن نوح وبه سمي مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف وقال آخرون هي اسم عربي مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم اعجمي فإنه استدل بما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به اهـ وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن مصر ابن حام وهو مصر بن نوح وقيل أن بنصر بن هرم بن هردوس جد الاسكندر قال ونلح لوما بن حام بنت شاويل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أباً القبط وقبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرم بن ابن هردوس بن بيطون بن زروي بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي معدونية وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن بن آدم لما تنحسا وادبني عليهم بنو افايل بن آدم ركب بقراوش الجبار ابن مصر بن ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام في ثيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبارة كلهم يطمبون موضعاً من الارض يقطنون فيه فراراً من بنى ابيهم فلم ير الا عيشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشي عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنا فيه الابنية

الحكمة والصنائع العجيبة وبني نقر اوس مصر وسماها باسم ابيه مصريم وكان نقر اوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله اتمر الحق في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان زواميل علمها لا دم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها المسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أبحر وأما ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينقطع ويتفرق في الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدنتهم امسوس يجرى في وسطها ثم جمعت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرايم فقال قليمون لنوح ابعت معي يا بني الله اخي حتى امضي به بلدي واظهره على كنوزي وأوقفه على علومه ورموزه فأثقفه معه في جماعة من اهل بيته وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عرشا من اغصان الشجر وستره بجنيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع وأجنة وعمارة وكان الذي مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا في ايام تالف بن عامر بن شاخ ابن أرغشد بن سام بن نوح فلك مصر وهي مدينة منبغة على النيل وسماها باسمه ويقال أن مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القناء في طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا في عرض مائة ذراع ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بني الكهنة فولدت له ولدا فسماه قطيم ونكح قطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر قطيم واشمون وأتريب وصافف كثروا وعمروا الارض وبورلك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بلغتهم وهي منف وكشف اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلوهم علم الطبسمات ووضعوا لهم علم الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقطيم من قسط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الخوف كله ولصا من ناحية صا البحرية الى قرب برقة وقال لاختيه فاروق من برقة الى الغرب فهو صاحب افرقة واولاد الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه وامرهم عند موته أن يحفروا له في الارض سراوا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ويزروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من اخذه فحفروا له سرايا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفيا مصفا فاعطى الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده في جدر مرصع بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بنصر ابن حام بن نوح بعد سبع مائة عام مضت من ايام الطوفان ولم يعبد الا صنما اذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحسنه باسماء الله العظام ولا يصل اليه الا ملك ولدته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد والخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر القاهر والصنعة الالهية والعقار والطبسمات العجيبة رساتلك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الزمال بين جبلين وولى ابنه قطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التحالف أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عامر ابن شاخ بن أرغشد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد

من هنا الى قوله وقال ابو القاسم ساقطة من كثير من التسخ فاعلمنا من زيادة من اطلع على الكتاب

الشمس وقيل له أيضا سببا لانه أول من سبأ وهو سببا الاكبر ابو جبر وكهلان ملك بعده أيه يشعب بأرض اليمن جمع بني لحطان وبني هود عليه السلام وحشهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل فتفكحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ ارض ارمينية وملك ارض بني يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هناك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبنى قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضى الى الدرب ولم يكن خلف الدرب اذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم اني رأيت أن أبني مصرا الى حد بين هذين البحرين يعني بحر الروم وبحر القزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا نعم الرأي أيها الملك فبنى مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني حام بن نوح وهم نزول في البراء الى بمونية وبعومونية القبط فأوقع تجميع تلك الطوائف وسبى ذرايعهم كما فعل بلاد الشرق فقيل له من اجل ذلك سببنا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون عند رحيله اه

الاقبل لبابليون والقول حكمة • ملكك زمام الشرق والغرب فاجعل
وخذ لبني حام من الامر وسطه • فان صدقوا يوما عن الحق فاقبل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة • يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في البأس يعبروا • عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال في غير حقه • وان جاء لاتدينه فحولك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه • متى يلق منك العزم ذوا الحقد يحمل
وجد لذوى الاحساب لينا وشدة • ولانك جبار اعليهم وأجل
وكن لسؤال الناس غوثا ورجة • ومن يك ذا عرف من الناس بسأل
وابالك والسفر القريب فانه • سيغنى بما يوليه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبني سد مأرب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه جبر بن سبأ فبنا بنو حام على بابليون وأرادوا تخريب مصر فاستدعى أخاه جبر لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب فأقام به مائة عام بيني المدائن ويتخذ المصانع فمات بابليون بن سبأ بمصر وولى بعده ابنه امرئ القيس بابليون ثم مات جبر بن سبأ عن اربع مائة سنة وخمس واربعين سنة منها في الملك اربع مائة سنة وأقام من بعده ويل بن جبر ثم مات فقام من بعده ابنه سليل بن وائل الذي يقال له مققع الحمد وقد اقرق ملك جبر فخارب الثوار وسار الى الشام فلقبه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ بالرملة وقد ملك بعده ابنه وقدم له هدية فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر • وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويخطون وأن نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحرة فنادى ساما فأجابه يسى وصاح سام في ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرغشدد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرغشدد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام افضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرغشدد ثم نادى حاما وتلفت يمينها وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن نصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدي قد أجبتك اذ لم يجبك جدي ولا أحد من ولده فاجعل لي دعوة من دعائك ففزع نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرا افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلها لهم وقوم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرارا خلق وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرغشدد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرغشدد بن سام وكان اكبر ولد حام

كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرحى الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء
 وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو
 أبو البربر وابنه الأصغر الرابع بنصر بن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصريين بنصر وهو أكبرهم
 والذي دعا له نوح بمادعاه وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصراً أربعة فقط بن مصر وأثنى بن مصر وأتريب
 ابن مصر وصا بن مصر وعن أبي لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد
 أن أغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد له
 قد بلغوا وترتوجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر وكان أقامتهم قبل ذلك بسبع المظلم
 ونفروا هنالك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا مصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم
 البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار ويجعل له فيم الفضل البركات ويسخر له الأرض ولولده وبذلها لهم
 ويقوم بهم عليها فأسأله عن أوصافها وأخبرها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لمادعاه وكان بنصر
 بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع أخوته إلى مصر فترلوها وبذلك سميت مصر فلما قرأ بنصر وبنيه
 بمصر قال لمصر أخوته فارق وياح بنوا بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها
 جدك نوح ونحن نصيق عليك أرضك وذلك حين كثروا له وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها فيك جدينا
 نوح أن تبارك لنا في أرض نلقى بها ونسكنها وتكون لنا ولادنا فقال نعم عليكم بأقرب البلاد إلى ولا تسعدوا
 متى فإن لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى فتسكنون لي ولولدى ولولادهم فجاز مصر
 ابن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش إلى اسوان طولا ومن برقة إلى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين
 برقة إلى أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت أفريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى
 حدة مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة
 شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفي بنصر بن حام ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام فهي أول مقبرة قبر
 فيها بأرض مصر وكثير أولاد مصر وكان الأكبر منهم فقط وأتريب وأثنى وصا والقبط من ولده مصر هذا ويقال
 أن قبط أخو فقط وهو بلسانهم قبطيم وقبطيم ومصر ايم قال ثم أن بنصر بن حام توفي واستخلف ابنه مصر وحاز
 كل واحد من أخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه سوى أرض مصر التي حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد
 مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذه النيل فقطع لابنه
 فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقط وما فوقها إلى اسوان وما دونها إلى اشمون في الشرق والغرب
 وقطع لأثنى من اشمون فادونها إلى منف في الشرق والغرب فسكن اثنى من اشمون فسميت به وقطع لأتريب ما بين
 منف إلى صافسكن أتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على
 أربعة أجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الأرض قال البكري "مصر مؤنثة قال تعالى أليس لي ملك
 مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن أبي وائلة الكوفي "لما وبه أما عمرو بن العاص فأقطعت مصر وأما قوله
 سبحانه اهبطوا مصر فإنه أراد مصر آمن الأمصار وقرأ سليم الأعشى اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها
 سليم بن علي فلم يجرها وقال القضاي وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع
 أخوته إلى مصر فترلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم مذكر سميت به
 هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيت والتعريف فتعناها الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة بطرقها السفار مصر فإذا
 اراد مصر من الأمصار صرف لزال إحدى العلتين وهي التعريف وأما قوله تعالى أخبارا عن موسى عليه
 السلام اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتهم فانه مصر وف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والأعشى غير
 مصروف فمن صرفها فله وجهان أحدهما أنه أراد اهبطوا مصر من الأمصار لأنهم كانوا يومئذ في التيه
 والآخر أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لأنه جعل مصر أسماء البلاد وهو مذكر راسم سمي به مذكر
 فلم يمنع الصرف وأما من لم يصرفه فانه أراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى أخبارا عن يوسف عليه السلام
 ادخلوا مصر إن شاء الله آمين وقول فرعون أليس لي ملك مصر أم ماذا مصر هذه فاما المصر في كلام العرب
 فهو الحديثين الأرضين ويقال إن أهل هجر يقولون اشتريت الدار بصورها أي بجودها وقال الجاحظ

في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصير الجوف
مصيرا ومصرا للمصير الطعام اليه قال ويجمع المصر من البلدان أمصارا ويجمع مصير الطعام مصرا وليس لمصر
هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل همت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال اتيت امرأة لي وأنا
جائع فقلت أطعمني شيئا فقالت يا جارية ضعي لابي مالك مصيرا في النار ففعلت فاستجبتها بالطعام فقالت يا جارية
ابن مصير أبي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهمت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهرى في كتاب الصحاح
مصر هي المدينة المعروفة تذكروا ثوبت عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه
في كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما
سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جميعا وقف على الكنيسة العظمى التي
بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الا وصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسرها
الا الصعيد الأعلى ويقال لمصر ام خنوز وتفسره النعمة والمصر الفرق بين الشيتين قال الشاعر يصف الله
تعالى

وجاعل الشمس مصر الاخفاه * بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قائله عدى بن زيد العبادي ويروي لامية بن الصلب الثقفي وهو من ابيات أولها
اسمع حديثا كما يؤما تحته * عن ظهر غيب اذا ما سائل سألا
كيف بدا ثم رب الله نعمته * فيها وعلمنا آياته الا ولا
كانت رياح وسيل ذوكرانية * وظلمة لم تدع قفقا ولا خلا
فامر الظلمة السوداء فأنكشت * وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها * تحت السماء سواميل وما نقلها
وجاعل الشمس مصر الاخفاه * بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السماء مصابيح قضى لنا * ما ان تكلفنا زينا ولا قتلا
قضى لسته ايام من خلقته * وكان آخر شئ صور الرجل
فاخذ الله من طين فصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا
دعا آدم صوتا فاستجاب له * فتفخ الروح في الجسم الذي جبلا
ثم اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه صلعة من جنبه جعلها
لم يشبهه ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم أو كلا
وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة في الخلق او جبلا
فلامها الله اذ أطفئ بخلقه * طول اللبالي ولم يجعل لها اجلا
تمشي على بطنها في الارض ما عمرت * والترب تأكله حزا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب محمد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها
باجماع القراء على ترك صيرفها وهي اسم لا يشصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه
التأنيث والتعريف فنعاء الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت
مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يحاوسا كنهها من خير يد ر عليه منها كالشاة التي يتفجع بلبنها
وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للمعاصر ويجمع مصران ومصارين وكذلك هي
خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها
ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم فأعانه الله بمصر يومئذ
وخزائنهم كل حاضر وبأد ذكره الحوفي في تفسيره وقال البكري أم خنوز بفتح أوله وتشديد ثانيه
وبالراء المعجمة اسم لمصر وقال أرطاة بن شعبة قال ذبيان ذودوا عن دما تكم * ولا تكونوا كقوم أم خنوز
يقول لا تكونوا أذلاء يئالكم من اراد يأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنوز قال كراع أم خنوز
النعمة ولذلك سميت مصر أم خنوز لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنوز لانها يساق اليها

القصار الاعمار ويقال للضبع خنور وخنوز بالاء والزاي وقال ابن قتيبة في غرائب الحديث ومصر الحد
 واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أي بحدودها وقال عدى بن زيد
 وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النصارى بين الليل قد فصلا
 أي حدا

(ذكر طرف من فضائل مصر)

ولمصر فضائل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكور وتارة ايماء *
 قال تعالى اهبطوا مصر افا لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره وجهور الناس يقرؤون
 بمصر بالتونين وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره
 من صرفها اراد مصر امن الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت
 به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في
 القرآن ان الله تعالى اورث بن اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش خلقتها وشبهها
 بهند ودعدو وسيبويه لا يبحر هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن ثعلب وغيرهما
 اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعشى هي مصر التي
 عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي عندى مصر قرنتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر
 ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشنخي قال خرج يوسف عليه السلام
 يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنأ أحدهما من صاحبه وكان
 يعقوب يمشي وهو توكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخليل والى الناس فقال يا يهوذا هذا
 فرعون مصر قال لا هذا انتك فلما دنأ كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب
 الاحزان عني * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر
 بيوتا واجعلوا بيوتكم قبله واقموا الصلاة قال الطبري عن ابن عباس وغيره كانت بنوا اسرائيل تخاف فرعون
 فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا
 مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبله قال نحو الكعبة حين خاف موسى
 ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبل الكعبة
 يصلون فيها سرا وعن مجاهد في قوله أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا قال الاسكندر بن * وقال تعالى مخبرا عن
 فرعون انه قال أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد
 عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن أبي زهم السماعي انه قال في قوله تعالى أليس لي ملك مصر وهذه
 الانهار تجري من تحتي قال ولم يكن يومئذ في الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين
 يحتاجون الى مصر وأما الانهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدير حتى أن الماء يجري من تحت منازلها
 وأقنيتها فيجسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من آي الكتاب العزيز بصريح الذكر (وأما)
 ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات فعده * قال تعالى ولقد بوءا بنو اسرائيل ميثاقا فقال تعالى
 وآويناها الى ربه ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه هي الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
 وقال تعالى كم تر كوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس
 في قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت الجنات بحافى النيل
 من أوله الى آخره من الجانبين ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خلج خلج الاسكندرية وخليج منحا وخليج
 دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنى متصلة لا يتقطع منها شيء عن شيء وزروع
 ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخرها مما يلغى الماء وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من
 ستة عشر ذراعا لما قد ذروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال
 مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين

ناعين قال أي والله أخرجه الله من جثائه وعيونه وزرعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن عفير كنا
 بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدري ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول أليس لي ملك مصر
 قلت أقول يا أمير المؤمنين فقال قل يا سعيد قلت ان الذي ترى بقية مدمر لأن الله عز وجل يقول ودمرنا
 ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن من على الذين
 استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونعمن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان
 وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبراً عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
 في الأرض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
 وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبراً عن قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني أرض مصر
 وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلني على خزانة الأرض اني حفظ عليم وروى ابن يونس
 عن أبي نصر الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزانة الأرض كلها وسلطان الأرض كلها ألا ترى الى
 قول يوسف عليه السلام ملك مصر اجعلني على خزانة الأرض ففعل فاغيت بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر
 وبأد من جميع الأرض وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض حيث يشاء فكان ليوسف
 بسططانه بمصر جميع سلطان الأرض كلها لاجتماع اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه
 السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملائكته زينة واموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على
 اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى وبكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
 في الأرض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف أن يبدل
 دينكم وأن يظهر في الأرض السفاذ يعني أرض مصر وقال تعالى ان فرعون علا في الأرض يعني أرض مصر
 وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن ابرح الأرض يعني أرض مصر وقال تعالى أن تريد الا
 أن تكون جباراً في الأرض يعني أرض مصر قال ابن عباس رضي الله عنه سميت مصر بالأرض كلها في عشرة
 مواضع من القرآن فهذا ما يحضر في مما ذكرت فيه مصر من آي كتاب الله العزيز وقد جاء في فضل مصر أحاديث
 روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جنداً ككتياف ذلك الجند خير أجناد
 الأرض قال أبو بكر رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحق
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون قسمة الناس فيها أو خير الناس فيها الجند العربي قال فلذلك
 قدمت عليكم مصر وعن يثيع بن عامر الكلاعي قال اقبلت من الصائفة فقلت أبا موسى الأشعري رضي
 الله عنه فقال لي من اين انت قلت من اهل مصر قال من الجند العربي قلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت
 اهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك
 قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي وأى شيء تذهب به الى بلادك احسن من
 هذا الحديث اكتب في أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ اخبرني أن بذلك اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله باب التوبة
 في الغرب عرضه سبعون عاماً لا يعلق حتى تطلع الشمس من فجوة وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن
 العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
 سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لهم منكم صهر او ذمة وروى ابن وهب قال اخبرني حرملة
 ابن عمران الجعفي عن عبد الرحمن بن شماس المهرقي قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون ارضاً يكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فان لهم ذمة ورجا
 فاذا رايتهم رجلان يقتتلان في موضع لبنة فاخرجوا منها قال فتربربعة وعبد الرحمن ابن شرحبيل يتنازعان
 في موضع لبنة فخرج منها وفي رواية ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فاحسنوا الى
 اهلها فان لهم ذمة ورجاء وقال ذمة وصهر الحديث ورواه مالك والبيهقي وزاد فاستوصوا بالقبط خيراً اخرجه
 مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد

قلت لابن شهاب ما رجعهم قال ان أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهم منهم وقال محمد بن اسحاق قلت للزهري ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن لهيعة من حديث ابي سالم الجديشاني أن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم اهل الغرب منكم فأتقوا الله في القبط لاتأكلوهم اكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن ابي حبيب أن اباسلة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته أن يخرج اليه ومن جزيرة العرب وقال الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقي عن رجل من الزند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأنجي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم أنجي عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم أنجي عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لولسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتفرغون للعبادة فاراضى بما يؤتيهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتي اليهم من الظلم كالمتمنزه عنهم وعن عمرو بن حريب وابي عبد الرحمن الحلبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في اهل المدرة السوداء السجم الجعد فان لهم نسبا وصهرا قال عمرو مولى عفرة صهرهم أذ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم ان أم اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن لهيعة ان أم اسماعيل هاجر من أم العرب قرية كانت امام القرما من مصر وقال مروان القصاص صاهرا الى القبط من الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها أم ذنين وقال هشام العرب تقول هاجر وأجر فيبسدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشأم مصر ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وقال مكحول اول الارض خرابا ارمينة ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبطه مصر اكرم الاعاجم كلها واسمعهم يدا وفضلهم عنصرا وأقرهم رجبا بالعرب عاتمة وبقريش خاصة ومن اراد أن يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فليتنظر الى ارض مصر حين يخفض زرعها وتورثها وقال كعب الاحبار من اراد أن ينظر الى شبه الجنة فليتنظر الى مصر اذا خرفت وفي رواية اذا ازهرت * (ومن فضائل مصر) * انه كان من اهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي الف واربعين الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله فخرت الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بني وقالوا آمناب رب العالمين رب موسى وهارون قال تبع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتن منهم احد مع من اقتن من بني اسرائيل في عبادة العجل قال تبع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغنيضة كلما قطعت نبتت حتى يحترق الله عز وجل بهم وبصنائعهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه وصدوره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشأم ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها اواق وخلف اواق امة يقال لها اواق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة * الصناعة بالبصرة * والفصاحة بالكوفة

والخنيث ببغداد * والعي تباري * والجفابنيسابور * والحسن بهرة * والطرمدة بسمرقند * والمروية ببلخ
 والتجارة بمصر * والنجل بمرو الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافري أنه سمع عمرو بن
 العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة ~~لم~~ كث الاعداء حولكم ولاشرف قلوبهم
 اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم
 من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما قدمك الى بلادنا قال كنت تتحدثني ان مصر أسرع الارض
 خرابا ثم اراك قد اتخذت منها وبيت فيها انقصور واطمأنت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمتها
 الجنت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب الارضين ترابا وابتعدا خرابا ولا يزال فيها
 بركة مادام في ثنى من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن
 برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها
 من مشاق الاهواز * ومصايف عمان * وصواعق تهامة * ودما بيل الجزيرة * وجرب اليمن وطواعين
 الشام * وبرسام العراق * وعقارب عسكر مكرم * ولحمال البحرين * وحج خيبر * وأمنوا من غارات الترك *
 وجيوش الروم * وهجوم العرب * ومكايد الديلم * وسرايا القرامطة * ونزف الانهار * وقط الامطار وروها
 ثمانون كورة ما فيها كورة الاوهم اطراف وعجائب من انواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر
 ما تنتفع به الناس وتذخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيداها ارض حجازية
 حره حر العراق وينبت النخل والارز والقرط والدوم والعشر واسفل ارضها شامى يحطر مطر الشام وينبت ثمار
 الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والياحين ويقع به الثلج والبرد * وكورة
 الاسكندرية ولوية ومراقبة برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وماشية وعسل ولبن
 وفي كل كورة من كورة مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والعمارة والرخام والعجائب وفي يملها
 السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بغير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة
 يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث في المدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالسنانير يعمل بها البيض
 بصنعة يوقد عليه فيحياكى نار الطبيعة في حضنة الدجاجة لبيضها ويخرج من تلك المعامل القراريج وهي معظم
 دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل فلما اصبح
 فرعون امر بشاة فأتى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجمع عندي خمس مائة ألف من
 القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشدة قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف
 وسبعين ألفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة اشهر لو اؤتوا بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمرذة
 خضراء وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في اشهر ايب ومسرى ولوت يركبها
 الماء قبرى الدنيا بيضاء وضياها على روابي وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها الماء من كل وجه فلا سبيل
 الى قرية من قراها الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان في اشهر باب وها نور وكيك ينكشف الماء عن
 الارض فتصير ارض اسوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمرذة الخضراء فان في اشهر طوبه وامشير
 وبرمهات يكثر نبات الارض وريبعها تصير خضراء كأنها زمرذة وأما السبيكة الحراء فان في اشهر بربر مودة
 وبشنس وبونة يتورد العشب ويبلغ الزرع المصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظارا ومنفعة * وسأل بعض
 الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وباءها وجف ثراها
 وأمكن مرعاها * وقال آخرها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب * وملكها سلب ومالها رغب
 وفي أهلها عجب وطاعتهم رهب وسلامهم شعب * وحرهم حرب * وهي لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات
 القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبرها وابل فطل هي مصر ان لم يصبرها مطر أزكت
 وان اصابها مطر اضعفت قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقا
 وغربا وسهلا وجبالها وانهارها وبحارها ونباتها وخرابها ومن يسكن من الامم ومن يملكها من الملوك
 فلما رأى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار ماذته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكثوا نورا لا يتخلو
 من نظار الرب اليه بالرجة في سفحه اشجار مثمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحة فدعا آدم عليه السلام في النمل

بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في نيلها وجبلها سبع مرات وقال يا أيها الجبل المرحوم
سفعك جنة وترتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ارض حافظة مطيعة رحيمة لا تخلفك يا مصر بركة ولا زال بك
حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولاك البر والثروة وسال نهرك عسلا كثيرا الله
زورك ودرت ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخسبت ولا زال فيك خير ما لم تصبري وتكبري او تخوفي
فاذا فعلت ذلك عد الشرم يغور خيرك فكان آدم اول من دعا لها بالرحمة والخصب والراقة والبركة وعن ابن
عباس ان فوحا عليه السلام دعا لمصر بن يصبر بن حام فقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه
الارض المباركة التي هي أم البلاد و غوث العباد التي نهرها أفضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات
وهضر له ولولده الارض وذلك اللهم وتوهم عليها وقال كعب الاحبار لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت
الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلدة معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه وهو بلاد مباركة لاهله
فيه وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابي هلال ان كعب الاحبار كان يقول اني
لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان في بعض الكتب
الالهية مصر خزانة الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله تعالى وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة
تعدل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة وقال احمد بن مبرر يحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف
فدان وانما يصير منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت عامرها اضعاف عامرها ولولا شغل
السلطان بعمارها لو فلت به بخراسان الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط او فرمنه في ايام عمر
ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط اقل من خراجها في ايام
عمرو بن العاص وانه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف الف الف الف الف الف الف الف
فضائل مصر انه ولد بها من الانبياء موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات
الله عليه اخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى امته وقال يا اماء هذه مقبرة امته محمد صلى الله
عليه وسلم ويذكر انه ولد في قرية اهناس من نواحي مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة
في القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزي النخلة يجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علماء الاحبار من
اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس
ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب
ودخلها ايضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر القيوم ودخلها ارميا وكان من اهلها مؤمن
آل فرعون الذي اتى عليه الله جل جلاله في القرآن ويقال انه ابن فرعون اصبه وأظنه انه غير صحيح
وكان منها جلساء فرعون الذين ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهارون عليه
السلام لما استشارهم فرعون في امرهما فقال تعالى قال للملائكة حوله ان هذا الساحر علم يريد ان يخرجكم من
ارضكم بسحره فماذا اتوا فرعون قالوا ارجعه واخاه وابعث في المدن حاشرين يأكلون بكل ساحر علم واين هذا من
قول اصحاب التورود في ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا احرقوه وانصروا
آلهتكم ان كنتم فاعلين ومن اهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذا قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
الظالمين ومن اهلها ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فسطها فرعون بامشاط الحديد كما يشط
الكنان وهي ثابتة على ايمانها بالله وقال ماعد اللغوى في بكتا مطبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل
الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلووية
والحركات النجومية وهو اول من اتى الهياكل ومجد الله فيها واول من نظرت في علم الطب وأتته لاهل زمانه
قصائد موزونة في الاشياء الارضية والسموية وقالوا انه اول من اندر بالاعوان ورأى ان آفة سماوية تصيب
الارض من الماء والنار تخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي التي في صعيد مصر
الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن
يذهب ربهما من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن

الفرات في اخبار مصر ان الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء
 جماعة ممن عرفت الدنيا بكمالهم وحكمهم وتدبرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة
 وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو
 عقولهم وتجوذاً ذهانهم وتميز عندهم الذكاء وتندق الفطنة ومن فضائل مصر انها تمير اهل الحرمين وتوسع عليهم
 ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند
 والصين وعمان والسند والشجر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والقرمافرة بلاد الروم والافرنج وسواحل
 الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فرضة اقريطس وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد
 يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والبحبة والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله
 تعالى وهي البراس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والقرما
 والورادة والعريش واسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة
 والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والاديار والكائنات
 واهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن جميع
 البلاد وبمصر دهن البلسان الذي عظم منفعته وصارت ملوك الارض يطلبه من مصر وتعتني به وملوك
 النصرانية تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم نصير نصرا في الا بوضع شيء من دهن
 البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكرونها بالنس والعرس وله ما في اكل
 الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة
 ونفعها في البرء من الحمى اذا علق على المحوم عجيب وبمصر حطب السنط ولا تطير في معناه فلو وقد منه تحت
 قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخلود ويقال انه انبوس غيره
 بقعة بمصر فصاها حجر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها السنج وهو غرقدر
 اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنة سبع مائة من الهجرة وبها الاترج قال ابو داود
 صاحب السير في كتاب الزكاة شربت ثمانية بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأت اترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل
 عدلين قال السعدي في التاريخ والاترج المدق رحل من ارض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة وزرع بعمان
 ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفي انطاكية
 وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدت منه الازاهج الحمراء الطيبة واللون الحسن
 الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والترية وخاصة البلاد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب
 والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا واهل مصر يأكلون صيد بحر الروم
 وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحر من مسافة ما بين مدينة القلزم والقرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجر المذكور
 في القرآن قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قبل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان
 بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والقرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها
 في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من الماء كحل والمشموم دون ما عدا من بقية الشهور فيقال رطب
 توت ورماني باب وموزها توتوسم كيمك وماء طوبه وخروف امشير وابن برمهات وورد برموده ونبق بشنس
 وتين بونه وعسل ابيب وعنب مسرى ومنها ان صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون
 بمصر حينئذ من القرط والكتان ومن محاسنها ان الذي يتقطع من الفواكه في سائر البلدان ايام الشتاء يوجد
 حينئذ بمصر ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض
 كما يهانيه اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتاء الى لبس القرو والاصطلام بالنار الذي لا يستغنى عنه اهل الشام
 كما انهم ايضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال بزرجد مصر وقباطي مصر وحبر مصر
 وتعاين مصر ومنافعها في الدرباق جليله ومن فضائل مصر ان الرخامة التي في الحجر من الكعبة من مصر
 بعث فيها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى واربعين ومائتين مع رخصة اخرى خضر اهدية
 للحجر فجعلت احدى الرخامين على سطح مدر الكعبة وهما من احسن الرخام في المسجد خضرة وكان المتولي

عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعهما ذراع وثلاث اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة * ومن فضائل مصر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولده صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير
نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى المولود فحضر حاطب بن ابي بلتعقة بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى
مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما رآه امر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه
فلما قرأ الكتاب قال ما منعه ان كان نبيا أن يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم
أن يدعو علي من ابي عليه ان يفعل به ويفعل فوجه ساعة ثم استعاده فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له
حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فاتقم الله به ثم اتقم منه فاعتبر بغيرك ولا تعتبر بك وان لك
دينان تدعه الامما وخير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ماسواه وما بشارة موسى بعيسى الا كشارة
عيسى بمحمد وما عارنا اليك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل ولست انت اله عن دين المسيح
ولكننا امرنا به * ثم قرأ الكتاب فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسليم يؤثك الله اجره مرتين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله
فان تولوا فقلوا اشهدوا بانا مسلمون) فلما قرأه اخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه * وعن ابان بن صالح
قال ارسل المقوقس الى حاطب ليله وليس عنده احد الا ترجمان فقال له ألا تخبرني عن امور أسألك عنها فاني
اعلم ان صاحبك قد تخبرك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد قال الى ان تعبد
الله ولا تشرك به شيئا وتخلص ماسواه وأمر بالصلاة قال فكيف تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام
شهر ربه رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وبني عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفيان من قومه
وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم أت عليه قال قد بقيت اشياء
لم ازل ذكرتها في عيني حرة قل ما تفارقه وبين كنفية خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجترى بالقرات
والكسرا ليلالي من لاق من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا بقي وقد كنت اظن ان مخرجه
الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهد وبؤس والقبط
لانفا وعنى في اتباعه ولا احب أن تعلم بمحاورتي اياك وسيظهر على البلاد ويترك اصحابه من بعده بسا حشا هذه
حق يظهر واعلى ما ههنا وأنا لا اذكر لك القبط من هذا حرقا فارجع الى صاحبك قال ثم دعي كاتبيا يكتب بالعربية
فكتب (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن ان نبيا يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين
اهما مكان في القبط وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القاري
قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله
ثم شرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له كسوة وبغلة يسرجهما وجاريتين احدهما ام ابراهيم
ووهب الاخرى بلهم بن قيس العبدري فهي ام زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر
ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصاري ويقال بل لاحية بن خليفة الكلبي
وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن ابي حبيب أن المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه
الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي شجده نعتة وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع
بين اثنين في ملك بين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساه المساكين وان خاتم النبوة بين
كنفية ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجل من مارية واختها وهما من اهل جفن يفتح آوله وسكون
ثانيه ثم فون بعده من كورة انصافا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة ثبها وحارا
اشبه وثيا بامن قباطي مصر وعسلا من غسل بها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع جوارى وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحارا اسمه يعفور وقبأ وألف مثقال

ذهبوا وعشرين ثوباً من قباطى مصر وخصيه اسمى ما بوز ويقال انه ابن عم مارية وفر ما يقال له الكثر اوفد حاً
من زجاج وعسل من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضن الحديث بملكه ولا بقاء
للملكه فان المقوقس قال خيراً واكرم حاطب ابن ابى بلتعقة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ابو يعقوب ابن محمد بن ابى صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى صعصعة قال اهدى المقوقس
صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين وألف مثقال ذهباً
وعشرين ثوباً وبغلة الدلدل وحماره عفيرا وخصيه يقال له ما بوز فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلت هي
واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطى مولى بنى عسار قال ابن
عبد الحكم وامر رسوله أن يتظر من جلساؤه ويتظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول
فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدائتين والعسل والشباب وأعلمه ان ذات كاه
هدية فتقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يرد هاتين احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها
اعجبتهما وكره ان يجمع بينهما وكانت احدهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر ليك فاختر الله له مارية وذلك
الله لما قال لهما اسمدا ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله فبادرت مارية فتشهدت وآمنت قبل اختها ومكثت
اختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمسلمة بن محمد الانصارى وقال بعضهم
بل وهبها لدمية بن خليفة الكلبى * وعن يزيد بن ابى حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام تولد القبطية فوجد عندها نسيباً لها كان قدم معها
من مصر وكان كثيراً ما يدخل عليها فوقع في نفسه شئ فرجع فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرف ذلك
في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقرئها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك
كشف عن نفسه وكان محبوباً ليس بين رجله شئ فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله عز وجل قد برأها وقرئها وان في بطنها غلاماً منى
وانه اشبه الخلق بي وأمرني ان اسميه ابراهيم وكانى بأبى ابراهيم * وقال الزهري عن انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم
كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شئ حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال
ان المقوقس بعث معها نخصى كان يأوى اليها وقبل ان المقوقس اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارى
منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهنم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت
فولدت مارية رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم وكان احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه
يوم مات ستة عشر شهراً وكانت البغلة والحمار احب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعقورا وأعجبه
العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية
قيصر وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن على معوية بن ابى سفيان في ان يضع الجزية عن جميع
قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها
وأقربائهم فاتفقوا * ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولبي ابراهيم ما تركت قبطياً الا وضعت
عنه الجزية وماتت مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن لهيعة
عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخفش عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دخل ابليس العراق ففضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباس فضما
وفرخ وبسط عقريه حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة
الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حل الماء والا فهى رمل محض لا تنبت الزرع والنار
لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من احد البحرين امامن الروم وامامن القلزم وقد زاد هذا في تحامله
* وقال كعب الاحبار الجزية آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينه ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة
والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون المهمة

* (ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك) *

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الما جريات انه كان بمصر حجر من جع كعبه عليه تقياً جميع ما في جوفه
قال

قال القاضي ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجر وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وإيوان كسرى بالمداين وبيت الرمح بدمر والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الأخرى عليك وذكرناها في المشتري والزهره وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها قهدة (ومنها بمصر عشرون أعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما الطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فاني لأرحم الدهر منهما * ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهوية ويقال بلهيت ويقال أنه طلسم للرمل لتلايقاب على ابلز الجيزة * ومن ذلك بربا ممنود وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمر والكندي أنه قال رأيت به وقد خزن فيه بعض عماله اقترظا فرأيت الجمل إذا دنا من بابه يحمله واراد أن يدخله سقط كل ديب في القوط لم يدخل منه شيء إلى البربا ثم خرب عند الحسيق والثماننة * ومن ذلك بربا أعجم عجب من العجائب بما فيه من الصور وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذوالنون الأعجمي يقرأ البرابي فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها * ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها ثم تكثر راجعة إلى موضع بدايتها * ومن ذلك حائط العجوز من العريش إلى اسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب من عجائب المنارة والسواري والملاعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عديدا من أعيادهم عربون العاص فوقع الكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملاعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو يتظر في وجه صاحبه ثم إن قرئ كتاب معوه جميعا اولع نوع من أنواع اللعب رآوه عن آخرهم لا يتناولون فيه بأكثر من المراتب العالية والسفلية * ومن عجائبها المستنار وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في أركانها كل ركن على سرطان فلما أراد مر يد أن يدخل تحتها شيا حتى يعبره من جانبها الآخر ففعل * ومن عجائبها عودا الأعيان وهما عودان ملقيان وراء كل عود منهما جبل حصبا كصبرا الجمار يعني يقبل المعنى اتعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على أحدهما ثم يرمي وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويغضي لحيته فكأنما يحمل حملا لا يحس بشيء من ثقله ومن عجائبها القبة الخضراء وهي أعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الأبرز لا يليه القدم ولا يحلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة أسفل الأرض ثم هي مدينة على مدينة ليس على وجه الأرض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال إنها رم ذات العماد سميت بذلك لان عددها ورنماها من البدخنا والاصطيدس المخطط طولها وعرضا * ومن عجائب مصر أيضا الجبال التي هي بصعدها على نيلها وهي ثلاثة أجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلون ومنها جبل زما جيز الساحرة يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق بأهمل الأهم * ومن عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتبه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفًا تعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يأتي الصدع على بوقير منها فيحبسه وتغشى كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء فجو من تحسب ذراعا وهما محمولان على وجه الأرض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعنين من نحاس فاذا جاء النيل قطرن من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما وانحبا ينبع حتى يجري في أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره وإذا حلت الشمس دقيقة من الجدى وهو اقصر يوم في السنة انتهت إلى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه وهي منتهى الميلين وخط الاستواء في الواسطة منهما ثم خمرت بينهما ذاهبة وجائبة سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودقائنها وكنوزها وما يذكرفها أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكام والانباء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها القرما وهي أكثر عجائبها وأكثر آثارا * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها ومن عجائبها الحجر المعروف بحجر الخلل يطفو على الخلل ويسبح فيه كأنه سمكة

وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكتا يديه تقابا كل شئ في بطنه وكان بها خرقة تجعلها المرأة على حقوها فلا تجبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور فينساقل خبزه وكان يوجد بصعيدا حجارة رخوة تكسر فتقتد كلها صبيح * ومن عجائبها حوض كان بدالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعه ويحتركون الماء بشئ فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذ كافر الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من الماء فالتقى في البر وكان في اسفله كتابة لا يدري ما هي ثم بطل * ومن عجائبها ان بصعيدا ضاعفة تعرف بدشني فيما سطة اذا تهددت بالقطع تدبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سطة في الصعيد اذا نزلت اليه عليها دبلك واذا رفعت عنها تراجمت وقد حملت الى مصر وشهدت وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالابنوس وبها الخشب السسط الذي يوجد منه القدر الكبير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد * وذكر ابن نصر المصري انه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الرجمان عند الكنيسة المهلمة صنم من نحاس على خلقه الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة مشكبة قوسا عريية وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا اقبلوا يذنبهم واعتدى بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدي ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج هذا راكب الجمل فيأخذ الحق في منك شت ام ايت يعنون بالراكب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة بلغني ان تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدري من عملها * قال القاضي فهذه عشرون اعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلده شئ غريب الا وفي مصر مثله اوشيه به * ثم فضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحت صبي ميت ملفوف في قطع اديم مشدود يجبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه قنبل اذا اشتعل القنبل بالنار وصار سررا خارج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الطاق حتى تمتلئ تلك الباطية وينتفي السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شئ والباطية يري بها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب واولئك الرهبان يتعبدون من ذلك الزيت يشتميه الناس منهم فينتفعون به * وقال الاساذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن تقطريم كان جبارا لبطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصنوبر ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان ابعيا من السماء وكانا في بئر يقال له افتاراه وكانا يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك عديم بن اليهودشير استكن من علمهما ثم اتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما مهله وبهاله وليس بهما الملكين والملكان يسايل في بئر هناك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر وينصبها لهم وقال قوم اول من نصبها بدوره واول صنم اقامه صنم الشمس وقال آخرون بل الترو الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك ان امرأة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبها على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه فاتمى الناس عن الزنى وبني اربع مسدين وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الاعمال والطلسمات وكثر فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منار او اقام على رأسه صنما موجهها الى الشرق ماذا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حدة وزير في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا الغلب الماء الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلاد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يدي كل واحد من الاصنام حربتان يضرب بهما اذا اتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بجبالها الى ان دهمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البراءة على باب النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى المداين الاربع التي ذكرناها حوضا من صوان اسود مملوء ماء لا يتقص طول الدهر ولا يتقصر ماؤه لانه اجتلب اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا يتقص ماؤه وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع بجزرها بجزر البحر فينحصر

من ذلك

من ذلك البضار جزأ بالهندسة أو بالسحر وتجعله يحيط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل الظل وتمتد بالهواء فلا يتقص بذلك ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحاً لطيفاً على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك إلى اسکندر اليوناني وملكهم عديم مائة وأربعين سنة ومات وهو ابن سبع مائة وثلاثين سنة ودفن في إحدى المدائن ذات العجائب وقيل في صحراء فقط * وذكر بعض القبط أن ناووس عديم عمل في صحراء فقط على وجه الأرض تحت قبة عظيمة من زجاج أخضر برأق معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب موثق بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول إلى القبة وكان قطرهما مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغرور بالجواهر المنظوم وطول القبة أربعون ذراعاً وجعل في القبة مائة وسبعين مصحفاً من الحكمة وسبع موائد بأوانيها مائدة من درز ماني حجر وأوانيها منها ومائدة من ذهب قلو في أوانيها منها ومائدة من حجر الشمس المضيء بأينتها وهو الزبرجد الذي إذا نظرت إليه الأفاعي سالت أعينها ومائدة من كبريت حجر مدبر بأينتها ومائدة من ملح أيضاً مدبر برأق بأينتها ومائدة من زيت معقود وجعل في القبة جواهر كثيرة وبرابي صنعة مدبرة وحوله سبعة أسياف وأتراس من حديد أبيض مدبر وتماثيل أفراس من ذهب عليها أسروج من ذهب وسبعة نوايت من دنابر عليها صورته وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية في برابي من تجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا بالماقا قدروا على الوصول إليها وأنهم إذا قصدوها كانوا منها على غاية أذرع دارت القبة عن إيمانهم أو عن شمالكهم * ومن أعجب ما ذكره أنهم كانوا يحاذون أراجها أزجاً أزجاً فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد وذكروا أنهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة وقد رءوا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا الحاجة فوجدوها أتصافوا وأنهم سألوا أهل فقط عنها فلم يجدوا أحداً يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك بأنه شهاب بن عديم أن ينصب في كل حين من أحياز ولايته منارا ويرز عليه اسمه فالتحقه إلى الأشمونين وعمل منارا تهاويز عليها اسمه وعمل بهاملاعب وعمل في صحرائها منارا أقام عليه صنابر أسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه إلى اثريب وبني فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأسطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغير من ذهب وعمل هيكل الكواكب ومضى إلى حيز صاف عمل فيه منارا على رأسه امرأة من اخلاط توري الأقاليم ورجع وعمل شهاب بن عديم هيكل أرمست وأقام فيه صنما باسم الكواكب من جميع المعادن وزينه بأحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساء الوشي والديباج وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكل وأقام فيه باتريب وهيكل الشرقى الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربي وبني في الجانب الشرقي مدائن في أحدها صورة صنم قائم وله أحليل إذا أنه المعقود والسحور ومن لا يتشركه فسخه بكلي يديه وتشركه وقوى على البناء وفي أحدها بقرة لها ضرعان كبيران إذا انعقد لبي امرأته اتها ومسختها يديها فانه يدربسها وجمع القناسيخ بطاسم عمله بناحية أسيوط فكانت تنصب من النيل إلى أخميم أنصبا بآفيق لها ويستعملها جلود في السفن وغيرها * وعمل منقاوس الملك بيتا دوربه تماثيل بجميع العلل وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج فأتفع الناس بها زمانا إلى أن فسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه فكان الناس يتناولونها ويطوفون حولها ثم يعبدونها من جهة ما بعدوه بعد ذلك * وعمل تماثلا من صخر مذهب يتجناحين لا يجتره زان ولا زانية إلا كشف عورته بيده وكان الناس يتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقامنه فلما ملك ولكن عشقت خطبة عنده رجلا من خدمه وخافت أن تتحن بذلك الصنم فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمتهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب في امره لانه اتعب نفسه وحكامه فيما جعله لا صلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا أن ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعاً لهن متى عرضن بقلوبهن شيء من الشهوة فقال كلكن صدقت وظن أن هذا منها نصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله إلى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به * وبني هيكل على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة إلا

بضريبة يأخذونها منهم للملك * وبني مناوس بن منقاوس في صحراء الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف
بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عليها كالسحابة تمطر ثنائاً وصيفاً مطراً خفيفاً وتحت القبة مطهرة فيها ماء
أخضر يدأوى به من كل داء فيبريه وعمل في شرقها برناً لطيفاً له أربعة أبواب لكل باب عضدان في كل عضادة
صورة وجه يخاطب كل واحد منهم ما صاحبه بما يحدث في يومه فن دخل البراء على غير طهارة فتغافى وجهه
فأصابه رعدة قطيعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور في صورة العمود من اعشقه
لم يجتب عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعملون وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة
راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم فن احب معرفة ذلك العلم انى تلك الصورة فمسحها بيديه وأمره ما على
صدره فثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطار وأنهما بجبالهما
(وحكى عن رجل انه انى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فخره انه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة
خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتردد فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينتي
هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحاري شهراً
فلم يقفوا لها على اثر * وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحراء الغرب وجعلت في وسطها اعموداً طوله ثلاثون
ذراعاً وفي اعلاه قصعة من حجارة يقور منها الماء فلا ينقص ابدًا وجعلت حول البركة اصناماً من حجارة ملونة
على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهائم فكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد
وينتفع به * وعملت لانبها منزهة لانها كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مراكبة على اساطين من مرمر مصفح
بالذهب مرصع بالجواهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من قورات
وينصب الى انهار قد صفحت بالفضة تجري الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها عمائل تصفر
بأنواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لانبها من حسان بنات عمه وبنات الملوك
وازوجته وحولته الى هذه الجنة وبنيت حول الجنة مجالس للوزراء والكهنة وأشرف اهل الصناعات فكانوا
يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم جل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد
ايه مرقوه وهو وصي وكانت امه مدبرة الملك وهي حازمة مجتربة فأجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه
واحسنّت وعدلت في الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير والسعة
للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجواز والاطعمة ويجلس
للتنظر يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويحكي يوم ما ينساه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وحدثت فئات
* وعمل فرسون بن قياون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه امرأة تجذب بها المراكب الى شاطئ البحر
فلا يمكن ان تبرح الا ان تعشر فاذا عشت سرت المرأة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتي سنة وستين سنة
وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت اعجوبة لا تشبه
الآخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقوس الملك حكيماً محبا للتجويد والعلوم والحكمة فعمل
في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط ان يزن له ما يتساوه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيعثر
البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوي عشرة اضعافه وكان
اذا احب أن يدخل في وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزانة بني امية
وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخرجت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل
فاذا اراد أن يتباع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى
الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاسا او مثل ذلك بدور
الدرهم وفي وقته عملت الآتية الزجاج التي توزن فاذا ملئت ماء او غيره ثم وزنت لم تر دمن وزنها الا قبل شيئا وعمل
في وقته الآتية التي اذا جعل فيها الماء صار خرا في لونه ورائحته وقوله وقد وجد من هذه الآتية باطفيج في امارة
هارون بن جاريه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء بيضاء وكان الذي وجدها ابو الحسن الصانع
الخراساني هو ونقر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوا سكر وامنهم وقاموا بالرقصوا
فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فاعثم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها

بعض ملكي * واما الآلية النحاسية التي تجعل الماء سخرا فانها منسوبة الى قابطرة بنت بطليموس ملكة الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت الصور الخشبية من الفخار والذهب والفضة والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكأنه يعمل اعماله كلها بصور درج القلابة واسماها وطوال العها فيتم له من ذلك ما يريد * وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل في جوانب الاربعة اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لون لها طلسمات عجيب ونقوشات غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعياد في كل سنة فكان الناس يحجون اليه في كل عيد ويندبحون له ويقومون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لجزءه عن عمل مثله * وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبة وكان ابوها بعيد الكوكب الذي يقال له السم او يسميه الهاسا قالت ابنتها ان يعمل لها هيكل يفردها به فعمله وصفه بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخت عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجوارحها وحشها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عبدا تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويخبره ولم تزل بابنتها حتى سجد له ودعى الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر في عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السهاما لا في الارض على صورة حيوان يسجد له فأقام يعمل الحيلة في ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر وأضرمت بالناس فأحضر الملك هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك ارسلها لتعمل لها نظيرا ليسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا فاعله فقال ان ذلك رضاء فأمر بعمل عقاب طوله ذراعا في عرض ذراع من ذهب مسبوكة وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انايب جوهر اخضر وفي منقاره درة معلقة وسروله بالدر الاخر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج ازرق وجعله في ازج عن عین الهيكل وألقى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الاقاييه والصمغ وقرب له عجلا اسود وبكارة الفرائج وبأكورة الفواكه والياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابته الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل له عبدا فلما تم لذلك اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه * وكان اول مادعاهم اليه ان يخبره في انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخر العتيقة التي تؤخذ من رؤس الخوابي وعرفهم انه قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك وتوجه الى ام الملك بعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها بذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له وأقام له سدة وأمر ان يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من الكيمياء ما لم يعملها احد من الملوك فقال انه دفن في صحراء الغرب خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صاعود اعليه صنم في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتي الى هذه المرأة وينظر فيها وينظر له احد فمما كان يراه من علة تلك رؤى ميتا وان كان يعيش رآه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان رأوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان رأوه مواليا علموا انه يتأذى في سفره وان كان مريضاً وميتاً رأوه كذلك في المرأة * وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه ككالبرنس وفي يده كالكاز فاذا مرت به تاجر جعل بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته فان تجاوز ولوعه من بعد من غير ان يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وبث قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمنى والضعفا والفقراء * وعمل في زمنه كل اعجوبة طريفة وامر ان يبرز اسمه عليه وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا في داخل الارض عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجاً يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرين ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالجيزة وعمل فيه اداة مساطب مبطنة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفي وسط الأزج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة تنبع الدنوا اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضى وفي وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمه بالادوية المسكة ونقل اليه دخايره من الذهب والجوهر وغيره وسند باب الازج

الخور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين واربعين سنة وكان جميلا
 ذا وفرة حسنة فتسكت نساؤه ولزم الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن
 مرقونس اخو ايساد فعمل امرأة في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجذب وبنى بداخل
 الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر
 عليه امر يأتيه ويخبره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من
 اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اقل من اتخذها ويقال انه بنى اكبر مدينة منف وكل بنيان
 عظيم بالاسكندرية * ولما ملك بدارس بن صا الاحياز كلها بعد ابيه وصفا له ملك مصر بنى في غربي مدينة منف
 بيتا عظيما للكب الزهرة وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح برقة وسقوره
 بسوارين من زبرجد أخضر وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب اسود مدبر وفي رجليها
 خلتان من حجر اشفاف ونعلان من ذهب ويدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في
 الهيكل وجعل بجذاتها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه
 البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عود رخام مجزع وفي المطهرة ماء مدبر
 يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل كراسي للكهنة
 قد صفت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم
 الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة
 في سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر في ايام مالبق بن بدارس وكان
 موحدا على دين قبطيم ومصر ايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وأرض افرقية وبلاد الاندلس
 وارض الافرنج الى البحر وعمل في البحر أعلاما زبر عليها اسمه ومسيرة ورجع فها به ملوك الارض وكان في غربي
 مصر مدينة يقال لها قريشيه بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاها فلم يزل منهم قصدا ورجع فأرادت
 ملكتهم افساد مصر فعملت من مصرها وامرت فأتى في النيل قفاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت
 القمام والفضاد وفشت الامراض في الناس وانبت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر مالبق الكهنة
 والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فرأوا ان هذه الآفة اتتهم من ناحية الغرب
 وان امرأة عملته وألقته في النيل فعلوا حينئذ انه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من
 العلم حتى انكشف عنهم الماء القاسد وهدكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير
 رجل واحد فأخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى * فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد أخضر
 على قائمة من حجر الاسباديم وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من دروي في يده مصحف
 فيه كثير من علومهم في دقتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج أخضر فيهما ماء لدفع
 الاسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنه وركبه احد طاربه فأحضر ذلك وغيره من عجائب
 السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب اعمالهم قال قصدهم
 بعض ملوك البربر يجمع كثيف وتخايل هائلة فأغلق اهل مدينتنا حصنهم ولبوا الى الاصنام فأتى الكاهن الى
 بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها واخذ يرميهم على الماء حتى
 فاروا خرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء فخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى
 صعدت وخرقت القبة وسبع منها قد كفيتم شرعدوكم قماموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة
 الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها * ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريسا
 كان الثرود في وقته فاتصل بفرود خبر حكمته وسمره فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان الفرود يسكن سواد
 العراق وغلب على كثير من الامم فأقبل كلكن على اربعة افراس تحمله لها اجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله
 صور هائلة قد دخل بها وهو متوشح بعبان ومحزم ببعضه وذلك التين فاغرقاه ومعه قضيب أس اخضر كلما حرك
 التين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى الثرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم * وتقول القبط ان كلكن
 كان يرتفع فيجاس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه وكان اهل البلد اذا ذاهمهم امر اجتمعوا حول الهرم

ويقولون انه ربما اقام على رأس الهرم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم انه استمر مدة حتى فوهموا انه هلك فطمع المولوك في مصر وقصد هائله من المغرب يقال له سادوم في جيش عظيم الى ان بلغ وادى هيب فأقبل كلكن وجلاهم من سحره بشئ **ك**ك الغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر يعترفهم ماعل وأمرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فها به جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبني هيكل لرحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عبدا * (وفي ايام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند اقبوط دريموش ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فانار وامنه شيا عظيما وعمل صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرقي النيل ونصب حوله اصناما كلها من الفضة والبنسما الحريز الاحمر وعمل للصنم عبدا كلما دخل برج السرطان ولما ولي اكساييس الملك بعده آييه معدان بن معاد يوس بن دارم بن دريموس وهو الفرعون السادس اقام اعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين عيشي من بعضها الى بعض وعمل برقودة وصا ومدائن الصعد وامقل الارض اعلاما ومنائر للوقود وطلسمات **ك**كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودونها بالدهن الصيني وأقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكل آييه روحاني زحل من ذهب اسود مدبر وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفته من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق والاخرى باطل وتحتة فصوص قد نقش عليها اسماء الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريد ويجعل احد القصين في كفة والاخرى في كفة تستقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سفرا أخذ قصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الإقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفعا سافرا وان ارتفع أحدهما آخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو يتظر في صلاح أمره وفساده * ويقال ان تحت مصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فمات الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه تنورا ابضا يشوي فيه من غير نار ويطيخ فيه بغير نار وسكنات نصب فاذا رآها شئ من البهايم أقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيا من النيرنجيات والنوايس * (واما البرابي) فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها عن يقصدها وقال في **ك**كتاب الفهرست وبمصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعتد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة الكيمياء وفي هذه الابنية قروش وكبابات لا يدرى ما هي وقد أصيبت تحت الارض فيما هذه للعلوم مكتوبة في التوز وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة * وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن برابي مصر تنسب الى براب بن الدرسميل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر ابو الرحمان محمد بن احمد البروني في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهد الموثوق بقولهم المناخذ برأيهم المأمون من جهة ثم الرواية عنهم في سارداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرفاة وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها قنبلة كان توفد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا ان تغلي الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها * وذكر الجوهاني أنه صار اليه من وثوبه ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من عنده وأبدله قنبلة اخرى وأشعلها فمالبت الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجوهاني انه اذا خرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفيض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمه في نفسها حلا تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فتحتل ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة أو تياس ان لم تحس بحركة * قال المؤلف رحمه الله أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة احوالها أنه عبر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شة لمقبل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وانه غطاه ومضى فاذا شئ كثير الى الغاية من السلك وجميعها ملقوفة بشباب كأنها قد كفت بعد الموت وانه أخذ منها سمكة وقشها

فاذا في فهاد ينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها وانه صار يأخذها سمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة ديناراً حتى اجتمع له من ذلك عدة دنائير وانه أخذ تلك الدنائير ورجع ليخرج حتى جاء الى الكوم السندروس واذا به ارتفع حتى سدد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنائير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان اولاً بحيث يتجاوز و يخرج فعاد وأخذ الدنائير ومنى يخرج بها فاذا السندروس قد ارتفع حتى سدد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنائير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان اولاً بحيث يتجاوز و يخرج وأنه كثر أخذ الدنائير واعادتها مراراً والحال على ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى جرافاً جداراً وقد قور ووضع حجر آخر فحاول الجراف الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنائير من تلك الدنائير التي وجدها في افواه السمك فأخذ منها واحد وترك البقية في موضعها وأعاد الجراف على الجرف وقد رآه بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدي من البر الشرقي الى البر الغربي قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تنب من الماء وتلقى نفسها في المركب حتى كدنا نفرك من كثرتها فصاح الركاب خوفاً من الهلاك قال فذكرت الدنيا را الذي معي وان هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبي وألقيته في الماء فتوانبت الاسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء * قلت واخبرني قديماً بعض من لا تهمة أنه ظفر بطلمس من هذا المعنى وانه عنده وأراد أن يربى السمك يبيت من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والابرار والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحداً وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوك بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتنا ولها المملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكبرناوا وشرافنا وذهب السحرة الذين كانوا يقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصناً احدى به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لانأمن أن يطمع فيها الناس فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالخ على كل ثلاثة اميال محرس ومسلخة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالاً وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أنأهم أت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فأنأهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فغضت بذلك مصر عن ارادها و فرغت من بنائه في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودي وقيل انما يئته خوفاً على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من المملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فلكتهم ثلاثين سنة في قول قال المؤلف رحمه الله قد بقي من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم منها البنية فاذا هي كبيرة جدا فتخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار فتساو لها القوم واحد بعد واحد يتأملونها وينبأهم في رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانقلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتوجب منه لعدم مثله في زماننا فقتشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كأنها قرية عهد بمصادها لم يتغير فيها شيء ألبتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة وكانها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالصة انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها * قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدور وكانت السحرة تعظمها وتتقدمها في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوك ابنة زبا نادا فاحتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولانأمن أن يطمع فيها المملوك فاعلى لنفسها تغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي أقلنا فعمات برابا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم علامات على كل جهة من أرادكم من كل جهة تؤتون منها بزا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أنأكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل او بغال أو ابل أو في سفن او رجالة تحركت هذه الصير من جهتهم التي يأتون منها

منها فاعلمتم بالصورة من شيء أصابهم ذلك في انفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حوالهم أن امرهم قد صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحزكت تلك الصور التي في البريا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا الا اصاب ذلك الجيش الذي كان اقبل اليهم مثله ان كان خيلا خافعلوا بتلك الخيل المصورة في البريا من قطع رؤسها وسوقها اوفق عيونها او يقرطونها اثر مثل ذلك بالخيل التي ارادتهم وان كانت سفنا او رجالة فمثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك قتيادهم الناس وكان نساء اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعشق عبيدها وتزوجه وتزوجه الاخرى اجيرها وشترطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا باذنهن فاجابوهن في ذلك فكان امر النساء على الرجال قال يزيد بن ابي حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال استأمر امرأتي فملكتمهم دلوكه بنت زبا عشر من سنة تدبر أمرهم عصر حتى بلغ صبي من ابناء اكبرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فلكوه عليهم فلم تزل مصر ممتلئة بتدبير تلك العجوز نحو من اربعة ائمة سنة وكلما انهدم من ذلك البريا الذي صور فيه الصور لم يقدر أحد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت وانهدم من البريا موضع في زمان لقاس بن مريوس فلم يقدر أحد على اصلاحه ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا أن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بجنت نصر بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب مدائنهم وقرأها وسي جميع اهلها ولم يترك بها شيئا حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم ردا أهل مصر اليها بعد اربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابي وأخذت أتأملها فوجدتها مستحكمة على جميع اشكال الفلك والذي ظهر لي أنه لم يعلمها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون الف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع في اقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا في الصخور ونقشا في الحجارة بحلقة مركبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمنا لامر جسيم او عهدا لامر عظيم او مدوغة يرتقي نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سميرقدو وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الابلق المفرد وعلى باب الرها وكانوا يعهدون الى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في ابعدها المواضع من الدور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مرتبها ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودي واتخذت دلوكه بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت او خيلا وصورت فيها من يرد من البحر في المراكب من بحر الغرب والشام وجعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان اميرار الطبيعة وخواص الاجبار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك في اوقات فلكية واتصالها بالموثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التي في البريا من الابل وغيرها فيستعور ما في ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الافات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهذه الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانا الزم اقطار المملكة واحكامها السياسية * (وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص واميرار الطبيعة التي كانت يلا دمصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت في بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم في الطبائع والله اعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرني غير واحد من بلاد اخيم من صعيد مصر عن ابي القبيص ذي النون بن ابراهيم المصري الاخي الزاهد وكان حكيمًا وكانت له طريقة بآتيها ونحلة يعصدها وكان عن يقر على اخبار هذه البرابي وامتنع كثيرا مما صور فيها

ورسم عليهم من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث
والجند المتعبدين والنبط المستعربين ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدّر المقدر والقضاء يضحك وفي
آخره كتابة تثبتها في ذلك العلم فوجدتها تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب الخيم يفعل ما يريد
قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في احكام النجوم من المواطنين على معرفة اسرار
الطبيعة وكان عندها مجادلات عليه احكام النجوم أن طوقا باسبيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو
أنارتا في على الارض فحرق ما عليها او ماء يغرفها اوسيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناء هابناء أهلها
فاتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنياتها نوعين طيناً وحجارة
وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استجير ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد
ماء أذهب ما بنى بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفاً بقي كل من التويعين مما هو من الطين
وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار
هو أم ماء أم سيف كان سيفاً اتى على جميع اهل مصر من لثة غشيتهم اوملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى
أن ذلك الطوفان كان وباعهم أهلها ومصدق ذلك ما يوجد بيلا دتيس من التلال المتقدرة من الناس من صغير
وكبير وذكر وانثى كالجبال العظيم وهي المعروفة بيلا دتيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد بيلا د مصر
وصعد بها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس ومواقع كثيرة من
الارض لا يدري من اى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوانلهم
ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ يبين عن حالهم وعليهم اوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك البرابي والجبال
من حليتهم * والبرابي بيلا د مصر بنيان قائم عجيب كك البرابي التي بأخيم والتي بسنود وغير ذلك

(ذكر الدفاتن والكنوز التي تسميها اهل مصر المطالب)

الاصل في جواز تتبع الدفاتن ما رواه ابو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مترقب قبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال وهو ابو ثقيف
كان اذا هلك قوم صاح في الحرم فتمعه الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعه وآية ذلك أنه دفن معه
عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمرنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وكان بهذا
الحرم يدفع عنه فلما خرج اصابته النقرة التي اصابته قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا
من ذهب ان نبشتم عليه اصبتوه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه * وبمصر كنوز يوسف
عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكثر ما يفضل عن النفقات والمؤن لنواب
الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة
القسطنطينية نقلت اليها من طلمطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنبت كثير من اموالها
في مواضع اعتدتها لذلك وكتبت كتباً بعلام مواضعها وطرق الوصول اليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية
ومنها استفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين
والبكلايين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقيل انه
لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي ولما
اخبار عجيبة من الدفاتن والبنيان وما يوجد في الدفاتن من دنائر الملوك التي استودعها الارض وغيرهم
من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا
* (فن اخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مرزبان عاملاً على مصر لآخيه عبد الملك
ابن مروان فأتاه رجل متصع فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وبما صدق
ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يدبر من الحفر ثم ينتهي الى الحفر الى باب من الصفر تحته
عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتان تساويان ملك الدنيا وجناتهما مضر حان بالياقوت والزمرد
ورأسه على منقأ من الذهب على اعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال

في ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتقروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من
الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة وأكثر من الرجالة ثم انتهوا في حفرهم
الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من البياض ثم بان جناحه ثم بان قوائمه
وظهر حول العمود عود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقنطرة منقطة وطافات على ابواب معقودة
ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من انواع الصور الذهب وأجربة من الاجمار قد أطبق عليها أغطيها
وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع
قدمه على درجة من نحاس يتهدى الى ما هنالك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين
الدرجة وشمالها فالتفتا على الرجل فلم يدركا حتى جزأه قطعاه وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض
الدرج اهتز العمود وصفر الديك صغيرا عجيبا السمع من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه وظهرت من تحته
اصوات عجيبية قد عملت بالكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ او ما سها شئ انقلبت
فتهاوى من هنالك من الرجال الى اسفل تلك الحفرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحول
وبأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر بمنوع الثيل نعوذ
بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع
قبرا لهم * قال المسعودي وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر وطلب
الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام
السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيدي
محمد بن طفيج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج
واقباء وحجارة مجوقة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلى بالاطلعة المانعة من
سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال اعينهم من انواع
الجواهر كالبياض والرماد والزرجد والقيز وزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل
فوجدوا في اجوافها رمايا بالية واجساما فانية الى جانب كل شمال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرهما من
المرمر والرخام وفيه من الطلي الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق
واخلط معه ولة لارائحة لها فجعل منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من انواع
الطيب وقد جعل كل شمال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم
وتباين صورهم وبازاء كل شمال شمال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم
للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية
ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى
ولم يؤدوهم الحفر الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقد كان من
سلف وخلف من ولاية مصر من احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة لهم اخبار
عجيبة فيما استخرج في ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصاب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا
على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب) احمد بن طولون يوما الى الاهرام فاتاه الحجاب يقوم عليهم
ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا
بعدها الا بمشورتى اورجل من قبلى وأخبروه أن في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الرافي وتقدم
الى عامل الحيلة في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن
طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن خوض ملوؤ دنائير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه
فأذابه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فن اراد ان يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر
الى فضل عيار دينا رى على عيار دينا رى فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احد
ابن طولون الحمد لله ان ما بهتني عليه هذه الكتابة احب الى من المال ثم امر اكل من القوم المطالبية بما تاتي
دينا ر منه ولكل من الصناعات بخمسة دنائير بعد توفية اجرة عمله والرافي بثلاثمائة دينار ولتسيم الخادم بألف

في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف فالشمس تسامت رؤس
اهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء او في اول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم
باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنسف رطوباتها
ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط
الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد
ودمياط وتنبس والقرما وبعدها دمياط عن خط الاستواء في الشمال احد وثلاثون جزءا وثلاث وهذا البعد هو
آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم
الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم
الرابع وأيضا فعبارة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحار والبرد خارجة عن الاعتدال الى
الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة
وشعورهم سبطة وإذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال
الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فبما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه
الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس
ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة قال وجبل لوطا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا فانه
لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكايا من المشرق والشمال او المشرق
والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عذمت اهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك صارت
المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتنبس ويعوق
أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر وإذا كانت على الأفق فيكون زمان لبث الشعاع على
هذه الأرض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب ركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة
الحيوان والنبات جدا لاتكاد تجد فيها موضعاً خلوا من الحيوان والنبات وهي أرض مختلفة فأنك تراها
عند انصراف النيل بمنزلة الحماة فإذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشقت شقوفا عظيما والمواضع الكثيرة
الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من
الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سخج
اما بورق واما ملح ويظهر من أرض مصر بالعشبات بخارا سودا وأغبر وخاصة في ايام الصيف وأرض مصر
ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشئ دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتغال طولها على عرض الاقليم
الثاني والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسنبط وآجام القصب والبردى ومواضع احراق القمح وغير ذلك
شئ كثير والقيوم فيه من النقايع وآجام القصب ومواضع تعطين السكتان شئ كثير وأسفل أرض مصر فيه
من النباتات انواع كثيرة كالقلقاس والاوز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها اشياء تختص بها
وتتفصل عن غيرها قال والنيل يربط بين الصيف والخريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر
الحرارة والرطوبة الفضلية وانما ذات اجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وقد بين الاوائل أن المواضع
الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لاتدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان
أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا تثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن أجل
هذين كثيرا اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حارة ومرة برد
ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحبة ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء
مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الاوعية والعروق من اخلاط البدن
لا يلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة
سبك الجبال وكثرة حرارة الأرض عن الاجتماع في الجوف فاذا برد الهواء يبرد الليل فلهذا هذا البخار على
وجه الأرض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والتدا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فاذا
يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله من أجل هذا لا يجمع الغيم المطر بأرض مصر

ألا في الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هو أو ما في كل يوم بما يترقى إليه من البخار الرطب وما يمتلئ (وقد قال) بعض الناس أن الضباب يتكون من استحالته الهواء إلى طبيعة الماء فإذا انضاف هذا إلى ما قلناه كان ازدياد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع إليها العفن (والعلة القصوى في جميع ذلك هو أن أخص الأوقات بالخصاف في الأرض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لأنها تترطب في الصيف والخريف بماء النيل وفيه وهذا يختلف ما عليه البلدان الآخر * وقد علمنا بأقراط أن رطوبة الصيف والخريف فضلية أعنى خارجة عن المجرى الطبيعي * كـ رطوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا أن رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي * وانما عرض له ما أخرجه عن اليبس إلى الرطوبة الفضلية بماء النيل في الصيف والخريف ولذلك * كـ كثرت العفونات بهذه الأرض فهذا هو السبب الأعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الأرض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الآن هذه الأشياء لا تحدث في أبدان المصريين استحالته محسوسة إذا جرت على عاداتها من أجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكله أبدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الأبدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الأمراض وقصر المدة كالخنطة بمصر فأنما وشبكة الزوال سريع إليها العفن في المدة البسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الخنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الأمر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الأشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الأمراض كحال سخافة أرضها وغنى وفضولها وسرعة استحالتها لأن النسبة واحدة ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الأشياء من حيث ناسبتها ولم تعد من مشاكلها أمكن حياتها (فأما) الأشياء الغريبة فانها إذا دخلت إلى مصر تغيرت في أول قسائها لهذا الهواء حتى إذا استقرت وألفت الهواء واستقرت عليه صحت مشاكلة لأرض مصر * قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر فإن الغلات سريعة التغير خفيفة متخلطة تنفس في الزمان البسر كالخنطة والشعير والعدس والحبس والبقلاء والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشي من الأغذية التي تعمل منها إذا ذه ما نظره في البلدان الآخر وذلك أن الخبز المعمول من الخنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بطلته لا يؤكل وان أكل لم يوجد له لذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكثر في الزمان السير وكذلك الدقيق وهذا خلاف أخبار البلدان الآخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشبكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فأما ما يحمل من هذه إلى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه إلى مشاكلة أرض مصر إلا أن ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الأراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطبائعهم والمجلوب كالبحاش البرقية فالسفر يحد في أبدانها خللا ويساوا خللا لا تشاكل خللا المصريين ولهذا إذا دخلت مصر مرض أكثرها فإذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشاكلهم والمياه الخزونة قتل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمسي لأن العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا يذمه يتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص الحر فهو ينفضه والزييب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هو (وأما الخمر) قتل من يعصرها إلا وباقى معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب بأرض مصر فردى لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته التبدل القوي والمطبوخ والمزج المعمول من الخنطة * وأغذية أهل مصر مختلفة فان أهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل والخلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها إلى القسطنطين وغيرها قبايع هنالك وتؤكل وأهل أسفل الأرض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك إلى مدينة القسطنطين وغيرها قبايع هنالك وتؤكل وكثير من أهل مصر يكثر من أكل

السمك طريا وما لحاو كثيرا يكثر اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من
جرش الحنطة ويخفف وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد استت ابدانهم من اشياء بأعيانها
وألفتها ونشأت عليها الآن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير من اجهم مادامت جارية على
العادة وهذا أيضا مما يؤكدهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف اكثر حركة
ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح ابدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويهم وأهل الصعيد اخلاطهم
أرق واكثر خانية وتخلخلوا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر أكثر
استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور حرارة أرضهم واستعمالهم للاشياء الباردة والغليظة كالقلقاس
(واما اخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيطة سريعة التغير
قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتقل من شيء الى شيء والدعة والخبث
والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي الى السلطان
وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدينية التي تكون من دناءة النفس وليس هذه الشرور عامة فيهم
ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض
مصر الجبن والشرور الدينية في النفس لم تسكنها الاسود اذ دخلت ذات ولم تناسل وكلاهما اقل جراءة من كلاب
غيرها من البلدان وكذلك سائر ما فيها اضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذه
الحال كالحمار والارنب وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب
ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان ويجود هضمها وتنثر الحرارة لغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني
لاعتدال الهواء وصفائه ومساقاة ليله لثاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه يبرد ظاهر ولا حر
ولا رطوبة ولا يس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر
نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وترتد وتوالدوا اذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجد في وقت من السنة
الا في امشير وبرمهات وبرمودة ونشئ عندما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور
فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يوسه
وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة ونشئ فانه يحتاج
الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل يبردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن
اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في أرض مصر
يتقدم زمانه الطبيي بمقدار ما ينقص عن آخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في أول هذا
الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول
فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال يبرد يبردها الهواء فأعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة
ما يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وبرم بار
الهواء من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة
من الارض والماء الذين قد بردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشئ برده يبرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها
اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأخضت الهواء وأحدثت فيه يسا والدليل على ان برد رياح الجنوب التي
تعرفها المصريون بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا بشئ طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في ايام هبوبها
الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق
البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء واذا دام هبوب هذه الرياح أخضت الماء والارض وعادت الى طبيعتها في
الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف
بكثرة استحالته وما يرق اليه من البخار فاطنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه
سقى الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في آخر بنشئ وبؤنة واييب
وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبلة فيشتد الحر واليبس في هذا
الزمان وتجف الغلات وتنضج التمار ويجمع من اكلها في الابدان كيموسات رديئة واذا نزلت الشمس في السرطان

أخذ النيل في الزيادة والفيض على أرض مصر فتميز من أوج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى إلى الهواء من بخار الماء ويوجد في أول هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزاء أيام دشا كل هواؤها والرياح عند ما تكون الشمس مستوية بالغيوم وتكون الرياح الشمال هابية ولهذا يغلط كثير من الأطباء ويسبق الأدوية المسهلة في هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الأمن كان منهم أحد ق فهو يختار ما كان من هذه الأيام أسكن حرارة والاكثر لا يشعرون ألبتة بهذه الحال * وفي آخر الصيف يكون فيض النيل فظاها أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم آخره وأنه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى إليه من بخار الأرض فلو لا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت فيهم الأمراض التي ذكرنا بقرائنها تحدث إذا سكن الصيف رطباً * ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف الأخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض أيامها توت وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ويطلق على الأرضين فيطبق أرض مصر ويرتفع منه في الجوف بخار كثير فينتقل من أوج الخريف عن اليس إلى الرطوبة حتى أنه يما وقع فيه الأمطار وكثرة الغيم في الجوف ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحزن لانه على الحقيقة ضعيفة فإذا نفي الجوف من البخار الرطب عادت إلى طبيعتها من الحرارة وفيه أيضاً أيام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عندما يساوي الليل النهار ويرطب الماء ليس الهواء ويستبد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يترقى إليه من البخار الرطب فيكون مرة حارة وأخرى بارداً ومرة يابسا وأكثر أوقاتة يغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يخرج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الأمر ويصاد في أيام الخريف من النيل أسماك كثيرة جدا يولدا كلها في الأبدان اختلاطاً زجاجة وكثيرا ما يستحيل إلى الصفرا إذا صادفت في البدن خلطاً صفرا أو يافن أجل ذلك يضطرب ما في الأبدان من الروح الحيواني وتخرج الاخلط ويفسد الهضم في البطون والاعوية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديئة كثيرة الاخلط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة مختلقة وكثير منها يتركب من هذه الأشياء فتشرب الأمراض حتى إذا انصرف النيل في آخر الخريف وانكشف الأرض وبرد الهواء وكثرت الأسماك واحتقن البخار وكثر ما يرتفع به من الأرض من العفونة واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الأمراض ولولا أن أهل مصر لهذه الأشياء لكان ما يحدث فيهم من الأمراض أكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبه وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدول وذلك أقل من ثلاثة أشهر والعلة في ذلك قوة حرارة أرض مصر وكون الأبدان مضطربة وتنكشف الأرض في أول هذا الفصل وتحترق وتغفن بالجملة لكثرة ما يلقى فيها من البرور وما فيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفة وهي كالجملة في هذا الزمان فيتولد فيها من أنواع القسار والدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ويخيل منها في الجوف أبحرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات سائرا للأبصار عن الألوان القريبة ويصاد أيضاً من الأسماك المحبوسة في المياه المخزونة شيء كثير وقد دخلها العفن لقله حركتها فيولدا كلها في الأبدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الأمراض في أول هذا الفصل حتى إذا اشتد البرد وقوى الهضم في الأبدان واستقر الهواء على شيء واحد وعادت الحرارة الغريزية إلى داخل وتطبقت الأرض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الأبدان وهذا يكون في آخر كيهك أو في طوبه فقد استبان أن الفصول بأرض مصر كثيرة الاختلاف وأن أوقات السنة عندهم وأكثرها أمراضا هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر هاتور وكيهك فإذا اختلفت الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة فحضره الفصول إذا بالابدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخرى إذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان أيضاً أن السبب الأول في ذلك هو مدة النيل في أيام الصيف وتطبيقه الأرض في أيام الخريف بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فانها إنما تمتد في أخص الأوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فاني أنا قلنا رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها لا يشوبها في أول أمرها البلغم والخلط الخام والأمراض كلها تحدث عندهم في الأوقات كلها كما قال ابن قراط وأكثر أمراضهم هي الفضلية أعني العفنة من اختلاط صفراوية وبلغمية على ما يشاكل مزاج

ارضهم وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في انفسها ممرضة متى لزمّت العادة فأما اذا خرجت عن عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجهما عن عاداتهما بمصر هو الذي اعتده اختلافا ممرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والنيل ليس يحدث في الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم فالجواب لسنا نبالي بهذا كيف كان لان المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فن اجل ذلك ليس ابدان المصريين في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما امراض مصر الباردة فقد ذكرنا من امراضها ما فيه كفاية وظهران اكثرها الامراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام على ان باقي الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة في آخر الخريف واول الشتاء * وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت وحدث الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجمع في اجناس اربعة وهي تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفية على ضربين احدهما اتغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا مرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يسخن أكثر أو يبرد أو يربط أو يجهف أو يخالطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريبة او بعيدة فان اقربا وجالينوس يقولان انه ليس يمنع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وتراقت الى البحر وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أثبت ابدانهم طول السفر وسائر اخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير ويقع الاعداء في الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بأن يفرط مقداره في الزيادة والنقصان او يخالطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه وبعض به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من جيف الموتي شيء كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيجرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها البرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا شديدا واما من قبيل فساد مرضي الحيوان الذي يؤكل او فساد الماء الذي يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوئ فيطول سيرهم وتفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية ورجعا اضطرروا الى حركة عنيفة في هذه الحال او يتوقعوا لخط بعض السنين فيكثر من الحركة والاجتهاد في ادخال الاشياء ويشد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث في ابدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا اكثر في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا امراضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة بعرض الهواء سواء كان مادة فساد من أرض مصر أو من البلاد التي تجاورها كالسودان والحبشة والشام وبرقة او بعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن او تنقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة او يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهواء فيعفنه ويصل عفنه اليهم أو يسيل الماء ويحمل معه العفن او يغلو السعرا ويلحق الغلات آفة او يدخل على البكاش ونحوها مضرة او يلحق الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في ارض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد واقوى وأسرع في القتل * قال فزاج ارض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بأرض مصر كان اسخن وأقل عفنا في ماء النيل

مما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال القسطنطينية مثل أهل البشور فان طباعهم اغلظ والبله عليهم
 اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردي * وأما اسكندرية وتينس وامثال هذه
 فقرهم من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم
 ولا يعرض لهم ما يعرض لأهل البشور من غلظ الطبع والجمادية والحاطة البحر بمدينة تينس توجب غلبة
 الرطوبة عليها وما يسر اخلاق أهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها خفيفة الاجسام سريعا
 اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته
 تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وأن يجعل علاجه ملائما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل
 ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويجنب الادوية القوية الاسهال وكل ما له قوة مفرطة وان نكبة هذه
 الابدان سريعا سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع في النكبات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة
 وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية
 الموجودة في كتب اطباء اليونانيين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الخلط وهذه الاشياء
 قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف في اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها ينقص عن
 مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتخذ السكبيين السكري في مقام العسلي
 والجلاب بدل من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل في المجونات وسائر الادوية ضارة فاني قوتها فاعمار الادوية
 المفردة والمركبة المنجونة منها وغير المنجونة بمصر اقصر من اعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير
 ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شئ مما يحتاج اليه واذا لم يكف في تقوية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس
 باعادته بعد أيام فان ذلك اجد من اراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولكون ارض مصر تولد
 في الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا
 فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القرية من الهيئة الفاضلة
 والطريق الاولى التي تدبرها الابدان ان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء
 والماء وسائر الاشياء تدبيرا يصير به في غاية الاعتدال ولان الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح
 الحيوان فيجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة
 في تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيوان وتنظيف الاوساخ الاحمة وقال في شرح كتاب الاربعة
 لبطليموس وأما سائر اجزاء الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعني بلاد بركة وسواحل البحر
 من مريوط الى الاسكندرية ورشيد ودمنيا وتينس والقرما وأسفل الارض بمصر وتواحي مدينة منف
 ومدينة القسطنطينية وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والقيوم الى اعلى الصعيد مما في غرب النيل وارض
 الواحات وارض النوبة والوجه والارض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة
 في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جهة النصف الغربي من الربع
 المعمور والكوكب الخمسة المتغيرة فستترك في تدبيرها فصار أهلها محبين لله ويعظمون الجن ويحبون النوح
 ويدفنون موتاهم في الارض ويحرقونهم ويستعملون سننا مختلفة وعادات وآراء شتى ملتهم الى الاسرار التي
 تدعو كل طائفة منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقها جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج
 للعلوم الدقيقة كالفنسة والنجوم وغيرها في الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم
 كانوا اذلاء والغالب عليهم الجن والاستحذاء في الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهمهم كثيرة
 ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذون عدة رجال وهم منهم - يكون في الجماع ورجالهم كثير
 النسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذراتهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان
 ارض مصر فأخلط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وبروم وعرب واكراد وديلم وحباشان
 وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين
 عليها من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم فلذلك اختلطت انسابهم واقتصر امن التعريف بأنفسهم على
 الإشارة الى مواضعهم والانتفاء الى مساقطهم فيها وحكى انهم كانوا في الزمن السالف عبدا اصناما ومدبري هياكل

الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على ارض مصر فنصر وابقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم
وبقى بعضهم على دين النصرانية وأما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهمالك في اللذات والاشتغال
بالترهات والتبديد بالمحالات وضعف المراتر والعزائم ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالقطرة قوة علية
يرتلف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر وخصوصا بالافراط
فيها دون جبيع الامم حتى ما رأهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضر وبا في خبيثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي * الانخذوا من ناصح بنصيب

وما كم أمير المؤمنين بحجة * أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باق أنك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما ان منطقة الجوزاء تسامت رؤس اهل مصر فلذلك يتحدثون
بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلية ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة (قال
ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فزالا بحجة
بالابدال المجردة اليه من العساكر والاساطيل والدولة تضعف اولافا ولا باختلاف الآراء فنقلت على الاجناد
ركبناهم هاعندهم واشتغلوا عن افضايقها الفرنج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسائة ولقد سمعت
رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة
الكائنات التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس
في صلاة الجمعة كانوا قدامي في اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذه
المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كائنات النصارى ومن هذا
الباب واقعة ألامر الذي خرج الامير ألامر امير جند اربيد الحج من القاهرة في سنة ثمان وخمسائة
وكانت قسنة بمكة قتل فيها ألامر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر
وقلة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها ألامر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكترث الملك الناصر محمد بن
قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين ألامر في ذلك اليوم الذي
كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في القرية وقد خرج اليها
كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا انه اشيع بأن قسنة
كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير ألامر امير جند اربيد فقال له الامير علم الدين هل حضر احد
من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ما تحضر من منى بمكة الا نالت يوم بعد عيد النحر فكيف سمعتم
هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع (ووقع لي في شهر رمضان
من شهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة في مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العمة فاذا العائمة
تحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكر والجمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي
خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير * (ومن اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفالة ما قصه الله سبحانه
وتعالى من خير يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهدين من أهلها عليه بما بين
لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد
الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبروا عن الرجال
فطفت المرأة تعتق عبدها وتتروجه وتترج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا باذن
فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك
الى اليوم اتباعا لما مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال أستاذ امرأتى وقال ان فرعون لما غرق
ومعه اشرف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للملكة فعد الناس في امراتهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة
وبنت الوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستوت النساء على المملكة مدة
سنتين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم ان الحكم والتصرف لهن فاستقر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت
لوان أهل مصر مكرامن اجل انهم اولاد العبيد السود الذين تكهوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن

وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرايبي الكركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر محمد من نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة ومما نزل نسمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسب الغريب وطنه * ومن اخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب (فلا تجدهم يتخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهم مالك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر ككأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل لكل شئ شئ فقال العقل اننا لاحق بالشام فقالت الفطنة وانا معك وقال الخصب اننا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء اننا لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحساب والنجدة والفطنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان اننا لاحق باليمن فقال الحياء وانا معك وقالت النجدة اننا لاحقة بالشام فقالت الفطنة وانا معك وقال الكبر اننا لاحق بالعراق فقال النفاق وانا معك وقال الغنى اننا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر اننا لاحق بالبادية فقال الشقاء وانا معك وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكر عشرة اجزاء تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد بن غلب أ كس الناس صغارا وأجهلهم كبارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكام من حكماء العصر ان الناس عرب قد فتح الله علينا البلاد وزيد ان تبوء الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما ارض مصر فأرض قوراء غوراء ديار القراءنة ومساكن الجبابرة ذمة ما كثر من مدحها هو أوها كدر وحرها زائد وشرها ما تدكر الالوان والظن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجواهر ومغارس الغلات غير أنها تسمى الابدان وتسود الانسان وتخوفها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبت ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لتراصف فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن شبة ذكرا بن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما هبط ابليس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لاناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذين لاناس المسالمة يعني القبط

* (ذكر شئ من فضائل النيل) *

اخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدة المنتهى فاذا نبتة هامة مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت ماذا يا جبريل قال هذه سدة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهران فسميما اربعة اجزاء جيمون المحيط بأرض حو بلا وسيمون المحيط بأرض كوش وهونيل ومصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار مخبر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمتد فتمتد الانهار بماؤها وأجر الله له الارض عموما فأجرته الى ما اراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته اوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنقه وعن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله يأمره أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل عد حيدا وعن كعب الاحبار أنه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله

في الدنيا النيل نهر العسل في الجنة والقرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودي نهر النيل من سادات الانهار وأشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضا وغضبه من زيادتها وليس في انهار الدنيا نهر يسمى ببحر اغير نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافرين أما المؤمنان فالنيل والقرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والقرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الاشياء قليلا وذلك القليل يتعب ومؤنة فهذا ان في الخير والنفع كالؤمنين وهذا ان في قلة الخير والنفع كالكافرين

* (ذكر مخرج النيل وابعائه) *

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى ببحر الزنج وهي بمالي بلاد اليمن وبحر بربر وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهجلة ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاي وطولها اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرينديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليها ينسب الطائر القمري ويقال ان بهذه الجزيرة خشب ينبت من الخشب ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب المعمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر وهو كالأثر لا يعرف له أول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم ان اقمات الجبال جبالان خرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب أخذ اجنوبا وخرج الآخر من البحر الرومي أخذ شمالا حتى تلاقيا عند السد وهو الجنوبي قاف وسما الشمال قاقونا والآخر انه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذ من وراء صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذ على غربي صين الصين ثم ينطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحور الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجبائية على جنوب الظلمات شرقا مغربا ومخرج البحر الهندي الجبائية على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج رأس البحر بين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة ادين عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل في أوله المجرثم ثم تمتد حتى تنتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من أول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه ابحار بركة كالفضة تتلأل تسمى ضخكة الباهت صكل من تطرها ضحك وانصق بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيني اهلها كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لاتطاق وينطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقي يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربي يعرف بادهرية يجري عليه نيل السودان المسمى ببحر الدامد وينقطع لتقاء مجالات الحبشة ما بين مدينته سفرة وحشي وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسني المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كرسقا به وبه وحوش ضاربة ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء التكرور عند مدينة قلتبور او وراء هذا الجبل سودان يقال لهم غم بأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل

البحر الشامي في شماله شرقي رومية الكبرى مسامنا للشعبة المسماة اذ مدمه المنقطعة بين سمعرة وحمي لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الاخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرهما بين سردانة وبلنسية وتنتهي وصاله هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى سوسية داخل الجبل ثم تعد هذه الام بعد انقطاع لطيف وينعطف انعطافا خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانفاسين ممتدا الى غاية المشرق ويسمى هناك بجبل قاقونا ويبقى وراء البحر جامدا الشدة البرد ثم ينقطع من الشمال الى المشرق جنوبا بتغريب الى ككتف السدة الشمالي فيتلاقى هناك الطرقات وينتهي في القرحة المنفرجة سوى ذوالقرنين بين الصدفين وفي جودرة القمر ثلاثة انهارا أحدها في شرقها من قنطورا ومعلانايتها في غربها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سببا ويأخذ ما را على مدينة فردرا وينجر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربها ايضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدوب الذيل يطوف بمدينة دهما تبقى مدينة دهما في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا وبصير ذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربها حيث يصب في البحر الهندي ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم قراوش الحداد بن مصرم الاول بن مراكيل بن دوايسل ابن عرباب ابن آدم عليه السلام الى ارض مصر ومعه عتقة من بنى عرباب واستوطنتها وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها من المداين حفرو النيل حتى اجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق في الاض حتى وجه الى النوبة الملك قراوش فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهر الى مدينة امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشيرين فقط بن مصر بن يصر بن حام ابن نوح عليه السلام عدل جاني النيل تعدى لانيابعد ما اتلفه الطوفان قال الاستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه تلك البودشير وتجيرو هو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت اعمامه اثني واربعة وصاملو كاعلى احبازهم الا انه فهرهم بجهروته وقوته فكان الذكره كما تجبر ابوه على من قبله لانه كان اكبرهم وكذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك القنايل الخماس وعدل البطيخة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذي عدل جاني النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه قنايل الخماس يشتمل على خمس وثماني صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجري فيها الماء وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيختين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيخة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينفع به أهلها دون الفساد وذلك الاتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون اصبعاً وما فضل عن ذلك عدل عن عين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لفرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها قال وكان الوليد بن درمع العمليقي قد خرج في جيش كثيف ينقل في البلدان ويظهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسأولها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سخر له أن يخرج ليقتل على مصب النيل فيعرف ما بحاقيقه من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة الا ابادها وتمر على ام السودان وجاوزهم وتمر على ارض الذهب فرأى فيها قضايا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيخة التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي يخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيسكل الشمس وتجاوزها حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانحاسي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء وتطير الى النيل يخرج من تحته فيمر في طرائق وانهار دفاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة اخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته

عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه القناسيج والاسماك التي مثل اسماء النيل ووجد الوليد بن دوعم القصر الذي فيه القنائل الخماس التي عليها هريس الاقل في وقت البودشير بن قنطريم بن قبطيم ابن مصر ايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر ان الانهار الاربعة تخرج من امل واحد من قبة في ارض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيجون وجيجون والفرات والنيل وأن تلك الارض من ارض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنهما قبل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليه ما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حديد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للامم وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج سكاكف ويذوبها الحر فتسبيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها ما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فعلم حيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الاسود الزرقى المنتن ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روايح منقنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك * وذكر قوم انهم لم يروا هناك شمسا ولا قرا الا نورا أحمر كنور الشمس عند غايها وأما ما ذكر عن حديد وقطعه البحر المظلم ما شيا عليه لا يصدق بقدمه منه شيء وكان فيما يذكر نبيا وافر حكما وأنه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه أقام يمشي عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته اربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبد أهلها واستباح حرهم واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسثموا الى ان ركب في بعض ايامه متصيدا فألقاه فرسه في وهداة قتلته واستراح الناس منه

وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة انهار لكل خمسة منها صب الى بطيخة ثم يخرج من كل بطيخة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيخة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيخة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الافاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلادينه وهم طائفة من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غريبها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطبه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالادن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثني عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جارا فيمطر برمال هنالك وجبال ويحرق ارض السودان فيما يلي بلاد الزنج فينشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتي اسوان من صعيد مصر * وقال في كتاب هر دسوس نهر النيل يخرج من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقى ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يسار البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيمحق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه حتى ولكن ظاهرا قبله من ارض الحبشة وبصير له هنالك محبس عظيم مجراه اليه ما تامل وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل القناسيج واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة امياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة الف وتسعون الفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وما النيل عكر مرمل عذب وفي انتهى النيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء امكب النوبة المنحدار او امكب الصعيد اقلاعا وهنالك حجارة مضره لامرور للمراكب عليها الا في ايام زيادة النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شرفه اسوان من الصعيد الاعلى ويميز بين جبلين يكتمفان اعمال مصر أحدهما شرقي والاخر غربي حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون في بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمائة يوم صار فرق بين فرقة قمر

حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة ببحر الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان * ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى ان يصب في البحر عند رشيد سبع مائة وعثمانية واربعون فرسخا وانه يجري في الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء النيل انما تكون بسبب المدا الذي يكون في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي ووضع في ذلك كتابا حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المدا والجزر توجد في كل يوم ولبلة مرتين وفي كل شهر قرى مرتين وفي كل سنة مرتين * فالمد والجزر البوي تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه من جنبي حرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا اذا كان القمر في وتد الارض فاذا بزغ القمر طالع من الشرق او غرب كان الجزر والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين عند تربع القمر للشمس في سابع الشهر وفي ثاني عشره * والمد السنوي يكون ايضا في وقتين احدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة والاخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلاء او الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاء الشهري والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع او الامتلاء في وسط السماء ووقع مع النيرين او مع احدهما احد الكواكب السيارة فانه بعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وازاد ايضا نهر مهران فان كان الاجتماع او الامتلاء في وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يملغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون عصر في السنة الغلا والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان فاما المد البوي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرفه هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض مهددة والمد الشهري ينتهي الى اقاصي البحار وهو يسكبها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والذي تلو الذي يلا ذلك السند (قال ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل في اسوان واد من الاودية وكلما اسجل اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لينتهي الى مائة ميل عند غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع فرأى محالا ان يكون الوادي بحيث يضيق اسفله عن حل ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلرأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندرون من المحال ان يكون الريح يردع المياه السائل في الوادي حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينقلت من اسفل الوادي وبسبيل الى البحر لان البحر لا يسك الا اعلاه ولكن الريح تقذف الرمل في افواه تلك الشوارع التي تفضي الى البحر فيعثر بها شبه الردم فيفيض قال واغفل ان الرمل جسم متخلخل فالما يتخلله ويتقذه سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يعثر اعلاه يظهر للحسن والماء سائل في كل حين على حلق تينس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية فقطنوا الاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض واغفلوا الاستقصاء الثابت الذي هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة اشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحسن ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كله واحد وهو ان القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض ممتعا كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعثر الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينبى بخاصته كالمرآة المحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطننة الموضوعة بين المرأة والشمس فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في المسراكون الزجاجية المملوءة ماء يلقي الشعاع الى حلقه فيحترق القطننة ايضا فالقمر جسم نورى ياكسبه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جنبي الماء فيسخن ما قابله فينمو والماء جسم شفاف عن جانبيه

يخرج الشعاع كما يخرج عن جاني الزباجه فيحدث لها نور يستن الهوا الذي يحيط بالزباجة او بالارض فيقترف الماء شبه تسخين ينجي به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتند القصر فهذا هو المدد انما ويستدير باستدارة الفلك وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمدة الشهرية هو أن يقابل القمر الشمس او يستقر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه في تربع الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركه اشده والاكتناف للماء والارض اعم فذلك هو المدة السنوى

*** (فصل في الردع على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض) ***

أما العمامة فليس عندهم ما يجي على وجه الارض انه سيل ومن تظن الى عظمه واتساعه في اسفله وضيقه في اعلاه ولم ينظر الى ماء ولا ارض ولا هوا نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذي زعم ان الماء يسافر من كل ارض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الخريف والعيون والا تبارى ذلك الوقت يقل ملؤها والنيل يكثر فربا أو كثرة وقلة فأضافوا احدهما الى الآخر بالخيال وما يدل على انه ليس عن سيل يفيض ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع (ومنها ان فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها باسحرج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين واعمال مصر في وسط النيل مقام موضع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذراعا يعلم بها مقدار صعوده في كل يوم (ومنها ان فيضه ابد في وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف (ومنها انه قديم السيل في غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها ان الحداق بمصر اذاروا الحر يزيد علوا أن النيل سيريد لان شدة الحر تذيب الهوا فيذيب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودون نور ومنها أن موضع مصبه من اسوان انما هو واد من الودية وما اسجل اتسع حتى يكون عرض انساخه نحو من مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ومنها ان اهل اسوان انما يقبضون بلوغ الردع المهم مراقبة ومحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جن الليل اخذوا حقة خرف فوضعوا فيها مصباحا ثم يضعونه على حجر معدن عندهم لذلك وجعلوا رقبته فاذا طنى المصباح بطفو الماء عليه علوا ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بان خذه في الجزر فيكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فينتدوا بمركب الاسداد التي على افواه قرص المشارب فيفيض الماء على ارض مصر دفعة واحدة (ومنها أن جميع تلك المشارب تستعد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجمع ما يسيل من الماء العذب في النيل ويكثر ويم جمع ارضهم وينع بحملته دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلا ما احتاج الى ذلك ولقحت له افواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها ان الخيلان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذا سفل النيل اوسع وأخفض من اعلاه (ومنها ان ماء البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتينس ودمياط كما يفعل في سائر الودية التي تدخل في المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبيعته ما انخفض من الارض وان يكون في صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها انما اذا قحت تلك الاسداد وكسرت الخيل وفاض النيل على بطائح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للبحر وقالوا في هذه الساعة كسرت الخيل وفاض ماء النيل على ارض مصر لان ذلك يقين لهم يتحول الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التي يسيل منها السيل (ومنها ان قسيمه الذي يمر ببلاد الحبشة المتبعث وياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثرفه السيل غمر جواته على قدر انبساطها واذا انصبت ما ذره اردع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهو من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا تقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لو كان سبيل ماء المدخل رادع البحر اليه ولما كان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر اذا عاده البحر ردم السواحل وانما دخل

الشك على اهل مصر في ايام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأ ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر لانه في موضع لا ساكن عليه ولا تحققوا المدة السنوى الرادع له فلم يتحققوا شيئا من امره لانه بعيد من اذهان العاتية ان يعلموا ان ماء البحر يعظم في ايام الصيف لان المعهود عندهم في البحر ان يعظم في ايام الشتاء وطمو البحر في الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك ابدان داخل البحر الى البر وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهي تابعة بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدان يعلوها ويركها يبردها قال والسبب في عظم المدة والحزر كثرة الاشعة فاذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقاابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط اربن والله تعالى اعلم بالصواب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذي تحصل من هذا القول ان النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المدة فاما كون مخرجه من جبل القمر فلم اذلا نزاع في ذلك واما كون زيادته لا تكون الا من ردة البحر بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم تو الى هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وودع البحر اعانة على الزيادة ومن تأمل النيل علم ان سبلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال ايام الشتاء واول فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة فاذا فرغت ايام زيادته وكان في غاية نقصة تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناه يرسب منه شبه اجزاء صغيرة من طعاب وسبب ذلك ان البطيخة التي في اعالي الجنوب تردها القيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى ارض مصر فيقال عند ذلك نوح النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ما متغير ويزاد عكزه بزيادة الماء فاذا اوضح منه ايام الزيادة شئ في اناه يرسب باسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والافاض مصر سبعة لا تثبت ولا يثبت منها الا ما تر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر في فصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وان العادة ان السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا في ايام الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل في الشتاء واول دليل على ان كون زيادته عن سيل بسيل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل في اسوان واتساعه اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو في مخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبسط في الارض حتى يصب في البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانسياب واما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبه من الاراضى حتى يروى فن تلك الاراضى ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل لاجتماع ما بهيل من الماء في النيل ويكثر في جميع ارضهم وينع بجملة دخول الماء الملح عليه فغير مسلم ان تكون السداد كما ذكر بل اراضى مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها من ينخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة في الارتفاع والانخفاض متفاوتا كثيرا ولذلك احتج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى اهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والافه ويريد اولا في غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضى في وقت خلو الاراضى من الغلال وذلك غالبا في اثناء شهر ميسرى فتح سد الخليج حتى يجرى فيه الماء الى حدم معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الماء من الارض ثم فتح ذلك الحد في يوم النيروز حتى يجرى الى حد آخر ووقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثاني من الاراضى ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء ووقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضى

ثم يفتح هذا المد فيجري الماء ويرى ما هنالك من الاراضي ويصب في البحر الملح هذا هو الحال في سدود
أراضي مصر وقوله ان ماء البحر بعد أكثر من عشر يومين لا يخلو في حلق رشيد وتيس ودمياط فلو كان خاليا
من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فبقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان
النيل عند مصبه بأعلى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا قاض ماء البحر
حبسه أن يتدفع هو وماء النيل وربع أغلب ماء البحر ماء النيل في أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين
دمياط وفارس كوروا ما في أيام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر من دمياط وكل من ساء ما دفع
الاخر فلا يطبقه حتى صار امتناعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسد اذا اقتحت علم أهل اسوان بذلك في الحال
غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا دفع منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضي كثيرة
لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص بشاره وفاة النيل وقد أوفى
عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفى ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر
سلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون سلاد النوبة وما وراءها في الجنوب
كما تكون في أرض مصر ولا فرق بينهما الا في شئين أحدهما انه في أرض مصر يجري في حدوده وهناك يتبدد
على الاراضي والثاني أن زيادته تعتبر بالمقياس في أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار
مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن امطار الجنوب * ويقال ان النيل يصب من عشرة انهار من جبل القمر
المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تتجمع تلك الانهار العشرة في بحرين كل خمسة انهار تتجمع بحيرة بذاتها
ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرفا على جبل قاقولي ويمتد الى مدن هناك ثم يصب في البحر
الهندي ويخرج من البحرين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى
البطيخة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيخة وهو النيل السودان ويصير نهر يسمى بحر
الدامم ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمال غانة ثم ينطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا
الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيله ثم تتجمع في بحيرة هناك
وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط شمالي مدينة قلمبو ويخرج
النصف الاخر متشاملا أخذ على الشمال الى شرقي مدينة حياما ثم ينشعب منه هناك شعبة تأخذ شرفا الى
مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا في جنوب الى مدينة سحرت ثم الى مدينة مركه وتنتهي الى خط الاستواء
حيث الطول خمس وستون درجة ويتجمع هناك بحيرة ويسمى عود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة
شبي متشاملا أخذ على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمي على
الجنادل الى اسوان وينحدر وهو شق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي
وقد استفيض بلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سوديين على بعد كأن عليها الغمام ثم يفرق نهرين
يصب أحدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلة الجنوبي والاخر يتصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي
ويقال انه في الجنوب يفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك
الصحراء نهر واحد في بلاد السودان

* (ذكر مقياس النيل وزيادته) *

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة
ابنة زباوهي صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخيم ووضع عبد العزيز بن مروان
مقياسا بجولان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التبوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال
يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى القسطاط * وقال القاضي كان
أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبني مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل
ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بنى مقياس منف وان القبط كانت تقس عليه الى أن بطل ومن
بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخيم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم
كلوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاص فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقياسا ربة الاكسية

ومعالمه هنالك الى أن ابني المسلمون بين الحصن والجبرأ بنيتهم الباقية الآن وكان للروم أيضاً مقياس بالقصر
 خلف الباب مئة من دخل منه في داخل الزقاق اثره قائم الى اليوم وقدي بنى عليه وحواليه * ثم بنى عمرو بن
 العاص عند فتحه مصر مقياساً باسمه ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى في أيام معاوية مقياساً بانصاف لم يزل
 يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بجحلولان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذراع
 فأما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد وقبل أنه كسره في أثني أوقية وهو الذي بنى
 بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بطلانه فكتب اليه
 سليمان بأن يبنى مقياساً في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياساً في أول سنة سبع
 وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن
 يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرزاد المعلم واسمه عبد الله بن عبد
 السلام بن عبد الله بن أبي الرزاد المؤذن كان يقول القمي أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس
 النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة ذنانير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك
 الوقت في يد أبي الرزاد وولده الى اليوم وتوفي أبو الرزاد سنة ست وستين ومائتين ثم ركب أحمد بن طولون سنة
 تسع وخسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضي فنظروا الى المقياس وأمر بإصلاحه
 وقدره ألف دينار فعمرو بن الحارث في الصناعة مقياساً واثرة باقى لا يعتمد عليه * وقال ابن عبد الحكم
 ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر الحجم فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا
 هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذالك قالوا انه اذا كان لثني عشرة ليلة تحلوا من هذا الشهر عدنا الى
 جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عاها من الحلي والنياب افضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل
 فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة واثب ومسرى وهو
 لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجللاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب
 اليه عمر أن قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها في داخل النيل اذا نالك كتابي
 فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى
 من قبلك فلا تجروا ان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو
 البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تها أهل مصر للجللاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا
 النيل واصبحوا يوم الصليب وقد أجزأ الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل
 مصر * وذكر بعضهم أن جاحلاً الصدف هو الذي جاءه بطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل حين توقف فجري بأذن
 الله تعالى وقال يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا
 الجللاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجزأ الله
 في تلك الساعة ستة عشر ذراعاً فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لموسى عليه السلام
 قال القاضي ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه ما يليق أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حذه في مقياس لهم فضا عن تقاصره
 وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار وان الاحتكار يدعو الى تضاعف الاسعار بغير حط فكتب عمر الى
 عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه اني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقطع أهلها أربعة عشر ذراعاً والحد الذي
 يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعاً والنهاية ان الخوقان
 في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنا عشر ذراعاً في النقصان وثمانية عشر ذراعاً في الزيادة هذا
 والبلد في ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخيرة العمارة فيه فاستشار أمير
 المؤمنين عمر رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياساً وأن ينقص ذراعين
 من اثني عشر ذراعاً وأن يقر ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعاً اصبعين
 ففعل ذلك وبناه بجحلولان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارحاف وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثني
 عشر ذراعاً أربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون اصبعاً فجعلها ثمانية وعشرين من أولها الى الاثني عشر

ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشر ثمانية وأربعين اصبعاً وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة ستة عشرة
والست عشرة ثمانية عشرة والثمانية عشرة عشرين * قال القاضي وفي هذا الحساب نظري وقتنا زيادة فساد
الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون
اصبعاً كل ذراع والمقياس الاسلامية على ما ذكر منها المقياس الذي بناء اسامة بن زيد السؤخي بالجيزة وهو
الذي هدمه الماء وبني المأمون آخر بأسفل الارض بالبرودات وبني المتوكل آخر بالجيزة وهو الذي يقاس
عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره * قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في اثني عشر يوماً من مسرى
اثني عشرة ذراعاً فهي سنة ماء والافالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً قبل التوروز فالماء يتم فاعلم ذلك وقال
أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يتدفق في
التزايد في شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان الماء ديب وعند ابتدائه في التزايد تغير جميع
كيفيةاته ويفسد والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آخنة يحاط بها فيجلبها معه الى غير ذلك مما يحتمل فاذا بلغ
الماء خمسة عشر ذراعاً وزاد من السادس عشر اصبعاً واحداً كسر الخليل وكسره يوم معدود ومقام
مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر قحت الترع وهي فوهات الخيلان ففاض الماء وساح
وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالي مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على اكلم وربما لا يتبقى الماء
اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحراً غامراً المابين جبلها يمتد الى الحد
المحدود في مشيئة الله عز وجل لهواكثر ذلك يحوم حول ثمانية عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائداً في صبه الى مجرى
النيل ومسرىه فينضب اولاً عما كان من الارض عالياً ويصير فيما كان منها منطماً من غير ترك كل قرارة كالدهرم
ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم وقال القاضي ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية
وأما الذراع السوداء فهي اطول من ذراع الدور بأصبع وثلاث اصبع واول من وضعها امير المؤمنين هارون
الرشيد قد رها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس بها في ذرع البر والتجارة
والابنية وقياس نيل مصر * واكثر ما وجد في القياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومائة ووجد في المقياس
تسعة اذرع وأحد وعشرون اصبعاً واول ما وجد منه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد
وعشر اصابع وأكثر ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر اصبعاً
وأقل ما كان في سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فانه بلغ اثني عشر ذراعاً وتسع عشرة اصبعاً وهي أيام
كافور الاخشيدي * والمقياس عمود رخام ايض ممن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا
العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالاصابع
ما عدا الاثني عشر ذراعاً الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعاً كل ذراع * وقال المسعودي قالت
الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيل ونحن نعرف ذلك بتوالي الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط
ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثر واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه
يراه من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت بحبس فيفيض على
وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب المطر من خلف
خط الاستواء فيطر بلاد السودان والحشة والنوبة فيأتي مدده الى أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان
البحر الملح يقف مأوؤه على وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع فللسامع اعلى بدا * عندي وأسمى من يد الحسن * فالنيل ذو فضل ولكنه * الشكر في ذلك للامتن
ويتدفق النيل بالنفس والزيادة بقية بؤنة وهو خيزران وايبب وهو غوز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائداً
زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انتضاءه فاذا انتهت الزيادة الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج
وخصب الارض وهو صار بالهائم لعدم الري والكلا * وأتم الزيادات كلها العائمة النفع للبلاد كله سبعة
عشر ذراعاً وفي ذلك كفايتها وري جميع ارضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وغلقتها استجر من
أرض مصر اربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعاً
كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباءوا اكثر الزيادة ثمان عشرة ذراعاً * وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز

اثنى عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون اصبعاً ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعاً وعشرين اصبعاً وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي تلك السنة يكون الماء قليلاً والاذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعا نسيان منكر أو نسيان كبر أو هي الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان والنيل يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كائون الثاني بعد الغطاس وهو عشرة تمضي من طوبة وأصفي ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت وأهل مصر يقتخرون بصفا ماء النيل في هذا الوقت وفيه يحزن الماء أهل تنيس ودمياط وقونة وسائر قرى البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها واما حاكمها من جسورها وبناها قناطرها وتقية خلجانها وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهي وخليج القيوم وخليج سرديوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه في وقتنا هذا هو ستة خمس وأربعين وثلاثمائة انه ان زاد على الستة عشر ذراعا ونقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد في القبط اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمتد بمائها عند غيضا فتكون زيادته وتبتدى الزيادة من خامس بؤنة وتظهر في ثاني عشره وأول دفعه في الثاني من ايب وتنتهي زيادته في ثامن بابه ويأخذ في النقصان من العشرين منه فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوماً وهي ايب ومسرى وقوت وعشرون يوماً من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوماً ثم يأخذ في النقصان * ومن العادة أن ينادى عليه دائماً في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو ما بقي من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة ويقف الخليلج الكبير اذا اكمل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكان عهد الماء اذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلايع وهاتين في زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة اذا بلغ الماء في سنة اصبعاً من عشرين لا يعم الارض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة الف دينار لما يروى من الاراضي العالية فان بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنا عشر ذراعا في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحداً نقص من الخراج مائة الف دينار لما يستخرج من الارض المنخفضة * قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبنا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتاباً فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد اتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعد هذا فرض الحافظ في آخر هذه السنة ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في مجلدات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول وهو السادس عشر من مسرى وفي النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وقاؤه هذا التاريخ في زمن متقدم وهذا أيضاً مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فإنه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة اثنى عشر وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من ايب قبل مسرى يوماً وهذا من أعجب ما يورخ في زيادات النيل واتفق أن في الحادي عشر من جادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوماً قال وفي ناسع عشره يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بجر الى المنى وباشر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعاً وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحديث يسمى عند أهل

قوله فتكون مدة زيادته الخ هو غير موافق لما قبله بل مقتضى ما ذكره من التفصيل قبله أن مدة الزيادة من ابتدائها الى أن ينقص أربعة اشهر وخمسة عشر يوماً قليلاً مثل اه معجمه

مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما اهل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمه الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت * ومن احسن السياسات في امر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاقي في سيرة العزيز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعني شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعني لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج قنابل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائما اذا توقف النيل في أيام زيادته أوزاد قليلا لقون ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجا ارتفاع السعر ويحتمدون انفسهم بعدم خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجذب والتعط في كتمان الزيادة عن العائنة اعظم فائدة وأجل عائنة وقال المسيحي في تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تخصي من خزائن الله لا تفني زاد الله في النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة اهل مصر قد توجع النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره ان الوحوش سيما القيلة ترد البطيحات التي في أعلى النيل وتستنعق فيها مع كثرة عدد هاشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومز الى مصر وجاء عقيبها الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخاطبه من الطين الذي تأتي به السيول فاذا تناهت زيادته غشي أرض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا في المراكب او من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا غمرت كما ينبغي ريع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي رى كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل رى ناحية من النواحي قطع اهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهده قوانين كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد امارة جسور أراضى مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على علمها رى البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من اعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكس مجارى الماء خسون دينار في كل سنة تطلق لابن ابي الرداد

* (ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل) *

اعلم انه كان في النيل جسر من سفن فيمابين القسماط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيمابين الجزيرة والجزيرة أيضا جسر في كل جسر منها ثلاثون سفينة

* (ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم) *

قال الرئيس ابو علي ابن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افرطاشديدا ويجمعون محامده في أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه ومحموته وأخذه الى الشمال عن الجنوب فأخذه الى الشمال عن الجنوب ملدغ لما يجري فيه من المياه وأما عموره فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الأرض التي لا يغلب على تربتها شئ من الاحوال والكيفيات الغريبة او تكون بحريه

فككون اولى بأن لاتعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خيرة من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر * واعلم أن المياه التي تكون طيبة المسيل خيرة من التي تجري على الاجبار فان الطين ينقي الماء ويأخذ منه المعزجات الغريبة ويروقه والحجارة لاتقبل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حر الاحادة ولا سجة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديدا الجارية يحيل بكثرة ما يخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوصا الى الصيف منه فهو أفضل لاسيما اذا بعد جدتا من ميدانه ثم ما توجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي يتحد من مواضع عالية مع سائر الفضل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلوا ولا يشتمل الخمر اذا مرج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلطه باردا في الشتاء حارا في الصيف لا يقلب عليه طم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشرا سيف سريعا هري ما يهرى فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين علي بن ابي الحرم بن نفيس في شرح القانون هذه المحامد التي ذكرها ليست علامات للعمد بل هي من الاشياء الموجبة لكونه محمدا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فهاهنا اعظم دائرة في الارض بثلاثمائة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من اول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم دائرة في الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين اربعة انهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية في بحيرة وفي هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمتزج ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء بحيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة ويلقى نهر هذه العين انهر النيل حيث البعد من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون دقيقة واذا اعتدى النيل مدينة مصر الى بلاد يقال له شطونف يفرق هنالك الى نهرين يريان الى البحر المالح احدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرغ منه نهر يعرف ببحر اشمون يرى الى بحيرة هناك وباقية يرى الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم (واعلم أن الموزون من الدسورات المنتجة من حال الماء فان الاخف في اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع في ماء النيل * فاقوله أن ماء النيل عين تمر على اراضى حرة ولا يقلب على ترابه ما يتر به شئ من الاحوال والكيفيات الردية كعادن النفط والشب والاملاح والكازيت ونحوها بل يمر على الاراضى التي تثبت الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربما ومنه مالا وفضيلة كون الذهب في الماء لا يتكرر * الثاني أن النيل في جريانه ابداء مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضى حرة ويظهر لذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تنصف العمدة اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه في البحر المالح وقد تقدم

من طول مساقته مالا يجده في نهر غيره من انهار المعمور * السادس انحداره من علوقان الجنوب من تفع
عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل الخط من اعلى جبل من تفع الى وادي مصر * وذكر ابن قتيبة
في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله الجلي * حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله
يلتسه فذكره الى أن قال وماؤنا يمنع ان يجري من علوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الماء السمن اي
ما كان ظاهرا على وجه الارض والسمن الماء على وجه الارض وكل شئ علاشياً فقد تسمنه مأخوذ من
سنام البعير اعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ومن ارجه من تسنيم اي يزوج بما ينزل من علوق * السابع
أنه يمر من الجنوب الى الشمال قد استقبله ريح الشمال الطيبة دائماً * الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة
مع غيره من المياه نخف عنهم في الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره في هضم الغذاء واحداً من المعده
بحيث انه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى * وعرف الطب فانه يهظم عندك
قد رماه النيل وتبين لك غزارة ففحه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتاباً فيه ما شاهده من عجائب
الدينا فضمنه كل اعجوبة ثم قال في آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بهض الحكاء لولا ما جعل
الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عنها عند
بدء الزراعة لفسد اقليم مصر وتعدرسه كنهائه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية تعم ارضه الا بعض
اقليم القيوم ولله در القائل

واها لهذا النيل اي بحبيبة * بكر بمنل حديثها لا يجمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا مامل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدان يد كما يريد ويرجع
وقال آخر

كان النيل ذو فمهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه
وقال تميم بن المعمر

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا * صعدا وجيش الماء منحدر
وكأنما مواجعه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال ايضا

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أوهض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدبحى * يضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده * كأنما صندل او مستك
وقال آخر

والله يجرى النيل منه اذا الصبا * اريناه من برها عسكرا يجرا
بشبط بنهر السهرية دبلا * وموج بنهر البيض هندية بترأ
اذا مر حاكى الورد غضا وان صفا * حكي ماءه لونا ولو بعينه مرأ

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعة

ارى ابدان كثير من قليل * وبدرافى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسيب مجلج مال
زيادة اصبع في كل يوم * زيادة اذرع في حسن حال
وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمري

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابن قلاؤس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حرة الشفق
غابت وأنت شعاعا منه يحلقها * كأنما احترقت بالماء في الفرق
وللهلال فيها وافي لينفدها * في اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بشرى الملك ابن المنجم

يارب سامية في الجوفت بها * امتد طرفي في ارض من الافق
حيث الغشمية في التمثيل معتزل * اذا رآها جبان مات للفرق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لامن دمة الشفق

وقال القاضي الفاضل رحة الله تعالى عليه وأما النيل فتقدم الماء البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأنار عليها فاستقعدها وما تخطاها فما يوجد بمصر قاطع طريق سواء ولا مرغوب مرهوب الاياه * ونيل مصر مخالف في جريته لغالب الانهار فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهم ما يجريان كما يجري النيل وهما انهم مكران بالسند ونهر الاربط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي في جهات احدى مدائن الشام * وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر ابن وحشية في كتاب الفلاحة البيطية وأما ماء النيل فخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها احرقته لاكل الاحراق بل أسختته اسخانا طويلا لئلا ترتفع الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى أجزاءه الراسخة بل يعتدل عليه فصار ماءه لذلك حلو اجدا وصار كثرة شربه يهفن البدن ويحدث البثور والدمامل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استقراغ الدم عن ابدانهم في كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداواة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والافهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثور والدمامل وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أنخن من قوام الماء فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء اهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة القاضية وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولوزادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبعها له لصار ما لم يجز له ماء البحار الا كدة التي لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يترى بأهم كثيرة من السودان ثم يصير الى أرض مصر وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات والاوزاخ وبشقي مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادته في فصل الصيف وتنتهي زيادته في فصل الخريف ويرتقى في الجوف منه في اوقات مده رطوبات كثيرة بالتجلل الخفي فيرطب ذلك بيس الصيف والخريف واذا امتد التهرقاص على أرض مصر فغسل ما فيها من الاوزاخ بحجوف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقاغ واحذر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخاقتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه النقاغ ومن قبل ذلك تراه في اول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقاغ العفنة التي قد اجتمع فيها العرمض والطبلب واخضر لونهما من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحماة واذا صفا اجتمع منه في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكروة وهذا من اوكد الاشياء في ظهور رداءة هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما طفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك في استحالتة ولذلك يتولد منه من انواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا في تكون هذه الاسماك كما قال ارسططاليس في كتاب الحيوان وذلك شيء ظاهر للحس فان كل شيء يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة

والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل في آخر الربيع واقل الصيف من جهة الضبط فبعض بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ غفنه الى ان يصير له رايحة منكرة محسوسة وظاهر ان هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغير محسوسا وينبغي ان يستقي ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل ويصفي كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المهروررون في ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمني والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل وأما المبرودون في ايام الشتاء فاللوز المزودا خل نوى الشمس والصعتر والشب وينبغي أن يتظف ما يروق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن تجعله في آنية الخزف والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح وان شئت طبعته بالنار وجعلته في هواء الليل حتى يروق ثم تطفت منه ما يروق واستعملته * واذا ظهرت فيه كفيات رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل وصفه بأخلاق الادوية التي ذكرتها وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصفي مرارا وذلك بأن يسخنه أو يطبخه ثم يبرده في هواء الليل وبطء ما يروق منه فتصفيه أيضا بعض الادوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية تنصل في برد الليل وتأخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف والفخار المعمولين في طوبة والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتاء الآنية الزجاج والمدهون وما يعمل في الصيف من الفخار والخزف ويكون موضعه في الصيف تحت الاسراب وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بأن يحاط معه ماء الورد ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير ويزر رجله أو خشناسا أيضا أو طين ارمني أو مغرة ويلقى فيه كيميا يأخذ من بردها ولا يخاطه جسمها وتغسل ظروفه في الصيف بالخزف المدقوق ويدقق الشعير والباقلاء والصندل وفي الشتاء بالاشنان والسعد ويغمر بالمصطكي والعود وأردأ ما يكون ماء النيل يصصر عند فضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغي ان يطبخ ويباغ في تصفيته بقلوب نوى الشمس وسائر ما يقطع لزوجه وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القوارير الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها ويرغم انه لا يتغير وصاروا أيضا لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حاله كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندى من دم ماء النيل وحاصله أن الماء يتغير كيفيته بماء يمر عليه لأن ذاته رديئة فلا يبرئ من ذلك ما تسمع فما الامر الا ما قلت ان واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لامن كَيْتِه فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما يخاطه من الكيفيات الرديئة والله الموفق بمنه وكرمه

(ذكر عجائب النيل)

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة أكثر عجائب دنقلة واسوان وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجنبان الذي يلي أرض الاسلام * وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة ايام فيها الحيات والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العاش وماء النيل ينطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس الى مغربها مسافة ايام حتى يصير الصعيد كالنجد وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشتكة وهي بلدة معروف بشنقى ومنه يخرج القمري وفرس البحر يكثر في هذا الموضع * وحدثنى سميون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعة من دابة منها وهي من دراب الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجواموس قصيرة القوائم لها خف وهي في ألوان الخيل بأعراف وأذان مغاركا ذات الخيل وأعناقها كذلك وأذنانها مثل اذنان الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخللة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح وتعرض المراكب عند الغضب فتقرقها ورعيها في البر العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا وذنباً وحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجنته أكبر من الجمار بقليل وهو ياكل التمساك كلا ذرعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فينولد بينهما فرس في غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فترا على الحجرة فحملت منه وولدت مهر

عجب الصورة فطمع في مهر آخر فجاء بالجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشتم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر اليه * (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة فهو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانما ان جعلت على رأس من به صداع شديدة أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري الذي يحدث الخدر وزعم قوم انه اذا دنف من رأس من يشتكى الصداع سكن صداعه وان أدنف من مقعدة من انقلبت مقعده تصلحها ولكن اناجرت الامر بن جميعا فلم أجده يفعل ولا واحد منهم ما فعله كثر اني ادنفته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حي لانني ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع مادام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمع سكن شدة وجعه واذا احتمله ذوا المقعدة التي تبرز الى خارج اصلها وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه يسكن اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ما سكها كفعل رعاد مصر وأشد الا انها لا تؤكل ألبتة وقال بعضهم اذا علق المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكذب المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح ضخم مضرس ويتعالم بنحيم السقنقورا للجماع ولا يكون بمكان الا في النيل وفي نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغني أن أقوا ماشوه أوأكلوا منها فأتوا كلهم في ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سينا هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد في الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد يحفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي ككلاء بشراب انض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسقى في البر ويدخل في الماء يعني النيل واهذا قيل له الورن المائي لشبهه به ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر واثني ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما واناه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفئ في الرمل وللدكر من السقنقور احليلان وللاثنى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فان وجدته دخل فيه وان لم يجده بال وتمترغ في بوله واذا فعل ذلك مات العضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق العضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمترغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم العضوض والا فضل الذي كرمته والا بلغ في نفع الباهل هو المخصوص بذلك دون الاثنى واختار من أعضائه ما يلي اصل ذنبه ومحاذي سترته والوقت الذي يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسهة فيكون في هذا الوقت المبلغ نفعها فاذا أخذ ذكر في يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا كلاء وكيسه فاذا انظف حشئ لمحا وخيط الشق وعلق من كوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فسادة ثم يرفع في اناء متخترقة للهواء كالسلال المظفورة من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه الى وقت الحسابة ولحمه طري يحار رطب والمجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انما يصح شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعساظ وينفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سترته ومحاذي ذنبه وينفع مفردا ومزجا كبا واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تحفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلاد والوقت الحاضر يستحق ويذاب بشراب أو ماء العسل او نقيع الزبيب او يذر على صفرة البيض الدجاج التيمرشت ويتحشى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده او مع مثله بزر جرير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا في بلاد القيوم خاصة واكثر صيده في الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج

من الماء الى البر فحينئذ يصاد * وقال المسعودي والقرص الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء واتهمى وطؤ الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات رعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرى من ذلك الذي قدر عامه شيئا في ممره واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبث ذلك مرة ثانية واذا أكثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من التمسح الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة بمدراميسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا التمسح في جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمسح وهو على صورة القرص الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجهته واسعة * وقال المسيحي ان الصنف المعروف بالبلطي من اصناف السمك اول ما عرف بنيل مصر في ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في ايامه أيضا سمك يعرف بالليس وانما سمى بالليس لانه يشبه البوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انهما من اسماء البحر الملح دخلت في الحلو * ومن حيوان البحر التمسح قال ابن البيطار التمسح حيوان معروف يكون في الانهار والكبار وفي النيل كثيرا ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورن النيل * وقال بن زهران كل حيوان يحرك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمسح فانه يحرك فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمسح اذا عجن بالسن وجمد فيه قبيلة واسرج في نهر أو أجة لم ينقض فسادها مادامت تقدر ان طيف بجلد تمسح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمسح انسانا فوضع على العضة شحم التمسح برأ من ساعته وان لطخ بشحمه جهة كبش نطاح نفرك كبش ينطحه وهرب منه ومرارته يكحل به البياض في العين فيذهب وكبد به بجزء المجنون فيبرأ وزيل التمسح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلع عيناه وهو حي وعلفت على من به جذام أو قفه ولم يزد عليه شيء وان علق شيء من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشتمك عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتمك عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في البلاء واذا أخذ دم التمسح وخلط به هليلج واملج وطلي به على الوضع اذهب غير لونه واذا طلي به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسفيد باجاس من البدن الخفيف وشحمه اذا قطر بعد ان يذاب في الاذن ألحجة نفعها وان أدمن تطهيره في الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حتى الريح سكنت عنه ولجه ردى الكيموس وقال المسعودي وكذلك التمسح آفته من دوية تكون في سواحل النيل وجزائره وهو أن التمسح لا يدبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينتض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدوية قد كتبت في الرمل فتنب الى حلقه ونصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتى الدوية على حشو جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج ورما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدوية تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان يجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التمسح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده اقلب واستلقى على ظهره فيعشب به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدة ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التمسح يبض كبيض الاوز وربما تولد فيه جرادين صغيرا ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع وتزداد طولها كلما عرت والتمسح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافص

* (ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة) *

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثيرا لزيادة لطوبة الهواء ومتى كان المريخ او بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع

او الصيف كان قليلا قلة الامطار في تلك الناحية ومنها ان تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجذب وقال ابو سمر ابن يونس المتجسم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهي برية من العوس فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فأنكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال في النيل والضايط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفها على توسطه واتحاسها او احتراقها أو وقوعها في بهدها الا بعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة في برج الاسد يستتزل الماء من الجنوب وقال ابو معشر بطر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم اكبر مسيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيرها الاكبر وبعضها بطيء السير فغلب اقواها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافق من ايام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع في تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضا في امر النيل أن تنظر اليوم الذي تظفر فيه النصارى البعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليه الربعا وثلاثين فما بلغ أسقطه اثني عشر فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقا للشهر أيب والقمر في برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والافهو جيد قالوا وينظر أول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلًا قاصرا وان لم هب لم يطلع تلك السنة وقبل يعتبر هكذا أول خميس من بؤنة * ومن المعتبر الذي جرت به أناسين وأخبرني بعض شيوخنا أنه جرت به وأخبره من جرت به فصح أن ينظر أول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما اشتهر عند اهل مصر وجرت به ايضا فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت الظهور من الطين الذي تر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع في اناه مغلى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنه من الخراب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراب لكل خربة ذراع ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناه فخار وقد عمل من طين تر عليه النيل وتركه مغلى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اخضر بنفسه كان النيل تاما وافيًا وان وجد لم يختر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهواء فان هبت طيا با فهو نيل كبير وان هبت غير طيا با فهو نيل مقصر لا سيما ان هبت مر يسا فانه يكون نيلًا كاف والشان عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فأما اذا اختلف فالعلمكم لا يكاد يصح * وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاكنار الباقية عن القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهي آخر ايام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شيء فان كل ما لا يزكو في تلك السنة من الزروع يصح اصفر وما يصلح ربعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جرت انا على ما أفادني بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من النهر القبطي فانه يبلغ سعر الوية القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابة وأول ما جرت به هذا انه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبقيت الوية تلك السنة بخمسة عشر درهما

* (ذكر عيد الشهيد) *

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من ائمه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط

وزعمون

ويرعون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع اسلافهم الموقى ويكون ذلك اليوم عيداً ترحل اليه النصارى من جميع القرى وبركبتهم فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبق مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بقى ولا مخنت ولا ماجن ولا خليع ولا فاك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصى الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجأه هناك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتشورقت وتقتل اناس ويساع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينفى على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهباً وباع نصراني في يوم واحد بأثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائماً ناحية شبرى من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحي شبرى دائماً في وفاة الخراج على ما يدعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبع مائة والى السلطان يومئذ بدار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استاذ ارسطو السلطان والامير سيف الدين سلاو نائب السلطنة بدار مصر ققام الامير بيبرس في ابطال ذلك قديماً عظيماً وكان اليه امير بدار مصر هو والامير سلاو والناسر تحت حجرهما لا يقدر على شئ من بطنه الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع في النيل ولا يعمل له عيد ونذب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهاار النداء واعلانه في الاقاليم بأن لا يخرج احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته وشئ بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعد الدولة يما في الكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وامراتهم من الازراك في الاقتصاد لكتابهم من القبط سواء منهم من أسير الكفرة ومن جهريه وما زال الاقاط بالتاج الى أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد فان أكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل ابداً ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول ونتيق المكر فتبث الله الامير بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرقه من القول واستقر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعاً الى سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بصر النيل ليرى قوة التبار عن بصر القاهرة الى ناحية الجزيرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطالب الامير ببلغا الجياوى والامير الطنبغا الماردى من السلطان أن يخرج الى الصيد ويغيما مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتنهك في محبتهم ما أراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون نفر جكم عليه أئز من خروجكم الى الصيد وكان قد قرب او ان وقت عيد الشهيد فريضاً منه بذلك وأشيع في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة بعمله فيه ركب الامراء النيل في الثغائر بغير حرايق واجتمع الناس من كل جهة وبرز ارباب الغناء واصحاب اللهو والملاعة فركبوا النيل وتجاهاوا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعاً خرجوا فيه عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرة واستقر واعلى ذلك ثلاثة ايام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستاً وثلاثين سنة واستقر عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبع مائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضى مصر على كنائس النصارى ودياراتهم وأزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان الاحباس فلما تحقرت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس فعرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وهم الامير شيخو العمري والامير صرغمش والامير طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعهم وأزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب

عند ذكر الكنائس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين على ابن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبراخيت من ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصرى وأخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصرى فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد والله الحمد والمنة

*** ذكر الخلبان التي شقت من النيل ***

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلبان وترع يتخرق الماء فيها عينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلبان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحرى وأما الوجه القبلى وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك والمشهور من الخلبان خليج منبجا * وخليج منف وخليج المنى وخليج اشوم طنح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر ابي المنجا وخليج النصرى ظاهر القاهرة * قال ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعى قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها واقفيتا فيحسبونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن يومئذ فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافى النيل من اوله الى آخره فى الجانبين معا جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسمي خليج الاسكندرية وخليج منبجا وخليج دمياط وخليج منف وخليج القيوم وخليج المنى وخليج سردوس جنات متصلة لا يقطع منها شئ عن شئ والزرع ما بين الجانبين من اول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء (وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدر واودبروا من قناطرها وخليجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تر كوا من جنات وعبور وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان هم ألف منبر (خليج سخا) وخليج سخا حفرة ندرس بن صا ابن قبطيم بن مصر ايم بن بصير بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الاول * قال ابن وصف شاه ندرس الملك اول من ملك الاحياز كلها بعد ابيه ما وصفه له ملك مصر وكان ندرس محتسكا محتربا اذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قايما ما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذى حفرت خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وقصد به بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة فى ارضه وعاثوا وافسدوا وجمع الجيوش من اعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائد ايقال له فلوطس فى ثمان مائة ألف وقائدا آخر فى مثلها ووجه فى النيل ثمان مائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل عجوبة من العجائب ثم خرج فى جيوش كثيرة فلقى جمع السودان وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل وأسروهم خلقا وبعثهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض القبط من بلاد الزنج فأخذوا منها غداة ومن النور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلاده منار وأبرز عليه مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه ومات بمصر فدفن فى ناووس نقل اليه شيئا كثيرا من اصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد الى ابنه مالىق بن ندرس (خليج سردوس) حفرة هاما قال ابن وصف شاه طالبا بن قومس الملك جلس على سرير الملك وسأز جميع ما كان فى خزائنهم وهو الذى تذكر القبط انه فرعون موسى * فأما أهل الانتر فيزعمون أنه الوليد ابن مصعب وأنه من العمالقة وذكروا ان الفرعنة سبعة وكان طالما فى ما حكى عنه قصيرا طويلا للعبة اشهل العينين صغير العين اليسرى فى جبينه شامة وكان اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون انه دخل منف على اتان عليها نظرون جاء لبيعه وكانوا قد اضطربوا فى تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم اول من يطرا من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس فى الملك بذل الاموال وقرب من اطامه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف هاما وكان يقرب منه فى نسبه وأثار به بعض الكتوز وصر فيها فى بناء الدائن والعمارات وحفر خلبانا كثيرة ويقال انه الذى حفرت خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله * وقال ابن عبد الحكم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سر دوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يردّه الى قرية من نحو دبر القبله ثم يردّه الى قرية في الغرب ثم يردّه الى أهل قرية في القبله و يأخذ من أهل كل قرية ما لا يحصى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغي للسيد أن يعطف على عباده ويفض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد علي أهل كل قرية ما أخذت منهم فردّه كله على أهلّه قال فلا يعلم بمصر خليج اكثر انعطافا منه لما فعل هامان في حفره وكان هامان نبطيا (خليج الاسكندرية) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منارة الاسكندرية فليطرية الملكة وهي التي ساقّت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فحفره حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته وقال المكندى ان الحارث بن مسكين قاضى مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعد بن محمّاتى في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه من قضبتين ونصف الى ثلاث قضبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا أقام فيه ما يزيد على شهرين * ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية تيج الى تيج زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وحوف ودميس والكفور والشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقاقاس والنيلة وأنواع زراعة الصبغى وجرى مجرى بحر الشرق والحلة ونضا عفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة فى ربوة والطوبى فى البحيرة وانهم قد روا ما يحتاج اليه فوجدوه يتأهز عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم يربعه ذلك فيه سمكة قصار يخرج بالشبال (خليج القيوم والمنبى) مما حفره نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما عمر القيوم كما هو مذكور فى خبر القيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا يتقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة مريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف يعنى ابن يغلق النائب فى الايام الظاهرة ببيرس تشعبت منه فى غربيه شعبة تسمى المنبل تستقل نهر اصيل الى القيوم وهو الآن عرف بحري يوسف وهو نهر لا يتقطع جريانه فى جميع السنة فيسقى القيوم عادة سقياد دائما ثم ينجر فضل مائه فى بحيرة هناك ومن العجب انه يتقطع مأوّه من فوهته ثم يكون له بال دون المكان المنبى ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان الببل ثم يستقل نهر ارجار يالا يتقطع الا بالسفن ويتشعب منه انهار وينقسم قسميهم القيوم يسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة ما كنه والله أعلم (خليج القاهرة) هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى فيما بينها وبين المتقس عرف فى اول الاسلام بخليج امير المؤمنين وتسميه العامة اليوم الخليج الحماكى وبخليج اللولة وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن مالبأ أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه فى ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخذ معها هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما فلما اخرجها ابراهيم هى وابنها اسماعيل الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انها يمكن جذب وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الخنطة وغيرها الى جدة فأحيا بلدا الحجاز ثم ان اندروماتوس الذى يعرف بابيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبيس المحدث جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف واربع مائة سنة ثم ان عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره لما فتح مصر واقام فى حفره ستة اشهر وجرّت فيه السفن بحمل الميرة الى الحجاز فسمي خليج امير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه هو الذى اشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي كانت على حافة البحر الشرق حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل فى البحر من عنده مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببطمه فى سنة خمس ومائة فطم وبقي منه ما هو موجود الآن وسبأ فى الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى عند ذكر طواهر القاهرة من هذا الكتاب (بحر أبى المنجى) هذا الخليج تسميه العامة بحر أبى المنجى الذى حفره الافضل بن امير الجيوش

في سنة ست وخمس مائة وكان على حفره أبو المنجب بن شعيب اليهودي فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزلهم من هذا الكتاب (الخليج الناصري) هذا الخليج في ظاهر المقس حفره الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب

*** (ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول) ***

قال المسعودي وقد كانت ارض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم يركب ارضها ماء النيل وينسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع القسطاط في وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتباره من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرق الماء وحفرها والخلجان وعقدوا في وجهه المسببات الى أن خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة أول سكناهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكره أرسططاليس في كتاب الاسرار العلوية أن ارض مصر كان النيل ينسط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها ويبس ما عدا منها أولا فأتوا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا قبل سكني مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة ونقروها وهي المغاير التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصير الذي يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرامهم يراى المغاير في الشرق وبينهما النيل ومن صعد من طر الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغاير متسعة وفيها مغاير تنفذ الى القلزم تسع المغاير منها أهل مدينة واذا دخلها أحسد ولم يمتد على ما يده على المخرج هلك في تحيرها ويقال كانت مصر حرداء لانيات بها فاقطعها متوشلح بن اخنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان ابن انوس بن نسب بن آدم لطائفة من اولاده فلما نزلوها وجدوا فيها اقدس ما بين الجبلين فنضب الماء عن ارض زروعها فأخرجت الارض بركاها ثم بعد زمان اخذها عنقاص الاول بن عرياب ابن آدم بالقلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد برديس سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة لينبع من ياتيه فأتاه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا

*** (ذكر اعمال الديار المصرية وكورها) ***

اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمس وستون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها اربعون عامرة بجميع قرأها لا تنقص شيئا ثم استقرت ارض مصر كما في الجمل على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر * وقد قسمت الارض جميعها قبلها وبحر بها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والايوانية ونغر دمياط * الوجه البحري جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدنجباوية والمنوفية والستراوية وقوه والمزاجيتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دميس * والوجه القبلي الحيزة والاطفيحية والبوصيرية والقيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاشخمية والقوصية وهي أيضا ثلاثون كورة وهي كورة القيوم وفيها مائة وست وخسون قرية ويقال انها كانت ثلثمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية وقرى اهناس ومنها قري وكورتادلاص وبوصيرت قري وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة البهنسا مائة وعشرون قرية وكورة القشن سبع وثلاثون قرية وكورة طجا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قري وكورة الاشمونين مائة وثلاث وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا احدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قري وكورة اعلا انصنا ثمانية عشرة قرية وكورة قهوه سبع وثلاثون قرية وكورة اخيم والدوبر ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قري وكورة قناس سبع قري وكورة دندرة عشر قري وكورة فقط ثمان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قري وكورة اسنا خمس قري وكورة أئمنت سبع قري وكورة

اسوان سبع قرى بجميع قرى الصعيد ألف وثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة * كورة
أسفل الارض الحوف الشرقي خمس وستون قرية كورة اتريب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة
بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة ثمان مائة وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطة
تسع وثلاثون قرية كورة طراية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس كورة هريبط ثمان
عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا وابليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش بجميع
قرى الحوف الشرقي خمسمائة وتسع وعشرون قرية سوى المنى في سبع كور بطن الريف كورتا دميس
ومنوف مائة واربع قرى سوى المنى والكفور كورة ناطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى
والكفور كورة ثمان مائة وخمس عشرة قرية كورة بسده والا فراحون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى
والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نفرا ثمان عشرة قرية سوى المنى كورة بيا وبوصير
ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمند مائة وثمان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة
نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى
المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة قرية سوى المنى وهي ثلثين * الاسكندرية الحوف الغربي كورة صا ثلاث
وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة اليدقون
ثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور كورة حيز اليدقون تسع وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة النواقرى
كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربا اثنان وستون قرية سوى المنى والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون
قرية سوى المنى والكفور كورتا مصيل والمليد تسع واربعون قرية سوى المنى كورتا احنور ورشيد سبع
عشرة قرية البحيرا والحصن بالاسكندرية والكرومات والبعل ومربوط ومدينة الاسكندرية ولوييه
ومراقبه مائة واربع وعشرون قرية سوى المنى فالحوف الغربي أربع مائة وتسع واربعون قرية سوى المنى
في ثلاث عشرة كورة قال المسيحي في تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض الف وأربع مائة وتسع وثلاثون قرية
ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلاثمائة وخمسة وتسعين قرية * وقال القاضي أبو عبد الله محمد
ابن سلامة القضاى أرض مصر قسمين فن ذلك صعيدا وهو ما يلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضها وهو ما يلي
مهب الشمال منها قسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فن ذلك كورة الف يوم كلها وكورتا منف ووسيم
وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبوصير وكورة اهناس وكورتا الفشن والهنسا وكورة طما وحيز سنوده
وكورة بويط وكورتا الاشموين وأسفل انصنا وأعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقهوه وكورتا
انجيم والدير وابشاية وكورة هو وأقنا وفاو وندرة وكورة فقط والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان
فهذه كورة الصعيد ومن ذلك كورة أسفل الارض وهي خمس وعشرون كورة وفي نسخة ثلاث وثلاثون كورة
وفي نسخة ثمان وثلاثون كورة فن ذلك كورة الحوف الشرقي كورتا اتريب وعين شمس وكورتا بنى ونى وكورتا
بسطة وطراية وكورة هريبط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كورة بطن الريف
من أسفل الارض كورة بيا وبوصير وكورتا سمند وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقه وكورتا تنيس
ودمياط ومنها كورة الجزيرة من أسفل الارض وكورة دميس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وبيدة
والا فراحون وكورة مقين وديسا وكورة البشرود * ومن ذلك كورة الحوف الغربي كورة صا وكورة شباس
وكورة اليدقون وحيزها وكورة الخيس والشرال وكورة خربا وكورة قرطسا ومصيل والمليد وكورتا
اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مربوط وكورة لوييه ومراقبه * ومن كورة القبله كرى الحجاز
وهي كورة الطور وقاران وكورة راية والقلزم وكورة ايله وحيزها ومدن وحيزها والعوينه والحوراء وحيزها
ثم كورة بدوشغب * وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بن طر
ابن شغا الكاتب القبطى المعروف بالبولس متولى خراج مصر للدولة الاخشيدية يشغل على ذكر كورة مصر
وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ان قرى مصر بالصعيد اثنان وستون كورة وأسفل الارض ألفان وثلاثمائة وخمس
وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربع مائة وتسع وثلاثون قرية
وهذا عدددها في الوقت الذى جردت فيه الجرايد المذ كورة وقد تغيرت بعد ذلك بجرايب ما خرب منها * وقال

ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولي الوليد بن رفاعه مصر خرج ليحصى عدة أهلها و ينظر في تعديل الخراج عليهم فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان يكفونه ذلك بجدة وتسمير وثلاثة أشهر بأسفل الأرض وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر في أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي ستة أعمال وهي من قوص وهو أهلها ومنه أسوان وغرب قوص وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل الهندساية الغربية وهو عبارة عن قرى على غربي المنى المار إلى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفح وعمل الجيزة والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرا وهو متصل بالبر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقي والبحر الثاني مسكبه عند رشيد ويسمى الغربي والمنوفية ومنها ابيارو جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اسبوم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهذا الموقع نهر البرلس ونهر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل لهما * واما الواحات فمقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها والى الاله لطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعتها والله تعالى أعلم

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم المساحي والطوريان والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون شتاء ولا صيفا * وعن أبي قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقررون القرى في ايدي أهلها كل قرية بكذا معلوم لا ينقص عنهم الا في كل أربع سنين من أجل الظلم وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرقق بمن استحق الرقيق ويزاد على من احتل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا انجى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لحنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجها ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الأرض وما يحتاج اليه من جسورها وحفر خليجها وبناء قناطرها والقوة للزراعيين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفع ذلك للناطقة تنزل او جائحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفع في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها انهم استظهروا قبطها الذين يتبعون الكنوز * وذكر ان بعض فراعنة مصر جري خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار وان من عمارته انه ارسل ويسة قمح الى أسفل الأرض والى الصعيد في وقت تنظيف الأرض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تنهاى العمارة يرسل بأربع وبيات برسيم الى الصعيد والى أسفل الأرض والى أى كورة فان وجد لها موضعا خاليا فرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد في مثلها ولم تنزل الفراعنة تسلك هذا المسلك الى أيام فرعون مومسي فانه عمرها عدلا وبمناحة وتتابع الظم ثلاث سنين في أيامه قتل لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خرائمه ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستقر فاعتاض ما أنفق * وكتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص رضى الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من اين تأتي عمارتها وخراجها فساءله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخراجها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خليجها وتستترعها وجسورها ولا يقبل مطل أهلها يريد البنى فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت * وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمرو بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في الخراج كتب اليه ان ابعث الى رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبطه فاستخبره عمرو بن الخطاب رضى الله عنه عن

مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا امير المؤمنين ان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها وعاملها لا ينظر الى العمارة وانما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريد لها الا لعام واحد يعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتز به * وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فيم تكون عمارتها قال بخصال ان تحفر واجلجها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ولا يقبل مطل أهلها ويوفى لهم بالشروط ويدرا الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوتهم قبل ذلك تعمر ويرجى خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة أقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها * ولما ولي عبيد الله ابن الحجاج مصر خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمخاض مصر كلها عامرها وعمارها بما يركبه النيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجد هاستين يوما والحرث يحترت خمسين فداناً وكانت محتاجة الى أربع مائة ألف وثمانين ألف حرث

*** (ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول) ***

قال ابن وصيف شاه وكان متقواً وقسم خراج البلاد أرباعاً فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد ويرجع يتفق في مصالح الأرض وما يحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلق وتقوية أهلها على العمارة ويرجع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل ويرجع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف الف دينار وقسمها على مائة وثلاث كورة بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الأرض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال البلد على يد نارس بن صا مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف الف دينار وفي أيام كلكن بن خربنا بن مالبق بن نارس مائة ألف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة أختل أمرها وكان فرعون الاول يجيئها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار * وبلغ خراج مصر في أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب ان يته مائة ألف ألف دينار فأمر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه * وقال ابن دحية وجيئت مصر في أيام الفراعنة فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثاقيلنا المعروف الآن بصرا الذي هو أربعة وعشرون قيراطاً لكل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحسب ذلك مائتي ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الحزاني انه وجد في بعض البرابي بالصعيد مكتوباً باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأويل ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان في يد المؤدي (سبحه وبعد) وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظر الاعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار واربع مائة ألف دينار وذكر ما فيه كافي خبر الحسن بن علي الاسدي * وقال الحسن بن علي الاسدي اخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان في يد المؤدي (سبحه وبعد) وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقاً بالعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار واربع مائة ألف دينار من جهات مصر وذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخلق واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والساسة ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البدار وغير ذلك وثمان الآلات واجرة من يستعان به من الاجراء لجل الاصناف وسائر نفقات تطريق أراضيهم من العين ثمان مائة ألف دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والعلماء واشيائهم مع ألف كاتب موسومين

بالداوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية
 آلاف ألف دينار وما يصرف في الارامل واليتام فراضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا يتخلو
 آمالهم من يتصل بهم من العين اربع مائة ألف دينار وما يصرف في كهنة برايههم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم
 من العين مائة ألف دينار وما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة
 فليحضر فلا يرعد عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا روي رجل لم تجر عادة بذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا
 فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقا والسلامة
 وأمنوا حال الطائفة المذكورة فبأمر بتغيير شعنها بالجمام واللباس وبمعة الاسمطة وبأكلون ويشربون ثم يستعلم
 من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رده عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير
 ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذي يصلح له من العين ما يتألف دينار فذلك جملة ما تبين وفصل في هذه
 الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون في بيوت
 أمواله عدة لنواب الدهر وحادثات الزمان من العيين اربعة عشر ألف ألف دينار وستة مائة ألف دينار وقيل
 لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال في الوقت الذي ارسل فرعون بوية فتح الى اسفل الارض
 والى الصعيد فلم يجداهما موضعا تبذرفيه لشغل جميع البلاد بالعمارة

(ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط)

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق
 درهمها وقنبرها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أربعمائة دينار من حيث بدأت قال أبو عبيد قد
 اخبرني الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله كانت فتحة لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي
 اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما واصله على الكفرة من
 الخراج في الامصار وفي تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم انهم سيمثلون ويسقط عنهم ما واصلهم فصاروا
 مانعين باسلامهم ما واصلهم بدينار عليه قوله وعدتهم من حيث بدأت * وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة
 والاول احسن * وقال ابن عبد الحليم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع
 من فيها من الرجال من القبط بمن راق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين
 دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف وعن هشام بن أبي ربيعة النخعي ان عمرو بن العاص
 لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمني كتم اعنده فقد درت عليه قتله وان قبطيا من أرض الصعيد قال له بطرس
 ذكر لعمر وان عنده كثر فارسل اليه فساءله فأذكر ووجد خبسه في السجن وعمر ويسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن
 أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فزاع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب
 ان ابعث الى بماندلو وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقله شامية محتومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
 مكتوب فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها
 فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبيا مصر يامضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم
 شققا ان يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص استعمل مال قبطي
 من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين
 اردبا دنائير قال ابن عبد الحليم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلعها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع
 جزائرها مائة ألف وعشرين الفاعهم الطور والمساحي والاداة يعقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء
 ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا
 نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء
 ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم ان عمرو بن الخطاب رضى الله عنه
 كتب الى امرأه الاجنادان لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم اربعون درهما على أهل
 الورق وأربعة دنائير على أهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مئتان من حنطة وثلاثة

اقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لا ادري كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب في كل شهر لكل انسان ولا أدري كم الودك والعسل وعليهم من البزالكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيقون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاع لكل انسان ولا ادري كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزيرة على النساء والصبيان وكان يختم في اعناق رجال أهل الجزيرة وكانت وية عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامراء أقرب قطبها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثراً أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخرت نقصوا فيجتمع عتافوا كل قرية وامراءها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احوال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قديمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العاصرة فيبتدون ويخرجون من الارض فدادين لكثائهم وجبايتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السطان فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصناعات والاجراء فقسموها عليهم بقدر احوالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احوالها وقلبا كانت تكون الالرجل الشاب أو المتزوج ثم يتطرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد منهم وشكوا ضعفاً عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوي الاحمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عتبتهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قراريطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستقسمون أرضاً فيكم فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح وويتين من شعير الا القيراط فلم يكن عليه ضريبة والوية ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ من صالحه من المعاهد من مائة مائة على نفسه لا يضع من ذلك شيئاً ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزيرة ولم يسم شيئاً يؤذيه نظر عمر في امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام بن ابي رقية الغنمي قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له اخبرنا ما على أحدنا من الجزيرة فنصيرها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لواء عطيني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما انتم خزائن لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر قحت عنوة * وعن يزيد بن ابي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايماناً مني أسلم فان اسلامه يجرزله نفسه وماله وما كان من أرض فانه من في الله على المسلمين وايماناً مني اسلم قوم صالحوا على جزيرة يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وارضه لبيقتهم * وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو ولادة أو مدبر أو بقرة أو دابة فان ذلك جائز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أسبروا وما أكرؤا من أرضهم فجائز كراؤه الا ان يكون يضرب بالجزية التي عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلاً بعد الجزيرة فان انزى كراهها جائز لمن يكرها منهم قال يحيى فحقن نقول الجزيرة جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤس الرجال فان انزى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولادة ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزيرة ومن هلك ممن جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثاً فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزيرة على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موقى القبط على احيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر قحت عنوة وان الجزيرة انما هي على القرى فمن مات من أهل القرية كانت تلك الجزيرة ثابتة عليهم وان مات منهم لا يضع عنهم من الجزيرة شيئاً قال ويحتمل أن تكون مصر قحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم وان مات من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيئاً * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزيرة على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر والحق في الدين وان صلح من أسلم منهم في عشائرهم اسلوا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من اخذ الجزيرة ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى

عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلهم ابن عجيبة في ذلك فقال اعبدك يا الله
 ايها الامير ان تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف نضعها
 على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان تضع الجزية عن اسلم
 من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
 رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدنون دين
 الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن
 عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار اتمت
 بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يامر بقضائها فعل * فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغني كتابك
 وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولك بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن
 من اسلم قبج الله وأيك فان الله انما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يعنه جاييا ولعمري لعمر أشق من
 أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو
 ابن العاص ككتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام
 الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك
 ارض واسعة عريضة رقيقة وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في بتر وبحر وأنفا قد عالجت الفراعنة
 وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فنجبت من ذلك وأعجب مما عجت انها لا تؤدى نصف ما كانت
 تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب ولقد اكرت في مكاتبك في الذي على ارضك من الخراج
 وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تنفيق قترفع الى ذلك فاذا أنت تأتينني بعمار يض تعبا بها
 لا توافق في نفسي لست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدري مع ذلك
 ما الذي نفرلك من كتابي وقبضك فلن كنت محجرا با كافيما صححنا البراءة لنا فعة وان كنت مضيعا نطعان الامر
 لعلي غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابني ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تنفيق قترفع الى ذلك وقد
 علمت انه لم ينعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وما قال الس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندي باذن الله دواء
 فيه شفاء عما سألك فيه فلا تجزع اباعبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاء فان النهر يخرج الدر والحق أبلج
 ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد
 الله عمر امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني
 كتابك امير المؤمنين في الذي استبطن في فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي وأعجابه من
 خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها ما كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ أوفر واكثر والارض اعمرا لانهم
 كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منها ما كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر ولحباتها حلبا
 قطع درهما واكثر في كتابك واثبت وعرضت وترتبت وعلت أن ذلك عن شيء تحقيقه على غير خبر فجت لعمرى
 بالقطعات المقتدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد عملنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولن بعده فكلنا محمد الله مؤدين لآماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ايماننا في غير ذلك قبضا
 والعمل به شيئا فتعرف ذلك لنا وصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم والدين من شر السليم والاجترأ على كل مأثم
 فأمرض عمالك فان الله قد نزهني عن تلك الطعم الدينية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم نستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه انا
 والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني أشد غضبا لنفسي ولها انزاهها واكراما وما علمت من عمل ارى عليه فيه
 متعلقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما
 وكان اللسان بهامني ذلولا ولكن الله عظم من حقل ما لا يجهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من
 عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد عجت من
 كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بنينك الطرق وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين
 ولم اقدمك الى مصر أجملها لك طعمة ولا لقومك ولا كني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن
 سياستك فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام *

فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني اجد الملك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يستبطني في الخراج ويزعم اني احيد عن الحق وانكث عن الطريق واني والله ما ارجب عن صالح ماتهلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلثهم فنظرت للمسلمين فكان الفرق بهم خيرا من ان تخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنايهم عنه والسلام * وقال الليث بن سعد رضى الله عنه جباها عمرو بن العاص رضى الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار وجباها المقوقس قبله لسنة عشرين الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرخ حين استعمله عثمان رضى الله عنه على مصر أربعة عشر الف دينار فقال عثمان لعمر بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الا قول قال أضررتهم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل * وكتب معاوية بن ابي سفيان الى وردان وكان قدولى خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط قبرا ما فكتب اليه وردان كيف يزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزد عليهم شيء فعزله معاوية وقيل في عزل وردان غير ذلك * وقال ابن لهيعة كان الديوان في زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين فأعطى مسلمة بن مجاهد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وارتاقهم ونواب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بسمائة ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن كسحل المهرى فقال ما هذا اما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوابكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساووا به * وقال بعضهم جى عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار * وقال ابن لهيعة جى عمرو بن العاص الأسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

* (ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك) *

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال **ك**يف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كاشيا ابا هريرة قال اى والذي نفس أبى هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا نعم ذلك قال تنتهك ذمته وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم قال ابو عمرو ومحمد بن يوسف الكندى في **ك**تاب امراء مصر وفي امرأة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحجاج صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن ارض مصر تحتل الزيادة فزاد على كل دينار قبرا ما فاتت كورة تنودى وقرى بطرأيه وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فخار بهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج يجيش رجل من القبط في سمود فبهت اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر فقتل يجيش في كثير من اصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدى لما دخل مصر فارا من بنى العباس بعثمان بن ابي تسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة أمير مصر بناحية سخاونا بدوا العمال وأخرجوهم وذلك في سنة تسعين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم اهل الشرو والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فبهم القبط وقتلوا من المسلمين قاتلى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهم زمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط يلهيب في سنة ست وخسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين في ناحية الشرو حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم

يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فغاد القبط من بعد ذلك إلى كبد الاسلام وأهلها بعمال الحيلة واستعمال المكر وتكتوا من النكاية بوضع أيديهم في كآب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث) *

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعه الفهمي على مصر نقلت قيس إلى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحجاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل إلى مصر منهم ابياتا فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلهم بالقسطاط فعرض لهم ابن الحجاب وقدم بهم فانزلهم الخوف الشرقي وقرتهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحجاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا الا الناس من جديله وهم فهم وعدوان فكتب إلى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكركم واني قدمت مصر ولم أر لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيما كور ليس فيها أحد وليس بضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بليس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب إليه هشام انت والذنبعت إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر ومائة أهل بيت من بني سليم فانزلهم بليس وأمرهم بالزرع ونظر إلى الصدقة من العشور فصر فيها اليهم فاشترؤا ابلا فكانوا يحملون الطعام إلى القفر وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة ديناروا أكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة في علف ابليهم ولا خيلهم بلخودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملاوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار بليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحويزة بن سهيل الباهلي مصر مالت إليه قيس فبات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم تولدوا وقدم عليهم من البادية من قدم * وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الخوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد له رثمه بن اعين في جيش عظيم وبعث به إلى مصر فقتل الخوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثة منهم واستخرج خراجهم كله ثم ان اهل الخوف خرجوا على الليث بن الفضل البيهقي أمير مصر وذلك انه بعث بمساح يحسبون عليهم أراضى زرعههم فالتصوا من القسبة اصابع قتل الناس إلى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا إلى القسطاط فخرج اليهم الليث في أربعة آلاف من جندهم في شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ثاني عشره وبقى في نحو المائتين فحمل بن معه على اهل الخوف فهزهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التناؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث إلى القسطاط بثمانين رأسا من رؤس القيسية ورجع إلى القسطاط وعاد اهل الخوف إلى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد في محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الخوف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سالم يباب الرشيد فرغ محفوظ إلى الرشيد بضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفي ولاية الحسين بن جليل امتنع اهل الخوف من أداء الخراج فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم فقتل بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جليل عن اماره مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الخوف وقدم القسطاط في جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج إليه فكتب إلى اهل الخوف ان اقدموا حتى أومئى بكم مالك بن دلهم وأدخل بينكم وبينه في أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالاسدي فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفي اماره عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح ابن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فالتص أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث

عيسى بانه محمد في جيش لقتالهم فنزل بليس وحاربهم فنجح من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من أصحابه وذلك في
صفر سنة اربع عشرة ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب اهل الحوف
وسار في جيوشه في ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهمزوا فقتلهم عمير في
طائفة من أصحابه فغطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى
الجلودي ثانيا وسار اليهم فلقىهم بمية مطرف كانت بينهم وقعة آلت الى أن انهمز منهم الى القسطاط واحرق ما ثقل
عليه من رحله وخندق على القسطاط وذلك في رجب وقدم ابو اسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف
وأرسل الى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى القسطاط في شوال
ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين يجمع من الاسارى فلما كان في جمادى الاولى سنة
ست عشرة ومائتين انتفض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبضها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء
سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر القسطاط حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير
المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فمخط على عيسى بن منصور والرافقي
وكان على اماره مصر وأمر بحل لوائه وأخذ بهلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن
فعلك وفعل عمالك حملت الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد ثم عقد المأمون على
جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم في ناحية
البشر ودوحصرهم حتى زلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال
فسي اكثرهم وتبع المأمون كل من بوى اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى القسطاط في صفر ومضى الى
حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالقسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين
يوما وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون على حكم الانصاف في الجباية اربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف
دينار وسبعة وخمسين ألف دينار ويقال ان المأمون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب
عليها سراقده والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليس له فتر يقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها
لحقارته فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي نصيح قطن المأمون مستغيثة
متظلة فوقها وكان لا يبشى أبدا الا والتراجة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت يا أمير المؤمنين
نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعبرني بذلك وانا أسأل أمير المؤمنين ان يشرفني بجملوه في ضيعتي
ليكون لي الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون ونخى عنان فرسه اليها ونزل
فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمنك والتوابل والسكر والعسل
والطيب والشع والفاكهة والعلوفه وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون
اخوه المعتمد وابنه العباس وأولاد أخيه الوائلي والمتوكل ويحيى بن اكنم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت
الكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ولم تكل أحد منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من
فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر
وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاء تكلم القبطية بهدية الريف الكاخي
والصنماء والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت
لا والله لأفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب وربما يعجز بيت ما لتناع مثل
ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قابضنا ولا تحتقر بنا فقال ان في بعض ما صنعت لكفاية ولا تحب التثقل عليك
فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا
واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا اثني عشر فأمر به
فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاهما من قرىها طاء النمل مائتي فدان بنير خراج وانصرف متجها من كبر
مروءتها وسعة حالها

ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ونزل العرب في القرى وما كان من ذلك الى الزول
الاخير الناصري

وكان من خبر أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا
وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات أن متولى خراج
مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطنطينية في الوقت الذى تنهى فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس
من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكأب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون
ما ينهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين
لأجل الظنم والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمنها الى ناحيته
فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ومن يتدبه لذلك ويحمل ما عليه من
الخراج في ابائه على ما قساط ويحسب له من مبلغ قبائله وضمانه لتلك الاراضى ما ينقعه على عمارة جسورها
وسد تراعيها وحفر خيلها بضرابه مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان
والمقبولين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقى وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا
مضى من الزمان ثلاثون سنة حوّلوا السنة ورا كوا البلاد كلها وعدلوا تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة
من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التفتيش منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان
عمر أحمد بن طولون جامع مصر وصار العسكر منزلا امراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل
ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستقر به مدة
الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعد هاوسا تلوا عليك من نبأ ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب اخبار
الماردانيين كتاب مصر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس أبي بكر بن علي المارداني في المسجد
الجامع وهو بعد الضياع فقال له أبو بكر الساعة أمر بالنداء على صفقة فخذها شركة بيني وبينك فنودي على
صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعقدت عليه وتحملها فأفضل له اربعين ألف دينار فاستنص
عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب
رايت الشيخ يعني أبا بكر المارداني في اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن
عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأفندها اليه وجاء خطه بالمبلغ فانفق ان مضى أبو الحسن
الى أبي بكر المارداني فقال له تلك الصفقة قد غلقت ما عليها وفضل اربعون ألف دينار وقد حصل عندي
عشرون ألف دينار حملتها الى أبي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فاجله فقال المارداني ما هذا العجز
انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفرطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر أبا يعقوب أن يرد عليه
مادفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض مادفعه الى أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي
دخل فيها جوهر القائد ثلاثة الاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيقا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله
معد ولسنت عشرة بقت من المحترم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قلدا المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير
ذلك يعقوب بن كلس وعسلاوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على
الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال معالي المالكين والمتقبولين
والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين الحسن بن علي البازوري اراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة
وما عليها من النفقات ليقايس بينهم ما تقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجرى في ديوانه
وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسله الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعاً
وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة أنى ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقته بازا ارتفاعه ومنها
الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهزأب ومفقود ما ثلث ألف دينار
ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غله للقصور
مائة ألف دينار وعن نفقات القصور ما ثلث ألف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف والواصلين من الملوك
وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار خاضعة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فخطى
بذلك عند سلطانه وخف على قلبه قال وانهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاقل يعنى
بعد موت البازوري وحدث الفتن وهو قبل سنى هذه الفتن يعنى في ايام البازوري ستمائة ألف دينار

كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلاثمائة ألف دينار وفي مستهل المحرم ثلثمائة ألف دينار فاقض
الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الأفضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء
خمسة آلاف ألف دينار وكان متحصل الأهراء ألف ألف اردب وقال الأمير جمال الدين والملك موسى بن المأمون
البطائحي في تاريخه من حوادث سنة إحدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله محمد بن فائق البطائحي
من اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من ككون اقطاعهم قد خسر ارتفاعها وساءت
احوالهم لقله المتحصل منها وان اقطاع الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان في كل ناحية من
القواضل للديوان جلة تجي بالعسف ويتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخطب الأفضل ابن أمير الجيوش
في أن يحل الاقطاعات جميعها وبروكها وعترفه ان المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لان الديوان
يحصل له من هذه القواضل جلة يحصل بها بلاده قورة فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكمها
وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون وبذكرون ان لهم بساتين واملاكا ومعاصر في نواحيهم فقال له من
كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو محكم ان شاء بآءه وان شاء آجره فلما حلت الاقطاعات
أمر الضعفاء من الاجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقوياء الى أن انتهت الى مبلغ
معسوم وكتبت السجلات بأنها باقية في ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائدوا حضر الاقوياء
وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت سيد الاجناد قالوا كثرة غيرها وقله متحصلها وخرايبها
وقلة الساكن بها فقال لهم ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك
طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحد الذي يرغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات
على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفترقا
في الاقطاعات بما مبالغه خسون ألف دينار وقال في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدم امر
الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلال والخراج وجعل نظمه على جملتين احدهما الى سنة عشر
 وخمسمائة الهلالية الخراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما وافقها من
الخراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء اربابها وتعيين بلادها فلما حضر
أمر يكتب سجل يتضمن المساحة بالبواقي الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى السجل
حال المعاملين والضمانات المتصرفين وما في جهاتهم من بقاء ما عملاتهم انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة
قصدا في استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته واتقذا عامل الجحف به من الديوان طلبه وتوقير الرغبة
على عمارتها وجرها فيها على قديم عاداتها ولما كان ذلك من جبل الاحدثة التي لم يسبق اليها ولا شاركها
ملك فيها اقتضت الحال ان يرادها في هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال
الضمان والمعاملين بالملكية من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا
المقام الاشرف النبوي بالتفصيل من امورهم والجملة واستخرجنا الامر العالي بوضع ذلك في الحال
وانشاء السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرأ على رؤس
الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المساحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألف ألف وسبعمائة
ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة
اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفاً وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف
وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائة وتسعة وثلاثون اردبا ومن نصف سدس وثلاثي قيراط ومن العناب ربع
اردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة ارباب ونصف ومن زريعة الوسمه عشرة ارباب ومن
الصباغ ألف واربع مائة وثمانون قنطاراً وورطل ونصف ومن القوة اربعمائة وسبعون رطلاً ومن الشب
تسعمائة وثلاثة عشر قنطاراً ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلاً ومن الزيت ألف وثلثمائة
وثلاثة ارباط وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلاً وثلث ومن الثياب الحلبي ثلاثة ارباب ومن المنابر
مائة مئزر صوف ومن الغرايب مائة وسبعون غراباً ومن الاغنام مائة ألف وخمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة
وخمسة ارباب ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً ومن السجل ثلاثمائة ألف

وخمسة وسبعون ألفاً وخمسمائة وخمسون باعاً ومن الجريد اربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفاً وسبعمائة
 وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف واربعمائة وثلاثة وعشرون سلبه ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة
 وثلاثة اطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون اردبا وثلاث ومن الاشنان أحد عشر اردبا ومن
 الرمان ألفاً وخمسة ومن العسل النحل خمسمائة واحد واربعون قنطارا وستون ومن الشهد اثنان وثلاثون
 زيرا وقادوسا واحد ومن الشمع اربعمائة واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسة
 ومن عدل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا ومن الاجار اثنان وعشرون ألفاً ومائة واربعة وستون
 رأساً ومن الدواب اربعة وسبعون رأساً ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وستون ومن
 ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جرة ومن الشعر ستة
 آلاف وخمسون رطلا واربعة ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون
 ما يعقد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كان فيها المشقة والتعب
 وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن اللولج في بابه وخرج امره
 باعفاء الكافة اجمعين والضمائم والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا
 مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى
 المجلس والخاص الامر بين السعيدين ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضر تنامى بعد في الدواوين
 ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والجماعات والقياسر
 والمسالك وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكسر طريقته فما هو الا أن يحضر
 من يزيد عليه في ضمانه حتى قد نفق عليه حكم الضمان وقبل ما يبدل من الزيادة كائناً من كان وقبضت يد
 الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول
 ولا تحترز في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يتأول انكرنا ذلك على معتقديه وذمنا من قصدهنا عليه ومركبيه
 اذ كان الحق محجاً وعن مذهب الصواب ذاهباً وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها
 واعلى ابدانها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه اى أحد من
 الناس ضمن ضماناً من باب اربع او بستان او ناحية او كفر وكان لا قساط ضمانه مؤدياً وما يلزمه من ذلك
 مبدئياً والحق متبهاً فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام
 المحمود واتباعاً لما امر الله تعالى به في كتابه المجيد اذ يقول جل من قائل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
 الى أن تنقضى مدة الضمان ويؤول حكمها ويذهب وضعها ورسما على قضية الواجب وسندها واعتمادها
 على حكم الشريعة التي ماضل من اهتدى بفرائضها وسندها نأما من ضمن ضماناً ولم يقيم بما يجب عليه فيه وأصر
 على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمد عليها الاكل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط
 المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه في ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذي بدأ بالفسخ وأوجد
 السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتنال
 الامور وجل هؤلاء الضمائم والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعتيه بعد بثوته في ديوانى المجلس
 والخاص الامر بين السعيدين وبحيث ثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصلته المكاتب من والى والمشارف
 ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضى والسواقي ومساحتها متضمنة ما ظهره الكشف واوضحته المساحة
 على من يده السواقي وهم عدة كثيرة ومن جلتها ساقية مساحتها ثمانية وستون فدانا تشتمل على النخل
 والكرم وقصب السكر بمدينة اسناخراجهما في السنة عشرة دنانير وما يجرى في الاعمال هذا الجرى وانهم
 وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقي ما يدل على ما بأيديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم
 ولم يظهر ما يدل عليها وقد سيروا ملاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في امرهم وعند
 وصولهم اوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بجمعتها
 لا تقوم بما يجب عليها فوق المذكورون للمأمون في يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى
 القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبي ايوب المغربي وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم بجرى له معهم

مقاوضة اوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عمات تقدم صفحا وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ماترأه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح ~~كل~~ قاص منهم ودان وانا لاندع ضررا يتوجه الى أحد من الرعية الاحسناء ولا نعلم صلاحا يعود دفعه عليه الا قويا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاية الامم وعملها الواجب في البعيد والامم وسلوك الحجج الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمة واستقر اربا على قضايها وبحباياها الكريمة ولما كنا ترى النظر في مصالح الرعايا امر اواجبا ونصرف الى سياستهم عزما ماضيا ورأينا قبا كذلك نرى النظر في امور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والحماية عن الدين وجهاد الكفرة والمحدثين ليكون مائرا اعيه وتنظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسانم الخلل باذن الله من جميع الجوانب * ومن الله نستقدم مواد التوفيق في الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل * وكان القاضي الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضل بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من املاك الدواوين اراضي اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعبدوا عليها وخطوطها بها وحازوها ورسم له كشفها وتظم المشاريع بها وارتجاعها للدويوان وان يعتقد في ذلك ما يوجب حكم العدل المنبئ في كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانها تله على طيبه فاعتمدوا ما امروا به من الكشف في هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التسوا من يده ملك او ساقية ما يشهد ببعثه ملكه ومبلغ فنده وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتابا ولا أوضح جوابا وأصدروا الى الدويوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدي فيه ظاهرا وباب الحيف والنظم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد ببعثه الملك رأسا ولا يستند في ذلك الى حجة اذخرها احترازا عن مجاهدة سبيله واحتراسا ولكن فحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي اتفاناه واجينا معاملة وآثاره مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء الغروس واقامة السواق بها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواق بايدي اربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الدويوان على امثالهم بعهده احسانا اليهم لم نزل تابع مثله ونواليه وانما ما يبرحنا نعيده عليهم ونبيده وقد ائتمنا وتجاوزنا عما سلف ونهيننا من يستأنف وساحننا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سنننا في العفو والمعروف وجعلنا هاتوية مقبولة من الجماعة الجائين ومن عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمسأئته وأمسه وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه ابواب الشفاعة والسلامة وقد فسحننا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة ارض خلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقر على كل فدان ما توجه زراعتة مثله خراجا مؤبدا وأمرامو كذا فليعتمد ذلك التواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع ارباب الاملاك والسواق واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوزا مالهم في احابهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ويحيز الدويوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والابار المعطلة لمن يرغب في ضمها وتظم المشاريع بذلك واصدارها الى الدويوان ليخلد فيه على حكم امثاله بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الدويوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول امرام مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن قبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابدنة التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلا سقارا فيصير عبدنا لمن اقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قرن مابق ومن ولده كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحل ما عليه ليت المال فاذا صار مال

الخراج بالديوان اتفق في طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضى وتعلقت نواحي مصر باصناف الزراعات تدب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيجتررون مساحة ما شمله الرى من الاراضى مما له بارا وشرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفسدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر تدب من الاجناد من عرف بالحجاسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكاتب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشر واكل بلد ثلث ما وجب من مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا حضر هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جلة بواق وكانت بلاد مصر اذا ذاك تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذى تضمن ترك البواقى في ايام الخليفة الامر بأحكام الله ووزارة المامون البطائحي ورأيت بخط الاسعد بن مذهب بن زكريا بن مماتي الكاتب المصرى سألت القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك في أيام رزيق ابن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفا وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السرية في اتخاذ الحصن بالجزيرة ان ضرغام الممار على شاور وفرشاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق يستجده على ضرغام ويعدده بأنه يكون نائب عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشاء لنور الدين عزما لم يكن فجهر ألف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا مضى أبدا فان هلاكى ومن معى وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف مضى بالف فارس الى اقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة سبعمائة فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد وقوم مستوطنون في اوطانهم فرأيت حرايتهم ونحن نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر أحمد بن طولون ماستراة في ذكرا القطائع ان شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبي بكر محمد بن طفيج الاخشيدي وهى على ما حكاه غير واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربع مائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغزن من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضي الفاضل في متجذبات سنة سبع وستين وخمسمائة في ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديما وجديدا بعد ان اندر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر في هذا اليوم جموع شهد كل من علاسنة وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحزم مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم انوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلب ابعدهم وطلب بالغة الغز هو الامير المتقدم الذى له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس اكثرها طواشية والطواشي من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى ماذونها ما بين فرس وبردون وبغل ووجل وله غلام يحمل سلاحه وقر اغلامية تمة الجملة قال وفي هذه السفارة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعمائة ألف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان اصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذى يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك فامتصوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج * وقال في متجذبات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الاقطاعات ومعرفة غيرها والنقص منها والزيادة فيها واثبت المحرم وزيادة المشكورا الى ان استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا امراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قر اغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستهرة لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون الفا وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحولة على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكاسين والمصريين والفقهاء وانقضاة

والقضاة والصوفية وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار* وقال في متجددات سنة خمس وعثمانين وخمسمائة اوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وعثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقبط وعدة فواح اوردت اسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر ديناراً بعد ما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمراتحية والدقهلية وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون ديناراً (تفصيل ذلك) الديوان العادلي سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية واربعون ديناراً الا حرام والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعهم بالاعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنائير ديوان السور المباركة والاشراف ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة وأربعة دنائير العربان مائتا ألف واربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون ديناراً الكنانة خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر ديناراً القضاة والشيوخ سبعة آلاف واربعمائة وثلاثة دنائير القيمارية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنائير الغزاة والعساقلة المركزة بمياط وتنيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون ديناراً البارز ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف واثنتان وستون ألفا وخمسة وتسعون ديناراً (الوجه البحري) ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون ألفا وستمائة وثلاثة وخمسون ديناراً (تفصيله) ضواحي نغرا الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية وثلاثون ديناراً نغرا رشيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون ديناراً حوفر ميسس اثنتان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنائير قوه والمزاحيتين عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون ديناراً النبراوية خمسة عشر ألفا وثلاثمائة وخمسة دنائير جزيرة بني نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة واربعون ديناراً جزيرة قوسين مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنتان وتسعون ديناراً الغربية ستمائة ألف واربعة وسبعون ألفا وستمائة وخمسة دنائير السمودية مائتا ألف وخمسة واربعون ألفا واربعمائة وتسعة وسبعون ديناراً الدنجابية ستة واربعون ألفا ومائتان واربعة وسبعون ديناراً المنوفية مائة ألف وثمانية واربعون ألفا وثلاثمائة وسبعة واربعون ديناراً (الوجه القبلي) ألف ألف وستمائة ألف وعشرة آلاف واربعمائة واحد واربعون ديناراً (تفصيل ذلك) الجزيرة مائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة دنائير الاطفيحية تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وثمانية وعشرون ديناراً البوصيرية ستون ألفا واربعمائة وستة وستون ديناراً الفيومية مائة ألف واثنتان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون ديناراً الهنسية ثلثمائة ألف واثنتان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون ديناراً الواحات الداخلة والخارجتين وواح الهنساخسة وعشرون ألف دينار الاثني مائة ألف وسبعة واربعون ألفا وسبعمائة واثنتان وثلاثون ديناراً السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقبط اثنتان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة دنائير الاخميمية مائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة واثنا عشر ديناراً الاعمال القوصية ثلثمائة ألف واثنتان وستون ألفا وخمسمائة دينار نغرا اسوان خمسة وعشرون ألف دينار نغرا عيذاب يجري في غير هذا الديوان* وقال في متجددات سنة ثمان وعثمانين وخمسمائة والذي انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطاني ثلثمائة ألف وأربعة وخمسون ألفا وأربعة واربعون ديناراً والذي يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وعثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وعثمانين اثنتان وعشرون ألفا واربعمائة وخمسة واربعون ديناراً والذي انساق من البواقي للسنة المذكورة أحد وثلاثون ألفا وستمائة واثنتان وعشرون ديناراً والذي اشقل عليه متحصل ديوان الخصاص الملكي الناصري بالديار المصرية لسنة سبع وعثمانين وخمسمائة ثلثمائة ألف واربعة وخمسون ألفا وأربعمائة وخمسون ديناراً ونصف وثلث وثمان

* (ذكر الروا الاخير الناصري) *

وكان الجندى اقطاعه بمفرده وله سبع واحد من عشرين ألف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه خمسة عشر ألفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف درهم في الاقطاع الثقيل وكان الجندى يخرج الى أسكان بطول الخيل ويخرج مقدم الحلقة كأمير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم بأكل على حماطه

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعد ما بين نواتية نسرقي وكالين تخس وشاذين وكأب يريد كل منهم شيئاً وكان مقرراً لاربد درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بنخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه شاد وستون متعمداً بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جندياً مباشرين ولا يمكن احداً من الناس أن يبيع قدحاً من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق وبما ابطال أيضاً نصف السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيئاً من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشنخي الوزارة تقرر على كل دلال من دلالته درهمان من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويحتمد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع قيسراً للناس من ذلك واودوا فلم يغاثوا حتى ابطال ذلك السلطان وبما ابطال رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاية هي المتقدمين فيجبها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفوايح وهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستظهرون وامراء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستوزرين وهم بيوت اكثر الناس وبما ابطال مقرراً لخواص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على ككل من الولاية والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثائة درهم وعن ثمن بغل ثمانمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويصل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرراً للسجون وهو عبارة عما يؤخذ من ككل من يسجن فللسجنان على حكم المقررة ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امرأته او ابنه رفته الى الولاية الى السجن فبجبر دمايدخل السجن ولو لم يقم به اللحظة واحدة اخذ منه المقررة وكذلك كان على سجن القضاة أيضاً * (ومن ذلك مقرر طرح القرار ييج) ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر يطرحون على الناس القرار ييج فيتم بضعفاه الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسى الارامل من العسف والظلم شيئاً كثيراً وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احداً من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجاً فافاً فوقة الامن الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت * (ومن ذلك مقرر القربان) وهو عبارة عما يجيبه ولاية النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقامى الناس فيه اهوا الاصعبة * (ومن ذلك مقرر الاصابة والمعاصر) وهو ما يجبي من مزارعي قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبي من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبي بضرائب ينال الناس في ايام المقررات غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهي عبارة عما يؤخذ من كل من ركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجتمع من الفوايح والمنكرات فيجيبه مهتاراً لطلستخانة السلطانية من اوباش الناس * (ومن ذلك شدة الزعماء) وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية او عبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبي من سائر النواحي فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاية لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الاقنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ مراب جامع او مدرسة او مسجد او تربة او منزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظيمة ما عسى أن يبلغ التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاؤه على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاضطاط في السوم وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما يطلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانياً فيعظم تحكمه ويستدبسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فثائه ورفع ما هنالك من الاقدار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي-

والبحرى مامن بلاد صغير وكبير الا وفيه عدة من كآب وشاة ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم
منعهم من مباشرة النواحى الامن بلاد فيما مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بإبطال هذه الجهات
من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما أبطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للامراء
والاجناد افرز لخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية وهى الجزيرة
واعمالها وهو الكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار
لاقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المكرفيه فسدوا بأن
اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد فى عدة جهات فصار بعض الجبى فى الصعيد وبعضه فى الشرقية
وبعضه فى الغربية اتعابا للجندي وتكثيرا للكلفة وأفردوا جوالى الذقة من الخاص وفرقوها فى البلاد التى
اقتطعت للامراء والاجناد فان النصرارى كانوا مجتمعين فى ديوان واحد كما استتف عليه ان شاء الله تعالى
فصار نصرارى كل بلد يفعلون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فأتسع مجال النصرارى وصاروا ينتقلون فى القرى
ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرة وافردوا ما بقى من جهات المكوس
برسم الخوايج خاناه التى تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ماشاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه
فى جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان
فيما كان بيد الاميرين بريس الحاشى كبير وسلار نائب السلطنة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهم واباسم
حواشيه ولم يدع من ذلك شيئا مما كانوا قد وقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتد فى سائر الاقطاعات
بما كان يستهديه المتطوع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جلة عبر الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتهيا له الفراغ
من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل
سنة خمس عشرة جلس السلطان فى الايوان الذى استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لسائر نقباء الاجناد على
لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم أميرين من الامراء المقدمين بمضافيهم
فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من مقدمة ذلك الامير باسمائهم على
قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يدنقيه الى ما بين يدي السلطان فاذا مثل بحضوره سألته
السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار
من الامراء وغيرهم وعن مشاهدته التى حضرها فى الغزو وعمايه عرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من
الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناو له بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يجزبه فى مدة
العرض احد الا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذلك شئ من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم بأن
يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان فى شئ يفعل فكلوا يحضرون وهم سكوت
لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان فى واربة الامراء فمأثروا على احد
فى مجلس العرض الا وأعطاه السلطان مثالا باقطاع ردى فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جلة وانفرد
بالاستبداد باموره دونهم فاعرف منه أنه قدّم اليه احد الاوسأله ان كان مملوكا عن اقدمه من التجار وسائر
ما تقدم وان كان شيئا فعن أصله وسننه وكم مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم
يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فاتمى العرض فى طول المحرم ونوفركثير من مشلات الاجناد
فبلغ عدة مائتى مثال ثم أخذ فى عرض أطباق الممالك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة
رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد بمن قطع خبزه فجعل
لكل منهم فى السنة ثلاثة آلاف درهم * وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة فى بيت المال وفى
الاعمال كـ الجزيرة والاسكندرية من منجر وحمايات فارتجع ذلك وأبطله وماشابهه وأضاف ما لم يقطعه الى
ديوان الخاص ومما أمر به فى مدة العرض أن لا يردأ احد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير فى
جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفى وقطع خبزه فعضمت مهابة السلطان وقويت حرمة ولم يجسر
أحد أن يرد عليه مثالا أخذه من السلطان ولا استطاع أمير أن يتكلم لاحد وصار كثير من كان اقطاعه مثالا
الف دينار الى اقطاع مائتى دينار ونحوها وكثير من كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطى المثال

من غير تأمل كيف ما وقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يمزل بحضرته فيضحك منه ويحب به ولا يعترض فيما يقول من السخف فجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض أيتاد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق ككتفه بقصده هذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعزوه ثيابه فقباده الاعوان وجزوه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس واكثر ما من ضرب الاقارب حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين يتقلب مع القواديس ويغطس في الماء نارة ويرقى اخرى ثم يتكس والماء يتر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لمارأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طائفة من الامراء الخاصة واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصده عيب الاجناد ولا اتقاءهم ونحوه هذا من القول الى أن أمر بجملة فاذا ليس فيه حركة فمحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منفيا وحمد الله كل من الامراء على ما وفقه من السكون عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى أن زالت دولة بني فلاون بالملثا ظاهري برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن اشياء منه اخذت تلاشي قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانمائة حيث حدث من انواع التغيرات وتوقع الظلم ما لم يخطر ببال أحد وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضي مصر تقاوم مخلدة في نواحيها وهي على قسمين تقاوم سلطانية وتقاوم بلدية فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندى عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا خرج عنه طوبى بها فلما كان الروك الناصري خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها مائة الف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

* (ذكر الديوان) *

قال أقضى القضاة ابو الحسن الماوردي الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسمية ديوانا وجهان احدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فراههم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اى مجانين فسمى موضعه بهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقبل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقفهم على الجلي والخي وجعهم لما شذو وتفرقوا واطلاعه على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقبل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابية الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتب ولابد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرده العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاء عدة مصنفات ولم أر أحد اجمع شيئا في كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بني أمية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر ابو الفراء قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن بن المذبر لو عمرت مصر كلها لوقت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قال وقال لي ابن المذبر انه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ربحا مت وقد بقى على شيء من العمل فاستمته اذا اصبحت

* (ذكر ديوان العساكر والجيوش) *

يقال ان اول من وضع ديوان الجند بجيولهم كبراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من القروس وان كيقباز قبله

كان قد أخذ العشر من الغلات وضرفه في أرزاق جنده وأما في الإسلام فما خرج البخاري ومسلم من حديث
 حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تليظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً
 وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخاري في باب كتابة الامام الناس والبخاري من حديث عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتب في غزوة كذا وكذا
 وامر اني حاجة قال ارجع فاحج مع امرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبي
 صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه
 وسلم بيت مال ولا لابي بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ابن شهاب عمر اول
 من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت قسم أبي النبي عام أول فاعطى الحرة عشرة
 والماء لولك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فاعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سببه أن
 أباه ريرة رضي الله عنه قدم على عمر رضي الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ما ذا جئت به فقال خمسمائة
 ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيع هو قال لا أدري
 فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلاوان شئتم
 عددنا لكم عدا فاقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدقون ديوانا اللهم فدقون أنت ديوانا
 فدقون عمر * وقيل بل سببه أن عربت بعشا وعنده الهرمزان فقال له عمر هذا بعث قد أعطيت اهل الاموال
 فان تخلف منهم رجل من ابن يعلم صاحبك به فأنث لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسر له فاستشار المسلمين
 في تدوين الدواوين فقال على بن ابي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيئا
 وقال عثمان رضي الله عنه أرى ما لا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ من لم يأخذ خشيت
 أن يتشتر الامر وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دقوا ديوانا وجندوا
 جنودا فدقون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيلا بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم
 وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدوا يئس هائم وكتبوهم ثم اتبعوهم ولادأى بكر
 وقومه ثم عرو قومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه قال لا
 ولكن ابدوا بقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره
 العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلت رحمك وقد اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه
 الاعطية ودقن الدواوين فقال الكلبي في سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن عمر الواقدي أنه جعل ذلك
 في سنة عشرين قال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين
 القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل لاولي من هذا المال
 فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت عياله لاوكس ولا تملط وكسونه وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان
 الى جهاده وحوادثه وحملاته الى محبته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطى اهل البلاد على قدر بلادهم ويرم
 امور الناس بعد وبعاهدتهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدأ بأهل التي ثم يجوزهم الى كل مغلوب
 ما بلغ التي وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل
 الاسود واقتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني علىكم فيما افاء
 الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع رأي على وعمر رضي الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا
 ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني من الخمس لله وللرسول يعني من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذي
 القرى واليتامى والمساكين ثم فسر واذك بالآية الاخرى التي تليها الفقراء المهاجرين الآية فأخذوا اربعة
 الاخماس على ما قسم عليه الخمس فمن بدى به وثني وثلاث وأربعة أخماس لمن افاء الله عليه المقتن ثم استشهدوا
 على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن
 افاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم
 الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح اودعوا الى الصلح من
 حراية فردة عليهم بالمعروف وليس في الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ولمن لم يلق

قوله وقال الضحاك
 الخ لا تخلو هذه
 العبارة عن نظرا

فأعانهم بأسوة الآن يواسوا بفضلَه عن طيب انفس منهم من لم يثل مثل الذي نالوا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية ومدونهم ومختري الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضي الله عنهم ابدأ بنفسك قال لا يبدأ الا بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وابدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر رضي الله عنه عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام اصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخسمائة ألفين وخسمائة فقبل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاهل الله اذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم من قد قربت داره وقاتل عن فئسائه فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء الحق ونجى للعدو وايم الله ما سويتهم حتى استعطيتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سويتنا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجروهم المهاجرون من بعد وفرض الروادف الذين ردوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل قويمهم وضعفهم عريتهم واجمعهم في طبقاتهم سواء حتى اذا حوى اهل الامصار من حو ومن سبباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه اهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل في أهل بدر أربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وأبازر وطلحان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا وقال الزهري على اثني عشر ألفا وجعل نساء اهل بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء اهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم مدعاستين مسكيناً فأطعمهم خبزاً بلع فأحصوا ما اكأوه فوجدوه يخرج من جزيتين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعيله جزيتين جزيتين في كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لارواح النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الامن جرى عليه البيع فقالت امتهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهم في القسمة ولكن كان يسوى بيننا فوطيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضي الله عنها بألفين فأبى فقال الفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشاؤك وكان الناس اعشاراً فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخليل على اعرافها نمازوا كذلك حتى اخنطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت اسبعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلاً وثلاثاً واربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ولكل عيال مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلاً وستين امرأة واربعين من العيال عن كان رجالهم الحقوا على ألف وخسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ابادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والقباء والامناء فيدفعونه الى أهله في دورهم فمات عمر رضي الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف ألف يخلفها الرجل في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف يتجهزها وألف يترفق بها فمات وهو في ارتيا ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة ان كان بعيداً فسنة وان كان دون ذلك فسنة اشهر فاذا اخل الرجل بشعره نزعت عمامته واقام في مسجد حيه فقيل هذا فلان قد اخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ثلاث مضي من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مائة وكان اول من زاد ورقد أهل الامصار وهو اول من رقد هم وصنع فيهم الصانع فاستن به الخلفاء في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من اهل النقي في رمضان

درهم في كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما لجمعتهم عليه فقال اشبعوا الناس في يومهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو لامة عبد الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان فاقته دى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعون ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين وكان انما يحمل الى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الله فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعباله فيسميه وعباله فاذا فرغ من القيل اتي الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسئلة بن محمّد الانصارى امير مصر أهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائبهم فواتب البلاد من الجصور وأرزاق الكتبة وحلجان القمح الى الخجاز وبعث الى معاوية ستمائة ألف دينار فضلا واول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوين ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوين رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شئ له ذكر الا ما كان من الحماق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقرضت دولة بني أمية وغلبت المسودة بنو العباس احدثوا الاشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وبويع اخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون كتب الى كندر بن نصر الصفدى امير مصر يا امره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجعدى آخر خلافة بني أمية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم كتابا بعثه فيه اني انما احببت عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرتي فاحببت الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوه هنيئا وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من نحم وجدام وقال له هذا امر لا يقوم فينا افضل منه لاننا منعنا حقنا وفيه نافعنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وولى ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تيس وأخذته اسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولى الامير ابو العباس احمد ابن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين ألف اسود وسبعة آلاف حر مرتقى ثم استجبت ابنه الامير ابو الجيش خوارويه بعد عدة من شناعة خوف مصر فلما كانت اماره الامير ابى بكر محمد بن طغج الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام اربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدى استجبت عدة من السودان في ايام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معدة الفاطمى على مصر صارت عساكرها ما بين ستمائة وزويلة ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل * ومنهم مائة * ولم تكن جيوشه تعد * ولما اوتيه كان حدة * من كل ما يسعد فيه حدة * وحتى قيل انه لم يبطأ الارض بعد جيش الاسكندر بن قليس المقدونى اكثر عدد من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم الديلم والأتراك واختص بهم * وذكر الامير المختار عبد الملك المسيحى في تاريخه أن خزنة الخصاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف رجل خارجا عن خزائن القوادى اكبر الدولة * وذكر ابن ميسر في تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لا عزاز دين الله ابى الحسن على بن الحاكم بالله ابى على منصور بن العزيز بالله خاصة فكانت عدتهم حسين ألف عبد سوى طوائف العسكر ورأيت بخط الاسعد بن ممانى ان عدة الجيوش بمصر في ايام رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شوانى بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب أزال جند مصر من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجبت عسكرهم من الأكراد والأتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير فلما مات اقرقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز

سأله أن يقطعه أياها وأقطعه نهرا وأرضا باح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام
 قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعه مصلحا * روى ابن أبي نجيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة أوجهينة أرضا فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فجاءهم
 الجهمينيون والمزينيون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر لو كانت مني أو من أبي بكر لدتها ولكنها قطيعة
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمروها قوم آخرون
 فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من أموال
 بني النضير وذكر أنما أرض يقال لها الجرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع العقيق أجمع
 الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فإن يك فيه خير فكتب قدى قال خوات
 ابن جبير أقطعني فأقطعه أياه * وقال سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
 المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن أبي ثابت عن
 صلت المكي عن أبي رافع قال أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا فمخروا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه بثمانية آلاف دينار وأثنى ثمانية الف درهم فوضعوا أموالهم عند علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه فلما أخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال أحسبوا وزكاته قال فحسبوا وزكاته فوجدوه وافيها
 فقال أحسبتم أن أمسك ما لا ولا ازكبه وقد سألت عيم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون
 البلد الذي كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله أبو ذؤلمة الخثمي أن يقطعه أرضا كانت بيد الروم فأعجبه
 ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذي بعثك بالحق ليقض عليك فكتب له بذلك كما قال ثابت بن سعد عن
 أبيه عن جده أن الأبيض بن جبال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الأقرع بن
 حابس التميمي يا رسول الله أتى وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذوه وهو مثل
 الماء العذب بالأرض فاستقال الأبيض فقال قد أقلتك على أن تجعله مني صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن أبيه عن جده
 أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادين القبلية جليته وأوغورتها وقال مالك عن ربيعة
 عن قوم من علمائهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحرث المزني معادن بناحية القرع * وعن
 ربيعة عن الحرث بن بلال عن أبيه بلال بن الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع العقيق أجمع وعن جاد بن
 سلمة عن أبي مكين عن أبي عكرمة مولى بلال بن الحرث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أرضا فيها
 جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضا منها فظهر فيها معدن أو قال معدنان فقالوا إنما بعنا الأرض
 حرث ولم نبعل المعادن وجاءوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر وفتح وسحبها عينيه وقال لقيته
 انظر ما خرج منها وما انفتحت ففأصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض
 السوداء أموال كسرى وأهل بيته وما هرب عنه أربابه أو هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان
 يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيئا منها ثم أن عثمان رضي الله عنه أقطعها لأنه رأى أقطاها وأوفر لغلتها
 من تعطيلها وشرط على من أقطعها أن يأخذ منه حق النقي فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم كان
 منها صلاته وعطاياه ثم تناقلا الخلفاء بعده فلما كان عام الحجاج سنة اثنتين وثلاثين في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث
 أحرق الديوان وأخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن سندر منية الأصبع فخاز منها
 لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفیان بن عمار لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا علي رضي الله عنهم
 وأول من أقطع القطائع عثمان رضي الله عنه وبيعت الأرضون في خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا أن
 عمر بن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر إلا ابن سندر فإنه أقطعه أرض منية الأصبع فلم تزل له
 حتى مات فاشتراها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل
 وقال الأعمش عن إبراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان رضي الله عنه عبد الله بن مسعود
 التمرين وعامر بن ياسر أسنسا وأقطع خبابا وصهيبا وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية هروم وكان عبد الله
 ابن مسعود وسعد يعطيان أرضهما بالثلث والرابع * وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر

قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار ازمان عثمان فان يكن عثمان خطاً فالذين قبلوا منه الخطأ اخطأوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة وجبرير ابن عبد الله والربيع بن عمرو واطع ابا مفرز دار النبل في عتة بمن اخذنا عنه وانما القطائع على وجه النقل من خمس ما آفاه الله وكتب عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جوير بن عبد الله الجبلي أما بعد فأقطع جبرير ابن عبد الله قدر ما يقوته لاوكس ولاشطط فكتب عثمان الى عمر ان جبرير اقدم على بكتاب منك نقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى اراجعت فيه فكتب اليه صدق جبرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبو موسى الأشعري وأقطع علي بن أبي طالب رجة كردوس بن هاني وأقطع سويد بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريرة عن سويد بن غفلة قال استقطعت علياً فقال اكتب هذا ما أقطع على سويد ارضا الدوابه ما بين كذا الى كذا ما شاء الله وذكر أبو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فلورد شيئا كثيرا وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضي فانه بيد من اقطعه وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا فان اراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده وارض مصر اليوم على سبعة اقسام قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجري في ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر قد اقطع للأمراء والايمناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محسنا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرازي واقفي تلك الاراضي وعتقاتهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراض بأيدي قوم بأكلونها اما عن قياسهم بمصالح مسجد أو جامع وأما تكون لهم لافي مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا لبيع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع العجوز عن زراعته فقرعاه الموائى او بنيت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشمله ماء النبل فهو فقر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليفة ومنه ما كان عامرا في الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا الكتاب تجدها ان أثبت تأملته ان شاء الله تعالى وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام على حديث معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الارض لله ولرسوله ثم هي لكم قلت ما معنى ذلك قال تكون اقطعا هذا الخبر أصل في الاقطاع والعادى كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أى فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال وأما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها أهل فاعطاء الامام يكون على وجه النقل ومن ذلك ما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا الدارى فانه اعطاء ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له فلامن اموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نأبيه نقيله لما وهبها الشيباني قبل اقتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضي الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتيم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نقله انتهى فقد خرج أبو عبد الله هذه العاطية المعلقة مخرج النقل الذي ينقله الامام بعض مقاتله * وقال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي في الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثاني ينقسم الى موات وعامر والثاني ضربان أحدهما ما يتعين مالكة ولا تنظر للسلطان فيه الا تلك الارض في حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها لملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه يحون البلد الذي كان منه قبل ان يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشني أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليقيم عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردي وهكذا الواسطهوب أحد من الامام ملا في دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سبيلها أو ذراريا ليكون احق به اذا فتحت جاز وصحت العاطية منه مع الجاهل بها المتعلقة بالامور العامة وقد روى الشعبي ان خزيمه بن اوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه

وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت نفيله فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة قال له خزيمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني بنت نفيله فلا تدخلها في صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستنناها من الصلح ودفعها الى خزيمه فاشترت بألف درهم وكانت عجزت وحالت عماء عهد منها فقبل له قدر خصتها وكان أهلها يدفعون لك اضعاف ما سألت فقال ما كنت اظن ان عدد ايكون اكثر من ألف قال الماوردي واذا صبح الاقطاع والتملك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه واستوهبه من الغنائم ونظر في الغنائم فان كانوا اعموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا واعاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استجابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة في ذلك

* (ذكر ديوان الخراج والاموال) *

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول ما دون هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف انتناش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري ممن أهل خص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان ووفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثرون على ان الذي نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الخجاج وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ومهر صالح في الكتابة وكتب لزادان فروج كاتب الخجاج بن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية تخف على قلب الخجاج تخاف من زادان وقال له انت الذي رفيتني حتى وصلت الى الامير واره قد استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى مني اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت ان احوّل الحساب الى العربية لحولته قال فقول منه امطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الخجاج بطيبيه فشق ذلك على زادان وأمره ان لا يظهر للخجاج فاتفق عقيب ذلك ان زادان قتل في قسنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الخجاج بعده صالحا فأعلم الخجاج بما جرى له مع زادان في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه فنقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فتقال له مروان شاه بن زادان فروج قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكلب وأما ديوان الشام فان الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف في وقت نقله فقبل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصراني في أيام معاوية بن أبي سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون

* (ذكر خراج مصر في الاسلام) *

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه فكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفرضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أربع عشرة ألف ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمر بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقعة باكثر من درها الا اقول فقال اضر رتم بولدها وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجحاجم خاصة دون الخراج وانخط خراج مصر بعدهما النخو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبا بنو امية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الحجاج عامل مصر بالعمارة

فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين * أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند ما ولى الخراج عبيد الله بن الحجاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والغامر بمباركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وهذا السعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومائة لا قول أيام هشام بن عبد الملك ونظف ابن الحجاب بمصر طبقات معاومة منسوبة في الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بني أمية ومبلغها ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون ديناراً منها على كور الصعيد ألف ألف واربع مائة دينار وعشرون ديناراً ونصف والباقي على كور أسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار * والوقت الثاني في امانة أحمد بن طولون لما تسلّم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالف فيها فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الأمير أبو الجيش خازويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رضاء الاسعار أيامئذ فانه ربما يبيع في الايام الطويلة القمح كل عشرة أراذب ديناراً * وذكر ابن خرداذبه ان خراج مصر في ايام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحجاب جباها التي ألف وسبع مائة الف وثلاثة وعشرين الفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعني بعد العطاء والمؤون وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر اصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد التي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلاب عمل تقديرًا بحرفه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء اولي من الواجب فقال غدا تجيئني ونذر هذا فلما اتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلاب سبحان الله فقال تسبيحاً وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنع فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له ما بيني وبين السلطان معاملته ولا للاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجاءني وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة فقلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار واهدي الى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستماتتها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي ارسلت اليك مائة ألف دينار ولا بن كلاب عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطاني العشرين الفا فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما بردها هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريد اذها خذها وانا اعلم انك تتلفها * (وبلغت الرواتب) في ايام كافور الاخشيدى خمس مائة ألف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الخاشية ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروذبادي الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيئاً ينتقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل حكمة جبينه فحكمة بقله والحكاك يزيد به الى ان قطع العمل وقام لمابه فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحق المكر السيئ الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فاتضع خراجها الى ان قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد فجفي الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار واربع مائة ألف دينار ونيقاً وأمر الوزير الناصر لدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملاً جامعاً وأناه به فوجد ارتفاع

الدولة أثنى ألف دينار منها الشام ألف الف دينار ونفقته بأزاء ارتفاعه والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار
 * قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج وقفت على مقايضة عملت لامير الجيوش بدر الجبالي
 حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على امره ما هو به من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذي
 اشتمل عليه الارتفاع في الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربعمائة وفي الخراجى على ما يقتضيه الديوان فيه
 مما كان جاريا في الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحاول بالقاهرة
 ومصر وضواحيها وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الارض واعمالها وتينس ودمياط واعمالهما
 والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية ووحدات وعيذاب لسنة ثمانين واربعمائة الخراجية
 على الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التي اولها من حد الشجرتين وهو اول الاعمال الفلسطينية
 والاعمال الطرابلسية لسنة ثمان وسبعين واربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة
 آلاف ألف ومائة ألف دينار وان الذي استقر عليه جملة ما كان يتأدى في سنة ست وستين واربعمائة
 الهلالية قبل نظر امير الجيوش الواقعة لسنة ثلاث وستين واربعمائة الخراجية فكان مبلغها النى ألف
 وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار عما عرّب عنه حسن العمارة
 وشمول العدل وكان نظم هذه المقايضة سنة ثلاث وثمانين واربعمائة * وذكر ابن ميسران الافضل بن أمير
 الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضي الفاضل في ميادياته انه
 عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخسمائة خارجا عن الثغور وارباب الاموال الديوانية
 وعدة نواح اربعة آلاف الف وستمائة الف وثلاثة وخمسين الفا وتسعة وعشرين دينارا ثم ناقصت الى ان
 جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمى التنبسى عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف
 ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار الى آخر سنة اربعين وخسمائة ثم بعده لم يجبا هذه الجبلية أحد حتى
 انقرضت الدولة الفاطمية * وسبب انقضاء خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم في آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر
 عشرين ألف ألف دينار أن المملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق
 عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وأخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حزمها ستين يوما ومساحة ارضها
 مائة ألف ألف وثمانين الف فدان يزرع منها في مباشرة ابن مدير اربعة وعشرون ألف ألف فدان وانه لا يتم
 خراجها حتى يكون فيها اربعمائة ألف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل فيها دائما فاذا اقيم بها هذا القدر
 من العمال في الارض تمت عمارتها وكممل خراجها وأخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع
 في الصعيد سبعون ألفا وفي أسفل الارض خمسون ألفا وقد تغير الا ان جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة
 واختلت اختلا فاضحا

* (ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها) *

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة وأوفاهاسعرا وأعلاما قطيعة الباق وهو أثر القرط والمقاي فانه
 يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقي وهو الارض التي ظلمت في الخالية فلما رويت في الاتية وصارت
 مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبراب وهو أثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض
 بزراعة هذين الصنفين فحتى زرعت على اثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباق والبراب صالح لزراعة القرط والقطنى
 والمقاي فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتفسير في القابل ارض باق والسقماهيية اثر الكنان فان
 زرعت قمحا خسر والتشوية اثر ما روى وبارق السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلاجح ما روى وبارخثر
 وتعطل وهو مثل رى الشراقي فان زرعه يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت من اثر مزارع فيها ولم يبق بها شاغل
 عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحكم وسخها ولم يقدر الزراعون على ازاخته
 كله منها بل حرقوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطا بالملء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن
 قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع
 قبول الزرع وكانت بها مراعى وهو أشد من الوسخ الغالب واذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تمأ صلاحتها
 والشراقي كل ارض لم يصل اليها الماء بالقصور ماء النسل أو علو الارض أو سدة طريق الماء عنها أو غير ذلك

والمستجير كل ارض وطينة حصل بها الماء ولم يجده صر فاحتي فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم يتفتح بها في زراعة الجبوب ورمجازرعت ما لم يستحكم السباخ فيها غير الجبوب كالهليون والبادنجان ويزرع فيها القصب الفارسي * ومما لا غنى لاراضى مصر عنه الجصور وهى على قسمين سلطانية وبلدية فالجصور السلطانية هى العامة النفع فى حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت فى القديم تعمل من أموال النواحي ويتولى عملها مستقبلا الاراضى ويعتدلهم بمصارف عليها مما عليهم من قبالات الاراضى ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العاملين مال بايدى المستخدمين من الديوان ويصرف عليها وبفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى أن حدثت الحوادث فى ايام الناصر فرج فصارى يجي من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شئ البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدى الاعوان ويستخرج اهل البلاد فى عمل الجصور فيجاء الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب الخراب * وأما الجصور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعا ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجصور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذى يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية امره ومحل الجصور البلدية محل الدور التى من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيئا من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه فمما فان له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفق من مال سنته فى عمارة سنة غيره * واصلى مازرع القمح فى اثر الباق والشرافى وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح ورمجازرعت هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى آخره تهور وهذا فى العوالى من الارض التى تخرج بدريا وأما البحار المتأخرة فتمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها وورقتها وتوسطها وما يزرع فى اللوق وما يزرع فى الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس وبيات وأربع وبيات أيضا ويوجد فى الصعيد اراض تحتل دون هذا وفى حوف رمسيس اراض يكفى الفدان منها لمحج الويتين ويدرك الزرع بمصر فى شمس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضى فيرمى من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة وذكر أن فى مصر اذا زرعوا يخرج من المدة ثلثمائة مد والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان فى سنة ست وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة القيوم التى يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها بحسب ربحى الفدان منها أحدا وسبعين اردبا من شعير بكيل القيوم وأردبها تسع وبيات وكانت قطعة فدان القمح يلاذ الصعيد فى ايام الفاطمية ثلاثة أرداب فلما مسحت البلاد فى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة تقرر على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يؤخذ اردبان عن الفدان وأما اراضى اسفل الارض فيؤخذ عنها عين لاغلة * ويزرع الشعير فى اثر القمح وغيره فى الارض التى غرقت وهى رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذرفه بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه فى برمودة وهو أدار * ويزرع الفول فى الحرث اثر البراب من اول شهر بابه ويؤكل وهو أخضر فى شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث وبيات ونحوها ويدرك فى برمودة ويتحصل من فدان ما بين عشرين اردبا الى مادون ذلك * ويزرع العدس والحص من تهور الى كيهك والجلبان لا يزرع الا فى ارق الاراضى حرثا من الارض العالية ويزرع تلويقا فى الاراضى الخرس ويدرك فى كل فدان من الحص من اردب الى ثمان وبيات ومن الجلبان من اردب الى أربع وبيات ومن العدس من وبيتين الى مادونهما وتدرج هذه الاصناف فى برمودة ويتحصل من فدان الحص من أربعة ارداب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارداب الى مادونها والعدس من عشرين اردبا فادونها * وأنجب ما يكون الكتان ذازرع فى البرش ويحتاج أن يسج بتراب سباح وهو اذا طال رقة ويقلع قضباناً ويسج حينئذ اسلافاً وينثر فى موضعه حتى يجف فاذا جف حل وهدر وعزل جوزة فيخرج منه برز الكتان ويستخرج منه الزيت

الحار ويزرع الصكتان في شهر هاتور ويحتاج القدان أن يذرفيه من البرز ما بين اردب وثلاث الى مادون ذلك ويدرك في شهر برمودة ويخرج من القدان ما بين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البرز من ستة ارادب الى مادونها وكانت قطعة القدان منه في القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر ديناراً * وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في النقصان ولا ينبغي تأخير زرعها الى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها المربسية وأول ما يذرف في شهر يابه وربما زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في كيهك وطوبه ويزرع أحياناً في هاتور ويذرف في كل فدان من ويتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه في آخر شهر كيهك ويدرك الحراثي في طوبه وأمشير ويتحصل من القدان الحراثي ما بين اردبين الى أربع ويات * ويزرع البصل والثوم من شهر هاتور الى نصف كيهك ويذرف في فدان البصل من نصف وربيع وية الى وية والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في برمودة والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من أول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة ارادب من القدان ويدرك في بشنس * ويزرع الترمس في طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك في برمودة ويتحصل من القدان ما بين عشرين اردباً الى مادونها وهذه هي الاصناف الستوية * (وأما الاصناف الصيفية) فان البطيخ واللوبياء يزرعان من نصف برموهات الى نصف برمودة * ويزرع في القدان قدحان ويدرك في بشنس * ويزرع السمسم في برمودة وزريعته ربع وية للقدان ويدرك في أييب ومسرى ويتحصل من القدان ما بين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن في برمودة وزريعته أربع ويات حب للقدان ويدرك في ثوت فيخرج من القدان من ثمانية قناطير بالجروي الى مادونها * ويزرع قصب السكر من نصف برموهات في اثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سكاك وأنجبه ما تكامل له ثلاث غرافات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمنة قد شالها الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من الخلفاء وتظفت ثم برشت بالقلقات وهي محارث ككبار ستة وجوه وتجرى حتى تقعد ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرى ومعنى البرش الحرث فاذا ضلحت الأرض وطابت ونعمت وصارت تراباً ناعماً وتساون بالتجريف شقت حينئذ بالقلقات ويرى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الأحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أبايب كواصل وبعض انبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها ويختار ما قصرت انبايبه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا اكمل نصب القصب اعبد التراب عليه ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لافاقمة ثم يسقى من حين نصبه في أول فصل الربيع لكل سبعة أيام مرة فاذا نبت القصب وصار أورافاً ظاهرة نبت معه الخلفاء والبقلة الخفاء التي يسميها أهل مصر الرحلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب ويتطف ما نبت مع القصب ولا يزال يعبأ بذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الأرض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والمادة أن الذي ينصب من الاقصاب على كل مجال بحرا في أي مجاور للبحر اذا كانت مزاحة الغلة بالابصار الجساد مع قرب رشال الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقر فان كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقبه من الفرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلثه في ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ثم يست عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسكن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيعاهد ما ذكرنا من اراضي أيام متفرقة بقدر معلوم ثم ينظم بعد ذلك فاذا عمل ما قلناه وفي القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلوح حتى لا يسوس ويكسر القصب في كيهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فنبت قصبا يقال له الخلفة ويسمى الأول الرأس وقنود الخلفة أجود غالباً من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس في طوبه والخلفة في نصف هاتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز يحصل من القدان ما بين

أربعين أبوجة قند الي ثمانين أبوجة والا أبوجة تسع قطارا فمأحوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل
فدان عشرة قساطير قلقاس جروية ويدرك في هتور * ويزرع الباذنجان في برمهاث وبرموده وبشنس وبؤونة
ويدرك من بؤونة الى مسرى * وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان وية ويدرك من أيبب * ويزرع الفجل
طول السنة ورربعة الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع الفيت في أيبب ورربعة الفدان قدح واحد
ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس في طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين * ويزرع الكرنب في توت شتلا
ويدرك في هتور * ويغرس الكرم في أمشير نقلا وتحويلا * ويغرس التين والتفاح في أمشير * ويقلم التوت
في برمهاث * ويغرس ويل اللوز والخوخ والشمش في ماء طوبة ثلاثة ايام وهي قضبان ثم يغرس ويحول
شجرها في طوبة * ويزرع نوى التمر ثم يحول وديافينقل * ويدفن بصل الترجس في مسرى * ويزرع الياسمين
في أيام النسي * وفي أمشير * ويزرع المرسين في طوبه وامشير غرسا * ويزرع الريحان في برموده * ويزرع حب
المنثور في أيام النيل * ويزرع الموزا الشستوى في طوبة والصيفي في أمشير * ويحول الخيار شنب في برمهاث *
وتقلم الكروم على ربح الشمال الى لبال من برمهاث حتى تخرج العين منها * وتقلم الاشجار في طوبه وامشير
الا اسدر وهو شجر السبق فانه يقلم في برموده * وتسقى الاشجار في طوبة ماء واحد او يسمونه ماء الحياة وتسقى
في أمشير ثانيا عند خروج الزهر وتسقى في برمهاث ماءين آخرين الى أن ينعد التمر وتسقى في بشنس ثلاث مياه
وتسقى في بؤونة وأيبب ومسرى ماء في كل سبعة أيام وتسقى في توت وبابة مرة واحدة تغريقيا من ماء النيل
وتسقى في هتور من ماء النيل بتغريق المساطب ويسقى البعل من الكروم في هتور من ماء النيل مرة واحدة
تغريقا * وجميع أراضي مصر تقاس بالفدان وهو عبارة عن أربع مائة قصبة حاكسة طولها في عرض قصبة
واحدة والقصبة ستة أذرع وثلاث أذرع بذراع القماش وخسة أذرع بذراع الخبار تقريبا وقال القاضي
ابو الحسن في كتاب المتهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة في المساحة اصطلح عليها زرع المزارع على حكمها
وتسمى الفدان اربع مائة قصبة لانه عشرون قصبة طولها في عشرين قصبة عرضا وقصبة المساحة تعرف
بالحاكية وهي تقارب خمسة أذرع بالخباري

* (ذكر أقسام مال مصر) *

اعلم أن مال مصر في زماننا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجي والآخر يقال له هلالى فالمال الخراجي
ما يؤخذ مساهمة من الاراضى التي تزرع حبوبا وتخلأ وعبا وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم
والدجاج والكشك وغيره من طرف الزيف * والمال الهلالى عدة ابواب كلها أحد ثوها واولا السوء شيأ بعد شيأ
وأصل ذلك في الاسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين بأون أرض
الجند فبأخذون منهم العشر فكتب الى ابى موسى الاشعري وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر عتريك من
المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعنى اهل الذمة من كل عشرين
درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر
قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه
التجس * وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من اهل الشام فقالوا أصبنا دواب وأموالنا فخذ
منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه
لا بأس به ان لم يأخذ من بعدك فأخذ من العبد عشرة دراهم وكذلك عن القرص وعن الهجين ثمانية وعن
البرذون والبغل خمسة * وأقول من وضع على الخوايت الخراج في الاسلام أمير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن
ابى جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى * وأول من أحدث ما لا سوى مال
الخراج بمصر احمد بن محمد بن مذهب لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس
وشياطين الكتاب فابتدع في مصر يدعاصرت مستقرة من بعده لا تنقض فأحاط بالنظرون وجبر عليه بعد ما كان
مباحا لجميع الناس وقتر على الكلا الذي ترعاه الهياثم ما لا اسماء المراحى وقتر على ما يطعم الله من البحر ما لا
وسماه المصايد الى غير ذلك فاقسم حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالى وكان الهلالى يعرف في زمنه وما بعده
بالرافق والمعاون فالأولى الامير ابو العباس احمد بن طولون اماره مصر وأضاف اليه أمير المؤمنين المعتمد على الله

الخراج والنغور الشامية رغب وتزده عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع أعماله وكانت تبلغ
بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه اكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع
الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية في اثناء الدولة الفاطمية عندما ضعفت وصارت
تعرف بالكوس فلما استتب السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب ملك مصر امر باسقاط
مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل هزسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف
دينار تفصيلها مكس البهار وعماله ثلثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون ديناراً مكس البضائع
والقوافل وعماله تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون ديناراً منفلت الصناعة عن مكس البر الوارد اليها والخماس
والقزدير والمجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً الصادر عن الصناعة بمصر ستة
آلاف وستمائة وستة وستون ديناراً سمرة القمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة
دينار وستة وخمسون ديناراً رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنائير رسوم الخشب الطويل والملح
ستمائة وستة وستون ديناراً رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة
عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر ديناراً خيمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون ديناراً فندق القطن ألفا
دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر ديناراً عبور
الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتان ديناراً واجب ما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة
مائتان ديناراً رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبائن ومفالات
جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون
ديناراً الاغنام اليتومية اثنا عشر ديناراً العرصة والسر سناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون ديناراً
منفلة القيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من القيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون
ديناراً مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتان ديناراً الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل
سبع مائة وثمانية وستون ديناراً دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبع مائة دينار رسم ابن
الملحي مائتان ديناراً دار الجبن ألف دينار مشاركة الخزان مائتان وأربعون ديناراً واجب الحلى الوارد من
الوجه البحرى والقطن ألف وعشرون ديناراً رسم سمرة الصفا ألف ومائتان ديناراً منفلة الصعيد مائة
وأحد وستون ديناراً خاتم الشرب والديقي ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتان ديناراً نصف المورد
بساحل المقس أربعة عشر ديناراً ذك السمسار ثلثمائة وخمسون ديناراً منفلة العريف بالصناعة وجملة البهار
والبضائع مائتان وستة عشر ديناراً الخلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون ديناراً الوقود والسرقين
والطعم بدار التفاح ومنفلة القبلة بالتبائن والجسر خمسة وثلاثون ديناراً رسوم الصفا والجرا ورسوم دار
الكتان ستون ديناراً حامية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون ديناراً الخلفاء الواردة على الجسر
ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرية بالجيزة عشرون ديناراً تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون ديناراً
منفلة الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنائير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون ديناراً
واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الخلفاء والقصاب ثلاثة وستون ديناراً مكس ما يرد من
البضائع الى المنية مائة وأربعة وثلاثون ديناراً مستحقة شسطوف والبرانية مائتان ديناراً سوق السكر بين خمسون
ديناراً رسوم خيمة الجلى بالشارع وسوق وردان تسعة عشر ديناراً واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة
دنائير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون ديناراً خيمة البقرى أربعون ديناراً الخلية بدار الدباغة تسعة عشر
ديناراً سمرة الجبس الجيوشى ثلثمائة واثنا عشر ديناراً دكان الدهن ومصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة
ديناراً لخل الحامض وماء مائة ديناراً بيوت الغزل والمصاطبة ثلثمائة وخمسون ديناراً ذبايح الابقار ألف
ديناراً سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتان ديناراً رسوم الدلالة ثلثمائة ديناراً سمرة الكتان ثلثمائة ديناراً
رسوم حامية الصناعاتين أربع مائة ديناراً حربة العسل مائتان واثان وثلاثون ديناراً معادى جزيرة الذهب
وغيرها ثلثمائة ديناراً خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً زريبة الذبيحة سبع مائة ديناراً معدية المقياس وانابة
مائتان ديناراً حولة السلمج ثلثمائة وثلاثون ديناراً ذك الدباغ ثمانمائة ديناراً سوق الرقيق خمسمائة ديناراً معمل الطبرى

مائتان وأربعون ديناراً سوق منبوبة مائة وأربعة وستون ديناراً ذبائح الضأن بالجينة ورسوم ساحل السنت
عشرة دنانير فخ السهم خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون
ديناراً سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربع مائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً قبان الخناء ثلاثون
ديناراً واجب طاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً منفلت الخيام بالشاشين ثلاثة وثلاثون ديناراً أولة القصار
أربعون ديناراً بيوت القزوح ثلاثون ديناراً الشعر والطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثمانمائة وأربعة
وثلاثون ديناراً وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً معمل المزر أربعة وثمانون ديناراً الفاخور بمصر والقاهرة
مائتان وستة وثلاثون ديناراً * وذكر ابن أبي طي أن الذي أسقطه السلطان صلاح الدين والذي سماه
به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبالغه عن نصف ألف دينار وألف ألف اردب سماه بذلك
وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد
الركوس وزاد في شئنائها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تابع في شعبان
اهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها وابعاد اهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر
فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقبت طاحون بحجارة المحوذية لطحن حشيش المزر وافردت
برسمه وجبت بيوت المزر واقبت عليها الضرائب الثقيلة فتمها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع
المزر البسوق ليتوفر الشراء من البيوت المحبسة وجلت او اى الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر
وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * وقال
في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن
يحمل في بعض الاوقات لا كاهالبعض ما يبلغ به من خبز وكم كثير ضحيجهم وشكواهم فلم يجمع ووقف الحال
فيما ينق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى
غلاء الاسعار فان التعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم الدار
السلطانية فأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الخفية وضمن المزر والخرباثنى عشر ألف دينار وفتح في اظهار
منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والخوانيت مع قرب استئلال رجب وما استطاع احد من العامة
الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفر د السلطان به لنفقه وطعامه وانتقل مال الثغور ومال
الجواري الحل الطيب الى أن يصير حوالا لمن لا يسالى من ابن أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي
شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصور منها وتظاهره أربابه لتحكير تضمينه السلطان واستيفاء رسمه بأيدي
مستخدميه وبلغ ضمه ثلثة سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات للشراب
ذهبيات وفضيات وكثرا اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد
الماء وتلقى فيه النيل بمعاصر نسال الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا على ما يجراء أهلها * وقال جامع
السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيلك الترك في الصالحية بمملكة مصر في سنة ثنتين وستمائة
بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر شخصاً من بظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد القاتري
احد كتّاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى في خدمة الكتّابة فقرر في
وزارته اموالاً على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوساً وضمائنات سموها حقوقاً ومعاملات
ولما ولي الملك المنظر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلع الملك المنصور على بن المعز أيلك احدث عند سفره
الذى قتل فيه مظام كثيرة لاجل جمع المال وصرفه في الحركة لقنال جوع الترم منها تصقيع الاملاك
وتقويةها وزكاتها وحدث على كل انسان ديناراً يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة
الف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر وكن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل
ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قرئت على المنابر ثم ابطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين
وسمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعني آثاره
ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال
القمح الذي جعله الله تعالى قوتاً للعالم يداس بالارجل وقد تقررت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيئاً لله عوضه

خير امنه ومن كان له على هذه الجهة شئ يعوضه الله من المال الحلال فأبطل الخلي ذلك وعوض الما قطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسقانة قرئ بجامع مصر مكتوب بأبطل ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وسقانة وأمر بارقة الخجور وأبطل المنكرات وتعقبة بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطى بجميع اقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين احمد بن المنير قال ليس لابليس عندنا أرب * غير بلاد الامير مأواه

حرقته الخمر والحشيش معا * حرمتا مأوه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يكي * على الذى فات من شبابه

وفي تاسع جنادى الآخرة سنة ست وستين وسقانة أمر الملك الظاهر ببيس بارقة الخجور وأبطل الفساد ومنع النساء الخواطى من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فقطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهت الخانات التى كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وسقانة اريقت الخجور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين بارقة الخجور والتشدد في ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة اربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنته تحت قلعة الجبل * ولما ولى الملك المنصور سيف الدين قلاون الاثني مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وأبطل ما كان يجبي من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن او نحو فيه يؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبي من اهل الذمة وهود ينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل مقر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبي عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس وجعل مصر فذلك من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري وآخر ما أدركنا ابطاله ضمان الاغانى وضمان القراير في سنة ثمان وسبعين وسبع مائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغانى فكان بلاء عظيم وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل امرأة في مصر تزيد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفسن او عترسن امرأة او خضبت امرأة يدها بجناء او أراد أحد أن يعمل فرحا لا بد من مال بتقرير تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بأغان او نفس امرأة من غير اذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراير فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين ما لا كثيرا جدا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبيه الجالية في كل سنة ستين الف درهم وأبطل ما كان على التمتع من مكس يؤخذ من الفقراء بشغرد مياط ممن يتساع من اردبين فساد ونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالتحريية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ تقدمه لمن يسرح الى العباسية من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغانى بمنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزفة بالاعمال الغربية

وأبطل الأبقار التي كانت ترمى بالوجه الجري عند فراغ الجسور وأبطل الأمير بلبغا السالمى لماولى استأدار
السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة إحدى وثمانمائة تعرف الغلال بمسبة ابن خضيب وضمان العرصة
بها وأخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القباهرة ضمان بحيرة البقر ثم أعاده القبط من
بعده * وقد بقيت إلى الآن من المكوس بقايا أخبرني الأمير الوزير المشير الاستأدار بلبغا السالمى في أيام وزارته
أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وأنه اعتبرها فلم يجد لها نصرف في شيء من
مصالح الدولة بل انما هي منافع القبط وحواشيهم وكان قد عزم على إبطال المكوس فلم يهمل * (والمال الهلالى)
عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسققة من الأدر والحوائث والحمامات والافران والطواحين
وعداد القنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وربيع البساتين التي تستخرج
اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالى * ومن اصطلاح كتاب مصر
القدماء أن يورد جزية أهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقبلا بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى
وذلك انما تستأدى مساهمة وكافوا يرون وجوبها مشاهرة وفائده فيمن أسلم او مات أثناء الحول فانهم كانوا
يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى * وكانوا
في الاقطاعات الجبسية يحجرونها بحجرى المال الهلالى عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك
الاقطاع فانما كانت تستخرج على حكم الشهر والهلالية لا الشمسية بحيث لو تجلها مقطع في غرة السنة على
العادة في ذلك وخروج الاقطاع عنه في أثناء السنة بوفاته أو نقله إلى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهر
السنة إلى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من الغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ
منشوره كعادة النقود والمختل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات
وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والتجر والشب والنظرون
والجبس الجبوشى ودار الضرب ودار العمار والجاموس وأبقار الجبس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار
والرباع والمراكب وما يستأدى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرط ومقر الجسور وموظف
الاسبان ومقر القصب ومقر البريد ومقر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية
وتعرف في زمننا بالجوالى فانما تستخرج سلفا وتجيلا في غرة السنة وكان يحصل منها مال كثير فيما مضى *
قال القاضي الفاضل في متجددات الحوادث الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة
مائة الف وثلاثون الف دينار وأما في وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا الكثرة اظهر النصارى للاسلام في
الحوادث التي مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بلك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد أمير
المؤمنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالى فكثر الاستقصاء عن الذمة والكذب في الاستخراج منهم فبلغت
الجوالى في سنة ست عشرة وثمانمائة احدى عشر الف دينار وأربع مائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر
كثير * وأما المراكب وهو الكلا المطلق المباح الذي أنبته الله تعالى رعى دواب بنى آدم فأول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولى الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا جلد يحظر على الناس أن يتبايعوا المراكب
أو يشتروها الا من جهته وادركها المراكب بلاد الصعيد مما يضاف إلى الاقطاعات فأخذ الأمير ممن رعى دوابه
في أرض بلده الكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس فيجبي من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل أمر
الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشى الأمر في ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب
للمراكب مشد وشهود وكان يبعثون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيئا ولا يكون ذلك
الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاك المراكب * وأما المصايد فهي ما اطعم الله سبحانه وتعالى من صيد
البحر وأول من ادخلها الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول
فيها فأمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشب الشفاستمر ذلك وكان يندب لما يشرتها
مشد وشهود وكان إلى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو ونغر دمياط
وجنادل نغراسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع
إلى بحر النيل بعد ما تكون أفواه الترغ قد سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كما يتراجع

الماء ويتكاثر مما يلي المزارع ثم تنصب شبك وتصرف المياه فيأق السمك وقد اندفع مع الماء الجاري قتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على التناخ ويلج ويوضع في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الاصبع فادونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا بسارية فتوكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تيس وبحيرة الاسكندرية اسماء تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى اضافة الى القرية المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم امر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبرلس وبحيرة تيس يدماط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الخصاص وهما مضمتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من انواع السمك فللسلطان لا يقدر احد ان يتعرض لصيد شئ منه الا ان يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخجان فليست للسلطان واما بحيرة اسكندرية فقد جفت ودفن اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتغلب عليه اولاد الكفرة وثم ترك بأيدي اقوام كبركة الفيل سيد اولاد الملك الظاهر ببركة الرطلي سيد اولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان اسماء كلها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع احد الصيد منها * واما بحر النيل فخاصية مضمنة يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الا ان الامير جمال الدين يوسف الاستاد ارزاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة متوغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان سمنا كان بالاسكندرية يقال له شرا حبل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية لا يدري اكان بماء له سليمان النبي ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرني ابي عن ابيه انه انبطح على بطنه ومتديده ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكتب رجل يقال له اسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شرا حبل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى امير المؤمنين ان ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الى من امره فكتب اليه لا تنزله حتى ابعث اليك ضمنا يحضر ونه فبعث اليه رجلا امانا حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه باقوتين حراوين ليس لهما قية فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * واما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل في مجتدات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فترقت الزكوات بعد ما جعلت على الفقراء والمساكين وانباء السبيل والغارمين بعد ان رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يقرر عليه من المواشي والنخل والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الجواز للسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد في معاملته الزكاة ودار الضرب لست وست وثمانين وخمسمائة واحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة واحد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن جلدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بما يبلغه اثنان وخمسون ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قراغش الشاذ في هذا المال وان لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودع الله مات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعره من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين بن نجم الدين ايوب بن شادي ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أترى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بركاة مامعه وكان ذلك في ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي

فقال

ما كل من يتسمى بالعزير لها * أهمل ولا كل برق صحبه غدقه

بين العزيزين فرق في فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها اقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه يبيع جل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتقويض

أمرها إلى أرباب الأموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل
أبي بكر بن أيوب أخرج من زكاة الأموال التي كانت تجبي من الناس سهمي الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما
في مصارفهما الشرعية ورتب من جلة هذين السهمين معالم الفقهاء والصلحاء وأهل الخير تجرى عليهم
فاستحسن ذلك من فعله وجملة إلى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لآيته عرض إليه فبطل الأغنياء من زكاة
أموالهم حتى تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبدلون في ضمانها الأموال لتعود إلى ما كانت عليه
فولى النظر في ديوان الزكاة القاضي الأسعد شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتي فاستخرج الزكاة
من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الأمر فيه إلى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى
الزكاة تخرج إلى منية ابن خصيب وأخيم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيجثون
عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون بالجميع بالإيمان
الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الأعوان وبأيديهم المسال
الطوال ذوات الأنصبه فيصعدون إلى المراكب ويجسسون بمسالمهم جميع ما فيها من الأجل والغرائر مخافة أن
يكون فيها شيء من بضاعة أموال فيبالغون في البحث والاستقصاء بحيث يقبض ويستشنع فعلمهم ويقف الحجاج
بين يدي هؤلاء الأعوان مواقف خزي ومهانة لما يصدرونهم عند تقشيش أوساطهم وغرائر أزرادهم ويحل بهم
من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين
ابن أيوب * وأما النغور فهي دمياط وتينيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهي أعظمها قدرا
فانه كان فيما عدا هذه الجهات منها الخمس والمتجر فأنس ما يستأدى من تجار الروم الواردة في البحر عامتهم من
البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحو عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون
دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك
ضرائب مقررة وقال القاضي الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمس مائة ثمانية
وعشرون ألف دينار وست مائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يتباع للديوان من بضائع تدعو إليها الحاجة
ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير البازوري وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعين وأربع مائة
ولم يكن في مخازن القلات شيء فاشتدت المسغبة بمصر وكان نخلو المخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير
الناصر للدين لما اضيف إليه القضاء في أيام أبي البركات الوزير كان يتباع للسلطان في كل سنة غلة بمائة ألف
درهم وتجعل متجرا فنزل القاضي بحضرة الخليفة المستعين بالله وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه أو في مضرة
على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراه فلا يمكن بيعها فتتغن في المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة
فيه على الناس ويضد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره في المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب
والصابون والحديد والرصاص والعلل وما أشبه ذلك فأمر القاضي السلطان له مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء
على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب
فإن معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الاتفاق في تحصيل القطار منه بالليثي يبلغ ثلاثين درهما وكانت
العربان تحضره من معادنه إلى ساحل أخيم وسيوط والهنس ليحمل إلى الاسكندرية أيام النيل في الخليج ويشترى
بالقطار الليثي ويباع بالقطار الجروي فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر ألف قطار بالجروي بسعر أربعة
دنانير كل قطار إلى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبوديين والصباغين نحو الثمانين قطارا بالجروي سعر
ستة دنانير ونصف القطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه
شيئا أو باعه سوى الديوان بكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النظرون) فيوجد في البر
الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسية شيء دون ما يوجد في
الطرانة وهو أيضا مما خطر عليه ابن مدبر من الأشياء التي كانت مباحة وجعله في ديوان السلطان وكان من
بعده على ذلك إلى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه في كل سنة عشرة آلاف قطار ويهبط
الضمان منها في كل سنة قدر ثلاثين قطارا يتسلمونها من الطرانة قتيبا في مصر بالقطار المنصري وفي بحر
الشرق والصعيد بالجروي وفي دمياط بالليثي قال القاضي الفاضل وباب النظرون كان مضمونا إلى آخر سنة

خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفاً وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار وأدرنا النظر في أقطاع العدة أجناد فلما تولى الأمير محمود بن علي الاستادارية وصار مديراً للدولة في أيام الظاهر برقوق حاز النظر ونجح له مكانه لا يساع في غيره وهو إلى الآن على ذلك * (وأما الحبس الجيوشي) فكان في البرين الشرقي والغربي ففي الشرقي بهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحي بعين وفي الغربي سق ونها ووسيم وهذه النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجبال على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلباً للفائدة ثم ادخلت في الديوان قال ابن المأمون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم لم تزل في مدة أيام الوزير المأمون البطائحي بأيديهم لم يخرج عنهم بضمان ولا غيره فلما تولى الخليفة الآخر بأحكام الله وجلس أبو علي بن الأفضل بن أمير الجيوش في الوزارة أعاد الجميع إلى الملك ليكون نصيبه في ذلك الأوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله أمر بانهض على جميع الأملاك وحل الأحباس المختصة بأمير الجيوش فلم يزل يأنس به لأنه غلام الأفضل والوزير في ذلك الوقت وعز الملك غلام الواحد بن أمير الجيوش يتلفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التي أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء إلى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظي ولما خدم الخطير والمرضى في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة في وزارة رضوان بن ولحي أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها إليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتى فقهاء ذلك العصر بطلان الحبس فقبضت النواحي وصارت من جملة الأموال السلطانية فبها ما هو اليوم في الديوان السلطاني ومنها ما صار وقفاً ورزقاً لأحباسية وغير ذلك * (وأما دار الضرب) فكان بالقاهرة دار الضرب وبالإسكندرية دار الضرب وبقوص دار الضرب ولا يتولى عياد دار الضرب إلا قاضي القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت في زمننا حتى صار يلجأ مسألة فسقة اليهود المصريين على الفسق مع أديانهم الإسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحجير عياده إلى أن أفسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع وعشرين وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكامل وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة إلى أن أكثر الأمير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والإسكندرية فبطأت الدراهم من مصر وصارت معاملة أهلها إلى اليوم بالفلوس وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات وسبب ذلك أن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقل في زماننا لقله الأموال ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكاناً يخطط فيه للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها السلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة أوقاف سور القاهرة وقد ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الأحكار) فأنها جرة مقررّة على ساحات بمصر والقاهرة فبها ما صار دور السكني ومنها ما انشئ بساتين وكانت تلك الأجر من جملة الأموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت أحكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافاً على جهات متعددة * (وأما الغروس) فكانت في الغربية فقط عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان * (وأما مقرر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة يجبي منها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل إلى بيت المال وقد بطل هذا أيضاً وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في أسباب الخراب * (وأما موظف التبن) فكان جميع تبن أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم الديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبي التبن على هذا الحكم من سائر الأقاليم ويؤخذ في التبن عن كل مائة حل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضاً من الديوان * (وأما الخراج) فإنه كان في البنساقية وسقط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاختيمية والقوصية أشجار لا تحصى من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها ما ركب الأسطول فلا يتطعم منها إلا ما تدعو الحاجة إليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم

الخراج ويحتج في جبايته بأنه تطير ما تقطعه اهل النواحي وتنتفع به من اخشاب السنط في عمارها ومقرر آخر كان يجبي منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر اجرة قطع الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حل دينار وعلى المستخدمين في ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حل بأربعة دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما يبيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما في اليمنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا جميعه واستولت الايدي على تلك الاشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسي هذا من الديوان * (وأما القرط) فانه ثم ثجير السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحد شيء اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه فاذا اجمع مال القرط أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أو ينادى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك * (وأما ما يستأدى من اهل الذمة) فانه كان يؤخذ منهم عمارد ويصدر معهم من البضائع في مصر والاسكندرية واخميم خاصة دون بقية البلاد ضرائب بتقرير الديوان وقد بطل ذلك أيضا * (وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الاغنام) فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شيء كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للدايون على كل رأس من الراتب في تطير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن الالاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى ابقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعاري وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتعاطى أسباب الخراب * (وأما الموارث) فانها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم بوريث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحققت المال بأجمعه فلما انتقلت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال السلطان مال الموارث الخشيرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتعلم اخرى (وأما المكوس) فقد تقدم حدودها وما كان من الملوك فيها والذي بقي منها الى الآن بديار مصر يلي أمره الوزير وفي الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كانت عليه منذ عهد تحذت الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في الاموال السلطانية كما ذكر في اسباب الخراب * (وأما البراطيل) وهي الاموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحتسبها وقضاها وعملها فأقول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيق في ولاية النواحي فقط ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الأمير شيخون في الولاية فقط ثم أخش فيه الظاهر برفوق كما يأتي في أسباب الخراب (وأما الحجايا والمسأجرات) فنسئ حدث في أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم اسباب الخراب كما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

* (ذكر الاهرام) *

اعلم أن الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شيء كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد قراقوش وبني بها قلعة الجبل والصور المحيطة بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة وأعظم الاهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم بانيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك اقوال متباينة اكثرها غير صحيح وسأقص عليك من بناء ذلك ما يشفي ويكفي ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس الا أن ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنى الهرم العظيم بمصر المنسوبين الى شتاد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثة سنة قدر رأى سوريد في منامه

كأن الأرض انقلبت بأهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكأن الكواكب تساقط ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة فعمه ذلك ولم يذكروا أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب الشابتة نزلت إلى الأرض في صور طيور بيض وكأنها تحتطف الناس وتلقبهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فاتبعه مرعوباً مذعوراً ودخل إلى هيكل الشمس وتضرع وترغ خديه على التراب وبكى فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهناً فخلابهم وحدثهم ما رآه أولاً وآخراً فآلوه بأمر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له اقليمون إن أحلام الملوك لا تجري على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم اذكرها لاحد من الناس رأيت كأنني قاعد مع الملك على وسط المنارة الذي بأمسوس وكأن الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكأن الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطتها في صور شتى مختلفة الاشكال وكأن الناس قد جفوا إلى قصر الملك وهم يستغيثون به وكأن الملك قد رفع يديه حتى بلغ رأسه وأمرني أن افعل كما فعل ونحن على وجل شديد أذ رأينا منها موضعاً قد انفتح وخرج منه نور مضى وطلعت علينا منه الشمس وكأنا نستغنى بالشمس نخطبتنا ان الفلك سيعود إلى موضعه فانتبهت مرعوباً ثم فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكأن اناساً نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلوا بالناس كذا قالوا انهم كفروا بالله هم قتل فنانا بقي لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليلق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوباً فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعد بال نار التي تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تأتي في الطوفان على اكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامراً كما كان اوبقى مغموراً بالماء دائماً قالوا بل تعود البلاد كما كانت ونعمر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من اهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل لها منابر يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ثم يفيض إلى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملاها طلسمات وعجائب واموالاً وأصناماً وأجساد ملوكهم وأمر الكهان فزبروا عليهم جميع ما قالته الحكماء وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يتدبرها اهل مصر وصورها صور الكواكب كاهها وزبر عليها اسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسر المن يعرف كتابتهم ولغتهم * ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملتون وكانت لهم مصائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه في بعد تلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر إلى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجمعون في ثقب بوسطها قطباً من حديد قائماً ثم يركبون عليه بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب حول البلاطة بهندام واتقان إلى أن تكتل وجعل لها ابواباً تحت الأرض بأربعين ذراعاً فأما باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط وأما باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فاذا حضر بعد هذا القياس وصل إلى الباب الازج المبني ويدخل إلى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع المسكي وهو بذراعهم خمسة مائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسها من كل جانب حتى تحدت أعاليها من آخر طولها على ثمانية اذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخبروه فلما فرغت كساها ديباجاً ملوناً من فوقها إلى أسفلها وعمل لها عيداً حضرها اهل مملكة بكتبة بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزناً من حجارة صوان ملون وملئت بالاموال الجملة والاكات والقائيل المعمولة من

الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصد أو الزجاج الذي ينطوى ولا يتكسر والطلسمات
الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل في الهرم الشرقي أصناف القباب الفلكية
والكواكب وماعمله أجداده من القنابل والدخن التي يتقرب بها إلى الكواكب ومصاحفها وكوّن الكواكب
الثابتة وما يحدث في أدوارها وقاوتها وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاقوات التي ينتظر
فيها ما يحدث وكل من يلي مصر إلى آخر الزمان وجعل فيها المظاهر التي فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل
في الهرم الملون أجساد الكهنة في نوايت من صوان أسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صناعاته
وأعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره وجعل في الحيطان من كل
جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح
لها ولم يترك عالما من العلوم حتى زبره وروحه وجعل فيها أموال الكواكب التي أهدبت إلى الكواكب وأموال
الكهنة وهو شيء عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما الهرم الغربي صنم من حجارة صوان مجزع
وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تطوق بها من قرب منه وثبت إليه وطوقت على عنقه وقتاته ثم
تعود إلى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقي صنما من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان
بتراقان وهو جالس على كرسي ومعه حربة إذا نظراً أحد إليه سمع من جهته صوتا يفرع منه فيجتر على وجهه
ولا يبرح حتى يموت وجعل خادم الهرم الملون صنما من حجارة البت على قاعدة منه من نظره إليه جذبه حتى يلتصق به
فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الأهرام بالارواح الروحانية وذبح لها الذبايح لتنع عن انفسها من
ارادها إلا من عمل لها أعمال الوصول إليها وذكر القبط في كتبهم أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية أناس يريد
الملك بنيت هذه الأهرام في وقت كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين فمن أتى بعدى وزعم أنه ملك مثلي
فلعندمها في ستمائة سنة وقد علم أن الهدم يسر من البنين وأنى كسوتها عند فراغها بالدياج فليكنها بالخصر
فمنظرها فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء من الأزمان الطوال وحكي القبط في كتبهم أن روحانية الهرم الشمالي
غلام امرأ أصفر اللون عريان في فمها أنياب كالأنياب والهرم الجنوبي امرأة عربية بادية الفرج حسناء في فمها
أنياب كالأنياب تستهوى الإنسان إذا رأى أنه وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده حجرة
من مجامر الكنائس يخبر بها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف حول الأهرام
وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريدي دفن في الهرم ومعه أمواله وكنوزه وقالت القبط أن
سوريدي هو الذي بنى البرابي وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكّل بها روحانيات تحفظها من يقصدها قال وأما
الأهرام الذهبية فيقال إن شذات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه وشذات
هذا يزعم بعض الناس أنه شذات بن عاد وقال من أنكر أن يكون العاديين دخلت مصر إنما غلطوا باسم شذات
ابن عديم فقالوا شذات بن عاد لكثرة ما يجري على السنتهم شذات بن عاد وقلة ما يجري على السنتهم شذات بن عديم
والأما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير يجت نصر والله أعلم وذكر أبو الحسن المسعودي
في كتابه أخبار الزمان ومن أباده الخلد أن الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على
الأهرام أحب أن يهدم أحداهل يعلم ما فيها فقبل له أنك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شيء منه ففتحت له الثلمة
المفتوحة الآن بنار فوجد داخل برش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها أموالا عظيمة فوجدوا
عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب
مضروب وزن كل دينار أربعة وكان عددها ألف دينار فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر
بجملة ما انفق على الثلمة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما انفقوه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بقدر
ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوزنه في الموضع عجاظا وقيل إن المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد
فأمر المأمون بجملة ما إلى خزائنه وكان آخر ما عمل من عجائب مصر وأقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه
الزلافة التي فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله وأعدوا لذلك
ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشع ونحوه وزلوا في الزلافة فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان
يضر بوجوههم ثم أنهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا جذبه حتى أعياهم فسمعوا صوتا

اربعهم فغشي عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فيينا هم جلوس يتجيبون مما وقع لهم اذا خرجت الارض صاحبهم
حيما من بين ايديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فخذثوه
خبرهم ثم سألو عن الكلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا اجراء من طلب ما ليس له وكان الذى
فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطيب فكرت فى بناء الاهرام فأوجب علم الهندسة
العملية ورفع الثقل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا وفتحوا الحجارة ذكرا واثنى ورصوها بالجس
البحرى الى أن ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقل وكانوا كل واحد واضعوا البناء حتى يكون السطح الموازى
للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلى ثم عملوا فى السطح المربع الفوقانى مربعا أصغر بمقدار ما بقى
فى الحاشية ما يمكن رفع الثقل اليه وكانوا رفعوا حجرا مهندما رصوه اليه ذكرا واثنى الى أن ارتفع مقدار مثل المقدار
الاول ولم يزلوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع وفتحوا الجوانب
البارزة التى فرضوها لرفع الثقل ونزلوا فى التحت من فوق الى اسفل وصاروا الجسيع هرما واحدا * وقياس الهرم
الاول بالذراع التى تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعة مائة ذراع يكون بالذراع السوداء التى طول
كل ذراع منها أربعة وعشرون اصبعاً خمسمائة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوى الاضلاع والزوايا ضلعا من
منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع
والخط المتحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعة مائة وسبعون ذراعا يكون اذا تم
ايضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوى الساقين كل ساق منه اذا تم
خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهى رأس الهرم اذا تم فيلزم أن
يكون عموده اربعة مائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مركزا ثقله ويكون تكبير كل مثلث من مثلثاته
مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكبيرها كان مبلغ تكبير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع
بالسوداء وما احسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله أعلم * وقد فتح المامون
نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلافة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد فى سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم
ولم يقدر احد يحيطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور قتلى فى آخر الحامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون
من كان فى هذا السن الهرم وهو اسم مشيتق من الاهرام التى هم اليها صائرون عن قريب وقال الحوقلى فى صفة
مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير فى ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض
بنى العباس على أحدهما الى قد بنيتهما فمن كان يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما فالهدم ايسر من البنين فهم بذلك
وأظنه المأمون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف فى الجباية وتوخي
الرفق بالارعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع اربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخمسين
ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا * وفى حذ الفسطاط فى غربى
النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط
وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعة مائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بججارة الكدان التى سلك الحجر
وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب مادعت الحاجة الى وضعه فى زيادته ونقصه وأوجبه
الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا فى البناء ضا قاحتي يصيرا علاهما من كل واحد منهما مثل مبرك بجل وقد مثلت
حيطانهما بالكاتب اليونانية وقد ذكر قوم انه ما قبران وليس كذلك وانما جعل صاحبهما على عملهما انه قضى
بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن فى مثلها ما خزن ذخائره وأمواله فيها واتى الطوفان
ثم نصب فصارا مكان فيما الى مصر بن مصر ايم بن حام بن نوح وقد خزن فيها بعض الملوك المتأخرين وجعلهما
هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم الوراق فى كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلى قد
اختلف فى أمره فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتسوا لحفظ البيوت السبعة وانه كان لترتيب عطارده
وباسمه سعى فان عطارده باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له
أولاد منهم طاو واثمن واثريب ووقف وانه كان حكيم زمانه وانه لما وفى دفن فى البناء الذى يعرف بمدينة مصر
بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والاخر قبر زوجته وقيل قبر ابنة الذى خلفه بعد موته

وهذه البنية يعنى الاهرام طولها بالذراع الهاشحي اربع مائة ذراع وثمانون ذراعاً على مساحة اربع مائة
وثمانين ذراعاً ثم ينحصر البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقداره سطحه اربعين ذراعاً هذا بالهندسة وفي
وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحدس
وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة صورة ذكرواثنى وقد تلاقيا بوجهيهما ويبد الذكرواح
من حجارة فيه كتابة ويبد الاثنى امرأة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها
غطاء ذهب فلما تلع فاذا فيها شبيه بالشار بغير رائحة قديس وفيها حقة ذهب تنزع رأسها فاذا فيها دم عبيط
ساعة قرعه الهواء جمد كما يجمد الدم وجف وعلى القبر وراغية حجارة فلما قلعت اذ ارجل ناظم على قفاه على نهاية
العصاة والخصاف بين الخلقة ظاهر الشعور والى جنبه امرأة على هيئة قال وذلك السطح منفرج وقامة كما يدور
مثل المسار ذات اراج من حجارة فيها صور وثمانيل وطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها
* وقال العلامة موفق الدين عبد الطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي
المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جادل عجمي فخل الى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف
أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الجمارين واكثر العسكر وأخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا
ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى
الهرم لا يجده الا تشعبا يسيرا وقد أشرفت على الجمارين فقلت لمقدمهم هل تقدر ان تعادته فقال لو بذلنا
السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يكنا ذلك * وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها
عظيم وبنائها عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابات
ولا المراتبها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهبا في الجوف نحو اربعة مائة
ذراع أو أكثر وكلما بعد ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وصحروا ممرار
الطبيعة وان من تلك الكتابات مكتوبا انا بنيناها نحن يدعى موازاتنا في الملك وبلغ القدرة واتتهاء أمر السلطان
فأهدمها ولبزل رمتها فان الهدم أسير من البناء والتفريق اسهل من التأليف * وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام
شرع يهدم بعضها فاذا خراج مصر لا يبق بقاعها وهي من الحجر والرخام وأنما تبقو للملك وكان الملك منهم
اذا مات وضع في حوض من حجارة ويسمى بصرو والشام الجرون واطبق عليه ثم بنى من الهرم على مقدار
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم ينظر عليه البنيان ثم يرفعون البناء
على المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض وبعد ذلك يرفع طولها تحت
الارض مائة ذراع أو أكثر والكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون
الهرم من هذه الاهرام مدورا حرافا كالدرج فاذا فرغوا انحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا
مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة * وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذان في الجانب الغربي من
فسطاط مصر هما من عجائب بانيان العالم كل واحد منهما اربعة مائة ذراع في عمك مثل ذلك مبدان بالحجر
العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانها يقابل ريجانها فأعظمها فيماتان ثار ريح الجنوب وهي المربسى
وأحد هذين الهرمين قبرا عاديون والاخر قبر هر مس وبينهم ما نحو ألف سنة وأعاد عيون المتقدم وكان سكان
مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهم ما قبل ظهور النصرانية فيسم على ما يوجب رأى الصابئين في النبوات لا على
طريق الوحي بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذب من ادناس هذا العالم فالتحدث بهم مواد علوية
فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد
ابن عاد وغيره من ملوكهم الساقفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق
وغيرهم وهي عندهم ذكرنا من الصابئين قبورا أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخي أنه وجد مكتوبا على
الاهرام بكتابتهم خط فعرّب فاذا هو بنى هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى
الهجرة النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتي عشرة مائة سنة شمسية
* وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية قديمة سوى نهاوند
وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر * وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي

في كتاب تحفة الالباب ان الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعدد هائمية عشرة هرما في مقابلة مصر الفسطاط
 ثلاثة اهرام اكبرها دوره الف ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما ثلاثون
 ذراعا في غلط عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم اعظم واكبر دوره ثلاثة
 آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم
 وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط قال
 وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة في وسطها بئر عميقة عشرة اذرع وهي مربعة
 ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من ترسيع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موقى من بنى آدم عليهم
 اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بات بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا طوالا
 ولم يستط من اجسامهم ولا من شعورهم شئ وايس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر
 الانسان أن يزيل عضوا من اعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغناط طول الزمان وفي تلك البئر أربعة
 من الدور علوة باجساد الموتى وفيها خفاش كثير وكانوا يدنون ايضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت ثيابا
 ملفوفة كثيرا مقدار جرمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق
 صمغ قوية بيض من كان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفي داخلها هدميت لم ينشأ من
 ريشه ولا من جسده شئ كانه قدماء الآن * وفي القبة التي في الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج
 عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيها في زمان المامون فأفوضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمى من حجر أخضر
 كالدخيل فخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين
 بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقية له وعند رأسه حجريا قوت أحمر كبضعة الدجاجة يضي كالهب النار
 نأخذ المامون * وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى
 عشرة وخسمائة * وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي روى علي بن الحسن بن خلف
 ابن زبير عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل من عجم مصر من قرية
 من قرأها تدعى قنط وكان عالما بأموال مصر وأحوالها وطالب الكتب القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة
 قال وأما الاهرام فان قوما احتفروا قبرا في دير أبي هرميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس
 مافوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فأرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأهم
 فلم يقدر واعليه فقبل لهم ان يدير القامون من أرض الفيوم راها يقرأ فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الضبعة
 فقرأهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في اول سنة من ملك ديقليطانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ
 في اول سنة من ملك فيلبس الملك وان فيلبس استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا حرفا وكان من
 الكتاب الاقل ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ايلو والاخر ثاوان الملك فيلبس سألهما عن سبب
 معرفتهما ما جعله الناس من قرأته فذكر انهما من أهل مصر الاوائل لم ينج من الطوفان من أهل مصر
 أحد غيره وكان سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فآمن به ولم يأت من أهل مصر غيره فحمله معه في السفينة فلما
 نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه نفر من ولد نوح وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب أهل مصر الاقل
 فورثاه عنه كبرا عن كبر وكان تاريخه الذي مضى الى أن استنسخه فيلبس ألفا وثلاثمائة واثنين وسبعمائة سنة وان
 الذي استنسخه في صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا حرفا على ما وجد فيلبس وان تاريخه الى أن استنسخه ألف
 وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنافيم لتدل عليه النجوم فرأينا أن آفة
 نازلة من السماء وخارجة من الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسد الارض وحيوانها ونباتها
 فلما تم اليقين من ذلك عندنا فالتفتا الى الكواكب سور يد بن سلهوق مريضا افروشات وقبرا لاهل بيتك فبنى لهم الهرم
 الشرقى وبني لآخيه هوجيت الهرم الغربى وبني لابن هوجيت الهرم الملقون وبنى افروشات في أسفل مصر
 واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غاض أمر النجوم وعلاها والصناعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر
 ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكاتبنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في اول
 دقيقة من رأس السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول

دقيقة من رأس الحمل وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق وأفردوبتر في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس في الحوت في سبع وعشرين ودقائق والموزهر في الميزان وواج القمر في الاسد في خمس درجات ودقائق * ثم نظرنا هل يكون بعده هذه الافة كونه مضرباً بالعالم فأصبنا الكواكب تدل على أن آفة نازلة من السماء الى الارض وانما ضد الافة الاولى وهي نار محرقة اقمار العالم ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضرباً فראبنا يكون عند حلول قلب الاسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاعداد ويكون ابليس معه في دقيقة واحدة متصلة بقوريس من ثلث ارامي ويكون راويس مشترى في اول الاسد في آخر احتراقه ومعنه آويس في دقيقة ويكون سائيس في الدلو مقابلاً لابليس الشمس ومعنه الذنب في اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديده مكث يوازي القمر ويكون هرمس عطارد في بعده الابدأ مامهما قبلين أما أفردوبطن فلا ستقامه وأما هرمس فلرجعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توفقه وناعليه غير هاتين الايتين قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثي سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحلت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم وای يوم فيه التحلل القلك قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس * فلما مات الملك سوريد بن مملوك دفن في الهرم الشرقي ودفن هو حيث في الهرم الغربي ودفن كروريس في الهرم الذي اسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان * واهذه الاهرام ابواب في ارج تحت الارض طول كل ارج مائة وخمسون ذراعاً * فأما باب الهرم الشرقي فن الناحية البحرية وأما باب ارج الهرم الموزر فن الناحية القبلية * وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحصى الوصف * وان مترجم هذا الكتاب من القبطي الى العربي ارجل التاريخين الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب فبلغت اربعة آلاف وثلثمائة واحدى وعشرين سنة لسنی الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه هذا فوجدناه ألفاً وسبعمائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوماً وثلاث عشرة ساعة وأربعة اقسام ساعة وتسعة وخمسين جزءاً من اربعة مائة جزء من ساعة فالتقاهما من الجيلة فبقي معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة ايام وعشر ساعات واحد وعشرون جزءاً من اربعة مائة جزء من ساعة فعمل ان هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسور من الساعة * وأما الهرم الذي يدعى ابي هرميس فانه قبر قرياس وكان فارس اهل مصر وكان يدين بألف فارس فاذا اقيم لم يقدروا به وانهم ماتوا وانه مات فجزع الملك عليه جزعاً بالغ منه واصل ما ثبت لموته الرعية فدفعوه بدير هريريس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذي بنى به مع الحجارة من القيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا بالقيوم وايس ينف ووسيم له شبه من المين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التي في بحري دير ابي هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان في ذراع وكاه ملوه كتباً مثل كتب البرابي يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفي هذا الهرم ذخائر صاحب من الذهب وحجارة الزمرذ واثماسة بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رءاه بيتا * وقال ابن عفير عن اسياسه ان جياذ بن مباد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية كانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذي سار وبني الاهرام وزبر فيها اناجياذ بن مباد بن شمر بن شداد الشاذ بزراعة الواد المويذ الاوتاد الجامع الصخر في البلاد المجند الاجناد الناصب العماد الكند الكاد فخرجه امة اسم نبيه احادية ذلك اذا غشي بلد البلاد سبعة ملوك اجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربع مائة سنة عداد * وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان شداد ابن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض الحديث ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أجيب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعده لكان علم عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي لما نزلت العم اليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنيت فيها العجايب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر الخزاعي * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب اربعة مائة مدينة سوى القرى من مصر الى

المغرب في غربي الأهرام * وقال ابن عفير ولم يزل مشايخنا من اهل مصر يقولون الأهرام بناها شتاد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذ مات احداهم دفن معه ماله كما تناما كان وان كان صانع دفن معه آلة صنعت به وكانت الصابئة تنسج الى الأهرام * وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الاسمار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طهمورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ عمالك الشرق وان اهل المغرب لما اندربه حكماؤهم بنوا البنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى ثم اوند وجدت كما هي واهرام مصر وبراياها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمة الله علم النجوم فدلته على أنه سبزل بالارض آفة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيه الى علم فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم وبذل على ذلك ما خلقوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الازهار الشاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتحجب منها والتفكر فيها وفي منها ما يقول ابو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي فيها

نضل العقول الهيريات رشدها * ولا يسلم الراى القويم من الافن

وقد كان ارباب الفصاحة كلها * رأوا احسانه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من اعظم الججارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عوده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها اربعة مائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جزا يعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المذايين للقسطاط من الجانب الغربى على ما شاهدناه منه اوقد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وانا أرى لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرى ليل والنهارهما معا وهذا الهرمان اهما انشرف على ارض مصر واطلال على بطائنها واصعدا في جوفها وهما اللذان أراد ابو الطيب المتنبي بقوله شعر

ابن الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تختلف الاسمار عن سكاكها * حينما يدركها الفناء فتنبع

وانفق يوما انا جرجنا اليهم فلما طفتناهم ما واستدنا حوالها كثيرا التحجب منهم اذ قال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرها * على طول ما ابصرت من هرمى مصر

انا فاعنا نال السماء وأشرفا * على الجواشرف السماء والنسر

وقد وافيا نشز من الارض عاليا * كأنهم ما نمدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا به على سائر الملوك بعد مماتهم كما غيروا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسيمى على نطاوول الدهور وترأخى العصور * ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بفتحها فقب أحد الهرمين المذايين للقسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوى ومراقى يمول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أنت عليها العصور الخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالملك بالنبوة والملك والحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان بن افوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان بعم الارض فأكثر من ببناء الأهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من

الذهب والدروس حفظها واحتياط عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون ان الذي بنى الهرمين المخاضيين للفسطاط شداد بن عاد لرويا رآها واقبض تنكر دخول العمالة بلاد مصر وتحقق أن بناها سوريد لرويا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة اشهر وغشاها بالدياج الملون وكتب عليهم ما قد بيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدهمهما في ستانة سنة فالهدم ايسر من البناء وكوناهما بالدياج الملون فليكسهما حصرا فالحصر أهون من الدياج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بناها لاتعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاعراق في العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امر الأمرى * فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تبد الظن * ن فيه الى الغرض الابعد

فيصغر من حيث عظمت * الفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من سعد الهرم الكبير أن يبدل حبله فكان طوله ألف ذراع بالذراع المكي وهو ذراع وخسان وتربعه أربعة مائة ذراع في مثلها وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن ثخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من متر وصبر * ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ابوان في صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع من رخام ونحت بحكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة اذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط الخرق صورة طائر في الأول من هذه العمدة صورة حمام من حجر أخضر وفي الاوسط صورة بازى من حجر أصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فخر كوا البازى فتحرك الباب الاول الذي في مقابله فرفعوا البازى قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التثالين الاخرين فارتفع البابان الاخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل بيت ثلاث حلال وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الاخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أوان من الذهب عجبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت وأمر فحطت العمدة فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هرا منها اتجاه مدينة الفسطاط ثلاثة اكبرها دوره ألف ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو ملوئ بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب فكان اناعمرنا هذا الهرم في ألف يوم وأبجنا لمن يهدمه في ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسونا جميعه بالدياج وأبجنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الدياج وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمي من حجر أخضر كالدخيل فيها طبق كالدواة ففتح فاذا فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره فصل سيف لاقية له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر في قدر بيضة الدجاجة فأخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنم الأخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستمائة من سنى الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها * وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سنى الهجرة ظهر بترية بوسير من ناحية الجزيرة بيت هرميس ففتح القاضي ابن الشهرزوري

وأخذ منه أشياء من جملتها كعباش وقرود وضفادع من حجر باهر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس * وقال ابن جرادة من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربع مائة ذراع وكلما ارتفع ذق وهما من رخام ومرمر والطول أربع مائة ذراع في عرض أربع مائة ذراع مكتوب عليهما باليد كل حجر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما اني بنيتهما فن يدعى قوة في ملكه فليد مهما فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما * وقال في كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد انقردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها مثال يظنهما الناظر للديار المصرية نهدين ويحسبهما القابل أن مكارم اهلها قد أعدت ما للكرام البوجين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن أنه حديث خرافه وقد اكر الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكما سبتر الجزيرة على سمت مصر القديمة تمتد نحواً من مسافة ثلاثة أيام وفي بوسير منها شئ كثير وبعضها بكار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط أملس * وقد كان منها بالجزيرة عدد كثير كما صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطوائش بهاء الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القنطرة في الجزيرة وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة ثلثها * وأما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجزيرة قبالة القسوط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جداً في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد الا في الزمان الطويل وتجده صغيراً بالقياس الى ذلك فاذا أتيت اليه وافردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر في تأمله * وقد سلك في بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الايام لا بل على عمرها صبر الزمان فانك اذا تأملت ما وجدت الاذهان الشريفة قد استعملت فيها والعقول الصافية قد افرغت عالياً بمجوهدها والانفس النيرة قد افاضت عليها أشرف ما عندها والمكاتب الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلاً في غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن سيرتهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويتدنى من قاعدة مربعة وينتهي الى نقطة * ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحمل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهباب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقى السطح * وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربعة مائة ذراع بالذراع السوداء وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع في مثلها وذكر أن بعض الزمارة رمى سهماً في قطراً أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذراع سطحها أحد عشر ذراعاً بذراع اليد وفي أحد هذين الهرمين مدخل لجهة الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهاالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلمه وإن اناساً كثيرين لهم غرام به وتحيل فيه فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن يتهوا الى ما يعجزون عن ساوكه * وأما السلوك المطروق كثيراً فزلاقة تفضي الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في اصل البناء وانما هو مقوب تقباصادف اتفاقاً وذكر أن المأمون قبحه * وحكي من دخله وصعد الى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وأنه ملوه بالخفافيش وأبوالها وتغظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها علمت مسالك للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة اذرع الى عشرين ذراعاً وسمكه من ذراعين الى ثلاثة اذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان أصح منه بحيث لا ينجذب بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين لونه الزرق لا يدري ما هو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالعلم القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جداً حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكنت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبراً عاديين والآخر قبر هرمس ويزعمون أنهم ما بينان عظيمان وان عاديين أقدم وأعظم وأنه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من أنظار البلاد * وكان

الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب المستقل بالملك بعد أبيه سؤل له جهله أصحابه أن يهدم هذه
الاهرام فبدأ بالصغير الآخر فأخرج اليه النقبان والحجارين وجساعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم
بهدمهم فخدموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ويرجلهم
يهدمون بكل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الجروا الحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين وقوم من
أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط جمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وتزلزل
الأرض ويغوص في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالأسافين بعدما يتقنون لها موضعاً
ويثبتون فيها فيه فتقطع قطعاً وتسحب كل قطعة على العجل حتى ياتي في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال
نواءهم ونفدت نفقاتهم وتضايف نصيبهم ووهت عزائمهم كففوا محسورين لم ينالوا بغية بل شقوا الهرم
وأبأنوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة ومع ذلك فإن الرائي لجارة الهرم يظن أنه قد
استوصل فلذا عاين الهرم ظناً أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه وحين ماشوه دت المشقة التي
يجدونها في هدم كل حجر مثل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً
إلى مكانه وهدمه هل كان يمكنكم فأقسم بالله أنهم ليجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبأزاء الاهرام
مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار لعل الفارس يدخلها برمح ويتخللها يوم الجمع ولا ينهيها بالكبرها
وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها مقاطع ججارة الاهرام * وأما مقاطع ججارة الهرم الآخر فيقال أنها
بالقلم وبأسوان وعند هذه الاهرام آثاراً بنية جبابرة ومغاير كثيرة منقبة وقلاترى من ذلك شياً الا ترى
عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة النبنى حيث يقول

خليلي ما تحت السماء بنية * تماثل في انقائها هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهرها الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفى في بديع بنائها * ولم يتنزه في المراد بها فكرى

أخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال

عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

انظر الى الهرمين اذ برزا * للعين في علو وفي صعود

وكأنما الأرض العريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن الثديين بارزة * تدعو الاله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يشبعها * ربا وينقذها من الكمد

لكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبابرة

لله اى عجيبه وغريبة * فى صنعة الاهرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب

فكأنما هى كالحياض مقامه * من غير ما عمد ولا اطناب

وقال آخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سر البالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر

لوي نطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأقول وبأخر

واذا هما بدىا لعيني ناظر * وصفاله اذنى جواد عائر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشى

الست ترى الاهرام دام بناؤها * ويفى لدينا العالم الانس والجن

بأن رضى الافلاك اكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطعن

وقال

قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * بادعيا الهرم
وقال

تخليلي لآباق على الحدثان * من الأول الباقي فيحدث ثاني
إلى هري مصر تناهت قوى الوري * وقدهرمت في دهرها الهرمان
فلا تنجبا أن قدهرمت فانما * رما في بقدان الشباب زمان
وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها * جنائقي العادين نتخبان
وايون ككسرى فانظرا فانه * يخبرك بالصدق كل اوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصني * ألا كل ما فوق البسيطة فاني
ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب
المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخسين وسبع مائة وأجاد

أصابني الأهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذ كرني قولاً تقادم عهده * اين الذي الهرمان من نيسانه
هن الجبال الشاخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها * لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عن * دهبوها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة * فباني الأهرام من اوثانه
أو قاتل يقتضي برجي نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزها ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للساكنات مرصد * يختار راصدا اعز مكانه
أو أنها وصفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
أو أنهم نقشوا على حيطانها * علماء الفلك في تبيانها
في قلب رائيها ليعلم نقشها * فكري بعض عليه طرف بنانه

(ذكر الصنم الذي يقال له ابو الهول) *

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً بلهيب وتقول اهل مصر اليوم ابو الهول * قال القاضي صنف الهرمين
وهو بلهوبه صنف كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول
ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابلان الحيزه * وقال في كتاب عجائب البنيان وعند
الأهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم تسميه الناس بابا الهول ويرعون أن جثته مدفونة تحت
الارض ويقتضي القياس بالنسبة الى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعاً فاصعدا وفي وجهه حجرة ودهان
يلع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسماً * وسئل
بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه ابى الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن
متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلاً مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك
الانف لرجل كان مشوهاً وكذلك انف الرجل لو كان اصبى لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء
فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر
أن يحفظ التناسب للاعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه * ويقال له في بر مصر قريسا
من دار الملك صنف عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى رأسه ماجور الجميع
صقوان مائع يزعم الناس أنه امرأة وانما سريته ابى الهول المذكور وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على
رأس ابى الهول خيط ومد الى سريته لكان على رأسها مستقيماً ويقال ان ابى الهول طلسم الرمل ينفعه عن

النيل وإن السرية طلسم الماء يجمعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله
 بأول السوق الكبير نيجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لتلا يغلب على البلد
 وقيل إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله وأن ظهر بلهيب إلى الرمل وظهر هذا إلى النيل وكل منهما مستقبل
 الشرق وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة أمير يعرف بيلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم
 المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا وقواعدنا أن يكون تحتها مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة خفر
 تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجوامع المستجدة بظاهر مصر
 المعروف بالجوامع الحديدية الناصرية وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم * وفي زمننا كان شخص
 يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخلق اتقاء الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين
 وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات وسار إلى الأهرام وشق وجه أبي الهول وشعته فهو على ذلك إلى اليوم
 ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجزيرة وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي
 فساد وجه أبي الهول والله عاقبة الأمور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وأعجب * وبينهما أبو الهول العجيب
 كعمارتين على رحيل * محبوين بينهما رقيب
 وماء النيل تحتها دموع * وصوت الريح عندهما غيب
 وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كتيب

ويقال إن أتريب بن قبط بن مصر بن يصر بن حام بن نوح أوصا أخاه صا عند موته أن يحمله في سفينة ويدفنه
 بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل أتريب وحاربوه تسع سنين
 فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر أتريب فخروه فلم يجدوا به شيئا وقد نقلته الشياطين
 إلى موضع أبي الهول ودقنته هناك بجانب قبر أبيه وجده يصرفازدادوا له تهمة وعادوا إلى مدينة منف
 وتحاربوا فأتاهم إبليس فدلهم على قبر أتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير قسكهم إلهم الشيطان
 على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما بعد وامن الأصنام وقتلوا صا ودفعوه على شاطئ النيل فكان
 النيل إذا زاد لعل قبره فافتتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلموا صاروا يسجدون لقبره كما يسجدوا لثلك لا تريب
 فعمد آخرون إلى حجر فحتموه على صورة أشعورم وكان يقال له أبو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون
 له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب له الديكة البيض وتجزره بالصندروس

* (ذكر الجبال) *

اعلم أن أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال قليلا الارتفاع وأحدهما أعظم
 من الآخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا والغربي جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض
 والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها وأوسع ما يكون أسفل أرض مصر وهذا الجبلان
 أقرعان لا يثبت فيهما نبات كما يكون في جبال البلدان الأخرى وعلته ذلك أنهما بورقيان ما لسان لا قوة طين مصر
 تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه
 الآبار منهما مالحة وهذا الجبلان يحفظان ما يدفن فيهما فان أرض مصر بالطبع قابلية الأمطار * وجبل لوقا
 في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض
 مصر إذا كانت على الأفق وتتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الأقليم فيطل على القسطنطين وعلى
 القاهرة الجبل المقطم

* (ذكر الجبل المقطم) *

اعلم أن الجبل المقطم أوله من اشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الطاهر حتى يأتي فرغانة إلى جبال
 اليم الممتدة بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فيقطعها ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم في
 وسطه ويستمر الجبل إلى الجورجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو والورد إلى طوس فيكون جميع مدن طوس
 فيه ويتصل به جبال أصهبان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور فيمر على

الجلجلة ويتصل بجبل الجودي موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستقرا من أعمال آدم وميثافارقين حتى يترثغور حلب فيسمى هناك جبل اللكام الى أن يعتدى الثغور فيسمى نهرا حتى يجاوز حصن فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى المقطم ثم يتشعب ويتصل واخر شعبه بنهاية الغرب ويقال انه عرف بمقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام * وجبل المقطم يمر على جانبي النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى أرض مقرة ويعضى مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر * وقال ابراهيم بن وصيف شاه وذكر محبي مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح الى أرض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوزه صر وعلومهم التي هي بخط البرابي وآثارهم والمعادن من الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل الصنعة يعني الكيمياء فجعل مصر ايم امرها الى رجل من اهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقي فسمى به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فتبيل له جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم اوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القاضي المقطم ذكر أبو عبد الله اليمني أن هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح وكان عبدا صالحا فأنقذ عبادة الله عز وجل فيه فسمى الجبل باسمه وليس هذا صحيحا لانه لا يعرف لمصر ولدا اسمه المقطم * والذي ذكره العلماء أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما ذكر ذلك علي بن الحسن الهنائي الدوسي النبوذ بكرا وع غيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضي الله عنه قال سال المقوقس عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار وفي نسخة بعشرين ألف دينار فجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط به ماء فساله فقال انالجد صفها في الكتب أن فيما غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انالاعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيما من مات قبلك من المؤمنين ولا تبعه بشئ فكان أول من قبر فيما رجلا من المعافري قال له عامر فليل عمرت فقال المقوقس لعمر وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن ابي عمر الكندي في فضائل مصر أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما الجبل لكم هذا أفرع ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا في الكتب انه كان أكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزل المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام أوحى الله الى الجبال اني مكلم بنبيا من انبياءي على جبل منكم فسمت الجبال كلها ونشأ تحت الا جليل بيت المقدس فانه هبط ونصا غر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به أخبر فتال اعظاما واجلالا لك يا رب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبات فجاءه المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعله لهم مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمر وما على هذا صالحتي فقطع له عمر قطيعا نحو الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى عليه السلام سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح مقدسي يري وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه السلام كان ينادي ربه بذلك الوادي * وروى أسد بن موسى قال شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان محمدي بن مريم عليه السلام مرت بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط واقه الى جانبه فالتفت اليها وقال يا امه هذه مقبرة امته محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس أن كعب الاحبار رضي الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهديني تربة من سفح مقطمها فأتاها منه بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة امر به فجعل في لحده تحت جنته * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه لا قدس ما بين القصير الى

اليحوم قال ابن ابيجة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الجبارة وما بعد ذلك فن الحوم وفي هذا الجبل حجر الجوهر وثني من الفولاذ وهو يمتد الى اقاصى بلاد السودان

(الجبل الاحمر)*

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقها الشمالي ويعرف باليحموم قال القاضي الجاهلي هي الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجباها وتنتهي هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها الجاهلي لاختلاف ألوانها واليحموم في كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بجذاء ساقية أبي عون التي في العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القاضي أن اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكري اليحموم بفتح أوله واسكان ثانيه قال الحرابي اليحموم جبل بمصر * وروى من طريق أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه سأل كعبا عن المقطم الملعون قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم * وذكر البكري أيضا أن عابدا بالباء الموحدة والبدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

(جبل يشكر)*

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولوني قال القاضي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من خليم وهو الذي عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور بأجابه الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على البركتين اعني بركة الفيل والبركة التي تعرف اليوم ببركة فارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور * (الكيش) هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة القسطنطين بعد فتح أرض مصر صار الكيش من جملة خطة الجراء القسوى وسمى الكيش * (الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاشان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذي بظاهر القاهرة فأحد هما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولوني ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الخارج وخط الجامع الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أي معتد

(ذكر الرصد)*

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبليه على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر والشرف الذي يعرف اليوم بالكيش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة الرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر من الشام تقا ويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سني الهجرة قبل مائة تقويم أو نحوها وكان منجم والحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم يجتهد في حسابه وما اتصل قدرته اليه فاذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فأنكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقويم على العادة جمع المجتهدين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الخلف بين التقويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهور المأموني ونحن نعمل على رأى الزيج الحاككي لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا في معنى ذلك بما هو مذکور في موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد

مستجذب يصحح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجلية والسعة الثريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسسته ومشيده الشيخ الاجل ابو الحسن بن أبي أسامة هذا القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الفضل ودعى بالأمون بن البطائحي فاستصوب الفضل ذلك وقال مروءة بهم بذلك ويستدعي ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه وكان الفضل غيوراً على كل شيء أشد ما عليه من يتفخر أو يلبس ثياباً مذكورة ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاکرام لتطيب نفسه للمباشرة وينشرح صدره ويقدر خطره لما يعمل في حقه فضجر الفضل من ذلك وقال لقد أكثر في مدح نفسه ولدته وما يعاملنا بعد لا حاجة الي معاملة ثم أشار القائد بن البطائحي وقال هنا من يبلغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرع وأطف معني ابوسعيد بن قرقة الطيب متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأخضره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذكر القدماء في العلم ومن رصد منهم واحداً واحداً الى آخرهم شرحاً مستوفياً كأنه يحفظه ظاهراً او يقرأه من كتاب فأعجب الفضل والحاضرين وقال اي شيء تحتاج فقال ما تحتاج ككبيراً مروءة والامور سهلة وكل ما احتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه الخناس والرصاص والآلات وكل ما احتاج أستدعيه اولاً اولاً الالنفقات وأجرة الصنائع فيسولها غيري فأعجب به وقال يطلق له جارة لنفسه فقال أنا مستخدم في عدة خدم بخوارى تكفي فأنام لولك الدولة ما احتاج الى جارة واذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود وكان قبل الفضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما يتفق عليه الامثل ما يتفق على مسجد أو مستنظر فرجع يكثر عليه القول فقال ها توارق فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة باطلاق مائتي قنطار من الخناس النجر وثمانين قنطاراً من الخناس القضيب الاندلسي وأربعين قنطاراً من الخناس الاحمر ومن الرصاص ألف قنطار ومن الحطب ومن الحديد والقولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شامد يتفق عليه فاذا فرغت أستدعي غيرها واختار موضعاً يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الفضل جميع ذلك وأراد أن يجمع عليه فقال القائد هذا فيما بعد اذا شوهت أعماله فقدم من اول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء فقتل الفضل ثاني سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا الرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيداً عن الحوائج فأجمعوا على سطح الحرف بالمسجد المعروف بالقبيلة الكبير وكان قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار فحفرها في مسجد القبيلة تقرأ في الجبل مكان الصهر يبع الآن فعلم فيه قباب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعاً وهدموا وحترروها بآبار ماء وعمل حوله عشرة هرج على كل هرجة منفذان وفي كل هرجة أحد عشر قنطاراً نحاساً وأقل وأكثر والجميع مائة قنطار وكسرت قصبوها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخوا الى الثانية من النهار وحضر الفضل بكرة وجلس على كرسى فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الفضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمرها بفتحها في لحظة ففتحت وسال الخناس كالماء الى القالب وكان قد بقي فيه بعض النداء فلما استقر به الخناس بجمارته تقعع المكان الندي فلم تتم الحلقة ولم يبردت وكشف عنها اذهى تامة ما خلا المكان الندي فضجر الفضل وضاق صدره ورعى الصنائع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلاطفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ما مع قط بمثلها لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كثيراً فقال له الفضل اهتم في اعادةها فسبكت وصحت ولم يحضر الفضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعلمت ورفعت الى سطح مسجد القبيلة وأحضرها جميع صنائع الخناس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مشعل عروس الطاحون وفيه

ساعد مثل ناف الطاحون وقديس بالحديد والجميع سندان جيد وطرف الساعد منها العدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والخزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائد بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصناعات والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقد تحت الحلقة اقباء وثيقة وأراد اقيامها على سطح مسجد القيلة فلم يتهبأ لهم فانهم وجدوا المشرق لا قبل بوزن الشمس مسدودا فانفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي بمجاورة الانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الافضل بناءه ألتف من جامع القيلة ولم يكمل فلما صار يرسم الرصد كل فخر الافضل في نقل الحلقة من جامع القيلة الى المسجد الجيوشي وقد حضرت الصواري الطوال العظام والسيريات والمخيمات من الاسكندرية وغيرها وجعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والهند حتى ادلوه وجالوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلهما وأعلاههما حتى لا يرتجى ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوكة بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعلمت من نحاس نما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صفائح الخيف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدتها ما كانوا يجزرونها بالشواقل وعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق وبقدر زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش فرصدوا قدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة مائة وقيل للافضل عن ابن قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو اخضرت منها كان أهون فقال وحق نعمتيك لو أمكني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على السور فعلت فكما كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في العالم العلوي ثم اكثروا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها أقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فلما كمل قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الابرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين ديناراً فلما تمت الوزارة للمأمون البطاحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعتالين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء بجملة دراهم فلما صار فرق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعباً عظيماً لخوفهم أن يصدف فيغير فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب ونكثوا الرجال في جذب الماسحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمل مدة كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت في قندق بالاطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سهلاً عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى وتجرد المأمون اعمالها والحلث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر أبو جعفر بن حسنداي وأبو البركات بن ابي الليث صاحب الديوان ويسدها الحل والعقد فقال له المأمون اطاع اليهم كل يوم وای شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلما أراد ان يبق المأمون قليلاً كان كل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسة مائة وكان من جملة ما تعدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلقة بكونه سماه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الامر بأحكام الله وأما العامة والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحداً أن يذكره وأمر فكسر وحمل الى المناخت وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين

رسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي بن أبي العيش والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو التجاني سند الساعاتي الاسكندراني المهندس وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثمي وأبي نصر تليذ سهلون وابن دياب والقلعي وجاعة يحضرون كل يوم إلى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث وكان ابن حسنداي رجلاً تأخر في بعض الأيام فإنه كان أمراً عظيماً صاحب كبرياء وهيبة وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويطلعه بمن غاب منهم لأنه كان كثيراً التفقد للأمور كلها وله نمازون وأصحاب أخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شيء من أحوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد من الأعمال من يأتيه بسائر أخبارها وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالصد حيث جامع القلعة عامراً فيه عدة مساكن ومساجد وبه أناس مقيمون دائماً وقد خرب ما هناك وصار لا أنيس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من أماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فإذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالصد نقل بسواقي هناك قد أنشئت إلى أن يصير إلى القلعة فمات ولم يكمل ما أراد من ذلك كما ذكر في أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد منتزهاً لاهل مصر ويقال إن المزلدين الله معداً لما قدم من بلاد المغرب إلى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد جوهر فأنك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال إن اللعم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق قلعة الجبل فتغير بعد يومين وليتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة أيام ولياليها لطيب هوأته ولله در القائل

يا ليلة عاش مروري بها * ومات من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق في المشتى * وبات من يرقبنا بالصد

(ذكر مدائن أرض مصر)

قال ابن سيده مدن بالمكان أقام والمدينة الحصن بيني في اسطحة الأرض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فاعيلة وقال العلامة أثير الدين أبو حيان المدينة معروفة مشهقة من مدن فهي فاعيلة ومن ذهب إلى أنها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجتماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مدائن بالياء ولا ضرورة تدعو إلى أنها مفعلة من دان ويقطع بأنها فاعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة وأعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر * وأول مدينة عرف اسمها في أرض مصر مدينة امسوس وقد حفر الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة إلى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيلبش المقدوني من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر إلى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح أرض مصر فاخترت فسطاط مصر وصارت مدينة مصر إلى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعزدين الله أبي تميم معد وملك مصر واختط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر إلى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر إلى يومنا هذا * وفي أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة الهنسا ومدينة القيس ومدينة طلحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره ومدينة فقط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو ونغراسوان وادركاه ومدينة هذه مدائن الوجه القبلي وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد انريس ومن سكن منهم أسفل الأرض يسمونه البجا وفي الوجه البحري مدينة فوب من الحوف الشرقي أسفل الأرض ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة تنوا ومن قراها ناحية زنكلون ومدينة قني ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قريط ومدينة البنتون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف

يضاً ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهى دميره ومدينة تيسه ومدينة الافراحون ومن جله قراها نسا
ومدينة بقيه ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة سمند ومدينة نوسا ومدينة سبقي ومدينة النجوم
وقد غلب على مدينة النجوم المال والسباح ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة القرمه ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برونوط ومدينة قرطسا
ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الأرض
الطابلس وهى بترية وفى كورا القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله ومدينة مدين
واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفه وقد استحدث فى الاسلام بعض مدائن وسائقى من
أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفى * وديار مصر اليوم وجهان قبلى وبحرى جلتها خمس عشرة ولاية * فالوجه
القبلى اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة
من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم
وعمل اطفح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل
الغربية وهى جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحر من بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التى تسمى
جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشمر وطناح ومنها الدقهلية والمراتية وهما موضع ثغر
البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما * وذكر
ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهى اتمه من اهل ايله ملكوا الارض وقسموا الصعيد على
ثمانين كورة وجعلوه اربعة أقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة فى كورتها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
والكور مثل اخميم وقفت وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده
أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد أنصنا الى الجنادل وأعطى ولده صا
من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى ولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها وأعطى ولده
قفت غربى الصعيد الى الجنادل وأعطى ولده اتريب شرق الارض الى البرية بترية فاران وأعطى لبناته الثلاثة
وهن القرمه وسريام وبدورة قساعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهم

* (ذكر مدينة أمسوس وعجائبها ولو كها) *

قال الاسناناذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب فى كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها
أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصر ايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن مركايل
ابن دوايل بن عراب بن آدم عليه السلام ركب فى سيف وسبعين راكبا من بنى عراب جبابرة كلهم يطلبون موضعا
يقطنون فيه فراروا من بنى آيهم عندما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قاييل بن آدم فلم يزلوا
يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الابنية المحكمه وبنى
نقراوش مصر وهما هابا اسم آيهم مصر ايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التى تعلمها دوايل من آدم عليه السلام فى الاعلام وأقام الاساطين وعمل
المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المدائن فكل علم جليل كان فى ايدى
المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرورا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن الذى
ركب مع نوح عليه السلام فى السفينة ونقراوش هو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى
يتهاون لها ومنها صنم من حجر أسود فى وسط المدينة تنجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن
يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقت عليه فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منارعال لا يزال عليها
سحاب يطلع فكل من استطرها أمطرت عليه ماشاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملاها
كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصدا رسلت تلك الاصنام من أفواهها نارا احرقته وعمل
فوق جبل بطرس منارا يفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان
ويقال انه هو الذى أصح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وأنه وجهه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه

وشقوا نهرًا عظيمًا منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروب وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزفتي ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه إلى بطن البحر ويقال أنه هو الذي عمل التماثيل التي هنالك وعاد إلى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الأكبر واسمه تقاوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبني لابنه الأصغر واسمه مصرايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكًا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطنج جسده بأدوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرة وزبروا على الناوس تاريخ موته وأقاموا عليه طليسمانًا ينع من الحشرات المفسدة * وملك بعده ابنه تقاوش بن نقراوش وكان كأيبيه في علم الكهانة والطلسمات وهو أول من عمل بمصر هيكلًا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألبسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدنة وخرج من أمسوس مغربًا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان إلى النيل وأمر ببناء طائط على جنب النيل وعمل له ابوابًا يخرج منها الماء وبني في صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملقونة شفافه وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفي أحدها صنم للشمس على صورة إنسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي أحدها صنم رأس إنسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد علمت من زئبق مة وقد دلها ذؤابان في يدها مراماة وعلى رأسها مورة كوكب وقد رفعت المراماة إليها إلى وجهها وفي أحدها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد إليها ولا يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد علم من الفير وزج وبين يديه صبية جالوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعني عطارد وهو ينظر إلى مائدة بين يديه من نوحا در على قوائم من كبريت أحمر وفي وسطها مصفحة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت أصفر وبين يديه حبة زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه وجعل فيها مصفحة المزنج وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من آنك على أربعة أعمدة من جزع أزرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بصفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل في بقية الخزائن من كنوز الأموال والجواهر والحلي واكسير الصنعة وصنوف الأدوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طليسمان يمنع من دخولها أو إخراجها مسارب تحت الأرض ينفذ بعضها إلى بعض طول كل سرب ثلاثة أسياط وبني أيضا مدينة بأرض مصر اسمها حلجمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب وغرس فيها أصناف الأشجار وأجرى تحتها الأنهار وغرس فيها شجرة مولدة طعام سائر القواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين إذا خرج أحد من بيته في الليل هلك وأقام بها أساطين زبر على جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل في ناوس مطليسم ودفن فيه * وذلك بعده أخوه مصرايم بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكمًا فعمل هيكلًا للشمس من مرمر موهو بذهب أحمر وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم أنه ذال الاسد وركبها وسار إلى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنمًا من نحاس زبر عليه أنام مصرايم الجبار ككاشف الأسرار الغالب القهار وضعت الطليسمات الصادقة وأتت الصور بالاطقة وتصبب الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا يهلك أحد أشد من أيدي وعاد إلى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن

آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقاتهم بعد ما أعلم مصراهم فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة مائنة ملأت قلوبهم رعبا فخرؤا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع إلى مواضعهم ولم يروه بعد ذلك * فلما بعده خلفته عيقاتهم وقد حكى عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال إن أدريس عليه السلام رفع في أيامه وأنه رأى في علمه كرون الطوفان فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصر من نحاس وجعل فيه خمسة وعشرين عمالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلقها ويصب في بطحاء تنتهي إلى مصر وسار إليه من أمسوس فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الأفلان وغيرها وكان قصره اتسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموائد وعلمها من كل الأطعمة الفاخرة في الأواني النفيسة ما لو كل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من علمها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وتري حركته من وراء ما جدد منه فأعجب بما رأى وعاد إلى أمسوس واستخاف ابنه عرياق وقلده الملك وأوصاه وعاد إلى ذلك القصر وأقام به حتى هلك وإلى عيقاتهم هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه تواريتهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقات ويقال له الأثيم فعمل أعمالا عجيبا منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخرطيف إذا قرب الظلم منها أخذته تلك الخيطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه نطسه ومنها صنم من كد ان اسود سماء عبد زحل كانوا يتحكون اليه فن زاع عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر إلى الكوكب وتضرع وذكر اسم عرياق فإذا أصبح وجد حاجته على يابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولطخها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش إليها حتى يتمكن من صيدها وكان إذا غضب على أهل أقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الأيداق ويقال إن هاروت وماروت كانا في زمانه وأنه بنى جنة عظيمة واغتصب النساء الحسنات واسكنن فيها فعملت عليه امرأة منهن وبنته فهلك * وملك بعده لوجيم بن نقاوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم القتي وهو الذي أخذ الملك من عرياق بن عيقات الكاهن وردة لبني نقراوش بعد ما خرج منهم بالحرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطبسمات فعمل أعمالا عجيبا منها أن الغداف والغراب كثري أيامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الأربع وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنقرت عنهم الطيور المضرة من حينئذ ولم تقر بهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصف للريعية عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن في ناوس ومعه كنوز وعمل عليه طلسم يمنع * وملك بعده ابنه خالص وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل أعمالا عجيبا وهو أول من عمل مقياس الزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبها عقابان من نحاس أحدهما ذكر والاخر أنثى فإذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصغروا حد العقابين فان صفرا ذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك للغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل ولما مات جعل في ناوس ومعه كنوز وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هو مال ويقال يوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سومال بن لوجيم الملك النقراوشى من بني نقراوش الجبار ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في أيامه وكان فاضلا عالما بالسحر والطبسمات فعمل عجائب منها أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل فشق الأرض وخرج منه مستكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولده عشرون ولدا فجعل مع كل واحد منهم قطرا وهو رأس الكهنة وأقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم لزم الهياكل وأقام أولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه آياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان فلما ملك نفي جميع إخوته إلى المدائن الداخلة في الغرب واقتصر على امرأته من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن القرش وحمله على الماء وصار

يجلس فيه فينجاها وفيه ذات يوم اذهبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه في القصر * وملك بعده أخوه عمرو الجبار ويقال عمرو بن هوصل فأحسن السيرة وأنصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز أخيهم فسرت الناس به وطلب امرأته أخيه الساحرة فقترت منه بانيها الى مدينة ميلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحاولوه على طلب الملك فسار وخرج اليه عمرو واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعلمت له أعمالا عجيبه منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكأنوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعالوم العالم فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التن والحشرات ودفنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها تسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بمخائب وتنجيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعد ما طلى بالادوية المانعة من التن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد * وملك بعده ابنه شرياق ويقال له شرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصل وكان ككأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبه منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن الغرب وبني عليه أعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بني فراثي بن آدم ويقال من بني صوانتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر لياخذ ملكها فقبل له انك لا تقدر عليها السحر أهلها فتكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منارعال وكان طائر أعظم انقض عليه ليخطفه فحاده حتى كاد يقطع من المنار فجأزه الطائر وسلم منه فاتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك وتظن في نخومه فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حده مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجائب مصر كلها البروها فأوثقهم وساروا بهم وأوقفهم على عجائب أرض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شرياق مقيما فعند ما وصلوا اليها أظهرت السحرة القنائل العجيبة فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريأ لم تضربه ومن كان يريد بالملك سوا أو أضمر له مكرها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحد بعد واحد من غير أن تضربهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار أخذته بحجرها فولى هاربا فأتاه نعو حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق فلم يزل به حتى اعترف فأمر بصلبه فعلم على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل اليه وعفان الباقي فسلوا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جنى أو أنسى أو سبغ أو طائر وعمل بالمدينة قبة مربعة على سبعة أركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة أخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاوّل من القبة أسد ولبوة من صفر وهما راياض كان يذبح لهما جروا أسود ويخبرهما بشعره وعلى الباب الثاني ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويخبرهما بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويخبرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاة يذبح لهما سمخلة ويخبرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ

ثعلب ويخترهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وانشاء يذبح لهما فرخ عقاب ويخترهما بريشه وعلى الباب السابع نسر وانشاء يذبح لهما فرخ نسر ويخترهما بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح له وتحرق سائر القرابين ويوضع زماها تحت عتبات ابواب القبة وجعل لهذه القبة سدة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخضم اذا تقدم الى شئ من تلك الصور وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر لذكر والاني للاني فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه في النوم وهو يأمره أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفحتها كذا على بابها أفعى لها رأسان اذا قبل اليها كشرت في وجهه فخذ معك طائر من صغيرين ذكر وانثى فاذهبهما اليها وألقهما اليها ما فانها تأخذ برأسيهما وتنتهي بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجديفها امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحسن بجرارتها فلا تدن منها تتحرق وان كان اقعدها وهاهنا وسلم عليا فانها تخاطبك فانهم ما تقول لك واعمل به فانك تشرف بذلك وتذلك على كنوز جنة مصرام فانها حافظة لها فلما اتبه عمل ما امره ابوه فلما اقعده بجانب المرأة وسلم قالت له أتعرفني قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة في الامم الخالية وقد أردت أن تنجي ذكرى وتجدي لي بيتا تقدي فيه نارا دائمة بقدر واحد وتخذلها عيذا في كل سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ ذلك عندى يدا اينك يا شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأذلك على كنوز جنة مصرام فضمن لها أن يفعل كل ما أمرته به فدلته على الكنوز التي تحت الدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من الارواح الموكلة بها وما ينبغي منها ثم قال لها كيف لي بأن أراك في وقت آخر قالت لا تعد فان الافعى لا تمكث ولكن بجري بيتك كذا فاني آتيك بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ كنوز مصرام ولما مات جعل في ناوس ومعه سائر امواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده *

وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبي الخراج بمصر وأول من امر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبا منها امر أن يخلط كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف فيما ما حدث من الحوادث وما ينجب منها وما يجذب وأقام هذه المرأة في وسط مدينة أمسوس وكانت من نحاس وعمل في أمسوس صورة امرأة جالسة في حجرها صبي ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر اذا أصابها علة في موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بشدي الصورة فيغزر لبنها وان قل حبضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حبضها وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التحبب الى زوجها مسحت وجهها وتقول اقم لي كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تنوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها الطوفان وفي كتب القبط انهم اوجدت بعد الطوفان وأن اكثر الناس عبدها وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة فكان من أصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شدد ابن عاد والقبط تنكر أن تكون العادة دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة وانه ملك مائة سنة وتسعين سنة * فلما بعده ابنه هر جيب وكان كائيه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبا واستخرج معادن كثيرة واظهر علم الكيمياء وبنى اهرام دهنور وجل اليها اموالا عظيمة وجواهر نفيسة وعقائير وسمومات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشج رجل رجلا فامر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فلما المسروق له رق السارق ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع امواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوس وكان كائيه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سفا كاللدماء يتزع النساء من ازواجهن ويبيع ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبا واستخرج كنوزا بنى قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل حصباء هامنا اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم الغريبة فقتل منهم خلائق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب

* ومالك بعده ابنه افروس وكان كاتبة في العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي غصبن في أيام أبيه على أزواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعاً في عرض مائة ذراعاً وركب في جوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتقر ساعة وعمل في وسط مدينة أمسوس مناراً عليه راس إنسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل مناراً عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بالطوخت فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا نضى له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الأمطار فاذا طلع النهار خدضوها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهناً من زبرجد قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنماً عظيماً قائماً على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور بلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر فاذا شرقت الشمس استقبلها بوجهه وبني بصحرآء الغرب مدناً كثيرة وأودعها كنوزاً عظيمة وتكج ثمانية امرأة ولم يولد له ولدان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهائم ولما مات وضع في ناوس بالجبل الشرقي ومعه امواله وطلسم عليه * ومالك بعده ارما لينوس فعمل أعمالاً عجيبية وبني مدناً ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جباراً فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه فقهر ملوكاً وقتل ائمة عظيمة وغنم اموالاً كثيرة وعاد فشغقت به امرأة من نساء الملك وما زالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة فخافا الملك أن يظن بهما فعملت المرأة لارما لينوس سمياً في شرابه هلاك منه * ومالك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم ينازعه احد لشجاءته وسياسته ولم تطل اعوامه حتى رأى قليمون الكاهن كان طيوراً ايضا قد نزلت من السماء وهي تقول من أراد الحياة فليلق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الالهram لاجل ذلك واتخذ الناس سرايب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها تدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة فما كذب أن جمع اهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمارتها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة أشهر ووصل الى أنصاف الهرم بين العظيمين وسأى خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر من مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتياً متجبراً يغصب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشيل بن لحويل يسأل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهيما كل فتمسدت في أيامه أرض مصر ونقص الزرع واجدبت النواحي لانهما كفي ضلاله وظلمه واقباله على لهوه ولعبه وان الناس اقتصدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما قبل الطوفان وسحت الأمطار قام سكران يريد الهرب الى الهرم فتخلخت الارض به وطلب الابواب فحاطته رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالعم والله تعالى أعلم

* (ذكر مدينة منف وملوكها)

هذه المدينة كانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر وهي اول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها الى أن اخرجها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع البيان في تفسير القرءان عن السدي أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب كراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب مركباً في اثره فأدركه المقييل في أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام يصير بن حام بن نوح فسكن منف وهي اول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة اولاد قد بدوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماج وياج بنو يصير وكان مصر اكبرهم فبذل ذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هناك منازل كثيرة وقال ابن جرير ادويه في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذها

سبعين باباً من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفير وفيها كانت الانهار تجري من تحت سريريه وهي أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير حتى أن الماء ليجري تحت منازلها وأقنيتها فيحبسونه كيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقطت من الاصنام في الساعة التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بق منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقي اصحابها متعجبين لا يعلمون لها سبباً اوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران الجاوران للبيت الاخضر الذي كان به صنم العزير وكان من ذهب وعيناه باقوتان لا يقدر على مثلها مائتم قطعت الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ست مائة * ويقال كانت منف ثلاثين ميلاً طولاً في عشرين ميلاً عرضاً وإن بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصر ايم الله تحمل الماء حتى تلقى به على أعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجاً مجوفة كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة * وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجهه باب بصور حبات ناشرة صدورها والواجمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من حلة سبعة بيوت كانت بمنف للسكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمري بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شيء في خانقاهه وجامعه الذي بخط الصليبية خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الالباب ورأيت في قصر فرعون موسى بيتاً كبيراً من صخرة واحدة اخضر كالأس فيه صورة الافلاك والنجوم لم نرغباً احسن منه * وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من القسطنطينية الاسكندرية مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها فكانت دار العلم ومقر المحكمة الى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخط عروب بن العاص مدبنته المعروفة بالقسطنطينية فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمارت أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ونازل الماء كان أول من ملك مصر بعد الطوفان يبصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الحسابة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان قايون الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد تزوج ابنته ببصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولداً سماه مصر ايم فلما مات يبصر دفن في موضع ديار أبي هرميس ويقال ديار أبي هرميس غربي الاهرام ويقال انها اول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصر ايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بني يافث فعلم له سوراً قائماً وصنع له درجاً وأجرى الماء الى أن بقي يصعد الى أعلى السور بحكمة اتقنها ثم نزل ذلك الماء من أعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه الصناعة من يموت لا صنعت من يدوم * وملك بعد يبصر ابنه مصر ايم (ويقال له مصر) بن يبصر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعهم على حكمهم وبنى مصر ايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهي العريش ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابناً سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصر ايم جعل له منبر طوله مائة وخمسون ذراعاً وبسط بالمرمر الأبيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد وتتش في صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده في جسد من زبرجد اخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعاً دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزانته من ذهب وفضة وجوهر

من اولاد الكهنة نقلها فعمل شجرة من نخاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حية وعلى ظهره اسطر
فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت في ايامه على أرض مصر من
ناحية الغرب فعمل صنمان صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها سمحة ونقش على وجهه وصدره
وذراعيه كناية وجعل وجهه الى الغرب فأنكشت الرمال ورجعت به الريح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث
بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي النيل وكان قبله يفيض في
مواضع ويتقطع في مواضع وسار مغربا بالنظر ما وراء ذلك فوقع على أرض واسعة ينحرق فيها الماء والاشجار
فبنى فيها منزهات وأقام بها وحول اليها عدة من اهلها فعمرها تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها
معمورة ثم خالطهم البربر وحرت بينهم حروب كثيرة اقتسمهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان
البوديسير احتجب عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر ويرى خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن أول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البوديسير
وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها انه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه
وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو حاول الشمس في برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم
وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في اعلاها
وله وجه عظيم فيخاطبهم * (فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون) وكان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة
منها أنه كان يجلس في السحاب فيرويه في صورة انسان عظيم وأقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا
بغير ملك ثم رأوا صورة بمجدهاء جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرهم أن يقلدوا الملك عديم بن
قسطيم وأعلمهم أنه مابقي يعود اليهم * (قولوا عليهم عديم بن قسطيم) وكان جبارا عظيما وهو اول من صلب
وذلك أن امرأة ورجلا زينا فلبسهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبنى اربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة
وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر
على أرض مصر وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة
وثلاثون سنة * (وملك بعده ابنه شدات بن عديم) وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما
كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذي بنى الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجبية وبنى في الجاناب
الشرقي مدائن وفي ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح
وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل في بركة سبيوط خمس منسوبة تنصب اليها التماسيح من النيل
انصبا بافقتلها ويلقى جلودها في السفن واتفق أنه طرد صيدا فكباه فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب
على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه
امواله وعمل عليه طلسم يمنع من يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل
مالا يجوز له فعله فيجازي بعده هذا ناوس بن شدات بن عديم فمل ما لا يحل له ففعله فمكوفى عليه بمثل * (وملك
بعده ابنه منقاوش وكان حكيمافاضلا كاهنا عمل أعمالا عجبية وبنى اشياء مجيبة منها انه عمل هيكلا لصور
الكواكب على ثمانية فرائخ من منف وكثر من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره
وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر فاتهى في اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا
ومغاري ودفن فيها امواله ووزر عليها حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهبيا وجواهر
وأقام اربع سنين يرسل في كل سنة بجلا كثيرة يدفنها وقيمت آثار العجل ترى فيما بين منف والغرب زمانا طويلا
وبنى هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنى مدينة منف لبنائه وكان ثلاثين بيتا وانه ألزم الناس بعمل الكيمياء
فكانوا لا يفترقون عن علمها ليللا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو الذي بنى مدينة عين شمس
وقسم خراج مصر ارباعا جعل الربع للملك والربع للجند والربع يتفق في مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة
تحدث وهو الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات * (ملك
بعده ابنه عديم بن منقاوش) وكان جبارا لا يطاق وفي ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر
والقبط تزعم انهما نزلا بأرض مصر ثم نقلا الى بابل * (ثم ملك بعده أخوه منقاوش وكان عالما كاهنا

فاضلابني مواضع كثيرة في الجبال والصحارى وكثر فيها كنوز عظيمة وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكثر حولها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة * (ولمات ملك بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه ومات وقد أقام إحدى عشرة سنة * (فلما بعده اشمون بن قبطيم بن مصر بن بصير بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذي برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها وبني في شرقي النيل مدينة انصنا وبني بها قصرا عظيما واتخذ بها أبنية وملاعب وبجانب كثيرة وبني مدينة طهر اطميس وهو أول من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة ابواب من كل ناحية باب فعمل الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة ثور وعلى الباب الشمالي صورة أسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات تنطق فاذا قدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفان من الكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تترك كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسى من تلك الالوان شعاعا مثل لونها وجرى حول المنار ماء شق من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات في هيئة اناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة وعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبني بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب وبني بجبال مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبني سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ست مائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الجبال الى وادي القري فعاد اشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو أول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت مدينة الهنسا ولمامات جعل له ناوس في آخر حد الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برينة من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنع من يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقيوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبني القري ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبني مدائن منها مدينة اخميم وحول الكهنة اليها وأقام ملكا فيها وأربعين سنة ومات ودفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه * (وملك بعده ابنه وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا جازما معظما عند أهل مصر وهو أول من عمل المارستان وأول من عمل الميدان للرياضة وفي ايامه بنيت مدينة سترية في صحراء الواحات ثم ان نساء تغاريين عليه فقتلته احداهن بسيفين فدفن في ناوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرة وره) وكان حكيما كاهنا وهو أول من ذل السباع وركبها وبني المدن وعمر الهياكل وأقام الاصنام ولمامات جعل له ناوس في صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صيبا فدبرت امة امر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له امة أعمالا عجيبا وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة ووجدت فمات وانتقل الملك الى أعمامه * (فلما بعده اتريب بن قبطيم بن مصر ايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى مدينة اتريب وعاش خمسة مائة سنة منها مائة ملكة ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف في أيام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكات البهاثم بأرض مصر ولم يبق بها بيمة ورؤى اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبض هماما من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة ويبيع كل أردب بدائق وأقل ولمامات اتهم اخوه صابقة له وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه * (فلما بعده ابنه تدرورة) وكانت كاهنة ساحرة فساوت الملك احسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبا منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا

ووقعت في زمانه اصبحة ارتجت لها الارض فهلكت * (وملك بعدها أخوها قليون بن اتريب) وكان حكمهما
فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات وفي أيامه بنيت مدينة نينس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين
سنة ومات فدفن في ناوس * (وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدد الهياكل وكان
حذرا فقصده بعض ملوك حمير في جوع عظيمة فخرج اليهم وابقه بمدينة ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تفرقوا من
الفريقين معظمهما وأظهر المصريون اشياء من سحرهم فانهم زعم الحميري في طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة
اصحابه وأخذ ما كان معهم وعاده ظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه امرأة تجذب
المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتي سنة وستين سنة ومات
فدفن في ناوس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوي على اثني عشر بيتا في كل بيت اعجوبة ودفن
معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده نحو أربعة وصار الملك الى صابن قبطيم) وكان اصغر ولداً ليه
وأحبهم اليه * (ولمات ملك بعده نوبية الكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم
اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار وكانت تتصور
كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في سورها أنابيب من نحاس مجوفة
وكتبت على كل أنبوب فتانمن الفنون التي يتحكم الناس بها اليها فكان من أنها في محاسبة وقف عند
الانبوب الذي فيه محاسبته وتكلم بما يريد وسأل عنه بصوت خفي فاذا فرغ جعل اذنه في الانبوب فيأبته منه
جواب ما سأل ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر * (وملك بعدها مرقونس) وكان
فاضلا حكيمار كانت امه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة وملك ثلاثا واربعة
سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة * (فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة) وكان
جبارا طماع العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكان كبيرهم الهو واللعب فجمع كل مله في مملكته
ورفض العلوم وأهمل أمر الهياكل والكهنة وترك النظر في أحوال الناس وبني قصورا على النيل لبيتزده فيها
وأتلف كثيرا الاموال في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سمعوا نجات عن مائة وعشرين سنة * (وملك
بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو أخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير
وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب
الذي عمله أبوه وترقى هيكله ودعا اليه وبني بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على
الاطراف اصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على حافتي النيل منابر يوقد عليها اذا حرقهم
أمر أو قصد هم أحد وجعل بحافة بحر الملح منابر يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل
بنيان عظيم بالاسكندرية وكان للملك البلد بأسره جمع الحكما ونظر في النجوم وكان بها حادفا رأى أن مصر
لا بد أن تغرق من نيلها وانها تنخر على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح
الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مراكب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل
الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفتر منه صا الى المدائن الداخلة وتخصن بها من عدوه فامتنعت بالطلسمات
أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه من زما ورجع الى منف فتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا
سبعًا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة * (وملك ابنه تدراس واستولى على الاحياز كلها واصفاه الوقت
وملك مصر وكان محتكما محترما أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل واهلها قايما احسنا
وبني بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض
اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل ثلاثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا زهاء ألف
ألف فهزموهم وقتل اكثرهم وأسروهم خلقا كثيرا وساق القليلة والنور الى مصر وعمل على حدود بلاده منارات
زبر عليها اسمه ومسيره وظفروه وفي أيامه بعث الله نبيه صالحا الى عود ويقال انه هو الذي انزل النوبة حيث هي
وذلك أنه لما أوغل في أرض الحبشة وقتل ام السودان وجد فيهم امة تقرأ أحصاف آدم وشيث وادريس فمن عليها
وأزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا النوبة ومات بمنف * (فملك بعده ابنه مانيق) وكان عادلا كريما
حسن الصورة محترما خالفا لبيه وأهل مصر في عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده

قبطيم ومصر ايم وكانت القبط تذمه لذلك وأمر الناس بالتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثرا الاسفار
وانشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فنهزمهم واستاصل اكثرهم
وبلغ أفريقيا وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يزل يمازى الأبادها فخذله ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب
صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل
أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع فلقاه اهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع
الاهو وفروشت له الطرقات فهما به الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحد حتى مات * (فلما بعده ابنه حزابا)
وكان ليثنا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا
الهند والسودان بعد ما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه اصحابه
واستخلف ابنه كلكلي على مصر وكان صيا وجعل معه وزيرا كاهنا فخر على ساحل اليمن وعاش في مدائنه وبلغ
سرنديب وأوقع بأهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذن له اهلها وتقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه
أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غائما فها به الملوك وبني عدة هياكل وأقام بها الاصنام للكهواكب
ثم غزا نواحي الشام فأطاعه اهلها ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار
الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خساوس سبعين سنة
* (فقام ابنه كلكلي) وعقد له بالاسكندرية فأقام بها شهرا ثم قدم الى منف وكان أصناما فسر به اهل مصر
وكان يحب الحكمة واطهار العجائب ويقرب اهلها ويحجزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب
وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك امرأته وابتكر صنعا
فعملها كلكلي وملا دورا الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة
ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف متقال فاستغنوا عن ائارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملوثة التي تشبه
شياء كثيرا وعمل من الفيروز وغيره اشياء واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتى سعى حكيم الملوك وغلب
جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان عمرو ابراهيم عليه السلام في وقته فانصل بمخروخ
حكيمته ومحرره فاستزاره وكان النمرود جبارا مشو الخلق يسكن السواد من العراق وآتاه الله قوة وقدرة
وبطش اغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النمرود لما استزار كلكلي وجهه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار
الى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجفحة وقد لهاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو
متوشح بشعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو يضربه بقضيب أس فلما رآه النمرود هاله وأقرله بجليل الحكمة
وسأله أن يكون ظهيرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه فاذا هم اهل
البلاد امر اجمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم استمرت حتى توهوا أنه هلك فطمع فيه
الملوك وقصدوه ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هيب فأقبل حتى جلاهم من صحره بشيء كالانعام
شديد الحرق فأقاموا تحته أياما متعبرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا وهم
ودواهم فهما به الكهنة مهابة لم يهابوها أخذوا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره * وقال ابن عبد الحكم ان كلكلي
ابن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولولده * (فلما أخوه ماليا بن حزابا قال ابن وصيف شاه وقام اخوه
ماليا) وكان شرها كثيرا لا كل والشرب منفردا بالرافية غير ناظر في شيء من الحكمة وجعل أمر البلاد الى وزيره
واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأته
كانت عنده * (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن يابليون بن حير بن سباب بن شجب بن
يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وأنه أحد فراعنة مصر من ولدان بن فلولج بن امرأ بن أشود بن سام
ابن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول بن لاود بن سام بن نوح وكان جبارا جريا شديدا لباس مهابة
والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هوالهم وحفر
نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى انتهى الى مرقا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل
التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الخنطة وأصناف الغلات فوصل الى جدة فأحصى بلاد الحجاز مدة ويقال ان كل
ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهدها ملك مصر واكثر ما حمل الى الحجاز منته العرب من جرهم

الصادوق * وفي كآب هروشيش أن سلطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي قوم يدعون بني فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم أن فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امرأ بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكد القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة تخافت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) فوعدت الناس بالاحسان وجعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء الصحرة ورفعت اقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (خلكت بعدها ابنة عمها زلي بنت مامون) وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أمين الاتريبي واستنصر بملك العمالة فسير معه قائد فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فني منهم كثير من الناس ثم انهزم اصحاب زلي الى منف وهم في أقيمتهم فخرجت زلي الى الصعيد ونزلت الاشموين فكان بين اويين عساكر العمالة حروب انهزم موافها وخرجوا عن منف بعدما عاؤا فيها وعدوا الى الجرف فاستنعبوا وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلي عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة اشهر حتى انهزمت الى قوص وأمين خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلك وقال ابن عبد الحكم ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلي ابنة مامون بن ماليا فعمرت دهر اطويلا وكثروا ونمو اوملا وأرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالة فغزاهم الوليد بن دوع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فلكبهم نحو مائة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سباعا فاقترسه واكل لحمه * والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك امين وتجبور وقاتل خلقا من حاربه وكان الوليد بن دوع العمليقي قد خرج في جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر فقصفها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليقتل على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه فرعون وقرضه فاستعبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دوع) أحد العمالة وكان أقوى اهل الارض في زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالة ولد عليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسمية نهراوش وقيل فرعون يوسف اسم الريان بن الوليد بن ليث بن فاران ابن عمرو بن عليق بن بلقع بن عابر بن اسليخ بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابو آية واسمه برخو وكان عظيم الخلق جليل الوجه عاتلا فوعد الناس الجليل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وقرق المال فيهم * وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاتلا أدبيا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكآب والوزراء بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصدته رجل من العمالة وسار الى مصر في جبهوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هناك فهايته الملوكة ولا طفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج اغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومتر بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومتر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر القيوم * (وملك بعده ابنه دريموش) ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة آية وملك يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيا عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من اهلها فكان لا يسمع بأمرأة حسنة في موضع الا وجه اليها فحملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والأسواق فعد عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه ثار القبط على بني امرا ئيل وطلبوا

من الوزير أن يخرجهم من مصر فزال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج إلى الصعيد فتوعد أهل مصر فشغبوا عليه وحشدوا له غاربه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافى النيل وعاد إلى أعظم ما كان عليه من أخذ الأموال والنساء واستخدم أشرف القبط وبنى إسرائيل فأجمع الكل على ذمته فركب النيل للزهوة وثار به ريح عاصف فغرق فلم يوجد إلا بناحية شظوف وقيل فيما بين طراو حوان * (فقدّم الوزير ابنه معاد يوس) وكان صبيبا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الأمر وردّ نساء الناس وهو خامس الفراعنة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثربنوا إسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام ملك مصر فاجتمع الناس إلى معدان وحشوه على المسير لحر به فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعوا أنه قام في هيكل زحل للعبادة فتحلى له زحل وخطبه وقال له قد جعلتك رباً على أهل بلادك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفعك إلى * فلا تحل من ذكرى فمظم عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه رباً وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك وجعل عليه ابنه اكسامس * (فقام ابنه اكسامس في الملك) ويقال كامس بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والأعمال وأمر باستنباط العمارات وإظهار الصناعات ووسع على الناس في أرزاقهم وأمر بتنظيف الهيكل وتجديد لباسها وأوانيهما وزاد في القرابين وهو الذي يقال له كاشم بن معدان ابن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العملي وهو سادس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الأول فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر للوقودات وطلسمات وأقام سميع سنين بأجل أمر فلما مات وزيراً به استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساعرا كاهنا كاتباً حكيماً متصرفاً في كل فن وكان نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبنى مدنا من الجناين ورأى في نجومه أنه سيكون حدث فبنى بناحية رفودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا إليه القبط من الأسريين فقال لهم عبيدكم فأذلوهم من حينئذ وخرج إلى ناحية البر فعات وقيل وسبي وفي أيامه بنيت منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات اكسامس وكان ملكا إحدى وثلاثين سنة منها إحدى عشرة سنة يدير أمره ظلما فلما مات اضطرب الناس وانتموا ظلما أنه سمع فقام * وولى لا طيس بن اكسامس) وكان جرياً محبباً صلفاً فامر ونهى وأزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقيمتم وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلما عن خلافته واستخلف غيره وأنفذ ظلما إلى الصعيد في جماعة من الأسريين وجدد بناء الهيكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكثر في صحراء الشرق عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره وأمر أن لا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يصحوا وزاد في أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجع أموالهم وطلب النساء وانتزع كثيراً منهن وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعلم وثار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لا طيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف * ظلما بن قومس فرعون موسى يقال إن اسمه الوليد بن مصعب بن اراهن بن الهلوت بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اسليخا بن لود بن سام بن نوح وأنه من العماليقة وكان قصيرا طويلاً اللحية أشمل العين اليمنى صغير العين اليسرى أعرج وزعم قوم أنه من القبط وإن نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دمويه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق إلا العبيد والأجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فلكت دلوكة ابنة زبا) ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل وتجارب ومعرفة وكانت في شرف منهن وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدارا حصنت به مصر من الأعداء وكان من حدثيها إلى أفر يقصة إلى الواحات إلى بلد النبوة على كل موضع منه حرس قيام ليهم ونهارهم يقدون النار ووقود الايطفاً أبداً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها

في ستة أشهر وهو حائط الجوز وفي أيامها بنت تدورة الساحرة البراني في وسط منف فملكهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء الكبار هم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه نودست ثم توفي نودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مريئان بن مريئوس ثم توفي فاستخلف استادس بن مريئان فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وباعوا رجلا من أشرفهم يقال له بلطوس بن مينا كيل فملكهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه مينا كيل بن بلطوس بن مينا كيل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن مينا كيل فملكهم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطفى وبلغ مبلغا لم يبلغه احد من قبله بعد فرعون فصرعته دابته فأت وقيل له الاعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس ونهبهم وسبى ملكهم يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقياهم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان بن داود وكان بلوب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي التي فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك سمي الاعرج * فاستخلف مريئوس بن نوله فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مريئوس وانهدم البراني زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بجنت نصر وقتله وخرّب مدينة منف وغيرها من المداين وسبى اهل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هرودوت الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوسردس كان يقتل الغرباء والاضياء ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثمانمائة وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى يرويه وكان عظيم المملكة قوى السلطان أخذ بالحرب أكثر نواحي الجنوب بتراب وجمرا وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوه الى طاعته ويخوفهم حربا فاجابوه ليس من الرأي المحمود للملك الغنى محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وان لا ننظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين اليه وهزموا جيوشه ونهبوا عساكره وامواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا اهلها وجعلوهم يؤذون اليهم المغارم وأقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى اتهم من نساءهم من يظن لهم اما أن تنصرفوا واما أن تتخذوا الازواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقدامت لآيات ايديهم اموالا وأوقارا جنة وقد خافوا وراءهم ذكرهم فمزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى اخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط واتّ جالوت ابن جالوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأنزله ملك مصر بالجانب الغربي فأقام بها مائة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وابنهام مائة ستمائة سنة وعشرين سنة وعثرتهم سبعة وعشرون ملكا هم ديوسقوليطا ومثنه ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مائة سنة ثم ملك مفغراس أربع سنين ثم ملك امانافوناس تسع سنين ثم اسخوردس ست سنين ثم فسيدناخس تسع سنين ثم فسوسانس خسا وثلاثين سنة ثم ملك سسوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك اساليون خمس عشرة سنة ثم طافا لونيث ثلاث عشرة سنة ثم نطافا ناسطلس خسا وعشرين سنة ثم اساراثون تسع سنين ثم ملك فسامرس عشرين سنين ثم اوفانيواس أربعة وأربعين سنة ثم ساياقورثني عشرة سنة ثم شخص الحبشي ثني عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي ثني عشرة سنة ثم استطا فينياس سبع سنين ثم باخناسوس ست سنين ثم ياخو ثمان سنين ثم فساما ملطي قوش أربعة وأربعين سنة ثم بنحو فاست سنين ثم فسامرتاس سبع عشرة سنة ثم وافر س خسا وعشرين سنة ثم اما سلس اثنتي وأربعين سنة * وملك بعده هولاء

مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم ماخرطاس سبع سنين ثم اوخرس اثنتي عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتا طوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة ملوك من ائور وهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطابوش ثلاث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطا ناس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر بن فيليبش اليوناني وهذه اسماء رومية ولعلها اوبعضها متداخل فيما تقدم ذكره من ملك بعدد لوكه وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلاثة وست وخسون سنة واشهر ويجمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفا وست مائة وأربع مائة وثمانين سنة وهذا خلاف ما نقله المسعودي والله تعالى أعلم بالصواب

* (ذكر مدينة الاسكندرية) *

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فأول ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصر ايم بن بصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جردها الاسكندر بن فيليبش المقدوني الذي قهر دارا وملك عمالك الفرس بعد تغريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شمسية فعرفت به ومنذ جردها الاسكندر المذكور انتقل تحت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تحت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار القسطنطين بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ما وصل اليه على ان شاء الله تعالى * (ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن الكوكبة وهي امة في غابر الدهر من اهل ايله ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة واربعه اقسام كل قسم عدل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بياو هي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها فكان ما بها ما تناسخ من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المزيخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلاث عشرة ساعة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصر ايم بن بصر بن نوح وعليهم ايضا عمل الطليسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنانهم ويذنبهم فعملوا اله الطليسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها امرأة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهيمهم وكان من البحر عملوا تلك المرأة عملا فالت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم تزل الى أن غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبها بها وكان عليها ايضا امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتمل عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من أزالها وكانت من زجاج مدبر قال وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجايبها وضمن له أن يوصله الى ملكها واما الهها ويرفع عنه أذى طليسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصاحب من قونس أخى ايساد وهو ملك مصر يومئذ أن صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمدا الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبني عليها قبابا مصفحة بالراصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة في ألف مركب فكان لا يتر بشيء من أعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بجمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعات فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي يحاربونه وهو ينهب ما تر به ويقتل ما قدر عليه الى أن طلب المدائن الداخلة

لاخذ كنوزها فوجدتها ممتلئة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخت فأقام عليها أياما كثيرة فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من أجل أن جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع اهل النواحي وقتلوا من اصحابه الذين بالمرأكب خلقا وأحرقوا بعض المراكب وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فأنت رياح اغرقت أكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقرأهم ورجع الملك صالى مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرّب الجزائر فهابته الملوك وتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف في وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباءه منها أربعة آلاف مثقال ذهب على صور حيوانات بزية وبحرية وغزال عقاب من حجر أخضر وغزال تين من ذهب وزبروا عليها اسمه وغلبته الملوك وسيرته وعهد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس اول فراغ مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لآبيها وعدت الناس بالاحسان وأخذت في جمع الاموال فاجتمع لها ما لم يجتمع للملك وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وأمرت بتجديده الهيكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال له ايد اخس فعقد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأنفذت اليه جيشا فمزموه وقتلوا أكثر اصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم فجهز به جيش عظيم ففكت جورياق الجزائر وقرقت الاموال وقوت السحرة فعملوا أعمالهم وتقدم ايد اخس بجيوش الكنعانيين وعليها فقتل منهم يقال له جبرون فلما نزلوا أرض مصر بعث ظنرا لها من عقاء النساء الى القائد سرا عن ايد اخس تعرفه رغبته في تزوجه وانها لا تختار أحدا من اهل بيتها وأنه ان قتل ايد اخس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسمّى ايد اخس بسم أنفذته اليه فقتله وبعثت اليه بمسد قتل ايد اخس أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى يظهر قومك في بلدى وتبنى لى مدينة بحبيبة وكان اقتنارهم حينئذ بالبنين وأقامه الاعلام وعمل العجائب وقالت انتقل من موضعك الى غربى بلدى فثم آثارنا كثيرة فاقف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبني مدينة في صحراء الغرب يقال لها قيدومة وأجرى اليها من النيل نهر او غرس حولها غروسا كثيرة وأقام بها منارا عاليا فوقه منظر مصف بالذهب والفضة والزجاج والرّخام وهى تمتد بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتماديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة اخرى حصينة كانت لا وائلنا وقد خرب منها أمكنة ونشعت حصنها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى أنتقل انا الى هذه المدينة التى يبيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأنفذ الى جيشك حتى اصبر اليك وأبعد عن مدينتى وأهل بيتى فانى اكره أن تدخل على بالقرب منهم فضى وجدنى عمل الاسكندرية الثانية * وأهل التاريخ يذكرون أن الذى قصدها الوليد بن دوعم العملى ثانى الفراعنة وكان سبب قصدها أنه كان به علة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مائها حتى يرى ما يلائمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مائها وأطافها وعاد اليه فعرّفه حال مصر فسار اليها في جيش كثيف وكاتب الملكة بخطيبها لنفسه فأجابته وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها الهامهرا فأجابها وشرق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه أصناف الرياحين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فضى الى الاسكندرية وقد خرجت العبادية منها فنقل ما كان من حجارها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث اليها مائة ألف فاعل وأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال وكل ما بنى شيئا خرج من البحر ودواب قتلعه فاذا اصبح لم يجد من البناء شيئا فاهتم لذلك وكانت جورياق قد أنفذت اليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها في مطبخه وكانت مع راع تثق به يرعاها هنالك فكان اذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا اكلمها شرطت عليه أن تصارعه فان صرعاها كانت له وان ضرعه أخذت من المعز رأسين فكانت طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتى أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشغلها بحب الجارية عن رعيها ونخل جسمه فزبه صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر خوفا من سطوته فلبس ثياب الراعى وولى رعى الغنم يومه الى المساء فخرجت اليه الجارية وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعه فصرعها وشدها فقالت ان كان ولا بد من أخذى فسلىنى اصاحبى الاول فانه ألطف بى وقد عذبتى مدة فردّها اليه وقال له سلها عن هذا البنيان الذى

بنبيه ويزال من ليلته من يفعل ذلك وهل في ثباته من حيلة فسألهما الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون نوايت من زجاج كثيف بأغطية وتجعلون فيها أقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وأنفاس وزاد يكفهم أيا ما وتحمل التوايت في المراكب بعد ما نشد بالحبال فاذا توسطوا الماء أمروا المصورين أن يصوروا جميع ما يترجم ثم ترفع تلك التوايت فاذا وقفت على تلك الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها أقدام البنيان الذي تبنيه من جانب البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فتراف الراعي صاحب ذلك ففعله وتم البنيان وبني المدينة * وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جبرون كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد جورياق وقهرهم وملك مصر * وذكروا أن الاموال التي كانت مع جبرون فقدت كلها في تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعي أن يخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قدام فتراب لكل تمثال منها قورا سمينا واطح العمود الذي تحته من دم الثور ويحرقه بشعر من ذنبه وشئ من ثمانية قرونه وأطلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التي توجه اليه اوجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فلطنها بجمرة الثور وأقلها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا في آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذ واطح الباب ببقية الماراة ودم الثور ويحرقه بثمانية قرونه وأطلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبل صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سبه وامثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيا كثيرا فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر من اكحل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر عمت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شئ صوته وأجاب عنه ووجد في كل خزانة عشر عجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجهه الى جورياق يحثها على القدوم اليه فحملت اليه فرسا فاخر البيسطة في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقسم جيشك أن لا تأثا فأنفذ الى ثلثة حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جرت نصف الطريق فأنفذ الثلث الباقي ليكونوا من وراءى ثلثا يراى احدا اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الاصية تنق بهم يخدمونك فاني اوافيك في جوارتك فكيف الخدمة ولا احتشمت ففعل وأقامت تحمل الجهازا اليه والاهوال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وأنزلهم جواريا وحشها وقتلوا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع اللهو فلم يصح منهم احد حيا وسارت فلقبها الثلث الآخر فعملت به مثل ذلك وهي توجه اليه انها انفذت جيشه الى قصرها وملكها يحفظونها وسارت حتى دخلت عليه هي وظنرها وجواريا فنفخت ظنرها في وجهه ففجأة بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه وقال من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبه نفسه وغلبته النساء ثم انها قصدت عروقه وقالت دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها ونصبت عليه وحوات تلك الاموال الى مدينة منف وبت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وأطاعوها وهادوها وعلمت بمصر عجائب كثيرة وبت على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يعبرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها زلني بنت مامون وماتت * وقال ابن جر داويه روى أن الاسكندرية بنيت في ثمانمائة سنة وأن اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بحرق سود مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في الجروانه كان فيها سوى اهلها ستمائة ألف من اليود دخول لاهلها * وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر فلا يحتاج الى زاد لكثرة القواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستتره من حر الشمس وعمل الملك صابن قبطيم في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنها افكان يسلك من الجانب الغربي الى حد

الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وبادأ أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والنجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذوالقرنين الرومى واسمه الاسكندرو وبه سميت الاسكندرية وهو أول من عمل لوثى وكان أبوه أول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان مرزبه اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية كورة من كور مصر الغربية وقال ابن لهيعة وأهلها روم ويقال هو رجل من جبر قال تبع

قد كان ذوالقرنين جدى مسلما * ملكا تدين له الملوك بمحمد

بلغ المغارب والمشارق يتسنى * أسباب علم من حكيم مرشد

فراى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثنا طحرد

ويروى قد كان ذوالقرنين قبلى مسلما وحدثني عثمان بن صالح حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد بن مسعود التميمي عن شيخين من قومه قالوا كتابا بالاسكندرية فاستطلنا يونس فقلنا انطلقنا الى عقبة بن عامر تحدث عنده فاطلقنا اليه فوجدناه جالساً في داره فأخبرناه اننا استطلنا يونس فقال وأنما مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته فإذا أنا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم يسألوني عما لا أدري انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوءاً فتوضأ ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال أدخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فأدخله قال فأدخلهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وان احببتم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن تسلكم قال احببتكم أن تسألوني عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً عندهم ان اول امره انه غلام من الروم اعطى مذكفاً سار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فخرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطاناً فيها سوف يدلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يرتقى عنهما كل شئ فينبى السد ثم جازى بأجوج ومأجوج فوجد قوماً وجوههم وجوه الكلاب يقفون يا جوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد أمة قصار ايضاً تلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرائق يقفون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم أفضى الى البحر المديري بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وانما نجد هكذا في كتابنا * وعن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفراً أما رضيتم أن نسموا بالانبياء حتى نسميهم باللائكة * وقال قتادة عن الحسن كان ذوالقرنين ملكاً وكان رجلاً صالحاً قال وانما سمي ذا القرنين لان علياً رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن ملكاً ولا نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأجبه الله ونصح الله فنصحه الله بعنه الله عز وجل الى قومه فضر به على قرينه فمات فسمي ذا القرنين وفيه قال انما سمي ذا القرنين لانه جاوز قرني الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمي ذا القرنين لانه كان له غديرتان من شعر رأسه يطافيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران نواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان اول شان الاسكندرية أن فرعون اتخذها مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبنى فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذها مجلساً

وبني فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم الا بناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره واصلاح ما كان رث منه واقر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من اولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن لهيعة وبلغني أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذي نصب العماد وحيد الاحياد وشهد بذراعه الواد بنيتن اذ لاشيب ولا موت واذ الحجارة في اللين مثل الطين وفي رواية وكثرت في البحر كثر على اثني عشر ذراعا لن يخرج به أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالمغار وقال ابو علي القالي في كتاب الامالي وأنشد ابن الاعرابي وغيره

تسألني عن السنين كم لي * فقلت لوعمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن القطعل
لواني اوتيت علم الحسل * وعشت دهر ا زمن القطعل * لكنت رهن هرم او قتل

وفي رواية

علم سليمان كلام النمل * ايام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر زمن القطعل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن القطعل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن القطعل زمن لم يخلف بعد قوله علم الحسل الحسل ما لا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز روية بن الججاج بن روية بن ليبيد بن صخر بن كفيف بن حيي بن بكر بن ربيعة بن سعد ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وذلك أنه ورد ما لعكل فرأى فتاة فاجبته فخطبها فقالت أرى سنافهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبروا واما عار ا فقال روية

لما زدرت قدرى وقلت ايلي * تألفت وانصلت بعكل * خطي وهزت رأسها تستبلي
تسألني عن السنين كم لي * فقلت لوعمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن القطعل

والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية

لواني اوتيت علم الحسل * علم سليمان كلام النمل

وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن القطعل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد والله أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقطة وكان على كل واحدة منهم سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الا يرض جدرها وأرضها فكان لبناهم فيها السواد والحجرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوص الرخام ولم يكونوا يسرحون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر أدخل الرجل الذي يحيط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في ثقب الابرة * ويقال بنيت الاسكندرية في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخرت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها أحد الا على بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرح فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راعي يرعى على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شئ فياخذ من عنقه فكمين له الراعي في موضع حتى يخرج فاذا جارية قد نفست شعرها ومانعتة عن نفسها فتقوى عليها فذهب بها الى منزله فأنسب به فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهايت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار كالبحين فاذا اتصف النهار اشتدت * وقال المسعودي ذكر جماعة من اهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثريين وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو اقل من الاول من أقلام حير وملوك عاد أنا شداد بن عاد شددت بساعدى الواد وقطعت عظيم

العماد وشواخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن آتي هنا مدينة كرم وأقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشار والأيام وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فأصابني ما عجزني وعمأ أردت قطعني ومع وقوعه طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن داري لالتهم ملك جبار ولا خوف جيش جزار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتقام المقدار وانقطاع الآثام وسلطان العزيز الجبار فن رأيت أثرى وعرف خبري وطول عمري ونفاد بصري وشدة حذري فلا يغتر بالدينا بعدى فانها غزارة غدارة تأخذ منه ماته على وتسترجع منه ماتوني وكلام كبير يرى فناء الدنيا وينع من الاعتزاز بها والسكون اليها * قتل الاسكندر مفكرا يدبر هذا الكلام ويعتبه ثم يهت يحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميلا وجمع اليها العمدة والرخام وأتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد اقريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اقيا نوس وجعل اليه أيضا من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بحارسم لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بمحمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا حرسوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فترك الاسكندر رأسه وأخذته نفسه في حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فخرقه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الاجرام الصغار وكان ذلك معمولا بمركات هندسية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تلك الجبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقبته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فأعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فناءها وخرابها ونداء اول الملوك اياها وازد الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب الجرفأت على جميع البنين فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدو الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فقطير من فعل الدواب فلم تزل البناء في كل يوم تبنى وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصجون وقد خرجت وخربت البنين قتل الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من الجرفأ قبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة تتفعل في ذلك حتى تدفع الازية عن المدينة فسخت له الحيلة عند خلقه بنفسه ويراذه الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع فأتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وجهلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للعمال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان من كآبه من له علم باقان التصوير وأمر أن تستد عليه الابواب وأن تطل بما ذكرنا من الاطلية وأمر بركيين عظيمين فأخرجوا الى طمة البحر وعلق في التابوت من اسفله منقلا الرصاص والحديد والحجارة لتهدى بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين وألصقهما بخشب بينهما اثلا يفرقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيواته من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا بصور الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم القوس مع بعضهم وفي أيدي بعضهم المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء فأبنت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انوعها ونشوه خلقها وقد ودها ثم حرك الجبال فلما أحس بذلك من في المركبين جذبوا الجبال واخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمدة بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جنى الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمدة مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت وأمر الاسكندر أن يكتب على ابواب هذه الاسكندرية أردت أن

أنيهم على الفلاح والنجاح والبن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومعنى الامم أن يشبها كذلك فبنيتها وأحكمت بنائها وشيدت سورها وآتاني الله عز وجل من كل شيء علما وحكمة وسهل لي وجوه الأسباب فلم تعذر علي في العالم شيء مما أردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطف من الله عز وجل وصنع عالى وصلاحة لعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شيء ورسم بعده هذه الكتابة كل ما يحدث بيلاذه من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الاوقات والعمران والخراب وما يؤول امرها اليه الى وقت دنور العالم * (وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقطرة عليها دور المدينة يسير تحتها القارس ويدهم رخ لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الأراج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والأراج مخاريق ومنفسات للغياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضي بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وأزقة مقطرة كلها لا يصيب اهلها شيء من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الالوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول ورعاء تعلق في المدينة شقاق الحرير الاخضر لا تخطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تحتفظ بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالاً وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودى من أن الاسكندر هو الذى عمل التابوت حتى صوروا أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ما ذكره المسعودى من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال هي المنابر التي كان يتور عليها والأعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهي من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

* (نذكر الاسكندر) *

هو الاسكندر بن فليش بن آمنته (ويقال آمناس) بن هرقلش (ويقال هرقل) الجبار الذى هو ابن الاسكندر الاعظم ولى ابوه فليش الملك في بلاد مقدونية (ويقال مقدونية) خساو عشرين سنة استنبت فيها ضربا من المكر واستدع انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله * وكان في اول امره قد جعل له أخوه الاسكندر رهينة عند أمير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا تعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل أخوه الاسكندر اجتمع الناس على تولية فليش فولوه أميرا فقام في السلطان مقاما عظيما فخارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس ألفا وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاود جيش لا يرام فأذل جميع الروم ونهبت عنده في بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عمارة وهدمها وسبها واتها بانها جميع اهل بلاد الروم وعبي عسكريا فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كل فيه من اصحابه المقدونيين ومن غيرهم من اجناس اليونانيين يريد غزو الفرس * فينها ويجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنته يقال لها قنوطره من ختنه أخى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس يومين يتحدث قواده اذ سئل عن اى الموتات احق أن يمتنها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يمتنى الموت الابا بالسيف فجأة لتلا يعذبه المرض وتحل قوته الاوجاع فجعل له ما تمنى في ذلك العرس وذلك أنه حضر لعا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فينها هو في ذلك غافله أحد أحداث الروم بطعنة فقتله بها نائرا نأبيه عندما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليش وكان اول شيء اظهر فيه قوته وعزمه في بلاد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرب مدنها وجعلهم سبيامبيعا وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه في وقت تعبته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكريه اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مزأكبه خمسمائة مركب وثمانين مركبا فترك بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية

ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في أول ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقعة شنعاء ونكبة دهياء قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا * ومضى الاسكندر ففتح مدائن واتهب ما فيها فبلغه أن دارا قد عبي وأقبل نحوه بجميع عظيم نخاف أن يلحقه في ضيق الجبال التي كان فيها فقطع نحواً من مائة ميل في سرعة عجبية حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى اتقبض عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فلما التقى الجمع ان كاد الاسكندر يفتر لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وبأشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق القضاء بأهل فباشركلا الملكين الحرب بأنفسهم مادارا والاسكندر وكان الاسكندر اكل اهل زمانه فروسية واشجعهم وأقواهم جسماً فباشرا حتى جرحا جميعاً وتعادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ونزلت الوقعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفاً ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف وأسر منهم نحو من اربعين ألفاً ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلاً ومائة وخمسون فارساً فاتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامثلة الشريفة ما لا يحصى كثرة وأصيب من جملة الاسارى أم دارا وزوجته واخوته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه فربح به الى ذلك فعبي دارا مرة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث الاسكندر قائداً في أسطول للغارة على بلاد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فلقاه هنالك ملوك الديار خاضعين له فعفا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احرار طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشأن وأهلها قد وثقوا بعبود اهل افرية لاهم لصهر كان بينهم فحاصروهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس وإلى مصر فاتهب الجميع وبنى مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هرودوتس وله في بنائها أخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابها * ثم ان دارا المايس من مصالحته أقبل في أربع مائة ألف راجل ومائة ألف فارس فالتقى الاسكندر مبعثاً من ناحية مصر في أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجبية شنيعة اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه واعتاوا من الغلبة والظفر واجتهدا من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه في تلك المعركة فلما نظر دارا الى أصحابه يتغلب عليهم ويهزمون عزم على استئجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضاً للقتل فلطف به بعض قواده حتى سلوه فانهم وذبحت قوة الفرس وعزهم وذل بعدد اسلحتهم وصار بلد المشرق كله في طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربع مائة عام وخمسين عاماً واشتغل الاسكندر بتحصيل ما أصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوماً ثم مضى الى مدينة الفرس التي كانت رأس مملكتهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند قوم مكبلاً في كبول من فضة قتيلاً وخرج في ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحاً جراحات كثيرة فلم يلبث أن هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمريّة له وأمر بدفنه في مقابر الملوك من اهل مملكته وكان في أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ اذ قتل فيها من اهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف بين راجل ورجل من اهل بلاد آسيا وهي العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سبعة نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف ألف ما بين راجل ورجل من اهل بلاد العراق والشام وطرسوس ومصر وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين درهمهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوماً بين قواده بعدد ما نزل به واهبه العظيمة العالم كله وعمّ اهل بعضا بالمانيا القطيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى عند وفاته أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس ثمويلاً للاعداء لأن معناه الحربى فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكونه له انحرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة به اقتدى الملوك في السمر واتخاذ المضحكين والمخزفين

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بنبي القرنين على سني الروم وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت المقدس امر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن علموه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحركه ليتقوا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستمعين له وعليه عمل اليونانيون وكانوا قبله يورخون بخروج يونان بن نارس عن بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول وموافق اليوم الرابع من بابه ومبادئ الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كل يوم بيليته ومبادئ الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماءها وعدد أيام كل شهر منها (تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما ورابع يوم وذلك أنهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما ورابع يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمون السنة الكبيسة وانما زادوا الرابع في كل سنة ليقترب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور البرد وشهور الحار وأوان الزرع ولقاح الشجر وجنى الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبين يوم الجمعة اول يوم من الطوفان ألف سنة وسبع مائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر أربع مائة وخمس وثلاثون سنة شمسية وما تاليوم وثمانية وثلاثون يوما * وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبوية الشهر المسمى تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبه طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتل ثم قتله قتلات بعد ذلك فبيضة وفي كلها يعيش ثم مات في آخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسديين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسديين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرمان ولا النما هو من الحضاريين الاولين ولذلك يقولون في كل شهورهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين الاول والثاني اسماء خوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط اسم رجل تكلم ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولا فجعله في آخر الشهور لنقصانه عن النسل فصار النقصان من العدد فيه والصابثون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا يتوحدون ويكونون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعتدون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهن يقمن ههنا جميعا ويصنن ويكبن على تموز ويذهبن في أمره ههنا ناطولا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا هكذا وجدنا اسلافنا يتوحدون ويكونون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والتصارى تذكر أنهم يعملونه لرجل يسمى جورجيس أحد حوارى عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بثلث القتل فلا أدري وقع الى النصرى قصة تموز فأبدا ما كان اسم جورجيس وخالقوا الصابثين في الوقت لان الصابثين يعملون ذكران تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الزمانه عشرة أشهر كل شهر

سنة وثلاثون يوما * ويقال ان فيوفوس اول من ملك مدينة رومية وانه اقام ملكا ثلاثا واربعين سنة وزاد
 كانون الثاني وشباط في شهر الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة اشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان
 سبب قص شباط يومين وقوع غارة في ايام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فروروريوس آلت
 الى نصرة فيطن وأخذ مملكة الروم وامر بفروروريوس فنودي عليه اعيامه ديا وتفسيره اخرج يا شباط ثم غرق
 في البحر وسما شهر شباط فروروريوس ليكون تذكار سوء له فان هذا الفعل كان في يوم التاسع والعشرين
 والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منهم احدى وثلاثين
 يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل
 الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط

* ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهم ارجلان *

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله في كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين
 قل سألوه عنكم منه ذكرا انا مكاله في الارض وآتيناه من كل شئ سبيبا الايات عربى قد كثر ذكره في أشعار
 العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مرثد بن الحارث الرائي بن الهشام بن سدد بن عاد بن مخ بن عامر الملقاط
 ابن سكسك بن وائل بن جبر بن سبأ بن شجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن ارغش بن سام بن
 نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك جبر وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذوا القرنين تبعا
 متوجا لماولى الملك تجبر ثم نواضع قه واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فلينس هو ذوا القرنين
 لذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذوا القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذلك روى يوناثى قال ابو جعفر
 الطبرى وكان الخضر في ايام افريدون الملك بن الضحالك في قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن
 عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على ايام ابراهيم الخليل عليه السلام
 فان الخضر بلغ مع ذى القرنين ايام مسيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذوا القرنين ولا من معه
 فخلد وهو حتى عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو
 افريدون بن الضحالك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان في معرفة
 ملوك الامان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لما الى الملك تجبر ثم نواضع واجتمع بالخضر
 بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها وأوى من كل شئ سبيبا كما اخبر الله تعالى وبني السد على
 يا جوج وما جوج ومات بالعراق * وأما الاسكندر فانه يوناثى ويعرف بالاسكندر المجدونى (ويقال المقدونى)
 سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين من كان فقال من جبر وهو الصعب بن ذى مرثد الذى مكنه الله
 تعالى في الارض وآناه من كل شئ سبيبا فبلغ قرنى الشمس ورأس الارض وبني السد على يا جوج وما جوج
 قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكيميا بنى على البحر في افريقية منار او أخذ أرض رومية وأتى بحر
 الغرب وأكثر عمل الاثمار في الغرب من المصانع والمدن * وسئل كعب الاحبار عن ذى القرنين فقال الصحيح
 عندنا من اخبارنا وأسلافنا انه من جبر وانه الصعب بن ذى مرثد والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد
 عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم ما ورجال الاسكندر أدرى كوا المسيح ابن مريم
 عنهم جالينوس وأرسطاطليس * وقال الهمداني في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيدا زيدا
 ومالكوا وغالبوا وعيمكرب وقال الهيثم عيمكرب بن سبأ أخو جبر وكهلان فولد عيمكرب أبا مالك فدرحا
 ومهليل بن عيمكرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهليل بن عيمكرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد
 عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذوا القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير
 فمن ذابعد نادى الناس معشرا * كراما فذوا القرنين منا وحام

وفيه يقول الحارثي

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه * في الجاهلية لاسم الملك محمدا
 كالتبعين وذى القرنين يقبله * اهل الحلي فأحق القول ما قبلنا
 وفيه يقول ابن ابى ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تغربا * واصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفي ردم بأجوج بني ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حجير * بعسكر قبل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك
وفي ذي القرنين اقاويل كثيرة وقال الامام فخر الدين الرازي في كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به
على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره ياتر وبنهيه ينهى
واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبي فكيف يقتدى نبي بأمر كافر في هذا الاشكال * وقال
الملاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي
الله عنه رجلا ينادي رجلا ينادي ذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارفعتم الى اسماء الملائكة وروى المختار
ابن ابي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله اعلم

* (ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر) *

قال في كتاب هرودوتس ان الاسكندر ملك الدنيا انتفى عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته
فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي ألقى صيده بين يدي اشباله
فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقساموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد الغرب الى فائده
وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوي ويقال بطليموس بن اربا المنطقي وذكر بقية ممالك القواد
من اقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فنارت بينهم حروب وسدوها رسالة فكانت خرجت من عند
الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبودية فاستنقل ذلك ملك بلاد الروم
اذخاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذ ارجعوا الى بلادهم ومواطنهم يطالبون النعمة لانفسهم فكان هذا
الامر سبب خروجه عن طاعة سلطان المجدونيين * وقال غيره وبطليموس هذا سبي بن معتمد بعد ما غزا فلسطين
ثم اطلقهم وجباهم بأثمة جوهر وضعت في بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولي اربعين سنة
وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدفوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذي غنم اليهود
وقتل كثير منهم الى مصر وفي زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد
قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم ففترق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطليموس
جمع عساكر مصر وافريقية ولا في برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة
من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطليموس هذا حكيما عالما شاملا بامدبر او هو أول من اقتنى البزاة ولعب
بها وضراها وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها * ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثاني واسمه
فيلودفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذي أطلق اليهود الذين كانوا
مأسورين بأرض مصر ورد الاواني المقدسة على عزيز النسي وهو الذي تخير السبعين مترجما من علماء
اليهود الذين ترجوا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني واللاتيني وكان
فيلسوفاً منجماً ومات فولى بعده ابنه بطليموس اوراخيطة المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة * ثم ولي
بعده أخوه بطليموس فيلو بطور سبع عشرة سنة وهو الذي قتل من اليهود نحو من ستين ألفاً وغلب
عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي * ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفنديش
محب الام أربعة وعشرين سنة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس فلوناطره وهو الصانع خساو ثلاثين سنة وهو
الذي غلب ملك الشام وحمل اليهود انواع البلاء والعذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطش
وهو الاسكندراني تسعا وعشرين سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترفت مدينة
قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها
غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها ويبيع جميع اهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرافهم وكان
المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطار الذي يقال له الحديدي سبع عشرة سنة وكان
فبيح السيرة تزوج باخته ثم فارقها على أفعج حال مما تزوجها عليه في خبره ثم تزوج ربيته التي كانت بنت

أخته ثم تزوجها من ابنه المولود له من أخته وكثرت فواحه حتى نفاها أهل الاسكندرية لخات منقيا * وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الخوالع عشر سنين * ثم ولى بعده ابنه بطليموس ديونيش ثمانيا وثلاثين سنة وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية * وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة منها انه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلي ناحية الجنوب نار ملتهبة عظيمة وكسرقوم خبزا في صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متواليه برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصارت فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمته تكاد الشمس أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلوباطرة ستين فدامت مملكة الاسكندرية وهي الدولة المجدونية الى اول ملوك قيصر الذي هو اول ملوك الرومانيين مائتين واحدى وعشرين سنة فبعث قيصر قائد بين هيسا كركيرة لفتح مصر فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديونيش الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوباطرة وولدها وقتل القائد الذي تزوجها ويقال بل سميت نفسها عند ما تبقت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتديبر وانما حفرت خليج الاسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجيبه منها هيكل زحل وعملت فيه صنمان نحاس اسود وكان أهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا في اليوم الثاني والعشرين من هاتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبائح لا تحصى كثيرا فلما ظهرت ملة النصراني في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سني الهجرة النبوية * ويقال ان كلوباطرة هي التي بنت حائط العجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا آخر بأصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من أهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من أهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاءوا فيصير الى الاسكندرية ويقوم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلوباطرة الباككية فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستمائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القيصرية وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استتبدها رقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته اخذ حياه ودمشق وسار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت مصر بعد تحت ايلة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من أجزائه وللفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم والله أعلم

* (ذكر منارة الاسكندرية) *

قال المسعودي فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين عن أخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيليب المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويفرزه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وان الذي بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قدأشار بسبابته من يده

التي نحو الشمس ايضا كانت من الفلك واذا علت في الفلك فأصبغ يثير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده
سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليله فاذا دنا وجاز أن
يرى بالبصر اقرب المسافة سمع لذلك التماس صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين او ثلاثة فيعمل اهل المدينة أن
العدو قد دنا منهم فيمقهونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف
ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ
خادما من خواص خدمه ذارأى ودهاء نجاء مستأمن الى بعض الثغور فوردبأ له حسنة ومعه جماعة نجاء
الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وانه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش
ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قلبه وتنصح اليه في دفاث استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها
من الشام يكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاث فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه
واستحكمت طمعه فقال له الخادم يا امير المؤمنين ان هاهنا اموالا وجواهر ودفاث للملوك فسأله الوليد عن الخبر
فقال تحت منارة الاسكندرية اموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندرا احتوى على الاموال والجواهر التي
كانت لشذا بن عاد وملوك مصر فبقى لها ازجاحت الارض ونظر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها
تلك الذخائر من العين والورق والجواهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة في
علومه والبدابة جلوس حوله فاذا انظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة صرخوا بالمرآة في
فيها من بعد منهم فتحذر الناس وتنذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش
واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من اعلاها وازيلت المرآة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة
وحيلة في امرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينبئ الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل
في مركب كان قد أعدّه وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص
للخواتم انواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمته بها
في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا
تخلو من الناس حوالها الا من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما
جعلت المرآة في اعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان
بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا
بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها ومزاتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر
في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة قناها وافيها وفي طرق توول الى مهاوتهم وى
الى السرطان الزجاج وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وقعد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان
تهوّرهم كان على كرسى لها قد اقامها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يربط فيه مطوعة المصريين وغيرهم
وفي سنة سبع وسبعين وسبع مائة سقط راس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة
مهندمة مضبوطة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سلطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت
بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف
على البحر وكان على الجانب الشرقى من المنارة كناية عزبت فاذا هي بت هذه المنطرة قريبا بت مريئوس
اليونانية (صد الكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصر ايم بن بصير بن حام بن فوح وبنو اعل
البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهب
ونصبوا فوقها منارة عليها امرأة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا
قصدهم قاصد من الامم اتى حولهم فان كان محايهم هم ومن البحر عملوا تلك المرأة علاناً لقت شعاعها على ذلك
الشيء فأحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر ففسدها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة الذي كان شيئا
بها وقد كان ايضا عليه مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها
وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن

يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه الى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر
فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقد رأى أنه يلزمه أن لا يفطر اذا كان صائماً وتغرب الشمس
من جميع أقطار الارض فأمر اناساً أن يصعدوا الى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأكل موضع سقوط
الشمس فإذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة فدخل
افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا امام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى ستر من رأى لا يفطر
الا بعد عشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وأن الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض
ومجاري الشرق والغرب وقد ذكر اسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصبي
جبلان شامخا جدا وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل
الصبح ثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم المحيبي بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين
بعد وفاة الاسكندر بن فيليبس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة
مرقباً في أعاليها مآة عظيمة من نوع الاحجار المشقة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة
تجوز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك في تلك المآة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة في هذا
الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعاً وكان طولها قد بناها نحو مائة وأربع مائة ذراعاً فهدمت على طول
الازمان وترادف الزلازل والامطار لأن بلاد الاسكندرية قطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذا كان
الاعلى عليها أن لا قطر الا اليسير وبنائها ثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه
بأحجار بيضاء يكون نحو مائة ذراعاً وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك ثمن الشكل مبني بالحجر
والحصن نحو من نصف وستين ذراعاً وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلىها مدور * وكان احمد بن
طولون رمت شيئاً منها وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبدوعة مربعة بغير درج
وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر
ومقدارها على جهة الارض نحو من مائة ذراعاً وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهتم احداً كانها
الغربية مما يلي البحر فيها ابوالجيش خاوي بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت
نحو من ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهي مبنية على فم ميناء الاسكندرية وليس
بالميناء القديم لأن القديم في المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده عن العمران والميناء هو الموضع
الذي ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو
مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة وأن ذلك في زيادة قال وتهتم في شهر
رمضان سنة اربع وأربعين وثلاث مائة نحو من ثلاثين ذراعاً من اعاليها بالزلازل التي كانت يلاذ مصر وكثير من بلاد
الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جداً
مهولة عظيمة اقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت ثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو
الخميس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خيس العدس يخرج سائر أهل
الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم بمآكلهم ولا بد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنار ويدخله الناس فثم
من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على
البحر من هجوم العدو * وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركب السفن تلك
النار على بعد فاذا رأى أهل المنار ما يريهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا راها الحرس ضربوا الابواق
والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو * ويقال ان المنار كان بعيداً عن البحر فلما كان في أيام
قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكناس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها
بعد ذلك ويأخذ منها شيئاً بعد شيء * وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتي ذراعاً وثلاثة وثلاثين ذراعاً وهي ثلاث
طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحدى وعشرون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثانية ممتدة
وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثالثة مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً *
وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلاً وأنه ذرع احدى جوانبه الاربعة

في سنة ثمان وسبعين وخمسة فأناف على خمسين ذراعاً وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة وفي اعلاه مسجد يتبرك النام بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منار الاسكندرية كلو باطرة الملكة وهي التي ساقط خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكبرون حفرة حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعه * ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى في أعلى المنار قبعة من خشب فأخذتها الرياح وفي أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فأمر ببناء ما انهدم منه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة وبنى مكان هذا القبعة مسجداً وهدم في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهر سنة ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا والله در الوجهه الدرورى حيث يقول في منار الاسكندرية

وسامية الارجاء تهدي أخطا السرى * ضياء اذا ما خندس الليل أظلم
لبست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتدكار الاحبة معلما
وقد ظلتني من ذراها قبسة * ألا حظ ثياب من صحابي انجما
فخيل أن البحر تحتي غمامة * وأنى قد خفيت في كبد السما
وقال ابن قلاؤس من ابيات

ومنزّل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للتسرين أو كاد
راسي القرارة ساقى القرع في يده * للنون والنور أخبار واخبار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها في بديع الشعر مضمار
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم * يسعوا اليه على بعد من الحدق
من شاخ الاف في عرينه شحم * كأنه باغت في دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كم وقع النوم في أحضان ذى أرق

وقال عمر بن ابي عمر الكندي في فضائل مصر ذكر اهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه ألا ترى الابنية والاساسات في البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو بن عتاب الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثة

* (ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب)

قال القاضي ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عيدان أعيادهم عمرو بن العاص ف وقعت الأكرة في حجره فلما البلده لذلك في الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا ولعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظامون فيه باكثر من مراتب العلية والسفلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الحامية خلا به عمرو بن العاص واستأذنه في المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسبح وكان عمرو يري الله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما هم و يري الله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاء فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فترع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد انجاء الله منها فقال لعمر ما هذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيا في الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما قدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل في تجارنا فقال له

الشماس وكم ترأله ترجوا أن تصيب في تجارتك قال رجاءى أن أصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين فأمل أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبخرة فقال له الشماس رأيت ذبابة أحدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنائير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت أصلى في كنيسة بيت المقدس وأسبح في هذه الجبال شهر اجعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعني الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك دينين لأن الله عز وجل احياى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر في مديسة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها علمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتبني لي بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن افي لك وأن أردك الى اصحابك فقال له عمرو كم يكون مكثي في ذلك قال شهر اطلق معي ذاهبا عشر اوتقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرني حتى اشاء وأصحباني في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى ارجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم أنس به فقالوا نعم وبعنوا مع رجل منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى اتوها الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبها ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشراقيهم ولهم كورة من ذهب مكاله يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقونهم اباء كما هم وفيما اختبروا من تلك الكورة على ما وصفها من مضي منهم انهم وقعت الكورة في كره واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم * فلما قدم عمرو والاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يتراعى بالكرة وهم يتلقونهم اباء كما هم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت في كم عمرو فحجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الكرة قط الا هذه المرة أترى هذا الاعرابي يملكنا هذا ما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى في اهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين وانه قد ضمن له ألفي دينار وسألهم أن يجتمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فما فبذلك عرف عمرو ومدخل مصر وفخر بها ورأى منها ما علم انها أفضل البلادوا كثرها مالا فارجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان اول مال اعتقده وتأثله

* (ذكر عود السواري) *

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان المانع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا الى الاسكندرية في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو ساوكة اذا قدموا وبذلك رأى هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذي كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه خزانة كتب أخرى عمرو بن العاص بإشارة عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدته اثنتان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نثر طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع بجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلاث ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف * قال المسعودي وفي الجانب الغربى من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما علوا بعد النقر فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فقلنا نقرها الا ولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أحاط هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمود العظيم وأنواع الحجارة والرخام الذي لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علق بين السماء والارض على فوق

المائة ذراع وفوق رؤس أباطين دائر الاسطوانة مابين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا والحجر فوقه عشرة اذرع في عشرة اذرع في سلك عشرة اذرع بغرائب الالوان * وكان بالامكندرية قصر عظيم لا نظيره في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بناء واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعقبته حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلا عظمتها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها فاذا ف حجر وعلوها رأس محكم الصناعة يدل على انه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر آخر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرق به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وتوربما وضع تحتها الحجارة فطعنتم لشدتها حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم انها عمالها الجن لاسليمان بن داود عليهم السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عنه الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عملها القدماء من اهل مصر * وكان في وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كالحسن ما أنت راى من الصنائع * ويقال ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبته هذا القصر وأراد أن يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقموا له قصر اعظما على هيئته فامنهم الامن اعترف بهجزه عن مثله الاشياء منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسمي الملك ذلك وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المون والالات والرجال فقال اتوني بشورين مطبقين وعجلة كبيرة فللعمال أني بذلك فضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرجه منه جمجمة عظيمة رفعها عذرة من الرجال على العجلة فما جرها الثوران مع قوتهم ما الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصلح الله سيدنا ان أتيتني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر قيقن الملك عند ذلك عجزا هل زمانه عن إقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يز به اللهم زنته ثمانية ارطال * ويقال ان عمود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأحدها البتون بن مرة العادى وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحرق قبل اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتنى فديته بنصف ملكي وجاء بعمود آخر جدد بن سنان التمودى وكان قويا لحمله من اسوان تحت ابطه وجاء بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمدة السبعة الجارود بن قطن المؤتفكي وكان بناءها بعد أن اختاروا لها اطبا لعا سعيدها كما هي عادتهم في عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها أعمدة ناعط ومارب وبينون وماثر البين وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شئ كان يتكلم قال أمية بن ابى الصلت

واذهب للبوس لهم عمارة * واذا صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السوارى من جملة أعمدة كانت تحمل روايا يقال له نلت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم اهل الغرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب الاسطوانة وكانوا يعيلك واصحاب المظال وهم باظاكية واصحاب البرابي وكانوا يصعد مصر والمشاورون وكانوا بمقدونية وكانى بن قل - علمه ينكر على - ايراده هذا الفصل ويراه من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويحجزم بكذب فلا يؤحسنك حكايتي له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اى طولا وعظم جسم قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصر اعين لواجتمع عليه خمس مائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافى عن ابن بجرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في تحف رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغنى أن الضبعة وأولادها ريين في حجاج عين رجل من العماليق وقال تعالى ألم تركيف فعل ربك بعد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تزيد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات

العماد أي الطويل وقال البغوي سمو ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سبارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سمو ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأقي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقها على الحى فهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقدربا لله أبي الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا في عرض ثلاثة اشبار * واعلم أن أعين بن آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو يبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم اصل فيسونه عليه الأمايشا هذونه أو يأتفونه علوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يلقه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو ردّه وكيف يرتد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وقد كرم محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك أن الضحالك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل في طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من الجبارين خرج أحدهما فاصدا الى بلغار والآخر الى باشقر فقام اولئك الجبارون في أرض بلغار وفي باشقر قد قال الاقليشي وقد رأيت صورهم في باشقر ورأيت قبورهم بها فكان مزارية شبهة أحدهم طولها أربعة اشبار وعرضا شبران وقد كان عندى في باشقر نصف اصل الثنية أخرجت لي من فكة الاسفل فكان عمرها شبرا ووزنها ألف مثقال وما تاملت انا وزنها يدى وهى الآن في داري في باشقر وكان دور فلك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وفي بيت بعض أصحابي في باشقر عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا واضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار واكثر كاللوح الرخام وأخرج الى نصف رسغ يدا أحدهم فكانت لأقدرا أن ارفعه بيد واحدة حتى ارفعه يدى جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العماديين رجلا طولا كان طوله اكثر من سبعة أذرع وكان يسمى دنق وكان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال تلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها القبل قتلوه وكان خيرا متواضعا كلما التقى سلم على ورحب بي واكرمني وكان رأسي لا يسل الى حقوه وكان له اخت على طوله رأيتها في بلغار مراعاة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المرأة الطويلة العمادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى اهل بلغار ضمتها الى صدرها فكسرت اضلاعه خات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حام تسعهم الاحام واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثني الحفاظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد القرطبي عن أبيه أنه شاهد قبرا احتقر بمدينة قرطاجنة من افريقية فاذا جنة رجل قدر عظم رأسه ككثورين عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة مانعه انا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يبق عنى ذلك شيئا وجاءني صائح فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جاء بعدى فليعتبر بي وأنشد

يا واقظاري عي السهي * برسم ربيع قد وهى
قف واسق ثم اعتبر * ان كنت من اهل النهى
بالامس كافوقها * واليوم صرنا تحتها
لكل حد غاية * لكل امر منتهى

قال فأمر السلطان ابوبكر بن يحيى الخفصى صاحب تونس بطمه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيئا من ذلك وهو أنه ترافع في بعض الايام طائفة من الحجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجد وميجيل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الحجار من مغارفيها على قلعة الجبل من بحريها فانه كشف لهم حجرا سود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال فاتمى بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلججتهم أقبلوا اجمعوا ولهم عليه حتى تكسر قطعها فاذا

هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنائير كثيرة فاقسموها وتنافسوا في قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فآخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فأقبلوا الى المغار وعثروا برمة الميت فأخبرني من شاهد سنان اسنان هذا الميت انها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيبي. هذا من حساب طوله عشرين ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان وابن أبي الجن انه وقف في سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما انتهى القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلمهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرني أيضا انه شاهد هذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرة فبلغ رطلين وتسع اواق بال رطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي فيكون على هذا ازنه هذا الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصري والله تعالى أعلم

*(ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية) *

قال ابو عمرو الكندي أجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الأمير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا ستمائة ألف قال فما هذا الخراب الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه أمر بفرض دينار على كل محتمل لعمران الاسكندرية فأتاه كبراء أهلها وعلماؤهم وقالوا أيها الملك لا تعب فان الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها خراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعة سنين لا يعيشون فيها نارا الا يحرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها * ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يا مصري أين تسكن قلت أسكن القسطاط فقال أأتاني الاسكندرية قلت نعم قال تلك كاتبة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي لما نعي لي ابن عمي خالد بن يزيد وكان قد توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والديت ابن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما أقامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترتب الاقاليم والامصار انه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمربوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتينس وأمنالهما فقر بها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ربح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل اليمن من غلظ الطبع والحمازة وقد وصف أهل الاسكندرية بالجل قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن احمد الخزرجي ملك الحفاظ

نزول سكندرية ليس يقرى * بغير الماء او نعت السواري
ويتحف حين يكرم بالهواء * ملائق والاشارة للمزار
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يسمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذلك الحرف قاري

وقال احمد بن جرداديه من القسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مربوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا انصب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياح وذلك اذا أخذت من شطونف الى

سبيلك العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبيلك الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها تقوم فيها يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة تصرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة تصرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكنان الكثير وزيت القبل وقوح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبركيه وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن شبركيه الى مسير وهي مدينة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات اقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهي اقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترو وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة الاشعرون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسا ومن البرلس الى اخنا وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسا ومن اخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الاخذ من شطونوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والسياب المتسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمّل الى أقطار الارض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكنان منه اذا عمل ما يباع لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مزارات عديدة

* (ذكر فتح الاسكندرية) *

قال أبو عمرو الكندي لما حاز المسلمون الحصن بمخافه أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جنادي الآخرة منها * وذكر سيف بن عميرة بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك قتل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم فراسلهم وترى صوا أهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر اهلها ثلاثة اشهر وألح عليهم فخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأي الملك فخذ شاذ بن أبي حبيب ان المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسيحيين من أراد من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك فمرق ملأ الروم فسهط أشد السخط وأنكر أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية وأذنوا بحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ماهن قال لا تبذل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمرني اذا مت فادفني في بجنس فقال عمرو وهذه أهون من علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فجمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من القسطنطينية متوجها الى الاسكندرية فلم ير منهم أحدا حتى بلغ مر بوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم يكوم شريك فاقبلوا ثلاثه أيام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم أكافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في أنارهم فأدركهم عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بن بوط فاجلأوه الى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمي أمر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدي وهو صاحب الفرس الاشقر الذي يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانخط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرف ثم التقوا بسطيس فاقبلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله تعالى ثم التقوا بالكريون فاقبلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو وجراحات كثيرة فقال يا وردان لو تقهرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحي
وهذا البيت لعمر وابن الاطنابة وهو أن رجلا من بني النجار كان مجاورا للمعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل به
الا عمرو وابن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

ألا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدي النصيحة للنصيح
بأنكم وما تزجون شطري * من القول المرغى والصريح
سبقدم بعضكم بعلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبتلى عفتي وأبى بلاني * وأخذى الحمد بالثمن الريح
واعطاني على المكروه مالى * واقداى على البطل المشيع
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * وأحى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كالون الملح صاف * ونفس لم تقتر على القبيح

الشطب سعف الخلل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن او فزع وجاشت دارت للفتيان وقيل
هما بمعنى ارتفع والشيخ الباردا المتكلمش * فرجع الرسول الى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا وصلى
عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى باغوا الاسكندرية
فحصن بها الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فقتل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم
بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا شهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة
بالحصن فواقعوه فقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ورسلك الروم تختلف الى الاسكندرية في المراكب
بمادة الروم * وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية فني ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه
ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وانما كان عياد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية
فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلكت الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصلحته نظروا وجهه الى
الاسكندرية حتى يباشر قناها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماه وكفى المسلمين مؤتته وكان
موته في سنة تسع عشرة فبكى الله بموته شوك الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات
هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على اهل
الاسكندرية فقاتلواهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس قتلوا
رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لاندفعه الا برأسه فقال عمرو
تغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالي بغضكم اهلوا على القوم اذا خرجوا فاقبلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه
يرمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقبلوا فقتل من الروم رجل من بطارتهم فاحتزوا رأسه ورموا به
الروم فرمت الروم برأس المهري اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من
مصر أم مهرة تقوم يقتلون ولا يقتلون وأما عافى تقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمر ولو جعلت المنجنيق ورميته بهم به لهدم حائطهم فقال عمرو
نستطيع أن يفنى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رايطة يريدون امر أنه قتال
اذا اتخذوا رايطة كثيرة * ولما استجبر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه
وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنهما مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على
المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثيرا للجم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة
الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى
اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن
الا اربعة نفر تفرقوا في الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والاخر مسلمة ولم تحفظ
الاخرين وحاولوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجأوا الى
ديعاس من حماهم فدخلوا فيه فاحتزوا به فأمر واروميا أن يكلاههم بالعرية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا

اسارى فاستاسروا ولا تقتلوا أنفسكم فاستمعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منازجالا أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا تقتلهم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الروم منهم قال لهم هل لكم الى خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرت لنا وأمكنتمونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سيبلكم الى اصحابكم ففرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمر ومسلمة وصاحباهما في الحصن في الدياس فعدا عوا الى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدة وشدة وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فإراد عمرو أن يبرز فذمه مسلمة وقال ما هذا تخطئ مرتين تشذ من اصحابك وأنت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على اصحابك مكانك وانا كفيت ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فريما فترجها الله بك فبرز مسلمة للروم فنجبا ولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكثر مسلمة واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم أن امير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيطا على ما فاتهم فلما خرجوا استحي عمرو وما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أخشيت قط الا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما مننت مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهم أشد مما استحييت مما قلت لك والله اني لارجو أن لا أعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو ومحاصر الاسكندرية أشهر فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما بطؤوا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب الى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لاباطاككم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتهم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا يصدق نيابتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل علي ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كذابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ودرغهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس ومرت الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه ثم دعا اولئك النفر فقدمهم امام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا وكعين ثم رغبوا الى الله تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشتر على في قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقله على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيك فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دان منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناو لي سنان رحمتك فذاوله اياه فنزع عمرو وعامته عن رأسه وعقله وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف الروم وقتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمسهل المحترم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو الكندي وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو ولمسهل المحترم سنة احدى وعشرين * قال القاضي عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا في ذي القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم في البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من اصحابه ومضى ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر فراجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا فكثر راجعا ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقبح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان يوابا فسأل عمرا أن يؤتمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان الى أن فطحت اثنتان

وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب أليس ترحلنا عرييا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت * فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فتقدمت المدينة في الظهيرة فأخفت راحلتي بياب المسجد ثم دخلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأيتني شاحبا على ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن خديج رسول رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم أقبلت تشد أسمعي حفيف ازارها على ساقها حتى دنت مني ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك قتيبتا فلما دخلت فإذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالآخرى فقال ما عندك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين ففتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فأخبر أصحابك فقامت فأنصرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت أكلا لا كنت معك فأصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأتت بتمر فطبخ فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين فأنزل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لأنتم النهار لاضيعن الزمة ولئن تمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فكتحت مدينة لا أضف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي * وكان بالاسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلقق بأرض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مراكب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقي من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان أكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها واذرها يكون خراجها فيا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفرضة دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فكتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت ففسدوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سببا بهم بالمدينة وغيرها فردتهم عمر ابن الخطاب الى قراهم وصبرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرا سبي اهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وصحافتهم فواو بلغ اولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمرو بن الخطاب الى عمرو وردتهم فردتهم وجد منهم وفي رواية ان عمرو بن الخطاب رضي الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه وبين قريته فكان البلهيب خير يومئذ فاخترنا الاسلام * وفي رواية ان اهل سلطيس وصاوبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيثا ولا عبيدا ففعل ذلك * ويقال انهم اردتهم عمر رضي الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن الهيثم جبي عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من اهل الذمة فقد راعاهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية

ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو ابن العاص استبق اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

*** (ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية واتقاض الروم) ***

قال ابن عبد الحكم فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخاند من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو ابن العاص فقال معاوية بن خديج تنزل فتنزل عمرو القصر وتنزل أبوذر منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو ومعايلي البحر وقد انهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع في السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاة ستة أشهر وكان اكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخاند * وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا البندروا فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو اني أخاف أن تحزبوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركم منكم رمحه في دار فهي له ولبنى بنه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنوا الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شيء ولا بيعها ولا يورث منها شيء انما كانت لهم يسكنونها في رباطهم * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها مفرغاتها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لأحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص الى القسطنطينية وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمصر ان كسرى والى عامه بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى ما أردت أن أركب اليكم را حلتى حتى أقدم عليكم فحدث فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة فتحول عمرو ابن العاص من الاسكندرية الى القسطنطينية وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولا لا يغلظها ويكلف مرابطها ولا يأمن الروم عليها * وكتب عثمان رضي الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نفقت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطها ثم أجز عليهم ارزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية اتقضت وجاءت الروم عليهم منوبيل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابه من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت وقد كان عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد بن أبي سرح فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمان أن يقر عمر حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبه في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئلا يظفروا الله عليهم ليهدم من سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو في البر والبحر ففضوا الى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمر وناضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدهمهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبون من مزاياه فيجزى الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من قرض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خورها وياكلون أطعمتها ويتهبون مازوا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نفوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالشباب في الماء رميا شديدا حتى أصابت الشباب يومئذ فرس عمرو في لبتة وهو في البر فحققر قتل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر ففجعوا المسلمين بالشباب فاستأخر المسلمون عنهم

شيأ وجلاو على المسلمين حلة ولى المسلمون منها وانهم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفها خالف
صفوف وبرز يومئذ بطريق من جاء من ارض الروم على فرسه عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل
من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذبح فاقتنلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف
فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالجدعة فجعل عمرو يصيح أبا مذبح فيجيبه ليك والناس على شاطئ
النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم فحبوا لاسماعه بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحمله وكان نحيفا فأخترط
حومل خنجر كان في منطقته اوفى ذراعه فضرب به نحر العليج اوترقوته فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات
حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرى عمرو يحمل مبرره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شدا المسلمون عليهم
فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألقوه بهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل افضى وقتلهم عمرو
حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا
وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك وهدم سور هنا
كله وجعل ما أصاب منهم بجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كاعلى صلحنا وقدمت علينا هؤلاء
الاصوص فأخذوا متاعنا ورواينا وهو قائم في يدك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه
البينة وقال بعضهم لعمر ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن نقاتل عنا لاننا في ذمتك ولم تنقض فأما من نقض
فأبعده الله فقدم عمرو وقال يا بني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية
هذا أن ظلمي صاحب اخنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها فقال عمرو وهو
يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزنة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم
وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى وأسرفا في به
الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فحننا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان
فرضى باداء الجزية فقبل له لو أنيت ملك الروم فقال لو أنيت لقتاني وقال قتلت اصحابي وعن أبي قبيل أن عتبة
ابن أبي سفيان عقد لعلمة القبطي على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر الفا فكتب لعلمة الى معاوية
ابن أبي سفيان يشكو عتبة حين غزربه وعن معاوية فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعشرة آلاف من اهل الشام
وبخمسة آلاف من اهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون ألفا وفي رواية أن لعلمة بن يزيد كان
على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا فكتب الى معاوية انك خلقتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر ألفا
ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف
من اهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة آلاف معسكين بأعنة خيولهم
مضى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل
الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان * واختلف
عائنا السبب الذي خربته فمخدتنا سعيد بن عفيرة أن عمر لما توجه الى نفيسوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء
حاجته عند الصبح فاختلفه اهل الخربة فغيبوه ففقد عمرو وسأل عنه وبقا أثره فوجدوه في بعض دورهم
فأمر باخرايها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبا نا كلهم ففقدروا يقوم من ساقية عمرو فقتلهم
بعد أن بلغ عمرو الكريون فأقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخربها فهي خراب الى اليوم وقيل كان
اهل الخربة اهل تويت وخبث فارسى عمرو الى أرضهم فأخذله منها جراب فيه تراب من ترابها فكلهم
فلم يجيؤ الى شئ فأمر باخرايهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قد عليه ثم دعاهم فكلهم فاجابوه
الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شئ فعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة
لا يصلح أن توطأ فأمر باخرايها فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضى الله عنه أن يكون عمرو بن العاص
على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كسك البقرة بهرينها وآخر يجلها فأبى عمرو وكان فتح
عمرو هذه اعنوة قسرا في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال الليث كان
فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الاخر سنة خمس وعشرين وأقامت الجيوش ٣
من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن قمت مصر مما يقتلون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا

٣ قوله واقامت الخ هكذا
في الاصول التي بيدي وانظروا
ما معنى هذه العبارة فانها
لا تخلو عن سقط او تحريف
فاحش وكذا قوله قلبها
باسطرا اهل تويت وخبث
فانه بعد المراجعة لم يفهم له
معنى ولعله محرف عن برنة
وجبت ومعناها الخدانة
بالامر والحر وحرزها

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة أن عبد الله بن سعد لما نزل ذو الصوارى أنزل نصف الناس مع بسر بن أرطاة فى البر فقاموا أنى أت إلى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين ما تقي مركب وينافق قام عبد الله بن سعد بن ظهري الناصر فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم فى ألف مركب فأشيروا على فمأكله رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع إليهم أفقدتهم ثم قام الثانية فمأكلهم فمأكله أحد جلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا على فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول كم من قلة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شخصته لانه قد خرج النصف الآخر إلى البر مع بسر فلقوهم فاقتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تحتلف إليه بالاختبار فقال ما فعلوا قالوا اقتلوا بالنبل والنشاب فقال غلب الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالجارة فقال غلب الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت الجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض فقتلوا بالسيوف قال غلب الروم وكانت السفن اذ ذل تقرب بالسلاسل عند القتال قال فقرر مركب عبد الله يومئذ هو الأمير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسياسة ابنة حزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يعززون بنسائهم فى المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسياسة إلى أيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فان تركها أفعل فكم عبد الله علقمة فتركها فترجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فترجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فترجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشى الروم إلى قسطنطين ابن هرقل فى سنة خمس وثلاثين فقالوا أتترك الاسكندرية فى أيدي العرب وهى مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على انا موت قتيابعا على ذلك فخرج فى ألف مركب يريد الاسكندرية فسار فى أيام غالبية الرياح فبعث الله عليهم ريحا ففترقتهم الاقسطنطين فانه نجيا بمركبه فألقته الرياح بصقلية فسأله عن أمره فأخبرهم فقالوا شئت النصرانية وأفنت رجالها لودخلت العرب عابنا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه فى المركب قال ابو عمرو الكندي وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها

* (ذكر بحيرة الاسكندرية) *

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لأمراء القوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثرت الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لاجابة لى فى الخمر أعطوني دنائير فقالوا ليس عندنا فأرسلت إليهم الماء ففترقتهم فصار بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم فى عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم فى البحر الرومى ويخرج منها إلى بحيرة دونها فى خليج عليه مدينتان احدهما الحديثة والاخرى اتكرو وهى كثيرة المقانى والنخل وكها فى الرمل ويصب فى هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة فى الاسكندرية غاية فى الكثرة يباع بأقل القيم وأجنس الاثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

* (ذكر خليج الاسكندرية) *

يقال ان كلوا بطرسة الملكة هى التى ماقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته إليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرغام من أوله إلى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن الخزوى فى كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج إلى ترعة بودة ليس على شئ منها سدى ومنخرج بحلة

بولساينة اورين محلة فرفو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلة انصر ومسروق فأما ترعة لقانه فانها
 تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من
 توت وترعة بويحي وترعة بوالسحما وترعة القهوقية ليس على شئ من ذلك سدة وترعة الشراك تفتح بعد سبعة
 أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البريط يشرب منها ديسو وسخراط وشيرنوبه ومنية حماد وسنادة وبعض
 محلة مارية وترعة قنشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة أن تفتح في النوروز ترعة بويط ومقطع سمدية
 يفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت ولما سدت المقطع المذكور عملت بعد ذلك
 ترعة تروى الصفة القبلية منها فتفتح في يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت في ارض ياطس جرت
 العادة اذا رويت الصفة القبلية من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروى
 وترعة القاروة محدثة وترعة بفوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح
 في سادس توت * تراع بحر دمنور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروى منها بعض طاموس
 وبعض كنيسة الغيط وبعض قرطسا ودمنور * ترعة القواديس منها تشرب شبرا الخلعة وكوم التلول وتراعى شبرا
 الخلعة تفتح على أعاليها من أول توت وترعة بسطرى تفتح في خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح في ثامن توت
 وترعة مندوبه تفتح في ثامن عشر توت وبحر دمشقية تفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون
 وسقط كرداسة ودمشوية ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشقية تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها
 سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ويستد بعد ذلك على دمشقية
 سبعة أيام وعلى سقط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح في أول توت * محلة برسيق ليس عليها سدة * محلة
 الكروم تفتح في ثامن توت ومنها تشرب عدة أما كن وهي محلة الكروم وكفورها وهي دنيصة وكوم الولائد
 وكوم الحفرة ودير امس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهي تلسا والجللون من حقوق محلة كبل ومنه
 تشرب الجهة الغربية * شبرا بارليس عليها سدة وترعة قافلة كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الآن سدة وترعة
 بلقمار وكفورها كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الآن سدة * ترعة الراهب ليس عليها سدة وترعة دسونس
 المتاربض تسمى الحلفاية وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مر حنار للمعينة وترعة يلامنة ويشارى وآخر تراعى
 الحجة وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح في سادس توت وليس عليها الآن سدة وترعة
 ارمياخ تفتح في ثاني عشر توت وترعة ابوق تفتح في سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان
 يضرب السد فيه على تراعى رمسيس من أول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب من السد المذكور من
 النواحي والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربا وبعض البلكوس وبعض
 بولين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح سدة دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام
 وتشرب منه دكدولة ومحلة من ومنية أسامى وبعض صيفية ثم يقطع سدة الفطاي وهو محدث ومنه يشرب
 بعض جنبوبة وبلانة البحرية والسرة وأبو حمار والهوط ثم يقطع سدة رسونس وأبو دينار وترعة طبرينة
 فيشرب منه دنسال وطلوس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما بحر دمنور فانه
 يستد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة
 الغيط ودمنور ثم يقطع سدة نديية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب نديية ودقرس والعميرية والسريرين
 ثم يفتح ويستد على محلة خفص ومحلة كبل ومحلة غير ثم يقطع سدة سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام
 بعد اختلاط الماء من بحر دمنور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسي وغابة
 الاعساس وبعض سمرو ومحلة غير ويقت هذا الى انقضاء النيل * وأما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت
 طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار رما ثم تطلق في النيل العالي على ارض قراقس
 ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه في أول النيل الى أن يضرب
 جسر شراوسيم فيسقى منه شبراوسيم وبعض البلكوس وخضيرة الزعفراني وبعض بولين ومسجد غانم والصواف
 وكوم شريك ومنية مغين وتل الفطاي ومحلة وافد ثم يقطع جسر دلجة ومنه يشرب بعض خربا وبعض فليشان
 وبعض بولان والبيضاء ودنست وبلانة الابراج وتل بقا والحدين واليودية والنسوم وابوصادة والحسن

وقلاوة بن عبيد وطوخ دخاية ودرشاوسقرا ودليجة ولحة وطيبة ثم يقطع على منية وزراقة الحجر والحزون وبعض حيارس وافزيم وابوسمار وأتم الضروع * خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وستخرج التبعدي لا يفتح الى عشرة أيام من نوت ومنه يشرب شاوور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد وحوض الماصلي وحصة سلون وبعض سنيت وبعض التبعدي وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط وبعض انباي وبعض كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامة وشراوبة وكيمان شراس وبعض دمشق وتقام الخراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة فيفجاج وأودية فيكون ذلك الماء صله وهم قبيل من دنانة والرحانة وبني زان وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق القرمان ناحية جوجير وقاقوس وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان عامرا كله في محلول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلاثمائة من سنى الهجرة وقد خرب معظم ذلك * وقال ابو بكر الطرطوسي عن حدثه من مشايخ البحارنة قال شاهدت الاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسملك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده الاطفال بالنار ثم يحمله الوالى ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الموالى عن الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله في سنة تسع وثلاثين ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودي وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وقد كان النيل في هذا الخليج من النيل وكان عليهما معظم ماء النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاط مربوط وكانت بلاد مربوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقة وكانت السفن تجرى في النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بطلت ارض خليجها في المدينة بالأحجار والمرمر وانقطع الماء عنها العوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار يشربهم من الآبار وصار النيل على يوم منهم * وذكر المسبحي أن الحاكم بأمر الله أبان منصور بن العزيز أطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة أربع وأربع مائة خمسة عشر ألف دينار فحفره وفي سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الأمير عليا أمير جندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء في الاسكندرية فابتدأ بالحفر من التبعدي وأنشأ هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم نعا سيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين سنجر المسروري ثم سار بعامة الأمراء والجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الأمراء وجبى الناس الى أن زالت الرمال التي كانت على الساحل بين التبعدي ونم الخليج ثم عدى الى باربار وغزق مراكب هنالك وبني عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة الجبل ثم تعطل استقرار بحر يان الماء فيه بطول السنة وصار يحفر سرى بعد شهرين أو نحوهما من دخول الماء اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة عشر وسبعمائة فقدم الأمير بدر الدين بكتوت الخزنداري المعروف بأمير شكار متوليا الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له ما في ذلك من المنافع أولها جمل الفلال وأصناف التجار الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير للكاف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ما على حافى الخليج من الاراضى بإنشاء الضياع والسواقي فينجو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها ارتفاع الناس به في عمارة بساتينهم وشرب ما نه دأبوا أن يحب السلطان ذلك وتذب الأمير بدر الدين محمد بن كند عدى بن الوزير مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع أمراء الدولة بأخراج مباشرهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعاتهم للعمل للحفر وكتب لولاية الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين ألف رجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها حتى كل فجاء قاس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شبار ثمانية آلاف قصبة حاكية ومن شبار الى الاسكندرية مثلها وكان الخليج الاصلى يدخل الماء اليه من حذ شبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه وعمل عمقه ست قصبات

في عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول - فقرأ ايضا على نظير الخليج المستجدة فصارا بجرا واحدا
وركبت عليه السدود والقطار ووجد في الخليج الاول عند حفرة من الرصاص المني تحت الصهاريج شئ كثير
جدا فلم يعترض السلطان لشيئ منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي
تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثرا الماء فركبت السواقى
حتى نزحت منه الآن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنة واستغنى اهل الاسكندرية
عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جاني الخليج فلم يمس غير قليل حتى استجدة عليه ما يزيد على
مائة ألف فدان زرعت بعدما كانت سباحا وما ينف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنبيلة والسهم
وفوق الاربعين ضبعة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة ونحو عالم عظيم الى سكنى
ما استجدة عليه * وفيه وما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت
هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الماء على أراضي السباح فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رمي فادك أساسه
بالخمر والرماس وأعلاه بالخمر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خانا ينزل الناس ورتب فيه الخفراء
ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التي بعضها
من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجد من الرصاص في سرب بأسفل هذا القصر ينتهي عن
يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة
الى ما بعد سنة سبعين وسبع مائة فاقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط
ثم ينف عند قصه قنطرة من أجل هذا أكثر بساكن الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت
على هذا الخليج * وسبب اقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذي كان يعبر منه ماء ببحر الملح الى بحيرة
الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقبه الرياح في الخليج فانطم فيه وعلا فاعه وقصد من أدركاه من ملوك مصر
حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيا ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي فندب لحفره الامير جرباش
الكرمي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة
وسبعين رجلا ابتدوا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر
شعبان ثمان وتسعين يوما فاتهى عملهم ومشى الماء في الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية
وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كبيرا وجي ما تنفق على العمال في الحفر من أرباب النواحي التي
على الخليج ومن أرباب البساكن بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك
ولله الحمد وعند ما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فخلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم
يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرميل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في أيام النيل فقط

* (ذكر جل حوادث الاسكندرية) *

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين
عبد العزيز بن الوزير الجروى الثائر بتونس فعقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن خديج
فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله
المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا
من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة بوقعة الرض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين
وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى نगर الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم
أن قضايا من الاسكندرية روى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك
لما نزلوا رمل الاسكندرية ليتأعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا يتيحهم دخول
الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروى
يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء اليه فابعت عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه
في اخراج الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروى فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين
وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفروا ونهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولى عليها

اسحاق بن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبي ذكر بن جنادة المعافري فلما اقتتل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على أبي ذكر وأخرجه من الاسكندرية ودعا الجروى وأقبل الاندلسيون اليه فأفسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهروا بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف ويمنعون السلطان في اموره قرأ عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتصموا بلحم وكانت لهم اعز من في ناحية الاسكندرية نفوصم ابو عبد الرحمن الصوفى الى عمر بن ملاك في امرأة قضى على أبي عبد الرحمن فوجدنى نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فأثب بينهم وبين لحم ورجا اهل الاندلس أن يدركوا ثارا من عمر بن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصروه في قصره وخشى أن القصر لا يمنعهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمة قاعدته وتخط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلوا فأتته السيوف فقتل ثمولى أخوه محمد بن عبد الله الذى يلقب بجيوس فقتل ثمولى عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فقتل ثمولى عليهم أخوه ابو هبيرة الخارث فقتل ثمولى عليهم خديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين لحم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزم لحم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى الحجة فولدوا أبا عبد الرحمن الصوفى فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع مثله فغزاه الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكثاني ثم حاربت بنو مدج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى طلب السري من الاندلسيين أن يردهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان ابو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتى في آخر الصيف أخوف منى عليها من الروم فيقال له ما هذه الاربعون مركبا في هذا المخلوق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويك منها ومن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فسار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السري بن الحكم يبعث الى تنيس بعثا فكثر راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسري ثم لما خلع اهل مصر المأمون ودعوا لابرهم بن المهدي وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها ثم سار عنها الى القسطنطينية فحارب السري وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بهامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلصوا الجروى ودعوا للسري فسار اليهم الجروى في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسجنا وأمدتهم بنو مدج وهم في نحو من مائتي ألف فهزموهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السري وبين اهل الصعيد حروب ثم اتى الجروى سار الى الاسكندرية سيره الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى قلعة من حجر مخبئة فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبيد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السري من مصر وسار الى الاسكندرية في قواد العجم من اهل نراسان مستهل حفر سنة اثني عشرة ومائتين فحاصرها بضعة عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحدا من اهل مصر ولا عبدا ولا أبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكت عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جعانا من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر بإحراق مراكبهم فساألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطس وملكوها وكان الأمير معهم ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وملكها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ورجع الى القسطنطينية في جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أشغل الارض في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الراقى أمير مصر وبعث عبيد الله بن يزيد بن يزيد الشيباني الى الغريسة فانهزم الى الاسكندرية واستجاشت عليه بنو مدج وحصروه في شوال فسار الافشين وأوقع بين

في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقية طائفة من بني مدح فهزمهم مرتين واسر منهم وقتل ودخل
الاسكندرية لعشرين بقين من ذي الحجة ففتر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن
ابن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى اهل البشرد فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار
الى البشرد والافشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره * ولما ولي ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افريقية
في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجارات تسير في الطرق وهي آمنة وبني الحصون
والمحارس على ساحل البحر حتى كانت وقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية
في ليلة واحدة وبينهم ما مسيرة أشهر * وفي سنة اثنتين وثلاثمائة دخل حباسة في جيوش افريقية الى الاسكندرية
في الحرم ومعه مائة ألف اوزياد عليها وقد مات الجيوش من المشرق مدد التمكن أمير مصر وسار حباسة
من الاسكندرية ونودي بالنصير في القسطنطينية لعشرين بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة
أحد من الخاصة والعامة الا من هز عن الحركة لمرض أو عذروا تاهم حباسة فلحقوه وهزموه ثم دار عليهم
فقتل من اهل مصر نحو من عشرة آلاف ونهض حباسة الى افريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس
الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة فصر في تكين في ذي القعدة وولى ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث
وثلاثمائة فخرج في جيوشه الى الاسكندرية وتبع كل من بومأ اليه بكاتبة صاحب افريقية فنجح منهم وقتل
كثيرا وجلا اهل لوية ومراقة الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثلاثمائة خوفا من صاحب برقة
* وفي سنة سبع وثلاثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من افريقية مع ابنه أبي القاسم الى لوية فهرب اهل
الاسكندرية وجعلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون
من صفر وقرأ اهل القوة من القسطنطينية الشأم فخرج ذكاء أمير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات
على مصافه بالجيزة في ربيع الاول فولى تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقدور ونزل الجيزة وأقبلت مراكب
صاحب افريقية الى الاسكندرية عليه اسليمان الخادم فقدم على الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا
برشيد في شوال فاقتتلا فبعث الله رجا على مراكب سليمان ألقها الى البر فسكر اكرها وأخذ من فيها أخذاً
باليد وقتل اكثرهم وأسر من بقي وسبقوا الى القسطنطينية فقتل منهم نحو مائة رجل وسار أبو القاسم
ابن المهدي من الاسكندرية الى القيوم وملك جزيرة الاشموين والقيوم وأزال عنها جند مصر فمضى على الخادم
في مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افريقية فظفر بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد
الى القسطنطينية ومضى في مراكبه الى اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى القيوم في صفر سنة سبع وثلاثمائة
فخرج أبو القاسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى القسطنطينية وما زالت الاسكندرية
بأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخسين وثلاثمائة
فلما كتبها وما برحت الى أن قام بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزان القصر * وفي سنة
ثنتي عشرة وسبعمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقد تمت بطسة الى المينا فيها من ملوك الفرنج
ملككان فهموا أن يشوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل أبو بكر بن أيوب اليها وقبض
على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفي أموالهم وسجنهم ومجن الملكين وجرحت خطوط حتى أطلق
السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة * وفي سنة أربع وخسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك
على بليس حصنا من لبن * وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين
شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى
القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى الثغر
وقاضيه الاشرف بن الخباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا بقدمه وسلوه المدينة ثم سار منها
يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الثغر في ألف فارس قتل عليه شاور
ومعه مائة من ملوك الفرنج فقام معه اهل الثغر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجوه أربعة وعشرين ألف
فارس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخيل اذا سلوه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا
في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جوعا كثيرة فبعث اليه

شاوور وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع إلى الشام فأجاب به إلى ذلك وفجئت المدينة وخرج صلاح الدين إلى مري ملك الفرنج وجلس معه فما زال به شاوور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق له بل سيره إلى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه إلى دمشق ودخل شاوور إلى الاسكندرية في سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر إلى الشام وقبض على ابن الخياط وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج إلى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالنار فوقهم عليهم شاوور فقال له ابن عوف أعذرنا يا أمير الجيوش وسامحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضي الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجاشي ناظرا على الأموال وخرج ومعه مري ملك الفرنج إلى القاهرة ثم توجه مري إلى بلاده * وفي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ورد الخبر بحركة الفرنج إلى تغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواني ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج إلى ظاهر باب البحر حيث تجتمع العامة للفرجة وتعرض إلى صبي أمرد راوده عن نفسه فأكر ذلك بعض من هؤلاء المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنج خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق إلى أن ركب متولى النغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أئمة الفتنة ففروا وعاد إلى داره وترك الأبواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم في حوائجهم فحبل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الأبواب يصيحون ويصيحون فمضى أعيان البلد إلى المتولى وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزجون فئات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمام الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالي لكشف أحوال الناس فكثروا عليه ورجوه فانهمزم منهم إلى داره فقبضوه وقتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهم دما كثيرة وأحرقوا بابه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستجد والى دمنور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر إلى السلطان بمخرج أهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشى من اطلاعهم الأمر المسجونين وبعث إلى القضاة فجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج إليهم الوزير مغلطاي الجمالي وطوغان شاذالداوين وأبدى أمير جندار وعتدة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة بآفة دماء أهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال أهل البلد والقبض على الأسلحة المعدة بها للغزاة وامسالة القاضي والشهود وحمل الأمراء المسجونين إلى القاهرة فساروا في عشرين يوما وقدموا النغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخيس وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضي القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد وأكر عليهم ما كونهما شهرا النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فأمر وقوع هذا منهم ما أنهما لم يكن في قدرتهم مائة السواد الأعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وأزمه بحمل ستمائة ألف درهم وأزم القاضي بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف في مكتبة السلطان واعتذر عنه وبرأه حتى عفا عنه وتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعة ثالث عشره فسار على الناس إلى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمام واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تنواليا بإيقاع بأهل النغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن في الجواب إلى أن جهز الأمراء المسجونين وسار من النغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها في قاعة وختم عليهم وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من الحزن العظيمة والحوادث الشنيعة والله الأمر من قبل ومن بعد

* (ذكر مدينة أتريب) *

هذه المدينة بناها أتريب بن قبطيم بن مصر بن بيزر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان أتريب قد انتقل إلى حيزه بعد موت أبيه قبطيم وهي المدينة التي كان أبوه بناها وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شوارعها الأعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفيها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنزهات تشرق وشق في غربيها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض

مزروعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من الابواب عجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها أحد من اهل الخبر فقهقه الشيطان الذي عن يمين الباب وان كان من اهل الشربكى الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل منزلة منها من الوحش الآلف والطيور المغتردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صوراً تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرآة ترى البلاد البعيدة وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناماً بارزة في صور مختلفة وفي وسطها بركة اذا مرت بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصناً باثني عشر باباً على كل باب تمثال يعمل بعجوبة وعمل حوالها جناناً وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلساً منقوشاً على ثمانى أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناماً وعجائب كثيرة وبني مدناً كثيرة وأقام فيها رجلاً يقال له برسان يعمل الكيمياء وضرب منها دنانير في كل دينار سبعة مناقيل عليها صورته وعاش اربع مئتي سنة وستين سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له نائوس في جبل بالشرق حفرة تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرب من ذهب مرصع وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تين لا يد فومنه أحد الأهل كسوقه وعليه الرمال وزبروا عليه اسمهم وتاريخ وقته وقال ابن الكندي أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لها نظير * كورة القيوم * وكورة اتريب * وكورة عمود * وكورة انصنا * وكورة اتريب من جملة كور أسفل الارض وهي مائة وثمانى قرى وكان يقال مدائن الصحرة من ديار مصر سبع وهي أرمنت * وينا * وبوصير * وانصنا * وصان * واطريب * وصا

* (ذكر مدينة تنيس) *

تنيس بكسر التاء المنقوطة بـ ثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وباء آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط في القديم قال ابن وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته فدرت الملك وساسته بأيد وقوة خسا وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك فرد الزوار الى مراثيهم وأقام الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد في العمارات وطلب الحكم * وفي أيامه بنيت تنيس الاولى التي غرقها البحر وكان يئنه وبينه اثني عشر وحوالها الزرع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للتمر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبنى له في وسطها مجالس وينصب له عليهما قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجري انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان للملك بها أمراء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر وكان كل ملك يأتي بأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منزلاً * ويقال ان الحسنين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهما مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل الآيات كاتلاً اخوين من بيت الملك أقطعهم ذلك الموضع فأحسنا عمارته وهندسته وبنائه وكان الملك يتزعمهما ويؤتي منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيه فحجب بذلك المسكان أحد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان الآخر ممسكاً بخز من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قمحه شيئاً اشتراه منه حتى بقي لا يملك شيئاً وصارت تلك الجنة لأخيه واحتاج الى سؤاله فأتته وطرده وعيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعني امساكي فصرمت اكثر منك مالا وولدا وولى عنه مسروراً بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالشبور ويقول يا ليتني لم أشرب لربي أحد اقال الله جل جلاله ولم تكن له فتنة ينصرونه من دون الله * وفي زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملكت قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه نائوساً في الجبل الشرقى وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله تماثيل تدور باليوب في أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس مذهب بلوالب من أناه حطما وزبر عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصر عمر

دهرا وأتام الموت فما استطاع له دفعاً فن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه ولياً خذ من بين يديه * ويقال ان تنيس أخ لدمياط وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وغيره تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جناتاً وبساتيناً وكرماً وشجراً ومزارعاً وكانت فيها بحار على ارتفاع من الأرض ولم ير الناس نادياً أحسن من هذه الأرض ولا أحسن اتصالاً من جناتها وكرمها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا القيوم وكان الماء منحدراً اليها لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء يسقون جناتهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائرهم يصب الى البحر من جميع خلجائه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض مسيرة يوم وكان فيها بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلول الى قبرس تسلكه الدواب يسالون بين العريش وجزيرة قبرس في البحر سير طويل حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وقبرس فلما مضت لداق طيفوس من ملكه ما بثان واحد وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فكان من القرى التي في قرارها غرق وأما الذي كان منها على ارتفاع من الأرض فبقى منه ثوبه وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى التي في هذه الحيرة يتقلون موتاهم الى تنيس فقبضوهم واحداً بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من الملوك التي كانت دارها القرماع اركون من أراكنة البليسا وما اتصل بها من الأرض حروب علمت فيها خنادق وخلجان فتحت من النيل الى البحر يمنع بها كل واحد من الآخر وكان ذلك داعياً للشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض * وقال في كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطالان تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميسله الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهوائه مختلف وشرب اهلها من مياه مخزونة في صهاريج عملاقة في كل سنة عند عذوبة مياه البحر يدخلون ماء النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها في المراكب، واكثر أغذية اهلها السمك والحب واللبان البقر فان ضمان الحب السلطاني سبعمائة دينار حساباً عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق اهلها مهله منقادة وطبايعهم مائلة الى الرطوبة والاثونة قال ابو السري الطبيب انه كان يولد بها في كل سنة ما يتأخضت وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم يبيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لصيق البلد وأبدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المتنصرة فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفاً من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت الى وقوع أبي ثور في ايدي المسلمين وانهم زام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيسة جامعاً وقسموا الغنائم وساروا الى القرماع فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى أن كانت امرأة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة احدى ومائة قتل الروم تنيس فقتل من احم بن مسلمة المرادي أميرها في جمع من الموالي وفيهم يقول الشاعر

الم تربع فيخبرك الرجال * بما لاقى بتنيس الموالي

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان اهلها ميسراً أصحاب ثراء وأكثرهم حاكمة وبها بحالك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها الخلقة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداة ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تتحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كان يبلغ الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينا غرير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا اطلق يشرب منه من مشارق القرماع من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس فكانت من اجل مدن مصر وان كانت شطاً وديفو ودميرة وثونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها ارفع قليس ذلك يقارب التنيسي والدمياطي وكان الحمل منها الى ما بعد سنة ستين وثلاثمائة يبلغ من عشرين ألف دينار الى ثلاثين ألف دينار بلها زالعراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المال استأمل ذلك بالنواب وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون السمك وغير ذلك من الطير على ابواب دورهم والسمك في طائر يخرج من البحر فيقع في تلك الشباك وكانت السفن تركب من تنيس الى القرماع

وهي على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الأمين وأراد الغدر والنكث
بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن عيين من قبل الأمين فلما ثار عليه اهل تنوغي بعث اليهم السري بن
الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولي الأمير جابر
ابن الاشعث الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر ليما تابعا لما بين محمد الأمين وبين أخيه عبد الله
المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له
تلك الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمأمون فبعث اليهم جابر بنهماهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتنة
وأقبل السري بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر في أيام الرشيد من جند
الليث بن الفضل وكان خافا لا ترفع ذكره بقيامه في خلع محمد الأمين * وكتب المأمون الى أشرف مصر يدعوهم
الى القيام بدعوتهم فأجابوه وبانعوا المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد
ابن محمد فبلغ ذلك محمد الأمين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشى وكان رئيس قيس
الحوف فانتقاد أهل الحوف كلهم معه يمتدوا فيسها وأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون وساروا الى القسطاط
لحاربة اهلها واقتتلوا فكانت بينهم ماقبلي ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب ففقد عباد بن محمد لعبد العزيز
الجروي وسيره في جيش ليحارب القوم في دارهم فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم
بعمريط فانهم زعم الجروي ومضى في قومه من ظم وجداهم الى فاقوس فقال له قومه لم لا تدع نفسك انت بدون
هؤلاء الذين غلبوا على الارض فخصي فيهم الى تنيس فزالها ثم بعث بعماله يجيئون الخراج من أسفل الارض فبعث
ربيعة بن قيس يمدد من الجبابرة وسار أهل الحوف في المحرم سنة ثمان وتسعين الى القسطاط فاقتتلوا وقتل جمع
من الفريقين وبلغ أهل الحوف قتل الأمين فتفرقوا وولى امره مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون
فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الارض ثم صرف
المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال فولى عبد العزيز الشرطة فلما ثار الجند وأعادوا المطلب في
المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروي الى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فقتل
بيليس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروي بتنيس فأشار عليه أن ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس في
جمادى الآخرة وبها مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وبابيهوه
وسارعوا الى جب عميرة وسالموه عندما القوه وبعث الى الجروي يأمره بالشخص الى القسطاط فامتنع من
ذلك وسار في مراكبته حتى نزل شطنوف فبعث اليه المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح
فأجابهم اليه ثم اجتهد في الغدر بهم فتيقظوا له فخصي راجعا الى بنا فاتبه ووحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح
ولاطف السري فخرج اليه في زلاج وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النيل فقابل سندا فوعدا أعد
الجروي في باطن زلاجه الحبال وأمر أصحابه بسندا اذا الصق بزلاج السري أن يمزجوا الحبال اليهم فلتصق
الجروي بزلاج السري فربطه في زلاجه وجز الحبال وأسرا السري ومضى به الى تنيس فنجنه بها وذلك في
جمادى الاولى ثم كثر الجروي وقاتل فلقبه جموع المطلب بسفط سليف في رجب فظفر واما عزل عمر بن ملاق
عن الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا للجروي فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم أخيه
العباس في المحرم سنة مائتين فقتل على عبد العزيز الجروي فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى
نزل الجيزة فخرج اليه المطلب في اهل مصر فحاربوه في صفر فرجع الجروي الى شريقون ومضى عبد الله بن
موسى الى الجناز وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الاسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وخرضه على
المسير فطلبه ففر الى الجروي وجده المطلب في أمر الجروي فأخرج الجروي السري بن الحكم من السجن
وعاهده وعاقده على أن يشور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فأطلقه وألقى الى اهل مصر أن كتابا ورد
بولايته فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فقتل داره بالجراء وأمدته
قيس يجمع منهم وحارب المصريون فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخرج من مصر واستبند
السري بن الحكم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاق بالاسكندرية سار اليها
الجروي في خمسين ألفا فبعث السري الى تنيس بعثا فكثر الجروي راجعا الى تنيس في محرم سنة احدى

وما تين فلما نار الجند بالسرى في شهر ربيع الاول وبايعوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على بن حنيفة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في مسهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه وخلق بالجروى ثم خلق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السرى الى ولاية مصر في شعبان وقوى سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنين ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولى عهده على بن موسى الرضى فبوجع له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي يبعث وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرع بن محرم بالقسطاوعبد العزيز بن الوزير الجروى بأسفل الارض ومسلمة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالقوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى فخاربه السرى وظفر به في مصر وخلق كل من كره بيعة على الرضى بالجروى لمنعته بتيس وشدة سلطانه فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وبلاد الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السرى واستعدت كل منه الصاحبه بأعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقى بشظوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروى في مراكبته الى القسطاوع ليجزعه الفرج اليه اهل المسجد وسأله الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من مخبئه في آخره فرسنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة اشهر في آخر جمادى الاولى وقام بهد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فخارب أبانصر محمد بن السرى امير مصر بعداً به بشظوف ثم التقى بدمهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف وانهم زعموا ان السرى الى القسطاوع قبضه من اكب ابن الجروى ثم عادت فدخل ابو حرملة فرج بينهما حتى اصطالحا ومات ابن السرى في شعبان سنة ست ومائتين فولى بعده أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المأمون محمد بن يزيد بن حمزة الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله بن السرى من التسليم له ومانعه فاقتتلوا وانضم على بن الجروى الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأغاثة وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السرى فاقتتلوا في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين وجرى بينهم حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الحوف فكره ذلك ابن الجروى ومكره حتى أخرجه من عمله الى غربى النيل فنزل بها وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد في ضرر وجهد وعسكر له ابن السرى في شهر رمضان وأمره وأخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدا وغربها وبولاية على بن عبد العزيز الجروى تنيس مع الحوف الشرقى وضمنه خراجه وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجه من أهل الحوف فأنهوا وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فأمدهم بأخيه فالتقى بكورة بنا في بلقينة فاقتتلوا في صفر سنة ثمان ومائتين وامتدت الحروب بينهما الى أثناء ربيع الاول وهم منه فون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكهما وخلق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فقتل فيما بينها وبين غزة ثم عاد وأغار على القرما في جمادى الآخرة ففر أصحاب ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شظوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى في اول النهار ثم اتاه كين ابن السرى فانهزم وذلك في رجب فغضى الى العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى في المحرم سنة عشر ومائتين وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى بالبعوث فخاربهم فبينما هم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر قتلناه ابن الجروى بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه ببليس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر قترأخى له وبعث فجي المال ونزل زفتا وبعث الى شظوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التي جاءت من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى في المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى في مصر وخلع عليه وأجازة بعشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فسكنه قن مصر بعبد الله بن طاهر * وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ولدت بتيس معزى جدبالة قرون عدة ورأسه مع صدره وبذنه وقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر أسود وذنبه ذنب شاة وولدت امرأة سمكة لها رأس مدقور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتيس وعد وبرق وريح

شديدة وسواد عظيم في الجوف ثم ظهر وقت السحر في السماء عمود نار اجرت منه السماء والارض أشد حيرة وخرج غبار ودخان بأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من التمار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة أيام * وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حضر عند قاضي تنيس أبي محمد عبد الله بن أبي الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة أيام فوجدت لها مال الرجال ومال النساء فبعث اليها القاضي امرأة لتسرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرًا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أكلف وانما راحة الحسن فطلقها الزوج * قال ابو عمرو الكندي حدثني ابو نصر أحمد بن علي قال حدثني يس بن عبد الاحد قال سمعت أبي يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم قتل فوليكم فيما الاعوج ثم الاصفر ثم الامر ثم يأتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ رايته البحر الاخضر علاها عدل فقلت كان ذلك كانت الفتنة فولياها السري وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر والامر د عبد الله بن السري وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح امرها وأخرج ابن الجروي الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر في ذي الحجة سنة خمس عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التي عنده فان دفعها اليه والاقية فطالبه ولم يدفع اليه شيئا فقدمه بعد الاضحية ثلاث فقتله * وفي جادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين نار يحيى بن الوزير في تنيس فخرج اليه المطفر بن كندر أمير مصر فقاتله في بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه اصحابه * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس فتولى عمارة غنيسة بن اسحاق أمير مصر وأنفق فيه وفي حصن دمياط والفرما لا عظيما وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء ثم عادت لمخاضها وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وصلت مراكب من صقلية فمهاوامة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع ودائر طنبه مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فمه تسعة وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يجذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن بياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خيل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه اسباط شبة الذيل وله عينان كعيني البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق بن لوبة به فشق بطنه وملح بمائة اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحن ورجل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة شاد اهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلتهم في آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلدي عون الله تعالى حتى اصبحوا نجبت تلك النيران وفيها صيد بحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداؤه في صدره بخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر يحمل الى القاهرة وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ولدت جارية بقتار أسين أحدهما بوجه أبيض مستدير والاخر بوجه أسمر فيه سهولة في كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مركب على عنق واحد في جسد واحد يدين ورجلين وفرج ودرنجات الى العزيز حتى رآها وهب لاماها جلة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهر وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شواني صقلية نحو أربعين مركبا فخصر وها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا في سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مركبا فقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فحيز في طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس فلما اجتمع الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فأصبح الفرنج الى المصلى وقتلوا من بهمن المسلمين قتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقي منهم الى دمياط فمال الفرنج على تنيس وألقوا فيه النار فأحرقوا وساروا وقد امتلأت ايديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرج عسقلان في عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عندما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب قساربه المسلمون وقتلوه فظفرهم

الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه * وفي سنة سبع وسبعين وخسمائة اتدب السلطان
 لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عند ما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقد راعمارة سورها
 القديم على أساساته الباقية بمبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن اصناف وأجر * وفي سنة ثمان وثمانين وخسمائة
 كتب بإخلاء تنيس ونقل أهلها الى دمياط فأخليت في جفر من الذراري والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في
 قلعتها * وفي شوال من سنة أربع وعشرين وستمائة امر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بهدم
 مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال الفاكهي في
 كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة مكتوباً عليها بما أمر به السرى بن
 الحكيم وعبد العزيز بن الوزير الجروي بأمر الفضل بن سهل ذي الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع
 وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطي مصر في وسطها الا انهم كتبوا في أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر
 به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوباً عليها باسم الله بركة من الله
 لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به المعيل بن ابراهيم أن يصنع في طراز تنيس على
 يد الحكيم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوباً عليها باسم الله بركة من الله
 مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة
 على يد الخطاط بن مسلمة عامه سنة تسع وخسين ومائة * قال المسيحي في حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة
 وفي ذي القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهي أسفاط وتخت وصناديق مال
 وخيل وبغال وجير وثلث مظل وكسوتان للكعبة * وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربع مائة وردت هدية تنيس
 الواردة في كل سنة منها خمس فوق مزينة ومائة رأس من الخيل بسر وجها ولحها وتجايف وصناعات عدة
 وثلث قباب دينية بمراتبها ومتمرقات وبنود وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما قدم الحاكم
 استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويجعل توجيهه
 وقيل انه كان ألف دينار وألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها
 عنده فعمل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت * وفي سنة خمس عشرة وأربع مائة ورد الخبر على الخليفة
 الظاهر لا عز الدين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ناروا بتنيس وطلبوا أرزاقهم
 وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا في البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات
 وأخذوا من المودع الفوا وخسمائة دينار فقام البحرأى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وساءنا
 فعل هذا بتنيس أو بيت المال وسيرتسين فارسا لاقبض على الخنثة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض
 مصر مدينة أحسن منها ولا أحسن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب
 في سنة أربع وعشرين وستمائة فاستمرت خرابا ولم يبق منها الا رسومها في وسط البحيرة وكان من جملة كورة
 تنيس بورا ومنها واوان وشطا وبجسيتها الا أن يصاد منها السمك وهي قليلة العمق يسار فيها بالعادي وتلقى
 السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقطع كل واحدة منهما ملو بالريح سيرهما في السرعة مستو
 توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثباء موحدة سكنها طائفة من
 الصيادين وفي بعضها ملاجئ يؤخذ منها على عذب لذيذ ملوحته وماؤها ملح وقد يحلوا أيام النيل * (توبة) *
 وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها قونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة
 الكعبة أحيانا * قال الفاكهي ورأيت أيضا كسوة اهرورن الرشيد من قباطي مصر مكتوباً عليها باسم الله
 بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز
 قونة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان في شهر
 ربيع الاول سنة سبع وثلثين وثمانمائة كشف عن حجارة وأجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على
 بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام الحاكم بأمر
 الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لا عز الدين الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو أكثرها أخبرني بذلك من
 شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمياط واليهما ينسب السمك الذي يقال له البورى واليهما ينسب

أيضاً: والبورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفي سنة عشر وستائة وصل العدو اليها بشوانيه وسبأها فقدمت اليها القطائع التي كانت على رشيد فسارعنها العدو * (القيس) * بفتح القاف وبعدها سين مهمله بلد ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من مدينة القرما قريب من ستة بردى البر وهنالك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع الفرخ عنده الطريق على المارة وبالقرب من التل سباح ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزرة والرملة وبقرى هذا السباح آثار يزرع عندها مقاي لعربان تلك البوادي

(* ذ كرمدينة صا) *

قال ابن وصف شاه ولما قسم قطيم بن مصر ايم الارض بين أنثون واتريب وقفط وصا انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى بركة ونزل مدينة صا قبل أن تبنى الاسكندرية وكان صا أصغر ولداً يبدواهم اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبناء المداين والبلدان والهياكل واظهار الجباب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك * وقال مرهون الهندى صاحب بانه فبنى من حد صا الى حد لوبية ومراقية على البحر أعلاما وجعل على رؤس تلك الاعلام مرأى من اخلاط شتى فكان منها ما يجمع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس ألقت شعاعا على مرأكهم فأحرقها ومنها ما يرى المداين التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعله اهلها ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر فيعلم منه ما يختص وما يجذب في كل سنة وجعل فيها اجامات تقدر من نفسها وجعل مستنقعات ومنتهات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حوالها بساين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستأن من الانهار المطردة والياض الموثقة وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلعب اذا أصابها الشمس فينشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شياً من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى بركة وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال نستره من الشمس وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وبادأهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والنجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة عن دخل مدينة صا ومشى في خرابها فاذا هو ببلدة طولها أربعة أشبار وقناولها وأخذتأملها ثم كسرها فاذا فيها سنبلة قدر شبر وافر كأنها كما حصدت وفر كها يبدى مخرج منها فخرج أبيض بكار حبه جدا في قدر حب اللوبيا فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبع مائة وأخذ منها البنية طواها ذراع ونصف في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة ففتح فخرج كل قمحة منها في مقدار ما يكون أكبر من الحصى فلم يطق كسره الا بعد ما راضه بالحجارة رضا ووجد بصا صنم اطياف طول اصبع فاتفق انه ألقى في حايصة ماء فصار خراوكان ذلك عند رجل من تنيس فصطحت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه الامير الاوحد مستولى تنيس وما زال به حتى أخذ الصنم منه

(* رمل الغرابى) *

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طى الى أن يتصل مشرقا بالبحر ويمضى من وراء جبل طى الى أرض مصر ثم الى بلد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحر بين قيعر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد بحجستان ويمر مشرقا الى مرو وأخذ اعلى جيحون في بزية خوارزم ويأخذ في بلاد الخلد الحية الى الصين والبحر المحيط في جهة الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقى وبعضه في أرض مهله ينتقل من مكان الى مكان ومنه اصفر لين اللبس وأحمر وأزرق سماوى وأسود حالك وأكل مشبع كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكى الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللبس وزعم بعضهم أن رمل الغرابى وما يتصل

وما يصل به من حد العريش الى أرض العباسة حادث * وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شداد بن
 هتاد بن شداد بن عاد أحد الملوك العبادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمون بن مصر بن مصر بن حام
 ابن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآبائه وبني لنفسه اهراماً و نصب أعلاماً بر عليها الطلحات وأخط موضع
 الاسكندرية وأقام هناك دهراً الى أن نزل به وبقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادي القرى فيما
 بين المدينة النبوية وأرض الشام وعمر الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الأمطار والسيول
 فكان سعة كل مصنع ميلاً في ميل وغرسوا التخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين رابة وأيلة الى البحر
 الغربي وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والخفار في أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار مثمرة
 وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الأرض دهراً طويلاً حتى عثوا وبغوا وتجبروا وطفغوا وقالوا نحن الأكثرون قوة
 الأشدون الأغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سقطت أرملافهم تراه من
 هذه الرمال التي بأرض الخفار ما بين العباسة حيث المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل
 مصانع العبادية وسحالة حضورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمرتهم تدميراً وإياك وانكار ذلك لغرابته في
 القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه
 إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقيل الرميم نبات الأرض اذا يبس ودبس وقيل الورق الجاف
 المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالي من كل شيء * (مراقبة) * مدينة عراقية كورة من كورة مصر الغربية
 وهي آخر حد أرض مصر وفي آخر أرض عراقية تلي أرض انطاكس وهي برقة وبعدها من مدينة سنترية
 نحو من بردين وكان قطراً كبيراً به نخيل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وعمرها جيد الى الغاية
 وزرعها اذا برنت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبله وأقل ما تنبت تسعون سنبله وكذلك الارز بها
 قائم جيد زالوبها الى اليوم بسايتين متعددة وكانت عراقية في القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود
 عليه السلام من أرض فلسطين فزاه سامنهم خلائق ومنها انفرت البربر فزلات زناتة ومغيلة وضريبة الجبال
 ونزلات لواتة أرض برقة ونزلات هواره طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السويس فلما كان في شوال سنة
 أربع وثمانمائة من سني الهجرة المحمدية جلى اهل لويبة ومراقبة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة ولم تزل
 في اختلال الى أن تلاشت في زمانا وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من
 الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف بشريك بن سبي بن عبد يغوث بن جرة المرادي القطيفي من الصحابة
 رضي الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الثاني فعندما كثرت جمائع الروم
 لمحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس
 * (غيفة) * قرية تقارب مدينة بليس من القسطنطينية كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان
 صواع الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (عمود) *
 كان بها برابا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكى ابن زولاقي عن أبي القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة في قرطاس
 وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الا ولى هارباً وكان بها أيضاً تماثيل وصور من تلك مصر فيهم
 قوم عليهم شاسيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

* (ذكر مدينة بليس) *

وسميت في التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليه السلام فأنزله بأرض حاشان
 وهي بليس الى العلاقة من أجل مواشيعهم قال ابن معبد بليس والها يصل حكمه الى الورداء وهي آخر حد
 مصر والها تنتهي المعاملة بقضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهي أول الشام
 وقيل هي آخر مصر * وقال ابو عبيد البكري بليس بفتح أوله واسكان ثانيه بعدها مثل الأولى مفتوحة
 أيضاً وباء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك
 أن بين بليس ومدينة قسطنطينية مصر أربعة وعشرين ميلاً * وذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته
 ارمافوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجوارها وعلانها وحشمها لتسير اليه حتى يبنى عليها
 في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت الى بليس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في ألفي فارس

الى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر الى مصر وبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاده بما يلي الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل العرب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بليس وبها أرمافوسة ابنة المقوقس قتلت من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسرت ثلاثة آلاف وانهمز من بقي الى المقوقس وأخذت أرمافوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط في بليس فأحب عمرو وملاطفة المقوقس فسير اليه ابنته أرمافوسة مكرمة في جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمي فسيرت بقدمها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها امرئ ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها ألفا ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعد ما دركها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سنية

* (ذكر بلاد الوردية) *

الوردية من جلة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذية في كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى اردود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون ذلك كان بالميدان أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر يقاسى الهم والسدما ثم الى جريث ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا * وقال جامع تاريخ دميضط ولما افتتح المسلمون الفرما بعدما افتتحو دميضط وتنيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الوردية فدخل أهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان * وقال القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصاحبنا الوردية فيمناعا على ميناء الوردية ودخلنا الوردية فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والوردية من جلة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورد ولم يزل جامعها عامرا اتقام به الجمعة الى ما بعد السبعمائة وبلد الوردية القديمة في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل * (الصالحية) * هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب بن شاذي بأرض المسايخ والعلاقة في أول الرمل الذي بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا تكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة

* (ذكر مدينة ايلة) *

ذكر ابن حبيب أن اثال بضم اؤه ثم ثاء مثلثة وادى ايلة وايلة بفتح اؤه على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايلة أول حذا لحجاز وقد كانت مدينة جيلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها الخلاط من الناس وكانت حدة مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقودة مصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذي كأم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبي أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا اسقاء الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبة ايلة لا يصعد اليها من هوراكب وأصلحها فائق مولى خازويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استمر منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم اما ناكوا ولا يجوزونه رداء عديا ملفوف في الثياب قد أربز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لآياتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والسقي هي ايلة وعن ابن عباس أيضا ان المدينة بين ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة

يقال لها معناة وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيتك الاقوت والحرام يأتيتك جرافا قال نعم في قصة ايلة اذ نأتيتهم حينئذ يوم سبتهم شترعوا يوم لا يسبتون لا نأتيتهم * وكان من خبر أهل القرية انهم كانوا بنى اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال اغنائيتهم عن أخذ الحياتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحياتان اليها يوم الجمعة فبقى فيها فلا يكمها الخروج منها لقله الماء فيأخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه في ذنب الحوت وهو بهز يرك الهاء واسكانها حبل كالطول ويجعل في الطرف الآخر من الخيط وتد او يتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يتلى حتى كثرا الصيد للحياتان ومشى به في الاسواق وأعلن القسقة بصيده فقامت طائفة من بنى اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزت وقالت لانسا كنكم فقمهوا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقلوا ان للناس لسانا فعملوا على الجدار فاذا هم قرودة فدخلوا عليهم فعرفت القرودة انسابهم من الانس فجعلت نأتيتهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقرودة الم تهكم فتقول برأسهم انهم قال قتادة فصارت الشاب قرودة والشيوخ خنازير فأنجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة اصلها بآيلة اليه وقد وقع ذكرها في التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجوزاني ذكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان ذكالة ولدايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبة ايلة وأخراهم من دغفل بن ايلة وانهم يعززون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم * وذكر المصمودي أن يوشع بن نون عليه السلام حارب المجدع بن هزبر بن مالط العمليقي ملك الشام ببلد ايلة فحومدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عون بن سعيد الجرمي

ألم تر أن العمليقي بن هرم * بأيلة أمسى لمح قد تمزعا

تداعت عليه من يهود جافل * ثانون ألقا حاسرين ودرعا

وهي آيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تولد اناه تحية بن روبة صاحب ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأناه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فوهو عندهم وكتب تحية بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسوله تحية بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر اهدم دمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحرين أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب ان أخذ من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طر يقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشربيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ولم تزل مدينة ايلة عامرة أهلة * وفي سنة خمس عشرة واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس البعري ايلة ومعه بعض بنى الجراح ونهبوا وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبي النساء والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادى القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحارسته * قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسمائة انشا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مرأكب مفصلة وحلها على الجبال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قدم ملكه الفرنج وامتنعوا بها فنازلها في ربيع الاول وأقام المراكب وأصلحها وطردها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى قصها في العشر من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسكن بها جماعة من ثقاه وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر جادى الاولى * وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل اليريس لعنه الله الى ايلة وتربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تولد وربط جانب الشام لحرفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثرا المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغنى بها اهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتداركها اصحابها وأصلحوها * وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان الكوكبة وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض ايلة والجزاز وبني كل واحد منهم مدينة مماها باسمه وجعلوا سائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة

وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا
 لاخذ الكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها قودة فجعلوا لها
 خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها وكان فيها
 مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوا أربعة أقسام وكان عدد مدن اهل مصر الداخلة
 في كورها ثلاثين مدينة فيها العجائب وقيل ان جبر الاكبر واسمه العرنجيج بن سبأ الاكبر واسمه عامر
 ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد ابيه جمع جيوشه وسار يثأ للامم ويدوس الممالك
 كما فعل أبوه فأمر في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من
 اهل اليمن من بني هود بن عابر بن صالح بن أرغش بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عازر بن ارم بن سام بن نوح
 وما نزل بهم من ظلمهم فأمر برفعهم من أرض اليمن وأمرهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصل الى اطراف
 جبل نجد فقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا
 ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فعمروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا
 في ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار يثأ لاسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض اولاد
 العيص وهي التي تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى بزة باب حيث
 بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصبون جلييلة عظيمة * (مربوط) *
 كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يشون
 فيها وفي أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط في نهاية
 العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وهي اليوم من قرى الاسكندرية يزرعها الفواكه وغيرها وقد وقفها
 الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بتر الجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر في سنة ست
 وستين وستمائة ثم استأجرها الملك المؤيد شيخ المجدى في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة
 بستانها وقد خرب لترداد عرب لبلدة وبرقة اليه فاستقرت في ديوان السلطان * (وادي هيب) * هذا
 الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر قريبا من مربوط والقيوم يجلب منه الملح والنظرون عرف بهيب بن
 محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفاري أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح
 مكة وروى عنه ابو عويمر الجيشاني وأسلم مولى نجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند قسنة
 عثمان رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في
 السفر ويقال لهذا الوادي أيضا وادي المولود وادي النظرون وبزة شهاب وبزة الاسقط وميزان القلوب
 وكان به مائة دير للنصارى وبقي به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا الكتاب وهو واد كثير
 الفوائد فيه النظرون ويحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراقي والملح السلطاني وهو على هيئة ألواح الرخام
 وفيه الوصكت والكميل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر في داخل حجر أسود يحك في الماء
 ويشرب لوجع المعدة وفيه البردي لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء في هيئة البركة وطولها نحو خمسة
 عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع في مغارة بالجبل لا يعلم من اين يأتي ولا الى اين يذهب وهو حار رائق * ويذكر
 أنه خرج منه سبعون ألف راهب يديك كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من
 الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم واديارهم فكتب لهم بذلك أمانا بقي عندهم وكتب لهم أيضا بحجراية
 الوجه البحري فاستمرت بأيديهم وان جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف اردب وهي الآن
 لا تبلغ مائة اردب

* (ذكر مدينة مدين) *

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطورا ابنة يقطان الكنعانية ولدت له
 ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وهي اكبر من تبوك
 وبها البئر التي استقى منها موسى لساعة شعيب وعمل عليها بيت * قال الفراء مدين امم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة
 سميت باسم ابيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجهور على أن مدين العجمي وقيل

عربي فان كان عمره يافاه يَحْتَمَلُ أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل او مفعلا من دان فتعجبه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض او اسم القبيلة تجمعا وعريا * وقال المسعودي قد تنازع اهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مَر بن عيقاب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية ففهم من رأى انهم من العرب الدائرة والام البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحسن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا آخرهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ففهم المسمى بأبيجد وهو وحطى ولكن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحسن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي علم احساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان أبيجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هو وحطى ملكين يلا دوح وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل يلا دمصر وكان كلن على ملك مدين ومن الناس من رأى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه وعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نخوع مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلمت صحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم ونوهموا أن ذلك ينجمهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتاهم فرثت جارية بنت كلن أباهما وكانت بالحجاز فقالت

كلن هدم ركني * هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الشحت نار او وسط ظله

كوت نارافأضحت * دارقوى مضحله

وقال المنصور بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمر او نجي بني عمرو

هسم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدو

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني خطى وسعفص ذي الندى * وهو زارباب التنية والحجر

قال المسعودي ول هؤلاء الملوك أخبار عجيبه من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتلكهم عليها وأبادتهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الايكة لظالمين فأتقننا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نخوع مدين وقيل بل أصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا يتبعون بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في روايتان احدهما ان الايكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المثل والايكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا أصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وليكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان ليكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا هو مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضى الله عنه فأصاب سبيا من اهل ميثا قال ابن اسحق وميثا هي السواحل فبيعوا وقرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون قتال ما لهم فأخبر خبرهم فقال لا تبعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن اد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل

ابن جذام * وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو فد جذام من حبا قوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة مثل فذل والقرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قدياد أهلها وخربت وبقي منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسنيطة والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبثرين والمائين والسبع والمعاق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل تجارتها الى غزة وبقي بها هنالك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين ومدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعتهما بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاؤه عدة أسفار على رفوف جل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلف بلوحين من خشب وكتبته بالقلم السند طول الالف واللام نحو شبر فوجد في بلاد الكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب قد كرموا موسى عليه السلام عدة أسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موسى وبالفارسية داران وبالقبطية هرويس وذكراه تزوج ابنة شعيب وانه أقام بمدين ثمانى حجج ثم قال لابن شعيب قد أتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا مني

* (بقية خبر مدينة مدين) *

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وخطى وكلن وسعفص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه خطى على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحزان الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان وكان قرشت هو الحجاز فيهم وكان سعفص وهوز وكلن اهل عدل وحلم وكان خطى صاحب بطش وجراة وكان بنو اميريل اذ ذاك بالشام فلم يملك اولاد ابجد أرض الشام ولا احتوا عليها وكانت مدة ملكهم نحو امان مائة وخمسين سنة فتم اهلهم بدولة أيهم ابجد ثلثمائة سنة وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل روزيت بن هوز وعزيت بن خطى بن ابجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن اولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم أعادوه الى الحب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثني به شتر بن غنيم العامري شيخ لقيه بأرض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعربن حجر بن جديلة بن ظم كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرافكثر اولادهم حتى بنوا المدائن والقرى والحصون وعمرها بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها بنو الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

* (ذكر مدينة فاران) *

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصي عمولة أمواتا ومن هنالك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والسيه مرحلتان ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخل كثير متمر الكت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يتر بها العربان

* (ذكر أرض الجفار) *

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن وهي القرما والبقارة والورادة والعريش ورفج والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المني فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مرحله والجفار تجفر فيه الابل فأتخذته هذا الاسم كما قيل للعبل الذي يجبر به البعير هجار ولأنه يجبر به بجار وللذي يعقل به عقار وللذي يطن به بطان وللذي يحطم به خطام وللذي يرم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الورد والعريش أخذ من العرش وقيل إن رفج اسم جبل * وكان يسكن الجفار في القديم خدام بن العريان ويقال إن أرض الجفار كانت في الدهر الأول والزمن الغابر متصلة العمارة بكثرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفور وقصب السكر وكان ماؤها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحرق بها من كل النواحي إلى أن دمرها الله تدميرا فصارت إلى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه إلى العريش وإلى رفج كله فترى عرف بقمته برمل الغرابي قليل الماء عديم المريع لا ينس به فسبحان محيل الأحوال

* (ذكر صعيد مصر) *

الصعيد المرتفع من الأرض وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة وقيل مالم يخالفه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الأرض وقيل الأرض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم إنما حدث في الإسلام سماها العرب بذلك لأنها جهة مرتفعة عمادونها من أرض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الأرض ولأنها أرض ليس فيها رمل ولا سباح بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد أيضا الوجه القبلي * قال الأستاذ إبراهيم بن وصف شاه والماضرت مصر أيام الوفاة عهدا إلى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد فقط إلى أسوان ولاشمون من بلد اشمون إلى منف ولا ترب الخوف كله وأصا من ناحية صا البحيرة إلى قرب برقة وقال لآخيه فارقك من برقة إلى الغرب فهو صاحب إفريقية وولده الافارق وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقطا وما فوقها إلى أسوان وما دونها إلى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمون من اشمون فسادونها في الشرق والغرب إلى منف فسكن اشمون اشمون فسميت به وقطع لآخيه ما بين منف إلى صا فسكن آخيه فسميت به وقطع لآخيه ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزين بالصعيد وجزين بأسفل الأرض * وقال أبو الفضل جعفر بن نعلب بن جعفر الأديفي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد مسافة إقليم الصعيد الأعلى مسيرة اثني عشر يوما بسيار الجمال وعرضه ثلاث ساعات وأكثر بحسب الأماكن العامرة ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البحيرة وفي الغربية بالوادي وهي كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بن هرم المتصلة أرضها بأراضي جرجان من عمل أخميم وآخرها من قبلي الهو وبليها أول أراضي النوبة وفي هذه الكورة تيج فقط وفوص وأول الكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجان وفي هذه الكورة الغربية سمهود وأخر الكورة الغربية أسوان وبجافته أكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستوى على إقليم الصعيد المشتري * ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أراذب ثم رافعه صا بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي ويبع منها في الغلاء كل وية بدينار ويقال لما صوّرت الدنيا لأمير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن إلا كورة سيوط من صعيد مصر فانما ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لا تنتشر في جميعها * وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الأمير ططا إلى قوص في أيام ناصر محمد بن فلاون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها أريد أن أبصر شيئا من سحرك فقالت أجود علي أن أسحر العقب على اسم شخص بعينه فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها فقتله فقلت أريدني هذا واقصديني بسحرك فأخذت عقربا وعلت ما أحببت ثم أرسلت العقب قتيبي وأنا أنتحي عنه وهو يقصدي فجلست على تحت وضعته على بركة ماء فأقبل العقب إلى ذلك الماء وأخذني التوصل إلى فلم يطق ذلك فز إلى الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل إلى السقف

ومرّقه الى أن صار فوق وألقى نفسه صوبى وسعى نحوى حتى قرب منى فضر به فقتلته ثم قتلت الساحرة أيضاً * وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك لكثرة تساجه حتى إن الرأس الواحد من نعايج الضأن يتولد عنه في عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأساً وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها اناثاً تلد مرة واحدة في كل سنة ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد والا فان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحاً وقد شوهد كثيراً أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة أو رؤس * وكانت الكثرة والغلبة يبلد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبنو وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وبنو كلاب ونعلبة وجذام * وبلغ من حمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يتر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور وللضيافة اذا دخل داراً منها أحضر لدايته علفها اوجى له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الى أن لا يجد الرجل أحداً فياين القاهرة واسوان يضيغه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراق في أيام الاشرف شعبان ابن حسين بن محمد بن قلاوون سنة ست وسبعين وسبع مائة وتزايد تلاشي في أيام الظاهر برقوق بطور الولاية ولم يزل في اديار الى أن كانت سنة ست وثمانمائة وشرقت مصر بقصورمذ النيل فدهى اهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرعى على الطرقات ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمر في أيام المؤيد شيخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاية الجهد في محرها نسأل الله حسن الخاتمة

* (ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة) *

الجنادل ما يعلّ الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجنادل الجنادل قال سيديوه وقالوا جنادل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجنادل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجنادل * قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والجهة والنيل * وأقول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف بيلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالحملة ودلالة من يجبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لأن هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة في النيل ولا نصيبها فيها خير عظيم ردوى يسمع من بعد وهذه القرية مسطحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم في قرب املاك وتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحد منهم بالعربية وشجرها كثير وهي ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقراها متسطرة على شاطئها وشجرها النخل والمقل وأعلاها اوسع من أدناها وفي أعلاها الكروم والنيل لا يروى من اوعها الا ارتفاع أرضها وزرعها القذان والقذانان والثلاثة على أعناق البقر بالادوايب والقمح عندهم قليل والشعير كثير والسلت ويعتقبون الارض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تطريةها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسهم واللوبيا وفي هذه الناحية فحراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها ميناء تعرف بأدواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بر باعيب وله هذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولا تهم لقربه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فعاملته معه في تجارة أو هدية اليه او الى مولا يقبل الجميع ويكافئ عليه بالريق ولا يطلق لأحد الصعود الى مولا لاسلم ولا لغيره * وأقول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هي ساحل والى انتهت مراكب النوبة المصعدة من القصر اول بلدهم ولا تجاوزها المراكب ولا يطلق لأحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا بأذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها وشر ناحية رأيتها لهم لصعوبة بها وضيقها ومشقة مسالكها أما بجرح الجنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما يزين

الجانبين خمسين ذراعاً وبترها بحجاب ضيقة وجبال شاهقة وطرفان ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها أو الراجل الضعيف ينجح عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليه يفرع أهل الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفي جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثر كلهم السكك ويدعون بشحمه وهي من أرض مريس وصاحب الجبل واليه والمسلحة بالقس الأعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى أن عظيمهم إذا صار بها وقف به المسطح وأوهم أنه يقتل عليه حتى يجد الطريق إلى ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوز هادئاً ولا درهم إذا كانوا لا يتابعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء وإنما هي معاوضة بالزيت والمواشي والجبال والحديد والحبوب ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا بأذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كما نأمن أن وبهذا الاحتياط تنكح أخبارهم حتى أن العسكر منهم يهجم على البلد إلى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسبب الذي يخرط به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه بارداً مخالفاً للعجالة فإذا أشكل عليه فحق فيه بالقم فيعرق ومن هذه المسلحة إلى قرية تعرف بساى جنادل أيضاً وهي آخر كرسيم ولهم فيها أسقف وفيها برابرة ناحية سقلودا وتفسرها السبع ولاة وهي أشبه الأرض بالأرض المتاخمة لأرض الاسلام في السعة والضيق في مواضع النخل والكرم والزروع والشجر المقل وفيها شئ من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشعة وبها شجر الزيتون واليه من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة تصرفون فيها قلعة تعرف بأصطون وهي أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلا معترضا من الشرق إلى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب ورجما رجعا إلى باين عند انخساره شديد لخبر رجب المنظر يتخذ الماء عليه من علو الجبل وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة برد إلى قرية تعرف بإستو وهي آخر قرى مريس وأول بلدة مقرة ومن هذا الموضع إلى حد المسلمين لسانهم مريس وهي آخر عمل مقلهم ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عند اسمها الحسن وما رأيت على النيل أوسع منها وقد رت أن سعة النيل فيها من الشرق إلى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجري بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام وأكثر ميرة مدنتهم منها وطورها النقيط والنوى والبيضا وغير ذلك من الطيور الحسان وأكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية * قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الخيطان الضيقة وقيل إن التساح لا يضرب هناك ورأيتهم يعبرون أكثر هذه الانهار سباحة ثم سفد بقل رهي ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الآن في جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكائس والاديار والنخل الكثير والكرم والبساتين والزروع ومروج بكاف فيها ابل وجمال صهب مؤهلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لأن طرفها القبلي يحمي دقلة مدنتهم ومن مدينة دقلة دار المملكة إلى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منخوطة لا يدري من أين تأتي ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دقلة إلى أول بلدة علوة أكثر مما بين اسوان وفي ذلك من القرى والضباع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزروع والكرم أضعاف ما في الجانب الذي إلى أرض الاسلام وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومغازي يخاف فيها العطش والنيل تعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالخدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشلة وهو بلد يعرف بشنقر ومنه خرج العمري وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان من أمرها ما كان وفرس البحر يكثر في هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق إلى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بني أمية عندهم إلى النوبة وفيها خلق من البجة يعرفون بالزافج انتقلوا إلى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرعي واللغة لا يخاطبون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

* (ذكرت شعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم) *

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلادهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جند النوبة ومقرى جند المقر من اليمن وقيل النوبة ومقرى من

جبروا كذا رهل الانساب على انهم جبهه من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول أرض المقره قرية تعرف بنافه على مرحلة من اسوان ومدينة مملكتهم يقال لها انجر ارض على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون فأخرب نافه وكافوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا للنوبة والمقرة ومدينة دقلة هي دار مملكتهم وأول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالاسراح * والنيل يشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فنهاهر يأتي من ناحية المشرق كدر الماء يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فإذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه وأقبل المطر والسيول في سائر البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتي من جبل قال مؤرخ النوبة وحديثي سمعون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد في بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولدين العلوة والبيجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازه يأتي من عندهم طير يعرف بمحمام بازين وبعد هؤلاء اول بلاد الحبشة ثم النيل الايض وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وأنه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وأنه ليس بأبيض فأتانا أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانيه ثم النيل الاخضر وهو نهر يأتي من القبلة مما يلي الشرق شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مختلف اطعم النيل يعطش المشارب منه بسرعة وحيثان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغناء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ ينحت ويعمل منه مقدم وعلى شاطئيه ينبت هذا الخشب أيضا وقيل انه وجد فيه عود الجوز قال وقد رأيت على بعض سفالات الساج الخضرة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الايض والاخضر عند مدينة مملكتهم بلد علوة ويقيان على ألوانهما قريبان من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة يتلاطمهما قال وأخبرني من نقل النيل الايض وصبه في النيل الاخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطوا بين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض لأن فيهما أجناسا كثيرة وخلقًا عظيما قال وبلغني أن بعض مملكتي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودواهم في بيوت تحت الارض مثل السراذيب بالانهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة مما يلي الشرق أيضا في وقت واحد ولا يعرف لها نهاية أيضا وهي دون النهرين الايض والاخضر في العرض وكثرة الخيلجان الجزائر وجميع الانهار الاربعة تنصب في الاخضر وكذلك الاول الذي قد مت ذكره ثم يجتمع مع الايض وكلها مملكة عامرة مسلوكة فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الاربعة يأتي مرة من بلاد الحبشة قال ولقد اكرت السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذي انتهى اليه علم من عرفني عن آخرين الى خراب وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الانهار آلة هراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انهم من الامطار مع مادة تأتي من ذاتها والدليل على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته في أنهار مجتمعة وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلاد النوبة وعلوة وما وراء ذلك في زمان واحد واكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم أنها سنة رى وإذا قشرت الامطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الرنج فانهم أخبروني عن مسيرهم في بحر الهيمز الى بلاد الرنج بالريح الشمالية مساحلين للجاناب الشرقي من جزيرة مضر حتى ينتهوا الى موضع يعرف برأس حفري وهو عندهم آخر جزيرة مضر فينظرون كوكبا يندون به فيقصدون الغرب ثم يعودون الى البحري ويصير الشمال في وجوههم حتى يأتوا الى قبيلة من بلاد الرنج وهي مدينة مملكتهم

وتصير قبلتهم للصلاة الى جنة قال وبعض الانهار الاربعة يأتي من بلاد الزنج لانه يأتي فيه الخشب الزنجي وسوية مدينة العلوى شرق الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما وشرقها النهر الذي يجف ويسكن بطنه وفيها اينة حسان ودور واسعة وكائنات كثيرة الذهب ويسانين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين ومثلك علوة كثر ما لا من مثلك المقررة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقررة وبلده أخصب وأوسع والخل والكرم عندهم يسيرا وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم ومزهرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبه وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهم امن النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتزوج بالذهب والذهب كثير في بلده * ومما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسا يعرف بالكرينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا وجعل البذر في وسط الخطة وشيئا من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد يسيرا منه ووضعه في موضع أراداه ومعه مزرو ونصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرت فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن ينقي زرعه من الخشيش فيألف بقطع شيء من الزرع فيصبح وقد قطع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد وميرة بلد علوة ومثلكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب قنوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرته شيئا منه لاشناعتها فاما اهل الناحية فيزعمون أن الحق تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتختفي لبعضهم يجارة ينطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وان السحاب يطيعهم * قال ومن عجائب ما حدثني به مثلك المقررة للنوبة انهم يحطرون في الجبال ويتقطون منه الوقت سمكا على وجه الارض وسألهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حرقا وقال وقد رأيت جماعة وأجنا ساعن تقدم ذكرا كثرهم يعترفون بالبارى سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف البارى ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى رجلا في مجلس عظيم المقررة سأله عن بلده فقال مساقته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله رب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء أو وقع بدواهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجاءون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوا وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعشة موسى وعيسى ومحمد صاوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتم ان كانوا فعلا * قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كثر الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبنى بدقله جامع بأوى اليه القرباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا السكاه وملكها مسلم وبينه وبين بلاد ما لي مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه بلدة اسمها حبي وأول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زولا وآخرها طولا بلدة يقال لها كاكوا وبينها نحو ثلاثة أشهر وهم يتنعمون وملكهم حنجب لا يرى الا يوى العيدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والبادنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشترون به من ربيع ذراع فأكثر ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والتماس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي جنوبها شعاري وصحاري فيها أشخاص متوحشة كالقبول قريية من شكل الآدمي لا يلحقها الفارس تؤذى الناس ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء فاذا شئ أحد ليحرقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لاتزال أمامه فاذا رماها بجحر فأصابها تنشط منها شرر وتعظم عندهم البيطينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها

في النيل * وهذه البلاد بين افر بقة وبرقة ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهي بلاد خط وشن وسوء مزاج واقل من بث بها الاسلام الهادي العثماني ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وصارت نعمة للزيين من بني سيف بن ذي يزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون في الدين لا يلبسون ونواجد مدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن زشيق في سني أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في المدارس ان شاء الله تعالى

* (ذكر الجبه ويقال انهم من البربر) *

اعلم أن أول بلد الجبه من قرية تعرف بالحزبة معدن الزمرّد في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاهل انه ليس في الدنيا معدن للزمرّد غير هذا الموضع وهو يوجد في مغاير بعيدة مظلة يدخل اليها بالمصايح ويجبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويجفر عليه بالماء اول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجواهر وآخر بلاد الجبه أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزية أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلا حينما كان الرعي بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم ممتلك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديماريس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة الجبه وبركبون الحب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العرب كثيرة عندهم أيضا والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملعة بقرون عظام ومنها جمل وكباشهم كذلك منزة ولها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للخبز قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم خصاص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجري يبايئون به الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاثلون عليها وتدور بهم كايثشون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرمي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليه الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب الجمل بجراحه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديدة مقدام وله جمل ماصح بمثله في السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلي مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون البلوغ اليها في مثله حقيقة فوفي بذلك وأشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي أوجب أن يكون في السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون في سفح الجبل المقطم مما يلي الموضع المعروف بالحلبش جيشا كثيفا مرأعي للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد وهم أصحاب ذمة فاذا غدرا أحداهم رفع المغدور به نوباً على حربة وقال هذا عرش فلان يعني ابا القادر قصير سبعة عليه الى أن يرضاه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرّق أحداهم الضيف ذبح له فاذا أجبوا وثلثة نفر فخر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شيء فخر احلة الضيف وعرضه ما هو خير منها وسلاحهم الخراب السباعية مقدار طول الحديد ثلاثة اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدية في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لان في آخر العود شيئاً شديداً بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الخراب نساء في موضع لا يمتثلن بهن رجل الا المشتري منهن فاذا ولدت احداً من الطارقين لهن جارية اسحتيتها وان ولدت غلاماً مقلته ويقتل ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسيهم عريسة كبار غلاظ من الصدر والشوخط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحداهم جسده وسيل الدم ثم شحمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لثلاير جمع الى جسده فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكلها تصاعدت كانت أجود ذهباً وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والراص وحجر المغنيطيس والمرقشيتا والحست والزمرّد وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها برزت وقدت

مثل القليلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عماسوا والجمعة لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن
وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والأذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلادهم النخل
وشجر الكرم والياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبماساتر الوحش من السباع والقبيلة والنور والفهود
والقردة وعناق الأرض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء إذا
صيدت ومن الطيور الببغا والنقطة والنوبي والقمارى ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس
منهم رجل الا منزوع البهضة العيني وأما النساء فمقطوع أشعار فروجهن وأنه يلحمن حتى يشق عنه لامتزج بقدر
ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط
عليهم قطع ندى من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط
وقلبوا المعنى في أن جعلوا قطع الندى للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقطعون ثيابهم ويقولون لا تشبه
بالخير وفيهم جنس آخر في آخر بلاد الجبل يقال لهم البازر نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال
فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بهما وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة
فجعلوا ينظرون اليه من بعد * ونعظم الحيات يلد لهم وتكثر أصنافها وريقت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها
والثفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤى شخصها قد خرج من دبرها من شدة الضغط وبها حية ليس لها رأس
وطرفاها سوا منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به
من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بحشبة فانتفت الخشبة واذا تأمل هذه
الحية أحد وهي ميتة أو حية أصابه ضررها وفي الجبل شتر وتسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على شرق
صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت فراغة مصر تغزوهم وتوادعهم أحبا نال حاجتهم الى المعادن وكذلك
الروم لما أن ملكوا مصر ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل الجبل
فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان
أول من هادنهم عبيد الله بن الحجاب السلولي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الحجاب لهم ثلثمائة بكر في كل عام
حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتله فلا عهد لهم ولا يؤثروا عبيد
المسلمين وان يردوا أبقهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه
أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رعيته بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم
وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلا ما ضعيفا وهم شوك القوم ووجوههم وهم عمالي
مصر من أول حداثهم الى العلا في وعذاب المعبر منه الى جنة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالرنافج
هم أكثر عددا من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفوا بهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب
قوم من الرنافج في جلته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الرنافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين
وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت
له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريةتهم هجر المقدم ذكرها
كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبي
اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز
عظيم الجبل بأسوان أنك سألتني وطلبت الى أن أوثمك وأهل بلدك من الجبل وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى
جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقممت واستقاموا على ما أعطيتني
وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبالها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين
دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لامير
المؤمنين الا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في الجبل وعلى أن تؤدى اليه الخراج في كل عام على ما كان
عليه سلف الجبل وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخل في بيت المال والخيار في ذلك لامير المؤمنين
ولولاه وليس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم او كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحدا من المسلمين حرًا أو عبدًا فقد برئت منه الذمة
 ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزاه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم
 أهل الحرب وذرايرهم وعلى أن أحدكم أن أمان المحاربين على أهل الاسلام بما لا يؤذيه على عورة من عورات
 المسلمين أو أثر لعزتهم فقد قص ذمة عهده وحل دمه وعلى أن أحدكم أن قتل أحد من المسلمين عدا أو مسوا
 أو خطأ حرًا أو عبدًا أو واحدًا من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لا خيد من المسلمين أو أهل ذمتهم ما لا يولد الجبه
 أو يولد الاسلام أو يولد النوبة أو في شيء من البلدان بترًا أو بجرح فعليته في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد
 المسلم عشرين وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبغوه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه
 وإن دخل أحد من المسلمين بلاد الجبه تاجرًا أو مقيمًا أو مجتازًا أو حاجًا فهو آمن فيكم كما حدكم حتى يخرج
 من بلادكم ولا تنووا أحدًا من أتبي المسلمين فإن أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين وعلى أن تردوا أموال
 المسلمين إذا صارت في بلادكم بلامؤنة تلزمهم في ذلك وعلى أنكم أن تزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين
 لا تظهرون سلاحًا ولا تدخلون المدائن والقرى بجمال ولا تمنعوا أحدًا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
 فيها بترًا ولا بجرا ولا تخفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الذمة ولا تسرقوا المسلم
 ولا ذمي ما لا وعلى أن لا تدموا شيئًا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولًا
 وعرضًا فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن تكون بن عبد العزيز بقم ريف صعيد مصر وكيلًا في
 للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه الجبه للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحدًا من الجبه
 لا يعترض أحدًا القصر إلى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدًا لا عمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين
 لتكون بن عبد العزيز كبير الجبه الامان على ما مهيئنا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاغ
 كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد الجبه لقبض صدقات من أسلم
 من الجبه وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلقه من
 الوفاء والميثاق ولا كنون بن عبد العزيز ولجميع الجبه عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامه
 أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم
 ما وافي كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من الجبه فذمة الله جل اسمه وذمة
 أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين برئته منهم
 وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفًا زكريا بن صالح الخزومي من سكان جدّة وعبد الله بن اسمعيل القرشي
 ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام الجبه على ذلك برهة ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضحيج
 منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من
 أحب ولم يرغب إلى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال متخبة وسارت المراكب
 في البحر فاجتمع اليهم في عدد كثير عظيم قدر كبوا الأبل فهاب المسلمون ذلك فشطهم بكتاب طويل كتبه في
 طومار ولفه شوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الأجراس فنشرت الجبال بالجبه ولم تثبت
 لصلصلة الأجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث
 يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار إلى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى في سنة
 إحدى وأربعين ومائتين فصولح على أداء الاداة والبطط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل
 في المعدن وأقام القمي بأسوان مدة وتربط في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ
 منه حتى لم يبقوا منه شيئًا فلما كثرت المسلمون في المعادن واختلطوا بالجبه قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه
 وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربة
 النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمار في الجبه حتى
 صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عذاب
 ومالت الجبه إلى ربيعة وترحو اليهم وقبل أن كهان الجبه قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة
 لبيعة ولا كنون معافهم على ذلك فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الخزانة والاهم على ذلك الجبه

فأخرجت من خالفها من العرب وتصاهروا إلى رؤساء البجّة وبذلك كفف ضررهم عن المسلمين والبجّة
 الداخلة في صحراء بلاد علوة مما يلي البحر الملح إلى أقوال الحبشة ورجالهم في الطعن والمواشي واتباع الرعي والمعيشة
 والمراكب والسلاح كحال الحدارب الآن الحدارب أشتج وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان
 والاقتداء بكهانتهم ولكل بطن كان يضرب له قبة من آدم معبدتهم فمما إذا رأوا استخباره عما يحتاجون إليه
 فعزى ودخل إلى القبة مستدبرا ويخرج إليهم وبه اترجنون وصرع يقول الشيطان بقرتكم السلام ويقول
 لكم ارحلوا عن هذه الحلة فإن الرهط الفلاني يقع بكم وسألتهم عن الغزوا إلى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون
 وتغنون كذا وكذا والجبال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء
 الفلاني والغنم التي من صفها كذا ولحوم هذا القول فيزعون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا وأخرجوا
 من الغنمة ما ذكر ودفعوه إلى الكاهن يتولاه ويحترمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حل
 الكاهن هذه القبة على رجل مفرد فيزعون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهده وكذلك سيره ويتعصب عرفا والخيمة
 فارغة لأشئ فيها وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من تمسك بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ
 النوبة ومنه لخصت ما تقدم ذكره وقد قرأت في خطبة الاجناس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 ذكر البجّة والكعبة ويقول عنهم شديد كلهم قليل سلهم فالبجّة كذلك وأما الكعبة فلا أعرفهم انتهى ما ذكره
 عبد الله بن أحمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودي * فأما البجّة فأنهارت بين بحر القلزم ونيل مصر
 وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم
 ومناسهم على التّج إلى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجّة إلى أن قوى
 الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معادن الذهب وبلاد العلاقي وعذاب وسكن في تلك الديار خلق من
 العرب من ربيعة بن زار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وترجعوا من البجّة فقتل البجّة ثم صاهاها
 قوم من ربيعة فقتل ربيعة بالبجّة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من سكن تلك الديار وصاحب
 المعدن في وقتها هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب في ثلاثة
 آلاف ألف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حارب على التّج من البجّة في الجلف التكاوية وهم
 الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجّة والداخلة من البجّة كفار يعبدون صنما لهم والبجّة المالكة لمعدن
 الزمرد وتتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة إليه
 مدينة اسوان وجزيرة سوا كن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحشبي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة
 من البجّة تسمى الخاسة وهم مسلمون وأهلهم بهائم * وقال الهمداني * تكع كنعان بن حام أرتيب بنت شاويل
 ابن ترس بن يافث فولدت له حمّا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجّة من
 ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجّة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر
 وألوانهم أشد سوادا من الحبشة يتزبون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا حرايع ومعيشتهم مما ينقل
 إليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجّة تعبد الاصنام ثم أسلموا في إمارة عبد الله بن سعد
 ابن أبي سرح وفيهم كرم ومماحة وهم قبائل وأنحاء لكل نخدر رئيس وهم أهل شجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

• (ذكر مدينة اسوان) •

اسوان من قولهم أي الرجل يأسي أي إذا حزن ورجل اسيان واسوان أي حزين واسوان في آخر بلاد
 الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الخنطة وغيرها من الحبوب
 والقواكد والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحانها هناك غاية في الطيب
 والنعن وكانت أسعارها أبدا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة ولا يتصل باسوان من
 شرقها بلاد اسلاحي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرد وهو في بركة منقطة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما
 من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات ويسلك من اسوان إلى عذاب ويتوصل من
 عذاب إلى الجحاز وإلى اليمن والهند * قال المسعودي * ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان

وزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش واكثرهم من الخجاز والبلد كثير النخل خصب كثير الخير وقدع النواة في الارض قسنت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولبن باسوان ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدي المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم يوفد وفداهم الى القسطنطينية ذكروا عنه أن اناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم عن جاورهم من أهل اسوان وانما ضياعه والقوم عبيدا لأملاكهم وانما ملكهم على هذه الضياع تلك العبيد العامرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بهامن أهل العلم والشيخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انما استنزع من أيديهم فاحتلوا على ملك النوبة بأن يقدموا الى من ابتاع منهم من النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرروا للملكهم بالعبودية وأن يقولوا سيدينا معاشر النوبة سيدنا مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا للملككم واموالكم له فحقن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أوفاهما الكلام للعاكم ونحوه مما اوقفهم عليه من هذا المعنى فغضى البيع لعدم اقرارهم بالرق الملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا احرا غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس * قال واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربها فاناخت على شاطئها واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة وخلقوا بقرى من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الاخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقته والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح الرئيسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية * وفي ذي الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة أعاد ملك النوبة على اسوان وقتل جمع من المسلمين ففرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيدي فحرم سنة خمس وأربعين فصاروا في البر والبحر وبعثوا بعثة من النوبة اسروهم فضربت أعناقهم بدماء وقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبي أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس * وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوى وكان باسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثون الف اردب تمرا وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شربا خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شربا دون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين ومستمائة من الهجرة * وكان بثمر اسوان بنو الكثر من ربيعة امراء مدحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وينجده ان خانه الدهر أوسطا * اناس اذا ما أنجبد الذل انهموا

أجاروا فالتحت الكواكب خائف * وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وانه أجازهم عليا بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوي ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه اسوان في جزيرة وأسروا من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه اولاد الكثر من بعد سنة تسعين وسبع مائة فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولادة اسوان عدة حروب الى أن كانت الحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق

للسلطان في مدينة اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكثر وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هنالك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضوا بالسبي وقد تركوها خرابا يابا لا سكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة ان ابا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حنيفة التميمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر * وذكر أن العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القازم الى عذاب قال ومما شاهدته جماعة من شيوخنا الثقات باسوان بقريه تدعى اساشي هي من اسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرقيها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جيزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من القمح وانواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة السلق وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر اسوان من كل صنف ثمرة واحدة فجمع له وبيته ولا يعرف في الدنيا بسر يتقرر قبل أن يصير رطبيا الا باسوان

* (ذكر بلق) *

بلق أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخيل عظيم ومنبر في جامع واليه تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي أول بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين اسوان أربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا تسلكها المراكب الا بالجدلة ودلالة من يجبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك ولا تقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

* (ذكر حائط العجوز) *

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحرق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه خليج يجري فيه الماء معقود عليه القناطر عملته دلوك بنت زبا وقد وهى وتلاشى ولم يبق منه الا بسير في شط النيل الشرقي انتهى الى اسوان قال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون وجنوده وليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوك بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهم وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فذكرها نخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطعم فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلكا كابرا وأشرافنا وذهب الصحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبى حصنا أحرق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانالنا من أن يطعم فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلة وفيها بين دلا محارس صفار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجلا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يجرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأناهم الخبر من اى جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فغضت بذلك مصر عن أرادها وفرغت من بنائها في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كبيرة والله أعلم

* (ذكر البقط) *

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه الكلمة عربية فهو اما من قولهم في الارض بقط من بقل وعشب أى يند من مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال أو

يكون من قولهم ان في بنى تميم بقطا من ربيعة اى فرقة أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الأرض فرقة منها وبقط الشيء فرقه والبقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ما سقط من الثمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض ما فى أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلال وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة فى اماره عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين فى عشرين ألفا كتبت بهازما فكتب اليه عمرو وأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه تقضى النوبة الصلح الذى جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو على اماره مصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دقة فله حصارا شديدا ووراهم بالمجنبيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيسهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليد وروث الصلح وخرج الى عبد الله وأبدي ضعفا ومسكنة وتواضعوا فلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرأ الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا فى كل سنة ووعد عبد الله محبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام يبلده وكتب لهم كتابا بنسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن أبي سرح اعظم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض اسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين من جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تخاربكم ولا تنصب لكم حربا ولا تغزوكم ما أقمتم على الشروط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وإن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تعترضوا المسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدنتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمه وعليكم فى كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وإناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى اسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض اسوان فان انتم أو بتم عبد المسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدنتكم بهدم أو منعه شيئا من الثلثمائة رأس والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمته رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدنيون به من ذمة المسج وذمة الحوارين وذمة من نعلمونه من أهل دينكم وملكتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة احدى وثلاثين * وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص ما صولحو عليه من البقط قبل تكتمهم وأهدوا الى عمرو وأربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط ويشال له مقوس فاشترى له بذلك جهازا وخرأ وجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا وحبيا وخيلًا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار ربهما يأخذونه عند دفع البقط فى كل سنة وصارت الاربعون رأسا التى أهديت الى عمرو يأخذها والى مصر وعن أبي خليفة حميد بن هشام الجعترى أن الذى صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون رأسا لىء المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأسا ودفعت اليهم ألف اردب قمحا ولرسله ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقتر للتملك ولرسله ثلثمائة اقتر وفرسين من تناج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطى أربعة آواب للتملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية آواب ومن المعلاة خمسة آواب وحببة بمجمله للملك ومن قص ابي بقط عشرة آواب ومن أحص عشرة آواب وهى ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس فى كتاب عبد الله بن وهب ولا فى كتاب الواقدي تسمية ينتهى اليها وانما أخذت التسمية من أبي زكريا قال أبو زكريا سمعت والدى عمرو بن صالح يقول هذا الخبر فحفظت منه ما وثقت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال

انت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب بقط النوبة قلت نعم فأقبل علي محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فاشفقنا أحد منهم فقلت أصلي الله الاميران الذي طلبت من خبر النوبة عندي قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة ثم حدثتني عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية النجر فقلت قد أنكرها عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين عبد الله بن السمري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان يظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرته فسر ذلك * وعن مالك بن انس انه كان يرى أن أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يميز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله ابن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن انس انما صولحوا على أن لا تغزوهم ولا تمنع منهم عدوانا استرقه مقلكهم أو غزا بعضهم بعضا فسرأوه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسرقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار فتيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن جحس وكانت النوبة رجا عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولادة المسلمين القرييون من بلادهم ومنع من اخراج الجهار اليهم فأنكر فبرق ولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذلة الطاعة لغیره واستحجزه فيما يدفع فقال له ابوه فماتشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شئ راء السلف من آباءنا صوابا وأخشى أن يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير أني أوجهك الى ملكهم رسولاً فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة طارناهم على خيرة والا سألتهم الاحسان الينا فنخص فبرق الى بغداد وكانت البلدان ترين له ويسير على المدن والتحدربا بتحداره رئيس البجة باسبابه ولقيه المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقهما فقترب المعتصم فبرق وأدناه وأحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافأه بأضعافها وقال له تمت ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم وذهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لسلامه فانه امتنع من دخول دار لا حديق طريقه فأخذ له بمصر دارا بالحيزة واخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبعة مائة دينار وفساوس سرجا ولجاما وسيفا محلي وثوبا مثقلا وعمامة من الخمر وقيص شرب ووراء شرب وثيابا بالرسلة غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حلال وخلع على المتولي لقبض البقط وعليهم رسوم معاومة لقباض البقط والمتصرفين معه وما يهدي اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجدها اكثر من البقط وأنكر عطية النجر وأجرى الحبوب والسياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقي في يد النوبة وادعى النوبي على قوم من اهل اسوان انهم اشتروا أملا كامن عبيده فأمر المعتصم بالنظر في ذلك فأحضر والى البلد والمختار للعلم فيهم من التابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة السلطة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان السلطة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا يدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن السعدي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين وللأمر بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأسا وثلثيته المقيم بأسوان وهو المتولي لقبض البقط عشرون رأسا وللحاكم المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبض البقط خمسة أروس ولا ثني عشر شاهدا عدول من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في يد اقباع الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلاذري في كتاب الفتوحات ان المقر على النوبة اربع مائة رأس يأخذون بها طعاما يغلونه وألزمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأسا وزرافة

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود مملك النوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة اسوان وحرق عدة سواك بعد ما أفسد بعذاب فغضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وجلبهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سـكـندة ابن اخت مملك النوبة متظلماً من خاله داود فجزد السلطان معه الامير شمس الدين آق سـنـقـر الفارقاني الاستادار والامير عز الدين ايلى الافرم وامير جندار في جماعة كـثـيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلى والزراقيين والرماة ورجال الحراريق فساروا في اول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بايديهم الحراب وعليم دكادك سود فاقتل الفريقان قتلاً كبيراً انهم فيه النوبة وأغار الافرم على قلعة الدروقتل وسبى واوغل الفارقاني في أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر فحاز من المواشي ما لا يعد ونزل بجيزة ميكائيل برأس الجنادل ونهر المراكب من الجنادل فجز النوبة الى الجزائر وكتب لعمير الدولة نائب داود مملك النوبة أما ناخاف لسكندة على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فز وخاض الافرم الى برج في الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين واسرا خالداود فهرب داود والعسكر في أثره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت ام داود وأخته ولم يقدر على داود فقتل رسكندة عوضه وقرع على نفسه القطيعة في كـل سنة ثلاث فيله وثلاث زرافات وخمس فهود من اثني مائة فنجيب أصهب وأربع مائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها للعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانما كلها للسلطان لقرهم من اسوان وهي نحو الاربعة من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عينا وكتب نسخة عين بذلك حلف عليهم الملك سكندة ونسخة عين اخرى حلفت عليها الرعية وخرب الاميران كائس النوبة وأخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين اميراً من امراء النوبة وأفرج عن كل من كان بأيدي النوبة من أهل اسوان وعذاب من المسلمين في أسرهم وأليس سكندة تاج الملك وأعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم أن يحمل جميع مال داود ولكل من قتل وأسرم من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو أربع مائة رأس من الرقيق في كـل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثمانية وستون رأساً ولتأبسه بمصر أربعون رأساً على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاماً من القمح ألف اردب لتملكهم وثلثمائة أردب لرسله

* (ذكر صحراء عذاب) *

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله تعالى الا من صحراء عذاب يركبون النبل من ساحل مدينة مصر القسطنطية الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عذاب ثم يركبون البحر في الجلاب الى جندة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال عاصرة أهله بما يصدر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحوال البهار كالفقر والفاصل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد الى أن يأخذوا صاعداً فم تزل مسلك الحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مائتي سنة من أعوام بضع وخمسين وأربع مائة الى أعوام بضع وستين وستمائة وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي عمير معدن الظاهر واقطاع الحج في البر الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مقاصم اخرج قافلة الحجاج من البر في سنة ست وستين وستمائة فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت بضائع التجار تحمل من عذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبع مائة وتلاشي امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عذاب سبعة عشر يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية وتارة يفقد أربعة أيام وعذاب مدينة على ساحل بحر جندة وهي غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب أن مرأكب الهند واليمن فيها البضائع وتقلع منها مع مرأكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود مرأكب الهند واليمن اليها صارت المراسي العظيمة عدن من بلاد اليمن الى أن كانت أعوام بضع

وعشرين وثمانمائة فصارت جثة أعظم مراسي الدنيا وكذلك هزم من فاتها من جليل وعذاب في صحراء
لابات فيها وكل ما يוכל بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الججاج والتجار فواند لا تخصي وكان لهم
على كل حمل يحملونه للججاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الججاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جثة
ومن جثة الى عذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في اهل عذاب الامن له جلبة فاكثروا على قدر
بساره وفي بحر عذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها تخرج اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة
في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ثم يعودون بماقسم لهم من الحظ والمغاص فيها
قريب القعر وعيش اهل عذاب عيش اليائس وهم أقرب الى الوحش في أخلاقهم من الانس وكان الججاج
يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر اهو الاعظيمة لان الرياح تقيمهم في الغالب براس في صحارى بعيدة مما يلي
الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكادونهم الجبال ويسلكون بهم على غير ماء فربما هلك اكثرهم عطشا
وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويملك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى عذاب كانه نشر من كف
لدا استحالته حياتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاله الججاج بهذه المراسي ومنهم من يساعده الريح فتقطعه برسي
عذاب وهو الاقل وجلباتهم التي تحمل الججاج في البحر لا يستعمل فيها مسجرات البتة انما يحيط خشبها بالقنابر
وهو متخذ من شجر النثار جليل ويخلوونها بدرس من عيذان النخل ثم يسقونها بسم اودهن الخروع اودهن
القرش وهو حوت عظيم في البحر يتلع الغرق وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولاهل عذاب في
الججاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شتم الجلبة بالناس حتى يبق بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة
ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دأتما علينا بالالواح وعلى الججاج بالارواح وأهل عذاب من
الحياة لهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عند باب القاهرة أسود اللون والحياة قوم
لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبداعرة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وعذاب
خرها شديد بسموم محرق

* (ذكر مدينة الاقصر) *

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان اهلها المريس ومنها الجمر الرئيسية

* (ذكر البلينا) *

هذه
القاهرة وصر فوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا فحبه وكان اقطاعه ارميت فلما وصل اليها اضافة اهلها
بستين منسفا من طه ام اللين فقال للخطيب في بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل الى اخيم تقدم
الخطيب الى البلينا فعند ما وصل الى الوالى اليها اخرجوا له ستمين منسفا حلوى وستين منسفا شواء قال وبعض
الحكام بها في عيد من الاعباد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضى بمدح القاضي وفيها
من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة مسابك للسكر ويوصف اهلها بالمكارم

* (ذكر سهود) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل قال الادفوى كان بسهود سبعة عشر حجرا لاعتصاره قصب السكر
ويقال ان الفار لا يدخل قصبها

* (ذكر ارجنوس) *

هذه المدينة من جلة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سيرس صغيرة لها عيد يعمل في اليوم
الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفقر بها الماء عند مضي ست ساعات من النهار حتى
يطفون ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصاري على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما علا الماء من
الارض فيزعمون أن الامر في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك

* (ذكر ابوط) *

هذه المدينة أيضا من جلة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت عينا وشمالا فيرو

ميلها روية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

* (ذكر ملوى) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة أحجار لا اعتصاره وآخر من كان بها أولاد فضيل بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون ألفاً وخمسة مائة فدان من القصب في كل سنة فأوقع التسو ناظر الخاص الحوطة على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد من جملة ما لهم أربعة عشر ألف قنطار من القندج لها إلى دار القندج بمصر سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك وأفرج عنهم فوجدوا لهم حاصل ما يتبدله التسو فيه عشرة آلاف قنطار قد سوى ما لهم من عبيد وغلال وغير ذلك

* (ذكر مدينة أنصنا) *

أعلم أن مدينة أنصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال أنه كان مقياس النيل وأنه من بناء دلوكة أحد من ملوك مصر وكان كالطليسان وفي دائره عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الأحمر المانع ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة إنسان وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من قوهة عند زيادة الماء فإذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان إذا ذلك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جاس الملك عند ذلك في مشرف له وصعد القوم من خواصه إلى رؤس الأعمدة المذكورة فيستعدون عليه ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب وهو ممتلئ بالماء قال أبو عبيد البكري أنصنا بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صادمه هلة مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة منها كانت حربية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه إبراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة ويقال أن سمرة فرعون كانوا منها وأنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال أن القساح لا يضرب ساحل أنصنا لظلام وضعفها وأنه إذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال أن الذي بنى مدينة أنصنا اشمون ابن مصر ايم بن يصر بن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حصة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه وهي الآن خراب وقال أبو حنيفة الدينوري ولا يثبت البيع إلا بأنصنا وهو عود ينشر منه الواح السفن وربما أرغفت ناشرها ويناع اللوح منها بخمس دينار ونحوها وإذا شتلوح منها بلوح وطرح في الماء ستة أيام صار اللوح واحداً وكان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب متجداً في النيل جزاً من جل صخره إلى القاهرة فنقل باسمه إليها

* (ذكر القيس) *

أعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس ابن الحارث المرادى ثم الكعبى شهد فتح مصر يروى عن عمر بن الخطاب وكان يقضى الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سودة وهو الذي فتح القريه بضعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت إليه وقال ابن الكندي ولهم ثياب الصوف واكسبه المرعز وليس هي بالدنيا إلا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفاً فاجتمعوا أنه لا يدفيه إلا الاكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلى العين المصبوغ فعلم له منها عدد فاحتاج منها إلى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في السور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا * وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلفطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأمر متولى البهنساوية بكشفه فجمع له أهل المعرفة بالعوام والغمام فكافوا ما ينيف على مائتي رجل ما فهم الامن نزل السرب فلم يجد له قراراً ولا جواباً فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وثخنه بالازواد والرجال وركب فيه رجالاً مربوطة في خواربقي عند رأس السرب وجعل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شعور وغيرها مما يستخرج به النار وتشعل به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفذ نصف ما معهم من

الزاد فساروا بالركب في ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب فآزالوا حتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمجازيف الى داخل السرب وجزوا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى الهندسالى الملك الكامل فتعجب عجا كثيرا واشتغل عن ذلك بمعارية الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

* (ذكر دروط بلهاسة) *

اعلم أن دروط وهى بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سريان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية الهندسالى بالصعيد وبها جامع انشاء زياد ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجلود حلفة بتر فيها * ما برا الله واحدا كزياد

كان غنيا مصر اذا كان حيا * وأما من السنين الشداد

ومات اخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة قتال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزاد حسنا على طول الدهاريز

لو كان يملك ما فى الارض بعمله * الى العفاة ولم يهيم بتأخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومات ابنه فقال الشاعر فيه

احمد مات ما جدام فقهودا * ولقد كان احمد محمودا

ورث الجدد عن أب ثم عم * مثله ليس بعده موجودا

* (ذكر سكر) *

هى من الاطفيحية تجاهها وادبه الى وقتنا هذا شكل جبل من الحجر ككأ كبير ما يرى من الجمال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نخذه الاين كتابة بقلهم وهى أحرف مقطعة فى ثلاثة اسطر ثم على نحو مائة وخسين خطونه منه جبل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجبل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجبلين المذكورين هيئة أعدال قدمملت تحاشا عتبتها أربعون ركبة موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجبعها من حجارة ولا يشك من رآها انها أحمال قاش وبعد مائة وخسين خطوة منها جبل ثالث على هيئة الجبلين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجبل الثانى ووجهه الى الجبل وهذا آخر الوادى وليس على هذا الجبل أيضا كتابة أخبرنى بذلك من لا اتم روايته

* (ذكر منية الخصب) *

هذه المدينة تنسب الى الخصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد

* (ذكر منية الناسك) *

هى بلدة من جباله الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمنى في أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد الحميد بن محمد ولى من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر بخار على المسلمين واشتد عصفه واذاه لهم فعند ما وصل الخبر بقيام رضوان بن ونخشى على بهرام وهزيمته ونقله الوزارة بعده ثار أهل قوص بالناسك فى جادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا فى رجله وسحبوه حتى ألقوه على منبلة وكان نصرانيا

* (ذكر الجزيرة) *

قال ابن مسيدة الجزيرة الناحية والجانب وجعها جيز وجيز والجزير جانب الوادى وقد يقال فيه الجزيرة واعلم أن الجزيرة اسم لقرية كبيرة بجيلة البنبان على النيل من جانبه الغربى فجاء مدينة فسطاط مصر لها فى كل يوم أحد اسوق عظيم يحجى اليه من النواحي أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى

الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث تيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزانة الله في أرضه ويقال إن مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفته أمته فيه بالنيل وبها النحلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يفر غيرها وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب فاستحبت همدان ومن والاهما الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يبلغه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق اصحابك لم يكن ينبغي لك أن ترضى لاحد من اصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفتأهم فلعلك لا تقدر على غياصهم حين ينزل بهم ما تكره فاجعهم اليك فان أبو اعلبك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما نالك فابن عليهم من في المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبقي لهم عمرو بن العاص الحصن في الجيزة في سنة احدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة أن ينغموا الى الفسطاط قالوا مقدم قد مناه في سبيل الله ما كنا نرحل منه الى غيره فقلت يافع الجيزة فيها مبرج بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم ابو شمير بن ابرهة وطائفة من الحجر وقال القضاة ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل في آل ذى أصبح من حبروهم كثير ويافع ابن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بنى الحجر بن الهبوس الازد وطائفة من الحبشة ودبواهم في الازد فلما استقر عمرو في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه ففكر هو ذلك وقالوا هذا مقدم قد مناه في سبيل الله وأقتناه ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذى أصبح وبافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفتأهم فلعلك لا تقدر على غياصهم فاجعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من في المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم ففكر هو ذلك وقالوا الا حصن احصن لنا من سبيونا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقع القرعة على يافع فبقي فيهم الحصن في سنة احدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاخط ذوا أصبح من حبر من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبنى الحصن فيهم واخط يافع ابن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن اثمة منه واخطت بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرفها واخطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غريها واخطت الجياوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة واخطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة واخط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبوس الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة اخطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناء محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خسين وثلاثمائة بأمر الامير على بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو مسجد مراحم بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة في الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن ابو الحسن بن ابي جعفر الطحاوي واحتاجوا الى عمد الجامع ففنى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركاناً وحمل العمدة الى الجامع فترك ابو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه منذ ذلك تورا قال النبي وقد كان ابن الطحاوي يصل في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمدته وأكثرها ورخامه من كائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة بن شريك عامل الواليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وأنه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا وفي سنة اربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يعرض الى شيء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

قال القاضي "سجن يوسف عليه السلام بيومين من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثريين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسط السجن موضع معروف بأجابه الدعاء يذكر أن كافور الأخشيدي سأل أبا بكر بن الخلد عن موضع معروف بأجابه الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت اخته وورث منها مورا وكان سجن عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوميا أصحابنا هذا أوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنانير فساوينا أصحابه وقال لهم ما شئتموه فاشتروه فاشترى أصحاب الحديد واشتروا ما أرادوا وعدنا يوم أحد الجيزة كنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا إلى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع إلى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلع بي إلى هذا السجن حتى أحدثه بحديث لا أحدثه لاحد بعده حتى تفارق روعي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وجملته حتى صرت في أعلاه فقل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذت فكتب حدثني يحيى بن أيوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن أسلم بن يسار عن ابن عباس قال إن جبريل أتى إلى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مددت السجن ما رأيت أحسن وجه منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالأنبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما أقام إلى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القاضي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطعناوي وذكر سجن يوسف لوسافر الرجل من العراق ليصل في فيه وينظر اليه لما عفت في سفره وقال الفقيه أبو يحيى الروزي "لوسافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عفتة * وذكر المسيحي في حوادث شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العاتية والسوقة طافت الأسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما يتفقونه في مضيمهم إلى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بعدم الأقوات يمنعنا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنوا حالهم إلى الحضرة المطهرة يعني أمير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله أبا الحسن علي بن الحسain كما أمر الله فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج إلى سجن يوسف ووعدها أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت تسع خلون من جمادى الأولى ركب القائد أجل عز الدولة وسنادهام معضاد الخادم الأسود في سائر الأتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل إلى الصناعة التي بالمحسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره إلى الجيزة حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقبلة هناك لحفظه لأنه عدى يوم الاثنين لحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاضعته وحرمة إلى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليلتين إلى أن عاد الرمادية الخارجون إلى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماعات فضحك منهم واستظرفهم وعاد إلى قصره بكرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماعات والتماثيل ويطلعون إلى القاهرة بذلك ليشاهدوا أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سبيل قد كتب لهم أن لا يعارض أحدهم في ذهابه وعوده وأن يعقدوا كرامهم وصبياتهم ولم ير الواعلي ذلك إلى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماعات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعاشهم واجتمع في الأسواق خلق كثير ينظرونهم وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سقافا وزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لاعلم أنه أبو هريرة الصماني وليس كذلك بل هو منسوب إلى ابن ابنته

* (ذكر قرية ترسا) *

قال القاضي وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحجاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن أبيه عبيد الله بن الحجاب السلمي على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم أقره هشام على خراج مصر حين خرج ابوهم الى اماره افر بقرية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة فتزع عن مصر وجميع لحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار بلى الخراج والصلاة معا وترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدي

* (ذكر منية اندونة) *

هي احدى قرى الجيزة عرفت بأندونة كاتب احمد المدايني الذي كان يتقلد ضياع مومى بن بقا التي عصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فآخذ منه خمسين ألف دينار

* (ذكر وسيم) *

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابي النخس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فألقى عبد الله العزل وولاية قرزة بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله قلبسه منكوسا وقيل ابن عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى العذبة وعدى اصحابه قبله وتأخر فوردا الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد أن تشرف منزلي وتكون ضيفي وتاكل طعامي والله لا عادلى شيء من ذلك ولا ادعك منصرفا فعذى معه

* (ذكر منية عقبة) *

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضى الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ما يسأله ارضيا يسترقق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر أصلحك الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة منها أن لا يؤخذ من ارضهم شيء ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا زاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأنا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معاوية يسأله نقيعا في قرية بيني فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مواله ومن كان عنده انظر الى أرض تعجبك فاخط فيها وابن فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من ارضهم شيء ولا زاد عليهم ولا يكفوا غير طاعتهم ولا تؤخذ ذرارهم وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه الارض التي اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رقاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمرو الكندي وقال الحافظ ابو عمرو بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهني من جهينة بن زيد بن مسعود ابن اعل بن عمرو بن الحاف بن قضاة وقد اختلف في هذا النسب يكتب أبا جاد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلاثين وهذا غلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجهني قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي في آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة وسلمة بن مخلد وأما رواه من التابعين فكثير وقال الكندي ثم ولها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئا فقيها افرضا شاعرا له الهجيرة والصحبة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلة بن مخلد لعشرين بقيق من ربيع الاول سنة أربعين فكانت ولايته ستين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يحضب بالسواد رحمه الله

*** (ذكر حلوان) ***

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابلون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذي المنار أحد التبايعه * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالقسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من القسطاط قتل بحلوان داخل في الصحراء في موضع منها يقال له ابو قرة وهو رأس العين التي احتقرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التي غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم يخبر ما يحدث في البلاد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فنقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاهل بذلك ومرض في حجره ذلك ومات هنالك فحمل في البحر براديه القسطاط حتى تغير فأترل في بعض خصوص ساحل مرس ففسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالجواهر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يتر بجنازته اذامات على منزل جناب بن مرثد ابن زيد بن هاني الرعي صاحب حرسه وكان صديقه له وقد توفي قبل عبد العزيز فتر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبس السواد ووقف على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لتصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه انشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد

لو كان يقبل فدية لفيديته * بالمصطفى من طارفي وتلاذي

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفر حوايه ثم مات * وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن مروان منها الى الشرقية مستديا قتل حلوان فأعجبته فالتجدها وسكنها وجعلهم الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبني عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وأحكمها وغرس نخيلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقى حلوان ذى الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

فخل مواخير بالقناه من الس * برفي يستر ثم في سريره

اسود مكانه الحمام فما * يتفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخيل حلوان وأطمع دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غرسه ومساقيه فقال يزيد بن عروة الجلي "ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرتني شيئا كرا يا غلام قل لا يناس يزيد في عطائه عشرة دنانير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي أبو الاصمغ اتته ليلى ابنة زيان بن الاصمغ الكندي روى عن أبي هريرة وعقبه بن عامر الجهمي وروى عنه علي بن رباح وبجير بن داخرة وعبد الله بن مالك الخولاني وكعب بن علقمة ووثقه النساء وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه في جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جندم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي فلقى عبد العزيز ييصادق وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادى الآخرة سنة خمس وستين جعل صلاحها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعدما أقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي فقال له مروان يا بني عنهم يا حسنات يكونوا كلهم بني أيك واجعل وجهك طلقا نصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره ويتأدقومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزير او مشيرا وما عليك يا بني أن تكون أميرا بأقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك ونحوك في منزلك وأوصاء عند مخرجه من مصر الى الشام فقال او صيك بتقوى الله في سرائرك وعلايته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فان المؤمن يدعوا الى فريضة اقترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا الا أنفذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تجعل في شيء من

الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى احد عن ذلك لا غنى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذي
يأتيه قال الله عز وجل "وشاورهم في الامر" * وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فوليا عبد
العزير على صلاتها وخراجها وتوفي مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزير
ووفد على عبد الملك في سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخليل والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد
سلطانه وكان الرجل اذا أغلظ لعبد العزير وخرج تناوله جناب ومن معه فضر به وحبسوه وعبد العزير أول من
عرف بمصر في سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابي حبيب أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد
العصر عبد العزير بن مروان * وفي سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير
وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولاني وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن جحش مولى ابن ابري وهو
الذي قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية في سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك في سنة خمس
وسبعين وهم جامع القسطنطين كله وزاد فيه من جواهره كاهن في سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير
المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزير ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف
بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الي الوليد وسليمان
فأبى ذلك وكتب اليه أن يكن لك ولد فلنا اولاد ورضي الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزير
بعلي بن رباح يترضا فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فشكا عبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم
يزل به علي حتى رضى فقدم على عبد العزير فأخبره عن عيد الملك وعن حاله ثم أخبره يدعونه فقال أفعلا والله
مفارقه والله ما دعوة قط الا أجيت وكان عبد العزير يقول قدمت مصر في امرة مسلمة بن محمد فقتلت بها
ثلاث أماني فأدركنها تميت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتى مسلمة ويحبيني قيس بن كليب حاجبه فتوفي مسلمة
وقدم مصر فوايها وحبه قيس وتزوج امرأتى مسلمة وتوفي ابنه الاصبغ بن عبد العزير تسع بقين من ربيع
الآخر سنة ست وثمانين فمرض عبد العزير وتوفي ليلة الاثنين ثلاث عشرة خلت من جادى الاولى سنة ست
وثمانين فحمل في النيل من حلوان الى القسطنطين فدفن بها * وقال ابن أبي مليكة رأيت عبد العزير بن مروان
حين حضره الموت يقول أليتني لم ألت شيئا مذ كورا أليتني كاتبة من الارض او كراعى ابل في طرف
الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيصرية وثياب بعضها مرقوع وخيل
ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها في الاسلام قبله أطول
ولاية منه * وكان بحلوان في النيل معدية من صوان تعدى بالخليل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي
بحلوان الى البر الغربي فلما كان وهذا من الاسرار التي في الخليفة فان جميع الاجسام المعدنية
كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شيء منها اتاه بسع من الماء أكثر من وزنه
فانه يعموم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يفرق وما برح المسافرون في بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا
ما يهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدية محجوة على شكل سمكة ويألفون في ترقيةها جهد
المقدرة ثم يعمل في فم السمكة شيء من مغناطيس جيدا ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت في الماء
دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها واستدبرت القطب الشمالي وهذا أيضا من أسرار الخليفة فاذا
عرفوا جهة الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال
وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الأربع عرفوا مواقع البلاد بها فيقصدون
حينئذ جهة الناحية التي يريدونها

* (ذكر مدينة العريش) *

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهي مدينة قديمة من جله المداين التي اختطت بعد الطوفان
* قال الاستاذ ابراهيم بن وصف شاه عن مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مر فيها
فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم نفي له بعد ذلك في هذا الموضع
مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها
ررورا وجنانا وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان يعصر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم اربعة ومعهم

اولادهم فكانوا اثلاثين ما بين ذكر واثني وقدم ابنه مصر بن يصير أما ما نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فقاموا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد نعبه ونام فرأى قاتلا يشربه بمحصوله في أرض ذات خير ودر وملك وغرف فاقبته فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بأبيه واخوته وأن يسار له في أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا في العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمير وبقرة وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعني قرية ثلاثين فمخت ذرية يصير حتى عمروا الأرض وزرعوا واكثر مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وابويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهي اول أرض مصر لانه خرج الى تليميم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سميت العاصمة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لقتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد ليعطى نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ما قد ذكر في موضعه ويقال للعرش الجعدي هذا كما ترى وابن وصيف شاه اعرف بأخبار مصر * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفي العريش بمعاونة بني الجراح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها * وقال القاضي الفاضل وفي جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرج أكثره وجلا وجذعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الحفاريأ جمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالماء والقري والسكان وأن قول الله تعالى ودعونا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العمارة كانت متصلة عنه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية النجوم من الشام وان اليه كان ينتهي رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جذيلة بن نهم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبها هامة مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة انبياء

* (ذكر مدينة القرماء) *

قال البكري القرماء بفتح القاء وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه في كتاب ليس القرماء هذه سميت بأخي الاسكندر كان يسمى القرماء وكان كافرا وهي قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه القرماء بن فيلقوس ويقال فيه ابن قايس ويقال بليس وكانت القرماء على شط بحيرة تبتس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبني بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بنى حصن دمياط وحصن تبتس وأنفق فيها مالا عظيما ولم يفتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى القرماء أبرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة نزل الروم عليها فنظروا الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مراكبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبي القرماء اول مدن مصر من جهة الشمال وبها خلاط من الناس وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة اميال * وقال ابن الكندي ومن القرماء وهي أكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر انه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوية * وقال يحيى بن عثمان كنت ارباط في القرماء وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله

وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان يتيسر الى القرما في هدم ابواب من حجارة شرق الحصن احتاج أن يعمل منها جيرا فلما قطع منها حجرا وحجران خرج اهل القرما بالسلاح فنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين يقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل في الكواثين فلا يقطع أربعة أشهر حتى يجي البلغ في الربيع وهذا الاو يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البصرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البصرة نحو الشبر والفترة * وقال ابن المأمون البطايحي في حوادث سنة تسع وخسمائة ووصلت التجايون من والى الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرج وصل الى أعمال القرما فسير الافضل بن أمير الجيوش للوقت الى والى الشرقية بأن يسير المراكزية والمقطعين بها وسير الازلي من العطوفية وأن يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرج ويشاروه وهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشي فلما توالت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرج وعلم بغدوين ملك الفرج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الإقامة لا تمكنه امر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله سبحانه وتعالى وعمل بنفسه الى النار فمكتم أصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملاؤه ملحا حتى بقى الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكب الى الامير ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرج فسار الى عسقلان وحلت اليه الضيافات وطولع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكحلة ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك ثبت لاحد الحجاب وسير معه قزاشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى باسطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالي وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في أواسطها ويقف بالسيوف ويخلع بعدهم اعلى المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيها يجب من تدبير العساكر فامثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق في هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة ألف دينار * وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخسمائة نزل الفرج على القرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاو رخت بها لما خرج منها متوليا ملهم اخوا الضرعام في سنة فاستقرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالقرما والبقارة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جري بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى بن مالك ابن عامر بن عدى بن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات في صفر سنة خمس ومائتين والسرورى والجروى هنا أخبار كثيرة نبهنا عليها في كتاب عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة القسطاط وقال ابن الكندي وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والقرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في السفرة مسيرة شهر

* (ذكر مدينة القلزم) *

القلزم يضم القاف وسكون اللام وضم الراء وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليه ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس بجاء عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي تفل يسير فيه صياد السمك وكذلك من فاران وجيلان الى ايلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثرها باق الى اليوم وبرها الزاكب السائر من مصر الى الحجاز وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيئا من حسابه من جهة مستخدميه في حواصل القصر وما يتفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المكنزين به لحفظه وقرية وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا قال المسيحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وفي شهر رمضان ساح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله اهل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خرداذبة عن التجار فيركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرعاء ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى تجار جدة ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في بركة وصحراء ست مراحل الى ايلة ويتزودون من الماء لهذه المرحلة الست ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان

(التيه)

هو أرض بالقرب من ايلة بينهما عقبة لا يكاد الاكب يصعدا لصعوبتها الا أنها مهدت في زمان خبارويه بن احمد بن طولون وبسير الراكب مرحلتين في محض التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن الممالك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة متر طائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة أيام ثم رأى لهم في اليوم السادس سواد على بعد قصده فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تناثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزاقين تسعة دنانير ذهابا عليها صورة غزال وكأبه عبرانية وحفر وأموضا فاذا حجر على صهريج ماء فشرابوا منه ماء أبر من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان فخلوهم الى مدينة الكرك فدفنوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها أنها ضربت في أيام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقبل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بنو اسرائيل ولها طوفان ومل يند تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه والله أعلم

(ذكر مدينة دمياط)

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس عليه السلام كان اول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت أنا الله مدين المدائن القللك بأمرى وصنعي أجمع بين العذب والملح والنار والثلج وذلك بقدرتي ومكنون على الدال والميم والالف والطاء قبل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية اصلها دمي اي القدرة اشارة الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم في زمن قليمون ابن اتريب بن قبطيم بن مصر ايم على اسم غلام كانت اتمه ساحرة لقلمون ولاقدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهامول فلما اقتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهامول بدمياط واستعذ للعرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فخاربهم الهامول وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجع اليه اصحابه فاستشارهم في أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استغنى به أحد الا هداه الى سبيل الفوز والتجاة من الهلاك وهو لا

العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد قبحوا البلاد وأذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة واسئنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وإن القوم قد أيدوا بالنصر والتفر والراى أن تعقد مع القوم صلحا تال به الامن وحسن الدماء وصيانة الحرم فما أتت بأكثر رجالا من القوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وعكروا منها وبرز الهاموك للعرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعند ما رأى شطابن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه فقتل ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد قسالم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بجبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشعوم طناح فحشد اهل تلك النواحي وقدم بهم مدد للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيدا بعد ما انكى فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليا الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسر واخالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيره الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلثمائة وستين مرسكا فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتنة بأرض مصر طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمر مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم التحرف في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشعثومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضل للمتوكل

أترضى بأن يوطأ حرمك عنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا

جاراتي دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب

مقيمون بالاشعثوم ييغون مثل ما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب

قارام من دمياط شبرا ولا درى * من البحرزما يأتى وما يتجنب

فلا تنسنا انابدار مضبعة * بمصر وإن الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدئ في بناءه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في نحو مائتي مراكب فأقاموا يعشون في السواحل شهر اواهم يقتلون ويأسرون وكانت للسليين معهم معارك ثم لما كانت الفتنة بعد موت كافور الاخشيدى طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخسين وثلثمائة في بضع وعشرين مراكبا قتلوا وأسروا مائة وخسين من المسلمين * وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط محكمة عظيمة طوابعها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت جبر الملح تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في تحفها ومعهم الجمار يف يجرفون الشحم ويناولونه الناس وأقام اهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحما وفي أيام الخليفة الفاتر بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مرسكا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها الوزير بن رجاو صاحب صقلية فماتوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثر وافيا الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدى الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفريخ مري الى القاهرة وحصرها وقرع على اهلها المال واحترقت مدينة القسطنطين قتل على تنيس وأشعوم ومنية عمرو صاحب أسطول الفريخ في عشرين شهنة قتل وأمر وسي وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاضد وصل الفريخ الى دمياط في شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على أئب ومائتي

مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوماً وكانت صعبة شديدة وأتمت في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بمالاة الفرنج ومكاتبهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز لما قدموا إلى مصر من الشام هجمت أسد الدين شيركوه تحتل الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا إخوانهم أهل صقلية فأمدوهم بالمال والسلاح وبعثوا إليهم بعدة وافر فصاروا بالديارات والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وقسم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبراً فبعث السلطان بآب بن أخيه نقي الدين عمرو وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحارثي في العساكر إلى دمياط وأمداهما بالمال والميرة والسلاح واشتد الأمر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفاً من قيام المصريين عليه فجهز إليه العساكر شيئاً بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه إلى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فراحوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الأول بعد ما غرق لهم نحو الثمانمائة مركب وقتل رجالهم بقتلهم وقع فيهم وأحرقوا ما نقل عليهم حمله من المتجذبات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله إلى من الثياب وغيرها * وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة قربت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب إلى السلسلة ليقا تل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورتفعت سور المدينة وسدت ثلثة وأتقنت السلسلة التي بين البرجين فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعاً * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة تابعت أمدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرهما من بلاد الفرنج وساروا إلى مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج ونعاقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي المسلمين فصاروا بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك آبا بكر بن أيوب فخرج من مصر في العساكر إلى الرملة فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فصار العادل إلى بيسان فقصدته الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فأخذ على عقبه فبقى يريد دمشق وكان أهل بيسان وما حولها قد اطمأنوا لتزول السلطان هناك فأقاموا في أماكنهم وما هو إلا أن سار السلطان وإذا بالفرنج قد وضعوا السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من أموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا بيسان وبابنا وسائر القرى التي هناك وأقاموا ثلاثة أيام ثم عادوا إلى مرج عكا بالغنائم والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أياماً ثم عادوا وأتوا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا إلى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر إلى نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول إلى بيت المقدس فنزل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوماً ثم عادوا إلى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا إلى دمياط في صفر فزولوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثمان حزران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل فحيموا تجاه دمياط في البرّ الغربي وحفروا على عسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتقع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول إلى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل إذا انتهى إلى فسطاط مصر مرت عليه في ناحية الشمال إلى شطونف فاذا صار إلى شطونف انقسم قسمين أحدهما يمر في الشمال إلى رشيد فيصب في البحر الملح والشطر الآخر يمر من شطونف إلى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر إلى أشموم فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر إلى دمياط فتصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط والبرّ الغربي وهذا البرّ الغربي من دمياط يعرف بجيزة دمياط يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفي مدة إقامة الفرنج بهذا البرّ الغربي عمالوا الآلات والمراشي وأقاموا أبراجاً يزحفون بها

في المراكب الى برج السلسلة لملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر
وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحبل الفرنج عليه وعملوا برجاً من الصواري على بسطة كبيرة
وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقاتلوا من به حتى أخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يختلف
أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الفرنج
لجس خلون منه وامر والى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فأقام تحت دمياط ونزل
السلطان بن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور
والقتال مستتر والبرج تمتنع مدة أربعة أشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء حتى
تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عافين
فنزله به المرض ومات في سابع جادى الاخرة فكمتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في محفة وجعل عنده خادماً
وطبيباً ركباً الى جانب المحفة والشراب ابريصل الشراب ويحمله الى الخدام فيشر به ويوهم الناس أن السلطان
شربه الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزان والبيوتات فأعلن بموته ونسلم ابنه الملك المعظم جميع
ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية
قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا
السلاسل المتصلة به لتجوز مرابهم في بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل
جسراً عظيماً لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالاً شديداً الى أن قطعوه وكان قد أنفق على
البرج والجسر ما ينف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية
الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكايده الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب
في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه
قد عما خفروه وعمقوا حفرة وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مرابهم فيه الى بورة على أرض جيزة دمياط
مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بورة جاؤوه وقاتلوه في الماء وزحفوا اليه
عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم
وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليهما من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة
بحيث امتنعوا من الرقاد خوفاً من غاراتهم فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يحطفونهم نهاراً وياخذون
الخير من فيها أكن الفرنج لهم عدة كناء وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على تخيم
المسلمين وغرقهم فغظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحاً قطعت مراسي
مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فزرت الى يز المسلمين فأخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لاتعمل فيها النار
ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً وبعث الكامل الى
الاتفاق سبعين رسولا يستجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا
في شوال وأتته الجند من حمه وحلب وبيننا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف
الدين أبي الحسين على بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك
العادل وكان له لقيف يتقادون اليه ويطيعونه وكان أميراً كبيراً مقدماً عظيماً في الاكراد الهكارية وافر الحرمة
عند الملوك معدوداً بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك على الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعاً أبي النفس
تهاباً الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من امراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراذ
على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفاضل ابراهيم ليصير له الحكم ووافقهم الامير عز الدين الجيدى والامير
أسد الدين الهكاري والامير مجاهد الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم
مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز فلما رأوه انفضوا فخشي على نفسه فخرج فاتفق وصول صاحب
صنى الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استدعاه بعد موت أبيه قلقاء وأكرمهم وذكر له
ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أشموم
طناح قتلها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أنثالهم

وخيائهم واموالهم وأسلمتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البرة الشريفة يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان في عسكر المسلمين وكان شيا لا يحيط به الوصف ودخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها إلا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين ونبت السلطان وواقاه أخوه الملك المعظم بأشعوم طنناح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم إن المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسارته فاستمعه حتى يلبس خفيه ومياب الركوب فلم يمهله وأجعله فركب معه وسار به حتى خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأشتهي أن تهبها لنا وأعطاه نفقة وسله الى جماعة من أصحابه يتق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تقارقه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الامتنال ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماء ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه القائد ابراهيم أن يسير الى ملوك الشام في رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فضى الى دمشق وخرج منها الى حماء فبات بها مسموما على ما قيل فبنت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط بزا وبجرا وأحرقوا وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمنعونهم وقد غلت الاسعار لقله الاقوات ثم إن المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجند اريه في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الماء ويصل الى اهل دمياط فيعدهم بوصول الخبذات فخطى بذلك عند الكامل وتقرّب منه حتى عمه الى القاهرة واليه تنسب خزنة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماء ابنه المظفر تقي الدين محمود الى مصر فبعدة لخاله الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله في ميمنة العسكر منزلة أبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المذري سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن فضل يقول كان لبعض بني خبار بركة فذبحوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال في المعجم المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط في حصار العدو بها فبيع السكر بها بمائة وأربعين دينار الرطل والدجاجة ثلاثين دينار اقال واشترت ثلاث دجاجات بتسعين ديناراً والاروبة بأربعين درهما والقبر يحفر بأربعين مثقالاً وأخذت أختي جلا فشقت جوفه وملاته دجاجاً وفاكهة وبقل وغير ذلك وخطته ورمته في البحر وكتب الى تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتهم جلا ميتاً فخذوه فوق لسبلافاً خذناه وكان فيه ما يساوي جملة فقرته على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته فقطن لها الفرنج فأخذوها وامتلات مساكنتهم وطرفات البلدمن الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة البناقوت وفقدت اللعوم فلم يقدر عليها بوجه وألت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط قدسور الفرنج وأخذوا منه البلدي يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس فنجبوا وزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتل وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طنناح على رأس بحر اشعوم ورأس بحر دمياط وحيز في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبناوا بها في القرى قتلوا ونهبوا وسير السلطان الكتب الى الاقاق ليستحث الناس على الحضور لرفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بناء الدور والقنادق والحامات والاسواق بمنزلة المنصورة وجهر الفرنج من اسرهم من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا السلطان تجاه المنصورة وصار يبتهم ويهينه بحر اشعوم وبحر دمياط وكان الفرنج في مائتي الف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحي من اسوان الى القاهرة ووصل الامير حسام الدين يونس والفتية

تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلى فأخرج الناس من القاهرة ومصر ونودي بالنفير العام
 وخرج الامير علاء الدين جلدك وجمال الدين ابن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقي فاجتمع
 عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شارب مساح ألف فارس في آلاف من العربان ليحولوا بين القرنج
 ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت
 الميرة عن القرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج
 القرنج من داخل البحر لدمياط القرنج على دمياط فقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل في أرض مصر فاما تكاملوا
 بدمياط خرجوا منها في حذهم وحديدهم ونزلوا اتجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت التجذات يقدمها الملك
 الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقها الملك المعظم عيسى قتلهاهم الملك الكامل وأرسلهم عنده بالمنصورة في
 ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وبتابع مجي الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين
 ألف فارس فحاربوا القرنج في البر والبحر وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من القرنج ألفين
 ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع اخر فتضعف القرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم
 عندهمجي رسلهم اهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل وكان الذي طلب القرنج القدس وعسقلان وطبرية
 وجبله واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان ملاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون
 لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع القرنج من الصلح وقالوا لا بد من أخذهم
 الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس
 وكان المعظم لمسامات أبوه العادل واستولى القرنج على دمياط ونزلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن
 يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ويحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظمة
 والمنفعة فأنى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانتقل أكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل وقتل
 المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والآلات فامتنع المسلمون من اجابة القرنج الى ذلك وقاتلوههم وعبر جماعة
 من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها القرنج وحفر وامكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الماء
 اكثر تلك الارض وصار حائل بين القرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر
 السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشموم طناح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها القرنج
 الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فأضطربوا وضافت عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة
 للقرنج في البحر حولها عدة حرافات تحميها وقد ملئت كلها بالنار وهموا بالزحف على المسلمين ووظفوها
 الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم القرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون
 على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم
 ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراسبة على الارض وخشوا من الاقامة لقلة
 أنفوتهم فذلوا وسألوا الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه
 منهم من استع من تأمين القرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا من وراءهم
 من القرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطى كل من الفريقين رهائن فتقرر ذلك في تاسع شهر
 رجب سنة ثمان عشرة وسير القرنج عشرين مكارهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح
 نجم الدين أيوب وجماعة من الامراء الى القرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدوم ملوك القرنج وقد وقف
 اخوته وأهل بيته بين يديه وصار في أبهة وناموس مهاب وخرج قسوس القرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها
 للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة
 في البحر للقرنج فكان من جميل صنع الله تاخرها حتى ملكت دمياط بأيدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك
 لقوى بها القرنج فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها القرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعت
 القرنج بولد السلطان وأمراته اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقرررت الهدنة
 بين القرنج والمسلمين مدة ثمانى سنين وكان بمواقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والقرنج يطلق ما عنده من
 الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك القرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل الى

دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة وحل القريج الى بلادهم وعاد السلطان الى مقر ملكه وأطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من القريج سائر الاقاق فان التتر كانوا قد استولوا على عمالك المشرق فأشرف القريج على أخذ ديار مصر من ايدي المسلمين وكانت مدة نزول القريج على دمياط الى أن أقلعوا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوماً فلما كان في سنة ست وأربعين وسفمئة حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم في مأبضة تكون منه ناصور ففتح وعسر برؤه فرض من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا أن علو همته اقتضى مسيره من ديار مصر الى الشام فسار في محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامير طور ملك القريج الالمانية بجيزة صفلية في هيئة تاجر وأخبره سرّاً بأن بواش الذي يقال له رواد فرنس عازم على المسير الى أرض مصر وأخذها ففسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل بأشعوم طناس في المحرم سنة سبع وأربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شياً كثيراً خوفاً أن يجري على دمياط ما جرى في أيام ابيه فأخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان بأشعوم كتب الى الامير حسام الدين ابى على بن ابى على الهدياني نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فسرغ في الاقامة بذلك وشحن الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شياً بعد شئ وجهز السلطان الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامراء والعساكر قتل بحيرة دمياط من يرها الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من شهر الجمعة لتسع مئة من صفر وردت مراكب القريج البحر بين وفيها جوعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وأرسوا بالزاد المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتاباً نصه أما بعد فانه لم يحف عليك ابى أمين الامة العيسوية كما انه لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحكم ملونه اليها من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرقت النساء ونستأسر البنات والصبيان ونحلق منهم الديار وأنقذ أديت لك ما فيه الكفاية وبذلك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان وأدخلت على الاقساء والرهبان وحملت قد اى الشمع طاعة الصليان لكنت واصلا اليك وقائلك في أعز البقاع اليك فاما أن تكون البلاد في يدي فهاهنية حصلت في يدي وأما أن تكون البلاد لك والغلبة على فيديك العليا بمنتهى الى وقد عزفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسيايف القضاء فلما قرئ الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين أما بعد فانه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدداً بظالمك فحقن أرباب السيوف وما قتل منافرد الاجتذناه ولا بقى علينا باغ الادترناه ولورأت عينك أيها المغرور حذسوفنا وعظم حروبنا وقتنا منكم الحصون والسواحل وتخزين ديار الاواخر منكم والاولى لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولا بد أن تزل بك القدم في يوم اقله لنا وآخره عليك فهناك نسي الطنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أنى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلق نبأ بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغى له مصرع وبغيك يصرك والى البلاء يظلمك والسلام وفى يوم السبت ورد القريج وضربوا خيامهم في اكثر البلاد التي فعيا عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس خرا فقاوشهم المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين ازبك الوزيري فلما أسس السيل وحل الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جنبنا واصلنا وسار بهم في يرد دمياط وسار الى جهة أشعوم طناس فخاف من كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم في السيل لا يلتفتون الى شئ وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في أشعوم وهم حفاة عرايا جياع حيارى بن معهم من النساء والاولاد ومروا هارين الى القاهرة فأخذهم قطع الطريق ما عليهم من النياب

وتركهم عرايا فشنت القالة على الأمير نغر الدين من كل أحد وعد جميع منازل المسلمين من البلاه بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفاً ان يصيبهم في هذه المدة ما أصابها في أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذلك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج اكثر من سنة حتى فنى اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لتسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا ان ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهروا لهم خلواتها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجية عن الحد في الكثرة والاموال والامتنعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون بلاء لولا لطف الله لحى اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الأمير نغر الدين وقال أمانة درت أنت والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاعضاء وغضب على الكائنين الذين كانوا بدمياط ووجههم فقالوا ما نعد له اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمرأوه هربوا وخربوا الزردخانه كيف لا نهرب نحن فأمر بشفقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن وكانت عدة من شفق من الامراء الكائنية زيادة على خمسين أميراً في ساعة واحدة ومن جملتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل ان يشفق قبل ابنه فأمر السلطان ان يشفق ابنه قبله فشفق الابن ثم الاب ويقال ان شفق هؤلاء كان يقتوى الفقهاء تخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم أمره والافه وبين أيديكم وأخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها الخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشواني الى اتجاه المنصورة وفيها العدد الكامله وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا في الاغارة على الفرنج فلا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان اول ربيع الاول قدم الى القاهرة من امري الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس ربيع الاخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه وورداً ثمان وعشرون أسيراً وفي سادس عشره وورد خمسة وأربعون أسيراً منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون أسيراً هذا مرض السلطان يتزايد وقواه تتناقص حتى أيس الأطباء منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة وأربعون أسيراً وأحد عشر فارساً وظاهر المسلمون بمسطح الفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب من نسترارة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لما ماتت حضرت الأمير نغر الدين والطواشي جمال الدين محسنا واليه أمر الممالك البحرية والحماشية وأعلمته ما بموته فكتبها ذلك خوفاً من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تلك ديار مصر فقام الأمير نغر الدين بالتدبير وسبوا الى الملك المعظم نوران شاه وهو بحسن كيفا الفارس اقطاعي لا حضاره وأخذ الأمير نغر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده وللأمير نغر الدين بآنا بكنية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة في دار الوزارة عند الأمير حسام الدين بن أبي علي في يوم الخميس لاثني عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من رهاها انها خط السلطان ومضى ذلك على الأمير حسام الدين بالقاهرة ولم يتفقه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة الثانية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم ورجالهم وشوانيتهم تحاذيهم في البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انقروا خوفاً وثقلاً واجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواظب طيعة بالحث على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة وبصر وطواهرهما بالبكاء والعيول وآيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد فدخلوا الوقت من ملك يقوم بالامر لئلا يهتوا

وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء اول شهر رمضان اقبلت
المسلمون والفرنج فاستشهد العلاء أمير مجلس وجماعة ونزل الفرنج شارمساح وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا
البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلا شديدا قربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثلث عشر وصلوا اتجاء
المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بجر أشموم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من السناثر
ونصبوا المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيههم بازائهم في بحر النيل وشوانى المسلمين بازا المنصورة
والبحر القتال بزاو بحرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد
القطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكروهم نكابة
عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم في الماء ويمزقون فيه الى الجناح الذي
فيه الفرنج ويحبسون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وجهها على
رأسه وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها فخطفه وأتى به الى المسلمين وفي
يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند وما تارجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب
الفرنج الى بئر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير في عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم
ثلاثة من اكابر الدواديرية وفي يوم الخميس ثاني عشره احرق الفرنج مائة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون
عليهم وكان بجر أشموم فيه مخايف فدل بعض من لادين له بمن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم
الثلاثا خامس ذى القعدة أو رابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد عبر
الى الحمام فأتاه الصرنيج بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا محتفظ وساق ليأمر
الامراء والاجناد بالركوب في طائفة من مماليكه فلقية عدة من الفرنج الدواديرية وحلوا عليه فقرأ أصحابه
وأته طعنة في جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفي الحال غدت بمالكه
في طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا امواله وخبولته وساق الفرنج عندهم قتل الامير فخر
الدين الى المنصورة فقرأ المسلمون خوفانهم وتفرقوا يمينه ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة
الاسلام من أرض مصر ووصل الملك رواد فرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن
طائفة المماليك من البحرية والجدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقدارى حلوا على
الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أراحوهم عن مواقفهم وأبلوا في مكافئتهم بالسيوف والدبابيس فانزموا
وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة في هذه النبوة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجالة فانها كانت
وصلت الى الجسر لتعدى فلوراخي الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت
بين الازقة والدروب ولولا ضيق الجبال لما أفلت من الفرنج أحد فنجما من بقي منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا
خندقا وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المنصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكيسة
سرتحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوق وبعض العسكر ولم تغلق
ابواب القاهرة ليلة الاربعاء وفي يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزيت
القاهرة وضربت البشارة بقلعة الجبل وسارا المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر
رمضان واستولى على منها ولاربع مضي من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشارة في
العسكر بالمنصورة وفي قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدمه وخرج الامير
حسام الدين بن أبي علي الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة ومن يومئذ أعلن بموت
الملك الصالح بعدما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على حالها والذهاب السلطاني بحاله
والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول
ثم سار من الصالحية فلقاه الامراء والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر
ذى القعدة وفي اثناء هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحلوا على الجبال الى بحر الحلة وألقوا فيه وشحنوها
بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر الحلة وتلك المراكب فيه كمنة خرجت عليهم ووقع الحرب
بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر باثنين وخمسين مراكب للفرنج وقتل

وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان أول يوم من ذي الحجة أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايرق وفز من كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج في اميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين مراكبهم انسع شواني فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلاء عندهم وشرعوا في طلب الهدنة من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجة أحرق الفرنج اخشابهم كلها وأتلفوا امراكبهم يريدون الحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعة اثلثا مضى من المحرم سنة ثمان وأربعين وسمائة الى دمياط وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون أفضيتهم بعد ما عدوا الى بزهم وطلع الفجر من يوم الاربعة وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عددا من قتل من القرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف وأسروا من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز الملك روادفرنس واکابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسبقوا الى المنصورة فبعد روادفرنس واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي نحر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطورى أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثائة رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برج من خشب وتراخي في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده نوران شاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بركة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تبشر المجلس الساي الجمالى بل تبشر المسلمين كافة بجماعته الله به على المسلمين من الظفر بعد والدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شمره وبس العباد من البلاد والاهل والاولاد فنفودوا لاتباسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهي سنة ثمان وأربعين وسمائة تمم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزان وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخافا لا يعلمهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان صحيح فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعة تركوا اخيائهم وأمواهم وأنقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في آثارهم طالين وما زال السيف يعمل في أديارهم عاقمة الليل وقد حل بهم الخزي والويل فلما أصبحنا يوم الاربعة قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في البحر وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيين الى المينة وطلب الامان فأقتناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهي اشكر لاطا اجر يفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسراييل

ان غفارة الفرنسيين جاءت * فهي حق السيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان باسرههم * تنجزت من نصر الآله وعوده

فلا زال مولانا يبيع حتى العدى * ويلبس أبواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطلبها بجمال أبيه لخافته وكانت مماليك الملك الصالح تخرطهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاي الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرأة فلم يف بها وأعرض مع ذلك عن ممالك أبيه واطرح امراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبي علي عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعأبه وأبعد غلمان أبيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم في الوظائف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادما استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فخلا خازن داره وأمر أن

تكون له عصا من ذهب وأعطاه ما لا يجزيلا واقطاعات جليله وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا افضل بالجرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بما لذه فقهرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم وقد جلس على السماط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يديه فقر الى البرج فاقحموا عليه وسيوفهم مصلة فصعد على البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومز الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من بطل عني ويجبرني وساير العساكر بالسيوف واقفة فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريبا قبل ان يفي يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق أهل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيك التركاني الصالح وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين للرؤى فقدم عليها في قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك رواد فرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن أبي علي الهدياني فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى القريج بدمياط بأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلوها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ووقع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما قامت بيد القريج احد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك رواد فرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلوا الى عكا * وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جثته * مقال نصح عن قول نصيح
أجر الله على ماجرى * من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تنغي ملكها * تحسب أن الزمر يا طبل ربيع
فساقل الحين الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسج
وكل اصحابك اودعتم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
خسبون ألقا ليرى منهم * الا قبيل أو اسير جريح
وفضلك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم هذا راضيا * قرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان أضمر وعودة * لاخذ نار او نقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صيح

وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جوع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه نصير
لأن فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكرو وكبير

فكان هذا فالاحسن فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشري الى القاهرة فضربت البشار وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى بن الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركاني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق أرباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير القريج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وسقانة حتى خربت كلها ومجيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قلبها أخصاص على النبل سكنها الناس الضعفاء وسموها المتشعبة وهذا السور هو الذي بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استتبذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري

الصالحى - بمملكة مصر بعد قتل الملك المنظر قطز آخر ح من مصر مدة من الجبارين فى سنة تسع وخمسين
وسمائه تزدحم فم بجر دمياط فضاوا وقطعوا كثيرا من القرايص وألقوها فى بحر النيل الذى ينصب من شمال
دمياط فى البحر الملح حتى ضاق وتعدر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب
البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع فى مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجرور
واحدها جرم وتسير مراكب البحر الملح واقفة بأخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم أهل دمياط الآن أن
سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر أو رمل يتربى هناك وهذا قول باطل خلهم عليه ما يجدونه
من تلاف المراكب اذا هبمت على هذا المكان وجههم بأحوال الوجود وما تمر من الوقائع والى يوشا هذا
يضاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ما تلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأته من
أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخرب مدينة دمياط وعمل هناك أخصاص
وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها
تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهى أحسن بلاد الله منظرا * وقد أخبرنى الامير الوزير المشير
الاستادار بليغا السالمى - رحمه الله أنه لم يرق فى البلاد التى سلكها من سفر قسندالى مصر أحسن من دمياط هذه
فطنفت أنه يغلو فى مدحها الى أن شاهدتها فاذا هى أحسن بلد وأزهره * وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياء من عهد * فقد زادنى ذكراه وجداد على وجد
ولا زالت الأنواء تسقى سمائها * ديارا حكت من حسن اجنة الخلد
فيا حسن ما تيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حسنا يجلى عن العت
فقله أنها تحف بروضها * لكالمرف المصقول اوصفة الخلد
وبشئنها الريان يحكى متبا * تبدل من وصل الاجبة بالصدة
فقام على رجله فى الدمع غارقا * براعى نجوم الليل من وحشة الفقد
ونظلى على الاقدام تحسب انه * لطول انتظار من حبيب على وعد
ولاسيما تلك النواخير انما * تجدد حزن الواله المذنب الفرد
اطارحها شجوى وصارت كأنما * تطارح شكواها بمثل الذى أبدي
فقد خللتها الافلاك فيها نجومها * تدور بحض النفع منها وبالسعد
وفى البرك الغراء يا حسن نوفر * حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد
سماء من البلور فيها كواكب * عجيبة صبغ اللون بحكمة النضد
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة * تعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد
وتنشى رباحا تطرد الهم والامى * وتنشى ليلالى الوصل من طيبها عندي
وفى مهب البحرين جثم عجائب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كأن التقاء النيل بالبحر اغدا * مليكان سارافى الخفافل من جند
وقد نزل العرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالثقفة الملسد
قطلا كما باتا وما برحا كما * همامن جليل الخطب فى اعظم الجهد
فكم قد مضى لى من افانين لذة * بشاطئ العذب الشهى لذى الورد
وكم قد نعمنا فى البساتين برهة * بعيش هنى فى أمان وفى سعد
وفى البرزخ المأفوس كم لى خلوة * وعند شطا عن أيمان العلم الفرد
هناك ترى عين البصرة ما ترى * من الفضل والافضل والخير والمجد
فيا رب هني لى بفضلك عودة * ومن بهانى غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التى هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد
الذى أسسه المسلمون عند فتح دمياط أول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابها مكتوب بالقلم
الكوفى أنه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف

بجامع فتح لتزول شخص يقال له فاتح بمقالت العاتية جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكروري قدم من مرا كش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء في الاسواق احتساباً من غير أن يتناول من احد شيئاً ونزل في ظاهر النفر وزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعاً ثم أقام بناحية قوية من بحيرة تيس وهي خراب نحو سبع سنين ورم مسجد ها ثم انتقل من قوته الى جامع دمياط وأقام في وكر أسفل المنارة من غير أن يخاطب أحد الا اذا اقيمت الصلاة خرج وضلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بجديت كلمه وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبداً اتصالاً في انفصال وقرباً في ابتعاد وانما في نفاذ ورج فكان يفارق أصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت التزول ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم أحد الى أن عاد الى دمياط فأخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقي ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى صهاريج به وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط فرتب فيه اماماً راتباً يصلي الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قراء يتلون القرآن بكرة وأصيلاً وقزقه رجلاً يقرأ ميعاداً يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً أفضل من الجامع لاقت به ولو علمت في الارض بلداً يكون فيه الفقير أدخل من دمياط لرحلت اليه وأتت به وكان اذا ورد عليه أحد من القراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان بيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يؤثر في السر الفقراء والارامل ولا يسأل أحد شيئاً ولا يقبل غالباً واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من القس بالكتاب والسنة والنفوس عن الفتن وترك الدعاوى واطراحها واستراحته والحفظ في اقواله وافعاله وكان لا يرافق أحد في الليل ولا يعلم أحد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة قترج في آخر عمره بامر أنين لم يدخل على واحدة منهم انهارا البتة ولا اكل عندهما ولا شرب قط وكان ليله ظرفاً للعبادة لكنه يأفي اليهما أحياناً وينقطع أحياناً للاستغراق زمنه كله في القيام بوظائف العبادات وايشار الخلق وكان خواص خدمه لا يعملون بصومه من فطره وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط آكلاً وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والخصا ويتواضع مع الفقراء ويتعاطف على العظماء والاغنياء وكان يقرأ في المحصف ويطالع الكتب ولم يره أحد بخط يده شيئاً وكانت تلاوته للقرآن بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهد او لابس طاقية ولا قال اناسخ ولا أنافق ومضى في كلامه انا نطقن لما وقع منه واسمه اذ بالله من قول انا ولا حضر قط سمعاً ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحاً من غير اصلاح ويبلغ في الترفع على ابناء الدنيا ويتراحم على الفقراء ويقدم لهم الاكل ولم يقدم لغنى كلاً البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغنى واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حافى بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بمشجة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ويقول ما أقول لاحد اعمل ولا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه وقال له شخص من خواصه يا سيدي ادع الله لنا أن يفتح علينا ففتح فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تقوا في البيت شيئاً ثم اطلوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لتسأل الله ولأن خاتم من حديد ومن كلامه الفقير بحال البكر اذا سأل زالت بكارته وسأله بعض خواصه أن يدعو له بسعة وشكاً له الضيق فقال انا ما أدعوك بسعة بل اطلب لك الفضل والاكل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا يذنب حاجته حتى يقضيها ولا يترك الوفاء لأصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يمل ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكثر من الاشارة في السر ولا يمسك لنفسه شيئاً ويستقل مآمنه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيراً ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميراً ولا وزيراً بل كان في سلوكه وطريقه يرفع في تواضع ويعزز مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره

ومن دعائه لنفسه ولن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدنا عما زال على ذلك إلى أن مات آخر ليلة أسفر صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم ديناً ودفن بجوار الجامع وقبره يزار إلى يومنا هذا

* (ذكر شطا) *

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليهما تنسب الشطابية ويقال إنها عرفت بشطابن الهاموك وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بعنا لفتح دمياط فنازلوها إلى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من أصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويحب إلى ما يسمعه من سيرة أهل الإسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا إلى البراس والدميرة واشتوم طنح يستجد فجمع الناس لقتال أهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مدداً من عند عمرو بن العاص إلى قتال أهل تنيس فاتت القرى قن وأبلى شطا منهم بلاء حسناً وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلاً واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة إحدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويغدون للعضود من القرى وهم على ذلك إلى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورأيت فيها كسوة من كساء أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوباً عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة * ومن المواضع المشهورة بدمياط * (البرخ) * وهو مسجد بجيرة دمياط تسميه العامة البرخ ولا أعرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجايباً وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر إذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤمنون وحزكتها رأيت ظلالها قد تحركت بخريكي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفرج والله يعلم وأنتم لا تعلمون * (ديق) * قرية من قرى دمياط ينسب إليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملوثة والديق العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب قبيل العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة إلى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة * (الخيرية) * قرية من الأعمال الغربية أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش في أيام الناصر محمد بن علاون وبالق في عمارتها قبلت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع أمرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستاناً ووصل حكرها لكثرة سكانها إلى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدة كبيرة العمل يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلال ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهباً ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدة البقر خارج باب زويلة * (جزيرة بن نصر) * منسوبة إلى بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بن حساس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوانة ولوانة تزعم أنها من قبس فأجلت بن نصر وأسكنتها الجدار فصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهي جزيرة بن نصر هذه

* (ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق) *

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيدشيتاسف بن كهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الإسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وبلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذئب فإن دارا أقام في سلك البريد دواب محذوفة الأذناب سميت بريد ذئب ثم عربت وحذف منها نصفها الأخير فقبل بريد وهذا الدرب

الذي يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة من سني الهجرة عندما انقضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اول قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى البعون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى أزدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى القرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جوير ثلثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس احد وعشرون ميلا ثم الى القسطا مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما تزي انما كان الدرب المسلول من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بليس الى القرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من القرما وهي بالقرب من قطية الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والوردية ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الوردية وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ يفتقدون الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج واقتحم منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة اربع وأربعين وسقانة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرقات حتى صار الخبير يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة ايام ويعود في مثاليها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكه بالعدل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك ما لا عظميا حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وسقانة وما زال أمر البريد مستقر اقبيا بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس ولخيل رجال يعرفون بالسواقين واحد هم سواق يركب مع من رسمه يركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من اتسبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل يريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركت المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بفردها راحة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما أخذت يورثك دمشق وسبي اهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمئة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل بالبلاد من الحن وماد هواه من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختلف بانقطاعه طريق الشام خلافا لحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمئة

* (ذكر مدينة حطين) *

هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين جبوة والعاقلة بأرض العاقلة فيما بين قطية والعريش تجاهها جبل ماء عذب تسميه العرب بابا العروق وهو شرقها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطي بن الملك أبي جاد المديني واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريبا من طبرية واليه تنسب قرية حطين التي بها

* (ذكر مدينة الرقة) *

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما خرج موسى عليه السلام بني اسرائيل من مصر قوم من نحم آل فرعون بعددون البقر وياهم عنى الله بقوله تعالى وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأولوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية قال قتادة أولئك القوم من نحم وكانوا نزولا بالركة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر وهذا أخرج لهم السامري عجلا وأثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيماني من مدينة فاران واقلازم ومدين وأيلة تتر بها الاعراب

* (ذكر عين شمس) *

وكان يقال لها في القديم رعساس وكانت عين شمس هيكل يحج الناس اليه ويقصدونه من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ويزعمون انه عن شيث بن آدم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات الجوية وبني الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عتتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكل وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهياكل السادس هيكل زحل وهو مستدس وبعده هيكل المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مني وعلاوا عبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشعروا بهم ويكونوا وسائط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنهم المدبرون للتكواكب السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وأنه لا بد لكل روحاني من هيكل ولا بد لكل هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه فزعموا الى الهياكل التي هي السيارات فزعموا يوتها من الفلك وعرفوا مظاهرها ومغاريبها واتصالاتها وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة وسموا الشمس اله الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المقيضة على السنة انوارها وانما تظهر فيها آثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى الباري زعمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوائها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشتري يوم الاحد والمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان يبلغ هيكل بناء بنو جبر على اسم القمر لتعارض به الكعبة فكانت الفرس تنجبه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تمجست الفرس علمته بيت نار وقيل للموكل بسداته بركم يعنى والى مكة وانتهت البرمكة الى جند خالد جند جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرّب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين وكان بناء عظيم أحوله اربعة وثلاثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان يصنع قصر غمدان من بناء الضحالك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل المشتري من بناء كلوبطرة بنت بطليموس وكان بقرعانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس بناء بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس وسأقص من أخباره ما لم أره مجموعا في كتاب * قال ابن وصف شاه وقد كان الملك منقاسا اذا ركب علوا بين يديه الخنايسل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل العبادة يكون له

خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما وبجانب فكان الملك يركب اليه
ويقيم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر على ما تار يخ الوقت الذي علمه فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع
الذي يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وبجانب ودفن فيها وبنوا حياها
وأقام بها ملكا احدي وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناوس في صحراء الغرب وقيل
في غربي قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجواهر ومن الذهب المضروب شيء
كثير ودفن معه تمثال روحاني الشمس من ذهب يلع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان
يجبها فلما ماتت أمر أن تعمل صورتها في الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بذوا بين سوداوين وعليها حلة
من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسى وكان يجعلها بين يديه في كل موضع يجلس فيه يسلي بذلك
عنه فدفنت هذه الصورة معه تحت رجليه كانها تخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة في كتاب عيون
الانباء في طبقات الاطباء واشتاق فيناغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على اهل مدينة
الشمس المعروفة في زمانا بعين شمس فقبلوه قبولاً كريهاً وامتنعوا زماناً فلم يجدوا عليه نقصا ولا نقصا فوجهوا به
الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا أصابا له
عثرة فبعثوا به الى أهل ديو سوس ليمتحنه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادخاصه سبيلا ففرضوا عليه فرائض
صعبة كيميائية من قبولها فبدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد
اجهاجهم به وفشا عصوره حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على صحايا الرب وعلى سائر
قرايينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السبعة السيارة هياكل تتجج الناس اليها من سائر
أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا في ناحية من نواحي الارض وزعموا أن البيت
الاول هو الكعبة وأنه مما وصى ادريس الذي يسمونه هرمس الاول المثلث أن يحجج اليه وزعموا أنه منسوب
لرحل والبيت الثاني بيت المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان
بدمشق بناء جبرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني امية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من
بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة
وكان بمنجج والبيت السادس بيت عطارد وهو بعيدا من ساحل البحر الشامي والبيت السابع بيت القمر وكان
بجزان ويقال انه قلعته ويسمى المدور ولم يزل عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم
* وقال شافع بن علي في كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محذاهم مهادوما
ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجر ما يكون
طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا وعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها
قاعدة على نصبات عجبية واقنانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على
شكل الانسان وغيره من الحيوان وكأبه كثيرة بالقلم المجهول وقلنا ترى جبرا خلا عن كتابة او نقش او صورة وفي
هذه المدينة المثلثان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع في
مثلها عرضا في نحوها سمكة قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث مخروط ينف طوله
على مائة ذراع يتبدى من القاعدة ببسطة قطرها خمسة أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس
الى نحو ثلاثة أذرع منها كالقمع وقد تزجج بالطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسط المسلة وكأها
عليها كتابات بذلك القلم وكانت المثلثان قائمتين ثم خربت احدهما وانصدت من نصفها العظم الثقل وأخذ
النحاس من رأسها ثم ان حوالها من الاصنام شيئا كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يليها رقبلا
يوجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تدم اكثرا وانما بقيت
قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان يعني من سنة ست وخسين وسثمائة
وقعت احدي مسلتى فرعون التي بأراضي المطرية من ضواحي القاهرة فوجدوا داخلها ما تاتي قطار من نحاس
وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دؤم مع من الملوك العماليق وقيل بناها
الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل

أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال
 القضاة عني شمس وهي هيكل الشمس به العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طواهما في السماء
 نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على داية وعلى رأسهما شبه
 الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ما تستبينه وتراه منهما وانحبا ينبع حتى يجري من
 أسافلها فينبعث في اصلهما العونج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الحدى وهو أقصر يوم في السنة
 انتهت الى الجنوب من منبها فطلعت عليه على قمة رأسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في
 السنة انتهت الى الشمال من منبها فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى المليون وخط الاستواء في الواسطة منهما
 ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائبة سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
 وكانت عين شمس في قديم الزمان عظمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة القسطاط
 الآن واما قدم عربون العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى قبحها * وقال جامع السيرة الطولونية
 كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان أيضا يحكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق
 فومف لاحد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة عنه وقال ماراه والقط الاعزل فركب اليه وكان هذا
 في سنة ثمان وخسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطا عين وأمرهم باجتنائه من الارض ولم يترك منه شيئا ثم قال
 لندوسة خازنه ياندوسة من صرف مناصحيه فقال أنت أيها الأمير وعاش بعدها احمد ثلثي عشرة سنة اميرا *
 وبني العزيز بالله نزار بن المعز قسورا بعين شمس * وقال أبو عبيد الكرى عين شمس يفتح الشين واسكان ثانيه
 بعدة سنين مهله عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم أن عين
 شمس الى هذا الماء اضيف واقل من سمي هذا الاسم سبابا يشجب وذكر الكلبي أن شمسا الذي تسماه به صنم
 قديم وقال ابن خرداديه واسطواتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل
 اسطوانة طوق من نحاس يقطر من احدهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع
 قطره ليلا ولا نهارا فوضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء الى الارض وهو من بناء اوسمك *
 وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة متحد
 الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسي قد استقبل
 المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع وقد ثبت منه شيء كالطليب فلا يبرح
 لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شيء وبعين شمس نبت يزرع
 كالقصب ان يسمى بالبسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بكمكان من الارض الا هناك وتوكل لحي هذه
 القصبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحراقة لذينة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر
 قصاري ياتي من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصد لها وتغتسل بمائها وتستنشق به ويخرج
 لاعتصار البلسان وان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمله الى الخزانة السلطانية ثم ينقل
 منه الى قلاع الشام والمارستانات المعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شيء الا من خزنة السلطان بعد أخذ مرسوم
 بذلك والملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادون به من صاحب مصر ويرون أنهم
 لا يصح عندهم لاحد أن ينهض الا أن يتغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد أن يكون في ماء المعمودية
 شيء من دهن البلسان ويسمونه المبرون وكان في القديم اذا وصل من الشام خبر انه ياتي الى صاحب عين شمس
 ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي عرف بقصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة
 منف حيث كانت منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب السنكسار وهو
 يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به امته ومعهم يوسف التجار من بيت المقدس فرارامن
 هيرودس ملك اليهود نزلت به اول موضع من أرض مصر مدينة بسطة في رابع عشرين بشنس فلم يقبلهم أهلها
 فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة سمند وعادوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشوين
 وكان بأعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجأوا
 ونظروا في أمر القادم فعند ما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكيور وتكسر

فدخلت به أمته وظهرت له عليه السلام في الاشعورين آية وهو أن خمسة جبال محملة تراحمهم في ممر ورهم فصرخ فيها المسيح في الاشعورين فصارت جبارة ثم انهم ساروا من الاشعورين وأقاموا بقريه تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وحى التي يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التي بها وقال إن امرأه أنت ومعها ولدها يريدون أن يحجزوا بيوت معابدكم فخرج اليهم جائع رجل بسلاحهم وطردهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس وبإمره أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بغيره تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسالتها تلك الاراضي فأثبت الله هناك البلسان وكان اذ ذلك بالاردن فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني أنها الى الآن اذا اعتبرت بوجود ماؤها عينا جارية في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر والبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم

(المنصورة)

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طلفا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ست عشرة وستمائة عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فقل في موضع هذه البلدة وخيم به وبني قصر السككناه وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبني هناك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا محايلى البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كبا بنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق والما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها

ولما طغى فرعون ~~ع~~كوا وقومه * وجاء الى مصر ليفسد في الارض
ألقى نحوهم موسى وفي يده العصا * فأغرقهم في اليم بعضا على بعض
فطرب الاشرف وقال لها بالله ~~ك~~زرى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال لجاريته غنى أنت فأخذت العود وغنت

أيأهل دين الكفر قوموا لتظروا * لما قد جرى في وقتنا وتجددا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا
وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جبارة أولها (أبى الوجد الآن أيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر اسكل من الجاريتين بخمسمائة دينار فتمض القاضى الصدر الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزة وكان من جملة الجلوساء على قدميه وأنشد يقول

هنيئا فان السعد جاء مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا الله الخلق فحما لنا بدا * مينا وانعاما وعزاً مؤبدا
تهلّل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشر لظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله ~~ال~~طفاة وأضحى بالمرأكب مزبدا
أقام لهذا الذين من سل عزمه * صقيلا كما سئل الخسام المهندا
فلم ينبج الاكل شلو مجذّل * نوى منهم اومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافعا * عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه البلدة بالمنصورة من أحسن ليله مرت الملك من الملوكة وكان عند انشاده يشير اذا قال عيسى الى

عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمد الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي
أنشده هذه الايات انما هو راجع المحلى الشاعر

• (العباسة) •

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها الملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن
طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولدها أيضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل أبي بكر بن ايوب
وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تعلق مصر اذا أفت بها أصداد الطير من السماء
والسمك من الماء والوحش من الفضاء ويصل الخبز من قلعة الجبل الى بيها في قلعتي وهو مخن وبني بها آدرا
ومناظر وبساتين وبني امرؤه بها أيضا عدة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك
الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المتزلة الصالحية قنلاشي حينئذ أمر العباسة وخرت المناظر في سلطنة الملك
المعز أيك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو فم الوادي فأعجب به وبني في
موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وأنشأ بها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وستمائة * وسميت
بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها فطر الندي بنت خجرويه
ابن أحمد بن طولون لما حلت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها

• (ذكر مدينة قفط بصعيد مصر) •

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصر ايم بن بيصر بن حام بن فوح عليه السلام وكانت في الدهر الاول
مدينة الاقليم وانما بدا اخراج ايمد الاربع مائة من تاريخ الهجرة النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبع مائة من سقى
الهجرة أربع مائة مسبكاً للسكر وست معاصر للقبص ويقال كان فيها قباب بأعلى دورها وكانت اشارة من ملك
من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرد ولم يطل الامن قريب فان قفطريم
ولى الملك بعده أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولداً له وكان جباراً عظيم الخلق وهو الذي وضع أساسات
الاهرام الدمشورية وغيرها وهو الذي بنى مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه وأثار
من المعادن ما لم يثر غيره وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحي ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسبابادشم
في صحراء الغرب كالقبة وعمل من عجائب شياً كثيراً وبني مناراً عالياً على جبل قفط يرى منه البحر الشرقي
ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه تمثالاً كالعمود لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر
عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يؤخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل
عجائب كثيرة وفي أيامه أثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان غرقها ووزن الشيطان أمرها وعبادتها ويقال
انه بنى المداين الداخلة وعمل فيها عجائب وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة
ووصل بها الرواحين الذين يمنعون منها بما يستطعم أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها الا أن يعمل قرابين
لاؤنك الرواحين وأقام قفطريم ملكاً أربع مائة وثمانين سنة واكثر الجحافل عمت في وقته ووقت ابنه
البودسر ولذلك كان الصعيدا كثر عجائب من أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا
في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الارض معقود على آراج الى الارض ونقر تحت الجبل
داراً واسعة وجعل دورها خزانة منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل
في وسط الدار مجلساً على ثمانية اركان مصفحاً بالزجاج الملون المسبول وجعل في سقفه جواهر تخرج وجعل
في كل ركن من اركان المجلس تمثالاً من الذهب بيده كتاب البوق الذي يوق به وتحت القبة دكة مصفحة
بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسد بعد أن لطخ بالادوية الجففة
ووضع في جانبه آلات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكل وعن
جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبول في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى صدره
من فوق الثياب سيف فاخر قائمته من زبرجد وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والفضة
والجوهر وبرابي الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصى كثيرة وجعل على

باب المجلس ديكمان ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشورا الجناحين مزبور عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما سيفان وقد أمهما بلاطة تحتها الوالب من وطئها ضرب به بأسيا فهما فقتلاه وفي سقف كل أزج كرة وعليها الطوخ مدبر يسرح فيقد طول الزمان وستباب الأزج بالاساطين المرسعة ورصوا على سقفه البلاط العظام ورد موافوقها الرمال وزرروا على باب الأزج هذا المدخل الى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديدي قفطريم ذي الايد والفخر والغلبة والقهر أقل نجمه وبقي ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبع مائة وسبعين ودورات مضت من السنين * وقال المسعودي ومعدن الزمر في عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذي هو فيه يعرف بالخربة وهي مفازة وجبال والجهة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة واليه يؤدى الخفارات من يرد الى حفرة الزمرز ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الأربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن الزمرز وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين * ولدينى قفط وقوص أخبار عجيبه في بدء عمارتهما وما كان في أيام القبط من أخبارهما الا أن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية الخراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وكان بقفط براموكل بهاروحانى في صورة جارية سوداء تحمل صديا أسود صغيرا حكى أنها ريت بهارارا ومعدن الزمرز في البر المتصل بأسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرز منه وهو في جبال حمره له تحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى القسطنطينية ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسرون من قوص الى معدن الزمرز في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت الجبال تنزل حوله وقرى يامنه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الاخذ على شرف النيل في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشندة وليس هناك من الجبال أعلى منها وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قري يامنه والماء عنه مسيرة نصف يوم أو يزيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بتقدير اعين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في جبال يبيض يستخرج منه الزمرز وهذا الحجر الابيض ثلاثة أنواع أحدها يقال له طلق كافورى والثانى يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرز وهو كالغريق فيه وأنواعه الرباني وهو أقل من القليل لا يخرج الا في السادر واذا استخرج ألقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصير ذلك القطن في خرق خام أو نحوها وكان الاحترار على هذا المعدن كثيرا جدا ويفش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرز الى أن ابطال العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبورى في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وستين وسبع مائة * وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت قسنة كبيرة بمدينة قفط سيم أن داعيا من بني عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبابكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلهم على شجرها ظاهرا فقط بعمائهم وطيا لستهم

* (ذكر مدينة دندرة) *

هى إحدى مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها بر اعظم فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتى على آخرها ثم تكثر راجعة الى حيث بدأت وكانت روحانياتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له رأس أسد قرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضراء مستديرة اذا قال الانسان عند هايا شجرة العباس جاءك الفاس تجتمع أوراقها وتحزن لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بر يد واحد وكانت بربادندرة أعظم من بربا الخميم

* (ذكر الواحات الداخلة) *

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحصكم عليها من قبل
السلطان وال واما يحكم عليها من قبل مقطوعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة
والجبلية بعضها داخل بعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يقتقر الى سواء وأرضها شبيهة وزاجية
وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخلل وعيون مختلفة الطعم من الحامض والقابض والمالح ولكل
نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جاثها أربع واحات ويقال ان الواحات
ولدوا حويل ابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان آخر سبابن كوش أبوالجبلش وأبوشنبا بن كوش أبوزغاوة
وأبوشعيب بن كوش أبوالجبلش المرم * قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطريم بن المدائن الداخلة وعمل فيها
بجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين اى صيادة الطير اذا مر عليها
الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد
أو الحيات أو غيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على
أربعة ابواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا التي عليه النوم والسبات فينام
عندها ولا يبرح حتى يأتيه اهل المدينة وينفعون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال انما عند الاصنام
حتى يهلك وعمل منار الطيفاء من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط
كثيرة وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى ينحسبه اهل المدينة وكان
ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس تحاموا
تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والحجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال
قائما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن
الداخلة مرة يرى فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها
بجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها أو يعمل قرايين
أو تلك الروحانيين فيصل اليها حينئذ يأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبني الملك صابن الساد
وقيل صابن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملك الاحبار كلها
وعمل بجائب وطلسمات ورد السكينة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ممن كان يصحب الساد بن مرقونس
وجعل على أطراف مصر أصحاب أسفار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر يوقد
عليها اذا حز بهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه وطر في نجومه وكان بها حادفا
فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل
فاعل بمصر وبني في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكيم
والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني امية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ
على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها
حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلاوا الحصن وأشرقوا على المدينة
ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياء أمرها مضى وهلك من أصحابه عدة قال وفي تلك الصحارى كانت منتزهات القوم
ومدنها العجيبه وكنوزهم الآن الرمال غلبت عليها ولم يبق ملك الا وقد عمل الرمل طلسمات دفعه ففسدت
طلسماتها القدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا ما نصبوه من الاعلام العظام
قد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق
والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها والادوية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من
حكمهم فلونعاطي جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرم من ما تباها لهم وكذلك أن ينقشوا برجالهم بالابد
ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البشائين في ضياع الغرب أن عاملا عندهم عنف بهم ففروا في صحراء الغرب
ومعهم زاد الى أن تنصلح أحوالهم ورجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا
عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فاتهى الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هنالك

يرعون ولهم مسابكن وكلهم وأعجب بهم فجاه الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صلت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهلهم ومواسيهم ويقبوا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم * وذل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشي والتخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونة فسكروا من الشراب وناموا فلم يفتيقوا الامن حر الشمس فاذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت اهلهم مدينة أكبر من الاولى وأمر واكثر اهلا وشجرا ومواشي فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا يحبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى ولية ابعض أهل المدينة فاكلوا وشربوا وغنوا بهم حتى سكروا فلما كان من الغد اتهم واقاداهم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحوالها فخل قد تساقط ثمره وتكدس فخرجوا وهم يحدون ريح الشراب ومبادئ الخمار فساروا يوما الى المساء واذا راع يرعى عنما فسألوه عن الطريق فداهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين بالصعيدة وال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجبان ومنها ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسير بن قبطيم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام في ايامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات وحول اليها جماعة من اهل بيته فعمر تلك النواحي وبنا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها وأقامت على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت الابنية منازل تسمى الواحات

* (ذكر مدينة سنترية) *

ومدينة سنترية من جهة الواحات بناها سناقيوش باني مدينة اخيم كان أحد ملوك القبط القدماء قال ابن وصف شاه وكان في حزم أبيه وحكته تعظم في عين أهل مصر وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة اتهم فيه وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عبدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة فيأكلون ويشربون سبعة ايام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب وفي ايامه بنيت سنترية في صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفي كل حائط باب في وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل في كل شارع يمينه ويساره أبوابا تنتهي طرفاها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب بدوي به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبساتين نواحي القبة صورده علقه تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمتبحرون والاطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة اصحاب العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقوهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة وسنترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق فخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عينا تسبح عاء عذب ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما وهي قرية يصيب أهلها الجحى كثيرا وثمرها غاية في الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفراد منهم وتسمع الناس بها عذيف الجن

* (ذكر الواحات الخارجة) *

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قبطيم بن مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصف شاه وأراد البونسيان يسير مغربا الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متفرقة

بالسيوف والعيون كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنتزهات وأقام فيها جماعة من اهل بيته فعمرها تلك النواحي ونواحيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب تغرب ذلك البلد وبادأهله الابقية منازل تسمى الواحات * وقال المسعودي وأما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض الاحابش من النوبة وغيرهم وبها أرض شبيهة وزاجية وعميون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مرواني المذهب ويركب في آلاف من الناس خيلا ونجيا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمار هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وبجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعتاب * وحدثني وكيل ابي الشيخ المعز حسام الدين عمرو ابن محمد بن زكي الشهرزوري أنه سمع يلاذ الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة المذكورة فاذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجيز بمصر واكبر وسألت مستوفى البلد عنها فأخبرني جرائد حساباته وتصفحها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا اقطف من النارنجية القلاية اربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشبث الابيض بواد تجباء مدينة ادفو كان في زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على مقطعي الواحات حل ألف قنطار شبث ابيض في كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم في نظير ذلك جوا الى الواحات ثم أهمل هذا فبطل * وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار ملك النوبة في جيش عظيم الى الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا

* (ذكر مدينة قوص) *

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من ملوك القبط الاول يقال له سدان بن عديم بن البودسير بن قفطيم قبل سميت باسم قوص بن قفط بن أخيم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال ابن يوسف شاه سدان بن عديم هو الذي بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه وعمل مصاحف النهر نجحات وهيكلا أرمنت وعمل في المدائن الداخلة من أنصاها هيكلا وأقام فيه في اريب وهيكلا في شرقي الاسكندرية وبنى في الجانب الشرقي مدائن وفي امامه بنيت قوص العالية وأسكن فيها قوما من اهل الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحشيش والسودان قد عاثوا في بلده فأخرج لهم ابنه منقوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم واقطع معدن الذهب من ارضهم وأقام ذلك السبي يعملون فيه ويعملون الذهب اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الاهلية وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة * وقال الادفوي في تاريخ الصعيد وقوص بجباب قفط حكى بعض المؤرخين انها شرعت في العمارة وشرعت قفط في الخراب من سنة اربع مائة قبل انه حضر مرة فاضى قوص فخرج من اسوان اربعة مائة راكب بغلة الى لقائه * وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثمانمائة حضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها فلس فاذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف وفي يده الميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر رأس فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتاية قراها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراءته ألفين وثلثمائة سنة وفيه انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يمينه من اطاع والسيوف في يساره لمن عصى وفي الوجه الآخر انا غليات الملك اذ في مفتوحة لسماخ المظلم وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي وقوص كثيرة العقارب والسام أبرص وبها صنف من العقارب القتالات حتى انه كان يقال بها اكلة العقرب لانه كان لا يرحى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة في يوم صاقت على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها اذا مشى في الصيف ليلا خارج داره يأخذ باحدى يديه مسرجة تضيء له وبالاخرى مشك من حديد يشك به العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والمحن مات بها سبعة عشر

ألف انسان في سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها في شراق البلاد سنة ست وسبعين وسبع مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين قدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

*** (ذكر مدينة اسنا) ***

قال الادفوي وذكر أن اسنا في سنة حصل منها أربعون ألف اردب ثمانا عشر ألف اردب زبيب واسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعون شاعرا

*** (ذكر مدينة ادفو) ***

ومدينة ادفو يقال بالبال المهملة ويقال أيضا بالباء المثناة من فوق قال الادفوي أخبرني الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو أن ججارة طرحت ثلاثة شماريح في كل شمرخ عمرة واحدة وانه قلع الجارة بأصلها ووزنها ثمان وخمسة وعشرين درهما كلها يجربدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبع مائة حفر صنائع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني رأيتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

*** (اهناس) ***

هي كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى امية والذي عليه الجاهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر البنج

*** (ذكر مدينة الهنسا) ***

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور الهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والسياب المحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا منقال ذهب واذا صنع بهائى من الستور والاكسية والسياب من الصوف او القطن فلا بد أن يكون فيه اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جلا بعد جيل * وقبط مصر مجمعون على أن المسيح واثمه مريم كانا بالهنسا ثم انتقلا عنها الى القدس * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح واثمه وآبناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة الهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبه اراكرم اهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب في عمل الجباب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وزبر على الجارة في نواريجهم وهو أول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يدس منه فيها فرأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يجوز لك من علكك الاعباد لك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثورا بلى حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يجزوه ويطيب موضعه ووكل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سزا من اهل مملكته فبرأ من علقته وهو أول من عمل النجل في علقته فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمته الى المواضع والمنزهات وكان البقر يجزوه فاذا مر بمكان نزهة أقام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارة فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذي يجزى بجلته أبقى حسن الشبهة فأمر بترفيه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفر عن عبيده وخدمته والثور قائم اذ خاطبه الثور وقال له لورفهي الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد وعاقوته على أمره وقويته في مملكته وأزلت عنه جميع عله فارناع لذلك وأمر بالثور فغسل وطيب وأدخل في هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فاقتن الناس به

وصار ذلك أصلا لعبادة البقر ونحو مواضع كثر فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حوالها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وإن قومها جازوا بها من نواحي القرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بها عذيف الجن ورأوا ضوءا يتراءى بها وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن ثمانية قرونه وأطلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من ثلث القمر زائدا النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكلوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عليه جزعنين وعرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه في الجرن الأحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تغشى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الأول وكسا الهيكل ألوان النياب وشقوا نهرها من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القرد وعلى أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنم من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النبروز بمصر وفي زمانه بنيت الهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس اقلت شعاعها على المدينة ويقال انه ماتهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجواهر والمجائب شيء كثير واصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية وألف سرج ذهبا وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لقنون الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته * وفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين في واديين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا غشي شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان نارى فردم هذا الوادى بعد ذلك خوفا من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن احمد الغرياني حديثي على بن حسن بن خالد الشعمري ثلاث مرات لم يختلف قوله على فيما قال حدثني رجل من فزارة الساكنين بكورة الهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لي نرنا ذال البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربي من ناحية الهنسا وسرنا متوكئين على الله تعالى فأقمنا أياما ونحن غشي ما بين الغرب والجنوب فوقه غشا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلا ليس فيه أنيس وهو واد واسع في الطول والعرض لمحو يوم في الطول ويوم في العرض كله أعين وبساتين نخيل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت أنسة به وليس بالوادى لاراخ ولا غاد من الناس قال فأخبرني أنهم أقاما بالوادى نحو من شهرين أو ثلاثة وانهما رأيا في وسط الوادى مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جوف السماء حتى يغطي سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلها الانسية فأدتها وقتلتها فحبل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحبل وقتلا حبالا وأشرا كاشبا كما من ليف النخل وقيد تلك الابل الوحشية وقتلا خوصا وضفرا قضا فامن الخوص لرادهما وملاهما ثمرا وزلا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلهم ما عواضها عن أربكها متوجهين نحو الشرق وجعلوا من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ويجعلان ذلك أمارات لمروهما اليها فكانا كلمتا على شرف جعل عليه جريدتين علما حتى وصلا الى الجبل الغربي من مصر فتزالا الى الهنسا فترقا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدا كل ما فرقا من جريد النخل على رؤس الآكام مجمعة في مكان واحد في أعلى الجبل فرجعا عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض الهنسا وهذا ما حدثني به والله أعلم

* (ذكر مدينة الاشمونين)

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء اشمون بن مصر بن يصير بن حام بن نوح عليه السلام * وقال

ابن وصيف شيا كان اشمون اعدل ولداً بيه وأرغهم في صنعة تقي ويبقى ذكرها وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملقون وسط النيل وتقول القبط انه بنى سوراً تحت الارض من الاشمونين الى انصا تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبنائه لانهم كن يعضن الى هيكल الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالزجاج الخمين الملقون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكاً وقل اهل الاثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فأتقوا الى الدثينة من طريق الجازالى وادى القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع ووسط الله عليهم الذرفاء ملكهم وعاد ملك مصر الى اشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفت بجناحها فيعلم به فان أجوا منعوه وان أجوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادى الحيات في جبال لوبية ومراقية فيجنونها هناك * وقال في كتاب هرويش ان اشمون بن قبط اول الملوك المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راغوب فافغ ابن عابر بن شاخ بن ارنخش بن سام بن نوح وان سقى الدنيا صارت الى زمان شاروخ الفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرحة الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها فرش القرمز الذى يشبه الارمق وكان ينزل بأرض الاشمونيين عدة بطون من بنى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفاء لهم ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بنى امية صليبة وكان معهم أيضاً خلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ينزلون أرض دجلة عند اشمون

(ذكر مدينة الخيم) *

ضبطها البكرى بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وباء وميم على بناء افيعيل وعلى الجانب الشرقى من النيل والذي بناه مناقبوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جليداً محتكاً فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وجعل الحكم ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجايب وبنى لنفسه مدينة انفردها وعل عليها حصناً ونصب عليه أربعة اعلام فى كل ركن من اركانها علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنماً من نحاس وأخلط فى أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبنى له مدينة ويحول اليها وهي الخيم فلكم مناقبوش فيها وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لاطفيح ومعه شئ كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذى هلك فيه قال وذكر اهل الخيم أن رجلاً أتى من الشرق وكان يلزم البراء ويأتى اليه كل يوم بخور وخلوق فيخبر ويطبب صورة فى عضادة الباب فيجد تحتها ديناراً فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد * وكانت براء الخيم من أعجب البراءى واعظمها قد بنيت لخزن برهم فأنهم قضوا على اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقراش لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البراءى قبل الطوفان وكان فى هذه البراءى صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بججر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع فى سمن ذراعين وهي سبعة دهااليزسقفها بحجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعاً فى عرض خمسة اذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التى يحسبها الناظر كأنها فرخ الدهان منها الآن بلديتها وكان كل دهلين منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجد ران هذه الدهااليزمنقوشة بصور مختلفة الهياآت والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسمياء والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعها ثلاث الصور * وذكر ابن جبير فى رحلته أن طول هذه البراءى مائتان وعشرون ذراعاً وسعتها مائة وسبعون ذراعاً وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون ذراعاً وبين كل ساريتين ثلاثون ذراعاً ورؤسها فى نهاية العظم كلها منقوشة من اسفلها الى أعلاها ومن رأس كل سارية الى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ماذرعه ستة وخمسون ذراعاً طولها فى عرض عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة

والاضبغة الغزنية كهشة الطيور والادمين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حائط البريا ثمانية عشر شبراً من حجارة مرصوفة كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا التون عرف منها علم الكيمياء وما زالت هذه البريا قائمة الى سنة ثمانين وسبعمائة فتخر بها رجل من أهمل اخيم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي ونال منها ما لا فم تطل حياته ومات ومن حينئذ ثلاثي أمير اخيم الى أن خربت وقد ذكر جماعة أن بر يا اخيم كانت في هيئة غلام أمرد عريان وأن قوما دخلوها مرة فقبضهم وأخذ يضربهم ضرباً وجيعاً حتى خرجوا هارين وحكي مثل ذلك عن دخول الاهرام أيضاً * وقد حكى أن رجلاً ألصق على صورة من بر يا اخيم شمعة فكان اذا تركها في موضع التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بر يا اخيم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهواء وفي جبهته وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحائط وكان يذكر أن من احتال حتى يقب على ذلك الاحليل حتى يخرج من غير أن ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظاً الى أن ينزعه ويجمع ما أحب ولا يفتر مادام معلقاً عليه وأن بعض من ولّى اخيم اقلعه فوجد منه شياً عجيباً من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخيم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة وكان بها شجر البخ ويقال ان الذي بنى بر يا اخيم اسمه دومريا وانه جعل هذه البريا مثلاً للامم الاثنية بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التي يفخرون بها وصور فيها الانبياء والحكام وكتب فيها من يأتي من الملوك الى آخر الدهر وكان بناؤه اياها والتسرب رأس الحمل والتسرب يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة قات والتسرب في زماننا آخر باب برج الجدوى فيكون على ذلك لهذه البريا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة * وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب أن هذه البريا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة ابواب يفضى كل باب الى بيت له أربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

* (ذكر مدينة العقاب) *

قال المسعودي: مدينة العقاب غربي اهرام ابو صير بالجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليه للراكب المجتهد وقد عور طريقها وعصى المسالك اليها والسمت الذي يؤدى نحوها وفيها عجائب البنين والجواهر والاموال * وقال ابن وصيف شاه وكان الوايد بن دوع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلامه يقال له عون فسار الى مصر وقصها ثم سار فلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سخط له أن يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخلف عوناً على مصر وأقام في غيبته أربعين سنة وإن عوناً بعد سبع سنين من مسيره نجس وادعى أنه الملك وانكر أن يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغلب بالسحر وسبى الحرائر فقال الناس اليه ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبها وهو مع ذلك بكرم الكهنة ويعظم الهياكل فانفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من أمرك أن تنسب باسم الملك وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك وأخذت الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر مائت زيتاً وأجبت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فأثناه عقاب فاختطفه وحلق به في الحق وجعله في هوة على رأس جبل فقط الى واديه حاة متنتة فاتته مرعوباً وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقاباً وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنس فعل عقاباً من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجواهر وعمل له هيكل لطيفاً وأرغى عليه ستور الحرير وأقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر بجمع له كل صانع بمصر وأخرج اصحابه الى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم القيوم وكانت مغيضاً للماء النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام ليجري الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهراً يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعلى ولا مهندس ولا أحد له بصير بالبناء وقطع الصخور ونحتها الاوجه اليها وأنفذ ألف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعوتهم وانفذ معهم الآلات والازواد على الجبل وطريق هذه الجبل الى القيوم في صحراء الغرب واخضعة من خلف الاهرام فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المدينة فرسختين في مثلها وحفروا في

الوسط بتراجعوا فيها التمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشئ من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرتبه وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا في البطن الجهات الاربع في شكل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حرايا ووجوهها تتجه الى ابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر ابيض يشف وكها مبنية بالصا ص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلام عقاب كبير من صفر وأخلاق قد نشر جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس يده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي ينحدر في صه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب عقبا ناذكورا واجتلب الرياح الى أفواه التماثيل فصارت يسمع لها اصوات هائلة ووكل كل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا أن يكون من اهلها ونصب العقاب الذي يتبدله تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجهه شيطان وجعلها على عود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المسكن بينهم فلا يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل بها ايضا الاصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يشي عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الرض ونصب عليها أعلاما وحرسانا غرس وراء ذلك حمايتصل بالبرية الخيل والكرم وجميع اصناف الشجر على اقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفا من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة ايام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها اربعة اعياد في السنة وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمان قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من التوبة بأمره بمحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول اهل ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشا فعترف بخبر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة الخلف فأجابه ما على الملك مني مؤنة ولا تعترض ولا عيب في بلده لاني عبده وأنا له رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا اقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزم من خراجيه وهذا اياه وبعث اليه بأموال جليلة وجوهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

* (ذكر مدينة الفيوم) *

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الواسد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهر اوش جلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فوقع بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال في الخاص والعامة وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه اهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفي نهر اوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس نهر اوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس حينما والبلد عامر وهو لا يسأل عن شئ وعمل له مجالس من زجاج ملون وحوالها ماء فيه أسماك مفرطة وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة منزهات على عذو ايام السنة فكان كل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيره فانصل بملوك

النواحي تشاغله بلذته وتدبيراً طفيفاً فصار ملك من العماليق يقال له ابوقابوس عاكربن ينحوم الى مصر ونزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشاً عليه قائد يقال له بريانس فأقام بحاربه ثلاث سنين فظفريه العمليقي وقتله وهدم الاعلام واصانع وقوى طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا بخرج اليهم وعرض جيوشه وخرج في ستمائة ألف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم المسلمي وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقاً من اصحابه وأفسد زروعهم وأتجبارهم وحرقت وصاب ونصب أعلاماً على الاماكن التي وصلها وزبر عليها الى لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجاً وبني عند العريش مدينة لطيفة وشيخها بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعمال جنوداً واستعد لغزو ذلك الغرب وخرج في سبع مائة ألف فتر بأرض البربر واجلى كثيراً منهم وجهازاً قائداً في السفن من ناحية رقودة الى جزائري يافت فعات فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال حاوله اليه ومضى الى افريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومز حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم وهو وضع اصنام النحاس فأقام هناك صنماً زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحي الخراج وعذى الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس فخاربه ملكها اياماً ثم صالحه على مال وأن ينج من يغزو مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرفاً في بلاد البربر فلم يتر بأمة الاودخلت في طاعته ومتر في الجنوب فقتل خلقاً وبعث قائداً الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكرك له حال الريان ومصالحة الملوكة فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركب احد قط فقال مائة درأد على ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياماً وقدام الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وجبارة سوداء اذا جعلت في الماء صارت يضاء ثم سار الملك على امم السودان الى ملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم وظفريهم ومتر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فترجع شمالاً حتى انتهى الى شمال من حجر أهر يوحى بيده ارجعوا وعلى صدره مزبور ما وراءى أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحد الشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل فرأى على معبره أصناماً عليها اسماء الملوكة فأقام عليه صنماً زبر عليه اسمه فلما أثبت الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعاً يزرب بعضها على بعض فخكم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعذى وادى الرمل ومتر بأرض العقارب فهلك بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم اذا هابوا الى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند فقرر وامنه الى جبل فأقام عليه اياماً حتى كاد يهلك جيشه عطشاً فقتل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء وقديس شعره جسده فقال للملك اين تريد أيها المغرور الممدود له في الاجل المرزوق فوق الكفاية أنعت نفسك وجيشك ألا اجتربت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العناية والغرر بهذا الخلق فمجب من قوله وسأله عن الماء فدل عليه وسأله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا يبلغه قبلك أحد فقال ما عيشك قال من اصول النباث تنفع به ويكفيها البشير قال فن اين تشربون قال من الامطار والتلوج قال فلم هربتم منا قال زهادتي في محالطتكم والافليس لئلا ما تخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حجب الشمس قال نأوى الى غدران تحت هذا الجبل قال فهل لكم في مال اخلفه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لانستعمل منه شيئاً استغنيا عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه ما لورأيت لا تحترق ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من اصحابه الى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان ذهب ناتئة وأراهم وادياهم في حافتيه جبارة زبرجد وفيروز فأمر نهراوش اصحابه أن يحملوا من كبار تلك الجبارة فحملوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسأل الملك أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يتر بأمة الاثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال وأقام على دقله صنماً وزبر عليه اسمه ومسيرة وسار يريد مدينة منف فكان اهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز بأصناف الراحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلساً من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والياحين وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفي أرضه شبه السمك من زجاج أبيض قتل الملك فيه وأقام الناس ياكلون ويشربون اياماً كثيرة وتنفق جيشه ففقد منهم سبعة آلاف ووجد فيهم عن اسرهم نيفا وخمسين ألفاً فكانت

مدة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوكة قدومه هابوه واشتد بأسه وتجربوني في الجانب الشرقي قصوراً من رخام ونصب عليها أعلاماً وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضي حتى زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعترض بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف العتيق ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتراه اطفين ليديه الى الملك فلما أتى به قصره رأته امرأته زليخا وهي ابنة عمه فقالت اترك لنا نريه لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى في القرءان فكانت نكمت حبه حتى غلبت غلبته وتزيف له وعرفته أنها تحبه وأنه ان واناها على ما تريده منه حبه بال عظيم فامتنع من ذلك ورأت أن تغلبه فحازلت تعاركة وهو تمتنع منها الى أن وافي زوجها ورءاه وهو هارب منها وكان العزيز عتيقاً لا يأتي النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت اني كنت نائمة فأنتاني يرادني عن نفسي وتبين من شاهد أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف أعرض عن هذا اي عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك وقد كان خبراً طفيقاً والغلام بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة فغيرن ما بذلك فدخلت جماعة منهن وصنعت لهن طعاماً وشرباً وعملت مجلسين مذهبيين وفرشتهما بدياج أصفر مذهب وأرخت عليه استورا الديباج وأمرت المواسط بتزيين يوسف واخراجه من المجلس الذي يحاذي المجلس الذي سكنت مع النسوة فيه وكان المجلس محاذياً للشمس فأخذته المواسط ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسنه ثوب ديباج أصفر قد نسج يدارات حر مذهب فيهما اطيار صغار خضر مبطن ببطانة خضراء ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجواهر وأخرجن من تحت التاج أطراف شعره على جهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جهته مكشوفة والتاج محيط بها وفي اذنيه قرطى جواهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجواهر وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشدّد بجواهر أحمر ودرّ فاخر وفي وسطه منطقة ذهب فيها لوالب جوهر ملون ولها معاليق منظومة وألبسنه خفين أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذي عليه وشاحين وافرار محيط بأسفله وكبسه من جواهر أخضر وعقربن صدغيه على خديه وكلن عينييه ودفعن اليه مذبة شعرها أخضر فلما فرغ النساء من طعامهن وشربن أقدا حاقدت اليهن سكاكين قبضن من جواهر ليقطعن بها الفاكهة فيقال انهن اخذن اترجاوهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حديثك في امرى مع عبدى فقلن لها الامر كما بلغك لك اعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوكة لحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك فقالت لم يأتك الصدق ولا هو عندي بهذا وأومأت الى المواسط أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن المجلس الذي يحاذي مجلسها وبرز منه يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف وأقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع الفاكهة التي كانت معهن ولا يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلتن عن خطابي بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الاملك كريم ولم يبق منهن امرأة الاحاضت وأنزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذى لمتنى فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك في هذا ومن لا منك فقد ظلمك فدونكه قالت قد فعلت فأبى على تخاطبته لى فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سراً الى نفسها وتبذل له وهو تمتنع عنها فاذا ينست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا وقالت مولائك تحبك وأنت تكثرها ما ينبغي أن تخالفها فقال ما لى بذلك حاجة فلما رأين ذلك اجعلن على أخذه غضبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لا منعنه اللذات ولا مجنبته وأترزع جميع ما اعطيته فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فأقسمت باللهها وكان صخما من زبرجد أخضر باسم عطارد انه ان لم يفعل لتجعلن له ذلك ثم أمرت بتزعم ما به وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قد فها به فأمر به فحبس ورأى الملك في منامه كان آتيا أناه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزم على قتلك يريد صاحبى طعامه وشرا به فلما أصبح قررهما فاعترفاه وقيل اعترف أحدهما وانكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو فى السجن رؤفاً بين فيه ويعدهم

الفرج فأخبره صاحب طعام الملك وشرا به برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك
البقرات والسنابل فعترفه الساقى خبر يوسف فغضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جيتوني به فقال
يوسف ما أخرج اويكشف أمر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة
ووجه اليه فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من حبه
واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال اتأخلف عليه خلع
الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه
الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز اطفق كان قد مات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا اصلي مما أردت
فقات اعذرني ان زوجي كان غنيا ولم تترك امرأته الا صبا فلما البت من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر
فجمع يوسف الغلال وخزنها وأكثرها فلما جاءت سنو الجذب بدأ النيل في نقصان وكان ينقص كل سنة اكثر
من التي قبلها فقطع البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والنبات والاشياء والعقار وكاد أهل مصر
يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وخط الشام أيضا وكان من مجيئ اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه
فحمل الى مصر وجميع اهله وخرج في وجوه أهل مصر قلقاء وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه
الملك وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غنم ترعى فننفع بها
وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله آبائي والهك واله كل شيء وكان في مجلس الملك كاهن جليل
القدر فقال للملك اني اخاف أن يكون خراب مصر على يدي وولد هذا فقال له الملك فأني لانا خبره فقال الكاهن
ليعقوب أرى الهك ايها الشيخ قال الهى اعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة
وحجارة وجوهر ومحاسن وخشب مما يعمل بنو آدم وهم عبيد الهى لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن
ان كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شيء لا كالاشياء وهو خالق كل شيء
لا اله الا هو قال فصه لنا قال انما يوسف الخلق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى وقام يعقوب
مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكف عنه فقال الكاهن اتأخج في كتبنا أن خراب مصر يجرى على
أيدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته
أحد فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه
بوادى السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهر اوش الملك آمن وكنتم
ايمانهم خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الضيوم فان أهل مصر كانوا
وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفقه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايبا لاهاء
فدبرها لها فاهلها يوسف واحتال لامياه حتى اخرجها وقلع اوصالها وواسق المنهى وبني اللاهون وجعل الماء
فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهر أربعة فحجبوا من حكمته * ويقال انه أول من هندس بمصر ومات
نهر اوش خلف أبيه درججوش وسمته اهل الاندرا من الريان وهو الفرعون الرابع عندهم ثمان مائة سنة آية
وكان يوسف خليفة قبل منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل
في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرق فيقول اليه فأخصب ونقص الغربى
فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرق عاما وفي الغربى عاما ثم حدث لهم من الرأى أن يجعلوا له حلقا وثنا فويشدوا
التابوت في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما * وقال ابن عبد الحكم فلكهم الريان بن الوليد بن دوع
وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك
فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألقى عنك ثياب السجن والبس ثيابا
جدا ووقم الى الملك فدعاه اهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أيعلم هذا
رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة وأقعدته قدامه وقال له لا تحق قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه
وجعل اليه امره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بايه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة
مزينة كدابة الملك وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوסף
قد سلطنتك على مصر غير أني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع اصابع قال يوسف نعم وأجلسه

على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وقوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبادة رؤيا الملك ملك يوسف مصر
 وعن اليتيم بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على اهل مصر فاشترىوا الطعام بالذهب حتى
 لم يجدوا ذهباً فاشترىوا بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشترىوا باغنماهم حتى لم يجدوا اغنامهم فاشترىوا
 لم يبق لهم من فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنة فأتوه في الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا انفسنا وأهلنا
 وأرضونا فاشترى يوسف ارضهم كلها ففرعون ثم أعطاهم يوسف طعماً ما يزرعون على أن يفرعون الخمس ويقال
 في خبرنا يوسف عليه السلام مدينة القيوم أنه لما وازر فرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم عزلك
 لريسة ولا انسى بركتك ولكن أباعى عهد والى أن لا يتولى لنا وزيراً أكثر من ثلاثين سنة وأنا نخشى أن يتأصل
 الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت لصحى لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكاً لك فأقطعنى ارضاً
 تكون لقوتى وقوت اهل وعشيرتى فقال له فرعون اختر حيث شئت فنى يوسف فى قصار الارض حتى رأى
 رضى القيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركب النيل فخرق خرقة في ذلك
 الجبل وساق الماء فيه الى القيوم فسقى الارض وعمل في جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد ايام السنة
 وشعبها بالفلل والاقوات التي ازرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في
 قرية من قرى القيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعه الملك فعظم شأن يوسف وكثر ماله فردّه الملك بعدمدة الى
 وزارته وتوفى وهو وزير فأوصى بمخروجه جنته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افرام بن يوسف في
 مائة ألف من بنى اسرائيل فبرزته الجسارة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد بن بنى مصر الى مصر
 فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا فخرج بنى اسرائيل من مصر ومعه
 جنته يوسف عليه السلام وفي ذلك الزمان استتبعت القيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك
 مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنة مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قلّ علمه وتغير عقله وفقدت
 حكمته فنعفهم فرعون ورد عليهم مقالهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم
 هلموا ما شئتم من اى شئ اخترت به وكان بلد القيوم يومئذ يدعى الجوبة وانما كانت لمصالحه ماء المعيد وفضوله
 فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا فرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة
 عنها ويخرج منها قتر دابلاً الى بلدك وخرجا الى خراجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان ابنتى فلانة منى وقد رأيت
 اذا بلغت أن أطلب لها ابلاً وانى لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من
 غاية او صحراء وكذلك ليست هى توفى من ناحية من النواحي من مصر الا من مفازة وصحراء فالقيوم وسط
 مصر كمثل مصر فى وسط البلاد لان مصر لا توفى من ناحية من النواحي الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقطعتم
 اياها فلا تترك وجها ولا تقرا الا بلغته فقال يوسف نعم ايها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فانى ان شاء
 الله فاعل ذلك قال ان احبه الى وأرفعه اجعله فأوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلى الصعيد من
 موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى
 موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا
 اللاهون وحفر خليج القيوم وهو الخليج الشرقى وحفر خليج بقرية يقال لها بنهمت من قرى القيوم وهو
 الخليج الغربى فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصب في النيل وخرج من الخليج الغربى فصب في صحراء بنهمت
 الى الغرب فلم يبق في الجوبة ماء ثم أدخلها القملة فقطع ما كان فيا من القصب والطرفاء وأخرج منها وكان ذلك
 ابتداء جرى النيل وقد صارت ارض الجوبة تقيية بيرة وارتفع ماء النيل فدخل في رأس المنهى فخرى فيه حتى
 انتهى الى اللاهون فقطعه الى القيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت بلجة من النيل وخرج اليها الملك ووزراؤه
 وكان هذا كله في سبعين يوماً فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه أوثلك هذا عمل الف يوم فسميت القيوم وأقامت
 تزرع كما تزرع غواط مصر قال وقد سمعت فى استخراج القيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو
 ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك
 من الموات أرضاً تقطعها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأيتنا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك فى
 زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية فى نواحي مصر فاختر موضع القيوم فأعطاها فشق اليها الخليج

المنهى من النيل حتى ادخله القيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة * قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا انه انما عمل ذلك بالوحى وقوى على ذلك بكثرة القعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى احياه يوسف من القيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلاً ولا نظيراً فقالوا ما كان يوسف قط افضل عقلاً ولا رأياً ولا تدبيراً منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام ستين سنة اخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك وانه انما كان ذلك على المحنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وماذا لك قال أنزل القيوم من كل كورة من كورة مصر أهل بيت وأمر أهل كل بيت أن يذبحوا لانفسهم قرية وكانت قري القيوم على عدد كورة مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما اصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شرباً في زمان لا يتألمهم الماء الا فيه واصيرهم طائفاً لا يرتفع ومنفعاً لا يطأ طي بأوقات من الساعات في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر بينان القري وحدد لها حدوداً وكانت اول قرية عمرت بالقيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون ثم أمر بحفر الخليل وبينان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قام النيل بمصر يوسف ووضع مقياساً بنصف * قال جامع وفي التوراة ان فرعون أزم بنى اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشارح هى القيوم وحوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفساً ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى القراموهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فلقبه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كله وكان يعقوب شيخاً كبيراً حليماً حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتى عليك قال عشرون ومائة وكان بهم من ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه واخبر أن خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البرايات وصفات من تخرب مصر على يديه فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما سأله عنه أن قال من تعبد آية الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله كل شيء فقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فحقن نرى آلهتنا قال يعقوب ان آلهتكم من عمل ايدي بنى آدم من يموت ويلى وان الهى لا عظم وارفع وهو أقرب اليانا من جبل الوريد فنظر بهم الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون فى ايامنا او فى ايام غيرنا قال ليس فى ايامك ولا ايام بنيك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر ان تقبل من يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبأ بهذا الكلام * وعن كعب أن يعقوب عاش فى ارض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفننى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل جبرون وجبرون مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً قال فلما مات لطفوه بمز وصبر وجهه لوجه فى تابوت من ساج فكفوا بفعالون به ذلك اربعين يوماً حتى كلف يوسف فرعون فأعلمه أن آباء قدمات وانه سأله أن يقبره فى ارض كنعان فأذن له وخرج معه أشرف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحو من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد فلكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفى يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من ارض مصر الى ارض آبائكم فاحملوا عظامي معكم فبات لجعلوه فى تابوت ودفنوه فى احد جاني النيل فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجذب الجانب الآخر فحمله الى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى حوله اليه وأجذب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة وأقاموا عموداً على شاطئ النيل وجعلوا فى ارضه سكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعاً * وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب عمرت حتى صارت عجوزاً كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام بينى اسرائيل غشيتهم ضباباً حالت منهم وبين الطريق أن يصبروه وقيل لموسى ان تعبد الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدري أين

موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما رذلك قال
أمرت أن أحمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليبي على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ
عظام يوسف معه الى التيه * (يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم) * خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد
الاسباط الاثني عشر ولد بأرض كنعان من بلاد الشام وراى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين
وعمره سبع عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدينين فساروا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون
فأقام في منزله اثني عشر شهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث في
السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى أن رأى الساقى والخباز ذينك المنامين وفسر لهما يوسف
وخرجا فأنسى الساقى يوسف سنتين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأناه فقص عليه الرؤيا
وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى
مصر تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وستين من سنى الجوع وكان ليعقوب في السنة التي
صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ سار الى مصر الى أن ولد
موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة اخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفي وعمره مائة وسبع
وأربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابله يوسف اياهم فقالوا ان أبالك اوصى أن نعف ذنب اخوتك فانك
وهم عبيد الله اله أيل فبكى يوسف وقال لهم لا تتحاجون الى ذلك وواعدهم بخير ثم مات يوسف وله مائة
سنة وعشر سنين والله أعلم

* (ذكر ما قيل في القيوم وخليجانها وضياعها) *

قال يعقوبى كان يقال في متقدم الايام مصر والقيوم بطلالة القيوم وكثرة عمارتها وبها القمح الموصوف
وبها يعمل الخيش * و- كى المسعودى أن معنى القيوم ألف يوم * قال القضاعى القيوم وهي مدينة دبرها
يوسف التبي عليه السلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضبعة تدير كل ضبعة منها مصر يوم واحد فكانت تدير
مصر السنة وكانت تروى من اثني عشر ذراعا ولا يستجر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم
بحري ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنصدة وبني به اللاهون * وقال ابن رضوان القيوم
يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه واكثر
ما تحسن هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام القيظ سفت ونها وصاعدا الى ما يلي القيوم وهذه حالة تزيد في
رداءة اهل المدينة يعنى مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان القيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة
بعيدة من أرضها وقال القاضى السعيد ابو الحسن على بن القاضى المؤتمن شعبة الدولة ابى عمرو عثمان بن
يوسف القرئى الخزومى في كتاب المناهج في علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تدبيرا وأوسعها
أرضا وأجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها
وقد وقعت على دستور عمه ابواصحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خليجان الاعمال المدثورة
وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماءه ومنه ما جهلت مواضعه
بالدور ولكن أوردته ليعلم منه حال العاصر الآن ويستقصى به من له رغبة في عمارة ما يقع ذر عليه من الغمام
وفي ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته * (دستور) * على ما اوضحه الكشف من حال الخليج
الامهات بمدينة القيوم وما لها من المواضع وشرب كل ضبعة منها ورسومها في السد والفتح والتعديل والتحرير
وزمان ذلك عمل في جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة بتدبى بعون الله وحسن توفيقه يذكر
حال البحر الاعظم الذى منه هذه الخليج فذكر ما ذكره الى صلاحه بصلاحها * (خليج القيوم الاعظم) * يصل
الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالتهنى ذى الحجر اليوسفى وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف
بكبرى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى
جانبه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ما له كروم منها قال * (الحجر اليوسفى) * والحجر اليوسفى
جد ارضى بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبنائه من جهة الشمال الى
الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره

ميلان منه في نهايته وطوله ما تذازع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعاً منه من جهة الغرب نهاية الجدار الأعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار الأعظم رد الماء إذا انتهى إلى حد ودائقي عشرة ذراعاً إلى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب إلى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل إلى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خسون ذراعاً وبعد ما بين هذين الميلى وهو المنخفض مائة ذراعاً وعشرة أذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذي يستبحر من حشيش يسمى لبشاً وعرض ما يجري عليه الماء وهو موضع اللبش وما يقابله إلى جهة الشرق أربعون ذراعاً وعليه مسك اللبش الثاني ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثنتان وسبعون ذراعاً ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يتر على استقامته إلى البحر مبنى بالخرطولة على استقامته إلى جهة الشرق مائة ذراعاً ثم ينخفض أيضاً من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عثرون ذراعاً وقد ر المنخفض منه ذراعاً وهذا المنخفض أيضاً يستبحر حشيش يسمى الكبد وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعاً وقبالة هذا بطوله منه مبلط وفيه قناطر مبنية بالخر كانت قديماً تزد الماء إلى الفيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذراع الجدار الأعظم من نهايته سبع مائة واثنتين وسبعين ذراعاً بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعاً حتى يتصل بالجليل فتوجد آثاره في القطر مراً على غير استقامة وعرضه مختلف وكما انتهى إلى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفل جميعاً ستة عشر ذراعاً وفيه منافس يخرج منها الماء وهي رايح زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من الحجائب الحسنة في عظم البناء واتقانه لأنه من الابنية اللاحقة ببنارة الاسكندرية وبناء الأهرام فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية وما تغير عن مستقره ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعة المعروقتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سحياً ومنه شرب كرومها بالذليل على أعناق البقروان قصر النيل عن الصعود إلى سوادها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت وقتها في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الاواسى وليس عليه رسم في سده ولا فتح ولا تعديل ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوقة ببياض فيلاً بركها وغيرهما من البرك وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهي إلى الضيعة المعروفة باللاوسية الكبرى فنه شربها من مقسمين لها وبرسها باب ومنه يشرب نخلاها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطانية منها مقسم لها ومقسم لقبالات عدة والمقسم الثالث يسمى أحد أحياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت وجيز دائره وكان بها سيوت في اقنية النخل ثم ينتهي إلى حى ثان على ضفة الاول ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة فيلاً بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهي الماء من هذا الخليج إلى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الأعظم بعد هذا أباليز شربها منه من افواه لها سحاً فاذا نصب ماء النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شبكاً ثم ينتهي الخليج الأعظم على يمينه من يريد الفيوم إلى خليج يعرف * (بخليج مسطوس) * منه شرب مسطوس وغيره والباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبله وهي ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهي الخليج الأعظم أيضاً إلى * (خليج ذهالة) * ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى ثلاث خلج ثم ينتهي إلى * (خليج ينطاوة) * وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قديمة يوسفة سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمر فيه الماء وينتهي أيضاً إلى باين يوسفين ورسم هذا الخليج أن يسده وسائر المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور إلى سطحه ويفتح على استقبال كيمك إلى عشر تبقى منه ثم يسد إلى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغيطاس إلى سطح طوبة ثم يسد على استقبال أمشير إلى عشرة تبقى منه ثم يفتح ل عشر تبقى منه إلى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح إلى عشر تخلو من برمودة ثم يعدل في موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع ولهذا الخليج مفيض معمول تحت الجبل قبو يخرج منه الماء في زمان تكاثره ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى * (خليج دله) * وهو من المطاطية وحكمه في السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم وهو على

على جيرة من يريد المدينة وله بابان يوسفان مبنيان بالخرسعة كل منهما ذراعان وزرع ومنه شرب عدة ضياع
إمتهات وغيرها وفي وسطه مفيض لزمان الاستبحار فيفتح فيفيض الماء إلى البركة العظمى وفي أقصى هذه البركة
أيضاً مفيض له أبواب يقال أنها كانت من حديد فإذا زادت فتحت الأبواب فيفيض الماء إلى الغرب وقيل أنه
يمر إلى سفترية وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهي الخليج الأعظم إلى
* (خليج المجنونة) * سمي بذلك لعظم ما يصير إليه من الماء وحكمه في السد وغيره على ما ذكر ومنه شرب
ضياع كثيرة وبه تدارطوا حين واليه تصير مصالات مياه الضياع القليلة وإلى بركة في أقصى مدينة القيوم تجاور
الجبل المعروف بأبي قطران ويلقى ما يتصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهي البركة العظمى ثم ينتهي الخليج
الأعظم إلى * (خليج تلاله) * وله بابان يوسفان مبنيان بالخرسعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع وإيس
فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تحيز إلا في تقصير النيل فإنه يحجز بحشيش ومنه شرب طواق المدينة وعدة
أراض وضياع وفيه فوهة خليج البطش الذي إليه مفاضل المياه وفيه أبواب تسد حتى يصعد الماء إلى أراض
مرتفعة بقدر معلوم وإذا حدث بالسد حدث يفسده كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر
استحقاقها ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان من جانيه في قبله ويجري به ثم ينتهي إلى * (خليج سموه) * وهو على
يمينه من يريد مدينة القيوم وهو من المطاطنة وله بابان يوسفان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم
ما تقدم ومنه شرب طواق كثيرة وعدة ضياع وينتهي إلى أربعة مقاسم بأبواب وإلى خلجان تسقى ضياعاً
كثيرة منها * (خليج تدود) * فيه عين حلوة فإذا سدت هذا الخليج سقى منها أراض ما جاورها وظهرت هذه العين
لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئر فظهرت منه هذه العين فاكثرت بها ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان
بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة
ورسم الترع أن يستقبل عشرة أيام تخلو من هاتوري سلطه وتفتح على استقبال كهذه مدة
عشرين يوماً وتسد لعشر تبقى منه إلى الغطاس وتفتح يوم الغطاس إلى سلط طوبة وتسد على استقبال أمشير
عشرين يوماً ثم تفتح لعشر تبقى منه إلى عشرين من برمهات وتفتح عشرة أيام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم
بعمارتها ولهم في التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء
الضياع التي ذكرها الخراب أكثرها الآن والله أعلم

* (ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق) *

قال ابن عبد الحكم قُتِلَتْ قِصَّةُ الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جراحاً إلى القرى التي حولها فأقامت القيوم
سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفة الصديقي
فلما سلخوا في الجابية لم يروا شيئاً فموا بالانصراف فضاوا لا يجدوا شيئاً فأن كان قد كذب فما أقدركم على
ما اردتم فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع لهم سواد القيوم فجمعوا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال
ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينقض الجابية ولا علم له بما خلفها من
القيوم فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى
الصعيد فسار حتى أتى القيس فقتل بها وبه سميت القيس فرائث على عمرو وخبره فقال ربيعة بن حبيش كفت
فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت اثني فأتاه بالخبر ويقال أنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى القيوم
وكان يقال لفرسه الأعشى والله أعلم * وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر ومنها كورة القيوم
وهي ثلثمائة وستون قرية ذكرت على عدد أيام السنة لا تنقص عن الرى فإن قصر النيل في سنة من السنين
مار بلده مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا ما ينال بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنف منس ولا احصب
ولا أكثر خيراً ولا أغزر أنهاراً ولو قايستنا بأنهار القيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عدت
جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق القيوم وخبرها فاذا هي لا تحصى فتكر ذلك وعد ما فيها من المباح
بما ليس عليه ملك لا أحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف فاذا هو فوق السبعين صنفاً *
وقال ابن زولاق في كتاب الدلائل على أمراء مصر للكندي وعفدت لكافور الاخشيدي القيوم في هذه
السنة يعني سنة ست وخسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار وثمنا وعشرين ألف دينار * وقال القاضي الفاضل

في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة ألف واثنتين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكري والفيوم معروف هناك بغل في كل يوم ألفي مثقال ذهباً

* (مدينة التحرير)

كانت أرضاً مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جعلتهم شمس الدين سنقر السعدى فأخذ قطعة من أراضي زراعتها وجعلها اصطبلًا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور فقلون فسأله عن ذلك فقال اريد أن أجعله جامعاً تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان في ذلك فابتدأ عمارته في ارباب سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة حتى كمل في سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبراً واتخذ به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وانشأ السعدى حوانيت حول الجامع فلم تزل يده حتى مات وورثها ابنه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعاها بعد مدة للامير شيخو العمري فجعلها بما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشأهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن اراضى مصر بحيث بلغت احوال القزازين فيها وترقى سنقر السعدى في الخدم حتى صار من الامراء وولى نقيب الممالك السلطانية وانشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدره البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة القيل في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة في العمارة فحبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

* (ذكر تاريخ الخليفة)

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة واكثرها وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط وكذلك خارج اراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون في اوقاتها أيام الأشهر القبطية عادة وسلوك اوقافها سبيل اسلافهم واقتفوا سناجح قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر أسراء العوايد احتج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليفة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان بذك ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم نسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة نعت من أول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولاغنى عن التاريخ في جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل امة من امة البشر تاريخ تحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة ازمناها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والتجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ وكل ما يتعلق معرفته بمبدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعده العهد وعجز المعنى به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبدل أو خبر يتقله النقات واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده بمجموعا في كتاب واقدّم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا

* (ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ماضيا وباقيا)

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالا كوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول ادوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قومًا من الهند والفرس قد عملوا ادوار النجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيئا ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعدد أعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج أيا ما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس هؤلاء حيث جهلوا صورة الخلال في هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتقطن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب في ادوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة أن الادوار مخصصة في أنواع خمسة * الاول أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تدويرها * الثاني أدوار غر الكواكب في أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحاملة في ذلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في أزمنة اخر أطول من هذه لاجابة بنا في هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنقل اوجان الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبها راتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والاوزاع بحيث لا يتخالف ذية واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كية ماضى من ايام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً غريباً وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويرعون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوماً زمان النهار منها بقدر مئة ودوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتسريح الطبيعة من اثار الكون والفساد ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بيلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا مضى بنا ذلك في ثلثمائة وستين تبلغ سنوا أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا مضى بناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سنى الناس ثلثمائة الف الف الف سنة وأحد عشر الف الف سنة سنة وأربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ماشاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سمو كل أربع عشرة قطعة منها نوباً ومموا الخمسة عشرة قطعة الباقية فصولاً وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصوراً بين نوبتين وقد موا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمس الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف الف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين الف سنة وخمساء اعنى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دوراً مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع اولها أعظمها وهي مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة وأربعمائة ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربعة اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذي مضى من عمر الملك

الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعنى من أول كلكال الى هلاله شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع النعمان عظماء انبياءنا المتألهين برؤايتهم جيلا بعد جيل على عزم الدهور والازمان وزعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تجدد أزمنة العوالم وتنقل من حال الى حال وأن الماضى من أول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر ألف ألف الف سنة وتسعمائة ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضى من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف الف سنة وثلاثمائة ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وسبع مائة ألف الف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسع مائة وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه نحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايعر في ذلك قولاً أعجب من قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيغ أدوار الانوار وقد نلخص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادئ سنينهم مبنية على ثلاثة أدوار الأول يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها خصوصا في بلاد الترك يسمون سنينهم بأسماء حيوانات بلغت الخطا والايعر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميهما في الدورين جميعا وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شاككون وجونكون وخاون ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شاككون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر وهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجلتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم في الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وسقانة ليزدجرد واسمها بلطهم كادره وبلغة العرب سنة الفار وكان دخول أول فردين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادئ سديهم وأيامهم في الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايعر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويسمونها اليوم الاول بليته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كه ويسمونها اليوم بليته أيضا عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة مياو فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكا وثلاث فنك وكل كه مائة وأربعة أفضال وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليته عندهم من نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار ينصف جاغ يوند وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادئ سنى الشمس في زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادئ شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان أول الشهر في اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب اوصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم أول قسم من فصولها الحن وأوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من

فلذلك دلت على البلى والضييق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى أول الجدى الذى فيه أول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الآلاف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الآلاف فلا يزال ذلك في زيادة حتى يعود أمر الدنيا في آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداءها وهي في ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الآلاف اشتد الزمان وكثرت البلى لان آخر البرج في حدود الثور وكذلك في آخر الميزان والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالبحر كان والشمس في ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحولت سائر الخلق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذئب في القوس والمريخ والجدي والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السماء برج الحمل وفي أول دقيقة منه الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الرأس في برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرا وشرا وانحطاطها وارتضاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الآلاف وغير ذلك من احوالها ولان المشتري كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشرافها دلت على كائنة جارية فكان نشوء العالم وانبر زحل فتولى الآلاف هو والميزان وكان المشتري في الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوءه وكان زحل هو المستولى والعالي في الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الآلاف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء أول حدوث العالم وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشديد البنيان ثم ولى الآلاف الثاني العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل على القتل في ذلك الآلاف وسفك الدماء والسبي والظلم والجور والخوف والهزم والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الآلاف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطولوعهما وكان الذئب في القوس فدل المشتري على النجدة في تلك الآلاف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر في تلك الآلاف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الآلاف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الآلاف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وانبائه والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب في أصناف كثيرة وتحول ذلك وتلوته وكون الجدى منحط دل على أنه يظهر في آخر تلك الآلاف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلوث الاشياء وولى الآلاف الخامس الدلو بطولوع القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة أمرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومجدة الجلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام في الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاية الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة في العمارة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج ما يسايد على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير وبلى الآلاف السادس برج الحوت بطولوع المشتري والرأس فيدل على المجدة في الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتما في برج السنبلة وزعم ابن بويجحت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك الفوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك في ألف الجدى وتدبير الشمس ومنه

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعد الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف الذنب وأن الاعمار طالت في تدبير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت في آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احدى وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة في تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفي تدبير برج الثور احدى عشر ألف سنة وفي تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والرحمان أجد ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة وأربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة في ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله في الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء للبشر ألف جيل بخفاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهر والقولهم هذا بما في التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه لآل جيل * وذكر ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتاب أخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وأيد وبطش وصور ومختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثمانية تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها في سلطانها فجعل للعمل اثني عشر ألف عام وللثور احدى عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللادستمانية آلاف عام والسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام والجدى ثلاثة آلاف عام وللذئب اثني عشر ألف عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكوّن دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكوّن ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء وهوام فلما كان عالم السنبلة تكوّن الانسانان الاقوان وهما آدمانوس وحنوانوس وذلك لتقام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلق الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اقولا واقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع ولتقم سبعة آلاف عام من لدن تكوّن الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهم في الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لرحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمترنج ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجبلية الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فتمت امة خلقت طوا الارزاق ذوات اجنحة كلامهم قرعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وأذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها رجليان وجه أمامها ووجه خلفها ولهها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها أمة ضعيفة في صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها أمة تشبه
 بنى آدم أفواهم في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها أمة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة
 ورجل ينفذون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاص كأصلاص
 السلاحف في رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها أمة مدورة الوجوه لهم شعور بيض وأذناب كأذناب
 البقر ورؤسهم في صدورهم لهم شعور وندى وهم اناث كهنات ليس فيهن ذكر يلقيهن من الرياح ويلدن امثالهن
 ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها أمة على خلق بنى آدم سود وجوههم
 ورؤسهم كروث الغربان ومنها أمة في خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل
 الانعام ومنها أمة كوجوه دواب البحر لها أنياب كانياب الخنازير وأذان طوال ويقال ان هذه الثمانية
 والعشرين أمة تناخت فصارت مائة وعشرين أمة * وسئل أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه
 هل كان في الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله
 ويقصد سونه لا يفترون وكانوا يطفرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر
 ما في السماء ثم ان طائفة منهم عزدت وعنت عن أمر ربها وبغت في الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض
 وجدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا في الارض
 الفساد وكثر قتالهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة
 المطيعة لله والمسيحين له وكان يصعد الى السماء فلا يجيب عنها الحسن طاعته ويرى أن الجن كانت تفترق على
 إحدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شلال بن ارس ثم افترقوا فلكوا
 عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهر اطويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة
 فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة
 فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطمع وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان
 فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجاع وجعل لقاحه لقااح
 الطير ويضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء وعشر
 قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل يدفع شرها ومنهم صنف
 من السعالى يتصورون في صور النساء الحسنات ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور
 الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزيز عنده * وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما أنه قال ان الكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فان اهتم انفسا يعنى انهم
 ياخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن
 والبن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاشوا وسفكوا الدماء
 فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فألقوا على الكفرة قتلوا وأسرافكان من اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما
 صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيئا
 خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له لينظر
 للملائكة تكبره وابانة ما خفي عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم من أفسد فيها أشار بقوله
 تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بهم من قبل والله أعلم بمراده
 وقال ابو بكر بن احمد بن علي بن وحشية في كتاب الفلاحة انه عرّب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين
 الى اللغة العربية وانه وجد من وضع ثلاثة حكاية قديما وهم مصريون وسوساد ووقاي ابتداء الاول وكان
 ظهوره في الالف السابعة من سبعة آلاف سنة زحل وهي الالف التي يشارك فيها زحل القمر وقمره الثاني
 وكان ظهوره في آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي
 هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض
 الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى
 الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعشى عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستة مائة سنة الى لا عرف كل زمان منهم ومن فيه من الانبياء فقيل له فكيف الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث أبي هريرة الحقب ثمانون عاماً اليوم مناسدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمة * قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل * أن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبع مائة وثلاثة وعشرين جزءاً وثلاث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثمانمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم فإذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سنة فإذا جعلناه جزءاً وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبع مائة سنة وثلاث وعشرون وثلاث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وأربعة آلاف ألف وإذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما يدل على صحة الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين كادت لتسبقني قال فاعلم ان كان اليوم أوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيفا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار نزل كل شيء مثليه على التعزى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحو ما من ذلك وكان صحيفا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم يعني نصف اليوم الذي مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف وإذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقي من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسة مائة عام إذا كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد منها ألف عام كان معلوما أن الماضي من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيفا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث أبي هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاماً اليوم مناسدس الدنيا فبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذي هو من ايام الآخرة مقداره ألف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلي * وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف عليهما وليس في قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ولا في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعني الطبري فقد نقل في تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبي ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أنى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (الم يسطع نص حق كره) * ثم تأخذ العدد على حساب أبي جاد فيجيء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى أوائل السور الا هذه الحروف فليس يعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أسراطها ولكن لا تأتكم الا بغته وقد روى أنه عليه السلام قال ان احسنت اتقى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففي الحديث تنعيم للعديت المتقدم ويان له اذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية وقال شاذان البلخي - النجم مئة ملة الاسلام ثمانمائة وعشرين سنين وقد ظهر كذب قوله وقله الجد وقال ابو مشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المتجمين اخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دلائلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولأن طالع القرن الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبه في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بأمره العرب نجس وأربعين سنة من وقت القرن وأن العرب تلك المشرق والمغرب من أجل أن المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقرن قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الأدلة تقتضي بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية - وقال نقيل الرومي - وكان في أيام بني امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القرن الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا اجماع القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ يفترا العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعة وعشرين درجة من برج الاسد الذي هو حد المزيخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك رابستان وهي غزنة بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دويان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بني العباس فأخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر التزل من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ست مائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعني اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة او أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشجرة البيضاء في الثور الأسود والشجرة السوداء في الثور الأبيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصيح أنه صلى الله عليه وسلم انما عني شدة القرب لافضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بائنا كالشجرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصيح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعثت أربع مائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لانسبة له عند ما سلف قلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من اتساف من مضى كالشجرة في الثور والرقعة في ذراع الجمار وقد رأيت بخط الاميرابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمد بن سبكتكين بالهند مدينة يورخون بأربع مائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك اول ولا بد ونهاية لم يكن شيء من العالم موجودا قبله والله الاخر من قبل ومن بعد والله أعلم

* (ذكر التواريخ التي كانت للام قبل تاريخ القبط) *

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروزم عرّب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شيء آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب يورخا وأرخته تاريخا واللغة الاولى اقيم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ اول بتاريخ

الخلقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت ببيلش وأرخت بالاسكندر ثم بأغسطس ثم بانطس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط التاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس خواويج أخر قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخلقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفية وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعته قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من أول يوم كيوم مرت الذي هو عندهم الانسان الاول وبعثنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعمائة وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجمله وقال قوم الثلاثة الا آلاف الماضية انما هي من خلق كيوم مرت فانه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبايع غير مستحيلة والامتهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النار وتولد الحيوان وتولد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضي من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الاصل الرابع وسط السبعة آلاف التي هي مقدار العالم عندهم حتى يخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التي بين آدم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراهم بعيدة عن التخليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراهم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجالبة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا في الانجيل وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد أحدها انجيل متى والثاني لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقون واصحاب ابن ديمان انجيل يخالف بعض هذه الاناجيل ولا اصحاب ماني انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من قوله الى آخره ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداها باطل واهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيت ولم يكن للقياس والرأي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شيء من اقوالهم فيه وأما غير اهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون في ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشأين اثرى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرانات أول قران وقع بين زحل والمسترى في بدء التحرك يعني ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسة وتسعين سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المربيع فوق القران في برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درجات واثنين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك بالنسبة واربعمائة سنة واثنى عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثاني من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وقال وفي كل سبعة آلاف سنة وستين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان

في بدء التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من الملأ أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مائة ألفين ومائتين وست وخسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلوه تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر الجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم الشرقية يتكرون الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يمت العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى عمالة المشرق قالوا ووقع في زمان طمهورت وانا اهل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالمهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورت الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في ملكته صحيحة الهواء والترية فوجد ذلك بأصبعان فأمر بتجليد العلوم ودقها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثمناة من سنى الهجرة في حى من مدينة اصعيان من التلال التى انشقت عن بيوت ملوذة أعد الاعدة كثيرة قدملت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسي وتسمى التورمكتوبية بكتابه لم يدرا أحد ماهى وأما التجمعون فانهم صحوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشتري التى اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيةهم فان السفينة استقرت على الجودي وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها وصحوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر الاول أنى سنة وستمائة وأربع سنين وبين نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب في زيجيه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر أنى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبين يوم الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجلة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهى بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها مئة قدم على وقت الطوفان بمائة الف وثمانين الف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان فى مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بجهة او من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب الجسطى ثم أدوار فالليس وأول ادوارهم فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان فالليس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر بخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسى أصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانى ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطار دوهو ينطق وذلك لتحبسه على الحكة وتغريب اهلها ثم عذب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدونى وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الاسخر فان الحالة المؤرخة هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدونى ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاوان الاسكندراني فى تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ اغسطس فانه لا يعرف اليوم احدى سنة له وأغسطس هذا هو أول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغسطس هذا المأجول به اتمه ماتت في الخاض فشق بطنها حتى أخرج منه قفيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعة سنين من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سافة السنين والتواريخ بل يحى تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطى لأول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

* ذكر تاريخ القبط *

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربعة وتنتهى الى حيث بدأت وفي هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستكمل اثنتى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر اثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنينهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بمسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسرانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بمسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسرانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسهواتك السنة كيسة لان كس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجمع منها ايام سنة تامة وذلك في كل ألف واربع مائة وستين سنة ثم يكسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كس حتى اجتمع لهم من ريع اليوم في مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ريع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة واقتنى اثرهم في هذا اهل خوارزم والصفد ومن دان بدین فارس وكانت المملوك البشداية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بخدا فبرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين يوما ويسمون كيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثاني بسبب ريع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمون المباركة * وأما قدماء القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور أعنى الارباع وما يتبعه اصلا * وأما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصابئون والحزانيون فانهم أخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لآقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسة اشهر وواقهم النصارى في صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالقهم في الشهور الى مذهب الروم والسرانيين وكانت العرب في جهاتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحد وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساء من بني كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلس وهو البحر الغزير وهو ابو تمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد قيس وآخر من فعله ابو تمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل محي دين الاسلام بنحو المائتى سنة وكانوا يكبسون في كل أربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن اوقات ولا تتقدم الى أن يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

ما حرم الله فيحياوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين نخطب صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل التنبيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير الالهة على معانيها * وأما أهل الهند فأنهم يستعملون رؤية الالهة في شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشمر قرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في إحدى نقاطي الأعداد التي ويسمون السنة الكنيسة بدمات فهذه آراء الخليفة في السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكحل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأرائلها مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجاري لا يقبل عفونة كالأركاك واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالأقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة بأضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هي الحاجة والضرورة والتعب تنتج الحركة والسكون اذا دام في الاستقصاءات مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصاءات واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتداء اليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهر بارازانساء وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الدلية في التركيب فأما على التفصيل فالיום بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحدث بعضهم أول النهار بطلوع القمر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكوا واشروا حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الفجر ثم أمموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأن الآية انما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهم امتساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقر ذلك فتم قول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

* (ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به) *

اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقيصريين ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سني الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك نجبر وامتد ملكه الى مدائن الكاسرة ومدبنة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تحت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان في السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وجعل الناس على عبادة الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارى وأقام ملكا احدي وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة ودود منها يدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذي ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الأكبر فأظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقال ان رجلا نارا بصير يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قائده فخارب ما بوز ملك فارس وقتل اكثر عسكره وهزجه وأسراهم وأنه واخوته وأنخن في بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فاكثر قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعة بالنصارى

هي السنة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصراني وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيا نوس تاريخا ركان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو اول ايام ملك الاسكندر بن فيلبس المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيا نوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قريه وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهر السنة القبطية اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسماها هذه الخمسة الايام ابو عمناء وتعريف اليوم بأيام النسيء فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والاربعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنينهم الى حكم سنة اليونانيين بأن يصير سنينهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة * (واسماء شهر القبط) * توت بابه هاتور كيمك طوبه أمشير برمهاث برمودة بشنس بؤونه أييب مسري فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسري وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم من شهر توت

* (ذكر اسابيع الايام) *

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسمائها أهل الشام وما حواله من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيها هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن يبايل وعندهم اخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغسطس بن يوحنا فأراد أن يجعلهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة المكيية الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم جعلهم على كبس الشهور في كل اربع سنين بيوم كما تفعل الروم قرك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك استعمال اسماء الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها لم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت كادثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بووني اتور سواقي طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون بادوى افيي ايقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيمك كال ويقول في برمهاث برمودة وفي بشنس بشانس وفي مسري ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ابام النسيء ومنهم من يسميها ابو عمناء ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسري وفيه يزداد اليوم الكبس فيكون ابو عمناء ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانهم لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا اول سنينهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنينهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنينهم الى اول يوم من ملكه فصار اول توت عندهم يتقدم اول يوم

خلق فيه العالم بعامتين وعثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان قوت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الآن ناسع عشرين برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصر ايم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصر ايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذا الملك استعمل تاريخ جده نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

* (ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر) *

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تتعلوا رطاباتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا بالغوم مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له او ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب البعقوية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيداً في كل سنة من سنينهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً * فالاعیاد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خيس الاربعين وعيد الخيس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والاعیاد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخيس العهد وسبت النور واحداً للحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ايسر هي عندهم من الاعیاد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعیاد ما لا يتجدهم في غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وقوارخ اهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم وسنتهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنبر وهو الجمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويساعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة كان عيد الشعانين ففزع الحاكم بأمر الله ابو علي منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وجماعهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيئاً من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها في الدوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرق عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويرغمون أن المسيح عليه السلام لما تملاً الى اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقله قبضوا عليه وأحضره الى خشبة ليصلب عليها فاعلم على خشبة عايم بالصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجسد ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وناسع عشرين برمهات وخامس عشرين آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعوا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحراً وبضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التي كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمر قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعيد عيد الصلبوت

ثلاثة ايام * (خمس الاربعين) * ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندا كماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فرجع التلاميذ الى اورشليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم بأشهرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا * (عيد الخمسين) * وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيامة وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في عليه صهيون فتجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار فامتلاوا من روح القدس وتكلموا بجميع اللسان وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وجسدهم فحباهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح * (عيد الميلاد) * يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيجيئون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه ككرة الوقود بالسكائن وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيمك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاديين المحنكين والامراء المطوقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجسامات من الخلاوة القاهرة والمشارد التي فيها السמיד وقربات الجلاب وطما في الزلاية والسلك المعروف بالبورى * ومن رسم النصراني في الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ما قيل

ما للعب بالنار في الميلاد من سفة * وانما فيه للاسلام مقصود

ففيه بهت النصراني ان ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأذكر كما الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر ومما جليلي اساع فيه من الشموع الزهرة بالاصباغ الملحمة والتماثيل البديعة بأموال لا تحصى فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشتري من ذلك الاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالخوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالات في ثمناتها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصر وفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلفت امور مصر كان من جملة ما يقال من عوايد الترف عمل الفوانيس في الميلاد الاقليلا * (الغطاس) * ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبه وأصله عند النصراني أن يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدان في عهد المسيح اى غسله في بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصراني لذلك يغمسون اولادهم في الماء في هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودي * وليسلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلته الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج أمير مصر في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الركنية للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانب القسطنطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصراني منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشواطئ لا يتأكرون كل ما يجيئهم اظهارة من المأكول والمشرب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسيحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلاثمائة منع النصراني من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهي ونودي أن من عل ذلك نقي من الحضرة وقال في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت أسرة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاد برحوان وأودت له الشموع والمشاعل وخضر الغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة احدى واربع مائة وفي ثامن عشرى جمادى الاولى وهو
عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة
واربع مائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى يجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه
والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله لعصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه
الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود
متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاغل في الليل وكان وقفا
كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقصسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن
المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة
لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون في المراكب وأطشان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة
بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل في سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم
وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تحت بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول
المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امته وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر أُمشير
* (خمس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزعمون عليه ثم يغسل
للتبركة به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم
أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خمس العدس
من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفي ويقول اهل الشام خمس الارز وخمس البيض ويقول اهل
الاندلس خمس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خمس العدس هذا
خمس مائة دينار فتعمل خرابب تفرق في اهل الدولة برسوم مفردة كاذ كرى أخبار القصر من القاهرة عند
ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خمس العدس هذا في القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم
العظيمة فيسباع في اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد
والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم
بعضا ويهدون الى المسكين أنواع السمك المتنوع مع العدس المصفي والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت
منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا
اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفصح والتفتيش على أن
هذا من جملة تحاربى النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم
من خمس العدس ومن توابعه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل أول احد بعد الفطر
لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجتدون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والامور
الدنيوية والمعاش * (عيد التجلي) * يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلي لتلاميذه بعد
ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى
السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المجددة وسببه
ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) *
وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشيموش بن دقيون بن كلوديش بن عايش بن كتيبان اعسب
الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنان البيع وآمن
من الملوكة بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فتشأ بها مع أمته وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من الظفر
والسعادة معانا منصورا على كل من حاربها وكان في أول أمره على دين الجوس شديد على النصارى ما قتال بينهم
وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغم ذلك غما شديدا وجمع الحذاق من
الاطباء فانفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعند ذلك الادوية في صهر ينج بماء من دماء
اطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من اطفال الناس وأمر بدبحهم في صهر ينج ليستنقع في
دمائهم وهي طريقة فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليضئ فيهم ما تقدم به من دبحهم فسمع ضجيج النساء اللائي أخذ

أولادهن فرجهن وأمر فذبح لكل واحدة ابنها وقال احتمال علقى اولى بنى وأوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهن وقد سرن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى في منامه شيئا يقول له انك رحمت الاطفال وانهتهم ورأيت احتمال علك اولى من ذبحهم فقد رحمتك الله وهبك السلامة من علك فابعت الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشقر قد فرخو فامتك وقف عند ما يأمرك به والتزم ما يحضرك عليه تتم لك العافية فاتبعه مذعورا وبعث في طلب شلبشقر الاسقف فأتى به اليه وهو يظن أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقتله لدينهم فعند ما راه تلقاه بالبشر وأعلمه بمآراءه في منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مدكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع الاساقفة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعلن بالايمان بدين المسيح وبيناهو في ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبني مدينة قسطنطينية بنينا باجليل فعرفت به وسكنها فصارت موضع تحت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان بيرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجرهم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقد مواعيلهم ملكا فأهمه ذلك ومترت له معهم عدة أخبار مدكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدت الحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب القرس وخرج اليهم ففهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت القرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى في منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تطهر بين خالك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسكك فلما اتبعه أمر بتجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليه ما عمل به اليه ودخفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألغوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فالتخذوا ذلك اليوم عيداً وسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثة وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشب الصليب غلافاً من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح برعهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرف بالصليب معها الى ابنها وما زال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالتمسكات من انواع الحرثات ويمزلهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبثوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وهو يوم الصليب فنع الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجرى على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنة اثنتين وأربع مائة قرى في سابعه سجن بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يستعمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزيتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكديعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت السارى الليلة التى فيها ابراهيم وفي صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فن اجل ذلك بات الناس على السارى تلك الليلة التى رعى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتجرى واهوا وسعوا تلك الليلة نيروزا والنيروز في اللسان السريانى العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيداً فقال انه اول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم علي بن

عسا كرفى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنه ما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا الساحر علم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولانت فاجتمع انت وهرون وتجمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الا كبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهاث ويقال اول من احدثه جشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيداً وسماه نوروزاً فى اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليه السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيداً وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام بسط من بنى اسرائيل اصابعهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبني عليهم حظيرة فيجعلون فيها ما صاروا فيه اماناً وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى اوحى الى نبي ذلك الزمان ارايت بلادك ذكوا وكذا خاربهم بسط بنى فلان فقال يارب كيف احاربهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه اني احبهم لك فأطهرهم الله ليلة من الليالي فى الحظيرة فأصبحوا احياء فهم الذين قال الله فيهم ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرجع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصحب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النوروز فقال قول الله تعالى ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدبوا تقول مات فلان هز الا فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلادهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بنى اسرائيل فزوا من الطاعون وقيل أمر وابلجها فنفخوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك فأما تم الله ليعرفهم انه لا ينجم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل احد انبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حنيفة فى كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النيروز جشيد ويقال جشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراست فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر مناشوش بن منقاوش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو اول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراماً للكهنة * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم فى عمارة ارض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلد يانوس الملك أن يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الا كثر فجعلوا اول شهر ورمهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولا بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صبة الماء يوم النوروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعهم واعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحسبوا واخذ قوم فطيف بهم على الجبال * وقال ابن المأمون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز ونعرا الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والخيرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بقصدها واسماء اربابها واصناف النوروز البطنج والمان وعناقيد الموز وأفراد

البسر واقفاص القراقصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حبرير مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديقية مذهبات وحريريات ومعابر وعصائب نسائيات ملونات وسقولا مذهب وحريرى ومسفع وفوط ديقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والخواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبجاريها لم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهراس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الامثال والاعيان ممن له جاه ورسم في الدولة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقب ضلالتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمر النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبته ويرسم على دور الأكابيل الجبل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقع باليسور من الهبات ويجمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤ بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملالى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزشر بظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاذن وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بجرمته فاما أن يفدى نفسه واما أن يفضح ولم يجز الحال على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وقد أحيى المنكرات في الدور وأرباب الخسارات * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجدت فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفريه في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالخلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبع مائة وأمر الدولة بديار مصر وتديرها الى الأمير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فأتكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئا من ذلك في الخيلان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعدما كانت أسواق القاهرة تعطل في يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور ولما انقضى يوم نوروز الاقتل فيه قتل اواككرو ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب اهمه له وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكتى * وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى * وتارة كتوالى دمعى فيه
هـ (وقال آخر) *

نورز الناس ونورزت ولكن بدوعى
وذكرت نارهم والنار ما بين ضلوعى
* (وقال آخر) *

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبها بالدموع على الخد

ذكر ما وافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله
اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظاً وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطى هو ايلول وكانت عادة مصر مدعاه فراعتها في استخراج خراجها وجباية أموالها أنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء واقتراشه على سائر أرضها ويقع انتماءه في شهر توت فاذا كان كذلك ورعما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترج في الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفي أوله يكون يوم النور وروز رابعة أول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع الفجر بالبرقة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط اللسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من الابجر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشره يطلع الفجر بالعوا ويكبر صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحي وتسترغ السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر الغنم الشتوى وتبذر المحضات * (بابه) في أوله يحصد الارز ويزرع القول والبرسيم وسائر الحبوب التي لا تنشق لها الارض وفي رابعة أول تشرين الاول وفي ثامنه طلوع الفجر بالسمك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيجوز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفي تاسعه يكون مجيء الكراكي الى ارض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفي حادى عشره يطلع الفجر بالغفر * وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن بيسر زراعة القرط ثم بزراعة الغلة البدرية أولا فاولا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك القمح والذبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل بكاره ويسمن الراى والابرمنس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسية وفيه يلج السمك المعروف بالبورى ويهزل الضان والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحضات وفيه يجب كتابة التذكار بالاعمال القوسية وفيه يغرس المنشور ويزرع السلم * (هاثور) في خامسه يكون أول تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبان فى رابعة وفي سادسه يزرع الخشخاش وفي سابعه بصرف ماء النيل عن اراضى الكتان ويسذر في النصف منه وبعد تمام شهر يسجن وفي ثامنه أوان المطر الوسمى وفي حادى عشره تهب ريح الجنوب وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشره تهب الرياح للواقع * وفي هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراغ الغلة في جميع ما يحتاج اليه فيها ويتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شاربها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديش والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنشور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين في هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب جلان السنة حله وفيه يكثر الغنم الذى كان يحمل من قوص * (كهيك) أوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفي سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفي سابعه أول كانون الاول وفي عاشره آخر الليالى البلق وأولها أول هاتور وفي حادى عشره أول الليالى السود ويدخل الثعلب الاجسرة وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفي حادى عشره يكون آخر الليالى البلق وفي ثاني عشره عيد البشارة وفي ثالث عشره تزرع الحلبة والترمس وفي سادس عشره يطلع الفجر بالنعام وفي ثامن عشره يبيض النعام وفي تاسع عشره الميلاد * وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطبّاخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك الثربس والمحضات والقول الاخضر والكرب والجزر والكرث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يوجد الجداوي يكون اطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الخرش ولا يزرع بعده في ثشي من ارض مصر غير السمسم والمقاني والقطن * (طوبه) في ثلثه ابتداء زراعة الحنص والجلبان والعدس وفي سادسه اول كانون الثاني وفي ثلثه يطلع الفجر بالبلد وعاشره حوم الغطاس وحادي عشره الغطاس وفي ثاني عشره يشهد البرد وفي رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود وحادي عشره الليالي البلق الثانية وفي ثاني عشره يطلع الفجر بسعد الذابح وفي ثالث عشره تهب الرياح الباردة وفي رابع عشره تفرخ جوارح الطير وفي خامس عشره يكون نتاج الابل المجودة وفي سابع عشره يصفو ماء النيل وفي ثامن عشره يتكامل ادراك القرط * وفي هذا الشهر تقلم الكروم وينتفح زرع الغلة من اللسان وغيره وينتفح زرع الكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضي اول سكة برسم الصبا في المقاني والقطن والسمسم وينتهي برشها في اول امشير وفيه تسمى ارض القلقاس والقصب وتنشق الجسور وفي آخره تستخرج اراضي الخرس ويكسر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواني وحفر الآبار واتباع ابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه ايضا يكون هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر اطيب منه ما في غيره وفيه يتناهي ماء النيل في صفائه ويجزن فلاية في اوائيه ولوطال لبشه فيها وفيه تطيب لحوم الضأن اطيب منها في سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ريحها وبطوبه يطالب الناس باقتراح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحاول والمعقود * (امشير) في اوله تحتلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بايع وفي سادسه يكون اول شباط وفي ثلثه يجرى الماء في العود وحادي عشره اول جرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفي سابع عشره يخرج النمل من الاجرة وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفي العشرين منه ثاني جرة فائرة وفي ثالث عشره تقلم الكروم وخامس عشره يفرخ النخل وسابع عشره ثالث جرة طامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفي آخره يكون آخر الليالي البلق * وفي هذا الشهر يقطع السلم ويستخرج خراجه وفيه يثنى برش الصبا في تبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتسمح الاراضي ويرقد البيض في المعامل اربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغي أن تعمل اواني الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من اواني الخزف يبرد الماء في الصيف اكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنشور * ويقال امشير يقول للزرع سيرو يلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويبهب الهواء الذي فيه سخونة ما وفي امشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربيع الخراج من السجلات * (برمهات) اول يوم منه يطلع الفجر بالاخبية وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يطلع الكتان ورابع عشره يكون اول العجااز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تنفخ الحيات أعينها وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الحمل وهو اول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفي العشرين منه يكون آخر العجااز وثاني عشره نتاج الخيل المجودة وثالث عشره يظهر الذباب الأزرق وخامس عشره تظهر هوام الارض وسابع عشره يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفي آخره يتفرق السحاب * وفي هذا الشهر تجرى المراكب السفريه في البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتينس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه زرع المقاني والصيفي ويدرك القول والعدس ويقطع الكتان وترزع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة وبأخذ المقيمين في تنظيف الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة وبأخذ القطاعون في قطع الزريعة وبأخذ المزارعون في رمي قطع القصب وفيه يؤخذ في تحصيل النطرون وحمله من وادي هيبث الى الشونة السعديانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الريح هبوبا وفيه تزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون الابن الراتب اطيب منه في جميع الشهور التي يعمل فيها وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثاني والثامن من الخراج * (برموده) في سادسه اول نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرياء وفي ثاني عشره يطلع الفجل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفي هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج الذي كان يصير في القديم أيام الدولة الفاطمية والايوبية ويجزأ الى السواحل لتيسر حمله في زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل شواني واحطابا برسم الوقود في المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويرزق النصارى شنبو والمولوخيا والبادنجان وفيه يقطف اوانل عسل النحل وينفض بزرا الكنان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجيز وفيه تقع المساحة على اسفل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من سبلاهم ويحصد بدي الزرع * (بشنس) في خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه افتتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثمان عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالريا وفيه زراعة الارز والسهم ورابع عشره يكون عيد البلسان بالمطرية ويرزعون انه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر * وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهذا الكنان ونفض البرز والتقاوى والابان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقلبه وسقيه وتكريم اراضيه من بؤونة الى آخرها تور واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت وان كان في اوله فهو اصل الى آخرها تور وصلاح أيامه أيام الندي ويقم في الندي سنة كاملة الى أن يشرب اعصاره وأوساخه ويطبخ الدهن في الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصري أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حو لها من الدهن * وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسي ويتدى فيه التفاح المسكي والبطيخ العبدلي ويقال انه اول ما عرف بمصر عند ما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سني الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلي وفيه أيضا يتدئ البطيخ الجربى والشمش والخوخ الزهري ويجنى الورد الابيض وفيه تقتر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالحرف والجهنزة وحق المراعي والقرط والكنان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونة) في ثانيه يطلع الفجر بالديران وفي خامسه ينفض النيل وفي تاسعه أوان قطف النحل وفي حادى عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد ميكايل فيؤخذ قاع النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفي عشريه تحل الشمس اول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفي سابع عشره ينادى على النيل بمازاده من الاصابع وفي ثامن عشره يطلع الفجر بالهنعة * وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعمال وغير ذلك من الاعمال القوسية ونواحى الوجه البحرى وفيه يقطف عسل النحل وتخترص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يتدى الكنان ويقلب أربعة اوجه في بؤونة وأيب وفيه زراعة النيل بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ويحصل في اول كيمك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع في برمودة وتحصد في عشرة أيام من أيب وتقيم في الارض الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثاني سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفي هذا الشهر يكون التين القيوحي والخوخ الزهري والكثيرى والقراصيا والقناء والبلج والحصرم ويتدئ ادراك العصفرو وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جهوز العسل فتكون رباحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النحل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة * (أيب) في سابعه اول تموز وفي عاشره آخر قطع الخشب وفي حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره ابتداء تعطين الكنان وفي خامس عشره يقل ماء الابار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفي حادى عشره

عشر به تحل الشمس بأول برج الاسد وتذهب البراغيث ويبرد باطن الارض وتنج أوجاع العين وفي خامس عشر به يطلع القبر بالنثرة وفي سادس عشر به تطلع الشعري العبور اليمانية * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بحبي العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلخ وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النسل فيقال في أييب يدب الماء ييب وفيه يتقع الكنان بالبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكنان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرط وفيه تستم ثلاثة أرباع الخراج * (مسرى) في سابعه يطلع القبر بالطرف وفي ثامنه أول آب وفي حادى عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحصى الماء ولا يبرد وفي سابع عشره استكمال الثمار وفي عشر به يطلع القبر بالجهة وفي حادى عشر به تحل الشمس برج السنبلة وفي ثالث عشر به يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشر به يكون آخر السموم وفي ناسع عشر به يطلع سهيل بمصر * وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا في غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل في خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلل والهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يجزّصون النخل ويخرجون زكاة الثمار في هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجيها السلطان من الرعية وأكثر ما يهب في هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقله تحضه ولذته طعمه وفيه يكون ابتداء ادرال الزمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت أيام النسي في اولها ابتداء هيج النعام وفي رابعها يطلع القبر بالخراتان وفي مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكنان في مسرى وأيب لأن الكنان ييل في نوت ويدق في بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك في الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للام في كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تميزت المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسي الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا اندا خل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سنة وسما ذلك الازدلاق لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبأ ذلك ما لم أره مجموعا * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله ابي العباس احمد بن ابي احمد طلمة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد في ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرية وابتار الارفاقها وقالوا خرج التوقيع في المحرم سنة اثنين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك اقتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتح من خراج سنة اثنين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيا لاهل الخراج وتظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير اقتتاح الخراج في حزيران (أما بعد) فان الله لما حول أمير المؤمنين للجل الذي احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكافها الاما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها اصلاح امورها ويستقرئ السبر والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقر منها ما اوجب الحق اقراره وينيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثيرا يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون الحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا والله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحيطة ما قلده من امورها وهو خير موفى ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتعمل بهما ويجرى بجرهما من الوقت

الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذي كان عليه متقدما مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير
العدل عالما في الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومتر الايام موامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه
مع ما وقع به فيها التمثيل فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس
ثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وعشرين ومائتين * نسخة الموامرة أنهيت الى أمير المؤمنين أن بما انهم
الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعها عنها في خلافته من
الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذي فيه سواء ما حررت به من نقل كتب الخراج
عن السنة التي كانت تنسب اليها من سني الهجرة الى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك
ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على اهل ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة
واعيائهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحدهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في الاخرى
منها في حساب شهور الفرس التي عليهم ما يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهاواز وفارس والجبيل
وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب
شهور الروم الموافقة للزمنه فليست تختلف اوقاتها مع الكيسة المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها
على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس
منذ أزال الله ملك فارس وفتح المسلمين بلادهم فصار النوروز الذي كان الخراج يفتح فيه بالعراق والمشرق قد
تقدم في ترك الكبس شهرين وصار ايامه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جيل الله عليه رأيه في التوصل
الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسبنا للأسباب المؤدية الى اعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور سنة اثنتين
وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو
من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهي ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا
يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من
حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعمل اصحاب الحساب
من التوقيعات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكيسة الاولى والاخرى يكبس بعد
ذلك في كل اربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن ابدا واقعا في حزيران
وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر
النواحي والاتفاق اذا كان مقدار سني أيام الهجرة والسنة الجامعة للزمنه التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج
التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من دوان الرسائل الى ولاية المعاين والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل اصحاب
المعاين الرعية عليه وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكم في دوان حكمهم لتمثيل الضمان
والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فرأى أمير المؤمنين في ذلك موقفا ان شاء الله
تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة سنة احدى وعشرين
ومائتين * قال وكان السبب في نقل الخراج الى حزيران في أيام المعتضد ما حدثني به ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى
المنجم القديم قال كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز فاستحسنه وقال لي
كيف كان ذلك قلت حدثني ابي قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بسائنه الخاصة التي كانت في يدي
وهو متوكل على يحيى حدثني ويظهر الى ما أحدث في ذلك البستان فزروع فراه اخضر فقال يا علي ان الزرع
اخضر بعدما أدرك وقد استأمر في عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج
في النوروز والزراع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجري الامر اليوم على ما كان يجري عليه في أيام الفرس
ولا النوروز في هذه الايام في وقته الذي كان في أيامها قال وكيف ذلك فقلت لانها كانت تكبس في كل مائة
وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار في خمس
من ايار وأسقط شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله
القسري وحضر الوقت الذي تكبس فيه الفرس منعها من ذلك وقال هذا من التسيء الذي نهى الله عنه فقال
انما التسيء زيادة في الكفر والافاطقه حتى استأمر فيه أمير المؤمنين فبدلوا على ذلك ما لا جليلا فامتنع عليهم

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسيء الذي نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكسب تقدم النوروز فقد ما شديدا حتى صار يقع في نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا علي "علامتزد النوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في أيام الفرس وعرف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأذاليه رسالة مني في أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل وأذيت اليه رسالته فقال لي يا ابا الحسن قد والله فرجت عني وعن الناس وعملت عملا كثيرا اعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فغناك من يجالس الخلق وأحب أن يتقدم بالعمل الذي أمر به المتوكل وينفذه الى حتى اجري الامر عليه واتقدم في كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحزرت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في أيام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير في خمسة أيام تخلو من ايار فتكسب منها وترتد الى خمسة أيام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم ابن العباس في أن ينشي كتابا عن أمير المؤمنين في ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور في أيدي الناس * قال ابو احمد فقال لي المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغي أن يعمل به فقلت ما أحد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من الحسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر في استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرفته الخبر فأحب تأخير عن ذلك ثلاثا يجرى الامر المجري الاول بعينه فجعله في احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد في ذلك فأمضاء قطعت في ذلك شعر انشدته للمعتضد في هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافي * أبدا في احد عشر

قال وأخبرني بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما واثلا وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على اهله * وأما المهرجانات فلم تكن تؤخر عن وقته يوما واحدا فكان أول من قدمه عن وقته بيوم المعتد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الریحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكره ابن أبي طاهر وزاد وفضت الكتب الى الآفاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث وأربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل أخذ ما بين سنته وبين أول تاريخ يزدجر دفأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجر فلما أن اهتم بهم أمر الكسب من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الاربع وستون يوما وكسرها ذلك على النوروز في سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ما في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهر الروم لتكسب شهره اذا كسبت الروم شهرها وقال القاضي السعيد ثقة النقا ذوالياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف الخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقه السنة القبطية لان أيام شهرها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة أيام النسيء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام لينجبر الكسرو يسعون تلك السنة كيسة وفي كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسرها كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذي تطابق به احدى السنتين الاخرى وقد قال ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج في سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه فبحرى كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة احدى عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثمانمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك الغلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين في صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فخرجت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينسج كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤساؤهم في ذلك الوقت اسماعيل بن ببلل وبنى القرات ولم يكونوا يعملوا في ديوان الخراج والضياغ في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن القرات قبل هذه السنة بخمس سنين وولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن ببلل يعلم في مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تقلدت اناصر الدين أبي احمد طهة الموفق رحمة الله أعمال الضياغ بقروين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقبلا بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد واحد بن محمد كاتبه واحتجبت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفنا على هذه الترجمة انكرها وسألنا عن السبب فيها فشرحت لها ما واكدت ذلك بأن عزتني ما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الاثر فكان ذلك او كذا لطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبنوا في كهفهم ثمانمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجدها من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثمانمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثمانمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسنه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر رحمة الله وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه فقرأ اليه وطعننا على أبي القاسم عبيد الله في تأخير اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تنذم الى أبي القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرهن انقضاء سنة سبع وثمانمائة وقد تها ادراك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثمانمائة ونسبته اليها وقد علمت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين جبروا الجوالي والصدقات لسنتي احدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد لأن الجوالي بسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبي على شهور الالهة وما كان من جاجم اهل القرى في الخراج والضياغ والصدقات والمستغلات كان يجبي على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالي ورفعها العمال في حساباتهم فن لم يرفعها ألزموه بجوالي السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالي على شهور الالهة تجرى الامر على ذلك قال القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فتقات سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمة الله وآخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل أبي علي

عبد الرحيم بن علي اليبيساني انه قد آن نقل السنة فانشأ مَجْلا بنقلها نسخ الدواوين وجعل الامر على حكمه
وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين في احيائها * وقال ابو الحسين هلال بن الحسن الصابي
حدثني ابو علي قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلب نقل سنة خمس وثمانيه الهلالية امر ابا اسحاق والدي وغيره
من كتابه في الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطبع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب
الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابي
الفرج بن ابي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتباً محققة وانسخ في اواخرها هذا الكتاب السلطاني
فغاط ابا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرح في جلة ما اطرح
وكتب قد رأينا نقل سنة حسين الى احدى وخسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني وعرف الوزير
ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب الى العمال واثباته في الدواوين
فأجاب جواباً عاك فيه فقال له يا ابا الفرج ما تركت ذلك الا حسداً لابي اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب
اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في اواخرها قال القاضي ابو الحسن وأنا ذكر بمشيئة الله نسخة
الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب ابي اسحاق وكتاب القاضي الفاضل لستين
للتناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب
الفاضل اكثر فجازاً واعظم اعجازاً ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر
ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة * نسخة الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى
ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر النبي الذي خصه الله به
وأزماه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجهه عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات
الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحرم ووجع البيت وجهاد العدو وسد الثغور
وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمر المؤمنين بسأل الله تعالى راغب اليه ومتوكلاً عليه أن
يجري عليه أمر جباية هذا النعم في خلافة آتائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك
من الغلات والثمار في كل سنة اولاً او اقل على مجاري شهور سنن الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها
فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربعاً وزيادة عليه ويكون
ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلاتزال السنون تضي على ذلك سنة بعد سنة
حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثمانية
وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة عليه فينتد يتها بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التي تجري
عليها الضرائب والرسوم في استقبال الحزم من سنن الالهة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت
قد انقضت ونسبتها الى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين
المتوكل على الله رجة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرته سنة احدى وأربعين ومائتين فخرجت
المكاتبات والحسابات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرته
انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتاب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها
الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين
الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رجة الله عليه في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان
وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون
سنة اولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور
خراج سنة سبع وثمانيه ووجب اقتراح ما يجري على الضرائب والرسوم في اولها وان من صواب
التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يحق على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثمانيه
الى سنة ثمان وثمانيه فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا النعم وحياطه
اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبل آتائه الراشدين رجة الله عليهم اجمعين فيها أن يكتب اليك والى سائر

العمال في النواحي بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر مناسطراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم وأكتب بما يكون منك في ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة ابى اسحاق الصابي) * أما بعد فإن أمير المؤمنين لا زال مجتهدا في مصالح المسلمين وباعثا لهم على مرشد الدين والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأي فيما يبرمون ويتقضون فلا يلوح له خلة داخله على امورهم الاستداه وتلافها ولا حال عائدة يحظ عليهم الا اعتدوها وانها ولا سنة عادلة الا أخذهم بإقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وبجهل العامة بقصور أفهامها وكانت او امره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالإشارة ويجتزون بسبب الابانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورهم ولا أن يقتصر على اللجة الدالة في مخاطبة جهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس في فهم ما أمر وا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استراية المستريين اطمانت قلوبهم وانشرت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستقر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حزاز الزيف والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب التجاح وينهضه بما اهله لجله من الاعباء التي لا تدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونه ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واخرى الافعال أن يكون رشادا ما وجد له في السابقي من حكم الله اصول وقواعد وفي النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالآلة الى قوام من دين أو دنيا ووافق في آخره او اولى فذلك هو البناء الذي ثبت وبعاد والغرس الذي ثبت ويزكو والسعي الذي تنجح مباديه وهو اديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستخير سبله لسالكها وتوردهم موارد السعود في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تنقلب عليه من اتصال واقتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر في كرور الشهور والاعوام ومرور الليالي والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاطمان وتغاير الفصول والازمان ونشوء النباتات والحياة مما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل بل هو منوط ببعضه بعض ومحوط من كل ثلة وتقض قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل ألم تر أن الله يوبخ الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم بفضل الله تعالى بهذا الايات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك الميمنة والمخالفة في المسير يؤديان الى موافقة وملازمة في التدبير فمن هنا لك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين بالآخرى اذا اختلفتا وبدا في بينهما اذا تفاوتتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اقتنان من طرقها ومذاهبها وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة اهل الكهف وابشوا في كهفهم ثلثمائة

سنتين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم
اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا وأيامها اثنتا عشرة وستون يوما ولقبوا بالشهور
بأثني عشر لقباً وتموا أيام الشهر منها ثلاثين اسماً وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربيع
في كل مائة وعشرين سنة شهراً فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربيع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته
وانقرض ما بينه وبين حقيقة وقته انقراضاً هوزاً لا يقف ودائراً لا يقطع حتى ان موضوعهم في النوروز أن يقع
في مدخل الصيف وسينتهي الى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في
مدخل الشتاء وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظراً
في العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارساد شهورها وأنواء عرفوها وفوضوا الخمسة الايام على الشهور
وساقوها على الدهور وكبسوا الربيع في كل أربع سنين يوماً ورمعوا أن يكون الى شباط مضافاً فقرر بما بعده
غيرهم وسهلوا على الناس أن يقفوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولما لهم احتذى
في تصغيره نوروز اليوم الحادي عشر من حزيران حتى سلم بمالحق النواريز في سالف الايام وتلافوا الامر
في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبر فكلما اجتمع من فصول سني الشمس وما بقي تمام شهر
جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالاً فرمات السنة الثالثة عشر في ثلاث سنين ورمعوا في
سنتين بحسب ما يوجب الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عند ستم متقاربتين ابدالاً لاتباع ما بينهما وأما
العرب فان الله تعالى فضله على الامم الماضية وورثها نعمات مشافها المتعبه وأجرى شهر صياها ومواقيت
أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الالهة ارادة منه أن تكون
مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيسكافاً في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص
الفقه والتمام والاثني والذكر والصغير والكبير والا كبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الفلات
المقسومة وخراج الارض المسوغة ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والارباب والمقاطعات
والمستغلات وسائر ما يجري على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لتقع جدا وازداد بعدا
اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن
تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعده او يتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا بالخالفهم في كبس السنة الهلالية
بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لخرجت الاشهر الحرم عن موافقها وارتجت المناسك عن حقائقها ونقصت
الجباية في سني الالهة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تتم السنة وأوجب
الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثاً وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلاً
لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسيلة مع تلك النعمة في دينهم وقدر رأى أمير المؤمنين
نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعاً بينهما ولزوم الثالث السنة فيهما
فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليه وتضمنه كتابه هذا اليك وحرر الكتاب قبلك أن يحتد وارسمه فيما يكتبون
به الى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكرهم وورفعهم ويغدون من خروج الاموال وينظمونه في
الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن
المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التي وقع النقل اليها واقم في نفوس من يحضرونك من اصناف الجند
والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسماً ولا يلحق بهم ثلماً ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان
ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أدائه فان قرأتهم فقيرة الى افهام أمير
المؤمنين الذي اثر أن تراح فيه العلة ويستدبه سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في
مثلها يحتاج الى تعريف الناسي وأجب بما يكون منك جواباً يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال
ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية
وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن قاتك البطائحي مع الأفضل بن أمير
الجيوش في ذلك فأجاب اليه وخرج امره الى الشيخ أبي القاسم بن الصيرفي بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ارضى أمير المؤمنين امينه في أرضه وخليفته وألهمه أن يتم بحسن

التدبير عبيده وخلقته ووقفه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في الحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه جدران افلاك دولته ومبدا أعداء مملكته واشرف من نصب للجند علما وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدياته الابواب الحائرة وأذهب بمعلمته الاحكام الجائرة السيد الاجل الافضل وتقمم النعوت بالدعاء للذي كل تدبيره نظام الصلاح ونعمه وسدد تقريره الامور في كل ما قصده ويمم به في السياسة على ما اهمله من سبقه وأغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خلا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه اشارة العمارة الاعمال وقصد الما يقضي بتوفير الاموال وتوخيل المعاد بضروب الاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وحلالهم على اعدل السنن وأفضل القضايا بحمد امير المؤمنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للائمة وادخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة ووقفه لمابعود على الكفاية بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفائها مقتضى المعدلة فيما يجري على احكام الحراج وأوضاع الاله ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب وبين به ما استتبهم من سبل الصواب وانزل عليه في محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى آخيه وابن عمه اينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب كفيه فيما اعزل لماعدم المساعد وواقبه بنفسه لما تحاذل الكف والساعد وعلى الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان أولى ما اولاه امير المؤمنين حظا وافيا من تفقده وأسهم له جزأ وافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحوادث الجلل وبوفورها تستتب شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول ويستخرجها على حكم العدل الشامل ووصية انصاف المعامل تكون العمارة التي هي اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما يجبي هلاليا وذلك ما لا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ابضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم والمتأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والاخر يجبي خراجا ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجري ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احيائه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بمعرفته الامن باشره وعرف موارده ومصادره فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد في ابضاح امرها وتقديم حكمها على ما تحكي به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهدا للمساعي السيد الاجل الافضل الذي لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجعين شاهرا سيفه في حاية الوادين مطالعا للدولة بدور السعادة وشموسها مذلالها صعب الحوادث وشموسها ناطقة تارة بأنامة هورا عياها قد فضل الله سائسها واسعد مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتساوى العامة والخاصة في علمه وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه وتحقيق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراسها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر الذى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة واحدة على حكم التقريب ويتضمنه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقي ذلك جاريا عليهما ولم يزال امتداحا لكون مدخل الخراجية في انشاء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلل المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما ائتلاف او بعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك أحد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فقد وضع دليل التباين بما جاء منصوصا في الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها وفائدة النقل أن لا تتحول السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها الآن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها وأوضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال والمحافظة على ثمره ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة ولما اهل سنة احدى وخمسمائة ودخلت في سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما سارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج ما وافقها فيها ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في السنة التي تليها فهي تستهل وتنقضي وليس لها في الخراجي ارتفاع والاعمال تطفئ بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متبادية ولا سيما من وقع له بائبات وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلالية وهي موافقة لغيرها ومالها يجرى على سنة تجرى بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين ومالها يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال في ذلك لا ينتهي الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقدر أي أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه وأزال يحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوغر الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره مودعا انقضاء ما حكمه وقرره من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجرى عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جارية على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهد بانصيب موفي غير متقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التسمية ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبي من الاقطاعات مما كان جارية على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجري الاضافة اليها بجرى ما يرتفع من الهلالية فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من اتقالتها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جارية عليها فليعمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي سائر أعمال الدولة فاصحها ودانيها وفارسها وشامها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السن واتباعه وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه وليسأدروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه وتعديه ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعهورة وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في مجتهدات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احدى عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في أيام الوزير الافضل رضوان بن ونحشي وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يعدي التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

مالا ديوان ولا لقطع وانما يقصده ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي ابو الحسين وسخنة الكتاب الذي انشاء القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلانها بآداب هذا المنشور اتاؤثر من حسن النظر ما يؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرننا تعلى فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرر وان اولى ما استحدثت به البصائر وحسنت فيه المصائر كل أمر يصح المعاملات وبشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال وبسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانقراجهم ما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية واستخبرنا الله تعالى في نقل سمنى خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية تقيا للامور المشبهة والتسمية الموهوبة وتزيم السنى الاسلام عن التكيس ولتاويجه عن ملايسة التليس واعلاما بالوفاق الذى استعمرته اباؤها وبشوها واعلاما باتباعه عناية بعوايد السلف التى خلفوها للغلف وبشوها فى ذلك ما تحمده به العواقب وتنفسح به المذاهب وتيسر به المطالب ويترتب به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينحسم به الغلط فى الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاملته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة فى التسنية مؤخرة فى التسمية وعن معاملته بيت المال وصحة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت فى التوفية لان من أعطى فى سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوهم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسابات بهذا الوضع ويعمل فى التقارير والتسجيلات على هذا فليفعل فى ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانقراج وجبر هذا الصدع وليعلم فى الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى * (وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الالهة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا فى اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتي وتقبل وطلق واسخ وأغخ وحلك وكسخ وزاهر ونوط وحرف وبغش فنانق هو المحترم وتقبل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت تسمى موجب وموحر ومورد وملزم ومصدر وهوبز وهوبل وموها وديمر ودابر وحقل ومسيل فوجب هو المحترم وموحر صفر الا انهم كانوا يبدون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخرى مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنم وزبا والاصم وعادل وبايق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضهما فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم وأغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائدة من القتال اذ كان فيه يبد كثير من الناس وجرى المثل بذلك لفقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستجلبون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر فى شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمى به لافراطهم فيه فى الشرب وكثرة استعماهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب البحر وأما برك فهو لبروك الابل اذ حضرت الخمر وقدرى انهم كانوا يسمون المحترم مؤتمر وصفر ناجر وبيع الاول نصار وبيع الاخر خوان وجمادى الاولى حتن وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتي وشوال وأغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضا لبروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمى العرب أشهرها بالمحترم وصفر وبيع الاول وبيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة

واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحترم ~~كانوا~~ المحترمون فيه القتال وصفر كانت
تصفر فيه بيوتهم ونحو وجههم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة
البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القيظ وشوال تنسيل
فيه الابل اذ نابها وذو القعدة تقيعدهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور
الجاهلية اولاً ثم اشتقاقها ثانياً تبين لك أن بين التسميتين زماناً طويلاً فان صفر في احدهما هو صميم الحروب
وفي الآخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولاً تستعمل هذه الشهور
على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهوى اولاً لان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات
النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الالهة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين
فربما كان بعض الشهور ثامناً أعني ثلاثين يوماً وربما كان ناقصاً أعني تسعة وعشرين يوماً وربما كانت اشهر
متوالية ثمانية اكثرها اربعة وهذا نادراً وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب
في ازمة السنة كلها وهو أبداً عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم
الحج تفرقت العرب طالبة أماناً واما سكنها واقام اهل مكة بها فلم يزوالوا على ذلك دهر اطويلاً الى أن غيروا دين
ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود
والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الازمنة وأخصبها فتعلوا كبس الشهور من اليهود
الذين نزلوا يثرب من عهد شعوبيل بنى اسرائيل وعملوا النسيء قبل الهجرة بنحو مائتي سنة وكان الذي يلي
النسيء يقال له القلس يعني الشريف وقد اختلف في قول من أنسأ الشهور منهم فقبل القلس هو عدى بن
زيد وقبل القلس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الالهة ثلثمائة وأربعة
وخسين يوماً وأرى شهور العجم ثلثمائة وخسة وستين يوماً فيسئنا ويقيم احد عشر يوماً في كل ثلاث سنين
ثلاثة وثلاثون يوماً في كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج في ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث
سنين أخر في المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والنسب الجلجل وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد
الاختم وكان النسيء في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلي ذلك منهم ابو ثمامة المسلكي ثم
من بني ققيم وبني ققيم هم النساء وهو نسيء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهنكم العزى قد
أنسأت صفر الاول وكان يحل عاماً ويحرمه عاماً وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم ونعيم وآخر
النساء جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن ققيم وقبل القلس هو حذيفة بن عبد بن
ققيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم
الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمع اليه فأحل لهم من الشهور
وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا ارد أن ينسيء منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر
فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا اجاب ولا اعاب في امرى
والامر لما قضيت اللهم اني قد أحلت دماء المحلين من طى وختم فاقتلوهم حيث تقتلوهم اى ظفرتم بهم اللهم اني
قد أحلت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما أحل دم طى وختم لانهم كانوا
يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل أول من أنسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فأنسأ
من بعده ابن اخيه القلس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ثم صار النسيء في ولده وكان آخرهم
ابو ثمامة جنادة وقبل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جده عباد بن
حذيفة عن جده حذيفة بن عبد بن ققيم وكان يقال لحذيفة القلس وهو أول من أنسأ الشهور على العرب
فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام
وكان أبعدهم ذكراً وأطولهم أمداً يقال انه أنسأ أربعين سنة ولهم يقول عمر بن قيس جذل الطعان يتفخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * وأى الناس لم يعلك لحاماً

ألسنا الناسين على معد * شهور الحل نجعلها حراماً

وقال آخر

اتزعم اني من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم

لهم ناسي يمسون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكس في كل اربع وعشرين سنة قرية بسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سن واحد لا يتاخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسي الاول للمحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسي الثاني بصفر فسمي الذي كان يتلو بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسي في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يبعدون ادوار النسي ويحدثون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فصل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطولع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسي بلغت شعبان فسمي محرمًا وشهر رمضان صفر وقبل ان الناسى الاول نسأ المحرم وجعله كبسا وآخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهر اغضى على ذلك ما ثمان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجة هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسي بقوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عتده ما حرم الله فيصلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسي واستقر وقوع الحج والصوم برؤية الالهة والله الحمد * وكانت العرب لها توارخ معروفة عندها قد بادت فما كانت تؤرخ به ان كانته أرخت من موت كعب بن اوى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن اوى والفيل خمسة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكانت ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكانت تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابي طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعنه سهل بن سعد الساعدي قال اخطأ الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولان وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قزعة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أمانؤرخون تكسبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بداهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صل محله شعبان فقال اى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه اولا حتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استخضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا باسمه ماه وروز معناه حساب الشهور والايام فعزبوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اول التاريخ دولة الاحلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد نصرت من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم اجتمعوا من اول يوم في المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عشر سنين وشهرين وأما اذا

قوله وقال ابن الخ
هكذا هذه العبارة
في جميع النسخ التي
بيدي ولا تخلو عن
تحريف ظاهر كثير
من عبارات هذا
الكتاب ولا يعلم الغيب
الا الله

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعد هاتسعين سنين وأحد عشر شهرا
واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون
سنة تنقص شهرين وثمانية أيام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة
آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفت فنام الخلاف في ذلك
وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبس المقدوني الرومي تسعمائة واحدة وستون سنة قريية وأربعة وخمسون
يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنين وثلاثين سنة وما تسين وتسعة وثمانين يوما منها تسعة أشهر وتسعة
عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماسا الله ان
انتقال المرم من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التي كانت دولة
الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران
الأول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع في أربع درجات ودرجة
واحدة من برج العقرب وهو قران الله الاسلامي قال وفي السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية
عدها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت
قران الله ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنين وعشرين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من
آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنين وأربعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت النصارى أن
بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت الجوس اعنى الفرس أن بينهما أربعة آلاف
ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهر تاريخ الهجرة قريية وأيام كل
سنة منها عدها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية
الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهر السنة بالحساب
على ما شتراه في ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة
وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهر السنة العربية شهرا كاملا وشهرا
ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحاب رضي الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما
وربيع الأول ثلاثين يوما وربيع الآخر تسعة وعشرين يوما وجادى الأولى ثلاثين يوما وجادى الآخرة
تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوال تسعة
وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذي
هو خمسين وسدس يوما في ذي الحجة اذا صار هذا الكسرا أكثر من نصف يوم فيكون شهر ذي الحجة في تلك السنة
ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجمع في كل ثلاثين من
الكبس احدى عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تلك
يزدجرد بن شهر يارب بن كسرى ابرويز اربخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعد ما تدمك فارس
واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم وأول هذا التاريخ يوم
الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسعين سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وأيام سنة هذا التاريخ تنقص
عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم في كبس السنة آراء ليس
هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا اهل العراق وبلاد العجم والله عاقبة الامور

* (ذكر فسطاط مصر) *

قال الجوهري - الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اخط في الاسلام
بعد ما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد سكنت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعفوية
ومبانية وحين اخط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي - المملكة من مدينة الاسكندرية بعدما كانت منزل الملك
ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم يزل على

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر القسطنطينية فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم القسطنطينية فلما أنشأ
الامير ابو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا
الى أن انقرضت دولة بني طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج القسطنطينية وما زالوا على
ذلك حتى قدمت عمارة الامام المعز الدين الله أبي تميم معتمد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة
وصارت خلافة واستمرت سكنى الرعية بالقسطنطينية وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عاتق مدني
المعمور وحاشا بغداد وما زال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مري ملك الفرنج
بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستلاء على مملكة مصر وأخذ القسطنطينية والقاهرة فعجز الوزير شاور
ابن مجير السعدي عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة القسطنطينية والبقاء بالقاهرة للامتناع
من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارحل الناس من القسطنطينية
وساروا واباسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار في القسطنطينية فلم تزل به بضعا وخسين يوما حتى
احترقت أكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى القسطنطينية
ورموا بعض شعبه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار القسطنطينية يعرف في زماننا بمدينة مصر والله
اعلم

* (ذكر ما كان عليه موضع القسطنطينية قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة) *

اعلم أن موضع القسطنطينية الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان قضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي
الذي يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعصر الشع وبالمعلقة
ينزل به نخبة الروم المتولى على مصر من قبل القيصرية ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقع فيه
ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن
في النيل الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من بابه الغربي
حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التي تجاه الحصن وهي التي تعرف اليوم بالروضة
قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد
ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعني سنة عشرين وثلاثمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة
وسير في هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية لشجار
وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي
يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بمجبل
يشكر حيث جامع ابن طولون والكيش عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في
اوائل الاسلام بالجراة وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقي بالجراة عدة من الديارات الى
أن هدمت في ساطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى
فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف
بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالقسطنطينية
ونزل الناس بها فأنحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون
يوقفون هناك ذوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيئا بعد شيء وصار ساحل البلد حيث الموضع الذي يقال له اليوم
في مصر المعاريح مازا الى الكوم الذي على يسرة الداخل من باب مصر بمحطة الكبارة وفي موضع هذا الكوم
كانت الدور المظلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث يستأن ابن كيسان الذي يعرف اليوم
بيستان الطواشي في اول مراغة مصر وجميع الاماكن التي تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج
عرضا ومن حيث قنطرة السدة الى سوق المعاريح طولاً كان غامرا بماء النيل الى أن انفسر عنه ماء النيل بعد
سنة ستمائة من سني الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلي النيل آذرا عند ما عمر الملك الصالح
نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون جامع المعروف بالجامع

الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولاً ومن ساحل النيل بموردة الحلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريح وما على سمتة الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الراس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها ببحر الايجول بين الحصن والجامع وما على سمتة الى الجراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع ما في هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلاً قليلاً واختفى على ما يتبين لك في هذا الكتاب

* (ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع) *

اعلم أن هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف في الوقت الذي بني فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدي أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان هذا القصر بوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس في برج من البروج او قد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلداني فأقام خراباً خسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدي اليونانيين ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقرطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في ملكة الفرس فولياهم منهم كثير جوش الفارسي باني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوات بعده تواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذي بناه طخشاش احد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطوم ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان وفرتمه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبني للفرس قصراً وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له باب اليون وهو الحصن الذي بقسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جوع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبد الحبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقال انما سمى كذا لانهم كانوا يقولون من يقابل اليوم * وقال القاضي * ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنيت فيه هيكل لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتمت ببناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبمضرتها مسجد معلق احده المسلمين * وقال ابو عبيد البكري باب اليون بمصر ان كان عربياً فانه مثل يوم ويوح مما فاؤم بيا وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلاً من بين وهو اسم موضع على مذهب ابي الحسن في فعل من البيع يوع قال وليست الاقوال في التعريف فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم وقال ابو جعفر

وحلوا تهاى ارضنا ونبذوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله

جرى بين باب اليون والعصب دونه * رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح الزون غير محجور للجنة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمي باب اليون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسعوها القسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المتسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبأ بن شجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمر اهذا طوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضي القاضي في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلده مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح في أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فإن قصر الشمع في داخل القسطنطينية وقصر باب اليون هذا عند القضاة على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج القسطنطينية وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر والله أعلم * ويقال ان في زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وجعل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي ذلك الزمان بنيت بابل يون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وأما قسطنطينية مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبمبانيها يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب قسطنطينية حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فإن قسطنطينية عمرو إنما كان مضر وباعند دروب حمام ثم لم يبق الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقدم بخط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسية النجاشي ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجواني مع هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر باب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الامراء وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وطروق المسجد في اماره يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة على مصر وورد كتاب ابي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم بأمره بالتحول من القسطنطينية الى القسطنطينية وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة والله أعلم

* (ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر) *

اختلف الناس في فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو عبيد بن عمرو والواقدي ويزيد بن ابي حبيب وابو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فحمله فقال يا امير المؤمنين انك ان اسير الى مصر وحترضه عليها وقال انك ان فتحها كانت قوة للمسلمين وعون لهم وهي اكثر الارض اموالا وأعجز عن القتال والحرب فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأما مستجير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سر يعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابي أمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فصار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستنصر عمر الله فكانه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمر الكتاب اذ هو بفتح فتحه فمخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيمابن ريف والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألسنتم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الي وأمرني ان الحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغيران فكتب فيه الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمرو وهو دون العريش فجلس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصي ابن العاصي أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك وبها جوع الروم وانما معك نفر يسير ولعمري لو نكل بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ذاك بالجابة فكتب سرافاستاذن أن يسير الى مصر
وأمر أصحابه فتحوا كاقوم الذين يريدون أن يتخووا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقدوا امرأ
الاجناد استنكروا الذي فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصي ابن
العاصي أما بعد فانك قد غدرت بمن معك فان أدركك كلابي ولم تدخل مصر فارجع وان أدركك وقد دخلت فامض
واعلم أني بمذك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن ادب
الناس الى المسير معك الى مصر فخن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبد الله فذهبهم عمرو فأسر عوا الى
الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتب الى عمرو بن
العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمر الجري وفيه اقدام وحب للامارة فأخشي
أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون ام لا فقدم عمر على كتابه الى
عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كلابي قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت
دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع القسطنطين فكان يجهز
على عمرو والجيش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل
عمرو حتى اذا كان بجبل الجلال نظرت معه راشدة وقبائل من لحم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش أدركه النحر
فحصى عن أصحابه يومئذ بكس وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قاتلته الروم قتل اشديدا فحوا من
شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على مينة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه
وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميا مينا فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه
لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع وبأمرهم يتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ
لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لحم نفر من القبط يقول
بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء اتوم يقدمون على جوع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل
منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهر واعليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لايدافع الا بالامر
الخفيف حتى اتى بليس فقاتلوه بها فحوا من الشمر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى
ام دين فقاتلوه بها قاتلا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستعده فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف
وقيل بل امدّه بأثنى عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة آلاف عليهم اربعة
الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة
دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندوق الذي يقال له الاعرج من قبل المقوقس بن قرق
اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون
فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال ادب هي خلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال
فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فسناروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغاربي
واثل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبنوا في اقبيتها حديد فالتقى القوم
حين اصبحوا وخرج خارجة من وراءهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على
الحصن وقاتلهم قاتلا شديدا يصحبهم ويمسهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستعده
ويعلمه بذلك فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد
ابن عمرو وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا بعد دون مسلمة وقال عمر ان معك
أثنى عشر ألفا ولا تغلب اثنى عشر ألفا من قلة وقيل قدم الزبير اثنى عشر ألفا وان عمرا لما قدم من الشام
كان في عدة قليلة فكان يفرق أصحابه ليرى العدو وأنهم اكثروا مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا
ما صنعت وانما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يحطوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر
فيصف أصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فيينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

في اثني عشر ألفا قتلهم عمرو ثم أقبل يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالهندق ثم فزق الرجال حول الهندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو إلى صاحب الحصن قناظرا في شيء مما هم فيه فقال عمرو وأخرج واستشيرا أصحابي وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله فز عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فأنظر كيف تخرج فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوامنك مثل الذي سمعت فقال العلي في نفسه قتل جماعة أحب إلى من قتل واحد وأرسل إلى الذي كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده فراه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبرة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم ففعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورعى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يعرض لشيء مما طرأ حوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه فلما أبطأ الفتح على عمرو وقال الزبير اني اهاب الله نفسي أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلا إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فاشعروا الاواز بير على رأس الحصن يكبرون معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبراز بير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك وكان مكنهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر قال وقد سمعت في فتح القصر وجه آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلهم شهرا فلما رأى القوم الحد من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهر عليهم فتحتى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلهقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جرى النيل ويقال ان الاعرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والثرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس إلى عمرو انكم قوم قد وبلتم في بلادنا وألحتم على قتالنا واطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصابة يسيرة وقد أظلمتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن ياتي الامر فينا وبيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جوع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن تقدموا ان كان الامر محالفا لطبستكم ورجائكم فابعثوا الينا رجلا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء فلما اتت عمرو ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه اتروا أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يرواحل المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم مالنا وان ايتم فاعطيتكم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا راينا قوما الموت أحب إلى احدهم من الحياة والتواضع أحب إلى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نعمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف ربيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احدي يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يخلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نقتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا مكنتم الارض وقروا

على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسلا به ثوبا ينارسلانهم فنعاملهم وتداي نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شيء يدعو اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الى ذلك وأمرني أن لا اقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس اسواده وقال نحو اعني هذا الاسود وقد مواعيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رايًا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما ترجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير وتسايا امره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيت أن يكون هذا الاسود افضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا كلانه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعنا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيًا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك عليّ ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقاتلتك وان فيمن خلفت من اصحابي أنف رجل اسود كلهم اشتد سوادا مني واقطع منظرا ولورأيهم لكنت اهاب لهم منك لي وأنا قد وليت وأدبر شيا بي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب ما تهرجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غرورنا وعدونا ممن حارب الله لغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يسالي احدنا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهم الا ان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يستبها جوعه ليلته ونهاره وشمله يلحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفق في طاعة الله واقتصر على هذا الذي يسده ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورضاءها ليس برضاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهدنا لنا أن لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يسك جوعته ويسترعورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الا بما ذكرت وما ظهرتم علي من ظهركم عليه الا طبعهم الدنيا ورغبتهم في ما قد توجه اليها لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يسالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا نعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرينا اشهر اوانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالككم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحن نطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم مائة دينار وخليفتكم ألف دينار فقبضونها وتصرفون الى بلادكم قبل أن يفشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارجب ما يكون في قتالهم واشد حرجنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما شيء أقر لآعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ اعلى احدى الحسينين اما أن تعظم لنا بذلك غنية الدنيا ان ظفركم اكم او غنية الآخرة ان ظفركم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وهو يدعور به صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا به اهله وولده وانما همنا ما أماننا واما قولك انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فيمنه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاخترتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرني

الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل النبا اما ان اجبتم الى الاسلام
الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت
ذلك انت واحبابك فقد سعدتم في الدنيا والاخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لـكم
وان ابيتكم الجزية فأدوا اليها الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعمنا عليكم على شئ نرضى به نحن وانتم في كل
عام ابداما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم في شئ من ارضكم ودمايتكم وأموالكم
ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتكم فليس ينشأ بينكم الا المحاربة
بالسيف حتى تموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا
وبينه غيره فانظر والانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابداما تريدون الآن أن تتخذوا عبيدا اما كانت
الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تحبسونالى خصلة غير هذه الثلاث
خصله فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا
خصلة غير هذا فاخترنا والانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فاثرون
فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابدان نترك دين المسيح
ابن مريم ويدخل في دين غيره لا نعرفه واما ما ارادوا أن يسبوننا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لورضوا منا
أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فاثري فراجع
صاحبك على أن نعطيكم في مرتكهم هذه ما تغيتم وتصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس
عند ذلك أطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تحبوا اليها
طائعين لتجيبهم الى ما هو أعظم كارهيهم فقالوا واى خصلة تجيبهم اليها قال اذا خبركم ما دخلوكم في غير
دينكم فلا تأمركم به وأما قتالهم فأننا علمناكم ان تقوا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا
فنكون لهم عبيدا ابدان نعم تكونون عبيدا مسيطرين في بلادكم آمين على انفسكم وأموالكم وذرايركم
خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وغرقوا في البلاد مستعبدين ابدانتم واهليكم
وذرايركم قالوا فاموت اهون علينا وامرنا بقطع الجسر من القسطاط وبالجزيرة وبانقصر من جمع القبط
والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق
كثير واسر من اسروا ونجرت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحرق بهم الماء من كل وجه
لا يقدر على أن ينفذوا فهو الصعيب ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم
واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبهم الى ما ارادوا طوعا ولتجيبهم الى ما هو أعظم منه كرها فاطيعوني
من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم مارا وأقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون
بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انى لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال
التي ارسلت الي بها فأبى على من حضرني من الروم والقبط فلم يكن لي أن اقاتل عليهم في أموالهم وقد
عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطى امانا واجتمع انا وأنت انا في نفر من اصحابي وأنت
في نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو وأصحابه
في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فإيا وغنمة كما صار
لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمت ما عهد الى امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال
الثلاث التي عهد الى فيها اجبتهم اليها وقاتل منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم
فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران
ديناران عن كل نفس شريفهم ووضعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذى لم يبلغ
الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم انزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد
من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض
لهم في شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم الدينار ان رفع ذلك عرفاؤهم بالايمن المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضةهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط من راهق الجلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخبروا فخن احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماله مفترضا عليه من أقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيسار في الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم بفتح رأيه وبجزء ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا ويمصر من بهامن كثر عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قدر رأيت ففجرت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذا فقتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كبريتكم وقوتكم وعلى قدر قوتهم وضعفهم كالكاهنهم القتل ولا يمكن لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فتمال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلةهم وضعفهم اقوى وأشد مناعا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقا تل الرجل منهم وهو مستقبل بنى أن لا يرجع الى اهل ولا بلده ولا ولده وورث أن لهم اجرا عظيما فين قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس وشحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلوا معشر الروم والله اني لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيت وتجنون أن لو كنتم اطعموني وذلك اني قد عانيت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى احدكم أن يكون آمناني دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الى والي جماعة الروم أن لا ترضى بمصالحك وأمرهم يقتلك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقبتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صلحتهم عليه وعاقبتهم وأما الروم فأنامهم يرى وأنا أطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم وأزمنى مالزهم وقد اجتمعت كلتي وكنتم على ما عاقبتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم قبا وعبيدا فانهم اهل ذلك لاني نعتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني وأما الثالثة أطلب اليك ان نامت أن تأمرهم أن يذعنوني بجسر الاسكندرية فأنت لهم له عرو وبذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضموا له الجسرين جميعا ويقموا لهم الازال والضيافة والاسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصروهم حتى سالوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينار وجبة وبرنس وعبامة وخفين وسألوهم أن يأذن لهم أن يميؤا له ولاصحابه صنعا ففعل وأمر عمرو أصحابه فتهبوا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فافروا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم اذوا الناعشرين ألف دينار فجاءه النفر من القبط فاستأذنه الى قراهم وأهلهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نزال احسننا فقال الرجل الذي قال في المزمز الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لا يدري ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمر اقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل في طلب ذلك القبطي فوجدوه قد هلك فحجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمرو بن الخطاب قلت هو ما قال القبطي فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصراني قلت لم يعن هذا انما عني من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت ان ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من منيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتال السماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسي الديباج جلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فينطير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل قليل لهم أولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب وقال الكندي وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سبمانهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلاثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا في اصل الحصن وذكر القاضي أن مصر قحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل قحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدي وقيل قحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها قحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

*** (ذكر ما قبل في مصر هل قحت بصلح او عنوة) ***

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم قحت صلحاً وقال آخرون انما قحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفي قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقي من الاسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلم بشيئها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضي الله عنه لا تقسمها وذرههم يكون خراجهم قياً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحاً بقرية دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية قحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها قحت عنوة وقال عبد الله بن أبي جعفر حدثني رجل عن أدركم عمرو ابن العاص قال للقبض عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمي ثلاثة نفر وفي رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبارهم وفي رواية سألت شيخنا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يزعمون انه لم يكن لهم عهد فقال ما لي بالي أن لا يصلي من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند ظلماء صاحب اخنا وكتاب عند قرمان صاحب رشيد وكتاب عند بنحس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزية وأرزاقي المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يراد عليهم وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي جعفر مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله أرضاً يسترقق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله أرضاً صلحاً فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطاً ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نساؤهم ولا من أولادهم ولا يراد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانما شاهد لهم بذلك وعن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريبات من مصر منهن أم دين وبهيت عهد وان عمرو بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخبرهم فان دخلوا في الاسلام فذاك وان كرهوا فاردهم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبهيت فانه كان للروم جمع ظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب

عمر بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث
قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيا
ولا عبيد اضعفوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل قحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب
الخولاني لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسعها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله
لا اقسعها فقال الزبير والله لنقسعها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا اقسعها حتى اكتب
الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزونها حبيل الحبلة وصولح الزبير على شيء أرضى به
وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة أن مصر قحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال سمعت أشياخنا
يقولون أن مصر قحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم ابى يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبي الأسود
عن عروة أن مصر قحت عنوة وعن عمرو بن العاص أنه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر
على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قبلت وان شئت خست وان شئت بعث
وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
حبس درها ووضرها أن يخرج منه شيء نظار الاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان ثابت لعمر بن الخطاب
فيه كل عهد كان يذمه وبين أحد من عاهده فلم يوجده لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم أقامه ومن أقام منهم قومه
وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موقى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك
ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهده ولا عقد وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل
جزية موقى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية
في سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم في ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا
اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن ابى عاصم أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن مصر
قحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه أنه احتج الى خشب لصناعة
الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز بذلك له وأنه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وأنه كره
أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فاني لم أجده لاهل مصر عهدا افي لهم به وقال عمر
ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن عمرو
ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وائس له وارث فكتب اليه عمر أن
من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين فان ولاءه
للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه
جميعها ذمة وحملهم على ذلك فغضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لانه كان
يحدث عن يزيد بن أبي حبيب أن مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله
ابن لهيعة ونافع بن يزيد لأن مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش
 وغيرهم ومن لم يكن له بر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو
 ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب
 وقيس بن ابى العاص السهمي والمقداد بن الاسود وعبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح العامري ونافع بن عبد
 قيس الفهري ويقال بل هو عقبه بن نافع وأبو عبد الرحمن بن زيد بن أنيس الفهري وأبو رافع مولى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شر حبيب بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص
 وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من
 الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصاري وقد شهد بدر وهو الذي بعثه
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر قائم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوام ومسلمة بن مخاض الانصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري وأبو الدرداء عويم بن عامر وقيل عويم بن زيد ومن أحياء القبائل أبو نصر جليل بن نصر الغفاري وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهيب بن معقل وإليه ينسب وادي هيب الذي بالمغرب وعبد الله بن الحارث ابن جزة الزبيدي وكعب بن ضبة العبسي ويقال لكعب بن يسار بن ضبة وعقبه بن عامر الجهني وهو كان رسول عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع أن لم يكن دخل أرض مصر وأبو زمعة البلوي وبرج بن حنبل ويقال برج بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبي أمية الأزدي وسفيان ابن وهب الخولاني وله صحبة ومعاًوية بن خديج الكندي وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمرو بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو عمالوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه اليها في بعض أموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاخط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد حدث كان يومئذ في البلد والحمام الذي يقال له حمام القاروا ناقيل له حمام القار لأن حمامات الروم كانت ديماسات بكراً فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا حمام القار

(ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالقسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروراً غامهاهم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ما قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمرو إلى عمرو أن لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية إلى القسطاط قال وكتب عمرو بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء موقاً أردت أن أركب اليكم راكض حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى القسطاط قال وانما سميت القسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع قسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحترم منا بتحترم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسالون من الاسكندرية قالوا أين نزل قالوا القسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروباً في موضع الدارات التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة قال الشريف محمد بن اسعد الجواني كان قسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالجماعة فإن يد الله على القسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقسطاط المدينة وكل مدينة قسطاط ولذلك قيل لمصر قسطاط وقال البكري القسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانياً اسم لمصر ويقال قسطاط وبسطاط قال المطرزي وقسطاد وفستاد وبكسرا وائل جميعها فهي عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة قسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فإن يد الله على القسطاط وأخبرني أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشتري فلان بن فلان من مجلان مولى زياد اشتري منه خمس مائة جريب حبالة القسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الأبق إذا أخذ في القسطاط عشرة وإذا أخذ خارجاً عن القسطاط أربعون وأراد أن يد الله على أهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأي فقد خرج عن يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

(ذكر الخطط التي كانت بمدينة القسطاط)

أعلم أن الخطط التي كانت بمدينة قسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقيل لتلك في مصر خطة

وقيل لها في القاهرة حارة * قال القاضي * ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التميمي وشريك بن سمى الغنطي وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافري وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخرزاعة واسلم وغضار ومنينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث بن بكر والعنقاء منهم الآن منزل العنقاء في غير الراية وانما سمو اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد به عوة من الديوان فـ **كـ**رم كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موتكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ابتداء من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذي يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عصفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذي بدأ بناه **كـ**رم * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ابن مالك بن جبر * وخطة مهرة هذه قلى * خطة الراية واخذت مهرة أبضا على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بني مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التي لهم قلى الراية كانت حوزا لهم يربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم يشكر * (خطة نجيب) ونجيب هم بنو عدى وسعد بن الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم نجيب ونجيب أمهم وهذه الخطة تلي خطة مهرة وفيها درب الموصلة آخره حائط من الحصن الشرقي * (خطط نلم في موضعين) فمنها خطة نلم بن عدى بن مرة بن ادود من خالطها من جذام فابتدأت نلم بخطتها من الذي انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه محتلط فيما بين نلم والراية ولهم خطتان أخريان احدهما منسوبة الى بني رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من نلم وأولها شرقي الكنيسة المعروفة بكمايل التي عند خليج بني وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من نلم وهي متاخمة للخطة التي قبلها وفي هذه الخطة جامع راشدة وجنان **كـ**هم بن معمر الذي عرف بالمدراقي ثم عرف بجنان الامير عسيم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللقيف وخطط أيضا بالجرهاء * (خطط اللقيف) انما سمو بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمر بن جالة الازدي الحجري ليأتيه بالخبر فضى واسرعت هذه القبائل التي تدعى اللقيف وتعاقدوا على الحاق به واستأذوا عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رأهم عمرو بن جالة استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم أفيقا فبذلك سموا من يومئذ اللقيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفردهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانما نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بني أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في قوله جئنا بكم لفيقا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجز ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نقر من جذام ونظم والزحاف وتنوخ من قضاة فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان وهذه الخطة أولها مما يلي الراية **سـ**الما ذات الشمال الى نقاشي البلاط وفيها دار ابن عشرين الى نخوم سوق وردان * (خطط اهل الظاهر) انما سمي هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التي نزلت كانت بالاسكندرية ثم قطعت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ ارى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمي الظاهر بذلك وكانت القبائل التي نزلت الظاهر

العنقاء وهم جماع من القبائل كانوا يطعمون على أيام النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم -م أسرى فأعتقهم فقبل لهم العنقاء وديوانهم مع أهل الرابية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الأزدي وفهم وأول هذه الخطة من شرقي خطة نخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لأن زيادا المaula معاوية بن أبي سفيان البصرة غزب جماعة من الأزدي الى مصر وبها سلسلة بن محمد في سنة ثلاث وخسين قتل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين قبيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين * (خط غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عثمان بن عبد الله بن الأزدي وهذه الخطة تلي خطة نخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام * (خط الصدق) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة * (خط الفارسيين) واستبدت بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشأم ورجعوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر فاخذوا بهم واخذوا في سفح الجبل الذي يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء وهي من جملة العسكر * (خطة مذبح) بالخاء قبل الجيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان * (خطة غطيف) بن مراد * (خطة وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذبح فاخذت وعلان من الزقاق الذي فيه الصم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير واخذت ايضا بخولان ثم انفردت وعلان بخطها مقابل المسجد المعروف بالدينوري واستندت الى خولان وهذه الخطة اليوم كيان نطل على قبر القاضي بكار * (خطة يحصب) بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيان وهي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم بالصد المطل على راشدة * (خطة رعين) بن زيد ابن سهل * (خطة ذي الكلاع) بن ثمر حبيب بن سعد بن حمير * (خطة المغافر) بن يعفر بن مرة بن أدد وهذه الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهي القناطر التي نطل على حفصة وتصل بين القرافتين والقناطر للمغافر ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سببا وخطة الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضي بكار وبين المغافر (خطة بني وائل) بن زيد مناة بن افضى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدي وهي من سفح الشرف المعروف بالصد الى خطة خولان (خطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بني وائل والقبض وريّة وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا في طوابع عمرو بن العاص قتلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح * (خط الجراوات الثلاث) قال الكندي وكانت الجراوات على ثلاثة بنو بنه ورويل والأزرق وكانوا من سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب في الاسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية وغيرهم وقال القضاة وائما قيل الجراوات لثول الروم بها وهي خطط بني ابن عمرو بن الحاف بن قضاة وفهم وعدوان وبعض الأزدي وهم ثراد وبني بجرو وبني سلامان ويشكر بن نخم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبني بنه وبني الأزرق وهم من الروم وبني روييل وكان يهوديا فاسلم * فأول ذلك الجراوات الدنيا خطة بني ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ومنها خطة ثراد من الأزدي وخطة فهم بن عمرو ابن قيس عيلان ومنها خطة بني بجرو بن سواده من الأزدي * ومن ذلك الجراوات الوسطى منها خطة بني بنه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بني سلامان من الأزدي ومنها خطة عدوان * ومن ذلك الجراوات القصوى وهي خطة بني الأزرق وكان زوميا حضر الفتح منهم أربع مائة وخطة بني روييل وكان يهوديا فاسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بني يشكر بن جزيلة بن نخم وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل فدنرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسودة يعني جيوش بني العباس فعمروها وهي الآن خراب * وقال ابن المتوج الجراوات ثلاث الأولى ووسطى وقصوى فأما الأولى فتجتمع جابر الاور وعقبه العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشي البلاط طولوا وعرضوا على قدر ذلك وأما الوسطى فن درب نقاشي البلاط الى درب معاني طولوا وعرضوا على قدره وأما القصوى فن درب معاني الى القناطر الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الجراوات جل عمارة مصر في زمن الروم فاذا الجراوات الأولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريح وحمام طن من شرقيهما

الى ما يقابل المراغة في الشرق وأما الجراء الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع وبخط السبع سقانات
وبحجر الخليلي وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الكبش وخط الجامع الطولوني والعسكر
ومنها حدره ابن فيحة الى حيث قنطرة السد وبستان الطواشي وما في شرقه الى مشهد الرأس المعروف بزين
العابدين وسأقي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة القسطنطين على قسمين هما عمل
فوق وعمل أسفل * فعمل فوقه طرفان غربي وشرقي فالغربي من شاطئ النيل في الجهة القبلية وأنت مار
في الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل
ماعد ذلك الى حد القاهرة

*** (ذكر امراء القسطنطين من حين فتح مصر الى أن بنى العسكر) ***

اعلم أن عدة من ولي مصر من الامراء في الاسلام منذ فتحت وسكن القسطنطين الى أن بنى العسكر تسعة
وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة
النبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله
ابن عباس على مصر وأول ولاية أبي عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من امراء مصر * وأول امراء
القسطنطين بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو
ابن هيصم بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته
الى مصر وهي الادم والعطرم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام فخلا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه
فاستأذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه في يوم
الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة لقلطيانوس
فملي هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحضر بذلك أن الذي بين يوم الجمعة أول يوم من
ملك قلطيانوس وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما
فاذا الغينا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة بقي ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر
وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنهما من سني القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك
في ثالث عشر ربيع الأول سنة عشرين فلعن الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى
الاسكندرية في ربيع الأول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل
سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فاقتحمها عنوة في سنة اثنتين وعشرين وقيل في سنة ثلاث وعشرين
وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمين استخلف في احدهما زكريا بن جهم العبدري
وفي الثانية ابنه عبد الله ووفى عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضي الله عنه فوفد عليه عمرو ووسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاء
الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها
وخراجها منذ اقتحمها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهر * (عبد الله بن سعد) بن أبي سرح واسمه الحسام
ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ولي من قبل أمير المؤمنين عثمان
رضي الله عنه فخاهه الكتاب بالقيوم فجعل لاهل اطواف جعل لاقد موابه القسطنطين ثم ان منويل الخصي سار
الى الاسكندرية في سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يرده عمرو بن العاص لمحاربه فرده والبا على
الاسكندرية فخارب الروم بها حتى اقتحمها وعبد الله بن سعد مقيم بالقسطنطين حتى فتحت الاسكندرية الفتح
الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة
ولاية عثمان رضي الله عنه كلها محمودا في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها شأن غزاه فرقية سنة سبع
وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا الاسود حتى بلغ دقة في سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصواري
في سنة أربع وثلاثين فلقمهم قسطنطين بن هرقل في ألف مراكب وقيل في سبع مائة مراكب والمسلمون في مائتي
مراكب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهني وقيل السائب بن هشام العامري وجعل على نواحيها سليمان بن عتر الجبلي وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب * (محمد بن أبي حذيفة) بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أقر في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله ابن سعد فأخرجه من القسطنطين ودعا إلى خلع عثمان وأسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شدة بقدر عليه فأعزله شيعة عثمان وناذروه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبصر بن اوطاة ومسلمة بن مخلد في جمع كثير وبعثوا إلى عثمان بأمرهم وبصنع ابن أبي حذيفة فبعث سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فخرج إليه جماعة فقبلوا عليه فسقطوا وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم وأقبل عبد الله بن سعد فنهوه أن يدخل فأنصرف إلى عسقلان وقتل عثمان رضي الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان فجهز إليه ستائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها فتار شيعة عثمان بمصر وعقدوا معاوية بن خديج وبأيعوه على الطلب بدم عثمان وساروا إلى الصعيد فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج إلى برقة ثم رجع إلى الاسكندرية فبعث إليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر فاقتلوا بجزيرة بني في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بجزيرة بني معاوية بن أبي سفيان يريد القسطنطين فقتل ثلاث في شوال فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فنهوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا الدار جهم معاوية بها وسار إلى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عباد الانصاري ولما أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه لما بلغه مصاب ابن أبي حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الأول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بجزيرة بني شيعة عثمان وبعث إليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأي فجهدهم وبن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فأنهما كانت من جيش على رضي الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدر على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضي الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبحث إليه بالكتب والنصيحة سرا فسمع ذلك جواسيس على رضي الله عنه وما زال به محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب إلى قيس بن سعد يأمره بالتقدم إليه فولما إلى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فولما * (الاستر مالك بن الحارث) بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب فلما قدم القازم شرب عسل فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو إن لله جنودا من عسل * ثم وليا (محمد بن أبي بكر الصديق) من قبل على رضي الله عنه وجمع له صلاتها وأخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وبعث ذرارهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية فلققوا بمعاوية بالشام فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى القسطنطين ونقيب ابن أبي بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله في جيفة حارميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فماتت ولايته خمسة أشهر * ثم وليا (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فاستقبل يولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وجعل إليه الصلاة والخراج جميعا جعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة في مصلمتها ثم خرج عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع إلى مصر وتعاقد بنو ظم عبد الرحمن وقيس بن زيد على قتل على ومعاوية وعمرو ونواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فحضر كل منهم إلى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فغضت لعمرو علة منعتة من حضور المسجد فصرى خارجة بالناس فشد عليه يزيد فضر به حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة والله در القاتل

وليتها أذقت عمرا بخارجة * فدت عليا بن شاة من البشر

وعقد عمرو لشريك بن يحيى على غزو لواتة من البربر فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم ثم اتفقوا فبعث إليهم عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزو هواردة وعقد لشريك

ابن سمي على غز ولبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقتلوا عمرو وشديد الدنف في مرض موته وتوفي ليلة الفطر
فقتله عبد الله بن عمرو وأخرجه إلى المصلى وصلى عليه فلم يبق أحد شهد العبد الاصلى عليه ثم صلى بالناس صلاة
العبد وكان أبوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين عاماً راد نائير واليهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصري
فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بمافيه قأبي ولداه أخذه وقال حتى ترد إلى كل ذي حق حقه فقال
والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بمافيه * ثم وليها (عقبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه
معاوية بن أبي سفيان على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأقام شهراً ثم وفد على أخيه
واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عقبة فرجع
إلى مصر وصعد المنبر فقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من إذا
قال فعل فإن أبيتم درأكم يده فإن أبيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الاخير ما أدرك في الاول ان البيعة شائعة
لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا عذر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعاً
سمعاً فناداهم عدلاً عدلاً ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلوات والخراج وعقد عقبة لعقمة بن يزيد على الاسكندرية
في اثني عشر ألفاً من أهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها امرابطاً في ذي الحجة سنة أربع وأربعين فحات بها
واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عباس
الجهني من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارناً فيها مفرضاً شاعراً له الهجرة والعجبة والسابقة
ثم وفد مسلمة بن محمد الانصاري على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على
البحر وأمره أن يسير إلى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة إلى الاسكندرية فلما توجه سائراً
استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعوا غربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول
سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصاري من
قبل معاوية وجمع له الصلوات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس
في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو
ابن العاص بناء من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا حولان وتجيّب وخرج إلى الاسكندرية
في سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية
فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الاعبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليجرق عليه بابه
فحينئذ بايع يزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء في سنة احدى وستين وقال
مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فماتت ألقوا ولاوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد
كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا فيقوم في الظهر فقرأ الرجل البقرة وتوفي مسلمة وهو والنجس بقين من رجب
سنة اثنين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها
(سعيد بن يزيد) بن عقمة بن يزيد بن عوف الأزدي من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنين وستين
فقتله عمرو بن حفز المخولاني فقال يغفر الله لأمير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم
ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير
رضي الله عنه إلى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم إليه فبعث لعبد الرحمن بن
بجدم فقدم واعتزل سعيداً فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عقبة) بن بجدم من قبل
عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنة أربع وستين في جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا إليه
فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شبيعة بن أمية ثم يبيع مروان بن الحكم بالخلافة في
أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار إليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أيلة ليدخل مصر من هناك
وأجمع ابن بجدم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرقي القرافة وقدم مروان فخاربه ابن بجدم وقتل
بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن
بجدم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الانصار من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب
أعناقهم وكانوا ثمانين رجلاً وذلك للنصف من جمادى الآخرة يومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى القبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخرابها إلى ابنه عبد العزيز وسار وقد أقام بهم شهرين لاهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص أبو الاصبع ولي من قبل أبيه لاهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات أبوه بوبع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وفيها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخيلها وكرمها وعرف بمصر وهو أول من عرف بها في سنة احدى وسبعين وجهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين وسبعين ثم مات ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخرابها فدخل يوم الاثنين لاجدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم إليه أبوه أن يقتني آثاره عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالأصحاب ومات عبد الملك وبوبع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وأمر عبد الله فسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فتشام الناس به وهي أول شدة رأوها بمصر وكان يرتنى ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم النخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع في سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسي للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخرابها فقد مها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ماله فحيط به في الاردن وأخذ سائر ماله وحمل إلى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز في المسجد فهدم أول سنة اثنتين وتسعين وبني واستتب قرة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقبل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو والليله الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعه فكانت ولايته ست سنين وأياما * ثم ولي (عبد الملك بن رفاعه) بن خالد بن ثابت القهقي من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعه وبوفى سليمان وبوبع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولي (أيوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها في ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في اعطيات الناس عامة وخزنت الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكرو واستعمل المسالون عليهم او منع الناس الحمامات وتوفي عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات إلى أن مات لاجدى عشرة وقيل لسيح عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلابي من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها السبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزل الروم نفيس ثم ولاه يزيد على افرقية فخرج اليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج إلى الاسكندرية في سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التميمي وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبوبع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة في شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاجدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد إلى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلبها الا نحو امان شهر وانصرف إلى الاردن * فولى (الحز بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفي امرته كان أول اتقاء القبط في سنة سبع ومائة وورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وند إلى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم في ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف في ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن الحجاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد بعثتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحجاب منه وقيل صرف سلع ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعه) ثانيا على الصلوات فقدم من الشام على الثلثي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعه) باستخلاف اخيه فآقره هشام بن عبد الملك على الصلوات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصي شاردانى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابناء كنيسة يومنا بالجرء وتوفى وهو وال اول جادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهيمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افریقیة فاستخلف حفص بن الوليد بامرته هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخرة سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فآقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلوات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعاهم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلوات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلوات ووقد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبه بن نعيم الرعيى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا بالعاق يجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض القروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستغفبه من ولاية مصر فأعفاء مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا شهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التميمي وهو بالشام فكتب الى خبير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خبير ثم قدم حسان لثنتي عشرة خلت من جادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلوات وعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا ترضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصر واحسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا بلدا وأخرجوا عيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان سنة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد القروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افریقیة وقد أخرجهم اهلها فقتل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالقسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد القسطاط فخاربه وهزمه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا سنبل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحويزة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقدا جمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حويزة وسألوه الامان فأتمهم ونزل ظاهرا القسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند قبض عليهم وقيدهم فانهمز الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابنا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلوات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابنا الجراح الحرثي وتوفى لثنتي عشرة خلت من جادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف من جادى الآخرة * وولى (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان والياً على الخراج قبل أن يولى الصلات في جادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وإنما كانت ولاية الكور يخاطبون على العصي إلى جانب القبلة وخرج القبط خاربهم وقتل كثير منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث إليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد إلى مصر منهزماً من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سود أهل الحوف الشرقي وأهل الاسكندرية وأهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعذيب النبل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل إلى الجيزة وخرق الجسرين وبعث بجيش إلى الاسكندرية فاقتتلوا بالكربون وخالفت القبط برشيد فبعث إليهم وهزمهم وبعث إلى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان وهو أبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعدما استخلف على القسطنطينية معاوية بن ببيعة بن ريسان خارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة ودخل صالح إلى القسطنطينية يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان إلى العراق وانقضت أيام بني أمية * فولى (صالح بن علي) بن عبد الله بن عباس ولى من قبل أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفاة أهل مصر إلى أبي العباس السفاح ببيعة أهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيراً من شيعة بني أمية وحمل طائفة منهم إلى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطيتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف أبا عون مستهلاً شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزماً وعدة من أهل مصر صحابة لأمير المؤمنين وأقطع الذين سود واقطاع منها مائة بولاق وقرى أهناش وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن أمراء مصر العسكر وأول من سكنه أبو عون والله تعالى أعلم

* (ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة قسطنطينية مصر)

أعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالجرا القصى وقد تقدم أن الجرا القصى كانت خطة بنى الأزرق وبنى رويل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطة بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت بجرا فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر منهزماً من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وأبى عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب أكثر ما بنى فيه إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه داراً أنزل فيها حشمة وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكاً بأيديهم واتصل بناؤه ببناء القسطنطينية وبنيت فيه دار الإمارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة أيضاً في العسكر وقيل لها الشرطة العليا وإلى جانبها بنى أحمد بن طولون جامع الموجود الآن وسمي من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر إذا ولوا ينزلون به من بعد أبى عون فقال الناس من يومئذ كتاباً بالعسكر وخرجنا إلى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى أحمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة فارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدة ابن قتيبة يريد قطرة السد وعلى بركة فارون هذه كانت جنان بني مسكين وبنى كافور الأخشيدي داراً أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة واثقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جداً إلى أن قدم أحمد بن طولون من العراق إلى مصر فزحل بدار الإمارة من العسكر وكان لها باب إلى جامع العسكر وينزلها الأمراء منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان

وما زال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولي
ابو الجيوش خوارويه بن احمد بن طولون بعده أييه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت جبرا بعد دخول محمد
ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة في العسكر عند المصلى
القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المثل الآن على قبر القاضي بكار وملزالت الامراء تنزل بالعسكر الى
أن قدم القائد جوهر من المغرب وبني القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر
وبني جامعها على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحدة في الكثرة وقدم جوهر القائد
بعسا كرمولاه المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والعسكر عامر الا انه من ذنبت القطائع هجر اسم
العسكر وصار يقال مدينة القسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان
قصر ابن طولون وميدانه بقي في القطائع مساكن جديلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عنه أبا علي
في دار الامارة فلم يزل اهله بها الى أن خربت القطائع في الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر أعوام
بضع وخمسين وأربع مائه فيقال انه كان هناك زيادة على مائة ألف دارسوى البساتين وما هذا بعيد فان ذلك
كان ما بين سفح الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبرة خارج مصر
وما على سمتها الى كوم الجمارح ومن كوم الجمارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع
سقايات الى قنطرة السدة ومراغة مصر الى العماريح بمصر والى كوم الجمارح ففي هذه المواضع كان العسكر
والقطائع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدة ابن قبيصة الى كوم الجمارح حيث القضاء الذي
يتوسط ما بين قنطرة السدة وبين سور القرافة الذي يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب في
الحمة أمر ببناء حائط يستراخراب عن نظير الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فمابين العسكر والقطائع وبين
الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله ابى على منصور
ابن المستعلي أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فائق المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحي فنودي مدة ثلاثة ايام
في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب او مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه ابو بجره من
غير ثقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان
سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجبال في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس
في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشا
يخر ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس
ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما ردد خبر ذلك في وضعه من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى ونقل أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا القضاء الذي يتوحد الى به من مشهد
السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السدة ومن باب المجدم في سور القرافة وبساتين في هذا القضاء
الى كوم الجمارح ولم يبق الا من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون وما حوله
من الكباش وحدة ابن قبيصة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع
من قبله وما وراء ذلك الى المشهد النفيسى والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف
عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطالما سلكت هذا القضاء الذي بين جامع ابن
طولون وكوم الجمارح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد
والاسواق والجماعات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق شيء منها اثر البتة
فأنشدت اقول

وبادوا فلا تخبر عنهم • وما هو اجمعوا وهذا الخبر

فمن كان ذا عبرة فليكن • فطينا في من مضى معتبر

وكان لهم اثر صالح • فأين هم ثم أين الاثر

وسبأ في ذلك من يديان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى

* (ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع) *

اعلم أن امراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اخط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون انما ينزلون بالعسكر وما برحوا على ذلك الى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والمدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعدد الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي - له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوهاب بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرجيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن علي - على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن علي) الثانية على الصلات والخراج فدخل خمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة القسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هاني الكندي - وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لادل افرقية وخرج ابو عون في جمادى الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح في ذي الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبي عون بالرجوع ورد الدعاء وقد بلغوا شبر وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احدى عشر يوما ثم عاد الى مصر في جيشه فجهره صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بليس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فأتى أبا عون بالقرما فأقره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل ابو عون القسطاط لاربع بقين من رمضان فولى * (ابو عون) ولاية الثانية من قبل صالح بن علي - ثم أفرده ابو جعفر بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الأول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبي جعفر بيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فولى (موسى ابن كعب) بن عينة ابن عائشة ابو عينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور وكان احدى قباة بني العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون وبروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قد اتهم في خرامان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله الجلي - والي خراسان فألجم بالجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبر ذهب الاسنان وكتب اليه ابو جعفر اني عزلتك من غير خطبة ولكن بلغني أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي - كما يأتي ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن القرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعي - من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج وقدم خمس خلون من ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن القرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه وانخص الى - وان أبي فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فأتقن نوفل الدواوين فاقتد ابن الاشعث الناس فقبل لهم عند صاحب الخراج فقدم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهم لم يخرج ابن الاشعث يوم الاضحي سنة اثنين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن بجير بن ريسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهر وولى (حميد ابن خبطة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائي - من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فدخل في عشر من ألفا من الجند خمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكرا آخر في شوال وقدم على - بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لايه و٤٦ قدم الى حميد فغيب فكتب بذلك الى أبي جعفر فصرفه

في ذي القعدة وخرج ثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلوات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي - بمصر وتكلم بها الناس وباع كل من منهم على - بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لشرخلون من شوال سنة خمس وأربعين كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - في ذي الحجة فنصبت في المسجد وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحويل من العسكر الى القسطنطين وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يخرج أحد منهم ولا من أهل الشام لما كان بالخارج من الاضطراب بأمر بني حسن ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي - ظهر هناك فظفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤس فخمدت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسكنا في سنة خمس وخمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فشتته القبط ورجع منهم ما فصره ابو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل أبي جعفر على الصلوات لثنتي عشرة بقية من ربيع الآخر وهو أول من خطب بالسواد وخرج الى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال مستهل - صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمد فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره ابو جعفر على الصلوات ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف واستخلف موسى بن علي - فولى (موسى بن علي -) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقره ابو جعفر على الصلوات وخرج القبط بهيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يعمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الجدد يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الأمير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات ابو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدي فأقر موسى بن علي - الى سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجهمي - من قبل المهدي - على الصلوات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الاولى سنة اثنين وستين ومائة فوليا اربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى أبي جعفر) من قبل المهدي - على الصلوات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف في رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعي - وهو ابن خال المهدي - على الصلوات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنين وستين ومائة وصرف للنصف من ذي الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي - على الصلوات والخراج فقدم في ذي الحجة وكان أبوه تركا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم واكثرهم حقوبة فنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الخوايت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلى - اذاؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أباصالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلائس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا ردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولى الى المحرم سنة اربع وستين وقدم * (سالم بن سواده) التميمي - من قبل المهدي - على الصلوات ومعه ابو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن علي - بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي - على الصلوات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصبع بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد وناذ ودعا الى نفسه بالخلافة فترأخى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسيخط المهدي* لذلّك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من
 ذى الحجة سنة سبع وستين فوليا ثلاث سنين ثم ولي (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على
 الصلّات والخراج من قبل المهدي* فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فردّ ابراهيم وأخدمه وعمن عمل
 له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدّد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل قّدان ضعف ما يقبل به
 وارتنس في الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونايذوه وثار قيس واليمانية
 وكاتبوا اهل القسّاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج في جند مصر كلهم لقتال
 أهل الخوف فلما اتقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع
 خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشيا سمعه الليث بن سعد يقرأ
 في خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولي (عسامة بن عمرو)
 باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو وخارب يوسف بن نصير وهو على جيش
 دحية قطا عنا ووضع يوسف الرخ في خاصرة بكار ووضع بكار الرخ في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان
 منهزمين وذلك في ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل
 ابن صالح بانه ولي مصر وقد استخلفه فخاضه الى سلج المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن
 صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس سلج المحرم المذكور في جيوش الشام ومات المهدي* في المحرم هذا وبويع
 موسى الهادي فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من أهل الخوف ومن خروج دحية فان الناس كلوا قد
 كآبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأمر وسبق الى القسّاط فضربت عنقه وصلب في جادى
 الاخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا اولي الناس بولاية مصر لقياحى في امر دحية وقد عجز عنه
 غيري فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين فكانوا
 يجمعون فيه ثم ولي (علي بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلّات والخراج
 فدخل في سنة تسع وستين ومائة ومات الهادي للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن
 محمد الرشيد فأقر علي بن سليمان وأظهر في ولايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والجنور وهدم
 الكنائس المحدثه بمصر وبذل له في تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل وأظهر أنه تصلح له
 الخلافة وطمع فيها فخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة
 ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلّات
 فاذن للنصارى في بنان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم
 صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة اشهر ونصفا
 ثم ولي (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلي* من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلّات ثم صرف
 في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليا احدى عشر شهرا ثم ولي (محمد بن زهير) الازدى على الصلّات والخراج
 لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة اشهر في سلج
 ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة وقدم
 هو وابراهيم بن صالح بن علي فولى داود الصلّات وبعث بابراهيم لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل
 لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب في عالم
 كثير فساروا في البحر فأسرهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة
 ونصف شهر ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلّات والخراج من
 قبل الرشيد فدخل اسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين
 ومائة فولى سنة واحدة ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب
 الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفى
 عسامة لسبع بقين من ربيع الاخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلّات والخراج ثم
 قدم ابراهيم للتصف من جادى الاولى وتوفى وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولي (عبدالله بن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد على الصلوات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اححاق بن سليمان) بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أبحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فخارهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك ففقد لهرثة بن اعين في جيش عظيم وبعث به قتل الحوف قتلناه اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلوات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افریقیة لثنتي عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولي (عبد الملك بن صالح) بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبدالله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدي) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلوات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم اخر ذى القعدة وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله بن المهدي) ثانيا على الصلوات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن صالح) بن علي بن عبدالله بن عباس على الصلوات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزازي ثم قدم لخمس بقين منه قال ابن عفر ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردي من اهل بيوردي على الصلوات والخراج وقدم لخمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال اتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كمالا على خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه اهل الحوف وساروا الى القسطنطين فخرج اليهم في أربعة آلاف ليوهم بقيام شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج فواقع اهل الحوف وانهمز عنه الجند فبق في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الحب الى غففة وبعث الى القسطنطين ثمانين رأسا وقدم فرجع اهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه بضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصاف لولا الرشيد الخراج وصرف ليلتا عن الصلوات والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلوات مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج وقدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى ستين شهرا ونصفا ثم ولي (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس على الصلوات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جيل) من قبل الرشيد على الصلوات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلوات في رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الحوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن
علي هكذا في التسخ
التي يسدى ولعله اياه
الفضل الخ تأمل اه
مصححه

اداء الخراج وخرج ابو النداء بأيلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جندام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى في عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الخوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن داهم) بن عمر الكلابى على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الخوف وقدم القسطنطين اعشر بقين من جادى الآخر فكتب الى اهل الاحواف أن اقدموا حتى اوصى بكم مالك بن داهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولانى وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت قسنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسى على الخراج فولى (حاتم بن هرثة) بن اعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم فى ألف من البناء فقتل بليس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل تنو وقي وعسكر وا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى القسطنطين ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف فى جادى الآخر سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيى الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس بقين من جادى الآخر وكان لينا فلما حدثت قسنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم غضبا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وباعوا المأمون لثمان بقين من جادى الآخر سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابونصر من قبل المأمون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر فى الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الخوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاقبته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المأمون وساروا لمحاربة اهل القسطنطين فخذق عباد وكانت حروب قتل الامين وصرف عباد فى صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر فولى (المطلب بن عبيد الله) بن مالك الخزازى من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت فى ابامه حروب وصرف فى شوال بعد سبعة اشهر فولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى فى آخر شوال فسيحنا المطلب فثار الجند مراراً فنهزم الانصارى اعطيتهم وتمتددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتمتددا لجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس واقاموه لاربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فقتل بليس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتيس ثم عاد فقاتل بليس لثلاث عشرة بقيت من جادى الآخر ويقال ان المطلب دس اليه سماً فى طعامه فمات منه وكانت حروب وقتل فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية اشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الرط ومن اهل بلخ باجاء الجند عليه عند قيامه على المطلب فى مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل الجبلى على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة اشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانياً من قبل المأمون على الصلات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان وتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانصلاح جادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً فولى ابنه (محمد ابن السرى) ابونصر اول جادى الآخر على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض

فجرت بينهم حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وسكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى
(عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمباينة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت ينفه
وبين الجروى جروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذعن له عبيد الله في آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين
فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء
لثلاثين خلنا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام في معسكره حتى خرج عبد الله بن السرى
الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثني عشرة واستخلف
عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة في الجامع العتيق
فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لحس بقين من رجب وكان مقامه بمصر والياسبعة عشر
شهرا وعشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر
ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى
على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيراز اذ قظم الناس وزاد عليهم في خراجهم فاتتقض أهل اسفل
الارض وعسكروا فبعث عيسى بانه محمد في جيش فخار بوه فانهزم وقتل اصحابه في صفر سنة اربع عشرة فولى
(عمير بن الوليد) التميمي باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلعت من صفر وخرج
ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقبلوا وكان بينهم معاركة
قتل فيها عمير است عشرة خلعت من ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا
لابى اسحاق على الصلات فخارب أهل الحوف بمعية مطر ثم انهزم في رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر في اربعة
آلاف من اتركة فقاتل أهل الحوف في شعبان ودخل الى المدينة القساط لثمان بقين منه وقتل اكابر الحوف
ثم خرج الى الشام غزاة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في اتركة ومعه جمع من الاسارى في ضر وجهد شديد
وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الانباء على الصلات فخرج ناس بالحوف في شعبان فبعث اليهم
وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين جند بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على
ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله وصرف عبدويه وخرج الى البرقة (وولى عيسى بن
منصور) بن موسى بن عيسى الراعى فولى من قبل ابى اسحاق اول سنة ست عشرة على الصلات فاتتقضت اسفل
الارض عربها وقبطنها في جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من
برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعوا بالقوم وأسرا منهم وقتلوا ومضى الافشين
ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون
لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب
الحديث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة
خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فوردد كلب
المأمون عليه بأخذ الناس بالحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن
عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون
فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة وبويع
ابو اسحق المعتصم فوردد كلبه على كيدر بيعته وبأمره باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل
ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من لحم وجد دام ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين
فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأسره في جمادى الآخرة
ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر في شعبان فولى (موسى بن ابى العباس)
ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف في ربيع الآخر سنة
اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله
الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع
الآخر سنة ست وعشرين فولى ستين وأحد عشر يوما وولى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

وما تين فولى (على بن يحيى) الارمنى من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين وما تين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقره الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وما تين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم فولى (عيسى ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين وما تين ومات اشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى النصف من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وما تين وقدم على بن مهرويه خليفة هرثة بن النضر ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثة بن نضر) الجبلى من اهل الجبل لايتاح على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين وما تين فورد كتاب المتوكل بترك الجدل في القران خمس خلون من جادى الاخرة سنة اربع وثلاثين وما تين ومات هرثة وهو وال لسبع بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثة فولى (حاتم بن هرثة) بن النضر باستخلاف ابيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن يحيى) بن الارمنى الثانية من قبل ايتاح على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاح في المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمتصر مكانه وصرف على في ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم الجبلى من قبل المتصر ولى عهد ابيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد عزله اول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وما تين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة ابن زريق من قبل المتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين وما تين وصرف عن الخراج تسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مسهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق) ابن شهر بن عيسى ابو جابر من قبل المتصر على الصلات وشمر بكالاحد بن خالد الضرير يقبى صاحب الخراج فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وما تين واخذ العمال برذالمظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى في شهر رمضان السحور وكان يرمى بذهب الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفرو اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين في جيشه وكثير من الناس فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جادى الاخرة سنة احدى واربعين وأقر بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعاه وعنبسة هذا آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى العراق في رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد الموالى لولاه المتصر على الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤمنين من مصر وضمهم وطاف بهم ومنع من الذداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس وأربعين ورجع في ربيع الاول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقيهم وعطل الرهان وباع الخيل التى اتخذها للسلطان فلم يجر الى سنة تسع وأربعين وتبع الروافض وجاهلهم الى العراق وبني مقياس النيل في سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين في ولايته شدائد ومات المتوكل في شوال وبويع ابنه محمد المتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المتصر يزيد على مصر ثم مات المتصر في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقطع كان بالعراق فاستسقوا السبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق في يوم واحد وخلق المستعين في المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد في جيش كنيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواجههم حتى ظفر بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عز طوبج ابو الفوارس التركي ثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلوات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع باهله وغاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من اهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى القيوم فطاش سيفه وكثرا يقاتعه بسكان النواحي وعاد وولى الشرطة ارجوز فغنى النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤمنين والنواحي ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى أن منع من الرجوز واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف وكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التي يستند اليها ومن الحصر التي كانت للجالس في الجامع وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها ستا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التشويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأن يغسل بصلوة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه أو يحلق شعره أو تصيح امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم خمس مضي من المحرم سنة اربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف ابيه على الصلوات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الاخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اوع طرخان التركي) على الصلوات فولى خمسة اشهر ونصف وخرج اول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين واليه كان امر البلد جميعه من ايام مزاحم وفي ايام ابنه احمد أيضا والله تعالى اعلم

* (ذكر القطائع ودولة بني طولون) *

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرملة تحت القلعة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت القلعة والرملة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والخيول والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم بالقيبيات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه احمد بن طولون ومجداه الجامع دار الامارة في جهته القبليّة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانهم وكل قطعة لطيفة فيقال قطعة السودان وقطعة الروم وقطعة الفتراشين ونحو ذلك فكانت كل قطعة لسكنى جماعة بنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالأتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط اسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الأتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابرهم كيديعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الأتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالأتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاح وقلد المتوكل نقاوصيف وقلد المهدي ماجور وغير من ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فقلد بأكابر مصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات أبوه في سنة اربعين ومائتين ولا جد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه مومى وحبيسة وسمانة وكان طولون من الطغرغر مماحله نوح بن أسد عامل بخاري الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبرازين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشأ احمد بن طولون نشأ جيلًا غير نشأ اولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرق طرسوس

مرات ولقي المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدب بأدبهم وظهر فضله فاشتهر عند
الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه ماجورا ابنته وهي
أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على النغر فأجابه وخرج الى
طرسوس فأقام بها وشق على امته مفارقتها فكتابه بما اقله فلما اقل الناس الى ستر من رأى سار معهم الى لقاء
امته وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى
بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقرب بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن
يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع
السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وقروا منه وكان من جملة ما استنقذ
من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فاعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر في عين القافلة فلما وصلوا الى
العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعزفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه
وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعترف به اذا دخل مع
المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلوات الخليفة حتى حسنت حاله ووجهه جارية اسمها مياس استولدها ابنه
خارويه في النصف من المحرم سنة خمس مائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط
واختار الاتراك احمد بن طولون أن يكون معه فلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التزهر والصيد
وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كتابته احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر
النادرة فأنس به المستعين ثم ان فتحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقلده واسط فامتنع
من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا
سعيد الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فسلمه منه وقطعه وواراه ابن طولون وعاد الى ستر من
رأى وقد تقلد بالكتاب مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلاقته وضم اليه
جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع مائة من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا
للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالا سكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس
الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام ابى قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوف اعما يجده في كتبهم فقال هذا رجل
فجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من اربعين سنة فاتم كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو
على النعت الذي قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدر وهو من دهاة الناس
وشياطين الكتاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقاءه هو وشقيق
الخادم غلام فتحة ام المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدر مائة غلام من الغور قد اتقنهم
وصبرهم عدة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وباس شديد وعليم اقبية ومناطق ثقال عراض
ويأيدهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكأوا بقون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس
فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصبر له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدر بهديته الى ابن طولون
ردّها عليه فقال ابن المدر ان هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وذكره
مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبته الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام
حتى بعث ابن طولون الى ابن المدر يقول له قد كنت اعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتم
مالك كثره الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل النعوض منها العلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج
منك فقال ابن المدر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرذ الاعراض
والاموال ويستمدى الرجال وشابر عليهم ولم يجد بدا من أن يعثم اليه فتحوّل هيبة ابن المدر الى ابن طولون
ونقصت هبة ابن المدر بمصارقة العلمان مجلسه فكتب ابن المدر فيه الى الحضرة بغري به ويحترض على عزله فبلغ
ذلك ابن طولون فكتب في نفسه ولم يده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهدي بالله محمد بن
الواثق وقتل بالكتاب ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حموان طولون فكتب اليه تسلم من نفسك
نفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

أن يسلمها لاجد بن طولون فغظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان اجد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدبر سبع مائة الف وخمسين الف دينار جلا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفزقها في اصحابه وكانت الامور قد اضطربت يبغداد فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهندي في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله اجد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على مامعه من بلاد الشام وفسخ له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد في عذته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ما أخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فسارست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل القسطنطينية في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ فلقبه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحي ارمينية وتقلد ماجورا أعمال الشام كله وصار اجد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والالات بهمال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل في شعبان وامر بحرق قبور اليهود والنصارى واخط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم الى اصحابه وغلمانهم وأتباعه أن يحتطوا لانفسهم حوله فاخططوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة القسطنطينية ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم والروم قطعة مفردة تعرف بهم والفراسين قطعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطعة مفردة تعرف بهم وبنى القوادمواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكاك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقبل سوق العبايرين وكان يجمع العبايرين والبرازين وسوق الفامين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين فكان في دكاكين الفامين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة اعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير استل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلي جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خدام خصي او حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنبايات الغلمان السودان الرجال فقط يقال له الدرمون وباب دعنجان لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعنجان وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان في الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا باب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جنس وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون وهو الذي يعرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بجائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كأكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زجة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بفرده من غير أن يحتل به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد او يوم عرض الجيش او يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب في اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليري حركات الغلمان وتأهيمهم وتصرفهم في حوائجهم فاذا رأى في حال احد منهم نقضا او خلا امره بما يتسع به ويزيد في تجمله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة القسطنطينية وما يلي ذلك فكان منتزها حسنا وبني الجامع فعرف بالجامع الجديد وبني
العين والسقاية بالغافر وبني تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته
نخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعيان
وأصحاب أخبار بطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار له بيغداد عند الوزير حتى سبر الى
ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلم بذلك فاذا فيه ان احمد بن طولون عزم على التغلب
على مصر والعصيان بها فكتب خبر الكتب وما زال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن
الخراج وتقليد هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحسبه وكنات له معه امور آلت الى خروج ابن
المدبر عن مصر وتسلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمراقب وكانت بمصر
خاصة في كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكثرة الف الف دينار بنى منه المدارس وخرج
الى الشام وقد تقلدها قسما دمشق وحص ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقته على اهل المسكنة والستر
وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك في كل شهر ألفي دينار سوى ما يطرأ عليه
من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى ما يجنيه اتى اقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها
يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس في القدور والفخار والقصاص على كل قدر أو قسعة لكل مسكين اربعة
ارغفة في اثنين منها فالزوج والاثنان الاخران على القدر وكانت تعمل في داره وينادي من احب أن يحضر
دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميسدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الى
المساكين ويتأمل فرحهم بما يأتون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن
قراطغان وكان على صدقته ايد الله الامير انانق في المواضع التي تفرق فيها الصدقة فخرج لنا الكف
الشامخة المخبوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديد والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مديده اليك فأعطه
فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف فأخذوا رديدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده
ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذي كان لآبيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع
الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى الطيف الذي ينال ثمره القاسم ومنه ما يتناوله الجاهل من
اصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا
اجسام النخل فحسا مذهبها حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل من ارباب الرصاص وأجرى
فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتندرج الى فساق معمولة ويفيض منها
الماء الى مجاري تنسقي سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة
يتعاهد بها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النبلوفر الاحمر والازرق والاصفر
والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر الشمس باللوز واشباه
ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبني فيه برج من خشب الساج المنقوش بالنقوش الفاخرة ليقوم مقام
الاقفاص وزرعه بأصناف الاصباغ وبلط ارضه وجعل في تضاعيفه انهارا لطافا جداولها يجري فيها الماء
مدبر من السواقي التي تدور على الانبار العذبة ويسقي منها الاشجار وغيرها وسرح في هذا البرج من اصناف
القمازي والدبابسي والتونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطيور تشرب وتغتسل من تلك الانهار
الجارية في البرج وجعل فيه او كرا في قواديح لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض
لها فيه عيونا ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تقاربت حتى يجابوب بعضها بعضا بالصباح وسرح في البستان
من الطيور العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئا كثيرا وعمل في داره مجلسا بواقه سماه بيت الذهب
طلى حيطانه كله بالذهب الجاهل باللازورد المعمول في احسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار
قائمة ونصف صورا في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حطايه والمغننيات اللاقي تغنيته
بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكبال من الذهب النخالس الابرز الرزين والكواذن
المرصعة بأصناف الجواهر وفي آذانها الاجرام النقال الوزن المحكمة الصنعة وهي مسخرة في الحيطان ولونت

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مباني الدنيا وجعل بين يدي هذا البيت فسقية مقدرة وملاها زريقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأفق من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زريق فعمل بركة يقال انها تخسوس ذراعا طولاً في خمسين ذراعاً عرضاً وملاها من الزريق فأفق في ذلك اموا لا عظيمة وجعل في اركان البركة تسككاً من الفضة الخالصة وجعل في السكك زناير من حري محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشاً من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدة ويلقى على تلك البركة الزريق وتشد زناير الحري التي في حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يريج ويتحرك بحركة الزريق مادام عليه وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها في الليالي القمر منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزريق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لآخذ الزريق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم بخارويه في عمل مثل هذه البركة وبني ايضا في القصر قبة نضاهي قبة الهوا سماها الدكة فكانت احسن شيء وجعل لها الستر التي تقي الحتر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السمرية وعمل لكل فصل فرشاً يليق به وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة وبني ميداناً آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقره فيها رجال سهاهم بالمكبرين عتدهم اثنا عشر رجلاً بيت منهم في كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل فوبيا يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن نظرياً بالخان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولي بخارويه اقترهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع خطاياء في الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع اصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح في يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابد حتى يسكت الاثوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبني ايضا في داره دار السباع عمل فيها يوتاباً راج كل بيت يسع سباعاً ولبونه وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يقرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدي هذه البيوت قاعة فسحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته او وضع وظيفة اللحم التي لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو تنظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدر ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملاؤه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ما هي له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء ككفايته فكانت هذه البوابة من السباع ولهم اوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فيخرج الى القاعة وتمشي فيها وتمرح وتلعب ويهاش بعضها بضعاً فقيم يوماً كاملاً الى العشي فيصحب بها السواص فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذى احد او يقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم فاذا انصبت مائدة بخارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فينفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما انس فكانت مقصورة في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام بخارويه جاء زريق ليجرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه مادام نائماً وان كان انما نام على الارض بقي قريبا منه وتظن لمن يدخل ويقصد بخارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من بخارويه مادام نائماً لمراعاة زريق له وحر استه اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه في بخارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغني حذر من قدر وبني ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاديه مع اولادهن وجعل معهم المعزولات من امهات اولاده وافرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم فأنشد جليل فوسعته وفضل عنه منها شيء وأقام

لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شيء كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة والتي فيها العدة من الدجاج فنها ما قطع فخذها ومنها ما قد تشعب صدرها ومن القراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من القالودج والكثير من اللوزنج والقطائف والهراس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية وأشياء ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر ببعضهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناولونهم لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكحون من هذه الزلات وكان شياء موجودا في كل وقت لكثرة واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتره ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللعوم والقراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات خارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيال الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات ولنجائب والنجاني اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الاثقال وعمل للتوردارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللغيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التي بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نيا ووسيم وسفط وطهر من وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القروط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكرته فيها الخيل حلبية السباق ولرباط في سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنوي والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش في ايام خارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر سوى ما هو موظف بخواريه وأرزاق من يخدمهم ويتصرف في حوائجهم وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الخوف وشنازة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والبأس لهم خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم في العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقيل وقلدهم السيوف الحلاة يضعونها على اكافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعلهم اقية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيفهم والبيض التي تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهج فاذا مضى السودان قدم خارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحفه وكان تام الظهر وبركب فرسا تاما فيصير كاللكوكب اذا قبل لا يخطئ على احد كانه قطعة جبل في وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد وقع في قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكره عظيم فكان اذا قبل كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعة ولا عطسة ولا نخرة البتة كما نعا على رؤسهم الطير وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بجماثل ولا يزال يتفرج ويتزده ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يمش اليها كالا هرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوبا به لا يكاد يسمع بسمع الاقصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه غنوة وهو سليم فيضعونه في اقصاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبية السباق في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكامل فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون في الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمتفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القاضي المنظر بناه احمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد في هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد ايضا بعد القاضي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خبارويه وانتهى
أمره بدا يسترجع منه الدهر ما أعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التي من اجلها بنى بيت الذهب
وصور فيه صورته وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدين لا تطيب له الا بسلا متها ونظرة اليها وتمتع بها فكدر
موتها عيشه وانكسر انكسار ابا ن عليه ثم انه اخذ في تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة
ولا طرفة من كل لون وجنس الاحلام معها فكان من جلته ذكرا ربيع قطع من ذهب عليها قبسة من ذهب مشبك
في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القاضي وعقد
المعتضد النكاح على ابنته يعني ابنة خبارويه فطر الندي فحملها ابو الجليس خبارويه مع عبد الله بن الخصاص
وحمل منها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الخصاص يودعه قال له خبارويه هل بقي بيني وبينك حساب
فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بيني من الجواهر فقال أحضره فاخرج ربيع طومار فيه ست ذكرا النفقة
فاذا هي اربعمائة ألف دينار قال محمد بن علي المادرائي فنظرت في الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عن عشرة
آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القاضي وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سبعة نفس ابى
الجليس ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الخصاص حتى انه قال كسر بيني من الجواهر وهو اربعمائة ألف دينار
لولا يقتضيه ذلك لم يذكره ومنها يسر ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها
في ايسر وقت وبأهون سعي ولو طلب اليوم خسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد في احوال ولا بعد شهر الا أن يتعنى بعملها فتعمل ولما فرغ خبارويه من
جهاز ابنته امر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر غيايين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن
احمد بن طولون في جماعة مع ابن الخصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد فاذا وافت المنزل وجدت
قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها في حال الإقامة فكانت
في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها في قصر ابيها تنقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد
أول المحرم سنة اثنين وعشرين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خبارويه بدمشق وكانت مدة بني
طولون بمصر سبعة وثلاثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اولهم (احمد بن طولون)
ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين
وخرج بغا الاصفر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبائي بربقة والاسكندرية في جمادى الاولى سنة خمس
وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل رأسه الى القضاة لاحدى عشرة بقية من شعبان وخرج ابن
الصوفي العلوي وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب ودخل اسنا في ذي
القعدة فقتل وقاتل فبعث اليه ابن طولون جيشا نهزم الجليس في ربيع الأول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر
فواقعه باخيم في ربيع الآخر فانهمز ابن الصوفي الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن
الشيخ ثم عاد فابتدأ في بناء الميدان وقدم العباس وخبارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة
سنة تسع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم
الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طنج صاحب الشرط ثم قدم لاربعة عشرة بقية
من شوال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة
تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر
سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب العمدة يستحثه في حل الاموال فكتب اليه لست اطيع
ذلك والخراج بيد غيري فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور السامية
فاقر ابا ايوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد الطخشي بن بلرد على الثغور فخرج في جمادى
الاولى سنة اربع وستين وتقدم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف احمد بن طولون وتقليد ما ماجور
التركي والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لجزءه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ
ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ في بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا له وحرمة في سنة ثلاث وستين واجتهد
في عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالربعة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات في صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فترك ذلك احمد بن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجورانه سائر اليه وأمره بأقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ ببنائه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج في جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطي مدبر اوويزر ابلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فلقاه علي بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حصن قنسلهما وبعث الى سيما الطويل وهو باطناكية يأمره بالدعاه فأتى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالجانيق حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فتابذ اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليدلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليا طخشي فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازعجه ذلك وسار يخاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطائفته الى الجزيرة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأخذ القاضي بكار بن قتيبة في نهر بكتابه الى العباس فسار واليه ببرقة فأتى أن يرجع وعاد بكار في اول ذي الحجة ومضى العباس يريد افر بقتية في جادى الاولى سنة ست وستين فذهب لبلدة وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاعلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذا أعد واعلى فرسى * الى الهياج ونار الحرب نستعر
وفي يدي صارم افرى الرأس به * في حذو الموت لا يبق ولا يذر
ان كنت سائلة عنى وعن خبرى * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون اصلى ان سألتها * فوقى لمقتصر بالجو دمفتخر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف اضرب والهجمات تبذر
اذا العاينت منى ما تبادره * عنى الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت امواله وفز الى برقة في ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنى عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فأقام بالاسكندرية وفز اليه احمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا اصحاب العباس وجزمهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى القسطنطينية ثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شزال ثم اخرجوا اول ذي القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوها وألقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فترك دمشق ومعه ابنه العباس متيدا فخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربته ثم توقف لورود كتاب المعتقد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا واكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداح الخزري على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا فرى على الناس بأن أبا احمد الموفق فكث بيعة المعتقد وأمره في دار احمد بن الخصيب وان المعتقد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتقد وقال اللهم فاكفه من حصره وظله وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والنعور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لخالفه المعتقد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الابكار بن قتيبة

وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابو اجد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة وانخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنايقل حده ويتعس حده واجعله مثلاً للغابرين انك لاتصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنارزها وكان البرد شديداً ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به على الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى القسطنطينية فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين وأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجرعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكوا سى * عراقى كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجل

شهاب خبا وقده * وعارض غيث افل * شكت دولتى فقهه * وكان يزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خارويه) بن احمد بن طولون وباعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذى القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطى على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية فقتل الواسطى فلسطين وهو خائف من خارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابي احمد الموفق يصغره خارويه ويحترسه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداح ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة فسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل اصحاب خارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابي بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهمز اصحاب خارويه وكان في سبعين ألفاً وابن الموفق في نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خارويه بما فيه ومضى خارويه الى القسطنطينية وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خارويه فخارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثني عشر ميلاً ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خارويه الى القسطنطينية لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطى فلكا دمشق وخرج خارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتي عشرة بقيت من شوال ثم خرج في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداح فكانت على خارويه فانهمز اصحابه وثبت هو في طائفة فهزم ابن كنداح واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصططحا وتظاهروا واقبل الى خارويه فأقام في عسكره ودعاه في اعماله التي بيده وكتب خارويه ابا احمد الموفق في الصلح فأجابته الى ذلك وكتب له بذلك كتاباً فورد عليه به فالتق الخدام الى مصر في رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كنبوه بأيديهم وبولاية خارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على القطالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابي الساج الى اعماله فخرج اليه في ذى القعدة ولقبه شعبة العقاب من دمشق فانهمز اصحاب خارويه وثبت هو فخاربه حتى هزمه أخيراً هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعى له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتمد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتمد بولاية خارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلثمائة ألف للمستقبل ثم قدم رسول المعتمد بالخلع وهي اثنا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتمد نكاح قطر الندى بنت خارويه في سنة احدى وعشرين وفيها خرج خارويه الى نزهته يربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى القسطنطينية فخرج الى الشام ثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وعشرين فأقام بنية الاصمغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواربه

وخدمه وحل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجواري غلمانه ونساء
قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حاولوا قيبتهم وفيهم من سود ثيابه وشققها
وكانت في البلد ضخمة عظيمة وصرخة تنفع القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما
ثم ولي (ابو العساكر جديش بن خمارويه) بن احمد بن طولون الليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين
وما تين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على امورا انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه
ودأبوا في الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبع فقر جاعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان
وكان على الثغر وخلعه طنج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه
الجيش وخلعوه وجعروا الفقهاء والقضاة قتلوا من بيعته وحلهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جادى
الآخر سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثني عشر يوما ومات في السجن بعد ايام ثم ولي (ابو موسى هرون
ابن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية
ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط
مصر فغذله القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين
وضرب ألف سوط ومائتي سوط فمات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفي
بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فنهزمهم وبعث المكتفي محمد بن
سليمان الكاتب فقتل حص وبعث بالمرაკب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم
التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان في تنيس فغلبوا ولت اصحاب
محمد بن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسية ومعه اهله وأعمامه في ضيق وجهه ففرق عنه كثير من
اصحابه وبقي في نهر بدير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماء شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخل عليه
وهو نائم فقتله ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنة يوم ثمانين وعشرون سنة
فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولي (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشرين من
صفر فرجع الى القسطنطين وبلغ طنج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا
الى محمد بن سليمان فأمنهم وحز كوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسية فلقية طنج في ناس من القواد
كثير فساروا به الى القسطنطين وأقبل اليهم عامة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن
سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثني عشر يوما
ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاول فأتى النار في القطائع ونهب اصحابه القسطنطين وكسروا
السجون وأخرجوا من فيها وجمعوا الدور واستباحوا الحرم وهتكوا الرعية واقتضوا الابكار وساقوا
النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد احمد بن طولون وهم عشرون انسانا
واخرج قواده فلم يبق بمصر منهم احديذ كروخلت منهم الديار وعفت منهم النار وتغطت منهم المنازل وحل
بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الايام ثم سبق اصحاب شيبان
الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا
فقال احمد بن محمد الحبشي

الحمد لله اقرارا بما وهبنا * قدلم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمد هدا * وفتح الظلم والاطلام والكربا
لا ريب رب هياج يقتضي دعة * وفي القصاص حياة تذهب الريسا
رمى الامام به عذراء غادره * فاقض عذوبتها بالسيف واقضبا
محمد بن سليمان اعزهمهم * نفساوا كرمهم في الذاهبين أبا
سرى بأسد الثمري لولم يروا بشرا * اضحى عربتهم الخطى لا القضا
جتم القضاء على اليموم حين اتوا * مثل الزبا يتحون الزيبة الذابا

ايها علوت على الايام مرتبة * اباعلى ترى من دونها الرتبة
لما طال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكر الكبقعة * وشيب الرعب شيئا واقدربعا
وكم ترى لهم من جنة اتف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطبا
فأصبحوا لا ترى الامساكهم * كانوا من زمان غابر ذهبوا
وقال احمد بن يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارنع وعج بمراج المبدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت فقيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجتنت اصولهم * واشتت رأس اميرهم شيان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * في جفيل بلج ولا غسان
ومعديه البطل الكفى وغررج * لم ينصرا بأخيم ما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعه الشيطان
وقال اسمعيل بن ابي هاشم

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابراج
وربوع قوم ازجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصايحا لذي ظلم الدجى * يسرى بها السارون فى الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتها * من فضة يضاء او من عاج
كانوا اليونان لارام حاهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل تنية وفجاج
وعليهم ما عشت لادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجي
وقال سعيد القاص

تجرى دمعته ما بين سحر الى سحر * ولم يجرح حتى اسلمته يد الصبر
وبات وقيد الذى خامر الحشا * بين كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا نسي * بيت على حجر ويضحي على حجر
تتابع أحداث يضعن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدينا بقاصمة الظاهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن * أمر على الاسلام قدامن القطر
فبادوا وأنجوا بعد عز ومنعة * احاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ما جدا * جميل المحيا لا بيت على وتر
كان لىالى الدهر كانت لحسنها * واشراقها فى عصره ليله القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلاقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا اذا عدالة * يخبر عنه بالجلي من الامر
فبالجبل الغربى خطه يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالفضين ولا الغمر
يتباه باجتر وساج وعرعر * وبالممر المسنون والجص والحجر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المباني من عقود ومن جدر
فسبح وحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذى فوق قله * على جبل عال على شاطئ وعبر
 بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهذى به فى الليل ان ضل من يسرى
 فخال سنا قنديه وضياءه * سهيلا اذا ملاح فى الليل للسفر
 وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللظهر
 كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
 فأركبها مستتبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
 بناء لوان الجن جاءت بمنـله * لقبل لقد جاءت بمستقطع نكر
 يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحور والحي من بشر
 قبائل لانواء الصحاب يمدّها * ولا النيل يرويه ولا جدول يجرى
 ولا تنس ما رستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للعول والشهر
 وما فيه من قوامه وكفانه * ورقتهم بالمعتقين ذوى الفقر
 فلميت المقبور حسن جهازه * ولحي رفق فى علاج وفى جبر
 وان جئت رأس الجسر فانظرتا متلا * الى الحصن اوقاعه اليه على الجسر
 ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
 ما نزل تبلى وان باد أهلها * ومجد يودى وارثه الى الفخر
 لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * اجل اذا ما قيس من قبتى حجر
 وقام ابو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
 اتته المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهى والامر
 كذا اللبالي من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
 وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذا ابو الاشبال ذوالناب والهصر
 وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصرا العمر
 تمام بأمر الملك هارون مدة * على كظ من ضيق باع ومن حصر
 وما زال حتى زال والدهر كاشح * عقارب من كل ناحية تسرى
 تذكروهم لما مضوا اقتابعوا * كما ارفض سلائم جان ومن شذر
 فنيلك شياض من بعد أهله * لفقد هم فليبك حزنا على مصر
 ليبيك بنى طولون اذ بان عصرهم * قبورك من دهر وبورك من عصر
 وقال ايضا

من لم ير الهدم للميدان لم يره * تبارك الله ما على واقدره
 لوان عين الذى انشاء تبصره * والحادثات تعاديه لا كبره
 كانت عيون الورى تعشوا لهيبته * اذا اضاف اليه الملك عسكره
 أين الملوك التى كانت تحل به * وابن من كان بالانفاذ دبره
 وابن من كان يحصيه ويحرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
 صاح الزمان بمن فيه فقرقهم * وحطريب البلي فيه فدعثره
 وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب محاصر ان اسطره
 دكت مناظره واجتث جوسقه * كأنما الخسف فاجاه فدعثره
 اوهب اعصار نار فى جوانبه * فعادم معروفه لعين منككره
 كم كان يأوى اليه فى مقاصره * احوى اغن غصيص الطرف احوره
 كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فعب صرف الردى فيه فكثره
 اين ابن طولون بانيه وساكنه * امانه الملك الاعلى فأقبره

ما أوضح الامر لو صحت انسا فكر * طوبى لمن خصه رشده فذكره
وقال احمد بن اسحق الجفري

واذا ما اردت العجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر البين والهجوم وانوا عاوت اليه من الاشجان
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخي ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذي ديف بالعنبر يجتا وعلا بالزعفران
اين ذاك الخبز المضاعف واللوثى وما استخلصوا من الكنان
اين تلك القيان تشدو على العر من بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون في هوة فقر مسكونها غير دان
واعاض الميدان من بعد أهليه ذبا تاعوى بتلك المغاني

ثم امر الحسين بن احمد المادرائى متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدى في هدمه في شهر رمضان سنة ثلاث
ونسعين ومائتين وبيع ثمنه ثمانية مائة دينار * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان تكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليله عرس
تتغشى الريح منه محلا * كن للصون في ستور الدمقس
وبفرش الاضريح والبسط الديكاج في نعمة وفي لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخذود مثل اللآلى ملنس
كل فجلاء كالغزال وبجلا * ورداح من بين حور واعن
آل طولون كنتم زينة الارض فاضحى الجديد أهدام لفس

وقال ابن ابى هاشم

يا منزلا لبني طولون قد دثرا * سقالت صرف الغواذى القطر والمطر
يا منزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عتدي السمع والبصر
بأنه عندك علم من احبنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خيرا
وقال

ألا فاسال الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فع
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش الفصاصة البطل
وجيش وهارون الذى قام بعده * وشييان بالامس الذى خانه الامل
ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبر الايطاق اذا حمل
واين ذرارهم واين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضل
واين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور القناه له زجل
لقدماء كوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم اتقوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما اتقضى الاجل
وصاروا احاديا لم يبق بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل
وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والتصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله فقر من السكك
اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجبى الخراج اليهم في دارهم * لا يرهبون غوائل الحداث
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثروا * واستأثروا بالروم والسودان

فانظر الى ماشيد وامن بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
ابن الاوى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحاته * وغرائب الاعناب والرمات
والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفترقوا فهناك هم * تحت الثرى يباون في الاكفان
الا اغيلة اسارى بعدهم * في دار مضبعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شيء فان

وقال

ان في قبة الهوا * لدى الاب معتبر * والقصور المشيذات مع الدور والحجر
والبساتين والجبال والبيت والزهر * والحوارى المغنيسات ذوى الدل والخضر
يتجترن في الحريش وفي الوشى والخبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخضر
عمروا الارض مدة ثم صاروا الى الخضر * واستبد الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والشذل امرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الدل في كدر
يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر

وقال

مررت على الميدان معتبرا به * فناديت به ابن الجبال الشواخ
نخار وعباس واحد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذراري آل طولون بعدهم * أما فيك منهم ايما الربع صارخ
وأين ثياب الخبز والوشى والحلى * وأربابها ام اين تلك المطابخ
وأين قنات المسك والعنبر الذى * عنت به دهرها وتلك اللطابخ
لقد غالت الدهر الخوون بصرفه * فأصبحت منخطا وغبرك بازخ

وقال

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفرا الجنب فراعني
فناديت فيه يال طولون مالكم * فهو دنا حلق بحرف لجاني
فأذريت عينات دمع غزيرة * ورحت كتيب القلب مما اصابي
وا في عليهم ما بقيت لموجع * ولست ابالي من الحاني وعابي

وحدث محمد بن ابي يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت
ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الشباب
وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعترا في ذلك فكرة ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك
والتلك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضي ابو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ
الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قد راتني عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحد بن طولون قال
فاذا كانت اسماء الشعراء في ثلثي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد
وقال ابو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس وخربت قطائع احد بن طولون يعني في الشدة العظمى زمن
الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان به من الساكنين وكانت ينفا على مائة ألف دار زهرة للناظرين محدقة
بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

* (ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهر) *

وكان أول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده وجعل أباعلى الحسين بن احمد المادرائي على الخراج عوضا عن احمد بن علي المادرائي ثم ورد كتاب المكتفي بولاية (عيسى بن محمد) النوشري أبي موسى فولى على الصلوات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الأولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة أشهر فأخرج كل من بقي من الطولونية فلما بلغوا دمشق اتخذه عندهم محمد بن علي الخليلي في جمع كثير بمن كره مفارقة مصر من القواد فعقدوا له عليم وبأيعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشري بجيش أول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشري وعسكر بباب المدينة أول ذي القعدة وسار الى العباسية ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففر عنه طائفة الى ابن الخليلي فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليلي) القسطنطينية لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة فوضع العطاء وفرض القروض وقدم ابو الازم من قبل المكتفي في طلب ابن الخليلي فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الازم وأسرى من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فأتاك المعتضدي من بغداد في البر فعسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل فأتاك النورية فخرج ابن الخليلي وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من اصحابه لبيت فأتاك فاضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النورية فعلم بهم فأتاك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليلي فانهزم عنه اصحابه وبقيت طائفة ثم انهزم الى القسطنطينية لثلاث خلون من رجب فاستمر ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشري ومعه الحسين المادرائي ومن كان معهما الخمس خلون منه فعاد النوشري الى ما كان عليه من صلاتها والمادرائي الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشري بمكان ابن الخليلي فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليلي بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما ودخل فأتاك في عسكره الى القسطنطينية لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليلي في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يومئذ كورا واشد في هدم مبدان بني طولون في شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فأتاك الى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة اربع وتسعين واهل النوشري بنى المؤتئين ومنع النوح والنداء على الجنائز واهل باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بقتله بعد ايام ومات المكتفي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقر النوشري على الصلوات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افریقیة مهزوما من ابي عبد الله الشيعي في رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فنهض النوشري من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشري لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليلي سبعة أشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولي (تكني الخزري ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلوات فدعى له به يوم الجمعة لحدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكني الليلي خلت من ذي الحجة وتقدم اليه بالحد في ارض المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو القين فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب افریقیة واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف فدخلها في المحرم سنة اثنين وثلاثمائة فقدمت الجيوش من العراق مدد تكني في صفر وقدم الحسين المادرائي واحمد بن كيعلغ في جمع من القواد وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الأولى وخرج تكني فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مؤنس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الالهراء قتل الجراء ولقي الناس منهم شداً وخرج ابن كيعلغ الى الشام في رمضان وصرف تكني لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مومى بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية فى المحرم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاول وتبع كل من يوماً اليه بمكاتبة المهدي صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية ومراقبة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القراءان وقدمت عساكر المهدي صاحب افريقية الى لوبية ومراقبة عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة وقرر الناس من مصر الى الشام فى البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المختارون له فمسك بالجزيرة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرائى والبايعلى الخراج فوضع العطاء وجدة ذكا فى أمر الحرب واحقر خندقاً على عسكره بالجزيرة فرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجزيرة فكانت امرته اربع سنين وشهراً فولى (تكنين) مرة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن جل و ابراهيم بن كيدغلغ فى ربيع الاول ودخل تكنين لاحدى عشرة خلت من شعبان فقتل الجزيرة وحضر خندقاً ثانياً وأقبلت مراكب المغرب فظفر بهم فى شوال وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فقتل الجزيرة وكان فى نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيدغلغ الى الاشمونين فمات بالهنساء اول ذى القعدة ومات اصحاب المهدي القيوم وجزيرة الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد فى عسكر آخر ذى الحجة فمسك بالجزيرة فكانت حروب مع اصحاب المهدي بالقيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدي الى برقة وصرف تكنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن جل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكنين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام فى اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن جل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط فكثرت النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج فى نفر من اصحابه فولى (احمد بن كيدغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جهادى الاولى ثم قدم معه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرائى على الخراج فى رجب فأحضر الجند ووضعوا العطاء وأسقطا كثير من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فنار الرجالة به فقر الى فاقوس وأدخل المادرائى الى المدينة لثمان خلون من شوال واقام ابن كيدغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدر وم رسول تكنين فى ثالث ذى القعدة فولى (تكنين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فأسقط كثير من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة فى مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وبويع ابو منصور القاهر بالله فأقر تكنين حتى مات فى سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكنين موضعه وقام ابو بكر محمد بن على المادرائى بأمر البلد كله ونظر فى اعماله فشغب الجند عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكنين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرائى بأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هناك بعد ما رحل ابن تكنين الى سلخ ربيع الاول فلقى ابن تكنين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فغعه المادرائى ثم ولى (محمد بن طنج) بن جف الفرغانى ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوماً الى أن قدم رسول (احمد بن كيدغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادرائى صاحب الخراج فاستمر منهم فأحرقوا دوره ودور أهله وكانت قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكنين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين

وعشرين فأنتكر المادرائي ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشري فأمره عليهم وهم على الدعاء لابن كبلغ فنزل منية الاصبع لثلاث خلون من وجب فلقى به كثير من اصحاب تكين فز ابن تكين ليلا ودخل ابن كبلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالقسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلق انقاها وبوبع ابو العباس الراضي بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضي ولا مخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بليس وفاقوس فانهزم ووجه به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طفيج سار الى مصر بولاية الراضي له فبعث اليه ابن كبلغ يجيش لينعوه من دخول القرما فأقبلت مراكب ابن طفيج الى تنيس وسارت مقدمة في البر وكانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفيج وأقبلت مراكبه الى القسطاط سلم شعبان واقبل فعسكر ابن كبلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كبلغ الى محمد بن طفيج من غير قتال وولى (محمد بن طفيج) الثانية من قبل الراضي على الصلات والخراج فدخل استبقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فزات بالخلع لمحمد بن طفيج وكانت حروب مع اصحاب ابن كبلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدي بالمغرب فخرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سارا الى مصر فبعث ابن طفيج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طفيج فاقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار في المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفيج فنزل القرما وابن رائق بالمله فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي في الصلح حتى تم وعاد الى القسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقى للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة أنكرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثير منهم وأخذ منهم قتلا وأسر اومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طفيج باللجون ودخل الاخشيد المله بخمس مائة اسير فندى ابن طفيج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفيج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبوبع المتقي لله ابراهيم في شعبان فاقر الاخشيد وقل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو جدان في شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طفيج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافوري من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابي القاسم اوفو جور على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقي لله الى بلاد الشام ومعه بنو جدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقي ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلق المتقي وبوبع عبد الله المستكني لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد وبعث الاخشيد بجناك وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج خمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى علي بن عبد الله بن جدان بأرض قنسرين وحاربوه ومضى فأخذ منه حلب وخلق المستكني ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة اربع وثلاثين فاقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة فولى بعده ابنه (اوفو جور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي المادرائي وقدم العسكر من الشام اول صفر فلم يزل اوفو جور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع واربعين وثلاثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما في أيامه ويطلق له في السنة اربع مائة الف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافور أخاه (علي بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لآخيه في كل سنة وفي سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح بدمشق القرمطي الى الشام في سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فخرج كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك له أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أيا ما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن القرات ثم ولي (كافور) الخصى الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فولى (احمد بن علي) الاخشيد ابو الفوارس) وسنة احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طنج خلفه وأبو الفضل جعفر بن القرات يدبر الامور وسمل الاخشيدى العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سبع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سأل ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعة وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلاثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كانت عليه مدينة القسطنطين من كثرة العمارة) *

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزاء فسأله عن السمر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلة هل لك أن تعطينا بهذا السمر ما يد الناو يد الا قال نعم فأخذ منه ابو سلة ومز في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثنى يدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وقفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني التسمية في كتاب النقط على الخطط سميت الامير تيايد الدولة تميم بن محمد المعروف بالقاضي في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الطاهري عن القاضي أبي عبد الله القاضي قال كان في مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلول وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عشاء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القاضي في كتاب الخطط انه طلب لقسطنطين ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من اثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في اسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد الله لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل لهم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما بكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلاثمائة فرشة كل فرشة لحظية مئنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابو له اشتراها له فقام عليه اثنان وأجرة الصناعات والبناء بسبع مائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهلها اليها بعد أن كساهم وحلاهم وكر غير القاضي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطجاوي كتابا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدى استجبه ابو بكر محمد بن علي المادرائي فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك خلف بالايمن الغليظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرائي بمثل ما أقسم به لئن خرجت سستنا هذه ولم تكسب هذه الجلالة لا يجزئني ولم يزل في صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بجر بن سعد كان

على البريد في زمن احمد بن طولون وقته بخارويه وسبب ذلك ما كان في نفس علي بن احمد المادرائي منه فأغرى
 بخارويه به وقال قد بقي لا يلك مال غير الذي ذكره في وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فأنزل
 بخارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار بخارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه
 الى احمد المادرائي فحمله الى داره وأقبلت توقعات بخارويه ترد اليه بالصلوات والنققات فيخرجها من فضول
 اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علي في أيام
 الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فحفظها
 برجل ذخيره ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن علي المادرائي أنه قال بعث الى أبو الجيش
 بخارويه أن اشترى له ارديه وأقعة للجواري وعمل دعوة خلافيها بنفسه وبهم وغدت متعزاً لخبيره فقيل لي انه
 طرب لما هو فيه فنردنا نير على الجواري والغلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبني
 فلما خضرت وبلغني ذلك أمرت الغلمان فنزلوا في البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فحفظت بمال نير
 على اناس قطار منته الى البركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حل المغرب وفي القسطا دار
 تعرف بعد العزير يصب فيها من بهاء في كل يوم اربع مائة راوية ماء وحسبك من دارواحدة يحتاج اهلها في كل
 يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل وتعاطي التامل عن ساحل مصر ورأيت
 من نقل عن نقل عن رأي الاسطال التي كانت بالطاغات المظلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل
 مؤبدة يسكر وأطناب بها ترخي وتلا * اخبرني بذلك من أثق بقله قال وكان بالقسطاط في جهته الشرقية حمام من
 بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوي دخلتها في زمن بخارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا
 يخدمه في فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتي وقيل لي ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسات كم فيها من
 صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم
 ادخلها العدم من يخدمني بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجدته فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذي خدمني
 فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشغل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القاضي من عدد الحمامات وانها ألف ومائة
 وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب دينار
 وبيعت عشرة ارادب دينار في زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار
 عظيمة قبل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة
 وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرني بعض المشايخ العدول عن والده وكان
 من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدرا حصص مصلوق
 بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والخوانيت التي بها الحصص فتأمل اعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل
 على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة القسطاط وموضعه اليوم القضاء الذي بين كوم الجمارح
 وبين جامع ابن طولون ومسمى المعروف أن الاسواق التي تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التي هي خارجها
 ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من الماس كل هذا القدر فكيف ترى تكون جملة ما فيه من سائر
 اصناف الماس كل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير
 بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكافواهم وأولادهم فحوا
 من اربعين نفسا * وقال ابن زولاقي في كتاب سيرة المادرائين ولما تقدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى
 مصر استدعى ابو علي الحسين بن احمد المادرائي المعروف بابي زهور الدقاق وهو الذي سمىه اليوم الطحمان
 وقال ان الاستاذ مونس اقدواني ولي بمشئول قد رستين الف اردب قحفا اذا وافي فقم له بالوظيفة فكان يقوم
 له بما يحتاج اليه من دقيق حواري مدة شهر فلما اكمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه
 الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون في ضيائي علي * وأعلم مونس بذلك فقال انا آكل خير حسين
 لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فبقي الدقاق ثم ابا زبورو فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم
 منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذي مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة في المستقبل
 واعمل ما يريدك قال فبقيته وقد فرغ القمح وهي الحساب وأربع مائة دينار قال ايس هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفني منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بأربع مائة دينار حتى وهبها الدقاق قح وما ذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقي الاحوال وقال عن ابي بكر محمد بن علي المادرائي انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق في كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه تسعين ناقه لقبته التي يركبها وأربع مائة بلهازه ومبرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واهواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق في خمس حجرات آخر ألف دينار ومائتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقه لقبتها ومائة وخمسون عربيا بلهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل السترو وذوى الاقدار جارية من الدقيق الحواري فكان بضعاو ثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فن جملة ما ذهب له به ما يتأقص ديتي عن كل نوب منها خمسون ديناراً وقال مرة وهو في عطلة أخذ مني محمد بن طه الجعفي الاخشيد عينا وعرض لي مبلغ ثمانين وية دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذي أخذ أكثر وأنا واقفه عليه ثم قال لايه يا مولاي اليس تكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكتمتموها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرائي وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قدر آيت وقال الشريف الجواني ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضي مصر مع بأن المادرائي عمل في أيامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسهي افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض القايد المطيب بالمسك وعمل منه في اول الحال اشياء عوض له لب ذهب في صحن واحد فغضى عليه جملة وخطف قدامة تحاطفه الحاضرون ولم يعد له بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرائي انه عمل له هذا الافطن له وفي كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ علي السباط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السباط عدة صحون من ذلك البنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمى الاستاذ ذلك الرجل بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراه الناس وهو اذا اكل يخرج من فيه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا له وتزاحوا عليه فقبل لذلك من يومئذ افطن له وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبه فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لي انا اخبرك كان ابي في سوق الخشابين فأفق بضاعته ورثت حاله ومات فأسلمتني ابي الى ابن عقيل وكان صديقا لابي فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجري علي رزقا تقوت به فأني يوما في الحانوت وقد جلس استاذي ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشتري من ابن عقيل عود طاحونة بمخمسة دنانير فسمعت قوما من أهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في الليل فقلت له اني رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصت عليه الرؤيا فقال لي اي وقت رأيتها من الليل فقلت انتهت بمدرؤياي في وقت كذا فقال لي هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألحت عليه فقال استاذي ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيئا فقال لست آخذ الا عشرين ديناراً فقال له ابن عقيل ان قررت علينا وزنت انالك ذلك من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان سمحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يا خذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذي فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له في ذلك اليوم فليس لي عندك شيء ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذي قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذي ففتحتم اورششتها واستلقيت على ظهري ففكرت فيما قال لي ومن اين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان يتفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل ففكرت واني كذلك الى ضحى اذ وقف علي جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا لي قم فقلت لهم لست

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجذوني فأخرجوني من الدكان فقلت الى ابن فقالوا الى ديوان
الاستاذ أبي علي - الحسين بن احمد يعنون ابا زنبور فقلت وما يصنع في فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريد
منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشي فقالوا أكثر جارا تركبه ولم يكن معي ما أكثرى به
جارا فترعت نكة سراويلي من وسطى ودفعها علي درهم من لمن اكراني الجمار ومضيت معهم فجاءوا بي الى دار أبي
زنبور فلما دخلت قال لي انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدي انا غلام في حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى
قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فضيت معهم فجاءوا بي الى شط
البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جرع حتى بلغت
قيمتها ألفي دينار فقالوا لي انظر هذا الموضع الاخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو اكثر مما قومت بنحو
مترين فأعجلوني ولم اضبط قيمة الخشب فردوني الى ابي زنبور فقال لي قومت الخشب كما أمرتك فترعت فقلت
نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغفل فقلت هو قيمته عندي فقال لي خذها انت بألفي دينار
فقلت انا فقير لا املك دينار واحد فكيف لي بقيته قال ألسنت تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه
وفحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيئا شيا وتؤدي عنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علي - في الديوان
بالمال فكتب علي - ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصي به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا
وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لي ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت
بألفي دينار فقالوا لي وأنت تحسن تقوم لا يساوي هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علي - كتاب في الديوان وهو
عندي يساوي أضعاف هذا فقالوا لي اسمك لا اسمك احد وكانوا قد قومه قبلي لابي زنبور بألف دينار
فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ
فقالوا قد رأي رؤيا فز بدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل - من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فقول اسمك من
الديوان نعطك اذ بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار في وقتي هذا فخصوا الى حوانيتهم
والى منازلهم حتى جاؤني بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفي - وميزانه فضيت معهم الى صيرفي -
الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشدتها في طرف رداءي ومضيت معهم الى الديوان
وحولت اسماءهم مكان اسمي ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذي فقال لي قبضت
ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وترككت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ غن العود الخشب
فقال لا والله لا آخذ منك شيئا أنت عندي مقام ابني وجاء في الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذي العود
الخشب فغضى فهذا خبر رؤياي وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة
حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوي الافاض الذهب ونحن اليوم في زمن اذا احتج فيه الى عمارة شئ
من الاماكن السلطانية بخشب او غيره أخذ من الناس ما بغير غن او بأخس القيم مع ما يصيب مالكة من
الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكاف المشتري دفع المال في الحال وفي زمنا اذا
طرح البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل غنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل - من نصف
ما اشتراها به ويكمل الثمن امان من ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب يبيع بدون القيمة
لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقله شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد
ونحوه ولعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عهده وفي زمنا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التي كان
اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جلة اخرى
لاجرم أنه تظاهرها سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجي اليه ما تنق به وكيف لما علم
ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذه بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من
انتشار الخير في الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمري لو سمع
في زمنا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ
لقامت قيسامته وكيف اتسعت احوال الخساين حتى وزنوا ألف دينار في ساعة وانه ليعسر اليوم على
الخساين أن يزنوا في يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعادتهم وكان

القساط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن أهلها خمس طبقات وستا وسبعاً وربما سكن في الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيه في كل يوم أربع مائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يجذبها بحين أهلها وقد قال ابوداود في كتاب السنن شربت قنائة بمصر ثلاثة عشر شهراً ورأيت اترجة على بعر قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره في باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان في جنان بني سنان البصري خارج مدينة القساط وكانت بحيث لم ير أبداع منها فلما قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بني سنان هذه فاعجب بها وسأل إبراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل إلى الديوان في كل ستة عشر ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا يستطيع حصره إلا أن ما زاد على مائة ألف دينار أتصدق به ولودرهما هذا وله ولداً اسمه احمد بن إبراهيم بن سنان يوصف به لم وزهد والله تعالى اعلم

* (ذكر الآثار الواردة في خراب مصر) *

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الأحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون المحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه أنه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون المحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت المحمة الكبرى تحت القسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب إفريقية من قبل الأندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيوف وخراب الكوفة من قبل عدو من وراءهم يخفونهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الأبله من قبل عدو يخفونهم مرة بمرّة ومرة بمرّة وخراب الرى من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجرادة والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفي رواية وخراب أرمينية من قبل الرحف والصواعق وخراب الأندلس وخراب الجزيرة من سنابل الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال إن أسرع الأرض خراباً البصرة ومصر فقبل له وما يخفونهم ما وفيهم ما عيون الرجال والأموال فقال يخفونهم ما القتل الأهم والجوع الأغبر كما في البصرة كما أنها عامة جائحة وأمامهم فإن نيلها ينضب أو قال يبس فيكون ذلك خرابها وعن الأوزاعي إذا دخل أصحاب الرايات الصفراء مصر فلقحوا أهل الشام أسراباً تحت الأرض * وعن كعب علامة خروج المهدي الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة أعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثوري قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن الهيثم عن أبي الأسود عن مولى لشرجيل بن حسنة أوله عمرو بن العاص قال سمعته يوماً واستقبلنا فقال أيها لك مصر إذا رميت بالقسي الأربع قوس الأندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن أصبغ حدثنا احمد بن زهير ثنا هرون بن معروف ثنا حمزة عن الشيباني قال تلك مصر غرقاً أو حرقاً * وعن عبد الله بن مغلا أنه قال لا بد أن الاسكندرية قد فتحت فإن كان خوارك بالمغرب فلا تأخذ به حتى تلحق بالشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجرها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القراءان كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدين والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن مالم بن ابي سالم عن عبد الله بن عمرو قال اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا ابا محمد اعدت قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكتابان من الرمل وتاكل سباع الارض حباته

* (ذكر خراب القسطاط) *

وكان لخراب مدينة قسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي والثاني حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي * (فاما الشدة العظمى) * فان سببها أن السعرات رفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معذب الظاهر لا عزازدين الله ابي الحسن على الى قسطنطينية أن يحمله الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام في الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها ويمتد لها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعها في طلبها فخرت لذلك وعاشت الغلال عن المسير الى مصر فحق المستنصر وجهاز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامسك الغلال عن الوصول الى مصر وامتد لها بالعساكر الكثيرة ونودي في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضائق اهلها وجال في أعمال انطاكية فسبي ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسره ووجاعة كثيرة في شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القضاعي برسالة الى القسطنطينية فوافى اليه رسول طغرل السلجوقي من العراق بكتابة يامره بقتل الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية فأذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة التناهي بأمر الله العباسي فبعث القاضي القضاعي الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيئا كثيرا من اموال النصارى ففسد من حيث ذلك ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كبر في موضعه ان شاء الله تعالى واشتد في هذه السنة الغلاء وكثر الوفاة بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخسين وأربعمائة فحدث مع ذلك القسنة العظيمة التي خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على الحب مع النساء والحشم الى ارض الحب خارج القاهرة جزد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحق لقتله الاتراك وساروا بمجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهم من بقي منهم فشق ذلك على أم المستنصر فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبةا في هذا الجنس فحلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار في مصر اذ ذلك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امتدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة وحققت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاهم ابا سعد التستري فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به أم المستنصر الى العبيد فمدهم به بعد انهم زامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا في القول خلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصاروا الى امه فانكرت ما فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت القسنة ثانيا فالتدب المستنصر أبا الفرج ابن المغربي ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبراد منهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عتارب العداوة بين القسنتين الى سنة تسع وخسين فقويت شوكة الاتراك وضرروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضائق احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثر حاجتهم وقل مال
السلطان واستضعف جانبه فبعث أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم
الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتلوا عدة من اشرافهم في آخرها الاتراك على العبيد وهزمهم
الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه
الخبير انه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بمتمدى الاتراك الى المستنصر
فأنكر ما كان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من
يحضرتهم من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة الاتراك فجمعوا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى
الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام خلف
ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينقصل الامر امانه أو عليه وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت
الاتراك على العبيد وأنخنوا في قتلهم وأسروهم فعادوا الى القاهرة وتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى
افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبلا سكندرية أيضا منهم جمع كثير فساد ابن حمدان الى
الاسكندرية وحاصروهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يتق به واتقضت هذه السنة كلها في
قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربع مائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره
وصاروا مقرروهم في كل شهر اربع مائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق في الخزان مال
فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذروا اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بغير ذنوبكم فلم يجدوا من اجابتهم وخرج
ما كان في القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك في
واجباتهم وتجهيز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت ضرورتهم قد كبرت وضررهم وفسادهم قد
تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حل العبيد عليهم حلة انهزموا فيها
الى الجيزة فأخشوا عند ذلك في أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه
فأخذوا في اصلاح شأنهم ولم تشعهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة
شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفتر من بقي فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء
وجهر بالسوء للمستنصر واستبدت بساطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مخاف
للمستنصر فنقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبدت بالامور ونهم واستأثر
بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولا مهم على ما كان من تقويته
وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر
ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب
الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وتراعى عليه
وقبل رجله وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعد به بقتل
الذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى في اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة
وأقبل الوزير الخطير في موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن
بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعدت للعرب فبين معه فركب المستنصر بلامه الحرب واجتمع اليه الاجناد
والعامة وصار في عدد لا يحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن
حمدان وقتل كثير من اصحابه فحصى في طائفة الى الجيزة وتراعى على بنى سيس وترقىح منهم فغضب الامر بالقاهرة
ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الحيف
والميتات ووقف ارباب الفساد في الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به في أرقعة مصر فهلك من اهل مصر في هذه
الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن
حمدان بالبحيرة فسألت اليه ولم يوفق في محاربته فكسرها كاهوا واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال
فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا الخليفة القائم
بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضي يوم وليله من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدت الاجناد أيديها الى الذهب فخرج الامر عن الحدة ونجا اهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجلب وصفه وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ما هم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادي بالقاهرة فرضي بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فتمكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يتمكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك وشادي قد استبنت بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرر له وشجع به عليه فلم يوصله الا القليل فحرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجزيرة وخادع شادي حتى صار اليه ليلا في عتمة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشريف فأنه جعل أمر المستنصر وتلاشي ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا فسادا ابن حمدان الى البلد وليس في أحد قوة يمنع بها فلك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجدته وقد ذهب سائر ما كان يعهده من اية الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفي ناصر الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال فبكي الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له في كل شهر مائة دينار واستدت يده ويتكلم وبالغ في اهانة المستنصر بمبالغه عظيمة وقبض على امه وعاقبها اشد العقوبة واستصفي اموالها فحاز منها شيئا كثيرا ففرق حيث نزع المستنصر جميع أقاربه واولاده من الجوع فمهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجواني في النسابة في كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخمسين واربع مائة واقام الى سنة اربع وستين وأربع مائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلا يجرد من زرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فاقطعت الطرقات بزواجر الاباء والخفارة الكثيرة مع ركوب الفرر ونزول المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن يسع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل برزاق الفسادل كبسع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما ويسع اردب من القمح ثمانين دينار ثم عدم ذلك واكلت الكلاب والقطا ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد قد سكنوا بيوت اقاصير السقوف قريبة من يسمى في الطرقات ويظوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مزجهم أحد سالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالاشباب وشترحوالجه واكاهه * قال وحديثي بعض نساء الصالحات قالت كانت لسان الجارات امرأة ترينا انفاذا وفيها كالحفر فكأنسا لها فنقول اننا نحن خطفي اكلة الناس في الشدة فأخذني انسان وكنت ذات جسم ومن فادخني الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعتني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرع من انفاذي شرائع وأنا استغيث ولا أحد يجيبني ثم اضرم الفحم وشوي من لحمي وأكل الكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو فأخذت في الحركة الى أن انجل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحملت الرباط وأخذت خرقا من داره ولقفت بها انفاذي وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتي وعزفتهم بموضعه فخصوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء في انفاذي سنة الى أن ختم الجرح وبقي كذا حفر او بسبب هذا الغلاء خرب القسطنطين وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالي الى مصر وقام بتدبير أمرها فقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكما نافيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال القسطنطين بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) * وكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية

الى بليس الامدينة دمشق قط وصار امر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام في منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان وخسين وخمسة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبدت بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جوعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فساو شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة في قتل امرأ الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استجد بالسلطان نور الدين محمود بن زكي صاحب الشام فأمنجه وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الاولى سنة تسع وخسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا تصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه في بليس فانهزم وعاد الى مصر فقتل شاور بين معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره في البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأقوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة ونظاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فقتل شاور في القس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فقتل على الرصد استولى على مدينة مصر وأقام اياما مال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فقتل شاور بالقوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهزم فلك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخسين فأخلف شيركوه ما وعده السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بليس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقائل الشاميين فحرق وقائع واحرق وجه الخليج خارج القاهرة بأمره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفريق واستجدهم فطمعوا في البلاد وخرج منهم ملى هم مرى من عدلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بليس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفريق وحصره بها وكانت اذ ذلك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب منه من بلاد الفريق وأخذها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عودته الى الشام فخرج في ذي الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتي عشرة وخسين فجهزه نور الدين الى مصر في جيش قوى في ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى ملى الفريق مستجدا به فساو بجموع الفريق حتى نزل بليس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من اطفح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فحفظ في يده ونهض للفرار من بليس ومعه الفريق فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فلكها وأقربها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفريق وحصر الاسكندرية أشد حصارا فساو شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امورات الى الصلح وسار شيركوه بن معه الى الشام في شوال فطمع مرى في البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفريق وتقرر لهم في كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفريق وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفريق في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكسفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من اجناس الفريق وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفريق غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ان يلقى ديار بريضيم بها وسار فقتل على بليس وحاصرها حتى اخذها عنوة في صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسار العاضد كسبه الى نور الدين وفيها شعور نساءه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفريق وسار مرى من بليس فقتل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا اموالهم وأثألهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا بعباءة ولا بدولاء ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر ديناراً وكراء الجمل الى ثلاثين ديناراً ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ويتظنون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بليس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نפט وعشرة آلاف مشعل نار فترق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظر امهول ولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتقام اربعة وخسين يوماً والنهاية من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مري من بركة الحبش ونزل بظلمة القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل اهلها قتالاً كثيراً حتى زلزلوا زلا شديداً وضعت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفريق وجرحت امورات الى الصلح على مال فيناهم في جبايته اذ بلغ الفريق محجى اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فدخلوا في ربيع الآخر الى بليس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان من حينئذ خرجت مصر القسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها واقترع اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغلب لصاحبهم وسفه رأى شاور في احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكلوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اى مكان نرجع وفي اى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جيلاً وترفق بهم وأمر فتودى في الناس بالرجوع الى مصر فراجع اليها الناس قليلاً قليلاً وعمر وما حول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب لستى خمس وست وخمسة فخرت من مصر جانب كبير ثم تحيا الناس بها واكثروا من العمارة بجانب مصر الغربى على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل كئيباً سنة ست وتسعين وسبعمائة فخرت كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخرت ثم تحيا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامراً الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فخرت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرت كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيئاً بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر ويبيع اتقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن وتلك التى اهلكهاهم لما ظلموا وجعلناهم هلكهم موعداً

* (ذكر ما قبل في مدينة قسطاط مصر) *

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء القسطاط والقاهرة والجزيرة والجزيرة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو القسطاط وبلى القسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار وأعظم اجزاء القسطاط موضع في غورفانه يعالوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق اعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى القسطاط من الشرق او من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسقلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة القسطاط وشوارعها ضيقة وانبثاها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها بيئة أراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل القسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنابير

والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس في شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخزرات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال القسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط وهي أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى أنك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب التنظيف في اليوم الواحد وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه وحيثه غبار كثير ويعلوه في العشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدرا أسود وأغبر سيما إذا كان الهواء سليما من الرياح وإذا كانت هذه الأشياء كما وصفنا فمن البين أنه يصير الروح الحيواني الذي فيها حاله كهذه الحال فيقول إذا في البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الآن الفأهل القسطاط لهذه الحال وانهم بما يعوق عنهم أكثر شرها وان كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا في الامراض وما يلي النيل من القسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء وأهل الشرق أصح حالا لتخترق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والجرأ الآن أهل الشرف الذي يشربونه أجود لانه يستقي قبل أن تتخالطه عفونة القسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار القسطاط من المرور بها وإذا هبت ريح الشمال مرتت بأجزاء كثيرة من بخار القسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من القسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل وإذا كان في الشتاء وأول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع في القاهرة وبأكلها أهل القسطاط فيجتمعون في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة أبدانهم في هذا الزمان لكان ذلك يولد في أبدانهم أمراضا كثيرة قاتلة الآن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة القسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء إذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض ما خلا أهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما في المدينة الموضع الغائم من القسطاط ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا في النادر وصاروا من السعاية والاعتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل واكثروا سوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخرى ومن قد تدرّب في الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمن جعلها بمنف وهي مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكائن * وأما قسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب قسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقل قسطاط عمرو وتد اوت عليها بعد ذلك ولاية مصر فاتخذوها سرايرا للسلطنة ونضاعت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امانهم عليها الى أن رسخت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يتر النيل مع طولها ويحيط في ساحلها المراكب الا تبت من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منترحات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها يشبه الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها وأسواق ضخمة الانماضقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذبذبت القاهرة ضعفت مدينة القسطاط وفرط في الاعتبار بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العتيبي

أحن الى القسطاط شوقا وانني * لادعوا لها أن لا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هي قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرّد * وقال
عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو
فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومناجر فخام ولهها ظاهر
أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على عزم الأيام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة
والكوفة الا انها أقل من ذلك وهي سجة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخسا
وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيتهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان
للجمعة بني أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بنىه احمد بن طولون وكان خارج
الفسطاط أبنية بناها احمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جندة تعرف بالقطنع كجاني بنو الاغلب خارج القيروان
وقادة وقد خربنا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطنع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد
ولما استقرت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي احد أصحاب العزبة فرأيت عند باب زويلة
من الحجار المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جله عظيمة لاعهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى
أن اركب حمارا آخر فأنتفت من ذلك جريا على عادة ما خلقت في بلاد المغرب فأعلمني انه غير معيب على اعيان مصر
وعاينت الفقهاء وأصحاب البرة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكبا اشار المكارى
على الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعشى عيني ودنس ثيابي وعانيت ما كرهته وقلته معرفتي بركوب
الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقله رفق المكارى وقفت في تلك الظلة المشارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشدة البوار ركوب الحمار وكل الغبار
وخطي مكار يفوق الرياح لا يعرف الرقبهم في استطار
اناديه مهلا فلا يرعوى الى أن سجدت سجود العشار
وقدمته فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعني الى المكارى اجرته وقلته احسانك الى أن تتركني امشي على رجلي ومشييت الى أن بلغتم واقدرت
الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميادين ولما اقبلت على الفسطاط ادبرت عنى المسرة
وتأملت اسوارا مثله سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بعبان سنية
الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والتخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من
التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس التنظيف ويغض طرف الطريق فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال
الى أن سرت في اسواقها الضيقة فقايت من ازدحام الناس فيها بجوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا يفي
به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعابنت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت
به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعابنت جامعاً كبيراً قديم البناء غير مزخرف
ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالاً ونساء قد جعلوه معبرا
بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرّب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات
والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في امكنة عديدة غير محتشمين بل جرى العادة عندهم بذلك
وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما كلكهم مطروحة
في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في
صحنه وحيطانه مكتوبة بالفهم والحجة بخطوط قيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع
المذكور من الرنق وحسن القبول وانسباط النفس ما لا يتجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي
في صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت انه سر مودع من
وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحة عند بناه واستحسن ما أبصرته فيه من خلق المصطفى للاقراء
لقرآن والفقهاء والنحو في عدة اماكن وسأت عن واردة ارزاقهم فأخبرت انهم من فروض الزكاة وما شبه ذلك

ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب إلا بالجاء والتعب ثم انفصلنا من هناك إلى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير تظيف ولا تمتنع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سوراً ييض إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمرالكب وأصناف الارزاق التي تصل من جميع اقطار الارض والنيل ولئن قلت اني لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فاني اقول حقاً والنيل هناك ضيق لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت إلى جهة القسطنطينية وبجسورها المبيض الشاى حسن منظر القرعة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتداً من القسطنطينية إلى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر إلى البر الغربي المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه وأكثر جوار الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بمحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين الجزيرة والقسطنطينية راساً كما احترما لموضع السلطان وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من القسطنطينية أحسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جعلت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضفى يرف على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرغى * ويطغى حناها وهو يلعب بالترد
غدا ماؤه كالريق من أحبه * فمدت عليه حلبة من حل الخلد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المذكور

قلت هذا لاني لم اذق في المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المذ الذي يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فإذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدني علم الدين نحر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة في مدح القسطنطينية واهلها

حبذا القسطنطينية من والده * جنب اولادها در الحفا
برد النيل اليها كدرا * فاذا ما نبح اهلها اصفا
لطفوا فالمرن لا يألفهم * بخلا لما وآهم أطفافا

ولم أرى في اهل البلاد ألطف من اهل القسطنطينية حتى انهم ألطف من اهل القاهرة وبينهما نحو حويلين وبجدة الحال أن اهل القسطنطينية في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم العجبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على القسطنطينية من متاجر البحر الاسكندراني والجزر المجازي فانه فوق ما يوصف وبها تجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز إلى القاهرة وسائر البلاد والقسطنطينية مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا الجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالقسطنطينية وكذلك ما ينسج وبصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفعة السلطانية والحرايب في القسطنطينية كثير والقاهرة أجند وأعمر وأكثر زجة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة القسطنطينية الآن لجوارتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تهيج الناظر يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

* (ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها) *

قد تقدم من الاخبار جلة تدل على عظم ما كان بمدينة قسطنطينية مصر من المباني وكثرتها ثم الاسباب التي أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التي صنعت في خطط مصر كإيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لهذه اثنين وخمسين خطأ ومن الحارات ثنتي عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقاً ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخلوخ المشهورة خمسة وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقاً ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطأ ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المشهورة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن اليرك خمس يرك ومن السقايق خمس وستين سقيفة ومن القياسر

سبع قياس ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس
عشرين محرساً ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً ومن
المساجد أربع مائة وثمانين مسجداً ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانين زوايا ومن الربط التي
بمصر والقراة بضعا وأربعين رباطاً ومن الاحباس والاقواق كثيراً ومن الحمامات بضعا وسبعين حماماً
ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة وقدياد أكثر ما ذكره ودثر وسيرد ما قاله من
ذلك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) ان مدينة مصر محدودة الا ان يحدود أربعة *
فحدّها الشرقى اليوم من قلعة الجبل وأنت أخذ الى باب القراة فتمت من داخل السور الفاصل بين القراة ومصر
الى كوم الجمارح وتتم من كوم الجمارح وتجعل كيمان مصر كما هي عن يمينك حتى تنتهي الى الرصد حيث اول بركة
الحبس فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدّها الغربى من قناطر السباع
خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضاً طولها من جهة المغرب *
وحدّها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحد الغربى الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى
الحد الشرقى فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسمى اهل مصر الجهة القبلىة * وحدّها البحرى
من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربى الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقى فهذا عرض مصر من
جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية وما بين هذه الجهات الأربع فانه يطلق عليه الا ان مصر فيكون اول
عرض مصر في الغرب بحر النيل وآخر عرضها في الشرق اول القراة وأول طولها من قناطر السباع وآخره
بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففي الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقه حكر أقبحا
ومن غربيه المريس ومنشأة المهراني ويحاذى المنشأة من شرقى الخليج خط قنطرة السد وخط بين الزقاقين
وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقى خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكارة
وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطل على النيل وهي متصلة الى جسر الافرم
المتصل بدير الطين وما جاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هي أعمر ما في مصر الا ان وأما الجهة الشرقية فليس فيها
شيء عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القراة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة
نفيسة من قلبه الفضاء الذي كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجمارح ثم خط كوم الجمارح وما بين كوم
الجمارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهي الخطط التي ذكرها القضاى
وخربت في الشدة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور مصر كما تقدم وأما عرض مصر الذي من قناطر
السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة القيل الصغرى ويجاور خط السبع سقايات ويجاور الدور التي
على هذه البركة من شرقها خط الكيش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهى الى الفضاء الذي
يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش
فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وما عدا ذلك فقد خرب بجزر اب الخطط وكان فيه خط بنى وائل وخط راشدة
فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الجراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وما عدا ذلك
فانه يبين من ذكر ساحل مصر

* (ذكر ساحل النيل بمدينة مصر) *

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأن بحر النيل كان
ينتهى الى باب قصر الشمع الغربى المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل
حائل ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاء الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن
مروان لما قدم على اخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافة بني فيه فلما زالت دولة بني امية
قبض ذلك في الصوافى ثم اقطعه الرشيد المرسى بن الحكم فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره
وذلك أنه كان قد اخط فيها المسلمون شيئاً بعد شيء وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة
حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاى كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريح قائمة سبع درج حول ساحل البها الى ساحل البورى اليوم فعرف ساحل البورى بالمعاريح الجديد يعنى بالمعاريح الجديد موضع سوق المعاريح اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الجراوات الثلاث فالجراة الاولى من جملةها سوق وردان وكان يشرف بغريبه على النيل ويجاوره الجراة الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة الجراة القصوى وهى من بحرى الجراة الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الجراة القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقها وبأخر الجراة القصوى الكبش وجبل يشكرو كان الكبش يشرف على النيل من غريبه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريح اليوم الى دار التفاح بمصر وانت مارة الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجبر اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشايق فانه كان يشق بأعلام ارباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريح وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاى رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب فى هذا الزمان القالوص بحذف الالف فأما القالوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها قالص وقلاص وقلاص والقلاص من الجبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلاص لانه فى مقابلة الجبل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبا بك ولعل الروم كانوا يفتقون لراكب هذا الجبل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم قوله من باب مصر المذ كور يعنى المجاور للكبارة والى المعاريح جميعه كان يحرا بحرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريح كان موردة سوق السمك يعنى ما ذكره القضاى من أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالمعاريح الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنافيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غريبه متصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على ينة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جارى وقف الخاقية التى تعرف بالواصلة بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذ كور يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا امرأعة مصر المسلول منبأ الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عن نقل عن رأى هذا القالوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المظلة على بحر النيل من الرباع والدور المظلة وعد الاسطال التى كانت بالطافات المظلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤيدة بيكر مؤيدة فى اطنا بترخى بها وتلا أخبرنى بذلك من اثنى بنقله وقال انه أخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبل الجامع الجديد يعنى بستان العالمتين كوم المشايق يعنى كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهرة شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبل بستان العالمة موجودا أراه وأعرفه الى أن اشتري أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرطاي المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب الابن وقطع الاساس الحجرى به فزال السور المذ كور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل وأول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة وبين الجزيرة وصار الناس يمشونهم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدى وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيد خليفه حتى اتصل بخلج بنى وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يسافلا كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل في ذلك الختم الصغير واستوى في المساعدة السوقية والأمير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعدما كان عند الزيادة يصير جرد ولا رقيقاً في ذيل الروضة فإذا اتصل ببحر بولاق في شهر أرباب كان ذلك من الأيام المشهورة بمصر فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيمادار بالروضة فأخذ في الاهتمام بذلك وعثر على عدة مراكب مملوءة بالبحارة في بئر الخيرة تجاه باب القنطرة خارج مدينته مصر ومن قبلي جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلاً قليلاً وتكاثر أولاً فأولاً في بئر مصر من دار الملك إلى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان في الدولة الصالحية يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب رملته تترغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذي هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بحده ونفسه وي طرح بعض رمل في هذه البقعة شرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالم المملوك عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وإنما عرف بالعالم لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالم فعمرت بجانبه منظره لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنطرة المذكورة فلما توفيت بني البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شوالاً لبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد كثرت العمائر من حدموردة الخلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضاً ما وراء الجامع من حد باب مصر الذي كان بحراً كما تقدم إلى حد قنطرة السد وأرد كذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخر خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا قليل من الدور وموضعه كما تقدم كان في قديم الزمان غامراً بماء النيل ثم ربي جرفاً وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب أيضاً خط موردة الخلفاء وكان في القديم غامراً بالماء فلما ربي النيل الجرف المذكور وترتبت الجزيرة قد أم الساحل القديم الذي هو الآن البكرة إلى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد عمرت موردة الخلفاء هذه واتصت من بحر يها بمنشأة المهراني ومن قبلها بالاملاك التي تمتد من تجاه الجامع الجديد إلى دير الطين وصارت موردة الخلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلل وغيرها وبعلاً منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هنالك ثم صار ينشف في فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك إلى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضاً من الاماكن التي كانت بحراً تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهي من آخر خط قنطرة السد إلى قريب من البكرة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستاناً وشوياً إلى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذي صار صناعة وعرف الآن ببستان الطوائف ولم يبق الآن بخط المراغة الامساكن بسيرة حقيرة

* (ذكر المنشأة) *

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل في طريق الجراء القصوى وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جلته بستان عرف ببستان الخشب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالبريس فلما كان بعد الخمسمائة من سني الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الا في ذكره في الاحكار ظاهراً القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليبساني أنشأ بها بستاناً عظيماً كان يبرأ أهل القاهرة من ثماره وأعنا به وعمر بجانبه جاء عاوني حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثر بها العمارة وأنشأ بها موقد الدين محمد بن أبي بكر المهدي العثماني الديباجي ببستاناً دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس وكان النصف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان
بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق شيء منه اثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر
تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة
أعقاب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمئة وكان الموفق
الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل
الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وصكان من الزامه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة
المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الخراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما
وعرف موضعها بالكوم الأحمر من اجل انه كان يعمل فيها الفنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا
المالك الظاهر يبصر في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك
وانشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني
دارا وسكنها وبني مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور أقول من ابنتي
فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني واكثر وامن العمار حتى يقال انه كان بها فوق
الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأما مثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل
على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الحديد
خط دار النحاس وهو مطلق على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط
يعرف بها * قال القاضي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير
مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه
الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة البحر من الازد فاشترها عمر بن مروان وبناها فكانت في يده ولده
وقبضت عنهم وبيعت في الصواني سنة ثمان وثلاثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحامها
فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق
الاشراف ذوالباين أحدهما من رحبة امامة والثاني شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على
النيل (جسر الافرم) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الانبار كان مطلقا على النيل دائما
والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيديمر الافرم الصالحى النجمي أمير جندار
وذلك أنه لما استأجر بركة الشعبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن
للناس في تحكيرها فحكرت وبني عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر
محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنيوا وتأفقوا وتفننوا في بديع الزخرفة
وبالقوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحدة في كثرة انشاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر
خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا
الجسر بأسره وذهبت دورته * وأما الجهة الشرقية من مصر ففما قلعة الجبل وقد أفردها لخالها خبرا مستقلا يحتوي
على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع
والعسكري وبخط باب القرافة الفضاء الذي كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر عمارات
كروم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون بني الله يوسف صلوات
الله عليه ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعبر
بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذي أخرجه يوسف من الحب مالك بن دعر بن حجر بن جزيمة
ابن نعيم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القاضي كان الموقف
فضلا لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدق به على المسلمين فكان موقفا تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد
ذكرته في الظاهر يعني في خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط اهل الظاهر * وقال ابن المتوج
بقعة (خط الصفاء) هذا الخط درجيعه ولم يبق له اثر وهو قبلي القسطا اوله بجوار المصنع وخط الطمانين

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من اكابر المصريين اكثرهم عدول وكان الماريين هذين الصفيين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جلته طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بمصر اعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمدر خام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر في دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطمانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الاخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسماني ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذي يلي كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانهما الخطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أبقاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة * وأما الجهة القبليّة من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ست مائة لما أنشأ صاحب نجر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك وعمر الناس في جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلي هذه البركة البستان الذي كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبليّة طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المظلة على البركة التي يقال لها بركة فارون وهي التي تجاور الآن حدره ابن قتيبة وهي من جملة الحجر القصى وبقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش وقد ذكر في الجبال وبأني ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكبش خط الجامع الطولوني ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

* (ذكر ابواب مدينة مصر) *

وكان افسطاط مصر ابواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب آخر * (باب الصفاء) * هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهي في كمالها ومنه تخرج العساكر وتعب القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم في ايام الملك الظاهر بيبرس * (باب الساحل) * كان يفضى بالسكة الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكبارة * (باب مصر) * هذا الباب هو الذي بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراعة وهو مجاور للكوم الذي يقال له كوم المشانق ويعرف اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامر اجاء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراعة والموضع المعروف بغيظ الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سور يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعريه والى باب البحر يريد أن يمتد السور من باب البحر الى الكوم الاجر الذي هو اليوم حافة خليج مصر تحياه مصر خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاجر الى باب مصر هذا فلم يتهيا له هذا وانقطع السور من عند جامع المقبس وزاد في سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومدة السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور * (باب القنطرة) * هذا الباب في قبلي مدينة مصر عرف بقنطرة بني وائل التي كانت هناك وهو ايضا من بناء قراقوش

*** (ذكر القاهرة القاهرة المعزدين الله) ***

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سري السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية وذلك أن الإمارة كانت بمدينة القسطنطينية ثم صار محلها العسكر خارج القسطنطينية فلما عمت القسطنطينية دار الإمارة إلى أن خربت فسكن الأمراء بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر بعا كرمولاء الامام المعزدين الله معتمد فبنى القاهرة حصناً ومعقلين يدي المدينة وصارت القاهرة دار خلافة بنزلها الخليفة بحججه وخواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة إلى قلعة الجبل فسكنها بحججه وخواصه وسكنها الملوك من بعده إلى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بمدما كانت حصناً يعقل به ودار خلافة يلجأ إليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحسرن وكذلك كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك في أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان مومعة غمدان وهدم الاطام التي كانت بالمدينة وقدهدم زياد كل قصر وصنع كان لابن عامر وقدهدم بنو العباس مدن الشام لبني مروان (واذا تأملت البقاع وجدت بها * نشق كاتشقي الرجال وتسعد) وسأني من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما تنتهي اليه قدرتي ويصل الى معرفته على وفوق كل ذي علم عليم

*** (ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناء القاهرة) ***

اعلم أن القوم كانوا ينسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والناس فريقان في امرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمتنع وينقيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغمهم أدعياء من ولد ديصان البوني الذي ينسب إليه النبوة وأن ديصان كان له ابن اسمه ميمون القديح كان له مذهب في الغلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالم بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وأنه رتب سبع دعوات يندرج الإنسان فيها حتى يغفل عن الأديان كلها ويصير معطلاً باحياً لا يرجو أباً ولا يخاف عقاباً ويرى أنه وأهل فحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعاً وكان يدعو إلى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وأنه كان من الأهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكر وفقر إلى البصرة فاشتهر أمره وسار منها إلى سبلية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه احمد ومات فقام من بعده احمد وبعث بالحسين الأهوازي داعية إلى العراق فلقى أحمد بن الحسين الأشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه إلى مذهبه فأجابته وقام هناك بالامر وإلى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القديح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشعاع فلما مات احمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه ابو الشعاع وكان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصارت تحت حجره وبعث ابو الشعاع بداعيين إلى المغرب وهم ابو عبد الله وأخوه ابو العباس قتلوا في البربر ودعوا واشتهر سعيد بسلبية بعد موت عمه وكرمه له فطلبه السلطان في سبلية إلى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشري فورد عليه كتاب الخليفة يبعده بالقبض عليه ففاته وصار بسبلية ماسة في زى التجار فبعث المعتضد من بغداد في طلبه فأخذ وحبس حتى أخرجه ابو عبد الله الشيعي من محبسه قسمي حينئذ بعيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار اماماً علوياً من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القديح بن ديصان البوني الأهوازي وأصله من الجوس فهنا قول من ينكر نسبهم وبعض منكري نسبهم في العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وأن الحسين بن احمد المذکور تزوج امرأة يهودية من نساء سبلية كان لها ابن من يهودى حداد مات وترك لها فرناه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى على بن ابي طالب رضي الله عنه قد كانوا اذ ذلك على غاية من وفو العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعةهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي اولاً

يهودى - فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس
عند ما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصفت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بنى
العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت
عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتفجير الكافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم
خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمرأ دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن
انفسهم وساطانهم معزة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر
ذلك ببغداد وأبجل القضية بنفهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفيان
الرضي والمرضى وابو حامد الاسفرايخي والقدروري في عدة وافية عند ما جعوا لذلك في سنة اثنتين وأربع مائة
أيام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بنى
العباس الطاعنون في هذا التسبب والمتطهرون من بنى علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم
الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من
وراء هذا وكفالك بكتاب المعتضد من خلافت بنى العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب
بالقيروان وابن مدراريس الجعاسية بالقبض على عبيد الله فتفطن اعزله الله لجهة هذا الشاهد فان المعتضد
لولا حجة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يدعون
له بوجه وانما يتقادون لمن كان علويا يخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعاء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة
من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بنى علي بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم اهلهم
في كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شرير وبين خائف يتربص ومع ذلك فان
لشيعة الله كثيرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة اهلهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكثر قيام الرجال منهم
مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جده
عبيد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذر من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة
فرقا بينهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهو لا يعرفون من بين فرق الشيعة
بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسمعيل وأن الامام بعد اسمعيل بن جعفر
الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب
وكانوا اهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الائمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن
من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفي كامة ونفقه تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم علي محمد بن
جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا
أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة في سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض
وكان من جملة دعايته ابو عبد الله الشيعي فسيره الى المغرب فلقى كامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد
لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من امره
ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر عشر رجلا هذه خلاصة
أخبارهم في انسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

* (ذكر الخلفاء الفاطميين) *

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أباعبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعي سار الى أبي القسم الحسين
ابن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن
حوشب من المغرب خبر موت الخواري داعية في المغرب ورفيقه فقال لابي عبد الله الشيعي قد خرب الخواري
وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج
كامة بجليس قريبا منهم وسمعه يتحدثون بفضائل البيت فحدثهم في معناه فوالوا اليه واولوه أن يأذن لهم
في زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسروا بحبته ورحلوا وهو رقيقهم

هكذا يبايض بالاصل واعله
اربعة عشر رجلا كما يؤخذ
من بعض التواريخ اهـ

فشاهدوا من عبادته وزهده ما زادهم رغبة فيه هذا وهو بسألهم عن احوالهم وقبالهم حتى صار يعرف جميع امورهم فلما وصلوا مصرهم فصار قتهم فقالوا اى شئ نطلب من مصر فقال اطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا نفع لك وما زالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقرعوا فبين يضيفه منهم ومن بقية اصحابهم ووصلوا به ارض ككتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وما تين وكلدوا يحترقون عليه ايمهم ينزل عنده فابى أن ينزل عندهم وقال اين يكون فيج الاخبار فمجبوا لذلك اذ لم يكونوا ذكره له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فيج الاخبار وما سمى الا بكم ولقد جاء في الاثار للمهدى هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخبار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ويخرو حكم في هذا الفج سعى فيج الاخبار فتساعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لا يدكر اسم المهدى البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن الاغلب أمير افر بقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابي عبد الله ومخاربه له لخالفه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فمات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر ابي عبد الله وانتشرت جنوده في البلاد وصار يقول المهدى يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيا طوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر ابي عبد الله واكثر من ذكر كرامات المهدى والارسل الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث رجال من كاتمة الى سلمية من ارض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفى فخرج من سلمية فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما الهامو واليهما فاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشري أمير مصر المكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه ياخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان في طلبه ويقال ان النوشري ظفر به فناشده الله في امره فغلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطنطينية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس يأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سلجماسه وأقام بها وقد اقيمت له المراسد بالطرقات فتلف بالبيع بن مدرار صاحب سلجماسه وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابي عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر ما معهم وقتل اكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يشيره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يسيع اللحم وما زال ابو عبد الله يضايق زيادة الله الى أن قرأ الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امره وملك ابو عبد الله القبروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين وما تين فأمر ونهى وبث العمال في الاعمال وقتل من يخاف شتره وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله وفي الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ووسم الخيل على أعقابها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الذون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة احتزلها المغرب بأمره يريد سلجماسه فخاربه البيع يوما كاملا الى الليل ثم فرق خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركبهم بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يكي من شدة الفرح حتى وصل بهم الى فسطاط ضرب به في العسكر فأنزلهم فيه وبعث الخيل في طلب البيع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسه أربعين يوما ثم سار الى افر بقية في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له في جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فن أجاب قبل منه ومن ابي قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق ما بقى على وجوه كاتمة وقسم عليهم أعمال افر بقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على ابي عبد الله ونافس المهدى وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه ابي العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدى في مجلس أخيه ويؤنب اخاه على ما فعل حتى أنثر في نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس في القصر وكان قد بلغ المهدى ما يبجهر به ابو العباس

من السوء في حقه فرداً بأعبد الله ردّاً لطيفاً وأسرّها في نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقتدين بالمهديّ وقال ما هذا بالذّي كُنا نعتقد طاعته وندعو اليه لأن المهديّ يأتي بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهديّ بذلك وقال له ان كنت المهديّ فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهديّ وبين أبي عبد الله وأوجس كلّ منهما في نفسه خيفة من الآخر وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهديّ والمهديّ يحلّ ما كان يبرمه ثم رتب رجالاً فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهديّ ثار بهما الرجال فقال أبو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذي امرتنا بطاعته امرنا بذلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فنارت قننة بسبب قتلهم أفر كعب المهديّ حتى سكنت وتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد إلى ابنه أبي القاسم وتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهاز في سنة احدى وثلاثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر فأخذ بركة والاسكندرية والقيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدّة حروب وعاد إلى الغرب فجهز المهديّ في سنة اثنتين وثلاثمائة حباسة يجيوش إلى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من امره ما تقدم ذكره وكان للمهديّ ببلاد المغرب عدّة حروب وكان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاريّ على دولته فبنى المهديّة وأدار عليها سورا جعل فيه ابواباً زينة كلّ مصراع منها مائة قطار من حديد وكان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة وبني المصلى بظاهرها وقال إلى هنا يصل صاحب الجاربيّ أبي يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال اثنا عشر هذه لتعصم القواطع بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم في سنة ست وثلاثمائة على جيش إلى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاشموين وكثيراً من صعيد مصر وكانت هناك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد إلى المغرب وخرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة بالجيوش إلى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهديّة من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافة اربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً وليلتين أخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهديّ إلى عهده (القائم بأمر الله أبو القاسم محمد) * ويقال كان اسمه بالشرق عبد الرحمن فسمي في بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية في المحرم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريد وعمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة ابيه وثار عليه جماعة فظفروا بهم وبث جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنوا من بلد جنوة وبعث جيشاً إلى مصر فلكوا الاسكندرية والاششيد يومئذ أمير مصر فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار النكاريّ الخارجيّ بأفر يقية واشتدت شوكرته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه تكفير أهل الملّة ورافة دعاتهم ديانة فلك باجحة وحرّقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالانقلة من زويله وقوى أمر أبي يزيد ونازل المهديّة وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهديّ أنه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيراً من أصحابه وكانت له قصص وأبناء إلى أن مات القائم ثلاث عشرة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبراً ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العبد مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة وستة أشهر وأياماً وترك أبا الظاهر اسمعيل وأباعد الله جعفر أوحزة وعدنان وعدّة آخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل) * وكتم موت ابيه خوفاً أن يعلم أبو يزيد فانه كان قريباً منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكّة ولا الخطبة ولا البنود وجد في حرب أبي يزيد حتى ظفروا به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال سنة احدى واربعين وثلاثمائة عن احدى واربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل ولد في ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة بالمهديّة وقيل بل ولد في سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلاثمائة وكان خطيباً بليغاً رقيق الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله أبو تميم معد) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلاثمائة فاقاد اليه البربر وأحسن اليهم فغظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الاميريزى بن مناد الصنهاجى فذوق المغرب واقفتح مدنا وقهر عدة اكابر وأسرههم حتى اتى البحر المحيط فأمر باصطباد ممكته منه وسيرها في قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذى لا عمارة به ثم قدم غانما مظفرا فغظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كامة فدخاوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لأم الامراء وانما الآن بحيث تسمع كلامى أترى اخواننا يظنون انافى مثل هذا اليوم نأكل ونشرب وتتقلب في الثقل والدياج والحريز والفنك والسمور والمسك والخمر والبقاء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضر تكلم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم وانى لا افضلكم فى احوالكم الا بما لا بدلى منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امامتكم وانى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب اجيب عنما يخطى وانى لا اشتغل بشئ من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم وبذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ فى خلواتكم مثل ما فعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فيزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم ويتخذوا على من وراءكم بمن لا يصل الى كتحنى عليكم ليصل فى الناس الجمل ويكثر الخير ويستمر العدل وأقبلوا بعدها على نساءكم والزمو الواحدة التى تكون لكم ولا تنسوها الى التكنون من الرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف شحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتمكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انمضوا رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مذهب صاحب بيت المال وهو فى وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شد عنى ترتيبها فانظرها وربها قال فأخذت اجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والقراشين فأخذت اليه أعلمه فأمر برفعها فى الخزائن على ترتيبها وأن يطلق عليها وتختبم بخاتمها وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جلستها أربعة وعشرين ألف دينار وذلك فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التى سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة * ولما أخذ فى تجهيز جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تم بأمره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقل الى شيوخ كامة يقول يا اخواننا قد رأينا أن تنفذ رجالا الى بلدان كامة يقيمون بينهم يأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم فى بلادهم فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لولا ناول الله لافعلنا هذا أبدا كيف تؤدى كامة الجزية ويصير عليها فى الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثنا معكم بالايان وسيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كامة فدخاوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذى صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعة ما كايامولا نانا الذى يؤدى جزية تبقى علينا فقام المعز فى ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا اريد أن تكونوا وانما أردت أن اخبركم فانظروا كيف أنتم بعدى فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر فى ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بنى جدان وصلت اليك كتبهم يذلون الطاعة ويعدون بالأسارعة فى المسير اليك فاسمع لما ذكره لك احذر أن تبندى احدا من آل جدان بمكاتبة ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجليل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فينوح جدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم فى الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا لآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى احدهم منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فبين يخلفه فى بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن على الامير فاستدعاه وأسرا اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال تترك معي أحد أولادك أو اخوتك يجلس في القصر وأنا ادبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجيبه يكون بازاء ما انتفقه من الاموال واذا أردت امر افعلته من غير أن أنتظر ورود امر لك فيه بعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في امري واستبددت بالاعمال والاموال دوني قم فقدأ خطأت حظك وما أصبت رشدا فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وأبائك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفولي وأنا صنهاجي بربري قتلني يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشرطة أن العز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخيزلن يثق به ويجعله قائما بين ايدي هؤلاء فن استعصى عليهم بأمر هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اوائلك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القاسم بأمر الله للمعز يا مولانا واثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز اعناكم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم باعم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها في مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه في بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومتها فيها وابتاعها منه بسقاية دينار فاذا هي ابنة الاخشيدي محمد بن طنج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حبا فاشتريتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيدي مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواتنا انفضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج نفسها وتشتري جارية لتتبع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرهم فانهم ضوا المسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا في حوايجكم فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقليان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور ووالد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه علم الخط في صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلية استراب منها واقنعا منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فاستدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والدودية حتى اتقنها ثم أخذ يتعلم الصقلية فزنت به تلك الكلمة فاذا هي سب قبيح فأمر بمظفر قتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحرب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز حتى قتل من بني حسن اكثر من قتل من بني جعفر فأخذ مالا ورجالا في السرمازالوا بالاطاقتين حتى اصطلحتا وتحمل الرجال عن كل منهم الجالات فجاء الفاضل في القتلى لبني حسن عند بني جعفر فحوس سبعين قتيلاً فأذوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح في الحرم فجاء الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة فصارت هذه الفعلة يد عند بني حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني بالدعاء للمعز في مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرفه بأقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليد الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجيزة فسار عليه وقد زينت له مدينة القسوط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدي وتبوايت آباءه وذلك لسميع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فعند ما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب في سائر مدينة مصر خيرا الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبيد الله الامير وجلس في القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلى فسيح في كل ركعة وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدیر حم ومات بعض بني عمه فصلى عليه وكبر سبعاً وكبر على ميت آخر خسا وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفي من علته اغتلهابا بعد دخوله الى القاهرة بستين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فان مولده بالمهدي في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثاً وعشرين من سنة وعشرة أيام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لأن عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً احسن السيرة منصفاً للريعية مغرم بالانجاء اقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزير بالله ابو منصور زرار) * فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفاً ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بليس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله ابو علي منصور) * وكانت مدة خلافته الى أن فقد خمساً وعشرين سنة ونهراً وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وقد بسطت خبر العزير والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لا عزازدين الله ابو الحسن علي) * بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمر وخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفخار وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء ابو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد قتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة اشهر في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتح مومى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الانشاء بعد ابن حيران وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولى بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكيين مسعود بن طاهر * وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدرزي متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان ابن مفرح بن جراح الطائي حروب وفيها نزع السحر بمصر وتعدر وجود الخبز وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد القائد عز الدولة وسنأئها الى القوارض معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من القوطة التي كانت عليه فسل عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللإسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه وسيرت الى القاهرة وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قرر الشريف الكبير النجيمي والشهيد نجيب الدولة الحراري والشهيد العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا لا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيصترفون في سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بالذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن حيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة وتقيب نقباء الطالبين وقاضى القضاة ربحاً دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوماً مرة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة والثلاثة الاول هم الذين يقضون الأشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح الابقار لقتلها وعزت الاقوات بمصر وقت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين ديناراً وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتد الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلة الظهور فعم البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الحب وأخذت اموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي فلم ينج أحد من اهل مصر وتفاقم الامر في شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع بأمر المؤمنين لم يصنع بنا هذا البول ولا جئت فقلت الله في امرنا وطرق عساكر ابن جراح القرما فقر اهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على اقبح حال من الامراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى انه لما عمل سباط عبيد النحر بالقصر كبس العبيد على السباط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهب الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبيد لتنهب البلاد من الجوع فنودي بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله ونذب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد في طلب الحرراى وغيره من وجوه الدولة فخرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء * وفي سنة ست عشرة امر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ويختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعايف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفي سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر في بلاده وأعاد الجامع قسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة ثمامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله أبا القاسم على بن احمد الحرراى * وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير * وفي سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأفق على ذلك في خلع لاهل الدولة وطعام وشار للعامة ما يحل وصفه * وفي سنة اثنين وعشرين تحرك السمر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحذت الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انضاق مال جزيل * وفي سنة أربع وعشرين ركب ولي العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر بقوم قبلوا له الارض وتبرؤ منه على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعائه يبعد اد عند اختلاف الأتراك بها فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان في سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنين وثلاثين سنة الاياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوبا باللهو محبا للغناء فتأنى الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والراقصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمساكنة وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافر بقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعفت الدولة * وقام من بعده ابنه ولي العهد وبويع له وهو (المستنصر بالله ابو عديم معد) * ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين واربع مائة وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهر في الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن أمة كانت امة سوداء لتاجر يهودى يقال له ابوسعده سهل بن هرون التستري فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استندت امة ابوسعده ورفقه درجة عليه وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الحرراى فلم يتمكن ابوسعده من اظهار ما في نفسه حتى مات الحرراى وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف العلاجى الوزارة فابسط يد أبى سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البنود فحدث أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الحرراى في الوزارة * وفي سنة اربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليا شمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلد مظفر العقلى دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم باله لملته وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بنى مرداس * وفي المحرم سنة احدى واربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خضير الملك ابو محمد البازورى * وفيها

حارب رفق بن مر داس قطفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأخرج عن ابن حمدان وبقي بالحضرة وقبض على الوزير أبي البركات الحر حراى ونفى الى الشام وعمل ابو الفضل صاعد بن مسعود واسطة لاوزرا ثم قلد قاضي القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفى سنة اثنتين وأربعين كانت حروب الجيزة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنيس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر وبعث اليه بجمال النجوة والهدن * وفى سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضرا بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن ابي طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مدة النيل فتمزك السعرب مصر ثم قصر أيضا مدة النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج ابو الحارث البساسيرى من بغداد منتحيا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفى سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفى سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين ابي محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة ابو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى ابو على احمد بن عبد الحكيم ثم صرف به عبد الحاكم الملقب وفيها أخذ البساسيرى ببغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وقرا الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى غانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميراعليها * وفى سنة احدى وخسين اقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجبى تلك الاعمال فقدم طغريل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعدما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيرى وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب اهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف ابو الفرج بن المغربي عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة ابو الفرج الباسلى واستقرت وظيفة القضاء احمد بن ابي زكري * وفى سنة ثلاث وخسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايهم لكثرة مخالطة الرعاى للطفيفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقصت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجالى فى سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته عند ذكر ابواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور بسير اوامات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة اشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة اشهر وثلاثة ايام مرت فيها احوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على شح وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه قيت فلا ياكل سواه مرة فى كل يوم وقدمت فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن أمير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه (المستعلي بالله ابا القاسم احمد) * وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة تخالف عليه اخوه نزار وفراتى الاسكندرية وكان القائم بالا وركاها الافضل فخار به حتى ظفربه وقتله كما تقدم فى خبر أقتكين عند خزان القصر * وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء وباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلي وخطب بها العباسى وخرج الفريج من قسطنطينية لآخذ سواحل الشام وغيرهما من ايدى المسلمين فلما كانوا انطاكية * وفى سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفريج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفريج وقتلوا كثيرا من اصحابه وغنموا منه شيا كثيرا وحصره ففجأ بنفسه فى البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء اكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر اقتال الفريج وكانت بينهم حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلي بالله ثلاث عشرة بقيت من صفرو عمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى أيامه اختلفت الدولة

واقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فانها صارت بين الأتراك والفرنج وصارت الامم اعيلية فرقتين فرقة
 نزارية تطعن في امامة المستعلي وفرقة ترى صحة خلافة ولم يكن للمستعلي مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ
 كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سراً * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الامر بأحكام الله
 ابا علي منصوراً) * وعمره خمس سنين وشهر وأيام فقتل الافضل في أيامه وأقام في الخلافة تسعاً وعشرين
 سنة وثمانية أشهر ونصفاً وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الآخر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما
 قتل الامر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبي القاسم محمد بن
 المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربع مائة لما اخرج
 المستنصر ابنه ابا القاسم مع بقية اولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الامر بأحكام الله الامير
 عبد المجيد في دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلاً ينتظر في بطن أمه من اولاد الامر
 واستقر هزاز الملوك ووزير افسار العسكر وأقاموا أبا علي بن الافضل وزيراً وقتل هزاز الملوك ونهب شارع
 القاهرة وذلك كله في يوم واحد فامتد ابو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين
 وخمس مائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيداً فاستمر الى أن قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين
 فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيلاً لمن يذكر اسمه فالتخذ الحافظ هذا اليوم عبداً
 سماه عبد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام بالناس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك
 في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحد او تولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام
 ابنه سليمان ولي عهد مه مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فحق ابنه حسن
 ونار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة البانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني
 وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانياً فاشتد ضرر المسلمين من النصاري وكثرت
 أذيتهم فسار رضوان بن وثلثي وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فأنهزم
 بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصاري
 وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفاً عموماً فأخذ في اهانة حوائش الخليفة وهم بجعله وقال ماهو بأمام وانما
 هو كفيلاً لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى نارت فتنة أنهزم فيمارضوان
 وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين فجهرله الحافظ العساكر لمحاربه فقاتلهم وأنهزم منهم الى
 الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحد بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فقلت الاسعار
 بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فمظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من
 معتقله بالقصر وخرج من نقب ونار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفي سنة أربع وأربعين نارت فتنة
 بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة
 خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً أصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازماً مسيوساً كثير
 المداواة عارفاً بجماع المال مغرياً بعلم التجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة اقيم ابنه (الظاهر بأمر الله
 ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخرة سنة سبع وعشرين وخمس مائة فأقام في الخلافة أربع
 سنين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وكان محكوماً عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان فقطهر الخلل في الدولة
 وقد ذكرت أخباره في خط الخشبية عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بن نصر
 الله ابو القاسم عيسى) * أقامه في الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيق
 والى الاشعورين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة
 الى أن مات الفائز ثلاث عشرة بقية من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة أشهر
 ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم يرفها خيراً فانه لما اخرج ليقيم خليفة رأى اعمامه قتل
 وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيق في الخلافة بعده (العاذل لدين الله
 أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقية من المحرم سنة ست وأربعين

وخسمائة وكان عمره يوم يوع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل في رمضان سنة ست وخمسين كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيق بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات في البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيق وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور في الوزارة لايام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب فقر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكبرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بليس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فخاربه ضرغام على بليس بعساكر مصر وكانت لهم معاركة انهزموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شياً جليلاً فسرّوا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقله في شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مري ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه في مدينة بليس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري على بليس وحصر اشيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة في سنة ستين وخسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية في ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مري ملك الفرنج فصار شيركوه على الشرى وخرج من اطفح فصار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الواقعة المشهورة فصار شيركوه بعد الواقعة من الاسمنين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يحجب البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام في شوال وقد طمع الفرنج في البلاد وتسلبوا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد وغش امر شاور وساءت سيرته وكثر خيبرته على الدماء واتلافه للاموال فلما كان في سنة اربع وستين قوى تمكن الفرنج في القاهرة وجاروا في حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فصار مري يريد اخذ القاهرة ونزل على مدينة بليس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على تجدة الاسلام واثقاذا المسلمين من الفرنج فجهاز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مري ملك الفرنج على القاهرة وألح في قتال اهلها حتى كاد أن ياخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بما لا يجتمع له فشرع في جبايته واذا بالخبر ورد بقدم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر في موضعه وذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة فقوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه قبذل الاموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريد من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فآباهم وأنفاهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل امره ولم يبق له سوى اقامة ذكره في الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطلب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخليل والرقى وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وأجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهم الاصحابه وبعث الى آبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان في سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة للشافعية وإنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في إقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاء شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهم واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج إلى الرملة وعاد في ربيع الأول ثم سار إلى أيلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار إلى الاسكندرية ولم تثن سورها وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه وإقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم وأخرج أقطاعات سائر المصريين لأصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر موارده وقبض على القصور وسلمها إلى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي وجعله زمامها فضيّق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الأذان حتى على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فحرض ومات وعمره إحدى وعشرون سنة الا عشرة ايام منها في الخلافة إحدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة ايام وكان كريما لين الجانب مرتبه مخاوف وشدائد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد مائتي سنة واثنين وسبعين سنة وایاما بالقاهرة منها مائتان وثمانين سنين فسبحان الباقي

• (ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها) •

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبل القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم والى ما يجي ثمرات الاقليم وتاوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في انواع الحضارة والتأنق في التهنيم ما اربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بعد ادائها كانت سوق العالم وقد زاحتها مصر وكادت أن تسامها الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالي الغلوات وتواتر الالباء والقنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابي تميم معه امير المؤمنين على يد عبده وكتبه القائد جوهر فخر حيث القاهرة الآن وأناخ هناك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عندهم من الفسطاط إلى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخلج امير المؤمنين ثم قبل له بخلج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحامكي وبين الخليج المعروف بالبحايم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التي يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط إلى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمنية الاصبع ثم عرف إلى يومنا بخندق وتمز العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبع إلى بني جعفر على غيفة وسلمت إلى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس إلى العلاقة إلى القرما ولم يكن الدرب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة إلى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تينس والقرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط إلى الجواز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الحب وبركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أما كن هي بستان الاخشيدي محمد بن طنج المعروف اليوم بالكافوري من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقي الآن بئر هذا الدير وتعرف بئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهي بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصر الشوك بصيغة التصغير تتر له بنو عذرة في الجهادية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جهة القصور الزاهرة هذا الذي اطلعت عليه انه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذي هو الآن

سوق المعاريح وحمام طن والمرافة وبستان الجرف وموردة الخلفاء ومنشأة المهراني على ساحل الجراء وهي موضع قناطر السباع فيمزال النيل بساحل الجراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساين القسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن من هناك على طرف الارض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومز على طرف منية الاصبع من غربى الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحرى موضع القاهرة مسجد بنى على رأس ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابي طالب ثم مسجد تبرا لاخشيدي فعرف بمسجد تبرا والعامة تقول مسجد التبرا ولم يكن الممر من القسطاط الى عين شمس والى الخوف الشرقى والى البلاد الشامية الا بحافة الخليج ولا يكاد يمر بالرمل التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بهادير الانصارى الا أنه لما عمر الاخشيدي البستان المعروف بالكافورى أنشأ بجانبه ميادنا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافورا أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة القسطاط مما يلي الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالجراء القصوى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولونى وما دار به وفي هذه الجراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئا بعد شيء الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من المآثر فانه حدث بعد بناء القاهرة ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة سوى كنائس الجراء وسيأتى بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر حد القاهرة) *

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذى استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من الجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا أه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور المحرق الذى طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة قسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتد وبالعامة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراني وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسور على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذى نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلى مما يلي بساين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل الذى يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى أول القرافة الكبرى * وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل ببولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفي الحقيقة القاهرة المعز التي انشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد الى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلىة وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولونى وما بعد الجامع الطولونى فانه من حد مصر وحدها عرضاً من الجامع الطيبرى بشاطئ النيل غربى المريس الى قلعة الجبل وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حاكم مصر والجهة البحرية وكتب قبل السبع مائة من سنى الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الاصرار المعروفة في زمننا الذى نحن فيه بمنية الشريح الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبرا والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب اهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وحد هذه الجهة طولاً

من باب القلعة المعروف باب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبرى سفح الجبل وحدثها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وانما كانت بساكنين وبحرا وحدث هذه الجهة طولاً من منية الشبرج الى منشأة المهراني بحافة بحر النيل وحدثها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحتوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والازوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور الشاحنة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياس المعمورة بأصناف الأنواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظمة بالسكان والترب التي تحكى القصور وما لا يحصى حصره ولا يعرف ما هو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى يصدق الاختبار طولاً بريد او ما يزيد عليه وهو من مسجد تبرى الى بساكن الوزير قبلى بركة الحبش وعرضاً يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل فى هذا الطول والعرض بركة الحبش ومادارها ووسط الجرف المسمى بالرصد ومدنة القسطنطين التى يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهراني وقطائع ابن طولون التى تعرف الآن بمجدرة ابن قمحية وخط جامع ابن طولون والميلة تحت القلعة والقيادات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور والحجر والحسينية والريديانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزربية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكتائب والاحكار التى فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضى اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامة بالخليج الحماكى والحبانية والصلبية والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهى عامرة والمشجعة تقول هى خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبع مائة الذى يسميه اهل مصر القناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمرها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة ولله عاقبة الامور

* (ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية) *

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجزيرة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله ابى تميم معتمداً قبل فى يوم الثلاثاء لسمع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر افواجا وجوه فى فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعزم موضع القاهرة الآن فاستقر هناك واخطت القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا والهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدوا جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه ديرا للظلم ويقال ان القاهرة اختطها جوهر فى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخسين واخطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واخطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واخطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باخطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقا تلهم من دونها فادار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعاً وقصراً وأعد لها معقلاً يتحصن به وتتركه عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية لمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدارا للقاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربع فى الجهة القبلىة التى تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بجذء المسجد الذى تسميه العامة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التى اسسها القائد جوهر وانما هى زيادة حدثت بعد ذلك وكان فى جهة القاهرة البحرية وهى التى يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضع بأول الرحبة التى قدام الجامع

الحاكمي الآن وادركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربي من المدوسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفي وموضع هذا الباب الآن باخر سوق الرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين ممالي باب الجامع الحاكمي وفيما بين هذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهر وكان في الجهة الشرقية من القاهرة وهي الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهم مادون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف باب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكني الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزانة السلاح وغير ذلك وهو الذي أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربي وكان يشرف على البستان الكافوري ويحول اليه الخليفة في أيام النيل للترفيه على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهري وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فانه كان من باب الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وكان يعلو عقد باب الذهب بمنظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذي يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو من باب البحر الى الركن المخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركت منه عضادته واسكفته وعليها اسطر بالقلم الكوفي وجميع ذلك مبنى بالبحر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمر ذو هو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمر ذو الى باب العيد وعقد مبان وفوقه قبة الى الآن في درب السلاحي بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومى العيدين تعرف برحبة العيد وهي من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلي باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانيه كانت تجاه الحمام التي عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلاحي وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسيني وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك أولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسيني الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهي مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسبهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي في هذا الوقت ويعرف بخط الزرا كشة العتيق وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ايام الوقفات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة التويد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعتدل صلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقد ادم هذا الجامع رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سرفاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من باب الزهومة الى باب المذهب المذكور وأولاً وهذا هو دور النصر الشرقي الكبير وكان بجذاه رحبة باب العيد دار الضيافة وهي الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هي اليوم خاتناه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهي حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقية وخاتناه ببيرس وما يجاورها الى باب الجوانية وما وراء هذه الاماكن ويجاور دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجاً عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أهراء لحزن الغلال التي تدخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطنية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهي خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخليم وخزائن الفرش وخزائن الكسوات وخزائن دارا فتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان في الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصوري الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين ويجاور القصر الغربي الميدان وهو الموضع الذي يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبجذاه الميدان البستان الكافوري المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزي وبجذاه رحبة الاقبال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحور وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خاتناه ببيرس وفيما بين ظهر المنحور وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور حارة برجوان من بحرهما اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخزان الوراقة والقيصرية تجاء الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحور درب الفرنجية ويجاور البستان الكافوري حارة زويلة وهي متصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجزيرة وفيه خيول الخليفة أيضاً وفي هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربيع يعرف بقيسارية يونس من خط البند قانين فكان اصطبل الجزيرة المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب ستر المارستان المنصوري الى البند قانين وبجذاه القصر الغربي من قبله مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية ويجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذي يعرف بجمام خشبية الى حيث الفندق الذي يقال له فندق الزمام ويجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزاجين وسوق الحريين الشراريين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخرطاطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارة الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة سام ابن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلاس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها متصل دار الديباج بالحارة الوزيرية الى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضاً وسطح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيئاً بعد شيء ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط * (وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع) * فانه كان في الدولة الفاطمية على ما ذكر * أما الجهة القبلية وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولاً وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضاً فانها كانت قسمين ما حاذى عيذك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذى عيذك وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقطرة باب الخرق وما على حافتي الخليج من جانيه

طولا الى الجراء التي يقل لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل في ذلك سويقة عصفور وحرارة الخزين وحرارة
 بنى سوس الى الشارع وبركة القيل والهلالية والمجودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن
 كلها كانت بسايتين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث في الدولة هناك حارات
 للسودان وعمر الباب الجديد وهو الذي يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور في الشارع عند رأس
 وحدثت الحارة الهلالية والحارة المجودية وأما ما حاذى شمالا حيث الجامع المعروف
 بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التي هي الآن الرملة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان
 مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهي التي فيها الخليج الكبير وهي من باب القنطرة الى المقس
 وماجاور ذلك فانها كانت بسايتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيتم من المقس
 الى المكان الذي يقال له الجرف ويمضي على شمالى أرض البطالة الى البعل وموضع كوم الزيش الى المنية
 ومواقع هذه البسايتين اليوم أراضي اللوق والزهرى وغيرها من الحسنة التي في بئر الخليج الغربى الى بركة
 فرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان فيه
 والمناظر تشرف على ما في غربى الخليج من البسايتين التي وراءها بحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج
 للترهة فيجتمع هنالك من ارباب البطالة والاهل ما لا يحصى عددهم ويمرلهم هنالك من اللذات والمسرات ما لا تسع
 الاوراق حكايته خصوصا في ايام النيل عندما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب
 وماجاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادار النعم في تلك المدة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى * وأما
 جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان
 هنالك منظر من مناظر الخلقاء وقد امها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر
 التي تعرف اليوم بالمطرية ومن غربى هذه المنظر في جانب الخليج الغربى منظر البعل فيما بين أرض البطالة
 والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البسايتين الاثنية المنصوبة للترهة الخليفة وأما خارج
 باب النصر فكان به مضى العبد التي عمل من بعضها مضى الاموات لا غير والفضاء من المضى الى الريدانية وكان
 بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجبال وعمر الناس التراب بالقرب منها
 وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمارتها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهي ما بين السور
 والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تبنى أثرية القاهرة من وراء السور وتمنع السور أن تدخل
 الى القاهرة فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت
 الدولة الفاطمية فسيحان الباقي بعد فناء خلقه

* (ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها) *

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ومغل قتال يهتصن بها ويلتجأ اليها
 وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجبال وسكن
 القاهرة وهي ياب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحمة والارمن وكل من
 وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات اهله فأخذ الناس ما كان
 هنالك من أنقاض الدور وغيرها وعمر وابه المنازل في القاهرة وسكنوها فن حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى
 أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذى في سنة
 سبع وستين وخمسائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العاتة والجمهور وحط من
 مقدار قصور الخلافة واسكن في بعضها وتمدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خطط وحارات
 وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان
 صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابوبكر فلما كان الملك الكامل
 ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب يتحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال
 والخيول الى الرملة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان في اعوام بضع
 عشرة وسفانة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست وخسين وسفانة كثر قدوم المشاركة

الى مصر وعمرت حافى الخليج الكبير وما دار على بركة القيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبع مائة واستجبت بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها حدثت فيها بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعدما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول بركة القيل والصلبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهرى وما قرب منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرافى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس فلما حقر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من المواضع التى من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيلسمى بيولاى ومن يولاى الى منية الشيرج ومنه فى القبلة الى منشأة المهرافى وعمر ما خرج عن باب زويلة يمتد ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولاً ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضاً حتى انه استجبت في ايام الناصر بن قلاون بضع وستون حكر اولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصار ابلدا واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والتراب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والياض والمنتزهات متصلاً بجميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبرالى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالحيزة الى الجبل المقطم وما زالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم وتحتال عجايبهم لما بالاقوا فى تحسينها وتأنقوا فى جودتها وتمييزها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبع مائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جرى النيل فى مده وخرت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحرى قها وقتل أهلها وارتفع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتبع ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يجتر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الثمان الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تناسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التى تقدم ذكرها وعم سائرهما وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة بأومها اليوم والرخم او مستهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدور سنة الله التى قد خلت فى عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلاً

* (ذكر طرف مما قيل فى القاهرة ومنتزهاتها) *

قال ابو الحسن على بن رضوان الطيب وبلى القسطنطينية فى العظم وكثرة الناس القاهرة وهى فى شمال القسطنطينية وفى شرقها أيضاً الجبل المقطم يعوق عن طريق الصبا والنيل منها بعد قليل وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع القسطنطينية لكن دونها كثيراً وأزقتها وشوارعها بالقياس الى أزقة القسطنطينية وشوارعها انظف وأقل وسخاً وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من مياه الابار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار القسطنطينية على القاهرة شيئاً كثيراً وقرب مياه ابار القاهرة من وجه الارض مع سخاقتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرياح من عفونة الكنف شيئاً وبين القاهرة والقسطنطينية بطائى تملئ من ريح الارض فى ايام فيض النيل ويصب فيها بعض خترات القاهرة ومياه البطائح هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والقسطنطينية زائداً فى رداءة الهواء بهما ويخرج فى جنوب القاهرة قدر كثير فهو حارة الباطلية وكذلك يطرح فى وسط حارة

العبيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى القسطنطينية وأعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عقوباتهم ترى خارج المدينة والبحار ينحل منها أكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مرورهم بالقسطنطينية واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر القسطنطينية والجزيرة قضاها أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القاهرة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الجراء والجزيرة وشمال القاهرة أصبح من جميع هذه ليعده عن بخار القسطنطينية وقربه من الشمال وأرقى موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من القسطنطينية حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقص فمجاورته للنيل فجعله أرطب * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب عن البيهقي "وأما مدينة القاهرة فهي الحامية الباهرة التي تفنن فيها القاطمون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطنًا لخلافتهم ومركز لاراجائها فتسمى القسطنطينية وزهد فيه بعد الاعتبار قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز اعظم خلفاء العبيدين وكان ساطعانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطبه في البحرين من جزيرة عند القرامطة وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقد علت كلمته وسارت سير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى آية المنصور في مدينة المنصورة التي الى جانب القبروان وعابن المهدي مدينة جدته عبيد الله المهدي لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان

ان البناء اذا تعظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشأن

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها انما يقولون انه بنى على قدرا يوان كسرى الذي بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين القسطنطينية والقاهرة مبان عظيمة جليلة الانوار وأبصرت في قصورهم حيطا ناظما طافات عديدة من الكسكس والجبس ذكر لي انهم كانوا يجتدون تبييضها في كل سنة والمكان المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتترقى ثم كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحت فيه الخيل مع الرجال كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسجن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو في مركب جلابي وقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان في موضع طبّاخين والدخان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكادت اهلك في جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينهما ولم أرى في جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري ويدركني وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عجوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لتلاصق اصدارها وبأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فريحة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقص وجوها لا يبرح كدرا بماتشيره الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاتي من الحض على العود فيها

يقولون سافرا الى القاهرة * ومالى بها راحة ظاهره

زحام وضيق وكرب وما * تشبهها أرجل السائر

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتقبض نفسه ويفتر أنسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة ارض الطالة لاسما ارض القرط والكنان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزنته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط
وفيه خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي
ما زالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم
وقلت في نوار الكنان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان برمقه * من جانيه بأجفان لها حدق
رأته سيفاً عليه للصباشط * فقابلته بأحدق بها أرق
واصبحت في يد الارواح تسجها * حتى غدت حلقاً من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضخ * او عند صفرته ان كنت تغتبق
واعجبني في ظاهرها بركة القيل لانها دائرة كالبدور والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل
وتسرح اصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول
انظر الى بركة القيل التي اكتفت * بها المناظر كالاهدا بلبصر
كأنما هي والابصار تمزقها * كواكب قد أداروها على القمر
ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدق فقلت

انظر الى بركة القيل التي نحرت * لها الغزالة تنحور من مطاعها
وخل طرفك مجنوناً بيهجتها * تهيم وحداً وجبا في بدائعها

والفسطاط اكثر أرزاقاً وأرخص اسعاراً من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمرابك التي تصل بالخيرات
تحت هنالك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعد عن المدينة والقاهرة
هي أكثر عمارة واحتراماً وحشمة من الفسطاط لانها أجمل مدارس وأنخم خانات وأعظم دناراً السكنى الامراء
فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمر السلطنة كلها فيها يسر واكثر وبها الطراز وسائر
الاشياء التي تترين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما عني السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام
الفسطاط وصيرها سير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وخصمت اسواقها
وبني فيها السلطان أمام الجسر الذي الجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يباع فيها
الفراء والجوخ وما شبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدرهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من
الدرهم الناصري وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها في القديم
القاوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهواء هاردي لاسيما
اذا ذهب الرئيسي من جهة القبلة وأيضاً رمد العين فيها كثير والمعاش فيها متعذرة نزره لاسيما اصناف الفضلاء
وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما تعيش بها اليهود والنصارى في كابة الخراج والطب والنصارى
بها يمتازون بالزناز في أوساطهم واليهود بعلامة صفراء في عمامتهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس
الجليلة وما كل اهل القاهرة الدميس والصير والحناء والبطارخ ولا تصنع النيدة وهي حلوة القمح
الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طبخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن
في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة
بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسن ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب
الدمياطية وأنواعها ما اختلفت به وفيها صناعات القسي كثير من متقدمون ولكن قسي دمشق بها يضرب المثل
والها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلود والسيور وما اشبه ذلك
وهي الآن عظمى آهلة يجي اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بحملته وتفصيله الا خالق
الكل جل وعلا وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيماً وعذاً ولا يطلب برفيق له اذا
مات فيقال له تركه عندك ما لافر بما سجن في شأنه او ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص
الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق او تجريد أو سكر من حشيشة او غيرها او حجة المردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمناة البحر فقد علم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان المغربي غنيا طوب بالزكاة وضيق عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجيء وقت الاسطول وفي القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفي اجتماع الترجس والورد فيها اقول

من فضل الترجس وهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته الترجس

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والترجس والتسرين والينوفر والبنفسج والياقوت واليخون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال وأكثر ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرأوه عندهم في نهاية الغلاء وعانتها يشربون المزر الا يبيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أو انيه ولا ينكر فيها اظهار أو افي الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة فمأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان وهو ضيق عليه في الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة حتى ان المجتئين والرؤساء لا يجيزون العبور به في مركب والسرج في جانبه بالليل منظر فنان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الست بالليل وفي ذلك اقول

لا تركب في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام

قد علمت الذي عليه * من عالم كلهم طعام

صفان للعرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام

ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام

والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا تزام

وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام

لله كم دوحه جنيها * هناك انما رها الاثام

اتمنى

وفيه تحامل كثير * وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنين وستين وسبعمائة الى اخيه وهو بدمشق يشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع والمنتهزات ويذم من مصر بقوله فكيف يبق لمن حل في جنة النعيم ورياضها ويرتع في ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاح والورق المتصادح والنشر المتصادح والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتي اكل خط وأثل وشئ من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء فأخذتهم بالباساء والضراء واوقعتهم بمصر وشموسها وجميها وغمومها وحزونها ووعورها وحورها وزفيرها وسعيرها وكيانها ونيرانها وسودانها وفلاحها وملاحها ومشاربها ومساربها ومسالكها وممالكها وصحناتها وعصفورها وبورها وقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طولها ورأس اسطولها وتكدر هواؤها فلوترأهم في أرجائها القصوى كالباعرا الهمل وهم بصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جلته على لسان دمشق كأنها تخاطبه وبأبيها الولد العزيز كيف سمعت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وميرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك المراقب الملاحظ يذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستعرت لها التكدير حتى في المشارب والمسابر وهلا ذكرتها وقديا كرها نيل النعيم بمغيشة بليل

التسليم بكاس من تسنيه وطما البحر عليها زخرافاً غناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعم معظم أرضها وعب عبا به في طولها وعرضها حتى كاد يعا لورفع قصورها ويتسور بسورته شاخ سورها ومع ذال تزاه جسورها على ضعاف جسورها قد طبق التهايم والانشاد وغزى الآكام والوهاد وعلا على الصعيد والصعاد وأعاد البر سلطانة مجرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأثبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمر زده خضراء بلا لمرصعة فكم من غدير مستدير كبدومني ووديق مستطيل كسيف صقيل وكمن قليب قلاب بماء كلاب وكمن عظيم بركة حركها التسليم بلطفه وطيبها عير غيرها فضخها بكفه وزهت بزهورها فغزفها بعرفه وكمن ترى من ملقة لبقه عليها عيون الترجس محدقة كعين خد عروس منمقة والنوار قد دارت بدم الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه واثبت عروسه وسامره اذا ذل المنهل وبكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره التسليم المعتل فأقامه وأهداه ونقى أرضه وروضة فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزنتها الحسناء وامتد بساطها الزمردى وانسط مدادها الزبرجدى فلا يدرك أقصاء ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهى خيال ولا خاطر فله درهما من روضة مرن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحرم بحر لحاج طيره امن آناها حبيج الطير من كل فج عميق مليدا دعى حسنهما من كل مكان محيى قد امتطى ركبا متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجنح الليل بخفاق الجناح كانهن الدرارى السوارى او المنشآت الجوارى او المطايا المهارى

نواصل من جود حوائض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء واليلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفاً وقدمن صافات كالمصلين صفوفاً يقدمهن دليل كانه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاطلام أبصر من زرقاء اليمامة وأطير من الورقاء والهامة وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسجات بألحان مطربات فظفن في حرمها الآمن واعقرن بتلك الحاسن قتراها عند اقبال نواها وحومها في جودها ما تستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفاء عظيما فنها ما يستهل هلالا ومنها ما يحكى نبات نعش حالا ومنها ما يشبه باد لاله دالا ومنها ما يحفظ نونا فونا فيحكي حاجبا مقرونا ومنها ما يكتب زينا فيعيد هائنا ومنها ما يصور رمم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما ياتي زرافات ووحدانا فيبدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من جبل اوزمعلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس عزبيات انيسات كيسان وصور صور كأمثال حور وطير لفلح مكس يد يياج مصبغ وجبل جبرج كعج متوج وركتى عريض طويل كعبر كبير جيل وغرير غز مغرر متغير وسيطر شديد شويطر وكمن ضخم الدسيعة جوال ككوهى بالقوة المنسعة صوال ورخام مرزم كذى امره محتشم وجلالة نسرفى الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بحسنه وكل الصيد في ضمنه وكمن خضارى وحرمان وبلشون وشهران صنوان وغير صنوان وكمن بط على شط وخط وقطقط منقط وغز وغرنوق وكرسوغ ومشوق وفورس مستأنس وقدام ثلاث بين الآفاق وتكملت بنجومهن الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهن الاصطباح والاعتباق فكم من مسود كخال بجند وأزرق كلازورد وأشقر كزهرورد أحمر ناصع وأصفر قاقع وابيض ذى خضاب عندى بلطيف منقار شقى ومبرقش ومبقع ومعجم ومقتع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودى وهندى وصينى مسنى وعينين يكافوتين قد رصعتا في بلين وكمن طائر ابهى من قرسائر بفرق مثل صبح سافر قتراهن في الماء صهونا ووقوفاً صفوفاً عكوفاً كصوراً أصنام او بحارة مبددة في آكام وكمن اطياف رطاف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجايب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجل الجلايب وابدعت في صور الاحسان وتصورت في بدائع الالوان فاذا بدت زرقاء في زهر كاتها مذهبة بأزهار لبساتها

مفضضة بنجوم الخوانها خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها واذا فاح نشر نور قمرها شممت المسك
الذكي من مرطها ورأيت لآئى سمطها مبسوطه على خضر بسطها ومغالاتها باغالية نور فلولها وهزاتها
اذا رفل التميم في ذيلها قدر صعت اغصانه فصوص لجينها ونقطته من حسن سابو ادعينها فعيونه كعيون
غزلانها في قنكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكلها من طرّة معتبرة وجهته منورة ووجنة
من عفرة وملاءة منشورة معصفرة وخدم موزد وطرف مهند ولماها صبيغ من عقيق الشقيق وسكرها
من ذلك الربق على التحقيق وابن بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس فخلاتها وطلاوة
أوانس قاماتها بمشابهتها في صفاتها وغرائس فسيلاتها واين نصيد طلعتها وحيد فرعها ومديد
جذعها وفترجارها عن غرة جزارها واخضرار الكماها واجرار لثامها وبنان بسرها المطرف وبنان
نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منشورها وورد واديبها ومنحنها وندي ندها وترحنها
وآبي أسما وطبيب طبيب أنفاسها وتبرجها بآترجها وتبرجها بنارنجها وتختبها بمختبها
وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كادها وتضاعف أرجها بمضعف بنفسجها وجلالة
مقدارها اذا فحت أزرارها عن جل نازها وطبيب شميمها من اشموها ونسبها ووسمها بأوسمها
وجنان قلوبها وحرمان قلوبها وأحواضها يهنيها ورياضها وطربتها بطربتها ونفيس انسا بمقسطها
وغريب غرسها بيلقسطها وعظيم أسما بمعلق مقياسها وكريم تحيته من قبل الين هبوب أنفاسها واجتماع
اسعدا وارتفاع زردا وسواقيها الحنّانة في سمعها الهنّانة بسكبه من دمعها وجنة لوقها ولجة
بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكمت فلكتها في بحرها
واحكمت مملكتها في بترها وعظم جلها بقلعة جلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى
سعود صعودها الى سعيد صعودها واغنيابها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن
حسن اثريها ومناطها ولاتنس الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام التي تسبق عند طيباب الرياح مقوقات
السهام واعجابها بغربانها البحرية وحرافات الحريسة وشوانيتها وهول مبانها وجلال شكلها وجمال
معانيها تدوم وشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الاخضر فهي كالارقم المنمر او كملون المنمر ارا الطاوس
الذكر والناوس لبني الاصفر معمرة بياس الحديد والاحجار محمولة على سيج الماء التيسار مشحونة
بالرجال منصوره عند القتال مصونة بالحق والنبال تبرم ذكره بالآية النوحية وتضمن احرار الهممة العلية
الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وقد الريح عند الاسراع وتفوق
سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان في النيق حوم وهن مع البنيان في البحر عوم لواقسم من
رأها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحيها لبر في عيونه التي اقسم وتلاها وكم من مركب
لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل
وفستراوى عكاوى ولكة ودرمونه ومعديه مكينه وسلوردقيق وشختور رشيق وقرقر ورقيق
وزورق ذى زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخوف
في الافاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها الخضب ورشيق قامة قصها المقصب وبهجة فوزما
بطلم موزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقتها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما
ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكفها بركته الذى لا يرام ويحرسها بعينه
التي لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن يحيى الدين يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر

في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوق الى مصر وقد خرج عنها في سنة ست وثمانين وثلاثمائة
من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسرى * تؤدى تحياني الى ساكني مصر

فما خطرنا الا بكيت صباية * وجلتها ماضاق عن حله صدرى

لاني اذا هبت قبولاً بنشرهم * ثممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لي بالاهرام اوديرنية * مصايد غزلان المطايد والفقر
الى جزيرة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات الموانر والجسر
وبالقوس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطئ الخليج الى القصر
وفي بئردوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النظراء من زهر نضر
تراها كرامة بدت في رفا رف * من السندس الموشى تنشر للبحر
وكم ليله لي بالقرافة خلتها * لمائلت من لذاتها ليله القدر

وقال احمد بن رستم بن امة هلال الديالى * يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفى في ربيع
عشر ذي الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حي الديار بشاطئ مقياسها * فالقسم الفياح بين دهاها
فالروضين وقد توضع عرفها * ارج البنفسج في غضارة آسها
فنازل العين المنيفة أصحت * بغنى سناها عن سنانها
تخليجها لذاته مطلوبة * نسمو محاسنه علاياتها
طافاته مخفوفة بمنازل * نزلت بها الاكرام دون دكاهها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازي المعروف بامام منكلي بغا

حيالها مصر وسكانها * وبارك الوسمي كنيانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهمما عشت احسانها
كم ايقظني في ذراد وحها * عجماء لا تفقه ألسانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازات غزلانها
وعايت عيني بها اغيدا * منعس المقله وسنانها
تسحر بالفتور الحافظه * كان من بابل شيطانها
وكم ثجت قايها إعادة * قد كالت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليل لي بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسي كيف شطت بها * حوادث قوض نيرانها
فارقها لاعت قل صدني * عن افراق الروح جسمانها
واعترضت عن غزلانها والمها * نعالج جيرون وثيرانها
ياساني عن حالي بعدها * ها انا اذا ذكر عنوانها
ما حال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقاب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبدة * ترسل فوق الخلد طوفانها
ياساني النور يث الثرى * كمثل بث السحب تمانها
حتى زبا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصرها ومسدانها
وأرضها المنصب أرجاؤها * وينهلها الزاهي وخبلياتها
والروضة القياء تلك التي * تنجو عن الانفس أحزانها
ومنية السبرج لا تنسها * بقرطها الاحوى وكفانها

والساج والخس وجوه التي * اضعفت من الاعين انسانها
وحى يابرق وجدد بالحيا * بجزيرة الفيل وغيطنها
وبانها الغض ونسرينها * ووردها البكر وربحانها
وظلها الضافي وأزهارها * وماءها الصافي وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربها * وحى اهلها وسكانها
لم انس لانسى اصطبأ بها * ولا اغتربا قاتى وابانها
ولا اوبقات التصابي ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبرة * اهوى الاذات واعلانها
اخطرت بها في رياض الصبا * مرخ الاعطاف كسلانها
وخيل اهوى في مباديها * تجرير الصبرة أرسالها
ودوحى ناضرة غضة * تعطف ربح الاله وأعضانها
حاشاى أن اتقض عهداها * حاشاى أن اصبح خزائنها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن احدث سلوانها
حاشاى أن أروضى بديلاها * روابى الشام وقبعانها
وماءها النج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
قد تافت النفس الى الفها * وحث الاشواق أظعانها
واذكرت في البعد أحبابها * فهيج التبريح أنجبانها
وما لها غيرك من ملتجأ * يا أوحدا الدنيا وانسانها

* (ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها) *

قال العارف محي الدين محمد بن العربي الطائي الحامى في المهمة المنسوبة اليه القاهرة تعمر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرّب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فاته لم يسم في النسخة التي وقفت عليها وهو شرح الطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما ضى على ما هو معروف في كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرني غير واحد من الثقات انه وقف لهذه المهمة على شرح كبير في مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران في شرفها ما الشمس في برج الجمل والقصر في برج النور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربعمائة واحدى وستون سنة قال في الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بصمر وقل اغنياؤهم وكثرو فقراهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لاسيما اذا قارن زحل الجوزاء فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك في سنة اربع وستين وستمائة في ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوق الغلاء وفي آخر سنة اربع واقل سنة خمس وتسعين وستمائة في امام الملك المعادل كتبغا حل زحل في برج الجوزاء وكان معه الجوزاء فكانت أشد وأقوى وكثرو الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ما هم فقال قوم مسلمون بأمهرون بالمعروف وينهون عن المنكر وبقية الحدود والواجبات ويقاثلون في سبيل الله اعداء الله فليل له انطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فخره حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بني من القرن العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقور

قال الشارح أول القرن العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق ما في القول عن القاهرة وتخرّب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعني بداية الخطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القرن العاشر ويثبت في عشرين سنة التي هي ايام القرن وقد ذكر في الربع

الآخر أربع مائة واحد وستين سنة وقد تخليت انهاء مدة عمر القاهرة فاذا زدت على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبع مائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قط عظيم وقلة خبير وكثرة شر حتى تغرب ويضعف اهلها قال قرآن زحل والمزنج في برج الجدى يكون في سنة سبعين وسبع مائة قعدة لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبع مائة وسبعين سنة تبلغ سبع مائة وثلاثا وتسعين سنة ففي مثلها من سنى الهجرة يكون اول اوقات خراب القاهرة انتهى * وتم ذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء انقضت احوال مصر وقتل اموالهم وكثر الغلاء والقضاء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحو اثنى عشر شهرا وانت اذا اعتبرت امور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تنضع فيه احوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبع مائة ومدة سنة عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة انضغ حال القاهرة وأهلها انضغ اقبيحوا من الاوقات المذورة لها ايضا اقتران زحل والمريخ في برج السرطان ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفي مدته تنقضي الاربعمائة والاحدى والتستون سنة التي ذكرناها من عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما علمه اهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشبهت الخراب اكثر معمر القاهرة واختلاف اهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عن يرجع اليه في مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة راتة تعالى أعلم

* (ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن) *

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلول منها الى الازقة والمارات لتعرف بها المارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قسبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش او الخرنش ومن باب الخرنفش يفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلوق ورجبة باب العبد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاثري والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد بمنية الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الخلعين وكان قد جبا يعرف بالخشاين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطنية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسره سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمائل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه حمام الفاضل المعتدة لدخول الرجال وعلى يسره تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصرى الى أن ينتهى بين الحوائيت والرباع فوقها الى باب زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسره الزقاق المسلول فيه الى سوق الحدادين والجحارين المعروف اليوم بسوق الانماطيين وسكن الملاهي والى المحمودية والى سوق الاخفايين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والقمامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو في وسط سوق القرايليين والمناخليين ومن معهم من الضبيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجيين ويعرف اليوم بالسوايين وفي هذا السوق على يمينه الجامع الطافرى المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلول منه الى حارة الديلم وسوق القضاة وسوق الطيور بين والا كفايين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاق الشياطين ويجد على يسره الزقاق المسلول منه الى حارة الجودرية ودرب كرامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق الفاسيين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطنين وسكنى الاساكفة والى بابي قيسارية جهار كس وعن يسره قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه الى سوق الثرأشيين المعروف قديماً بسكن الحالفين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه شافا في سوق الثرأشيين فيجد عن يمينه قيسارية امير على ويجعد عن يساره سوق الجمالون الكبير المسلول فيه الى قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتين والصارف والاخفافين والى بئر زويلة والبندقاين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق القرايين الا ان كان يعرف اولاً درب البيضاء والى درب الاسوانى والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجعد عن يساره قيسارية بنى اسامة ثم يسلك أمامه شافا في سوق الجوخين والجمعين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يساره قيسارية ثم يسلك أمامه الى سوق السقطين والمهاجرين فيجد عن يمينه درب الشمسى ويقابل باب قيسارية الامير علم الدين الخطاط ونعرف اليوم بقيسارية العصور ثم يسلك أمامه شافا في السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخرطاطين والى سوق الخميمين والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجعد قبله هذا الزقاق عن يساره قيسارية العتبر المعروفة قديماً بجس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يساره الزقاق المسلول فيه الى سوق الوراقين وسوق الحرير بين الثرأبيين المعروف قديماً بسوق الصاغة القديمة والى درب شمس الدولة والى سوق الحريرين والى بئر زويلة والبندقاين والى سويقة صاحب والحارة الوزيرية والى باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شافا في بعض سوق الحريرين وسوق المتعشين وكان قديماً سكنى الدجاجين والكهكيين وقبل ذلك اولاً سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصناديق وكانت قديماً تعرف بفندق الدبابلين ويجعد عن يساره مقابلاً دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية لانها كانت في سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذى هو الآن سوق المتعشين فيجد عن يمينه خان مسرور وجرفى الرقيق وذلك المالك بينهما ولم تزل موضع الجلوس من يعرض من الممالك الترك والروم ونحوهم للبيع الى اوائل ايام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجعد عن يساره قيسارية الرماحين وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يساره الزقاق والسباط المسلول فيه الى حمام خشبية ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير ذلك ويجعد بعد هذا الزقاق قرياً منه في صفة درب السلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديماً في ايام الدولة الفاطمية مر احوا معالين فيه عمارة البنية يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى الخليفة احدى ماسرى وهو القصر الكبير وكان على يمينه السالك من موضع خان مسرور طال باب النصر وباب الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما في صفتها من الحوانيت والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقى القصر الغربى وهو القصر الصغير ومكانه الآن المارستان المنصوري وما في صفة من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاخر فاذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجعد على يساره درب السلة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق الا مشاطين المقابل لمدرسة الصالحية التى للعنفة والحنابلة والى الزقاق الملاصق لور المدرسة المذكورة المسلول فيه الى خط الزراكة العتيق حيث خان الخليلي وخان منجك والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك أمامه شافا في سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين الثقلين ظاهر سوق الكتيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديماً مطبخ القصر قبالة باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحية ويجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجعد على يساره باب المارستان المنصوري وفي داخله القبة المنصورية التى فيها قبور المولود وتحت شبائيكها دكاكين القفصيات التى فيم الخواتيم ونحوها فيما بين القبة المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضاً المدرسة المنصورية وتحت شبائيكها أيضاً دكاكين القفصيات فيما بين شبائيكها وشبائيك المدرسة الصالحية التى للاشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح وفي داخله أيضاً المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف والى الكافورى والى البندقاين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والتسليح

هكذا يابض
بالاصل

الآن تحت الربع المعروف بوقف أمير سعيد ويجدد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية
ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه خان بشتال وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجدد على يسرته
المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فنذقا يعرف بخان الزكاة
ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب قصر بشتال ويجدد على يسرته المدرسة الكاملة المعروفة بدار الحديث
وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه إلى بيت أمير سلاح
المعروف بقصر أمير سلاح وهو الأمير فخر الدين بكاش القزويني الصالحى "التجى" وإلى دار الأمير سلا رنائب
السلطنة وإلى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التي يقال لها المدرسة السابقة وكان في داخل هذا
الزقاق مكان يتوصل إليه من تحت قبو المدرسة السابقة يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها
اليوم دار واحدة أنشأ الأمير جمال الدين الأستاذ وكان تجاه باب المدرسة السابقة ربيع تحته فرن ومن وراءه
عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الأمير جمال الدين المذكور الربع وما وراءه وحفر فيه صهريجاً
وأنشأ به عدة آدرهى الآن جارية في أوقافه وكان يسلك من باب السابقة على باب الربع والفرن المذكورين
إلى دهليز طويل مظلم ينتهى إلى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك إلى رحبة باب العيد
وإلى الركن المخلق فهدمه الأمير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام
اليسرى درباً في داخله دروب ليصون أمواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار درباً غير نافذ ويجدد السالك
عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار درباً من باب قصر اليسرى وقد بنى في وجهه حوائط بجانبها حمام اليسرى
ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور إلى طريقين أحدهما ذات اليمن والأخرى ذات اليسار فأما ذات
اليسار فأنشأتها القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الأمير اليسرى فانه يجد على يسرته باب
الخرنشف المسلول فيه إلى باب سر اليسرى وإلى باب حارة برجوان الذي يقال له ابوتراب وإلى الخرنشف
واصطبل القطبية وإلى الكافورى وإلى حارة زويلة وإلى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقاً يعرف
أخيراً بالوزاين والدجاجين يساع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وأدركناه عامراً سوقاً
كبيراً من جلته دكان لا يساع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفى هذا السوق على يمينه السالك
قيسارية يعطوها ربيع كانت مدة سوقا يساع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جلته أوقاف المارستان
المنصورى فهدمها بعض من كان يتحدث في نظره عن الأميراتش في سنة إحدى وعثمانية وعمرها على ما هي
عليه الآن وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربيع يجرى في وقف المدرسة الكاملة وكان هذا السوق يعرف
قدماً بالتبانيين والقماحين ثم يزسالك أمامه فيجد سوق الشماعين متصلاً بسوق الدجاجين وكان سوقاً كبيراً
فيه صفان عن اليمن والشمال من حوائط باعة الشمع أدركته عامراً وقد بنى منه الآن يسرى وفى آخر هذا السوق
على يمينه السالك الجامع الأقر وكان موضعه قديماً سوق القماحين وقبائلته درب الخضرى وبجانب الجامع
الأقر من شرقه الزقاق الذي يعرف بالمحابر بين ويسلك فيه إلى الركن المخلق وغيره وبالقبة هذا الزقاق بئر الدلاء
ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمينه زقاقاً ضيقاً ينتهى إلى درو ومدرسة تعرف بالشرابية يتوصل من باب سرتها
إلى درب الأصفر تجاه خاقاه بيسر ثم يسلك أمامه في سوق المتعشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان
ثم يسلك أمامه شاقاً في سوق المتعشين وقد أدركته سوقاً عظيماً لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج إليه
من المأكولات وغيرها بحيث إذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه إلا
اليسير وكان هذا السوق قد يما يعرف بسوق أمير الجيوش وبآخره خان الرقاسين وهو زقاق على يمينه
السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك إلى باب القنوق يسلك فيه إلى سوق يعرف
اليوم بسوقه أمير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق إلى باب القنطرة
في شارع معمر وبالحوائط من جانيبه ويغلوها الرباع وفيما بين الحوائط دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك
أمامه من رأس سوقه أمير الجيوش فيجد على يمينه الجبلون الصغير المعروف بجبلون ابن صيرم وكان مسكناً
للزواين فيه عدة حوائط عامرة بأصناف الشباب أدركته عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة
الصيرمية وفى آخره باب زيادة الجامع الحاكى وكان على بابها عدة حوائط تعمل فيها الضرب التي

برسم الابواب ويخرج من هذا الجولون الى طريقين احدهما يسلك فيها الى درب القرنجبية والى دار الوكالة
 وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه
 شبك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوند اردكين الاشرفية ثم يسلك امامه شاقا في سوق المرحلين
 وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال وقد خرب وبقي منه قليل وفي هذا
 السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحجارة الوراقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن
 وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه احد ابواب الجامع الحاكى وميضاته
 ويجذب باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقده وشئ من عضادته ويجواره شارع على يسرة السالك يتوصل
 منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك امامه شاقا في سوق المتعشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب
 الجامع الحاكى ثم يسلك امامه فيجد عن يسرة زقاقا ساباطا يتخذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن
 ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكى الكبير ويجعدن يساره فندق العادل ويشق في سوق عظيم
 الى باب الفتوح وهو آخر قسبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المارة اذا سلك من الدرب
 الذى يقابل حمام اليسرى طالبا للركن الخلق فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن الخلق
 ويباع فيه الآن النعال وبه حوض في ظهر الجامع الاقرب لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابله
 مسجد يعرف بمراكمع موسى وينتهي هذا السوق الى طريقين احدهما الى بئر العظام التى تسميها العامة
 بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقرب والحوض المذكور بالركن الخلق ويسلك منه الى الحارين والطريق
 الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بـقيسارية الجلود وبعلاوه اربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف
 شعبان بن حسين ويجوار هذه القيسارية بناية عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هي من
 حقوق المنكر كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصرا لها فماتت دون اكماله ثم يسلك امامه فيجد
 الرباع التى تعالوا حوانيت والقيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين
 وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بـباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير
 جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وانشأها على ما هي عليه اليوم ثم يسلك امامه
 فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانها وظاهره حوانيت فبنى مكانها مدرسة
 وحوضا للسيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رجة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احدهما ذات
 اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانه تنتهى الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبش
 الرجة والى درب السلامى السلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق
 والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب
 السلامى هذا في رجة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورجة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب
 الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد
 وأما ذات اليسار من رجة باب العيد فان المارة يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى
 باب الخلقاء المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر
 والى خط الفقهاء دين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه المدرسة القراستقرية وخاتناه
 ركن الدين بيرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاورا لخاتناه الى باب الجوانية وتجهه خاتناه بيرس الدرب
 الاصفر وهو المنخر الذى كانت الخلقاء تتحرف فيه الاضاحى ثم يسلك امامه فيجد على يمينه دار الامير قزمان
 بجوار خاتناه بيرس ويجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند
 طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ويجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع
 هذا من دار الوزارة ويجعد على يسرة درب الرشيدى تجهه حمام الاعسر السلوك فيه الى درب القرنجبية
 وجولون ابن صيرم ثم يسلك امامه فيجد على يمينه الشارع السلوك فيه الى الجوانية والى خط الفقهاء دين والى
 درب ملوخيا والى العظوفة وقد خربت هذه الاماكن ويجعد على يسرة الوكالة المستجدة من انشاء الملك
 الظاهر برقوق ثم يسلك امامه فيجد على يسرة زقاقا يسلك فيه الى جولون ابن صيرم والى درب القرنجبية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمينه دار الأمير شهاب الدين أحمد بن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ودار الأمير علم الدين سنجر الجاولي وهما من حقوق الحجر التي كانت بهما ملك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسره وكالة الأمير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولي ظن الجاولي وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاهد ركن المدرسة القاصدية الغربي وقد زال ويسلك منه إلى رجة الجامع الحاككي فيجد على يمينه المدرسة القاصدية وعلى يسره بابي الجامع الحاككي وتجاه أحدهما الشارع المسلول فيه إلى حارة العبدانية وحارة العطفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاككي ينتهي إلى باب النصر فيما بين حوائت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف إن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الأماكن وملاصقاتها وذكر التعريف بمن نسبت إليه أو عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخير في ذلك من أدركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط في القول بين الأكتار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

* (ذكر سور القاهرة) *

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مزارات الأولى وضعه القائد جوهر والمزة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجالبي في أيام الخليفة المستنصر والمزة الثالثة بناه الأمير المنصور في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة * السور الأول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك أنه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعساكره وقصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاه الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد واستقرت به الدار أخط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الأساس في الليل فأدار السور اللين وسماها المنصورية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها فسميها القاهرة ويقال في سبب تسميتها أن القائد جوهر لما أراد بناء هذا حصن المنجمين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بهم الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدًا فاختاروا طالع الوضع الأساس وطالع الحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أبراس وقالوا للعمال إذا اخترت كسلا جراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فانفق أن غرابا وقع على جبل من تلك الجبال التي فيها الأبراس فخرت ككها فظن العمال أن المنجمين قد حركوا فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهرة في الطالع فحضر ذلك وفاتهم ما قصده ويقال إن المترجح كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك قسموها القاهرة واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر وأدخل في دائرها السور ببر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين بحبته وحبته مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه إليه المعز ويقال إن المعز لما رأى القاهرة لم يحبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصدا المشرف على جامع راشدة ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم إلا عين في النقلة من مكان إلى مكان وجعل في ساحاته البحرة والمسدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة وقد أدركت من هذا السور اللين قطعاً وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عتة أذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهم ما نحووا الحسنة ذراعاً وما أحسب أنه بقي الآن من هذا السور اللين شيء * (وجوهر) هذا عمل أول روى رباه المعز لدين الله أبو تميم معد وكناه بأبي الحسن وعظم محله عنده في سنة سبع وأربعين وثمانمائة وصار في رتبة الوزاة قصيره قائد جيوشه وبعثه في صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الأكابر فسار إلى تاهرت وأوقع بعدة أقوام وافتتح مدناً وسار إلى فاس فبناها مدة ولم يزل منها شيئاً فرحل عنها إلى سجلماسة وحارب تاهراً فأفسره بها وانتهى في مسيره إلى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز واعلم انه قد استولى على ما مر به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاص فألح عليه بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وجماله هو والتائر بسجل ماساة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتبأ أمرها فقدم عليها القائد جوهر اوبرز الى رمادة ومعه ما ينفع على مائة ألف فارس وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به واطلق يده في بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوم اقضاهم جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالارضية من غير حرب ولتزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الارحية وجمعها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته فلما قدم برقة اقدم على صاحبه من ترجمه ومشبه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً فأبى جوهر الا أن يمشى في ركابه ورد المال غشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع * وقد راغنى يوم من الحشر أروع
غداة كان الافق سدياً بمنزلة * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع
الا ان هذا حشد من لم يذوقه * غرار الكرى جفن ولا بات يجمع
اذا حل في ارض بناها مدينا * وان سارعن ارض غدت وهي بلقع
تحل بيوت المال حيث محله * وجتم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المستضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كمارق الصباح الملع
رحلت الى القس طائفة اول رحلة * بأعين قال بالذي انت تجمع
فان يك في مصر ظمأ لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويمهم من لا يغار بعممة * فيسلمهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واخط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشري ويقدمه النصر

ولم يزل معظمها مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجمل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام في العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن ططيج وسار فلك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شجعت نفسه عن مكاتبه جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سر من جوهر يذكرك في طاعته ويقع في جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك وردت كتبه كما هي محتومة وكتب اليه قدأ خطأت الرأي لنفسك نحن قدأ نفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوز به بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذي اردته وان كنت اهلنا عندنا ولكنا لانستفسد جوهر ارفع طاعته لناسفزا غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله فجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكتب جوهر بشي من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطي وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشراي من بغداد نذب العزيز بالله جوهر القائد الى الشام فخرج اليها بجرائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطي من الاحساء

الى الشام فرحل جوهر في ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فقل على الرملة والقرمطى في اثره فهلاك وقام
من بعده جعفر القرمطى فخارب جوهر واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى
بلغ من الجهد مبلغا عظيما صالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد ان اقام بها وبظاهر الرملة نحو امان
سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما نظر العزيز بهفتكين واصطنعه في سنة ثمانين
وثلاثمائة واصطنع منجوتكين التركى ايضا اخرجه راكبا من القصر وحده في سنة احدى وثمانين والقائد
جوهر وابن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة في ركابه وكانت يد جوهر في يد ابن عمار ففر ابن عمار زفرة
كاد ان ينشق لها وقال لاحول ولا قوة الا بالله فزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد أثبت عن هذا
فظهر منك انك اكر في هذا المقام لاحد ثلث حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد
غيري لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل في يدي آخرون اعتقلتم وهم ينف على
ثلاثمائة اسير من مذكورهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر
في كل واحد حاله ففعلت وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه ففعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه
وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما في الكتاب حتى
احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا ففعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما
وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى مالم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما
حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة وبرزقه الله على يده مالم
برزقه أحد منا مع غيره وأناظن انه ذاك الذى قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لى لينا على ايدينا وعلى يد
من كان يا ابا محمد لكل زمان دولة ورجال أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز
لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولى عهده وسائر اهل دولته فتعجب الناس من ذلك وهأنا اليوم امشى
راجلا بين يدي منجوتكين أعزونا وأعز وابتاغينا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدنى فقد أثقت على
الثمانين أو انا فيها فمات في تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائد او حمل اليه قبل ركوبه خمسة
آلاف دينار ومائة منقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار ووفى يوم الاثنين لسمع
بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير
منصور بن العزيز ايضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن في سبعين ثوبا بين منقل ووشى
مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وجهه وجعله في مرتبة ابيه واقبه بالقائد ابن القائد ومكنه
من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمستحسن توقيعاته على قصة رفعت
اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب
فيكم ترك الايجاب والالزام لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأت فأسأتم وعدم فتعديت فابتدأتم ملوم
وعودكم مذموم وليس بينكم مفرجة الاتقضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه
رأيه فيكم ولما مات رثاه كثير من الشعراء * (السور الثاني) * بناء امير الجيوش بدر الجمالى في سنة ثمانين
وأربع مائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة
بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر ايضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب
النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمان مائة وعشرة وثمانمائة
ابتدى بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليدنى جامع
فوجد عرض السور في الاماكن نحو العشرة اذرع * (السور الثالث) * ابتدأ في عمارته السلطان صلاح
الدين يوسف بن ايوب في سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة
تسع وستين وقد استولى على المملكة استدب لعمل السور الطوائى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه
بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقاعة سورا واحدا فزاد في سور القاهرة
القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعيرية ومن باب الشعيرية الى باب البحر وبني قلعة المقس وهي برج كبير
وجعله على النيل بجانب جامع المقس واقطع السور من هناك وكان في امله مد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى دوبر بطوط والى خارج باب الوزير ليصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدران ظاهرة لمن تأملها في ما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهأله أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاجر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاجر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بجبال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه في ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجامطلا على النيل في شرق جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى عندما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبعمائة وجعل في مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد في البرج مالا وانه أنما جدد الجامع منه والعمامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح الى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور براج له عرض كبير مبنى بالججارة الآن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التي كانت من ورائه وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحبي المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فاعقيله ما كان معصيا لترك بغير سوار ولا خصرها ليتحل بغير منطقة تضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

• (ذكر ابواب القاهرة) •

وكان للقاهرة من جهتها القبليّة بابين متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالبواب الحديد والآخر بالبواب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب القرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ما هي عليه الآن ولا في مكانها عند ما وضعها جوهر

• (باب زويلة) •

كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم باسم ابن فوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذي بقي منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس قسما من الناس به وصاروا يكثر من الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنه أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يقضى الى الموضع الذي يعرف اليوم بالجوارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من أجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على ألسنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضع الجلوس اهل المعاصي * فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجبالي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملته لكنه عمل في بابيه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فانفق مروءه من هنالك فاقتل فرسه وزلق به

وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقي منها ثلثي سبيل ظاهر فلما أتى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفرة الصهرميج الذي به بعض هذه الزلافة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جزؤها الا أربعة أرؤس فمأخذ الأمير جمال الدين منها شياً وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * وبذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرهائنين بنو باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وعثمان وأربع مائة وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمان وأربع مائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناء العزيز بالله نزار بن العزيز ونعمه أمير الجيوش وأنشد على بن محمد التيلي

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلت قدر محله بنينا

باب تآزر بالجمرة وارتدى الشعرى ولا ثبرأسه كيوانا

لو أن فرعوناً بناء لم يرد * صرحاً ولا أوصى به هامانا

* وسمعت غير واحد يدكر أن فردية يدوران في سكر جتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون أن في سنة خمس وثلاثين وسبع مائة رتب أيديكين وإلى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة خطيبة تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدن أعظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاه الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر فجدته في ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدي

* (باب النصر) *

كان باب النصر أولادون موضعه اليوم وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرجة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحسك القبلين خارج القاهرة ولذلك تجد في أخبار الجامع الحسكي أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا وتقلد وزاره وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن فصار قرياً من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها إلى أن احتقرت اخت الملك الظاهر برقوق الصهرميج السبيل تجاه باب النصر هدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفي في أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على "ولى الله صلوات الله عليهما

* (باب الفتوح) *

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقي منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفي وهو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحسكي وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فإنه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قدر كبرها الآن الناس بالبنان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح * (أمير الجيوش) أبو التيم بدر الجمالي كان ملوكاً رمنياً لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالي وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم وينقل في الخدم حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربع مائة ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانياً يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربع مائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة القلاو وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والتهى والرخاء قد أيس منه والصالح لا مطمع فيه ولوانة قد ملكت الريف والصعيد بأيدي العبيد والطرفات قد

انقطعت بترًا وبجرا الا بالتحفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر
اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط أن يحضر معه من يجتار من العساكر ولا يبقى أحد من
عسكر مصر فأجاب المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكر اوركب البحر من عكا في أول كانون وسار بجماة
مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجاته وخوف التلف فأبى عليهم وأقطع
فتمادى العبحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوما حتى كثرت الحجب من ذلك وعدم سعادته فوصل
الى تنيس ودمياط واقرض المال من تجارها وميسرها وقام بأمر ضياقته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان
اللوائي كبير أهل البحيرة وسار الى قلوب قزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض
على بلدكوش وكان أحد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض
عليه واعتقله بجزاة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين
وأربع مائة فنهاه أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه
فخافهم الامن اضافهم وقدم اليه فلما انقضت نوبتهم في ضياقته استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبيت
مع اصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم لا يديحجون الى الخلاه في قام منهم الى الخلاه يقتل هناك ووكل
بكل واحد واحد من اصحابه وأنتم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامر من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء
اليه وظلوا نهارهم عنده وبأوامرهم فطاعوا فطاع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت
رؤسهم بين يديه فقويت شوكتهم وعظم امره وخلع عليه المستنصر بالطبلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم
فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين
وهادى دعاة المؤمنين وتبع المفسدين فلم يبق منهم أحد حتى قتله وقتل من امثال المصريين وقضاةهم ووزرائهم
جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف في قتل من هنالك من لوانة واستغنى اموالهم وأزاح المفسدين
وأقنأهم بأنواع القتل وصار الى البر الشرق فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية
وقد ثار بها جماعة مع ابنه الا وحده فحاصرها اياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربع مائة الى أن اخذها عنوة
وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الاول سنة تسع
وسبعين وأربع مائة ثم سار الى الصعيد فخارب جهينة والنعالبة وأقنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال
ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساد ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها
غير مرة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستتاب ولده شاهنشاه وجعله ولي عهده * فلما كان في سنة سبع
وثمانين وأربع مائة مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى منها وقد تحكّم في مصر تحكّم المولود ولم يبق
للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة
قتل من مصر خلائق لا يحصى الا خالقتها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير
ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه
عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها بآلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة
وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا في ايامه
ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاعهم منها في ايام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة ايامه
بمصر احدى وعشرين سنة وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية
بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن امير
الجيوش وبه وبابنه الافضل أبيه الخلفاء الفاطمية بعد ثلاثين امراها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها
واضمحلال احوال اهلها وأظنه هو الذى اخبر عنه العزى فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد
من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

* (باب القطرة) *

عرف بذلك لان جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى يظاها القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير

* (باب الشعرية) *

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومن انهم وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

* (باب سعادة) *

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى اقامته فلما عين سعادة جوهر اترجل وسار الى القاهرة في رجب سنة ستين وثلاثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجي الحسين بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطي قد قصد هافا فهازمه معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها في سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطي فقتلته الى القاهرة وبه سلمات لخمس بقين من المحرم سنة اثنين وستين وثلاثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان فيه بتر واحسان

* (الباب المحروق) *

كان يعرف قديما باب القراطين فلما زالت دولة بني ايوب واستقل بالملك المعز عز الدين ابيك التركماني اول من ملك من المماليك بمملكة مصر في سنة خمسين وسمائه كان حينئذ كبار الامراء البحرية بممالك الملك الصالح نجم الدين ايوب الفارس اقطاعي الجدار وقد استعمل امره وكنزت اتباعه وبافس المعز ابيك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويحلبها له حتى يسكنها بامراته المذكورة ففعل المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدير عليه فقتل مع عدة من ممالكه أن يقفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاعي فتنكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره في أمر مهم فركب في قائلة يوم الاثنين حادى عشر شعبان سنة اثنين وخمسين وسمائه في نفر من ممالكه وهو آمن مطمئن بما صار له في الانقيس من الحرمة والمهابة وبما يشق به من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله في البلد فركب اصحابه وخشداشيته وهم نحو السبع مائة فارس الى تحت القلعة وفي ظنهم أن الفارس اقطاعي لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاعي وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا الوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام واكبرهم يومئذ ببيرس البندقداري وقلاون الاني وسنقر الاشقر وبيسرى وسكرو وبرامق فخرجوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقبل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتبعهم ونادى عليهم في الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اخنائهم فصار اليه من اموالهم ما ملأ عينه واستقرت البحرية في الشام الى أن قتل المعز ابيك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فتراجعوا في أيامه الى مصر وآلت احوالهم الى أن تسلطن منهم ببيرس وقلاون ولله عاقبة الامور

* (باب البرية) *

* (ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والاماع بطرف من ما ترهم وما صارت اليه احوالهم بعدهم) *

علم انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذي وضعه القائد

هكذا يبض له
في الاصل

جوهري عندما أتاخ في موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر الباقعي وقصر المذهب وقصر
الاقبال وقصر الطفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرّد وقصر التسمي وقصر الحريم وقصر البحر وهذه
كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار
القصر الغربي الميدان والبستان الكافوري وكان لهم عدة مناظر وآد سلطانية غير هذه القصور منها دار
الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الأزهر والمنظرة بجوار الجامع
الأخر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الفزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة
والبلع والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرية والمنظرة
ظاهري باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العزيم ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع
القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الأولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار
هذه الأماكن في مدة الدولة الفاطمية ومآل إليه حالها بحسب ما انتهى إلى عليه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان في الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقي ويسمى القصر المعزى لأن
المعزدين الله أبائهم معذاهو الذي أمر عبده وكتبه جوهرا بينائه حين سيره من رمادة أحد بلاد إفريقية
بالعساكر إلى مصر وأتى إليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذي رسمه له ويقال أن جوهرا لما أسسه في الليلة
التي أتاخ قبلها في موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقبل له في تغييرها فقال قد حضر في
ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الأربعاء
الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس ثلاث عشرة خات من جادى
الأولى سنة تسع وخمسين ثم انه أدار عليه سوراً محيطاً به في سنة ستين وثلاثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة
وبه سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم فلما انقضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخرج أهل
القصر منه وأسكن فيه الأمراء ثم خرب أولاً فأتوا * وذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة عن مرهف
بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيت به دخل إليه قط ولا رمى منه تراب قال وهذا
أحد أسباب خرابه لوقود خشابه وتكوين ترابه قال ولما أخذ صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه
اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم غل الاخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بجارة برجوان وكانت تعرف
بدار الضيافة قال ووجد إلى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى قبل أن يها
مطلباً وقصد تغويرها قبل انهم معمورة بالجنان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركها انتهى وكان
صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لأمراء دولته وأزله في فسكونه وأعطى القصر الصغير
الغربي لآخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه وفيه ولده ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان
قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شادى في منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الأمير داود بن الخليفة العاضد وكان
ولى عهداً إليه وينعت بالخامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم
وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الطاهر
ابن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزلوا في الاعتقال بدار المظفر وغيرها
إلى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل فنقل معه ولداً العاضد واخوته
وأولادهم واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة إلى أن استبدت السلطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد
وعماد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع
المواضع التي قبل المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة باطنوا ظاهراً بخط الخوخ
السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر الباقعي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور
وجميع الموضع المعروف بخزان السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد سنج

النسيخ وغيرهم من القصر الشارح بابه قبالة دار الخديت النبوي الكاملة وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بجارية برحوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف باللوثة وجميع قصر الزمر ذو جميع البستان الكافوري ملك لبيت المال بالنظر المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولاه ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى أو مدفن لأبائهم فأشهد وأعلمهم بذلك وورخوا الأشهاد بالثالث عشر من جمادى الأولى سنة ستين وبستمائة وأثبت على يد قاضي القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وتقرر مع المذكورين أنه مهنا كان قبضوه من ثمانين بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جملة ما تحرر عنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ورسم بيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيباً بعد شؤه ونقضت تلك المباني وابتنى في مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها * (قاعة الذهب) * وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو أحد قاعات القصر الذي هو قصر المعز لدين الله معتمد بن قيس قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذي كان مقابلاً للدار القطبية التي هي اليوم المارستان المنصوري ويدخل اليه أيضاً من باب البحر الذي هو الآن تجاه المدرسة السكانية وجدده هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان وعشرين وأربع مائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سباط شهر رمضان للامرء وسباط العيدين وبها كان سرير الملك * (هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) * قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة ولما وصل الى قصره ختر ساجداً ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخوادم عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلي وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولحم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد جوهر في الاوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولاً ثم اذن بعدهم الاولياء واسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائماً بين يديه يقدم الناس قوماً بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التي عباها ظاهراً رايها الناس وهي من الخيل مائة وخمسون فرساً مبرجة ملحمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها مغنير واحدة وثلاثون قبة على نوق بخافي بالديباج والمنسطق والفرش منها تسعة بدياج مثقل وتسع نوق مخنوبة مزينة مثقل وثلاثة وثلاثون بغلاً منها سبعة مبرجة ملحمة ومائة وثلاثون بغلاً للثقل وتسعون فحياً وأربعة صناديق مشبكة يري ما فيها وفيها أواني الذهب والفضة ومائة سيف محلي بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخزقة فيها جوهر وشاشية مرصعة في غلاف واثمان مائة من سبط وتحت فيها سائر ما أعتله من ذخائر مصر * وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره وسعها اثنا عشر شبراً في اثني عشر شبراً وأرضها ديباج أحمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب في كل هلال أثر جنة ذهب مسبك جوف كل أثر جنة خمسون درة بكار كبيض الحمام وفيها اليماقات الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر قد فسر وحشوا الكتابة دركبير لم ير مثله وحشوا الشمسية المسك المسحوق رايها الناس في القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها واتحاف صيحاتها فزاشين وجزوها للثقل وزنها * وقال في كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابيض الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلي به السرير الذي انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازوري من الذهب أيضاً ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهباً وعشرين ألف درهم مخزقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان في الشمسية التي لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف منقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير
 الفهرى القيسرى فى كتاب نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل
 العاشر فى ذكر هيتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس
 اليهم ولهم خدم لا يخرج عنهم ويتنظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على
 التفرق فاذا انتهى ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى
 سرعة الحركة فيركب فى اجهته وجاعته على الترتيب المتقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب اول العام وسيأتى
 ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بهليل العمود الى مقطع الوزارة
 وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك
 بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باقى فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى
 آخر ايام المستعلى ثم ان الأمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذنهجه الى اليوم ويكون
 المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والديبى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن
 الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الديبى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب
 معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى فيكون وجه
 الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا انتهى الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور
 وهو مغلق وعليه سترقة تف بحدائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على
 المرتبة وضع أمين الملك مقلع أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع
 الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة
 وغيرهم وفى خلالهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر
 الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراءة بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه
 ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له
 مخدة شريفا ويقف الامراء فى اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهلار العساكر من جانبي الباب يمينا
 ويسارا ويلهم من خارجه لامقابعتنه زمام الأمر به والحاظية كذلك ثم يرتهم على مقاديرهم فكل واحد
 لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافرنجى العالى عن أرض القاعة ويعلوه السلطان على عقود القناطر
 التى على العهد هناك ثم ارباب القصب والعماريات يمنة ويسرة كذلك ثم الامائل والاعيان من الاجناد
 المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للمصدر الذى يقابل باب المجلس بواب الباب والحجاب لصاحب الباب
 فى ذلك المثل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام
 فأول ماثل للندمة بالسلام قاضى القضاء والشهود المعروفون بالاستخدام فيحيز صاحب الباب القاضى دون
 من معه فيسلم متأذبا ويقف قريبا ومعنى الادب فى السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالسجدة ويقول بصوت
 مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم
 بالاشراف الاقارب زمامهم وهومن الاستاذين المحنكين والاشراف الطالبين تقيهم وهومن الشهود المعتدلين
 وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام فى ذلك
 الوقت من خلع عليه لقوص او الشرقية او الغربية او الاسكندرية فيسترفون بتقبيل القبعة فان دعت حاجة
 الوزير الى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيضاطبه مرة او مرتين ثم يؤمر
 الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته
 الى داره وهو مخدوم باؤلك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة
 الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب
 الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد الساج الشريف وصاحب بيت
 المال وصاحب الدفترو صاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار
 الخليفة وكانت لهم طريقة معجودة فى بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ التحنك وحل اليه كل

واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديل وفراش وسيفاً فيصيح لاحتجاجهم وفي يديه مثل ما في أيديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلاً ونهاراً الا كذلك وله في الليل شذادات من النساء يخدمن البغلات والحجيرات الجوار في السرايب القصيرة الاقباء والطاوع على الزلاقات الى أعلى المناظر والا ما كن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

* كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة *

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليلالي الجمع توقيراً له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهم سلاسه فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماماً عظيماً تاماً بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفاخرة والاعذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة مآذ من الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة والقراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشي الاستاذين يحضرون الماء المخزفي كيزان الخزف يرسم الحاضرين ويصنعون انصافهم العشاء الآخرة فيجمعهم ذلك ويوصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض وبأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بمحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشریفه وتطيبها لنفسه وريحاً لسكره من خاص ما يعين لسكره الخليفة نصب واقر ثم يتفرق الناس الى اما كنهم بعد العشاء الآخرة بساعة او ساعتين قال ومبلغ ما يتفق في شهر رمضان لسماطه مائة سبعة وعشرين يوماً ثلاثة آلاف دينار

* (عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة) *

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسيحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حل يانس الصقلي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباء قافيتها تامل حوى وحل أيضاً على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الأول من عيد الفطر فانه يعين في الليل بالايوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة فيمده ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع من الخشكان والفايز والبسند والمقدم ذكره له بدار الفطرة فاذا صلى الفجر في أول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك المجدود فأخذ وحل ونهب فياً خذ من يأكله في يومه ومن يتخره لغده ومن لا حاجة له به فيبعه ويتسلط عليه أيضاً حواشي القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقدر غت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله محظية القاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضييات والذهبيات والصبغ الحاوية للطعمة الخاص الصائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج القاتن المسمن المعمول بالامزجة الطيبة النافعة ثم نصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالة ويعرف بالحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدك اللاطية فصير من جمعه للاواني سماطاً عاليه في ذلك الطول وبعض عشرة اذرع فيقرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافيه سواميد كل واحد ثلاثة ارجال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها برق ويحسن منظرها ويعد داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقاً في كل طبق احدى وعشرون ثياباً مشوية وفي كل من الدجاج والقراريح وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائراً فيطبق طائلاً مستطيلاً فيكون كقامة الرجل الطويل ويسور بشرائح الخلاء اليابسة ويزين بألوانها المصبغة ثم يستخلل تلك الاطباق بالعمون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفاخرة من الخلاء

المائة والظبا هجة المشقة والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تشاهز عدة الصمون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العبدية التي في عمامته السمكة ويلبس سواها من خراش الكسوات الخاصة التي قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حاوى فى كل واحد سبعه عشر قطارا وحملاتهم ما واحد يحضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والاخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السباط وآخره وهما شكل ملج مد هوان بأوراق الذهب وفيهما شخصون ناتئة كأنها مسبوكة في قوالب لواحها فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المختكين وأربعة من خواص القرائين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السباط كقيامهم بين يديه فياكل كل من اراد من غير الزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم فيستولى على ذلك الممول الاككون ويقل الى دار ارباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السباط فقط فيم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب واخر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سباطا لاهله وحواشييه ومن يعز عليه لا يلحق بأبسر يسير من سباط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سباط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا لا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مقطرين ولا يفوت أحدا منهم شيء كما ذكرنا في عيد الفطر قال وبلغ ما ينفق في سباطى الفطر والاضحى أربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسطة الاعباد في كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والاخر الديلى يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسطحة ليبيتوا ودناير وافرقة على حكم الهبة وكان أحدهما اسر بعقلان في تجريدة جرد اليها وأقام مدة في الاسر فاتفق انه كان عندهم عمل سمين فيه عدة قناطر لم فقال له الذى اسره وهويده اعبه ان اكلت هذا العجل أعقتك ثم ذبحه وسوى له وأطعمه حتى أفى على جميعه فوفى له واعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأته يأكل على السباط

* (الايوان الكبير) *

قال القاضي الرئيس محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناء العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معه في سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفي هذا الايوان كان يمتد سباط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير وكان يجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلع اسمة اذا اقيما واربيا القارس بفرسه ولم ير الا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد في هدية * (عيد الغدير) * اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ما عرف في الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه في سنة اثنين وخمسين وثلثمائة فاتخذ الشيعه من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما خرج الامام احمد في مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر لنا فغدير حم ونودي الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال أستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال أستم تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة * (وغدير حم) * على ثلاثة اصيل من الجلفة بسرة الطريق ونصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم في هذا العيد وهو ابداء يوم الثامن عشر

من ذى الحجة أن يجيئوا باليلة بالصلاة ويصلاوا في صبحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبايح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنة مضاهاة فعلهم ونكاليهم فالتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة بعد عيد الغدير ثمانية ايام عيداً اكثر وافيه من السرور والمهوى وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبالعراق في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد *

وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا الأول ما عمل بمصر * قال المسبجي وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما اتفاموا الى الظاهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجارية وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذى الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لأحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارية به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار غفر الدين جهار كس اليوم ثم يخرج الخليفة راصبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المختكون رجاله ومن الامراء المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار هتمه فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فيجند الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها اولاً ثم زى الامراء المطوقين لانهم علمانه واحد افراد بعددهم وأسلمتهم وجنائبهم الى آخر أبواب القصب والعمارات ثم طواف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة المائة بالقيس بالايدي والارجل وتكون عدتهم قريبا من ألف ثم الراجل من الطواف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب فتكون عدتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب ملج مستحسن ثم يأتي زى الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده وتواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زى اسفهلار العسكر بأصحابه وأجناده في عدة واخرة ثم يأتي زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغوا خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخل من الدرب هناك جائزا على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجدي دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبه ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سسترا فسترا ثم يعلق بداره على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرمي الدعوة وفيه تسع درجات خطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباب وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير خطيبه بدله حرير يخطب فيها وثلاثون دينا او يرفع له كراس محز من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباب فيخدم الخليفة وينقض الناس بعد التهاى من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر ويخرج فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما سلم من يد أبي علي بن الفضل الملقب بكيفيات لما وزرله وخرج عليه

عمل عيدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير كسوف ولا حركة بل ان الايوان باقى على فرشه
وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم في الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير
الذى هو اليوم خزان السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة
سيفا وقلبا ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباب فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على
بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجمل قدماه كرسى الدعوة
وعليه غشاء قرقوبى وحواليه الامراء الاعيان وارباب الرتب فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كه كراصة
مسطحة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدة بنظم ملج يذكرفيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة
وقترج الله عنه واحدا فوا احدا حتى يصل الى الحائط وتكون هذه الكراصة محمولة من ديوان الانشاء فاذا
تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجل مما لبسه ويكون قد حل الى
القاضى قبل خطابه بدلة مميزة بلبسها الخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خسون دينار * وقال الامير جمال الدين
ابو على موسى بن المأمون أبى عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحي في تاريخه واستهل عيد الغدير يعنى من
سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعنى الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد
ومن انضم اليهم من العوالى والادوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الايامى وصار موسما برصده كل أحد
ويرتقبه ككل غنى وفقير فخرى في معرفه على رسمه وبالغ الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العبد
المدكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسمها وارجلها من عين
وكسوة ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون ديناراً ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة
والهيئة المختصة بهذا العيد رسم كبراء الدولة وشيوخها وامرائهم وضيوفها والاستاذين المحمدين والمميزين
منهم خارجا عن اولاد الوزير واخوته ويفترق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألقان وخمسة دينار وثمانون ديناراً
وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة
الذهب على حكم سماط اول يوم من عيد النحر وفي باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ما جرت به
العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد البكاش المذبوحة في عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون
العموم وجلس الخليفة في المنطرة وخدمت الرحبة وتقدم الوزير والامراء وسلوا فلما حان وقت الصلاة
والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فقتدم
القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب فعلى به وبالجاعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة
العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقاءه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضى
اليها وطلع عليه خلعة مكدلة من بدلات النحر وثوبها الحر بالشدة الدائمة وقلده سيفاً مرميا صعبا بالساقوت والجوهر
وعند ما نهض ليقبل الارض وجده قد أعتله العقد الجواهر وربطه في عنقه بيده وبالغ في اكرامه وخرج
من باب الملك فتلقاء المقرَّبون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العبد واولاده واخوته والامراء
المميزون بحجبه وخدمت الرحبة وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفى العساكر وتقدم الى
ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقت ابرسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرَّبون فسلم الحاضرون وجرى الرسم
في السماط الاول والثاني وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى
السماط الثالث الخاص بالدار الجلييلة لا قاربه وجلوسه ولما انقضى حكم التعيين جلس الوزير في مجلسه
واستفتح المقرَّبون وحضر الكبراء وياض البلد لى لثنى بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأشدوا
وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم
الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكلالة
العقد الجواهر والسيف المرمع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبى الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست الشريف
بكتب مطالعة الى الخليفة بما حل اليه من المال برسم مندبل الكم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف
دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفترق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين
* (المحول) * قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعي ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر

ويعرف بقصر البحر وكان في اوقات الاجتماع يصلي الداعي بالناس في رواقه * وقال المسيحي وفي ربيع
الاول يعني من سنة خمس وعشرين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل
البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولاخيه بالمغرب فبات في الزجعة أحد عشر رجلا كفهم العزيز
بالله وقال ابن الطوير وأما دأى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة في الرتبة ويتزيازيه في اللباس وغيره ووصفه انه
يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين
يديه من نقباء العلين اثنا عشر تقيبا وله ثواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة واهم مكان
يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دقريقال له
مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى دأى الدعاة فينفذه اليهم ويأخذهم منهم ويدخل به الى
الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته
على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايمان الكبير وللنساء مجلس الدأى وكان من اعظم المباني
وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضر واليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان
العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ التجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسما الصعيد وبلغها ثلاثة
دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى فيفرض
له الخليفة منه ما يعينه انفسه وللنقباء وفي الاسماعيلية المولدين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار
على حكم التجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له علم اخط الخليفة بارك الله فيك وفي
مالك وولدك ودينك فيذكر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوى أباعن
جد آخرهم الجليس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربى به وكان يميل الى
مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند الخليفة
اعاضد وكان قد حجز على العاضد ولولاه لم يبق في الخزانة شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسيحي
وكان الدأى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوى المتصلة فكان يفرق الاولياء مجلسا
وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطائفة من على البلد
مجلسا وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان
يعمل المجالس في داره ثم سقذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبضونها بعد عرضها على
الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من التجوى من كل من يدفع شئاً من ذلك عينا
وورقاً من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شئاً على ما يدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن
الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شئاً بعد شئ وكانت تسمى مجالس الدعوة بمجالس
الحكمة وفي سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والتجوى التي كانت
تعمل ويتقرب بها وتجري على ايدى القضاة وكتب سجل آخر قطع بمجالس الحكمة التي تقرأ على الاولياء يوم
الخميس والجمعة انتهى ووظيفة دأى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد نلصت من أمر الدعوة
طرفا احببت ايراده هنا * (وصف الدعوة وترتيبها) * وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة
* (الدعوة الاولى) * سؤال الدأى ان يدعو الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور
الشرعية وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفا سلم له الدأى والتركه يعمل
فذكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون
ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف فيشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الدأى
من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الافة التي نزلت بالامة وشئت
الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم واقبوا حافظين لشرائعهم يؤدونها على
حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الائمة ونظروا في الامور بعبقرواهاهم
واتبعوا ما حسن في رأيهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا ساداتهم وكبراءهم اتساعا للملوك وطلبا للدينا التي هي ايدى
متبهي الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرئاسة على الضعفاء

ومكيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وفساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده بمحتر من قبل ذلك وصار الناس إلى أنواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجأ بالخلي ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنه وعرفته دهماء الغامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستعجل وعلم خفى غامض ستره الله في حجه وعظم شأنه عن ابتدال أسرار الله فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطبق حله ولا ينهض بأعبائه وثقله الاملاك مقرب اوتنبي مرسل او عباد مؤمن امتحن الله قلبه للقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعي وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم مامعنى رعى الجار والعدوين المصفا والمروءة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر وما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب في القران مثلاً والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما أخاف أن نكبره ونجأ حده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك في القرطاس بالكتابة وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وماياً جوج وما جوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب الجنة وما شجرة الرقوم النابتة في الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة في القران والتين والزيتون وما الخفس الكنس وما معنى الم والمص وما معنى كهيص وجعص ولم جعلت السموات سبعة والارضون سبعة والمثاني من القران سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عيناً ولم جعلت الشهور اثني عشر شهراً وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة فكروا اتوا في انفسكم أين تأروا حكم وكيف صورها وأين مستقرها وما قول أمرها والانسان ما هو وما حقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بان به حياة الحشرات من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق خلقاً من ضلع آدم وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت فامة الانسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ولم كان في يديه من الاصابع عشر وفي رجله عشر أصابع وفي كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان في وجهه سبع ثناب وفي سائر بدنه ثنبان ولم كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويدها ماء وبطنه ميماً ورجلاه دالا حتى صار ذلك كما امر سوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا اتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان ككبا يدل على الله ولم جعلت اعداد عظام الانسان ككذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشرىح والقول في العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعي الاتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفترق ما فترق فكيف يعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأى شيء راء الكفار في انفسهم وفي الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من جدد الديانة ألا يدل لكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرارها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها زالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حرياً أن لا يعلم غيرها اليس الله تعالى يقول ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وأضل سبيلاً ونحو ذلك من تأويل القران وتفسير السنن والاحكام ويرااد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما حمله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبدل لغير أهله ويجبعل غرضاً للعب وجرى عادة الله وسنته في عبادته عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقال

عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمن من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالثي تقضت غزلهما من بعد قوة انكما وقال لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ومن أمثل هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه إلا من أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا تنقضوا لناسرا ولا نظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتننا نكصا ولا تولوا لنا عدوا فإذا أعطى العهد قال له الداعي أعطنا جعلنا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعرفك أياها والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعي وإن أجاب وأعطى نقله إلى الدعوة الثانية والثالثة سميت الاسماعيلية بالباطنية لأنهم يقولون لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تاويل * (الدعوة الثانية) * لا تكون إلا بعد تقدم الدعوى الأولى فإذا تقررت في نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعي إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده إلا أن يأخذ وأذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وبسلك في تقرير هذا ويستدل عليه بأمور مقررّة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو فإذا اعتقد ذلك نقله إلى الدعوة الثالثة * (الدعوة الثالثة) * مرتبة على الثانية وذلك أنه إذا علم الداعي من دعاء أن ارتباطه على دين الله لا يعلم إلا من قبل الأئمة فزرحينئذ عنده أن الأئمة سبعة قدرتهم الباري تعالى كارتب الأمور الجلية فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة وجعل الأرضين سبعة ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعني الشيعة مختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر أما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فإذا تقررت عند المدعو أن الأئمة سبعة انقل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثني عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر فإذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلث بقية الأئمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقررت عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وعنده سر الله تعالى في وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته في كل امر يسأل عنه في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كاه والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم أخذوا عنه ومن جهته رويوا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساوهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكاية لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقررت نقله الى الدعوة الرابعة * (الدعوة الرابعة) لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا يتيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الساجدين للشرائع المبشرين لاحكامها اصحاب الادوار وتقلب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الأئمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعونه ويحفظها على امته ويكون معه ظهير الى حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اتفقوا فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونضاد دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون انلقاء من بعده امورهم تجري ككأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ينسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدًا وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا غمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه انه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة
 نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة
 نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه في حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل
 عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من
 الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان
 صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعده موسى يوشع بن نون خليفة له صمت
 على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكريا
 وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة
 نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شععون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة
 المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع
 الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه على بن ابي طالب رضى الله عنه ثم من بعده على
 ستة صموا على الشريعة المحمدية وقاموا بجيرات أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم على بن الحسين
 ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الاثمة المستورين
 والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذي
 انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع
 الكافة اتباعه والخضوع له والانتقاد اليه والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والخيرة
 في العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مرتبة
 على ما قبلها وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعي يقرر أنه لا بد مع كل امام
 قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابداء عشر رجلا في كل زمان
 كما أن عدد الاثمة سبعة وبستدل لذلك بأمر منها أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خلق كل شيء
 من حكمة والا فم خلق التجوم التي بها قوام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعاً والارضين سبعاً
 والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر شهراً ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ونقباء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من الانصار اثني عشر نقيباً وخلق تعالى في كف كل انسان أربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون
 جلته اثني عشر شقاً على انه في يد كل ايهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الأربع
 والشقوق التي في الاصابع كالبحر والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوم الارض
 بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان
 اثنتا عشرة خزة اشارة الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقه سبع فكان العنق عالياً على خرزات الظهر وذلك
 اشارة الى الانبياء النطقاء والاثمة السبعة وكذلك الاثباب السبعة التي في وجه الانسان العالي على
 بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو مادعاه اليه الداعي وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة
 السادسة * (الدعوة السادسة) * لا تكون الابعثوث جميع ما تقدم في نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى
 الرتبة الخامسة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من
 الفرائض بأمر مخالفة لظاهر بعد تمهيد قواعدين في ازمته من غير محلة تؤدي الى أن هذه الاشياء وضعت
 على جهة الرموز للصحة العامة وسياستهم حتى يستغلوا بها عن بغي بعضهم على بعض ونصدهم عن الفساد
 في الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانهم لما رتبوه من النواميس
 ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا اطال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام
 الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن اهامعاني أخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعي
 الى الكلام في الفلسفة وحضه على النظر في كلام افلاطون وأرسطو وفيناغورس ومن في معناهم ونهاه
 عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزينه الاقتداء بالدلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

عنده واعتقدته نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج لك الى زمان طويل * (الدعوة السابعة) لا يفصح بها الداعي مالم يكن أكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة أعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناسب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والاخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والاخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شيء خلقناه بقدر وهذا معنى ما نسمة من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائمين الواحد لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخرى في كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تميز لك ما ذكر ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقررت ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة * (الدعوة الثامنة) متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناله قال له الداعي اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاشياء عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والذاتي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجري امور العالم في احواله وأدواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقد المدعو قرر عنده الداعي أن هجرة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصطنعها بترتيب من الحكمة فتحوي معاني فلسفية بنيت عن حقيقة اية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة يرموز بعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقررون عنده أيضاً أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الى ذهن اليه وليس هو الاحداث ادوار عند انقضاء أدوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة * (الدعوة التاسعة) هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فاذا اتفق أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه ما يليق اليه ويتزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكتفيه معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما بعد المعرفة من سائر المشروعات فانها هي أثقال وآصار جعلها الكفار أهل الجهالة تعرفه الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم سياسة العامة وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعرف يعرف بميمون القذاح وكان من غلاة الشيعة فولد ابناً عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليفة فرتب له مذهباً وجعله في تسع دعوات ودعا الناس إلى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو إلى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعائه فأنكر الناس عليه وهـمـوا به ففتر إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكره بها طلب فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولده ابنه احمد فقام من بعده ابنه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الاهوازي داعية له إلى العراق فلقى جندان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كآبنا هذا عند ذكر المعز لدين الله معد ثم انه ولد لاجد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشائع فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشائع وكان من امرهم ما هو مذكور في موضعه فانتشرت الدعاة في اقطار الارض وتفقهوا في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من اجلها إلى الالحاد * (صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو) * وهوان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنياسائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذ على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما سمعته وسمعتة وعلته ونعله وعرقته وتعرفه من امرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحتى لمن عقد ذمته وأمر اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالفته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا ولا شيئا يدل عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به أو اطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما نعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمد عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحتج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله ونواي أولياء الله وتعاذى اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهر وباطن وعلانية وسرا وجهرا فان ذلك يؤكده هذا العهد ولا يهدمه ويثبت ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبيطه ويوضحه ولا يبعيه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على الشروط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيئا اخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على السر لذلك والصيانة له على الشروط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تغنى عن جميع من اسميتك وابنته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولولاك ولـى الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احد من اخواننا وأوليانا ومن تعلم أنه منابيب في اهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تناول عليه بما يبيطه فان فعلت شيئا من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على ذلك ومنه فأنت برىء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودينك وآخرتك وتبرأ من رسله الاقرين والآخرين وملائكته المقربين والكروبين والروحانيين والكلمات السامات والسبع المثاني والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا يبيننا يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت برىء من حول الله وقوته ملجأ إلى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار ان خالفت شيئا من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحتج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجوا جابها ما شيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما ملك في الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل يملوا لك من ذكرا وأتى في ملكك أوتستفيد الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأ لك أوتتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهن طوائق ثلاثا بنة طلاق الخرج لامشوية لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستخلف لك لامامك وحبك وانت الخالف لهما وان تويت او عقدت أو أضمرت خلاف ما احلك عليه وأحلفك به فهذه اليمن من اولها الى آخرها مجتدة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بنى وبينك قل نعم فقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة اضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

* (الدواوين) *

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره في القاهرة محلهما بدار الامارة من جوار الجامع الطولوني فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تنزل به الى أن استبد الافضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر وما زالت هناك حتى زالت الدولة * قال في كتاب الذخائر والتحف وحدثني من اثنى به قال كنت بالقاهرة يوما من شهر ر سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استنفل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة في قصر السلطان بغير امره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد ابواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادي ونغر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضي الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء مجتدين ابن بسمة ككتكين وامير العرب بن كيفلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا في الايوان الصغير فوققوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد القرائين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور وصحبتهم فعلة واتهوا الى حائط مجير فأمر والقهلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمر واهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية استتم بالذهب ذات مهارك فضة مجرة بسواد مسوح وفضة يياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهره النصول ومن الثياب الخانجي وغيره ومن الدرق اللطى والخلف التينى وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمخلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكر اعيدات الملبسة ديباجا المكوكة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعماسته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيه من الرماح الطوال الخطية العمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازلين والصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المساكين وحفظ الماني منازلهم

* (ديوان المجلس) *

قال ابن الطويرديوان المجلس هو أصل الدواوين قد عيا وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويطلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة بمن يكون مترشحاً لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام في العطايا والتأثير من الرسوم المعروفة في غرة السنة والتخايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهاث وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملائقات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمكاتب وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمة ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالعبرة المنع بها في اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمان الصحايا يقرب من ألفي دينار وما ينفق في دار الفطرة فيما يترقى على الثامن سبعة آلاف دينار وما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق في شهر رمضان في سباطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق في سباطي القطر والخز أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزانته من المأكول والمشرب والمواصلة من الهبات وما يخرج به الخطوط من التشييعات والمساحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شيء من هذه المطلقات وفي هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدي صاحب ديوانه الاصلي ومعه كاتبان آخران لتغزيل ذلك في الدقروالدقربارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كآب ديوان الرواتب عند متولييه وتحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير يضت بعد أن يستدعي من المجلس اوراق بالادرا الذي يقبض بغير خرج وفي الادرا ما هو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقر شره ويعلم مقدار عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيجتر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوح به وعلى ذلك الى أن ينتهي الجميع الى ارباب الضرفاذا تكمل استدعي له من خزانة الفرش وطاء حري لشده وشرابه لمسكه اما خضراء او حمره وبعد عمل له صدر من الكلام اللاتي بمابده وهذا كله خارج عن الكسوات المعلقة لاربابها والرسوم المعتدة في كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد القطر وعما يشهده دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة وأنا اولى ديوان الرواتب على ما يبلغه نيف ومائة ألف دينار وقریب من مائتي ألف دينار ومن القمع والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه في الشرا به جل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مسكه او الوزير لاستقبال المحترم من السنة الاتية في اوقات هالومة فيتاخر في العرض وربما يستوعب المحترم ليعيط العلم بما فيه فاذا اكمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يتخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتخيرها اربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستيثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحتمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يا مولانا ماتم انعام الالك ولا رزق الامن الله على يدك فقال ما ينقص به امرنا ولا خطنا وما صرفناه في دولتنا باذنتا وتقدم الى ولي الدولة بن جبران كاتب الانشاء بماضاه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر من المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرا الارزاق فليجروا على رسومهم في الاطلاق ما عندكم ينفد وما عند الله باقي ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار الرواتب مانصه أمير المؤمنين لا يستكثر في ذل الله كثيرا لا عطاء ولا يكتره بالثأخير له والتسويق والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شغلهم برحمته ورأفته وامنهم بما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدها للانعام والمناحة وتنشئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمناحة فليعقد ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من روايتهم وايجابها على سياستها لكافتهم من غير تأويل ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا في نسيانهم على عادتهم لا ينقص من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعلا بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى انما نأطعكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ولنسخ في جميع الدراوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال في كتاب كثر الدرر ان في سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيثار باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجملة في كل سنة أحداً وسبعين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثين ديناراً ورابع ديناراً مضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيثار فبلغني ممن انق به أنه كان في الأيام الفضيلة اثني عشر ألف دينار وصار في الأيام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف دينار وأما تذكرة الطراز الحكم فيها مثل الاستيثار والمشايع فيها كانت تشتغل في الأيام الفضيلة على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الأيام الاحمرية وعرض روزنامج بما اتفق عينا من بيت المال في مدة اولها محترم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سلخ ذى الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج بترًا والاساطيل بحرا والمنفق في ارباب النفقات من البحرية والمطبعة والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزائن القصور والزاهرة وما يتساع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم مندبل الكتم الشريف في كل سنة مائة دينار والمطلق في الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وعن الامتعة المتباعدة من التجار على ايدي الوكلاء والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنًا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين اربع مائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبع مائة وسبعة وتسعون ديناراً ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفاً ومائة وأربعين ديناراً ونهف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نقاد ما يمتد ثمانية وتسعين ألفاً ومائة وسبعة وتسعين ديناراً وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا يجري ولا تعزف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني والاجلاء اخونه وأولاده وما انعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحوائي وأرباب الخدم والكتّاب والاطباء والشعراء والفراسين الخاص والجوق والمؤدين والخطاطين والرفائين وصبيان بيت المال وتواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرّة من ذوى النيب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفاً وسبعمائة وثمانون ديناراً وثلاثين ديناراً يكون في السنة مائتي ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبع مائة ألف وسبعة وستين ألفاً ومائتين وأربعة وتسعين ديناراً ونصفاً * قال وفي هذا الوقت يعني شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة في ابي البركات بن أبي الليث متولى ديوان المجلس صورته المملوك يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمد له لانه اهل أن ينال خدمة وانما هي نصيحة تلزمه في حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر ما لا عد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التي هي ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها في عالي مجاسه ولا يسماعها في دولته وله ولا له مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة بالجاري الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم في الدواوين من اهله واصحابه ويسدأ بما باسمه مباومة ادرار من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون المطب وهو ما يبين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيارد من الحطب حمله واحد ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلاً ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفساحه ثمة زهرة قصر يتان وشمامة وفي كل اثنين وخميس من السماء بقاعة الذهب طيفور خاص وحصن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفاً من الخبز الموائد والسعيد وفي كل يوم احد وأربعاء من الاسطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفي كل يوم سبت وثلاثاء من الاسطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعي عنبا ويحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات بقله بركوب محلي وبقله برسم الراجل وفراسين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدي السلطان في الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلاً ولا تعود برسم ولده في كل يوم ثلاثة اوطال لحم وعشرة اوطال دقيق وفي ايام الركوبات رباعي والمشاهرة جاري ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون ديناراً وبرسم ولده راتباً عشرة دنائير وأثبت اربعة علمان نصاري ونسبهم للاسلام في جملة المستخدمين في الركاب ولم يخدموا لافي الليل ولا في النهار بما بلغه سبعة دنائير ومن السكر خمسة عشر رطلاً ومن غسل النخل عشرة اوطال ومن قلب الفستق ثلاثة

ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مرقي رطلان زيت طيب عشرة ارطال
شبرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف صية سماق أربعة ارطال حصرم
وكشك وحب رمان وقرصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدرو أشنان وية ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية
وثلمية واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطلينات والمساحة في بكور الفترة برسم
الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جلد وبرسم ولده دينار ورباعي وثلاثة قراريط وخروف
مقوم وخسة أرثوس وربيع قنطار خبز برماذق وبعن ارز بلن وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور
خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثانة اردب ومن الشعير مائة وخمسون
اردبا وفي المواليد الاربعة اربع صوا في فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منسديل حريري وشقة ديبقي حرير
وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احدهما اسكندراية وشقتان عتابي
وشقتان خز مغربي وشقتان اسكندراي وشقتان دمياطي وشقة طلي مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة
سقلاطون دارى وشقة عتابي دارى وشقة خز مغربي وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراي وشقة طلي
وفوطة وبرسم من عنده منديلان احدهما خزائي خاص ونصف اردية ديبقي وشقة سقلاطون دارى
وشقة عتابي وشقة سومي وشقة دمياطي وشقتان اسكندراي وفوطة وبرسمه أيضا في عيد الفطر طيفوران
فطرة مشورة ومائة حبة بوري وبدة مذهبة مكمله ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفي عيد
النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه
من القمح مالم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج أربعون ديناراً وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف
شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير وخصاصه في النوروز ثلاثون ديناراً وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ
ومعج حريري ومنسديل كم حريري وفوطة ومائة بطيخة وسبع مائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفردبسر
وثلاثة أقفاص تمر قوصي وقفصان سفرجل وثلاث بكالي هريرة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة
بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوالي النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه في الميلاد جام
قاهرية ومترد سيد معصمي وزلاية وست قرابات جلاب وعشر حبات بوري وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة
ترنج ونارنج ولحمون مركب وخسة عشر طن قصب وعشر حبات بوري وباسمه في عيد القدير من السماط بالقصر
مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأوفى يعني مجلس الوزارة ثلاثون ديناراً ولولده خمسة
دنانير ومن يكون هذه رسومه في اى وجه تنصرف أمواله والذي باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره في ديوان
الوزارة وابن أخيه في الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد
اختصر المملوك فيما ذكر والذي باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم
أنه ممن تجنب قول الحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض
بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التي تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا
مدخورا عندهم يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الازهاب في الايام الآمرية فوجده هو وغيره
الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجمل الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا
الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان أولا انتهى فانظر
أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كآب دواوينها تبين لك بما تقدم ذكره في هذه
المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقى احوال الدولة

* (ديوان النظر) *

قال ابن الطوير أمادواوين الاموال فان أجلاها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض
الاوراق في اوقات معروفة على الخليفة والوزير ولم يرفعه نصراني الا الا حزم ولم يتوصل اليه الا بالاضمان وله
الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له
الدواة بغير كرمي وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

* (ديوان التحقيق) *

هو ديوان مقتضاء المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاها الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق براس الديوان يعني متولى النظر ويقتصر اليه في اكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعني سنة احدى وخسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان وغب في التجهيز على الافضل بن أمير الجيوش بنهضه وبسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق يجانب والدراهم في صناديق يجانب وقام ابن أبي الليث بين الصنفين فلما شاهد الافضل بن أمير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفترحنى بالمال وترتبه أمير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة أو أرضا بائرة أو بلدا خراب لا ضرر بن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخسمائة

* (ديوان الجيوش والرواتب) *

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتقسم قسمين الأول ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره جلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امورا الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احدا الاجناد ورضى به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برزون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير احد من الاجناد الا برسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدي هذا المستوفى نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والحمى وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل يتخير يجمع صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لا مبر وان علاقده بلم مقورا الانادرا وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اعماء كل مرتزق وجار و جارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة فانفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستقر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار الى مائتي دينار ولم يقر لولد وزير خسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواسيهم على مقتضى عدتهم من خسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثاني حواسي الخليفة وأولهم الاساذون المهككون على رتبهم وجوارى خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبي الخصاص لكل واحد خسون دينار وان دونهم من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاقله كاتب الدست الشريف وجارية مائة وخسون دينار ولكل واحد من كآبه ثلاثون دينار ثم صاحب الباب وجارية مائة وعشرون دينار ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهم سبعون دينار وبقيمة الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينار الى ثلاثين دينار * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعي الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينار الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرون دينار الى عشرة وللشعراء من عشرون دينار الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينار وديوان التحقيق جاريه خسون دينار وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجارية أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا وجميع اصحاب الدواوين الجارية فيها المعاملات اكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خسون دينارا والحجاة بالاهراء والمناحات والجوالي والبساتين والاملاط وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع القراشون بالقصر برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامي المطابخ من ثلاثين دينارا الى ماحولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة في الاسمطة التي يجلس عليها ويلبهم الرشاؤون داخل القصر وخارجهم ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثمانيه رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفي رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب البين ولكل من هؤلاء المقدمين في كل شهر خسون دينارا ولهم قباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جواريمهم جوقه لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقه لكل منهم عشرة دنانير وجوقه لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون المحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها وأول من قتر العطاء لغلمايه وخدمه وأولادهم المذكور والانات وانسابهم وقتر لهم أيضا الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

* (ديوان الانشاء والمكاتبات) *

وكان لا يتولاه الا اجل كآب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتزليلها والاجابة عن المكاتب والخليفة يستشير في اكثر امورهم ولا يجيب عنه متى قصد المتول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره ورعايات عند الخليفة لياالي وكان جاريه مائة وعشرين دينارا في الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطقات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيخ وقراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسد والدواة لكنها بغير كرمى وهي من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذي الخليفة

* (التوقيع بالقلم الدقيق في المطالم) *

وكان لابد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكثر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلبوس دواة محلاة فاذا فرغ من المحالسة ألقى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مشاقيل ندمثلث خاص ليتجربه عند دخوله على الخليفة ثانيا مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وقراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا بأذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوى وغيرها

* (التوقيع بالقلم الجليل) *

وهي رتبة جلية ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل القراش لترتيب ما يوقع فيه

* (مجلس النظر في المطالم) *

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب فينادى المنادى بين يديه بأرباب الظلمات فيحضرون فن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاية والقضاة رسالة بكشفها ومن تطلم بمن ليس من اهل البلد ين احضر قصة بأمره فيتسلها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهلار العساكر وبين أيديهم التواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجالوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتقد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويحلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدأ الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحبس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي انهم وقع ليخرج الحال في ذلك فاذا احضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعتة المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاح ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة بمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وثبت في الدواوين

* (رتب الامراء) *

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اولاً بالمعظم واقل من خدم بها المعظم خرتاش في ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ في مرضه فلما عوفي اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنسيابة الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمام وينعت أبدأ بعدى الملك وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب في خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعتدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يميناً وهو يسار ويتولى اقتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير في حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤ فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم وبلى رتبة صاحب الباب الاسفهلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يرتب طائفتي الحافضية والاحرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليههم ارباب القصب والعماريات وهي الاعلام ثم رزى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الامثال وكانت الدولة لاتسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والتجدة واهذا دخل فيه أخلط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لالزينة والتباهي

* (قاضي القضاة) *

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاة رجلاً يابته عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجبالي واذا كان الخليفة مستبداً اقلد القضاة رجلاً ونعته بقاضي القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمام وأرباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعياً فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولي ابن عقيل القضاة رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحت السامان فاستر هذا الرسم ويجلس الشهود حواليه يمينه ويسرة بحسب تاريخ عدلهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنتان بين يديه واثنتان على باب المقصورة وواحد يتقدم الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنتان مابلان اثنتين وله كرمي الدواة وهي دواة محلاة بالقضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل يجامكنة في الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دقترضة ومكان الجلده حرير وتأتيه في المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولي الدعوة مع الحكم فان للدعوة في خلعه الطبل والبوق والبنود الخاص وهي نظير البنود التي يشترف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواله القراء رجاله وبين يديه المؤذنون يعلنون بذلك الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنو اب الباب والحباب ولا يتقدم عليه أحد في محضره حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملأ ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يوم الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لا يفترقون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير وكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحته وكان القاضي لا يصرف الا بفتحته ولا يعدل أحد الا بتركية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضي الشهود به ولا يحتج أحد على الشرع ومن فعل ذلك ادب

* (قاعة الفضة) *

وهي من جملة طاعات القصر

* (قاعة السدرة) *

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشترها قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي "الحنبلي" مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادي عشر ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

* (قاعة الخيم) *

كانت شرق قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

* (المنابر الثلاث) *

استقبله من الوزير المأمون البطاحي وزير الخليفة الآخر بأحكام الله أحدها من بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة في أحدها للعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب

* (قصر الشوك) *

قال ابن عبد الظاهر كان منزلاً لبني عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوك وأدركت مكانه داراً استحدثت بعد الدولة الفاطمية هدمها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة إحدى عشرة وثمانمائة لينشئ داراً فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

* (قصر أولاد الشيخ) *

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب الأمير الكبير معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن جويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام يسرى وفيه عدة دور منها دار الطوائف سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن الخلق أيضاً من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديماً باب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف في زمني باب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار كما يأتي ان شاء الله تعالى

* (قصر الزمزد) *

هو من جلة القصر الكبير وعرف أخيراً بقصر قوصون ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لأنه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به في سنة بضعة وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحرايق السلطانية أساقيل وجزّهما إلى المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين تجاه الطبليخانة من قلعة الجبل وأدركا لجزء من العمودين أوقافاً في أيام تجميع الناس فيها من كل أوب لمنا هذه ذلك ولهم جوايد كرها زمننا وقالوا فيه ما شعر أو غناء كثيراً وعملاوا نحو دجبات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجزء العمود وكانت الأنفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس أقبال على الله وكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(ركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الأقصر على يمينه من أراد الدخول إلى المسجد المعروف الآن بمسجد موسى وقيل له الركن الحق لأنه ظهر في سنة ستين وسبعمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بركن المخلق وأخبرني الأمير الوزير أبو المعالي يلبغا الساماني أنه قرأ في الأساطير المكتوبة بأسكنة باب الجامع الأمر كلاً ما من جلته والحوادث التي بالركن الخوق بواب بعد الخلاء فرأيت بعد ذلك في الأمالى للقاتي وقال أبو عبيدة عن أبي عمرو والخوفاء الصحراء التي لا مأبها ويقال الواسعة وأخوق واسع فله سمي الخوق بمعنى الانساع فكان ركناً مقسماً وفي بناء واسع أو يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح اللام وتشديد اللام وقهها أي مستواً ملس وكل ما لين وملتس فقد خلق فكل تلس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عند ما خلقوه بالزعفران والله أعلم

(السقيفة)

وكان من جلة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتطلون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله فيسجد الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو والي ومن غريب ما وقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث في أمور الدولة وبين أيام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من اتسبب بعد انحطاط النبل من العدول والنصارى المكتتاب إلى الأعمال البحر مما شله إلى وزرع من الأراضي وكناية المكلفات فخرج إلى بعض النواحي من يحسها من شاذ وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصراني ثم لحقهم وأراد التعدي إلى الناحية فجعله ضامن ثلث المعدية إلى البر وطلب منه اجرة التعدي فنصر فيه النصراني وسبه وقال أنا ما سمع هذه البلدة وتريدني حتى التعدي فقال له الضامن ان كان لا زرع خذ وقطع الجام بغلة النصراني وألقاه في مدينته فلم يجده النصراني به من دفع الاجرة إليه حين أخذ الجام بغلته فلما تم مساحة البلد ويض مكلفة المساحة ليعملها إلى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجلة بزيادة عشرين قد انزلت بيضاء في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط على بالهجة ثم كتب في البياض الذي تركه ارض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فدنا قطعة كل ثمان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة إلى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر رتب من الجند من فيه حراسة وثدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصراني فيخرجون إلى ماثر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة فينتقون في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل يتدب قوم سواهم فلما خرج الشاذ والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ومن جعلهم ضامن المعدية فلما حضر الزرع بستة وعشرين ديناراً وثاني دينار عن نظير ثلث المال الثمانين ديناراً التي تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدق اهل البلد فلم يقبل الشاذ ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة

قوله السقيفة هكذا هنا
في النسخ بالقاف والقاء
وهو الظاهر المتبادر
خلافاً لما مر من انها
سقيفة بالقاء والنون
اه محصيه

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاد به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي علمت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادي عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعد لواحدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرم ما يعلم النجوم وله عدة من التجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من اكبر ركاب التصاري ودفعوا اليه جلة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالآخر من أبي زكريا وسأله أن يذكرك الحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان اقامه في تدبير دولته زاد النبل ونما الارتفاع وزكت الزروع وتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجل الاوضاع فطمع ذلك التجمين في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قدره التصاري معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصراني وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الآخر عن الحضور اليه قصد امهم وخشيعة أن يظن بكبرهم الى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضره بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منحه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه امير الدواوين فأعاد كتاب التصاري أو فرما كانوا عليه وشرعوا في التجبر والغوا في اظهار الفخر وتظاهر بالاباس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في ارزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والاماليك والحواري من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فأجلأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصراني وفي ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصراني في الفروج * وتالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الاسلام طرأ * وصار الامر في ايدي العلوج

فقل للدعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلاحي وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجماء البئر التي قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كئيلة ثم استولى عليها اجمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لآخيه ناصر الدين الخطيب وغيرها

* (دار الضرب) *

هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله ابي تميم معد وذلك أن الامر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانوا اخص غلمان الامر بالامير عبد المجيد ونصبا خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ اكبر الاقارب سنا وذكر أن الامر قال قبل أن يقتل بأسوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكر وهو الخليفة من بعده وأن كفاله للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور ونذب هزار الملوك للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبرهم رضوان بن ولخشي وقاموا بأبي علي بن الفضل الملقب بكسيفات وقالوا لارضى الا أن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاجد بن الفضل في سادس عشره فكان أول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقبده وهم يخلعه فلم يأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر وقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة باليد ان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة

المد كورة وفكروا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه في السبائك على منصب الخلافة وطيف برأس أحد ابن الفضل وطلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس نجس خلون من جادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الفضل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام

* (خزائن السلاح) *

كانت بالايوان الكبير الذى تقدم ذكره في صدر السبائك الذى يجلس فيه الخليفة تحت القبة التى هدمت في سنة سبع وثمانين وسبع مائة كما تقدم وخزائن السلاح المد كورة هي الآن باقية بجواردار الضرب خلف المشهد الحسيني وعقد الايوان باقى وقد نشعت

* (المارستان العتيق) *

قال القاضي القاضى في معتقدات سنة سبع وسبعين وخمسة مائة في ناسع ذى القعدة أمر السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختر له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعين وجراحين ومشارف وعاملوا وخداما ووجد الناس به رقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدر ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وقيل ان القرآن مكتوب في حيطانها ومن خواصها انه لا يدخلها نمل لطلبهم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا ومأوى مباشر به عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قد بما المارستان فيما بلغنى القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المد كورة تعرف اليوم بالخرطين المسلول في الى الخمين والجامع الازهر

* (التربة المعزية) *

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم في نوايت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدي عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد وابنه الامام المنصور بن نصر الله اسمعيل واستقرت مدفنسايدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملة الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزرا كشة العتيق ومن هناك بابها ولما انشأ الأمير جها ر كس الخليلي خانة المعروف به في الخط المد كور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت في المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هنالك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بظلة وعاد الى القصر لا بد أن يدخل الى زيارة آباءه بهذه التربة وكذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائما وفي عيدي الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم يفرق قال ابن المامون وفي هذا الشهر يعنى شوال السنة ست عشرة وخمسة مائة تنبه ذكر الطائفة الترابية وتقرر بين يدي الخلافة الامر بأحكام الله أن يسر رسول الى صاحب الموق بعد أن جعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لتزار امامة ومن اعتمد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكر واجتمع فكاتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قوت شوكتهم واشتدت في البلاد طمعهم وانهم سبوا الآن ثلاثة آلاف برسم التجوى وبرزم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون في محفلهم فتقدم الوزير بالقصص عنهم والاحتراز التام على الخليفة في ركوبه ومنتهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يرل الحث في طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألفا دينار فان الخليفة أبى قبوله وأمر أن يتقى في السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بن علي عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الائمة بالقصر وأمر الوزير المأمون بأعلاق أني دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حامل الصناديق التي تشتمل على مال التجار برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الازهر أني اردب قحما وتصدق على عتقة من الجهات بجملة كثيرة واشترت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال في كتاب الذخائر ان الاثر ان طلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة فما ظلمهم وانهم جمعوا على التربة المدفون فيها الجادة فأخذوا ما فيها من قنديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما جمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والجحار وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

* (القصر النافعي) *

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فدى المهندار الذي يدق فيه الذهب وما في قلبه من خان منبجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بمحذاء خان منبجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشي وكان هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذي بالخيمين المعروف قد يتاخران منكورس ويعرف اليوم بخان القضاة واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملي المهندار الذي يعرف بفندق المهندار بعد أن كان اصطبله واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايد مرى المعروف بالدر فيل دوا دار الملا الطاهر يبرس وعمره اصطبله ودارا وهي الدار التي تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز علي باب درب الحبشي ثم عمل الاصطبل الخان الذي يعرف اليوم بخان منبجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشي الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شيء البتة

* (الخزائن التي كانت بالقصر) *

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزانة السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخسيم ودار التعبئة وخزائن دارا فتكين ودار الفطيرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكانت الخلية بمضى الى موضع من هذه الخزائن في كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فزاش يخدمها ويرتطفها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها في السنة

* (خزانة الكتب) *

قال المسيحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزانة دفاتره فأخرجوا من خزائنه نفيا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزانة فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر أفضان وأربع مائة ختمه قرآن في ربعاته بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاثر الذي واجبا تم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا توصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أفلاما مبرمة من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرم سنة احدى وستين وأربع مائة قرأت فيها خمسة وعشرين من جلاموقرة كتبنا محمولة الى

دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزانة القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجلبين وان حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاري عماليكه وعلمانه بخمسة آلاف دينار وذكروا من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن جردان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزانة دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبي الفضل بن المحرق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لوانة محولا مع ما صار اليه بالاتباع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين وأربعمائة وما بعد هاهنا من الكتب الجليلة المقدرة المدونة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الريح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم في فواحي آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجي الخليفة راكبا ويرجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الحليس بن عبد القوي فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده ويحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بمحاور وعلى كل حاجز باب مقفل بمخصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجلدات فنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والجماعة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ماتت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كبن البواب وغيره وتولي بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وقرآنان صاحب المرتبة وآخر يعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تسجل على ألف وستائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مائة عوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

* (خزانة الكسوات) *

قال ابن أبي طي وعمل يعني المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسوها الناس على اختلاف اصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسمًا يتوارثونه في الاعقاب وكتب بذلك كتبًا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر اقتراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزانة الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلود بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونقيس الملبوس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نقيس الطعومات والمشروبات وسعت من يقول انه حضر كسوة القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعتهم على الامراء الثياب الديني والعصائم بالطرارز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خيما ندينا ويخلع على اكبر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف الخجلة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل - يعنى الوزير المأمون في مجلس الوزارة
 لتنفيذ الامور وعرض المطالبات وحضر الكتاب ومن جلّتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان امره من
 عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسة
 من الاصناف اربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما انفق عن مثل ذلك في الايام الافضلية في طول
 مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسة ثمانية آلاف وسبع مائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم
 ما رسم به في منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وست مائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد
 في آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه في الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهب وسلف
 دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه نعم الجماعة وفي غيره
 للاعبان خاصة فأحضر الامير اقتضار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم
 الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة فويها موشع مجاوم مذايل عدتها بالفاقتين احدى عشرة قطعة السلف عنها
 مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول لثمائة وسبعة وخسون مثقالا ونصف كل مثقال
 اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبه * تفصيل ذلك شاشية طميم
 السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي اقامنديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخسون
 قصبه ذهب عراقي فان كان الذهب نظير المصري كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل
 مثقال نظير تسع قصبات ذهب عراقيا وسط سرب بطانة المنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبه ذهب عراقيا
 نوب موشع مجاوم مطزف السلف خسون دينارا وثلثمائة وأحد وخسون مثقالا ونصف ذهب عاليا اجرة كل
 مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصف نوب ديقى حريرى
 وسطانى السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم اقل مذهب
 السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهب عراقي اقامنديل كم ثمان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف
 اربعة دنانير عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهب عاليا عرضى لافاة للثمت دينار
 واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها بالفاقتين عشرة قطع السلف مائة وأربعة عشر
 دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخسون مثقالا ومن الذهب العراقي سبع مائة وأربعون قصبه تفصيل
 ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي منديل السلف ستون دينارا وست مائة قصبه
 ذهب عراقي شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخسون مثقالا ذهب عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار
 شقة ديقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا شقة ديقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة
 دنانير حجرة اربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم الثمت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم
 في ايام الاصل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الاحطه والدواوين
 الى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الاجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الامر بدلة مذهبة مبلغها تسعون
 دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهب عاليا وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي تفصيل ذلك
 منديل السلف خسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي شقة ديقى حريرى وسطانى
 السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلاث عرضى ديقى ثلاثة
 دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بمخدمتها جوهر حلة مذهبة موشع مجاوم مذايل مطزف عدتها
 خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبه تفصيل ذلك مذهب مكلف موشع مجاوم السلف
 خمسة عشر دينارا وست مائة وستون قصبه سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبه معجرا أول
 مذهب موشع مجاوم مطزف السلف خسون دينارا وألف وتسعمائة قصبه معجرا ثمان حريرى السلف خمسة
 وثلاثون دينارا ونصف رداء حريرى اقل السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريرى ثمان السلف تسعة
 دنانير دراعة موشع مجاوم مذايل مذهب السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقي ألفان
 وست مائة وخمس وخسون قصبه شقة ديقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديقى
 بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاة ديقى السلف اربعة وعشرون دينارا وست مائة قصبه منديل

قوله بدلة خاص الخ
 ما ذكره في هذه البدلة
 وما بعدها من الكسوات
 والحلل تنصيصه في
 الغالب لم يوافق اجماله
 على مقتضى ما يبدى
 من النسخ ولا يخفى ما في
 عباراته في هذا المقام
 لو أمثاله من الطوق ومخالفة
 العزمية اهـ مصححه

كم اقول السلف ستة دنائير ومائة وستون قصبه مندبل كم ثمان السلف خمسة دنائير ومائة وستون قصبه مندبل كم ثالث السلف خمسة دنائير حجرة ثلاثة دنائير عرضي ديبقي ثلاثة دنائير جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على التشرح والعتدة جهة مرشد حلة مذهبة عتدها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقي ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبه جهة غير مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العالدة العمة مثل ذلك المولى الجلساء من بني الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر بن الامير محسن والامير ابو علي ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير ابو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدة مذهبة البنون والبنات من بني الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدة حريري ست سيدات لكل منهم حلة حريري جهة المولى ابي الفضل جعفر التي يقوم بخدمة تاريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريري مباحة بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهم حلة حريري عشر وقافات لكل منهم كذلك المعلة مقدمة المائة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من ارباب الصنائع من القصوريات ومن افضاف اليمن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريري على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريري وكذلك المستخدمات عند مكنون الاحراء الاستاذون المكنون الامير الثقة زمام القصور بدة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدقر كذلك الامير خاصة الدولة ربحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى السكر كذلك وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جند بدة مذهبة نظير البدة المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريري أربع قطع ولفافة مغطاة مختار الدولة ظل بدة حريري ستة استاذين في خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جند بدة مذهبة جهة جوهر زمام الدار الجديدة بدة حريري تاج الملك امين بيت المال مثله مقلع برسم الخدمة في المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاص مثله النواب عن الامير الثقة في زمام القصور وعتدهم أربعة لكل منهم بدة حريري خسرواني العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهم بدة كذلك الصقالبة ارباب المذاب وعتدهم أربعة لكل منهم بدة حريري وشقة وفوطة نائب السرم مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعتدهم خمسة لكل منهم مندبل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندراوى وفوطة الاستاذون الشدادون برسم الدواب وعتدهم ستة كذلك حامل برسم السيد الاجل المأمون يعنى الوزير بدة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عتدها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرئاسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الفضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن مقدمة العساكر وزم الازمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا الخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن في الرأي من الحاشية المأمونية ثلاثون بدة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابي اسامة كاتب الدست الشريف بدة مذهبة عتدها خمس قطع وكم وعرضي الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجية الباب بدة مذهبة كذلك القاضي ثقة الملك ابن النائب في الحكم بدة مذهبة عتدها أربع قطع وكم وعرضي الشيخ الداعي ولي الدولة بن ابي الحقيق بدة مذهبة الامير الشريف ابو علي احمد بن عقيل قصب الاشراف بدة حريري ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدة كذلك ديوان المكاتب الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل ابي الحسن النائب عن والده في الديوان المذكور بدة مذهبة عتدها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن اخوهما كذلك اخوهم ابو الفتح بدة حريري قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد التدمي منشى ما يصدر عن

ديوان المكاتب ومحترما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومنزى ابو سعيد الكاتب بدلة
حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى العيني فى الاصلاق كذلك وأما الكتاب ديوان الانشاء
فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه اسماء وهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولى الدولة
ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ولا مرأته حلة مذهبة
الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدقتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدى الملك
ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة
ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدموا الرقاب عفيف الدولة
مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المتقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى
الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من القراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون
لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن على بن ابى الشديد بدلة
حريرى ابو الفضل السطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمة برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة
مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهم بدلة مذهبة المستخدمة فى
المواكب الامركوكب الدولة بمامل الرح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملوا الرمح
المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهم لمانديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى
خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملوا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهم بدلة متولى
بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى متولى جل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان
الخاص برسم جل العشرة رماح العربية المغشاة بالدياج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل
السبع وراء الموكب بدلة حريرى المتقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء القراشين
الذين يخطون عن قراشى الخاص وقراشى المجلس وقراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى
القراشون فى خزائن الكسوات المستخدمة بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم
فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها يده على سبيل البركة ويكمل المستخدمة بقية شذها وما سوى
ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل وسوسى وشقنان اسكندرانى
المستخدمون برسم جل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطبيب وكانت من
الخدم الجليلة وكان بها الاعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها
عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزانة السروج بدلة حريرى مشارف خزانة
الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزانة الشراب ومشارف خزانة الكتب كل منهم بدلة حريرى بركات
الادى والمستخدمون بالدولة بالباب وشنان الدولة من الكركندى عن زم الرحبة والمبيت على ابواب القصور
وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون يلواء الموكب بعد القز بن وعدتهم عشرون لكل منهم
الكسوة فى الشتاء والعبيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العبيدين من القراشين اكثر من صبيان
الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون فى تقديمها ويقفون عندهم المستخدمة فى الركاب بما لهم من التحصل
فى الخلفات فى العبيدين وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ما لا خدمهم فيها نصيب وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم
وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عبد الفطرم سنة
خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منعما بالارغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب
بجز لا حظهم من منائحهم ومواهبه موصلا اليهم من الجباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير
لاولاهم من ذلك يجسمه واحراهم باستنشق نسيمه وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيه اذ كنت فى
سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناجحة صدرا ومن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا وحظى فى خدمة أمير
المؤمنين بما عطر له وصفوا سيره ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس حياتهم
ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفى المواسم التى
تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعدها مطمع لآمال وكنت من

أخص الامراء المتقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بفترة شهر رمضان وجمعيته برسم الخليفة للفترة بدلة كبيرة
موكببة مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكببة حريري مكملة مندبلها
وطيلسانها ياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة مندبلها وطيلسانها شعري وما هو برسم أخى
الخليفة للفترة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات ويرسم الوزير للفترة بدلة
مذهبة مكملة موكببة وبرسم الجمعتين بدلتان حريري ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فيذكر
ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهي برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احدهما مندبلها وطيلسانها
طميم برسم المضي والاخرى جميعها حريري برسم العود وكذلك ما يخص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان
وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكببة مذهبة في تخت وبرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم
جهته حلة مذهبة في تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبي الرقاد في تخت وكل تحت عدة بدلات وحضر
متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزان
عن الواصل وهو ما يفضل برسم الخاص من الغلمان برسم سبع مائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى
وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمايطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحر وبرسم النوابية التي
برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراى والكلمات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها
واسماء المستقرين قبضها * وقال في كتاب الذخائر وحديثي من اثنى به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومننا ما اخرج
من خزائن القصر يعنى في سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة
اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزان مما حترت قيمته على يدي وبحضرتي اكثر من
ألف قطعة وحديثي ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادي أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى
ابوسعيد النهاوندى المعروف بالمعتدي بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر
ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خمر واني
وحديثي عميد الملك ابو الحسن على بن عبد الكريم نحر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل بطالب
المستنصر بما يبقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع ألوانها كاملة
فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة في خزائن الكسوات لهاربة عظيمة في المباشرات وهما
خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حوائى الخليفة اما استاذ وغيره وفيها من الخواصل ما يدل على اسباغ نعم
الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الثمينة والخاص الدينى الملوثة رجالية ونسائية والديباغ
الملوثة والسقلاطون واليا يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل
وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولا يحاسبه مكان خياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر
وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزنة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت
بزين الخزان ابد او بين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابد ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية
وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الامن هذه الخزانة وكان
برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى ابدافيه التسرين والياسمين فيجعل في كل
يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية
او الشتوية شتلىن تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة
على ترتيب المقرض من شقق الديباغ الملون والسقلاطون الى السوسى والاسكندراى على مقدار الفصول
من الزمان ما يقرب من مائتى شدة فالخواص في العراضى الدينى ودونهم في اوطية حرير ودونهم في فوط
اسكندرية ويدخل في ذلك كتاب ديوانى الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك
يخرج من الجوارى في الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد
وفاة العاضد وكشف حاصل الخزان الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من
موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكائف
بهاء الدين قراقوش

* خزان الجواهر والطيب والطرائف *

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجواهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجواهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجواهرين من اهل الخبرة بقيمة الجواهر الى بعض خزائن القصر يعني في ايام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوقا كيل منه سبعة أمداد زمرد قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جالس الخمر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض الخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجواهرين كم قيمة هذا الزمرد فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجودا وثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاعتنا وقال ابن أبي كدينة فخر العرب كثيرا المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الجيوش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكسب ذلك وقبضه وأخرج عقد جواهر قيمته على الاقل من ثمانين ألف دينار فضاء عدا فتحرى اياه فقال يكتب بأبي دينار ونشغلوا بنظر ما سواه وانقطع سلكه قتنا ترجمه فأخذوا احدهم واحد فاجعلها في جيبه وأخذ ابن أبي كدينة اخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقي الخالفين التقطوا ما بقي منه وغاص كأن لم يكن وأخذ ما كان انفذ الصليبي من نفيس الدر الرقيق الرائع وكيه على ما ذكر سبع وبيات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجواهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجدادهم وله وصار اليه من وجود دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرد والاثنان باقوت سماقي ورماني يبعث باثني عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ونية جواهر وأحضر الخبراء من الجواهرين وتقدم اليهم بقيتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشتري مثله الا المملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جواهر الكاتب المعروف بالخنار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجواهر اشتراه جده بسبع مائة ألف دينار واسترخصه فققدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا الجري بالذهب والمجروود والبغدادى والخياردى والمدهون والخلنج والعيني والذهبي والامدى وخزائن الفرس والبسط والستور والتعليق فلا يحصى كثرة وحديثي من اثنى به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقا من صافي البلور المتوش والمجروود شيء كثير وان جميعها ملوء من ذلك وغيره وحديثي من اثنى به انه رأى قدح بلور يسع مجرودا بمائةين وعشرين ديناراً ورأى خردادى بلور يسع ثلثمائة وستين ديناراً وكوز بلور يسع بمائةين وعشرة دنانير ورأى صحن مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى مادونها وحديثي من اثنى بقوله انه رأى بطرايس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احدهما خردادى والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصرى ماء والخردادى تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابى الحسن على بن عمار فدفعت فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما اخرج من الخزائن وان الذى تولى بيعه ابو سعيد النهاوندى من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدينة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الاقل دينار الى عشرة دنانير واخرج من صوافى الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوءة جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جدا ووجد فيما وجد غف خبار مبطن بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاواني عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرودا ومحكم او ما يشاكله ووجد اكثر من مائة كاس باد زهر ونصب وأشباها على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة ملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة ملوءة من انواع الدوى المربعة والمذقورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها ما يساوى الاقل دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق ملوءة مشارب ذهب وفضة مخزقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

ما يكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جاجم العنبر
الشجرى وفواجج المسك التبتى وقوارير وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة مائة ألف دينار وسبع مائة ألف دينار من جلته ثلاثون ثوب خز مقطوع
واثناعشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطر مزم مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معصمات
يجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخراساود الذى مات فيه بطوس وكان من ولى من الخلفاء
ينظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزائنه ووجد لعبد بن المعز أيضا وماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزان السيدة عبدة ومقاصيرها
وصناديقها وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع في خواتمه على الصحة والمشايدة اربعون رطلا بالمصرى
وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضا اربعمائة قطرة والى وثلاثمائة قطعة
مينافضة مخزقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلى بالذهب وثلاثون الف شقة فضيلة ومن
الجواهر مالا يحصى كثيرة وزمرد كيلة ارب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازورى وجد في موجوداتها
طستنا وبريقا فلنظر استحسنه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة
وعشرون مثقالا واخرج أيضا تسعون طستنا وتسعون ابريقا من صافى البلور ووجد في القصر خزان مملوءة من
سائر أنواع الصينى منها الجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع
قيمة كل قطعة منها ألف دينار معه مائة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة ببض صيني معمول على هيئة
البض في خلقته ويأضه يجعل فيها ماء البيض التيمرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا
ذكر أنها الحصير التي جلبت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا
مجر بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها ثلاثة آلاف دينار انفذ
جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراعى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها
كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكمل بالجواهر في غلف الكيخفت وسائر أنواع الحرير
والخيزان وغيره مضرب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضيبها الفضة
والذهب شئ كثير وأخرج من خزائن الفضة ما يقارب الاف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجرأة
بالذهب فيها ما زنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والهندسة التي تساوى خمسة دراهم
بدينار وان جميعه يبع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأربعة الخيام وقضيب
المظال والمحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والرازين والسمروج والنجم والمناطق التي
للعماريات والاقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطر شج والتبردا المعمولة من سائر أنواع الجواهر
والذهب والفضة والعاج والابنوس براق الحرير والمذهب مالا يحصى كثيرة ونفاضة وأخرج آلات فضة وزنها
ثلاثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوى ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات
مصنوعة مجرأة بالذهب عدتها اربعمائة قصص كبار سبكت جميعها وفزقت على الخفافين وأخرجت أربعة
آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها الترجس وألصق بنفسجية كذلك وأخرج من خزائنه الطرائف ستة
وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار
واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تماثيل منها وزنه اثناعشر مثنا وكبره يجاوز ذلك ومن
تماثيل الخليفة مالا يحصى من جلته ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوثة المرصعة بالجواهر وكانت من غريب
ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن
ما فيها من الجواهر سبعة عشر رطلا اقسى انخر العرب وتاج المولود فصارت الى انخر العرب منها قطعة بلش وزنها
ثلاثة وعشرون مثقالا وصارت الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة
فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندی كل واحد من تسعة
أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصورى زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة
آلاف مثقال واخرج من ادر صيني محمولة على ثلاثة ارجل ملء كل وعاء منها ما تارطل من الطعام وعدة قطع شب

وباد زهره من اجام سبعة ثلاثة اشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطر ميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوجة بلور مجرود تسع عشر رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع نذ فيه ألف مثقال كان نخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلي عمله مكتوب في وسطه نخر الدولة شمس الملة وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنته طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجري بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من البياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع وجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه قخته أربعة اشبار مليح الصنعة في غلاف خيزران وبطيخة من الكافور في شبالة ذهب مرصعة وزنها خالصه سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يسكهها من الذهب ثمانون مثقالا وبطيخة كافور أيضا وجمد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمهاتها بيضة بلخس وزنها سبعة وعشرون مثقالا اشتد صفاء من البياقوت الاحمر وقاطر ميز بلور مليح التقدير يسع مرققين قوم في المخرج ثمانية دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار فامتنع من بيعه ومائدة جرع يقعد عليها جماعة قوائمهاتها مخروطة منها وبطيخة ذهب مكللة بالجواهر وبيع الدر في اجانة ذهب تجمع الطلع والبلج والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومزينة مكللة بحج او لوف نفيس وقبة العشاري وكارته وكسوة رحله الذي استعمله على بن احمد الجبرجراي وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبع مائة درهم نقرة واطلاق للصناع عن اجرة صياغته وثمان مائة الفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما دينار واخرج العشاري القضي الذي استعمله على بن احمد لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف اجرة صياغة وطلاء ألفان وأربع مائة دينار وكسوة بجال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التي برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤوس منخرفات وأهلة وصرفيات وكانت اربع مائة ألف دينار ستة وثلاثين عشاريا وعدة مياكيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخروقة مذهبة وطينه نذ وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأشجاره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زينة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرد زينة كل قطعة ثمانون درهما نصاب مائة من زمرد له طول ونخن كل ذلك أخذه الخالقون

• خزانة الفرش والامتعة •

قال في كتاب الذخائر وحدثني من اتق به عن ابن عبد العزيز الانماطي قال قوامنا ما اخرج من خزانة القصر من سائر الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزانة ما حتررت قيمته على يدي وبمحضرتي أكثر من مائة الف قطعة وأخرج مرتبة خسرواني جراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلوبني بيعت بألفين وأربع مائة دينار وثلاثون سنده سبعة بيعت كل واحدة منها بثلاثين ديناراً ونيّف وعشرون الف قطعة خسرواني في هدي لم يقطع منها شيء وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وبرز الاثمان في مدة خمسة عشر يوماً من صفر سنة ستين وأربع مائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون ألف الف دينار قبض جميعها الجند والأتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثني الامير ابو الحسن على بن الحسن احد مقدمي الخمين بالقصر أن القراشيين دخلوا الى بعض خزانة الفرش لما اشتدت مطالبة المارق للمستنصر بالمال الى الخزنة المعروفة بخزانة الرفوف وسجت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد قانز لو انما ألقي عدل شقق طميم يهدبها من سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعيد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معموله للقبلة من

خسرواني احر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول الخاذا القبيل ورجليه ساذجة بغير ذهب
واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني احر مطرز بأبيض في هدهبها لم يقصل من كسايون
كاملة بجميع ألوانها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاضه ومساوره ومراسته وبسطه وعتبه
ومقاطعها وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلوني
والديني من سائر ألوانه وأنواعه المنجل والخسرواني والديساج الملكي والخزوسا الحرير من جميع ألوانه
وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نقاسة واخرج من الحصر والافخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة
وغير المطرزة من المخرمة والطيور والقبيلة المصورة بسائر أنواع الصور شئ كثير والتمس بعض الأتراك من
المستنصر مفرمة يعني ستارة سندس اخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من
جملة اعداد اعدال فيما من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها
عدة مشين تقارب الاف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسم ومدة ايامه
وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه
وتعاليقه وسائر ألوانه منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى نحر العرب مقطع من الحرير
الازرق التستري القرقوي غريب الصنعة منسج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله
في سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهاها ومسالكها شبيه
جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبنية للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه
بالذهب والفضة او الحرير وفي آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا للعالم رسول الله في
سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمي احر
منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لامل له ولا قيمة وبساط خسرواني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من
بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهي قرية من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها
ويستخبر عن احوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في اماكن خارجها
بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعني يوم يطوف بها الخليفة

* (خزائن السلاح) *

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والاكات والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثامرين
على المستنصر وهم ناصر الدولة بن جدان وأخوه وبلد كوس وابن سبكتكين وسلام عايك وشاور بن حسين
حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وممصامة عمرو بن معدى كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسي وسيف
كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف
الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وسيف جعفر الصادق
رضي الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية
وصناديق النصول وجعاب السهام الخليج وصناديق القسي ورزم الرماح ازان الخطية وشدات القسا الطوال
والزرد والبض مشين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل
اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هنالك ويتأمل حواصلها من الصكر اغندات المدفونة بالزرد
المغشاة بالديساج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة
وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العرييات والقلجوريات والرماح القنا والقطاريات
المدفونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسي الرماية اليد المنسوبة الى صناعتها مثل الخطوط المنسوبة الى
اربابها فيحضر اليه منها ما يجز به ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل
والركاب وقسى اللولب الذي زنة نصله خمسة ارطال ويرمي من كل سهم بين يديه فينظر كيف يجراه والنشاب الذي
يقال له الجراد وطوله شبر يرمي به عن قسي في مجارعه مولة برسمه فلا يدري به الفارس او الراجل الا وقد نفذ فاذا
فرغ من نظره ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا
في النسخ ولم يستوف
العشرة فليحذر اه
مصححه

للاساطيل من الكبيرة الخارجية والحدود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون ديناراً ويخلع على متقدم الاستعمالات جو كانية مزينة حريراً وعمامة لطيفة

* (خزائن السروج) *

قال في كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجرأة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلاثمائة وثمانية مائة زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التستري دخرها له فيها وتقدم به فظها اكل سرج منها يساوي من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سببك جميعها وفرق في الاتراك كان يرسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدنة اربعة آلاف سرج مثلها وودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهي قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخرجة الجانيين على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة وفوقه في الحائط وتدمدهون مضروب في الحائط قبل تبيخه وهو بارز بروزا متكأ عليه المركبات الحلي على لحلم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة والفضة خاصة والذهب والفضة وقلاندها وأطواقها الاعناق الخيل وهي لخصاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها لحمام هو الخصاص ومنها الوسط ومنها الدون وهي خيار غير هارسم العواري لارباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخصاص فيكون عند المستخدم بشده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدماً والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخزازين عدد اجماع اثنين لا يفترقون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السروج واللاتاد والجمع وكل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض فلا يحتل عليهم منها شيء وكذلك وسط قاعته باعده متواليه أيضاً والشدادون مطلوبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقيتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميهما للتفرقة في المستخدم من عشرين ديناراً ويقال ان الحافظ لدين الله عرض له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامي فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يقل ختم العدل الا هو ونحن نعود في وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الامر بأحكام الله تحتدته نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجاً مجوفة اقراص وبطنها بصفائح من قصدير ليحبل فيها الماء وجعل لها منافيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها سبع سبعة ارطال ماء وعلى عدة محال الخيل من ديباج وقال في ذلك

دع الآوم عنى لست منى بموثق * فلا بدلى من صدمة المتحقق

وأسقى جيا دى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفريق

وأول من ركب المتصرفين في دولته من خيله بالمرأكب الذهب في المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

* (خزائن الخيم) *

قال في كتاب الذخائر وأخبرني سماء الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تخص من أعداد الخيم والمضارب والفاضات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والقساطيط المعمولة من الديبى والمخل والخسروانى والديباج الملكى والارمنى والهنساوى والكردوانى والجيد من الحلبي وما شبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضاً منها المقييل والمسبع والمخيل والمطاوس والمطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انايب الفضة والنياب المذهبة وغير المذهبة من سائر ألوانها وأنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير واللاتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها البطن جميعها بالديبى الطميم المذهب والخسروانى المذهب ونياب الحرير الصينى والتستري والمضبب

والرجح والشرفي والشعري والديباخ والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقة وأوتاده وعمده وسائر عتته على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له أربع حيطان وسقف بستة أعمدة منها عمودان للمعائظ الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها إلى الباب حائط مربع وأركانها شواركة من الجانبين على قدر القسام وفيها أربعة أعمدة اثنتان في الباب واثنتان في وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ولها حدان مشر وكان من الجانبين والشراع حائط في الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أي موضع دارت الشمس حول إلى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تأتم وشراع سابل خلفها من أي موضع دارت الشمس أدير والقبة على حالها • وحدثنى أبو الحسن علي بن الحسن الخنبي قال أخرجنا في جملة ما أخرج من خزانة القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطان فسطاطا كبيرا أكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة أذرع وثلاث ذراع ودائرته خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقة أربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل واحد يجمع بعضه إلى بعض بعري وشرايب حتى ينصب يحمل خرقة وحباله وعدته على مائة جبل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطر مصرية يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلي ماء من راوية جبل قد صور في رفرقه كل صورة حيوان في الأرض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه بأذنه طوله ثلاثون ذراعا في أعلاه كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري أمر بعماله أيام وزارته فعمله الصناعات وعدتهم مائة وخمسون صانعا في مدة تسع سنين واشتكت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القناول الذي كان العزيز بالله أمر بعماله أيام خلّقه الآن هذا أعلى عموداته وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة أنفذ إلى مملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع والآخرة ناصر الدولة بن جحان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله إلى الاسكندرية وما أدري ما فعل به قال وأقام مدة طويلة في تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشقة فاقومت على المذكورين بأقل القيم وتفرق في الآفاق وقال لي أيضا أخرجنا مسطحا قلوبيا مجلما وجهها من جانيه عمل بتيس للعزيز بالله يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة أعمدة أربعة منها في أركان الكنيس وفي أربعة الأركان أربع قباب ومن القبة إلى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفي كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا في الأول وقال لي أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لأعزاز دين الله بتيس ذهب في ذهب طهيم قائم على عمود له ست صفاري بلور وستة أعمدة فضة انفق عليه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديقيبا كبيرا مذهبا بدوا تركردواني منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرقات من الخمل والقلوني والديقي والديباخ والخسرواني والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة بجياضها ودكها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عدها وأخرجنا من الخيام الكردياني شيئا كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني مألحة النقش والصناعة عتتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج في جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة الكبيرة المتولى عمله بحلب أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الأيسر في سني ثيف وأربعين وأربعمائه المنفق على خرقة ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامير الروم البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكته عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جلا ووزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فزاش ودعين وهوشيه بالقناول العزيزي وسمى بالقناول لأنه مانصب قط الاوقل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فزاش وغيره قال ووجد في خزانة مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة بيغداد المذهبة التي حشيت كل واحدة منها بجمادونها في السعة إلى ماسعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازي في هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بجمادونها في السعة إلى ماسعته دون الدينار ومن الموائد القوائم الصغار والكبار ألوف ومن موائد الأكرام وما أشبهها شيئا كثيرا ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التي لا يتعدر الجمل القوى على حمل جفتين منها العظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها وودونها شئ كثير ووجد من الذكك والمحاريب والامرة العود والصندل والعاج والابنوس والبقم شئ كثير ملج الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير الجيوش خيمة ماماها خيمة الفرح اشتملت على ألف الف واربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خسون ذراعا بذراع الع حمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

* (خزانة الشراب) *

قال ابن المأمون ولم يكن في الايوان فيما تقدم شراب حلويل انها تترت لاستقبال النظر المأموني واطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلوالفانيد والحامض فالمبلغ في ذلك على ما حصره شاهده في السنة ستة الاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه مولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهي أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التي هي الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميهما وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فزاشوها بين يدي مستخدمة بها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة في الصبني والطيفير الخليج فيذوق ذلك شاهدها بمحضته ويستخرج عن احوالها بحضور أطباء الخاص وفيها من الاكلات والازيار الصبني والبرابي عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصبني وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هنالك وما يدخل في الادوية من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدراريق الفاروق ويأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد في ذلك تأكيدها عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقع اطباء الخاص للجهات وحوالي القصر فيأذن في ذلك ويعطى الحامى للتفرقة في الجماعة ثلاثين ديناراً

* (خزانة التوابل) *

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والودن فانها جليلة كثيرة ولم يقع لي شاهد بها بل اني اجتمعت بأحد من كان مستخدماً في خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار في السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهي باب مفرد مع المستخدم في الكافورى والذي استقر اطلاقه على حكم الاستعمار من الجريات المختصة بالقصور والرواتب المستحقة والمطلق من الطبيب ويذكر الطراز وما يتناع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فأولها جارية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرار الاستقبال النظر المأموني ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون ديناراً تفصيله منديل الكم الخاص الاصرى في الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام في كل جمعة مائة دينار اربع مائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير ابى على واخوته والمواالى والمستخدمات ومن استجبت من الافاضيات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون ديناراً ولم يكن للقصور في الايام الافاضية من الطبيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجلاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطبيب المطلق للخليفة من جلته فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطبيب مياومة ومشاهدة على ما يأتي ذكره ما هو برسم الخاص الشريف في كل شهر ندمثلث ثلاثون مثقالاً عود صيني مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهماً عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهماً ماء ورد ثلاثون رطلاً برسم بخور المجلس الشريف في كل شهر في ايام السلام ندمثلث عشرة مثاقيل عود صيني عشرون درهماً كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ما هو برسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة عن أربع جمع في الشهر ندمثلث أربعة مثاقيل عود صيني عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات والجهات والاخوة في كل شهر ندمثلث خمسة وثلاثون مثقالاً عود صيني مائة وعشرون درهماً زعفران شعر خسون درهماً عنبر خام عشرون مثقالاً كافور قديم عشرون درهماً مسك خمسة عشر مثقالاً ماء ورد أربعون رطلاً ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستله العجلة مسك خمسة عشر مثقالاً ماء ورد خمسة عشر رطلاً ما هو برسم خزانة الشراب الخاص مشك ثلاثة مثاقيل ندمثلث

مثلث سبعة مثاقيل عود صيني خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماء ورسم بخور الموابك الستة وهي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعني الجامع الأزهر والجامع الحساكي والعبدان وعبد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى نذ خاص بجملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغزتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذ كروعة المبحرين في الموابك ستة ثلاثة عن اليمن وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كفه لهم برسم نجيل المدخنة والمدخن فضة وحامل الدرع الفضة الذي فيه الجوراء أحدهم قدح بيت المال وهو فيما بين المبحرين طول الطريق ويضع بيده الجور في المدخنة وإذا مات أحدهم لواء المبحرين لا يخدم عوضا عنه إلا من يتبرع بمدخنة فضة لأن لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم في الموابك من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حامل بيت المال وإذا توفي حاملها لا ترجع لورثته وعدة ما يبحر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في المحراب أحدها وعن عين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينية رابعة وأما الجور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر ثمانمائة خمسة عشر مثقالا عود صيني تسون درهما غير خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقر الجوامع وما قدس من خزائن التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجع كل بيت عياره رطل واحد وكل مجمع ثلاثة أروطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه الجوامع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقر الحلوى والفستق ومما استجد ما يعمل في الأيوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثنا عشر جاما رطبة وبابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة أروطال ومن اليابس ثمانية أروطال ومقر خشكناج والبسند وفي كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الأخرى والمأمون قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكناج وبسند وفي قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر والثلث إلى الدار المأمونية قال وجرحت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار القطرة بسبب الاصناف ومن جلتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف بدشار وقد وقف منه لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه فجاءه متولى الديوان بأن قال ماتم موجب الاتفاق لما هو راتب من الديوان وطاله المقام العالي بأنه لما رسم لهم هذا كرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الاتفاق من قلب الفستق والذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق ادوارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلصه الصنائع الحلاويون والمستخدمون بالأيوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الأخرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية أروطال ثم أوطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته منها ما يحمل محتموما برسم المائتين الأسميتين بالبلاذنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما إلا من كبريت مغزله وعظمت وبجاءته جامان رطبا ويابس وما يفرق في العوالي من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد ثمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم القرائين في خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة أروطال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الأخرية مما يصنع فيها برسم الحمامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسمطة المستقرة بقاعة الذهب في أيام السلام وفي أيام الركوبات وحلول الركاب بالنظر أربعة أروطال وما يتسلمه الحاج مقبل القرائ برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء باسماء كبار الجهات والمستخدمين من الأصحاب والخواشي في الخدم المميزة وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره وما يستدعي برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالي إلى اللؤلؤة مدة أيام النبل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعي برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا

وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكناج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل في سلال صفاف لوقته عن مدة اولها مستهل رجب وآخرها صلح رمضان عن تسعة وعشرين يوما مائة وعثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية وما يستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوي والعلوي والفاطمي والامري مما هو برسم الخاص والموالي والجهات بالقصور والزاهرة والدار الاموية والاصحاب والخواشي خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفترق على اليهود والمتصدين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مزيد منها خمسة اوطال ما يستدعي برسم لبالي الوقود الاربعة الكائنات في رجب وشعبان مما يصنع بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة اوطال واما ما ينصرف في الاسمطة واللبالي المذكورات في الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهري بالقاهرة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك ما يستدعيه المستخدمون في المطابخ الامرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسمط فيه وفي الاعياد جميعها بشاعة الذهب وما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء في الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرده اليه من جميع الضيوف وما يستدعيه المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج وهي الجملتان الكبيرتان لجمع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جلته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة واما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولايم والافراح وارسال الانعام فهو شيء لم تحقق اوقاته ولا مبلغ استدعائه انهي المملوك ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يامر به ان شاء الله تعالى

* (دار التعبية) *

قال ابن المأمون دار التعبية كانت في الايام الفضلية تشتمل على مبلغ يسير فاتمى الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو الترجس والنيوفران الاصفر والاحمر والتخل الموقوف برسم الخاص وما يصل اليه من القيوم ونفرا الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر في الركوبات الى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعبية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية في كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والخواشي والاصحاب وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

* (خزانة الادم) *

قال واما الراتب من عند بركات الادمي فانه في كل شهر ثمانون زوجا اوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات اربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السبايعات فانها تستدعي من خزانة الكسوة وفي كل موسم تكون مذهبة

* (خزائن دار افتكين) *

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة افتكين الذي رافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار افتكين وتحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعمال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميا وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعتدين راتب المطابخ خاصا وعاما اليوم ولا يام يتفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم في كل شهر من ارباب الراتب حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضر اوات فهي أبدا معمورة بذلك انتهى

* (خبر نزار وأفتكين) * لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو قعيم معتز بن الامام الظاهر لأعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجبال إلى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلي بالله وسير إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير اسماعيل أولاد المستنصر فحافوا إليه فاذا أخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا ذلك وشق عليهم وأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض وقال لهم قبلوا الأرض لمولانا المستعلي بالله وبابيعوه فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم إن آباءه قد وعدوه بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بابعت من هو أصغر مني سناً وخط وألدي عندي بأبي ولي عهد وأنا أحضره وخرج مسرعاً ليحضر الخط فحضر لا يدري به أحد وتوجه إلى الاسكندرية فلما أبطأ بجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبراً فانزعج لذلك انزعاجاً عظيماً وكانت نفرة نزار من الأفضل لا مورو منها أنه خرج يوماً فاذا بالأفضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرنؤى الجنس فحقدها عليه وضار كل منهما ما يكره الآخر ومنها أن الأفضل كان يعارض نزار في أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبطش بعلته فلما مات المستنصر خافه لأنه كان رجلاً كبيراً وله حاشية واعوان فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جلهم محمود بن مصال فسير خفية إلى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الامراء على إقامة أخيه أحمد وادارته لهم عنه فاستعذ إلى المسير إلى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الأفضل ليحضر إليه بخط أبيه خرج من القصر مستكراً وسار هو وابن مصال إلى الاسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد عماليك أمير الجيوش بدر الجبال ودخل عليه ليلاً وأعلمه بما كان من الأفضل وزمما عليه ووعد نزار بأن يجعله وزيراً مكان الأفضل فقبلهما أتم قبولاً وباع نزار وأحضر أهل النفر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الأفضل فأخذ يتجهز لحاربهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بمسالكه وسار إلى الاسكندرية فبرز إليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة أنكر فيها الأفضل ورجع بمن معه منهزماً إلى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد أمر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري وأخذ الأفضل يتجهز ثانية إلى المسير لحاربة نزار ودس إلى كبار العربان ووجوه أصحاب نزار وأفتكين وصاروا إلى الاسكندرية فنزل الأفضل إليها وحاصرها حصاراً شديداً والمخ في مقاتلتهم وبعث إلى كبار أصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر في البحر إلى جهة بلاد المغرب فقت ذلك في عسك نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الأفضل وتكاثر جوعه فبعث نزار وأفتكين إليه يطلبان الامان منه فامتنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى القاهرة فأما نزار فانه قتل في القصر بأن اقيم بين حاطين بنياعه فمات بينهما وأما أفتكين فانه قتله الأفضل بعد قدومه ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

* (خزانة البنود) *

البنود هي الرايات والاعلام وبشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا العصاب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشول وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع وكانت أيام الظاهر هذا سكناً وطمأنينة وكان مشتغلاً بالاكل والشرب والتزهو وسماع الاغانى وفي زمانه تأفق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغانى والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة الممالك وكانوا يعاينهم فيها انواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك * وقال في كتاب الذخائر والتحف ولما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والالآت وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة جل جميعه ليلاً وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواء وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواء وفي خلال ذلك سقط من بعض القراشين مقطوع شمع وقد نارا فيه ادف هناك اعدال ككتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العائمة والاسواق وأعلنى من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتنعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظيمة وان المنفق فيها ككل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق في هذه الليلة من قربات النقط عشرات الوف ومن زراقات النقط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة وثياب المذهبة وغيرها والبنود المجمله وسروج ولحم وثياب القرعية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثني من اثنى به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانه واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى غيرها حدثني بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى السرا الشريف انتهى • وجعلت خزانه البنود بعد هذا الحريق جيبا وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها الكامل ابن شاوور

ايا صاحبي سجن الخزانه خليا • نسيم الصبار سل الى كبدي فحيا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عند • الى نظري ام لأرى بعدها صبحا
ولا تياسا من رمة الله أن أرى • سر به افضل الكامل العفو والصفحا
وقال

ايا صاحبي سجن الخزانه خليا • من الصبح ما يدوسنا ولا نظري
فوالله ما أدري اطرفي سافر • على طول هذا الليل ام غير سافر
ومالى من اشكو اليه اذا كما • سوى ملك الدنيا شجاع بن شاوور

واستمرت محبنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بني ائوب أيضا سجننا اعتقل فيه الامراء والممالك • ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد بن علي الجرجاني لما توفى طلب الوزارة الحسن بن علي الانباري فأجيب اليه فتنجمل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف ويسع ما يحمله التجار من العراق وهما ابوسعد ابراهيم وابونصر هررون ابنا سهل التستري واشترى من أمرهما في البيوع واظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعد ما يشأ به جيل الذكرف الآفاق فانسح حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لا عزازدين الله أباسعد ابراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتنعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولادها ابنة المستنصر فرعت لابي سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قد مات اباسعد وتخصصت به في خدمتها فلما مات الوزير الجرجاني وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده ابونصر اخو أبي سعد فجهه أحد اصحابه بكلام مؤلم فظن ابونصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبي سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفترا ابوسعد عن ابن الانباري وأغرى به أم المستنصر مولاه فتحدثت مع ابنا الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسي أبوسعد عند أم المستنصر لابي نصر مدقة بن يوسف الفلاح في الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى ابوسعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاح منقاد الابي سعد تحت حكمه وأخذ الفلاح يعمل على ابن الانباري وبغرى به ويصنع عليه ديونا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد قبض عليه وخرجه عليه من الدواوين اموالا كثيرة بما كان يتولاه قديما وألزمه بمحملها وتوقع له اصناف العذاب واستغنى أمواله وهو معتقل

بجزاة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها فاتفق أن الفلاح لما صرف عن الوزارة اعتقل بجزاة البنود حيث كان ابن الأنباري ثم قتل بها وحفر له ليدفن قطهر في الحفر رأس ابن الأنباري قبل أن يمضي فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الأنباري اتاهلته ودقته ههنا وأشد رب لحد قد صار لحد امرارا * ضاحكاً من تراحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الأنباري فعند ذلك من غرائب الاتفاق * ثم ان خزنة البنود جعلت منازل للأسرى من الفرنج الأسوريين من البلاد الشامية أيام كانت محاربة المسلمين لهم فأُنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الأسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهالهم وأولادهم في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار لهم فيها أفعال قبيحة وأمر متكررة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا والباطلة وحماية من يدخل اليها من أبواب الديون وأصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جمل على أخذ من صار اليهم واحتج بهم والسلطان بغضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة والساسة التي اقتضاها الحال من مهادة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم ونفس امرهم فرفع الخبر إلى السلطان وأكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتخاف من ذلك إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم فقال له السلطان اتقل أنت عنهم يا أمير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسنية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والجامع والنفندق وانتقل من داره التي كان فيها يجوار خزنة البنود وسكن بالحسنية إلى أن مات السلطان الملك الناصر في آخرات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وانتقل الملك في أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وضرب شوري على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الأمير بدر الدين جنكش بن البلبا قنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل ملك فاستشير وقال لي شروط اشترطها على السلطان فان أجابني النية فعملت ما يرسم به وهي أن لا يفعل شيء في المملكة الأبرأني وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الأمور فأجيب إلى ما سأله وأحضرت التشريف فأقبضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالساً في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر وإلى القاهرة بالنزول إلى خزنة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والقواحش ويخرج الأسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكاويستوى بها الأرض قتل اليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يسع عليه حصر فأرأوا فيها خوراً كثيرة تنبأوا بالحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها أثر وفودى في الناس فحكروها وشووا فيها الدور والطواحين على ما هي عليه الآن وأمر بالأسرى فأُنزلوا بالقرب من المشهد النفيسي بجوار كيان مصر فهم هناك إلى الآن وأُنزل من كان منهم أيضاً بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الأرض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شريرة من بيع الأرض يباع فيها لحم الخنزير على الوضوء كما يباع لحم الضأن ويعصر فيهم من الخمر في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنتان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثني عشر رطلاً بدرهم إلى غير ذلك من ما تراويع الفسوق

* (دار الفطرة) *

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرو فيها ما يعمل مما يحتمل إلى الناس في العيد وهي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتخصيل جميع أصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلاً ونهاراً من الخشكاج والبسندود وأصناف الفانيذ الذي يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفسق وهو شواير مثال الصبح والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن واسعة مصونة
فيحصل منه في الحاصل شئ عظيم هائل يمد مائة صانع للعلايين مقدم وللشككاين آخر ثم يندب لها مائة قراش
لجل طيافير للفرقة على ارباب الرسوم خارجا عن هو مرتب ثلث مائة من القراشين الذين يحفظون رسومها
ومواعينها الحاصلة بال دائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه في غيرهما من الخزانين لانها
خارج القصر وكلها للفرقة فيجلس على سريره بها ويجلس الوزير على كرسي ملين على عاتقه في النصف
الثاني من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الخواص المعمولة المعبأة مثل
الجبال من كل صنف فيفرقها من ربيع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو اقلها ثم ينصرف الخليفة
والوزير بعد أن ينعم على مستخدميه باستين دينار ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من
دقير المجلس كل دعوى لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه واردف دعوى من
تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان فيسيرهم الى مستخدميه فيسلم كل كاتب دعوى
أو دعوى من او ثلاثة على كفرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدأ ما تقي طيفور من
العالى والوسط والدون فيجمعها القراشون برقا من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دناو ينزل
اسم القراش بالذخو أو عريفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يختلط ولا يزال القراشون يخرجون بالطيافير ملائى
ويدخلون بها فارغة فيجعدار ملتحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتد ذلك طول الفرقة فأجل الطيافير
ما عدد خشكاته مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قواربه ثم الى خمسين
ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منشور كل واحد على عدد خشكاته ثم العبيد
السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلبها عرفاؤها في أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد
والخمس والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحد شئ من ذلك
ويتهداه الناس في جميع الاقليم قال وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار *
وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهي القندق الذي بناه
الامير سيف الدين بهادر الان في سنة ست وخمسين وسقانة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو اول من
سناها وكانت الفطرة قبل أن يفتل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعندما تنتقل الى مصر نقل
الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتب والانشاء فانهم ما كانوا يقرب الدار
ويتوصل اليها من الساعة الكبرى التي فيها جلوسه ثم استجدت للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقته وهي الآن
دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وقرق منها الا ما يخص الخليفة والجهات
والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين
الى مواضعها انتهى خاصة الدولة ربحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمر
المأمون أن يجتمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة ينيه دار الفطرة فانشأ الدار للمذكورة قبالة
مشهد الحسين والباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجدت من رسوم الموالييد
والوقودات وعقدت لها جلستان احدهما وجدت فسطرت وهي عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى
المستخدمين والجللة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حلة سكر سبعة مائة قنطار قلب
فستق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير ثمر أربعة مائة اردب زبيب ثلثمائة
أردب خل ثلاثة قناطير عسل ثلث خمسة عشر قنطارا شيخ مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حلة سمسم
أردبان آيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ما ورد بخسون رطلا مسك خمس نوافج
كافور قديم عشرة مشاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وييد الوكيل برسم المواعين والبيض
والسقاين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به ويرفع المحازم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن
قال كان المرتب في دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندري
برسم القوارات ثلثمائة مقطوع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء
ثلاثون قنطارا أجرة الصانع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينار جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون ديناراً وشقة ديقى - يياض حريرى ومنديل ديقى كبير حريرى وشقة سقلاطون اندلسى يلبسها فدام
 الفطرة يوم جلها ليفترق طباطبافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يوم الكبير
 والصغير والضعيف والقوى ويبدأ بهامن أول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطباقير) *
 الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكناج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلوة زنتها مائة رطل سكر
 سليمانى وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرة رطل حبة ككعك وزبيب وعمرقنطار حلة
 الطيفور ثلاثة قناطر وثلاث الى مادون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبى طى وعمل المعز
 لدين الله داراهما دار الفطرة فكان يعمل فيهما من الخشكناج والحلواء والبسندود والفانيد والككعك
 والتمر والبندق شئ كثير من أول رجب الى نصف رمضان فيفترق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام
 على قدر منزلهم فى اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمر اكب الذهب والخلع
 النفيسة والطرار الذهب والسياب برسم النساء

* (المشهد الحسينى) *

قال الفاضل محمد بن على بن يوسف بن ميسر وفى شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير
 الجيوش بعسا كرجة الى بيت المقدس وبه سكان وابلغازى ابنا ارتق فى جماعة من اقاربهم ورجالهم وعساكر
 كثيرة من الاتراثر اسلمها الافضل يلتمس منهم ما تسلمه القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب
 عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجد ابداً من الازعان له وسلماء اليه تخلع عليهم او أطلقهما وعاد فى عساكره وقد
 ملك القدس فدخل عسقلان وكان بهامكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه - ما
 فأخرجوه وعطره وحمله فى سفل الى اجل دارهم وعمر المشهد فلما تكامل حل الافضل الرأس الشريف على صدره
 وسعى به ماشياً الى أن احمله فى مقبره وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجبالى وكله ابنه الافضل
 وكان حل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين
 وخمسائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضى المؤتمن بن مسكين
 مشارفها وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف
 لما أخرج من المشهد بعسقلان وجدده لم يحفظ وله ريح كريخ المسك فقدم به الاساذمكتون فى عشارى من
 عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حل فى السرداب الى قصر الزمرد ثم دفن عند قبعة الديلم بباب دهليز
 الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا يخرجون فى يوم عاشوراء عند القبر لابل
 والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم ير النوح على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن
 عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد
 نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبني جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا
 القصار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له وقاتلوا الرخام
 اليه وذلك فى خلافة الفاتر على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسائة * وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها
 على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهى أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى
 اليه بخادم له قدر فى الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التى بالقصر والدقات فأخذ
 وسئل فلم يجب بشئ وتجاهل فأمر صلاح الدين توابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس
 وشده عليها قرصية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله
 ففعل ذلك به مرارا وهولاً يتأوه وتوجد الخنافس ميتة ففج من ذلك وأحضره فقال له هذا سر فيك ولا بد أن
 تجزئنى به فقال والله ما سبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين جلتها قال وأى سر أعظم من هذا
 وراجع فى شأنه فعقاعنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها لافقيه
 البهاء الدمشقى وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيخ بن حمويه ورد إليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس الآن ويوت الفقهاء العاوية خاصة واحترق هذا المشهد في الايام الصالحة في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الأمير جمال الدين بن يعقوب نائباً عن الملك الصالح في القاهرة وسببه أن أحد خزان الشيع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوقف الأمير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأثبته حيث سقطت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول الخوف معترضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح المسود من تلك المخاوف أيضا

ارضى الله بما أتى فكانه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الاخبار ما اذا طول وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بجملة الدعوى مليمة والعمل بالنية * وقال في كتاب الدر التظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبيانه المبيضة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار جارية والاتقاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذي بنى موضعه مثبته وجد فيه شيء من طلسم لم يعلم لاي شيء هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امته وصد * (خير الحسين) هو الحسين بن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله وامته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له من خلون من شعبان سنة أربع وقبل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن تصدق برنته فضة وقال أروني ابني ما سمعتموه فقال علي بن أبي طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلا دينيا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتل سنان بن انس الجصبي وقتل قتل رجل من مذبح وقتل شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصمجي من جبر حر رأسه وأنى عبيد الله بن زياد وقاله

او قرر كلني فضة وذها * اني قتلت الملك المحجبا

قتلت خيرا الناس اما وأبا * وخيرهم اذ نسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعدته أن يوليه الري أن ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيا يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر يده فارورة فيها دم فقلت يا بني أنت وأمي ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لا يدري قائله

اترجوا أمه قتلت حسينا * شفاعته يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقبل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة ستين وردت بيعة يزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقتل بايعا فاقالا مثلنا لا يبيع سرا ولكننا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعنا إلى بيوتنا وخرجنا من ليلهما إلى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة يكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحسين بن نعم التميمي صاحب شرطته قتل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعل فبلغ الحسين الحاجر له عن البلاد فكتب إلى أهل الكوفة يعرفهم بقدمه مع قيس بن مسهر فظفر به الحسين وبعث به إلى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضا ع فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا نحن أحب أن ينصرف فليتنصرف فليس عليه ذمام منا فتنصرفوا حتى بقي في أصحابه الذين

جاءوا معه من مكة وساروا دركه الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقوا تجاهه
 وذلك في غمر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
 أيها الناس إنهم معذرة إلى الله واليكم أني لم آتكم حتى أتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا أمام لعل
 الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتمكم فان تعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم أقدم مصركم وإن لم تفعلوا
 وكنتم لمقدحى كرهين أنصرف عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه فسيكنوا وقال للمؤذن أقم فأقام وقال
 الحسين للحر أريد أن تصلي أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع إليه أصحابه
 وانصرف الحر إلى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس أنكم إن تتقوا الله
 وتعرفوا الحق لا هلكة لكم أَرْضَى الله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم
 السائر فيكم بالجور والعدوان فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتني به كتبكم أنصرف
 عنكم فقال الحر أنا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرهما بين
 أيديهم فقال الحر أنا لست من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك
 الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فأنعمهم
 الحر من ذلك فقال له الحسين نكثت أمتك ما تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمته
 بالكل كائن من كان والله مالى إلى ذكر أمتك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال أريد
 أن أنطلق بك إلى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر أني لم أمر بقالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك
 الكوفة فنحذ طريقا لا ندخل الكوفة ولا نزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد وأولى
 ابن زياد ففعل الله أن يأتي بأمر يزيد في الكوفة ولا نزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد وأولى
 والقادسية والحر يساره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص
 من الكوفة في أربعة آلاف وبعث إلى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال كتب إلى أهل مصركم هذا أن
 أقدم عليهم فإذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو إلى ابن زياد يعترفه ذلك فكتب إليه أن يعرض على
 الحسين يعة يزيد فان فعل رأي يافيه رأينا ولا نمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خسمائة فارس فزلوا
 على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناديا حسين ألا تنظر الماء لا ترى
 منه قطرة حتى تموت عطشاً ثم التقي الحسين بعمرو بن سعد مراراً فكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد أما بعد
 فإن الله قد أطفأ النائرة وجع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسيره إلى أي
 نغر من الثغور شاء أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا الكم رضي وللازمة صلاح فقال ابن زياد
 لشمس بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا
 فليبعث بهم وإن أبوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه
 وابعث إلى برأسه وكتب إلى عمرو بن سعد أما بعد فاني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتبنيه ولا لتطاوله
 ولا لتقعده عندي شافعا انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سبلا وإن أبوا
 فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره ونظيره فانه عاق
 شاق قاطع ظلوهم فان أنت مضيت لأمرنا جزئناك جزاء السامع المطيع وإن أنت آيت فاعتزل جندنا واخل بين
 شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل إليهم الحسين ما لكم فقالوا جاء
 أمر الأمير بكذا فاستمهلهم إلى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون
 ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقبل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبي الحسين
 أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتل
 أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال أشهدوا أني أقول من رمى الناس وحمل أصحابه
 فصرعوا رجلا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتلا شديدا حتى اتصف النهار ولا يقدر من
 يأتونهم إلا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن
 القتال حتى يصلي ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الأرض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فأجعل ذلك لنا هو خيرا نتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنأ بالشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فلتقى الدم بدمه ورمى به إلى السماء ثم قال بعد حمد الله والشأن عليه اللهم اني أشكو اليك ما يصنع يا بن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر في نحو عشرة إلى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولوشأوا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كانوا يتقى بعضهم بعضا ويحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقلوه ثكلتكم أمكم فخلوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصمحي احتز رأسه فأرعد وضعف قزله عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فاته بهوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدد من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وعثمان بن رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بني اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها إلى ابن زياد فأخضر الرأس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثيابا الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين وأخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرّت زينب بالحسين صرعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء من مل بالدماء مقطوع الاعضاء يا محمد بناتك سببا يا وذرتك مقتلة فأبكت كل عدو وصدى وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفي عنق علي بن الحسين ويديه الغل وجعلوا على الاقتاب فدخل بعض بني أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد في طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه فحين رآه خروجه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذي كفانا المؤمنة بغير مؤنة كلفا وقد وانا نار العرب أطفأها الله قالت رباحضة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذي أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثيابه بقضيب في يده ويقول ابياتا من شعرا بن الزبير ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل في خزان السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك الملك فبعث اليه فجيء به وقد حمل وبقي عظمه أبيض فجعله في سبط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن وجهه إلى رأس الحسين بن علي فكذب اليه ان سليمان أخذه وجعله في سبط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به وقال السري لما قتل الحسين بن علي بكى السماء عليه وبكاؤها جرتها وعن عطاء في قوله تعالى فما بكى عليهم السماء والأرض قال بكأؤها حجرة أطرافها وعن علي بن مسهر قال حدثتني قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علققة وعن الزهري بلغني انه لم يلق حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمض أحد من زعمراهم شيئا فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا في عسكر الحسين يوم قتل فخرها ووطبخواها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شيء لهم ملائنا دما

* (ما كان يعمل في يوم عاشوراء) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعزدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من يتفق في هذا

اليوم ونزلوا حتى تلغوا مسجد الريح وثار عليهم جماعة من رعية أسفل نخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هنالك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيديّة والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافوريّ يعصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سكنت اتي المكروه وأخذت ثيابه وماعه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المتشددين الى جامع القاهرة ونزولهم بمجمعين بالنوح والتشديد ثم جمع بعده هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المتشددين الذين يتكسبون بالنوح والتشديد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذشي منهم اذا وقفتم على حوايتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والتشديد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا اجراء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السماط يجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعي في غير المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسماط يعلوها من غير غرض افع نخاس وجيع الزبادي اجبان وسلطان ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وجل السماط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصني الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها غسل فحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الامر بأحكام الله على باب الباذنج يعني من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي تجريد بغير مخدة مثلما هو وجميع حاشيته فلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والهارب القراميز وأذن للقاضي والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حضاة عبي السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الايام الافضلّة وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمتدأ أحد من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلّة من المضي فيها الى التربة الجبوشية وحضور جميع المتصدين والوعاظ وقراء القرءان الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض مثلما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدين في الجوامع جاء الوزير بفلس صدره والقاضي والداعي من جانيه والقراء يشرؤون نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير راغضا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر يد البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكا لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هنالك فيجلس القاضي والداعي الى جانيه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المتشددون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبديّة من العدس والمالوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغيرة لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس لا اكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكور ان الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كههم ركباً بذلك الذي ظهر وا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

* (ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي) *

وكان لهذا القصر الكبير الشرقي تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الرمح ثم باب الزمرد ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

* (باب الذهب) * وهو باب القصر الذي تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يوم الاثنين والخميس للموكب المتقدم ذكره بشاعة الذهب قال ابن أبي طي "عن المعز الدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالاً كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارجية كارجية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهي التي كان الناس يسمونها الحشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يردوا منها بمبارد فالتجذ الناس مبارد حادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقي الى القصر فلم يزل بعد ذلك * وقال ابن ميسران المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة رجل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خسمائة رجل على كل رجل ثلاثة ارجية ذهباً وانه عمل عضاد في الباب من تلك الارجية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

* (جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) * قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمري واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكاً ليج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهدة المحتوية على الضرائب الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدين والقراء والفقراء للمتصدين ومن معهم في صحون وللفقراء على اربعة السميذ ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود وجميع المتصدين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق محتوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفترقت الصواني بعدما جل منها الخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكتاب الدست ومتولى حجة الباب والقاضي والداعي ومفتي الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمري في سنة سبع عشرة وخسمائة باطلاق ما يخص المولد الآمري برسم المشاهدة الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر والقرافة خمسة قناطر حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعبان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكاً ليج وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكرا الخليفة والوزير ثم حضر من انشدوا كرفضيلة الشهر والمولد فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال التجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال التجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهدة الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقة سنا الملك ابن ميسر أربع مائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوي والعلوي والفاطمي والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي

ذكرها فأخذ الاستاذون يجتدون ذكرها للخليفة الآخر بأحكام الله ويرتدون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعلى ما ذكر وقال ابن الطويرذ كرجلوس الخليفة في المولد الستة في تواريح مختلفة وما يطلق فيها وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومولد قاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاصر ويكون هذا الجلوس في المنطرة التي هي أنزل المناظر وأقرب الى الارض قبالة دارنغر الدين جهلركس والفندق المستجدة فاذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الاول تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائقه ما وتعي في ثمانية صينية من النحاس وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم فتقرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارير من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة ثم داعي الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما تعلق بهذا الجانب بدعوى يخرج من دقة المجلس كما تقدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشمود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدار قراءة الختم الكريمة ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والا حضر للداعي معه ببقاء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفين قبل الأبداء بالسلاسل بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الخوض هناك وكنت الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمال الاصفر ثم يستدعي صاحب الباب من دار الوزارة والى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظير الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنطرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجفون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بحيث وتشوف لا تنظار الخليفة فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عتق من الاستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كنه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم قاضي القضاة ولا ينعونه وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنطرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقرفي خطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمن طاقه ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطائفتان تنفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عتقها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الأميرنغر الدين جهار كس الصلاحي التي عرفت بعد ذلك بالدار القطيية وهي الآن المارستان المنصوري وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

• (باب البحر) * هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبي على منصور وهدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعني من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمده لبعث العمار السلطانية فظهر صندوق في حائطه منى عليه فالوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم لارتفاعه قدر شبرلة أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفي هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفي الوسط صورة رأس بغير جسد ودائرة مكتوب كتابة بالقطي وبالقططيريات والى جانبها في الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والاخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالكتابات مدهون وجهه الواحد ايضاً وجهه الواحد اجرو فيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلى اللوح وما بقيت الكتابة تلتصم ولا تخط يفهم وهذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت وأما الوجه الايض فهو مكتوب بقلم الصفيقة القبطي والمكتوب في الوجه الاخر على هذه الصورة السطر الاول بقي منه مكتوباً الاسكندر السطر الثاني الارض وهبها له السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع أصحاب

السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وأبواب السطر الثامن غيريته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم عقله السطر العاشر وصفه افلا تفسد السطر الحادي عشر طارد كل سوء والذي صاغها القساء السطر الثاني عشر سد أيضاً كل آثار اسديية بيرس وهي احد السطر الثالث عشر بيرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقي من الكتابة والبقية قد تكشط وقبل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراءه الاقلام فقرأ ذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم على الظاهرين الحاكم واسم أمته رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورق وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس الديار مصر وتغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طرقهم اليها وإتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصورها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلم قبطيات وأوقافاً وصوراً وخواص لا يعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماء مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم يأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصور ومن جملتها ان أول البروج الحمل وهو بيت المربخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهلارية العسكرين يدي الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستوى لقوة روحانية على مديتنا وقد أقتنا طلسم الساعة ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاور الاول باب بنيناه هذا نص ما رأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعناية بهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف باب قصر بنيناك قبالة المدرسة الكاسلية

* (باب الریح) * كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على بمنى السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان باباً مريعاً يستل في من دلهيز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقة ودار الطواشي سابق الذين وقصر أمير السلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام اليسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير صاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ثم قبل له في زمننا باب القصر وكان على حاله لعضداتان من حجارة وبعلاه اسكفة حجر مكتوب فيها نقرأ في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم ينه الى قراءة ما فيها وكان دلهيز هذا الباب عريضاً يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جداً وبعلاه هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق وما زال على ذلك الى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واعتصب لها أملاك الناس وكان مما اعتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الخوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها لينبها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقة هذه القيسارية الكبيرة ذات الخوانيت والسقيفة والابواب الحديدية ودخل فيها بعض مما كان يجاني هذا الباب من الخوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغني ذلك فسررت الى الأمير المذكور وكان بيني وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتست منه احضاره فأخبرني انه أحضر اليه شخص من حجارة قصر القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لا بد لي من مشاهدته فأمر

باحضاره الموكل بالعمارة وأنامعه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين
 انجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في القصص عنه فأعياهم
 احضارهم فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لي انهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذ ايدأثرة فيها
 كتابة وبوسطها شخص قصير صغيرا حدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة
 احدى عينيه أصغر من الأخرى ويشبهه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن
 هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب الجراسم يبرس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر
 جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الأولى في الحجرة من داخل هذا
 الباب في سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من
 الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصريح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت في هذا المكان سبعين
 قفة من حديد أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه انه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته
 لهذه القاعة أتردد لشجنتا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقة وبها كان يسكن فتعرفت
 بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتره هناك أنه وجد حال هدمه
 وعمارته القاعة والرواق بالحجرة مكانا مبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال لها كان عندى شكله انه من
 أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على
 القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشئ من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوفقوه على أمرها

* (باب الزمرذ) * سمي بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحية
 باب العيد

* (باب العيد) * هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلاحي بخط رحية باب العيد وهو عقد محكم البناء
 ويعلمه قبة قد علمت مسجداً وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العاتة وهم يسجون هذه
 القبة بالقاهرة ويرغمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرى كنه فتأني الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا
 الباب باب العيد لان الخليفة كان يخرج منه في يومى العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصل
 بالناس صلاة العيد كما استقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة
 بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله بابا له وتم بناؤه
 في سنة اثنتين وستين

* (باب قصر الشوك) * وهو الذى كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام
 الايدمرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على عتبة السالك منها الى
 رحية الايدمرى وهو الآن زقاق ينتهى الى بربسقى منها بالدم ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق
 وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

* (باب الديلم) * وكان يدخل منه الى المشهد الحسينى وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق
 الذى كان دارا لفطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

* (باب تربة الزعفران) * مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحوره مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق
 الذهب وقد بنى بأعلاه طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان
 يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

* (باب الزهومة) * كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور وقيل له باب
 الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل الى مطبخ القصر الذى للبحوم اثم يدخل بها من هذا الباب
 فقبل له باب الزهومة يعنى باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الا أن ذكره ان شاء الله تعالى
 وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة
 المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

وكان يجوار هذا القصر الكبير المخمر وهو الموضع الذي اتخذته الخلفاء لتمر الاضاحى في عيد النحر وعيد الغدير
وكان تجاه رجة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خاتمة بيرس وصار موضعه ما في داخل
هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان بفصل بينه وبين حارة برجوان
الحوائت التي تقابل باب الحارة ومن جملة المخمر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة أم السلطان الملك
الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن الخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوائت
الاسا كفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب بتمر بالمصلى ثم يأتي المخمر المذكور وخطفه المؤذنون
يجهررون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا وتكون الحربة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة
ليناولة اياها اذا نحر وأول من سبى منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها في اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله
نزار * (ما كان يعمل في عيد النحر) * قال المسيحي وفي يوم عرفة يعني من سنة ثمانين وثلثمائة حل بالنس
صاحب الشرطة السماط وحل أيضا على بن سعد الخنسي سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى
وخطب على العادة ثم نحر عدة فوق يده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد وكل ونحر بين يديه وأمر
بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك في باقي السنين وقال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس
عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون ديناراً ومن
الكسوات مائة قطعة وسبغ قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكتب للدست ومتولى
حجة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ماذبح ثلاثة ايام النحر في هذا العيد وعيد الغدير الفيلان
وخمسمائة وأحد وستون رأساً تفصيله فوق مائة وسبعة عشر رأساً يقرأ أربعة وعشرون رأساً جاموس
عشرون رأساً هذا الذي ينحره ويذبحه الخليفة سيده في المصلى والمخمر وباب الساباط ويذبح الجزارون من
الكباش ألفين وأربعمائة رأساً والذي اشتملت عليه تقفات الاسمطة في الايام المذكورة خارجا عما يعمل
بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور وعند الحرم وخارجا عن القصور الحلاء والقصور
للمنفوخ المنسوجة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس دينار ومن المسكر برسم
القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطاراً تفصيله عن قصرين في اول يوم خاصة اثنا عشر قنطاراً المنفوخ
عن ثلاثة الايام اثنا عشر قنطاراً وقال في سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر
ووصل ما تأخر فيها بالطارز وفزقت الرسوم على من جرت عادته خارجاً عما يريه من تفرقة العين المختص بهذا
العيد وأضحيت وخارجاً عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبحاً ومخوراً استمائة ديناراً وسبعة
عشر ديناراً وفي التاسع من ذي الحجة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده
وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة
التي جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش
وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شيء مما جرت
به العادة في الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهي البدلة الحمراء بالشدّة التي تسجي
بشدّة الوقار والعلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده الى أن دخل المخمر وفرشت الملاء الديقي الحمراء
وثلاث بطائن مصبوعة حمراء لثقي بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم
عن الملاء وكبير المؤذنون ونحر الخليفة أربعة وثلثين ناقة وقصد المسجد الذي آخر صف النحر وهو مغلق
بالشروب والقاكهة المعبأة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة في
النحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ماعذنه ألف وتسعمائة وستة
وأربعون رأساً تفصيله فوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها في المصلى عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدي
وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمتها ونحر في المناخ مائة ناقة وهي التي يحمل منها الوزير وأولاده واخوته
والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الاجل وفي كل يوم يتصدق منها على الضعفاء
والمساكين بناقة واحدة وفي اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للقراء في القرافة وينحر في باب الساباط
ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنا عشرة ناقة وثمانين عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من
 النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فالف وثلثمائة
 وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الخلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار
 الفطرة خارجا عن المطايخ ثمانية وأربعون قنطاراً * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأقبل ذوالحجة اهتم
 بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشره فيجبر حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون
 لباس الخليفة فيه الاسمر الموشح ولا ينخرم منه شيء ورأسه ثلاثة ايام متواليه فأولها يوم الخروج الى المصلى
 والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى النحر وهو المقابل لباب الريح الذي في ركن القصر المقابل لسور دار
 سعيد السعداء الخاتمة اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون
 الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انقضاء ما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا
 النحر احد وثلاثون فصيلة وناقاة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين
 الاستاذين المحنكين فيقدم القراشون له الى المصطبة رأسا ويكون يسده حربة من رأسها الذي لاسنان فيه
 ويدقاضي القضاة في اصل سنانها فيجعل القاضي في نحر الخيرة ويطعن بها الخليفة وتجز من بين يديه حتى يأتى
 على العدة المذكورة فأول نجدة هي التي تفتد ونسب الى داعي اليمن وهو الملك فيه فيفرقه على المعتقدين من
 وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثاني يوم كذلك فيكون عدد ما ينخر سبعا وعشرين ثم يعمل في اليوم
 الثالث كذلك وعدة ما ينخر ثلاث وعشرون هذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير برسم الاضحية الى
 أرباب الرتب والرسوم كما سرت الغزاة في اول السنة من الدنانير بغير رباية ولا قراريط على مثال الغزاة من عشرة
 دنانير الى دينار وأما الحزم الجز ورفاهه يفرق في أرباب الرسوم للتبرك في أطباق مع ادوان القراشين واكثر ذلك
 تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصددين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بهامن
 الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحر التي كانت عليه ومنديل آخر بغير السمة والعقد
 المنظوم من القصر عند عود الخليفة من النحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شافا القاهرة فاذا خرج
 من باب رويلة انهطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال
 عيد النحر * وقال ابن أبي طي عدة ما يذبح في هذا العيد في ثلاثة ايام النحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة
 وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون
 رأسا هذا الذي ينخره الخليفة ويذبحه يسده في المصلى والنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من
 الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينخر بالتمر مائة رأس ويعود الى خزنة
 الكسوة بغير ثيابه ويرجعه الى الميدان وهو النحر ثم يلبس الساباط والنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام
 وبغير ثيابه للعبوس على الاسمطة وعدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقاة
 والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وعن الضحايا على ما تقر ما يقرب من ألئ دينار وكانت تخرج الخلفاء الى
 الاعمال بشائر ركوب الخليفة في يوم عيد النحر فما كتب به الاستاذ البارغ ابو القسم على بن منجب بن حليمان
 الكاتب المعروف بابن الصبر في المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه
 ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافة امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للموالمف
 والمخالف عزة أحرابه وقوة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرقه على الاديان بأسرها
 وكان لعراها فاصما ولاحكامها تاسخا يحمد الله أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليفة وجعل كراماته الاسباب
 الجديدة بالامارة الخليفة ويرغب اليه في الصلاة على جدته محمد الذي حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن
 آمن به واتبع النور الذي انزل معه ورفع الى اعلى منزلة تخبره منها المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق
 الباطل ونجس ناره واضهل مصلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب خير
 الائمة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفق يومه في الطاعات على ماضى اسمه ومن اقامه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في المساهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية في سورة براة فتنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره
 يتقد نفاذه ولا يستمكنه لانه قال لا يبلغ عنى الارجل من أهل بيتي عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه والقائمين في سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والمحكمين من أمر الدين ما لا وجه لحله ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومجد وكرم وشرف وعظم وكأب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسائة الذي تبلغ فخره عن سبئات محضت ونفوس من آثار الذنوب خلصت ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه في عترة راسخة قواعد هامة مكنه وعسا كرجة تضيق عنها ظروف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتباب هية مجيئه في الليل بأسلحة تحسرها الابصار وتبرق وترتاع الافئدة منها وتفرق فمن مشرقى اذا ورد تورّد ومن سمهرى اذا قصد تقصد ومن عمد اذا اعدت تبرأت المغافر من ضمائها ومن قسى اذا ارسلت بناتها واصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائر افي هدى الامامة وأوارها وسكينة الخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما عتد من البدن فخره تكملا لقربته وانتهى في ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرّمة ومنار له المقدسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك امير المؤمنين بذلك لشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاربه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (ذكر دار الوزارة الكبرى) *

وكان يجورا هذا القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العبد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من بلى امره الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرمست دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب وازدادت الافضل الى دور بنى هريرة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذي تدل عليه كتب ايتياعات الاملاك القديمة التى بتلك الخطه انها من بناء الافضل لام عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بجواره برجوان التى قيل لها دار المظفر وما زال وزراء الدولة الفاطمية ارباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابوبكر بن أيوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفهم يبيرس البندقدارى وقلاون الاثني من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين يبيرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صعبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بشية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكيش واجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذکور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الامير شمس الدين قرا سنقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خاتناه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقرا سنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين يبيرس الجاشنكير الخاتناه الركنية والرباط بجانبها من جله دار الوزارة وذلك فى سنة

تسع وسبع مائة ثم استولى الناس على ما بقى من دار الوزارة وبنوا فيها فن حقوقها الأربع تجاه الخلقاء
 الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراستقرية وخاتمة ركن الدين بيرس وما يجوارها من دار قزمان
 ودار الأمير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباي الناصرية جهة الملك الناصر حسن
 ابن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التي بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها
 وهى القرن والطاحون التي قبلى "المدرسة القراستقرية ومن الآدر والحربة التي قبلى "ربع قراستقر وما جاور
 باب "مدرسة القراستقرية من الآدر وخربة اخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين
 برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزىك
 ابن الصالح رزىك قحه فى ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باقى الى الآن فى صدر قاعته واذكر
 أن فيه حبة عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاورة لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة
 وقد بقى الآن منه قطعة فى حد دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلى "وهو الحد الذى فيه باب الطاحون
 والساقية بجاء باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة فى حدها الشرقى
 عند باب الحمام والمستوقدياب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة
 التى دفن تحتها بيرس الجاشنكير من خاتمة وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا فى دار الخلافة
 ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحارث البساسيرى على بغداد وخطب فيها
 للخليفة المستنصر بالله الفاطمى "أربعين جمعة واتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى
 الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربع مائة
 كان من جملة ما بعث به منديل الخليفة القائم بأمر الله الذى عمه بيده فى قالب من وخام قد وضع فيه كما هو حتى
 لا تتغير شدته ومع هذا المنديل رداءه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكى عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار
 الوزارة على يد افضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكى عليه وما زال به الى أن
 عمر الامير ركن الدين بيرس الجاشنكير الخاتمة الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله
 فى القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فصارا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين
 ديار مصر فسيرهما فى جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستنصر بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى
 كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لاقى لبنى العباس ولاله من جلتهم فى الخلافة مع
 وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى "ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالشهاد الى
 مصر فأنفذ صلاح الدين الى بغداد مع ماسيريه من التحف التى كانت بالقصر وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ
 على "السعودى" ولد فى سنة سبع وسبع مائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخاتمة بيرس من
 جملة ما بقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من
 جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى ايام وزارته للعاضد بعد شاورفائه كان عمل الحيلة عليهم بدار
 الوزارة وصار يستدعى واحدا بعد واحد الى خزنة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحدا منهم فى
 الخزنة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشغل
 على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها او مطابخها
 ونحو ذلك

• (ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك) *

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى ايامه وأول من قيل
 له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز واليه تنسب
 الحارة الوزيرية كما استتف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستور الوزير بالله
 بعده أحدا وانما كان رجل بلى الوساطة والسفارة فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية ايام العزيز وسائر ايام
 ابنه أبى على "منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة احمد بن على "الجرجاى فى ايام الظاهر أبى هاشم على بن

الحاكم وما زال الوزراء من بعده واحد بعد واحد وهم أرباب اقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجبالي * قال ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المذايل الطبعيات بالاحمال تحت حلوقهم مثل العدول الآن ويتفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذرايع واحد ها ذراعة وهي مشقوقة أمام وجهه الى قريب من رأس القواد بأزرار وعري ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ في أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجبالي من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه في ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارة وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعدله هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل أمير الجيوش وهو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين رجعل القاضي والداعي نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له في سجله وقد قلده أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره فباشر ما قلده أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدبر اهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرحاة والطيلسان المقور زى قاضي القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربع مائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تقويض ويقال لتمويلها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهد شاه بن أمير الجيوش من بعده آية ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر في الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولشئى عند ما وزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك في سنة ثلاثين وخمسمائة وفعل ذلك من بعده قتلغ طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم في الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذي يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذي يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكي مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع ولدي الاشرف وكما كان الامير أيتش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبي طي وكانت خلعتهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديني والعمائم القصب بالطرار الذهب وكان طرار الذهب والعمامة من خسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على أمير الجيوش بدر الجبالي بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرحاة والطيلسان المقور زى قاضي القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام في زمنها هذا غير أنه لقصوراً حوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ويقل بخمسة آلاف مثقال ذهباً قلادة من غير مغشوش يقال لها العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشارك فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعتهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرحاة وهي العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء وبشبهه والله أعلم أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلعه إشارة الى انه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عند ما خلع عليه للوزارة وجعل في خلعته السيف والطيلسان المقور * قال ابن المأمون وفي يوم الجمعة ثمانية عشر سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فالك البطائحي من الملابس الخاص الشريفة في فردكم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الأمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعني من باب الذهب ودخل من باب العيدرا بك وأجرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل ووصل إلى دارد فضاء عاف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذي الحجة اجتمع امرأاء الدولة لتقبيل الأرض بين يدي الخليفة الأمر على العادة التي قررها مستحجة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة فلما حضر أمر باحضار السجل للأجل الوزير المأمون من يده فقبله وسلمه لمام القصر وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ في هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة للأمراء والمحنكين من الأمراء إلى المأمون في الناس اجمع ولم يكن أحد منهم يتسبب للأفضل ولا لأمير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم في مجلس الخليفة وتقدمت الأمراء والاجناد فقبلوا الأرض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حمام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبي الحسن ابن أبي أسامة باستمراره على ما يده من كتابه الدستور الشريف وشرفه بالدخول إلى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك أبو الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن وكذلك أبو المكارم أخوه وأبو محمد أخوه ما ثم أبو الفضل بن المديني ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذي قرأ السجل وخلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى أمور الضيافات والرسائل الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل ولا يصل لعقبته أحدًا لحاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فإنه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم واكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضي أبو الفتح بن قادوس يرحم الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد في نعوته

قالوا ناه النعت وهو السيد المأمون حقا والاجل الاشرف

ومغيت امة اجد ومجبرها * ما زادنا شيئا على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجبل أفعاله بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله فشكره واثني عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج إلى خلوة فقال الخليفة تكون في هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له يا مولانا امثالنا الامر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه قد دام امرأاء دولته وهو في دست خلافته ومنصب آباءه وأجداده وما في قواي ما يرومه مني ويكفي في هذا المقدار وهبات أن أقوم به والامر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم أن كان لي وزير غيري وهو في نفسي من أيام الأفضل وهو مستتر على الاستعفاء إلى أن بان له التغير في وجه الخليفة وقال ما اعتقدت أنك تخرج عن أمري ولا تخالفني فقال له المأمون عند ذلك في شروط وأنا أذكرها فقال له مهما شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الأفضل وكان قد اجتهد في النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك في وقته قال وكان أولاده يكتبون إليه بما يعلمه مولاي من كوني قد خنته في المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك مني يوما قط ثم مع ذلك معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيبات والاقلام وهو يعطيني كل رقعة تصل إليه منهم وما سمع كلام أحد منهم في فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعزفني الموتى ما يامر به فأمثله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأقول ما ابتدأ به أن قال اريد الاحوال لا تجبي الا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الامنه وتكون اسطة الاعياد فيه ويوسع في رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والحباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما من يخاف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين ديناراً يكون في كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات واسمطة الاعياد وغيرها في سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون اريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لي فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض ومهم ما ذكر

في يطلعني عليه ولا يامر في باهر سراً ولا جهرًا يلدون فيه دهب هسي واحصاه مدرى وسده . يان باص
الى وقت وفاتي فاذا اتوفيت تكون لا ولادى وان اخلقه بعدى فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه واشهد الله تعالى
في آخرها على نفسه فعند ما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمن
نسختين احدهما في قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة
أنفذ الخليفة الامر بأحكام الله بطلب الايمان فننقله التي في القصبة الفضة فخرقها لوقتها وبقيت النسخة
الآخرى عندي فعدمت في الحركات التي جرت * وقال ابن ميسر في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها
تشرف القائد ابو عبد الله محمد بن الامير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار
المستنصرى المعروف بابن البطائحي في الخمام من ذي الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى
قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته في محله المقرر على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة
وجبه الملك نحر الصنائع ذخرا مير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام نحر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير
الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء
التاسع من ذي الحجة وهو يوم الهناء بعيد التحرر جلس المأمون في داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته
للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المختكون والشعراء بعدهم فركب
الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هدمت له في موضعها الجارى به العادة وأغلق
الباب الذى عندها على الرسم المعتاد فوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند
ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة لم يجر معه حديث فيها ثم الجأته الضرورة لاجل
حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها واجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوقون
خاصة دون غيرهم قيام بين يديه فانه لا يصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج
عدة من الاستاذين المختكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند
حضوره وقف له اولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين يرد على السيد
الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من
المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه
الافضل وكان الافضل يقول ما أزال أعت نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهي
والدخان في انفي فان الحمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى
القصر فدخل الى المكان الذى هي له وعاد لمجلس الوزارة وبقي الامراء بالدها ليرى أن مجلس الخليفة واستفتح
القرء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده واخوته وأهل الامراء على قدر طبقاتهم وأولهم
أرباب الاطواق وبليلهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات
وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبي اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية الطالبين
من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرمعي بشهوده والداوى ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدم
الركاب الامرى بجميع المتقدمين الامرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبي الليث متولى ديوان المملكة
ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم
كل منهم ما يبياض اهل البلد ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه
الكتابات من اليهود ثم سلم القربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت
به فربحت به قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرر للوزارة عيننا في الشهر بغير
ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف
دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برهم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة
دينار في الشهر فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفتراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب في اثباته وفي السنة من
الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجلة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان

لاميرتيم وبسبتانان بكموم أشفين ومن القوت يعني القمح ومن القضم يعني الشعير والبرسيم في السنة عشرون ألفا رطب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابجه ساقه من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل الحال منها والدون فهما استدعاء متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون لاحتطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصل الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غزى شهر رمضان وأول العام وغيره كما سير في موضعه من هذا الكتاب أن شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميت تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلالة الوزراء فانظره

*** (ذكر الجرار التي كانت برسم الصبيان الجحرية) ***

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالجر جمع حجرة فيها العلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقطعة البيوت التي كان يقال لها الطماق وكانت هذه الجحر من جانب حارة الجوقانية والى حيث المسجد الذي يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكبي الذي يقضى الى باب النصر فنحقوق هذه الجحر دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار الناصري التي تجاور المسجد الكائن على بنية من سلك من باب الجوقانية طالبا باب النصر ومنها الخوض المجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احدهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولي وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه الدور وكان لهؤلاء الجحرية اصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الجحر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبع مائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الا ما كن المذكورة * قال ابن أبي طي "عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والافاضل وشرط على ولادة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فن كان ذاشامة وحسن خلقه أرسله ليخدم في الركاب فسير واليه عالم من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسميها الجحر * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق بمكان من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدرين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصبة وعلم أن السبب في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منتهج اليهم فقال يخاطب صنجبل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * فقله ذلك من صنجبل

وما سمع الناس فيما روه * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجنا دبالافضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الجحر وجعل لكل مائة زماما ونقيباً وزم الكل بأمير يقال له الموفق وأطلق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعنى هؤلاء الاجناد فكان اذا هم امرهم جهزهم اليهم مع الزمام الا كبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة الجحرية الذين يجلسون السباط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكرو جميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظار الخليفة لا يميزه وكان من الاجناد وأسرى ايام الافضل وقيد الفرنجي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فاتفق ان ذكر للفرنجي كثرة اكله فأراد أن يتحننه فقال له أ حضر لي عجلا كبيرا عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجي ونقص عقله وأناه بجعل كبير ويقال بختير فقال له اذبحه واشوه واتفق معه بجمرة خل ثم قال اذا اكلته ما يكون لي عندك فغلط الفرنجي وقال له اطلقك تمضي الى اهالك فاستخلفه على ذلك وغلط عليه اليمن وأحضر الفرنجي عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد أنني هربت فأرد إليكم فاحضر القربى من العربان من سلمه إليهم ولم يشعر به الا يساب عسقلان فطلع منها وأعنى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسطمة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير في صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذي يسمى باب النصر قد يما على بئمة الخارج من القاهرة كان تربي فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة وهم ينامزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهي المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا اجتروا خرج كل منهم لوقته لا يـكـون له ما يمنعهم وكانوا في ذلك على مثال الذواينة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة والتقدمة مثل علي بن السلاور وغيره ولا يـأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقاشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

* (ذكر المناخ السعيد) *

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التي تطن جريات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدة والغشيمة والآلات الاساطيل من الاسطمة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والـكـكـان والتجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجريات المقدم ذكرها والزفت في المخازن الذي عليه الاتربة ولا يتقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعني دولة بني أيوب منه شيئا كثيرا في هذا المكان اتفع به واليه يأوى الفرنج في بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من التجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخباطين والفعله ومن العجائين والطحانيين في تلك الطواحين والفرنانيين في أفران الجريات وفي هذا المكان مادة اكثر اهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهم بما يجار غير جوارهم لان أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استحدث طواحين برسم الرواتب

* (ذكر اصطبل الطارمة) *

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان يجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقي الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشول والآخر بجسارة زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخصاص ومنها ما يخرج برسم العواري لارباب الرتب والمستخدمين دائما ومنها ما يخرج أيام المواسم وهي التغيرات المتقدمة ذكرار سالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أو رؤس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفي كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمائم لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطبلين راض كأمير اخور وله سامية وجامكية متسعة والعرفاء على السواس ميرة ولجماعات الجريات من القمح والخبز خارجا عن الجاميكات فاذا بقي لايام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل راض في الاصطبل مع استاذ مظلة يتيق هر كبة على قنطارية مدهونة ويختص الراض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة فيركبها الراض بمائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير في راح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارة أو عابدا وحولها البوق والطبل فيكتر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا يفر منه في حال الركوب عليه فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التي تهيا هي التي يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم المومم ولا يـحـتـل ذلك ويقال انه ماراث دابة

ولابالت والخليفة راعكها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حلبا شوتان مملوءتان تبنيا عبيتان كتعبيته في المزك كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكة جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من وظائف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه في ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار في ديوان العمائر والصناعة والاتفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسي الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خاف في الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثائة وستين رطلا بالمصري نقيا واذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورته كان عن اقله اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته وما يجبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا بأدهم قط ولا يرون اضافته الى دواهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبل للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبني آدرا

* (ذكر دار الضرب وما يتعلق بها) *

وكان بجوار خزانة الدوق التي هي اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم بالخرطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمس في وسط سوق السقطيين المهاجرين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفير فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الحافظة فجعلت الحوانيت التي على عتبة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طابا الجامع الازهر في ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعملها من البيوت الامير المعظم خرتاش الحافظي وجعلها وقفها وقال في كتاب وقفها وحده هذه الحوانيت الغري يتهي الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجالية مما اغتصب من الاوقاف وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة في ايامهم أعمال ويعمل بها دنانير الفضة ودنانير خبث العدس وتولاها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفي سؤال منها وهي ستة عشر وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الاحمرية واستخدم لها العدول وصار ديارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدوق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التي بالخراطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر في ايام المأمون بن البطاحي وزير الامير بأحكام الله بنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هنالك وسميت بالدار الاحمرية

* (دار العلم الجديدة) * وكان بجوار القصر الكبير الشرقي دار في ظهر خزانة الدوق من باب ترية الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها في موضعها فأشار القضاة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم في شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاه ابا محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقررين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت في بعض كتب الاملاكة القديمة ما يدل على انها قديمة من القصر النافعي وكذا ذكرني السيد الشريف الحلبي أنها دار ابن أزد مر الجاورة لدارسكني الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لي والدي رحمه الله وقد بناها جلال الدين الاستاد الحلبي دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلافة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلي بخط الزراكشة العتيق

* (موسم اول العام) * قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبأدار المستخدمين

في الخزان وصناديق الاتفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستحقة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالي والادوين وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستاذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والخواشي والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقة والذي استحل عليه المبلغ في هذه السنة تطير ما كان قبلها وجلس المأمون بأكرام على السماط بداره وفترت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت النعشير والتشريقات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدايح بأسماء من شرف بالحجة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصعد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلمة وخدمت الرهبة ورتب الموكب والجنايب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهر بين والصارف والصاغة والبرازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيناها أبواب حارات العبيد معلقة بالسستور ودخل من باب النصر والصدقات ثم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقبه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحم على عادته وبعد ذلك الى مارآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهئية قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال في الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره لاهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور في ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة في طول السنة ونعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع في الثغور والبلاد والاستثمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذي الحجة في كل سنة اتصّب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصمام المصقولة المذهبة مكان السيوف المحذبة والدبابيس الكسخت الاحمر الاسود ورؤسها مدورة مضرسة واللوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقايض مدورة في ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلها نقيبائهم وهي في ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزانة بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح اصفر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنين في شرابة وثلثمائة درقة يكوها مخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلونه للعبيد لكل واحد حربتان ودوقة ثم يخرج من خزانة التجميل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشرى الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمنة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهي رماح ملبسة بأنايب الفضة المنقوشة بالذهب الاذراعين منها فيشتد في ذلك الخالي من الانايب عدة من المعاجر الشرب الملوّنة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصنائع ويرؤسها رمايين منفوخة فضة مذهبة واهلة مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حرس اذا تحركت وتكون عدة ما يقرب من مائة ومن العماريات وهي شبه الكجاوات من الديباج الاحمر وهو أجملها والاصفر والقروبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة برنانير خريز وعلى دائر التريبع منها مناطق بكواخ فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحجر خاصة ويخرج للوزير خاصة لو أن على رحلين طويلين ملبسين بمثل تلك الانايب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشرى فيسير أمام الوزير وهو لاهراء من ورائهم ثم يسير لاهراء أرباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجملهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهلار

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عتمة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديني المرقوم الملقون عشرة برماح ملبسة بالانابيب وعلى رؤسها الرماحين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤسها ورماحينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخله في الطامة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف حاملها الايمن وهو يقتلها فيه قتلا متدارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسرون رجالة في الموكب يسرون عينة ويسرة ثم يخرج من النقارات جل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها مطبول فينسلها صناعاتها ويسرون في الموكب اثنين اثنين ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جارية تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللط وهي واسعة وسيف ويسرون أيضا رجالة في الموكب هذا وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامى خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الخلية ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا أو من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرأ يسها من نسبها ومنها ما هو صرع بالجواهر الفاتقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل مسطوحة دائرية عليها ومكان الجلده من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون المنقوش بالوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها بعلامات في أمكنها وأعدادها وعد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء لشئاذين بضمها عرفاتهم الى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المتربين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الخلية دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من ارباب الخدم سيفاً وقلماً فيعرف كل شئاد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجالون بالمناخات اغشية العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سلخه على رأى القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعارض دوايه الخاص المتقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخليل فيستدعي الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصلهم فيمضي الى استعدائه في هيئة المسرعين على حصان دهرج امثال الامم الخليفة بالاسراع على خلاف حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستعدائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السد لا بد هليزاب الملك الذي فيه الشباك وعليه من نظاره للناس ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون دخوله في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحت كرسيا كبيرا من كرامى البلق الجيد فيجالس عليه ورجلاه تطل الارض فاذا استوى جالسا رفع كل استاذ السترم من جانبه فيرى الخليفة جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم يده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسية فيجلس ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شئ بايات لا تفتة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في عرض الخليل والبغال الخاص المتقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعراس بأيدي شئاذيها الى ان يكمل.

عرضها في قراة الخاتم ذلك الجلوس ويرى الاستاذان الستة فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انقضاء ما تقدم جلس طهرض ما يلبسه في عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام يجزئ الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشع فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لساة التاج الشريف ويقال له شدة الوفاق وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لماساة ما يعرف بالتاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الالهة فيحضر اليه البيعة وهي جوهر عظمة لا يعرف لها قيمة فتعظم هي وحواليها مادونها من الجواهر وهي موضوعة في الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا فتعظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخطها ساة التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهر سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرهما قصب زمرد زباني له قدر عظيم ثم يؤمر بشدة المظلة التي تشابه تلك البدلة المحضرة بين يديه وهي مناسبة للتياب ولها عندهم جلالة ليكونها تعلو رأس الخليفة وهي اثنا عشر شورا عرض سفل كل شورة شبر وطولها ثلاثة أذرع وثلاث وأخر الشوركة من فوق دقيق جدًا فيجتمع ما بين الشوارك في رأس عودها بدائر وهو قطارية من الزان ملبسة بأنايب الذهب وفي آخر أنوبة تلي الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض إبهام فيشدها آخر الشوارك في حافة من ذهب ويترك متسعاً في رأس الرمح وهو مفروض فتلك الفلكة فتقع المظلة من الحدور في العمود المذكور وأما اضلاع من خشب الخالج مربعة مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول الشوارك وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضها وهي تنضم وتنفخ على طريقة شوكة الكيزان وأما رأس شبه الرمانة ويعلموه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها طرف دائري يتحكما من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة في رأس العمود ركب الرمانة عليها ولقت في عرض دقيق مذهب فلا يكسفه ما منه الا حاملها عند تسليمها اليه اليه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشدة لواء الحمد المختصين بالخليفة وهما ربحان طويلان ملبسان بمثل أنايب عود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمح فيشدها ليجزأ بروج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة يرسم جلهمما ويخرج احدي وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تحالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفقه قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحدة ثلاث طرازات تقسم لحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون ديناراً ثم يخرج ربحان رؤسهما اهل من ذهب صامته في كل واحد سبع من دياج أجرو وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فينفخان فيظهر شكلهما ويتسلهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال وجلبته ذهب مرسعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو أكبر حامل ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكواخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غشاء من حرير يخرج الى حاملها وهو أمير مميز وله هذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احدهما كبرى والاخرى صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر ماراً الى حوض عز الملك نسا ومسجده هناك وهو أقصاها ثم يعطف على يساره طالباب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم الناس بساولة احدهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيهما من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التيزات من ارباب السيوف والاقلام قياما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذي فيه اليوم فيسعد القوم لا تتظار الخليفة ويكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المتقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه اولاده واخوته

وكل منهم مرنخي الذؤابة بلا حنك وهو في أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمندبل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله في أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هنالك ويمشي بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة وهو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكان معدة لذلك مكسوة في الصنف بالحصر السامان وفي الشتاء بالبط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة ركوب الخليفة وأسندت الى الكرسي الذي يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلها باعانة أربعة من الصقالبة يرسم خدمتها فيركبها في آلة الحديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الايمن بقوة وتناكيد فيمسك العمود بجاذب فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يدرك قط انها اضطربت في ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسله حامله فاذا تسله أخرجت ذؤابته مادام حامله ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حاملوها يقوم من التهود المعتقدين وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان وهي في نفسها من الذهب وحليتها مارجان وهي ملفوفة في مندبل شرب يياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التي صنعت حلية المارجان في وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك في بيتين وهما

أين لداود الحديد كرامة * فقد تدمنه السر كيف يريد

ولان لك المارجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الاية فيرفع صاحب المجلس الست فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حاله في لباسه الثياب المعروضة عليه والمندبل الحامل للتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرنخي الذؤابة مما يلي جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربي ويسده قضيب الملك وهو طويل شبر ونصف من عود مكسوة بالذهب المرصع بالدر والجواهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك اولاً فأولاً والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلفها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل يوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغريبة بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواب في الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظاهراً ثم يكتنف الخليفة مقدم موصيان الركاب منهم اثنان في الشكبة واثنان في عنق الدابة من الجانبين واثنان في دكابه فلا يمين مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التي يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهي ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولاده وأخلاق بعض العسكر الامثال الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللوائين من الجانبين الى حامل الدواة وهي ينسج وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما في الجانب الايسر كل واحد من تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المتقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتي الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم اكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبعيات ويتقلدون بالسيف وأساطهم مشدودة بمناديل وفي أيديهم السلاح مشهور وهم من جاني الخليفة كالجناحين الماذين وبينهم فرجة لوجه القوس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تودة ورفق وفي طول الموكب من آوله الى آخره والى القاهرة ماراً وعائذ يفسح الطرقات ويسير الركبان فيلحق في عوده الاسفهلار كذلك ماراً وعائذ الحث الاجناد في الحركة والانكار على المزاحين المعترضين ويلحق في عوده صاحب الباب ومروره في زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفي يد كل منهم دبوس وهو راسكب خيردوا به وأمرها هذا المن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابهم ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف في خرائط دياج احمر وأصفر بشرار يب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المتقدم ذكرهم أولا ثم يأتي الوزير في هيئة وفي ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ويجهت أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوي بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتي حامل الرمح المتقدم ذكره ودورقه حراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزير بزمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الامرية والحجربة ~~الكبار~~ والحفاظية والحجربة الصغار المنقولين والافضية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغزالمصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجيلة أرباب قسي البدوقسي الرجل في اكثر من خمسمائة وهم المعدون للاساطيل ويكون من الفرسان المتقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقرب بالمقامين اليوم وقف وقفة بجملة في موكبه وانفرج الموكب للوزير فحزلك مسرعا ليصبر أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسكع له سكعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكرامة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم في اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحد قوابه والوزير أمام وجه القوس مكان ترجله الى الكرسي الذي ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجاري به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواله فيركبون من أما كنهم ويسيرن بحبته الى داره فيدخل وينزل ايضا الى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أما كنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغزة وهوائه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الاخر من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب اولها في هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدرهم المدورة المقسولة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينار وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قيراط الى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغزة التي ينعم بها في اول العام المتقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقيراط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كان يضرب في خميس العدس من خرايب الذهب) *

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدقتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخرايب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرين ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسي ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعني الامر بأحكام الله في ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار والبقية برسمه ثم جعلت في الايام المأمونية ألف دينار وربع اذات أو نقبت يسيرا وقد تقدم أن قاضي القضاة كان يتولى عبار دار الضرب ويحضر التخليق بنفسه ويختتم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتح

* (ذكر دار الوكالة الامرية) *

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمينه السالك من رأس الخراطين الى سوق الخمين والجامع الازهر * قال ابن المامون في شوال سنة ست عشرة وخمسة ثم أنشأ يعني المأمون بن البطائحي وزير الخليفة الامر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

*** (ذكر مصلى العيد) ***

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناء القائد جوهر لاجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقي الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ في جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

*** (ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها) ***

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر صلاة العيد الى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر وكان محمد ابن أحمد بن الادرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا وموضعه أبا جعفر مسلما وأقعدوه هودونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي واقتل المعز في زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تأمة طويلة قرأ في الاولى بآم الكتاب وهل أنا حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال اناسحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة ينفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ في الثانية بآم الكتاب وسورة والفحي ثم كبر أيضا بعد القراءة وهي صلاة جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود أناسحت خلفه ينفا وثلاثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة وجهه بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأنكر جماعات يؤتممون بالعلم قرأته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شبيب ثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي عليه السلام انه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يميناً وشمالاً ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل بجلوس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيق صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر وأستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والحدود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالقبيل فلما حضر في قصره أحضر الناس فأكلوا وقد تمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعشب على من تأخروا وقد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهراً باب النصر عليها المؤذنون حتى يصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعني الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رفاعاً فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالخلي والعسك في زيه من الاترك والديلم والعزيرية والاششيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المنقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجواهر والسروج بالعنبر وبين يديه القبلة عليها الرجال بالسلاح والزراقة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر ويده قضيب جدّه عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفي أمير الجيوش بدر الجبالى وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد ويقف في قوس باب داره الذي عند باب النصر يعني دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرًا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلي به القاضي ابن الرعني ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنتفض الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهامدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحي في الوزارة قال هذا نتص في حق العيد ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الامر باحكام الله فماتراه أنت فقال يجلس مولانا في المنطرة التي استجبت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا في المنطرة وقمت الطافات وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والري وجميع الامراء والاجناد واجتاز باب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ في شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقه كسوة العيد والهبات يعنى في عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسة وثمانية وثلثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسة مائة وهى تشتغل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه تم الجماعة وفي غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزائن الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان في التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السجود بحكم انهاء ليلة ختم الشهر وحضر المأمون في آخر النهار الى القصر للظهور مع الخليفة والحضور على الاسطحة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلوا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحي وموكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فاسمع ودعا فأبلغ ورفع القرائشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجرا على عادتهم وملأوا أكجامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجليلية بخلع خلعهما على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الملققين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية في مجلس الملك وتعي الطيافير المشورة الكبار من السمر الى باب المجلس وتعي من باب المجلس الى ثلثي القاعة سباطا واحدا مثل سباط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتلأ الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحامدة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التي في سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظللالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلتهم لا تعدى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا في آخر الايوان وختم المقرئون وسلوا وخدمت الرهبة وتقدم متولى كل اصطبل من الرماض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون في الركاب بالمناديل يتسللون بها من الشدادين ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلها الاستاذون والمستخدمون في الركاب ويعلمون بها الى قريب من الشبال الذي فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضره وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال ومات آخر من العشاريات والحجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهبة وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما يتزعمونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة الديباج والديبق بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها العجب والجناني بالاقاب الملبسة بالديبق الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل وحلت الفطرة الخاص التي يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختتم وسلت للمستخدمين في القصور وعييت

في مواعين الذهب المكحلة بالجواهر وخرجت الاعلام والبندور كالمأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السعاط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذنجن وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدي الخليفة فبدأ وكبر وأخذ يديه ثمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فافطر عليها وأخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر ويناول وزيره منه وهو يتقبله ويجعله في كفه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعله في أكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله في كفه على سبيل البركة فمن كان رأيه القطور أفطروا ومن لم يكن رأيه أو مأ وجعله في كفه لا ينتقد على أحد فله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقصة بل له به الشرف والميزة ومزيدة وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات وجعله في كفه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملاً وأكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة في ركابه فوجد التعبئة فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصواني الخاص فجلس على مرتبة والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالي من الامراء والقاضي والداعي والضيوف فحضر واشرافوا بجلسهم معه وحصل من مسترتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره واقتضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ في غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المأمونية وأحضرت التغاير وفزت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذي بيده الدعوى لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضرا الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كتاب الدست ومتولى الحجة وبالغ كل منه في زيه وملبوسه وجرى على رسمهم في تقبيل الارض وغتية المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجميل الخاص الذي يرسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والتجوفات والعقبات والعماريات ولوا الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالظميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشريف الخاص بين يديه وخدمت الرهبة ومن جلستهم الغربية وهي ابواق لطاف بحجة غربية الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا في المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويلبهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انخط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جلة حصير بلعصر بن محمد الصادق عليه السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصير المحارب ثم علق على جاني المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاض التي يجلس عليها الخليفة وعلق اللوا آن عليه وقعدت تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي وأطلق الجهور ولم يفتح من أبوابه الابواب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة ويقعد الداعي في الدهليز وتقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعي ويكون في ضماته واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بقاية زيه والعلم الجواهر في منديه وقضيب الملك يسده ونوعه واخوته واستأذوه في ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والنواص واستدعى بالمأمون فتقدم بفردة وقيل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدى خزان الكسوة والرهبة تتقدم وجعل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذي يسده الدعوى في ترتيب الحجة بان شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المراكب بالجنائب

الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزياً وراياتها وراء الموكب الى أن وصل
المقرب المصلي والعماريات والزراقات وقد شدت على القيلة بالأسرة مملوءة رجالاً مشيكاً بالسلاح لا يتبين منهم
الا الا حادق وبأيديهم السيوف المجتردة والدرق الحديد الصيني والعساكر قد اجتمعت وتراذفت صفوفاً من
الجانبين الى باب المصلي والنظارة قد ملأت القضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة
والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسجلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبروك الحديد بالصماصم
والدبابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلي ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة
الى أن اجتاز المأمون راكباً من حول ركابه وردت الخليفة السلام عليه بكلمة وصاراً أمامه وترجل الامراء المميزون
والاستاذون المنحكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يداً بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن
صار الجميع في ركابه ولم يدخل من باب المصلي راكباً غير الوزير خاصة ثم ترجل على باب الثاني الى أن وصل الخليفة
اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر وصد المحراب والمؤذنون
يكبرون قدامه واستفتح الخليفة في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضي والداي عن يمينه وشماله ليوصلوا
التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلي الرجال والنساء الخارجين عن المصلي
الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما
قضى الخليفة الصلاة وهي ركعتان قرأ في الاولى بفتحة الكتاب وهل أنالك حديث الغاشية وكبر سبع
تكبيرات وركع وسجد وفي الثانية بالقائمة وسورة الشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع
ومن شوب عنهم في صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد
ولا يصل اليه الا من كان خصيصاً به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلي والتربة لا يسأم نظره
ويكثرون من الدعاء له ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع في الطلوع اليه وأدى
ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضي فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى
الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعوى من كفه وقبله ووضع على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به
العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال في أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل
الخليفة في أعلى المنبر بقي الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضي فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة
ويخرج الدعوى من كفه وقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعي بالوزير بعد ذلك
فيصعد بعد القاضي فراعى الخليفة ذلك الامر في حق الوزير فجعل الإشارة منه اليه أولاً ورفع عن أن يكون
ما موراً مثل غيره وجعلها مميزة على غيره من تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجاري به
العادة في الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع الاوائن وترجل كل أحد من موضعه كما كان
ركوبه وصار الجميع في ركاب الخليفة وجرى الامر في رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهي سنتهم
في كل ركبة بمظلة وفي كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب
العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره
والجلوس على سباط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الدار روع قد وقع من المستخدمين
تعبئة السباط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية
أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجرة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفترون والنائب لكل منهم رسم
يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل
ابن أبي الليث واستأذن على طيافير القطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعقد في تفرقتها على
ما كان يعقده في الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه
الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالميناء معبأة بالزبادي الذهب واستدعى الوزير
واصطف الناس من المدورة الى آخر السباط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفي
الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزائن الشراب بيده شربة في مرفع ذهب وغطاء مرصعين
بالجوهر والياقوت ومتولى خزائن الاتفاق بيده خريطة مملوءة دنائير لمن يقف يطلب صدقة وانعاماً فيؤمر بما يدفع

اليه وتفرقة الرسوم الجارية بها العادة ولعبت المنافقون والتحسارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخت
الستور وعبي السباط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسباط من جرت
العابدة به وفترت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت
قصور الخليفة وفترت من الاصناف ما جرت به العادة وأرخت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص
للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعدما بالغ في
شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معبسة على ما كانت بين
يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية وكاتب الدست ومتولى حجة الباب مثل ذلك
ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعبد والخلع وبما جرى في صعود المنبر وحضر
الشعراء وأسئبت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة
والشهود والامراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود
برئيسهم والنصارى يطريقهم على ما جرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم
وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفا الخليفة الى الباذنجه لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عيبت
المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم
الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سام ابنه ومتولى حجة الباب وظهير الدين الكفائي على ما كان عليه
الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان
خرج الزى من أما كنه على ما وصفنا في ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها ويركب في مسهل
شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا انتهت الامور من الخليفة والوزير والامراء
وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير يجما عته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة والبيته
والآلات المتقدم ذكرها ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم والمظلة
كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة
في هذا اليوم في العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال
قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها في الحراب مطابقة ويعلق سترين قيمة ويسمره في
الايمن البسطة والفساتحة وسج اسم ربك الأعلى وفي الایسر مثل ذلك وهل أذاك حديث الغاشية ثم يركب في
جانب المصلى لواءين مشدودين على رحمين ملبسين بأنايب الفضة وهما مستوران من خيان فيدخل الخليفة من
شرقي المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوفا كما يحفظ في جامع القاهرة فيصير الى الحراب ويصلي
صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير ورائه والقاضي ويقرأ في كل ركعة ما هو من قوم في السترين فاذا
فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس في الذروة وهناك طراحة سامان أو ديق على قدرها
وباقية بستر بياض على مقداره في تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فراه أهل ذلك الجمع جالس في الذروة
ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفله العساكر وصاحب السيف
وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب
بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه
منه ويكون وجهه موازيا رجله فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضي
القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كه مدراجا قد أحضر اليه أمس
من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت
بمن شرف بعوده المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله
عليه وعلى آباءه الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد
الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضي بالنعى المذكور ثم يلو ذلك ذكر القاضي
وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولادعاه بل يقول الماول فلان بن فلان وقرأه مرة القاضي
ابن أبي عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجليل في المقام الجليل أجد بن عبد الرحمن

أبي عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة وقد استقصى في آخر الوقت فقال المملوك في محل الكرامه الذي عليه من الولاء أصدق علامه حسن بن علي بن سلامة ثم يستدعي من ذكرنا ووقوفهم على باب المنبر بنوعهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه في المنبر بمنه ويسرة أشار الوزير إليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي يجانبه فيسترا الخليفة ويسترون وينادي في الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالأقرب الى القهقري فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذي خرج منه فلبث يسيرا وركب في زيه المخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيستقدمه الوزير كما شرفنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس في الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت في وسط الايوان مقدار عشرين قصبة مماط من المشكك والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يطر ويقتل منه من يتقل ويساح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيتر ذلك بأيدى الناس وليس هو بما يعتد به ولا يعي بما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل في هذا اليوم مماط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذوالقعدة وهل هلال ذى الحجة اهتم بركوب عبد العز فيجري حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشع ولا ينخرم منه شئ انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انس الدولة بآزائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهم سافهوا وجهه وكلامه

وهذا الذي في كل وقت بروزه * تحبته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقى اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شئاً آخر وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويغث بها الى الاعمال فما كتب به من انشاء ابن الصبري * أما بعد فالحمد لله الذي رفع بامير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده وأعز بخلاقته معتقده وأذل بهمايته معانده وأظهر من نوره ما انبسط في الاتفاق وزال معه الاظلام وسبح به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره وفوائمه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اصطفى له الدين وبعثه الى الاقربين والابعدين وأيده في الارشاد حتى صار العاصي مطيعا ودخل الناس في التوحيد فرادى وجمعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل اني هداى ربي الى صراط مستقيم دينا قيامه ابراهيم خنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أينما أمير المؤمنين على بن أبي طالب امام الامة وكشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الائمة من ذريته سادة البرية والعادلين في القضية والعاملين بالسيرة المرضية وسلم وكرم وشرف وعظم وكأب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عبد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه وجره في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما يثبتك به ويطلعك على مستوره عند مغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحترم المحظورا بطلقه المحلل المباح فوجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انتقلت الى مصانفها في الهبات التي يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى مهايتها عن تجريد المرهفات وتشهد أسلمتها وعددها بالتناقض في اللهم وتقلق مواضيا في أعقادها شوقا الى الطلى والقيم وقد امتلأت الارض بازدهام الرجل والخليل وثار العجاج فلم ير اغرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهوره للبصار على أنه محتجب بضياءه ونوره وتوجه الى المصلى في هدى جده وأبيه والوفاء الذي ارتفع فيه عن النظر والشبهة ولما انتهى اليه قصد الخراب واستقبله وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله وأجرى أمرها على أفضل المعهود ووقاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى الى المنبر فعلا وكبر

الله وهاله على مأولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا يتفجع قاه في عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة شمعولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا في ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه وتعلم بتلاوته على الكافة ليستركوا في معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا واعلم به ان شاء الله تعالى *

وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخلف لها اقطاعات وحرابات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة في العيد من مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض جلاعن عيين الباب وحبلان عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجله آخر معلق بيديه ورجليه ويقسمون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط القرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

* (ذكر القصر الصغير الغربي) *

وكان تجاه القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره في غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربي ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس ودار الامير يسرى وباب قبوا الخرنشف وربيع الملك الكامل المثل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبائن وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقرو ما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربي يعرف أيضا بقصر البحر والذي بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسيحي ولم يبن مثله في شرق ولا في غرب * وقال ابن أبي طي في أخبار سنة سبع وخسين وأربع مائة ففيها تم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربي وسكنه وغرم عليه ألف دينار وكان ابتداء بنيانه في سنة خمسين وأربع مائة وكان سبب بنيانه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله ونعمه في هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسران ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفرد هابسكنى القصر الغربي وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربي كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة اماكن * (الميدان) * وكان بجوار القصر الغربي ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

* (البستان الكافورى) * وكان من حقوق القصر الصغير الغربي البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طفيح بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقوم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الامير أبو القاسم أو نو جور بن الاخشيد والامير أبو الحسن علي بن الاخشيد في أيام امارتهما بعد ابيهما فلما استبدت بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذي كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز الدين الله لاخذ ديار مصر أنماخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منتهال الخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقي ويسرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللواؤة بحيث لا تراهم الا عين وما زال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكروا به في سنة احدى وخمسين وست مائة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما

الاقباء والسرايب قائمها علمت أسيرة للمراحيض وهي باقية الى يومنا هذا نصيب في الخليج * (القاعة) * وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة هي الآن المارستان المنصوري حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا * قال في كتاب الدخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين
وثلاثمائة هـ دأى من جلستها ثلاثون فرساً بمراسمها ذهباً منها مركب واحد من صرغ ومركب من حجر البلور
وعشرون بغلة بسر وجها ولجها وخمسون خادماً منهم عشرة صقالبة ومائة تحت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج
من صرغ بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من
الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت في مسهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين
وأربع مائة ما لا يحصى كثرة وكان إقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف
جارية منها بنات ألف وخمسمائة وكانت سمعة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جلة موجودها نيف وثلاثون
زيراً صينياً مملوئاً بجمعها مسكاً مسجوقاً ووجد لها جوهر نفيس من جلته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مشاقيل
* قال المسيحي ولدت بالمغرب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر
الدين جهار كس موسى ثم بالملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل فلما كان
في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستائة شرع الملك المنصور دلاون الاثني في بنائها مارستاناً ومدرسة
وتربة وبولي عمارتها الامير علم الدين سنجر النخاعي مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف
وسمائة ذراع

هكذا يبايض
في الأصل

* (أبواب القصر الغربي) *

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرد
* (باب الساباط) * هذا الباب موضعه الآن باب ستر المارستان المنصوري الذي يخرج منه الآن إلى الخرنشف
وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذبح ورمدة أيام الحروب في عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل
الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نخره الخليفة الأمر بأحكام الله وذبحه
خاصة في المنكر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ألف وسبع مائة وستة وأربعون
رأساً فذكر ما كان بالنخر قال وفي باب الساباط مما يحمل إلى من حوتة القصور وإلى دار الوزارة والاصحاب
والحواشي اثنتا عشرة ناقدة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة
رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر
باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان وهو الخرنشف الآن ليخبر فيه
الضحايا

* (باب التبانين) * هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتي
ذكرها ان شاء الله تعالى

* (باب الزمرد) * كان موضع اصطبل القطبية قرياً من باب البستان الكافوري الموجود الآن

* (ذكر دار العلم) *

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل إليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو
الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضرى الكائن بدار الخضرى المقابل للجامع الاخر
ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت إلى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار
عز الملك محمد بن عبد الله المسيحي وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة
فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وجلت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة
ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما لنفسه وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها
القراء والمتبحرون واصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها
ومراتبها الستور وأقيم قوام وخدّام وقراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير
المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم
يرم له مجتمعا لا حد قط من المولود وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك من المحاسن الماثورة أيضا التي لم يسمع بمثلهما من اجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لهما من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم ففهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعليم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الخبر والاقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بأمر الله أما كن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمها كتابات على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك ثلثي الحصر العبداني وغيره الهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكتاب يعني الناصح تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك ثلثي الماء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفرش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والخبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمهمة الستارة ديناراً واحداً ومن ذلك لمهمة ماعسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر ديناراً ومن ذلك ثلثي لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك ثلثي طنافس في الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهي طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر جريد بن مكي الاطفيحي القصار مع جماعة يعرفون بالبدعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملة من استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك في ايام الافضل فأمر للوقت بعلق دار العلم والقض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتردق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما في زى تجارية اشترياها وقاما بمحقه وجسع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه في بعض الاوقات فغرض بركات عند الاستاذين فخارا في أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعمالا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجايزهما قد توفيت وأن عجايزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج فضج لهما في العدة وأخذ في غسله وألبسه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلقة وشاشية ومنديل وطملسان مقور وادرجود في الديني وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أراد أن يكمل الاجر له على قدر عقولهما ففقد اللطمانين هو رجل تربته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتوا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الجالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عترفوه بما جرى وقاسموه الدنانير خافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فضى بهم الى الوالي وشرح له القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال في اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فائق الذي قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور في الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وأمر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الجالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوا أمرهم بلغنه فمن أجاب الى ذلك منهم اطلقوه ومن أبي أحضره فحققوا معرفته ففهم من يصق في وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم تبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالي والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من اصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سيده وبقى من الجماعة من لم تبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهم ما وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنتم عليكم واطلق سبيلك فقال له الله يطالبك ان لم تلحقني بهم فاني مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفي الافضل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطايعي بالتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثني بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضره الداعي ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعترفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الاشعري ثم انسح عن الاسلام وسلك طريق الخلاص في التوبة

فاستوى من ضعف عقله وقت بصيرته فان الخلاج في اول أمره كان يدعى أنه داعية المهدي ثم ادعى انه المهدي ثم ادعى الالهية وأن الحق تخدمه وانه أحى عدة من الطيور وكان هذا القصار شيعي الدين وجرت له امور في الايام الافضلية وفي دفعة واعتقل أخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستحب من استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين نطلب شيئاً نأكله اصحابنا فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم في تأمل صورته فلا ينفقون مطرقتين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اخذ بصحبه رجل خياط وخصي فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطالب فلم يوجد ونودي عليه وبذل لمن يحضره مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار واصحابه وقرروا فلم يقرروا بشيء من حاله وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استوعر عليه أمر بدفنه فلما جمل ليدفن ظهر أنه حي فأعيد الى الاعتقال وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصى فإنه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمي قدماه وهو مصر على ما في نفسه فأخرج القصار والخصي ومن لم يتبرأ منه من اصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالشباب فماتوا الوقت ثم نودي على الخياط فانيافا حضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرمي به بالقرب من خشبته التي هو مملوء عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تحلط رملهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبر رملهم وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسةائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسةائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمنحه فتسبب الى أن خاطبه وصار في جملة اصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وأنه لاه على ذلك وردعه فخذته بجانب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا وبسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان يده سكين لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التي معه ويقول له اذبحه فلا تنسى في يده فبأخذها هروبا وبجعه ما يجري دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسترحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويستمع له القصار يبق هذا الرجل مصرا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه محرو وزور وافك قصصه بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهي بجوار باب التبانين وهي متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعي المؤيد في الدين حبة الله بن موسى الابحجي وكان لا بطلها امور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب التزاري ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الأمر باحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون فقال اين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التي كانت أولا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الخواص ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يحصل به فأشار كل من الاستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قدمنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة فجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطه يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليا رجلا دينا والداعي الناظر فيها ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها أبو محمد حسن ابن آدم فتولاها شرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقرر ثون

* (ذكر دار الضيافة) *

خرج مالك في الموطاء عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اول من ضيف الضيف واول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام أمير المؤمنين ع من الخطباء رضي الله عنه في سنة

سبع عشرة وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين في المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي أحد من شهد فتح مصر من الضمالة وكان ميدان القصر الغربي الذي هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار اولاً تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجبالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبذ بأمر الدولة أنشأ هناك داراً عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التي كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وأنشأ دار القصاب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى قريباً من رحبة باب العيد أقرأه أبا محمد جعفر المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر وما زال بها حتى مات وقبرها والى اليوم قبره بها وتسميه العاتية جعفر الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة يرسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فلما كان في سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم امر الملك المنصور قلاوون لوكيل بيت المال القاضي محمد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وماهر من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبثوا في مكانها دوراً وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي وما بجوارها الى الدار التي بها سكنى اليوم وهي من حقوق دار المظفر الصغرى على ما في كتبها القديمة ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع وأوسنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذلك الامير جهار كس الخليلي يثوى بحارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الخبر بعث اليه وأمر بجزءه الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التي للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الانبال أدركتها ساحة ثم عرفها * قال ابن الطوير الخدمه المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهي خدمة جليلة يقال لتوليها النائب وبعث بعدي الملك وهو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد في دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله تطير في دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويسالغ في فجاز ما وصلوا فيه وهو الذي يسلم بهم أبداً عند الخليفة والوزير ويتقدم بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد في انصافهم على احسن الوجوه وبين يديه من القرائين المتقدم ذكرهم عدة لاعتائه واذا غاب أقام عنه نائباً الى أن يعود وله من البخاري خسون ديناراً في كل شهر وفي اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفاً فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفي هذه الدولة التركية يقال لتولى هذه الوظيفة مهندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشر اوات وكانت في الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمام وبعث أبداً بعدي الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتي الضيوف)

* (ذكر اصطبل الحجرية) *

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المتقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بجنان الوراقه داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمي ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذي فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجلون الصغرى وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية احدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين

* (ذكر مطبخ القصر) *

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخاً كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أبواب الرسوم والضعفاء

* (درب السلسلة) * وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارساً فإذا أذن بالعشاء الأخرى داخل القاعة وصلى الإمام الأتاب بها بالمقيمين فيهم من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكر كندی فإذا علم بفرار الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواثقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فإذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المتقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائهم هناك وترى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة يحرق قرب القبر فتصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذى هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالة تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكر كندی وهذا الدرب هو المختص بالتفذية وهذه التفذية أمر هام مستطرف لامن قبل الحسن بل من قبل التجب من العقول ولها خمسة أوقات وهى ليلالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكباً في وسط الزلافة التى لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهبة ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمشى ويسرة والرهبية تخدم وارباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة فإذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهبة كلهم وركب فرساً وعليه ثياب حسنة وكشف عن رايانه وأخذ يدهم محاوراً جمعت الرهبة حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهبة الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهنا فليزوا كذلك الى ولاية ابن الكر كندی فبطلت هذه السنة في الايام الآمرية وصاحب التفذية بمن وصل أباه وصحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

* (ذكر الدار المأمونية) *

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهى المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي وعرفت قديماً بقوام الدولة حبسب ثم جددتها المأمون محمد بن فاتك * (المأمون البطائحي) * هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابى شجاع فاتك بن الامير مجاهد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخسمائة عند ما تغير على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه ونظم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون ديناراً عن جارى الخزائن مضافاً الى الاصناف الاربعة مياومة ومشاهرة ومساهمة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه في كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمساهمة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكتب اليه وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد القطر من سنة خمس عشرة وخسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الامر بأحكام الله وأطلع على اموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر في قتل الافضل بإشارة الخليفة

نخلع عليه الآخر في مستهل ذي القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذي يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحده في محل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على أخوته واستقر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذوالحجة ففي يوم الجمعة ثابته خلع عليه من الملابس الخاص في فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الأمر للأمراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشریف الوزارة ودخل من باب العبدرا بكا ووصل إلى داره فضاغف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الأمراء بين يدي الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهبته فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزام القصر فأمره الخليفة بالجلوس إلى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالأيوان ورسم الشيخ أبي الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الأمراء والهنكين من الآخرى إلى المأمون وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد يتسب إلى الأفضل ولا لأمير الجيوش وقد تمت له الدواة فلم في مجلس الخليفة ونعت بالسيد الأجل المأمون تاج الخلافة ووجهه الملك نخر الصنائع ذكر أمير المؤمنين عز الاسلام نخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كأقل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره في يومى الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية إلى الظهر ثم رفع النفقة ويحط السباط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الرجل إلى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرة خمسة دنائير ولكل من هو مستقر القراء على بابيه من الضعفاء والاجراء مما وثبات بأسمائهم خمسمائة درهم وبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى فاذا توجه يوم الجمعة إلى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة قبض الأمر المذكور عليه وعلى أخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهلهم واعتقله ثم صلبه مع أخوته في سنة اثنتين وعشرين * قبل ان سب القبض عليه ما بلغ الأمر عنه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلي بغريه يقتل أخيه ليقبضه مكانه في الخلافة وكان الذي بلغ الأمر ذلك الشيخ أبو الحسن بن أبي اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبو الحسن إلى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه أنه سم شيأ ودفعه لقصاد الخليفة فتم عليه القصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع إلى معرفة أحوال الناس من العامة والحمد فكثر الوشاة في أيامه

(حبس المعونة) * وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون إلى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد في القريين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفقه بالطوارى والمساخى وأن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهم بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بمخزاة شمائل وأما الأمراء والاعيان فيسجنون بمخزاة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجناء مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بني أيوب إلى أن عمره الملك المنصور قلاوون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين في سنة ثمانين وستائة

(ذكر الحسبة ودار العياد) *

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الخطيب بجوار سوق القصارين والفحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فان من تسند إليه لا يكون الامن وجوه المسلمين وأعيان المعتدين لأنها خدمة دينية وله استخدام التواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجماهى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أبواب الحرف والمعيش ويأمر نوابه بالحتم على قدور الهزاسين ونظر لحهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباقون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الخالين على البهائم

وباحرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلو كل دلو أربعون رطلاً وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق وينذرون معلى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلوا العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سبيء المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر في دار العيار ويطلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك وجارية ثلاثون ديناراً في كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعبر فيه الموازين بأسرها وجميع الصنخ وكان يتفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج إليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعبر المعمول فيها بحضوره فإن صح ذلك أمضاه والاخر بأعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثله يصحح بها العيار فلا تباع الصنخ والموازين والاكبال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنخهم ومكاييلهم فتعبر في كل قليل فإن وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محترق بهذه الدار والقيام بنفسه ثم سوغ الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنخه خلل باصلاح ما وقع من فساد فقط والقيام باجرته فقط وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفاً على سور القاهرة مع ما كان جارياً في أوقاف السور من الرباع والنواحي الجارية في ديوان الاسوار وما زالت هذه الدار باقية

* (اصطبل الجيزة) * وكان بجوار القصر القري من قبله اصطبل الجيزة من جانب باب الساباط الذي هو الآن باب ستر المارستان المنصوري وقيل له اصطبل الجيزة من أجل أنه كان في وسطه شجرة جيز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل نجاة من يخرج من باب الساباط فينزل من الحجرة التي هي الآن تجاه باب ستر المارستان المتوصل منها إلى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يساراً إذا وقفت بأول هذه الحجرة حيث الطاحون الكبيرة التي هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم بالبند قانين وكانت بئر تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس نجاة درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدوا دار هذه القيسارية والربع علوها فرأيت بئراً كبيرة جداً وقد عقد على فوهتها عقد ركب فرقة بعض القيسارية وترك منها شئ ومنها الآن الناس تسمى بالدلاء وما زال هذا الاصطبل باقياً إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكروا في مكانه الآن التي هي موجودة الآن وحكروا بئراً في أوقاف الصلاح الأزبكي وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

* (دار الدياج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الدياج وهي حيث المدرسة الصاحبية بسوقه الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها إلى الوزيرية وكانت هي دار الوزارة القديمة وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر الدين قاضي القضاة وداعى الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ووزره المستنصر وصار وزيراً مستبداً فأنشأ داره بمحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الأفضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الدياج لأنه يعمل فيها الحرير الدياج ويتولاها الامائل والاعيان فمن ولها أبو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس في مكان دار الدياج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع التي تعرف اما كلها اليوم بدرب الحريري وما جاور هذا درب إلى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو في ظهرها فصار يعرف خط دار الدياج في زمننا بخط سوقه الصاحب

* (الاهراء السلطانية) * وكانت اهراء الغلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزائن شمائل وماورهاها إلى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت في عدة

أما كن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغدای وآخر القول وآخر القرافة ولها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصله اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والجالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائهم من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلي ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرابات العبيد السودان بتعريفات وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علو حتى لا تقارب زيل الدواب ويحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات في خرائط من شتى حلبية ومن الاهراء يخرج جرابات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحى ويحط في بعض الجرابات بالجديد جرابات المذكورين وجرابات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لاختبار الرسل ومن يقيعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لزيادة الاسطول فلا يفتقر مستخدموها من دخل وخروج ولهم جامكية مميزة وجرابات برسم أقواتهم وشعبهم وواجبهم وما يقبض من الواصلين بالفلال الاما يجائل العيون المختومة معهم والاذنرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلي كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيا الى الاسكندرية ودمياط ونيس ليسير الى نجر عسقلان ونجر صور وانه كان يسير اليها في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها عسقلان خمسون ألفا وصور سبعون ألفا فيصير هنالك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان متحصل الديوان في كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبامحمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربع مائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاستندت المسغبة بأمر المؤمنين أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه او في مضرة على المسلمين وربما أخطأ السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتغير في المخازن وتلف وانه يقام متجرا لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انقطاع سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأما مضى الخليفة مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس ونوسوا

* (ذكر المناظر التي كانت للفقهاء الفاطميين ومواضع زهرهم وما كان لهم فيها من امور جميلة) *

وكان للفقهاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منزهات أيضا من مناظرهم التي بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة التولوة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظر بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السمكرة وكان من منزهاتهم كسر خليج ابى المتجاء وقصر الورد بالخرقانية وبركة الحب

* (منظرة الجامع الازهر) * وكان يجوار الجامع الازهر من قبله منظرة تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالى الوقود

* (ذكر ليالى الوقود) * قال المسيحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمان وثلاثمائة وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه في الوقود على حافات الجامع وحول محنة التناير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة والاطعمة والحلوى والبحور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن التعمان في ليلة النصف بالمتصورة ومعهم شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحية واقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبجرتهم * وقال في شعبان وكان الناس في كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد وفي ليلة النصف من شعبان كان

الناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور محبته ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحل الهمم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والخور فكان جمعا عظيما قال وفي شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الزعم الجارى من الخبز والحلوى الذي يقام في هذه الثلاثة الاشهر لمن بيت بجامع القاهرة في ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ما جرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهي في كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصبح في اهل مكة ويقول يا اهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا لحاج بيت الله وأحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة في هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار اهل اليمن ففعلوا ذلك في ولايته ثم تركوه بعد * وفي ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لا عزاز دين الله ابوهاشم على بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العائنة والراعياء جلس الخليفة في المنطرة وكلن في ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لأن الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فأنقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الاسطة الجارية بها العادة وجلس الخليفة الأمر بأحكام الله عليها والاجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح ما لم تجربه عادته وبأبلغ في شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتي بهجتا وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبتر ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فأشبهى نظرن فامثل الامر وتقدم بأن يحصل الى القاضي خسون دينارا يصرفها في ثمن الشمع وأن يعقد الركوب في الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع الشهود بأن يركبوا حصيته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزيت يرسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت المال بأن يرسم هذه الليالى من أصناف الحلوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة وفي الليلة التي صيحتها مستهل رجب حضر القاضي ابوالحجاب يوسف بن ايوب المغربي ووقع له بما استحدث اطلاقه في العام الماضي وهو خسون دينار من بيت المال لا يتباع الشمع يرسم اول ليلة من رجب واستدعى ما هو يرسم التعيينين احدهما للمقصورة والاخرى للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان ما يصنع في دار الفطرة خشكناج صغير وبسندود في كل يوم قطار سكر ومثقالان مسكا وديناران مؤنة وكان يطلق في اربع ليالى الوقود يرسم الجوامع الستة الازهر والاقر والانور بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لاربابها واجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثني القاضي المكين بن خيدرة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التي كانت بيده مشاركة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة الى أن يكملوا ثمانية عشر ألف قبيلة وأن المطلق يرسمه خاصة في كل ليلة يرسم وقوده أحد عشر قطارا ونصف قطار زيت طيب وذكر ركوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة تاني الشهر بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عم معرفته جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة حضر اليه الشريف الخطيب المحصف الذي يخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق القديتار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلقة الفضة حلقة ذهب وكتب عليه اسمه وفي الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال في ركوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي تقدم في اول الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عي في الزواق الذي عن يمين الخارج منه سماط كعل وخشكناج وحلوى فجلس عليه بشهود

ونهبه الفقراء والسباكين وتوجه بعده الى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد في رواق الجامع المذكور سبعة طائفة
مثل السماط المذكور فاعتمده على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يفرقه
القاضي عشرة دنانير يفرقها القاضي * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكن عدده
عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك في خزائن دار أفتكين سستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار
بالمصري ووجلت الى دار القاضي القضاة ركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم
الشهود أيضا فمهم من يركب ثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضي أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون
المغرب في الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضي فيركب من داره بهيته وأمامه الشمع المحمول اليه
موقودا مع المنسوبين لذلك من القراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون
بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ ويندب في حجيته ثلاثة من ثواب
الباب وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في رضى الامراء وفي ركابه القراء
يمارتون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالأقدم وحوالي كل واحد ماله
من شمع فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم في وقت جوارهم
مالا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو ما رآه أن يأتي هو والشهود باب
الزمر من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهي التي
تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنافى الموالي الستة
ويترجلون تحتار فيما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين يديه شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون
كالموالي ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الأخرى استفتاها
وانصرفا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضي والشهود الى الوزير فيجلس لهم في مجلسه
ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضي
والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبام صرغير نظام
ووالى القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة في الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل
القاضي اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا فاذا وصل
الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة وسار شافا الشارع الأعظم الى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها فيوقد
له الشهور الفضة الذي كان معلقا فيه وكان ملجأ في شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه
عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون براقة وفيه سروات بارزة مثل النخل في كل واحدة عدة براقات تقرب
عدة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجمية ويخرج له الخاتم فان كان ساكنا عصر استقر بها
وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة
الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته
بجامع مصر الى القرافة ليصل الى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ولا يملكون من ذلك
فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة
المذكورة والاسواق معمورة بالخلاء ويتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالي

(* منظره اللؤلؤة *) وكان للخطباء الفاطميين منظره تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظره اللؤلؤة على الخليج بالقرب
من باب القنطرة وكان قصر من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان
يشرف من شرقه على البستان الكافوري ويطل من غربه على الخليج وكان غربي الخليج اذ ذاك ليس فيه من
المباني شيء وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف بيطن البقرة فيرى الجاساس في قصر اللؤلؤة جميع أرض
الطباله وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظره
بناها العزيز بالله ولما ولي برحوان وزارة الحساكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكاظمي سكن بمنظره
اللؤلؤة في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر
سنة اثنين وأربعمائة أمر الحاكم بالله يهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسيحي

وفي سادس عشرى ربيع الآخر يعنى سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللولوة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أبقاضه فثبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شئ من نهب أبقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الأول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل أمر بإزالة ما لم تكن العبادة جارية به من مضايقتها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعول الخليفة الأمر بأحكام الله على السكن باللولوة أمر الأجل الوزير المأمون بأخذ جماعة القراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بهم على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخليم وعند ما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماهة إلى اللؤلؤة وتحوّل المأمون إلى دار الذهب وأسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزاة على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الأدراسة على الخليج قبل اللؤلؤة ولا يمكن أحد من السكن في شئ منها إلا من كان له ملك ومن كان ساكناً بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لب الملك ليسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة وقتر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في المبيتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل مياومة من الغنم والحوان وجميع الأصناف وهي جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يشدب في كل يوم خروف شواء وقطار خبز وكذلك جيع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم وفي يومى الركوب يجتمعون للخدمة الأمن هو في نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام الممالك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهبة تقسم قسمين أحدهما على أبواب القصور والأخر على أبواب اللؤلؤة وأصحاب الضوء مثل ذلك وقتر للجماعة المقدم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم محتوماً بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للترهة عليهم ويقضون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شئ من ذلك عما وجبه الشرع وفي يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه إلا استاذوه وخواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستقر العادة والاسطة بها في يومى الاثنين والخمس وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومى السبت والثلاثاء إلى المنتزهات * وقال في سنة سبع عشرة وخمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديني والديليج وتحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بجاشيته وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الأصناف وأنضاف إليها ما يطلق كل ليلة عينا وورفا وأطعمة للبايتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب القنطرة بما دار إلى مسجد اليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهبة والسودان والحجاب كل طائفة بتقريبها والعرض من متولى الباب واقع بالعتة في طرف كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهبة تحتم على الدوام وتحوّل الوزير المأمون إلى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال في إطلاق الاسطة لهم في الليل والنهار مستقر * وقال ابن عبد الظاهر المنتظرة المعروفة باللولوة على بر الخليج بناها الظاهر لأعزاز دين الله ابن الحاكم يعنى بعدما هدمها أبوه الحاكم وكانت معدة لترهة الخلفاء وكان التوصل إليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد وأظنه فمأذ كره في علم الدين بن مائى الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من اتزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسيما الصغرى الخليفة وقله حواشيه أمر بستباب مراد المذكور الذى يتوصل منه إلى الكافورى وإلى اللؤلؤة وأسكن في بعضها قراشين لحفظها فإذا كان في صبيحة كسر الخليج استؤذن الأفضل ابن أمير الجيوش في فتح باب مراد الذى يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويستد الباب هذا إلى آخر أيام الأفضل فلما رجع الوزير المأمون في ذلك سارع

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سجد كرفى مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الأمر بأحكام الله والحفاظ لدين الله والفائز وحلوا الى القصر الكبير الشرقى من المراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شاذى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بحمراء الهليلج بأخر الحسينية عند مسجد تبرأزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة البني والرضي أبو سالم يحيى الاحمد بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد جعل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز وتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدقا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدقا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أنت يا من هجا السادات والخلفاء * وقات ما قاتله في ثلبهم مخفا
جعلتهم صدقا حلوا بلؤلؤة * والعرف ما زال سكنى اللؤلؤة الصدفا
وانما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجا بيهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكاهم الايات اذسكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصمفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من السيرة الاكل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر لا بصار محتظفا
فالكلب يا كلب أسنى منك مكربة * لان فيه حفاظا دأما ووفى

فله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كماهى عادته لا جرم أنه قتل في واجب من جهوى كماهى سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

(منظرة الغزالة) وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن فرقة وقد خربت هذه المنطرة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغيرة الذى من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن فرقة وصار موضعها قنادى بجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بقنادى عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى في الحد الشرقى وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحفاظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله من يجرى مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحفاظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيثار والشائع فيها أنها كانت تشغل في الايام الافضل على أحد وثلاثين ألف دينار في ذلك السلف خامسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصرى ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية * وقال ابن الطور الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا اعيان المستخدمين من أرباب العمام والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بمباط وثنين وغيرهما وجارية أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى دغاس محجزة معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونوابية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره هي بكرامة عظيمة ونذب له دابة من مرا كيب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل في الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شعاع بن شاو ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجري عليه الضيافة كالغرياء الواردين على الدولة فيتمثل

بين يدي الخليفة بعد جل الاسقاط المشدودة على تلك الكسوى العظيمة ويعرض جميع مامعه وهو ينه على شيء
شيء يبدفراشي الخاص في دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم
فاذا اتقضى عرض ذلك بالدرج الذي يحضره سلم مستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدي الخليفة باطنيا
ولا يخلع على أحد كذلك سواء ثم يتكفى الى مكانه وله في بعض الاوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه
بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الاولاد وأخافان الرتبة عظيمة والمطلق له من الحمامكية في الشهر سبعون
دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه
ومن أدواته أنه اذا عي ذلك في الاسقاط استدعى الى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس
كلهم قياما لخلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز وهو جالس في مرتبة والوالى
واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزاة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين
باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفي مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقي منها عقد بجوار دار الاعسر
يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الامر بأحكام
الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله بألبركات محمد بن عثمان وأمره أن يضي الى دارى الفلك والذهب
التي على شاطئ الخليج فالدار الاولى التي من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمة
ولم تكن تعرف الابدار الفلك ولما بنى الافضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة وسماها
دار الذهب غلب الاسم على الدارين ويصلح ما فسد منهم ما يضيف اليهم ما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم
بهذا الاسم الا لان جزأ منها بيع في ايام الشدة في زمن المستنصر بشابورة قال وعندما قارب النيل الوفاء تحول
الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول
الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها
الافضل بن أمير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو دار الذهب
وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب
الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرراهم في كل يوم سماطين أحد هـ ما بقاعة
الفلك للمماليك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والاخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز
ورأى انه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يقعدون بعدهم وفي اول الليل يجل ذلك ولكل
منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

(منظرة السكره) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكره في بر الخليج القري يجلس فيها
الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة وبشبهه أن
يكون موضعها في المكان الذي يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة الست وكانت السكره من جنات
الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لتزول الوزير وغيره من الاستاذين

(ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي ذي القعدة يعنى من سنة اثنين وستين وثلاثمائة وهى السنة
التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسبر خليج
القنطرة فكسبر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف في موكب عظيم
وخلفه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواعظ التي يجتاز عليها وتجتع له
الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصغراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر ومر على قبر كافر
وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى وعرفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسيحي في تاريخه الكبير
ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم
في كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا
أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضل المعروف بالقنول وهو أعظم ما في الحاصل بأربعة دهايز

وأربع فاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحتها على ما ذكر ألف ألف ذراع وأربع مائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خسون ذراعا ولما كمل استعماله في أيام الأفضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمي بالقاول لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون في ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانوا عظميين الا انهم لا يصلان بحملتها الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعتها وأقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو سور عليه لضيق المكان الذي يضرب فيه وكونه لا يسعه بحملته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهي ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون ديناراً وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهباً عراقياً دججاً لواحداً والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون ديناراً ثوب طميم سلفه خسون ديناراً والذهب الذي في الثوب والمنديل والخنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جلته بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين ديناراً شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً فتكون جلته سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون ديناراً شقة ديبقي وسطاني حريري السلف اثنا عشر ديناراً غلالة ديبقي حريري السلف عشرة دنانير منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير وما ثاقصبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً قيمة ذلك خمسة وعشرون ديناراً منديل كم ثمان حريري خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضي لفاقة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالاً ذهباً مصرى فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرون ديناراً عرضي ثلث برسم تقطبة التخت دينار واحد ونصف تخت ثمان ضمنه بدلة خاص حريري برسم العود من السكره شرحها منديل حريري سلفه ستون ديناراً وسط شرب رسمه اثنا عشر ديناراً شقة ديبقي وكم عشرون ديناراً شقة وسطاني اثنا عشر ديناراً غلالة خمسة عشر ديناراً غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثمان أيضاً خمسة دنانير شاشية حريري ديناران حجره أربعة دنانير عرضي لفاقة خمسة دنانير عرضي ثمان برسم لفاقة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهداً أن قيمة كل حلة من هذه الحال وسلفها اذا كانت حريري ثلث مائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات * وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون ديناراً وخمسة مائة وسبعون قصبة عراقية جلته سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر ديناراً شقة ديبقي وكم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً تكون جلته ذلك خمسين ديناراً نصف شقة ديبقي وسطاني اثنا عشر ديناراً ونصف شقة وسطاني برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقي سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالاً ذهباً تكون قيمته تسعة عشر ديناراً حجره ثلاثة دنانير عرضي أربعة دنانير وأحد عشر مثقالاً تكون سلفه وذهبه سبعة عشر ديناراً ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير وما يكون برسم صيدان الحمام وما يفصل برسم الممالك الخاص صيدان الرائيات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون داري تكون قيمتها سبع مائة وخمسين قباء يحمل منها برسم علان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الأصحاب والحواشي وغيرهم في هذا الموسم شيء فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتي ذكره في موضعه وفي صيغة هذا الموسم خلع على ابن أبي الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وجل الى المقياس برسم الميت وركوب الخليفة بعلمه ومواكبته الى السكره ما فصله وبينه مما يطول ذكره * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديبقي والديساج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بمحاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت بسيرة العدة فهي كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة وأخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبي الرداد فلما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورجعت العشاريات بين ايديهما ثم عتبا في احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة بن أبي

الرداد منزلة وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر في العشارى الفضى "والوزير صجته والرهبة
تخدم بر" او يجرا والعساكر طول البر قبالة الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة
الامر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهبة تخدم والصدقات والرسوم تفرق ودخل من باب
القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد الى
قصره وتقدم بالخلع على ابن أبي الرداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى "حريرى" وطيلسان مقور وبياض مذهب وشقة
سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خزوشقة ديبقى "وأربعة ايكاس دراهم ونشرت قدامه الاعلام الخاص الديبى"
المحاومة بالالوان المختلفة التى لا ترى الاقدامه لانها من حلة تجمل الخليفة وأطلق له رسم البيت من الجور
والشموع والاغنام والحلاوات كثير * قال وهبت المقصورة في منظره السكره برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه
وقد وقعت المبالغة في تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من هم
الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من القسلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة
والعبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكمل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه القبلة
جميعها غير مجنون كخليفة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده
وعليه سرير منجور من عود بمسكات فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات
وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه
ياقوتتان حراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشتمل المرسين المكمل باللؤلؤ وشبه القسكة
* قال ومن حلة ما وقع الاهتمام به في هذا الموسم ما صار يستعمل في الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ
برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى ديبقى "ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتوح كل
قوارة منهن دون اربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينار وورق فى كل منهن سبج ذهب عراقى ثمنه
من أربعين الى ثلاثين دينار تكون الواحدة بخمسين دينار ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات
الاسكندرانى التى تشد على الموائد التى تحمى من عند كل جهة قوارات ديبقى "مقصورة من كل لون محاومة
بالرقم الحريرى" مفتوح كل قوارة أربعة اذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينار ولقد بيعت عدة من
القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينار
وسافر واهلها الى البلاد فبيع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وعشرين وخمسمائة
وحفظوا منهن شيئا عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهون قال وكان ما تقدم من الزبائدى في الطيافير من الصيفى
الى آخر أيام الفضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجذت الاوانى الذهبى فى أواخر الايام الآمريه
والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمها ضمتها عدة من الطيافير المحولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس
فى المواسم مائدة بغير سباط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله
الجور مطلق مثلها وينقر دبالجلوس معه الجلوس المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها ويجورها جلوس
الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره وفى آخرها فرق منها ما جرت به العادة على
سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان
ضمنهما بدلتان احدهما مند يلهها وثوبها طميم برسم المضى "والاخرى جميعها حريرى" برسم العود وكذلك
ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تحت وبرسم
أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تحت وهو لاه المميزون لكل منهم تحت وبقية
ما يخص المستخدمين وابن أبي الرداد فى تحت كل تحت فيه عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن
على ما يحمله برسم الخليفة وما يفرق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو
ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء وخمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى
من الشقق الدماطى والمناديل السوسى والقوطة الحرير الاحمر وبرسم النواحية التى برسم الخاص من العشارية
من الشقق الاسكندرانى والكلمات فوق بانفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه ثم اتبع ذلك بطالعة
ثانية برسم ما هو مستقر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقه باطلاق ذلك وذكركتفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة في هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دلا التبعية يستدعى ما يتنازع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكره لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع عقاصيرها التي برسم الاستاذين والاصحاب والخواشي وهو مائة دينار فوقه باطلاقها وفي العاشر من الشهر المذكور يعني شهر رجب وفي النبل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورمى العشاريات بين يديه وقد جدت وزيت جميعها بالسطور الديني الملوثة والكواخج والاهل الذهب والفضة وشمل الانعام ارباب الرسوم على عادتهم وعدى في احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفزت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يحض الميث في المقياس بجميع الشهود والمتدربين وهي العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جلمات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر الميث الشريف الخطيب سيد المقرين وامام المتصدين وله وللجماعة من الدراهم التي تفرق أو في نصيب قال وخرج الخليفة بزي الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميمة التي تذهل الابعار والمنديل بالشدّة العربية التي يتفرد بلباسها في الاعياد والموااسم خاصة لاعلى الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الباقوت والزمرد والجوهر وعند لباسها تحقق لها الاعلام وتجنب الكلام وباب ولا يكون سلام قريب منه و خليل غير الوزير الاتقبيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدّمى خزائنه من يحمل سيفه وورمحه المرصعين بأخضر ما يكون ثم المذاب التي كل منها عمود هاذب ويتفرد بجمالها الصقالبة ويمشي بين الصفيين المرتين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفيين يتناهي في مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسي المغطى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمت الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزال الاغشية الحرير والشقق الديني المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية في الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرؤ الحضرة وتسلم جميع مقدّمى الركاب ركابه والرواض الشكينة وزال حكم الاستاذين المستخدمين في الركاب وعادت الموالى والا قارب الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نفوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرّفه بتقبيل يده بحكم خلوتها من قضيب الملك في هذه الموااسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير اقتضار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزائن الكسوة الخاص وسلّمه بعد أن قبله لآخيه الذي يتولى حمله في الموكب بعد أن أرخت عذته تشر يفاله مدّة حمله خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لمعه وسلم الرح والدركة لمن يتولى حمله ما لبوا الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهلز فلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدّمين ارباب الميمنة والميسرة وصبيان وراء صبيان الراسل وصبيان السلام كل منهم في الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها وجميعهم بالمناديل الشروب المعلقة وبأوساطهم العراض الديني المقصورة وليس الجميع عبيد اشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زعيم بل بالقنايز المقرجة والمناديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون الا في موكبهم خاصة على الاستقرار من الصواري والفرجيات والديابيس والتوت والصماصم بالدق الصينى والنجنى بالكواخج والفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام في مسافة الدهالز لكل من هو مستخدم في الموكب ركوبه من محل جيبته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغريية وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزبيلة بالعدد الغريية وظلالها وسارت بسيره والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحجريية الصبيان المتشدون واجمّة الموكب يجملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه متولى الباب وحجابه وتلو متولى الستر وكل منهم على حكم المدايرج التي وصلت اليه لاسيل الى الخروج عمارم فيها وسار بجملته موكبه على ترتيب أو ضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسا واوراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدجوا في المصنفات بالعدد المذهبة الحربية والالات الماتعة المضيئة
 وليس بينهم طر يق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوائثها وآدنها وجميع
 مسكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والدياج والديقي على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح
 وملاآت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم ثم أهل الجانبين من أرباب الجوامع
 والمساجد وبوابي الابواب والسقائين والفقراء والمساكين في طول الطريق الى أن أظلم على الخيام المنصوبة
 فوق عوكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمي ركابه فاجتاز راكبا بمجفده وجمع حاشيته بسلاحهم رجاله
 في ركابه بعد أن بالغ في الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة في سيره بالوكب بعد
 أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبه في ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورحمه وصبيان
 السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوته اكرامه وتمييزا واحتساطا وركابه ووصل الى
 المضارب في الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد شين وجاهه من حصل بها ويمكن من
 الدخول اليها وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دها ليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكية الفرس من
 يد الرؤاض وشق به الخيام التي جعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالسطر الجهرمية
 والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس في محل عظمته وأجلس وزيره
 على الكرسي الذي اعتله واحتاط به المستخدمون بحمل السلاح المنتصب جميعه وجبوا العيون عن النظر اليه
 وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرّفون بمحجبتهم وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب
 شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرؤاض مقدمة ما أمر وابه من
 الدواب فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكية بيده واتظم موكبا عظيما والقرناء عوض الرهبة والجماعة في ركابه
 رجاله على حكم ما كانوا عليه أتولا وصعد من القاعة التي في دها ليز الباب القبلي منها فخرج منه وانفصلت خدمة
 جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته
 والاصحاب والحواشي الى السكرة وهي من جنات الدنيا المزخرقة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين
 يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التي في المنطرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس
 جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السدم مشدودي
 الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وتولته الفعلة في
 البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرهج واللعب من
 الجانب الشرقي ولما اكل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع من ينه بالذهب
 والفضه والستور المرقومة ورؤساؤهم وخداهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة
 بالمقصورة التي راحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشي
 واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقي وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابي
 وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنطرة وعدى في البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامي البساتين
 ومشارفها فخلع عليهم بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتابي ثم متولى ديوان العبا ترك ذلك ثم مقدمي الرؤساء
 كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتبهة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني الفطرة والموائد
 التي يهتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على مارسم وهو شامل غير مخصص
 من أنجي الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشي من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين
 والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن تعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب
 اللعب وغيرهم وعينت الاسمطة في المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام وأمر
 الوزير أخاه بالمضي اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجية الباب وثوابه والمعروفة والحجاب
 واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السباط في موضعه على
 عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حشمهم ميزته
 ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقي متولى الباب

جالسا لا سمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعينت المائدة الخاص بالخدمة التي
ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمين في الخدم الكبار ويجمع له حالتان حضوره في أشرف مقام
وجلوسته في محل يحصل له به حرمة ودمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدى
كل منهم ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير وأخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدفت وابنه سالم
ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو ما لوف وفترق من جلستها الكل
من أرباب الخدم الذين لم يحضر واعليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص
بالقاضي وشهوده والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام
سري الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الاثباتات مذكور
ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استعجب منها
ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك القرائض الواجبة في وقتها ولا بد من راحة بعدها
وحضر مدة ما الركاب وحاسبا كاتب الدفاتر على ما معهم ما يرسم بفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق
فكمل اهما على ما بقى معهم مثل ما كان أولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغل من ترتيب
الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفترقت الصوالى الخاص التي
تكون بين يدي الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغربة من كل صنف
وقد جمعت ملاذ جميع الخوام والعدة منها يسيرة وليس ذلك لتعصير من هم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب
بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لأن كلامها الامندوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث
كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية
واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة
حريري بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير محبة مقدم خزائن الكسوة الخاص على يد المستخدمين
عنده من الاستاذين من جلة بدلات الجمع التي يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعي اليه بدلة مكملة حريري
ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية ولما لبس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب
أخيه في احدى العشاريات فامثل أمره وتوجه بحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم
الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها
بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمته الى أن انحدرت العشاريات جميعها فقامه ومراكب
العب بغير أحد من أرباب الراجل والمستخدمون في البرين يمنعون من يقاربوه والمتفرجون لا يصدتهم ويرددهم
ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسرون بسيره وعاد الوزير الى الكسوة فلما شاهد الخليفة
الدواب الخاص التي يرسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدموا الركاب
واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلي وشق قاعته على سري مملكته وخص
بالسلام فيها شيخ الكتائب العوالى والقاضي والداعي ومن معهم ما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها
دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار في ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر
نارنج اصولها مقترقة وفروعها مجتمعة وظلت الطريق وعليها من الثمرة التي أخرجهما من وقتها الى هذا اليوم
وقد خرجت بهجتا عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين اجداهما انتهت والاخرى في الابتداء وهو بهيئته وزيه
وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بانعامه وعاد الراجل والموكب على ما كان عليه
فلما وصل الى السدة الذي على بركة الحبش كسر بين يديه * (وقال في كتاب الذخائر) * ان مما اخرج من القصر
في سنة احدى وستين وأربع مائة في خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربوه وكسوة رحله وهو مما استعمله
الوزير أحمد بن علي الجرجري في سنة ست وثلاثين وأربع مائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا
وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلاته خاصة ألفان وسبعمائة
دينار وعمل ابوسهل التستري لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالقضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف
وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة وطلاله بعضه ألفان وأربع مائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأتفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع
آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس مجبوقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربع مائة ألف دينار * وقال
ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبي الراداد بما استقر عليه أذرع القاع
في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما وافقه من أيام الشهر العربي فعلم ذلك من مطالعته
وأخرجت الى ديوان المكاتب قزات في السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك في كل يوم تؤرخ بيومه
من الشهر العربي وما وافقه من أيام الشهر القبطي لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد
قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أو اصبعان
وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس في تلك الليلة من المطامخ عشرة قناطير من الخبز السميد
وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الحمامات الحلواء وعشر شععات ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس
فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجري مجراهم فيستعملون ذلك ويقعدون
الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يملون القرآن برفق ويطنون بمكان التطريب فيختمون الختم الشريفة
ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة ولو فاء النيل عندهم
قدر عظيم ويتجهجون به استهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الدبار وبه التمام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة
موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما كثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة
ابن أبي الراداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعي الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب
الخليفة برى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه في الجمع
الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس
المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الأعظم بين الركنين الى
الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل الى باب الساعة بجوار هارله
دهليز ماذ بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا فيشقها الوزير تابعه فيخرج منها منعظا على
الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ثم الى دار الملك
فيدخل من الباب المقابل لسلكه فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعتدله ويكون
قد حل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري الخاص وهو بيت ثمن من عاج وأبنوس عرض كل
جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه
قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسله رئيس العشاريات الخاص
ويركبه على العشاري المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب فيه الخليفة على الباب الذي
يخرج منه الركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي يخرج من بابها الى العشاري وأسند
اليه استدعي الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب في العشاري فيدخل البيت المذهب
وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع في العشاري خواص الخليفة خاصة
ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس في العشاري من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا
في رواق من باب البيت الذي هو يعرف انيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهي مدهونة مذهبة
وعليها من جانبها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع في العشاري من حوت عادته بالاجتماع اندفع
من باب القنطرة طال الباب المقياس العالي على الدرج التي يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدي
الخليفة الى الفسقية فيصلي هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة
التي فيها الزعفران والمسك فيدها يده بالة ويتناولها صاحب بيت المال فيتناولها ابن أبي الراداد فيلقى نفسه
في الفسقية وعليه غلاته وعمامة والعمود قريبا من درج الفسقية فيعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويحلقه
بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الاخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فور راكبا في العشاري
المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عاذا الى القاهرة أو ينحدر في العشاري الى المقس
فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف فرقورة مشحونة بالعالم قرا بوفاء النيل وينظر

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للاهتمام بذلك ثم يصير ابن أبي
الرداد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بالاوان الكبير الذي في الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة
معبية هنالك فيومر بلبها ويخرج من باب العبد شاقا بين القصرين من اوله قصدا لاشاعة ذلك فان ذلك
من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحتكين فيشترف
في الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من التغيرات ولين يريده خمس تغيرات مركات بالخلي ويحمل أمامه
على أربع بغال مع أربعة من مستخدمي بيت المال أربعة ايكاس في كل كيس خمسائة درهم ظاهرة في
اكفهم ويحجته أقاربه وبنوعه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكنف به عدة كثيرة من المتصرفين
الرجالة فيخرج من باب العبد ويركب احدى التغيرات وهي أميزها وشترف أمامه بجملين من النقارات التي
قدمنا ذكرها يعني في ركوب اول العام من زى الموكب نيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه بكارا
وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر
فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلف عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا
وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا بمصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على
الجامع الى شاطئ البحر فيعدى الى المقياس بجملعه واكاسه وهذه الاكاس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه
ولنفسه ولبنى عه بتقرير من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشأن شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان
وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التماثيل شكل
الوحوش من الغزلان والسباع والقبيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس
بالصندل ثم شكل التفاح والارجح اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج
الخيمة التي يقال لها القاوول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فان فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه
صفريه فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في اول العمود وشقة
دائرة ثم اوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة قصيرة الخيمة ما يزيد على قدانين مستديرة وتنصب
في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلي اليوم وكانت ثم منظره يقال لها السكره برسم جلوس
الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحري تلك الخيمة الكبرى خياما
كثيرة ويقيمون فيها على قدر همتهم وضربهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك
وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المتقدم ذكرها
في ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من
الفضة ويكون بواقها ركباناً وأرباب الابواق الخماس مشاة ومن المطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة
فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت هم الاجناد في ذلك
اليوم فارسها ورجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين
المختصين ويركب في ذلك اليوم من الاتارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة
فيستقدمون الى المنطرة في مكان لهم محبة استاذين خدمتهم وحفظهم ويكون قد لفت عمود الخيمة الكبرى
المشار اليها ما يدبياج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك ويغشى
بقرقوني وعرايسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة
وهو كله ذهب وحرير حر قوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل
شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها التخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها
من طريق الساحل فاذا اجاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى الخماس
حبل طويل قوى موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم الختارية واحد في زى فارس على شكل فرس
وفي يده رمح ويكنفه درقة فينحدر على بكرة وفي رجله آخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهرا حتى يصل
الى الارض ويكون قاضى القضية وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة فاذا اوازا هم الخليفة
وكافوا قدر كبروا وقف لهم وقفة فيسلم على القاضي ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير ويدخل بالشهود

في القرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبية المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيتمان احدهما دياج أحمر والاخرى ديقق أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة يهتته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقبضه على الغداة ليجده فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشي بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الصكرسى الجارى به عاذته فيجلس عليه ويجلاه تحك الارض ويقتب أبواب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤن القرآن سبعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبرؤأنة أقصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الزاية البيضاء

قصفت موارده لنا فكانه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فاتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بهد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

ما زال هذا السد يتطرقحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى اذا برزا الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول

فجرى كأن قد ديف فيه غير * يعساوه كافر بطيب المنديل

فاتقدوا عليه ايضا قوله في البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما تعلمه الاقلعاهم تقدم له شاعر شاهديقال له كافي الدولة ابو العباس اجد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضي الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بنينا

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد

أم لا اجتماعكم معاني موطن * وافيقا فيه لا صدق موعد

ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منك في المولد

شكروا لكل منك لو فاته * بالسعى لكن ميلهم للوجود

ولن اذا اعتمد الوفاء ففعله * بالقصد ليس له كن لم يقصد

هذا بنى ويعود بنقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يرد

وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية بتدى

قالا قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به بحال قيد

فاذا أردت صلاحه فافتح * ليرى جنايا محصيا وترى ندى

وأمر بفصد العرق منه فاشكا * جسم فصع الجسم ان لم يفصد

واسلم الى امثال يومك هكذا * في عيش مغسوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دارا وخلق عليه وزيد في جاريه ثم يقوم الخليفة عز السريرا كا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنطرة المعروفة بالسكره وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيا أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهم ما يفتح احدى طاقات المنطرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذن الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدي العشارى الذهبي المقدم ذكره ثم العشاريات الخالص الكبار وهي ستة الذهبي المذكور والفنى والاحمر والاصفر واللازوردى والحقلى وكان أنشاء نجار من رؤسا الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة في أيام النيل وتحوطه الى اللؤلؤة للفرجة وسارت في الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الديقى الملوثة وبرؤسها وفي أعناقها الالهة وقلائد من

الحرز قسند الى البر الذي فيه المنطرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنطرة ودخل قاضي القضاة والشهود التحية الديني البيضاء وصلت المائدة من القصر في الجانب الغربي من الخليج على رؤس القراشين صحبة صاحب المائدة وعلتها مائة شدة في الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحبر ورفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فاتح فتوضع في خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ما هو مستقره بعادة جارية ومن صواني التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحمل الى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيع الشرع ويحمل الى كل أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شيء كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهور فيصلحون ويقبضون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب المركب كله لا انتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التي عليه والهيئة والترتيب بأجمعه على حله وبسير في البر الغربي من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمر فيه للقوم أحسن الايام ويمضي الوزير الى داره ومحمد وما على العادة * وقال في كتاب الذخائر والخف أن المستعمل من الفضة ثمة العشاري المعروف بالمقتم وقاويه وكسوة رحله في سنة ست وثلاثين وأربع مائة في وزارة علي بن أحمد الجرحاوى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وأن المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفي ثمن ذهب لطلانه خاصة ألقان وتسعمائة دينار وسبعون وثلث الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم ستة دنانير وربع سعة عشر درهما دينار ولما تولى أبو سعيد سهل التستري الوساطة سنة ست وثلاثين وأربع مائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالقضي وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلاء بعضه ألقان وأربع مائة دينار سوى كسوة له بال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم التزه البحرية لاكتساب حلاها من مناطق ورؤس منحوقات وأهله وصغريات وغير ذلك أربع مائة ألف دينار وكانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فحما كتب من انشاء تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي * أما بعد فإن أحق ما وجبت به الهنئة البشرية وغدت المسار متشرة تتوالى وتترى وكل من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فإن هذه الهبة تؤدى الى خصب البلاد وعمارها وشمول المصالح وغزارتها وتفضي بتضاعف المنافع والخيرات وتكثر الارزاق والاقوات يتساهم الفائدة فيها جميع العباد وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأدع هذه النعمة فبك وانشرها في كل من يدبر عملا وحتمهم على مواصلة الشكر لهذه اللطاف الشاملة لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اول ما تضاعف به الابتهاج والجدل وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عظم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اعتبارا لزمه وإلى أن لا يفارقه وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي يحيي به كل أرض موات وتكسي بعد اقشعرارها حلة النبات ويكون سبيل لتوافر الاقوات فله وفي المقدار الذي يحتاج اليه فلتدع هذه المنبة في القاصي والداني لتستعمل الكفاية بينهم ضرور البشائر والتهاني ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حده اللازم شكره وفضله الذي لا يمل بشره ولا يسأم ذكره ومنه الذي استبشر به الانام وتضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياة به في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أكله النيل المبارك الذي يعم التجود والتهائم وتلطف به الخلائق وترتع فيما ينظرونه الهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرية فلان فأجره على رسمه في اظهاره مجلا وايصاله الى رسمه مكمل واذا عهده النعمة على الكفاية ليتساهموا الاعتبار بها وبها الغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منطرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار القصر فيما بينه وبين أراضي اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكم مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة غفرت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكن الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكر بمظلمته يسير في البر الغربي ومضارب الناس والامراء وخيهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسبق منه القرم الذي تحته وهي قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية انهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على التربة الا في ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدرو حارات شهرتها تغني عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لا عزازدين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعني انه مات بها

* (منظرة المقس) * وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنظرة بجري الجامع المذكور وهي مطلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فحضر رؤساء المراكب بالشواني وهي مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها في النيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وما وراء الخليج من غريبه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحب دمشق وطلب في سنة سبع عشرة وخمسائة ما بحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآخر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة في أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ما حرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبلع الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارية بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه يعني الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للعركات في البحر بين يديه وهي مرسية بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتخدر وتقطع بالمجاديف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعوا للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتحدرا الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها يبلاد العدو وصيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك فللاسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجبل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحو مائة وعشرين رجلاً وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعت الجمال ركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جل ظهر الظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس في إحدى مناظره لنظرهم في جوارهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات قصع منهم ألف رجل فانضافوا الى من في المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن جل منهم للوزير نصيب وأفروا أخذ الجهات والافارب يقيتهن فيستخدمنهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابي ومن استرب به من الاسرى وبنه عليه بقوة أو وقع به والشيخ الذي لا يتفجع به يمضي فيه حكم السيف بكان يقال له بئر المنامة في الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيراً بجال ولا بأسير مثله وهذه الحال في كل سنة آخذة في الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبع مائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقي الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه ما لا والله أعلم

* (منظرة البلع) * وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة في بستان اتيق يعرف بالبلع أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبلع وصارت أرضه مزرعة

في جانب الخليج الغربي بحرى أرض الطبالة في كوم الريش مقابل قناطر الازوق قد خربت المنطرة
وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكنان تدل على عظمها وجلالها في حال عمارتها وكانت منطرة البعل من
أجل منترها تم وكان لهم بها أوقات عجة المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء
فيكون ركوب الوزير من داره بالرهبة ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للترهة في مثل
الروضة والمستهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منطرة
منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمي الركاب
اليمن والشمال لكل واحد عشرون دينار وخمسون ربا عيا ولتالي مقدم الركاب اليمن مائة كاغدة في كل كاغدة
ثلاثة دراهم ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ولتالي مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فكل باب يخرج
منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة
دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه ربا عي ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال
والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولى صناديق الاتفاق يحجب
الخليفة ويديه خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل في احدى المناظر المذكورة فترق
من العين ما يبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للعواشي والاستاذين
وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والتجيين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها
طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات
وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقدر رسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على
المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلاوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته
بحضورها جل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشریف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى
الدقمة مقدمي الركاب على ما أنفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب وداية وأما تفرقة الصدقات
فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى المادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام
ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الاتفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب
فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب

* (منطرة التاج) * هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للترهة بناها الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحتها الحجارة الكبار
وما حول هذا الكوم صار من ارجع من جملة أراضي منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج
فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التي هي باقية

* (منطرة الخمس وجوه) * كانت أيضا من مناظرهم التي يتزهون فيها وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معد لها وبقي منها آثار بناها جليل على بئر متعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل
الماء لسقي البستان العظيم الوصف البدع الرى البهي الهيئة والعمامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن
وموضعاها الى وقتنا هذا من أعظم منقرجات القاهرة ويبقى هناك في أيام النيل عندما يعم تلك الاراضي البشيين
تقتن رؤيته وتبهج النفوس فصارته وزينة فاذا نصب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتنا ياقصر
الوصف عن تعدد احسنه وأدركت حول الخمس وجوه غرو سامن تفل وغيره تشبه أن تكون من بقايا
البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم أن السلطان الملك المؤيد شيخ الحمودى الظاهري جدد عمارة
منطرة فوق الخمس وجوه ابتداء ببناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين
وثمانمائة

* (منطرة باب الفتوح) * وكان للخلفاء القاطمين منطرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب
الفتوح براحيا بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنطرة معدة لجلاوس الخليفة فيها عند عرض
العساكر ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة
سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغتكين صاحب دشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الامر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا لتقبل الارض كما جرت العادة من اظهار الجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تضافرت بقله الفرج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلا كهم وأنهم يتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستنصرون بقوة ويحشون على نصره الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لتلاية واصل مددهم وتعود الى القوة شوكتهم فتقوى العزم على النفقة في العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب وأحضر الوزان وصناديق المال وأفرغت الاكياس على السباط واستمر الحال بعد ذلك في الادار المأمونية وتردد الرأي فين يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرقي وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت في الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصنائع بمصر والجزيرة وينفق في أربعين شينياً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق في عشرين من الامراء للتوجه بحسبة فكملت النفقة في الفارس والراجل وفي الامراء السائرين وفي الأطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة ففهم من يتولى خزانة الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفي كتاب العربان وأحضر مقدموا الخراسين بالخفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدم من بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتاع ما يستدعي برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز امر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخليل بالمراتب الحلي الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسالت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا بحسبة العسكر وركب الخليفة الامر باحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير متقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزه وما قرره امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدومه وفحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقوس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

* (منظرة الصناعة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء بمنظرة الصناعة في الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التي هي فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها مادة بمصا طب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزير او قد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعها الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف في زمننا هذا الذي نحن فيه الآن ببستان الطواشي وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكجارة وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التي بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بأن يكون انشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية الدواني بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ بالمنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم الاساطيل ورهبها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجرائن والشنديات في الصناعة بالجزيرة قال ولما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا في احدها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محل بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرين ديماسا

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليفة وغيرها ولكل مناريس ونواقي لا يبرحون يتفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاية الاعمال المميزة فهي تجرلهم ويتفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاديه وخرج المتولى الجديد في العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الاتوقيع باطلاقة والاتفاق فيه والمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفي هذا الديوان برسم خدمة مايجرى في الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الخواصل لعبارة المراكب شيء كثير وإذا لم ينفذ ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يستدعيه قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والسليديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنائير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهي أقلها ولهم أقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بجانبه من النظرون فيصل دينارهم بالنسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرئاسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقفون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنائاً يتولى النفقة فيهم للغز والخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيماتعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حماله فينتقل الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيباً ولا يعترض أحد أحد إلا من رغب في ذلك من نفسه فإذا اجتمعت العدة المعلقة للمراكب المطلوبة أعلم انقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالخال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته في مجلس ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحب الديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه وتبته بميرة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلاً أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فيهودى في الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع نصب عليها الدراهم ويحضر الوزان من بيت المال لذلك فإذا انتهى الاتفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماءهم قدرت في أوراق لا ستدعائهم بين يدي الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فإذا اكمل عشرة رجال وزن الوزان لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنائير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهماً فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتغضى النفقة كذلك الى آخرها فإذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانفض ذلك الجمع فيجعل من عند الخليفة مائة يقال لها غداء الوزير وهي سبع عجفات أو ساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهي مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فإذا اكملت النفقة وتجهزت المراكب ونهأت للسفر كعب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبي طى أن المعز لدين الله أنشأ ستائة مراكب لم ير مثلهما في البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

* (دار الملك) * وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ في بنائها وانشائها في سنة احدى وخمسة مائة فلما اكملت تحوّل اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلساً سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب دار متجرح علمت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقي منها جدار يجلس تحته يباعوا الحناء قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفضيحه أمر السلطنة أن

المجلس الذي يجلس فيه الأفضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل طرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنائير بالسوية عن اليمين والشمال في مجلس العطايا الذي يرسم الخلوص وعند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة طرفان أحدهما دنائير والآخر دراهم جدد فالذي في اللؤلؤة يرسم ما يستدعيه الأفضل اذا كان عند الحرم وأما الذي في مجلس العطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم في الايام الافضية ولا فيما قبلها على الشعراء وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسنه لشعر من أنشد منهم ما يسيله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو نعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ويكتب عليه الأفضل بخطه صم وبعاد الى الطرف ويختم عليه فلما استمل رجب من سنة اثني عشرة وخمسمائة وجلس الأفضل في مجلس العطايا على عادته وحضر الاجل المظفر أخوه للهنا وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارية بها العادة في مثل هذا الشهر لفضله مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور الغزاة ويقطع الركوب بعده هذا اليوم الذي هو أول العام فيكون في أحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدى ذلك يوم السبت والثلاثا فاذا عزم الخليفة على الركوب في أحد هذه الايام اعلم بذلك وعلامته اتفاق الاسلحة في صينان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ما سواها واكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبه من ورائه على اخصر من النظام المتقدم يعني في ركوب أول العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوني على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانعاط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بمحصر معلق عليها سجادة وفي يده المصحف المنسوب خطه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من حاصله فاذا اوازاه وقف في موضعه وناولوه المصحف من يده فيسلمه منه ويقبله ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلاة ثلاثين دينارا وهي رسمه متى اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبها منها خمسة عشر دينارا والباقي للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فيزاولها والوزير معه ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمر بمسجد الا أعطى قيمه من الخريطة دينار فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر وعدتها خمسون شدة على رؤس القراشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدة فيها طيفور فيها الاواني الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهى وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواه ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التي هي الشدة فيحمل الى الوزير منها جزءا وافر ولن يحبه وللامرء ولكافة الحاضرين في الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضا شيئا كثيرا ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس في طريقه لنظرة فيركب وزيه في هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والمؤونة والمنديل من النسبة وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذوائبه مرخاة من جانب الياسر ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فان ذلك في اوقات مخصوصة ولا يمر أيضا بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل الا يعطى قيمه دينار أيضا كما جرى في الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فـ تكون ذلك من المحرم الى شهر رمضان اما أربع مرات أو خمس مرات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح مما في دار الملك هذه

حلت بدار الملك والنيل أخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا

نخلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحي عند ذلك لها غربا

*(منازل الغز) *

بنها السيدة نغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلية على النيل لا يحجبها شيء عن نظره وما زال الخلفاء من بعد المعز يداولونها وكانت معدة لزوجهم وكان يجوارها حمام وله من باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي

* (الهودج) * وكان من منزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البدعة الرى بناء في جزيرة القسطنطية التي تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناء الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبه البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثير وقتل وهو متوجه اليه وما زال منزهها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالشعار قال القرطبي في تاريخه تداعى الناس في حديث البدوية وابن مباح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن ككأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال إن الأمر كان قد بلى بعشق الجوارى العريسات وصارت له عيون بالبوادى فيلقه أن جارية بالصعيد من أكل العرب وأظرفهم شاعرة جيلة فيقال أنه تزيارى بداء الأعراب وكان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حيا وبات هناك في ضائقة وتحيل حتى عاينها هناك فاملاك صبره ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلها يحظبها وترجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأجبت أن تسرح طرفها في القضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة القسطنطية المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة بالمناظر بان عم لها ريت معه يعرف بابن مباح فكبت إليه من قصر الأمر

يا ابن مباح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا أمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لأرى الأخيشتا ممكا
كم تشبنا كأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا
فأجابها

بنت عمي والتي غشيتها * بالهوى حتى علا واخبتكا
بعت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدا يقع منا المشتكى
مالك الأمر اليه اشتكى * مالك وهو الذي قد ملكا
قال وللناس في طلب ابن مباح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طى في قصر الأمر طراد بن مهلهل السنبسي فبلغته هذه القضية فقال

أابلغوا الأمر المصطفى * مقال طراد نعم المصطفى
قطعت الألفين عن ألفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان أبؤله الأكرمون * سالت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقال العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أسيات وكان بالاسكندرية مكي الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال الرماكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الخلد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيسقى كالبركة من كبره وكان يجدي نفسه برويته زيادة على أهل التعم والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الأمر فسألت الخليفة الأمر في حمل الجرن إليها فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في الهودج فطلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أنجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمر انقدر عليه عند الخليفة ولا نالما قيل له هذا القول عنها قال ما لي حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياستها في عز غير رد الفسقية التي قلع من دارى التي بنيتها

في أيامهم من نعمتهم ترد إلى مكانها فتجبت من ذلك وردت عليه فقبل له حصلت في حد أن خبرتك البدوية في جميع المطالب قنلت دمتك إلى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أمله وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الأمر وبلغ من علوهمته وعظم مروته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الأمر ولاية نجر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسة وأضاف إليه الأعمال البحرية ووصل إلى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر في الحال بعض غلته بالمضى إلى داره لاحتضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقا محتوما فلك عنه فوجد فيه مندبل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن عسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤمن والحاضرون من علوهمته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام أن عاد إلى ملكه فكان جواب المؤمن قد قبلته منك الحاجة إليه ولا تنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة وإذا عتبا وذكرا أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رجلا الله إلى من يكون دهن الشمع عنده في أثناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التعملات وهذا انعامه وحال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالخضرة وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة وأهملها الأيسر حقير وما زال الخليفة الأمر يتردد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد اليهودج وقد كمن له عدة من التزاية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأخذوه بالجراحة حتى هلك وحل في العشارى إلى اللواؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل إليها وقد خرب هذا اليهودج وجهل مكانه من الروضة والله عاقبة الامور

* (قصر القرافة) * وكان أهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذى في غريبه وبنت البئر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من التزه من أحسن الأكرار في اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظر مليحة كبيرة محمولة على قبو ما تجوز المارة من تحته ويقبل المسافرون في أيام القيظ هناك ويركب الركب إليه على زلافة وكان كاحسن ما يكون من البناء وتحت حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جدد الخليفة الأمر وعمل تحت مصطبة للصوفية وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والجمامر بالاولوية موضوعة بين أيديهم والشموع الكثيرة تزه وقد بسط تحتهم حصير من فوقها بسط ومدت لهم الاسطحة التى عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ ابو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق مرقعته وفزقت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرئ خرقه منها ووضعها في راسه فلما فرغ التزيق قال الخليفة الأمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا اسحق قال لبيك يا مولانا قال ابن خرقتي فقال مجيبا له في الحال ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الأمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية فقرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ووتر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فخطاطفها الحاضرون وتعاهد المغربون الأرض التى هناك أياما لا خدما يواريه التراب وما برح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

* (المنظرة ببركة الحبش) * وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجوانى في كتاب النقط على الخط ان الخليفة الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بركة الحركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكرا الحركة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الاثر وقرأ الاشعار أمر أن يحيط على كل رف صرة محتومة فيها خسون دينار وأن يدخل كل شاعر وأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صرهم وكانوا عدة شعراء

*** (البساتين) *** وكان للخلق عدة بساتين يتزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والاخر بمخيم خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل عمل له سوراً مثل سور القاهرة وعمل فيه بحراً كبيراً وقبة عشارى تحمل ثمانية أرواب وبني في وسط البحر منظره محمولة على أربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسطاً على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زينه قنطار وكان يلا في عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسوعة شيئا كثيرا واستخدم للعمام الذي كان به عدة مطبخين وعمره أبراجاً عدة للحمام والطيور المسوعة وسرح فيه كثيرا من الطاووس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما أربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبداني وعلى ابوابها اسلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه *** قال ابن عبد الظاهر** وافقت جماعة على أن الذي يشتمل عليه مبيعهم ما في السنة من زهر وغريرف وثلاثون ألف دينار وانما لا تقوم بمؤمن سما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمخيم الى آخر الايام الاخرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأساً من البقر ومن الجبال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكراً أن الذي دار سور البستانين من سنط وجيز وأثل من اقل حدهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربى جميعاً الى آخر زقاق الكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ومائتا شجرة وبني قبليهما جميعاً لم يحصن وأن السنط تغصن حتى لحق بالجزى العظم وأن معظم قرنه يسقط الى الطريق فيأخذه النام وبعد ذلك يباع بأربع مائة دينار وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها اسياح وفيها نخل منقوش في ألواح عليها برسم الخاص لا تجبى الا بحضور المشارف وكان فيهما ليمون تقاضى يوكل بغيره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة أيام الوزير المأمون لم يخرج عنهم وكشف ذلك في أيام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جلاً وقوم ما عليهما من الاثل والجزى فكانت قيمته ما تقي ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فنشفع اليه وقومت بسبعين ديناراً فرسم الخليفة أن كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولماجرى في آخر أيام الحافظ ماجرى من الخلف ذبحت ابقاره وجاله ونهب ما فيه من الاكلات والاقاض ولم يبق الا الجزى والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جله الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها في البر الشرقى بناحية مهنيت والاميرية والمنية وفي البر الغربى ناحية سبط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبيه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع في الشرقى منه ~~الكتان~~ ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنائير ونصفا وربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربحاً جزئياً لا تقسم فلما بعد العهد انقضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للدوان السلطاني يتصرف فيه ويحصل منه أموال بيت المال وتلاشت البساتين وبني في أماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبني العزيز بالله بستاناً بناحية سردوس

*** (قبة الهواء) *** وكان من احسن منزهات الخلفاء القاطمين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بدع فيما بين الساج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة في أيام الركوبات التي هي يوم السبت والثلاثاء

*** (بحر أبى المنجا) *** وكان من منزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق في اكثر السنين وكان أبو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فنضرت المزارعون اليه وسألوا في فتح ترعة يصل الماء منها في ابتدائه اليهم فاستأجر بحر خليف أبى المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبه القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وجميع اخوته والعساكر فحاذيه في البر
وجعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص في البحر وصار العشارى والمراكب
تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حضروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تبين الفائدة
فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يرون الغرامة عليه * ولما عرض على الأفضل جلة ما أتفق فيه استعظمه
وقال غرنا هذا المال جميعه والاسم لابي المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضل فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبي المنجا
ثم جرى بين أبي المنجا وبين ابن أبي الليث صاحب الديوان بسبب الذى اتفق خطوط أدت الى اعتقال أبي المنجا
عدة سنين ثم نفي الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى
تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جدي صغير
الحكام اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبي المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل
فى تحصيل مصحف وكتب ختمه وكتب فى آخرها كتبها ابو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق ليبيعه ما فقامت قيامه
اهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حالك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فاذب واطلق
سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه فى بعض الايام ابن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت
بحرها فصار فى كل يوم يحضر لها البنا فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذ ولمالوا المأمون البطائحي
وزارة الأمر بأحكام الله بعد الأفضل بن أمير الجيوش تحدث الأمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له
يوم كخليج القاهرة فندب الأمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان ووكيله وأمره بأن يبنى على مكان
السد منظره تسعة تكون من مجرى السد وسرع فى عمارتها بعد كمال النيل وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوما
مشهدا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على ملكة مصر أجزوا الحال فيه على
ما كان قال القاضي الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا وعاد قال وفى سنة تسعين وخسمائة كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر
كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز
عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره وبدت فى
هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجب سوء الافعال من المجاهرة بالمتكرات والاعلان بالفواحش وقد افترط
هذا الأمر واشترك فيه الأمر والمأمور ولم ينسج شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الاسلام
وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فات المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال
والنساء محتطين مكشفات الوجوه وأيدي الرجال تنال منها ما تنال فى الخلوات والطبول والعبدان مرتفعات
الاصوات والصنجات واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقرب
المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الأمر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض
البالي ففرق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خرا
فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو
والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذير * وقال فى سنة اثنين وتسعين وخسمائة كسر بحر
أبي المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعها وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا
الحديثى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاثى فى زمننا امر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبي المنجا وقل
الاحتفال به لشغل الناس بهم العيشة

* (قصر الورد بالخاقانية) * وكان من ايام منتهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من
قرى قلوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية
وكان بهادة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة
عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من
وردد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الأمراء
الذين كانوا مع المومن أخى المأمون البطائحي وتحاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهوا لباس لامة حربه

والتمس المنول بين يديه يعنى الخليفة فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت مما بنا في ما فيه الخليفة من الراحة والراحة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشي الخليفة انتم مناققون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحيلته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يا مولانا لمن تركت اعدائك يعنى الوزير للأمن البطائحي وأخاه وكان الأمر قد قبض عليهم ما واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فأجاباه الا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تحض ساعة الا وهو بالقصر فضي الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية تزارين المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ويدعوا اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جبل مشوه فأدخل خزانة السنود وقتل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وصلبوا بظاهر القاهرة

* (بركة الحب) * هي بظاهر القاهرة من بحرها وتسمي العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج لتزول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هي أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جرة الجببي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليه فقبل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أن يقيم معذب بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع زهرة جميلة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما جمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقبلي في يوم عرفة

قم فاحمرا الاح يوم النصر بالماء * ولا تضع ضحى الابهه —————

وادرك حجج الندامى قبل نفرهم * الى متى قصفههم مع كل هيفاه

وعج على مكة الروحاء مبتكرا * فطف بها حول ركن العود والذامى

قال ابن دحية فخرج في ساعته بروايات الخمر تزيح ينفحات حداثة الملاهي ونساق حتى أناخ بعين شمس في كنيكة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفي ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع في أيامه الرغيف بالتمين وعاذما التبل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربع مائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الحب فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفه في سكر منه على بعض عبدة الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الأتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فجمع الأتراك للحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمتد بهم بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الأتراك ظفروا بشيء مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك اصحابه وقد قويت شوكتهم بانهم زام العبيد فاجتمعوا بأمرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصاروا السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الحب قال المسيحي ولا تثنى عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الحب فنصب له مضرب ديباج روى فيه ألف نوب بصفيرة فضة ونصبت له قازة مثقل وقبة مثقل بالجواهر وضرب لابنه الامير أبي على منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عددها مائة عسكروا وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب وما زالت بركة الحب منتزها للتحف والمولوك من بني ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقوم فيها الايام وفعل ذلك المولوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيها احوالها وميدانها كاسيما في ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الحب وما يليها في درك بني صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيخ بن مغالة بن دبحان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة
ابن نغم فهم أحد بطون نغم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن
جذام أخى نغم
(المستهمى) وكان من مواضعهم التي أعدت للترهة المشتهى

(ذكر الايام التي كلن الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم
عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد
الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليله أول رجب
وليله نصفه وليله أول شعبان وليله نصفه وموسم ليلة رمضان وغزوة رمضان وسماط رمضان وليله
الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم
فتح الخليج ويوم التوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخمس العدس وأيام الركوبات
(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم في كل عام لانها أول ليالي السنة
وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عجة كثيرة من الخراف المقوم
والكثير من الرؤس المقصوم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالى والادوان أرباب
السيف والاقلام مع جفان ثياب والخبز وأنواع الحلوى فيسم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته
والاستاذين المحتكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية وينقل ذلك في ايدي اهل القاهرة ومصر
(موسم أول العام) وكان لهم بأول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزبه المخم وهيئة العظيمة
كما تقدم ويفرق فيه دنائب الغزاة التي مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذى يعمل بالقصر
لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيف والاقلام بتقرير مرتب خرقان شواء وزبادى طعام وجامات حلواء
وخبز وقطع منسوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجمل وصفه ويتسبطون بما يصل اليهم
من دنائب الغزاة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن
وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانتظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ
الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتسبطون في الطعام ويصنعون
الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سماهاهم الخجاج
في ايام عبد الملك بن مروان ليرغوا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم
عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركا بقايا ما عمله بنو أيوب من اتخاذ
يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاعتداء بفعل الساف فقط * وما
أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر مخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء
عندما اخرعته ما كان من جارية في الاهراء

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد

أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يبادر ليجازمه وعدى

لاحضرن للهنا في غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء بهيمة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه
من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فقله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم على الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذى ظهر فيه من
محبيه ويفعل فيه ما يفعله في الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة وكتب فيه ابو القاسم علي
ابن الصيرفي الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأمنها وأعلاها وأدناها على تقصير الواصف

اذ بلغ وتناهى ونحن نأمر لك أن تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التي جرت العادة بمنزلها في الاعباد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سبناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد وتنتهى فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * (الموالي الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشب ككناج وحلواء كما مر ذلك

* (اليالى الوقود الاربع) * كانت من أبهى الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى الناس فيها انواع من البرّ وتعظم فيها مزية أهل الجوامع والمشاهد فانظره في موضعه تجده * (موسم شهر رمضان) * وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البرّ منها كشف المساجد قال الشريف الجوائى في كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوم على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وإزالة شعبه وكان اكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيلون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضي لحضور السماط

* (ابطال المسكرات) * قال ابن المأمون وكانت العادة يارية من الايام الافضية في آخر جادى الاخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختتم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لماولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاه الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شئ من المسكرات أو لشراؤها سراً أو جهراً فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

* (ومنها غزوة رمضان) * وكان في اول يوم من شهر رمضان يرسل جميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غزوة رمضان

* (ومنها ركوب الخليفة في اول شهر رمضان) * قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتم بركوب اول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجري أمره في اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه في اول العام لا يحتل بوجه ويكتب الى الولاة والنواب والاعمال بسماطير مختلفة يذكر فيها ركوب الخليفة

* (ومنها سماط شهر رمضان) * وقد تقدم ذكر السماط في قاعة الذهب من القصر

* (مصور الخليفة) * قال ابن المأمون وقد ذكر أسطة رمضان وجلس الخليفة بعد ذلك في الروشن الى وقت السحور والمقرئون تحته يتلون عشر ابطرون بحيث يشاهدهم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور وخقوا بالدعاء وقدمت الخدات للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزلوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدي الخليفة استاذ بما اثم به عليهم وعلى القراشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملأوا اكجامهم وفضل عنهم ما تحفظه القراشون ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معبأة بجميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاصة بملوءة أو ساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأما الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيقرق القراشون عليهم اجعين وكل من تناول شيئاً قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لا ولاده واهله لان ذلك كان مستقاضاً عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت الصحون الصينية بملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباذهنج ويزيد به السحورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدة انواع عصارات واطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلويات وموز ثم يكون بيزيد به صينية ذهب بملوءة سفوفاً وحضر الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناولوه المستخدمون والاستاذون

وفرقوه فأخذهم القوم في أكامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

* (ومنها الختم في آخر رمضان) * وكان يعمل في التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السجود بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسطة على العادة وحضر أخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلوا على عاداتهم وجلسوا تحت الروشن وجل من عند معظم الجهات والسيدات والاميرات من أهل القصور ثلاثي وموكبات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتسملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريعا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع القراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات إلى أن نزع عليهم من الروشن ذنانهم ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عاداتهم وملأوا أكامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعهما على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

* (ذكر مذاهم في أول الشهر) *

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدوا من غلاة أهل الرض وللشيعة في أثناء الشهر وعمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفي سنين من الهجرة فجمت ناجة لأجل أخذهم بالأويل إلى اليهود والنصارى فاذا لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهرهم ويعرفون منها صيماهم والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال وتفقد ما اكتسبه القمر من النور وجدوهم شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا إلى أصحاب علم الهيئة فألقوا زيجاتهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات فظنوا أنها معمولية (رؤية الأهل) فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وزعموا أنه ستر من أسرار النبوة وتلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة أو معمولية على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة وخسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها فهو تال لتام فلا قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال فأقولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته أي صوموا اليوم الذي يرى في عشيته كما يقال تهيؤوا لاستقباله فيقدم التهيؤ على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا

قوله وفي سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة في جميع النسخ التي يدي ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحذر بمراجعة أصلها اه
مصحفهم

* (قافله الحاج) * قال في كتاب الذخائر والتحف أن المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطب والخلواء والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في غن الجايات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار واثنتون ألف دينار في أيام الوزير البازوري قد زادت في كل سنة وبلغت إلى مائتي ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول

* (موسم عيد الفطر) * وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السباط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

* (عيد النحر) * فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الأضاحي كما تر ذلك مبينا في موضعه من هذا الكتاب

* (عيد الغدير) * فيه تزويج الأياشي وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة النخائر على أرباب الرسوم وعق

الزقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

* (كسوة الشتاء والصيف) * وكان لهم في كل من فصلى الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقدم ذكر ذلك

* (موسم فتح الخليج) * وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البر متها الركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الرزاد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والماس كل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

* (ذكر النوروز) *

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم التي تطل فيه الاسواق ويقبل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلاثمائة وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والخلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحسبوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجبال وقال ابن عيسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الأمر بحكام الله أن يحضر الى دار الملك في النوروز السكك في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فإن الأفضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للبهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز ونظر الاسكندرية مع ما يتناع من المذاهب المذهبة والحري والسادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها واصناف النوروز البطنج والرماني وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص القمصى وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مرقى قال وأحضر كتاب الدفتر الاثبات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقى مذهبيات وحريبات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذمذهب وحريرى ومشفع وفوط ديبقى حريرى فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبجارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطنج والرماني والبسر والقر والسفرجل والعناب والهرايس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشتركهم في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقتصاب وسائر الامائل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالاتفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل ثوبت وثوبت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة في نومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم ربه على دور الاكابر بالجل الكبار ويكتب منشائر ونديب مترجمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويتبع المؤثنون والفساسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاحى وترتفع الاصوات وتشرى النحر والمزشر باظهارا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والنحر وبالماء ممزوجة بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستحق بجرمته فاما فدى نفسه واما فضيح ولم يجز

الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وأحيى المنكر في الدور وأرباب الخسارات وقال في سنة اثنين وتسعين وخمسة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجذ فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفربه في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى ان اول من اتخذ النوروز جشيد ويقال في اسمه أيضا جشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد والفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهاني كتابا مفيد في أعياد الفرس وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال كان اليوم الذي رذ الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاء اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناسيقها فرشته بين يدي سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمي ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز فكانت الملوك تقيم بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويقيمون بذلك والله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني * وكل ما فيه يحكيني وأحكيه
فنازه كاهيب النار في كبدي * وماؤه كئوالى دمعتي فيه
وقال آخر

نوروز الناس ونوروز * ولكن يذموني
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوي
وقال غيره

ولما أتى النوروز يا غاية المني * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحبشي * فنورزت صجبا بالدموع على الخد

(الميلاد) * وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجاهات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمتارذ التي فيها السمك وقرايات الجلاب وطياقير الزلاية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة اصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودى في مروج الذهب واللبلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينال الناس فيها وهي ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل غير ما أسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكروا كل ما يمكنهم اظهاره من المأككل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويفطس أكثرهم في النيل ويؤمنون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسيحي في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصارى كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والمهلون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى بجرى الرسم من الناس في شراء القواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لأعز الدين الله بأن توفد المشاعل والنار في الليل فكان وقيد أكثر وأحضر
الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هائل طويلا إلى أن غطسوا وقال ابن المأمون أنه كان من
رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة التبرج والتاريخ والليون المراكبي وأطنبان القصب والسمن
والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام

* (جنيس العهد) * ويسميه أهل مصر من العاتية جنيس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام
ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في جنيس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهب عشرة آلاف
خزوبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم

* (أيام الركوبات) * وكان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتج وقبة الهواء
والجنس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعم الناس في هذه الأيام من الصدقات
أنواع ما بين ذهب وما كل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب

* (صلاة الجمعة) * وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة
الذي يعرف بالجامع الأزهر مرة وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمي مرة وفي جامع عمرو بن العاص
بمصر أخرى فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى
عند ذكر الجامع الأزهر * والله در الفقيه عمارة النبي فقد ضمن مرثيته أهل القصر جلا ماذكر وهي

القصيدة التي قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها

رمى يداه ركف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحل بالعطل
سعت في منهج الراي العنور فان * قدرت من عنرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السن وانخل
هدمت قاعدة المعروف عن عمل * سعت مهلا أما تمشي على مهل
لهني ولهف بني الآمال قاطبة * على تجيعتها في اكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلافتها * من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنيت من وزراء المستحين سما * رأس الحصان يهاده على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرس من عارض الخلل
بأعاذي في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عدلي
بأنه در ساحة القصرين وابك معي * عليهما لأعلى صفين والجل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحي ولا قرحي بمنديل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما * ملكتموا بين حكم السبي والنفل
وقد حصلت عليهما واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فلت عنها بوجهي خوف منتقد * من الاعادي ووجه الود لم يعل
أسلت من أسنى دمي غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على ما تراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلال
وفطرة الصوم اذا أضحت مكارمكم * تشكروا من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست * ورث منها جديدهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليل لكم * يأتي تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعبيد كم لكم * فبهن من ويل جود ليس بالوشل

والارض تهتز في يوم الغدير كما * يهتز ما بين قصر بكم من الاسل
والخيل تعرض في وثى وفي شبة * مثل العرائس في حل وفي حل
ولا حلتهم قري الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكثاف والمجل
وما خصصتم بئر اهل ملتكم * حتى عسمتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتيس الذي عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللبوامع من احسانكم نعم * لمن تصدق في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فعقلها * منكم وأضحت بكم محلوله العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجاة من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت * من خان عهد الامام العاضد ابن علي
انتمى وهداقي والذخيرة لى * اذا ارتمت بما قدمت من عمل
تالله لم اوفهم في المدح حقهم * لان فضلهم كالوايل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بانخل
باب النجاة هم ديننا وآخرة * وحيم فهو اصل الدين والعمل
فورا الهدي ومصايح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء في المحل
أتممة خلقوا نورافنورهم * من محض خالص نور الله لم يغفل
والله ما زلت عن جبي لهم أبدا * ما اخر الله لى في مدة الاجل
وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رجه الله وتحت له الذنوب انتهى ما ذكره رجه الله تعالى

* (ذكر ما كان من امر القصرين والمناسط بعد زوال الدولة الفاطمية) *

ولما مات العاضد ابن الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشي قراقوش على اهل
العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم في مكان
أفرد لهم خارج القصر وجع عمومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفترق بين الرجال والنساء اثلا
يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من
الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى
والعبيد فأطلق من كان حرًا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد
بالقصر عشرين سنين وأخذ القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الألواح على ما كان للنفاء
وأبعدهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها ارباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء
فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب
الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضي الفاضل وفي ثالث
عشره يعني ربيع الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقبل ان الموجود فيه مائة
صندوق كسوه فاخرة من موشع وعقود ثمينة وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة
الخطر وكان الكاشف بها الدين قراقوش وبيان وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسى
والامير أبو الهيثم السمنى وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن المناظر والمتزهات التي لم يخطر ابتذالها
في الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض ومورعها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر
ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجواهر ونحاس وملبوس واثاث وقاش وسلاح ما لا يحصى به ملك الأكاسرة ولا تتصوره
الخواطر الحاضرة ولا يشغل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الامن يقدر على حساب الخلق
في الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغمورى وجدت بخط المذهب أبي طالب محمد بن علي بن الخبي

حدثني الأمير عضد الدين مرخف بن محمد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف سمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذ صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف سمة ليس فيهم غل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما أخرجوا منه أسكنوا في دار المظفر وقبض أيضا صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد وكان ولي العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الأمير أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد وإسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجعاعة من بني أعمامة فلم ير الوافي الاعتقال بدار الفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بقاهرة إلى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولادهم واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية وملك الأتراك إلى أن تسلط الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فلما كان في سنة ستين وثمانين أشهد على من بقي منهم وهم كمال الدين إسماعيل بن العاضد وعماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرًا وباطنًا بحظ الخوخ السبع وجميع المواضع المعروف بالقصر الياضي بالخط المذكور وجميع المواضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارح بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة وجميع المواضع المعروف بالقصر الغربي وجميع المواضع المعروف بدار الفطرة بحظ المشهد الحسيني وجميع المواضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع المواضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولا مثنوية بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كما خلا ما في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لأبائهم وورث ذلك الشهاد بن ثالث عشر ربيع الأول سنة ستين وثمانين وأثبت على قاضي القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من ثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جلة ما يجرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة وغيرها ورسم بيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولًا فأولًا وقبضت شيئًا فشيئًا وبني في أماكنها ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارًا في ربيع جادى الآخرة سنة ستين وثمانين من كمال الدين ظافر بن القضيعة نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادى عشرى جادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قد صارت هي وقاعة الخليم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيرونية البندقدارية قال القاضي الفاضل وفي يوم الاثنين سادس شهر رجب يعنى من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين في القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخري من أقارب الحافظ وأكبرهما سنًا كان معتقلا بالايوان حدث به مرض وأثنى فيه ففك حديدته ونقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب فقده واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخى الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلًا في وقت الكائن بأهله وأقام بالقصر الغربي مع من أسره به إلى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب وعلا على جدرانته التشعث والهدم وأنه يجاور اصطبلات فيها جعاعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنتان وخمسون شخصًا ذكور ثمانية وتسعون واثان مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكورا أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اثنا عشر بنات العاضد خمسة أخوته أربع جهات
العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة
وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصا
ذكورا ثمان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اثنا مائة وأربع وثلاثون
بنات أربع وستون أخوات وعمات وزوجات سبعون * قال وفي جادى

الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من فى دار المنظر بحارة

برجوان والقصر الغربى والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم

مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المنظر أحرار ومالك

مائة وست وستون نفسا القصر الغربى أحرار مائة وأربعون

نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل

العز فاستراها الملك المنظر نقي الدين عمر بن شاهنشاه بن

نجم الدين أيوب بن شادى فى نصف شعبان سنة ست

وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء

الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفا

على المدرسة المذكورة والله تعالى

اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم

تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثانى الحارث

بيان الخطا والصواب في الجزء الاول من هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفة	سطر	خطا	صواب	صحيفة	سطر
به راقمه	به وراقمه	٢	١٧	وأولاد الافارق	ووالد الافارقة	١٩	٢٧
قد دثرت بعده	قد ثرت بعده	٥	٠٨	ان عبد شمس بن	ان عبد شمس بن	١٩	٣٨
معظم	معظم			يشجب	يشجب		
وخيره	وصيره	٧	٢٥	البراري الى عيونته	البراري الى عيونته	٢٠	٨
فالما يجرى	لعل صوابه بقلب			بجميع	بجميع	٢٠	٨
من قلب سال	سال لانه من مخلف	٨	١٤	في الناس يجتروا	في الناس يجتروا	٢٠	١٤
والفرع المقدم	والفرغ المقدم	٩	٠٥	واثل بن جبر	واثل بن جبر	٢٠	٢٤
والفرع المؤخر	والفرغ المؤخر	٩	٠٥	السكسك	السكسك	٢٠	٢٤
كالخ	كالخ	٩	١٣ و ١٥	فلم يجبهه ولا أحد	فلم يجبهه ولا أحد	٢٠	٣٨ و ٣٧
ريقراطس	ديقراطس	٩	١٨	ابن لهيعة	ابن لهيعة	٢١	٠٥
تدبير	تدوير	٩	٢١	اسماء للبلد	اسماء للبلد	٢١	٣٦
ضرر قرقها غير	ضرر قرقها عن	١٠	١١	ادخلوا مصران	ادخلوا مصران	٢١	٣٨
ساكنة	ساكنية			شاء الله آمين	شاء الله آمين		
تمنع من سلوكه	تمنع من سلوكها	١١	٣٩	في كتاب ليس أحد	في كتاب ليس ليس	٢٢	٠٧
الجبال	الجبال			ثم ربنا الله	ثم ربنا الله	٢٢	١٥
صارت السنة	صارت القسمة	١٢	١٦	قضى لسته ايام	قضى لسته ايام	٢٢	٢١
يحسب بين	يحسب بيني	١٢	١٨	من خلقته	من خلقته		
ومن السماوة	ومن السماوة	١٣	٠٧	خليقته	خليقته		
بيلا البيت	بيلا التبت	١٣	٢١	ضلعه	ضلعه	٢٢	٢٤
والصيصة	والمصيصة	١٣	٢٤	اكلا	اكلا	٢٢	٢٧
ومن السياة	ومن السبارة	١٣	٢٧	ابو بصرة	ابو بصرة	٢٢	٣٤
الاقسام السبعة	الاقاليم السبعة	١٤	٢٥	فأعانه الله	فأعانه الله	٢٢	٣٥
تشريفا	تشريفا	١٤	٣٣	يال ذبيان	يال ذبيان	٢٢	٣٧
المهالك	المهالك	١٤	٣٧	وياخذ منكم من	(هكذا في النسخ)	٢٢	٣٨
متشرف	له (متشرب)	١٥	٣٥	حب كما يتار مصر	وهو محل تأمل		
بلا الصين	بلاد الصين	١٦	٣٦	أن من	ان غنم	٢٤	٠٤
التعير من بلاد	التعير من بلاد	١٦	٣٧	السفاد	الفصاد	٢٤	١٧
كران	مكران			الجنند العربي	الجنند العربي	٢٤	٢٤
النخيه	البيجه	١٧	٠٧	فاذا رأيت رجلا	فاذا رأيت رجلا	٢٤	٣٦
نهر يردع هران	يردع نهر هيران	١٧	١٠	والطرمة	والطرمة	٢٦	٠١
البر الرومي	البحر الرومي	١٨	٠٩	الحافري	الحافري	٢٦	٠٢
معدونية	معدونية	١٨	٣٥	بكل ساحر	بكل ساحر	٢٧	٢٨
ابنته قليمون	ابنة قليمون	١٩	١١	جدر الكعبة	جدر الكعبة	٢٨	٣٩
عاصي	عابر	١٩	١٦				

خطا	صواب	صحيفة	سطر
ثم غسدت حتى	ثم غسدت حتى ينتهي	٥١	٢٩
وفي جودة القمر	وفي جزيرة القمر	٥٢	٥٨
وكذلك اغضوا عنه	ولذلك اغضوا عنه	٥٢	٢١
وكان فيما يذكر الخ	لعله (فانه كان مما يذكر الخ) ليكون جوابا لاما	٥٣	١٣
كتاب جعفر	كتاب جغرافيا	٥٣	٢٥
لان نسبة	لان نسبة	٥٥	٢٠
وانما استدلاله	واما استدلاله	٥٦	٢٥
الى بناء على	الى ما	٥٦	٢٩
العزير لدين الله	العزير لدين الله	٦١	٥٨
والجزيرة يعرف	والجزيرة التي تعرف	٦١	٣٣
والجزيرة أيضا	والجزيرة أيضا	٦١	٣٤
منها	منها	٦١	٣٤
يفترغ	تفرغ	٦٢	٢٩
الموزون من	لعله (الوزن من)	٦٢	٣١
الدستورات المتخبة	الدستورات (المتخبة)	٦٢	٣١
مستكا	مصطكا	٦٣	٢٨
حيث الغشمة في	حيث الغشمة في	٦٤	٥٧
التشيل معتزل	التشيل معتزل	٦٤	٥٧
لامن دمة الشفق	ملق في دم الشفق	٦٤	٥٩
مدارة نفسه	مداراة نفسه	٦٤	١٩
بماء يتر	بماء يتر	٦٥	٢٢
انا متخرقة	انا متخرقة	٦٦	٣٢
ذلك الخراب	ذلك الخراب	٦٨	٢٥
يلا كاف	يلا غير كاف	٦٨	٢٩
اصناف الكواكب	اصناف الكواكب	٧٠	٢٩
تسمى المنهل	تسمى المنهل	٧١	٢٢
خمس ومائة	خمس ومائة	٧١	٣٧
بن نسب	بن نسب	٧٢	١٨
الشرالك والقرى	الشرالك التسع قرى	٧٣	١٤
وهي من قوص	وهي عمل قوص	٧٤	٥٥

خطا	صواب	صحيفة	سطر
الكافي الله به	الكافي لئيبه عيا سواه	٢٩	١٠
فقد ما سواه	(هكذا في بعض النسخ فليتناقل)	٢٩	١٠
ويترك اصحابه	وينزل اصحابه	٢٩	٢٤
ثم شرحه	ثم شرحه	٢٩	٣٠
ثم دعا رجلا عاقلا	(هكذا في النسخ وفيه تأمل)	٢٩	٣٦
ثم لم يدع الخ	ابو يعقوب	٣٠	٥٤
اسمه ابن عبد الله	اسمه جبير بن عبد الله	٣٠	٥٧
لمسلة بن محمد	لمحمد بن مسلة	٣٠	١٣
ولا يتغير	ولا يتغير	٣٢	٣٧
جزأ	جزأ	٣٣	٥١
جارويه	خارويه	٣٤	٣٧
اذا خرج	اذا أخرج	٣٧	٣٤
غطاه	تخطاه	٣٧	٣٨
بيت	يثب	٣٨	١٣
واحذر	واحذر	٣٩	٢٥
بعضها	يقصدها	٣٩	٣٩
واجربة	واجربة	٤١	٥٥
وآمنت بنوا اسرائيل	وآمنت بنوا اسرائيل	٤٢	٤٩
بمائلته	بمائلته	٤٢	٤٩
من الصنف	من الصنف	٤٢	٢٩
مصر واذا	مصر اذا	٤٣	١٨
اخبار البلدان	اخبار البلدان	٤٤	٢٤
النبيذ	كالنبيذ	٤٤	٣٦
وكثيرا	وكثير	٤٥	٥١
ضعيفة	صيفة	٤٦	١٢
واحد	وافد	٤٧	١٧
بوضع جرب	بوضع جرب	٤٧	٢٢
سيرهم	سفرهم	٤٧	٢٦
يعرض الهواء	يعرض للهواء	٤٧	٣٢
تعدباقية	بعدباقية	٤٨	٥٧
القرينة	القرينة	٤٨	١٩
الابدان في	الابدان في	٤٨	٢٠
قوة عليه	قوة عليه	٤٩	٥٣

خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر
فدان	(وفي بعض النسخ)			ونخرج بجيش	ونخرج بجيش رجل	٧٩	٢٩
والباقي	فدان ويقال ان احمد			رجل			
	ابن مدبر اعقب برما يصلح	٧٥	٠٩	بعبد الملك	عبد الملك	٧٩	٣٠
	للزراعة بأرض مصر			فقتل بجيش	فقتل بجيش	٧٩	٣٠
	فوجدته أربعة وعشرين			بضراية	بضرائب	٨٢	٠٩
	ألف ألف والباقي			القائد	القائد	٨٣	٠٤
الشريف	الشريف الجواني			غيرها	عبرتها	٨٣	١٤
الحزاني				الامرين	الامرين	٨٤	٣١ و ١٤
له الامراء	له الامراء	٧٧	٥				
تنوذي	تنوذي	٧٩	٢٦				

هذا ما وجدناه في الم لازم الاول من الجزء الاول مما يلزم التنبيه عليه وأغلبه من تحريف نسخ الاصل التي طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها والله اعلم بالصواب

فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقرئ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	خطبة الكتاب	٢٣	ذكر الرؤس الثمانية
٣	فصل اول من رتب خطط مصر وأثارها الخ	٤	ذكر طرف من هيئة الافلاك
٥	ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها	٩	ذكر محمل مصر من الارض وموضعها من
١٤	الاقسام السبعة	١٥	ذكر حدود مصر وجهاتها
١٥	ذكر بحر القلزم	١٦	ذكر البحر الرومي
١٦	ذكر اشارة قاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها	١٧	ذكر طرف من فضائل مصر
١٨	ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات	٢٣	والبرابي ونحو ذلك
٣٠	ذكر الدقائق والكنوز التي يسبحها اهل مصر	٤٠	المطالب
٤٠	ذكر هلاك أموال اهل مصر	٤٢	ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمن جنهم
٤٢	ذكر شيء من فضائل النيل	٥٠	ذكر مخرج النيل وانبعائه
٥٠	فصل في الرد على من اعتقد أن النيل من سبل	٥١	بفيض
٥٥	ذكره قاييس النيل وزيادته	٥٧	ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل
٥٧	ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم	٦١	ذكر عجائب النيل
٦١	ذكر طرف من تقدمه المعرفة بحال النيل في كل	٦٥	سنة
٦٧	ذكر عيد الشهيد	٦٨	ذكر الخيلان التي شقت من النيل
٦٨	خليج سخا	٧٠	خليج سر دوس
٧٠	خليج الاسكندرية	٧١	خليج الفيوم والمنهى
٧٠	خليج القاهرة	٧١	بحر ابى المنجا
٧٠	ذكر مدائن أرض مصر	٧١	ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها
٧١	ذكر مدينة منف وملوكها	٧١	ذكر مدينة الاسكندرية
٧١	ذكر مدينة الاسكندرية	٧١	ذكر الاسكندر
٧١	ذكر الاسكندر		

صحيفة

٢٠٣

٢٠٣

٢٠٣

٢٠٤

٢٠٤

٢٠٤

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٧

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٩

٢٠٩

٢١٠

٢١١

٢١٢

٢١٣

٢١٣

٢٢٦

٢٢٦

٢٢٧

٢٢٨

٢٢٨

٢٣١

٢٣٢

٢٣٢

٢٣٣

٢٣٤

٢٣٥

٢٣٥

٢٣٦

٢٣٧

٢٣٧

صحيفة

١٥١

١٥٣

١٥٤

١٥٥

١٥٨

١٥٩

١٦٢

١٦٣

١٦٧

١٦٩

١٦٩

١٧٢

١٧٥

١٧٦

١٨٢

١٨٢

١٨٣

١٨٤

١٨٦

١٨٦

١٨٨

١٨٨

١٨٩

١٨٩

١٩٠

١٩١

١٩٤

١٩٧

١٩٩

١٩٩

١٩٩

٢٠٢

٢٠٣

٢٠٣

ذكر تاريخ الاسكندر

ذكر الفرق بين الاسكندر وذي القرنين وانما

رجلان

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

ذكر منارة الاسكندرية

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره

من العجائب

ذكر عود السواري

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

ذكر فتح الاسكندرية

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية

واتنقاض الروم

ذكر بحيرة الاسكندرية

ذكر خليج الاسكندرية

ذكر جل حوادث الاسكندرية

ذكر مدينة اريب

ذكر مدينة تنيس

ذكر مدينة صا

رمل الغرابي

ذكر مدينة بليس

ذكر بلد الورداء

ذكر مدينة ايلة

ذكر مدينة مدين

بقية خبر مدينة مدين

ذكر مدينة فاران

ذكر ارض الجفار

ذكر صعيد مصر

ذكر الجنادل ولع من اخبار ارض النوبة

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن

عليه من الامم

ذكر الحجة ويقال انهم من البربر

ذكر مدينة اسوان

ذكر بلاق

ذكر حائط العجوز

ذكر البقط

ذكر صحراء عذاب

ذكر مدينة الاقصر

ذكر البليتا

ذكر سمهود

ذكر ارجنوس

ذكر ابوبطر

ذكر مابوى

ذكر مدينة انصنا

ذكر القيس

ذكر دروط بلهاصة

ذكر سكر

ذكر منية الخصيب

ذكر منية الناسك

ذكر الجيزة

ذكر سجن يوسف عليه السلام

ذكر قرية ترسا

ذكر منية اندونة

ذكر وسيم

ذكر منية عقبة

ذكر حلوان

ذكر العزيز بن مروان

ذكر مدينة العرش

ذكر مدينة الفرما

ذكر مدينة القازم

التيه

ذكر مدينة دمياط

ذكر شطا

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

ذكر مدينة حطين

ذكر مدينة الرقة

ذكر عين شمس

المنصورة

العباسة

ذكر مدينة قفط بصعيد مصر

ذكر مدينة دندرة

ذكر الواحات الداخلة

ذكر مدينة سنتريه

ذكر الواحات الخارجة

ذكر مدينة قوص

ذكر مدينة اسنا

ذكر مدينة ادفو

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٣٧	ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة فسطاط	٢٣٧	اهناس
٣٠٤	مصر	٢٣٧	ذكر مدينة الهنسا
	ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين	٢٣٨	ذكر مدينة الاشموين
٣٠٦	بنى الى أن بنيت القطائع	٢٣٩	ذكر مدينة اخميم
٣١٣	ذكر القطائع ودولة بنى طولون	٢٤٠	ذكر مدينة العقاب
	ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب	٢٤١	ذكر مدينة الفيوم
	القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد		يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم
٣٢٧	القائد جوهر	٢٤٧	السلام
	ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة	٢٤٧	ذكر ما قيل في الفيوم وخلقها وضياعها
٣٣٠	العمارة		ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها
٣٣٤	ذكر الامار الواردة في خراب مصر	٢٤٩	من المرافق
٣٣٥	ذكر خراب الفسطاط	٢٥٠	مدينة النحريرية
٣٣٩	ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر	٢٥٠	ذكر تاريخ الخلقة
٣٤٢	ذكر ما عليه مدينة مصر الان وصفتها	٢٥٠	ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ما ضياعها وباقيها
٣٤٣	ذكر ساحل النيل بمدينة مصر		ذكر التواريخ التي كانت للام قبل تاريخ
٣٤٥	ذكر المنشأة	٢٥٨	القطب
٣٤٧	ذكر ابواب مدينة مصر	٢٦١	ذكر تاريخ القطب
٣٤٨	ذكر القاهرة القاهرة المعز لدين الله	٢٦٢	ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القطب به
	ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناء	٢٦٣	ذكر اسابيع الايام
٣٤٨	القاهرة	٢٦٤	ذكر اعياد القبط من النصارى بديار مصر
٣٤٩	ذكر الخلفاء الفاطميين		ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من
٣٥٩	ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها		الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك
٣٦٠	ذكر حد القاهرة		على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا
	ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة	٢٦٩	عليه في امورهم
٣٦٠	الفاطمية		ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى
	ذكر ما صار اليه القاهرة بعد استيلاء	٢٧٣	السنة الهلالية العربية
٣٦٤	الدولة الايوبية عليها	٢٨٥	ذكر فسطاط مصر
٣٦٥	ذكر طرف عما قيل في القاهرة ومنزعاتها		ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل
٣٧٢	ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها	٢٨٦	الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة
	ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي	٢٨٧	ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع
٣٧٣	عليه الآن	٢٨٨	ذكر حصار المسلمين بالقصر وفتح مصر
٣٧٧	ذكر سور القاهرة	٢٩٤	ذكر ما قيل في مصر هل فكت بصلح او عنوة
٣٨٠	ذكر ابواب القاهرة		ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضی الله
٣٨٠	باب زويلة	٢٩٥	عنهم
٣٨١	باب النصر	٢٩٦	ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط
٣٨١	باب القنطرة	٢٩٦	ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط
٣٨٢	باب القنطرة		ذكر امراء الفسطاط من حين فكت مصر
٣٨٣	باب الشعرية	٢٩٩	الى أن بنى العسكر

صفحة		صفحة	
٤٠٤	المنظر الثلاث	٣٨٣	باب سعادة
٤٠٤	قصر الشوك	٣٨٣	الباب المحروق
٤٠٤	قصر أولاد الشيخ	٣٨٣	باب البرقية
٤٠٤	قصر الزمرذ		ذكر قضاة الخلفاء ومناظرهم والامناع
٤٠٥	الركن المخلوق		بطرف من ما ترهم وما صارت اليه أحوالها
٤٠٥	السقيفة	٣٨٣	من بعدهم
٤٠٦	دار الضرب	٣٨٤	القصر الكبير
٤٠٧	خزانة السلاح	٣٨٥	قاعة الذهب
٤٠٧	المارستان العتيق	٣٨٧	كيفية سماع شهر رمضان بهذه القاعة
٤٠٧	التربة المعزية	٣٨٧	عمل سماع عيد الفطر بهذه القاعة
٤٠٨	القصر النافعي	٣٨٨	الايوان الكبير
٤٠٨	الخزائن التي كانت بالقصر	٣٨٨	عبد الغدير
٤٠٨	خزانة الكتب	٣٩٠	المحول
٤٠٩	خزانة الكسوات	٣٩١	وصف الدعوة وترتيبها
٤١٤	خزائن الجوهر والطيب والطرائف	٣٩١	الدعوة الاولى
٤١٦	خزائن الفرس والامتنعة	٣٩٣	الدعوة الثانية
٤١٧	خزائن السلاح	٣٩٣	الدعوة الثالثة
٤١٨	خزائن السروج	٣٩٣	الدعوة الرابعة
٤١٨	خزائن الخليم	٣٩٤	الدعوة الخامسة
٤٢٠	خزانة الشراب	٣٩٤	الدعوة السادسة
٤٢٠	خزانة التوابل	٣٩٥	الدعوة السابعة
٤٢٢	دار التعبية	٣٩٥	الدعوة الثامنة
٤٢٢	خزانة الادم	٣٩٥	الدعوة التاسعة
٤٢٢	خزائن دارا فكنين	٣٩٥	ابتداء هذه الدعوة
٤٢٣	خبر نزار واقنكنين	٣٩٧	الدواوين
٤٢٣	خزانة البنود	٣٩٧	ديوان المجلس
٤٢٥	دار الفطرة	٤٠٠	ديوان النظر
٤٢٧	المشهد الحسيني	٤٠١	ديوان التحقيق
٤٣٠	ما كان يعمل في يوم عاشوراء	٤٠١	ديوان الجيوش والرواتب
٤٣٢	ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي	٤٠٢	ديوان الانشاء والمكاتبات
٤٣٢	باب الذهب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم
٤٣٢	جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الخليل
٤٣٣	باب البحر	٤٠٣	مجلس النظر في المظالم
٤٣٤	باب الريح	٤٠٣	رتب الامراء
٤٣٥	باب الزمرذ	٤٠٤	قاضى القضاة
٤٣٥	باب العيد	٤٠٤	قاعة القضاة
٤٣٥	باب قصر الشوك	٤٠٤	قاعة السدرة
			قاعة الخليم

صفحة	باب الديلم	صفحة
٤٣٥	باب تربة الزعفران	٤٣٥
٤٣٥	باب الزهومة	٤٣٥
٤٣٥	ذكر المنجر	٤٣٥
٤٣٨	ذكر دار الوزارة الكبرى	٤٣٨
٤٣٩	ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك	٤٣٩
٤٤٣	ذكر الحجر التي كانت يرسم الصبيان الحجرية	٤٤٣
٤٤٤	ذكر المناخ السعيد	٤٤٤
٤٤٤	ذكر اصطبل الطارمة	٤٤٤
٤٤٥	ذكر دار الضرب وما يتعلق بها	٤٤٥
٤٤٥	دار العلم الجديدة	٤٤٥
٤٤٥	موسم أول العام	٤٤٥
٤٥٠	ذكر ما كان يضرب في خيس العدس من خرايب الذهب	٤٥٠
٤٥٠	ذكر دار الوكالة الاميرية	٤٥٠
٤٥١	ذكر مصلى العيد	٤٥١
٤٥١	ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها	٤٥١
٤٥٧	ذكر القصر الصغير الغربي	٤٥٧
٤٥٧	الميدان	٤٥٧
٤٥٧	البستان الكافوري	٤٥٧
٤٥٧	القاعة	٤٥٧
٤٥٨	ابواب القصر الغربي	٤٥٨
٤٥٨	باب السبايا	٤٥٨
٤٥٨	باب التبانين	٤٥٨
٤٥٨	باب الزمرد	٤٥٨
٤٥٨	ذكر دار العلم	٤٥٨
٤٦٠	ذكر دار الضيافة	٤٦٠
٤٦١	ذكر اصطبل الحجرية	٤٦١
٤٦٢	ذكر مطبخ القصر	٤٦٢
٤٦٢	درب السلسلة	٤٦٢
٤٦٢	ذكر الدار المأمونية	٤٦٢
٤٦٢	المأمون البطائحي	٤٦٢
٤٦٣	حبس المعونة	٤٦٣
٤٦٣	ذكر الحسبة ودار العيار	٤٦٣
٤٦٤	اصطبل الجيزة	٤٦٤
٤٦٤	دار الديباج	٤٦٤
٤٦٤	الاهراء السلطانية	٤٦٤
٤٦٥	باب الديلم	٤٦٥
٤٦٥	باب تربة الزعفران	٤٦٥
٤٦٥	باب الزهومة	٤٦٥
٤٦٥	ذكر المنجر	٤٦٥
٤٦٧	ذكر دار الوزارة الكبرى	٤٦٧
٤٦٩	ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك	٤٦٩
٤٧٠	ذكر الحجر التي كانت يرسم الصبيان الحجرية	٤٧٠
٤٧٠	ذكر المناخ السعيد	٤٧٠
٤٧٠	ذكر اصطبل الطارمة	٤٧٠
٤٧٩	ذكر دار الضرب وما يتعلق بها	٤٧٩
٤٨٠	دار العلم الجديدة	٤٨٠
٤٨٠	موسم أول العام	٤٨٠
٤٨١	ذكر ما كان يضرب في خيس العدس من خرايب الذهب	٤٨١
٤٨١	ذكر دار الوكالة الاميرية	٤٨١
٤٨٢	ذكر مصلى العيد	٤٨٢
٤٨٣	ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها	٤٨٣
٤٨٤	ذكر القصر الصغير الغربي	٤٨٤
٤٨٥	الميدان	٤٨٥
٤٨٦	البستان الكافوري	٤٨٦
٤٨٦	القاعة	٤٨٦
٤٨٧	ابواب القصر الغربي	٤٨٧
٤٨٧	باب السبايا	٤٨٧
٤٨٧	باب التبانين	٤٨٧
٤٨٨	باب الزمرد	٤٨٨
٤٨٩	ذكر دار العلم	٤٨٩
٤٩٠	ذكر دار الضيافة	٤٩٠
٤٩٠	ذكر اصطبل الحجرية	٤٩٠
٤٩٠	ذكر مطبخ القصر	٤٩٠
٤٩٠	درب السلسلة	٤٩٠
٤٩٠	ذكر الدار المأمونية	٤٩٠
٤٩٠	المأمون البطائحي	٤٩٠
٤٩٠	حبس المعونة	٤٩٠
٤٩٠	ذكر الحسبة ودار العيار	٤٩٠
٤٩١	اصطبل الجيزة	٤٩١
٤٩١	دار الديباج	٤٩١
٤٩١	الاهراء السلطانية	٤٩١

صفحة	الميلاد	صفحة	ابطال المسكرات
٤٩٤	الغساس	٤٩١	ذكر مزاياهم في اول الشهور
٤٩٤	نجس العهد	٤٩٢	قافلة الحاج
٤٩٥	ايام الركوبات	٤٩٢	موسم عيد الفطر
٤٩٥	صلاة الجمعة	٤٩٢	عيد النحر
٤٩٥	ذكر ما كان من امر القصرين والمنابر بعد	٤٩٢	عيد الغدير
٤٩٦	زوال الدولة الفاطمية	٤٩٣	كسوة الشتاء والصف
		٤٩٣	موسم فتح الخليج
		٤٩٣	ذكر التوروز

تمت فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط

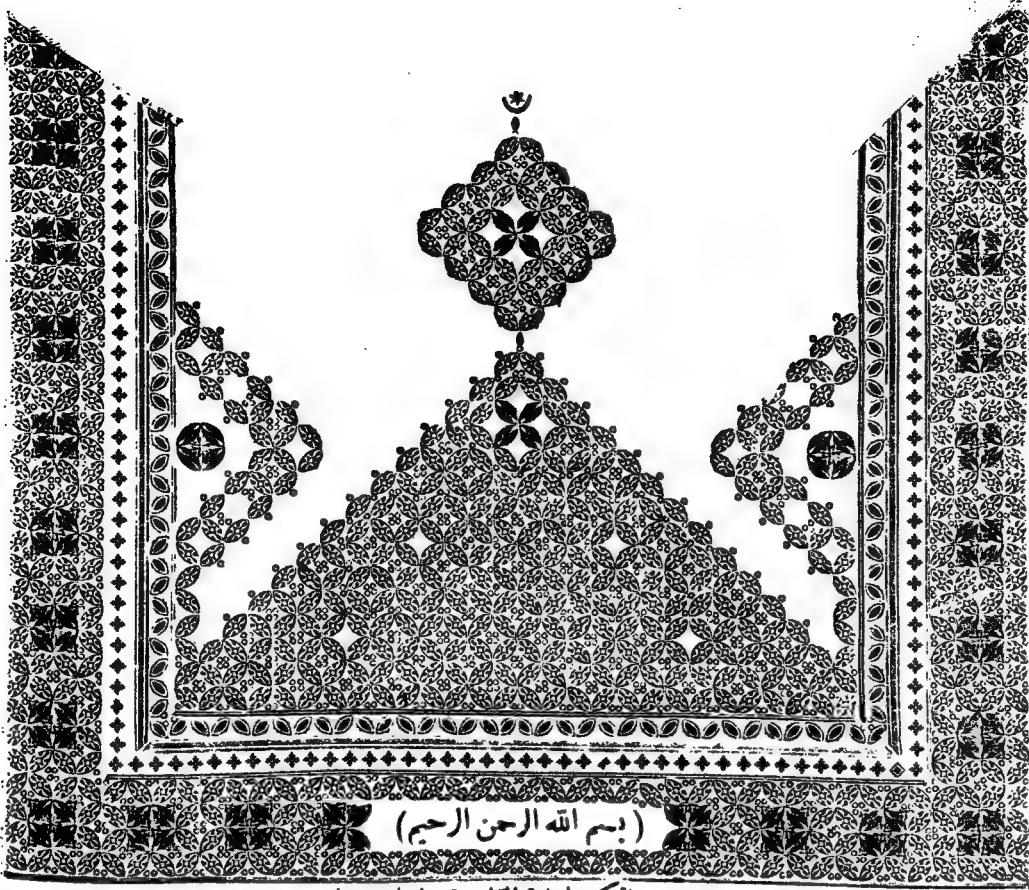
كِتَابُ
الْمَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ
بِذِكْرِ الْخَطِّ وَالْأَشْيَاءِ
الْمَعْرُوفِ بِالْخَطِّ الْمَقْرِزِيِّ

تَأليف
تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ عَمَّالٍ الْقُرَشِيِّ
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٨٤٥ هـ

الجزء الثاني

طبعة جديدة بالأوفست

دار صادر
بيروت



(ذكر حارات القاهرة وظواهرها)

قال ابن سيده والحارة كل محلة دنت منازلها قال والمحلة منزل القوم وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهي * (حارة بها الدين) هذه الحارة كانت قديما خارج باب الفتوح الذي وضعه القائد جوهر عندما أخط أساس القاهرة من الطوب التي وقديني من هذا الباب عقدة برأس حارة بها الدين وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذي وضعه امير الجيوش بدر الجلال وهو الموجود الآن وخذ هذه الحارة عرضا من خط باب الفتوح الآن الى خط حارة الورثانة بسوق المرحلين وحدتها طولاً فيما وراء ذلك الى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين فان بها كانت مساكنهم وكان فيها الهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة وقبل لها أيضا بين الحارتين واتصلت العمارة الى السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة الى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالعبيد

حارة بها الدين

(ذكر واقعة العبيد)

وسميا أن مؤمن الخلافة جوهر أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث في إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضايق أهل القصر وشده عليهم واستبد بأموار الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكابر أهل الدولة قصر ارمغ جوهر عدة من الأمراء المصريين والجنود وافترق رأيهم أن يبعثوا الى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على اخراجه من مصر فسيروا رجلا الى الفرنج وجعلوا كتبهم التي معه في نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفتن بها فصار الرجل الى البير البيضاء قريسا من بليس فاذا بعض اصحاب صلاح الدين هنالك فأنكر أمر الرجل من أجل أنه جعل النعلين في يده وورآهما وليس فيهما الزمشتي والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب بيطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فقتل خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذي كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤمن الخلافة فاستنصره الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فأعرض صلاح الدين

المحنكين
الحافظين كذا
يؤخذ من
القاموس

عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد أهمل امره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظره بناها
بناحية الخرقانية في بستان تخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فأغض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه في
يوم الأربعاء الخامس بقين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسة وأحتزوا رأسه وأتوا بها الى صلاح الدين
فاشتهر ذلك بالقاهرة واشيع فغضب العسكر المصري وثاروا بأجمعهم في سادس عشره وقد انضم
اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما يذف على خمسين ألفا وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ
سكانها صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة بنخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ
في عساكر الغزو ركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من اهله واقاربه وجميع الغزوات بهم ووقفت الطائفة
الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة القرchie وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين
القصرين فشارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين
واصحابه فعند ذلك امر توران شاه بالجملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فأنكف بأسهم قليلا وعظمت
جملة الغز عليهم فأنكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين
وكثير من عداهم وكان العاضد في هذه الوقعة يشرف من المنطرة فلما رأى اهل القصر كسرة السودان
وعساكر مصر ومواعلي الغز من اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكروا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا
ينهبون فامر حينئذ صلاح الدين النفاطين باحراق المنطرة فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا في تطيب
فارورة النفط وصوبوا بها على المنطرة التي فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح باب المنطرة زعيم الخلافة
أحد الاستادين وقال بصوت عال امير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب
أخرجوهم من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم
أقتبهم الى أن وصلوا الى السبوفيين فقتل منهم كثير وأسروا منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فأحرق
عليهم وكان في دار الارمن التي كانت قريسا من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كاهن رماة ولهم جاري الدولة
يجري عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا الى العبيد فأحرق شمس
الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا الى العبيد فصاروا كلبا دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه الى
أن وصلوا الى باب زويلة فاذا هم مغلق فحصر واهنا ذلك واستقر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم أن صلاح الدين
أحرق المنصورة التي كانت اعظم حاراتهم وأخذت عليهم اقواء السكك فأيقنوا أنهم قد أخذوا الاحالة فصاحوا
الامان فامنوا ذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم
شمس الدولة في العسكر وقد قوا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم
الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة امر العاضد وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذي
افتتح لها بلاد مصر وبني القاهرة جوهر القائد والذي كان سببا في ازالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت
بمؤمن الخلافة هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله
سكن هذه الحارة الامير الطواشي الخصى بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدي فعرفت به *

(حارث برجوان) منسوبة الى الاستاد أبي الفتوح برجوان الخادم وكان خصيا ابضا تام الخلافة ربي في دار
الخليفة العزيز بالله وولاه امر القصور فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الامير أبي علي منصور فلما مات العزيز
بالله اقيم ابنه منصور في الخلافة من بعده وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكاظمي فدير الامور
وبرجوان ينسكه فيما يصدر عنه ويختص بطوائف من العسكر ودونه الى أن افسد أمر ابن عمار فظفر
برجوان في تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصار الواسطة بين
الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكاظمين والمقاربة ووجه الى دار ابن عمار
فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد احاطوا بها واتهبوا منها وأمرات يجري لاصحاب الرسوم والرواتب جميع
ما كان ابن عمار قطعه وأجرى لابن عمار ما كان يجري له في أيام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولأهله وحرمة
ومبلغ ذلك من اللطم والتوايل خمسمائة دينار في كل شهر يزيد عن ذلك أو ينقص عنه على قدر الاسعار مع ما كان
له من الفاكهة وهو في كل يوم سلة بدينار وعشرة ارطال شع بدينار ونصف وحل يلج وجعل كاتبه أبا العلاء

فهد ابن ابراهيم النصراني يوقع عنه ويتطر في قصص الرافعين وظلاماتهم فجلس لذلك في القصر وصار يطالعه
بجميع ما يحتاج اليه ورتب الغلمان في القصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم وأزال علل أولياء
الدولة وتفقد أمور الناس وأزال ضروراتهم ومنع الناس كافة من الترحل له فكان الناس يلقونه في داره فإذا
تكامل لقاءهم ركبوا بين يديه إلى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضي ابن النعمان فقط فانهم ما كانوا
يتقدمانه من دورهما إلى القصر أو يلحقانه ويكون سلامهما عليه في القصر حتى أنه لقب كاتبه فهدا بالرئيس
فصار يحاطب بذلك ويكتب به * وكان يرجوان يجلس في دها ليل القصر ويجلس الرئيس فهد بالدلهيز الاول
يوقع ويتطرو يطالع يرجوان ما يحتاج اليه مما يطالع به الحاكم فيخرج الامر بما يكون العمل به وترتق أحوال
برجوان إلى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل ببلذاته وأقبل على سماع الغناء واكثر من الطرب وكان
شديد المحبة في الغناء فكان المغنون من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحد ثم يجلس في داره
حتى يمضي صدر النهار ويتكامل جميع ادل الدولة وارباب الاشغال على بابه فيخرج راكبا ويمضي إلى القصر
فيمشي من الامور ما يختار بغير مشاورة فلما تزايد الامر وكثرت استبداده تحترده الحاكم ونقم عليه اشياء من تجربته
عليه ومعاملته له بالاذلال وعدم الامتثال منها انه استدعا يوما وهو راكب معه فصار إليه وقد ثنى رجله على
عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه انخف قال له وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الادب فلما كان يوم الخميس
سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة انفذ إليه الحاكم عشيبة للركوب معه إلى
المقاس بغاء بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكيًا يصيح قتل
مولاي وكان هذا الخادم عين البرجوان في القصر فاضطرب الناس واشرف عليهم الحاكم وقام
زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان في الطاعة فلينصرف إلى منزله ويكر إلى القصر المعمور فانصرف الجميع
فكان من خبر قتل برجوان انه لما دخل إلى القصر كان الحاكم في بستان يعرف بدورة التين والعناب ومعه
زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف فسار الحاكم إلى أن خرج من باب الدورية فوثب زيدان على
برجوان وضربه بسكين كانت معه في عنقه وابتره قوم كانوا قد أعدوا للقتل به فأخنوه حراجه بالخناجر
واحتزوا رأسه ودفنوه هناك ثم ان الحاكم أحضر إليه الرئيس فهدا بعد العشاء الأخيرة وقال له انت كافي
وأتمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان في الوساطة سنتين وثمانية أشهر تنقص يوما واحدا ووجد الحاكم في
تركته مائة منديل يعني عمامة كلها شروب ملقونة معممة على مائة شاشية وألف سراويل ديقية بالق تسكة تحرير
أرمني ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلي والمصاغ والطيب والقرش والصبغات الذهب والفضة ما لا يحصى
كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرسا وخمسين بغلة ومن بغال النقل
ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ومائة وخمسين سرجاما عشرون ذهبا ومن الكتب شيء كثير وحمل الحارثية من
مصر إلى القاهرة رحل على ثمانين حمارا قال ابن خلكان ورجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح
الجيم والواو وبعد ألف فون هكذا وجدته مقيدا بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر ويسمى الوزغ
سماء به الحاكم (حارث زويلة) قال ابن عبد الظاهر لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة
عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبر التي تعرف بئر زويلة في المكان الذي يعمل فيه الآن الروايا
والبابان المعروفان ببابي زويلة وقال ياقوت زويلة بفتح الزاي وكسر الواو وباء ساكنة وفتح اللام أربعة
مواضع الاقل زويلة السودان وهي قصبة اعمال قرآن في جنوب افريقية مدينة كثيرة النخل والزرع
الثاني زويلة المهديّة بلد كالربض للمهديّة اختطه عبد الله الملقب بالمهدي واسكنه الرعية وسكن هو بالمهديّة التي
استبحر بها فكانت دكاكين الرعية وامتعتهم بالمهديّة ومنازلهم وحرهم بزويلة فكانوا ينظرون بالنهار
في المهديّة ويبيتون ليل بزويلة وزعم المهدي انه فعل بهم ذلك ليأمن غائلهم قال احوال بينهم وبين اموالهم ليل
وبينهم وبين نساءهم نهارا الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة القسطنطين الرابع حارث زويلة محلة كبيرة
بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لان جوهر اغلام المعز لما اختط محله بالقاهرة انزل اهل
زويلة بهذا المكان فسمي بهم (الحارة المحمودية) الصواب في هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الاضافة
فانها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية وقد ذكرها المسيحي

حارة زويلة

الحارة المحمودية

في تاريخه مرارا قال في سنة اربع وتسعين وخمسمائة وفيها اتمت الطائفة المجددية والبناسية واشتبه امر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نسبها لمن وقال لا اعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود الاركن الاسلام محمود بن اخت الصالح بن رزيق صاحب التربة بالقرافة اللهم الا ان يكون محمود بن مصال الملكي الوزير فقد ذكر ابن القفطي ان اسمه محمود ومحمود صاحب المسجد بالقرافة وكان في زمن السري ابن الحكم قبل ذلك وهذا وهم آخر فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان وينعت بنعم الدين ووقعت في هذه الحارة نكتة قال القاضي الفاضل في متجددات سنة اربع وتسعين وخمسمائة والساطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكان في شعبان قد تابع اهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهي فعلها وتفا حش الامر فيها الى ان غلاما من الغنم ~~لص~~ نمره من بعصره واقبت طاحون بالمجددية لطخن حشيشة للبرز وافردت برسمه وحيت بيوت المزر واقبت عليها الضرائب الثقيلة فنها ما انتهى امره في كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزار البيوت ليشترى من مواضع الحى وحلت أوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * (حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت ايضا بالطائفة الجودرية احدث طوائف العسكر في ايام الحاكم بأمر الله على ما ذكره المسيحي وقال ابن عبد الظاهر الجودرية منسوبة الى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا اربع مائة منهم أبو علي منصور الجودري الذي كان في ايام العزيز بالله وزادت مكائته في الايام الحاكية فأضيفت اليه مع الاحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها وهي انها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم فبلغ الخليفة الحاكم انهم يجتمعون بها في اوقات خلواتهم ويفنون

حارة الجودرية

وأتمه قد ضلوا ودينهم معتل * قال لهم نبيهم نعم الادام الخلل

ويحذرون من هذا القول ويتعرضون الى ما لا ينبغي سماعه فأتى الى ابوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودى ولا يسكنها ابدا وقد كان في الايام العزيرية جودر الصقلي ايضا ضرب عنقه ونهب ماله في سنة ست وثمانين وثلثمائة * (حارة الوزيرية) هي ايضا تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر وكانت اول ما تعرف بحارة بستان المصمودى وعرفت ايضا بحارة الاكراد قال ابن عبد الظاهر الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وقال ابن الصيرفي والطائفة المنعوتة بالوزيرية الى الآن منسوبة اليه يعنى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج كان يهوديا من اهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل بمدينة الرملة واقام بها فصار فاعا وكبلا للتجار بها واجتمع في قبله مال عجز عن ادائه ففر الى مصر في ايام كافور الاخيدي فتعلق بخدمته ووثب اليه بالتجرب فباع اليه امتعة احبل فتمها على ضياع مصر فكثر لذلك تردده على الريف وعرف اخبار القرى وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاه مغرط وفطنة فظهر في معرفة الضياع حتى كان اذا سئل عن امر غلالها وبلغ ارتفاعها وسائر احوالها الظاهرة والباطنة اتى من ذلك بالغرض فكثر ثروته وأمواله واتسعت احواله وأعجب به كافور لما خبر به من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلما اصيح ان يكون وزيرها بلغة هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية وأحضر من علمه شرائع الاسلام سرا فلما كان في شعبان سنة ست وخسين وثلثمائة دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب الى كافور ومعه محمد بن عبد الله ابن الخازن في خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل الى داره ومعه جمع كثير وركب اليه اهل الدولة يهنونه ولم يتأخر عن الحضور اليه احد ففحص بمكانة الوزير أبو الفضل جمعقر بن القرات وخلق بسببه وأخذ في التدبير عليه ونصب الحباثل له حتى خافه يعقوب فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب في شوال سنة سبع وخسين وقدمت كافور فخلق بالعزلاين الله أبي تميم معتد فوقع منه موقعا حسنا وشاهد منه معرفة وتدبير فلم يزل في خدمته حتى قدم من المغرب الى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثمائة فقلده في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والاشار والحوالى والاحباس والمواريث والشرطتين وجميع ما يضاف الى ذلك وما يطرأ في مصر وسائر الاعمال وأشار له في ذلك كله عسلوج بن الحسن وكتب لهما بحلب بذلك قرى في يوم الجمعة على منبر جامع احمد بن طولون فقبضت ايدي سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج في دار الامارة في جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس

حارة الوزيرية

للقبالات وطلبا بالبقايا من الاموال مما على الناس من المال لكن والمتقبلين والعمال واستقصا في الطلب ونظرا
 في المظالم فتوفرت الاموال وزيد في الضياع وتزايد الناس وتكاثفوا واستمعوا ان يأخذوا الدينار معزيا فانضع
 الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه اكثر من ربع دينار ففسر الناس كثيرا من أموالهم في الدينار الأبيض
 والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصفا واشتد الاستخراج فكان يستخرج في اليوم نصف
 وخمسون ألف دينار معزى واستخرج في يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزى وحصل في يوم واحد من
 مال تيس ودمياط والاشمونين اكثر من مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وهذا شيء لم يسمع قط بمثله في بلد
 فاستمر الامر على ذلك الى المحرم سنة خمس وستين وثلاثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج وانفرد بالنظر
 في أمور المعزدين الله في قصره وفي الدور الموافقة عليها وبعد ذلك بقليل مات المعزدين الله في شهر ربيع الآخر
 منها وقام من بعده في الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور زار فقوض ليعقوب السفر في سائر أموره وجعله
 وزيره في أول المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة وفي شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير بالوزر بالاجل وأمر
 ان لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به وخلق عليه وحل ورسم له في محرم سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ان يرد إليه
 في مكاتبه باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه وخرج توقيع العزيز بذلك وفي هذه السنة اعتقل في القصر
 ورد الامر الى خير بن القائم فأقام معتقلا عدة شهر ثم اطلق في سنة أربع وسبعين وحل على عدة خيول وقرئ
 سجل برده الى تدبير الدولة ووجهه خمسمائة غلام من الناشئة وألف غلام من المغاربة ملكه العزيز زرقاهم فكان
 يعقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميين بديار مصر فبدأ برأمر مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب واعمال هذه
 الاقاليم كلها من الرجال والاموال والقضاء والتدبير وعمل له اقطاعا على كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلثمائة ألف
 دينار واتسعت دائرته وعظمت مكاتبه حتى كتب اسمه على الطرز وفي الكتب وكان يجلس كل يوم في داره بأمر
 وينهى ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ولا يسأل في حاجة الا قضاه ورتب في داره الحجاب فوبا وأجلسهم على
 مراتب وأبسمهم الديباج وقلدتهم السيوف وجعل لهم المناطق ورتب فرسين في داره للزوبة لا تبرح واقفة
 بسر وجها ولجها لهم بررد ونصب في داره الدواوين فجعل ديوانا للاميرية فيه عدة كتاب وديوانا للجيش فيه عدة
 كتاب وديوانا للاموال فيه عدة كتاب وعدة جهابذة وديوانا للخراج وديوانا للسجلات والانشاء وديوانا
 للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زمانا وجعل في داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للادفات وخزانة
 للامرية وعمل على كل خزانة ما ظن ان كان يجلس عنده في كل يوم الاطباء لينظروا في حال الغلمان ومن يحتاج منهم
 الى علاج واعطاء دواء ورتب في داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه وجعل فيها العلماء والادباء والشعراء
 والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد وأجرى على كل واحد منهم الارزاق وألف كتابا
 في الفقه والقرآت ونصب له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل
 الجدل ينظرون بين يديه فن تالكفه كتاب في القرآت وكتاب في الاديان وهو كتاب الفقه واختصره وكتاب في آداب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب في علم الابدان وصلاحيها في ألف ورقة وكتاب في الفقه مما سمعه من الامام
 المعزدين الله والامام العزيز بالله وكان يجلس في يوم الجمعة ايضا ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفي حضرته
 القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنخبة والشهود فاذا فرغ من قراءة ما يقرأ من مصنفاته قام
 الشعراء ينشدون مدائحهم فيه وكان في داره عدة كتب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب
 الادب وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وجعل في داره قراء وأئمة يصلون في مسجد
 داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولعائلته وخواشيه وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو
 وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها وينصب عدة مواثيقية الحجاب
 والكتاب والخواشي وكان اذا جلس يقرأ كتابه في الفقه الذي سمعه من المعز والعزيز لا يمنع أحد من مجلسه فيجتمع
 عنده الخاص والعام ورتب عند العزيز بالله جماعة لا يخاطبون الا بالقائد وأنشأ عدة مساجد ومسكن
 بمصر والقاهرة وكان يقيم في شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل السيرة والتعفف والجماعة كثيرة
 من الفقهاء وكان اذا فرغ الفقهاء والوجوه من الاكل معه يطاف عليهم بالطيب ومرض مرة من علة اصابته
 يده فقال فيه عبد الله بن محمد بن أبي الجرع

- يد الوزير هي الدنيا فان آلت • رأيت في كل شيء ذلك الاما •
- تأمل الملك وانظر فرط عنته • من اجله واسأل القرطاس والقلا •
- وشاهد البيض في الاغمد حائمة • الى العدا وكثيرا ما روين دما •
- وانفس الناس بالشكوى قد انصلت • كأنما اشعرت من أجله سسقا •
- هل ينهض المجد الا ان يؤيده • ساق يقدم في انهاضه قدما •
- لولا العزيز وآراء الوزير معا • تحيقتنا خطوب تشعب الاما •
- فقل لهذا وهدا انتم اشرف • لا اوهن الله ركنيه ولا انهدما •
- كلا كما لم يزل في الصالحات يدا • مبسوطة ولسانا ناطقا وقفا •
- ولا أصابكم أحدات دهر كما • ولا طوى لي كما ما عشتما على •
- ولا انجعت عنك يا مولاي عافية • فقد دعوت بما أوليتني العدا •

وكان الناس يقتنون بكتابه في الفقه ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر وأجرى العزيز بالله الجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا في كل شهر تكفيهم وكان للوزير مجلس في داره للنسظر في رفاع المرافعين والمتظلمين ويوقع بيده في الرفاع ويخاطب الخصوم بنفسه وأراد العزيز بالله ان يسافر الى الشام في زمن ابتداء الفلكية فأمر الوزير ان يأخذ الائمة لذلك فقال يا مولاي لكل سفر أهمة على مقداره فإلغ الغرض من السفر فقال اني أريد التفرج بدمشق لآكل القراصيا فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع ارباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر واسماء من هي عنده وكانت مائة ونيفا وعشرين طائرا ثم انفس من طيور دهمشق التي هي في مصر عدة فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائرا وعرفه اسما من هي عنده وأمره باحضارها اليه جميعها وان يصيب من القراصيا في كل كغدة وبشدها على كل طائر منها ويسرحها في يوم واحد فلم يحض الا ثلاثة ايام أو أربعة حتى وصلت الحمام كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها في طبق من ذهب وغناها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم وركب اليه وقدم ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد حضر ناقبالك القراصيا ههنا فان اغناك هذا القدر واللاستد عينا شيأ آخر فحجب العزيز بالوزير وقال مثلك يخدم المملوك يا وزير وانفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد اعداء الوزير سيدلا الى الطعن فيه فكتبوا الى العزيز انه قد اختار من كل صنف اعلاه ولم يترك لأمير المؤمنين الا ادناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب الى العزيز

قل لا مير المؤمنين الذي • له العلى والمثل الثاقب

طائر لك السابق لكنه • لم يأت الاولة حاجب

فأعجب العزيز بذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعة وكلمة نافذة الى ان ابتدأت به عنته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلاثمائة ونزل اليه العزيز بالله بعهده وقال له وددت انك تباع فأتباعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصنى فانت ارفعى بحقى من ان اتزعجك اياه وأرأف على من ان اوصيك به ولكنى انصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ما سالوك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولا تنق على مفروج بن دعلج ان عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكتة • وكان في سبيل الموت يقول لا يغلب الله غالب ثم قضى فحبه ليلة الاحد نحس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله الى داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان وقال كنت والله اغسل لحيتيه وأنا ارفق به خوفا ان يفتح عينه في وجهى • وكفن في خمسين ثوبا ثلاثين مثقالا يعنى منسوجا بالذهب ووشى مذهباً وشرب ديبقى مذهباً وحقة كافورا وقارورى • سك وخمسين مناماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار وخرج مختارا الصقلي وعلى بن عمر العداس والرجال بين أيديهم ينادون لا بكلام أحد ولا ينطق وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التي عرفت بدار الدياج ثم خرج العزيز من القصر على بغله والناس يمشون بيزيديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل الى داره فقتل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب منقل ووقف حتى دفن بالقبة التي كان بناها وهو يبكى ثم انصرف وسمع العزيز وهو يقول واطول

أسنى عليك ياوزير والله لو قدرت أفديك بجميع ما املك لفعلت وأمر بإجراء غلبانه على عاداتهم وعق جميع
ممالكه وأقام ثلاثاً لا يأكل على مائدة ولا يحضرها من عادته الحضور وعمل على قبره ثوبان مثقلان وأقام الناس
عند قبره شهرًا وغدا الشعراء إلى قبره ثمانمائة شاعرًا جيزوا كلهم وبلغ العزبان عليه ستة عشر ألف دينار دينا
فأرسل بها إلى قبره فوضعت عليه وقرئت على أرباب الديون والزم القراء بالمقام على قبره وأجرى عليهم الطعام
وكانت الموائد تحضر إلى قبره كل يوم مدة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة فتقوم الجوارى
بإقداح القضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الشرية والسويق بالسكر ولم تأخر نائحة ولا لائحة عن
حضور القبر مدة الشهر وخلف املاكا وضياعا قيا سيروربا وعينا وورقا وأنى ذهباً وفضة وجوهرًا وعنباً
وطيباً ونباتاً وفرشاً ومصاحف وكتباً وجوارى وعبيداً وخيلاً وبغالاً ونوقاً وحراً وإبلًا وغلالاً وخزائن ما بين
أشربة وأطعمة قومت بأربعة آلاف ألف دينار سوى ما جهز به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار وخاف غنائى
مائة حظية سوى جوارى الخدمة فلم تعرض العزبان لشيء مما يملكه أهل وجواريه وغلبانه وأمر بحفظ جهاز ابنته
إلى أن تزوجها وأجرى لمن في داره كل شهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرات وما يحمل اليهم من
الاطعمة من القصر وأمر بنقل ما خلفه إلى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الأمير منصور بن العزبان جميع
مستغلاته وأقر العزبان جميع ما فعله الوزير وما ولده من العمال على حاله وأجرى الرسوم التي كان يجريها وأقر
غلبانه على حالهم وقال هؤلاء صنائعي وكانت عدة غلمان الوزير أربعة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية
وزاد الوزير أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم واليهم بنسب الوزيرية فانها كانت مساكنهم واتفق أن الوزير عمر
قبة اتفق عليها خمسة عشر ألف دينار وأخر ما قال لقد طال أمر هذه القبة ما هذه قبة هذه تربة فكانت كذلك
ودفن تحتها وموضع قبره اليوم المدرسة صاحبية واتفق أنه وجد في داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الأزمان * وتوقوا طوارق الحداث

قد أمنتم رب الزمان ونعمتم * رب خوف مكمين في الأمان

حارة الباطلية

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولم يلبث بعدها الا اياما يسيرة ومريض فمات (حارة الباطلية)
عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال ابن عبد الظاهر وكان المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت طائفة فسألت
عطاء فقيل لها افرغ ما كان حاضرا ولم يبق شيء فقالوا رحننا نحن في الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة
بهم وفي سنة ثلاث وستين احترقت حارة الباطلية عندما كثر الحريق في القاهرة ومصر واتهم النصارى
بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر ببيس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلقة وقد مو الجرحوا بالنار فشفع لهم
الامير فارس الدين اقطاعي انا بك العساكر على ان يلتزموا بالاموال التي احترقت وان يحملوا الى بيت المال
خمسين ألف دينار فتركوا وجرى في ذلك ما تستحسن حكايته وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود وركب
السلطان ليجرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتعزى بحرقهم لما نالهم من البلاء فيماد هواه
من حريق الاماكن لاسيما الباطلية فانها أتت النار عليها حتى حرقت بأمرها فلما حضر السلطان وقدم اليهود
والنصارى ليجرقوا برزابن الكازروفي اليهودي وكان صريفا وقال للسلطان سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء
الكلاب الملاعين اعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا ففتح السلطان والامراء وحينئذ تقرر الامر
على ما ذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهراني فاستخلص بهم في عدة سنين وتناول
الحال فدخل كتاب الامراء مع مخاديعهم وتحويلوا في ابطال ما بقي فبطل في ايام السعيد بن الظاهر وكان سبب فعل
النصارى لهذا الحريق حنقهم لما اخذوا الظاهر من الفرنج ارسوق وقيسارية وطرابلس ويافا وانطاكية
وما زالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كان في باطنه حريق
الباطلية ولما عمر الطواشي به ادر المقدم داره بالباطلية عمر فيها مواضع بعد سنة خمس وثمانين وسبع مائة
* (حارة الروم) قال ابن عبد الظاهر واخطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما نقل
ذلك عليهم قالوا الجوانية لا غير والوراقون الى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة
اليوم بالجوانية وفي سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة امر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم
فهدمت ونبت * (حارة الديلم) عرفت بذلك لتزول الديلم الواصلين مع قسطنطين الثرابي حين قدم ومعه لولاد

حارة الروم

حارة الديلم

مولاه معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والأتراك في سنة ثمان وستين وثلاثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم * وهفتمكين هذا يقال له هفتمكين أبو منصور التركي الشيرازي غلام معز الدولة أجد بن بويه ترقى في الخدم حتى غلب في بغداد على عز الدولة مختارين معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب فلما سارت الأتراك من بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتمكين إلا أن أصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فولى بمن معه من الأتراك وهم نحو الاربعمائة فسار الى الرحبة وأخذ منها على البر الى ان قرب من حوشبة إحدى قرى الشام وقد وقع في قلوب العرب ان منه مهابة فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلي من بعلبك وبعث الى أبي محمود ابراهيم ابن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدم هفتمكين من بغداد لاقامة الخطبة العباسية وخوفه منه فأنفذ اليه عسكرا وسار الى ناحية حوشبة يريد هفتمكين وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالي ابن حمدان عون الهفتمكين فرد ظالم الى بعلبك من غير حرب وسار بشارة هفتمكين الى حصص فحمل اليه أبو المعالي وتلقاه واكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتمكين بعثوا اليه من دمشق الى حصص يستدعونه ووعدوه بالقيام معه على عساکر المعز واخراجهم من دمشق ليلي عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة وسار حتى نزل بنية العقاب لايام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة فبلغ عسكرا المعز خبر الفرج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا بأجمعهم الى لقاء العدو ونزل هفتمكين على دمشق من غير حرب فأقام أياما ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل هفتمكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج واتهموا بعلبك وحرقوا وذلك في شهر رمضان وانتشروا في أعمال بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتمكين فخرج اليهم أهل دمشق وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج اليهم هفتمكين وأهدى اليهم وتكلم معهم في أنه لا يستطيع جباية المال لقوة ابن الماورد وأصحابه وأمر ملك الروم به قبض عليه وقيده وعاد في المال من دمشق بالعنف وحمل الى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل الى بيروت ثم الى طرابلس فتمكن هفتمكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابي بكر عبد الكريم الطائغ بن المطيع العباسي وسير الى العرب أسرايا فظفرت وعادت اليه بعده بمن أسرته من رجال العرب فقتلهم صبيرا وكان قد تخوف من المعز فكاتب القرامطة يستدعيهم من الاحساء للقدوم عليه لمحاربة عساکر المعز وما زال بهم حتى وافوا دمشق في سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتمكين الذين كانوا قد تشتتوا في البلاد فقوى بهم ولحق القرامطة وحمل اليهم وسر بهم فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلقى يافا ونزل القرامطة الرملة وأصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان وسموا جميعا من طول الحرب وسار هفتمكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العقيلي وابن الشيخ من قبل المهز فقاتلهم قتالا شديدا انهزم منه ظالم الى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدي القتلى من عسكرا المعز وسيرها الى دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكرا المعز وكان قد مات المعز في ربيع الاخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله وسير جوهر القائد في عسكرا عظيم الى قتال هفتمكين والقرامطة فباغ ذلك القرامطة وهبهم على الرملة ووصل الخبر بمسيره الى هفتمكين وهو على عكا خاف القرامطة وفر عنها فتركها لجوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التي هي بلادهم جماعة وتأخر عدة وسار هفتمكين من عكا الى طبرية وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع بهم في طبرية واستعد للقائه جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران والثنية وادخلها الى دمشق وسار اليها فحصر بها ونزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذي القعدة فبنى على معسكره سورا وحفر خندقا عظيما وجعل له أبوابا وجمع هفتمكين الناس للقتال وكان قد بقي بعد ابن الماورد رجل يعرف بقسام التراب وصار في عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتمكين وقوام أمته بالسلاح وغيره ووقعت بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة الى يوم الحادي عشر من ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل أمر هفتمكين وهم بالفرار ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدم الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق فطلب جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه أحد وذلك انه رأى أمواله قد قلت وهالك كثير مما كان في عسكره حتى صار أكثر عسكره رجالة وأعوزهم العلف وخشى قدوم القرامطة فأجابه هفتمكين وقد عظم فرجه واشتد سروه فرحل في ثالث جادى الاولى وجد في المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطي

فقصده وقد سار عنها الى الرملة فبعث اليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه
القرمطي وسار في أثره هفتكين فأتى الحسن بن أحمد القرمطي بالرملة وقام من بعده بأمر القرامطة ابن ٤٠ جعفر
ففسد ما بينه وبين هفتكين ورجع عن الرملة الى الاحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتى انهزم
عنه وسار الى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيئا يجلب عن الوصف ونزل على البلد محاصرا لها وبلغ ذلك
العزير فاستعد للسير الى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله
اليه وان يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحت وساروا
الى القاهرة فوجد العزير قد برز يدا المسير فساوم معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة
وفي عسقلان سبعة عشر شهرا وسار العزير بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطيرة فسار الى لقاء العزير ومعه
أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار بن أحمد بن بويه وأبو اللعادي مرزبان عز الدولة ابن بختيار بن عز
الدولة ابن بويه فخار بويه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزير عساكر هفتكين وملكوه في يوم الخميس اسبع
بقي من المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة
ابن بختيار وأخذ أكثر أصحابه اسرى وطلب هفتكين في القتلى فلم يوجد وكان قد فرقت الهزيمة على فرس
بفرده فأخذه بعض العرب أسيرا فقدم به على مفزع بن دعقل بن الجراح الطائي وعما مته في عنقه فبعث به الى
العزير فأمر به فشهري في العسكر وطيف به على جبل فأخذ الناس بطمونه ويزنون لحيته حتى رأى في نفسه العبر
ثم سار العزير بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحسن اليه غاية الاحسان وأنزله في دار
وواصله بالاطعام والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا العزير بالله وتطوقني اليه بما غمرني من فضله
واحسانه فلما بلغ ذلك العزير قال لعمه حيدر بياض والله اني أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم
الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندي وبلغ العزير ان
الناس من العاتية يقولون ما هذا التركي فأمر به فشهري في أجل حال ولما رجع من تطوقه وهب له مالا جزيلا
وخلع عليه وأمر سائر الاولياء بأن يدعوه الى دورهم فامنهم الامن على له دعوة وقد قدم اليه وقاد بين يديه الخيول
ثم ان العزير قال له بعد ذلك كيف رأيت دعوات أصحابنا فقال يا مولانا حسنة في الغاية وما فهم الامن انعم وأكرم
فصار يركب للصيد والتفرج وجمع اليه العزير بالله أصحابه من الأتراك والديلم واستحجبه واختص به وما زال على
ذلك الى ان توفي في سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة فاتهم العزير وزيره يعقوب بن كلس انه سمع لانه هفتكين كان يترفع
عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه * (حارة الأتراك) هذه الحارة تجاه الجامع الأزهر وتعرف اليوم بدرب الأتراك
وكان نافذا الى حارة الديلم والوراقون القدماء تارة يفردون بها من حارة الديلم وتارة يضيفونها اليها ويجعلونها من
حقوقها فيقولون تارة حارة الديلم والأتراك وتارة يقولون حارة الديلم والأتراك وقيل لها حارة الأتراك لان هفتكين
لما غاب ببغداد سار معه من جنسه أربع مائة من الأتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من
أصحابه فلما جمع لحرب العزير بالله كان أصحابه ما بين ترك وديلم فلما قبض عليه العزير وزود دخل به الى القاهرة
في الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين وثلاثمائة كما تقدم نزل الديلم مع أصحابهم في موضع حارة
الديلم ونزل هفتكين بآراك في هذا المكان فصار يعرف بحارة الأتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لانها أهل دعوة
واحدة الان كل جنس على حدة لتخالفهما في الجنسية ثم قبل بعد ذلك درب الأتراك * (حارة كامة) هذه
الحارة مجاورة لحارة الباطنية وقد صارت الآن من جملتها كانت منازل كامة بها عند ما قدموا من المغرب مع
القائد جوهر ثم مع العزير وموضع هذه الحارة اليوم حمام كواي وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنم حيث
الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر الى رأس الباطنية وكانت كامة هي أصل دولة الخلفاء الفاطميين

* (ذكر أبي عبد الله الشيعي)

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء اليمن ولي الحسبة في بعض أعمال بغداد ثم سار الى ابن
حوشب باليمن وصار من كبار أصحابه وكان له علم وفهم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب موت الحلواني
داعى المغرب ورفقه فقال لابي عبد الله الشيعي ان أرض كامة من بلاد المغرب قد خرج بها الحلواني وأبو سفيان
وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانهاموطاة مهددة لك تخرج من اليمن الى مكة وقد زوده ابن حوشب بمال

فسأل عن حجاج كرامة فأرشد اليهم واجتمع بهم واخفى عنهم قصده وذلك انه جلس قريبا منهم فسمعهم يتحدثون
بفضائل آل البيت فغضبهم في ذلك وأطال ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم في زيارته فأذن لهم فصاروا
يترددون اليه لمارأوا من علمه وعقله ثم أنهم سألوه أين يقصد فقال أريد مصر فسر وابعثته ورحلوا من مكة وهو
لا يخبرهم شيئا من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحررا جاوزا هادة فقويت رغبتهم فيه
واشغلوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وثاروا بأسرهم خدامه وهو في انشاء ذلك يستخبرهم عن بلادهم
ويعلم احوالهم ويفحص عن قبائلهم وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه
عشرة ايام قال افعلوا ما اوصيكم به فاعلموا ما اوصيكم به فاعلموا ما اوصيكم به فاعلموا ما اوصيكم به فاعلموا ما اوصيكم به
يودعهم فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال مالي بهامن حاجة الا أني اطلب التعليم بها قالوا
فاما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا أنفع لك وأموالنا أكثر وأعرف بمحك وما زالوا به حتى اجابهم
الى المسير معهم فصاروا به الى أن قاربوا بلادهم وخرج الى لقائهم اصحابهم وكان عندهم حسن كبير من التشيع
واعتماد عظيم في محبة اهل البيت كما قرره الحلواني ففرقهم القوم خبرا بى عبد الله فقاموا بحق تعظيمه
واجلاله وورعوا في نزوله عندهم واقترعوا فيه ثم ارتحلوا الى ارض ككامة فوصلوا اليها منتصف
الربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين فاسمهم الامن سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق احد منهم وقال
أين يكون فيج الاخير فمجبوا من ذلك ولم يكونوا قاطنوا له منذ صباه فدلوه عليه فقصده وقال اذا حللنا به
صرا نأتي كل قوم منهم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم فرضوا جميعا بذلك وسار الى جبل ايلان وفيه فيج
الاخير فقال هذا فيج الاخير وما سمى الا بكم ولقد جاء في الآثار المهدى هجرة نبوجها عن الاوطان ينصره فيها
الاخير من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ونزوحكم في هذا الفج هي فيج الاخير فتسامعت
به القبائل وأتته البربر من كل مكان وعظم أمره حتى أن كرامة اقتلت عليه مع قبائل البربر وهو لا يدكر اسم
المهدى ولا يعرج عليه فبلغ خبره ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فقال ابو عبد الله ككامة أنا صاحب
النذر الذي قال لكم ابوسفيان والحلواني فازدادت محبتهم له وعظم أمره فمهم وأتته القبائل من كل مكان
وسار الى مدينة ناصروق وجعل الخيل وصبر أمرها الحسن بن هارون كبير كرامة وخرج للعرب قطر وغنم
وعمل على ناصروق خند فافرجعت اليه قبائل من البربر وحاربوه قطر بهم وصارت اليه اموالهم ووالى
الغزو فيهم حتى استقام له أمرهم فصاروا أخذوا من عدة فبعث اليه ابن الاغلب بعساكر كانت له معهم حروب
عظيمة وخطوب عديدة وأبواب كثيرة آلت الى غلب أبي عبد الله وانتشارا اصحابه من كرامة في البلاد فصار
يقول المهدى يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيا طوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وأخذ يفرى الناس بان
الاغلب وبذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسار الى عبيد الله بن محمد
رجالا من كرامة اخبروه بما فتح الله له وانه يتظروا فوافوا عبيد الله بسمية من ارض حمص وكان قد اشترى اوطابه
الخليفة المكتفى ففر منه بانه أبي القاسم وسار الى مصر وكان لهما مقصص مع النوشري عامل مصر حتى خلاصا
منه ولحقا بلاد المغرب وبلغ ابن الاغلب زيادة الله خبره عبيد الله فأرسل اليه العيون وأقام له الاعوان حتى
قبض عليه بسجاسة وكان عليها اليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنه أبو القاسم وبلغ ذلك ابا عبد الله وقد عظم
أمره فصار وضايق زيادة الله بن الاغلب وأخذ مداهنه شيئا بعد شيئا وصار فيها ينف على مائتي ألف وألح على
القيروان حتى فر زيادة الله الى مصر وملكها أبو عبد الله ثم سار الى رفاة فدخلها أول رجب سنة ست وتسعين
ومائتين وفرق الدور على كرامة وبعث الهمال الى البلاد وجمع الاموال ولم يخاطب باسم أحد فلما دخل شهر ربيع
سار من رفاة فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافه زنانة وغيرها وبعثوا اليه بطاعتهم وسار الى سجاسة ففر منه
اليسع بن مدرار واليه ودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقال هذا المهدى الذي كنت ادعوك
اليه وأركبه هو وابنه ومشي بسائر رؤساء القبائل بين ايديهم ما هو يقول هذا مولاكم ويسكن من شدة الفرح حتى
وصل الى فسطاط ضرب له فأنزل فيه وبعث في طلب اليسع فأدركه وحمل اليه فضر به بالسياط وقتله ثم سار المهدى
الى رفاة فصار بها في آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ولما تمكن قتل ابا عبد الله وأخاه في يوم
الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين فكان هذا ابتداء امر الخلفاء القاطمين

وما زالت كرامة هي أهل الدولة مدة خلافة المهدي عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور
بنصر الله اسماعيل بن القاسم وخلافة معد المعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لمسيرهم اليها مع
القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وهم أيضا كانوا اكابر من قدم معه من الغرب في سنة اثنين وستين
وثلثمائة فلما كان في ايام ولده العزيز بالله نزار اصطنع الديلم والأتراك وقدمهم وجعلهم خاصته قنافسوا
وصار بينهم وبين كرامة تحاسد الى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله
فقدم ابن عمه الكاظمي وولاه الوساطة وهي في معنى رتبة الوزارة فاستبدت بأمور الدولة وقدم كرامة واعطاهم
وحط من الغلمان الأتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا الى برجوان وكان صقليا وقد تآقت
نفسه الى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمه حتى وضعوا منته وعزل عن الامر وتقلد برجوان الوساطة
فاستخدم الغلمان المصطنعين في القصر وزاد في عطايهم وقواهم ثم قتل الحاكم ابن عمه وكثيرا من رجال
دولة أبيه وجده فضعفت كرامة وقويت الغلمان فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لا عزازين الله
على اكثر من اللهو ومال الى الأتراك والمشاركة فانحط جانب كرامة وما زال يتقص قدرهم ويتلاشى امرهم حتى
ملك المستنصر بعده أبيه الظاهر فاستكثر ائمة من العبيد حتى يقال انهم بلغوا نحو اربعين ألف اسود واستكثر
هو من الأتراك وتنافس كل منهم ما مع الآخر فكانت الحرب التي آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم
أمير الجيوش بدر الجاني من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الارمن فصار من حينئذ معظم
الجيوش الارمن وذبحت كرامة وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة واكابر أهلها * (حارة الصالحية)
عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزبك وهي موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى وموضعهما
فيما بين المشهد الحسيني ورجبة الايدمرى وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن
وباقيا متداخلة الى الخراب * قال ابن عبد الظاهر الحارة الصالحية منسوبة الى الصالح طلائع بن رزبك
لان غلمانه كانوا يسكنونها وهي مكانان والصالح دار بجارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة وهي باقية الى الآن
وبها بعض ذريته والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة اليه * (حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة
من طوائف العسكر في الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسيحي * قال ابن عبد الظاهر ولما
نزل بالقاهرة يعني المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة
المعروفة بالبرقية انتهى والى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية

حارة البرقية

* (ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام) *

وذلك ان الصالح طلائع بن رزبك كان قد انشأ في وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل ضرغاما مقدمهم قترقي
حتى صار صاحب الباب وطمع في شاور السعدي لما ولى الوزارة بعد رزبك بن الصالح طلائع بن رزبك فجمع رفقته
وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور فلما كان بعد تسعة اشهر من وزارة
شاور ثار ضرغام في رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده
الاكبر المسيحي بطي وبني شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الوزير رضوان بن
ولحشى فانه كان رفيقا له في تلك الكثرة واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك
المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان كاتبه جليل الصورة ففكه المحاضرة عاقل اكراما لا يضع كرمه
الا في سمعة ترفعه او مدامة تنفعه الا انه كان اذا نام سخيلا على اصحابه واذا ظن في أحد شر اجعل الشك
بيننا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك في وزارته اخواه ناصر الدين همام ونفر الدين حسام وأخذت تفكر
لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته واعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل انه بلغه عنهم انهم يحسدونه
ويضعون منه وان منهم من كاتب شاور وخنه على القدوم الى القاهرة ووعدته بالمعاونة له فأظلم الجوينه وبينهم
وتجزد لا يبايعهم على عادته في اسرع العقوبة واحضرهم اليه في دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبيح
ابن شاهنشاه والظاهر من نفع المعروف بالجواص وعين الزمان وعلي بن الزيد وأسد الفارسي واقاربهم وهم نحو من
سبعين أمرا سوى اتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلت احوالها وضعفت بذهاب اكابرها وفقد
أصحاب الرأي والتدبير وقصد الفريخ ديار مصر فخرج اليهم همام اخو ضرغام وانهمز منهم وقتل منهم عدة ونزلوا

على حصن بليس وملكو بعض السور ثم ساروا وعادهم اعداء ردينا فبعث به ضرغام الى الاسكندرية وبها
الامير مرتفع الجلاوص فأخذه العرب وقاده همام الى اخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة فمأواه الآن قدم
رسل الفريخ على ضرغام في طلب مال الهدنة المقرر في كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار واذ بان الخبير
قد ورد بقدم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه في كثير من الغز فأزجه ذلك وأصبح الناس يوم التاسع
والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وخمسة مائة خائفين على انفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات
والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر أول يوم من جمادى الآخرة فسار الى بليس وكانت له وقعة
مع شاوره انهم فيها وصاروا الى شاور واصحابه جميع ما كان مع عسكرهم همام وأسروا عدة ونزل شاور عن معه
الى اتساع ظاهر القاهرة في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية
والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدة ايام وطواله من العربان فطارده عسكر ضرغام
بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالتمس فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربوه فانهم هزيمة قبيحة
وصاروا الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذي يعرف اليوم بالرصد ومالك مدينة مصر وأقام بها اياما فأخذ ضرغام
مال الايتام الذي كان بمودع الحكيم فكرهه الناس واستعجزوه وما لوا مع شاور قنكر منهم ضرغام وتحدث
بأيقاع العقوبة بهم فزاد بغضهم له ونزل شاور في أرض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وقد خلت
المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية بها وزحف الى باب سبابة وباب القنطرة وطرح النار في اللؤلؤة
وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه وبين اصحاب ضرغام وفي كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا
الى شاور ووعده بأنهم عون له فأنحل أمر ضرغام فأرسل العاضد الى الزمالة يأمرهم بالكف عن الرمي فخرج
الرجال الى شاور وصاروا من بجلته وقترت همة أهل القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى شاور
فامر ضرغام بضرب الابواق لتجتمع الناس فضربت الابواق والطبول ما شاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه
أحد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من ابواب القصر ومعه خمسة مائة فارس فوقف وطلب من الخليفة
أن يشرف عليه من الطاق ونصرع اليه وأقسم عليه بأبائه فلم يجبه أحد واستقر واقفا الى العصر والناس تفعل
عنه حتى بقي في نحو ثلاثين فارسا فوردت عليه رقعة فيها خذ نفسك وانج بها واذا بالابواق والطبول قد دخلت
من باب القنطرة ومعه عساكر شاور فخر ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه
القوم فأردوه عن فرسه قريبا من الجسر الاعظم فيما بين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه في سلج جمادى الآخرة
وفر منهم اخوه الى جهة المطرية فأدركه الطاب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل اخوه الآخر عند بركة
القليل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته تسعة اشهر وكان من اجل
اعيان الامراء وأنشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدتهم رميا بالسهم ويكتب مع ذلك كتابه ابن مقله
وينظم الموشحات الجيدة ولما جىء براسه الى شاور رفع الى قفاه وطيف به فقال اتقبه عمارة

ارى جنك الوزارة صار سيفا * يحز بحظه جيد الرقاب

كانك رائد البلوى والا * بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فان البلايا والمنايا من حينئذ تابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف
ولله عاقبة الامور * (حارة العطوفية) هذه الحارة تنسب الى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية
وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدام القصر وهو عطوف غلام الطويلة وكان قد خدم
ست الملائكة الحماكم قال وسكنت يعني الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة ولله در الاديب ابراهيم
المعمار اذ يقول مواليا يستمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيها تورية

في الجودوبه رأيت صورده هلاليه * للباطليه تميل لالاعطوفيه

لها من اللؤلؤة ثغر ين منشيه * ان حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من اجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمسااجد ما لا يدخل
تحت حصر وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها وما نزلها وأخت او حش من وتد عير في قاع وعطوف هذا
كان خادما اسود قتلته الحماكم بجماعة من الاتراذ وقضوا له في دهليز القصر واحتزوا رأسه في يوم الاحد لاحدى

حارة العطوفية

حارة الجوائية

عشرة خلت من مفرسنة احدى واربعائة قالة المسيحي * (حارة الجوائية) كان يقال لهذه الحارة اولاً حارة الروم الجوائية ثم ثقل على الالسنه ذلك فقال الناس الجوائية وكان أيضاً يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوائية وقال المسيحي وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الامانات في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة قد ذكر أنه كتب اماناً للعرافة الجوائية فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوائية قال ابن عبد الظاهر قال لي مؤلفه القاضي زين الدين وقفه الله ان الجوائية منسوبة للاشراف الجوائين منهم الشريف النسابة الجوائى قال مؤلفه رحمه الله فعلى هذا يكون فتح الجيم فان الجوائى بفتح الجيم وتشديد الواو وقمها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة الى جوان على وزن حران وهي قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى القول الاول تكون الجوائية بفتح الجيم أيضاً مع فتح الواو وتشديد هاء فان أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة او الدار براولما دخل جوابضم الجيم وهو خطأ ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لانها من خارج القصر ويكتبون حارة الروم الجوائية لانها من داخل القاهرة ولا يصار اليها الا بعد المرور على القصر وكان موضعها اذ ذلك الزمن وراء القصر خلف دار الوزارة والمجر فكانها في داخل البلد ولذلك أصل قال ابن سيده في مادة (ج و) من كتاب المحكم وجو البيت داخله لفظة شامية قعين فتح الجيم من الجوائية ولا عبرة بما تقوله العاتقة من ضمها * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوائى ابن الحسن بن محمد الجوائى ابن عبيد الله الجوائى بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وقيل لمحمد بن عبيد الله الجوائى بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوائية وكانت قسبي البصرة الصغرى نذراتها وغلاها لا يطلب شي الا وجد بها وهي قرية من صرار ضيعة الامام أبي جعفر محمد بن علي الرضى وكانت الجوائية ضيعة لعبيد الله فتوفي عنها فورئها بعده ولده وأزواجه فاشترى محمد الجوائى ولده بما حصل له باليراث الباقي من الورثة فحصلت له كاملة فعرف بها فقيل الجوائى قال ولم تزل اجداد مؤلفه يبغداد الى حين قدوم ولده اسعد التتوي مع أبيه من بغداد الى مصر ومولده بالموصل في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة * (حارة البستان) ويقال لها حارة بستان الممودى وحارة الاكراد أيضاً وهي الآن من جملة الوزيرية التي تقدم ذكرها * (حارة المراتحية) هذه الحارة عرفت بالطائفة المراتحية احدى طوائف العسكر قال ابن عبد الظاهر خط باب القنطرة يعرف في كتب الاملا القديمة بالمرتاحية * (حارة الفرحية) بالحلاد المجلجلة كانت سكن الطائفة الفرحية وهي بجوار حارة المراتحية فالى يومنا هذا فيما بين سوق أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء وكانت عبيد الشراء عدة طوائف وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون الى ميمون وهو أحد الخدام * (حارة فرج) بالجيم كانت تعرف قديماً بدرب النيمى ثم عرفت بالامير جمال الدين فرج من امراء بني ايوب وهي الآن داخله في درب الطفل من خط قصر الشوك * (حارة قائد القواد) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا وكانت اولاً تعرف بحارة قائد القواد لان حسين بن جوهر الملقب قائد القواد كان يسكن بها فعرفت به * وهو حسين بن القائد جوهر أبو عبد الله الملقب بقائد القواد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه وجعله في رتبة أبيه ولقبه بالقائد بن القائد ولم يعرض لشي مما تركه جوهر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استداناه ثم انه قلده البريد والانشاء في شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة وخلع عليه وجهه على فرس بموكب وقاد بين يديه عدة افرام وحمل معه ابا كثيرة فاستخاف ابا منصور بشر بن عبيد الله بن سوري الكاتب النصراني على كآبة الانشاء واستخلف على أخذ رفاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلى * ولما تقلد برجوان النظر في تدبير الامور وجلس للوساطة بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه في داره ويركبون جميعاً بين يديه من داره الى القصر ما خلا القائد الحسين ومحمد بن النعمان القاضي فانهم كانوا يسمون عليه بالقصر فقط فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدم خلع على القائد حسين ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة تسعين وثلاثمائة ثوباً احمر وعمامة زرقاء مذهب وقلده سيفاً محلي بذهب وجهه على فرس يسرج ولباس من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة افرام بمراكبها وحمل معه حسين ثوباً صحاح من كل نوع ورذ اليه التوقيعات والنظر في امور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان ولم يطلق عليه اسم وزير فكان يسمى بكر الى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصراني كاتب برجوان

حارة البستان
حارة المراتحية
حارة الفرحية

حارة فرج

حارة قائد القواد

فينظران في الامور ثم يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة فيكون القائد جالساً وفهد من خلفه قائماً ومنع القايد
 الناس أن يلقوه في الطريق أو يركبوا اليه في داره وان كان له حاجة فليبلغه اياها بالقصر ومنع الناس من
 مخاطبته في القاع بسيدنا وأمر أن لا يخاطب ولا يكاتب الا بالقائد فقط وتشد في ذلك لخوفه من غير الحاكم
 حتى انه رأى جماعة من القواد الاثرالقياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم كلنا
 عبيد مولانا صلوات الله عليه ومما ليك ولست والله ابرح من موضعي أو تنصرفوا عني ولا يلقاني أحد الا في القصر
 فانصرفوا وأقام بعد ذلك خدماً من الصقالية الطراذين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجيء الى داره ومن لقائه
 الا في القصر وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلي صاحب الستر أن يوصل الناس بأسرهم الى الحاكم وأن لا يمنع
 أحداً عنه * فلما كان في سابع عشر جمادى الآخرة قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين
 بقائد القواد وخلع عليه * وما زال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر اهل الدولة
 في القصر بعد ما طلبوا وخرج الامر اليهم أن لا يقام لاحد وخرج خادم من عند الخليفة فأمر الى صاحب
 الستر كل ما فصاح صالح بن علي فقام صالح بن علي الروادي بمقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده وهو
 لا يعلم هو ولا أحد ما يريد به فأدخل الى بيت المال وخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود
 فأجلسه بحضرة قائد القواد وخرج سجلاً قرأه ابن عبد السميع الخطيب فاذا فيه رد سائر الامور التي ينظر فيها
 قائد القواد حسين بن جوهر اليه فعند ما سمع من السجل ذكره قام وقبل الارض فلما انتهت قراءة السجل قام قائد
 القواد وقبل خذ صالح وهناه وانصرف فكان يركب الى القصر ويحضر الاسطة الى اليوم الثالث من شوال
 أمره الحاكم أن يلزم داره وهو وصهره قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان وأن لا يركبها ما وسائر اولادهما
 فلبس الصوف ومنع الناس من الاجتماع بهما وماروا يجلسون على حصر فلما كان في ناسع عشر ذي القعدة
 هـ فاعنهما الحاكم وأذن لهما في الركوب فركبا الى القصر بزيمهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال الحزن * فلما
 كان في حادي عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين
 ابن جوهر ففر هو وابنه في جماعة وكثر الصياع بدار عبيد العزيز وغلفت حوايت القاهرة وأسواقها فأفرج
 عنه ونودي أن لا يغلق أحد فرد حسين بعد ثلاثة ايام بابنه وتخلوا بحضرة الحاكم فعفا عنهم وأمرهم بالمصير الى
 دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى اولادهما وكتب لهما أمانان ثم أعيد عبد العزيز
 في شهر رمضان الى ما كان يتقلده من النظر في المظالم ثم رد الحاكم في شهر ربيع الاول سنة اربع مائة على
 حسين بن جوهر واولاده وصهره عبد العزيز ما كان لهم من الاقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك * فلما كان ليلة
 التاسع من ذي القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع اموالهم وسلاحهم فسير الحاكم الخيل في طلبهم نحو
 دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدته الحاكم يتعلق بما
 يقبض من اموال من يسخط عليه وحل سائر ما وجد لهم بعد ما ضبط وخرجت العساكر في طلب حسين ومن معه
 واشيع أنه قد صار الى بني قرة بالجيرة فأنفدت اليه الكتب بنأ منه واستدعائه الى الحضور فأعاد الجواب
 بأنه لا يدخل ما دام أبو نصر ابن عبدون النصراني الملقب بالكافي ينظر في الوساطة ويوقع عن الخليفة فاني
 احسنت اليه ايام نظري فسيبني الى أمير المؤمنين ونال مني كل منال ولا اعود أبداً وهو وزير قصر ابن
 عبدون في رابع المحرم سنة احدى واربع مائة وقدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من
 خرج معهم وأخرج جميع أهل الدولة الى لقائه وتلقته الخلع فأقبضت عليه وعلى اولاده وصهره وقيد بين ايديهم
 الدواب فلما وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا بحضرة الحاكم
 ثم خرجوا وقد عفا عنهم وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد ويكون اسمه تالياً للقبه وأن يخاطب بذلك وانصرف
 الى داره فكان يوماً عظيماً وحل اليه جميع ما قبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه وواصل الركوب وهو عبد
 العزيز ابن النعمان الى القصر ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز وابنه ثلاثة ايام ثم حلفا انهما لا يقبضان عن الحضرة
 وأشهدا على انفسهما بذلك وأفرج عنهما وحلف لهما الحاكم في امان كتبه لهما * فلما كان في ثاني عشر جمادى
 الآخرة سنة احدى واربع مائة ركب حسين وعبد العزيز على رصمهما الى القصر فلما خرج للسلام على الناس
 قيل للعسين وعبد العزيز وأبي علي أخي الفضل اجلسوا الامر تريده الحضرة منكم فجلس الثلاثة وانصرف الناس

فقبض عليهم وقتلوا في وقت واحد وأحيط بأموالهم وضياعهم وودورهم وأخذت الامانات والسجلات التي
كتب لهم واستدعى اولاد عبد العزيز بن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدها بالجيل وخلق عليهم وجلاوا
والله يفعل ما يشاء * (حارة الامراء) ويقال لها أيضا حارة الامراء الاشرف الاقارب وموضعها يعرف
بدرب شمس الدولة وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى * (حارة الطوارق) ويقال لها أيضا حارة صبيان
الطوارق وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معتدين لجل الطوارق وموضع هذه الحارة في طريق من سلك من
الريق سوق الخلعين داخل باب زويلة طالبها بالباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذي يقال له اليوم حلق الجمل
السالك الى درب ارقطاي * (حارة الشراية) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشراية
احدى طوائف العسكر وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق * (حارة الدميري وحارة الشاميين) هما من
جملة العطوفية * (حارة المهاجرين) وموضعها الآن من جملة المكان الذي يعرف بالريق المعدل سوق الخلعين
بجوار باب زويلة وكان بعد ذلك سوق الخشابين ثم هو الآن سوق الخلعين وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة
التي كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فسيحة النصراني الكاتب وهي الخوخة التي يسلك اليها من الزقاق المقابل
لحمام القاضل المعدل دخول النساء ويتوصل منها الى درب كوزا الزير بحجارة الروم وقد صارت هذه الحارة
تعرف بدرب ابن الجندار وسيأتي ذكره ان شاء الله * (حارة العدوية) قال ابن عبد الظاهر العدوية هي
من باب الخشبية الى اول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلاكي الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هناك
وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذي تلقاه عند خروجه من زقاق حمام خشبية الذي يتوصل اليه من
سوق باب الزهومة فاذا انتهت الى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت في حارة العدوية وموضعها الآن
من فندق بلال المغني الى باب سر المارستان وتدخل في العدوية رحبة يبرس التي فيها الآن فندق الرخام
عن يمينك اذا خرجت في الرحبة المذكورة التي صارت الآن دربا الى باب سر المارستان وما عن يسارك الى حمام
الكرينك وحمام الجويني الذي تقول له العاتة الجهني والى سوق الزاجيين وكل هذه المواضع هي من حقوق
العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشف وحارة زويلة وبين سقفة
العداين والصاغة القديمة التي صار موضعها الآن سوق الحرير بين الشرايين برأس الوراقين وسوق
الزاجيين * (حارة العيدانية) كانت تعرف اولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبابية من أجل البستان
الذي يعرف بالحبابية الجاري في وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ويتوصل الى هذه الحارة من تجاه
قطرة اق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبابية وبعضها يطل على بركة القيل * (حارة الجزين)
كانت اولا تعرف بالحبابية ثم قيل لها حارة الجزين من اجل ان جماعة من الجزين نزلوا بها منهم الحاج يوسف
ابن فائق الجزى والجزيون ايضا ينسبون الى حمزة بن ادركه الساري خرج بخراسان في ايام هارون بن محمد الرشيد
فمات وأفسد وفض جوع عيسى بن علي عامل خراسان وقتل منهم خلقا وانهم زم عيسى الى بابل ثم غرق حمزة بواد
في كرمان فعرفت طائفته بالجزية واخوه ضرغام بن فائق بن ساعد الجزى والحاج عوفى الطحان ابن يونس بن فائق
الجزى ورضوان بن يوسف بن فائق الجزى الجماعي واخوه سالم بن يوسف بن فائق الجزى وكان هؤلاء بعد سنة
ستمائة وهذه الحارة خارج باب زويلة * ومن بلاد افريقية قرية يقال لها حمزى ينسب اليها محمد بن حمد بن خلف
القيسي الجزى من أهل القرية وقاضيا توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت
الى أهل قرية حمزة هذه لثروا لهم ما كنزول بني سوس وكامة وغيرهم في المواضع التي نسبت اليهم * (حارة بني
سوس) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها * (حارة اليانسية) تعرف
بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية منسوبة لخادم خصي من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن
يونس الصقلي خلفه على القاهرة فلما مات العزيز أقامه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلق عليه
وجله على فرسين فلما كان في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة سار لولاية بركة بعدما خلق عليه واعطى خمسة
آلاف دينار وعتدة من الخيل والسياب * قال ابن عبد الظاهر اليانسية خارج باب زويلة اظنها منسوبة ليونس
وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ويعرف بيونس الفاسد وكان ارمي الجنس وسمى
الفاسد لانه فسادا لأمير حسن بن الحافظ وتركه محمولا فصاده حتى مات وله خبر غريب في وفاته كان الحافظ

حارة الامراء

حارة الطوارق

حارة الشراية

حارة الدميري

وحارة الشاميين

حارة المهاجرين

حارة العدوية

حارة العيدانية

حارة الجزين

حارة بني سوس

حارة اليانسية

قد نقيم عليه اسماء طلب قتله بها باطنا فقال لطيبه ا كفى امره بما كل او مشرب فأبى الطبيب ذلك خوفاً أن يصير عند الحافظ بهذه العين وربما قتله بها والحافظ يحثه على ذلك فاتفق لياس الوزير المذكور انه مرض برزحروا الحافظ خاطب الطبيب بذلك فقال يا مولاي قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك ولو أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن احدوته وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة فبحسب ما سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم بقاء مولانا وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه اوهاه من اناته جعل اليانسية منسوبة لياس الوزير وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا جملة طويلة ومنه انه ادعى ان حسن بن الحافظ مات من فسادة وليس كذلك وانما مات مسموماً ومنها انه زعم ان يانس قولى فصدده وليس كذلك بل الذى قولى قتله بالسم أبو سعيد ابن فرقة ومنها ان الذى نقيم عليه الحافظ من الامراء نخانه في ابنه حسن انما هو الامير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجباب راغب وهذا نص الخبر قزى بالك والله تعالى أعلم

*** (ذكر وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يانس الارمنى) ***

وكان من خبر ذلك ان الخليفة الامير باحكام الله أباعلى منصور الماقتله التزارية في ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامع العدل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد في الخلافة كفيلاً للعمل الذى تركه الامير ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فتار الجند وأقاموا أباعلى احمد الملقب بكتيفات ولد الانضلى ابن امير الجيوش في الوزارة وقتل هزبر الملوك واستولى كتيفات على الامر وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيداً الى ان قتل كتيفات في المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى القصر ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب الى الخزانة التى فيها الحافظ واخرجوه الى الشباك واجلسوه في منصب الخلافة وقالوا له والله ما حركنا على هذا الا الامير يانس فجازاه الحافظ بأن قوض اليه الوزارة في الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة وكان عاقلامها باعتمسكا متحفظا لقوانين الدولة فلم يحدث شيئاً ولا خرج عايبه الخليفة له الا انه بلغه عن استاذ من خواص الخليفة شئ يكرهه فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة وضرب عنقه بجزاة البنود فاستوحش منه الخليفة وخشى من زيادة معناه وكانت هذه الفعلة غلطة منه ثم انه خاف من صبيان الخاص ان يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتسكرواهم وتحفوه أيضاً فركب في خاصته واركب العسكر وركب صبيان الخاص فكانت بينهم وقعة قبالة باب التباين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص ما يزيد على ثلثمائة رجل من اعيانهم فيهم قتله أبى على كتيفات وكانوا نحو الخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم واشتد بأس يانس وعظم شأنه فنقل على الخليفة وتحيل منه فأحسن بذلك فأخذ كل منهم في التدبير على الآخر فأجمل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضى انقضاة رداى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلها فاستد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال ا كفى امر يانس فيقال انه سمه في ماء المستراح فافتح دبره واتسع حتى ما بقى بقدر على الجلوس فقال الطبيب يا امير المؤمنين قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك فلو أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن احدوته فان هذا المرض ليس له دواؤه الا الدعة والسكون ولا شيء أضر من الحركة والانزعاج وهو اذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه ففعل نفسه لعيادته وعند ما بلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدي الخليفة فأطال الجلوس عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت امعاء يانس ومات من ليلته في سادس عشر ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت وزارته تسعة أشهر واما ما وترك ولدين كفلهما الحافظ واحسن اليهما وكان يانس هذا مولى ارمينيا بالاديس جد عباس الوزير فاهداه الى الافضل بن أمير الجيوش وترقى في خدمته الى ان تأمر نمولى الباب وهى أعظم رتب الامراء وكفى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد ثم لماولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الاسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشتر شديد الهيبة

*** (ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ) ***

ولما مات الوزير يانس قولى الخليفة الحافظ الامور بنفسه ولم يستوزر أحداً وأحسن السيرة فلما كان في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد الى ولده سليمان وكان اسن أولاده واحبهم اليه وأقامه مقام الوزير فمات بعد

شهرين من ولاية العهد فجعل مكانه أخاه حيدرة في ولاية العهد ونصبه للنظر في المطالم فشق ذلك على أخيه الامير حسن وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشي وحاشية وديوان مفرد فسمى في نقض ذلك بأن اوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية وكانت الريحانية قوية الشوكه مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين وصاح الجند باحسن يا منصور يا الحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الواقعة اول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية الا من نجى بنفسه من ناحية المقدس وألقى نفسه في بحر النيل واستظهر الامير حسن وقام بالامر وانضم اليه أوباش الناس ودعاهم ففرق فيهم الزرد وسماههم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتقوا به وصاروا لا يفارقونه فان ركب أحاطوا به وان نزل لازموه فقامت قامة الناس منهم وشرع في تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خاف منه وتغيبا فجد في طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم حرمة القصر وخرق ناموسه وساطهم يقتشون القصر في طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة واشتد بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجزوه على الاذى فلم يجد الحافظ بدا من مداواة حسن وتلافي أمره عساه ينصلح وكتب بجلا بولايته العهد وأرسله اليه فقرأ على الناس ما زاده ذلك الاجراء عليه وافساد له وشد في التصديق على أبيه وأخذ بانفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالاستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية قضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن وجع اعمالا يخصصها الا لله وسار بهم فبلغ ذلك حسنا فزع عسكر اللقاء اسعاف فالتقيا وكانت بينهما واقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل وغرق اكثرهم في البحر وأخذ اسعاف أسيرا فحمل الى القاهرة على جمل وفي رأسه طرطور ليد أحر فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمى من القصر الغربي باستاذ آخر فقتل وقتل الامير شرف الدين فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكاد انه بأن اتى اليه تلك الورقة وفيها ياولد انت على كل حال ولدى ولو عمل كل منال صاحب ما يكره الا آخر ما أراد أن يصيبه مكره ولا يحتمل قلبى وقد انتهى الامر الى امراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معولون على قتلك فخذ حذرک يا ولدى فعند ما وقف حسن على الورقة غضب ولم يأت أن يبعث الى اوائك فلما صاروا اليه امر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من اعيان الامراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر ما فيها فاشتدت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقى من الجند ونفروا منه فانه كان جريا مفسدا شديدا الفحص عن احوال الناس والاستقصاء لاخبارهم يريد اقلاب الدولة وتغييرها ليقدم اوباشه واكثر من مصادرة الناس وقتل قاضي القضاة أبا الترياحيم لانه كان من خواص أبيه وقتل جماعة من الاعيان ورد القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدت الوحشة بينه وبين الامراء والاجناد وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن وصاروا يدا واحدة واجتمعوا بين القصر بن وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل وسيروا الى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه ان يزيله من ولاية العهد فيجوز حسن عن مقاومتهم فانه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغزاة فتهير وخاف على نفسه فالتجأ الى القصر وصار الى أبيه الحافظ فها هو الا ان تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث الى الامراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فرد عليهم انه قد صرفه عنهم ولا يمكنه أبدا من التصرف ووعدهم بالزيادة في الارزاق والاقطاعات وان يكفوا عن طلب قتله فألحوا في قتله وقالوا اما نحن واما هو اشتد طلبهم اياه حتى احضروا الاحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا في التجزى على الخليفة فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله وسألهم ان يمهلوه ثلاثا فأجابوا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث فواسع الحافظ الا ان استمدى طبيبه وهما أبو منصور اليهودي وابن قرفة النصراني وبدأ بأبي منصور وفاوضه في عمله سقية قاتله فاستمع من ذلك وحلف بالتوراة انه لا يعرف عمل شئ من ذلك فتركه وأحضر ابن قرفة وكله في هذا فقال الساعة ولا يتقطع منها جسده بل تفيض النفس لا غير فأحضر السقية من يومه فعمها الى حسن مع عدة من الصقالبة وماروا بكرهونه على شربها حتى فعل ومات في العشرين من جادى الاخرة سنة تسع وعشرين وخمس مائة فبعث الحافظ الى القوم سرا يقول قد كان ما أردتم فامضوا الى دوركم فقالوا لا بد ان يشاهده منا من شق به

وندبوا منهم أميرا معروفا بالجراءة والشريفة قال له المعظم جلال الدين محمد ويعرف بجلب راعب الأحرى فدخل
الى القصر وصار جنب حسن فاذا به قد سجي ثوب فكشف عن وجهه واخرج من وسطه آلة من حديد وغرزها
في عدة مواضع من بدنه الى ان يتقن انه قد مات وعاد الى القوم واخبرهم فنفقوا وعندما سكنت الدهمما قد
الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانه البنود وانهم بجميع ما كان له على ابي منصور اليهودي وجعله رئيس الاطباء فهذا
ما كان من خبر يانس وكيفية موته وخبر حسين والخبر عن قتله * (حارة المنتحبة) قال ابن عبد الظاهر بلغني
ان رجلا كان يتعجب لشمس الدين قاضي زاده كان يقول ان هذه الخطة منسوبة لجنده منتخب الدولة
* (الحارة المنصورة) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جدا في ساعة مساكن السودان فلما كانت واتعتهم
في ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسائة كما تقدم في ذكر حارة بهاء الدين امر صلاح الدين يوسف بن أيوب
بتحريب المنصورة هذه وتغصية أثرها فخر بها خطيبا بن موسى الملقب صارم الدين وعمله ابستانا وكان للسودان
بديار مصر شوكة وقوة فتبعهم صلاح الدين بيلاد الصعيد حتى افناهم بعد أن كان لهم بديار مصر في كل قرية ومحلة
وضيعة مكان مفر لا يدخله وال ولا غيره احتراما لهم وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفا واذا ناروا على وزير قتلوه
وكان الضرر بهم عظيما لا متداد أيدعهم الى أموال الناس واهاليهم فلما كثر بغيتهم وزادت عديتهم اهلكهم الله
بذنوبهم وفي واقعة السودان وتحريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذي تقدم ذكره يقول العماد الاصفهاني
الكاتب مخاطب بهاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

بالمالك الناصر استنارت * في عصرنا أوجه الفضائل
* يوسف مصر الذي اليه * نشدت آمالنا الرواحل *
* رأيك في الدهر عن رزايا * جلي مهماته الجلائل *
* اجريت نيلين في تراها * نيل نجيع ونيل نائل *
* كم كرم من نذ الجار * وكم دم من عدك سائل *
* وكم معاد بلا معاد * ومستطيل بغير طائل *
* وحاسد كاسد المساعي * وسائد نافق الوسائل *
* اقررت عين الاسلام حتى * لم يبق فيها قذى لباطل *
* وكيف يزهي بملك مصر * من يستقل ذبا لنائل *
* وما نقيت السودان حتى * حكمت البيض في المقاتل *
* صيرت رجب الفضاض بقا * عليهم كفه لجائل *
* وكل راي منهم كرا * وارض مصر كلام واصل *
* وقد خلت منهم المغاني * وأقمرت منهم المنازل *
* وما اصبوا الا بطل * فكيف لو امطروا بوابل *
* وقد تجلي بالحق ما بال * باطل في مصر كان عاجل *
* والسود بالبيض قد تنحوا * فهي بوادهم نوازل *
* مؤتمن القوم خان حتى * غالته من شر الغوائل *
* عاملكم بالحناء فاضحى * ورأسه فوق رأس عامل *
* وحالف الذل بعد عز * والدهر أحواله حوائل *
* يا مخجل البحر بالأيادي * قد آن أن تفسخ السواحل *
* تقدس قدس من خبات * ارجاس كفر غم ارادل *

وكان موضع المنصورة على يمينه من سلك في الشارع خارج باب زويلة قال ابن عبد الظاهر كانت للسودان حارة
تعرف بهم تسمى المنصورة خرج بها صلاح الدين وأخذها خطيبا فعمرها بستانا وحوضا وهي الى جانب الباب الحديد
يعني الذي يعرف اليوم بالقوس عند رأس المنتحبة فيما بين الهلالية وقد حصر هذا البستان في الايام
الظاهرة وبعضها يعني المنصورة من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسلام ويسمى الآن بحكر

حارة المنتحبة

حارة المنصورة

الفتي لان الفتى هذا كان شرع بستان سيف الاسلام فذكر في هذه الجهة وهي الآن احكار الديوان السلطاني
وحرك الفتى الذي كان بستان سيف الاسلام يعرف اليوم بدرب ابن البابا اتجاه السندقدارية بجوار حمام
الفارقاتي قريب من صليبة جامع ابن طولون * (حارة المصامدة) هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة أحد
طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين واختطت في وزارة المأمون البطايحي وخلافة الأمر بأحكام الله بعد سنة
خمس عشرة وخمسمائة قال ابن عبد الظاهر حارة المصامدة قدمهم عبد الله المصمودي وكان المأمون البطايحي
وزير الخليفة الأمر بأحكام الله قدمه وتوهمه بذكره وسيل له أبوابه للبيت عليها وأضاف اليه جماعة من أصحابه
فلما استخلص المصامدة وقر بهم سيراً بأبكر المصمودي ليختار لهم حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد
فلم يجد بها مكاناً ووجد هاتضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد
على يمينه الخارج على شاطئ بركة القيل فقال بل تكون على يسرة الخارج والفسح قد أمها إلى بركة القيل فبنيت
الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبني بجانبها مسجد على زلافة الباب المذكور وبني أبو بكر
المصمودي مسجداً أيضاً وهذه فيما أعتقد هي الهلالية وحذر من بناء شيء قبلتها في الفضاء الذي بينها وبين بركة
القيل لاتقاع الناس بها صار ساحل بركة القيل من المسجد قبالة هذه الحارة إلى آخر حصن دورية مسعود
إلى الباب الحديد ولم يزل ذلك إلى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله قال وبني في صف هذه الحارة من قبلها
عدة دور بجوانب تحتها إلى ان اتصل البناء بالمسجد الثلاثة الحاكمة المعقدة والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون
وبعد هابستان ذكر أنه كان في جملة قاعات الدار المذكورة قال وأطلق المساجد هي التي قبالة حوض الجاولي
قال وبني المأمون ظاهره حوضاً وأجرى الماء له وذلك قبالة مشهد محمد الأصغر ومشهد السيدة سكيئة قال وأطلق
هذا البستان هو الذي بنته شجرة الدربستاناودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة قال وأمر المأمون
بالدعاء في القاهرة مع مصر ثلاثة أيام بأن من كانت له دار في الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن ان يعمره
فليؤجره من غير نقل شيء من اتقائه ومن تأخر بعد ذلك فلاحق له في شيء منه ولا حكر يلزمه وإباح نعمه ذلك
جميعه بغير طلب بحق فيه فطلب الناس كافة ما هو جار في الديوان السلطاني وغيره وعمره حتى صار البلدان
لا يتخلفها ما دثر ولا دار من وبني في الشارع يعني خارج باب زويلة من الباب الحديد إلى الجبل عراضاً وهو القلعة
الآن قال وكان الخراب استولى على تلك الأماكن في زمن المستنصر في أيام وزارة البازوري حتى انه كان بني
حائطاً بستر الخراب عن نظر الخليفة إذا توجه من القاهرة إلى مصر وبني حائطاً آخر عند جامع ابن طولون قال وعمر
ذلك حتى صار المتعشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الأخيرة بالقاهرة ويتوجهون إلى مساكنهم
في مصر لا يزالون في ضوء وسرج وسوق موقود إلى باب الصفا وهو المعاصر الآن وذلك انه يخرج من الباب الحديد
الحاكمي على يمين بركة القيل إلى بستان سيف الاسلام وعدة بساتين وقبالة جميع ذلك حوائط مسكونة عامرة
بالمعيشين إلى مصر والمعاش مسرة الليل والنهار * (حارة الهلالية) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج
من الباب الحديد الحاكمي * (حارة البيازرة) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج من شرقه فيما بين
زقاق الكحل وباب القنطرة حيث الموضع التي تعرف اليوم ببركة جناح والكداشين وإلى قريب من حارة بهاء الدين
واختطت هذه الحارة في الأيام الأمامية وذلك ان زمام البيازرة شكاضيق دار الطيور بمصر وسأل ان يفسح
للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش إلى الماء فاذن له في ذلك
فاختطوا هذه الحارة وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج وفي كل دار باب سر ينزل منه إلى الخليج واتصل بنا
هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم وسميت بحارة البيازرة واحدهم باز يارثم ان المختار الصقلي زمام القصر
انشأ بجوارها بستاناً وبني فيه منظر عظيم وهذا البستان يعرف اليوم موضعه ببستان ابن مريم خارج باب
الفتوح فلما كثرت العمائر في حارة البيازرة أمر الوزير المأمون بعمل الاقنة لشيء الطوب على شاطئ الخليج
الكبير إلى حيث كان البستان الكبير الجيوشي الذي تقدم ذكره في ذكر مناظر الخلفاء ومنزلاتهم * (حارة
الحسينية) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية قال المسيحي في حوادث سنة خمس وتسعين
وثماتة وأمر بعمل شونة مما يلي الجبل ملئت بالسنت واليصوص والحقافيندي بهملها في ذي الحجة سنة
أربع وتسعين وثماتة إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين فحفر قلوب الناس من ذلك جزع شديد وظن كل

حارة المصامدة

حارة الهلالية
حارة البيازرة

حارة الحسينية

من يتعاقى بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ان هذه الشئونة عملت لهم ثم قويت الاشاعات وتحدث الغوام في الطرقات انها للكتاب وأصحاب الدواوين واسبابهم فاجتمع سائر الكتاب وخروجوا بجمعهم في خامس ربيع الاول ومعهم سائر المتصرفين في الدواوين من المسلمين والنصارى الى الرماحين بالقاهرة ولم يزالوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر فوققوا على باب يدعون ويتضرعون ويفخون ويسألون العفو عنهم ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم الى ان دخلوا باب القصر الكبير وسألوا ان يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساعي يسي بهم وسلوا رقتهم الى قائد القواد الحسين بن جوهر فأوصلهم الى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فاجيبوا الى ما سألوا وخرج اليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم فانصرفوا بعد العصر وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمان لهم والعفو عنهم وقال في ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فكتب ما شاء الله من الامانات للغلمان الاثر الخاصة وزمامهم وأمرهم من المداينة والكيورية والغلمان العرفاء والمالكي وصيدان الدار وأصحاب الاقطاعات والمرزقة والغلمان الحاكمة القدم على اختلاف اصنافهم وكتب امان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعد ما تجمعوا واداروا الى تربة للعزير بالله ونحو ابالكاء وكشفوا رؤسهم وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبيل والغلمان الشراية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم والنقباء والروم المرزقة وكتبت عدة أمانات للزوبليين والبنادين والطبايعين والبرقيين والعطوفيين والعرفاء الجوانية والجودرية والنفطرية والاصناف الجيوشية والعبيد الشراة الحسينية والمعمونة والفرحية وامان مؤذني ابواب القصر وأمانات لسائر البياضرة والفهادين والحاليين وأمانات اخر لعدة اقوام كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم وقال في جمادى الآخرة وخرج أهل الاسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب امان يكون لهم فكتب فوق المائة سجل بامان لاهل الاسواق على طبقاتهم نسخة واحدة وكان يقرأ جميعها في القصر أبو علي "أحمد بن عبد السميع العباسي" ونسلم أهل كل سوق ما كتب لهم وهذه نسخة أحداها بعد السجدة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي - الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله أنكم من الأمنين بامان الله الملك الحق المبين وامان جدنا محمد خاتم النبيين وأبائنا على خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول وصبيه وعليهم أجمعين وامان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمتد يد بسوء اليكم الا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمسئته وجبه فليوثق بذلك وليعقل عليه ان شاء الله تعالى وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الائمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليما كثيرا) * وقال ابن عبد الظاهر فاما الحارات التي من باب الفتوح ميمنة وميسرة للغارح منه فالميمنة الى الهليلجة والميسرة الى بركة الارمن برسم الريحانية وهي الحسينية الآن وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثمان حارات وهي حارة حامد بين الحارتين المنشية الكبيرة الحارة الكبيرة الحارة الوسطى سوق الكبير الوزيرية وللأجناد بظاهر القاهرة حارات وهي حارة البياضرة والحسينية جميع ذلك سكن الريحانية وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاها الهلالية والشوبك وحجاب والحباينة والمأمونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة واليانسية وحارة أبي بكر والمقس ورأس التبان والشارع ولم يكن للأجناد في هذا الوجه غير حارة عترة للمؤمنين المترجلة وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبرازين والعطارين والجزارين وغيرهم والولاية لا يحكمون عليها ولا يحكم فيها الا ازمة ونواهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التي هي آخر صف الميمنة الى الهليلجة وهي الحسينية الآن لانها كانت سكن الارمن فارسلهم وراجلهم وكان يجمع بها قريب من سبعة آلاف نفس واكثر من ذلك وبها اسواق عدة * وقال في موضع آخر الحسينية منسوبة لجماعة من الاشراف الحسينيين كانوا في الايام الكاملية قدموا من الحجاز فزولوا خارج باب النصر هذه الامكنة واستوطنوها وبنوا بها مداخل صنعوا بها الايام المشبه بالطائفي فسميت بالحسينية ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة وهذا وهم فانه تقدم ان من جملة الطوائف في الايام الحاكمة الطائفة الحسينية وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا ان الحسينية كانت عدة حارات والايام الكاملية انما كانت بعد الستمائة وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينبغي عن ما تقي سنة قد بره * واعلم ان الحسينية شقتان احدهما

ما خرج عن باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح الى الخندق وهذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند في ايام الخلفاء الفاطميين وبها كانت الحارات المذكورة والشقة الاخرى ما خرج عن باب النصر وامتد في الطول الى الريدانية وهذه الشقة لم يكن بها في ايام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر وما بين المصلى الى الريدانية قضاء لابناء فيه وكانت القوافل اذا برزت تريد الحج تنزل هناك فلما كان بعد الحسين وأربع مائة وقدم بدر الجبالى أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة الخليفة المتنصر بالله انشاء بحرى مصلى العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الافضل ابن أمير الجيوش وأبو علي كتيقات بن الافضل وغيره وهي باقية الى يومنا هذا ثم تتابع الناس في انشاء التراب هناك حتى كثرت ولم تزل هذه الشقة مواضع لترب ومقابر اهل الحسينية والقاهرة الى بعد السبع مائة ولقد حدثت عن المشيخة من ادرك بان ما بين مصلى الاموات التي خارج باب النصر وبين دار كهر دأش التي تعرف اليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمرافة معدة لتربيع الدواب به وان ما في مصلى من بحريها التراب فقط ولم تعمر هذه الشقة الا في الدولة التركية لاسيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق وجعل الناس الى مصر فزلوا بهذه الشقة وبالشقة الاخرى وعروا بها المساكن ونزل بها أيضا أمراء الدولة فصارت من أعظم عمار مصر والقاهرة واتخذ الامراء منهم من بحريها فيما بين الريدانية الى الخندق مناخات الجبال واصطبلات الخيل ومن ورائها الاسواق والمساكن العظيمة في الكثرة وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصا لما قدمت الاورانية

* (ذكر قدوم الاورانية) *

وكان من خبر هذه الطائفة ان يدوبن طرغاي بن هولاكو لما قتل في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام في المالك من بعده على المغل المالك غازان محمود بن خربنده بن ايعاني تخوف منه عدة من المغل يعرفون بالاورانية وفروا عن بلاده الى نواحى بغداد فقتلوا هناك مع كبيرهم طرغاي وجرحت لهم خطوب آلت بهم الى المحاق بالقرات فاقاموا بها هناك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنه في قطع القررات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعقدوا القررات الى مدينة بهمنسا فاكروهم نائبها وقام لهم بما ينبغي من العلوقات والضباقات وطولع الملك العادل زين الدين كسفا وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم فاستشار الامراء فيما يعمل بهم فاتفق الرأي على استدعاء اكبرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام وخرج اليهم الامير علم الدين سنجر الدوادارى والامير شمس الدين سنقر الاعسر الى دمشق فجاءهم من اكابر الاورانية نحو الثلثمائة للقدوم على السلطان وفتحوا من بقي منهم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل والمقارب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالسكر الى لقاءهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضاء بالنظر اليهم فكان لدخولهم يوم عظيم وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان على طرغاي مقدمهم بأمره طبلخانه وعلى الاصوص بأمره عشرة واعطى البقية تقادما في الخاقعة واقطاعات واجرى عليهم الراتب وانزلوا بالحسينية وكانوا على غير الملة الاسلامية فسحق ذلك على الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذن ذلك بالقاهرة ومصر غلام كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف عنا العذاب فانا * قد تلقتنا في الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانهلقتنا * وانطجنتنا في الدولة المغلية

واما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وسقائة لم يصم احد من الاورانية وقيل للسلطان ذلك فأبى ان يكرهم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان يشوش عليهم احد وأظهر العناية بهم وكان مراده أن يجعلهم عوناً له يتقوى بهم فيلحق في اكرامهم حتى أثر في قلوب امراء الدولة منه احنا وخشوا لبقاعهم فان الاورانية كانوا أهل جنس كسفا وكانوا مع ذلك صورا جميلة فاقبقت بهم الامراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعتقهم فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجهه محل شرفه ثم ما قنع الامراء بما كان منهم بمصر حتى ارسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتسكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الاناث والذكور فوقع

التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة الى ان آل الامر بسبيهم وباسباب أخر الى خلع السلطان الملك العادل كتيفا من الملك في صفر سنة ست وتسعين وستمائة فلما قام في السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لا جين قبض على طرغاي مقدم الاويرانية وعلى جماعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها وقتلهم وفرق جميع الاويرانية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار أهل الحسينية لذلك يومفون بالحسن والجمال البارع وأدركهم ذلك طرفا جديدا وكان للناس في نكاح نسائهم رغبة ولاخرين شغف باولادهم ولله در الشيخ تقي الدين السروجي اذ يقول من ابيات

ياساعى الشوق الذى مذجرى * جرت دموى ففى اعوانه
خذلى جوابا عن كلبى الذى * الى الحسينية عنوانه
ففى كما قد قيل وادى الحى * واهلهما فى الحسن غزلانه
اصنى قليلا وانعطف بسرة * يلقا الدرب طال بنبانه
واقصد بصدر الدرب ذال الذى * بحسنه تحسن جيرانه
سلم وقل يخشى من اى مسن * اشت حديثا طال كتمانته
وسل الى الوصل فان قال بقى * قتل اوت قد طال هجرانه

ومابر حوا يومفون بالزراعة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدور فلان والبدور فلان ويدها نون لباس القوة وحل السلاح ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة من ادركت من الشيخة انه يعرف الحسينية عامرة بالسواق والدور وسائر شوارعها ككافة بازدهام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعاش واصحاب اللهو والمعوب فيما بين الريدانية محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة الى باب الفتوح لا يستطيع الانسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الا بمشقة من الزحام كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما ادركنا وما زال امر الحسينية متماسكا الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وما بعدها تخربت حاراتها ونقضت مبانيها وبيع ما فيها من الاخشاب وغيرها وبادأ أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى وذلك ان فى اعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسرياقوس فساد الارضة التى من شأنها اللعب فى الكلب والثياب فأكلت لشخص نحو ألف وخمسمائة قنة دريس فكلال انزال تنجب من ذلك ثم فشت هنالك وشتمع عشبها فى سقوف الدور وسرت حتى عانت فى اخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر امتعتهم حتى أنلفت شيئا كثيرا وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة الى هدم ما قد بقى من الدور خوفا عليها من الارضة شيئا بدشئ حتى قاربوا باب الفتوح وباب النصر وقد بقى منها اليوم قليل من ككثير يخاف ان استمرت أحوال الاقليم على ما هي عليه من الفساد ان تذر وعى آثارها كاد ترسواها والله در القائل

وانته ان لم يداركها وقد رحلت * بلحمة أو بلطف من لديه خفى

ولم يجد تلافيا على محمل * ما أمرها صائر الا الى تلف

* (حارة حلب) هذه الحارة خارج باب زويلة تعرف اليوم برقاق حلب وكانت قديما من جملة مساكن الاجناد قال ياقوت فى باب حلب الاول حاب المدينة المشهورة بالشام وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم اليوم الثانى حاب الساجود من نواحى حلب أيضا الثالث كفر حلب من قرأها أيضا الرابع محلة بنظاهرة القاهرة بالشارع من جهة القسطنطين والله تعالى اعلم

* (ذكر اخطاط القاهرة وظواهرها) *

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد ان نذكر من الخطط ما لا يطلق عليه اسم حارة ولا درب وهى كثيرة وكل قليل تتغير أسماءها ولا بد من ايراد ما تيسر منها * (خط خان الوراق) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة امير الجيوش وفى شرقه سوق المرجلين وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون وكان موضعه قديما اصطبل الصبيان البحرية لموقف خيولهم كما تقدم فلما زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب

* (خط باب القنطرة) هذا الخط مكان يعرف قديماً بجادة المرتاحية وحارة الفرحية والراميحين وكان ما بين الرماحين الذي يعرف اليوم باب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لاعمار فيه بطول ما بين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذلك على حافة الخليج عمار البتة وانما العمار من جانب الكافورى وهى مناظر للؤلؤة وما جاورها من قبلها الى باب الفرج وتخرج العامة عصرىات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج فان برا الخليج الغربى كان فضاء ما بين بساين وبرك كما سياتى ذكره ان شاء الله تعالى * قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فى شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحي وهدم المساكن وأنلف كثيراً من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخزالباب ستة ارطال بربع درهم والرطب الامهات ستة ارطال بدرهم والموز ستة ارطال بدرهم والريمان الجيد مائة حبة بدرهم والحل الحيار بدرهمين والتين ثمانية ارطال بدرهم والعنب ستة ارطال بدرهم فى شهر ربيع بعد انقضاء موسم المعهود بشهرين واليا من خمسة ارطال بدرهم وآل امر اصحاب البساين الى ان لا يجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن اجرة جعه وثمر الحناء عشرة ارطال بدرهم والبصرة عشرة ارطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما فى مصر لا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لا تقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوء سمكا والزياذة قد طبقت الدنيا والتحل مملوء تمرا والمكشوف من الارض مملوء ريحانا وبقولهم لا ثم زات فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التى بالمقس الى منية السرج غللا لا قد ملأت صبرها الارض فلا يدري الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغله ما قد ستر سواحله وارضه قال ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الاجباز والبعوم والالبان والقواكه ما قد ملاها وهيجت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفى البلد من البغى ومن المعاصى ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال القطر فى نهار رمضان وشرب الخمر فى ليله من يقع عليه اسم الاسلام ومن عدم التكبر على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يهده مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتعيين فى حارة الروم يتعدون فى قاعة فى نهار رمضان كما كانوا يقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر فى ليل رمضان فغنا اقيم فيهم حد وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وينتهى من قبله الى خط بين السورين * (خط بين السورين) هذا الخط من حد باب الكافورى فى الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والاخر مشرف على الشارع المسلول فيه من باب القنطرة الى باب سعادة ويقال لهذا الشارع بين السورين تسمية العامة بها فاشتهر بذلك وكان فى القديم بهذا الخط البستان الكافورى يشرف عليه بجوده الغربى ثمة مناظر للؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يميز السالك فى هذا الشارع من تحتها مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدورها دار العسرو على بابها بئر يستقى منها الماء فى حوض يشرب منه الدواب ويجاورها قبو معقود يعرف بقبة الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب وبجدار الذهب منظر الغزالة وهى بجوار قنطرة الموسكى وقد بنى فى مكانها ربيع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفة وقد صار موضعها جامع ابن المغربى وحمام ابن قرفة وبقي منها البئر التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما بلى شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان ما بين المناظر والخليج جمر احول لم يكن شئ من هذه العمار التى بجافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله فى سنة احدى واربع مائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هناك والطائعات المطلة عليه على ما حكاها السيحى * وقال ابن المامون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بهامدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدروا به الفضل وازالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وانها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولى بابها باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم فى تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم بابا يسيرة فتقدم يعنى أمر الوزير المامون الى متولى الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بنى فى هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وان يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسمهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوز بر يعنى

ابن المغربي خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال ونحو قول الخليفة الى الاولوية بحاشيته واطلقت
 التوسعة في كل يوم المخصص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة
 عينا وورقا وأطعمة للبائسين بالنوبة برسم الحرس بالهار والسهر في طول الليل من باب فتنرة بهادر الى مسجد
 اليمونية من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهبة والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من
 متولى الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ولا يحسن بعضهم بعضا من المنام والرهبة تخدم على الدوام
 * (خط الكافوري) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة وتلك الدولة الفاطمية لدار مصر أنشاء الأمير
 أبو بكر محمد بن طنج بن جف الملقب بالخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم
 جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافرور وقيل له في الدولة
 الفاطمية البستان الكافوري ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولا في كتاب سيرة الاخشيد ولست
 خلون من شوال سنة ثلاثين وثلاثمائة سار الاخشيد الى الشام في عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر ابن طنج قال
 وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع في الخروج الى الشام في آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلا في بستانه
 في موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساءه خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمعود الصابوني يتظلم
 اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطعوه فبطع وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكن فقال الاخشيد هوذا
 يتشاطر فقال له كافرور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم
 ثلاثمائة دينار وجل الرجل الى منزله ميتا وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق
 * وقال في كتاب تقي كآب امراء مصر للكندى وكان كافرور الاخشيدى أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان
 والى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفي غده هذا اليوم يعني يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافرور
 الاخشيدى لعشر بقين من جادى الاولى سنة سبع وخسين وثلاثمائة ويوم مات الاستاذ كافرور الاخشيدى خرج
 الغلمان والجند الى المنطرة وختر بوابستان كافرور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر
 البستان الكافوري هو الذى كان بستانا لكافرور الاخشيدى وكان كثيرا ما يتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل
 الى سنة احدى وخسين وسقائة فاخنت البحرية والعزير يذبه اصطبلات وازيات اشجاره قال ولعمري
 ان خرابه كان بحق فانه كان عرف بالحشيشة التى يتناولها الفقراء والتى تطلع به بضرب بها المثل فى الحسن
 قال شاعرهم نور الدين ابو الحسن على بن عبد الله بن على النبطي لنفسه

رب ليسل قطعه ونديعى * شاهدى وهو سمعى وسميرى
 مجلسى مسجد وشربى من خضراء تره هو بحسن لون نصير
 تحالى صاحبي وقد فاح منها * نشرها من ربا بنشر الغبير
 امن المسك قلت ليست من المسك * ولا كنهان الكافورى

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدى الدمشقي المعروف بالغمورى
 انشدنى الامام العالم المعروف بجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر
 الحنفي لنفسه وهو اول من عمل فيها

* وخضراء كافورية بات فعلها * بألبانافعل الرقيق المعنى
 * اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا فى كل عضو ومنطق *
 غنيت بهما عن شرب خمر معتق * وبالذلق عن لبس الحديد المزق
 وانشدنى الحافظ جلال الدين أبو المعز ابن أبي الحسن بن أحمد بن الصائغ المغربي لنفسه
 عاطى خضراء كافورية * يكتب النجر لها من جندها
 * اسكرتافوق ما تسكرنا * وربحنا أنفسنا من حدها *

وانشدنى لنفسه

قم عاطى خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصبياء
 يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تبه على الامراء

وتراه من اقوى الورى فلذا خلا * منها عدد ناه من الضعفاء

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

عاطبت من أهوى وقد زارنى * كالبدروا فى ليلة البدر
والبحر قدم مد على متنه * شعاعه جنسرا من التبر
خضراء كافورية رنحت * اعطافه من شدة السكر
يفعل منها درهم فوق ما * تفعل ارطال من الخمر
فدراج نشوانا بها غافلا * لا يعرف الحلوم من المثر
قال وقد نال بها أمره * فبات مردودا الى امرى
قتلتنى قلت نعم سبدي * قتلين بالسكر وبالبحر

قال وأمر السلطان الملك الصالح يعنى نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين أبا الفتح موسى بن بغه ووران بمنع من
زرع فى الكافورى من الخشيشة شيئا فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيئا كثيرا فأمر بأن يجمع فجمع واحرق
فأنشدنى فى الواقعة الشيخ الاديب الفاضل شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه وذلك فى ربيع الاول
سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

صرف الزمان وحادث المقدور * تركا تكبير الخطب غير تكبير
ماسا لما حيا ولا ميتا ولا * طودا سما بل دكد كالأطوار *
لهنى وهل يجدى التلهف فى ذرى * طرب الغنى وانس كل فقير
اخت المسئلة لا ارتكاب محرم * قطب السرور بأيسر المسور
جمعت محاسن ما اجتمعن لغيرها * من كل شئ كان فى المعمور
منها طعام والشراب كلاهما * والبقل والريحان وقت حضور
هى روضة ان شئت اورىاضة * يغنى بها عن روضة وخجور
ما فى المدامة كلها منها سوى * اثم المدام وصحبة الخجور
كلا ونكهة خمرة هى شاهد * عدل على حد وجلد ظهور
أسفالدهر غالها وزعما * ظل الكريم بذلة المساور *
جعت له الاشهاد كرها اخضرا * كعروسة تجلى بخضر حرير
زفوا لها نارا نخلنا جنة * برزت لنا قد زوجت بالنور *
ثم اكنت منها غلالة صفرة * فى خضرة مقرونة بزفير *
فكانها الهب اللظى فى خضرة * منها وطرف رما دها المنور
جارى النصار على مذاب زمرد * تركا قيت المسك فى الكافورى
لله درك حبة أوميتة * من منظر بهج بغير نظير *
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيا * تر يا نضن منك ذوب عبير
عندى لا تركك ما بقيت مخلدا * مع الدموع ونفثة المصدور

* (ذكر كافور الاخشيدي) *

كان عبدا اسود خصيا منقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقل البدن جلب الى مصر وعمره عشر
سنتين فافوقها فى سنة عشر وثلاثمائة فلما دخل الى مصر تمنى ان يكون أميرها فباعه الذى جلبه لمحمد بن هاشم
أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فتر يوما بمصر على منجم فنظر له فى نجومه وقال له انت تصير
الى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغا عظيما فدفع اليه درهمين لم يكن معه سواه ما فرحى بهما اليه وقال ابشر
بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال له وأزيد لك انت تملك هذه البلادوا كثر منه فاذكرنى * واتفق ان ابن عباس
الكاتب ارسله بهدية يوما الى الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيدي وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ
كافورا ورده الهدية فترقى عنده فى الخدم حتى صار من أخص خدمه * ولما مات الاخشيدي بدده شق ضبط كافور

الامور ودارى الناس ووعدهم الى ان سكنت الدهماء بعد ان اضطرب الناس وجهرت استاذة وحله الى بيت المقدس وسار الى مصر فدخلها وقد انعقد الامر بعد الاخشيدي لابنه ابى القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة على بن حمدان أخذها وسار الى الرملة لخروج كافور بالعساكر وضرب الدباب وبهى الطبول على باب مضر به في وقت كل صلاة وسار فظفرو غنم ثم قدم الى مصر وقد عظم امره فقام بخلافة أونوجور فطابه القواد بالاستاذ وصار القواد يجتمعون عنده في داره فيخلع عليهم ويحماهم ويعطيهم حتى انه وقع لجناك أحد القواد الاخشيدي في يوم باربعة عشر ألف دينار ثم زال عبداله حتى مات وانبطت يده في الدولة فعزل وولى واعطى وحرم ودعى له على المنابر كلها الا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعى له بها في سنة أربعين وثلاثمائة وصار يجالس المظالم في كل سبت ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه وبين الامير أونوجور وتحرك كل منهما من الاخر وقويت الوحشة بينهما واقترق الجند فصار مع كل واحد طائفة واتفق موت أونوجور في ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ويقال انه معه فأقام أخاه أبا الحسن على بن الاخشيدي من بعده واستبد بالامر دونه وأطلق له في كل سنة اربعمائة ألف دينار واستقل بسائر احوال مصر والشام ففسد ما بينه وبين الامير ابى الحسن على فضيق عليه كافور ومنع ان يدخل عليه أحد فاعتل بعله أخيه ومات وقد طالته في محرم سنة خمس وخسين وثلاثمائة فبقيت مصر بغير امير اياما لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال فلما كان لاربعمائة من المحرم المذكور أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيدي فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعى له على المنبر بعد الخليفة وكانت له في ايامه قصص عظام وقدم عسكر من المعز لدين الله أبى تميم معد من المغرب الى الواحات فجهز اليه جيشا اخرجوا العسكر وقتلوا منهم وصارت الطبول تضرب على بابها خمس مرات في اليوم والليلة وعدتها مائة طبله من محاس وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه الى طاعته فلا طغفهم وكان اكثر الاخشيديين والكافورية وسائر الاولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز وقصر مد النبيل في ايامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثني عشر ذراعا وأصاب فاشتد الغلاء ونخش الموت في الناس حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وأرجف بمسير القرامطة الى الشام وبدت غلما تتهكره وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين فمات له شريقتين من جادى الاول سنة سبع وخسين وثلاثمائة عن ستين سنة فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والطلح والجواهر والعنبر والطيب والنياب والالات والفرش والخيام والعبيد والجواري والدواب ما قوم بستائة ألف دينار وكانت مدة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين احدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما منها منفردا بالولاية بعد اولاد استاذة سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مائة يذكرها ودعى له على المنابر بالكنية التي كناه بها الخليفة وهي أبو المسك أربعمائة عشرة جمعة وبعده اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر فصار مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب

ما بال قبرك يا كافور منفردا * بصالح الموت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد * كانت اسود الشرى تحشاك في الكئيب

ووجد ايضا مكتوب

انظر الى غير الايام ما صنعت * افنت اناسا بها كافورا وما فئت

ديناهم اخحك ايام دولتهم * حتى اذا فئت ناحيت لهم وبكت

* (خط الخرشنف) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى ويتوصل اليه من بين القصرين فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشنف وهو الذى كان يعرف قديما بباب التبانيز ويسلك من الخرشنف الى خط باب سمر المارستان والى حارة زويلة وكان موضع الخرشنف في ايام الخلفاء الفاطميين ميدانا يجوار القصر الغربى والبستان الكافورى فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدة مساكن وبه ايضا سوق وانما سمي بالخرشنف لانه المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشنف وهو ما يتجبر مما هو قد به على مياه الحمامات من الازبال وغيرها * قال ابن عبد الظاهر الحارثى المعروف بالخرشنف كانت قديما ميدانا للخلفاء فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات وكذلك القصر الغربى وقد كان النساء اللاتي اخرجن من القصر يسكن بالقصر النافى فامتدت الايدى الى طوبه

وأخشا به وبيعت وتلاشى طاله ونحى به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بنى به الادار
والطواحين وغيرها وذلك بعد السقاية واكثر اراضي الميدان حكر للادار القطبية * (خط اصطبل القطبية)
هذا الخط أيضا من جولة أراضي الميدان ولما انتهت القاعة التي كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال
الدولة الفاطمية صارت الى الملك الفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب فاستقر بها هو
وزريته فصار يقال لها الادار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما اخذ
الملك المنصور قلاوون القاعة للقطبية من مونة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبي بكر ابن أيوب
أخت الفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصوري بنى في هذا الاصطبل
المساكن وصارت من جولة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى
المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على اوله دريا غلق وهو خط عامر * (خط باب سر المارستان)
هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البند قانين وبعض هذا الخط وهو جولة ومعظمه من
جولة اصطبل الجزيرة الذي كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصوري
هو باب الساباط فلما زالت الدولة واخط الكافوري والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعا بين هذه
الاطحات ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وادركت بعض هذه الخطه وهي خراب ثم انشأ فيه القاضي
جمال الدين محمود القيسري محاسب القاهرة في أيام ولايته نظار المارستان في سنة احدى وثمانين وسبع مائة
الطاحون العظيمة ذات الاجار والقرن والربع علوه في المكان الخراب وجعل ذلك جاريا في جولة واقاف المارستان
المنصوري * (خط بين القصرين) هذا الخط ٤٦ رأ خطا ط القاهرة وأنزها وقد كان في الدولة الفاطمية فضاء كبيرا
ومزارعا واسعيا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو
الحال اليوم في الرملة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية دخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء
الدولة الأيوبية وغيرهم معالما صار هذا الموضع سوقا مبتدأ لا بعد ما كان ملاذا امجلا وقعد فيه الباعة باصناف
المأكولات من اللعنان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار من منزلها تعرفه اعيان الناس
وأما نلهم في الدليل مشاة لرؤية ما هنالك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد في الكثرة ولرؤية ما انتهت الانفس
وتلك الاعين مما فيه لذة للعواش الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاعمال وانشاد الاشعار والتفنن
في انواع اللعب واللهو فيصير مجعلا لا يقدر دهره ولا يمكن حكاية وصفه وسأ نلوا عليك من أبناء ذلك ما لا يتجده
بمجموعاتي كتاب * قال المسجي في حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وفيه منع كل أحد من يركب
مع المكاريين ان يدخل من باب القاهرة راكبا ولا المكاريين أيضا بجمعهم ولا يجلس أحد على باب الزهومة من
التجار وغيرهم ولا يمشي أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى اقصى باب الزمرد ثم عني عن المكاريين بعد ذلك
وصكتب لهم امان قرئ * وقال ابن الطوبري وببيت خارج باب القصر كل ليلة تجسسون فارسا فاذا اذن بالعشاء
الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الزايب بها بالمقيمين في امان الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له
سنان الدولة ابن الكركندي فاذا علم بفرار الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعه - مامن عدة
وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين برده على
سنان الدولة السلام فيصقع ويفرس حربة على الباب ثم رفعها بيده فاذا رفعها اغلق الباب وسار الى حوالى
القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المتقدم ذكرهم وافضى المؤذنون الى
خزائهم هنالك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان
الى ان تضرب النوبة سحر اقرب الفجر فتصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة انتهى * واخبرني المشيخة
انه ما زال الرسم الى قريب أنه لا يمر بشارع بين القصرين من حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد ان يسوق
فرسا فيه فان ساق أحد انكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب والمكان الذي كان يعرف في القاهرة
بين القصرين هو من الترتيب الساطاني لان هنالك ساحة منسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت
القاهرة كلها كذلك كانت عظمة القدر كاملة الهمة السلطانية * وقال ياقوت وبين القصرين كان يغداد يباب
الطاق براديه قصر اسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدي وكان يقال لهما ايضا بين القصرين وبين

القصر بن بصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامة والسوق عمرهما مالوك مصر المغاربة المتعلوثة الذين ادعوا انهم علوية وحدثنى القاضى الرئيس تقي الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير صاحب نحر الدين عبد الله ابن أبي شاكراً أنه كان يشترى في كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الأخيرة برسم الوزير صاحب نحر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطبخ واقطاف فراخ الحمام والعصافير المقلدة بمبلغ مائتي درهم وخمسين درهماً فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالاً من الذهب وأن هذا كان دأبه في كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرة رخصه لا يعار بوزن قصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع في بين القصرين من هذا النوع وغيره ولقد ادرنا في كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لجان الطيور التي تقلى صفاء من باب المدرسة الكاملة الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستحدثة فيساع لحلم الدجاج المطبخ ولحم الاوز للمطبخ كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتساع العصافير المقلدة كل عصفور بفلس حساباً عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول انا حينئذ في غلاء لكثرة ما تصف من سعة الارزاق ورخص الاسعار في الزمن الذي ادر كوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع في سنة ست وثمانين شيئاً لا يكاد يصدق اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل فبلغنى عن غلامه انه خرج في ليلة من ليالى رمضان وكان رمضان اذ ذاك في فصل الصيف ومعه رفيق له من غلمان الخيل وأنهم اسرفوا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشفقة ابدأ من نصف رطل الى رطل فامتنا الامن تعجب من ذلك وكيف تهباً لاثني فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى ان قدر الله تعالى لي بعد ذلك ان اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لي به قلت صف لي كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخ وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ في بين القصرين مرصات كثيرة جداً في كل مرص ما شاء الله من البطيخ قال فاذا وقضنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى فلسدة ازدهام الناس يتناول أحدنا بطيخته بحفنة يد وصناعة ويقوم فلا يظن به أو يقبل أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبيع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشتريين وما في ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحتته وهو جالس القرفصا فاذا أحس به رفيقه تناولها ومز وكذا كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيراً ما نظروا عزك الله الى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يظن به من كثرة ما هنالك من البضائع واهظم الخلق * ولقد حدثني غير واحد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي أنه لما قدموا من الكرك في سنة اثنين وتسعين وسبع مائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال لي ابنه محب الدين محمد اول ما شاهدت بين القصرين حسبت ان زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس يحجبون للمرور من ههنا فقيل لي هذا دأب البلد دائماً ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند المشي بعد العشاء بين القصرين ويجمع حتى يقضى وطره وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدة الزحام واشتغال كل أحد بدهوه وما برحت أحد من الازدهام مشقة حتى أفادني بعض من ادركت أن من رأى في المشي ان يأخذ الانسان في مشيه نحو شماله فانه لا يجرد من المشقة كما يجرد غيره من الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرات في عدة سنين فما أخطأ معي ولقد كنت أكثر من تأمل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمر من صوب شماله كالسيل اذا اندفع وعلى هذا الذي أفادني ان القلب من يسار كل أحد والناس قبل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمالهم وكذا اصح لي مع طول الاعتبار ولما حدث هذه الحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشي أمر بين القصرين وذهب ما هنالك وما اخوفني ان يكون أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله يا صا * ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كا * ن بهما من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوماً اليها * فهي كانت منازل الاحباب

* (خط الخشبية) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى الحارة العذرية حيث فندق الزحام برحبة يبرس والى درب شمس الدولة وقبل له خط الخشبية من أجل ان الخلقة الظاهر لما قتله نصر بن عباس

وبني على مكانه الذي دفن فيه المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد الخلعين ويعرف أيضا بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا يعرف بخشبية تصغير خشبة وما زالت هناك حتى زالت الدولة الفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فأزال الخشبية وعرف هذا الخط بها الى اليوم ويقال له خط حمام خشبية من أجل الحمام التي هناك * ولقتل الظافر خبر يحسن ذكره هنا

* (ذكر مقتل الخليفة الظافر) *

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ببيع ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله بوصية من أبيه له بالخلافة وقام بتدبير الوزارة الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الأمير المظفر علي بن السلاطون والي الاسكندرية والبحيرة بومثذ بوزارة ابن مصال وحشد وسار الى القاهرة فقتل ابن مصال واستقر ابن السلاطون في الوزارة وتلقب بالعاقل فجهاز العساكر لمحاربة ابن مصال فخار به وقتل فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلاطون واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يشون في ركابه بالزرد والحدود وعددهم ستمائة رجل بالنبوة ونقل جلوس الظافر من القاعة الى الايوان في البراح والسعة حتى اذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهم فقبض على صبيان الخصاص وقتل اكثرهم وفترق باقيهم وكانوا خمسة مائة رجل وما زال الامر على ذلك الى ان قتله ربه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده في وزارة الظافر وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة اكيدة ومخالطة بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ويخرج من قصره الى دار نصر بن عباس التي هي اليوم المدرسة السوفية تخاف عباس من جراءة ابنه وخشي ان يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير علي بن السلاطون زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألحف في تأنيبه وأفرط في لومه لان الامراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهن منه تقر به اسامة بن منقذ لما علموه من انه هو الذي حسن لعباس قتل ابن السلاطون كما هو مذكور في خبره وهو ما قتله وتحدوا مع الخليفة الظافر في ذلك فبلغ اسامة ما هم عليه وكان غريبا من الدولة فأخذ يغري الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ في تقييد مخالطته للظافر الى ان قال له مرة كيف تصبر على ما يقول الناس في حق ولادك من ان الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء فأثر ذلك في قلب عباس واتفق ان الظافر انعم بمدينة قليبوب على نصر بن عباس فلما حضر الى أبيه وأعلمه بذلك واسامة حاضر فقال له يا ناصر الدين ما هي بهرك غالية يعرض له بالفحش فأخذ عباس من ذلك ما أخذوه وتحدث مع اسامة لثقت به في كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته في الليل فأمره بمفاوضة ابنه نصر في ذلك فاغتمها اسامة وما زال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره مستكرا وبعه خادمان كما هي عادته ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعد له قوما فعند ما صار في داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتواري عنهم الخادمان الاخر ولحق بعد ذلك بالقصر ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الارض في الموضع الذي فيه الآن المسجد وكان سنة يوم قتل احدي وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف منها في الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة ايام وكان محمدا ما علمه في خلافته وفي ايامه ملك الفرنج مدينة عسقلان وظهر الوهن في الدولة وكان كثير اللهو واللعب وهو الذي انشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين وبلغ أهل القصر ما فعله نصر بن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلوع بن رزبك وكان على الاشعونين وبعثوا اليه بشعور النساء يستصرون به على عباس وابنه فقدم بالجوع وفتر عباس واسامة ونصروا دخل طلوع وعليه ثياب سود واعلامه وبيوده كاه اسود وشعور النساء التي ارسات اليه من القصر على الرماح فكان فالاجيبا فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت اعلام بني العباس السود من بغداد الى القاهرة فلما مات العاضد واستبد صلاح الدين ملك ديار مصر وكان اول ما بدا به طلوع ان مضى ماشيا الى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما ودفنهما وحمل الظافر في تابوت مغشى ومشى طلوع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ودفن في تربة القصر * (خط سقيفة العتاس)

هذا الخط قيم بين درب شمس الدولة والبند قانين كان يقال له اول سقيفة العتاس ثم عرف بالصاغة القديمة

ثم عرف بالاساكفة ثم هو الاثنى عشر يعرف بالحريز بين الشرار بين وبسوق الزجاجين وفيه يباع الزجاج وهو خط عامر وهذا العتاس هو علي بن عمر بن العتاس ابو الحسن ضمن في ايام المعز لدين الله كورة بوصير فخلع عليه وجعله وسار خليفته بالبندود والطبول في جمادى الاولى سنة أربع وستين وثلاثمائة فلما كان في اول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله وولاه الوساطة وهي رتبة الوزارة بعد موت الوزير يعقوب بن كاس ولم يلقه بالوزير فجلس في القصر لتسع عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وأمر ونهى ونظر في الاموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شيء الا بتوقيعه ولا ينفذ الا بأمره وقزره وأمره العزيز بالله أن لا يرتقى أى يرتقى ولا يرتقى بمعنى انه لا يقبل هدية ولا يضيغ ديناراً ولا درهماً فأقام سنة وصرف في اول المحرم من سنة ثلاث وثمانين قزراً في ديوان الاستيفاء الى ان كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة حسن لابي طاهر محمود النحوى الكاتب وكان منقطعاً اليه ان يلقى الحاكم بأمر الله ويبلغه ما تشكوه الناس من تطاير النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم وأن فهد بن ابراهيم هو الذى يقوى نفوسهم ويفوض أمر الاموال والدواوين اليهم وأنه آفة على المسلمين وعدة للنصارى فوق ابو طاهر للحاكم ليلا في وقت طوافه في الليل وبلغه ذلك ثم قال يا مولانا ان كنت تؤرجع الاموال واعزاز الاسلام فأرني رأس فهد بن ابراهيم في طشت والام يتم من هذا شيء فقال له الحاكم ويحك ومن يقوم بهذا الامر الذى تذكره ويضمنه فقال عبدك على بن عمر بن العتاس فقال ويحك أوفيهل هذا قال نعم يا امير المؤمنين قال قل له يلصقني ههنا في غدة ومضى الحاكم فجاء ابو طاهر الى ابن العتاس وأعلمه بما جرى فقال ويحك قتلني وقتلت نفسك فقال معاذ الله افنصبر لهذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين ويتحكم فيهم من الالباب بالاموال والله ان لم تسع في قتله ليسعين في قتلك فلما كان في الليلة القابلة وقف على بن عمر العتاس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه فوعده بالبخاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان وانصرف الحاكم فلما أصبح ركب العتاس الى دار قائد القوادح حسين بن جوهر القائد فلقى عنده فهد بن ابراهيم فقال له فهد يا هذا كم تؤذني وتقذح في عند سلطان فقال العتاس والله ما تقذح ولا تؤذني عند سلطانى ويسمى على غيرك فقال فهد سلط الله على من يؤذى صاحبنا ويسمى به سيف هذا الامام الحاكم بأمر الله فقال العتاس آمين وعجل ذلك ولا تمهله فقتل فهد في ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه وكان له منذ نظر في الرئاسة خمس سنين وتسعة أشهر واثني عشر يوماً وقتل العتاس بعده تسعة وعشرين يوماً واستجيب دعاء كل منهما في الآخر وذبحا جميعاً ولا يظلم ربك أحداً وذلك أن الحاكم خلع على العتاس في رابع عشره وجهله مكان فهد وخلع على ابنه محمد بن علي فهناه الناس واستمر الى خامس عشر رجب منها فضربت رقبة ابى طاهر محمود بن النحوى وكان يظن في اعمال الشام ككثرة ما رفع عليه من التجير والعسف ثم قتل العتاس في سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة واحرق بالنار (خط البندقائين) هذا الخط كان قديماً اصطبل الجيزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جعلته عدة دكاكين لعمال قسي البندق فعرف الخط بالبندقائين لذلك ثم انه احترق يوم الجمعة للصف من صفر سنة احدى وخسين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة فحاضى الناس الصلاة الا وقد عظم أمره فركب اليه وإلى القاهرة والنيران قد ارتفع لهما واجتمع الناس فلم يعرف من اين كان ابتداء الحريق واتفق هبوب رياح عاصفة فحمت شرر النار الى أمد بعيد ووصلت أشعتها الى أن رؤيت من القلعة فركب الوزير منجبك بمالك الامراء وجعت السقاؤون لظنى النار فمجزوا عن اطفاؤها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامير طاز والامير غلطاي أمير اخو رور جلوا عن خيولهم ومنعوا النهاية من التعرض الى نهب البيوت التي احترقت وعم الحريق دكاكين البندقائين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفندق المجاور لها والربع علاؤه وعملت الى الجانب الذى يلي بيت بيرس ركن الدين الملقب بالآل المظفر والربع المجاور لعالى زقاق الكنيسة فبازال الامير شيخو واقفاً بنفسه ومماليكه ومعه الامراء الى أن هدم ما هنالك والنار تأكل ما تقر به الى أن وصلت الى بئر الدلاء التي كانت تعرف قديماً بئر زويلة ومنها كان يستقى لاصطبل الجيزة فأحرق ما جاور البئر من الاماكن الى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكندار وكادت أن تصل الى دار القاضي علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين ابن عمود ولم يبق أحد في ذلك الخط حتى حوّل منعه خوفاً من الحريق فكان أهل البيت

بينما هم في قتل ثيابهم واذا بالنار قد أحاطت بهم فبتركون ما في الدار وينجئون بأنفسهم والامر يعظم والهدم واقع في الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها فسرى الى جميع البلد الى ان أتى الهدم على سائر ما كان هناك فأقام الامر كذلك يومين وليلتين والامراء وقوف فلما خف انصرف الامراء ووقف الى القاهرة ومعه عدة من الامراء لاطي ما بقى فاستقروا في طفته ثلاثة ايام آخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما تلف فيه للناس من المال والياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب ما لا يعلم قدره الا الله هذا مع ما كان فيه الامر امن منع النهاية وكفهم عن أسوال الناس الا ان الامر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة ووصل حريق النار الى قيسارية طشقرور ربع بكتر الساق فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفته بعد أن هدمت عدة اماكن جليله ما بين ربايع وحوانيت وقع الحريق في اماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة ووجد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكبات بريت وقطران فعلم أن ههنا من فعل النصارى كما وقع في الحريق الذي كان في أيام الملك الناصر وقد ذكر في خبر السيرة الناصرية فتودى في الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى أعنف داره أو عية ملائمة بالماء ما بين احواض وأزبار وصاروا يتناوبون السهر في الليل ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت الا والنار قد وفت في بيتهم فينداركون طفتها ثلاثا شتمل ويصعب أمرها وترك جماعة من الناس الطبخ في الدور وتماذى ذلك في الناس من نصف صغرا الى عاشر ربيع الاول فأحضر الامير سيف الدين تشقرشاد الدواوين نشابة في وسطها نقط قد وجد هاهنا سطح داره فأراها للامراء وهي محرقة النصل فهدر أمر الوزير منجك للامير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة بالقبض على الخرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من عائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق فقتبهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتى خلت السكك منهم ثم ان الامراء كلوا الوزير في أمرهم فأمر باطلاقهم ونودى في البلد أن لا يقيم فيها غريب وطلبوا الخفراء وولاء المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتبضع الناس وأخذ من تتوهم فيه رية اويذكر بشئ من أمر هذا الحريق أمره في تزايد وصاروا الى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينال هو ولا اعوانه في الليل ألبنة لكثرة الفجبات في الليل ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لطايع السكر السلطانية فركب القاضي علم الدين بن زبور ناظر الخصاص في جماعة وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتى طفت ووقع الحريق في عدة اماكن بمصر واستقر الحريق بمصر والقاهرة مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين ولم يعلم له سبب واستقر أكثر خط البندقانيين خرابا الى أن عمر الامير يونس النوروزي دوا دار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببيت زويلة وانشأ بجوار درب الاشجب الحوانيت والرباع والقيسارية في سنة تسع وعشرين وسبع مائة ثم انشأ الامير شهاب الدين أحمد الحاجب بن أخت الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره بجوار حمام ابن عبود فاقصط ظهرها بأكبر البندقانيين فصار فيها ما كان من خراب الحريق هناك حيث الحوض الذي انشأه تجاه دار بيرس ولقد أدركا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا وكانت من أنزه ما يرى فانها كانت كلها مخرقة بأنواع الرخام الملون وبهله صانع من ماء تجرى الى قنوات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفقاع مرصوفة فيستحسن منظرها الى الغاية لانها من الجانبين والناس يمزون ينهب ما وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسي البندق وعدة حوانيت لرسم اشكال ما يطرز بالذهب والحري وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة وهو من اخطاط القاهرة الجسمية * (خط دار الديناج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان اولا يعرف بخط دار الديناج لان دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة صاحبية ودرب الحريري والمدرسة السيفية علمت دلرا ينسج فيها الديناج والحري برسم الخلفاء الفاطميين وهارت تعرف بدار الديناج فقسب اليها الخط الى أن سكن هناك الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في أيام العادل أبي بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة المصاحب وهو خط جسيم به مساكن جليله وسوق ومدرسة * (خط المهيين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وزراء دار الديناج وتسميه العامة خط طواحين الملوحين وواو بعد اللام وقبل الحاء المهمة وهو تحريف وانما هو خط المهيين عرف بطائفة من طوائف العسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها المهية وهم الذين قاموا بالفنسة في أيام المستنصر الى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خرائن الخليفة المستنصر فلما قدم أمير

الجيش بدرا إلى الجبال إلى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر وتجرّد لأصلاح إقليم مصر وتبّع المفسدين وقتلهم وسار في سنة سبع وستين وأربعمائة إلى الوجه البحري وقتل لواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتي وولده واستصفي أموالهم ثم توجه إلى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين فلما أصبح جميع البر الشرقي عدّ إلى البر الغربي وقتل جماعة من الخبيثة وأتباعهم بشعر الاسكندرية بعد ما أقام أياما محاصرا البلد وهم يمتنعون عليه ويقاثلونه إلى أن أخذها عنوة فقتل منهم عدة كثيرة وكان بهذا الخط عدة من الطواحين فسمى بخط طواحين المهيّين وبه إلى الآن يسير من الطواحين * (خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط المهيّين وخط سويقة الصاحب وفيه اليوم سوق الرقيق الذي يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية وما دار به ويعرف بالمسطاح وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعيرة أيضا خط يعرف بالمسطاح * (خط قصر أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام اليسرى بين القصرين يسلك فيه إلى مدرسة الطواشي سابق الدين المعروفة بالسابقة وكان يخرج منه إلى رحبة باب العيد من باب القصر إلى أن هدمه الأمير جمال الدين يوسف الاستاد أروبي في مكانه القيسارية المستعمدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد فصار هذا الخط غير نافذ وكان شارعا مسلوكا بجزء فيه الناس والدواب بالأجمال فركب عليه جمال الدين المذكور ودربوا لحفظ أمواله وكان هذا الخط من أخص أماكن القصر الكبير الشرقي فلما زالت الدولة الفاطمية وتفرق أمراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ بن حويزة الوزير لسكنه فيه ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وقصر سابق الدين وهو إلى الآن يعرف بذلك وسبب شهرته بأمير سلاح أنه اتخذ به عمارة جليلة هي بيدورته إلى الآن وأمير سلاح هذا هو (بكاش الفخري) الأمير بدر الدين أمير سلاح الصالح النجمي كان أولا مملوكا لغفر الدين ابن الشيخ فصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده من جلالة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الأيوبية وتأمّر في أيام الملك الصالح وتقدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري واستقر أميراً ما ينيف على الستين سنة لم ينسكب فيرا قط وعظم في أيام الملك المنصور قلاوون الثاني بحيث أن الأمير حسام الدين طرطاي نائب السلطنة بديار مصر في أيام قلاوون تجارى مرة مع السلطان في حديث الأمراء فقال له السلطان المنصور أما اليوم فما بقي في الأمراء نيرا أمير سلاح إذا قلت فارس خيل خباج ما يرد وجهه من عدوه وإذا حلف ما يخون وإذا قال صدق فقال طرطاي والله يا خوند له أقطاع عظيم ما كان يصلح إلا في فاجر وجه السلطان وغضب وقال له ويلك أياك أن تتكلم بهذا والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح ما يصل نشابك ولا نشاب غيرك وكان كرميا متجافا يسافر كل سنة مجتذبا بالعسكر فيصل إلى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو فاشتهر بذلك في بلاد العدو وعظم منته واشتدت مهابته وكانت له رغبة في شراء المماليك والتجول ما غلى القيم وكان يبعث للأمراء المجتردين معه النفقة ويقوم لهم بالشعير والأغنام وبلغت ممالكه الغاية في الحشمة وكان أقطاع كل منهم في السنة عشرين ألف درهم فضة عنها يومئذ ألف مثقال من الذهب ولكل من جنده خبز مبلغه في السنة عشرة آلاف درهم سوى كلهم من الشعير واللحم ومع ذلك فكان خيرا دينا له صدقات ومعروف وإحسان كثير ومات بعد ما ترك أمرته في مرضه الذي مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله * وبهذا الخط عدة دور جليلة يأتي ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى * (أولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذي ينتسبون إليه حويزة بن علي يقال أنه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنوشروان وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته وهو جد شيخ الإسلام محمد وأخيه أبي سعد بن حويزة بن محمد بن حويزة وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان قتركا الدنيا وأقبلوا على طريق الآخرة ومات ركن الإسلام أبو سعد بنجران من قرى جوين في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ومات أخوه شيخ الإسلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات وترك شيخ الإسلام محمد ولدا واحدا وهو أبو الحسن علي - قترج علي - بن محمد بانبنة عمه أبي سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسنا وعماد الدين عمرو وترك زين الدين أحمد بن أبي سعد ركن الدين أباسعد وعزير الدين وزين الدين القاسم قدّم عماد الدين عمر بن علي بن محمد بن حويزة إلى دمشق ومارس شيخ الشيوخ بها وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين علي - فلما مات عمر في رجب سنة سبع وسبعمائة بدمشق أقتر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمد أموره ومارس شيخ الشيوخ بدمشق قترج بانبنة القاضي

شهاب الدين ابن أبي عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمرو ونفر الدين يوسف وكال الدين أحمد ومعين
 الدين حسين فأرضعت أمهم بنت أبي عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فصار
 أخا لاؤلا وصدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاة وقد قدم صدر الدين إلى القاهرة وولى تدريس الشافعي بالقرافة
 ومشجئة الخانقاه الصلاحية بعد الهدائم سافرا فبات بالموصل في ربيع عشر جمادى الأولى سنة سبع عشرة
 وسقانة واستبد الملك الكامل بملكه مصر بعد أبيه فرقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الأربعة
 وبعث عماد الدين عمر في الرسالة إلى الخليفة بغداد وجمع له بين رئاسة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وسقانة
 ولم يجمع ذلك لاحد في زمانه وما زال على ذلك إلى أن مات الملك الكامل وقام من بعده في سلطنة مصر ابنه الملك
 العادل أبو بكر بن الكامل فخرج إلى دمشق ليحضر إليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبي
 بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق فدمس عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشر جمادى الآخرة سنة
 ست وثلاثين وسقانة * وأما نفي الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الأمراء
 وألبسه الشربوش والقباء وناداه وبعثه في الرسالة عنه إلى ملك الفرنج ثم إلى أخيه المعظم بدمشق ثم إلى الخليفة
 ببغداد وأقامه يتحدث بمصر في تدبير المملكة وتخصيل الأموال ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه إلى مكة على
 عسكر فقاتل صاحبها الأمير راج الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن وما زال مكرها محترما حتى
 مات الملك الكامل فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب
 أطلقه وأمره وبالع في الاحسان اليه وبعثه على العساكر إلى الكرك فأوقع بالحوارزمية وبثد شملهم وكانوا
 قد قدموا من المشرق إلى غزة وأقام الدعوة للصالح في بلاد الشام وعاد ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من
 الفرنج وهدمها وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها ونازل حص حتى اشرف على أخذها ثم تقدم على
 العساكر فقاتل الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوما إلى أن
 استشهد في ربيع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسقانة فحمل من المنصورة إلى القرافة فدفن بها * وأما كمال الدين
 أحمد فان الملك الكامل استقناه ببحران والجزيرة وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر
 وتدرس الشافعي بالقرافة ومشجئة الشيوخ بديار مصر وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر
 غير مرة ومات بغزة في صفر سنة تسع وثلاثين وسقانة * وأما معين الدين حسن فانه ولى مشجئة الشيوخ بديار مصر
 وبعثه الملك الكامل في الرسالة عنه إلى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة إلى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين
 أيوب في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وسقانة وجهزه على العساكر في هيئة الملوك إلى دمشق فقاتل الصالح
 اسماعيل ابن العادل حتى ملكها ومات بها في ثاني عشر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسقانة وقد ذكرت أولاد
 شيخ الشيوخ في كتاب تاريخ مصر الكبير واسة قصبت فيه اخبارهم والله تعالى أعلم * (خط قصر بشتاك) هذا الخط
 من جلة القصر الكبير ويوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه
 الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر أبواب القصر وصار اليوم في داخل هذا الباب حارة كبيرة في إعادة دور جليلية
 منها قصر الأمير بشتاك وبه عرف هذا الخط * (وبشتاك هذا) هو الأمير سيف الدين بشتاك الناصري قز به الملك
 الناصر محمد بن قلاوون وأعلى محله وكان يسميه بعد موت الأمير بكتمر الساسي بالأمير في غيبته وكان زائد التيه
 لا يكلم استداره وكتابه الأبرج جان ويعرف بالعربي ولا يتكلم به وكان أقطاعه ست عشرة طبخانة أكبر من
 أقطاع قوصون ولما مات بكتمر الساسي ورثه في جميع أحواله واصطبله الذي على بركة القيل وفي أمر أنه أم أحمد
 واشترى جاريته خوي بستة آلاف دينار ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره
 وعظم محله فنقل على السلطان وأراد الفتك به فمات عن توجه إلى الحجاز وأفق في الأمراء وأهل الركب والنقراء
 والمجاورين بمكة والمدينة شيئا كثيرا إلى الغاية وأعطى من الألف دينار إلى المائة دينار إلى الدينار بحسب مراتب
 الناس وطبقاتهم فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر في نفر قليل من محاليكه وقال ان اردت
 امساكي فيها انا قد جئت إليك برقيي فقال له السلطان وطيب خاطره وكان يرى بأوباد ودواهي من أمر الزنا
 وجزده السلطان لامسالك تنكر نائب الشام فحضر إلى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من الأمراء فنزلوا القصر
 الأبلق وحلف الأمراء كلهم للسلطان ولذريته واستخرج ودائع تنكر وعرض حواصله ومحاليكه وجواريه وخيله

وساير ما يتعلق به ووسط طغاي وحفای ملوكي تنكر في سوق الخيل ووسط دران أيضا بحضور يوم الموكب واقام
بدمشق خمسة عشر يوما وعاد الى القلعة وبقي في نفسه من دمشق وما تجاسر يفتح السلطان في ذلك فلما مرض
السلطان وأشرف على الموت البس الامير قوصون محالكة فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك فجمع بينهما
وتصالحا قدامه ونصر السلطان على ان الملك بعده لولده أبي بكر فموافق بشتاك وقال لا أريد الاسيدي أحد
فلما مات السلطان قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك وقال له يا امير المؤمنين انا ما يحيى معنى سلطان لاني كنت
ايبيع الطدما والبرغالي والكشاقين وانت اشتريت مني وأهل البلاد يعرفون ذلك وانت ما يحيى منك سلطان
لانك كنت تباع البوزا وانا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك وهذا استاذنا هو الذي وصي لمن هو اخبر به
من اولاده وما يسعنا الامتثال امره حيا وميتا وانا ما خالفك ان أردت أحد أو غيره ولو أردت أن نعمل كل يوم
سلطانا ما خالفك فقال بشتاك هذا كله صحيح والامر امرك واحضر المصنف وحلفا عليه وتعاقدنا ثم قاما الى
رجلي السلطان فقبلاهما ووضع ابا بكر ابن السلطان على الكرسي وقبل له الارض وحلفا له وتلق بالملك
المنصور ثم ان بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك وكتب تقليده وبرز الى ظاهر
القاهرة وأقام يومين ثم طلع في اليوم الثالث الى السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا القنري وأمسك
سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه الى الاسكندرية فاعقل بها ثم قتل في الخامس من ربيع الاول سنة
اثنين وأربعين وسبعمائة لا قول سلطنة الملك الاشرف بلك وكان شابا ابيض اللون طريفا مديد القامة نحيفا
خفيف اللحم كأنه عذار على حركاته رشاقة حسن السمعة يتعم الناس على مثاله وكان يشبه بأبي سعيد ملاك
العراق الا انه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعرف عن ملحة ولا قبيحة ولم يدع أحد يفوته حتى يمك
نساء الفلاحين وزوجات الملاحين واشتهر بذلك ورمى فيه بأوباد وكان زائد البدخ منه مكاعلي ما يقتضيه
عنفوان الشبيبة كثير الصلف والتهيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة في تأنيبه ولما توجه بأولاد السلطان ليفترجهم
في دماط كان يذبح لسماطه في كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بتمنه خارجا عن الاوز والدجاج وكان راتبه
دائما كل يوم من الغنم برسم المشوي مبلغ عشرين درهما عنها منقال ذهب وذلك سوى الطوارئ وأطلق له
السلطان كل يوم بقعة قماش من القافة الى الخلف الى القميص واللباس والملوطة والبقا طاق والقباء الفوقاني
بوجه اسكندرا في على سحاب طري مطرز مزركش رقيق وكلوة وشاش ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى ان مات
السلطان وأطلق له في يوم واحد عن ثمن قرية تبني بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضا عنها يومئذ خسون
ألف منقال من الذهب وهو اول من امسك بهدموت الملك الناصر وقال الاديب المؤرخ صلاح الدين خليل
ابن أيك الصفدي ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك

* قال الزمان وما سمعنا قوله * والناس فيه رهائن الاثرالك *

من نصر المنصور من كيدى وقد * صاد الردي بشتاك في بشرالك *

* (خط باب الزهومة) هذا الخط يعرف باب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره فانه
كان هناك وقد صار الآن في هذا الخط سوق وفندق وعدة أدرياً في ذكر ذلك كله في موضعه ان شاء الله تعالى
* (خط الزرا كشه العتيق) هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديدة
وبعضه من حلة القصر النافعي وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهجندار الذي يدق فيه الذهب وخان
الخليلي وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله * (خط السبع خوخ العتيق)
هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزرا كشه العتيق كان فيه قديما أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ
يتوصل منها الى الجامع الازهر فلما انقضت أيامهم اخط مسكن وسوقا يساع فيه الابرا التي يحاط بهم وغير ذلك
فعرف بالابارين * (خط اصطبل الطارمة) هذا الخط كان اصطبل لخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك
والقصر النافعي وقد تقدم الكلام عليه وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك ثم هو الآن حارة
كبيرة فيها عتبة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وهذا الخط فيما بين رجة قصر الشوك ورجة الجامع الازهر
كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في ذكر الرحاب * (خط الاكفانيين) هذا الخط كان يعرف بخط الخريجين جمع
خرقة * (خط المناخ) هذا الخط فيما بين البرقية والعطوفية كان مواضع طواحين القصور وقد تقدم ذكره ثم اخط

بعد ذلك وصار حارة كبيرة وهو الآن متداع الخراب * (خط سويقة أمير الجيوش) كان حارة القرchie وسبأ في ذكره ان شاء الله تعالى في الاسواق وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقه * (خط دكة الحسبة) هذا الخط يعرف اليوم بمكسر الحطب وفيه سوق الابازره وهو فيما بين البندقاين والمجودية وفيه عدة اسواق ودور * (خط الفهادين) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ * (خط خزنة البنود) هذا الخط فيما بين رجة باب العيد ورجة المشم الحسبي وكان موضعه خزنة تعرف بخزانة البنود وكان اولاً يعمل فيها السلاح ثم صارت مكنة لاهراء الدولة وأعيانها ثم اسكن فيها الفرنج الى ان هدمها الامير الحاج آل ملك وحكم مكانها قنبي فيه الطاحون والمساكن كما تقدم * (خط السفينة) هذا الخط فيما بين درب السلاح من رجة باب العيد وبين خزنة البنود كان يقف فيه المظالمون للخلقة كما تقدم ذكره ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير * (خط خان السبيل) هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة اخطا الحسبية قال ابن عسك الطاهر خان السبيل بناء الامير بهاء الدين قراقوش وأرصده لابن السبيل والمسافرين بغيا جرة وبه بئر ساقية وحوض انتهى وأدركنا هذا الخط في غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ويجمع الناس هناك بكرة كل يوم جمعة فيباع فيه من الاوز والدجاج ما لا يقدر قدره وكانت فيه أيضا عدة مساكن ما بين دور وحوادث وغيرها وقد اختل هذا الخط * (خط بستان ابن صيرم) هذا الخط أيضا خارج باب الفتوح محاميلي الخليج وزقاق الكحل كان من جملة حارة البيازرة فانشأه زمام القصر المختار الصقلي بستانا وبني فيه منظره عظيمة فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الامير جمال الدين سويح بن صيرم أحد امراء الملك الكامل فعرف به ثم اختط وصار من أجل الاخطا عمارة تسكنه الامراء والاعيان من الجند ثم هو الآن آيل الى الدور * (خط قصر ابن عمار) هذا الخط من جملة حارة كامة وهو اليوم درب يعرف بالقماحين وفيه حمام كرائي ودار خوندشقرا يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ويسلك منه الى درب المنصوري وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسن الكلبي من بني أبي الحسب أحد امراء مقلية وأحد شيوخ كامة وصاه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضي محمد بن النعمان علي ولده أبي علي منصور فلما مات العزيز بالله واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله اشترط الكمايون وهم يومئذ أهل الدولة أن لا ينظر في أمورهم غير أبي محمد بن عمار بعد ما تجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلي وسألوا صرف عيسى بن مشطورس وأن تكون الوساطة لابن عمار فندب لذلك وخلع عليه في ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وقلد بسيف من سيوف العزيز بالله وجل على فرس بسرج ذهب ولقب بأمين الدولة وهو أول من لقب في الدولة الفاطمية من رجال الدولة وقيد بين يديه عدة دواب وجل معه خيول ثوبان سائر البزار فيع وانصرف الى داره في موكب عظيم وقرئ سجده فتولى خراجه القاضي محمد بن النعمان يجالسه الوساطة وتلقبه بأمين الدولة والزم سائر الناس بالترجل اليه فترجل الناس بأمرهم له من اهل الدولة وصار يدخل القصر راكبا وبشقي الدواوين ويدخل من الباب الذي يجلس فيه خدم الخليفة الخاصة ثم يعدل الى باب الحجر التي فيها أمير المؤمنين الحاكم فينزل على بابها ويركب من هناك وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقاتهم يسكرون الى داره فيجلسون في الدواليز بغير ترتيب والباب مغلق ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه ويجلسون في قاعة الدار على حصير وهو جالس في مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة ثم ياذن لوجوه من حضر كالقاضي ووجوه شيوخ كامة والقواد قد دخل أعيانهم ثم ياذن لسائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لا يقدر أحد أن يصل اليه فنهى من يومي بتقبيل الارض ولا يرد السلام على أحد ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقبيل يده سوى اناس بأعيانهم الا أنهم يؤمنون الى تقبيل الارض وشرف أكبر الناس بتقبيل ركبته واجل الناس من يقبل ركبته وتقرب كامة وأنفق فيهم الاموال وأعطاهم الخيول وباع ما كان بالاصطبلات من الخيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيا كثيرا وقطع أكثر السوم التي كانت تطلق لاولياء الدولة من الاتراك وقطع أكثر ما كان في المطابخ وقطع ارزاق جماعة وفرق كثيرا من جوارى القصر وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخدام فباع من اختار البيع وأعشق من سال العشق طلبا للتوفير واصطنع اخذات المغاربة فكثير عبيدهم وامتدت ايديهم الى الحرام في الطرقات وشلخوا الناس ببابهم فضج الناس منهم واستغاثوا اليه بشكايتهم فلم يبد منه كبير تكير فأفرط الامر حتى تعرض جماعة منهم للغان الاتراك وأرادوا

أخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شرقتل فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة فجمع شيوخ الفريقين واقتتلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء ناسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله للمغاربة فاجتمع الاتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد الى داره وقام برجوان بنصرة الاتراك فاستدت الايدي الى دار ابن عمار وامس طبلاته ودارر شاغلامه فنهبوا منها ما لا يحصى كثيرة فصار الى داره بمصر في ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان واعتزل عن الامر فكانت مدة نظره احد عشر شهرا الا خمسة ايام فأقام بداره في مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج اليه الامر بعوده الى القاهرة فعاد الى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لا يركب ولا يدخل اليه أحد الا اتباعه وخدمه واطلقت له رسومه وجرايته التي كانت في أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار في كل شهر وفي اليوم سلة فاكهة بيدار وعشرة ارطال شمع ونصف جبل تلج فلم يزل بداره الى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثمائة فاذن له الحاكم في الركوب الى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس فواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشر فحضر عشية الى القصر وجلس مع من حضر فخرج اليه الامر بالانصراف فلما انصرف ابتدره جماعة من الاتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه وحمل الرأس الى الحاكم ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها وكانت مدة حياته بعد عزله الى ان قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما وهو من جملة وزراء الدولة المصرية وولي بعده برجوان وقدم ذكره

* (ذكر الدروب والازقة) *

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والازقة على شئ كثير والغرض ذكر ما يتسرى من ذلك * (درب الاتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره في الحارات ويتوصل اليه من خطة الجامع الأزهر وقد كان فيما دركناه من أعمار الأماكن اخبرني خادمنا محمد بن السعودي قال كنت اسكن في أعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الاتراك وكنت اعاني صناعة الخياطة فجاءني في موسم عيد الفطر من الجيران اطبايق الكعك والخشكناج على عادة أهل مصر في ذلك ثلاث زيرا كبيرا كان عندي مما جاءني من الخشكناج خاصة لكثرة ما جاءني من ذلك اذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الاكابر والاعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع * (درب الاسواني) يذهب الى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الاسواني المعروف بابن عتاب * (درب شمس الدولة) هذا الدرب كان قديما يعرف بحجارة الامراء كما تقدم فلما كان محجي المغزالي مصر واستبلا صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن في هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة نوران شاه ابن أيوب فعرف به ونسب من حينئذ درب شمس الدولة وبه يعرف الى اليوم * (نوران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان قدم الى القاهرة مع أهله من بلاد الشام في سنة أربع وستين وخمسمائة عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمه اسد الدين شيركوه وكانت له اعمال في واقعة السودان ولولاها بنفسه واقعه الهول فكان اعظم الاسباب في نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان ثم خرج اليهم بعد انهمزاهم الى الجيزة فأقنأهم بالسيف حتى ابادهم واعطاه صلاح الدين قووس واسوان وعيناب وجعلها له اقطاعا فكانت عبرته في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار ثم خرج الى غزو بلاد النوبة في سنة ثمان وستين وفتح قلعة ابريم وسبي وغنم ثم عاد بعد ما اقطع ابريم بعض اصحابه وخرج الى بلاد اليمن في سنة تسع وستين وكان بها عبد النبي أبو الحسن علي ابن مهدي قد ملك زبيد وخطب لنفسه وكان الفقيه عمارة قد انقطع الى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه في كثرة أموالها ويغريه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التي اولها

العلم منذ كان محتاج الى القلم * وشجرة السيف تستغنى عن القلم

فبعثه ذلك على المسير الى بلاد اليمن فسار اليها في مستهل رجب ودخل مكة معتمرا وسار منها فقتل علي زبيد في سابع شوال وفي نهار الاثنين ثامن شوال فتحها بالسيف وقبض على علي بن مهدي وأخوته وأقاربه واستولى على ما كان في خزائنه من مال وتسلم الحصون التي كانت بيده وفي مستهل ذي القعدة توجه قاصدا عدن وبذل لياسر بن بلال في كل سنة ثلاثين ألف دينار وولاهها اليه ما رغب في ذلك وكان قصده ان يقيم بها تابعا عن المجلس

الفجري فلما أتى ذلك نزل عليها في يوم الجمعة تاسع عشر ذي القعدة ومذكها في ساعة بالسيف وقبض على يأسر
واخوته وولدي الداعي فاحتوى على ما فيه وأقبض على عبد النبي واستولى أيضا على تعز وتفكر وصنعوا وظهر
وغيرهما من مدن اليمن وحصونها وتلقب بالملك العظيم وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي وما زال بها إلى سنة
أحدى وسبعين فصار منها إلى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل إليه وملكه دمشق في شهر ربيع الأول سنة اثنين
وسبعين فأقام بها إلى أن خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة إلى بلاد الشام فجهزه في ذي القعدة سنة
أربع وسبعين إلى مصر وكان قد عمل له نائبه بلبك فاستتاب عنه فيها ودخل إلى القاهرة وأنتم عليه صلاح
الدين بالاسكندرية فصار إليها وأقام بها إلى أن توفي في مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالاسكندرية
فدفن بها وكان كريما واسع العطاء كثيرا لانفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينار فقتلها عنه أخوه
صلاح الدين وكان سبب خروجه من اليمن أنه التفت بدنه بن يد فارتجل له سيف الدولة مبارك بن منقذ

وإذا أراد الله سوءا بامرئ * وأراد أن يحبيه غير سعيد

أغرا بالترحال من مصر بلا * سبب وأمكنه بصقع زيد

لخرج من اليمن كما تقدم * وحكى الأديب الفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي الحلبي المعروف بابن الخبيبي
قال رأيت في النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو في القبر ميت فلف كفته ورماه إلى وانشدني

* لا تستقلن معروفا سمعت به * ميتا وأمسيت عنه عاريا بدني *

* ولا تظنين جودي شابه بخل * من بعد بدلي تلك الشام واليمن *

اني خرجت عن الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفى سوى كفى

وهذا الدرب من أعمر أخطا القاهرة به دار عباس الوزير وجاعة كما تراه ان شاء الله تعالى * (درب ملوخيا)
هذا الدرب كان يعرف بحجارة قائد القواد كما تقدم وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب
الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف بملوخيا القراش وقتله الحاكم وباشترقه وفي هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل
وقد اتصل به الآن الخراب * (درب السلسلة) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التي كانت تحت
كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب اقتنار الدولة الاسعد وعرف بستان الدولة بن الكركندي
وهو الآن درب عامر * (درب النعسي) هذا الدرب بسوق المهاجرين تجاه قيسارية العصر يعرف بالامير علاء
الدين كشتندي الشمسي أحد الأمراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وقتل على عكا في سنة
تسعين وسبعمائة بيد الفرنج شهيد او كان هذا الدرب في القديم موضعه دار الضرب ثم صار من حقوق درب ابن
طلائع بسوق القرايين وقد هدم بهض هذا الدرب الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما اغتصب الحوايت
التي كانت على بئنة السالك من الخراطين إلى سوق الخمين وكانت في وقف المعظم ثم ناش الحافظي كاسياتي ذكره
عند ذكر مدرسته ان شاء الله تعالى * (درب بن طلائع) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق القرايين الآن
الذي كان يعرف قديما بالخرقين طالبا إلى الجامع الازهر ويسلك في هذا الدرب إلى قيسارية السروج وباب
سرحام الخراطين ودار الامير الدمري وعرف هذا الدرب أولا بالامير نور الدولة أبي الحسن علي بن شهاب رابع
ابن طلائع ثم عرف بدرب الجاولي الكبير وهو الامير عز الدين جاولي الاسدي مولد لأسد الدين شيركوه بن شادي
ثم عرف بدرب العماد سنين ثم عرف بدرب الدمري وبه يعرف إلى الآن * (الدمر أميرجان دار سيف الدين)
أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج إلى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان أمير حاج الركب العراقي
تلك السنة يقال له محمد الحويج من أهل توير بعتة أبو سعيد ملك العراق إلى مصر وخف على قلب الملك الناصر
ثم بلغه عنه ما يكرهه فأخرجه من مصر ولما بلغه ان حويج في هذه السنة أمير الركب العراقي كتب إلى الشريف
عطية أمير مكة ان يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده فاستعدوا لذلك
فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر إلى مكة قصد العبيد مائة فتنة وشرعوا في التهب لينالوا غرضهم من قتل
امير الركب العراقي فوقع الصارخ وليس عند المصر بين خبر عما كتبه السلطان فنهض أمير الركب الامير سيف
الدين خاص ترك والامير أحمد قريش السلطان والامير الدمري أميرجان دار في محاليتهم وأخذ الدمري بسب الشريف
رميته وأمسك بعض قواده وأحرق به فقام إليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع وكان حديد النفس شجاعا

فأقدم اليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرفها وهم ملبسون بريدون الركب العراقي وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه وضربه مبارك بجرية نفذت من صدره فسقط عن فرسه الى الارض فارتج الناس ووقع القتال فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فلم يسقط في يد أمير مكة إذ فأت مقصوده وحصل ما لم يكن بارادته ثم سكنت الفتنة ودفن الدم وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فكانما نادى منادى في القاهرة والقلعة والناس في صلاة العبد يقتل الدم ووقع الفتنة بمكة ولم يبق احد حتى يتحدث بذلك وبلغ السلطان فلم يكثر بالخبر وقال أين مكة من مصر ومن اتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر يقتل الدم حتى انتشر في اقليم مصر كله فها هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة احدى وثلاثين وسبع مائة فآخبر وانا بالخبر مثل ما أشيع فكان هذا من اغرب ما سمع به ولما بلغ السلطان خبر قتل الدم غضب غضباً شديداً وصار يقوم ويقعد ويبطل السباط وأمر بجر دمن العسكر ألفا فارس كل منهم بخوذة وجوشن ومائة فردة نشاب وفارسين أحدهما للقطع والاخر للهدم ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لامير هذا العسكر أنه اذا وصل الى ينبع وعداه لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الارض ويقتل كل من يلقاه من العربان الا من علم أنه أمير عرب فإنه يقبده ويسجنه معه ويجرد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم وطلب الامير انتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الامراء والمقاتلين وقال له يدار العدل يوم الخدمة واذا وصلت الى مكة لا تدع أحداً من الاشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة وناد فيها من أقام بمكة حل دمه ولا تدع شيئاً من التخل حتى تحرقه جميعه ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأتم في مكة بمن معك حتى ابعث اليك بعسكر ثانی وكان القضاة حاضرين فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني يا مولانا السلطان هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمناً وشره فردة عليه جواباً في غضب فقال الامير انتمش يا خوند خان حضر دمنة الطاعة وسأل الامان فقال اتنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب اماناً (نسخته) هذا امان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمانا للعباس العالي الاسدي دمنة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي غر بآن يحضر الى خدمة الصنفي الشريف حجة الخراب العالي السني انتمش الناصري آمناً على نفسه وأهله وماله وولده وما يملق به لا يبخس حلول سطوة قاصمة ولا يخاف مؤاخذه حامية ولا يتوقع خديعة ولا مكر او لا يحذر سوءاً ولا ضرراً ولا يتوقع وجلاً ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من احسن عملاً بل يحضر الى خدمة الصنفي آمناً على نفسه وماله وآله معطشاً واثقاً بالله ورسوله وبهذا الامان الشريف المؤكد الاسباب المبيض الوجه الكريم الاحساب وكل ما يخطر بباله أناؤا خديعة فهو مغفور والله عاقبة الامور وله منا الاقبال والتقديم وقد صفحنا الصفي الجليل وان ربك هو الخلاق العليم فليثق بهذا الامان الشريف ولا يسي به الظنون ولا يصبى الى قول الذين لا يعلمون ولا يستشير في هذا الامر الا نفسه فيومه عندنا ما سمع لاسمه وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً فتمسك بعمرة هذا الامان فانما وثقي واعل عمل من لا يضل ولا يشقى ونحن قد اماننا فلا تخف ورعينا لك الطاعة والشرف وعفا الله عما سلف ومن اتناه فقد فاز فطب نفساً وقر عيناً فأت أمير الحجاز والحمد لله وحده) وكان الدم فيه شهامة وشجاعة وله سعادة طائفة ضخمة ومناجرو زراعات اقبى بها أمواله الاجزيلة وزوج ابنة بانية قاضي القضاة جلال الدين القزويني * (درب قبطون) هذا الدرب بين قيسارية جهار كس وقيسارية أمير على وهو نافذ الى خلق مستوف قد جهام القاضي وكان من حقوق درب الاسواني * (درب السراج) هذا الدرب على بسرة من سلك من الجامع الازهر طالبا لدرب الاسواني وخط الاكفائيين وكان من جملة خط درب الاسواني ثم افرد فصار من خط الجامع الازهر وكان يعرف اولاً بدرب السراج ثم عرف بدرب الشامي وهو الآن يعرف بدرب ابن الصديق * (درب القاضي) هذا الدرب يقابل مستوف قد جهام القاضي على يمينه من سلك من درب الاسواني الى الجامع الازهر وهو من حقوق درب الاسواني كان يعرف اولاً بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدي وزير العاضد ثم عرف بالقاضي السعيد أبي المعالي هبة الله بن فارس ثم عرف بزقاق ابن الامام وعرف أخيراً بدرب ابن لؤلؤ وهو شمس الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهار كس * (درب البيضاء) هو من جملة خط الاكفائيين الا ان المسلول اليه من الجامع الازهر وسوق القرايين عرف بذلك لانه كان به دار تعرف

بالدار البيضاء * (درب المنقدي) هذا الدرب بين سوق الخمين وسوق الخراطين على يمينه من سلك من الخراطين
 الى الجامع الازهر كان يعرف قديما برفاق غزال وهو صنعة الدولة أبو الظاهر اسماعيل بن مفضل بن غزال
 ثم عرف بدرب المنقدي وهو الآن يعرف بدرب الامير بكتر استادار العلای * (درب خراية صالح) هذا الدرب
 على يسرة من سلك من اول الخراطين الى الجامع الازهر كان موضعه في القديم مارستانا ثم صار مساكنا وعرف
 بخراية صالح وفيه الآن دار الامير طينال التي صارت بيد ناصر الدين محمد البارزي كاتب السرة وفيه أيضا باب
 سوق الصناديقين * (درب الحسام) هذا الدرب على يمينه من سلك من آخر سوق الباطنية الى الجامع
 الازهر عرف بحسام الدين لاجين الصفدي استادار الامير منجك * (درب المنصوري) هذا الدرب باول
 الحارة الصالحية تجاه درب أمير حسين عرف اولاً بدرب المنصوري وهو الامير قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب
 كان حياً في سنة ثمانين وسقانة وعرف أخيراً بدرب المنصوري وهو الامير قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب
 في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين * (درب أمير حسين) هذا الدرب في طريق من سلك من خط خان
 الدمري طالباً الى حارة الصالحية وحارة البرقية استجده الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون ومات
 في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مائة وكان آخر من بقي من أولاد الملك الناصر
 محمد بن قلاون وهو والد الملك الأشرف شعبان بن حسين * (درب القماحين) هذا الدرب كان يعرف بخط
 قصر ابن عمار من جملة حارة ككتامة قريماً من الحارة الصالحية وفيه اليوم دار خوندشقرا وحمام كراي وراء
 مدوسة ابن الغنام * (درب العسل) هذا الدرب على يمينه من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسيني
 كان يعرف اولاً بخوخة الامير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبي تميم معاً أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ومات
 في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة هو وأخوه الامير تميم بن المعز بالقاهرة ودقنا بترية القصر * (درب الجباسه)
 هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الابار بن الى المشهد الحسيني وهو من جملة القصر الكبير وبه دار خوخي
 التي تعرف اليوم بدار جهادر * (درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكية
 العتيق وفي صفه وهو من حقوق دار العلم التي استجذت في خلافة الأحرار ووزارة المأمون البطايحي فلما زالت
 الدولة اختط مساكن وسكن هناك القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر فعرف به * (درب الخازن) هذا الدرب
 ملاصق لسور المدرسة الصالحية التي للعبالة ومجاور لباب سرة قاعة مدرسة العبالة والسبيل الذي على باب
 فندق مسرور الصغير استجده الامير علم الدين سنجر الخازن الاشرفي والى القاهرة المنسوب اليه حكر الخازن بخط
 الصليبية وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة ويجب أهل العلم تنقل في المباشرات الى ان صار والى
 القاهرة فاشتهر بديقة الفهم وصدق الحدس الذي لا يكاد يخطئ مع عقل وسياسة واحسان الى الناس وعزل
 بالامير قديدار ومات عن تسعين سنة في ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبع مائة * (درب الحبيشي)
 هذا الدرب على يمينه من سلك من خط الزراكية العتيق طالباً لسوق الابار بن وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخزان
 منجك أصله من جملة القصر النافعي وكان يعرف بخط القصر النافعي ثم عرف بخط سوق الوراقين وهو الآن يعرف
 بدرب الحبيشي وهو الامير سيف الدين بليان الحبيشي أحد الأمراء الطاهرية ببيرس * (درب بقولا) الصفار
 بجارة الروم كان يعرف بدرب الرومي الجزار * (درب دغمش) هذا الدرب يتخذ الى الخوخة التي تخرج قبالة
 حمام الناضل المرسوم لدخول النساء كان يعرف قديماً بدرب دغمش ويقال طغمش ثم عرف بدرب كوز الزير
 ويقال كوز الزيت ويعرف بدرب القضاة بنى غثم من حقوق حارة الروم * (درب ارقطاي) هذا الدرب بجارة
 الروم كان يعرف بدرب الشجاع ثم عرف بدرب شيخ وهو تاج العرب شيخ الحلبي ثم عرف بدرب المعظم وهو الامير
 عز الملك المعظم ابن قوام الدولة تجبر بجيم وباء موحدة ثم عرف بدرب ارسل وهو الامير عز الدين ارسل بن قرأ
 رسلان الكاظمي والد الامير جاولي المعظم المعروف بجاولي الصغير ثم عرف بدرب الباسعردى وهو الامير علم
 الدين سنجر الباسعردى أحد كبار المالك البحرية الصالحية الجنية وولى نيابة حلب ثم عرف الى الآن
 بدرب ابن ارقطاي والعلامة تقول رقطاي بغير همز وهو ارقطاي الامير سيف الدين الحاج ارقطاي أحد مماليك
 الملك الأشرف خليل ابن قلاون وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجعله بدارا وكان هو والامير ابنتس نائب
 الكرك بينهما اخوة ولهما معرفة بلسان الترك القبياتي ويرجع اليهم فى الياسة التي هي شريعة جنكرخان

التي تقول العامة وأهل الجهل في زمانها هذا حكم السياسة يريدون حكم الياسة ثم إن الملك الناصر أخرجه من
الامير تنكر الى دمشق ثم استقر في نياية حصن السبع مضي من رجب سنة عشر وسبع مائة فباشرة امدته ثم نقله
الى نياية صفد في سنة ثمان عشرة فأقام بها وعرفها الاملاكا وتربة فلما كان في سنة ست وثلاثين طلب الى مصر
وجهاز الامير ايتش أخوه مكانه وعمل أمير مائة بمصر فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد فكان يعمل
نياية الغيبة اذا خرج السلطان للصيد ثم اخرج الى نياية طرابلس عوضا عن طينال فأقام بها الى ان توجه الطنبغا
الى طشطر نائب حلب وكان معه بمسكر طرابلس فلما جرى من هروب الطنبغا ما جرى كان ارتطاي معه فامسك
واعقل بسكندرية ثم افرج عن ارتطاي في اول سلطنة الملك الصالح اسماعيل بواسطة الامير ملكمقر الحجازي وجعل
أميرا الى ان مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شهبان ورسم له نياية حلب عوضا عن الامير بلغا الجياوي
فخضر اليها في جمادى الاولى سنة ست وأربعين فأقام بها نحو خمسة أشهر ثم طلب الى مصر فخر اليها فلم يكن
غير قليل حتى خلع الكامل وتسلط المظفر حاجي وولاه نياية السلطنة بمصر فباشرها الى ان خلع المظفر وأقيم
في السلطنة الملك الناصر استغنى من النياية وسأل نياية حلب فأجيب وولى نياية حلب وخرج اليها وما زال فيها
الى ان نقل منها الى نياية دمشق ففرح أهاليها به وساروا الى حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مرض
تحت بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة خمسين وسبع مائة وقد أناف عن السبعين
فعاد أهل دمشق خائبين وكان زكافطنا محججا لسانا مع بحمة في لسانه وله تبتيت مطبوع وميل الى الصور الجيلة
ما يكاد يملك نفسه اذا شاهد هامة كرم في الماء كور * (درب البنادين) بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة
طوائف العساكر في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب أمير جندار وهو يتخذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول
الرجال وأمر جندار هذا هو الامير علم الدين سنجر الصالح المعروف بامير جندار * (درب المكرم) بحارة الروم
يعرف بالقاضي المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزارنيب ابن سنا الملك * (درب الضيف) بحارة الديلم
عرف بالقاضي ثقة الملك أبي منصور نصر بن القاضي الموفق أمير الملك أبي الظاهر اسماعيل بن القاضي أمين
الدولة أبي محمد الحسن بن علي بن نصر ابن الضيف كان موجودا في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبه أيضا
رجبة تعرف برجبة الضيف منسوبة اليه * (درب الرصاصي) بحارة الديلم هذا الدرب كان يعرف بحكرو الامير
سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزك من وزراء الدولة الفاطمية ثم عرف بحكرو تاج الملك بدران بن
الامير سيف الدين المذکور ثم عرف بالامير عز الدين أبيك الرصاصي * (درب ابن الجاور) هذا الدرب
على يسرة من دخل من اول حارة الديلم كان فيه دار الوزير نجم الدين بن الجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به
وهو يوسف بن الحسين بن محمد بن الحسين أبو الفتح نجم الدين الفارسي الشيرازي المعروف بابن الجاور كان
والده صوفيا من أهل فارس ثم من شيراز قدم دمشق وأقام في دويرة الصوفية بها وكان من الزهاد والدين بمكان
وأقام بمكة ثم مات في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث وقدم
الى القاهرة ومات بدمشق اول رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة * (درب الكهارية) هذا الدرب
فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوكة اليه من القماحين ويتوصل منه الى المدرسة الشريفة
* (درب الصغيره) بتشديد الفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية وكان نافذا
الى المحمودية وهو الآن غير نافذ وأصله درب الصغيره تصغير صفراء هكذا يوجد في الكتب القديمة وقد دخل
بجميع ما كان فيه من الدور الجلية بالجامع المؤيدي * (درب الانجب) هذا الدرب تجاه بئر زويلة التي
من فوق فوهتها اليوم ربع بونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضي الانجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر
ابن علي أحد الشهود في أيام قاضي القضاة سنان الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر وكان حيا في سنة
بضع وعشرين وخمسمائة وينسب الى الحسين بن الانجب المسمى أحد الشهود المعدلين وكان موجودا
في سنة ستمائة ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد الدمشقي فانه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطي وهو قاضي
القضاة جمال الدين يوسف * (درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين كان
يعرف بدرب بنت جدة ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق * (درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار
مسند وقد حمام صاحب ورباط صاحب من خط سوبة صاحب عرف بتناصر الدين بن بلغا بن الامير

سيف الدين قطز المنصوري ومات بعد سنة ثمان وتسعين وسمائه * (درب الحريري) هذا ر. بن جملة دار الدياج هو ودر بن قطز المذكور قبله ويتوصل اليه اليوم من اقل سويقة صاحب وفيه المدرس القطبية عرف بالقاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري فانه كان ساكنا فيه * (درب ابن عرب) هذا الدرب يحيط بسويقة صاحب كان يعرف بدرب بن اسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب بن الزبير الاكبر الرؤساء في الدولة الفاطمية ثم سكنه القاضي علاء الدين علي بن عرب محاسب القاهرة في أيام الأمير بليغاق وكيل بيت المال فعرف به الى اليوم وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن علي بن محمد عرف بابن عرب ولي الحسبة بالقاهرة في آخر صفر سنة خمس وستين وسبع مائة وولي وكالة بيت المال أيضا وتوفي * (درب ابن مغش) هذا الدرب تجاه المدرسة صاحبة عرف أخيرا بتاج الدين موسى كاتب السعدى وناظر الخاص في الايام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة وكان ماجنا متشكرا يرمي بالسوء واما الديانة فانه قبطي وعنه أخذ سعد الدين ابراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ثم صار يتردد بعد ذلك الى مجامعهم وملك في واقعة تيمورلنك بمشق في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعدما احترق بالنار لما احترقت دمشق واكل الكلاب بعضه * (درب مشترك) هذا الدرب يقرب من درب العداس تجاه الخط الذي كان يعرف بالمسطاح وفيه الآن سوق الجوارى عرف اولاد درب الاخناى قاضي القضاة برهان الدين المالكي فانه كان يسكن فيه ثم هو الآن يقال له درب مشترك وهذه كلمة تركية أصلها بلسانهم ايج ترك بضم الهمزة واشتماءها ثم جيم بين الجيم والشين ومعنى ذلك ثلاث وترك بقاء مشاة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل وعز بته العاتة فقالت مشترك وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق فانه سكن بها ومات في سنة * (درب العداس) هذا الدرب فيما بين دار الدياج والوزيرية عرف بعلي بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس * (درب كاتب سيدى) هذا الدرب من جملة خط المحيين كان يعرف بدرب تقي الدين الاطريانى أحد موقعي الحكم عند قاضي القضاة تقي الدين الاخناوى ثم عرف بالوزير صاحب علم الدين عبد الوهاب القبطي الشهير بكاتب سيدى * (الوزير كاتب سيدى) * تسمى لما سلم عبد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين وعرف بين الكتاب الاقباط بكاتب سيدى وترقى في الخدم الديوانية حتى ولى ديوان المرتجع وتخصص بالوزير صاحب شمس الدين ابراهيم كاتب ارلان فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزارة بعد موت الوزير شمس الدين في سادس عشر شعبان سنة تسع وثمانين وسبع مائة فباشتر الوزارة الى يوم السبت رابع عشر رمضان سنة تسعين وسبع مائة ثم قبض عليه واقم في منصب الوزارة بدله الوزير صاحب كريم الدين بن الغنام وسله اليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فانفق استقراره في الوزارة وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قزره عليه فيقال انه حمل في هذا اليوم ثلثمائة ألف درهم عنها اذ ذاك نحو العشرة آلاف مثقال ذهباً ومات بعد ذلك من هذه السنة وكان كاتباً بليغاً كتب بيده بضعاً وأربعين رزمة من الورق وكانت ايامه ساكنة والاحوال متبسطة وفيه لين * (درب مخلص) هذا الدرب بجارة زويلة عرف بمخلص الدولة أبي الحيام طرف المستنصرى ثم عرف بدرب الرايض وهو الأمير طراز الدولة الرايض باصطبل الخليفة * (درب كوكب) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة الى درب الصقالبة عرف اولاً بالقائد الاعز مسعود المستنصر ثم عرف بكوكب الدولة ابن الحناكي * (درب الوشاقى) بجارة زويلة عرف بالأمير حسام الدين سنقر الوشاقى المعروف بالاعسر السلاح داراً أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (درب الصقالبة) بجارة زويلة عرف بطائفة الصقالبة أحد طوائف العساكر في أيام الخلفاء الفاطميين وهم جماعة * (درب الكنجي) بجارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالأمير شمس الدين سنقر شاه الكنجي الحاجب الظاهري قتلته قلاون أول سلاطنته * (درب رومية) هذا الدرب كان في القديم فيما بين زقاق القابله ودرب الزقاق القابله فيه اليوم كنيسة اليهود بجارة زويلة ويتوصل منه الى السبع سقايات ودار بيرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود ودرب الزقاق هو اليوم من جملة خط سويقة صاحب وبينهما الآن دور لا يصل اليه الا بعد قطع مسافة ودرب رومية كان يعرف اولاً بزقاق حسين بن ادريس العزيزي أحد اتباع الخليفة العزيز بالله

نزار بن المعز الدين الله ثم عرف بدرب رومية وهو بجوار زقاق القنابلة الذي عرف بزقاق العسل ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة * (درب الخضير) هذا الدرب يقابل باب الجامع الاثر الجري وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربي عرف بالامير عز الدين ابي مر الخضير أحد امراء الملك المنصور قلاوون * (درب شعلة) هو الشارع السلوك فيه من باب درب ملوخيا الى خط القهادين والعطوفية وقد خرب * (درب نادر) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلي وتوفي لا تثنى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة فبعث اليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلثمائة ألف دينار عينا وآتية من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار وكان أحد الخدام ذكره المسيحي في تاريخه وقد ذكر ابن عبد الظاهر ان بالسويقة التي دون باب القنطرة درب بايع عرف بدرب نادر فلعله نسب اليه درب كان هناك في القديم أيضا * (درب راشد) هذا الدرب تجاه خزنة البنود عرف بين الدولة راشدا والعزري * (درب النجيري) عرف بالامير سيف المجاهد بن محمد بن النجيري أحد امراء الخليفة الحافظ لدين الله وولي عسقلان في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت ولايتها اكبر من ولاية دمشق وهذا الدرب كان يتخذ الى درب راشد وهو الآن غير نافذ وفي داخله درب يعرف بأولاد الداية طاهر وقاسم الاضليلين أحد اتباع الافضل بن أمير الجيوش وعرف الآن بدرب الطفل وهو من جملة خطة قصر الشوك فانه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رجة الايدمرى * (درب قراصيا) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزمر الذي في مكانه اليوم المدرسة الحجازية وهذا الدرب اليوم من جملة خطه رجة باب العيد بجوار سجن الرحبة وقد هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وهدم كثير من دوره وعلمها وكالة الخانات ولم تكمل وهي الى الآن غير تكمله ثم كمل الملك المؤيد شيخ وجعله وقصاعلى جامع وهو الى الآن خان عامر * (درب السلامي) هذا الدرب من جملة خط رجة باب العيد وفيه الى اليوم أحد ابواب القصر المسمى بباب العيد والعانة نتيجة القاهرة وهذا الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك والى المارستان العتيق الصلاحي والى دار الضرب وغير ذلك * (عرف بجوار جامع محمد الدين السلامي) اسماعيل ابن محمد بن ياقوت الخواجا محمد الدين السلامي تاجر الخناص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان يدخل الى بلاد الطبر ويطعم ويهدو بالريق وغيره واجتهد مع جويان الى ان اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان أبي سعيد فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين وكان الملك الناصر يسفرو ويقتر معه أموراً فيتوجه ويقضي اعلى وفق مراده من بادات فأحبه وقربه ورتب له الرواتب الوفرة في كل يوم من الدراهم والعم والعليق والسكر والحلواء والكبايح والرفاق مما يبلغ في اليوم مائة وخسين درهما عنها يومئذ ثمانية مائة من الذهب وأعطاه قرية أراك يعلبك وأعطى ممالكه اقطاعا في الحلقة وكان يتوجه الى الاردن ويقم فيه الثلاث سنين والاربع والبريد لا ينقطع عنه وتجهز اليه التحف والاختصة ليفرقها على من يراه من خواص أبي سعيد واعيان الاردن ثقة بجمرفته ودرايته وكان النشوانظر الخالص لا يفارقه ولا يصبر عنه ومن املاكه يبلاد المشرق السلامية والمأخوذة والمرأوزة والمناصف ولما مات الملك الناصر قلاوون تغير عليه الامير قوصون وأخذ منه مبلغا بسيرا وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب وخبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودراية بما يتحفظها به من الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسنة وطلعة بهية ومات في داره من درب السلامي هذا يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ودفن بقرنته خارج باب النصر ومولده في سنة احدى وسبعين وسبعمائة بالسلامية بلدة من اعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقي وهي بفتح السين المهمة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مشناة من تحت مشددة ثم تاء التانيث * (درب خاص ترك) هذا الدرب برجة باب العيد عرف بالامير الكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الكبير أحد الامراء الصالحية النجمية أو بالامير عز الدين أيك المعروف بخاص الترك الصغير سلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري * (درب شاطي) هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك عرف بالامير شرف الدين شاطي السلاح داو في أيام الملك المنصور قلاوون وكان أميرا كبيرا مقدما بالديار المصرية وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فاقام بدمشق وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ومات بها في الحادي والعشرين

من شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة * (درب الرشيدى) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالامير عز الدين ايدمر الرشيدى ملاول الامير بلبان الرشيدى خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيرس البندقدارى وولى الامير ايدمر هذا استادار الاستاذ بلبان ثم ولى استادار الامير سلا رومات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة وكان سكنه فى هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه وكان فى القديم موضع هذا الدرب برا حقدام الحجر * (درب الفريحية) هذا الدرب على يمنة من خرج من الجمالون الصغير طاب الدرب الرشيدى المذكور وهو من الدروب التى كانت فى أيام الخلفاء * (درب الاصفر) هذا الدرب تجاه خاتناه الملك المظفر ركن الدين بيرس الجاشنكير وموضع هذا الدرب هو المنحر الذى تقدم ذكره * (درب الطاوس) هذا الدرب فى الحدة التى عند باب سر المارستان المنصورى على يمنة من ابتدا الخروج منه وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره ودرب الطاوس أيضا بالقرب من درب القدس فيما بين باب الخوخة والوزيرية * (درب ماينجار) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة عرف بالامير ماينجار الرومى الواقدى أيام الملك الظاهر بيرس وقد خربت تلك الديار فى سلطنة الملك المؤيد شيخ * (درب كوسا) هو الآن يسلك فيه على شاطئ الخليج الكبير من قنطرة الامير حسين الى قنطرة الموسيقى عرف بحسام الدين كوسا أحد مقتدى الخلفاء فى أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهذا الموضع تجاه دار الذهب التى تعرف اليوم بدار الامير حسين الطبرى السلاح دار الناصرى وقد خربت أيضا * (درب الجاكي) هذا الدرب بالحكر عرف بالامير شرف الدين ابراهيم بن على بن الجنيد الجاكي المهندار المنصورى وقد ترفى أيام المؤيد على يد الامير نخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار لما خرب ما هنالك * (درب الحرامى) بالحكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر بن محمد الحرامى وابنه محيى الدين يوسف وكانا من اجناد الخليفة * (درب الزراق) بالحكر عرف بالامير عز الدين ايدمر الزراق أحد الامراء ولاء الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون بيازة غزة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فأقام بهم امدة ثم استعفى بعد موت الملك الصالح وعاد الى القاهرة ثم توجه الى دمشق للعوطة على موجود الخاصكية ببلقا الحيواى فى الايام المظفرية وعاد فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن معه سوى الزراق واق سنقر وأيدمر الشمشى فقم الخاصكية عليهم ذلك واخرجوهم الى الشام فوصلوا اليها فى اول شوال سنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجيههم الى حلب فتوجه اليها على اقطاع وبها مات وكان دينه لينا فيه خير وكان هذا الدرب عامر اوفيه دار الزراق الدار العظيمة وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة ثم تقصت الدار فى أيام المؤيد شيخ على يد ابن أبى الفرج * (زقاق طريف) بالطاء المهمة هذا الزقاق من ازقة البرقية عرف بالامير نخر الدين طريف بن بكتوت وكان يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منار توفى فى ذى الحجة سنة اثنين وعشرين وخمسمائة * (زقاق منم) بجارة الديلم كان يعرف بمساطب الديلم والآن لم يعرف بالامير منم الدولة بآب كين البوسهاتى ثم عرف بزقاق جمال الدولة ثم بزقاق الجلاطى ثم بزقاق الصهرجى وهو والقاضى المنتخب ثمة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجى وكان حيا فى سنة ستين وخمسمائة * (زقاق الحمام) بجارة الديلم عرف قديما بخوخة المتقدي ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهرجى رزبك ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار * (زقاق الحرون) بجارة الديلم عرف بالامير الاوحد سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظاهر بأمر الله ثم عرف بابن مسافر عين القضية ثم عرف بزقاق القبة * (زقاق الغراب) بالحدودية كان يعرف بزقاق أبى العز ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيلى ثم قبل له زقاق الغراب نسبة الى أبى عبد الله محمد بن رضوان الملقب بغراب * (زقاق عامر) بالوزيرية عرف بعامر القماح فى حارة الاقاصه * (زقاق فرج) بالجليم من جملة ازقة درب ملوخيا عرف بفرج مهتار الطشتخا ناه الملك المنصور قلاوون كان حيا فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة * (زقاق حدة) الزاهدى بجارة برجوان عرف بالامير ركن الدين بيرس الزاهدى الرماح الاحدب أحد الامراء وعن له عدة غزوات فى الفرنج ولما تمالأ الامراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبقهم الى القلعة كان قد امه بيرس الزاهدى هذا فسقط عن فرسه وخرجت له حدة فى ظهره ومات فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكان مكان هذه الحفرة اخصاصا وهي الآن مساكن ينهازقاق يسلك فيه من رأس الحارة الى رحبة
الافئال

*** (ذكر الخوخ) ***

والقصدا اراد ما هو مشهور من الخوخ اولد كره فائدة والافئال الخوخ والدروب والازقة كثيرة جدا * (الخوخ السبع) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل منها الخلفاء اذا ارادوا الجامع الازهر فيخرجون من باب الديلم الذي هو اليوم باب المشهد الحسيني الى الخوخ ويعبرون منها الى الجامع الازهر فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الامير عقل ولم يكن فيه مساكن ثم عرف بعد اقتضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم اثر ابنته ويعرف اليوم بالابارين * (باب الخوخة) * هو أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج في حد القاهرة البحرى يسلك اليه من سويقة صاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه الى الخليج الكبير وميمون دبه يسكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصيا * (خوخة ايد غمش) هذه الخوخة في حكم أبواب القاهرة يخرج منها الى ظاهرا القاهرة عند غلق الابواب في الليل وأوقات الفتى اذا غلقت الابواب فينتهى الخارج منها الى الدرب الاحمر واليانسية ويسلك من هناك الى باب زويلة ويصار اليها من داخل القاهرة امام سوق الرقيق أو من حارة الروم من درب أرطى وهذه الخوخة بجوار حمام ايد غمش وهو * (ايد غمش الناصرى) * الامير علاء الدين اصله من مماليك الامير سيف الدولة بلبان الصالحى ثم صار الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله اميرا خور ووضاعن الامير بيرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الامراء مع ايد غمش على الامير قوصون فوافقه هم على محاربته وقبض على قوصون وجاعته وجهزهم الى الاسكندرية وجهزهم من امسك الطنبغا ومن معه وارسلهم أيضا الى الاسكندرية وصار ايد غمش في هذه النوبة هو المشار اليه في الحل والعقد فأرسل ابنه في جماعة من الامراء والمشايخ الى الكرك بسبب احضار أحد بن الملك الناصر محمد فلما حضر أحد من الكرك وتلبى بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايد غمش نائبا يحلب فسار الى عين جالوت واذا بالفخرى قد صار اليه مستجير اياه فأمنه وانزله في خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه الى الملك الناصر احمد وتوجه الى حلب فأقام بها الى أن استقر الملك الصالح اسماعيل بن محمد في السلطنة فقلعه عن نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة وما زال بها الى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة وأكمل الطارى وتحدث ثم دخل الى داره فاذا بجواربه يختصم من فضرب واحدة منهم ضربتين وشرع في الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد في تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جوادا كريما وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث انه أقر اولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته في قطافعاد * (خوخة الارقي) بحارة الباطلية يخرج منها الى سوق الغنم وغيره وهي بجوار داره * (خوخة عسيلة) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهي بحارة الباطلية مما يلي حارة الديلم في ظهر الزقاق المعروف بخزابة العجيل بجوار دار الست حدق * (خوخة الصالحية) هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزبك التي هدمها ابن قايمار وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بحتكين وهو الامير جمال الدولة بحتكين الظاهري ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزبك لان داره كانت هناك وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر * (خوخة المطوع) هذه الخوخة بحارة كامة في أولها مما يلي الجامع الازهر عند اصطبل الحسام الصفدى عرفت بالمطوع الشيرازى * (خوخة حسين) هذه الخوخة في الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الاسوانى ويسلك فيه الى حكر الرصاصى بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزاروفيه قبر تزعم العاتة ومن لا علم عنده أنه قريحي بن عقب وانه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب وهو كذب محتلق وافك مقترى كقولهم في القبر الذى بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق وفي القبر الآخر انه قبر أبى تراب النخشي وفي القبر

الذي على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويله أنه قبر زارع النوى وأنه صحابي وغير ذلك من أكاذيبهم التي اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزاً وسياً في الكلام على هذه المزارات في مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى * (وحسين هذا) * هو الأمير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزبك وزوج ابنة الصالح بن رزبك وكان كدياً قدمه الصالح بن رزبك ابن الصالح لما ولي الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزبك بن الصالح في الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسيناً في صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه ببقائه فأبى وولى الأمير أبي الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص إلى طريق الواحات فلما سمع رزبك بمسيره رأى في النوم مناماً عجيباً فأخبر حسيناً بأنه رأى مناماً فقال إن عصر رجلاً يقال له أبو الحسن علي بن نصر الارتاجي وهو حاذق في التعبير فاحضره وقال رأيت كان القمر قد أحاط به حنش وكأني رؤاس في حانوت فغاطه الارتاجي في تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له ما أعجبنى كلامك والله لا بد أن تصدقني ولا بأس عليك فقال يا مولاي القمر عندنا هو الوري كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رؤاس ألقبها تجدها شاور مصحفاً وموقع على غير هذا فقال حسيناً كتم هذا عن الناس وأخذ حسين في الاهتمام بأمره ووطأ أنه يريد التوجه إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد أحسن إلى أهلها وحل اليها ما لا وقاشا وأودعه عهد من يثق به هذا وأمر شاور بقوى ويتزايد ويصل الأرجاف به إلى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح في بني رزبك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس فأقول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزبك فقالوا خرج فانقطع قلبه لأن حسيناً كان مذكوراً بالشجاعة مشهوراً بها وله تقدم في الدولة ومكانة وممارسة للعروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهمزم إلى ظاهر أطفح قبض عليه ابن النيض مقدم العرب واحضره إلى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين في سنة

بجوار حمام الأمير علم الدين سنجر الحلبي وفي ظهر داره * (سنجر الحلبي) * أحد المماليك الصالحة ترقى في الخدم إلى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده في السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق في سنة ثمان وخمسين وسمّاه ودعا إلى نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقي أشهر وأول الملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق إلى أن خامر وأعلى سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياماً فلما خشي أن يقبض عليه فزمن القلعة إلى بعلبك فجهاز إليه الظاهر الأمير علاء الدين طبريس الوزيري وما زال يحاصره حتى أخذه أسيراً وبعث به إلى الديار المصرية فأعتقله الظاهر وما زال في الاعتقال من سنة تسع وخمسين إلى سنة تسع وثمانين وسبع مائة مدة تديف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولده وأيام الملك المنصور قلاوون فلما ولي الملك الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجهه أحد الأمراء الأكابر على عادته فلم يزل أميراً بمصر إلى أن مات على فراشه في سنة اثنين وتسعين وسبع مائة وقد جاوز تسعين سنة والنحنى ظهره وتفقوس * (خوخة الجوهرة) هذه الخوخة بأخرة زويله عرفت اليوم بخوخة الوالي لقربها من دار الأمير علاء الدين الكوراني وإلى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوي في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأقام في ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبع مائة بهدأ ستم القلنجي وإلى القاهرة إلى * (خوخة مصطفى) هذه الخوخة بأخرة زقاق الكنيسة من حارة زويله يخرج منها إلى القبو الذي عند حمام طاب الزمان المسلول منه إلى قبو منظره اللؤلؤة على الخليج عرفت بالأمير فارس المسكين مصطفى أحد أمراء بني أيوب الملوك وهو أيضاً صاحب هذا الحمام * (خوخة ابن المأمون) هذه الخوخة في حارة زويله بالدرب الذي بقرب حمام الكوبك ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويله وأصلها خوخة في درب ابن المأمون البطايحي * (خوخة كوتية أو سنقر) هذه الخوخة في الزقاق الذي يظهر المدرسة الفخرية بأخرة سوية صاحب كان يسلك منها إلى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بجذاء بيت القاضي أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل إلى أن بنى المهتار عبد الرحمن البباداره بجوارها في سني بضع وتسعين وسبع مائة فسدها وعرفت هذه الخوخة أخيراً بخوخة المسيري وهو قرد الدين بن السعيد المسيري * (خوخة أمير حسين) هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الأمير شرف الدين

حسين بن أبي بكر ابن اسماعيل بن حيدر بيك الرومي حين بنى القنطرة على الخليج الكبير وانشأ الجامع بحكر جوهر التوي * وجرى في فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بإيراده وهو أن الأمير حسين قصد أن يفتح في السور خوخة لتتم الناس من اهل القاهرة فيما الى شارع بين السورين ليعمر جامعته بمنعه الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك الا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للأمير حسين اقدام على السلطان وله به مؤانسة فعترفه أنه انشأ جامعاً وسأله أن يفسح له في فتح مكان من السور ليصير طريقاً فإذا يمر فيه الناس من القاهرة ويخرجون اليه فأذن له في ذلك وسمح به فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبير وودهن عليه رنكه بعد ماركب هنالك باباً ومتر الناس منه واتفق انه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ما أخليك تفتح في السور باباً حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت باباً على رغبهم أنفك لفتح الخازن من هذا القول وصعد الى القلعة ودخل على السلطان وقال يا خوند أنت رسمت للأمير شرف الدين أن يفتح في السور باباً وهو سور حصين على البلد فقال السلطان انما شاورني أن يفتح خوخة لاجل حضور الناس للصلاة في جامعته فقال الخازن يا خوند ما فتح الا باباً بعد اذل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد بعمل سلطاناً على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن في نفس السلطان أن ترا قبيحا وغضب غضباً شديداً وبعث الى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر الى دمشق بحيث لا يبيت في المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره

* (ذكر الرحاب) *

الرحبة باسكان الحاء وفتحها الموضع الواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير الا بان يبنى فيها قنذهب ويبنى اسمها او يبنى فيها ويذهب اسمها ويجهل وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة او داراً أو مسجداً والغرض ذكر ما فيه فائدة * (رحبة باب العيد) هذه الرحبة كان أولها من باب الريج أحد أبواب القصر الذي ادركا هدمه على يد الأمير جمال الدين الاستاد ارفى سنة احدى عشرة وثمانمائة والى خزائن البنود وكانت رحبة عظيمة في الطول والعرض غاية في الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها في ايام مواكب الاعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون الى أن يدخل من الباب المذكور الى القصر وقد تقدم ذكر ذلك ولم تزل هذه الرحبة جالية من البناء الى ما بعد الستمائة من الهجرة فاخطت فيها الناس وعمر وافيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من اجل اخطاط القاهرة وبنى اسم رحبة باب العيد باقياً عليها لا تعرف الا به * (رحبة قصر الشول) هذه الرحبة كانت قبلي القصر الكبير الشرقي في غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الأمير الحاج آل ملك بجوار المشهد الحسيني والمدرة الملكية الى باب قصر الشول عند خزائن البنود وبينها وبين رحبة باب العيد خزائن البنود والسفينة وكان السالك من باب الديلم الذي هو اليوم المشهد الحسيني الى خزائن البنود يميز في هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره والمناخ ودارا فتيكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيان ألبنة وما زالت هذه الرحبة باقية الى أن خرب القصر بفناء اهله فاخطت الناس فيها شياً بعد شئ حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الايدمرى * (رحبة الجامع الازهر) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الازهر وكانت كبيرة جداً ابتداء من خط اصطبل الطارمة الى الموضع الذي فيه مقعد الاكفائيين اليوم ومن باب الجامع البحري الى حيث الخراطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشول سوى اصطبل الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الازهر تترجل العساكر كلها وتقف في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الى الجامع وسيأ في ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع ولم تزل هذه الرحبة باقية الى اثناء الدولة الايوبية فشرع الناس في العمارة بها الى أن بقي منها اقدام باب الجامع البحري هذا القدر اليسير * (رحبة الحلبي) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الازهر ومن بقية رحبة الجامع التي تقدم ذكرها عرفت بالقاضي نجم الدين أبي العباس احمد بن شمس الدين علي بن نصر الله بن مظفر الحلبي التاجر العادل لانهم اتجهوا داره * (رحبة البانياسي) هذه الرحبة بدرب الاتراك تجاه دار الأمير طيدير الجدار الناصري وعرفت بالأمير نجم الدين محمود بن موسى البانياسي لان داره كانت فيها ومسجده المعلق هنالك ومات بعد سنة خمس مائة * (رحبة الايدمرى) هذه الرحبة من جهة رحبة باب قصر

الشول وعرفت بالايدي مري لان داره هناك * (والايدي مري) * هذا عملوك عز الدين ايدي مري الحلي نائب السلطنة في ايام الملك الظاهر بيبرس ترقى في الخدم حتى تأتمر في ايام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته في ايام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بترته في القرافة بجوار الشافعي رضي الله عنه * (رحبة البدرى) هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الايدي مري من باب قصر الشول ومن جهة المارستان العتيق وهي من جملة القصر الكبير عرفت بالامير يدي مري البدرى صاحب المدرسة البدرية فان داره هناك * (رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار اى ملك وهي من جملة رحبة قصر الشول عرفت بالامير ضروط الحاجب فانه كان يسكن هناك * (رحبة اقبغا) هذه الرحبة هي الآن سوق الخمين وهي من جملة رحبة الجامع الازهر التي مر ذكرها عرفت بالامير اقبغا عبد الواحد استاد الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية * (رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين لان هناك مسجدان أحدهما يقابل الآخر ويسلك من هذه الرحبة الى سويقة الباطلية والى زقاق تريده وعرفت اخيراً بالامير زين الدين مقبل الرومى امير جندار الملك الظاهر برقوق * (رحبة أدمر) هذه الرحبة في الدرب أول سوق الفزاسين مما يلي الاكفانيين عرفت بالامير سيف الدين ادمر الناصرى المقتول بمكة * (رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الاكفانيين تجاه دار الامير قردية الجندار الناصرى وكانت هذه الدار تعرف قديماً بالاسير سنجر الشكارى وله أيضاً مسجد معلق يدخل من تحته الى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التي فيها الذهب الشريط لعمل المزركش * (رحبة المنصوري) قبالة دار المنصوري عرفت بالامير قطوبغا المنصوري المقدم ذكره * (رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسيني كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد ابواب القصر الذي هو الآن المشهد الحسيني وبين اصطبل الطارمة * (رحبة أبى البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كتيلة بخط السفينة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى ابن على بن تمام السبكي الشافعى ومولده في سنة سبع وسبع مائة أحد العلماء الاكابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ومات في * (رحبة الحجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الحجازية وهي من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الحجازية * (رحبة قصر بشتال) هذه الرحبة تجاه قصر بشتال وهي من جملة القضاء الذي بين القصرين * (رحبة سلار) تجاه حمام اليسرى ودار الامير سلار نائب السلطنة هي أيضاً من جملة القضاء الذي كان بين القصرين * (رحبة الفخرى) هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الامير سيف الدين قطوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الاشرفى أحد امراء الملك الناصر محمد بن قلاوون * (رحبة الاكر) بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الامير سيف الدين الاكر الناصرى الوزير وتعرف أيضاً برحبة ابو بكرى لانها تجاه دار الامير سيف الدين ابو بكرى السلاح دار الناصرى وهي شارة في الطريق يسلك اليها من دار الامير تنكرو ويتوصل منها الى دار الامير مسعود وبقيّة الكافورى * (رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شبالة مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مخلق وافك مفترى ما اختلف أحد من اهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسيران جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك انه مات سنة ثمان واربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بخمسمائة سنة وعشرين والذى اظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى المكنى بأبى محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الافضل ابن امير الجيوش الوزارة من بعده أبى جعفر اخاه المظفر جعفر بن ابي العلامة عنه ونعت بالاجل المظفر سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل امير المؤمنين ابى محمد جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمطبخة من القائد أبى عبد الله محمد بن قاتك البطايعى ويقال بل كان يخرج في الليل يشرب بقاء ليلة وهو سكران فمازحه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقع ضربة في جنبه آلت به الى الموت والذي نقل انه دفن بقرية ابيه امير الجيوش فاما أن يكون دفن هنا أولاً ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ما ينسب اليه فانه بجوار دار المظفر التي من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها كما استشف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر * (رحبة الاقيال) هذه

الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل اليها من رأس الحارة ويسلك في حدة الزاهدي اليها وادركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسمى بالرحبة الافعال وكذا يوجد في مكاتب الدور القديمة ويقال ان القيلة في ايام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين وسبع مائة فعمر بها دورات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التي كانت سقاس القيلة يستقون منها ثم طمت هذه البئر بالتراب * (رحبة مازن) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التي خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بني الكوكبك * (رحبة اقوش) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الامير جمال الدين اقوش الرومي السلاح دار الناصري التي حل وقفها بها الدين محمد بن البرجي ثم بيعت من بعده ومات اقوش سنة خمس وسبع مائة * (رحبة برلغي) هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراستقريه تجاه دار الامير سيف الدين برلغي الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة * (رحبة لؤلؤ) هذه الرحبة بحارة الديلم في الدرب الذي بخط ابن الزلابي وهي تجاه دار الامير بدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصري وهو من جملة من قترع الامير قراستقرواقوش الا فرم الى ملك التتربوسعيد * (رحبة كوكاي) هذه الرحبة بحارة زويلة عرفت بالامير سيف الدين كوكاي السلاح دار الناصري وفيها المدرسة القطبية الجديدة * (رحبة ابن أبي ذكرى) هذه الرحبة بحارة زويلة وهي التي فيها البئر السائلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالامير ابن أبي ذكرى وهي من الرحاب القديمة التي كانت ايام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين * (رحبة بيبرس) هذه الرحبة يتوصل اليها من سويقة المسعودي ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فان يصدرها داره التي كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل وقفها وبيعت * (رحبة بيبرس الحاجب) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالامير بيبرس الحاجب لان داره بها ويبرس هذا هو الذي ينسب اليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وهذه الرحبة الآن فندق الامير الطواشي زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كان يعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب * (رحبة الموفق) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موقوف الدين أبي البقاء هبة الله ابن ابراهيم المعروف بالموفق الكبير وهي بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها الى الكافوري من حارة زويلة * (رحبة أبي تراب) هذه الرحبة فيما بين الخريشتف وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة الميدان ادركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها الى أبي تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لاخلق له أن به قبر أبي تراب النخشي وهذا القول من ابطال الباطل واقبح شيء في الكذب فان أبا تراب النخشي هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشي صاحب حاتم الاصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس واربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بخمسمائة وثلاث سنين وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء الخزومي خال أبي رحمه الله قبل أن يحتلط قال أخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوكما وان شخصا حفرفه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال اني ادركت هذا المسجد محفوقا بالكيمان من جهاته وهو نازل في الارض ينزل اليه نحو عشرين درج وما برح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة فنقلت الكيمان التراب التي كانت هناك حوله وعمر مكانها ما هناك من دور وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبع مائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وانا قرأت على بابيه في رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفي عدة اسطر تتضمن أن هذا قبر أبي تراب حيدرة ابن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الاربع مائة ثم لما كان في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سوت نفس بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه الى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فنجي من الناس ما لا شخذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردهم بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوى الارض التي تسلك المارة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغني أن الرخامة التي كانت على الباب نصبها على شكل قبراً حدثوه في هذا المسجد وبالله ان الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذي يعرف بجعفر الصادق لعظمة فانهما

صارا كالانصاب التي كانت تتخذها مشركوا العرب يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء في اوقات الشدة وينزلون بهذين الموضعين كرههم وشدة اثمهم التي لا ينزلها العبد الا بالله ربه ويستلون في هذين الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور ومن الزيت وغيره اليهما ظناً أن ذلك ينجيهم من المكروه ويوجب اليهم المنافع ولعمري ان هي الا كثرة خسارة والله الحمد على السلامة * (رحبة ارقطاي) هذه الرحبة بجارة الروم قدام دار الامير الحاج ارقطاي نائب السلطنة بالديار المصرية * (رحبة ابن الضيف) هذه الرحبة بجارة الديلم وهي من الرحاب القديمة عرفت بالقاضي أمين الملك اسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن علي بن نصر بن الضيف وفي هذه الرحبة الدار المعروفة باولاد الامير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصي وتعرف هذه الرحبة أيضاً بمحمدان البرازوبان المخزومي * (رحبة وزير بغداد) هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالامير الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شردن المعروف بوزير بغداد قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الخنفي قاترين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون باقطاع امره تقديماً ألف مكان الامير طارزباغا عند وفاته في ليلة السبت ثامن عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للامير نجم الدين محمود وزير بغداد في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبني له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركها دار النيابة وعمل له فيها شبك يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل الى أن صرف في أيام الملك الصالح اسماعيل بن محمد ابن قلاوون عن الوزارة بالامير ملكم السرجواني في سبتمبر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ثم أعيد في آخر ذي الحجة بعد منع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشرفاً جيب الى ذلك فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الامير سيف الدين ايتش الناصري في يوم الاربعاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها فباشرها ايتش قليلاً وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفى وذلك لقله المتحصل وكثرة المصروف في الانعام على الجوارى والخدم وحواشيهم وكانت الكفاف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومهرب السكر في شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار * (رحبة الجامع الحاكي) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التي وضعها القائد جوهر وكانت من جملة القضاء الذي كان بين باب النصر والمصلي فلما زاد امير الجيوش بدر الجالي في مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التي هي تجاه الجامع وما في صفها الى حمام الجاولي وبني فيها الشيخ قناب الدين الهرماس دار املاصة لجدار الجامع ثم هدمت كجاسمياً في خبرها ان شاء الله تعالى عند ذكر الدور وفي موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجارية ذلك في املاك ابن الحاجب وادركت انشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ اجرتها للجهة وقف الجامع * (رحبة كتيبا) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهي الآن من خط الصيارف بسلك اليهم من الجبلون الكبير بسوق الشرايين ومن خط طواحين المهين وغيره عرفت بالملك العادل زين الدين كتيبا فانها تجاه داره التي كان يسكنها وهو امير قبل أن يستقر في السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها في زمننا وبيعت * (رحبة خوند) هذه الرحبة باخرة زويلة فيما بين اربين وسويقة المسعودي يتوصل اليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودي وهي من الرحاب القديمة كانت تعرف في ايام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الامير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الامراء ولما قام طلائع ابن رزبك بالوزارة في سنة تسع وأربعين وخمس مائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح بن رزبك ذلك فقبض عليه وعلى اولاده واعتقلهم في يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة فلم يزل في الاعتقال الى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح اولاده من الاعتقال وأمرهم وأحسن اليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الامير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت ثم عرفت في الدولة

الايوبية برحبة ابن منقذ وهو الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة القلك المسيرى وهو الوزير قلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل ابي بكر بن الملك العادل بن ايوب ثم عرفت الان برحبة خوند وهي الست الجليلة أردو تكيين ابنة نوحه السلاح دار زوج الملك الاشرف خليل بن قلاوون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهي صاحبة تربة الست خارج باب القرافة وكانت خيرة وماتت أيماني سنة اربع وعشرين وسبع مائة * (رحبة قرا سنقر) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الامير قرا سنقر وبها الان حوض تشرب منه الدواب * (رحبة بيغرا) بدرب ملوخيا عرفت بالامير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره * (رحبة الفخري) بدرب ملوخيا عرفت بالامير منكلي بغا الفخري صاحب التربة بظاهر باب النصر لانها تجاه داره * (رحبة سنجر) هذه الرحبة بحارة الصالحية في آخر درب المنصوري عرفت بالامير سنجر الجفقدار علم الدين الناصري لانها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاي وهو الامير ناصر الدين محمد بن الامير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب طرابلس * (رحبة ابن علكان) هذه الرحبة بالجودرية في الدرب المجاور للمدرسة الشريفة عرفت بالامير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردي زوج ابنة الامير يار كوج الاسدي وبابنه منها الامير ابو عبد الله سيف الدين محمد بن عثمان وكان خيرا استشهد على غزاة بيد الفرنج في غزاة شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه هذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحى * (رحبة ازدمر) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالامير عز الدين ازدمر الاعلى الكاشف لانها كانت أمام داره * (رحبة الاخناى) هذه الرحبة في بابين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوذة امير حسين عرفت بقاضى القضاة بهان الدين ابراهيم بن فاضى القضاة علم الدين محمد بن ابي بكر بن عيسى بن بدران الاخناى المالكى لانها تجاه داره وقد عمر عليها درب في أعوام بضع وتسعين وسبع مائة * (رحبة باب اللوق) رحاب باب اللوق خمس رحاب يطلق عليها كاه الان رحبة باب اللوق وبها تجتمع اصحاب الحلق وارباب الملاعب والحرف كالشعبذين والحنابليين والحواة والمثاقفين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد ما لا ينحصر كثرة وكان قبل ذلك في حدود ما قبل الثمانين وسبع مائة من سنى الهجرة انما تجتمع الناس لذلك في الطريق الشارح المسلول من جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة قد ادار * (رحبة التبن) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق في بحرى منشاة الجوانية شارة في الطريق العظمى المسلول فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة المذكور ويتوصل اليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال باجمال التبن لتبائع هنالك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سوقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط انما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة * (رحبة الناصرية) هذه الرحبة كانت في بابين الميدان السلطاني والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق في ليالى ايام ركوب السلطان الى الميدان في كل سنة من الاجتماع والانس ما ستقف على بعض وصفه عند ذكر المنزهات ان شاء الله تعالى وقد خربت الاماكن التي كانت هنالك وجهت هذه الرحبة الا عند القليل من الناس * (رحبة ارغون ازك) والعاقبة تقول رحبة ازك ييا وهي رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهرى الا في ذكره ان شاء الله في الاحكار وعرفت بالامير ارغون ازك

* (ذكر الدور) *

قال ابن سيده الدار المجل يجمع البناء والعروة التي هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدور وأدور وديار وديارة وديارات وديران ودور ودورات والدارة لغة في الدار والدار البلد والبيت من الشعر ما زاد على طريقة واحدة وهو مذكور يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير الابنية التي هي الاخبية بيت وجمع البيت ايسات وأبايت وبيوت وبيوتات والبيت أخص من الدار فكل دار بيت ولا ينعكس ولم تكن العرب تعرف البيت الا انجباء ثم لما سكنوا القرى والامصار وبنوا بالمدروالين سمو امانا زلهم التي سكنوها دورا وبيوتا وكانت الفرس لا تبع شريف البنين كما لا تبع شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم في النواويس والجمامات والقباب الخضر والشرف على جيطان الدار وكالعقد على الدهليز * (دار الاجدى) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين وبها مشرف عال فوق بدنة من بدات سور القاهرة تنظر منه أرض الطبالة

وخارج باب الفتوح وهي إحدى الدور الشهيرة عرفت بالامير بيرس الاحمدى * (بيرس الاحمدى) ركن الدين امير جندارتقل في الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار امير جندار أحد المتقدمين فلما مات الملك الناصر قوى عزم قوصون على اقامة الملك المنصور أبى بكر بعد أبيه وخالف بشتاك فلما نسب المنصور الى اللعب حضر الى باب القصر بقلعة الجبل وقال أى شئ هذا اللعب فلما ولى الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام بها مدة ثم أحس من الناصر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره الى دمشق وليس بها نائب فجهم الامراء بهامساكه ثم أخروا ذلك وأرسلوا اليه الاقامة فقدم اليريد من الغد بهامساكه فكتب الامراء من دمشق الى السلطان يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لا بد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وارسله فأبوا من ذلك وخلعوا الطاعة وشقوا العصا جميعا فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر أحمد واقامة الصالح اسماعيل فى الملك بدله والاحمدى مقيم بمصر تنكر من دمشق فورد عليه مرسوم بنبابة طرابلس فتوجه اليها وأقام بها نحو الشهرين ثم طلب الى مصر فسار اليها وأخرج لمحاصرة احمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيئا ثم عاد الى القاهرة فأقام بها حتى مات فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست واربعين وسبع مائة وله من العمر نحو الثمانين سنة وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وإيثار الصالحين وله عماليك قد عرفوا بالشجاعة والتجدة وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره معرفته بالايام والوقائع وما برحت ذريته بهذه الدار الى الآن وأظنهم موقوفة عليهم * (دار قراستقر) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين انشاها الامير شمس الدين قراستقر وبها كان سكنه وهي إحدى الدور الجليلة ووجد بها فى سنة اثنى عشرة وسبع مائة لما احيط بها اثنان وثلاثون ألف دينار ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك فحمل الجميع الى بيت المال ولم تزل جارية فى اوقاف المدرسة القراستقرية الى أن اغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اغتصب من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته التى انشاها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق وارجميع جميع ما خلفه وصار فى جلة الاموال السلطانية ثم افرد من الاوقاف التى جعلها جمال الدين على مدرسته شيئا وجعل باقى الاولاده وعلى تربته التى انشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحرى تحت الجبل خارج باب النصر فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الامير طوغان الدوادار وكانوا كسارق من سارق وما من قتل يقتل الاوعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه اقل من سن القتل * (دار البلقينى) هذه الدار تجاه مدرسة شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى من حارة بهاء الدين انشاها قاضى قضاة العساكر بدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى ومات فى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبع مائة ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام وكلها وبها الآن سكنه وهي من اجل دور القاهرة صورة ومعنا وقد ذكرت الاخوين وابيهما فى كتابى المنعوت بدرر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة فانظر هناك أخبارهم * (دار منكوتقر) هذه الدار بجحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتقرية انشاها الامير منكوتقر نائب السلطنة بجوار مدرسته الا ترى ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء الله تعالى وهي من الدور الجليلة وبها الى اليوم بعض ذريته وهي وقف * (دار المظفر) هذه الدار كانت بجحارة برجوان انشاها امير الجيوش بدر الجلالى الى ان مات فلما ولى الوزارة من بعده ابنه الافضل ابن امير الجيوش وسكن دار القباب التى عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد جعفر بن امير الجيوش بهذه الدار فعرفت به وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر فى هذا الكتاب وآخر ما عرفه انها كانت ربعا وحاما وخرائب فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبع مائة وكانت الحمام قد خربت قبل ذلك فلم تزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسبع مائة فشرع قاضى القضاة شمس الدين محمد بن احمد بن أبى بكر الطارابلسى الخنقى فى عمارتها فلما حفر أساس حداره القبلى ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع يشبه أن يكون عتبة دار المظفر وكان الامير جهار كس الخليلي اذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التى انشاها الملك الظاهر برقوق بخط بين القصرين فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها الى العمارة فجعلها فى المرتلة التى تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية وكل قاضى القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار المظفر فجاءت من احسن دور القاهرة وتحوّل اليها بأهلها وما زال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاة

القضاة الخففية بالديار المصرية في ليلة السبت الثامن عشر من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من
العمر سبعون سنة وأشهر ومولده بطرابلس الشام وأخذ الفقه على مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ عَنْ جِماعته من
اهل طرابلس ثم خرج منها الى دمشق فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفي ووصل الى القاهرة وقاضى
الخنفية بها قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى فلزمه وولاه العقود واجلسه ببعض حوائت الشهود
فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة وقرأ على قاضى القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاة بالشارع
فباشرها مباشرة مشكورة وأجازها العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي بالافتاء والتدريس فلما مات
صدر الدين بن منصور قلده الملك الظاهر برقوق قضاء القضاة مكانه في يوم الاثنين ثاني عشرى شهر ربيع الآخر
سنة ست وثمانين وسبعمائة فباشرها قضاء بعنف وصيانة وقوة في الاحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصولته تذكروا
لها الخاصة والعامة الى أن صرف في سابع عشر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضى القضاة
محمد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركمانى فلم يزل الى أن عزل محمد الدين وولى من بعده قاضى القضاة وناظر
الجيش جمال الدين محمود القيصرى وهو ملازم داره وما يده من التدريس وهو على حال حسنة وتجدد من
الكفاة الى ان استدعاه السلطان في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وسبعمائة قلده
وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصرى فلم يزل حتى مات من عامه رحمه الله تعالى وهذه الدار على يسرة من سلك
من باب حارة برجوان طالبا المسجد المنى بجعفر وأما الحمام فانها في مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضى القضاة
شمس الدين ومن بجلة حقوق دار المظفر رحبة الاقبال وحديقة الزاهدى الى الدار المعروفة بسكنى قريبا من حمام
الرومى * (دار ابن عبد العزيز) هذه الدار بجارة برجوان على يمنة من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومى
أيضا من بجلة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت فابتدأ عمارتها غر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف
ابن الكوكب ناظر الاحباس ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة فماتت في رجب سنة اثنتين
وستين وسبعمائة وقد تزوجت من بعده بالقاضى الرئيس بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبي
طالب ابن علي بن عبد الله ابن سيدهم النجوى السراوى فانتقلت اليه وماتت في سنة أربع وسبعين وسبعمائة
في العشرين من جمادى الاولى وورثه من بعده مائة كريمة الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز
ابن عبد الكريم ابن أبي طالب ابن علي بن عبد الله بن سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين
سنة وولى نظرا للجيش بديار مصر للظاهر برقوق فباعها لقربيه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز وكلها
وسكنها مدة طويلة الى ان باعها في سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألف دينار ذهباً لخوند فاطمة ابنة الامير منجك
فوقفها على عتقها وهي الى اليوم بيدهم وتعرف بيت ابن عبد العزيز المذكور اطول سكنه بها وكان خيرا
عارفا بلى كتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثلاثاء في عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة
* (دار الجقدار) هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان تحت القبو طالبا حمام الرومى عرفت
بالامير علم الدين سنجر الجقدار من الامراء البرجية وقدمه الملك الناصر محمد تقدمه ألف بعد مجيئه من الكرك
الى مصر ثم أخرجه الى الشام فأقام بها الى ان حضر قطا وبغا القصرى في نوبة أحمد بالكرك فحضر معهم واستقر
من الامراء بالديار المصرية الى ان مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس واربعين وسبعمائة وقد كبر وارتعش
وكان روميا ألغى ثم صار لخالد بن الزراد المقدم فلما قبض عليه ومات في ثاني عشرى جمادى الآخرة سنة خمس
واربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه ديوان السلطان حسن فصارت في يد ورثته الى ان باع بعض
أولاده اسهاما منها فاشترها الامير سودون الشيخون نائب السلطنة ثم ثقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان
حسن بن محمد بن قلاوون الى ان ملك ما تملك منها بالبصرة قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى وسكنها
الى ان سافر فصارت من بعده لورثته فباعوها الشيخ زين الدين أبي بكر القمى وهي بيده الآن * (دار اقوش)
الرومى بجارة برجوان هذه الدار من أجل دور القاهرة وبابها من نحاس بدع الصنعة يشبه باب المارستان
المنصورى وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح
دار الناصرى وبنى سنة سبع وسبعمائة وهي بمواقفه على ترابته بالقرافة وقد خرب اصطبلها وعلوه ويسع نقض
ذلك وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت انقضا وصارت من بجلة الاملاك * (دار بنت السعيدى) هذه

الدار بمحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى ان اشترها شهاب الدين احمد بن طوغان ودادار
الامير سودون الشيخونى نائب السلطان فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها
وصيرها ساحة بها فصار من أعظم الدور اتساعا وزخرفة وفيها آثار سبعة معينة وفسقية ينقل اليها الماء بساقية
على فوهة بئر وما زال صاحبها شهاب الدين فيها الى ان سافر الى الاسكندرية فى محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات
رحمه الله وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع * (دار الحاجب) هذه الدار فيما بين الخرشنة وحارة برجوان
كان مكانها من جملة الميدان وكان يسلك من حارة برجوان فى طريق شارعها الى باب الكافورى فلما عمر الامير
بكثر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق وركب بابا بخوذة مما يلي حارة برجوان واشترط عليه الناس
ان لا يمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفى بما اشترط وما برح الناس يمرّون من هذا الطريق فى وسط الاصطبل
على باب داره سالكين من حارة برجوان الى الكافورى والخرشتة ومنها الى حارة برجوان وانا سلكت من هذه
الطريق غير مرة وكان يقال لها خوذة الحاجب ثم اطال الامد وذهبت المشيخة نسبت هذه الطريق وقفل
الباب وانقطع سلوك الناس منه وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار وما برحت هذه الدار ينصب على بابها
الطوارق دائما كما كانت عادة دور الامراء فى الزمن القديم فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من
جانبى الباب وعلى اسكفته و باب هذه الدار تجاه باب الكافورى وعرفت بالامير سيف الدين بكتر الحاجب
صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وبيعت كما بيع غيرها
من الاوقاف وهنالك ترى ترجمته * (دار تنكرز) هذه الدار يخط الكافورى كانت للامير ايلى البغدادى وهى
من اجل دور القاهرة وأعظمها انشاها الامير تنكرز نائب الشام وأظنه أوقفها فى جملة ما أوقف وكان بها ولده
وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن جاعة فأنفق فى زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم عنها
يومئذ ما ينف عن سبعمائة دينار مصرية ولم تزل هذه الدار وقفا الى ان بيعت على انها ملك فى سنة احدى
وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها وبني تجاهها جامع * (تنكرز
الاشرفى) سيف الدين أبو سعيد خليل جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ به عند الملك
الاشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون اقره امره عشرة قبال توجهه الى الكرك
وسافر معه الى الكرك وترسل عنه منها الى الافرم فاتهمه ان معه كتباً الى الامراء بالشام وعرض عليه العقوبة
فارجف منه وعاد الى الناصر فقال له ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق
فوصلها فى العشرين من ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها وسار بلا عساكر الى
مطبية واقتنعها فى محرم سنة خمس عشرة وعظم شأنه وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الامراء يظلم ذمياً فضلاً
عن مسلم خوفاً من بطشه وشدة عقوبته وكان السلطان لا يفعل شيئاً بمصر الا ويره فيه وهو بالشام وقدم
غير مرة على السلطان فأكرمه وأجله بحيث انه انعم عليه فى قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما يبلغه ألف ألف
درهم وخمسون ألف درهم عنها خمسون ألف دينار ونيق سوى الخيل وزادت املاكه وسعاده وانشا جامعاً
بدمشق بديع الوصف بهج الزى وعدة مواضع وكان الناس فى أيامه قد آمنوا كل سوء الا انه كان يتخيل خيالا
فيحتمد خلقه ويشتمد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبتة وكان
اذا غضب لا يرضى البتة بوجهه واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ويكون الذنب صغيراً فلا يزال يكبره
حتى يخرج فى عقوبة فاعله عن الحد ولم يزل الى ان أشيع بدمشق انه يريد العبور الى بلاد الطار فبلغ ذلك
السلطان فتذكر له وجهه من قبض عليه فى ثالث عشرى ذى الحجة سنة أربعين واربعمائة وهدم الامير
بشتاك الى دمشق لقبضه وخرج الى مصر ومعه من مال تنكرز وهو من الذنب العين ثلاثمائة ألف وستة
وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش
والقماش ثمانمائة حل ثم استخرج به من بقايا امواله اربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم
فلما وصل تنكرز الى قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية واعتقل فيها نحو الشهر وقتل فى محبسه ودفن به فى يوم
الثلاثا حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب انه أمسك يوم الثلاثاء ودخل
مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وقتل يوم الثلاثاء ثم نقل الى دمشق فدفن بترته جوار

جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد ثلاث سنين ونصف بشـ فاعة ابنته
 * (دار أمير مسعود) هذه الدار بأخر خط الكافوري عرفت بالأمير بدر الدين مسعود بن خطير الرومي
 أحد الأمراء بمصر أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة إلى نياية غزة
 ثم نقل منها إلى امره دمشق وولى نياية طرابلس ثم أبعده إلى دمشق وأصله من اتباع الأمير تنكز فشكره عند الملك
 الناصر وقدمه حتى صار أميراً حاجباً فلما قتل تنكز أخرجه لنياية غزة وتنقل في نياية طرابلس ثلاث مرات إلى
 أن استعفى من النياية فأُنعِمَ عليه بأمره في دمشق وعلى ولديه بأمره طبلخاناه وما زال مقيماً بها حتى مات في سابع
 شوال سنة أربع وخسين وسبعمائة بدمشق ومولده به ليلة السبت سابع جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين
 وسبعمائة * (دار نائب الكرك) هذه الدار فيما بين خط الخرشنة وخط باب سر المارستان المنصوري وهي
 من جملة أراض الميدان عرفت بالأمير اقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع * (اقوش
 الأشرفي) * جمال الدين ولاء الملك الناصر محمد بن قلاوون نياية دمشق بعد مجيئه من الكرك وعزله تنكز بعد
 قليل واعتقله إلى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم أفرج عنه وجعله رأس المينة وصار يقوم له إذا قدم
 ميمزاه عن غيره من الأمراء وكان لا يلبس مصصة ولا يعيش من داره هذه إلى الحمام وهو حامل المنزر والطاسة
 وحده فيدخل الحمام ويخرج عرباناً فاتفق مرة أن رجلاً رآه فعرفه وأخذ الحجر وحلّ رجله وغسله وهو لا يكلمه
 كلمة واحدة فلما خرج وصار إلى داره طلب الرجل وضربه وقال له أنا مالي مملوك ما عندى غلام مالي طاسة حتى
 تجبراً علي أنت وكان يتوجه إلى معبد له في الجبل الأحمر وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ويدخل منه إلى
 القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى يصل إلى داره وباشترط المارستان المنصوري مباشرة جديده ثم أخرجه
 السلطان إلى نياية طرابلس في أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ثم طلب الأقالة فأعفى وقبض
 عليه واعتقل بقلعة دمشق ثم نقل منها إلى صفد فحبس بها في برج ثم أخرج منها إلى الإسكندرية فمات بها معتقلاً
 في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان عسوقاً جباراً في بطشه مات عدة من الناس تحت الضرب قدماه وكان كريماً
 سحياً إلى الغاية وعرف بنائب الكرك لأنه أقام في نيايتها من سنة تسعين وسبعمائة إلى سنة تسع وسبعمائة
 * (دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهي اليوم من خط باب سر المارستان المنصوري أنشأها
 علاء الدين علي بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الأطباء ومات بحلب عندما توجه
 إليها في خدمة الملك الظاهر برقوق في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن
 بها ثم نقلته ابنته إلى القاهرة ودفنته بظاهرها * (دار بيرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهي الآن
 من خط باب سر المارستان عرفت بالأمير بيرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلي والجرف
 * (بيرس الحاجب) * الأمير ركن الدين ترقى في الخدم إلى أن صار أميراً خوراً فلما حضر الملك الناصر من
 الكرك عزله بالأمير أيد غمش وعمله حاجباً ونائباً في الغيبة عن الأمير تنكز بدمشق لما حج ثم تجرد إلى اليمن وعاد
 فشكر عليه السلطان وحبسه في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه في رجب سنة خمس
 وثلاثين وجهزه من الإسكندرية إلى حلب فصار بها أميراً من أمراء ثم تنقل منها إلى امره بدمشق بعد عزل
 تنكز فلم يزل بها إلى أن توجه الفخري وطشقر إلى مصر فأقره على نياية الغيبة بدمشق وكان قد أسن ومات في شهر
 رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وأدركه كاله حفيده يعرف بعلاء الدين أمير علي بن شهاب الدين أحمد
 ابن بيرس الحاجب قرأ القرآن السبع على والده وكان حسن الأداء للقراءة مشهوراً بالعلاج يعالج بمائة
 وعشرة أرتال مات وهو ساح في سابع ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة * (دار عباس) هذه الدار
 كانت في درب شمس الدولة عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس أصله من المغرب وترقى
 في الخدم حتى ولى الغربية ولقب بالأمير ركن الإسلام وكانت أمته تحت الأمير المظفر علي بن السلار وإلى البحراء
 والإسكندرية فلما رحل علي بن السلار إلى القاهرة وأزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة واستقر
 مكانه في وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعدل قدمه لمحاربة بن مصال فلم يزل غرضاً يخرج إليه عباس
 حتى ظفريه وولى ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشـ فاعة جدته أم عباس فاخص به الخليفة الظافر
 واشتغل به عن سواه وكان جريماً قدماً ما يخرج إليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من

الامراء ملهم والضرغام واسامة بن منقذ وكان اسامة خصيصا بعباس فلما نزلوا ببلبيس نذاكر عباس واسامة
مصر وطيبها وما هم خارجون اليه من مقاساة السفر ولقاء العدو فتنازع عباس اسفا على مفارقة لذاته بمصر
وأخذ يثرب على العادل بن السلار فقال له اسامة لو أردت كنت انت سلطان مصر فقال كيف لي بذلك قال
هذا اولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودة عظيمة تخاطبه على لسانه ان تكون سلطان مصر موضع زوج أمك
فانه يحبك ويكرهه فاذا اجابك فاقتله وصرف في منزلته فاعجب عباس ذلك وجهاز ابنه لتقرب ما اشار به اسامة
فسار الى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما اتقرر فأجابته اليه ونزل الى
دار جدته وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فاج الناس ومروح الطائر من القصر الى عباس وهو على
بلبيس في الانتظار فقام من فوره ودخل القاهرة سحر يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخسمائة
فوجد عدة من الاتراك قد نفر واخرجوا ايدا واحدة الى الشام فصار الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة فباشر
الامور ووسط الاحوال وأكرم الامراء وأحسن الى الاجناد وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف ان يقتله
كما قتل ابن السلار فزال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار الى القصر على العادة فلما جلس في مقطع
الوزارة سأل الاجماع على الخليفة فدخل الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد اليه أحضر أخوى الظافر
وانهم هما بقتله وقتله ما قدما واستدعى بولد الظافر عيسى واقبته بالفاتر بنصر الله وكثرت النباحة على الظافر
وبحث أهل القصر على كيفية قتله فكتبوا الى طلائع بن رزبك وهو والى الاشمونين يستدعونه فحشد وسار
فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتى انه مري يوم افرغ من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوه
طعما ما حار فقول على الفرار وخرج ومعه ابنه واسامة بن منقذ وجميع مالهم من اتباع ومال وسلاح ودخل
طلائع الى القاهرة واستقر في وزارة الخليفة الفاتر فسير أهل القصر الى القريش البريد يطلب عباس فخرجوا اليه
وكانت بينهم وبينه وقعة فز فيها اسامة في جماعة الى الشام فظفر به القريش وقتلوه وأخذوا ابنه في قصص من
حديد وجهازوه الى القاهرة وذلك في شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخسمائة فلما وصل ابنه الى القصر قتل
وصلب على باب زويلة واحرق بعد ذلك ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدارت في الدين صاحب جاء ثم خربت وحكر
مكائنها فصار يعرف بحكر صاحب جاء وبني فيه عدة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب
من حمام عباس التي تعرف اليوم بحمام الكوكب * (دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بين حارة زويلة
والسند قاتين كان موضعها من جملة اصطبل الجيزة عرفت بابن فضل الله * وبنو فضل الله جماعة اولاهم بمصر
* (شرف الدين) عبد الوهاب بن صاحب جمال الدين أبي المائر فضل الله ابن الامير عز الدين الحلبي بن دبحان
العمرى ولي كتابة السر للملك الناصر محمد بن قلاوون ثم صرفه عنها وولاه كتابة السر بدمشق فلم يزل بها حتى مات
في ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة وقد عمر وبلغ أربعة وتسعين سنة وخلف أمواله الاجرة وورثاه الشهاب
محمود وقد ولي بعده وارثاه علاء الدين علي بن غانم والجمال ابن نباتة وكان فاضلا بارعا ادبيا عاقلا وقورا ناهضا
ثقة امينامشكورا ملج الخط جيد الانشاء حدث عن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره ومنهم
(محيي الدين) محيي بن صاحب جمال الدين أبي المائر فضل الله بن محيي بن دبحان بن خلف بن نصر بن منصور بن
عبد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطيب القرشي العدوي العمرى ولي كتابة
السر بالديار المصرية عن الملك الناصر نقل اليها من كتابة سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه الى مصر
وأقيم بدله في كتابة سر دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود وكان استقراره في محرم سنة ثلاثين
وسبعمائة فباشرها الى ثانی عشر شعبان سنة ثنتين وثلاثين ونقل منها الى كتابة السر بدمشق وطلب شرف الدين
ابن الشهاب محمود فاستقر في كتابة السر بمصر الى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وطلب محيي الدين
من دمشق هو وابنه شهاب الدين احمد فوصلا الى القاهرة غرة جمادى الاولى وخلع عليهم ما ورسم لهما بكتابة السر
ونقل ابن الشهاب محمود الى كتابة السر بدمشق فلم يزل محيي الدين يباشر كتابة السر هو وابنه الى ان كان من تنكز
السلطان ولده شهاب الدين ما كان وذلك انه كان استعفى من الوظيفة لثقل معه وكبر سنه فأذن له ان يقيم ابنه
القاضي شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحيي الدين والمباشر ابنه شهاب الدين الى ان حضر الامير تنكز نائب
الشام الى القلعة وسأل السلطان في علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل المعروف بابن القطب ان يوليه

كتابة السرّ بدمشق وكان السلطان لا يمنع تنكز شيئاً بسأله فخلع عليه وأقره في ذلك عوضاً عن جمال الدين عبد الله ابن الأثير فأخذ شهاب الدين يتقصه عند السلطان بأنه نصراني الأصل وليس من أهل صناعة الانشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت إلى ما يرمى به رعاية تنكز فلما كتب توقيع ابن القطب أرادته كثير الاقارب والزيادة له في المعلوم فامتنع شهاب الدين من كتابة ذلك وكان حاد المزاج قوى النفس شرس الاخلاق فضاها السلطان بغلظة ومخاشنة في القول وكان من كلامه كيف تعمل قبطياً أسلياً كاتب السرّ وتزيد في معلومه وبالغ في الجراءة حتى قال ما يفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ونهض قائماً الشدة حقته وكان هذا منه بحضرة الامراء فغضبوا لذلك وهو بالضرب عنقه فأغضى السلطان عنه وبلغ محي الدين ما كان من ابنه فبادر إلى السلطان وقبل الارض واعترف بخطأ ابنه واعتذر عن تأخره بثقل سمعه فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل ويقرأ البريد فاعتذر بأنه صغير لا يقوم بالوظيفة فقال السلطان انار به مثل ما عرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين وانقطع شهاب الدين في منزله مدة سنين إلى ان مات أبوه محي الدين في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالذاهرة عن ثلاث وتسعين سنة وهو متمتع بحواسه فدفن بظاهر القاهرة ثم نقل إلى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدر معظم ارضنا كامل السودود حركاً كاتباً بارعاً دبر الاقاليم بكفايته وحسن سياسته ووفور عقله واماته وشدة تحززه وله النظم والنثر البديع الراقى فن شعره

تضاحكني اسلي فأحسب ثغرها * سنا البرق لكن اين منه سنا البرق

وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت * فقت بفرعها اشتد على الشرق

وقلت سواء جح ليل وشعرها * ولم اد أن الصبح من جهة الفرق

* (علاء الدين) * علي بن يحيى بن فضل الله العمري استقل بوظيفة كتابة السرّ قبل موت أبيه محي الدين وخلع عليه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة فخرج وفي خدمته الحاجب والدوادار وتقدم أمر السلطان للموقعين بما تئال ما يأمرهم به عن السلطان فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده ورجع قبل ان يسمعه فكان يعتريه دم منه إلى ان مات ثم أنه كتب قصة يسأل فيها السفر إلى الشام وشكا كثرة الكلفة وكان قبل ذلك جرى ذكره في محاسن السلطان فذمه وتمتدده فعند ما قرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكناً من غضبه ورسم باقاع الحوطة عليه فحمل من داره إلى قاعة الحاجب من قلعة الجبل في رابع عشرين شعبان سنة تسع وثلاثين وخرج اليه الأمير طاجار الدوادار وأمر به فعزى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرق به ولم يضربه واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره وأخرج سائر ما وجد له وبيع عليه وارسل مملوكه إلى بلاد الشام فباع كل ماله فيها واقترض خمسين ألف درهم حتى حمل من ذلك كله مائة وأربعين ألف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه وأقام إلى ثالث عشرين ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً فخرج الله عنه بأمر عجيب وهو أنه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشي زور فرسم السلطان بقطع يده فلم يزل شهاب الدين يتلطف في أمره حتى عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين إلى ان قدر الله سبحانه انه رفع قصة يسأل فيها العفو عنه فلما قرئت على السلطان لم يعرفه فسأل عن خبره وشأنه فقيل له لا يعرف خبر هذا الاشهاب الدين بن فضل الله فبعث اليه بقاعة الحاجب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فالأن الله له قلب السلطان ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه ففرج الله عن الثلاثة ونزل شهاب الدين إلى داره وأقام إلى ان قبض السلطان على الأمير تنكز نائب الشام فاستدعى شهاب الدين إلى حضرته وحلفه وولاه كتابة السرّ بدمشق عوضاً عن شرف الدين خالدين عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر الخنزوي المعروف بابن القيسراني فباشرها حتى مات بدمشق وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السرّ إلى ان مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات * (بدر الدين) * محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله وولاه الملك الاشرف شعبان بن حسين كتابة السرّ وأبوه في مرض موته يوم الخميس ثامن عشرين شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة وجعل أخاه عز الدين حزة نائباً عنه فباشر إلى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة فصرف بأوحد الدين عبد الواحد

ابن اسماعيل بن يس ولزم داره فلم يره أحد ألبته الى ان مات اوحد الدين قتل اليه الامير يونس الدوادار واستدعاه فركب بئيا جالوسه من غير خف ولا فرجة ولا شاش وصعد الى القلعة فخلع عليه في اليوم الرابع من ذي الحجة سنة ست وثمانين فلما ثار الامير بلبغا الناصري على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين ولقبه بالملك المنصور ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار الى محاربة الامير ترمق بعا منطاش ومعه المنصور حاجي فخرج ابن فضل الله فلما نهزم منطاش على شجيب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن وكان ابن فضل الله وأخوه عز الدين في من قزمع منطاش الى دمشق فأقام بها واستولى برقوق على تحت الملك بقلعة الجبل فولى علاء الدين على بن عيسى الكركي كتابة السر وأخذ ابن فضل الله يتجمل في الخروج من دمشق وسير الى السلطان مطالعة فيها من شعره

- * يقبل الارض عبد بعد خدمتك * قدمسه ضرر ما مثله ضرر
- * حصر وحبس وترسيم اقام به * وفرقة الاهل والاولاد والفكر
- * لكنه والورى مستبشرون بكم * يرجو بكم فرجا بأني ويتنظر
- * والشغل يقضى لان الناس قد ندموا * ادعائوا الجور من منطاش يتنشر
- * جورا كما فرطوا في حقكم وراوا * ظلما عظيما به الاكباد تنفطر
- * والله ان جاءهم من بانكم أحد * قاموا لكم معه بالروح واتصروا
- * الله ينصركم طول المسدا أبدا * يامن زمانهم من دهرنا غرر

قدم الى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم ابن أبي شاكروشمس الدين محمد بن صاحب نمازال في داره الى ان سافر الملك الظاهر الى بلاد الشام في سنة ثلاث وتسعين فتقدم أمره اليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا وقد رآه تعالى ضعف علاء الدين الكركي فولاه كتابة السر وصرف الكركي في شوال وكانت هذه ولاية ثالثة فباشروا هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى ان سافر السلطان الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين فمات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبع مائة ودفن بترينهم بسفح قاسيون ومات أخوه حزة بدمشق ايضا في اوائل المحرم سنة سبع وتسعين وسبع مائة ودفن بها وانقطع بعتهم هذا البيت فلم يبق من بعدهما الا كما قال الله سبحانه خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنوانا لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد الى مصر في سنة ست وتسعين وسبع مائة وعنوانه سلام واهداء السلام من البعد * دليل على حفظ المودة والعهد

فافتح البدر العنوان بقوله

- طويل حياة المرء كاليوم في العت * نخبرته ان لا يزيد على العت
- فلا بد من نقص لكل زيادة * لان شديد البطش يقتص للعبد
- وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة تهديد تمرلنك واقبحاره
- السيف والرمح والنشاب قد علمت * منا الحروب فسل منها تلبيكا
- اذا التقينا تجد هذا مشاهدة * في الحرب فاثبت فامر الله آتبيكا
- بخدمته الحرمين الله ثم قنا * فضلا وملكنا الامصار تلبيكا
- وبالجبل وحلوا النصر عودنا * خذ التواريخ واقراها قتبليكا
- والانبياء لنا الركن الشديدا * بجاههم من عدو راح مفكوكا
- ومن يكن ربه الفتح ناصره * ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

وقال

- اذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة * ولا الذنب منه مع عظيم يلينه
- فذلك عين الجهل منه مع الخطا * وسوف يرى عقابه عند منيته
- وليس يجازى المرء الا بفعله * وما يرجع الصياد الا بنيته

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله وتعرف بدار بيرس فعمر فيها يحيى الدين وابنه علاء الدين وكانت من ابهج دور القاهرة واعظمها وما زالت بيد أولاد بدير الدين وأخيه عز الدين حمزة الى ان تغلب الأمير جمال الدين على أموال الخلق فأخذ ابن أخيه الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدى أحمد بن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم وعوض أولاد بن فضل الله عنها وغير كثير من معالمها وشرف على الأزدياد من العبارة اقتداء بخاله فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله واعتصب له الرخام والاحجار والاشخاب وهدم عدة دور وكثير من التراب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت بحجبة البناء وأدخل ذلك في عمارته المذكورة ووسع فيها من جهة البند قانين ما كان خرابا منذ الحريق الذى تقدم ذكره وأنشأ من هذا الحوض ماء يشرب منه الدواب فلما قارب الكمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استاد دار وقتله وكان أحمد هذا من قبض عليه معه فوضع الأمير تغرى بردى وهو يومئذ اجل امراء الناصريه على هذه الدار ومارضى باخذها حتى طلب كتابها فاذا به قد تضمن ان احمد قد وقف هذه الدار فلم يزل بقضاء العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوا له بطريق من طرقهم فأقام فيها حتى اخرجته الناصر لنبابه دمشق في سنة ثلاث عشرة وسبع مائة فنزل بها الأمير مرداش بارث ابنة جمال الدين وهي امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت في مدوسة أبيها وكان لها ولورثة تغرى بردى مخصصات واستقرت لبني تغرى بردى * (دار بيرس) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات في ظهر حارة زويلة وقرية من سويقة المسعودى تشبه ان تكون من جلة اصطبل الجيزة كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفة برأس جارة الجودرية ثم عرفت بالامير ركن الدين بيرس الجاشنكير فانه كان يسكنها وهو أمير قبل ان يلى السلطنة وحدثه رخامها من الرخام الذى دل عليه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكاش الفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلاح من جلة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخاتمة الركنية بيرس فان بيرس هذا هو الذى أنشأها ولم تزل الى ان هدمها ناصر الدين محمد بن البارزى الحوى كاتب السر بعد ما اشتراها نقضا كما اشترى غيرها من الاوقاف وذلك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة * (السبع قاعات) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات وهي يتوصل اليها من جوار دار بيرس المذكورة ومن سويقة صاحب وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جلة اصطبل الجيزة أنشأها الوزير صاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جلة ما وقف فلما قبض عليه الأمير صرغمش في حل اوقافه ووعده بالسبع قاعات خوند قتلونيك ابنة الامير تنكر الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشرىفان شرف الدين على بن حسين بن محمد تقيب الاشراف وابو العباس الصفراوى ان الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير بعث الى كريم الدين من شهد عليه ان جميع ما صار بيده من الاملاك وقفها وطلقها انما هو من مال السلطان دون ماله وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة ان املاك كريم الدين جارية في املاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله وبما هو الوقف الناصرى فلما جالس السلطان الملك الصالح بدر الدين العدل وحضر قاضى القضاة والامراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة تكلم الأمير صرغمش مع قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة في حل اوقاف ابن زنبور فانها ملك السلطان ومن ماله اشتراها وذكروا قضية كريم الدين فأجابهم بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة وذلك ان خزائن السلطان وحواسله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفي داره يتصرف فيما على ما يختاره جعل له السلطان بتوكيله والاذن له فى التصرف بخلاف ابن زنبور فانه كان يتصرف فى ماله الذى اكتسبه من التجار وغيره فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام ببعثه لاسبيل الى حله وساعده فى ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلى وتردد الكلام بينهما فى ذلك فاحتج عليهما الأمير صرغمش بما لقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عماله وأخذهم من كل عامل نصف ماله وان مال الوزير جمعه من مال السلطان فقال له ابن جماعة يا أميران كنت تبحث معنا فى هذه المسئلة بحثنا معك وان كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها فان الذى ذكر لك هذه المسئلة انما قصد ان تصادر الناس وتأخذ أموالهم فوافقهم رفقة الثلاثة قضاء على قوله وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين

وكان اختصاصهم بالامير صرغتمش وقيامهم على ابن زنبور مشهورا فشق هذا على الامير صرغتمش وانفض المجلس وقد اشتد حنقه لما رآه عليه من كلامه وعورض فيه من مراده فبعثت خوندام السلطان الى ابن جماعة تعرفه ما وعدت به من مصير السبع قاعات اليها واكدت عليه في ان لا يعارضها في حل أو قاف ابن زنبور فأجابها بتقبيح هذا وخوفها سوء عاقبته فكفت عنه ولقوة غيظ الامير صرغتمش مرض مر ضا شديدا من انتفاخ صدره ونفثه الدم حتى خيف عليه الموت ثم عوفي بعد ذلك بأيام وذلك كله في سنة أربع وخسين وسبعمائة واستقرت السبع قاعات وقفا بيد ذرية ابن زنبور الى يومنا هذا الا ان الامير صرغتمش المذكور أخذ رغامها ووجد في اشياء كثير من صيني ونحاس وقماش وغير ذلك قد اخفي في زواياها * (علم الدين) عبد الله بن تاج الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن زنبور اقول ما يشر به استيفاء الوجه القبلي شريكا لوهب بن سنجر وطلع صحبته الامير علم الدين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلي ونقض فيه فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان سائر الكتاب وكان منهم ابن زنبور فعرضهم ليختار منهم فشكر الفخر ناظر الجيش منه وقال هو ولد تاج الدين رفيقه وشكره الا كوز فلما انفض المجلس طلبه وخلع عليه فباشر نظر الاصطبل في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ونال فيه سعادة طائلة واستقر الى ان مات السلطان الملك الناصر محمد وحكم الامير ايدغمش في اشر استيفاء الصحبة فلما قبض على جمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفي ناظر البيوت المعروف بكاتب قوصون في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات جمال الكفاة في العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الاول عين ابن زنبور لوظيفة ناظر الخاص ثم قتر فيها القاضي موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة وكان ابن زنبور وهو مستوفي الصحبة قد سيره جمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جارا كثر الحاجب ابعادا له وكان الامير ارغون العلائي يعني به فلما قبض على جمال الكفاة تحدث له العلائي مع السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون في نظر الخاص فبعث في طلبه ثم لم يحضر الا بعد شهر فتحدث الوزير نجم الدين محمود بن علي المعروف بوزير بغداد مع السلطان في ولاية الموفق ناظر الخاص فخلع عليه وحضر ابن زنبور من الشام فباشر نظر الدولة علم الدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هي عادته في استيفاء الصحبة ونهض في المباشرة وحصل الاموال ودخل هو والوزير نجم الدين وشكنا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجواري ومن يلوذ بهم فتقرر الحال مع الامراء على كتابة اوراق بكلفة الدولة فلما قرئت بمحض من الامراء بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم والمتحصل خمسة عشر ألف درهم فأبطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأمره فلم يستقر غير شهر واحد حتى عاد الامر على ما كان عليه بحيث بلغ مصرف الخواص خاناه في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد ما كانت في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم فلما مات الملك الصالح اسماعيل وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة اليها واستقرت نفقته في السعيد في استيفاء الصحبة وذلك في ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر ذلك الى ارباب رجب نيفا وثمانين يوما فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفي الدولة وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص الى استيفاء الدولة فلما كان في المحرم سنة سبع وأربعين أعيد نجم الدين وزير بغداد الى الوزارة وقتر ابن زنبور في نظر الدولة فاستقر الى ان قتل الكامل شعبان وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك المنصور حاجي في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين فطلب ابن زنبور وأعيد الى نظر الخاص وقبض على فخر الدين بن السعيد وطولب بالجل وأضيف اليه نظر الجيش فباشر ذلك الى سنة احدى وخسين فاضيف اليه الوزارة في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة وخلع عليه وكان له يوم عظيم جدا فلما كان يوم السبت جلس بشباك قاعة صاحب من القلعة في دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المتقدم ابن يوزف وشد وسطه على ما كان عليه وطلب المعاملين وسلفهم على اللحم وغيره واستكتب المباشرين انه لم يكن في بيت المال ولا الاهرام من الدراهم والغلال شي البتة ودخل بها وقرأها على السلطان والامراء وشرع في عرض ارباب الوظائف كلهم وطلب حساب الاقاليم بأسرها وولى صهره فخر الدين ماجد فروية نظر البيوت وأنفق جامكة شهر ورجل الرواتب الى الدور السلطانية والاصمطة من السكر والزيت والقلوبات وغير ذلك واقام بكثرة المومني في وظيفة شد الدواوين وألزم نفسه في المجلس السلطاني بحضرة الامراء انه يباشر الوزارة بغيره معلوم وقتر

ابنه في ديوان الممالك والتزم انه لا يتناول معلوما بل يوفر المعلومين للسلطان وابطل رعي الشعير والبرسيم من بلاد
مصر وكان يحصل برميها ضرر كبير فان ذلك كان يحصل من سائر البلاد فيغرم على كل اردب أكثر من ثمنه والتزم
بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم وكتب نقشا على حجر في جانب
باب القلعة من قلعة الجبل وأمر بقياس أراضى الجزيرة فجاء زيادتها عن الارتفاع الذى مضى ثلثمائة ألف درهم
وعنها خمسة عشر ألف دينار فلم يزل الى سابع عشرى شوال سنة ثلاث وخسين وسبعمائة فاحيط به وقبض
عليه حسد الله على ما صار اليه ولم يجتمع لغيره في الدولة التركية وتولى القيام عليه الامير صرغتمش لانه علم انه من
جهة الامير شيخو ويقوم له بجميع ما يحتاجه وأعانه عليه الامير طاز وما زال يدأب في ذلك الى ان عاد السلطان
الملك الصالح من دمشق في يوم الاثنين خامس عشرى شوال سنة ثلاث وخسين وسبعمائة الى قلعة الجبل وعمل
يوم الخميس بمطامهه في القلعة وانقض السباط خلع على سائر باب الوظائف من الامراء وعلى الوزراء وسائر
المباشرين فانفق لم قدره الله تعالى انه حضر الى الامير صرغتمش وهو يومئذ رأس نوبة عشرتشرى بغير تشرىفه
ودون رتبته فأخذه ودخل الى الامير شيخو وألقى البجعة قدأه وقال انظر فعل الوزير معي وكشف الخلعة فقال
شيخو هذا غلط فقام وقد أخذ من الغضب شبه الجنون وقال هذا شغل الوزير وأنا ما اصر على أن اهان لهذا
الحادث ولا بدلى من القبض عليه ومهما شئت أنت افعل بي وخرج فاذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح
في ممالكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه الى بيت صرغتمش وسرح ممالكه في القبض على جميع حاشية
الوزير فقبض على سائر من يلذبه لانهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعة وخالطت العامة الممالك في القبض على الكتاب
وأخذوا منهم في ذلك اليوم شيئا كثيرا حتى ان بعض الغلمان صار اليه في ذلك اليوم ستة عشر دواة من دوى
الكتاب فلم يكن منها اربابها الا اجمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين الى خمسين درهما وأما ما سلبوه
من العمام والنياب والمهامير الفضة فشيء كثير وخرج الامير قسما للحاجب وغيره في جاعة الى دوره التي
بالصوصة من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمه وأولاده وخنقوا سائر بيوتته وبيوت حواشيه وكانوا قد اجتمعوا
وتزينوا القدوم رجالهم من السفر وأنزل الوزير في مكان مظلم من بيت صرغتمش فلما اصبح طلب ولد الوزير وصار به
صرغتمش الى بيت ابيه واحضر أمته ليعاقبه وهى تنظره حتى يدلوه على المال ففحقوا له خزانه وجد فيها خمسة
عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة واخرج من برصندوق فيه ستة آلاف دينار وثنى من الصالح
وحضرت احواله من السفر فوجد فيه ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة وغير ذلك من تحف
وثياب واصناف وألزم والى مصر باحضار بناته فنودى عليهن في مصر والقاهرة وهجمت عدة دور بسبيهن ونال
الناس من ذكايه اعدائهم في هذه الكائنات كل غرض فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ويرمى
عدوه بأن عنده بعض حواشى ابن زنبور فيؤخذ بمجرّد التهمة ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما ثم حمل الى داره
وعزى ليضرب فدل على مكان استخروج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعزى زوجته
وضرب ولده فوجد له شيء كثير الى الغاية قال الصفى خليل بن ابيك الملقب صلاح الدين في كتاب اعيان
العصر وأما ما أخذ منه في المصادرة في حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى في ورقة بخطه على ما
املاه القاضي شمس الدين محمد البهنسى أو فى ذهب وفضة ستون قنطارا جوهر ستون رطلا أولو أردبان
ذهب مصكولا متا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة ضمن صناديق زركش ستة
آلاف كلونه ذخائر عدة قماش بدنه ألفان وسبعمائة فرجية بسط آلاف صنيعة
دراهم خمسون ألف درهم شاشات ثلثمائة شاش دواب عامة تسعة آلاف حلابة ستة آلاف خيل
وبغال ألف دراهم ثلاثة ارادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة اقطاعات سبعمائة كل اقطاع
خمس وعشرون ألف درهم عبيد مائة خدام ستون جوارى سبعمائة أملاك القيمة عنها ثلثمائة
ألف دينار مراكب سبعمائة رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم نخماس قيمته اربعة آلاف دينار
سروج وبدلات خمسمائة مخازن ومتاجر أربع مائة ألف دينار نطوع سبعة آلاف دواب خمسمائة
بساتين مائتان سواقي ألف وأربع مائة وكان في وقت القبض عليه أشد الناس قياما في افساد صورته
الشريف شرف الدين على بن الحسين قبيب الاشراف والشريف أبو العباس الصفراوى وبدر الدين ناظر

الخاص وامير المؤمنين والصوف واستادار الامير صرغمش فأول ما قبحوه من ابواب المكائد أن حسنوا صرغمش أن يأمره بالاشهاد عليه أن جميع ماله من الاملاك والبساتين والاراضي الوقف والطلاق جميعها من مال السلطان دون ماله فصير اليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة فاشهد عليه بذلك ثم كتبوا قبي في رجل يدعي الاسلام ويوجد في بيته كنيسة وصلبان وشخص من تصاور النصارى ولحم الخنزير وزوجته نصرانية وقد رضى لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه وانه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك وبالغوا في تحسين قتله حتى قالوا لصرغمش والله لو قبحت جزيرة قبرص ما كتب لك اجر من الله بقدر ما يؤجر لك الله على ما فعلته مع هذا فأخرج في باشا وزنجير وضرب في رجة قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع وتوالت عقوبته واسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت فقام الامير شيخو في امره فردّه صرغمش الى داره واكرمه واقام عنده الى سابع عشر المحرم سنة اربع وخمسين فأخرجه من داره وتسلمه شاد الدواوين وعاقبه عقوبة الموت في قاعة الصاحب فاتفق ركوب الامير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغمش فصعد الى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضي الى قننة وآل الامر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص فأخرج من ليلته وكانت مدة شدة ثلاثة اشهر واقام بمدينة قوص الى أن عرض له مرض أقام به أحد عشر يوما ومات يوم الاحد سابع عشر ذي القعدة سنة اربع وخمسين وسبع مائة وله بالقاهرة السبيل الذي على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل وقد دخل في الجامع المؤبدى * (دار الدوا دار) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجزيرة وهي اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت * (دار فتح الله) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودى كان موضعها زقاقا يعرف برفاق البناده وفيه باب قاعة انشأها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن التحيب أبى الفضائل الميمونى أحد مبشرين ديوان الجيش وهي قاعة في غاية الملاحة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب ومات الميمونى في ثمانى المحرم سنة خمس وتسعين وسبع مائة فسكنها فتح الله بن معتصم وهو يومئذ رئيس الاطباء فلما ولى كتابة السر شره الى العمارة فأخذ ما في الزقاق المذکور من الدور شيئا بعد شيئا وأخرج منها سكانها وهدمها وابتنى قاعة تتجه قاعة الميمونى وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبني بها حماما ثم انشأ اصطبلا كبيرا للخيول ولم يقع بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميمونى وكانت وقفها على اولاد الميمونى ومن بعدهم على الحرميين فعمل له طرق في جواز الاستبدال بها على ما صار للقضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فلما تم حكم القضاة له بملكها غير بابها وزاد في سعتها وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها وغرس في جانبها عدة اشجار وزرع كثيرا من الازهار التي جلت اليه من بلاد الشام وبالغ في تحسين رخام هذه الدار وانشأ دهيشة كنيست الى الغاية توسطها فسقية ماء يغمرها اليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهج الزرى وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنيحة التي ابدع فيها كل الابداع وركب علو هذه القاعة الاروقة العظيمة وبني بجوارها عدة مساكن للمالكه ومسجد امعلقا كان يصلى فيه وراء امام راتب قرره له بمعلوم جارجات هذه الدار من اجل دور القاهرة واهمها ووقف ذلك كله مع اشياء غيرها على تربته التي انشأها خارج باب البرقية وعلى عدة جهات من البر فلما نكب اكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه في كتاب وقفه وجعلها وقفاً على اولاد السلطان الملك المؤيد شيخ فلما مات المؤيد عاد ذلك الى وقف فتح الله * (فتح الله) بن معتصم بن نفيس الاسرايلى الداودى العناني التبريزى رئيس الاطباء وكاتب السر ولد بتبريز في سنة تسع وخمسين وسبع مائة وكان قد قدم جده نفيس الى القاهرة في سنة اربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس ثم قدم فتح الله مع ابيه فنشأ بالقاهرة في كفالة عمه ونظر في الطب وعاشر الفقهاء واتصل بصحبة بعض الامراء فعرف منه أحد مماليكه وكان يسمى بشيخ فلما تآمر شيخ قريه وانكحه أمة وقوض اليه امر ديوانه ثم مات عمه بديع ابن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه في رياسة الاطباء فباشرها مباشرة مشكورة واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا فلما مات بد الدين محمود النكلسانى قلده وظيفه كتابة السر وخلع عليه في يوم الاثنين حادى عشر جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة ومات الظاهر وقد جعله أحد أوصيائه فخازال الى اوائل ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه واستقرت يده في كتابة السر سعد الدين ابراهيم بن غراب وضرب حتى حمل مالا ثم اخرج عنه فلزم داره

الى شهر رمضان فحمل الى دار الوزير نغرا الدين ماجد بن غراب وألزم بحال آخر فحمله واطلق فقام الامير جمال الدين يوسف الاستاد في أمره وما زال بالملك الناصر فرج الى أن أعاده الى كابة السر في أوائل ذي الحجة فاستقر فيها وتمكن من أعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت أحواله وانفرد بسلطانه وابتطبه جل الامور فاصبح عظيم المصر نافذا ل الامر فاعلم بتدبير الدولة لا يجداً أحد من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته وابتدا للناس ديناً وخيراً وتواضعوا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان فلما كان من امر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسي ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة في قبضة الاميرين شيخ ونوروز وما زال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده امير المؤمنين المستعين بالله وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور فلما استبدت الامير شيخ بمملكة الديار المصرية واعتقل الخليفة وتلقب بالملك المؤيد شيخ في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة اقر فتح الله على رتبته ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعقب غير مزة واحيط بجميع امواله واسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن اربعين ألف دينار سوى ما أخذ مما لم يبيع وهو ما يتجاوز ذلك وما زال في العقوبة الى أن خنق في ليلة الاحد خا من عشر شهر ربيع سنة ست عشرة وثمانمائة وحمل من الغد الى تربته فدفن بها وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة ودبابة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لبسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن قيام مع السلطان في امر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيئاً كثيراً وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابي درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة وفي كتابي خلاصة التبر في أخبار كتاب السر * (دار ابن قرقه) هذه الدار من الدور القديمة وهي بخط سويقة المسعودي الى خط بين السورين وقد تغيرت معالمها قال ابن عبد الظاهر دار ابن قرقه هي الآن سكن الامير صارم الدين المسعودي والى القاهرة بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة وهي معروفة اليوم والى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقه أيضاً وهذه الدار والحمام انشأهما أبو سعيد بن قرقه الحكيم وباعهما في حال مصادرتة مما خرج عليه فابناهما منه علم السعداء ثم سكنها الكامل بن شاوور وهما من جهة الخليج انتهى وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربي برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبي شاكر وآخر ما بقي منها شيء هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب نغرا الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر في رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة * (وابن قرقه) هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح وكان ماهراً في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من اجل انه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عند ما تشاور الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بحجزاته البنود وقتله في سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خوند اردو تكيين ابنة نوعة السلاح دار الطاطري تزوج بها الملك الاشرف خليل بن قلاوون ومات عنها قتر وجهها من بعده اخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وولدت منه ولدين وماتتا ثم طلقها وزلات من القلعة فسكنت هذه الدار وانشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست وجعلت لها عدة اوقاف وكانت من الخير على جانب عظيم لها معروف وصدقات واحسان عيم وماتت ولها ما ينيف على الاف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم وخلفت اموالاً تخرج عن الحد في الكثرة وكانت وفاتها في ليلة السبت ثالث عشر المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة ودفنت بتربتها فقدم امر السلطان للامراء والقضاة لشهود جنازتها وحمل ما تركته من الاموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوعة وصولح على ارضه منها بمائة وعشرين ألف درهم عنها يومئذ سبعة آلاف دينار ولم تزل هذه الدار الى أن هدمت فأخذها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وادخلها في داره التي انشأها فجاءت من اجل دور القاهرة * (دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظره اللؤلؤة التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار الفلك وبناها فلک الملك

أحد الاستاذين الحاكمة وبلاصقة هادار الذهب هذه ويجاور دار الذهب دار الشاورة ودار الذهب عرفت اخيرا
 بدار الامير بهادر الاعسر شاذ الدواوين ثم الآن عرفت بدار الامير الوزير المشير الاستاذ رنجر الدين عبد الغنى
 ابن الامير الوزير الاستاذ رناج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الارمنى الاصل وعنى بها وهدم كثيرا من الدور
 التي كانت تجاها على بر الخليج الشرقى وانشأ هناك دارا يتطرق اليها من هذه الدار بسابطا وانشأ بجوارها
 جامعها الا ترى ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على الخليج وما وراءها تلك الاحكار التي في الجانب
 الغربى من الخليج وغرس في اراضي تلك الدور الاشجار وجعلها بستانا تجاه داره فبات قبل أن تكمل وصار
 اكثر مواضع الدور التي خربها هناك كيمانا * (دار الحاجب) خارج باب النصر تجاه مصلى الاموات هذه
 الدار انشأها الامير سيف الدين كهر داس المنصورى أحد المماليك الزراقيين وهو الذى فتح جزيرة ارواد
 في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرج وتولى عمارة مأذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت في الزلزلة وتقدم وكثرت
 امواله ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة فاشترى هذه الدار الامير سيف الدين بكتر الحاجب
 ولم تزل به اذريته من بعد الامير جمال الدين عبد الله بن بكتر والامير ناصر الدين محمد بن عبد الله وبها الان ولدا
 الامير ناصر الدين وهما الامير على وعبد الرحمن وما برح هذا البيت فيه الامرة والسعادة * (بكتر الحاجب)
 الامير سيف الدين كان اميرا خور ثم ولى شاذ الدواوين بدمشق في نيابة الافرم ولم يكن لاحد معه كلام في عزل
 ولا ولاية ثم ولى الجبوية وتوجه الى صفد كاشفا على الامير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والى الولاية وشاذ الدواوين
 بها ومعه معين الدين بن حشيش فخر الكشف ورفع حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد

يا فاصدا صفا فعد عن بلدة * من جور بكتر الامير خراب
 لاشافع تغنى شفاعته ولا * جاره مما جناه جناب
 حشر وميزان ونشر صحائف * وجراند معروضة وحساب
 وبها زبانية تحت على الورى * وسلاسل ومقامع وعقاب
 ما فاتهم من كل ما وعدوا به * في الحشر الراحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك الى دمشق ولاد الجبوية ودخل في خدمته الى مصر وهو حاجب
 ثم أخرجه ثانيا ثانيا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها قليلا وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن
 صاحب فخر الدين ابن الخليلي في رمضان سنة عشر فباشر الوزارة الى أن قبض عليه مستهل ربيع الاول
 سنة خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف وأخذ كثيرا من ماله ثم أفرج عنه وأخرج الى صفد ثانيا في سنة ست
 عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فأقام بها عشرة أشهر وطلب الى مصر فصار
 من الامراء المشهورة فاذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه غير لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة
 الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها وسرق له مال كثير من خزانته
 بهذه الدار ادعى انه مبلغ مائتي ألف درهم وكان في الباطن على ما قيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتقوه
 خوفا من السلطان وكان اذ ذاك والى القاهرة الامير سيف الدين قدا دار المنسوب اليه القنطرة على الخليج فقدم
 امر السلطان اليه بتبع من سرق المال قدس اليه الامير بكتر الساسي والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر
 الدين ناظر الجليش في السر أن يتهاون في امر السرقة نكابة لبكتر وأخذوا يحجبون لكل من انهم فيقولون
 للسلطان لعن الله ساعة هذه العملة كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة والى متى يقتل المتهم الذى لا ذنب
 له فلما طال الامر شكيا بكتر الى السلطان في دار العدل فأحضر الوالى وسبه السلطان فقال يا خوند اللصوص
 الذين أمسكتهم وعاقبتهم اقروا أن سيف الدين بخشى خزن داره اتفق معهم على اخذ المال وجاعة من الزامه
 الذين في بابه فقال السلطان للجمالى الوزير احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم فأخذ بخشى وعصره وكان عزيزا
 عند بكتر فزوجه بأبنته وهو يتق بعقله ودينه وأماته فشقى ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجاء فيمابين
 الظهر الى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبير بالامور بصيرا بالحوادث طويل الروح
 في الكلام لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين الامير واليهودى ثلاثة ايام ولا يلحقه من ذلك سامة
 البتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق اصحابه لكثرة تذكريهم في غيبتهم والفكر في مصالحهم

وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه وكان سمعاً ينجاه به بخيلاً جماله إلى الغاية ساقط الهمة في ذلك وله متاجر وأملأك وسعادة لا تكاد تنحصر ومع ذلك فله قدر يكره المصلاقي القول والمحص وغير ذلك من العدد والآلات ويماحك على أجرها مما حكمة يستحي من ذكرها وأوشأ عدة دور واقتنى كثيراً من البساتين وولى من بعده ابنه الأمير جمال الدين عبد الله الأمر وكان حاجباً ولايته في سيرة البخل والحرص الشديد تابعاً ومقلداً وتولى امرأته الحاج غير مرة وخرج في سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغريسة فورد عليه كاب السلطان الملك الظاهر برقوق بالانكار وفيه تهديد مهول فدخله الخوف ومرض فمحل في محفة إلى القاهرة فدخلها يوم الأربعاء النصف من جمادى الأولى من تلك السنة فمات من يومه وأخذ أقطاعه الأمير يودى وصار ابنه ناصر الدين أحد الأمراء العشرة وأت سالكا طريق أبيه وجده في الامساك إلى أن مات خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ودفن بترتهم خارج باب النصر * (دار الجاولي) هذه الدار من جملة الجول التي تقدم ذكرها وهي بجاء الخان الجاور لوكالة قوصون أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي وجعلها وقفاً على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكيش جوار الجامع الطولوني وعرفت في زمانها بقاعة البغادة لسكنى عبد الصمد الجوهري البغدادى بها هو وأولاده في سنة سبع وأربعين وسبعمائة إلى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة وهي من الدور الجليلة التي انتهت تشييدت لطول الزمن * (دار أمير أحمد) هذه الدار بجوار دار الجاولي من غريبها عرفت بأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفت في زمانها بسكن أبو ذقن ناظر المواريث وهي من جملة ما اعتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف وجعلها لأخيه شمس الدين محمد البقري قاضى حلب وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بها وشرع في عمارتها فقبض عليه عند القبض على أخيه وهو بها * (دار اليوسفي) هذه الدار بجوار باب الجوانية فيما بينها وبين الحوض المحدث لشرب الدواب أنشأها هي والحوض الأمير سيف الدين بهادر اليوسفي السلاح دار الناصري * (دار ابن البقري) هذه الدار أنشأها الوزير صاحب سعد الدين سعد الله بن البقري بن اخت القاضي شمس الدين شاكرك بن غزيل البقري صاحب المدرسة البقرية أظهره الاسلام واستمر في الخدم الديوانية إلى أن ولده الملك الظاهر برقوق وظيفه نظر الديوان المفرد ونظر الخاص عوضاً عن صاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس في ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فباش ذلك إلى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين فقبض عليه ونزل الأمير يونس الدوادار والامير قرقاس الخازندار إلى داره هذه وأحاط بها وأخذ جميع ما فيها من المال والثياب والأواني والحلى والجواري وغير ذلك وحمل إلى القلعة فبلغ قيمة ما وجد بداره في هذه النوبة ما تقي ألف دينار وسلم ابن البقري لثأر الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة فضرب بالنقار عينا وثلاثين شيباً وولى موفق الدين أبو الفرج نظر الخاص ثم إن الملك الظاهر لما عاد إلى المملكة بعد ثورة الأمير بلبغا الناصري والامير تمر بغامناطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله إلى القاهرة وعوده إلى المملكة ولى ابن البقري الوزارة في يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضاً عن موفق الدين أبي الفرج ثم صرف في يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو الفرج وأحيط بدور ابن البقري وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله إلى الأمير ناصر الدين محمد بن اقبغا آض فلما استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى في الوزارة يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة منها عوضاً عن الوزير أبي الفرج اشتراط على السلطان أموراً منها استخدام الوزراء المعزولين فحسب بشبالة قاعة الصاحب من القلعة وبعث إلى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبد الله المقسى وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوى المعروف بسن أبرة وسعد الدين سعد الله بن البقري وموفق الدين أبو الفرج وغير الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن ابراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن أبرة معاً في نظر الدولة وأقر ابن البقري ناظر البيوت ومستوفى الدولة وقرر أبو الفرج في استيفاء العجبة وابن مكانس في استيفاء الدولة ثم يكال ابن البقري فكانوا يركبون في خدمته دائماً ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقري على قدميه بحضوره بعد أن كان ابن الحسام دوا داره ولا يزال قائماً بين يديه فعند الناس هذا من اعظم المحن التي لم يشاهد في الدولة التركية مثلها وهو أن يصير الرجل خادماً لمن كان في خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم إن الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقري وألزمه بمجمل سبعين ألف

درهم ثم اعيد الى الوزارة بعد القبض على صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى بن أبي بكر ابن أبي شاذي القعدة سنة خمس وتسعين وقبض عليه وعلى ولده في حادي عشر شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسلمنا مع عدة من الكتاب لشاذي الدواوين ثم أفرج عنهما على حمل مال فلما ولي الامير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت الوزارة بعد الوزير أبي الفرج قزرا بن البقري في نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الاقفهسي واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكر وجعله استادار الاملاك في رجب سنة سبع وتسعين قزرا بن البقري ناظر الاملاك وخلع عليه فصار يتحدث في نظر الدولة ونظر الاملاك فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد الى الوزارة وصرف عنها الامير مبارك شاه ناظر الظاهري واستقر بدرا الدين محمد بن محمد الطوخي في نظر الدولة ثم قبض عليه في يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة تسع وتسعين واحيط بسائر ما قدر عليه من موجوده وولي الوزارة بعده ابن الطوخي وعوقب عقابا شديدا في دار الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي ثم أخرج لها را وهو عار مكشوف الرأس ويده جيل يجزبه ومياه مضمومة بيده الاخرى والناس تراه من درب قراصيا برجة باب العيد في السوق الى دار ابن الطبلاوي وقد اتهمك بدنه من شدة الضرب فسجن بدار هنالك ثم خنق في ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبع مائة وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت اليهم السيادة في كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأي وحسن التدبير الا انه لم يوت سعدا في وزارته وما برح يشك كل قليل وكان يظهر الاسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويتهم في باطن الامر بالتشدد في النصرانية وولي ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ونظر الخاص ومات قتيلا تحت العقوبة عند الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة ثمان وثمان مائة ودار ابن البقري هذه من اعظم دور القاهرة وهي من جملة خط حارة الجوانية في اولها * (دار طولباي) هذه الدار بجوار حمام الاعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب الرشيدى أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير ثم عرفت بخون طولباي الناصرية جهة الملك الناصر * (طلبباي) ويقال دلبية ويقال طلوبية ابنة طفاحي ابن هند بن بكر بن دوشى خان ابن جنكر خان ذات السستر الرفيع الخاوي كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد جهز الامير ايد غدى الخوارزمي في سنة ست عشرة وسبع مائة يخطف الى اربك ملك التتار بتنا من الذرية الجنكرية فجمع اربك امراء التومانات وهم سبعون اميرا وكلهم الرسول في ذلك فنفر وامنه ثم اجتمعوا ثانيا بعد ما وصلت اليهم هداياهم وأجابوا ثم قالوا الا ان هذا لا يكون الا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهادة وسنة زواج واشتطوا في طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخي بهدية وخلعة لاربك فلبسها وقال لطوخي قد جهزت لاني الملك الناصر ما كان طلب وعينت له بتنا من بيت جنكر خان من نسل الملك باطرخان قال طوخي لم يرسلنى السلطان في هذا فقال اربك اننا أرسلها اليه من جهتي وامر طوخي بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وجعلها ثم قال لا بد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض ما لا آخر نحو سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلبباي ومعها جماعة من الرسل وهم بائجار من كبار المغل وطبقغا ومنعوش وطرحى وعثمان ويكتر وقرطبا والشيخ برهان الدين امام الملك اربك وقاضى حراى فساروا في زمن الخريف وأقلعوا فلم يجدوا ريجانسيرهم فأقاموا في بر الروم على ميناء بن مشتا خمسة اشهر وقام بخدمة منهم هو الاشكرى ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الاشكرى ستين ألف دينار فوصلوا الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة عشرين وسبع مائة فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت في خرقة من الذهب على العجل وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثمان عشرة من الحرم وزالت في الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين خامس عشر ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر في الميدان دهليز أطلس معبدى ومدلهم سباط وفي يوم الخميس ثاني عشرية أحضر السلطان رسل اربك ووصل رسل ملك الصكرج ورسول الاشكرى بتقادمهم ثم بعث الى الميدان الامير سيف الدين ارغون النائب والامير بكتر الساقى والقاضى كريم الدين ناظر الخاص فمشوا في خدمة الخاتون الى القلعة وهي في عز ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخرة على ثلاثين ألف دينار حالة المجل منها عشرون ألفا وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان

النائب أرغون ونى عليها وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما ربي على املهم ومعهم هدية جليظة فساروا في شعبان وتأخر قاضي حراى حتى حج وعاد في سنة احدى وعشرين وماتت في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة ودقت نبرتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طغاي أم انوك * (دار حارس الطير) هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رجة باب العيد عرفت بالامير سيف الدين سنبغا حارس الطير ترقى في الخدم الى أن صار نائب السلطنة بديار مصر في أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاوون بعد بلغاروس ثم عزل بالامير قبلای وجهز الى نياية غزة فأقام بها شهر اقبض عليه وحضر مقبدا الى الاسكندرية في شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعمائة فسجن بهامدة ثم أخرج الى القدس فأقام بطلا لمدة ثم نقل الى نياية غزة في شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة * (الدار القردمية) هذه الدار خارج باب زويلة بخط الموازين من الشارع السلوك فيه الى رأس المكينة بناها الامير الحاي الناصري مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان من أمره أنه ترقى في الخدم السلطانية حتى صار دوا دار السلطان بغير امرأة رفيقا للامير بها الدين ارسلان الدوادار فلما مات بها الدين استقر مكانه بأمره عشرة مئة ثلاث سنين ثم أعطى امره طبلخاناه وكان فقها حنظيا يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم في ربعة وكان عفيفا عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب مكا على الاشتغال بالعلم محبا لاقتناء الكتب مواظبا على مجالسة اهل العلم وبالغ في اتقان عمارة هذه الدار بحيث أنه انفق على بنائها خاصة مائة ألف درهم فضة عنها يؤمئذ نحو الخمسة آلاف منقال من الذهب فلما تم بنائها لم يتبع بها غير قليل ومعرض نحات في اوائل شهر رجب وقيل في رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو كهل فدفن بقرافة مصر فسكن من بعده خوند عائشة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا فعرفت بها وكانت هذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل الا انها عمرت طويلا وتصرفت في مالها تصرفا غير مرضي فتلف في اللهو حتى صارت تعد من جملة المساكين وماتت في الخامس من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ومختبها من ليف ثم سكن هذه الدار الامير جمال الدين محمود بن علي الاستادار مئة وأنشأ تجاها مدرسة * (دار الصالح) هذه الدار بجحارة الديلم قريسا من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن رزبك يسكنها وهو امير قبل أن يلي الوزارة بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وما زالت باقية الى أن خربها الامير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايمباز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة وبناها على ما هي عليه الآن * (دار بهادر) هذه الدار بالقاهرة جوار المشهد الحسيني في درب جرجي المقابل للابار بن السلوك منه الى دار الضرب وغيره أنشأها الامير بهادر راس نوبة أحد عماليك الملك المنصور قلاوون واتفق انه كان عن مالا الامير بدر الدين بيدرا على قتل الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما قدر الله بانتفاض أمره يسدرا وقتله واقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الاشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الاشرف خليل وقد تجمعت المماليك الاشرفية مع الامير علم الدين سنجر الشجاع وهو يؤمئذ وزير الدار المصرية في دار النياية من قامة الجبل عند الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واذا بالامير بهادر المذكور قد حضر هو والامير جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب المعروف بجملة وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الاشرفية حتى دبأ أمرهما النائب واذن لهما في طلوع القلعة فها هو الآن ابصرهما الاشرفية سلوا سبيوفهم وضربوا رقبتهما في اسرع وقت فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الاشرفية واتفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر وذلك أن بهادر هذا الماخضر أساسها وجد هنا قبورا كثيرة فأخرج تلك العظام ورماها فبلغ ذلك قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد فبعث اليه ينهاه عن نبش القبور وروى العظام ويخوفه عاقبة ذلك فقال اذا مت يجرؤوا رجلى ويرموني فقال القاضي لما عيّد عليه هذا الجواب وقد يكون ذلك فقد رآه الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة اقوش ربط في رجليهما حبل وجرّ من دار النياية بالقلعة الى الجحار بالكيان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء ثم عرفت هذه الدار بيت الامير جركم بن بهادر المذكور وكان خصيصا بالامير قوصون فبعثه لقتل السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما انتاه الى مدينة قوص بعد خلعه فتولى قتله فلما قبض على قوصون قبض على جركم في ثاني شعبان سنة اثنين واربعين وسبعمائة وقتل بالاسكندرية وهو قوصون في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال تولى قتلهما الامير ابن طشتمر طلبية واحمد بن صبيح وكان جركم هذا في ادب

وحشمة وأقول أمره كان من اصحاب الامير بريس الجاشنكيرى فقدمه وأعطاه امره عشرة ثم اتصل بالامير ارغون النسابة فأعطاه امره طبلخاناه وكان يلعب بالكرة ويجيد في لعبها الى الغاية ثم عرفت هذه الدار بالامير سيف الدين بهادر المنجكي أستاذ الملك الظاهر برقوق لسكنه بها وتجديد عمارتها وأنشأ بجوارها حماما وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني من جادى الاخرة سنة تسعين وسبع مائة وهذه الدار باقية الى اليوم تسكنها الامراء * (دار البقر) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل بالخط الذى يقال له اليوم حدره البقر كانت دار الملبقار التى برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ هادارا واصطبلًا وغرس بها عدة اشجار وتولى عمارتها القاضي كريمة الدين عبد الكريم الكبير فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم وعرفت بالامير طققر الدمشقي ثم عرفت بدار الامير طاش عمر حص اخضر وهذه الدار باقية الى وقتنا هذا ينزلها أمراء الدولة * (قصر بكتر الساقى) هذا القصر من اعظم مساكن مصر واجلها قدرا وأحسنها بنا وناوموضه تجاه الكبش على بركة الفيل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون لسكن اجل أمراء دولته الامير بكتر الساقى وأدخل فيه ارض الميدان التى أنشأها الملك العادل كتبها وقصد أن يأخذ قطعة من بركة الفيل ليتسع بها الاصطبل الذى للامير بكتر بجوار هذا القصر فبعث الى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الخنقى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزهها وتورعا واجتمع بالسلطان وحدثه في ذلك فلما رأى كثرة ميل السلطان الى اخذ الارض نهض من المجلس مغضبا وصار الى منزله فأرسل القاضي كريم الدين الكبير ناظر الخواص الى سراج الدين الخنقى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفردا عن القاهرة فحكم باستبدال الارض في غرة رجب سنة سبع عشرة وسبع مائة فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات في أول شهر رمضان فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى وأعاده الى ولايته وكل القصر والاصطبل على هيئة قل ما رأيت الا عين مثلها بلغت النفقة على العمارة في كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاء العمل لان العجل التى تحمل الحجارة من عند السلطان والحجارة أيضا من عند السلطان والفعلة في العمارة اهل السجون المقيدون من المحاييس وقد رولم يكن في هذه العمارة جاهد ولا سخرة لكان مصر وفها في كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة وأقاموا في عمارته مدة عشرة اشهر فجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها زبادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من مخز في العمل وهو نحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الامير بكتر الساقى وكان له في اصطبله هذا مائة سطل لحماس مائة سائس كل سائس على ستة رؤس خيل سوى ما كان له في الحشرات والنواحي من الخيل وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لاحد به حسن ولما تزوج اولك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بأبنة الامير بكتمر الساقى في سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة خرج شوارها من هذا القصر وكان عدة الجمالين ثمانمائة جمال المساند الزركش على أربعين جمالا عتتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر جمالا والكراسى اثنا عشر جمالا وكراسى لطاف أربعة جمالين وفضيات تسعة وعشرون جمالا وسلم الدكك أربعة جمالين والدكك والخوت الابنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين جمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين جمالا والصيني ثلاثة وثلاثين جمالا والزجاج المذهب اثني عشر جمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين جمالا والبلع بكى المدهون اثني عشر جمالا والخوشجات والمحافى والربادى والنحاس تسعة وعشرين جمالا وصناديق الخواثج خاناه ستة جمالين وغير ذلك تنمة العدة والبالغ المحملة الفرس والعف والبسط والصناديق التى فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا قال العلامة صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدى قال الى المهذب الكاتب الزركش والمصاغ ثمانون قنطار بالمصرى ذهب والماسات يكثر هذا صار هذا الوقف من بعده من جله اوقافه فتولى أمره وأمر سائر اوقافه اولاده حتى انقرض اولاده واولاد اولاده فصار أمر الاوقاف الى ابن ابنته وهو احمد بن محمد بن قرطاي المعروف بأحمد بن بنت بكتمر وهذا القصر في غاية من الحسن ولا ينزله الا اعيان الامراء الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان العسكر غابا عن مصر مع الملك المؤيد شيخ في محاربة الامير نوروز الخافطى بدمشق عمده هذا المذكور الى القصر فاخذ رخامه وشبابيكه وكثيرا من سقفه وابوابه وغير ذلك وباع الجميع وعمل بدل ذلك الرخام البلاط وبذل الشبابيك الحديدة بالخشب وفطن به اعيان الناس فقصدوه واخذوا منه أصنافا عظيمة ثمن وبغیر ثمن وهو الآن

قائم البناء يسكنه الامراء * (الدار اليسرى) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة كانت في آخر الدولة الفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعنت لم يجلس فيها من قصاد الفرنج عندما تقرر الامر معهم على ان يكون نصف ما يحصل من مال البلد للفرنج فصار يجلس في هذه الدار قاصدا معتبرا عند الفرنج بقبض المال فلما زالت الدولة بالغز ثم زالت دولة بني أيوب وولى سلطنة مصر الملوك من الترك الى ان كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين يبسر البندقدارى شرع الامير حسن الدين يبسر الشمسي الصالحى الجسمى في عمارتها في سنة تسع وخسين وسقائة وتأنق في عمارتها وبالغ في كثرة المصروف عليها فانكر الملك الظاهر ذلك من فعله وقال له يا امير بدر الدين اى شئ خيلت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان واقه يا خوند ما بنيت هذه الدار الا حتى يصل خبرها الى بلاد العدو ويقال بهض مما يليك السلطان عذر دارا غرم عليها ما لا عظيم فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا وعدة هذا من أعظم انعام السلطان فجاء سعة هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها فخوفد اثنين ورخامها من ابهج رخام عمل في القاهرة وأحسنه صنعة فكثر تعجب الناس اذ ذلك من عظمتها لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد حتى ان الواحد منهم اذا صار اميرا لا يتغير عن داره التي كان يسكنها وهو من الاجناد وعندما كملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد وقاضى القضاة تقي الدين بن بنت الازهر وقاضى القضاة تقي الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاة في حال تحملهم الشهادة وما زالت بيد ورثة يبسر الى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة فشرحت نفس الامير قوصون الى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون في ذلك فأذن له في التحديث مع ورثة يبسر فأرسل اليهم ووعدهم وناهم وأرضاهم حتى أذعنوا له فبعث السلطان الى قاضى القضاة شرف الدين الحراني الخبيلي يلتصق منه الحكم باستبداله كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وسجامة الذي انشأ جامع به بخط خارج الباب الجديد من الشارع فاجاب الى ذلك ونزل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاذ الدواوين ومعه شهود لقيمة قومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة وتكون الغبلة للايام عشرة آلاف درهم نقرة لتتم الجلة مائتي ألف درهم نقرة وحكم قاضى القضاة شرف الدين الحراني ببيعها وكان هذا الحكم مما شنع عليه فتم اختلفت الايدي في الاستيلاء على هذه الدار واقضى القضاة بعضهم ببعض في الحكم باستبدالها وآخر ما حكم به من استبدالها في اعوام بضع وثمانين وسبع مائة فصارت من جملة الاوقاف الظاهرة برقوق وهي الآن بيد ائمة بيرم وكان لها باب بوابته من أعظم ما عمل من البوابات بالقاهرة وتوصل الى هذه الدار من هذا الباب وهو يجوار حمام يبسر من شارع بين القصرين وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتى خفي وما ريد خل الى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشق * (يبسر) * الامير شمس الدين الشمسي الصالحى الجسمى أحد عماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية تنقل في الخدم حتى صار من أجل الامراء في أيام الملك الظاهر يبسر البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة وكانت له عدة عماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه في اليوم ستين عليقة نخله وبلغ عايتي خيله وخيل عماليكه في كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوى علف الجمل وكان يتم بالالف دينار والخمسة مائة غير مرة ولما فرق الملك العادل كتبة المماليك على الامراء بعث اليه بستين مملوكا فأخرج اليهم لكل واحد فرسين وبغلا وشكاليه استاداره ككثرة خرجه وحسن له الاقتصاد في النفقة فخلق عليه وعزله وأقام غيره وقال لا يرني وجهه أبدا ولم يعرف عنه انه شرب الماء في كوز واحد مرتين وانما يشرب كل مرة في كوز جديد ثم لا يماود الشرب منه وتذكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه في سنة ثمانين وسقائة وما زال في سجنه الى ان مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل فأفرج عنه في سنة اثنين وتسعين وسقائة بعد عوده من دمشق بشفاة الامير بيدرا والامير سنجر الشجاعى وأمر ان يحمل اليه تشرىف كامل ويكتب له منشور بمائة فارس وانه يبسر التشرىف من السجن فجهر التشرىف وحمل اليه المنشور في كيس حرير اطلس وعظم فيه تعظيما زائدا وأثنى عليه ثناء جاسارا اليه بيدرو الشجاعى والدوا داروا الافرم الى السجن ليمشوا في خدمته الى ان يقف بين يدي السلطان فامتنع من لبس التشرىف والترم بأيمان مغلفة انه لا يدخل على السلطان الا بقية ولباسه الذي كان عليه في السجن ونساعت الامراء وأهل القلعة بخروجه فخرجوا اليه وكان لخروجه من اعظيم ودخل على السلطان

بقيدته فأمر به فقتل بين يديه وأفيض عليه التشریف فقبل الأرض وأكرمه السلطان وأمره فقتل إلى داره وخرج
الناس إلى رؤيته وسرّوا بخلاصه فبعث إليه السلطان عشرين فرسا وعشرين اكديشا وعشرين بغلا وأمر
جميع الأمراء أن يبعثوا إليه فلم يبق أحد حتى سير إليه ما يقدر عليه من الخلف والسلاح وبعث إليه أمير سلاح
ألقى دينار عينا وكانت مدة سجنه إحدى عشرة سنة وأشهر أفسار ~~يكتب~~ بعد خروجه من السجن يسرى
الاشرفي بعدما كان يكتب يسرى الشمسي وما زال إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الأمير منكر عمر
يغريه بالأمير يسرى ويخوفه منه وأنه قد تعين للسلطنة فعلمه كاشف الحيرة وأمره أن يحضر الخدمة يومى
الاثنين والخميس بالقلعة ويجلس رأس المينة تحت الطواشي حسام الدين بلال المغيثي لاجل كبره وتقدمه ثم زاد
منكر عمر في الأغراء به والسلطنة تستهله إلى أن قبض عليه وسجنه في سنة سبع وتسعين وستمائة واحاط بسائر
موجوده وحبس عدة من ممالئكه فسر منكر عمر بمسكه سرورا عظيما واستقر في السجن إلى أن مات في ناسع عشر
شوال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون كثيرة ودفن بترتبه خارج باب النصر رحمه الله تعالى
* (قصر بشتاك) هذا القصر هو الآن تجاه الدار اليسرى وهو من جلة القصر الكبير الشرقى الذى كان
مسكنا للخلفاء الفاطميين ويسلك إليه من الباب الذى كان يعرف في أيام عمارة القصر الكبير في زمن الخلفاء
بياب البحر وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملة وما زال إلى أن اشتراه الأمير بدر
الدين بكتاش الفخرى المعروف بأمير سلاح وأنشأ دورا واصطبلات ومساكن له ولخواشيه وصار ينزل
إليه هو والأمير بدر الدين يسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل في موضع مكعب عظيم زائد
الحشمة ويدخل كل منهما إلى داره وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وإبقاها
على ما هي عليه فلما مات أمير سلاح وأخذ الأمير قوصون الدار اليسرى كما تقدم ذكره أحب الأمير
بشتاك أن يكون له أيضا دار بالقاهرة وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران في الأمور ويتضادان
في سائر الأحوال ويقصد كل منهما أن يسامى الآخر يزيد عليه في الجمل فأخذ بشتاك يعمل في الاستيلاء
على قصر أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض
كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم دارا كانت قد انشئت هناك عرفت بدار قطوان
الساقى وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقهاء وادخل ذلك
في البناء الامسجد منافاته وعمره ويعرف اليوم بمسجد النجل فجاء هذا القصر من أعظم مباني القاهرة فان ارتفاعه
في الهواء أربعون ذراعا ونزول اساسه في الأرض مثل ذلك والماء يجري بأعلاه وله شبابيلك من حديد تشرف
على شارع القاهرة وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين وهو مشرق جليل مع حسن بنائه
وتأني زخرفته والمباغة في تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضا في أسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيره فصار
الامر أخيرا كما كان أولا بتسمية الشارع بين القصرين فانه كان أولا كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقى
الذى قصر بشتاك من جلته وتجاهاه القصر الغربى الذى انخرشفت من جلته فصار قصر بشتاك وقصر يسرى
وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ومن لا علم له يظن انما قيل لهذا الشارع بين القصرين لاجل قصر
يسرى وقصر بشتاك وليس هذا بصحيح وانما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فانه كان بين
القصرين القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى وقد تقدم ذلك مشروحا مبينا ولما اكل بشتاك بناء هذا
القصر والحوانيت التى في أسفله والخان المجاور له في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان
اذا نزل إليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتى يخرج منه قتل الحية إلى الله فصار يتعلم هذه احبانا
فيعتبر به ما تقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتاش الساقى وتداوله ورثته إلى أن أخذها السلطان الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاوون فاستقر بيد أولاده إلى أن تحكم الأمير الوزير المشير جمال الدين الاستادار في مصر
اقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى بأن هذا القصر يضرب بالحجار والمار وأنه مستحق
للإزالة والهدم كما عمل ذلك في غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله وصار من جلة املاكه فلما قتله الملك الناصر
فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التى انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر
برقوق خارج باب النصر فاستقر في جلة اوقاف التربة المذكورة إلى أن قتل الملك الناصر بدمشق في حرب الأمير

شيخ والامير نوروز و قدّم الامير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسي ابن محمد وقف له من بني أولاد جمال الدين وأقاربه وكان لاهل الدولة يومئذ بهم عناية قاضى القضاة صدر الدين علي بن الادعى الحنفى - بار تجماع املاك جمال الدين التي وقفها على ما كانت عليه فسلمها لأخوه وصار هذا القصر اليهم وهو الآن بيدهم * (قصر الحجازية) هذا القصر بخط رجة باب العيص بجوار المدرسة الحجازية كان يعرف اقوالاً بقصر الزمرذ في أيام الخلفاء الفاطميين من أجل ان باب القصر الذي كان يعرف بباب الزمرذ كان هناك كما تقدم ذكره في هذا الكتاب عند ذكر القصور فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ما صار بيد ملوك بني أيوب واختلفت عليه الايدى الى ان اشتراه الامير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاسب من أولاد الملوك بني أيوب واستمر بيده الى ان رسم بتسفيره من مصر الى مدينة غزوة واستقر نائب السلطنة بها في سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكتب الامير سيف الدين قوصون عليه وملكه اياه فشرع في عمارة سمع قاعات لكل قاعة اصطبل ومنازع ومرافق وكانت مساحة ذلك عشرة افدنة فمات قوصون قبل ان يتم بناء ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون الى ان اشترته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الامير ملك تتر الحجازي فعمرنه عمارة ملوكية وتأنقت فيه تأتقازاً وأجرت الماء الى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلاً كبيراً لخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها من شبايك حديد فجاء شيئاً عجيباً حسنه وأنشأت بجواره مدرستها التي نعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ما هو موقوف عليها فلما ماتت سكنه الامراء بالاجرة الى ان عمر الامير جمال الدين يوسف الاستاد اذ داره المجاورة للمدرسة السابقة وتولى استدارة الملك الناصر فرج صار يجلس برجة هذا القصر والمقعد الذي كان بهما وعمل القصر مجنبا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والاعيان فصار موحشاً وروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة من بعد ما قام دهره وهو معنى صبايات وملعب اتراب وموطن افراح ودار عز ومنزل هو ومجلى امان النفوس ولذا تهاجم لما فحش كاب جمال الدين وشنع منه في اغتصاب الاوقاف أخذ هذا القصر يتشعث شئ من زخارفه وحكمه قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما تقدم الحكم في نظائره فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطاً ثم اتى عزمه عن ذلك فلما عزم على السير الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز في سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل اليه الوزير صاحب سعد الدين ابراهيم بن البشري وقلع شبايكه الحديد لتعمل آلات حرب وهو الآن بغير رخام ولا شبايك قائم على أصوله لا يكاد يتنفع به الا ان الامير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستاد ارسله الى بيت الامير جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلاً لخيوله وصار يحبس في هذا القصر من يصادره أحياناً * وفي رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الامير نحر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج الاستاد ارمي بجده المسجونون في السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزائن شمائل من شدة الضيق وكثرة الغم فعين هذا القصر ليكون مجنبا لارباب الجرائم وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسا عن أجرة سنتين فشرعوا في عمل سجن وأزالوا كثيراً من معالمه ثم ترك على ما بقي فيه ولم يتخذ سجنًا * (قصر يلغا الجياوى) هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرملة تحت قلعة الجبل وكان قصراً عظيماً أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه لسكن الامير يلغا الجياوى وان بنى أيضاً قصر يقابله برسم سكنى الامير الطنبغا الماردى لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر اليهما من قلعة الجبل فركب بنفسه الى حيث سوق الخيل من الرملة تحت القلعة وسار الى حمام الملك السعيد وعين اصطبل الامير أيد غمش أمير اخور وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين وبضاف اليه اصطبل الامير طاشمر الساقى واصطبل الجوق وأمر الامير قوصون ان يشتري ما يجاور اصطبله من الاملاك ويوسع في اصطبله وجعل أمر هذه العمارة الى الامير اقبغا عبد الواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الامير قوصون وزيد في الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث انه افردها دون اناو بلغ مصر وفها في كل يوم اثني عشر ألف درهم نقرة وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة فلما اكتم الاهيام في بنا القصرين المذكورين

وعظم الاجتهاد في عمارتهم ما وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ويستحث على فراغهما واول ما بدئ به قصر بلبغا الجياوى فعمل اساسه حضية واحدة انصرف عليها وحدها مبلغ اربعمائة ألف درهم نقرة ولم يبق في القاهرة ومصر صنائع له تعلق في العمارة الا وعمل في ساحتي كل القصر فجاء في غاية الحسن وبلغت النفقة عليه مبلغ اربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمان لا زور دخاصه مائة ألف درهم فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها وحضر يومئذ من عند الامير سيف الدين طرغاي نائب حلب مقدمة من جلائها عشرة ازواج بسط أحدها حبر وعتة او اى من بالور ونحوه وخيل وبخاني فأنعى بالجميع على الامير بلبغا الجياوى وأمر الامير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ومعه اخوان سلاير برقيقته وساروا بباب الوظائف لعمل مهم فبات التشو ناظر الخاص هناك لتعبية ما يحتاج اليه من اللعوم والتوابل ونحوها فلما انتهى ذلك حضر سائر أمراء الدولة من اول النهار وأقاموا بقصر بلبغا الجياوى في اكل وشرب ولهو وفي آخر النهار حضرت اليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفاً رسم أرباب الوظائف وهم الامير أقبغا عبد الواحد والاستادار والامير قوصون الساقى والامير بشتاك والامير طوقوز دمر أمير مجلس في آخرين وحضر لبقية الامراء خلج وأقبية على قدر مراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلج والاقبية واركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطاني بسروج وكنايش ما بين ذهب وفضة بحسب مراتبهم وساروا الى منازلهم وذبج في هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرساً وعمل فيه ثلثمائة قطار سكر برسم المشروب فان القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شئ من المسكرات ألبتة ولا يجسر أحد على عمله في مهم ألبتة وما زالت هذه الدار باقية الى ان هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن * (اصطبل قوصون) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حדרه البقر وبابه الاخر فجهز باب السلسلة الذي يتوصل منه الى الاصطبل السلطاني وقلعة الجبل انشاء الامير علم الدين سنجر الجندار فأخذ منه الامير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيراً وأدخل فيه عدة عمار ما بين دور واصطبلات فجاء قصر اعظمها الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر * فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله الملك الاشرف بكن بن الملك الناصر محمد فلما كان في سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث في شهر رجب من اقننة بين الامير قوصون وبين الامراء وكبيرهم ايد غمش أمير اخور فنادى ايد غمش في العامة يا كسابه عليكم باصطبل قوصون انه جوه هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند الى اصطبل قوصون فنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة فثارت ممالك الامير بلبغا الجياوى من أعلى قصر بلبغا وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن ورموا ممالك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمي النهاية فاقبهم غوغا الناس اصطبل قوصون واتهبوا ما كان بركاب خاناته وحواسله وكسروا باب القصر بالفوس وصعدوا اليه بعد ما تسلقوا الى القصر من خارجه فخرجت ممالك قوصون من الاصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا الى ظاهر باب النصر يريدون الامراء الواصلين من الشام فأنتت النهاية على جميع ما في اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر وكانت تشتمل من انواع المال والقماش والاواني الذهب والفضة على ما لا يحصى ولا يعد كثيرة وعند ما خرجت العامة بما نهسته ووجدت ممالك الامراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل في الرملة لا يتطامن من يخرج وكان اذا خرج أحد بشئ من النهب أخذ منه أقوى منه فان امتنع من اعطائه قتل واحتمل النهاية كاس الذهب وتروها في الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقشمة ثمينة وجروا البسط الرومية والامدية وما هو من عمل الثمر يفتقوا ما لم يلقوا قطعها بالسكاكين وفتقوها وكسروا اواني الباور والصيني وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة وفتقوا اللحم وقطعوا الخيم وكسروا الخراكوات وأتلفوا سترها وأغشمت الاطاس والزركفت * وذكر عن كاتب قوصون انه قال اما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على اربعمائة ألف دينار واما الزركش والحوايص والمعصبات ما بين خواتمجات واطباق فضة وذهب فانه فوق

المائة ألف دينار والياور والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحصر وكان هنالك ثلاثة ايكاس اطلس فيها جواهر قد جمعه في طول ايامه لكثرة شغفه بالجواهر لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار وكان في حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من اربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم تقرة منها أربعة أزواج بسط من حرير وكان من جملة الخيام نوبة خام جميعها اطلس معدني قصب جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النوبة من دار قوصون حتى بيع المنقال باحد عشر درهما لكثرة في ايدي الناس بعدما كان سعر المنقال عشرين درهما ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه في النهب وما برح مسكنا كابر الامراء وقد اشتهر انه من الدور المشؤمة وقد ادركت في عمري غير واحد من الامراء سكنه وآل أمره الى ما لا خيرة فيه ومن سكنه الامير برسكة الزينبي ونهب نوبة فاحشة وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحد ثم اصلى وهو الآن من اجل دور القاهرة * (دار ارغون الكامل) هذه الدار بالجسر الاعظم على بركة القيل انشأها الامير ارغون الكامل في سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأدخل فيها من أرض بركة القيل عشرين ذراعا * (ارغون الكامل) الامير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه اخته من أمته بنت الامير ارغون العلوي في سنة خمس وأربعين وسبع مائة وكان يعرف أولا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده في مملكة مصر اخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون اعطاه امره مائة وثلاثة الف ونهى ان يدعى ارغون الصغير وتسمى ارغون الكامل فلما مات الامير قطليغا الجوى في نيابة حلب وسمه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بنيابة حلب فوصل اليها يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رجب سنة خمسين وسبع مائة وعمل النيابة بها على احسن ما يكون من الحرمة والمهابة وهابة التركمان والعرب ومشت الاحوال به ثم جرت له قسنة مع امراء حلب فخرج في نفر يسير الى دمشق فوصلها الثلاثاء بقين من ذي الحجة سنة احدى وخمسين فآكرمه الامير ايتمش الناصري نائب دمشق وجهزه الى مصر فأقيم عليه السلطان واعاده الى نيابة حلب فأقام بها الى ان عزل ايتمش من نيابة دمشق في اول سلطنة الملك الصالح صالح بن قلاوون فنقل من نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في حادي عشرين شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب وما زال بها الى ان خرج بلبغاروس وحضر الى دمشق فخرج الى الدار واستولى بلبغاروس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار الى بلاد الشام بسبب حركة بلبغاروس تلقاه ارغون وسار بالعساكر الى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر بلبغاروس فقلده نيابة حلب في خامس عشر شهر رمضان وعاد السلطان الى مصر فلم يرزل الامير ارغون بحلب وخرج منها الى الابلاستين في طلب ابن دلفادور حرقها وحرق قرها ودخل الى قصريته وعاد الى حلب في رجب سنة اربع وخمسين فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين طلب الامير ارغون من حلب في آخر شوال فحضر الى مصر وعمل امير مائة مقدم ألف الى ناسع صفر سنة ست وخمسين فأمسك وحمل الى الاسكندرية واعتقل فيها وعند زوجته ثم نقل من الاسكندرية الى القدم فأقام بها بطلا وبني هنالك ثربة ومات بها يوم الخميس نجس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبع مائة * (دار طاز) هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاء حمام القارفا في على يمينه من ملك من الصليبية يريد حدره البقر وباب زويلة انشأها الامير سيف الدين طاز في سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضى اربابها وبغير رضاهم وتولى الامير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصر امشيد واصطبل كبير وهي باقية الى يومنا هذا يسكنها الامراء وفي يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين عمل الامير طاز في هذه الدار ولية عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الامراء فلما كان وقت انصرافهم قدم الامير طاز للسلطان اربعة أفراس بسروج ذهب وكنايش ذهب وقدم للامير سنجر فرسين كذلك وللأمير صرغتمش فرسين ولكل واحد من امراء الالوف فرسا كذلك ولم يعهد قبل هذا أن أحدا من ملوك الاتراك ينزل الى بيت امير قبل الصالح هذا وكان يوما مذكورا * (طاز) الامير سيف الدين امير مجلس اشتهر ذكره في ايام الملك الصالح اسماعيل ولم يرزل اميرا الى ان خلع الملك الكامل شعبان واقام المظفر حاجي وهو أحد الامراء الستة ارباب الحل والهد قد خلع الملك

المظفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمة وهو الذي أمسك الأمير بلبغاروس في طريق الخجاز وأمسك أيضاً الملك المجاهد سيف الاسلام على ابن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره الى مصر وهو الذي قام في نوبة السلطان حسن لما خلع واجلس الملك الصالح صالح على كرسي الملك وكان يلبس في درب الخجاز عباءة وسرقولا ويخفي نفسه ليتجسس على اخبار بلبغاروس ولم يزل على حاله الى ثلثي شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخلع الصالح واعيد الناصر حسن فأخرج طراز الى نيابة حلب وأقام بها * (دار صرغتمش) هذه الدار بخط بئر الوطواط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع احمد بن طولون من شارع الصليبية كان موضعها مساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبناها قصر او اصطبل في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمل اليه الوزراء والكتاب والاعيان من الرخام وغيره شيئاً كثيراً وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب في ذكر المدارس وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا يسكنها الامراء ووقع الهدم في القصر خاصة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة * (دار الماس) هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدة البقر بجوار جامع الماس انشأها الأمير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة واستدعى به من البلاد فلما قتل في مصر سنة اربع وثلاثين وسبعمائة امر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في هذه الدار من الرخام فقلع جميعه ونقل الى القلعة وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ينزلها الامراء * (دار بهادر المقدم) هذه الدار بخط الباطنية من القاهرة انشأها الأمير الطواشي سيف الدين بهادر مقدم المماليك السلطانية في ايام الملك الظاهر برقوق * وبها در هذا من ممالك الأمير بلبغا وأقام في مقدمة المماليك جميع الايام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات في ايام الملك الناصر فرج وهو على امرته وفي وظيفته مقدمة المماليك السلطانية يوم الاحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق من الباطنية في ايام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر حارة الباطنية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب ولما مات المتقدم بهادر استقرت من بعده منزلاً لامراء الدولة وهي باقية على ذلك الى يومنا هذا * (دار الست شقراء) هذه الدار من جملة حارة كامة وهي اليوم بالقرب من مدرسة الوزير صاحب كريم الدين ابن غنام بجوار حرام كراي وهي من الدور الجديلة عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وتزوجها الأمير روس ثم انحط قدرها واتضعت في نفسها الى ان ماتت في يوم الثلاثاء من عشرى جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة * (دار ابن عنان) هذه الدار بخط الجامع الازهر انشأها نور الدين علي بن عنان التاجر بقبسارية جهاز ركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطاني في ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الاشرف اجتمع وداخله وهم أظهر فافقه وتذكر أنه دفن مبلغاً كبيراً من الالف مثقال ذهب في هذه الدار ولم يعلم به احد سوى زوجته ام اولاده فانفق انه مرض ومرض زوجته ايضا فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة وماتت زوجته ايضا فأسف اولاده على فقد ماله وحفر واما موضع من هذه الدار فلم يظفر وبشيء البتة وأقامت مدة بأيديهم وهي من وقف ابيهم ومات ولده شمس الدين محمد بن علي بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشرة وثمانمائة كبايع غيرهما من الاوقاف * (دار بهادر الاعسر) هذه الدار بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودي من القاهرة وبين الخليج الكبير الذي يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة كان مكانها من جملة دار الذهب التي تقدم ذكرها في ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب والى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبر وفيما بينها وبين الخليج يعرف بقبور الذهب من جملة اقباة دار الذهب ويميز الناس من تحت هذا القبر * بهادر هذا هو الأمير سيف الدين بهادر الاعسر الحيواي كان مشرفاً بمطبخ الأمير سيف الدين بجا الأمير شكار ثم صار زرد كاش الأمير الكبير بلبغا الخاصكي وولي بعد ذلك مهتمندار السلطان بدار الضيافة وولي وظيفة شد الدواوين الى ان قدم الأمير بلبغا الناصري نائب حلب بعساكر الشام الى مصر وأزال دولة الملك الظاهر برقوق في جمادى سنة احدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة الى غزة ثم عاد بعد ذلك الى القاهرة وأقام بها الى ان مات بهذه الدار في يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت تركته وكان فيها عدة كتب في انواع من العلوم وهذه الدار باقية الى يومنا هذا وعلى بابها بئر يجانبه حوض

بلا لشرب الإواب منه * (دار ابن رجب) هذه الدار من جملة أراضي البستان الذي يقال له اليوم المكافوري
 كان اصطبلًا للأمير علاء الدين علي بن كلف التركاني شاذ الدواوين فيما بين داره ودار الأمير تشكر نائب
 الشام فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب في الوزارة أنشأ هذا الاصطبل مقعدًا صار يجلس فيه وقصرًا
 كبيرًا واستولى من بعده على ذلك كله أولاده فلما عمر الأمير جمال الدين يوسف الاستاد امردسته بحظ رغبة
 باب العبد أخذ هذا القصر والاصطبل في جملة ما أخذ من أملاك الناس وأوقفهم فلما قتله الملك الناصر
 فرج واستولى على جميع ما خلقه أفرد هذا القصر والاصطبل فيما أفرد للمدرسة المذكورة فلم يزل من
 جملة أوقفها إلى أن قتل الملك الناصر فرج وقدم الأمير شيخ نائب الشام إلى مصر فلما جلس على تخت الملك
 وتلقب بالملك المؤيد في عزة سبعين سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف إليه من بقى من أولاد علاء الدين علي
 ابن كلف وهما امرأتان كانتا أحدهما تحت الملك المؤيد قبل أن يلي نيابة طرابلس وهومن جملة امرأه
 مصر في أيام الملك الظاهر برقوق وذكر أن الأمير جمال الدين الاستاد أخذ وقف أيهما بقي حق وأخرجنا كتاب
 وقف أيهما ففوض امر ذلك لقاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان
 ابن نصير البلقيني الشافعي فلم يجد بيد أولاد جمال الدين مستندًا ف قضى بهذا المكان لورثة ابن كلف وبقيته
 على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه فنسلم مستحقوا وقف بن كلف القصر والاصطبل وهو الآن بأيديهم وبينهم
 وبين أولاد ابن رجب نزاع في القصر فقط * (محمد بن رجب) ابن محمد بن كلف الأمير الوزير ناصر الدين نشأ
 بالقاهرة على طريقة مشكورة فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدي شاذ الدواوين بعد انتقال الأمير
 جمال الدين محمود بن علي من شد الدواوين إلى استدارية السلطان في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة
 تسعين وسبع مائة أقام ابن رجب هذا استدارا عند الأمير سودون باق وكانت أول مباشراته ثم ولى شد الدواوين
 بعد الأمير ناصر الدين محمد بن أقبه أص في سابع عشر ذي الحجة وعوض في شد الدواوين بشدد واليب
 الخصاص عوضا عن خاله الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله إلى الوزارة فلم يزل إلى أن توجه الملك
 الظاهر برقوق إلى الشام وأقام الأمير محمود الاستاد ارفقده عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو محتوم فاذا
 فيه أن يقبض على ابن رجب ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة فقبض عليه في رابع شهر رمضان
 سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة فلما كان في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة
 ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة صاحب موق الدواوين أبا الفرج واستقر بابن رجب في منصب الوزارة
 وخلف عليه فلم يغير زى الأمراء وباشر الوزارة على قالب خنم وناموس مهاب وصار أميرا ووزيرا مدبرا للمالك
 وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام في استخدام كل من باشر الوزارة فأقام صاحب سعد الدين
 ابن نصر الله ابن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم
 الدين عبد الوهاب من ابرة مستوفى الدولة والصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاذكر رقيقا له في استيفاء
 الدولة وأنعم عليه بأمره عشر بن فارس في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك إلى أن مات
 من مرض طويل في يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبع مائة وهو وزير من غير نكبة
 فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقد ذكرته في كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة
 * (دار القليبي) هذه الدار من جملة خط قصر بستان كانت أولا من بعض دور القصر الكبير الشرقي الذي تقدم
 ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار جمال الكفاة وهو القاضي جمال الدين إبراهيم المعروف بجمال الكفاة
 ابن خالة النشون ناظر الخصاص كان أولا من جملة الكتاب النصاري فأسلم وخدم في بستان الملك الناصر محمد بن
 فلاوون الذي كان ميذا لملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق ثم خدم في ديوان الأمير بيدمر البدرى فلما عرض
 السلطان دواوين الأمراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا فجعله مستوفيا
 إلى أن مات المهذب كاتب الأمير بكتمر الساقى فولاه السلطان مكانه في ديوان الأمير بكتمر فخدمه إلى أن مات
 فخدم بدوان الأمير بستانك إلى أن قبض الملك الناصر على النشون ناظر الخصاص ولاءه وظيفة ناظر الخصاص بعد
 النشون ثم أضاف إليه وظيفة ناظر الجيش بعد المكيين بن قزوينه عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين
 إلى أن مات الملك الناصر فاستقر في أيام الملك المنصور أبي بكر والملك الأشرف بكن والملك الناصر أحمد فلما ولى

الملك الصالح اسمعيل جعله مشير الدولة مع ما بيده من نظر الخاص والجيش وكان الوزير اذ ذاك الامير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيع باستقراره في وظيفة الاشارة فعظم امره وكنز حساده الى ان قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الاحد سادس شهر ربيع الاول سنة خمس واربعين وسبعمائة ودفن بجوار زاوية ابن عبود من القرافة وكانت مدة نظره في الخاص خمس سنين وشهرين تنقص اياما وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرف ذكيا يعرف باللسان التركي ويتكلم به ويعرف باللسان النوبى والتكرورى ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى ان ترأس القاضى شمس الدين محمد بن احمد القليجي الخنقى كان اولاً يكتب على مبيضة الغزل وهى يومئذ مضمونة لادوان السلطان ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى وخدمه فرفع من شأنه واستنابه فى الحكم فعيب ذلك على الهندى وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الخنقى

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا * علما بان الدهر عاد الى ورا

فقلت لصحبي ليس هذا تعجبا * وهل يجلب الهندى شيأ سوى الخرا

وولى افتاء دار العلم وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكيم عدة سنين فعظم ذكره وبعد صيته وصار يتوسط بين القضاة والامراء فى حوائجهم ويخدم اهل الدولة فيما بين اهلهم من الامور الشرعية فصار كثير من امور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الاستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون يسميه دريد بن الصمة يعنى انه صاحب رأى القضاة كما ان دريد ابن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين سره بذلك فلما نظم امره اخذ هذه الدار وقد تم بناء جدرانها وفرخها وزخرفها وبنيها لجانها فى اعظم قالب واحسن هندام واهبج زى وسكنها الى ان مات يوم الثلاثاء لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعدما وقفها فاستمرت فى يد اولاده مدة الى ان اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستاذ اركا اخذ غيرها من الدور * (دار بهادر المعزى) هذه الدار يدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة عمرها الامير سيف الدين بهادر المعزى كان اصله من اولاد مدينة حاب من ابناء التركان واشترى الملك المنصور لاجين قبل ان يلى سلطنة مصر وهو فى نيابة السلطنة بدمشق فترقى حتى صار احدا مرءى الالوف الى ان مات فى يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين احدهما تحت الامير اسد مر المعزى والاخرى تحت ملوكه اقتر وتزل ما لا كثير منه ثلاثة عشر ألف دينار وستائة ألف درهم نقرة وأربع مائة فرس وثلثمائة جل ومبلغ تحسين ألف اردب غلة وثمان حوايص ذهب وثلاث كلونات زركش واثنى عشر طراز زركش وعقارا كثيرا فآخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه وكان بجبل الصورة معروفا بالقروسية ورمى فى البقيق الشباب بينه ويساره ولعب الرمح لعبا جيدا وكان لين الجانب حلاو الكلام جميل العشرة الا انه كان مقترعا على نفسه فى مأكله وسائر احواله لكثرة شحمه بحيث انه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذى كان يجرى عليه وهو فى السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة اخرجهامعه من الاعتقال * (دار طينال) هذه الدار يحفظ الخياطون فى داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صالح كان موضعها وما حولها فى الدولة الفاطمية مارستانا وأنشأ هذه الدار الامير طينال احمد مالك الناصر محمد بن قلاوون اقامه ساقيا ثم علمه حاجبا صغيرا ثم اعطاه امرة دكتر وجعله امير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم اخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ثم نقله الى نيابة صفد فمات بها فى ثالث شهر ربيع سنة ثلاث واربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس قصيرا الى الغاية مليح الوجه مشكورا فى احكامه محبا لجمع المال شجاعا وهذه الدار تشغل على قائمتين متجاورتين وهى من الدور الجليله واطينال ايضا قيسارية بسوية امير الجيوش * (دار الهرماس) هذه الدار كانت يجوار الجامع الحاكمى من قبله شارعة فى رحبة الجامع على يسرة من يمز الى باب النضر عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدمى المعروف بالهرماس وسكنها مدة وكان اثرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون له فيه اعتقاد كبير فعظم عند الناس قدره واشتهر فيما بينهم ذكره الى ان دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد فسعى به عند السلطان الى ان تغير عليه وأبعده ثم ركب فى يوم سنة احدى وستين وسبعمائة من قلعة الجبل بعساكره الى باب زويلة فعند ما وصل اليه ترجل الامراء كلهم عن خيولهم ودخلوا مشاة من باب زويلة صكما هى العادة وصار السلطان راكبا مفردة وابن النقاش ايضا راكب بجانبه وسائر الامراء والممالك مشاة فى ركابه على ترتيبهم

الى ان وصل السلطان الى المارستان المنصوري بين القصرين فنزل اليه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجده واخوته وجلس وقد حضر هناك مشايخ العلم والقضاة فتذاكر وابتدع به مسائل علمية ثم قام الى النظر في امور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتى انتهى غرضه من ذلك وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة في ركابه الابن النقاش فانه راكب بجذبه الى ان وصل الى رحبة الجامع الحاكمي فوقف تجاه دار الهرماس وامر بهدمها فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوخ وتقي من القاهرة الى مصيف فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصانع الحنفي في ذلك

قد ذاق هرماس الخسارة * من بعد عز وجساره

* حسب الهتاني يتي * اخرج الله دياره *

فلما قتل السلطان في سنة اثنين وستين عاد الهرماس الى القاهرة وأعاد بعض داره فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار الى الامير جمال الدين عبد الله بن بكتر الحاجب فانشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك وانتقل من بعده الى اولاده وهو بأيدهم الى اليوم * (دار واحد الدين) هذه الدار بداخل درب السلاحي في رحبة باب العيد مقابل قصر الشولو الى جانب المارسان العتيق الصلاحي كان موضعها من حقوق القصر الكبير وصارا خيرا طاحونا فهدمها القاضي اوجده الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الامير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن وفي داخلها انسان ميت تدبيلت كفانه وصار عظمه انخر او هو في غاية طول القامة يكون قدر خمسة اذرع وعظام ساقه خلاف ما عهد من الكبير ودماغه عظيم جدا فلما كانت هذه الدار سكنها ايام مباشرته وظيفة كاتبة السر الى ان مات بها وقد حبسها على اولاده فاستمرت بأيدهم الى ان اخذها منهم الامير جمال الدين يوسف الاستاد اركا اخذ غيرها من الاوقاف فاستقرت في جلة ما بيده الى ان قتله الملك الناصر فرج قبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بملكة مصر استرجع اولاد جمال الدين ما كان اخذه الناصر من املال جمال الدين وصارت بأيدهم الى ان وقف له اولاد اوجده الدين في طلب دارا يبيعهم ففقد ذلك مجلس اجتمع فيه القضاة قتيين أن الحق بيد اولاد اوجده الدين فقضى باعادة الدار الى ما وقفها عليه اوجده الدين فتمسكها اولاد اوجده الدين من ورثة جمال الدين وهي الآن بأيدهم * (عبد الواحد بن اسماعيل بن ياسين الحنفي) اوجده الدين كاتب السر ولد بالقاهرة ونشأ بها في كنف قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن علي التركاني الحنفي الصهارة كانت بين ابيه وبين التركانية وباشر توقيع الحكم مدة واتفق ان امير من امراء الملك الاشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فاذا برقوق العثماني احد الممالك البلغاوية انه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد وضر الى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتى ثبت ما ادعاه فلما اراد الله من اسعاد جد اوجده الدين لم يقف برقوق على احد من موقعي الحكم الاعليه وأخبره بما يريد فبادر الى توريق سؤال باسم برقوق وانها انه ابن عم يونس الرماح وان عنده بيعة تشهد بذلك ودخل بهذا السؤال الى قاضي القضاة وانتهى العمل حتى ثبت ان برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق الى اوجده الدين مبلغ دراهم اجرة توريقه كما هي عادة اهل مصر في هذا فامتنع من اخذها وألحف برقوق في سؤاله وهو يمتنع فتقلد له برقوق المنه بذلك واعتقد أماته وخيره وصار لكثرة ركونه اليه اذا قدم فلا حوا اقطاعه يعثهم اليه حتى يحاسبهم عما جلوه من الخراج فلما قتل الملك الاشرف وثارتم الممالك وكان من امرهم ما كان الى ان تغلب برقوق وصار من جلة الامراء واستولى على الاصطبل السلطاني في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وصار اميرا خورا قام اوجده الدين موقعا عنده وما زال امر برقوق يزاد قوة حتى انيط به امور المملكة كلها فصارا اوجده الدين صاحب الحل والعقد وكاتب السر بيد الدين محمد بن علي بن فضل الله اسماعيل المعنى له الى ان جلس الامير برقوق على تخت المملكة في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فقرر القاضي اوجده الدين في وظيفة كاتبة السر عوضا عن ابن فضل الله وخلع عليه في يوم السبت ثاني عشر شوال من السنة المذكورة فباشر كاتبة السر على القالب الجائر وضبط الامور أحسن ضبط وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه وكان الامير يونس الدواداري يرى انه اكثر الناس من الامراء تمكيننا من السلطان وجرت العادة

بانتهاء كاتب السر الى الدوادار فأحب اوحد الدين الاستبداد على الامير يونس الدوادار فقال للسلطان مرثا في غيبة يونس ان السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وامرار المملكة الى البلاد الشامية وغيرهاتو الامير الدوادار يريد من المملوك ان يطلع على ذلك فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا امسكته اعلامه الا باذن فأتى السلطان من ذلك وقال الخذر ان يطلع على ثمن من مهمات السلطان أو أسرارهم فقال اخاف منه ان سأل ولم اعلمه فقال السلطان ما عليك منه فرأى انه قد تمكن حيث ذفا مسك اياما ثم اراد الازيد من الاستبداد فقال للسلطان مرثا قد رسم السلطان ان لا يطلع احد على سر السلطان ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يشنون في خدمة الدوادار فاذا اقتضت آراء السلطان تسفيراً خدمتهم في مهمهم يحتاج المملوك الى استدعائه من خدمة الامير الدوادار فاذا التمس مني اني اخبره بالمعنى الذي توجه فيه البريدي لا اقدر على اعلامه بذلك ولا آمن ان كتمته وانصرف فلما كان من الغد وطلع الامراء الى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار ارسل بالبريدية كلهم الى كاتب السر ليشوا ويركبوا معه فلم يجذبوا من ارسالهم وحصل عنده من ارسالهم المقيم المقعد فصار البريدية يركبون ثوباً في خدمة اوحد الدين ويتصرف في امور الدولة وحده مع سلطانه فانقرضت الكلمة وخضع له الخاص والعام الا انه نقص عليه في نفسه ومرض مرض مرضا طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث انه لم يكن يشتهي شيئاً من الغذاء وتتوقع له المأكل بين يديه لكي تميل نفسه الى شيء منها ومتى تناول غداء تقيأه في الحال وما زال على ذلك الى ان مات عن سبع وثلاثين سنة في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبع مائة ودفن خارج باب النصر فلم يتأخر أحد من الامراء والاعيان عن جنازته وكان حسن السياسة رضى الخلق عاقلاً كثير السكون جيد السيرة جميل الصورة حسن الهيئة عارفاً بأمر دينه محباً للمدبرة صاحب باطن قليل العلم رحمه الله * (ربع الزيتي) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصري وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها اهل الخلاعة للقصف فانه كان يشرف من جهاته لاربعة على رياض وبساتين في شرقيه غيط الزيتي وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء وفي غربيه غيط الحاجب بيرس وأدركته عامر او هو اليوم مزارع بعدما كان له باب كبير يجتأه حوض ماء للسبيل وعليه سباح من طين دائره ومن قبلي هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التي بارض الطبالة ومن بحريه بساتين متصل بالبعل وكوم الريش وما زال هذا الربع معموراً بالذات أهلاً بكثرة المسرات الى ان كانت سنة الفرفة وهي سنة خمس وخمسين وسبع مائة فخرت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب فخرت ربع الزيتي واهمل امره حتى صار كوما عظيماً تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب وسمعت من ادركته يخبر عن هذا الربع بجانب من الملاذ التي كانت فيه وكانت العامة تقول في هزلها ستي اين كنتي واين رحتي واين جيتي قالت من ربع الزيتي

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم احلام

* (الدار التي في اول البرقية من القاهرة التي حيطانها بحجارة بيض منحوتة) هذه الدار بقي منها جدار على عين من سلك من المشهد الحسيني يريد باب البرقية وبقي منها ايضا جدار على عين من سلك من رحبة الايدمرى الى باب البرقية وهي دار الامير صبيح بن شاهنشاه احد امراء الدولة الفاطمية في ايام الصالح طلائع بن رزبك وكانت في غاية الكبر والتحصين قال بعض اصحاب الصالح يا مولانا بقال الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه وكان الضرغام قبل ان يلي وزارة مصر قد فرس العادل اباشجاع رزبك بن الصالح طلائع بن رزبك فظهر منه فارساً في غاية الفروسية بحيث انه قد حضر في يوم عيد الحلقة وأخذ ربحاً وحربة وقوساً وسهماً فأخذ الحلقة بالمرح ورمى بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها في المرمى ولعب بالمرح في غاية الحسن ثم دخل صبيح ابن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحزنت الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة واكمام واسعة على رضى المصريين يومئذ فقتلهم بعذته ولف اكمامه وأخذ ربحه ولعب به في غاية الحسن وطرد كذلك ودخل في الحلقة وأخذها ففجج منه كل من في العسكر فأخذ عند ذلك الامير صبيح ابن شاهنشاه المجخرة واتى اليه وقال يا مولاي كفاك الله امر العين فان هذا شيء ما يقدر عليه احد فجعل يدور حول فرسه ويخزه والضرغام يتبسّم ويعجبه ذلك وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار * (دار التمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر عنه

عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة وتعرف اليوم بصناعة التمر تجاه الصاغة بخط سوق المعارج ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلي ومدرسته وهذه الدار وقفها القاضي عبد الرحيم بن علي البيسانى على فكاك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج * قال القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الدار النظيم في اوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة بنائه دار التمر بمصر المحروسة واهلها دخل عظيم يجمع ويشتري به الاسرى من بلاد الفرنج وذلك مستمر الى هذا الوقت وفى كل وقت يحضر بالاسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له وسمعتهم مراراً يقولون يا الله يارحمنا يارحم القاضى الفاضل عبد الرحيم وقال القاضى جمال الدين بن شيت كان لقاضى الفاضل ربيع عظيم يؤجره بمبلغ كبير فلما عزم على الحج ركب ومتر به ووقف عليه وقال اللهم انك تعلم ان هذا الختان ليس شئ احب الى منى او قال اعز الى منى اللهم فاشهد انى وقفته على فكاك الاسرى من بلاد الفرنج وقال ابن المتوج ومن جملة الاوقاف الوقف الفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة التمر الوقف على فكاك الاسرى من يد العدو المستحقة على مخازن واخصاص وشون ومنازل علوية وحوايت بمجازها وظاهرها وهى اثنا عشر حاوفا وخمسة مقاعد وثمانية وخمسون مخزنا وخمسة عشر حصة اوست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسة مقاعد علوية الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما مقرة واستجدها القاضى جمال الدين الوجيزى خليفة الحاكم بمصر حين كان يتنظر فى الاوقاف دارا من ربيع الوقف فأكلها البحر فامر ببناء زريبة أمامها من مال الوقف * (عمارة اتم السلطان) هذه العمارة من جملة المخروكانت دارا تعرف بالامير جمال الدين ايدعى العزيزى ولها باب من الدرب الاضمر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيرس وباب من المخاريين تجاه الجامع الاقصر عرفت هذه الدار بالامير مظفر الدين موسى الصالح على ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الا انى ثم خربت فانشأها خوند ام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وجعلت منها قسارية بخط الركن الخلق يساع بها الخلود ويعلمها ربيع جليل لىكن العاتبة يشتمل على عتبة طباق ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة فلم تزل جارية فى وقفها الى ان اعتصمها الوزير الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اخذ من الاوقاف وجعلها وقفاً على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بواشها لا غير وهى اجل بوابات الدور وقد دخت ايضا فيما اخذها جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته الى ان اخذها السلطان الملك الاشرف ابو العزيز برسباى الدقاقى الظاهرى وابداً بعملها وكلة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين وغير من الطراز المنقوش فى الجبارة بجانبى باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من احسن المباني ويعلموها طباق للسكنى ولم يضر فى عمارتها احد من الناس كما احدثه ولاية السوء فى عمائرهم بل كان العمال من البنائين والفعلة ونحوهم يوفون اجورهم من غير عنف ولا عسف فانه كان القائم على عمارتها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهذه عادته فى اعماله ان لا يكلف فيها العمال غير طاقتهم ويدفع اليهم اجورهم والله اعلم

* (ذكر الحمامات) *

قال ابن سيدة الحمام والحميم والحمة جميعا الماء الحار والحمة ايضا المنخفض اذا سخن وقد أحجه وجهه وكلما سخن فقد حم قال ابن الاعرابى والحمام جمع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا خطأ لأن فعلا لا يجمع على فعائل وانما هو جمع الحمة الذى هو الماء الحار لغة فى الحميم مذكروه وأحد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاذ والجبان والجمع حمامات قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكرا حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضا من التكسير والاستحمام الاعتسال بالماء الحار وقيل هو الاعتسال بأى ماء كان والحميم العرق واستحم الرجل عرقا وما قولهم لدخل الحمام اذا خرج طاب جميعك فقد يعنى به العرق أى طاب عرقك واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح بطيب عرقه وروى عن سفیان الثوري انه قال ما درهم يتفقه المؤمن هو فيه اعظم اجر من درهم صاحب حمام ليخلى له وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى ان اول من اتخذ الحمامات والطلاء بالزودة سليمان ابن داود عليه ما السلام وأنه لما دخل ووجد جميعه قال آواه من عذاب الله آواه * وذكر المسيحي فى تاريخه ان العزيز

بالله نزار بن المعز الدين الله اول من بنى الحمامات بالقاهرة وذكر الشريف اسعد الجواني عن القاضي القضاى
 انه كان في مصر القضاة ألف ومائة وسبعون حماما وقال ابن المتوج ان عدة حمامات مصر في زمنه بضع
 وسبعون حماما وذكر ابن عبد الظاهر ان عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمئة تقرب من
 ثمانين حماما وقل ما كانت الحمامات يغداد في ايام الخليفة الناصر احمد بن المستنصر نحو الانبي حمام * (حمام
 السيدة العمة) قال ابن عبد الظاهر حمامي الكافي يعرفان بحمامي السيدة العمة وانتقلتا الى الكامل بن شاوهر
 ثم الى ورثة الشريف ابن ثعلب وهما الآن بأيديهم ولا تدورا الا الواحدة وهاتان الحمامان كاتسا على يمنة من
 يدخل من اول سارة الروم تجاه ربيع الحاجب لؤلؤ المعروف الان بربع الزياتين علوا الفندق الذي بابه بسوق
 الشوايين وكانت احدهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء وقد خربتا ولم يبق لهما الا البنية * (حمام الساباط)
 قال ابن عبد الظاهر كان في القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه الى الميدان
 وهو الخرشنة الآن الى المنكر ليحرفه الفخايا قلت حمام الساباط هذا يعرف في زمننا بحمام المارستان
 المنصوري وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصوري وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربي
 ويعرف ايضا بحمام الصنية فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضي مؤيد الدين ابو المنصور
 محمد بن المنذر بن محمد العدل الاتصاري الشافعي وكييل بيت المال في ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح
 الدين يوسف بن ايوب للامير عز الدين اييك العزيزي هي وساعات تحاذيها بألف ومائتي دينار في ذي الحجة سنة
 تسعين وخمسمائة ثم باعها الامير عز الدين اييك للشيخ امين الدين قيسار بن عبد الله الجوى التاجر بألف وستمئة
 دينار فوريها من بعده من استحق ارثه ثم اشترى من الورثة تصفها الامير الفارس صارم الدين خطيبا الكامل
 العادلي في سنة سبع وثلاثين وستمئة وانتقلت ايضا منها حصة الى ملك الامير علاء الدين ايدكين البندقداري
 الصالحى التميمي استاد ارامل الملك الظاهر بيبرس في سنة ثمان وسبعين وستمئة فلما ملك الملك المنصور قلاوون
 الانبي وانشأ المارستان الكبير المنصوري صارت فيما هو موقوف عليه وهي الآن في اوقافه ولهاشهرة
 في حمامات القاهرة * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رجة الايدمرى ملاصقة لدار السناني انشأها الامير
 حسام الدين لؤلؤ الحاجب في ايام * (حمام الصنية) هذه الحمام كانت بالقرب من خزنة البنود على
 يسرة من سلافي رجة باب العيد الى قصر الشوك وقد خربت وعمل في موضعها مبيضة للغزل بالقرب من
 الجمالية * (حمام تتر) هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى وقد خربت وصار مكانها دار اعرفت بالامير الشيخ
 على وهي الدار المجاورة للمدرسة النابلسية في الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء * (وتتر هذا
 بناء من مفتوحتين كل منهما منقوطة بنقطة من فوق احد عماليك اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين
 يوسف بن ايوب استولى على هذه الحمام وكانت معدة لدار الوزارة في مدة الدولة الفاطمية فعرفت به وما حولها
 والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر والعامة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ * (حمام كرجي)
 هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر ايضا في جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالامير
 علم الدين كرجي الاسدي احد الامراء الاسدي في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد خربت هذه
 الحمام وبني في مكانها هذا البناء الذي تجاه باب الخانقاه باول الزقاق * (حمام كنبلة) هذه الحمام كانت داخل
 باب الخوخة برأس سويقة الصاحب عرفت اخيرا بالامير صارم الدين ساروج شاذ الدواوين ثم خربت في ايام
 ومكانها الآن مسط يذبح فيه الغنم وتسقط * (حمام ابن ابي الدم) هذه الحمام كانت فيما بين سويقة
 المسعودي وباب الخوخة انشأها ابن ابي الدم اليهودي احد كتاب الانشاء في ايام الخليفة الحاكم وتولى ابن خيران
 الديوان ونقل عنه انه وسع بين السطوري في كتاب كتبه الى الخليفة وهذه مكتبة الاعلى الى الادنى
 فلما حضر وانكر عليه الحق بين السطوري والسطر سطره مناسبا للفظ والمعنى من غير ان يظهر ذلك فها عنه وقد خربت
 وصار مكانها دريا فيه دور يعرف بسكن القاضي بدر الدين حسن البرديني احد خلفاء الحاكم العزيزي الشافعي
 وادركت بعض آثاره هذه الحمام * (حمام الحصينية) هذه الحمام كانت في سويقة الصاحب من داخل درب
 الحصينية الذي يعرف اليوم بدرب ابن عرب وقد خربت * (حمام الذهب) هذه الحمام كانت بدار الذهب
 احد مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت في المناظر من هذا الكتاب وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر

* (حمام ابن قرقة) هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة أنشأها ابوسعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودى وإلى القاهرة المنسوب إليه سويقة المسعودى المذكورة في الأسواق من هذا الكتاب ثم خربت هذه الحمام وعمل في موضعها فندق عرف أخيراً بفندق عمار الجماعى بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى وأخذت بهذه الحمام فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان * (حمام السلطان) هذه الحمام يتوصل إليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكى وهى من الحمامات القديمة عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الواحد ثم عرفت في الدولة الأيوبية بحمام ابن يحيى وهو القاضي المفضل هبة الله بن يحيى العدل ثم عرفت بحمام الطيرسى ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان * (حمام خوند) هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب وكانت برسم الدار التي تعرف الآن بدار خوند ارتكبن ثم افردت وصارت إلى الآن حماماً يدخله عامة الرجال في أوائل النهار ثم تعقبهم النساء من بعد إلى أن هدمها الأمير صلاح الدين محمد استأدار السلطان ابن الأمير الوزير صاحب بدار الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وعمل موضعها من جهته داره التي هنالك * (حمام ابن عبود) هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجيزة المذكورة في اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة وهى من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلاك وهو القاضي فلك الملك العادل ثم عرفت بالأمير على بن أبي الفوارس ثم عرفت بابن عبود وهو الشيخ نجم الدين ابو على الحسين ابن محمد بن اسماعيل بن عبود القرشي "الصوفي" مات في يوم الجمعة ثالث عشر شوال سنة اثنين وعشرين وسبع مائة بعدما عظم قدره ونفذ في ارباب الدولة نبيه وامره وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بطيف الجبل قرياً من الدينورى من القرافة فأنظرها في الزوايا من هذا الكتاب ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر فاعتصب ابن اخته الأمير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدى أحمد ابن اخت جمال الدين هذه الحمام واعتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام واعتصب آدراً آخر بجوارها وعرفها داراً عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب * (حمام صاحب) هذه الحمام بسويقة صاحب عرفت بالصاحب الوزير صفي الدين عبد الله بن شكر الدمري صاحب المدرسة الصاحبية التي بسويقة صاحب ثم عطلت مدة سنين فلأولى الأمير تاج الدين الشوبكى ولاية القاهرة في أيام الملك المؤيد شيخ جدها وأدار بها المائة في سنة سبع عشرة وثمانمائة * (حمام السلطان) هذه الحمام كان موضعها قديماً من جهته دار الديباج وهى الآن بخط بين العواميد من البندقيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الإسلام أنشأها الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل استأدار السلطان الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب وتقلت إلى أن صارت في أوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون * (حمام طغرىك) هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية أنشأهما الأمير حسام الدين طغرىك المهراني أحد الأمراء الأيوبيين * (حمام السوباشي) هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين الذي يعرف اليوم بسوق القرايين عرفت بالأمير القارس حمام الدين ابوسعيد برغش السوباشي واسمه عمرو ابن كح بن شريك العزيزى وإلى القاهرة * (حمام عيينه) هذه الحمام كانت بخط الأكفائيين أنشأها الأمير فخر الدين أخو الأمير عز الدين موسك في الدولة الأيوبية وتقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى مما أوقف عليهم وعرفت أخيراً بحمام عيينة ثم خربت بعد سنة أربعين وسبع مائة وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعتدليون المواريث * (حمام درى) هذه الحمام كانت بخط الأكفائيين الآن عرفت بشهاب الدولة درى الصغير غلام المظفر ابن أمير الجيوش قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى في كتاب النقط المعجم ما اشكل من الخطط شهاب الدولة درى المعروف بالصغير المظفرى غلام المظفر أمير الجيوش كان أرمينيا واسلم وكان من المشددين في مذهب الامامية وقرأ الجبل في النحول الزجاجي وكتاب البيع لابن جنى وكانت له خراطة من القطن الأبيض في يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوة ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه إلا بملك الخرائط في رجليه ولا يأخذ من أحد

شيأ الاوفى يديه خرطة يظن أن كل من لمسه نجسه وسوسة منه فاذا اتفق انه مسافح احدا او مس رقعة يده من غير خرطة لا عس ثوبه بها بدا حتى يغسلها فان لمس ثوبه بها غسل الثوب وكان الاستاذون المنكثون يرمونه في بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه واقبعر ووصل مأوى الى رجله سبهم وحرد فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك ولا يؤاخذ به بمصدر منه ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخسمائة وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر يعرف * (حمام الرصاصي) هذه الحمام كانت بجارة الديلم انشأها الامير سيف الدين حسين ابن ابي الهيجاء المرواني حامل السيف المنصور وأوقفها هي وجميع الآدر المجاورة لها على اولاده وذريته فلما زات الدولة الفاطمية عرفت بالامير عز الدين ابيك الرصاصي ولم تزل باقية الى بعد سنة اربعين وسبع مائة ثم خربت * (حمام الجيوشي) هذه الحمام كانت بجارة برجوان على غنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر ابن امير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جلة ما وقفه الملك العادل ابو بكر ابن ايوب على رباطه الذي كان بخط النخاليين من فسطاط مصر ثم وضع بنو الكوكب اصهار قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة ايدهم عليه في جلة ما وضعوا ايدهم عليه من الاوقاف بجارة ابن جماعة وانتفعوا بربعها مائة سنين ثم خربوها بعد سنة اربعين وسبع مائة وموضعها الآن بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي وبعضها داخل في الدار المذكورة وبورها بجوار القبو الذي يسلك من تحته الى حمام الرومي داخل حارة برجوان ويعلو هذا العقد حاصل الماء الذي للحمام ويتر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضي ابو الفداء تاج الدين اسمعيل بن احمد بن الخطباء الخزومي من مباشرى اوقاف رباط العادل وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مائة اعوام وأنشأ بها على حاصل الماء المركب على القبو ومشرقا عالبا تائق في ترخيمه ودهانه وكتب بدائرته

مشترف كم شبهوه الادبا * طسسته اذ جاء شيأ عجبا
فقال قوم قلعة مبنية * وآخرون شبهوه مرقبا
وشاعر أعجبه ترخيمه * فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشبيهه * فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت في سنة تسع وثمانمائة وآثارها باقية وما زال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادل حتى خرب وعنى اثره وجهل مكانه وقد رأيت في سنة اربع وتسعين وسبع مائة عامرا * (حمام الرومي) هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالامير سنقر الرومي الصالحى احد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى أنشأها بجوار اسطبله الذي يعرف اليوم باسطبل ابن الكوكب وذلك تجاه رحبة داره التي عرفت بدار ما زان ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة في سنة اثنين وستين وسبعمائة فأما الدار فقامت اصارت اخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعيسى البنته فباعها اقاضا بعد ما خربها في سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين فهدمها ليعمرها عمارة جليلة فلم يهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور وشرع في عمارة شي منها وأما الاسطبل والحمام فوضع بنو الكوكب ايدهم عليهم مائة اعوام حتى صار املاكهم يورثان وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكوكب وقد جعل ما يخصه من الحمام وقف على نفسه ثم على اناس من بعده وفي هذه الحمام حصاة ايضا وقفها شيخنا برهان الدين ابراهيم الشامي الضريعى على امته وهي بيدها * (سنقر الرومي) الصالحى النجمي احد عماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية ترقى عنده في الخدم حتى صار جامدا وكان من خوشد اشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه فلما قتل الفارس اقطاي في أيام الملك المعز ابيك التركمانى وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام كان سنقر من خرج ورافق بيبرس وارفق بخصيته ونال منه ما لا وثابا وغير ذلك وتنقل معه في الكرك الى ان كان من امته في الصيد مع صاحب الكرك فطاب ستمقر من بيبرس شيأ فلم ينجيه وامتنع من اعطائه فغنى وفارقه الى مصر فأقام بها ثم ان بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار اميرا فلم يعبا سنقره ولا قدم اليه شيأ كعادة الخوشد اشية فلما صار الامر الى بيبرس ومالك بعد قطر قدم سنقر واعطاه

الاقطاعات الجليلية ونوه بقدره فلم يرض فصار اذا ورد عليه الانعام السلطاني لا يأخذه بقبول ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة ويفترق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضى عنه ويرى بعث اليه وحذره مع الامير قلاوون وغيره فلم ينته ثم انه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلها علي السلطان فطلبه في رابع عشرين ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسقاه واعتقه فقال اريد اعرف ذنبي فبعث اليه السلطان بعدد ذنوبه فحسرو وقال اواه لو كنت حاضر اقتل الملك المنظر قطر حتى اعاندي الذي جرى وكان كثيرا ما يقول ذلك وبلغ هذا القول منه السلطان في حال امرته فقال انت اخي وتحسركونك ما قدرت ان تعين علي * (حماما سويد) هاتان الحمامان باخر سويقة امير الجيوش عرفنا بالامير عز الدين معالي بن سويد وقد خربت احدهما ويقال انها غارت في الارض وهلك فيها جماعة وبقيت الاخرى وهي الآن بيد الخليفة ابي الفضل العباسي بن محمد المتوكل * (حمام طغلق) هذه الحمام بجوار درب المنصوري من خط حارة الصالحية صارت اخيرا بدورته الامير قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب في ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين وكانت معدة لدخول الرجال ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبع مائة واخذ حاصلها وعهدى بها بعد سنة ثمان مائة اطلاقا وهي * (حمام ابن عليكان) هذه الحمام كانت بجارة الجودرية انشأها الامير شجاع الدين عثمان بن عليكان صهر الامير الكبير نحر الدين عثمان بن قزل ثم انتقلت الى الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالح النجمي وما زالت الى ان خربت بعد سنة اربعين وسبع مائة فعمر مكانها الامير ازهر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبع مائة * (حمام صاحب) هذه الحمام بخط طواحين المؤمنين * (حمام كتيغا الاسدي) هذه الحمام موضعيها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين * (حمام التطمش خان) هذه الحمام كانت بجوار مضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين انشأها الخاقون التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ثم خربت وصار موضعها زقاقا فلما ولي كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الخنيفة بالديار المصرية في سلطنة الملك الناصر فرج شرع في عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله فوضع الامير جمال الدين يده في العمارة وانشأها فندقا جعله وقفافيا وقف على مدرسته التي انشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع مآثره جعل هذا الفندق من جملة ما ارضه للتربة التي انشأها على قبر ابيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر * (حمام القاضي) هذه الحمام من جملة خط درب الاسواني وهي من الحمامات القديمة كانت تعرف بانشاء شهاب الدولة بدر الخاين الدولة الفاطمية ثم انتقلت الى ملك القاضي السعيد ابي المعالي هبة الله بن فارس وصارت بعده الى ملك القاضي كمال الدين ابي حامد محمد بن قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني فعرفت بحمام القاضي الى اليوم ثم باع ورثة ابي حامد منها حصة للامير عز الدين ايدمر الحلي نائب السلطنة في ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وصارت منها حصة الى الامير علاء الدين طيبرس الخازنداري فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الازهر * (حمام الخراطين) هذه الحمام انشأها الامير نور الدين ابو الحسن علي بن نجيب بن راجح بن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها ثم حمام اخرى تعرف بحمام السوباني فخرت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه الى الان من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفزاين الآن ولها منه ايضا باب وصارت اخيرا في وقف الامير علم الدين سنجر السروري المعروف بالخياط والى القاهرة وتوفى في سنة ثمان وتسعين وسقاه فاعتصمها الامير جمال الدين يوسف الاستاداري بجملة ما اعتصب من الاوقاف والاملاك وغيرها وجعلها وقفافيا على مدرسته برحبة باب العيد وهي الآن موقوفة عليها * (حمام الخشبية) هذه الحمام بجوار درب السلالة كانت تعرف بحمام قوام الدولة خير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون بن البطائحي فلما قتل الخليفة الامر بأحكام الله وعملت خشبية تمنع الراكب ان يمر من تجاه المشهد الذي بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشبية تصغير خشبية وقد تقدم ذلك مبسوطا عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب قال ابن عبد الظاهر مدرسة السيموفيين وقفها الامير عز الدين فرج شاه على الخنيفة وكانت هذه الدار قد عيانا تعرف بدار المأمون بن البطائحي وحمام الخشبية كانت لها قبيعت وهذه الحمام هي الآن في اوقاف خوند طغاي ام اولاد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على تربتها التي في الصحراء خارج باب البرقية * (حمام الكويك) هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة انشأها الوزير عباس احد

وزراء الدولة الفاطمية لداره التي موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جددوها شخص من التجار يعرف بنور الدين علي بن محمد بن أحمد بن محمود بن الكويك الربيعي التكريتي في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فعرفت به إلى اليوم * (حمام الجويني) هذه الحمام بجوار حمام ابن الكويك فيما بينها وبين البندقيين عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد بن الجويني وإلى القاهرة في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي سلج جنادي الأولى سنة إحدى وسبعمائة فأنشأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهنمي بها وهو خطأ وتقلت إلى أن اشتراها القاضي أوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف في أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر وجعلها وقفاً على مدرسته العظمى بخط بين القصرين وهي الآن في جلة الموقوف عليها * (حمام القفاصين) هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم أنشأها نجم الدين يوسف ابن الجاور وزير الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (حمام الصغيرة) هذه الحمام على بنية من سلك من رأس حارة بهاء الدين وهي تجاه دار قراسنة أنشأها الأمير نحر الدين بن رسول التركي توفى رسول هذا جد ملوك اليمن الآن وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة * (حمام الأعسر) هذه الحمام موضعها من جلة دار الوزارة وهي الآن بجوار باب الجوانية أنشأها الأمير شمس الدين سنقر المعزى الظاهري المنصوري * (سنقر الأعسر) كان أحد مماليك الأمير عز الدين أيمن الظاهري نائب الشام وجعله دوا داره فباشير الدوادارية لاستاذ به دمشق ونفسه تكبر عن ظلمة أيد من نيابة الشام في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر إلى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سنقر الأعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة إلى دمشق وأعطاه امرأته وولاه شد الدواوين بها واستادار أفاضل له بالشام سمعة زائدة إلى أن مات قلاوون وقام من بعده الأشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلجوس طلب سنقر إلى القاهرة وعاقبه وصادره فتوصل حتى تزوج بانية الوزير على صداق مبلغة ألف وخمسمائة دينار فأعادته إلى حالته ولم يزل إلى أن تسلط الملك العادل كتبها واستوزر صاحب نحر الدين ابن خليل وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استدرهم وصادرهما وأخذ من سنقر خمسمائة ألف درهم وعزله عن شد الدواوين وأحضره إلى القاهرة فلما وثب الأمير حمام الدين لاجين على كتبها وتسلطن ولي سنقر الوزارة عوضاً عن ابن خليل في جمادى الأولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه في ذي الحجة منها وذلك أنه تعاضم في وزارته وقام بحق المنصب يريد أن يشبه بالشجاعي وصار لا يقبل شفاعته أحد من الأمراء ويحرق بنوهم وكان في نفسه متعاضماً وعنده شتم إلى الغاية مع سكون في كلامه بحيث أنه إذا فاوض السلطان في مهمات الدولة كما هي عادة الوزراء لا يجيب السلطان بجواب شاف وضار يبين منه السلطان قلة الاكتراث به فأخذ في ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الأمراء وشروعوا في الخط عليه حتى صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذي أوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فاني كنت إذا دخل إلى أحسب أنه هو السلطان وأنا الأعسر فصدره من مقام وحديثي معه كأنى أحدث استاذى وقرر من بعده في الوزارة ابن الخليلي فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك ثانياً أفرج عن سنقر الأعسر وعن جماعة من الأمراء وأعاد الأعسر إلى الوزارة في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وفي وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعلبك من غازان فتولى ناصر الدين الشيجي وإلى القاهرة جباية الأموال من التجار وأرباب الأموال لأجل النفقة على العساكر وقرر في وزارته على كل أردب غلة خروبة إذا طلع إلى الطحان وقرر أيضاً نصف الشمرة ومعناها أنه كان للمنادى على الثياب آجرة دلالة على كل ما مبلغة مائة درهم درهمين فيؤخذ منه درهم منهم ما يفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الأجناد البطالين وتحصل في بيت المال من أموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير جماعة من مماليك السلطان وتوجه إلى بلاد الصعيد وقد وقعت له في النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيراً من المفسدين من أجل أنه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان في المغل ومنعوا كثيراً من الخراج وعصوا الولاية وقطعوا الطريق وما زال يسير إلى الأعمال القوسية فلم يدع فرساً للفلاح ولا قاض ولا متعم حتى أخذه وتبع السلاح ثم حضر بالف وستين فرساً وثمانمائة وسبعين بطلاً وألف وسبعمائة ربح وألف ومائتي سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عدة من

الناس فتهودت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التي ذكرت عند ذكر كنائس
النصارى من هذا الكتاب في أيامه فأمر بالتاج ابن سعيد الدولة أحد مستوفى الدولة وكان فيه زهو وحق عظيم
وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى فعزى وضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً فأظهر الاسلام وهو
في العقوبة فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنجي وتراعى على الشيخ فقام في امره حتى
عفى عنه فذكره الامراء الاعسر لكثرة شجته وتعاضمه فكلمو الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى واليه امر
الدولة في ولاية الامير عز الدين ابيك البغدادى الوزارة وساعدتهم على ذلك الامير سلا رفولى الاعسر كشف
القلاع الشامية واصلاح امورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج اليه وخلق على الامير ابيك خلع الوزارة في آخر
سنة سبع مائة فلما عاد استقر أحد امراء الالف ورجع في صحبة الامير سلا رومات بالقاهرة بعد امراض في سنة
تسع وسبع مائة وكان عارفاً بخير امهات السعادات طائفة ومكارم مشهورة ولخاشيته ثروة متسعة وغالب بمال يملكه
تأتمروا بعده وعن مدحه الوداعى وابن الوكيل * (حمام الحسام) هذه الحمام بدأ اخل باب الجوانية * (حمام
الصوفية) هذه الحمام بجوار الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
لصوفية الخانقاه وهي الى الآن جارية في اوقافهم ولا يدخلها يهودى ولا نصرانى * (حمام بهادر) هذه الحمام
موضعها من جملة القصور وهي بجوار دار جرجى أنشأها الامير بهادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطت
* (حمام الدود) هذه الحمام خارج باب زويلة في الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود
ابن هنس عرفت بالامير سيف الدين الدود الجاشنكيرى * أحد امراء الملك المعز ابيك التركمانى وخال
ولده الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز ابيك فلما وثب الامير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر
على الملك المنصور على بن الملك المعز ابيك واعتقله وجلس على سرير المملكة قبض على الامير الدود في ذى الحجة
سنة سبع وخمسين وسقانة واعتقله وهذه الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم * (حمام ابن
أبى الحوافر) هذه الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصرى كان موضعها وما حولها عامراً
بماء النيل ثم المحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخسائة من سنى الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل
مصر من هذا الكتاب وعرفت هذه الحمام بالقاضى فتح الدين أبى العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين أبى عمرو عثمان
ابن هبة الله بن احمد بن عقيل بن محمد بن أبى الحوافر رئيس الاطباء بديار مصر ومات ليلة الخميس الرابع عشر من
شهر رمضان سنة سبع وخمسين وسقانة ودفن بالقرافة * (حمام قتال السبع) هذه الحمام خارج باب القوس
من ظاهر القاهرة في الشارع المسلول فيه من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار
جامع قوصون عمرها الامير جمال الدين اقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلى بجانب داره التي هي
اليوم جامع قوصون فلما اخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع اراد اخذ الحمام
وكانت وقفاً فبعث الى قاضى القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانباً واحضرت
شهود القيمة فكتبوا محضراً يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيها شاهد امتنع من الكتابة في المحضر وقال
ما يسعنى من الله أن ادخل بكرة النهار في هذا الحمام واطهر فيها ثم أخرج منها وهي عامرة وأشبه بعد فحوة نهار
من ذلك اليوم أنهم اخرب فشهد غيره واثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذكور وحكم ببيعها فاشترها الامير
قوصون من ورثة قتال السبع وهي اليوم عامرة بعمارة ما حولها * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة
الايدمرى ملاصقة لدار السناتى من القاهرة أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب * (لؤلؤ الحاجب)
كان ارمنى الاصل ومن جملة اجناده مصر في أيام الخلفاء الفاطميين فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب
على مملكة مصر خدم تقدمه الاسطول وكان حينما توجه ففتح واتصروا غنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن
أربعا بجهاز كاف وأعطى ابنه ما يكفيه ثم شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء بترتيب لا يخل فيه ودواماً
لأسماء معه وكان يفرق في كل يوم اثني عشر ألف رغيف مع قدور الطعام واذا دخل شهر رمضان أضعف
ذلك وتبذل للتفرقة من الظهر في كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب
أحد وعشرون ذراعاً مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم وفي
يده مغرفة وفي الاخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقترب اليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء

ثم بالصبيان وكان الفقراء مع كثيرهم لا يزدحجون لعلمهم أن المعروف يعمهم فإذا انتهت حاجة الفقراء بسط سباطهم
للأغنياء فجعل المملوك عن مثله وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم وهي أن فرنج
الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى الله عليه وسلم وبقولوا
جسده الشريف المقدس الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا يجعل فأنشأ البرنس ارباط
صاحب الكرك سفنا جعلها على البر الى بحر القلزم واركب فيها الرجال وأوقف مراكبهم على جزيرة قلعة القلزم تمنع
اهلها من استقاء الماء فسارت الفرنج نحو عذاب قتلوا وأسروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها
افضل الصلاة والتسليم وذلك في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على
حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة ابن متقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو
فاستعد لذلك وأخذ معه قيودا وسار في طلبهم الى القلزم وعمر هناك مراكب وسار الى ايلة فوجد مراكب
الفرنج خرقها وأسرى فيها وسار الى عذاب وتسع الفرنج حتى ادركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على
ساكنها افضل الصلاة والتسليم الامسافة يوم وكانوا ثلاثمائة وثيفا وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة فعند
ما لحقهم لؤلؤ فزت العربان فرقا من سطوته ورغبته في عطيته فانه كان قد بذل الاموال حتى انه علق ايكاس
الفضة على رؤس الرماح فلما فزت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في عشرة انفس
وضايقتهم فيه فحاربت قواهم بعدما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى
القاهرة فكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وارباب الديانة بعد ما ساق رجلين من اعيان
الفرنج الى منى ولحقهما هناك كما تنحصر البدن التي اساق هديا الى الكعبة ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات
رحمه الله في صميم القلا وقد قرب منتهاه في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن
بترابته من القرافة وهي التي حفر فيها البئر ووجد في قعرها عند الماء اسطمان مراكب وهذه الحمام تفتح تارة وتغلق
كثيرا وهي باقية الى يومنا هذا من جملة اوقاف الملك والله تعالى اعلم بالصواب

* (ذكر القياس) *

ذكر ابن المتوج قياس مصر وهي قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصوري وقيسارية شبيل
الدولة وقيسارية ابن الارسوفي وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيسرس وقيسارية ابن ميسر وقد خربت كلها
* (قيسارية ابن قريش) هذه القيسارية في صدر سوق الجبلون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك اليها
من الجبلون ومن سوق الاخفافين المملوك اليه من البند قانين وبعضها الآن سكن الارمنين وبعضها سكن
البرازين قال ابن عبد الظاهر استجدتها القاضي المرتضى ابن قريش في الايام الناصرية الصلاحية وكان مكانها
اسطبل انتهى * وهو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش
الخرزومي أحد كتاب الانشاء في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قتل شهيدا على عكاف يوم الجمعة عاشر
جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بالقدس ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسمع السلفي
وغیره * (قيسارية الشرب) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهار كرس قال ابن عبد الظاهر
وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية يعني بمخا فقام سعيد السعداء
وكانت اسطبل انتهى وما برحت هذه القيسارية مريعة الجانب اكراما للصوفية الى أن كانت ايام الملك الناصر
فرج وحدثت الفتنة وكثرت مصادرات التجار فخرق ذلك السياج وعومل سكانها بانواع من العنف وهي اليوم
من اعمر أسواق القاهرة * (قيسارية ابن أبي أسامة) هذه القيسارية بجوار الجبلون الكبير على يسرة من سلك الى
بين القصرين يسكنها الآن الخرد فوشية وقفها الشيخ الاجل أبو الحسن علي بن احمد بن الحسن بن أبي أسامة
اصاحب ديوان الانشاء في ايام الخليفة الامر باحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ
لاجل كاتب الدست الشريف ولم يكن أحد يشركه في هذا النعت بدنا مصر في زمانه وكان وقف هذه
القيسارية في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتوفي في شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة * (قيسارية سنقر الاشقر)
هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل
أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحى النحوى أحد المماليك البحرية ولم تزل الى أن هدمت وادخلت

في الجامع المؤيدى لايام من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (قيسارية امير على) هذه القيسارية
بشارع القاهرة تجاه الجبلون الكبير بجوار قيسارية جهار كس يفصل بينهما درب قيطون عرفت بالامير على بن
الملك المنصور قلاوون الذى عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات في حياة ابيه كما قد ذكر في فندق الملك الصالح
* (قيسارية رسلان) هذه القيسارية في ما بين درب الصغيرة والحجارين أنشأها الامير بهاء الدين رسلان الدوادار
وجعلها وقفا على خانقاه له بنشأة المهراني وكانت من أحسن القياسر فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته
هدمها في جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وعوض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار * (قيسارية
جهار كس) قال ابن عبد الظاهر بنسأها الامير نخر الدين جهار كس في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكانت قبل
ذلك يعرف ~~مكة~~ انها بفندق الفراح ولم تزل في يد ورثته وانتقل الى الامير علم الدين ايتش منها جزء بالميراث عن
زوجته والى بنت شومان من اهل دمشق ثم اشترت لوالدة خديلى الميمية بشجر الدرة الصالحة في سنة خمس
وخسين وسقاة وهى مع حسناتها واتقان بنائها كلها تجرد من الغصب جميع ما فيها وذكروا بعض المؤرخين
أن صاحبها جهار كس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف نخر الدين
اسماعيل بن ثعلب وقال لصاحبها أنا انتقلت منها أى نقضت ان شئت ذهبا وان شئت فضة وان شئت عروض
تجارة وقيسارية جهار كس تجرى الآن في وقف الامير بكتر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلا على
ورثته وقال القاضي شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان * (جهار كس) بن عبد الله نخر الدين أبو المنصور
الناصرى الصلاحى كان من اكبر امراء الدولة الصلاحية وكان كريما نبيل القدر على الهمة بنى بالقاهرة
القيسارية الكبرى المنسوبة اليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نرى شئ من البلاد
مثلها في حسناتها وعظمتها واحكام بنائها وبني بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفى في بعض شهور سنة
ثمان وسقاة بدمشق ودفن في جبل الصالحة وترتبه مشهورة هناك رحمه الله وجهار كس بفتح الجيم والهاء
وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناها بالعربى أربعة انفس وهو لفظ عجمي وقال الحافظ جمال
الدين يوسف بن احمد بن محمود اليعمورى سمعت الامير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى بن الامير بدر
الدين محمد بن ابي القاسم بن محمد بن احمد الهكاري الجعفى الطائى المقدسى بالقاهرة ومولده سنة ثلاث وتسعين
وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفى بدمشق في ليلة الاحد تاسع عشر ربيع الآخر سنة تسع
وسقاة ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله قال حدثني الامير صارم الدين خطيبا التنبينى صاحب الامير نخر
الدين أبي المنصور جهار كس بن عبد الله الناصرى الصلاحى رحمه الله قال بلغ الامير نخر الدين ان بعض
الاجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه وهو في غاية الحسن فقال لى الامير يا خطيبا اذارك بنا
ورأيت في الموكب هذا الفرس نهى عليه حتى أبصره فقلت السمع والطاعة فلما ركبنا فى الموكب مع الملك
العزى بن عثمان بن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندى على فرسه فتقدمت الى الامير نخر الدين وقلت له هذا
الجندى وهذا الفرس راكبه فنظر اليه وقال اذا خرجنا من سباط السلطان فانظر أين الفرس وعزفنى به
فلما دخلنا الى سباط الملك العزيز جعل الامير نخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الباب قال لى ابن الفرس
قلت ها هو مع الركاب دار فقال لى أدعه فدعوته اليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الامير بأخذ
الغاشية ووضع الامير رجله فى ركابه وركبه ومضى به الى داره وأخذ الفرس فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار
بما فعله الامير نخر الدين فسكت ومضى الى بيته وبقي اياما ولم يطالب الفرس فقال لى الامير نخر الدين يا خطيبا
ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه اطلب لى صاحبه قال فاجتمع به واخبرته بأن الامير يطلب الاجتماع به
فسارع الى الحضور فلما دخل عليه اكرمه الامير ورفع مكانه وحدثه وأنسه وبسطه وحضر سباطه فقربه
وخصه من طعامه فلما فرغ من الاكل قال له الامير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسا وله عندنا مائة فقال
يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الامير الا وهو قد صلح له وكلما صلح للمولى فهو على العبد
حرام واقد شرفنى مولانا بأن جعلنى أهلا أن يتصرف فى عبده والمملوك يحسب ان هذا الفرس قد أصابه
مرض فمات وأما الآن فقد وقع فى محله وعند أهله ومولانا لا حق به وما أسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شئ
فقال له الامير بلغنى أنك أعطيت فيه ألف دينار قال كذلك كان قال فلم تبعه فقال يا مولانا هذا الفرس

جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الإنسان على فرس يعرفه ويشق به وما مقدار هذا الفرس له أسوة فاستحسن
الأمير همته وشكره ثم أشار إلى فتقدمت إليه فقال لي في أذني إذا خرج هذا الرجل فأخلع عليه الخلعة
الفلائية من الخمر ملبوس الأمير وأعطه ألف دينار وفرسه فلما مضى الرجل أخذته إلى الفرس خاناه وخلعت عليه
الخلعة ودفعت إليه الكيس وفيه ألف دينار خديم وشكر وخرج فقدم إليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج
الأمير وعدة في غاية الجودة فقبل أركب فرسك فقال كيف أركبه وقد أخذت ثمنه وهذه الخلعة زيادة على ثمنه
ثم رجع إلى الأمير فقبل الأرض وقال يا خوند تشر يف مولانا لا يرده وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك فقال
له الأمير غفر الدين يا هذا نحن جرتناك فوجدناك رجلاً جيداً أولك همة وانت أحق بفرسك خذ هذا ثمنه ولا تبعه
لاحد تخدمه وشكره ودعاه وأخذ الفرس والخلعة والألف دينار وانصرف * وأخبرني أيضاً الأمير شرف
الدين ابن أبي القاسم قال أخبرني صارم الدين التبيني أيضاً أن الأمير غفر الدين خدم عنده بعض الأجناد
فعرض عليه فأعجبه شكله وقال لديوانه استخدموا هذا الرجل فتكلموا معه وقد رآه في السنة اثني عشر ألف
درهم فرضي الرجل وانتقل إلى حلقة الأمير قوصون وضرب خيمته وأحضر بركة فلما كان بعض الأيام رجع الأمير
من الخدمة فعبث في جنب خيمة هذا الرجل فرأى خيمة حسنة وخيلاً جيداً ورجلاً وبقلاً وبركاً في غاية الجودة
فقال هذا البرك لمن فقبل هذا البرك فلان الذي خدم عند الأمير في هذه الأيام فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضي
في حال سبيلك فلما قيل للرجل ذلك أمر بأن تحط خيمته وأتى إلى وقال يا مولانا أنا نارائح وها أنا قد جلت بركي ولكن
اشتبهت منك أن تسأل الأمير ما ذنبى قال قد دخلت إلى الأمير وأخبرته بما قال الرجل فقال والله ماله عندي
ذنب إلا أن هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها اضعاف ما أعطى فأنكرت عليه كيف رضى بهذا القدر اليسير
وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم وتكون قليلة في حقه فإذا خدم ثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا
عشرة آلاف درهم فهذا ذنبه عندي فرجعت إلى الرجل فأعلمته بما قال الأمير فقال انما خدمت عند الأمير
ورضيت بهذا القدر لعلني إن الأمير إذا عرف حالي فيما بعد لا يقع علي هذا الجأري فكنت على ثقة من احسان
الأمير بقاء الله وأما الآن فلا رضى أن اخدم إلا ثلاثين ألف درهم كما قال الأمير فرجعت إلى الأمير وأخبرته
بما قال الرجل فقال يجزى له ما طلب وخلع عليه وأحسن إليه وكان الأمير غفر الدين جهار كس مقدم الناصرية
والحاكم بديار مصر في أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن مات العزيز فقال الأمير غفر
الدين جهار كس إلى ولاية ابن الملك العزيز وفأوضح في ذلك الأمير سيف الدين يار كوج الاسدي وهو يومئذ
مقدم الطائفة الاسدية وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد وأن يكون الأمير الطوائشي بهاء الدين
قراقوش الاسدي مديراً أمره فأشار يار كوج بأقامة الملك الأفضل على بن صلاح الدين في تدبير أمر ابن العزيز
فكره جهار كس ذلك ثم انهم أقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش
اتابكا وهم في الباطن يحتفلون عليه وما زالوا يسعون عليه في ابطال أمر قراقوش حتى اتفقوا على مكابته
الأفضل المتقدم ذكره وحضوره إلى مصر ويعمل أتاكبة المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد
بالملك بشرط أن لا يرفع فوق رأسه سنجق الملك ولا يذكر اسمه في خطبة ولا سكة فلما سار القاصد إلى الأفضل بكتب
الأمر أبعث جهار كس في الباطن قاصداً على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية يكتبهم إلى الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب وكتب إلى الأمير ميمون القصري صاحب نابلس بأمره بأن لا يطيع الملك الأفضل ولا يحلف له فاتفق
خروج الملك الأفضل من مصر خذولقاء قاصد غفر الدين جهار كس فأخذ منه الكتب وقال له أرجع فقد قضيت
الحاجة وسار إلى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الأمر من القاهرة إلى لقائه ببلييس فعمل له غفر الدين سمحاً طاً
احتفل فيه احتفالاً زائداً لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود فشق ذلك على جهار كس
وجاء إلى خدمته فلما فرغ من طعام أخيه صار إلى خيمة جهار كس وقعد لبأسكل فرأى جهار كس قاصده
الذي سيره في خدمة الأفضل فدهش وأيقن بالشرف لعمال استأذن الأفضل أن يتوجه إلى العرب المختلفين بأرض
مصر ليصلح بينهم فأذن له وقام من فوره واجتمع بالأمير زين الدين قراجا والامير أسد الدين قراسنقر وحسن
لهما مفارقة الأفضل فسار معه إلى القدس وغداً عليه ووافقهم الأمير عز الدين أسامة والامير ميمون القصري
فقدم عليهم في سبع مائة فارس ولما صاروا كلمة واحدة كتبوا إلى الملك العادل يستدعونهم للقيام باتاكبة الملك

المنصور محمد بن العزيز بمصر وأما الأفضل فإنه لما دخل من بلبيس إلى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك بجيت لم يبق للمنصور معه سوى مجرّد الاسم فقط وشرع في القبض على الطائفة الصلاحية أصحاب جهاز ركس فقتروا منه إلى جهاز ركس بالقدس قبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم فلما زالت دولة الأفضل من مصر قدوم الملك العادل أبي بكر بن أيوب استولى نحر الدين جهاز ركس على بانياس بأمر العادل ثم انحرف عنه وكانت له أنباء إلى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الأمير قراجا وموت الأمير أسامة كما انقضى أمر غيرهم * (قيسارية الفاضل) هذه القيسارية على عينة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وهي الآن في أوقاف المارستان المنصوري أخبرني شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذري البشيشي رحمه الله قال أخبرني القاضي بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن القاضي صدر الدين أبي البركات أحمد بن نحر الدين أبي الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مئة منها مئتين أو أكثر في كتاب وقفها بالأغاني في شارع القاهرة وهي الآن تشتمل على قيسارية ذات بحيرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهن ويعملوها ربع فيه عدة مساكن * (قيسارية بيرس) هذه القيسارية على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها دارا تعرف بدار الانماط اشتراها وما حولها الأمير ركن الدين بيرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها وتولى عمارة ذلك مجدد الدين بن سالم الموقع فلا كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاز ركس وقيسارية الفاضل وأزلمهم بخلاء حوائيتهم من القيساريين وسكنهم بهذه القيسارية وأكسرتهم على ذلك وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة فلم يسع التجار الاستئجار حوائيتها وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى الزم به في هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذى هو معه بأحدى القيساريين المذكورين ونقل أيضا صناع الاخفاف وأسكنهم في الحوائيت التى خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس في يومين وجاء إلى محدومه الأمير بيرس وكان قدولى السلطنة وتلقب بالملك المنظر وقال بسعادة السلطان اسمك كنت القيسارية في يوم واحد فنظر إليه طويلا وقال يا قاضي ان كنت أسكنتها في يوم واحد فهى تخلو في ساعة واحدة فجاء الأمر كما قال وذلك أنه لما فرغ بيرس من قلعة الجبل لم يبق في هذه القيسارية لا حدة من سكانها قطعة قياس بل نقلوا كل ما كان لهم فيها وخلصت حوائيتها مدة لمويلة ثم سكنها صناع الاخفاف كل حانوت بعشرة دراهم وفي حوائيتها ما أجرة ثمانية دراهم وهي الآن جارية في أوقاف الخانقاه الركنية بيرس ويسكنها صناع الاخفاف وأكثر حوائيتها غير مسكون لخربها وقلقلة الاخفافين ويعرف الخط الذى هي فيه اليوم بالاخفافين رأس الجودرية * (القيسارية الطويلة) هذه القيسارية في شارع القاهرة بسوق الخردقوشين فيما بين سوق المهاجرين وسوق الجوخيين ولها باب آخر عند باب سرحام الخراطين كانت تعرف قديما بقيسارية السروج بناها * (قيسارية) هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة بعضها وقفه القاضي الأشرف بن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني على ملء الصهر يج بدرب ملوخيا وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الأمير جاني بك وادار السلطان الملك الأشرف برسبى الدقاقى النظاهرى في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربية تتصل بالوراقين ولها باب من الشارع وجعل علوها طبقا وعلى بابها حوائيت فجاءت من أحسن المباني * (قيسارية العصفر) هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهاجرين وباب من سوق الوراقين عرفت بذلك من أجل أن العصفر كان يدق بها * أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط وإلى القاهرة ووقفها في سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم تزل باقية بيد ورثته إلى أن ولي القاضي ناصر الدين محمد بن البارزى الجموى كتابه السرى في أيام المؤيد شيخ فاستأجرها مدة أعوام من مستحقها ونقل إليها العنبرين فصارت قيسارية عنبر وذلك في سنة ست عشرة وثمانمائة ثم انتقل منها أهل العنبر إلى سوقهم في سنة ثمانى عشرة وثمانمائة * (قيسارية العنبر) قد تقدم في ذكر الاسواق انها كانت سجنًا وان الملك المنصور قلاون عمرها في سنة ثمانين وثمانمائة وجعلها سوق عنبر * (قيسارية الفانزى) هذه القيسارية كانت بأول الخراطين مما يلي المهاجرين لها باب من المهاجرين وباب من الخراطين * أنشأها الوزير

الاسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسي كان من جلة نصارى صعيد مصر
وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلاث في كل يوم ثم قدم الى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن
العاذل أبي بكر بن أيوب وخدم عند الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل فنسب اليه وبولي نظر الديوان في أيام
الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة ثم ولي بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ما أوجب الكشف عليه
فندب عوفى الدين الامدى لذلك فاستقر عوضه ومجته مدة ثم أفرج عنه وسافر الى دمشق وخدم بها الامير
جمال الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن
كيتباغا الى دمشق بعد موت ابيه لياخذ مملكة مصر سار معه الى مصر في شوال سنة سبع وأربعين
وسمائه فلما قامت شجرة الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الامير عز الدين أيلك التركاني متقدم
العساكر الى أن تسلط وتلقب بالملك المعز فولاه الوزارة في سنة ثمان وأربعين وسمائه فأحدث مظالم كثيرة
وقرر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبي منهم وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا
جزيلا ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والخيول وغيرها وعلى الرقيق من العبيد والجواري وعلى
سائر المبيعات وضمن المنكرات من الخمر والمزور والخشيش وبيوت الزواني بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق
السلطانية والمعاملات الديوانية وتمكن من الدولة تمكنا شديدا الى الغاية بحيث انه سار الى بلاد الصعيد بعساكر
لمحاربة بعض الامراء وكان الملك المعز أيلك يكتبه بالمملوك وكثر ماله وعقاره حتى انه لم يبلغ صاحب قلم في هذه
الدول ما بلغه من ذلك واقتنى عدة مما يليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية وكان يركب في سبعين مملوكا من
ممالكه سوى ارباب الاقلام والاتباع وخرج بنفسه الى أعمال مصر واستخرج اموالها وكان ينوب عنه في
الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلا يعرف اللسان التركي فصا يضبط له مجالس الامراء ويعرفه
ما يدور بينهم من الكلام فلم يزل على تمكنه وبسط يده وعظم شأنه الى أن قتل الملك المعز وقام من بعده ابنه الملك
المنصور نور الدين على وهو صغير فاستقرت على عادته حتى شهد عليه الامير سابق الدين بوزبا الصيرفي والامير ناصر
الدين محمد بن الاطروش الكردي امير جندارانه قال المملكة لا تقوم بالصبيان الصغار والراى أن يكون الملك
الناصر صاحب الشام ملك مصر وأنه قد عزم على أن يسير اليه يستدعيه الى مصر ويساعده على أخذ المملكة
فخافت أم السلطان منه وقبضت عليه وحجسته عندها بقلعة الجبل ووكات به ذابا الصارم اجر عينه العمادى
الصالحى فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر امواله وأسبابه وحواشيه وأخذ خطه بمائة ألف
دينار ثم خنق الليال مضت من جادى الاولى سنة خمس وخمسين وسمائه ولف في فخ ودفن بالقرافة واستقر
من بعده في الوزارة قاضى القضاة بدر الدين السجبارى مع ما يده من قضاء القضاة ولم تزل هذه القيسارية باقية
وكانت تعرف بقيسارية الشباب الى أن اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار هي والحوايت على خمسة
من سلك من الخراطين يريد الجوامع الازهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية وكانت هذه الحوايت تعرف
بوقف عمرناش وهدم الجميع وشرع في بناءه فقتل قبل أن يكمل وأخذ الملك الناصر فرج فبنيت الحوايت
التي هي على الشارع بسوق المهاجرين وصار ما بقى ساحة عمرها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي
ناظر الجديش قيسارية يعلوها ربيع وبني أيضا على حوايت جمال الدين ربيعاً وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة
وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان مدح الاسعد الفائزى رحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى

مذلولى امورنا * لم ازل منه ذاهبه

وهوان دام أمره * شدة العيش ذاهبه

* (قيسارية بكثر) هذه القيسارية بسوق الحريرين بالقرب من سوق الوراقين كانت تعرف قديما بالصاغية
ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم وأصلها من جلة الادار العظمى التي تعرف بدار المأمون بن البطائحي وبعضها
المدرسة السيوفية * أنشأ هذه القيسارية الامير بكثر الساقى في أيام الناصر محمد بن قلاوون * (قيسارية
ابن يحيى) هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهار كس حيث سوق الطيور وقاعات الخاوى
* أنشأها القاضي الفضل هبة الله بن يحيى التميمي المعدل كان موثقاً كاتباً في الشروط الحكيمية في حدود سنة
أربعين وخمسمائة في الدولة الفاطمية ثم صار من جلة العدول وبقي الى سنة ثمانين وله ابن يقال له كمال الدين عبد

المجيد بن القاضي المنفلد ولكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد بن القاضي المنفلد
 هبة الله بن يحيى مات في آخر سنة ستين وسبع مائة وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها اثر * (قيسارية طاشمتر)
 هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريرين على يسرة من سلك الى الزاجين وباب
 من الوراقين * أنشأها الامير طاشمتر في أعوام بضع وثلاثين وسبع مائة وسكنها عتقدا والازرار حتى غصت بهم مع
 كبرها وكثرة حوائقها وكان لهم منظر هجج فان أكثرهم من يياض الناس وتحت يد كل معلم منهم عدة عصيان
 من اولاد الاتراذ وغيرهم فطال ما مررت منها الى سوق الوراقين وداخلني حياء من كثرة من امرته هناك
 ثم لما حدثت الحن في سنة ست وثمان مائة ثلاثين أمرها وخرب الربع الذي كان علوها وبيعت انقاضه وبقيت
 فيها اليوم بقية يسيرة * (قيسارية الفقراء) هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها
 * (قيسارية بستانك) خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الامير بستانك الناصري وهي الآن
 * (قيسارية المحسنى) خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الامير بدر الدين يلبك المحسنى والى
 الاسكندرية ثم والى القاهرة كان شجاعا مقدا ما أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام ومها مات في سنة
 سبع وثلاثين وسبع مائة فأخذ ابنه الامير ناصر الدين محمد بن يلبك المحسنى امرته فلما مات الملك الناصر قدم
 الى القاهرة وولاه الامير قوصون ولاية القاهرة في سابع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة فلما قبض
 على قوصون في يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها أمسك ابن المحسنى وأعيد نجم الدين الى ولاية القاهرة ثم عزل
 من يومه وولى الامير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام أربعة ايام وعزل بطلب العامة عزله ورجعه فأعيد
 نجم الدين * (قيسارية الجامع الطولوني) هذه القيسارية كان موضعها في القديم من جلة قصر الامارة الذي
 بناه الامير أبو العباس أحمد بن طولون وكان يخرج منه الى الجامع من باب في جداره القبلي فلما خرب صار
 ساحة ارض فعمر فيها القاضي تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن
 جماعة قيسارية في سنة تسعين وسبع مائة من فائض مال الجامع الطولوني فأكمل فيها ثلاثون حائوتا فلما كانت
 ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من اهل الخير رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه
 وقد وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية وكرر هذا القول ثلاث مرات
 فلما قص هذه الرواية غلب الناس في سكناها وصارت الى اليوم هي وجميع ذلك السوق في غاية العمارة وفي سنة
 ثمان عشرة وثمان مائة أنشأها قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير
 ابن رسلان البلقيني من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس في سكناها لوفور العمارة
 بذلك الخط * (قيسارية ابن ميسر الكبرى) هذه القيسارية ادركتها بدينة مصر في خط سويقة وردان وهي
 عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الابيض والازرق والطرح وتمضى تجار القاهرة اليها في يومى الاحد
 والاربعاء لشراء الاصناف المذكورة وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف ثم وقعت الحوطة عليها
 فجرت في الديوان السلطاني وقصدوا بيعها مزارا فلم يقدر أحد على شرائها وكان بها عمد رخام فاخذها الديوان
 وعوضت بعمد كدان وأنه شاهد هامسكونه جميعها عامرة انتهى وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين وسبع مائة
 وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان فعمل لها باب واحد وتردد الناس اليها في اليومين المذكورين لا غير
 فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمان مائة واستولى الخراب على اقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت
 في سنة ست عشرة وثمان مائة * (قيسارية عبد الباسط) هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان
 موضعها يعرف قديما بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين وكان هناك مارستان ووكالة
 في الدولة الفاطمية وأدركتها حوائت تعرف بوقف تمرناش المعظمي فأخذها الامير جمال الدين الاستادار
 فيما أخذ من الاوقاف فلما قتل أخذ الناصر فرج جانبها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق
 ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل في ايام المؤيد شيخ وعمل في بعضها هذه القيسارية وعلوها ووقفها
 على مدرسته وجامعه ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوائت من وقف جمال الدين وجدد
 عمارتها في سنة سبع وعشرين وثمان مائة

* (خان مسرور) خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير قال الكبير على بسرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريرين كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزانة القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر كان ساحة يساع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق * قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم استعمال الاساطيل من الكبيرة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك * وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على خلقة ولم يزل مدة ما في كل وقت وله بر واحسان ومعروف ويقصد في كل حسنة وأجر وبطل الخدمة في الايام الكاملية وانقطع الى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه وكان قبل بناءه ساحة يساع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدي رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عمه وكان قدمك الفندق الكبير لعلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الاسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت الايتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسور والمذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهي بخط حارة الامراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للامير سيف الدين أبي الحسن القميرى بجملته كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله اعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال البياتى والغياب وكان من اجل الخانات وأعطىها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك وتلاشت أحوال اقليم مصر قل التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمة وتمت عدة أما كن منه وهو الآن بيد القضاة * (فندق بلال المغيبي) هذا الفندق فيما بين خط حمام خشبية وحارة العدوية أنشأه الامير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيبي أحد خدام الملك المغيبي صاحب الكرك كان حبشي الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقرت لال الملك الصالح على بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت احل شارموزة هذا الطواشي حسام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمه له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم قتل منها بعد وقعة شقيب الى تربته بالقرافة فدفن هنالك وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الاموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فاذا بد أثره صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجمل وصفه فلما أنشأ الامير الطواشي زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الامير قطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الامير بلبغا السالمى أموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذا الفندق وفيه الى الآن بقية * (فندق الصالح) هذا الفندق بجوار باب القوس الذي كان أحد بابي زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف باسم بن فوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على بن السلطان الملك المنصور قلاوون وكان أبوه لما عزم على السير الى محاربة التترب بلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل واجلسه على مرتبة وجلس الى جانبه فرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعاً مفرطاً وحناناً اذا صرخ باعلى صوته واولاده ورعى كلوته عن رأسه الى الارض وبقي مكشوف الرأس الى أن دخل الامراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولاده فعند ما عينوه كذلك ألغوا كلواتهم عن رؤسهم ويكوا ساعة ثم أخذ الامير طرطاي النائب شاش السلطان من الارض وناول له الامير سنقر الاشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وبأس الارض وناول الشاش السلطان فدفعه وقال ايش أعمل بالملك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقيل الامراء الارض يسألون السلطان في لبس شاشه ويخضعون له في السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الامراء من غير حضور السلطان

وصاروا بها الى تربة أمه المعروفة بـ "خاتون قريسيان" المشهد النفيسي فواروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثابته نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده وصار معه الاعراء بشباب الحزن الى قبر ابنه واتيم المراء اموتة عدة ايام * (خان السبيل) هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناء الامير بهاء الدين ابو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدي خادما أسد الدين شيركوه وعتيقه لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وبه بئر ساقية وحوض * وقراقوش هذا هو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبني قلعة الجبل وبني القناطر التي بالجيزة على طريق الاهرام وعمر بالقصر وباطا وأسره الفريج في عكا وهو واليها فحافظه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعشرة آلاف دينار و توفي مستمرا رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة * (خان منكورش) هذا الخان بخط سوق الخمين بالقرب من الجامع الازهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناء الامير ركن الدين منكورش زوج ام الاوحد بن العادل ثم انتقل الى ورثته ثم انتقل الى الامير صلاح الدين احمد بن شعبان الاربلي فوققه ثم فحل ولده في ابطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصدا للوادة فحل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان احد عماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وتقدم حتى صار احد الاعراء الصالحية وعرف بالشجاعة والتجدة واصابة الاري وجودة الرمي وثبات الجاش فلما مات في شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة اخذ لقطاعه الامير يار كوج الاسدي وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من ملوك من الخراطين الى الخمين وهو وقف على جهات بر * (فندق ابن قريش) هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق ابن قريش استعجده القاضي شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء وانتقل الى ورثته انتهى (ابراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش) ابواسحاق القرشي الخزرجي المصري الكاتب شرف الدين احد الكتاب الجيدين خطا وانشاء خدم في دولة الملك العادل ابى بكر بن ايوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بن ايوب الانشاء ومع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في اول يوم من ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المذهب في الفقه الى مذهب الامام الشافعي وبرع في الادب وكتب بخطه ما يزيد على اربع مائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وسقانة * (وكالة قوصون) هذه الوكالة في معنى الفادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفسستق والجوز واللوز والخروب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الخاكي ودار سعيد السعداء كانت اخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعاني فأخرجها وما جاورها لاميرو قوصون وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية وبدارته عدة مخازن وشرط ان لا يؤجر كل مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج احد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث اقله اجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركها هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها وخارجها التدهش لكثرة ما هنالك من اصناف البضائع وازدحام الناس وشدة اصوات القتالين عند حل البضائع ونقلها الى بيوتها ثم ثلاثي امرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك وفيها الى الآن بقية ويعلم هذه الوكالة رباع تشتمل على ثمانية وستين بيتا دركها عامرة كلها ويجزر أنها تحوي نحو اربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آكل * (فندق دار التفاح) هذه الدار هي فندق قجيه باب زويلة يرد اليه القواكه على اختلاف اصنافها ما يثبت في بساين ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية انما يباع في وكالة قوصون اذا قدم ومنها ينقل الى سائر اسواق القاهرة ومصر ونواحيها وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جلة حارة السودان التي عملت بساينا في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب * وانشأ هذه الدار الامير طقوز در بعد سنة اربعين وسبع مائة ووقفها على خاتاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوائت تباع فيها الفاكهة تذكرونها وشتم عرفها اللجنة لطيبها وحسن منظرها وتأتى الباعة في تضيدها واحتفانها بالراحين والازهار وما بين الحوائت مسقوف حتى لا يصل الى القواكه حر الشمس ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا الا انه قد اختلف منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذلك ولم تزل الى ان هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوائت في يوم السبت مادم عشر شعبان سنة

احدى وعشرين وثمانمائة وذلك ان الجامع المؤيدى جاءت شبائكة الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل في الاوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار فبقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويحصل من اجرتها الى ان ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق * (وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تتجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الاربعاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها قنطرة اوربعا باعلاء فلما كملت رسم الملك الظاهر بقوق أن تكون دار وكالة يرد اليها ما يصل الى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد في البريد يخل به على عادته الى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التي انشأها بخط بين القصرين فاستقر الامر على ذلك الى اليوم * (خان الخليلي) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التي فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بترية الزعفران وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب * انشاء الامير جهار كس الخليلي امير اخور الملك الظاهر بقوق واخرج منها عظام الاموات في المزابل على الجبر وألقاها بديان البرقية هو انابها فانه كان يلوث به شمس الدين محمد بن احمد القليبي الذي تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له ان هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق الخليلي في موته امر فيه عبدة لاولى الالباب وهو انه لما ورد الخبر بخروج الامير بلبغا الناصري نائب حلب ومجى الامير منطاش نائب ملطية اليه ومسيرهما بالعساكر الى دمشق اخرج الملك الظاهر بقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الامراء بالمسير بهم فخرج الامير الكبير ايتش الناصري والامير جهار كس الخليلي هذا والامير بونس الدوادوا والامير احمد ابن بلبغا الناصري والامير نذكار الحاجب وماروا الى دمشق فقيمهم الناصري ظاهرا دمشق فأنكسر عسكر السلطان لخامرة ابن بلبغا ونذكار وفر ايتش الى قلعة دمشق وقتل الخليلي في يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وترك على الارض عاريا وسوته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا الى ان تمزق وبنى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رعم الائمة وابنائهم ولقد كان عفا الله عنه عارفا خيرا بامر ديناه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه في اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الاسعار بمصر وتغيرت تقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل انى مكة مال ويفرق به على الفقراء * (فندق طرناطى) هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت والواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة اذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحرق القاهرة ومصر في سنة احدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر برزت وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى اصناف آخر قيمتها مبالغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهأله الفراغ من نقل الزيت الى داخل هذا الفندق الا بعد العشاء الاخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الاخر منها كما كان يقع في غير موضع من فعل الناصري فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التي كان مبنيا بها وحتى الاعمدة المذكورة وصارت كلها جبرا واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطي الناس وموضع هذا الفندق

* (ذكر الاسواق) *

قال ابن سيدة والسوق التي يتعامل فيها تذكروا ثوبت والجمع اسواق وفي التنزيل ألا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان المذكور والاشي في ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الاسواق شئ كثير جدا قديما اكثرها وكفالا دليلا على كثرة عددها أن الذي خرب من الاسواق فيما بين ارضي اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا ذكرناها عامرة فيها ما يبلغ حوائته نحو الستين حانوتا وهذه الخطة من جملة تظاهر القاهرة الغربية فكيف يبقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من اخبار الاسواق ما وجد سبيلا الى ذكره ان شاء الله تعالى * (القصة) قال ابن سيدة قصة البلد مدينته وقيل معظمه والقصة هي اعظم اسواق مصر وسمعت

غير واحد ممن ادركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوي على اثني عشر ألف حانوت كأنهم يعنون ما بين
أول الحسينية محالي الرمل الى المشهد النفيسى ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر
وقد ادركت هذه المسافة بأسرها عامرة الخوانيت غاصصة بأنواع المأكول والمشارب والامتنعة تبهج رؤيتها
ويجب الناظر هيئتها ويعجز العاذ عن احصاء ما فيها من الانواع فضلا عن احصاء ما فيها من الاختصاص وسمعت
الكافة ممن ادركت يفخرون بصبر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبيا على الكيمان
والمزابل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والحبانون والطباخون من الشقاف الحجر التي يوضع فيها اللبن والتي
يوضع فيها اللبن والتي تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله يباعوا اللبن من الخيط
والحصر التي تعمل تحت اللبن في الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوي والخيطوط
التي تشبه القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاقية وغيرها فان هذه الاصناف المذكورة
اذا حلت من الاسواق واخذ ما فيها ألقيت الى المزابل ومن ادرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا
عليه من انواع الحضارة والترف لم يستكروا ما ذكرناه وقد اختلف حال القصبة وخرب وتطل اكثر ما تشتمل عليه
من الخوانيت بعدما كانت مع سعتها تضيق بالساعة فيجلسون على الارض في طول القصبة باطباق الخبز
واصناف المعاش ويقال لهم اصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض للحكام لمنعهم واقامتهم من الاسواق لما يحصل
بهم من تضيق الشوارع وقلة بيع ارباب الخوانيت وقد ذهب والله ما هناك ولم يبق الا القليل وفي القصبة عدة
اسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى * (سوق باب الفتوح) هذا
السوق في داخل باب الفتوح من حذاء باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانيين بحوانيت
الصاميين والخضر بين والقامين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل اسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس
من اقطار البلاد لشراء انواع اللعيان الضأن والبقر والمزول لشراء اصناف الخضراوات وليس هو من الاسواق
القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش في موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد
تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه الى الآن بقية صالحة * (سوق المرحلين) هذا السوق
ادركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية معمور الجانيين بالخوانيت المملوءة برحلات
الجمال وأقنابها وما ترمم محتاج اليه يقصد من سائر اقليم مصر خصوصا في مواسم الحج فلو أراد الانسان تجهيز
مائة جبل واكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الخوانيت بهذا السوق
وفي الخازن فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الامير
شيخ والامير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والاقناب وغيرها
فاما لا يدفع ثمنها او يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن فاختلف من ذلك حال المرحلين وقلت اموالهم بعدما كانوا
مشتهرين بالغناء والافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتطل اكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه
سوى القليل * (سوق خان الراسين) هذا السوق على رأس سويقة امير الجيوش قبل له ذلك من اجل ان هناك
خانا يعمل فيه الرؤس المغمومة وكان من احسن اسواق القاهرة فيه عدة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين
حانوتا مملوءة بأصناف المأكول وقد اختلف وتلاشى امره * (سوق حارة برجوان) هذا السوق من الاسواق
القديمة وكان يعرف في القديم ايام الخلفاء الفاطميين بسوق امير الجيوش وذلك ان امير الجيوش بدر الجالبي
ما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدة العظمى في بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المنظر
واقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبد الظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير
الجيوش بدر الجالبي وزير الخليفة المستنصر وهي من باب حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمي وهكذا تشهد
مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فان فيها والحد القبلي ينتهي الى سويقة امير الجيوش وسوق حارة برجوان هو
في الحد القبلي من حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم اسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب فقاخر
بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان جامات يعنى حمامى الرومي وحمام سويدقائه
كان يدخل اليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذي لا يحتاج ساكنها اليه غيره وكان هذا السوق من
سوق خان الراسين الى سوق الشماعين معمور الجانيين بالعدة الوافرة من يبايع لحسم الضأن والسلج ويبايع اللحم

السميط ويباع اللحم البقري وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبائين والخبازين واللبنانيين والطباخين والشوابين والبواردية والطارين والخضرين وكثير من يساعى الامتعة حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه الا حوائج المائدة وهي البقل والكزاث والشجار والبنعناع وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطان فقط برسم تعميم القناديل التي تسرج في الليل وسمعت من ادركت انه كان يشتري من هذا الحانوت في كل ليلة شيرج مما يوضع في القناديل ثلاثين درهما فضة عن ايومه ثمذ ينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن التي والمطبوخ الى ثلث الليل الاقل ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب اكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها الا ثرو تعطل باسرو بعد سنة ست وثمانمائة وصاروا وحش من وتد في قاع بعد ان كان الانسان لا يستطيع ان يعرفه من ازدحام الناس ليلانها بالاشقة وكان فيه قاني برسم وزن الامتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحقه ايزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة انشأ الامير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعا وحوانيت فتحا في بعض الشيء وقبض على طوغان في سنة ست عشرة وثمانمائة ولم تسكمل عمارة السوق وفيه الآن بقية يسيرة * (سوق الشعاعين) هذا السوق من الجامع الاقرا الى سوق الدجاجين كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القسماحين وعنده بنى المأمون بن البطائح الجامع الاقرب باسم الخليفة الامير باحكام الله وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح وادركت سوق الشعاعين من الجانبين معمورا لحوانيت بالشموع الموكبية والفاووسية والطوافات لا تزال حوانيته مفتحة الى نصف الليل وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشعاعين لهن سيما يعرفن بهاوزي يتميز به وهو لبس الملائات الطرح وفي ارجلهن سراويل من اديم احمر وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشاكين في وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معها وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل وقد خرب ولم يبق به الا نحو الخمس حوانيت بعدما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقله ترف الناس وتركهم استعمال الشمع وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس في موسم الفطاس فتصبر رؤيته في الليل من انزه الاشياء وكان به في شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشتري ويكترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منه ث عشرة ارطال فنادونها ومن المزهرات المحببة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيتم في ليالي شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه وقد تلاحظي الحال في جميع ما قلنا الفقر الناس وعجزهم * (سوق الدجاجين) هذا السوق كان مما يلي سوق الشعاعين الى سوق قبوا الخرشف كان يباع فيه من الدجاج والاوز شي كثير جليل الى الغاية وفيه حانوت فيه العصافير التي يتاعها ولدان الناس ليعتقوها فيباع منها في كل يوم عدد كثير جدا ويبيع العصافير منها بفلس ويخدع الصبي بأنه يسبح فن اعتمقه دخل الحنة واسكل واحد حينئذ رغبة في فعل الخير وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الاقفاص التي بها هذه العصافير آلاف ويبيع بهذا السوق عدة أنواع من الطيور في كل يوم جمعة يباع فيه بكرة اصناف القسماري والمزازات والشحارير والبيغا والسمن وكان اسمع أن من السمن ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم وكذلك بقية طيور السموع يبلغ الواحد منها نحو الالف لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها وكان يقال لهم غواة طيور السموع سيما الطواشمة فانه كان يبلغ بهم الترف ان يقتنوا السمن ويتأقوا في اقفاصه ويتغالوا في اثمانه حتى بلغ ثمنه يبيع طائر من السمن بألف درهم فضة عن ايوم ثمذ نحو الخمسين دينار من الذهب كل ذلك لا يعجبهم بصوته وكان صوته على وزن قول القائل طقطق وعوع وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه اهل مصر ولا تتخذ حكاية ذلك هزوا تسخر به فتكون ممن لاتنفعه المواقظ بل يمز بالآيات معرضا غافلا فقهر الخير * وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوا للكئين ولها باب من وسط سوق الدجاجين وباب من الشارع الذي يسلك فيه من بين القصرين الى الركن الخلق فاتفق ان ولي نيابة النظر في المارستان المنصوري عن الامير الكبير ايتش النخاسي الظاهري امير يعرف بالامير خضر ابن التنكزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها وانشأ هذه الحوانيت والرباع التي فوقها تتجه ربع الكامل الذي يعاومها بين درب الخضرى وقبوا الخرشف فلما كل اسكن في الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم وبقي من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة * (سوق بين القصرين)

هذا السوق اعظم اسواق الدنيا فيما بلغنا وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة الاف ما بين فارس وراجل ثم المازالت الدولة ابتذل وصار سوقا بهز الواصف عن حكاية ما كان فيه وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الكتاب وفيه الى الآن بقية تحزن في رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة * (سوق السلاح) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية ببيرس وبين باب قصر بشتاك استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين وجعل لبيع القسي والتشاب والزديات وغير ذلك من آلات السلاح وكان تجاهاه خان يقابل الخان الذي هو الآن بوسط سوق السلاح وعلى يابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار فاذا كان عصر بات كل يوم جلس ارباب المقاعد تجاها حوانيت الصيارف لبيع انواع من الماكمل ويقابلهم تجاها حوانيت سوق السلاح ارباب المقاعد ايضا فاذا اقبل الليل اشعلت السرج من الجانبين وأخذ الناس في التمشي بينهم على سبيل الاسترواح والتزهد فبمير هذا من الخلاعات والمجون ما لا يعبر عنه بوصف فلما انشا الملك الظاهر بوق المدرسة الظاهرية المستجدة صارت في موضع اتحان وحوانيت البصر تجاها سوق السلاح وقل ما كان هناك من المقاعد وبقي منها شي يسير * (سوق القفصيات) بصيغة الجمع والتصغير هكذا يعرف كانه جمع قفص فانه كله معد بلوس اناس على نخوت تجاها شبائك القبة المنصورية وفوق تلك النخوت اقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والقصوص واساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك وهذه الاقفاص يأخذ اجرة الارض التي هي عليها مباشر المارستان المنصوري وأصل هذه الارض كانت من حقوق ارض موقوفة على جامع القس فدخل بعضها في القبة المنصورية وصار بعضها كجاذكرنا والى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الارض لجامع القس ولما ولي نزار المارستان الامير جمال الدين اقوش المعروف بشايب الكرك في سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه اشيا من ماله منها خيمة ذرعها مائة ذراع نشرها من اول جدار القبة المنصورية بجدار المدرسة الناصرية الى آخر حدة المدرسة المنصورية بجوار الصاغة فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلمهم من حر الشمس وعمل لها حبالا تغنيها عند الحرق وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها مرتفعة في الحق حتى يخفف الهواء ثم لما كان شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثماني مائة نقلت الاقفاص منه الى القيسارية التي استجبت تجاها الصاغة * (سوق باب الزهومة) هذا السوق عرف بذلك من اجل انه كان هناك في الايام الفاطمية باب من ابواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره في ذكر ابواب القصر من هذا الكتاب وكان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابل سوق السيوفيين من حيث الخشبية الى محور رأس سوق الحريرين اليوم وسوق العنبر الذي كان اذذاك يجتنب يعرف بالمعونة ويقابل السيوفيين اذذاك سوق الزجاجين وينتهي الى سوق التاشين الذي يعرف اليوم بالخراطين فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة الى درب السلسلة وبني فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلي المدرسة الصالحية يباع فيها الامشاط بسوق الامشاطيين وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التي يباع فيها الامشاط وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقلين وهم الذين يبيعون الفستق واللوز والزيب ونحوه وفي وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الامشاطيين وسوق النقلين وجميع ذلك جاري اوقاف المارستان المنصوري * وكان سوق باب الزهومة من اجل اسواق القاهرة واغرها موصوفا بحسن الماكمل وطيبها * واتفق في هذا السوق امر يستحسن ذكره لغرابته في زماننا وهو انه عبرتولى الحسبة بالقاهرة في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنين واربعين وسبعمائة على رجل يواردي بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام وزر ازير متغيرة الزائحة لها نحو خمسين يوما فكشف عنها فبغت عدتها اربعة وثلاثين الفا ومائة وستة وتسعين طائرا من ذلك حمام ائف ومائة وستة وتسعون وزر ازير ثلاثة وثلاثون الفا كلها متغيرة اللون والريح فادبه وشهره وفيه الى الآن بقايا * (سوق المهاجرين) هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بأوله جيس المعونة الذي علمه الملك المنصور قلاوون سوق العنبر ويقابل المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذي يعرف اليوم بدرب الشمس وما بجذاته من الحوانيت الى حمام الخراطيين وما تجاها ذلك وهذا السوق معتد لبيع المهاجرين وادركت الناس وهم يتخذون المهاز كله قاله وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك الا من يتورع ويتدين فيتخذ الصالب

من الحديد ويطلبه بالذهب والفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس الى ترك هذا اقل من بقي سقط
 مهمما زهضة ولا يكاد يوجد اليوم مهما من ذهب وكان يساع هذا السوق البدلات الفضة التي كانت برسم لهم
 الخيل وتعمل تارة من الفضة المجرة بالمينا وتارة بالفضة المطلية بالذهب فيبلغ ثمنه ما في البدلة من خمسة درهم
 فضة الى ما دونها وقد بطل ذلك وكان يساع به ايضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية تجعل تحت لهم
 الجور من الخيل خاصة فيركب بها اعيان الموقعين واكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار وقد بطل ذلك ايضا
 وياع فيه ايضا الدوى والطرف التي فيها الفضة والذهب كسكاكين الاقلام ونحوها وكانت تجار هذا السوق تعد
 من يبايع العاتة ويتصل بسوق المهاجرين هذا * (سوق الجمين) وياع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من
 الجلد وفي هذا السوق ايضا عدة وافرة من الطلائين وصناعات الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك
 وعدة من صناعات ميسر السروج وقرائيسها وادركت السروج تعمل ملونة ما بين اصفر وازرق ومنها ما يعمل
 من الدبل ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغاري الاسود ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم
 اقتداء بعادة بني العباس في استعمال السواد على ما جدد به في مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعد
 زوال الدولة الفاطمية وادركت السروج التي تركب بها الاجناد والكتاب يعمل للسروج في قريوسه ستة اطواق
 من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومعقربات من فضة ولا يكاد احد يركب فرسا بفسرج سادج الا ان يكون من القضاة
 ومشايخ العلم واهل الورع فلما تسلط الملك الظاهر برقوق اتخذ مائرا لاجناد السروج المغرقة وهي التي جميع
 قرايسها من ذهب وفضة اما مطلية اوسادجة وكثير عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الاوسرجه كما ذكرنا
 وبطل الفسرج المسط فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة غلب على الناس الفقر وكثرت الفتن فقلت
 سروج الذهب والفضة وبقي منها الى اليوم بقايا يركب بها اعيان الامراء واما مثل الممالك * (سوق الجوخين)
 هذا السوق يلي سوق الجمين وهو معد لبس الجوخ الجلوب من بلاد الفرج لعمل المقاعد والستائر وثياب
 السروج وغواشيها وادركت الناس وقلة تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخ
 لا يلبس الا في يوم المطر وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام
 مصر فاما رؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا في وقت المطر فاذا ارتفع المطر نزع
 الجوخ واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب ابن الخطيب الخزرجي
 خال ابي رحمه الله قال كنت انوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوما وانا
 لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي وكيف ترضى ان تلبس الجوخ وهل الجوخ الا لاجل البغلة
 ثم اقم على ان اخلعها وما زال بي حتى عرقته اني اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل فاستدعاه في الحال
 ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها ثم قال لي لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس
 دعت الضرورة اهل مصر الى ترك الاشياء مما كانوا فيه من الترفه وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الامير
 والوزير والقاضي ومن دونهم من ذكرنا لباسهم الجوخ ولقد كان الملك الناصر فرج بنزل احبانا الى الاصطبل وغلبه
 قبحون من جوخ وهو ثوب قصير الكمين والبدن يحاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه فتداول
 الناس ايسه واجتلب الفرج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرة ويحمل بيعه هذا السوق ويلى سوق الجوخين هذا
 * (سوق الشرايين) وهذا السوق مما حدث بعد الدولة الفاطمية وياع فيها الخلع التي يلبسها السلطان
 للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم وانما قيل له سوق الشرايين لانه كان من الرسم في الدولة التركية
 ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤسهم كؤوتة صفراء مضرية تضربها عريضا ولها كلاليب
 بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوق وهي في كيس حرر اما احمر أو اصفر أو اساطم
 مشدودة بينود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضا عن الخواص وعليم اقبية اما بيض او مشجرة احمر وازرق وهي
 ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرج اليوم واخفافهم من جلد بلغاري اسود وفي ارجلهم من فوق الخف
 سقميان وهو خف ثمان ومن فوق القباكران بحلق وازنيم وصواني بلغاري كبار يسع الواحد منها اكثر من نصف
 وية غلة مغروزة فيه منديل طوله ثلاثة اذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بيدار مصر على الملك من سنة ثمان
 واربعين وسقائة الى ان قام في المملكة الملك المنصور قلاوون فقير هذا الزي بأحسن منه ولبسوا الشاشات

وابطالوا بس الكم الضيق واقترح كل احد من المنصورية ملابس حسنة فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكته ومماليكه وتخيراهم الملابس الحسنة وبذل الكلونات الجوخ والصفور ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بالكلونات الزركش والطرزات الزركش والككايش الزركش والاقبية الاطلس المعدنى حتى يمر الامير بلبسه عن غيره وكذلك فى الملبوس الابيض ان يكون رفيعا واتخذ السروج المرصعة والاكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سر وجههم بقرايس بكارشعة وركب بكارشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجبت العمام الناصرية وهى صفار فلما قام الامير بلبغا العمرى الخاصكى عمل الكلونات البلبغاوية وكانت بكارا واستجبت الامير سلار فى ايام الملك الناصر محمد القبا الذى يعرف بالسلارى وكان قبل ذلك يعرف ببغلو طاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلونات الجركسية وهى اكبر من البلبغاوية وفيها عوج وأما الخلع فان السلطان كان اذا اتم احد من الاتراك البسه الشربوش وهو شئ يشبه التاج كانه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب يج او طرد وحش او غيره فعرف هذا السوق بالشرايشين نسبة الى الشرايش المذكورة وقد بطل الشربوش فى الدولة الجركسية وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء وينال الناس من ذلك فوائد جليلة ويقتنون بالتجرفى هذا الصنف سعادات طائلة فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه ومن اشترى من ذلك شيا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه والامر على هذا الى يومنا الذى نحن فيه وأول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن يحيى البرمكى وذلك ان امير المؤمنين هارون الرشيد قال فى اليوم الذى انعقد له فيه الملك يا اخى يا جعفر قد امرت لك بمقصورة فى دارى وما يصلح لاهل القراش وعشر جوارى تكن فيم اليه مبيتك عندنا فقال يا امير المؤمنين ما من نعمة متواترة ولا فضل متظاهر الا ورأى امير المؤمنين اجل وأتم ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير واهل الناس فركبوا اليه حتى سلوا عليه وأعطاه خاتم الملك ليختم به على ما يريد فبلغ بذلك صيته اقطار الارض ووصل الى ما لم يصل اليه كاتب بعده فاقتمدى بالرشيد من بعده وخلعوا على اولياء دولتهم وولادة اعمالهم واستقر ذلك الى اليوم وأول ما عرف شد السيوف فى اوساط الجند ان سيف الدين غازى بن عماد الدين اتاك زنى بن اق سنقر صاحب الموصل امر الاجناد ان لا يركبوا الا بالسيوف فى اوساطهم والديايس تحت ركبتهم فلما فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف وهو ايضا اول من حمل على رأسه الصنخ فى ركوبه وغازى هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود ابن زنى ومات فى آخر جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسائة وولى الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود * (سوق الحوائصين) هذا السوق يتصل بسوق الشرايشين وتباع فيه الحوائص وهى التى كانت تعرف بالمنطقة فى القديم فكانت حوائص الاجناد أولا ربعمائة درهم فضة ونحوها ثم عمل النصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار واهل الطبخانات مائتى دينار وقدامى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين ديناراً ثم صار الامراء والخاصكية فى الايام الناصرية وما بعدهما يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرمع بالجواهر ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيا كثيرا وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج فلما كان فى ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك ووجد فى زكاة الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوة تجهار كس وما برح تجار هذا السوق من بياض العامة وقد قل تجار هذا السوق فى زماننا وصارا اكثر حوائيته يباع فيها الطواقى التى يلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الاجناد * (سوق الحلابين) هذا السوق معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى وانما يعرف اليوم بحلاوة متنوعة وكان من ابعج الاسواق لما يشاهد فى الحوائيت التى بهامن الاوانى وآلات الخماس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة ومن الحلالات المصنعة عدة الوان وتسمى الجمجمة وشاهدت بهذا السوق السكر شادى عليه كل قطار بمائة وسبعين درهما فلما حدث الحزن وغلا السكر لمراب الدولاب التى كانت بالوجه القبلى وخراب مطابخ السكر التى كانت بمدينة مصر قل عمل الحلوى ومات اصكثر صناعتها ولقد رأيت مرة طبعا فيه نقل وعدة شفاف من خرف حجر فى بعضها بالن

وفي بعضها انواع الاجبان وفيما بين الشفاف والخيار والموز وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة وكانت ايضا لهم عدة اعمال من هذا النوع يحرق الناظر حسننها وكان هذا السوق في موسم شهر رجب من احسن الاشياء منظر افانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بجنيوط على الحوائط ثم ما بين عشرة اربطال الى ربع رطل تشتري للاطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يتباع منها الالهة واولاده وتحتل اسواق البلدين مصر والقاهرة وارباهما من هذا الصنف وكذلك يعمل في موسم نصف شعبان وقد بقي من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة وكذلك كانت تروق رؤية هذا السوق في موسم عيد الفطر لكثرة ما يوضع فيه من حب الخشك كالج وقطع البسند وود المشاش ويشرع في عمل ذلك من نصف شهر رمضان فتملأ منه اسواق القاهرة ومصر والارياض ولم يبق في موسم سنة سبع عشرة وثمانمائة من ذلك شيء بالاسواق البتة فسبحان محيل الاحوال لا اله الا هو * (سوق الشوابين) هذا السوق اول سوق وضع بالقاهرة وكان يعرف بسوق الشرايين وهو من باب حارة الروم الى سوق الخلاويين وما زال يعرف بسوق الشرايين الى ان سكن فيه عدة من يبايع الشواء في حدود السبع مائة من سنى الهجرة فزال عنه النسبة الى الشرايين وعرف بالشوابين وهو الآن سكن المتعشين وانتقل سوق الشرايين في زماننا الى خارج باب زويلة وعرف بالبسطيين كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى قال ابن زولا في كتاب سيرة المعز وفي شهر صفر من سنة خمس وستين وثلاثمائة انتهى سوق الشرايين بالقاهرة وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وكان في القديم باب زويلة الذي وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم حيث العقد المجاور الآن للمسجد الذي عرف اليوم بسام بن نوح وكان بجوارزه باب آخر موضعه الآن سوق الماطيين فلما نقل امير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن اتسع ما بين سوق الشرايين المذكور وبين باب زويلة الكبير وصار الآن فيه سوق الغرابيين وفيه عدة حوائط تعمل مناخل الدقيق والغرابيل ويقال لهم عدة حوائط يصنع فيها الاغلاق المعروفة بالضرب وما بعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من الحوائط يجلس ببعضها عدة من الجبابرة لبيع انواع الجبن المحلوب من البلاد الشامية وأدركنا هناك الى ان حدثت الحن من ذلك شيئا كثيرا يتجاوز الحد في الكثرة وفي بعض تلك الحوائط قوم يجلسون لعلاج من عساه يتصدع له عظم او ينكسر او يصيبه جرح يعرفون بالمجبرين وهناك منهم بنية الى يومنا هذا بوقية الحوائط ما بين صيارفة وبياعى طرف ومتعشين في المأككل وغيرها فهذه قصبة القاهرة وما في ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة والله تعالى اعلم

* (الشارع خارج باب زويلة) *

هذا الشارع هو نتجاء من خرج من باب زويلة ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الى الخليج وبين الطريق المسلول فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل ولم يكن هذا الشارع موجودا على ما هو عليه الآن عند وضع القاهرة وانما حدث بعد وضعها بعدة اعوام على غير هذه الهيئة فلما كثرت العمارات خارج باب زويلة بعد سنة سبع مائة من سنى الهجرة صار على ما هو عليه الآن فأما اول امره فان الخليفة الحاكم بأمر الله أنشأ الباب الحديد على بكرة الخراج من باب زويلة على شاطئ بركة القيل وهذا الباب ادرست عقده عند رأس النخبة بجوار سوق الطيور ثم لما اختطت حارة اليانسية وحارة الهلالية صار ساحل بركة القيل قبالتها واتصلت العمارات من الباب الجديد الى الفضاء الذي هو الآن خارج المشهد القيسى فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر وخرت القطائع والعسكر صارت مواضعها خرابا الى خلافة الامر بأحكام الله فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها خراب وبني الناصر في الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعة الجبل الآن وبني حائط يستتر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بنية مصر حتى صار المتعشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الاخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم في مصر ولا يزالون في ضوء وسوق موقود من الباب الجديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجوارح والمعاش مستتر في الليل والنهار ووقف القاضي الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمد ابن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف حصه من البستان الكبير المعروف يومئذ بالخاريق الكبرى الكائن فيما بين

القاهرة ومصر بعدوة الخليج على القربات وشرط أن الناظر يشترى في كل فصل من فصول الشتاء من تخاش الكنان الخيام أو القطن ما يراه ويعمل ذلك جبايا وبغا الطبقا محشوة قطنًا وتفرق على الايام المذكور والانات الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة فيدفع لكل واحد حبة واحدة أو بغلطاقا فان تعذر ذلك كان على الايام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرائتيهما وكان هذا الوقف في سنة ستين وستائة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة سبع مائة صار هذا الشارع اقله تجار باب زويلة وأخره في الطول الملية التي تنتهي الى جامع ابن طولون وغيره لكنهم لا يريدون بالشارع سوى الى باب القوس الذي يسوق الطيور بين وهو الباب الجديد وبعد باب القوس سوق الطيور بين ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طفيجي وهذه اسواق بها عدة حوانات ~~لكنها~~ لا تنتهي الى اعظم اسواق القاهرة بل تكون ابدادونها بكثيرة فهذا حال القصبه والشارع خارج باب زويلة وقد بقيت عدة اسواق في جاني القصبه ولها أبواب شارع وفيها اسواق أخرى نواحى القاهرة ومسالكها سياقي ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى * (سوقه أمير الجيوش) هذه السوق الآن فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية وفي هذا السوق عمر الامير ماز كوج الاسدي مدرسته المعروفة الآن بالازكية وادركت الناس الى هذا الزمن الذي نحن فيه لا يعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير ولا اعرف اهم مستندا في ذلك والذي تشهد به الاخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذي برأس حارة برجوان ويمتد الى رأس سوقه أمير الجيوش الآن وهذه السوق من اكبر اسواق القاهرة بها عدة حوانات فيم الرقاؤون والحباكون وعدة حوانات للرسمين وعدة حوانات للقرابين وعدة حوانات للخياطين ومعظمها ~~لكن~~ البزازين والخمسين وفيها عدة من يباعى الاقباغ ويباع في هذا السوق سائر الثياب الخيطة والامتعة من الفرش ونحوها وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين النصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ النيل وغيره وكان ما بعد هذا السوق الى باب القنطرة معهور الجانيين بالحوانيت المعدة لبسج الطرائف والمغازل والكنان والانواع من المأكول والعطرو وغيره وقد خرب اكثر هذه الحوانات في سني المحنة وما بعدها والسوقه أمير الجيوش عدة قبايسر وفنادق والله أعلم * (سوق الجملون الصغير) هذا السوق يسلك فيه من رأس سوقه أمير الجيوش الى باب الحوانية وباب النصر ورحبة باب العيد وهو مجاور لرب الفرحية وفيه المدرسة الصيرمية وباب زيادة الجماع الحاكى وكان اولا يعرف بالامراء القريشين بنى النورى ثم عرف بالجملون الصغير ويحيطون ابن صيرم وهو الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد الامراء في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب واليه تنسب المدرسة الصيرمية والخط المعروف خارج باب الفتوح ببستان ابن صيرم وادركت هذا الجملون معهور الجانيين من اوله الى آخره بالحوانيت ففي اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكنان من الخيام والازرق وانواع الطرح واصناف ثياب القطن وينادى فيه على اثياب بجراج حراج وفيه عدة من الخياطين وعدة من البايبة المعتدين لغسل الثياب ومقالها وباب آخره كثير من الضيبيين بحيث لو أراد أحد ان يشتري منه ألف ضبة في يوم لماعسر عليه ذلك فلما حدث الخرب خرب هذا السوق بخلق حوانيته وما رقهفرا من ساكنيه ثم انه عمر بعد سنة عشر وثمانمائة وفيه الآن نفر من البزازين وقليل من سواهم * (سوق المحار بين) هذا السوق فيما بين الجامع الاقرويين جاون ابن صيرم يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين الى الركن الخلق ورحبة باب العيد وهو من شوارع القاهرة المسلوكة وفيه عدة حوانات لعمل المحار التي يسافر فيها الى الحجاز وغيره وكان فيه تاجران قد تراصيا على ما يشتريانه من المحار المعترضة للبيع ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس الى القدس وبلغني عن شيخ كان بهذا السوق انه اوصى بعض صبيانه فقال له يا بني لاتراع أحد في بيع فانه لا يحتاج اليك الا مرة في عمره فخذ عدلك في ثمن المحارة فانك لا تحشى من عوده مرة أخرى اليك وسوف اذا عاد من سفره اما الى الحجاز أو القدس فانه يحتاج الى بيعها فترافده عليه في ثمنها واشترها بلرخص ~~وكذلك~~ يفعل أهل هذا السوق الى اليوم فانهم لا يراعون بائعا ولا مشترعا الا ان سوقهم لم يبق كما دركناه فانه حدث سوق آخر يباع فيه المحار بسوق الجامع الطولوني وصار بسوق الخميمين أيضا صنعا.

للحماير وبلغني ان بالحماير بين هذه اوقف أهل مصر امرأة من جريد مؤتزة بيد هاورقة فيها سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه عند ما منع النساء من الخروج في الطرقات فعند ما تمر من هناك حسبها امرأة تساله حاجة فأمر بأخذ الورقة منها فإذا فيها من السب ما اغضبه فأمر بها ان تؤخذ فاذا هي من جريد قد ألبس ثيابا وعلى كهيئة امرأة فاشتد عند ذلك غضبه وأمر العبيد بأحراق مدينة مصر فأضر موافيا النار ولم اقف على هذا الخبر مسطورا وقد ذكر المسيحي حريق الحاكم بأمر الله لمصر ولم يذكر قصة المرأة * (الصاغة) هذا المكان تجاه المدارس الصالحية بخط بين القصرين قال ابن عبد الظاهر الصاغة بالقاهرة كانت مطبخا للصاغة يخرج اليه من باب الزهومة وهو الباب الذي هدم وبني مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف وما يتأقذ من جميع الألوان في كل يوم تفرق على ارباب الرسوم والضعفاء وسمى باب الزهومة أي باب الزفر لانه لا يدخل بالعلم وغيره الا منه فاختص بذلك انتهى والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية وقفها الملك السعيد بركة خان المسمى بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين يسبرس البندقدازي على النقهاء المقررين بالمدارس الصالحية * (سوق الكتبيين) هذا السوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية احدث فيما ظن بعد سنة سبع مائة وهو جار في اوقاف المارستان المنصوري وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في اول زقاق القناديل بجوار دار عمرو وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبع مائة وقد نثر الآن فلا يعرف موضعه وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة الى قيسارية فكانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الاقرويين سوق الحصريين المجاور للركن المخلق وكان يعلو هذه القيسارية ربيع فيه عدة مساكن قنصرت الكتب من ندوة اقبية البيوت وفسد بعضها فعادوا الى سوق الكتب الاول حيث هو الآن وما برح هذا السوق بمجملا لاهل العلم يترددون اليه وقد انشدت قديما لبعضهم

* بحالسة السوق مذمومة * ومنها مجالس قد تحتسب *
فلا تقربن غير سوق الجياد * وسوق السلاح وسوق الكتب
* فهاتيك آله أهل الوغى * وهاتيك آله أهل الادب *

* (سوق الصناديقين) هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه في القديم من جلة المارستان ثم عرف بفندق الديابليين وقيل له الآن سوق الصناديقين وفيه تباع الصناديق والخراش والامرة مما يهمل من الخشب وكان ما بظاهرها قديما يعرف بسكن الدجاجين وأدركناه يعرف بسوق السيوفيين وكان فيه عدة طباطخين لا يزال دخان كواينهم منعقد الكثرة حتى قال لي شيخنا قاضي القضاة محمد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفي ان قاضي القضاة جلال الدين جاد الله قال له هذا السوق قطب دائرة الدخان وفي سوق الصناديقين الى الآن بقية * (سوق الحريريين) هذا السوق من باب قيسارية العنبر الى خط البندقاينين كان يعرف قديما بسقيفة العداة ثم عمل صاغة القاهرة ثم سكن هناك الاساكفة قال ابن عبد الظاهر وكانت الصاغة قديما فيما تقدم مكان الاساكفة الآن وهو الى الآن معروف بالصاغة القديمة وكان يعرف بسقيفة العداة كذا رأيت في كتب الاملاك وعرف هذا السوق في زماننا بالحريريين الشراريين وعرف بعضه بسوق الزجاجين وكان يسكن فيه أيضا الاساكفة فلما انشأ الأمير يونس الدوادار القيسارية على بئر زويلة بخط البندقاينين في اعوام بضع وثمانين وسبع مائة نقل الاساكفة من هذا الخط ونقل منه أيضا ياعى اخفاف النساء الى قيساريته وحواليته المذكورة * (سوق العنبريين) هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشراريين وبين قيسارية العنبر وهو تجاه الخراطين كان في الدولة الفاطمية مكانه سجن لارباب الجرائم يعرف بحبس المعونة وكان شنيع المنظر ضيقا لا يزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة متكررة فلما كان في الدولة التركية وصار لا وون من جلة الامراء الظاهرية يسير من صاير يترن من داره الى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشتم منه رائحة رديئة ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعري والقمل فجعل على نفسه ان الله تعالى جعل لهم من الامر شيئا أن يبنى هذا الحبس مكانا حسنا فلما صار اليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناء سوقا اسكنه ياعى العنبر وكان العنبر اذ ذلك ديار مصر نفاق ولاناس فيه رغبة زائدة لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة ولن سفلت

الاولها قلاوذة من عنبر وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدون من بياض الناس
ولهم أموال جزيلة توفيهم رؤساء واجلاء فلما صار الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاوون جعل هذا السوق
وما فوقه من المساكن وقفاً على الجامع الذي انشأه بظاهر مصر جوار موردة الخلفاء المعروف بالجامع الجديد
الناصرى وهو جارى اوقافه الى يومنا هذا الا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى
صار اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس في استعماله فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان ثم لما حدثت المحن
بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر فطرق هذا السوق ما طرق غيره من
اسواق البلد وبقيت فيه بقية يسيرة الى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباسي بن محمد في سنة خمس عشرة
وثمانمائة وكان نظراً بالجامع الجديد بيده ويبدأ به الخليفة المتوكل على الله محمد فقد صد بعض سفهاء العامة بكتابته
بتعطيل هذا السوق فاستأجر قيسارية العصفور وتقل سوق العنبر اليها وصار معطلاً نحو سنتين ثم عاد أهل العنبر
الى هذا السوق على عادتهم في سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (سوق الخراطين) هذا السوق يسلك فيه من سوق
المهامرين الى الجامع الازهر وغيره وكان قد يما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين
دار الضرب والوكالة الامرية وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سوقاً كبيراً مغموراً بالخنازين
بالحوانيت المعتدة لبس المهد الذي يربى فيه الاطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صناعات السكاكين وصناعات
الدوى يشتمل على فنون الخسنيين حانوتاً لما حدثت المحن تلاشى هذا السوق واغتصب الامير جمال الدين يوسف
الاستادار منه عدة حوانيت من اوله الى الحمام التي تعرف بحمام الخراطين وشرع في عمارتها فعمل بالقتل
قبل اتمامها وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما احاط به من أمواله وادخلها في الديوان فقام بعمارة الحوانيت
التي تجناه قيسارية العصفور من درب الشمسى الى اول الخراطين القضاى الرئيس تقي الدين عبد الوهاب بن أبي
شاذكر فلما كملت جعلها الملك الناصر فيها هو موقوف على تربيته التي انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج
باب النصر وأفراد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التي انشأها الامير جمال الدين يوسف الاستادار
برحمة باب العيد وما يقابل هذه الحوانيت هو وما فوقه وقف على المدرسة القراستقرية وغيرها وهو مخترب
متهتم * (سوق الجملون الكبير) هذا السوق بوسط سوق الشرايشيين يتوصل منه الى البندقاينين والى حارة
الجودرية وغيرها الشئ فيه حوانيت سكنها البرازون وقفه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على تربة
مملوكه ببلغا التركاني عند ما مات في سنة سبع وسبعمائة ثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة
فصارت تغلق في الليل وكان فيما ادركاه شارعاً ملساً كطول الليل يجلس تجناه صاحب العسس الذي عرفته
العمامة في زماتنا بالى الطوف من بعد صلاة العشاء في كل ليلة وينصب قدماً مشعل يشعل بالنار طول الليل
وحوله عدة من الاعوان وكثير من السقائين والتجارين والقضارين والمهدادين بنوب مقررة لهم خوفان
ان يحدث بالقاهرة في الليل حريق فيبتدأ ركون اطفاءه ومن حدث منه في الليل خصومة أو وجود سكران أو قبض
عليه من السرقة اتي لى أمره والى الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم
في جملة ما بطل وهذا السوق الآن جارى وقف * (سوق الفزايين) هذا السوق يسلك فيه من سوق
الشرايشيين الى الاكفانيين والجامع الازهر وغير ذلك كان قد يما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناعات
الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من انواع الفراء ما يجلب ثمنها وتتضاعف
قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السهور والوشق والقهاقم والسجاب بعد ما كان
ذلك في الدولة التركية من اعز الاشياء التي لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرني الطواشي الفقيه الكاتب
الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الحنفى المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد
ابن قلاوون انه وجد في تركة بعض امراء السلطان حسن قباء بفرو واقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار
يحكى ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبدلت الاصناف
المذكورة حتى صار يلبس السهور واحاد الاجناد واحاد المكاب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء
بياض الناس تخلو من لبس السهور ولحموه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شئ كثير
* (سوق البخانقين) هذا السوق خيم بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الا في ذكرها ان شاء الله

تعالى عند ذكرا القياس وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشبية تصغير خشبية فانه على بابها المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه ويسلك من هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقى التى تلبسها الصبيان والبنات وبظاهر هذا السوق أيضا فى القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقى وعملها وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقى فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤسهم بغير عمامة ويمزجون كذلك فى الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعدما كان نزع العمامة عن الرأس عارا رفضية ونوعوا هذه الطواقى ما بين اخضر وأحمر وأزرق وغيره من الالوان وكانت اولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها مدورا مسطحا لحدوث فى أيام الملك الناصر فرج منها شئ عرف بالطواقى الجركسية يكون ارتفاع عصاة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها مدور مقبب وبالغوا فى تطين الطاقية بالورق والكثيره فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصاة المذكورة زيقان من فرو القرض الاسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يصير دارا مهيبة الرجل وعلى عنقه وهم على استعمال هذا الزي الى اليوم وهو من اسمع ما عانوه ويشبه الرجال فى لبس ذلك بالنساء لمعنيين احدهما انه فشا فى أهل الدولة محبة الذكران فقصده نساؤهم التشبه بالذكور لئلا يفتقدوا فاعلمت فى ذلك عامة نساء البلد وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر رجالهم نساء أهل مصر الى ترك ما ادركا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبس هذه الطواقى وبالغن فى عملها من الذهب والحرير وغيره ونواصين على لبسها ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور الناس فى عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم * (سوق الخلعين) هذا السوق فيما بين قيسارية الفاضل الا فى ذكرها ان شاء الله تعالى وبين باب زويلة الكبير وكان يعرف قديما بالخشابين وعرف اليوم بالريق تصغير زقاق وعرف أيضا بسوق الخلعين كانه جمع خلعي والخلعي فى زماننا هو الذى يتعاطى بيع الثياب الخلع وهو الذى قد لبست وهذا السوق اليوم من اعمر اسواق القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرهم واكثر ما يباع فيه الثياب المخيطة وهو معمور والجوانب بالحوانيت ويسلك فيه من القصبة ليللا ونهارا الى حارة الباطلية وخوخة ايد غمش وغير ذلك وفى داخل القاهرة أيضا عدة اسواق وقد خرب الآن أكثرها * (سويقة صاحب) هذه السويقة يسلك اليها من خط البند قانين ومن باب الخوخة وغير ذلك وهى من الاسواق القديمة كانت فى الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله زار بن المعز الذى تنسب اليه حارة الوزيرية فانما كانت على باب داره التى عرفت بعده فى الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة صاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعنى دار الطراز ينسج فيها الديباج الذى هو الحرير وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير فى اخريات الدولة الفاطمية فلما ولّى صنى الدين محمد بن شكري الدمعى وزارة الملك المعادل أبى بكر بن أيوب سكن فى هذا الخط وانشأ به مدرسته التى تعرف الى اليوم بالمدرسة صاحبية وانشأ به أيضا رباطه وحمامه الجاورين للمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة صاحب المذكور واستمرت تعرف بذلك الى يومنا هذا ولم تزل من الاسواق المعتمدة يوجد فيها اكثر ما يحتاج اليه من المأكول لو فور نعم من يسكن هنالك من الوزراء واعيان الكتاب فلما حدث الحزن طرقها ما طرق غيرها من اسواق القاهرة فاختلف عما كانت وفيها بقية * (سوق البند قانين) هذا السوق يسلك اليه من سوق الزجاجين ومن سويقة صاحب ومن سوق الابزاريين وغيره وكان يعرف قديما بسوق بئر زويلة وكان هنالك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة ترسم اصطبل الجيزة الذى كان فيه خيول الخلفاء الفاطميين وصار موضعه خط البند قانين بعد ذلك كما ذكر عند اصطبلات الخلفاء الفاطميين من هذا الكتاب وموضع هذا البئر اليوم قيسارية يونس والربع الذى يملوها وبقي منها موضع ركبت عليه حجر واعتدل السقاين منها فلما زالت الدولة واخط موضع اصطبل الجيزة الدور وغيرها وعرف بموضع الاصطبل البند قانين قبل لهذا السوق سوق البند قانين وادركته سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت التى قد تهدم اعلاها منذ كان الحريق بالبند قانين فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة كما ذكر فى خط البند قانين عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب وفى هذا

السوق كثير من أرباب المعاش المعتدين ببيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الاجبان والالبان والبقا والخبز والقواكه وعدة كثيرة من صناعات قسي البندق وكثير من الرسامين وكثير من يبيع الفخار فلما حدثت الحن بعد سنة ست وثمانمائة اختل هذا السوق خلا كبراً وتلاشى أمره * (سوق الاخفايين) هذا السوق بجوار سوق البند قانين يباع فيه الآن خفاف التسوان ونعالهن وهو سوق مستجد انشاء الامير يونس اتودوزي ودوادار الملك الظاهر برقوق في سنة بضع وثمانين وسبعمائة وقتل اليه الاخفايين يباعي اخفاف النساء من خط الحرير بين والزجاجين وكان مكانه مما خرب في حريق البند قانين فركب بعض القيسارية على برزويله وجعل يبيع بالتيجاه درب الانجب وبني باعلاها ربعاً كبيراً فيه عدة مساكن وجعل الخوانيت بظاهرها وبظاها درب الانجب وبني فوقها أيضاً عدة مساكن فعمد ذلك الخط بعمارة هذه الاماكن وبه الى الآن سكن يباعي اخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرة وزه وهو لفظ فارسي معناه رأس الخفافان سر رأس وموزة خف * (سوق الكفتين) هذا السوق يملك اليه من البند قانين ومن حارة الجودرية ومن الجبلون الكبير وغيره ويستقل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تظم به اواني النحاس من الذهب والفضة وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم والناس في النحاس المكفت رغبة عظيمة ادركا من ذلك شيئاً لا يبلغ وصفه واحصا لكثرة فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ولا بد أن يكون في شورة العرو من دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شيء يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والابنوس او من خشب مدهون وفوق الدكة دست طاسات من نحاس اصفر مكفت بالفضة وعدة الدست سبع قطع بعضها اصغر من بعض تبلغ كبرها ما يسع نحو الاربع من القصب وطول الاكفات التي نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع في عرض اصبعين ومثل ذلك دست اطباق عدتها سبعة بعضها في جوف بعض ويفتح اكبرها نحو الذراعين واكثر وغير ذلك من المنابر والسرير وأحقاق الاشنان والطشت والابريق والمجخرة قبلبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً وكانت العروس من بنات الامراء والوزراء واعيان الكتاب او امثال التجار تجوز في شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكات دكة من فضة ودكة من كفت ودكة من نحاس ابيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من بلور ودكة كراهي وهي آلات من ورق مدهون تحمّل من الصين ادركا منها في الدور شيئاً كثيراً وقد عدم هذا الصنف من مصر الاشياء بسيرة * حدثني القاضي الفاضل الرئيس تاج الدين ابو الفداء اجماعيل احمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء الخزرجي رحمه الله قال تزوج القاضي علاء الدين بن عرب محاسب القاهرة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمام فلما قارب البناء عليها والدخول بها حضر اليه في يوم وكيها وانا عنده قبلخه سلامها عليه وأخبرته انما بعث اليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عشاء اختل من الدكة الفضة فأجابته لي ما سألت وأمره باحضار الفضة فاستدعي الخدم من الباب فدخلوا بالفضة في الحال وبالوقت امر المحتسب بصناع الفضة وطلاتها فاحضروا وشرعوا في اصلاح ما ارسلته ست العمام من اواني الفضة وإعادة طلائها بالذهب فشاهدنا من ذلك منظر ابدعاً * واخبرني من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد دخل في القاهرة عند ما زفت على بعض الامراء في دولة الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون فكان شيئاً عظيماً من جلته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهرها صوراً تبث على شبه الوحوش والطيور وقد ر هذا الزير ما يسع قرية ماء وقد قل استعمال الناس في زماننا هذا النحاس المكفت وعز وجوده فان قوما لهم عدة سنين قد تصدوا للشراء ما يباع منه وتحمية الكفت عنه طلباً للقائدة وبقي بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناعات الكفت قليلة * (سوق الاقباعيين) بخط تحت الربيع خارج باب زويلة مما يلي الشارع المسلول فيه الى قطر فالتحق ما كان منه على يمينه السالك الى القطر الخرق فانه جاري وقت الملك الظاهر بيبرس هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين وعلى اولاده ولم يزل الى يوم السبت خامس شهر رمضان سنة ثمان مائة فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة الملك المؤيد شيخ الجسورة لباب زويلة وما كان من هذا السوق على يسرة من سلك الى القطر فانه جاري وقت اقباعيد

الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر وبعضه وقف امرأة تعرف بدنيا * (سوق السقطيين) هذا السوق خارج باب زويلة بجوار دار التفاح أنشأه الأمير أبقا عبد الواحد وهو جاري وقفه * (سوق خزانة البنود) هذه السوق على باب درب راشد وتمتد إلى خزانة البنود وكانت تعرف أولاً بسوق ريدان الصقلي المنسوب إليه الريدانية خارج باب النصر * (سوق المسعودي) هذه السوق من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب إلى الأمير صارم الدين قايماز المسعودي مملوك الملك المسعودي أقسيس بن الملك الكامل وولي المسعودي هذا ولاية القاهرة وكان ظالمًا غاشمًا جبارًا من أجل أنه كان في دار ابن فرقة التي من جلستها جامع ابن المغربي وبيت الوزير ابن أبي شاكش ثم انفتح الدين بن معتصم الداودي التبريزي كاتب السرجدد هاهنا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لأنه كان يسكن هنالك ومات المسعودي في يوم الاثنين النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين وسقائه ضربه شخص في دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الأمير عز الدين الحلبي نائب السلطنة فوقع في فؤاد المسعودي ثمان لوقته * (سوق طغلق) هذه السوق على رأس الحارة الصالحية بمبالي الجامع الأزهر عرفت بالأمير سيف الدين طغلق السلاح دار صاحب حمام طغلق التي بالقرب من الجامع الأزهر على باب درب المنصوري وصاحب دار طغلق التي عرفت اليوم بدار المنصوري في درب المذكور وأول ما عرفت هذه السوق لم يكن فيها غير أربع حوانيت ثم عرفت عمارة كبيرة لما خربت سوق الصالحية التي كانت بمبالي باب البرقية في حدود سنة ثمانين وسبعمائة ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشي غيرها من الأسواق وبقي فيها ما يرجع إلى * (سوق الصواني) هذه السوق خارج باب النصر وباب الفتوح بخط بستان ابن صيرم عرفت بالأمير علاء الدين أبي الحسن على بن مسعود الصواني مشيد الدواوين في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وقيل بل قراجا الصواني أحد مقدمي الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون وكان في حدود سنة إحدى وثمانين وسبعمائة موجودا وكانت داره هنالك وكان أيضا في أيام الملك المنصور قلاوون الأمير زين الدين أبو المعالي أحمد ابن شرف الدين أبي المصاخر محمد الصواني شاد الدواوين وكان يسكن بمدينة مصر والأمير علم الدين سنجر الصواني أحد الأمراء المقدمين الألف في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك الظاهر بيبرس وهو صاحب البئر التي بالباطنية المعروفة ببئر الدرازين وعز الدين أيبك الصواني * (سوق البلشون) هذه السوق خارج باب الفتوح عرفت بسابق الدين سنقر البلشون أحد عماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح درايته وكان له أيضا بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان البلشون * (سوق الفت) هذه السوق كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر التي في شمال مصلى الأموات المعروف ببئر الفت فجهاد دار ابن الحاجب كانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها الفت والكرب ويحمل منها إلى سائر أسواق القاهرة ويبيع اليوم في بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب * (سوق زاوية الخدام) هذه السوق خارج باب النصر بجري سوق الفت كان فيها عدة حوانيت يباع فيها أنواع المأكول فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ولم يبق فيها سوى حوانيت لأطائلها * (سوق الرمل) هذه السوق كانت في مبالي سوق زاوية الخدام وجامع آل ملك حيث مصلى الأموات التي هنالك كان فيها عدة حوانيت مملوءة بأصناف المأكول قد خرب سائرهما ولم يبق لهما أثر البتة * (سوق جامع آل ملك) ادركتها إلى سنة ست وثمانمائة وهي من الأسواق البكر فيها أغلب ما يحتاج إليه من الأدام وقد خربت لخراب ما يجاورها * (سوق أبي ظهير) كانت تلي سوق جامع آل ملك ادركتها عامرة * (سوق السناطة) كانت هناك عرفت بقوم من أهل سناط سكنوا بها ادركتها أيضا عامرة * (سوق العرب) هذه السوق كانت تتصل بالريدانية خربت في الغلاء الكائن في سنة ست وسبعين وسبعمائة وأدركت حوانيت هذه السوق وهي خالية من السكان إلا بسيما وغودها من اللبن وبهال له وما وراءه خراب الحسينية وكانت في غاية العمارة وكان يقولها بمبالي الحسينية قرن ادركتها عامر إلى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة بلغني أنه كان قبل ذلك في أعوام ستين وسبعمائة يجذب فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغب لكثرة من حوله من السكان وتلك الأماكن اليوم لاساكن فيها إلا اليوم ولا يسمع بها إلا الصدى * (سوق العزى) هذه السوق خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل كانت من جملة المقابر التي خارج القاهرة في مبالي الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل

فلما اختطت هذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة عرفت هذه السويقة بالامرعة الدين ايلك العزى نقيب الجيوش واستشهد على عكاسه ما فتحه الاشرف خليل بن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها * (سويقة العياطين) هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر عرفت بالفقيه المتقدم مسعود بن محمد بن سالم العياط اسكنه بالقرب من اوله هناك مسجد بشاه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر الشهرزوري وصيل أبي رحمه الله ان الشوفاظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة امطار غسل قصب وأزمهم في ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا الى السلطان وعيطوا حتى اعفاهم من ذلك فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين ولقطة عياط عند أهل مصر بمعنى صباح والعياط الصباح واصل ذلك في اللغة ان العطعة تتابع الاصوات واختلافها في الحرب وهي أيضا حكاية اصوات الجبان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما وقد عيطوا وعطعت بالذئب اذا قال له عاط عاط فخر فاعة مصر ذلك وجعلوا العياط الصباح واشتقوا منه الفعل فاعرف ذلك * (سويقة العراقيين) هذه السويقة بمدينة مصر القسطا طائما عرفت بذلك لان قريبا الازدي وزحاف الطائي وكانا من الخوارج خرجا على زياد بن أمية بالبيعة فاتهم زياد بهما جماعة من الازد وكتب الى معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في قتلهم فأمر بتغريمهم عن اوطانهم فسيرهم الى مصر وأميرها مسلمة بن مخلد وذلك في سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحو من مائتين وثلاثين فأزولوا بالظاهر أحد خطط مصر وكان اذ ذلك طرقا أرادان يستدبهم ذلك الموضع فزولوا في الموضع المعروف بكوم سراج وكان فضاء فنبوا لهم مسجد واتخذوا سواها لانفسهم فسمى سويقة العراقيين

* (ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة) *

اعلم ان قصبة القاهرة ما برحت محترمة بحيث انه كان في الدولة الفاطمية اذا قدم رسول مملوك الروم ينزل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى النصر وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بغضو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمسير الى القصر وكان لها عوايد منها ان السلطان من ملوك بني أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لا بد اذا استقر في سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ويدخل اليها راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذي كتب له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أسكه يديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ دخل الى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر الى ان يخرج من باب زويلة فاذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الامراء وبقية العسكر ومنها انه لا يمر بقصبة القاهرة حبل بين ولاجل حطاب ولا يسوق أحد فرسا بها ولا يمر بها سقاء الا وراويه مغطاة ومن رسم ارباب الخوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا معلوا بالماء مخافة أن يحدث الحريق في مكان فيطفأ بسرعة ويلزم صاحب كل حانوت ان يعلق على حانوته قند بلا طول الليل يسرج الى الصباح ويقام في القصبة قوم يكنسون الازبال والاتربة ونحوها وبرشون كل يوم ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها الحراسة الخوانيت وغيرها ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه ترى من الاوساخ في الطرقات حتى لاتعول الشوارع * وأول من ركب بخلع الخليفة في القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ناسع شهر رجب وصلت الخلع التي كانت نفذت الى السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي من الخليفة ببغداد وهي جبة سوداء وطوق ذهب فلبسها نور الدين بدمشق اظهر الشعارها وسيرها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها وكانت انفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستزاعها واستصغرها دون قدره واستقر السلطان صلاح الدين بداره وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك برأس الطاية فلما كان العاشر منه خرج قاضي القضاة والشهود والمقرئون والخطباء الى خيمته واستقر المسير بالخلعة وهو من الاصحاب النجمية وزينت البلدياتها جابها وفيه ضربت النوب الثلاث بالباب الناصري على الرسم النوري في كل يوم فأما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم لان الاتابكية لها فواعد ورسوم

مستقرة بينهم في بلادهم وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع وشق بين القصرين والقاهرة والمبلغ باب زويلة
 نزع الخلع واعادها الى داره ثم شمل اللعب الكرة ولم يزل الرسم كذلك في ملوك بني أيوب حتى انتقضت ايامهم وقام
 من بعدهم مما يليكهم الاتراك فجروا في ذلك على عادة ملوك بني أيوب الى ان قام في مملكة مصر السلطان الملك
 الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وقتل هولاء كوكبة الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بني العباس
 ببغداد و قدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر بالله بن الخليفة الناصر في شهر رجب سنة
 تسع وخسين وستمائة فلقاه واكرمه وبايعه ولقبه بالخليفة المستعصم بالله وخطب باسمه على المنابر ونش السكة
 باسمه فلما كان في يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب السلطان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر
 القاهرة ولبس خلعة الخليفة وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بداوى وجلس مجلسا
 عاما حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والامراء والشهود وصعد القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب
 السر منبر انصب له وقرأ تقليد السلطان الذي عهد به اليه الخليفة وكان بخط ابن لقمان ومن انشائه ثم ركب
 السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقدر زينت له وجل الوزير صاحب بهاء الدين
 محمد بن علي بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء ومن دونهم مشاة بين يديه حتى خرج من باب زويلة
 الى قلعة الجبل فكان يوم مشهودا * وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة سلطان الملك الظاهر بيبرس
 ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان واركبه بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم وسائر
 الامراء مشاة من باب النصر الى قلعة الجبل وقدر زينت القاهرة وآخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة
 والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية بعد قتل السلطان الملك
 المنصور حسام الدين لاجين واستيلائه على المملكة في ثامن جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وقال
 المسيحي في حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نودى في السقائين أن يغطوا رايها الجبال والبغال لثلاثين
 ثياب الناس * وقال في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب ازيار الماء بمائة ماء
 على الحوانيت ووقد المصابيح على الدور وفي الاسواق * وفي ثالث ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمر
 أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بان يقدوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وابواب الدور
 والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ففعل ذلك ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل وكان ينزل كل ليلة
 الى موضع موضع والى شارع شارع والى زقاق زقاق وكان قد ازم الناس بالوقيد قنناظر وافيه واستكثر وامنهم
 في الشوارع والازقة وزينت القيامر والاسواق بأنواع الزينة وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل
 في بيع وشراء وأكثروا ايضا من وقود الشموع العظيمة وأنفقوا في ذلك أموالا عظيمة جليلة لاجل التلاهي
 وتبسطوا في المأكول والمشارب وسمع الاغانى ومنع الحاكم الرجال المشاة بين يديه من المشى بقربه وزجرهم
 واتهرهم وقال لا تغنوا أحدا منى فاحدق الناس به واكثر من الدعاء له وزينت الصاغة وخرج سائر الناس
 بالليل للتفرج وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل وعظم الازدحام في الشوارع والطرق وظهر الناس
 اللهو والغناء وشرب المسكرات في الحوانيت وبالشوارع من اول المحرم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وكان
 معظم ذلك من ليلة الاربعاء تاسع عشره الى ليلة الاثنين رابع عشره فلما تزايد الامر وشنع أمر الحاكم بأمر الله
 أن لا يخرج امرأة من العشاء ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها ثم منع الناس من الجلوس في الحوانيت
 فامتنعوا ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل الى آخر شهر رجب ثم نودى في شهر رجب سنة خمس وتسعين
 وثلثمائة أن لا يخرج أحد بعد عشاء الآخرة ولا يظهر لبيع ولا شراء فامتنع الناس * وفي سنة خمس وأربعمائة
 تزايد في المحرم منها وقوع النار في البلد وكثر الحريق في عدة اماكن فأمر الحاكم بأمر الله الناس باتخاذ القناديل
 على الحوانيت وازيار الماء بمائة ماء وبطرح السقائف التي على أبواب الحوانيت والراشن التي تظل الباعة
 فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة

* (ذكر ظواهر القاهرة المعزية) *

اعلم ان القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهي الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية التي تسميها
 أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التي تعرف في أرض مصر بالقبليّة * فأما الجهة الشرقية فأنها من سور القاهرة

الذي

الذى فيه الاثنان باب البرقة والباب الحديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة الى الجبل المقطم * وأما الجهة الغربية فإتأمن سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة وتنتهى هذه الجهة الى شاطئ النيل * وأما الجهة القبلية فإتأمن سور القاهرة الذى فيه باب زويلة وتنتهى هذه الجهة الى حدمدينة مصر * وأما الجهة البحرية فإتأمن سور القاهرة الذى فيه باب النصر وباب الفتوح وتنتهى هذه الجهة الى بركة الخب التي تعرف اليوم ببركة الحاج وقد كانت هذه الجهة الشرقية عند ما وضعت القاهرة قضاء فيما بين السور وبين الجبل لابنيان فيه البتة وما زال على هذا الى أن كانت الدولة التركية فقبل لهذا القضاء الميدان الأسود وميدان القبق وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون عمل هذا الميدان مقبرة لاموات المسلمين وبنيت فيه التراب الموجودة الآن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وكانت الجهة الغربية تنقسم قسمين أحدهما باب الخليج الشرقى والاخر باب الخليج الغربى فأما باب الخليج الشرقى فكان عليه بستان الأمير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيدي وميدانه وعرف هذا البستان بالكافورى فلما اختط القائد جوهر القاهرة ادخل هذا البستان فى سور القاهرة وجعل بجانبه الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتيف فصارت القاهرة تشرف من غربيها على الخليج وبنيت على هذا الخليج مناظر وهى منظره اللؤلؤة ومنظره دار الذهب ومنظره غزالة كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وكان فيما بين البستان الكافورى والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للتفرج على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ويتصل بالبستان الكافورى وميدان الاخشيدي بركة القيل وبركة قارون ويشرف على بركة قارون الدور التي كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر وأما باب الخليج الغربى فان اوله الآن من موردة الخلفاء فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشأة المهراتى وآخره أرض التاج والخمس وجوه وما بعدها من بحرى القاهرة وكان اول هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين خط السبع سقايات وبين المعارج بمدينة مصر غاراً بماء النيل كما ذكر في ساحل مصر من هذا الكتاب وكانت القنطرة التي يفتح منها عند وفاة النيل ست عشرة ذراعاً خلف السبع سقايات كما ذكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب وكان هناك منظره السكره التي تجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ولها بستان عظيم ويعرف موضعه اليوم بالمريس ويتصل ببستان منظره السكره جنان الزهرى وهى من خط قناطر السباع الموجودة الآن بجذاع خط السبع سقايات الى أراضي اللوق ويتصل بالزهرى عدة بساتين الى المقس وقد صار موضع الزهرى وما كان بجواره على باب الخليج من البساتين يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وقتنا هذا كما ذكر عند ذكر الاحكام من هذا الكتاب وكان الزهرى وما بجواره من البساتين التي على باب الخليج الغربى والمقس كل ذلك مطل على النيل وليس لباب الخليج الغربى كبير عرض وانما يمر النيل في غربى البساتين على الموضع الذى يعرف اليوم باللوق الى المقس فيصير المقس هو ساحل القاهرة وتنتهى المراكب الى موضع جامع المقس الذى يعرف اليوم بجامع المقسى فكان ما بين الجامع المذكور ومنية عقبة التي ببر الحيرة ببحر النيل ولم يزل الامر على ذلك الى ما بعد سنة سبع مائة الا انه كان قد انحسر ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة عن أرض بالقرب من الزهرى عرفت بمنشأة القاضل وبستان الخشاب وهذه المنشأة اليوم يعرف بعضها بالمريس مما يلي منشأة المهراتى وانحسر أيضاً عن أرض تجاه البعل الذي في بحرى القاهرة عرفت هذه الأرض بجزيرة القيل وما برح ماء النيل ينحسر عن شئ بعد شئ الى ما بعد سنة سبع مائة فبقيت عدة رمال فيما بين منشأة المهراتى وبين جزيرة القيل وفيما بين المقس وساحل النيل عمر الناس فيها الاملاك والمناظر والبساتين من بعد سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وحفر الملك الناصر محمد ابن قلاوون فيها الخليج المعروف اليوم بالخليج الناصرى فصار باب الخليج الغربى بعد ذلك اضعاف ما كان اولاً من أجل انظراد ماء النيل عن بر مصر الشرقى وعرف هذا البر اليوم بعدة مواضع وهى في الجملة خط منشأة المهراتى وخط المريس وخط منشأة الكنية وخط قناطر السباع وخط ميدان السلطان وخط البركة الناصرية وخط الحكورة وخط الجامع الطيعسى وربيع بكتر وزرية السلطان وخط باب اللوق وقنطرة الخرق وخط بستان العدة وخط زرية قوصون وخط حكر ابن الاثير وفم الخور وخط الخليج الناصرى وخط

بولاق وخط جزيرة القيل وخط الدكة وخط المقس وخط بركة قرموط وخط ارض الطبالة وخط الحرف
وارض البعل وكوم الريش وميدان الصبح وخط باب القنطرة وخط باب الشعرية وخط باب البحر
وغير ذلك وسبق من ذكر هذه المواضع ما يكفي ويشفي ان شاء الله تعالى * وكانت جهة القاهرة القبلية من
ظاهر هاليس فيها سوى بركة القيل وبركة قارون وهي فضاء يرى من خارج من باب زويلة عن يمينه الخليج وموردة
السقائين وكانت تجاه باب الفتوح ويرى عن يساره الجبل ويرى تجاهه قطائع ابن طولون التي تتصل بالعسكر
ويرى جامع ابن طولون وساحل الحمراء الذي يشرف عليه جنان الزهري ويرى بركة القيل التي كان يشرف
عليها الشرف الذي فوقه قبة الهواء ويعرف اليوم هذا الشرف بقلعة الجبل وكان من خرج من مصلى العيد
بظاهر مصر يرى بركتي القيل وقارون والنيل فلما كانت أيام الخليفة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز
بالله أبي منصور زار ابن الامام المعز لدين الله أبي تميم معد عمل خارج باب زويلة بالباب الجديد واخط
خارج باب زويلة عدة من أصحاب السلطان فاخطت المصامدة حارة المصامدة واخطت البيانية والمنجية
وغيرهما كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر بالله اختلفت
احوال مصر وخربت خرابا شنيعا ثم عمر خارج باب زويلة في أيام الخليفة الامر باحكام الله ووزارة المامون
محمد بن فائق بن البطاحي بعد سنة خمسمائة فلما زالت الدولة الفاطمية هدم السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب حارة المنصورة التي كانت سكن العبيد خارج باب زويلة وعملها بستانا فصار ما خرج عن باب زويلة
بساتين الى المشهد النفيسي وبجانب البساتين طريق يسلك منه الى قلعة الجبل التي انشاها السلطان صلاح الدين
المذكور على يد الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي وصار من يقف على باب جامع ابن طولون يرى باب زويلة
ثم حدثت العمائر التي هي الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبع مائة وصار خارج باب زويلة الآن ثلاثة
شوارع أحدها ذات اليمين والاخر ذات الشمال والشارع الثالث تجاه من خرج من باب زويلة وهذه
الشوارع الثلاثة تشغل على عدة اخطاط * فاما ذات اليمين فان من خرج من باب زويلة الآن يجده عن يمينه
شارعا سالكا ينتهي به في العرض الى الخليج حيث القنطرة التي تعرف بقنطرة الخرق وينتهي به في الطول من
باب زويلة الى خط الجامع الطولوني وجميع ما في هذا الطول والعرض من الاماكن كان بساتين الى ما بعد
السبع مائة وفي هذه الجهة البني خط دار التفاح وسوق السقطيين وخط تحت الربع وخط القشاشين وخط
قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آقسنقر وخط الحباينة وبركة القيل وخط قبو الكرماني وخط
قنطرة طفر دمر والمسجد المعلق وخط قنطرة عمر شاه وخط قناطر السباع وخط الجسر الاعظم وخط
الكبش والجامع الطولوني وخط الصليبية وخط الشارع وما هنالك من الحارات التي ذكرت عند ذكر الحارات
من هذا الكتاب * وأما ذات اليسار فان من خرج من باب زويلة الآن يجده عن يساره شارعا ينتهي به في العرض
الى الجبل وينتهي به في الطول الى القرافة وجميع ما في هذه الجهة اليسرى كان فضاء لا عمارة فيه البتة الى ما بعد
سنة خمسمائة من الهجرة فلما عمر الوزير الصالح طلائع بن رزيق جامع الصالح الموجود الآن خارج باب زويلة
صار ما وراءه الى نحو قطائع ابن طولون مقبرة لاهل القاهرة الى ان زالت دولة الخلفاء الفاطميين وانشا السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع وصار يسلك الى القلعة من هذه
الجهة اليسرى فيما بين القابر والجبل ثم حدثت بعد الحق هذه العمائر الموجودة هناك شيئا بعد شيء من سنة
سبع مائة وصار في هذه الشقة خط سوق البسطيين وخط الدرب الاحمر وخط جامع المارديني وخط سوق الغنم
وخط التبانة وخط باب الوزير وقلعة الجبل والرميلة وخط القيديات وخط باب القرافة * وأما ما هو تجاه من
خرج من باب زويلة فيعرف بالشارع وقد تقدم ذكره عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب وهو ينتهي بالسالك
الى خط الصليبية المذكور آنفا والى خط الجامع الطولوني وخط المشهد النفيسي والى العسكر وكوم الجراح وغير
ذلك من بقية خطط ظواهر القاهرة ومصر وكانت جهة القاهرة البحرية من ظاهرها فضاء ينتهي الى بركة الحب
والى منية الاصنع التي عرفت بالخنديق والى منية مطر التي تعرف بالمطرية الى عين شمس وما وراء ذلك الا انه
كان تجاه القاهرة بستان ريديان ويعرف اليوم باليدانية وعند مصلى العيد خارج باب النصر حيث يصلى
الآن على الاموات كان ينزل هناك من يسافر الى الشام فلما كان قبل سنة خمسمائة فوات أمير الخيوش بدر الجبالي

في سنة سبع وثمانين واربعمائة بنى خارج باب النصر له تربة دفن فيها بنى أيضا خارج باب الفتوح منظره قد ذكر خبرها عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وصار أيضا فيما بين باب الفتوح والمطربة بساكنين قد تقدم خبرها ثم عمرت الطائفة الحسينية بعد سنة خمسمائة خارج باب الفتوح عدة منازل اتصلت بالخندق وصار خارج باب النصر مقبرة الى ما بعد سنة سبعمائة فعمر الناس به حتى اتصلت العمائر من باب النصر الى الريدانية وبلغت الغاية من العمارة ثم تناقصت من بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة الى أن فحش خرابها من حين حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة فهذا حال ظواهر القاهرة منذ اختطت والى يومنا هذا ويحتاج ما ذكرهنا الى مزيد بيان والله أعلم

* (ذكر ميدان القبق) *

هذا الموضع خارج القاهرة من شرقها فيما بين النقرة التي ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الاحمر ويقال له أيضا الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى بنى به مصطبة فى المحرم من سنة ست وستين وستمائة عند ما احتفل برعى الشباب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمى الشباب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء الاخرة وهو يرمى ويحترض الناس على الرمي والنضال والرهان فباقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وتوفر الناس على لعب الرمح ورمى الشباب وما برح من بعده من أولاده والملك المنصور سيف الدين قلاوون الا لى الصالحى النجمى والملك الاشرف خليل ابن قلاوون يركبون فى الموكب لهذا الميدان وتقف الامراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيول فيه قد امههم وتنزل العساكر فيه لرمى القبق والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى براح من الارض ويعمل باعلاها دائرة من خشب وتقف المائة قسمها وترمى بالسهم جوف الدائرة لكي تمر من داخلها الى غرض هناك تمر بها لهم على احكام الرمي ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة التركة * قال جامع السيرة الظاهرية وفى سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وستمائة حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى جميع الناس على رعى الشباب ولعب الرمح خصوصا خواصه ومماليكه ونزل الى القضاء باب النصر ظاهرا القاهرة ويعرف بميدان العيد وبى مصطبة هناك واقام ينزل فى كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الاخرة وهو واقف فى الشمس يرمى ويحترض الناس على الرمي والرهان فباقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله واستقر الحال فى كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الامكنة لا تسع الناس وما بقى لاحد شغل الا لعب الرمح ورمى الشباب وفى شهر رمضان سنة اثنين وسبعين وستمائة تقدم السلطان الملك الظاهر الى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقبق ورمى الشباب واتفقت نادرة غربية وهوانه أمر برش الميدان الاسود تحت القلعة لاجل الملعب فشرع الناس فى ذلك وكان يوما شديد الحر فأمر السلطان بتبديل الرش رحمة للناس وقال الناس صياح وهذا يوم شديد الحر فبطل الرش وارسل الله تعالى مطرا جودا استقر ليلتين ويوما حتى كثر الوحل وتلبدت الارض وسكن العجاج وبرد الجوف واطف الهوا فوكل السلطان من يحفظه من السوق فيه يوم اللعب وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة اثنان وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم اثنان تضييق الدنيا بهم فركبوا فى احسن زى وأجمل لباس واكمل شكل واهمى منظر وركب السلطان ومعه من خواصه ومماليكه ألوف ودخلوا فى الطعان بالرماح فكل من أصاب خلع عليه السلطان ثم ساق فى مماليكه الخواص خاصة ورتبهم اجل ترتيب واندفق بهم اندفاق البحر فشاهد الناس ابهة عظيمة ثم أقيم القبق ودخل الناس لرمى الشباب وجعل لمن اصاب من المفاردة رجال الحلقة والبحرية الصالحية وغيرهم بطاقتا بنجاب وللاهمراء فرسان من خيله الخاص بتشاهيره ومرواته الفضية والذهبية ومزاجه وما زال فى هذه الايام على هذه الصورة يتنوع فى دخوله وخروجه تارة بالرماح وتارة بالشباب وتارة بالبايس وتارة بالسيوف مسالوة وذلك انه ساق على عادته فى اللعب وسل سيفه وسل مماليكه سيوفهم وجمل هو ومماليكه جملة رجل واحد فرأى الناس منظر اعجيبا واقام على ذلك كل يوم من بكرة النهار الى قريب المغرب وقد ضربت الخيام لتزول للوضوء والصلاة وتنوع الناس فى تبديل العدد والالات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الايام من الايام المشهودة ولم يبق أحد من ابناء المملوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغير ولا مفردى ولا مقدم من مقدمى الحلقة ومقدمى البحرية الصالحة ومقدمى

المماليك الظاهرية البحرية ولا صاحب شغل ولا حامل عصا في خدمة السلطان على بابيه ولا حامل طير في ركاب السلطان ولا أحد من خواص كتاب السلطان الا وشرف بما يليق به على قدر منصبه ثم تعدى احسان السلطان لقضاة الاسلام والائمة وشهود خزانة السلطان فشرّفهم جميعهم ثم الولاء كلهم وأصبحوا بكرة يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان لابسين الخلع جميعهم في أحسن صورة وأبهج زى وابهى شكل واجل زينة بالكواتات الزركش بالذهب والملايس التي ما سمع بأن احدا جاد بمنلها وهي ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا الارض وعليهم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهم على العادة والاموال تفرق والاسمطة نصف والصدقات تنفق والرقاب تعتق وما زال الى أن اهل هلال شوال فقام الناس وطلعوا للهنا فجلس لهم وعليهم خلعه ثم ركب يوم العيد الى مصلاه في خيمة بشعار السلطنة واجهة الملك فولى ثم طلع قلعة الجبل وجلس على الاسمطة وكان الاحتفال بها كبيرا واكل الناس ثم انتهبه الفقراء وقام الى مقر سلطانه بالقبة السعيدة وقد غلقت وفرشت بأنواع السمور والكلل والقرش وكان قد تقدم الى الامراء باحضار اولادهم فاحضروا وخلع عليهم الخلع المفصلة على قدرهم فلما كان هذا اليوم احضروا وختنوا باجمعهم بين يدي السلطان واخرجوا الخملوا في المحفات الى بيوتهم وعم الهناء كل دار ثم احضر الامير نجم الدين خضر ولد السلطان فختن ورى للناس جلة من الاموال اجتمع منها خزانة ملك كبير فزقت على من باشر الختان من الحكماء والمزينين وغيرهم وانقضت هذه الايام وجرى السلطان فيها على عادته كما كان من كونه لم يكلف أحد من خلق الله تعالى بهدية يهديها ولا تحفة يتحفه بها في مثل هذه المسرة كما جرت عادة من تقدمه من الملوك ولم يبق من لاشمله احسانه غير أرباب الملاهي والاعاني فانه كان في أيامه لم ينفق لهم مبلغ البتة * وعن لعب بهذا الميدان القبط السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون وعمل فيه المهتم الذي لم يعمل في دولة لولك الترك بمصر مثله وذلك ان خوند اردو تكي ابنه نو كيه ويقال نوغية السليمانية اشتملت من السلطان الملك الاشرف على جل فظن انها تلذ اناذ كرا يرث الملك من بعده فأخذ عند ما قاربت الوضع في الاحتفال ورسم لوزيره صاحب شمس الدين محمد بن السلعوس ان يكتب الى دمشق بعمل مائة شمعان نحاس مكفت بالقباب السلطان ومائة شمعان آخر منها نحسون من ذهب ونحسون من فضة ونحسين سرجا من سروج الزركش ومائة ونحسين سرجا من النخيش وألف شمعة واشياء كثيرة غير ذلك فقد رآه الله تعالى انها ولدت بنتا فانتقبض لذلك وكره ابطال ما قد اشتمر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى بن الملك الصالح على بن قلاوون فرسم لنقيب الجيش والحجاب باعلام الامراء والعسكر ان يلبسوا كلهم آلة الحرب من السلاح الكامل هم وخبولهم ويصيروا باجمعهم كذلك في الميدان الاسود خارج باب النصر فاهتم الامراء والعسكر اهتما كبيرا لذلك وأخذوا في تحسين العدد وبالغوا في التأني وتنافسوا في اظهار التجميل الزائد وخرج في اليوم الرابع من اعلام الامراء السوقة ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمأككل فصار بالميدان سوق عظيم ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لامة الحرب وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء الامن خلفه العذر لروية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا الاجتماع من السرور وما به وجود مثله وأصبح السلطان وقد استعدت العسكر بأجمعه لرى القبط ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحد من الجنود ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمي ورسم للامير يسرى والامير بدر الدين بكناش الفغري أمير سلاح أن يتقدموا الناس في الرمي فاستقبل الامير يسرى القبط وتحتته سرج قد صنع قروسه الذي من خلفه وطيا فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمى ويصيب بمنة ويسرة والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده وتلاه الامراء على قدر منازلهم واحدا واحدا فرموا ثم دخل بعد الامراء مقدموا الحلقة ثم الاجناد والسلطان يعجب برميهم وتزايد سروره حتى فرغ الرمي فعاد الى مخيمه ودار السقاة على الامراء بأواقي الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب وشرب الاجناد من احواض قد ملئت من ذلك وكانت عدتها مائة حوض فشربوها ولهووا واستمروا على ذلك يومين وفي اليوم الثالث ركب السلطان واستدعى الامير يسرى وأمره بالرمي فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي ويمن عليه بالتفرج في رمي الشباب من الامراء وغيرهم فأعفاه ووقف مع السلطان في منزلته وتقدم طفيح وعين الغزال وأمير عمرو وكيل كدى وقشقر العجمي وبرلغي واعناق الحسامي وبكتوت ونحو الخمسين

من امراء السلطان الشبان الذين انشأهم من خاصيته وعليهم تديرات حواريات بطرازات زركش وكوتات زركش وحوادث ذهب وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنهم الناظر ويدهش جمالهم الخاطر قعاظمت مسرة السلطان برؤيتهم وكثرا بحبابه وداخله المحب واستخفه الطرب وارتجت الدنيا بكثرة من حضر هناك من ارباب الملاهي والاغاني واصحاب الملعب فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه في زنته ومرح في مشيته تيهها وصلفا فها هو الآن عبر الدهليز والناس من الطرب والسرو في أحسن شيء يقع في العالم واذا بالجوقة راظم وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الارض والسماء وقلع سائر تلك الخليم وألقى الدهليز السلطاني وتزايد حتى ان الرجل لا يرى من بجانبه فاختلف الناس وما جاولم يعرف الامير من الحقيق وأقبلت السوق والعامة تذهب وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة وتلاحق العسكرية واختلفوا في الطرق لشدة الهول فلم يعبر الى القلعة حتى اشرف على التلف وحصل في هذا اليوم من نهب الاموال واتهاك الحرم والنساء ما لا يمكن وصفه وما ظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت فتغنص سرور الناس وذهب ما كان هناك وما اعتقر السلطان بالقلعة حتى سكن الريح وظهرت الشمس وكان ما كان لم يكن فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهي بأجمعهم وحضر الامراء المختار ابن أخيه وابن أخيه وعمل مهم عظيم في القاعة التي أنشأها بالقلعة وعرفت بالاشرفية وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بستان وللملوك فيه من الاعمال ما تقدم ذكره الى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون قتل النزول اليه وبني مسطبة برسم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هناك ثم ترك تلك المسطبة في سنة عشرين وسبع مائة وعاد الى ميدان القبق هذا وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك الى أن بنيت فيه التربة شيئا بعد شيء حتى انسدت طريقه واتصلت المباني من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وأنا اذكرت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة بعيدة وما برحت قائمة هناك الى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة فهدمت عندما عمر الامير يونس الدوادار الظاهري تربة تجاه قبة النصر ثم عمر أيضا الامير قماش ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هناك وتتابع الناس في البناء الى أن صار كما هو الآن والله اعلم

* (ذكر بحر الخليج الغربي) *

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام بهروان عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره في عام الرمادة بإشارة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى صب ماء النيل في بحر القلزم وجرت فيه السفن بالغلل وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح وانه ما برح على ذلك الى سنة خمسين ومائة فطم ولم يبق منه الا ما هو موجود الآن الا أن فم هذا الخليج الذي يصب فيه الماء من بحر النيل لم يكن عند حفره هذا القم الموجود الآن ولست أدري اين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية فان مصر قحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر وجميع ما بين الجامع وساحل النيل الآن انحسر عنه الماء بعد الفتح وآخر ما كان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر الى تجاه الكباش من غريبه وجميع ما هو الآن موجود من الارض التي فيما بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيئا بعد شيء وغرس بساتين فعمل عبد العزيز بن مروان امير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله عند ساحل الجراء ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهري الا في ذكرها ان شاء الله تعالى وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبغا الجاور لخط السبع سقايات وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة فانحسر ماء النيل عن الارض وغرس بساتين فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد خارج مصر ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة وصار ما في شربه مما انحسر عنه الماء بستانا يعرف ببستان الحارة وما في غريبه يعرف ببستان الحلي وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الجراء وعدة كنائس أخر بعضها الآن بحكر أقبغا تعرف براوية الشيخ يوسف المحمي لسكانها

عند ما هدمت بعد سنة عشر بن وسبع مائة وما برحت هذه البساتين موجودة الى أن استولى عليها الاسير اقبحا
عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وقطع أخشابها وأذن للناس في عمارتها فحكروها الناس وبنوا فيها
الأدور وغيرها فعرفت بحكر أقبحا * وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشأة المهراقي وقد تقدم خبرها في هذا
الكتاب عند ذكر مدينة مصر ويجاور منشأة المهراقي بستان الخشاب وبعضه الآن يعرف بالمريس وبعضه عمله
الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان يشرف على النيل من غربيه ويعرف ساحل النيل هنالك بموردة الجبس كما ذكر
عند ذكر الميادين من هذا الكتاب ويجاور بستان الخشاب جنان الزهري وهذه المواضع التي ذكرت كلها
مما انفجر عنه النيل ما خلا جنان الزهري فانه امن قبل ذلك وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الاحكار
ان شاء الله تعالى

*(ذكر الاحكار التي في غربي الخليج) *

قال ابن سيده الاحكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به والحكرة والحكر جميعا
ما احتكر وحكره يحكره حكر اظله وتقفه وأساء معاشرته انتهى فالتجكير على هذا المنع فقول أهل مصر حكر
فلان ارض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها * (حكر الزهري) هذا الحكر يدخل فيه جميع برابن
التبان الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وشق الثعبان وبطن البقرة ومويقة القيرى وسويقة صفة وبركة
الشقاق وبركة السباعين وقنطرة الخرق وحدرة المرادين وحكر الخلي وحكر البواشي وحكر كرجي
وما يجانبه الى قناطر السباع وميدان المهارى الى الميدان الكبير السلطاني بموردة الجبس وكان هذا قدما يعرف
بجنان الزهري ثم عرف ببستان الزهري قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ الغرباء * عبد
الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري يكنى أبا العباس وأمه أم عثمان بنت
عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان مدني قدم مصر وولى الشرط بفسطاط مصر وحدث يروى
عن مالك بن انس وسفيان بن عيينة يروى عنه من أهل مصر أصبغ ابن الفرج وسعيد بن أبي مريم وعثمان بن
صالح وسعيد بن غفيرة وغيرهم وهو صاحب الجنان التي بالقنطرة قنطرة عبد العزيز بن مروان تعرف بجنان
الزهري وهو حبس على ولده الى اليوم وكان كتاب حبس الجنان عند جدي يونس بن عبد الاعلى ودبعة عليه
مكتوب ودبعة لولد ابن العباس الزهري لا يدفع لاحد الا أن يغري به سلطان والكتاب عندي الى الآن توفى
عبد الوهاب بن موسى بمصر في رمضان سنة عشرة ومائتين وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر
القضاعي في كتاب معرفة الخطط والامار حبس الزهري هو الجنان التي عند القنطرة بالجرا وهو عبد الوهاب
ابن موسى بن عبد العزيز الزهري قدم مصر وولى الشرط بها والجنان حبس على ولده * وقال القاضي تاج الدين
محمد بن عبد الوهاب بن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل وانعاظ المتأمل حبس الزهري فذكره ثم قال وهذا
الحبس اكثره الآن احكار ما بين بركة الشقاق وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه وباع
من ارضه وأجر منها واجتمع هو ومحبيه بين يدي الله عز وجل انتهى ولما طال الامد صار للزهري عدة بساتين
منها بستان ابي اليمان وبستان السراج وبستان الحباينة وبستان عزاز وبستان تاج الدولة فبما زو بستان الفراغاني
وبستان ارض الطيلسان وبستان البطرك وغط الكردي وغط الصفار ثم عرف ببرابن التبان بعد ذلك قال
القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الروضة اليمية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة شاطئ الخليج
المعروف ببر التبان * (ابن التبان المذكور) هو رئيس المراكب في الدولة المصرية وكان له قدر واهية
في الايام الآمرة وغيرها ولما كان في الايام الآمرة تقدم الى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربي الخليج
فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان فانه أنشأ مسجدا وبستانا ودارا فعرفت تلك الخطة به الى الآن ثم بنى
سعد الدولة والى القاهرة وناهض الدولة على وعدى الدولة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فراشي الخصاص
واقصت العمارة بالآجر والسقوف النقية والابواب المنظومة من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج
الغربي الى البستان المعروف بأبي اليمن ثم اتى جماعة غيرهم ممن رغب في الاجرة والقرجة على التراع التي
تصرف من الخليج الى الزهري والبساتين من المنازل والدكاكين شيئا كثيرا وهي الناحية المعروفة الآن
بشق الثعبان وسويقة القيرى الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربيعي وهذا البستان

معروف في هذا الوقت بالخطة المذكورة وهو متلاشي الحال بسبب ملوحة بئر وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهري والمناظر به وتفرقت الشوارع والطرق وسكنت الدكاكين والدور وكثر المترددون اليه والمعاش فيه الى أن استناب والى القاهرة بها ناسا عنه ثم تلاشت تلك الاحوال وتغيرت الى أن صارت اطلالا وعفت تلك الآثار ثم بعد ذلك حكر آدرا وبستانين وبني على غير تلك الصفة المتقدم ذكرها وبني على ما هو عليه ثم حكر بستان الزهري آدرا ولم يبق منه الا قطعة كبيرة بستانا وهو الآن احكار تعرف بالزهري ويعرف البر جمع بئر ابن التبان الى هذا الوقت وولايته تعرف بولاية الحكر وبني به جام الشيخ نجم الدين بن الرفعة وجام تعرف بالقيري وجام تعرف بجام الداية على شاطئ الخليج انتهى * وبستان أبي اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر اقبحا وفيه جامع الست مسكة وسويقة السباعين * وبستان السراج في ارض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلي ويأتي ذكرهما ان شاء الله تعالى وقيماز هو تاج الدولة صهر الامير بهرام الارمني وزير الخليفة الحافظ لدين الله وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزيق الى القاهرة في سنة تسع وأربعين وخمسة وعزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدي وزير الخليفة العاضد لدين الله * (حكر الخليلي) هذا الحكر هو الخط الذي يقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة وهو مجاور حكر الزهري وكان بستانا يعرف ببستان أبي اليمان ومنهم من يكتب ببستان أبي اليمان بغير ألف بعد الميم ثم عرف ببستان ابن جن حلوان وهو الجبال محمد بن الزكي يحيى بن عبد المنعم بن منصور التاجر في عمرة البساتين عرف بابن جن حلوان مات في سنة احدى وتسعين وستمائة وحدث هذا البستان القبلي الى الخليج وكان فيه بابه والهمليا والحد البحري ينتهي الى غيط قيماز والشرقي الى الآدر المحتكرة والغربي ينتهي الى قطعة تعرف قديما بابن أبي السراج ثم عرف ببستان ابن السراج واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور في سنة ثمان وثمانين وستمائة فعرف به ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك فعرف بحكر الخليلي وهو * (حكر قوصون) هذا الحكر مجاور لقنطار السباع كان بستانين أحدهما يعرف بالخاريق الكبرى والآخري يعرف بالخاريق الصغرى فأما الخاريق الكبرى فان القاضي الرئيس الاجل المختار العدل الامين زكي الدين أبا العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف وقف حصه من جميع البستان المذكور الكبير المعروف بالخاريق الكبرى الذي بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج فيا بين البستانين المعروف أحدهما بالخاريق الصغرى ويعرف قديما بالشيخ الاجل ابن أبي أسامة ثم عرف بغيره والبستان الذي يعرف بديرة دينار يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهري وبستان أبي اليمان وكائس النصاري قبالة جاميز السعدية والسبع سقايات ولهذا البستان حدود أربعة القبلي ينتهي الى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجاميز السعدية والسبع سقايات والحد الشرقي ينتهي الى البستان المعروف بالخاريق الصغرى المقابل للمجنونة والبحري ينتهي الى البستان المعروف قديما بابن أبي أسامة الفاصل بينه وبين بستان أبي اليمان المجاور للزهري والحد الغربي ينتهي الى الطريق وجعل هذا البستان على القرباب بعد عمارته وشرط أن الناظر يشترى في كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكنان الخيام أو القطن ويصنع ذلك جبابا وبغالطيق محشوة قطنًا وبفرقةها على الايتام المذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة لكل واحد جبة أو بقلطاق فان تعذر ذلك كان على الايتام المتشبهين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرائهم فان تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين ان يمتا وجدوا تاريخ كتاب هذا الوقت في ذي الحجة سنة ستين وستمائة وأما الخاريق الصغرى فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان أبي اليمان ثم عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فدانا فاشترى الامير قوصون وقلع غروسه وأذن للناس في البناء عليه فحكروه وبنيوا فيه الآدر وغيرها وعرف بحكر قوصون * (حكر الخليلي) هذا الحكر الآن يعرف بحكر بيرس الحاجب وهو مجاور للزهري ولبركة الشفاف من غربيها وأصله من جملة اراضي الزهري اقطع منه وباعه القاضي مجد الدين ابن الخشاب وكيل بيت المال لابنتي السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون في سنة أربع وتسعين وستمائة وكان يعرف حين هذا البيع ببستان الجبال بن جن حلوان وبغيط الكردي وبستان الطيلسان وبستان الفرغاني وحدث هذه القطعة القبلي الى بركة الطوايين والى الهدير الصغير والحد البحري ينتهي الى بستان الفرغاني والى بستان البواشي والحد الشرقي الى بركة الشفاف والى الطريق الموصلة الى الهدير الصغير والحد الغربي

الى بستان الفرغانى ثم انتقل هذا البستان الى الامير ركن الدين يسير من الحاجب في ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون وحكره فعرف به * (حكر البواشقى) عرف بالامير أزد مر البواشقى بمولوك الرشيدى الكبير أحد المماليك البحرية الصالحية ومن قام على الملك المعز أليك عند ما قتل الامير فارس الدين اقطاى فى ذى القعدة سنة احدى وخسين وستمائة وخرج الى بلاد الروم ثم عرف الآن بحكر كركى وهو بجوار حكر الحلبى المعروف بحكر يبرين * (حكر أقبغا) هذا الحكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربى وبعضه بجانب الخليج الشرقى كان بستانا يعرف قديما بجنان الحارة ويسلك اليه من خط قناطر السباع على يمينه السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من كنيسة الحمراء وكان بعضه بستانا يعرف ببستان الحلبى وهو الذى فى غربى الخليج وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون وينتهى الى حوض الدمياطى الموجود الآن على يمينه من سلك من خط السبع سقايات الى قنطرة الستة فاستولى عليه الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون واذن للناس فى تحكيره فحكر وبى فيه عدة مساكن والى يومنا هذا يجر حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الاقبغوية المجاورة للجامع الازهر بالقاهرة وأول من عمر فى حكر أقبغا هذا أستاذار الامير جنكل بن البابا قبيعه الناس وفى موضع هذا الحكر كانت كنيسة الحمراء التى هدمها العامة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر عند ذكر الكنائس من هذا الكتاب وهى اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى وقد ذكر فى الزوايا أيضا وهذا الحكر لما بنى الناس فيه عرف بالآدر لكثرة من سكن فيه من التتر والوافدية من اصحاب الامير جنكل بن البابا وعمر تجاه هذا الحكر الامير جنكل حامين هما هنالك الى اليوم واتشأ بعمارة هذا الحكر بظاهره سوق وجامع وعمر ما على البركة أيضا واتصلت العمارة منه فى الجانبين الى مدينة مصر واتصلت به عمارة أيضا بظاهر القاهرة بعدما كان موضع هذا الحكر مخوفا يقطع فيه الزعار الطريق على المارة من القاهرة الى مصر وكان الى مصر يحتاج الى أن يركز جماعة من أعوانه بهذا المكان لحفظ من يتر من المفسدين فصار لما حكر كانه مدينة كبيرة وهو الى الآن عامر واكثر من يسكنه الامراء والاجناد وهذا الحكر كان يعرف قديما بالجرء الدنيا وقد ذكر خبر الجراوات الثلاث عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر من هذا الكتاب وفى هذا الحكر أيضا كانت قنطرة عبدالعزى بن مروان التى بناها على الخليج ليتوصل منها الى جنان الزهرى وبعض هذا الحكر مما انحسر عنه النيل وهى القطعة التى تلى قنطرة الستة * (حكر الست حدق) هذا الحكر يعرف اليوم بالمريس وكان بساتين من بعضهما بستان الحساب فعرف بالست حدق من اجل أنها أنشأت هناك جامعاً كان موضعه منظرة السكر فبنى الناس حوله واكثر من كان يسكن هناك السودان وبه يتخذ المزروم أوى أهل القوا حش والقادورات وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع فيه من المعاش وقد ادركنا المريس على غاية من العمارة الا انه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وبه الى الآن بقية من فساد كبير * (حكر الست مسكة) هذا الحكر بسويقة السباين بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لانها أنشأت به جامعاً وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ثم افرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلاً بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الامراء والاعيان وأنشأوا به الحمامات والاسواق وغير ذلك * وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون نشأتا فى داره وصارتا قهر مائتين لبيت السلطان يقتدى برأيهما فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعباد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية اولاد السلطان وطال عمرهما وصار لهما من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجمل وصفه وصنعا برّاً ومعروفاً كبيراً واشتهرا وبعد صيتهما واتشر ذكرهما * (حكر طقز دمر) هذا الحكر كان بستانا مساحتها نحو الثلاثين فداناً فاشتراه الامير طقز دمر الجوى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق وقلع أخشابه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور والجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمار من جهاته وأنشأ الامير طقز دمر فيه أيضا على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق الى هذا الحكر وصار هذا الحكر مسكن الامراء والاجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها وهو مما عمر فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومات طقز دمر فى ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة

سنة ست وأربعين وسبع مائة * (القوق) يقال لاق الشيء يلقوه لوقاه ولوقه لينه وفي الحديث الشريف لا آكل
 الا ما لوق لي ولوق ارض معروفة قاله ابن سيده فكان هذه الارض لما انفسر عنها ماء النيل كانت أرضاً لينية
 والى الآن في اراضي مصر ما اذا نزل عنها ماء النيل لا يحتاج الى الحرث لينها بل تلاق لوقا فصول هذا المكان
 أن يقال فيه أراضي اللوق بفتح اللام الآن الناس انما عهدناهم يقولون قديم باب اللوق وأراضي باب اللوق
 بضم اللام ويجوز أن يكون من اللوق بضم اللام وتشديد الصاد قال ابن سيده واللق كل أرض ضيقة مستطيلة
 واللق الارض المرتفعة ومنه كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج لا تدع خفا ولا لقاً الا زرعه حكاها الهروي
 في الغرر انتهى واللق بضم اللام المجبة وتشديد الصاد الغدير اذا جف وقيل اللق ما اطمان من الارض
 واللق ما ارتفع منها وأراضي اللوق هذه كانت بساين وعز درعات ولم يكن بها في القديم بناء البنية ثم لما انفسر الماء
 عن منشأة الفضل عمر فيها كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ويطلق اللوق في زمننا على المكان الذي يعرف
 اليوم بساب اللوق المجاور لجامع الطباخ المطل على بركة الشفاف وما يسامته الى الخليج الذي يعرف اليوم بخلج
 فم الخور وينتهي اللوق من الجانب الغربي الى منشأة المهراني ومن الجانب الشرقي الى الدكة بجوار المقس وكان
 القاضي الفاضل قد اشترى قطعة كبيرة من أراضي اللوق هذه من بيت المال وغيره بمجمله كبيرة من المال ووقفها
 على العين الزرقاء بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم وعرفت هذه الارض ببستان ابن قريش
 وبعضها دخل في الميدان الظاهري وعوض عنها اراض باكثر من قيمتها وكان متحصل هذا الوقف يحمل في كل
 سنة الى المدينة لتسليف العين وتنظيف مجاريها وأما الجانب الغربي من خلج فم الخور المعروف اليوم بحكر ابن
 الاثير وبسويقة الموق وموردة الملح وساحل بولاق كله فانه محدث عمر بعد سنة سبع مائة كما استشف عليه ان شاء
 الله تعالى قريبا فان النيل كان يمر من ساحل الجمرات الغربي الزهري على الاراضي التي لما انفسر عنها عرفت بأراضي
 اللوق الى أن ينتهي الى ساحل المقس وكانت طافات المناظر التي بالدكة تشرف على النيل الاعظم ولا يحول بينها
 وبين رؤية بركة الجيزة شيء وبئر النيل من الدكة الى المقس ويمتد الى زرية جامع المقس الذي هو الآن على الخليج
 الناصري فلما انفسر ماء النيل عن أراضي اللوق اتصلت بالمقس وصارت عدة أما كن تعرف بظاهر اللوق وهي
 بستان ابن ثعلب ومنشأة ابن ثعلب وباب اللوق وحكر قديمه وحكر كريم الدين ورجبة التين وبستان السعدي
 وبركة قمر موطو وخور المصعبي وصار بين اللوق وبين منشأة المهراني التي هي بأول بر الخليج الغربي منشأة الفاضل
 والمنشأة المستجدة وحكر الخليلي وحكر الساباط ويعرف بحكر ببستان القاصد وحكر كريم الدين الصغير وحكر
 المطوع وحكر العين الزرقاء وفي غربي هذه المواضع على شاطئ النيل زرية قوصون وموردة البلاط وموردة
 الحبس وخط الجامع الطيرسي وزرية السلطان وربع بكنم وأول ما بنيت الدور ~~التي~~ في اللوق أيام الملك
 الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وذلك أنه جهز كسافه من خواصه مع الأمير جمال الدين الرومي السلاح
 دارو الأمير علاء الدين أق سنقر الناصري ليعرف أخبأه ولا كوا ومعهم عدة من العربان فوجدوا طائفة من
 التمسأ منين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم فجدة لهؤلاء
 فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بفارقة هؤلاء كوا والمصير اليه فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر
 مصر فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر وترددت القصد بينهم بعد واقعة بغداد ورجل هؤلاء كوا عن حلب
 فاختلف هؤلاء كوا مع ابن عمه بركة خان وتواقعا فقتل ولده هؤلاء كوا في المصالح وانهم عسكره وفر الى قلعة
 في بحيرة أذربيجان فلما وردت الاخبار بذلك الى مصر كتب السلطان الى نواب الشام بأمرهم وتجهيز الاقامات
 لهم وبعث اليهم بالخلع والانعامات فوصلوا الى ظاهر القاهرة وهم ينف على مائتي فارس بنسائهم وأولادهم
 في يوم الخميس رابع عشرين ذي الحجة سنة ستين وسقانة فخرج السلطان يوم السبت سادس عشره الى لقائهم
 بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم بنهر رؤيتهم الغفول وكان يوما مشهودا
 فانزلهم السلطان في دور كان قد أمر بعمارته من اجلهم في أراضي اللوق وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وحل
 اليهم الخلع والخيول والاموال وركب السلطان الى الميدان وأركبهم معه للعب الكرة وأعطى كبارهم امريات
 فقم من عدة أمير مائة ومنهم دون ذلك ونزل بقية منهم من جملة البصرية ووصل كل منهم من سعة الحال ~~ك~~ الامير
 في خدمته الاجناد والعلماء وافرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام فلما

بلغ التشار ما فعله السلطان مع هؤلاء وقد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا
 بديار مصر وتزايدت العمائر في اللوق وما حوله وصار هناك عدة أحكار عامرة أهله الى أن خربت شيئا بعد شيء
 وصارت كيمانا وفيها ما هو عامر الى يومنا هذا ولما قدمت رسل القان بركة في سنة احدى وستين وسبع مائة انزلهم
 السلطان الملك الظاهر باللوق وعمل لهم فيه مهما وصار يركب في كل سبت وثلاثاء للعب الكرة باللوق
 في الميدان * وفي سادس ذى الحجة من سنة احدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلاثمائة فارس
 فأزتلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم واولادهم وفي شهر رجب سنة احدى وستين وسبع مائة قدمت رسل
 الملك بركة ورسل الاشكري فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق * فأما بستان ابن ثعلب فانه كان ببستانا عظيم القدر
 مساحته خمسة وسبعون فدانا فيه سائر القواكة بأسرها وجميع ما يزرع من الاشجار والنخل والكروم
 والترجس والهليون والورد والتسرين والياسمين والخوخ والكمثرى والسنبلنج والهليون التفاحى والهليون
 الراسك والتختن والجيز والقراصيا والمان والزيتون والتوت الشامى والمصرى والمرسين والتامر حشا
 والبان وغير ذلك وبه الآبار المعينة وله الهماليات وفيه منظر عظيمة وعدة دور ومن حقوق هذا البستان الارض
 التى تعرف اليوم ببركة قرموط والارض التى تعرف اليوم بالخور قبالة الارض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان
 السراج وبستان الزهرى وبستان البورجى فيما بين هذه البساتين وبين خليج الدكة والمقس وكان على بستان
 ابن ثعلب سور مبني وله باب جليل وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب وحده البحرى الى الارض المجاورة للميدان
 السلطانى الصالحى والى ارض الجزائر وفى هذا الحد ارض الخور وهى من حقوقه وحده الشرقى الى بستان
 الدكة وبستان الامير قراقوش وحده الغربى الى الطريق المسلول فيها الى موردة السقاين قبالة بستان السراج
 وموردة السقاين هذه موضع قنطرة الخرق الآن * وابن ثعلب هذا هو الشريف الامير الكبير نجر الدين
 اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزينى أحد أمراء مصر فى أيام الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وغيره
 وصاحب المدرسة الشريفة بجوار درب كرامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وانتقل من بعده الى ابنه
 الامير حصن الدين ثعلب فاشترى منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن
 أيوب بن شاذى بثلاثة آلاف دينار مصرية فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وست مائة وكان باب هذا البستان
 فى الموضع الذى يقال له اليوم باب اللوق وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور وآخره من المشرق ينتهى الى
 الدكة بجوار المقس ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرت أكثر أرضه وبني الناس عليها الدور وغيرها وبقيت منه الى
 الآن قطعة عرفت ببستان الامير أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب
 وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى على يمين من سلك من قنطرة قدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقى
 الى بركة قرموط وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الامير بيرس الى الآن وهو وقف ومن جملة
 بستان ابن ثعلب أيضا الموضع الذى يعرف ببركة قرموط والموضع المعروف بقم الخور * (وأما منشأة ابن ثعلب)
 قائما بالقرب من باب اللوق وحكرت فى أيام الشريف نجر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به وهى تعرف اليوم
 بمنشأة الجوانية لأن جوانية الفم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم وأدركتها فى غاية العمارة بالناس والمساكن
 والحوانيت وغيرها وقد اختلفت بعد سنة ست وثمانمائة وأكثرها الآن زرائب للبقر * (وأما باب اللوق) فانه
 كان هناك الى ما بعد سنة أربعين وسبع مائة بمدة باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة على ما كانت العادة
 فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الأمراء وكان يقال له باب اللوق فلما أنشأ القاضي صلاح الدين
 ابن المغربى قيساريته التى بسبب اللوق وجعلها البيع غزل السكان هدم هذا الباب وجعله فى الركن من جدار
 القيسارية القبلى بمبلى الغربى وهذا هو باب الميدان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل
 لما اشترى بستان ابن ثعلب وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب * (وأما حكر قردميه)
 فانه على يمين من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر وصار أخيرا
 بيدورة الامير قوصون وكان حكرها عامرا الى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبع مائة فخرّب عند وقوع الوباء الكبير
 بمصر وحفرت أراضيها وأخذت منها فصار بركة ماء عليها كيمان خلف الدور التى على الشارع المسلول فيه
 الى قنطرة قدادار * (وأما حكر كريم الدين) فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن والى الدكة

وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الضهيوفى - وهذا الحكر الآن آثل الى الدور * (وأما رجة التبن) فانها في بجوى منشأة الجوانية شارعة في الطريق العظمى التي يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رجة باب اللوق عرفت بذلك لانه كانت اجال التبن تقف بها للتباعد هناك فان القاهرة كانت توفى من مرور اجال التبن والخطب وشجوها بها ثم اختطت من جملة ما اختط في غربى الخليج وصار بها عدة مساكن وسوق كبير وقد ادر كته غاصا بالعمارة وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانائة * (وأما بستان السعيدى) فانه يشرف على الخليج الناصرى في هذا الوقت وادوكا ما حوله عامر او قد خربت الدور التي كانت هناك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق الى الدكة وبها بقية آثله الى الدور * (وأما بركة قرموط) فانها من حقوق بستان ابن ثعلب ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى رعى فيها ما خرج عند حفره من الطين وادركها من اعمر بقعة في ارض مصر وهي الآن خراب كاذر عند ذكر البرل من هذا الكتاب * (وأما الخور) فان الخور في اللغة مصب الماء وهو هنا اسم للارض التي ما بين الخليج الناصرى والخليج الذي يعرف بقم الخور وجميع هذه الارض من جملة بستان ابن ثعلب وكان يعرف بالخور الصعبي لانه كانت به مناظر تعرف بمناظر الصعبي تشرف على النيل وكان على شاطئ الخليج الكبير في هذا الجانب الغربى الذي نحن في ذكره بجوار بستان الخشاب الذي كان يتوصل اليه من قنطرة السدة وبعضه الآن الميدان السلطاني بستان يعرف بالجيزة يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصعبي وكان من البساتين الجليلة * (وهذا الصعبي) هو الشيخ كريم الدولة عبد الواحد بن محمد بن علي الصعبي مات في شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصعبي * ولما انحسر ماء النيل عن الرملة التي قيل لها منية بولاق نجاه المقس وعمرت هناك الدور اتصلت من قبلها بالخور وأنشئ بشاطئ النيل الذي بالخور دور تجل عن الوصف وانتظمت صفا واحدا من بولاق الى منشأة المهراني وموردة الحلفاء ومن موردة الحلفاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربى بركة الحبش لوأحصى ما أنفق على بناء هذه الدور لقيام بخراج مصر أيام كانت عامرة وقد خرب معظمها من سنة ست وثمانائة وقد تقدم ذكر منشأة الفاضل * (وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فانها بالقرب من الميدان الكبير السلطاني وقد خربت بعدما كانت عامرة بالدور والمنزهات * (بستان العدة) هذا المكان من جملة الاحبار التي في غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المظلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية كان بستانا جديلا وقفه الامير فارس المسلمين بدر بن رزيق أخو الصالح طلائع بن رزيق صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ثم انه خرب فحكر وبني عليه عدة مساكن وحكره يتعاطاه ورثة فارس المسلمين * (حكر جوهر النوبى) هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى في شرقى بستان العدة ويسالئ منه الى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذي تعلوه المنذنة وما زال بستانا الى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبني فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس وعرف بجوهر النوبى أحد الامراء في الايام الكاملية وقد تقدم بديار مصر قنطرة ما زائد او كان خصلوه هو عن ثار على الملك العادل أبى بكر بن الكامل وخلعه فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل قبض على جوهر في سنة ثمان وثلاثين وستمائة * (حكر خزائن السلاح) هذا الحكر كان يعرف قديما بحكر الاوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسيقى وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أما كن بمدينة مصر مع مدينة قلوب وأراضها في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية في جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبع مائة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد خرب اكثر هذا الحكر وصار كيمانا * (حكر تكان) هذا الحكر بجوار سوق بقة البجى الفاصلة بينه وبين حكر خزائن السلاح وكان يعرف قديما بحكر كويج وحده القبلى ينتهى الى حكر ابن الاسد جفريل والحد البحرى ينتهى الى حكر العلائى والحد الشرقى ينتهى الى حكر البغدادية والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن السلاح وسوق بقة البجى * وتكان هو الامير سيف الدين تكان ويقال تكام بالميم عوضا عن النون وهذا الحكر استقر أخيرا في أوقاف خوند اردوتكين ابنة نو كيه السلاح دار ووجه الملك الاشرف خليل بن قلاوون على تربتها التي أنشأها خارج باب القرافة التي تعرف اليوم بترية السبت وقد خرب هذا الحكر وبيعت أنقاضه في أعوام بضع

وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستانا في سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكرا بن الاسد جفريل) هذا
الحكر في قلبي حكر تكان كان بستانا فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى بن الامير اسد الدين جفريل أحد
أمراء الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمصر * (حكرا البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر
كان من اعظم البساتين في الدولة الفاطمية فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب اشجاره
ونخله وجعله ميدانا ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو الآن خراب ياب لا يأويه الا البوم والرخم * (حكرا
خطيبا) هذا الحكر حدة القبلي الى الخليج وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف
بالجاولى وحده الشرقى الى بستان الجليس الذي عرف بابن منقذ والحد الغربى الى زقاق هنالك وكان هذا
الحكر بستانا اشتراه جمال الدين الطواشي من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن اسماعيل المكي الكامل
في سنة ست عشرة وسبعمائة ثم ابتاعه منه الطواشي محيي الدين صندل الكامل في سنة عشرين وسبعمائة وباعه
للامير الفارس صارم الدين خطيبا الكامل في سنة احدى وعشرين وسبعمائة فعرف به * وهو خطيبا بن موسى
الامير صارم الدين الفارسي التقي الموصل الكامل استقر في ولاية القاهرة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة في ايام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم اضيفت له ولاية الفيوم في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها
وسار متسلما الى اليمن ليتسلمها فسلمها في جمادى الاولى وسار هو في سادس شوال منها والى الباعلى مدينة زيد باليمن
ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل بلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب لاطواشية بنفقة
عشرة ذنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من اصحاب الامير فخر الدين جهار كس
وتأخر الى ايام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات في ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
* (حكرا بن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعد دوة خليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف
الجليس ويعرف ايضا بالبطاخي ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف
الاسلام ظهير الدين طفتكين بن نجم الدين أيوب بن شاذى على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد
الحسن بن عبد العزيز بن علي الخزومي المعروف بابن الصيرفي فوقفه على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء
والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المعتقلين في حبوس القاهرة في سنة ثلاث وأربعين
وسبعمائة ثم ازيت أنشأ هذا البستان وحكرت أرضه وبنت الدور والمسالك عليها وهو الآن خراب
* (حكرا فارس المسلمين بدرين وزيك) هذا الحكر تجاه منظره للؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة بسطن البقرة
ثم حكر وبني فيه واكثره الآن خراب * (حكرا شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن
منقذ كان بستانا لشمس الخواص مسرور الطواشي أحد الخدام الصالحة مات في نصف شوال سنة سبع
وأربعين وسبعمائة بالقاهرة ثم حكر وبني فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكرا العلائي) هذا الحكر بجوار
حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكاري خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس
وقفه في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذي أنشأه داخل الدرب الا صغير
تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذي بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة
وعلى تربتها التي بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر في وقف الامير سيف الدين بهادر
العلائي متولى البنساء وكان وقفه في سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائي المذكور وأدركت
هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين ايدمر الزقاق أمير جندار ووالى القاهرة وداره
العظيمة ومسالكه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أقاضه
وبقيت دار الزقاق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع في الهدم فيها لاجل أقاضها الجليله * (حكرا
الحري) هذا الحكر بجوار حكر العلائي المذكور من حدة البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالارض
البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار في وقف خزانة السلاح وأدركناه عامه وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء
كانت به عادة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحري هو صاحب محبي الدين * (حكرا المساح) عرف
بالامير شمس الدين ستقر المساح أحد أمراء الظاهر بيبرس قبض عليه في عدة من الامراء في ذى الحجة سنة تسع
وستين وسبعمائة * (الملك) هذا المكان كان بستانا من اعظم بساتين القاهرة فيما بين اراضي اللوق والمقس

وبه منظره للخلقاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بحر الحيرة شيء فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبني الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامراته خرب منذ سنة ست وثمانمائة وبه الآن بقية عما قليل تدر كادثر ما هنالك وصار كيمانا

* (ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان أصله في أول الاسلام) *

اعلم أن المقس قديم وكان في الجاهلية قرية تعرف بأمة ذنين وهي الآن محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التي ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضاً أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور جامع المقس الذي تسميه عامة أهل مصر في زماننا بجامع المقسى وهو الآن بطل على الخليج الناصري قال أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضي الله عنه الى فتح مصر فقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحو من شهر حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى أمة ذنين فقاتلوه بها قتالاً شديداً وأبطأ عليه الفتح فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يستعده فأمدّه بأربعة آلاف تمام عمانية آلاف فقاتلهم وذكر عام الخبر وقال القاضي أبو عبد الله القضاي "المقس كانت ضبعة تعرف بأمة ذنين وانما سميت المقس لأن العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فليل المكس فليل المقس قال المؤلف رحمه الله الماكس هو العاشر وأصل المكس في اللغة الجباية قال ابن سيدة في كتاب المحكم المكس الجباية مكسه يكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ويقال للعاشر صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن في البياعة قال الشاعر

أفي كل أسواق العراق اتاوة * وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

الايتهمى عنار جال وتتيق * محارمنا لا يدرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم في بيع ونحوه قال وعشر القوم بعشرهم عشر او عشور او عشرهم أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمرو لابن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الاثينا في اسقاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذ السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخاريجي * أفي كل أسواق العراق اتاوة * البيت وكما قال العبدى في الجارود اكابن المعلى خلتنا أم حسبنا * صواري تعطى الماكسين مكوسا

الصواري الملاحون والمكس ما يأخذ العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه ومنه قيل للمكس الجنس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر احمد بن يحيى البلاذري عن سفیان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جريير يقول أنا أول من عشر في الاسلام وعن سفیان عن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جريير من كنتم تعشرون فقال ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشروننا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب السلمي في كتاب سيرة الامام العدل في مال الله عن السائب بن يزيد انه قال كنت على سوق المدينة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكنّا أخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم في الجاهلية فأزهمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل الى المدينة من الحنطة والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة في بلادهم التي صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا في بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يدرون من التجارة وان اختلفوا في العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر ولذا التجروا في بلادهم من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شيء مثل أن يتجر الذي الشامي في جميع الشام

أو الذي المصري في جميع مصر أو الذي العراقي في جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز
 لزريق بن حبان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كما بالي مثله من الحول ومن مترك من أهل الذمة فخذ مما يدرون من
 التجارات من كل عشرين ديناراً ديناراً ناقصاً فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار
 فدعها ولا تأخذ منها شيئاً والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا في السنة مراراً من كل ما تجروا به قل
 أو أكثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي أحد أصحاب الإمام
 أبي حنيفة رضي الله عنه في كتاب الرسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل
 ابن إبراهيم بن المهاجر قال سمعت أبي يذكر قال سمعت زياد بن جري قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه منا على العشر أنا فأمرني أن لا اقتس أحداً وما تمر على من شيء أخذت من حساب أربعين درهما درهما
 من المسلمين وأخذت من أهل الذمة من عشرين واحداً من لادمة له العشر وأمرني أن اغلظ على نصاري بني تغلب
 قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلمهم يسلمون قال وكان عمر رضي الله عنه قد اشترط على
 نصاري بني تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك
 رضي الله عنه قال بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العشر وكتب لي عهداً أن آخذ من المسلمين
 ما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان
 الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أن تجاراً من قبلنا من
 المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب إليه عمر رضي الله عنه فخذت منهم كما يأخذون من تجار
 المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيمادون المائتين شيء
 فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فإذا زاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال إن أهل
 منبج قوماً من أهل الشرك وراء البحر كتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعنا ندخل أرضك تجاراً وعشراً
 قال فشاور عمر رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه به فكلوا أول من عشره
 من أهل الحرب وحدثنا السدي بن اسماعيل عن عامر الشعبي عن زياد بن جري الأسدي قال إن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة
 نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فخر عليه رجل من بني تغلب من نصاري العرب ومعه فرس فقومها بعشرين
 ألفاً فقال أمسك الفرس وأعطني ألفاً وأخذني تسعة عشر ألفاً وأعطني الفرس قال فأعطاه ألفاً وأمسك
 الفرس قال ثم مر عليه راجعاً في سنته فقال أعطني ألفاً أخرى فقال له التغلبي كلما مررت بك تأخذ مني ألفاً
 قال نعم فرجع التغلبي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوافاه بمكة وهو في بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت
 فقال أنا رجل من نصاري العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضي الله عنه كيف ولم يزد على ذلك قال فرجع
 الرجل إلى زياد بن جري وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً فوجد كتاب عمر رضي الله عنه قد سبق إليه من مترك
 عليك فأخذت منه صدقة فلأتأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل إلا أن تجد فضلاً قال فقال الرجل
 قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفاً وإني أشهد الله تعالى أنني بريء من النصرانية وإني على دين الرجل الذي
 كتب إليك هذا الكتاب * وحدثني يحيى بن سعيد عن زريق بن حبان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد
 العزيز كتب إليه أن انظر من مترك عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل
 أربعين ديناراً ديناراً ناقصاً فبحسابه حتى تبلغ عشرين ديناراً فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها وإذا مترك عليك
 أهل الذمة فخذ مما يدرون من تجاراتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ناقصاً فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة
 دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيئاً أو كتب لهم كما يجأتنا خذ منهم إلى مثله من الحول * وحدثني أبو حنيفة عن حماد
 عن إبراهيم أنه قال إذا مترك أهل الذمة بالبحر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذي في قيمتها حتى
 يؤتي برجلين من أهل الذمة يقومان عليه فيؤخذ نصف العشر من الذي * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبي
 فزارة عن يزيد بن الأصم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال إن هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل
 أخذها فبعث عمالاً إلى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر أو قنطرة أو طريق شيئاً فقدموا فاستقل المال فقالوا
 نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبيد الله عن انس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملوني

على عشور الابله فأبى فلقيني انس بن مالك رضي الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور اخبت ما عمل عليه الناس قال فقال لي لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشور وعلى أهل الذمة نصف العشور وعلى أهل المنزل من ليس له ذمة العشر وقال ابو الحسن المسعودي ان كيقباذا أحد ملوك الفرس أقول من أخذ العشر من الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت في التوراة التي في يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التي هي أرض القدس واسمه ملكي صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه في ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من أموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بني اسرائيل اخراج العشر في ككل ما ملكت أيما منهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسيطه لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس في تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه أحد من شهد فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمر بن العاص رضي الله عنه على المكس وكان زريق بن حبان على مكس ابله في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة في كتاب الغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فسجنه الله شهبا واروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبي ابراهيم المعافري عن خالد بن ثابت أن كعبا اوصاه وتقدم اليه حين يخرج مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزله الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفايومي وزير الملك المعزايك التركاني أول من اقام من ملوك الترتق قلعة الجبل من المظالم التي سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكس فذلك الرجن النجس الذي هو أقيع المعاصي والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكثر ذلك منه واتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصر فيها في غير وجهها وذلك الذي لا يقربه متق وعلى أخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولترجع الى الكلام في المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبي الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهاني في كتاب سنن البرق الشامي وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في البرج الذي بجوار جامع المقسم في السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزاروه هناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذي قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصليبيات رضي الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بإدارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقسم وبني فيه برجاً مشرفاً على النيل وبني مسجداً جامعاً واصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش وما برح هنالك الى أن هدمه صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسي وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وسبعين وسبعمائة عند ما جدد جامع المقس الذي أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسي هذا الى اليوم وما برح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع البيرة الطولونية وركب أحد بن طولون في غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صياد اعليه خلق لا يواريه منه شيء ومعه صبي له في مثل حاله وقد أتى شبيبته في البحر فلما رآه رق لحباله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين ديناراً فدفعتها اليه ولحق ابن طولون فصار احمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتاً والصبي يبكي وبصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبي عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الحاد م دفع الى أبي شبيباً فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتاً فقال قتله يا نسيم فقتله فوجد الدنانير معه بها لها خرض الصبي أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبي وان أخذتها قتلتني فأحضر ابن طولون فاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا الصبي داراً بخمسمائة ديناراً تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه في اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغني يحتاج الى تدوير ولا تقتل صاحبه هذا

٢ ثانی مائة
ابن سعید
على مکس
ولی الحلیز

كان يجب أن يدفع اليه دينار بعد دينار حتى تاتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكفر في عينه * وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم اليسا في رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه يعني يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل وكان قد انحسر وتشم عن المقس وما يليه وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم فأشير عليه بأقامة الجرار يفرفع الرمال التي قد عارضت جزائر طريق الماء وسدته ووقفت فيه وكان الأفضل بن أمير الجيوش لما تربي قدام دار الملك جزيرة رمل كما هي اليوم أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة فأشير عليه بأن يبنى مماليك الجزيرة أنفا خارجا في البحر ليلقي التيار وينقل الرمل فعسر هذا وعظمت غرامته فأشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصارى نخله وتقرب ويعمل تحتها رأس براج وتلطيخ بالزفت وتسكب القصارى عليها وتدفن في الرمل فإذا أراد النيل وركبها نزل من خروق القصارى الى الرأس فأدارها الماء ومنعها القصارى أن تنحدر ودامت حركة الرمل بتحرك الماء للرؤس فانتقل الرمل وذلك أن للزفت خاصية في تحويل الرمل قال وفي هذا الوقت احترق النيل وصار البحر محايض يقطعها الراجل وتوحد فيه المراكب وتشمير الماء عن ساحل المقس ومصر وربي جزائر مملية اشترى منها على المقياس ثلثا ينقص النيل عنه ويحتاج الى عمل غيره وخشي منها أيضا على ساحل المقس لكون بينان السور كان اتصل بالماء وقد تباعد الآن عن السور وصار المدقوته من بر الغرب ووقع النظر في اقامة جرار يفلقع الجزائر التي رباها البحر وعمل أنوف خارجة في بر الجزيرة ليميل بها الماء الى هذا الجانب ولم يتم شيء من ذلك * وقال ابن المتوج في سنة حسين وسفانة انتهى النيل في احتراقه الى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعًا وانتهى في زيادته الى ثمانية عشر ذراعًا وكان مثل ذلك في دولة الملك الاشرف خليل بن قلاوون وكان نبلا عظيما سد فيه باب المقس يعني الباب الذي يعرف اليوم باب البحر عند المقس وفي سنة اثنين وستين وسفانة حضر الى الملك الظاهر بربس طفل وجد ميثا بساحل المقس له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة أيدي وأخبرني وكيل أبي الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهروردي رحمه الله ومولده سنة اثنين وسبعمائة بالمقس أنه يعرف باب البحر هذا اذا خرج منه الانسان فإنه يرى بر الجزيرة لا يجول بينه وبينها حائل فإذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التي هي الآن خارج باب البحر المعروف بوكالة الجين وإذا كان أيام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري فلما حفر الخليج اندكورا أنشأ الناس البساتين والدور كما يحب أن شاء الله تعالى ذكره وادركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها أعمم من الأكراد والجناد والكتاب وغيرهم وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة عند حدوث الغلاء بمصر في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين فلما كانت الحن منذ سنة ست وعثمانية خربت الاحكار والمقس وغيره وفيه الى الآن بقية صالحة وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ومعظمه خراب

* (ذكر ميدان القمح) *

هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ومن غربيه بالمقس وبعضهم يسميه ميدان الغلة وكان موضعا للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة وكانت صبرا القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس الى باب القنطرة عرضا وتقف المراكب من جامع المقس الى منية الشيرج طولا ويصير عند باب القنطرة في أيام النيل من مر اسكب الغلة وغيرها ما يسترا الساحل كله * قال ابن عبد الظاهر المكان المعروف بميدان الغلة وما جاوره الى ما وراء الخليج لما ضعف أمر الخلافة وهجرت الرسوم القديمة من التفرج في الأولوة وغيرها بذت الطائفة الفرجية السادة كانوا بالمقس لانهم ضاق بهم المقس قبالة الأولوة جارة سميت بحجارة اللصوص بسبب تعذيبهم فيها مع غيرهم الى أن غيروا تلك المعالم وقد كان ذلك قديما بسبب اناسا سلطانيا يسمي بالمقسى أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشأ به وحفره وجعله بركة قدام الأولوة محتلطة بالخليج وكان للبستان المتقدم ذكره ترعة من البحر يدخل منها الماء اليه وهو خليج المذكور الآن فأمر بابها على حالها مسطرة على البركة والخليج يستمتع الماء فيها فلما نسي ذلك على ما ذكرناه عمد المذكورون وغيرهم الى اقتطاع البركة من الخليج وجعلوا بينها وبين الخليج جسرا وصار الماء يصل اليها من الترعة دون الخليج وصارت منتهى السودان المذكورين في أيام النيل

والربيع ولما كانت الايام الاميرية أحب إعادة التزهة فتقدم وزيره المأمون بن البطائح بإحضار عرقاء السودان المذكورين وأنكر عليهم ذلك فاعتذروا بكثرة الرمال فأمر بنقل ذلك واعطاهم انعاما فبنوا حارة بالقرب من دار كافور التي أسكن بها الطائفة المأمونية قبالة بستان الوزير ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرقها ثم أحضر الإبقار من البساتين والعدد والالآت وتقتض الجسر الذي بين البركة والخليج وعمق البركة الى أن صار الخليج مسلطا عليها قال مؤلفه رحمه الله تعالى هذه البركة عرفت ببطن البقرة وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب وقد صار هذا الميدان اليوم سوقا تباع فيه القشة من الخناس العتيق والحصر وغير ذلك وفي بعضه سوق الغزل وبه جامع يشرف على الخليج وسكن هنالك طائفة من المشاركة الحبال وفيه سوق عامر بالمعاش

* (ذكر أرض الطبالة) *

هذه الأرض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس كانت من أحسن منزهات القاهرة بمز النيل الأعظم من غربيها عند ما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى أن ينتهي الى الموضع الذي يعرف بالحرف على جانب الخليج الناصري بالقرب من بركة الرطلي ويمتد من الحرف الى غربي البعل قصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الأعظم ومن شرقها الخليج ومن قبلها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكارة وحيث المشهد النفيسي ومن يجر بها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخنس وجوه وقبة الهواء فكانت رؤية هذه الأرض شيا عجيبا في أيام الربيع وفيها يقول سيف الدين علي بن قزل المشت

الى طبالة يعززون أرضا * لها من سندس الريحان بسط

وقد كتب الشقيق بها سطورا * وأحسن شكلها للطل نقط

رياض كالعراس حين تجلي * يزين وجهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لأن الأمير أبا الحارث ارسلان البساسيري لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسي وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة أمته الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازوري حتى استولى على بغداد واخذ قصر الخلافة وأزال دولة بني العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هنالك وسير عمامة القائم ومياهه وشباكه الذي كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة في سنة خمسين وأربع مائة فلما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سرورا عظيما وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والحزيرة فوقف نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة من جلته تتقف تحت القصر في المواسم والاعباد وتسير ايام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل وتشد فانشدت وهي واقفة تحت القصر

يا بني العباس ردوا * ملك الامر معد * لكم ملك معار * والعواري تسترد

فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها متى فسألت أن تقطع الأرض المجاورة للمقس فأقطعها هذه الأرض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وانشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نسب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنسب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهيها هذه الأرض المعروفة بأرض الطبالة وحكرت وبنيت أدراو بيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم أن أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وسقانة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبها حتى لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خرابا الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبع مائة فشرع الناس في سكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبع مائة كانت هذه الأرض بيد الأمير بكتر الحاجب فآزال بالمهندسين حتى مازوا بالخليج من عند الحرف على بركة الطواين التي تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرطلي فمزوا به من هنالك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الأمير بكتر المذكور هنالك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الحرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصري وأذن للناس في تحكيه

فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة
الأكرا وحارة البرازرة وحارة العياطين وغير ذلك وبقي فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة وأقبل
الناس على التزعم بها أيام النبل والربيع وكثرت الرغبات فيها القربان من القاهرة وما برحت على غاية من العبارة
إلى أن حدث الغلاء في سنة سبع وسبعين وسبعمائة أيام الأشرف شعبان بن حسين فخر بن كثير من حارات أرض
الطبالة وبقيت منها بقية إلى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيمانا وبقي فيها من العامر الآن الاملاك
المطلة على البركة التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالحنينة تصغير حنة من أخت
بناح الأرض يعمل فيها معاصي الله عز وجل وتعرف ببيع الحشيشة التي يتلها أراذل الناس وقد نشأت
هذه الشجرة الحنينة في وقتنا هذا فاشقوا زائدا وولع بها أهل الخلاعة والصحف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها
من غير احتشام بعدما دركها تعد من أراذل الخباث وأقبح القاذورات وما شئ في الحقيقة فسد لطباع
البشر منها ولا شتارها في وقتنا هذا عند الخاص والعام بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها والله
تعالى اعلم

* (ذكر حشيشة الفقراء) *

قال الحسن بن محمد في كتاب السوانح الادبية في مدائح القنية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري
ببلدة تستر في سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب في الوقوف على هذا العقار ووصوله إلى الفقراء خاصة وتعمده
إلى العوام عامة فذكر لي أن شيخه الشيخ الشيوخ حيدر أرحمه الله كان كثيرا للرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال
للغذاء قد فاق في الرهادة وبرز في العبادة وكان مولده بنساوور من بلاد خراسان ومقامه مجبل بين نساوور وماوراء
وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء وانقطع في موضع منها ومكث بها أكثر من
عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه أحد غيري للقيام بخدمته قال ثم إن الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر
وقت القائلة منفردا بنفسه إلى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كانعه من حاله قبل
وإذن لا صحابه في الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأوا الشيخ على هذه الحالة من الموانسة بعد أقامته تلك
المدة الطويلة في الخلوة والعزلة سأله عن ذلك فقال بينهم أنا في خلوتي إذ خطر بي إلى الخروج إلى الصحراء منفردا
فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ساكنا لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ ومررت ببساتين له ورق فرأيت
في تلك الحال يمس باطف ويتحرك من غير عنف كالثل النشوان فجعلت اقطف منه أوراقا وأكلها فحدث عندي
من الارتياح ما شاهدتموه وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكله قال فخرجنا إلى الصحراء فأوقفنا على
النبات فلما رأينا قلنا هذا نبات يعرف بالقطب فأمرنا أن تأخذ من ورقه وتأكله ففعلنا ثم عدنا إلى الزاوية
فوجدنا في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانها فلما رأنا الشيخ على الحالة التي وصفنا أمرنا بصيانه هذا
العقار وأخذ علينا الإيمان أن لا نعلم به أحد من عوام الناس وأوصانا أن لا نخفيه عن الفقراء وقال إن الله
تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة
فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استراكم قال الشيخ جعفر فزرعتها زاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا
السر في حياته وأمرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا في خدمته
لم أره يقطع أكلها في كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء وأكل هذه الحشيشة وتوفي الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة
بزاوية في الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتمه النذور الواقعة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره
واحترموا أصحابه وكان قد أوصى أصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار
وسرهم فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة في بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف أكلها
أهل العراق حتى ورد إليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور
لبلاد فارس في أيام الملك الإمام المستنصر بالله وذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة فعملها أصحابهم ما معهم
وأظهروا للناس أكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها إلى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفي هذه
السنة ظهرت الدراهم يغدا وكان الناس ينفقون القراصة وقد نسب اظهار الحشيشة إلى الشيخ حيدر الأديب
محمد بن علي بن الأعمى الدمشقي في إبيات وهي

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معتبرة خضراء مثل الزبرجد
 بعاطيكها ظبي من الترك اغيد * يمس على غصن من البان املد
 فتحسبها في كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خذ مورد
 برنحها اذ في نسيم تنسمت * فتقفوا الى بردا لتسيم المردد
 وتشدو على اغصانها الورق في الفصحى * فيطر بها سجع الحمام المغرد
 وفيها معان ليس في الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
 هي البكر لم تنسج بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
 ولاعبت القيس يوما بكأسها * ولا قربوا من دنها كل مقعد
 ولا نص في تحريرها عند مالك * ولاخذ عند الشافعي وأحمد
 ولا ابت التعمان تجيس عينها * نخذها بحمد المشرقي المهند
 وكف اكف الهم بالكف واسترح * ولا طرح يوم السرور الى غد
 وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب احمد بن محمد بن الرسام الحلبي فقال

وهفهف بادي النفا عهديه * لا ألتقيه قط غير معبس
 فرأيت بعض الليالي ضاحكا * سهل العريكة رياض في المجلس
 ففضيت منه ما تربي وشكرته * اذ صار من بعد التنافر مؤنسي
 فأجاني لا تشكرن خلائقي * واشكر شفيعك فهو خير المفلس
 فحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين يسطها للانفس
 واذا هممت بصيد ظي نافر * فاجهد بأن يرعى حشيش القنفس
 واشكر عصابة حيدر اذا ظهورا * لذوى الخلاعة مذهب المتخمس
 ودع المعطل للسرور وخلي * من حسن ظن الناس بالتمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي القنذري أن الشيخ حيدر لم يأكل الحشيشة في عمره البتة وانما عاقبة
 أهل خراسان نسبوها اليه لاشتراك اصحابه بها وان اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان
 بالهند شيخ يسمى بيرطن هو اقل من اظهار لاهل الهند اكلها ولم يكنوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع امرها
 في بلاد الهند حتى ذاع خبرها بلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى أهل العراق والروم والشام
 ومصر في السنة التي قدمت ذكرها قال وكان بيرطن في زمن الاكسرة وادرك الاسلام واسلم وان الناس
 من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند على بن مكي في آيات أنشدنيها من لفظه وهي

الا فاكف الاحزان عني مع الضر * بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
 تجلت لنا لما تجلت بسندس * تجلت عن التشبيه في النظم والنثر
 بدت تميلا الابصار نورا بحسنا * فأجل نور الروض والزهر بالزهر
 عروس يسر النفس مكنون سرها * وتصبح في كل الخواص اذا تسرى
 فلذوق منها مطعم الشهد راقها * وللشم منها فائق المسك بالتشر
 وفي لونها للطرف احسن زهرة * يميل الى رؤياه من سائر الزهر
 تركب من قان وايض فاشتت * تنبه على الازهار عالية القدر
 فيكشف نور الشمس حرة لونها * وتجل من مبيضه طلعة البدر
 علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر
 تبدت فأبدت ما أجن من الهوى * وجاءت فقلت جندهمي والفكر
 جميلة اوصاف جليلة رتبة * تغالت فغالي في مدائحها شعري
 فقم فاق جيش الهم واكف يد العنا * بهندية امضي من البيض والسمر
 بهندية في اصل اظهار اكلها * الى الناس لاهندية اللون كالسمر

تزيل لهيب الهم عن بابا كلها * وتهدى لنا الافراح في السر والجمهور

قال وانا اقول انه قديم معروف منذ اوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك ما نقله الاطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره قال ابن جرلة في كتاب منهاج البيان القنب الذي هو ورق الشهد ابيض منه بستاني ومنه برتي والبستاني اجوده وهو حار يابس في الدرجة الثالثة وقيل حرارته في الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس في الدرجة الاولى والبري منه حار يابس في الدرجة الرابعة قال ويسمى بالكف انشد في تقي الدين الموصلی

كف كف الهموم بالكف بالكف * شفاء للعاشق المهوم

بابنة القنب الكريمة لا بابنة كرم بعد البنت الكروم

قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع ما يجدون من اللذة تخفيفا للمنى وفي ابطاله قطع الشهوة الجماع كي لا تميل نفوسهم الى ما يوقع في الزنا وقال بعض الاطباء ينبغي لمن يأكل الشهد ان يورقه ان يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل أو الخشخاش ويشرب بعده السككيجين ليدفع ضرره واذا قلى كان اقل ضرره ولذلك جرت العادة قبل اكله ان يقلى واذا اكل غير مقلى كان كثير الضرر وامزجة الناس تختلف في اكله فبعضهم من لا يقدر ان يأكله مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل او غيره من الحلوات وقرأت في بعض الكتب ان جالينوس قال انها تبرئ من الخمة وهي جيدة للهضم وذكر ابن جرلة في كتاب منهاج أن بزرشجر القنب البستاني هو الشهد ابيض وثمره يشبه حب السمينة وهو حب يعصر منه الدهن وحكي عن حنين بن اسحاق أن شجرة البري تخرج في القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه البياض وقال يحيى بن ماسويه في كتاب تدبير ابدان الاصحاء ان من غلب على بدنه البلغم ينبغي أن تكون اغذيته مسخنة مجففة كالزبيب والشهد ابيض وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان الشهد ابيض يدر البول وهو عسر الانضمام ردى الخلط للمعدة قال ولم اجد لازالة الزفر من اليد ابلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من خواصها أن كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها هربت ورأيت أن الانسان اذا اكلها ووجد فعلها في نفسه وأحب أن يفارقه فعلها قمار في مخزبه شيئا من الزيت واكل من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة في الماء الجاري والنوم بيطلة * قال مؤلفه رحمه الله تعالى دع نزاهة القوم فبالى الناس بأفسد من هذه الشجرة لاخلاقهم ولقد حدثني القاضي الرئيس تاج الدين اسماعيل بن عبد الوهاب بن الخطباء الخزومي قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس أنه سئل عن هذه الحشيشة فقال اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة والراذلة وكذلك جربتها في طول عمري ما عاناها فانه يخط في سائر أخلاقه الى ما لا يكاد أن يبقى له من الانسانية شيء البتة وقد قال ابن البيطار في كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضا وهو يسكر جدا اذا تناول منه الانسان قدر درهم أو درهمين حتى ان من اكثره منه يخرج به الى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلف عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على أشنع شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخا بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمل منه اقراصا ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به قليل من سمسم مقشور وسكر ويستفقه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه ويفرحون كثيرا وبما سكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريب منه وهذا ما شاهدته من فعلها واذا خفف من الاكثار منه فليبادر الى التقيء بماء سخن حتى تنقي منه المعدة وشراب الحمض لهم في غاية النفع فانظر كلام العارفين فيها واحذر من افساد بشرتك وتلاف أخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها الا أراذل الناس ومع ذلك فيأثقون من اتساخهم لها لمافها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشجنوني رحمه الله الموضع الذي يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكمه واصل ببولاق واتلف ما هنالك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يتلعبها من اطراف الناس ورذلهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع اضراس كثير من العامة في نحو سنة ثمانين وسبع مائة وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن اويس فارامن تيمورلنك الى القاهرة في سنة خمس وتسعين وسبع مائة فتظاهرا بحمايه باكلها وشنع الناس عليهم واستبقوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر

من القاهرة الى بغداد وخرج منها ثانياً واقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها * وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الخشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللقاح ونحوه وسماها العقدة وباعها بخفية فشاع أكلها وفساق كثير من الناس مدة أعوام فلما كان في سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجار بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والخشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعائب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتخلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولوا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لا حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدأ المسخ في الشمال والاخلق المندربظهوره على الصور والذوات عاقانا الله تبارك وتعالى من بلائه وارض الطبالة الآن بيدورثة الخاجب

* (ذكر أرض البعل والتاج) *

قال ابن سيده البعل الأرض المرتفعة التي لا يصيبها المطر الا مرة واحدة في السنة وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل البعل ما سقته السماء وقد استبعل الموضع والبعل من التخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماه وقيل هو ما اكتفى بماء السماء والبعل ما أعطى من الاتاة على سقى التخل واستبعل الموضع والتخل صار بعل وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظره انشاء الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجبال وجعل على هذا البستان سوراً والى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه وقد ذكرت مناظر هذه البساتين وما كان فيها للخلفاء الفاطميين من الرسوم عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وأرض البعل في هذا الوقت مزرعة نخلة قطرة الاوز التي على الخليج يخرج الناس للتزهر هناك أيام النيل وأيام الربيع وكذلك أرض التاج فانها اليوم قد زالت منها الاشجار واستقرت من اراضي المنية الخراجية وفي أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشينة له ساق طويل وزهره شبه الينوفروا اذا اشرفت الشمس انفتح فصار منظرها انيقا واذا غربت الشمس انضم ويذكر أن من العصفور نوعا صغيرا يجلس العصفور منه في داخل البشينة فاذا اقبل الليل انضمت عليه وغطست في الماء فبات في جوفها آمنا الى أن تشرق الشمس فتصعد البشينة وتنفتح فيطير العصفور وهو شيء ما برحنا نسمعه وهذا البشينة يصنع من زهره دهن يعالج به في البرسام وترطيب الدماغ فينجع وأصله يعرف بالبيارون يجتمعه الأعراب ويأكلونه نيئا ومطبوخا وهو يميل الى الحرارة يسيرا ويريد في الباء ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحيرد كذلك ابن البيطار في كتاب المفردات وفي أيام الربيع تزرع هذه الاراضي قنطرة بحسنها ونضارتها جنة الخلد التي وعد المتقون وأدركت بهذه الارض بقايا نخل واشجار وقد تلفت

* (ذكر ضواحي القاهرة) *

قال ابن سيده ضواحي كل شيء نواحيه البارزة للشمس والضواحي من التخل ما كان خارج السور على صفة عالية لانها تفتح للشمس وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لاهل بدر لكم الصامنة من التخل ولنا الضاحية من البعل يعنى بالصامنة ما اطاف به سور المدينة وضواحي الروم ما ظهر من بلادهم وبرز ويقال في زماننا لما خرج من القاهرة مما هو في جنوبي الخليج من القرى ضواحي القاهرة وقد عرفت أصل ذلك من اللغة وتعرف البلاد التي من الضواحي في غربي الخليج بالحبس الجيوشي وهي بهتين والاميرية والمنية وكان أيضا ناحية الجزيرة من جلة الحبس الجيوشي ناحية سقط ونيا ووسيم حبس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجبال على عقبه * فلما زالت الدولة الفاطمية جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاختيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسأله في سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفراد ديوان الاسطول من الابواب الديوانية الزكاة التي كانت تجبي من الناس بمصر والحبس الجيوشي بالبرين والنطرون والخراج وما معه من من القنطرة وساحل السنتط والمرابك الديوانية واشنا وطينتدي واحيل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذي لهم ثم افق الفقهاء بطلان الحبس وقبضت النواحي وصارت من جلة اموال الخراج فعرفت ببلاد الملك وهذه الضواحي الآن منها ما هو وقف ومنها ما هو في الديوان السلطاني وخراجها يتميز على غيرها من النواحي ويزرع اكثرها من الكتان والمقاني وغيرها

* (ذكر منية الامراء) *

قال باقوت في كتاب المشترك المنية ثلاثة وأربعون موضعاً وجعلها بمصر غير واحدة وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين قال ومنية الشبرج ويقال لها منية الامير ومنية الامراء ببلدة فيما اسواق على فرسخ من القاهرة في طريق الاسكندرية وذكر الشريف محمد بن اسعد الجواني القسابة أن قتيلاً أهل الشام الذين قتلوا في وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن محمد أمير مصر في سنة خمس وستين من الهجرة دفنوا حيث موضع منية الشبرج هذه وكانوا نحواً من الثمانمائة * وقال ابن عبد الظاهر منية الامراء من الحبس الجيوشي الشرقي الذي كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتفع وفي كل سنة يأكل البحر منها جانباً ويجتهد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها في برّ الجيزة وقلب البحر عليها وهذه المنية من محاسن منتزهات القاهرة وكانت قد كثرت العمارات بها واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب وهو مغنى صبايات وبها كان يعمل عيد الشهيد الذي تقدم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب لقرىها من ناحية شبرا وبها سوق في كل يوم أحديع فيه البقر والغنم والغلال وهو من اسواق مصر المشهورة وأكثر من كان يسكن بها النصارى وكانت تعرف بعصر الخروبيعه حتى أنه لما عظمت زيادة ماء النيل في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكانت الغرقة المشهورة وغرقت شبرا ومنية تلف فيهما من جرار الخمر ما ينيف على ثمانين ألف جرّة مملوءة بالخمر وباع نصراني واحد مرة في يوم عيد الشهيد بها خراباً ثني عشر ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الستمائة دينار وكسر منها الأمير بلبغا السلمي في صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرّة مملوءة بالخمر وما برحت تغرق في النيل العالية إلى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة الحبس من بولاق إلى المنية كما ذكر عند ذكر الحبس من هذا الكتاب فأمن أهلها من الغرق وأدركها عاهرة بكثرة المساكين والناس والاسواق والمناظر وتقصده للترهة بها أيام النيل والربيع لاسيما في يوم الجمعة والاخذ فانه كان للناس بها في هذين اليومين يجتمع بنفق فيه مال كثير ثم لما حدثت الحن من سنة ست وثمانمائة الح المناسير بالهجوم عليها في الليل وقتلوا من أهلها عدة فارتحل الناس منها وخلفت أكثر دورها وتعطلت حتى لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة وبها الآن بقية وهي جارية في الديوان السلطاني المعروف بالفرد

* (ذكر كوم الریش) *

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشبرج كان النيل يمر بغربيها بعد مرويه بغربي أرض البعل وأدركت آثار الجروف باقية من غربي البعل وغربي كوم الریش إلى أطراف المنية حتى تغيرت الأحوال من بعد سنة ست وثمانمائة ففاض ماء النيل في أيام الزيادة ونزل في الدرب الذي كان يسلك فيه من أرض الطيالة إلى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه وكان كوم الریش من أجل منتزهات القاهرة ورغب اعيان الناس في سكناها للترهة بها * وأخبرني شيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفي وخال أبي تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء انهما أدركا كوم الریش عدة امراء يسكنون فيها دائماً وأنه كان من جملة من يسكن فيها دائماً نحو الثمانمائة من الجند السلطاني وأنادركت بها سوقاً عامراً بالمعاش بأشياءها من المأككل لا عرف اليوم بالقاهرة مثله في كثرة المأككل وأدركت بها حماماً وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنازة لا يقدر الواضف أن يعبر عن حسنهما لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهج وما برحت على ذلك إلى أن حدثت الحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها انواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طريقة او تغيرت معادها ونزل بها من الوحشة ما يبكاني وأنشدت في رؤيتها عند ما شاهدتها خراباً

قفراً كأنك لم تكن تلهوها * في نعمة وأوانس أتراب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليه شديد

* (ذكر بولاق) *

قد تقدم في غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس وان الماء انحسر بعد سنة سبعين

وخمسائة عن جزيرة عرفت بجيزة الفيصل وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي الى المقس وصلت
هناك رمال وجزائر ما من سنة الا وهي تكثر حتى بقي ماء النيل لا يترجم الا أيام الزيادة فقط وفي طول السنة
ينبت هناك البوص والحلفاء وتنزل الممالك السلطانية لرمي الشباب في تلك التلال الرمل فلما كان سنة
ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس في العمارة بديار مصر لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها
فكانوا يودون في القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن إنشاء عمارة وجدة الامراء والخند والكتب
والتجار والعامة في البناء وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية
تقل الماء من النيل حيث جامع الخطيرى الآن فعمر هناك رجل من التجار منطرة وأحاط جدارا على قطعة
ارض غرس فيها عدة اشجار وتردد اليها للزينة فلما مات انتقلت الى ناصر الدين محمد بن الجوكندار فعمر الناس
بجانبها دورا على النيل وسكنوا ورغبوا في السكنى هناك فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى
جزيرة الفيصل ونفاخروا في إنشاء القصور العظيمة هناك وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة وأنشأ القاضي
ابن المغربي رئيس الاطباء بستانا اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشمر الساقى
بمئومة ألف درهم فضة وكثر التنافس بين الناس في هذه الناحية وعمرها حتى انتظمت العمارة في الطول
على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر وعرف العرض على حافة
النيل الغربية من تجاه الخندق بحرى القاهرة الى منشأة المهراني وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين
وأحجارا عامرة بالدر والاسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها وبلغت بساتين جزيرة الفيصل خاصة
ما ينيف على مائة وخمسين بستانا بعدما كانت في سنة احدى عشرة وسبعمائة نحو العشرين بستانا وأنشأ
القاضي الفاضل جلال الدين القزويني وولده عبد الله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجيزة الفيصل عند بستان
الامير ركن الدين يسيرس الحاجب وأنشأ الامير عز الدين الخطيرى جامع به بولاق على النيل وأنشأ بجواره
ربيعين وأنشأ القاضي شرف الدين بن زينور بستانا وأنشأ القاضي نضر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش
بستانا وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هناك ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري
سنة خمس وعشرين وسبعمائة فعمر الناس على جانبي هذا الخليج وكان اول من عمر به حفر الخليج الناصري
المهاميزى أنشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم وتبعه الناس في العمارة حتى لم يبق في جميع
هذه المواضع مكان بغير عمارة وبقي من يترجمها يتعجب اذا ما بالعهد من قدم ينهائي تلال رمل وحلاقي
اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد واسواقا وحمامات وأزقة وشوارع وفي ناحية بولاق هذه كان
خص النيكالة الذي يؤخذ فيه مكس الغلة الى أن ابطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كاذ كرفى الزوك الناصري
من هذا الكتاب ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار
على ما هو عليه الآن وناحية بولاق الآن عامرة وتزايدت العمران بها وتجدد فيها عدة جوامع وحمامات
ورباع وغيرها

* (ذكر ما بين بولاق ومنشأة المهراني) *

وكان فيما بين بولاق ومنشأة المهراني خط فم الخور وخط حكر ابن الاثير وخط زريسة قوصون وخط الميدان
السلطاني بموردة الملح وخط منشأة الكتبة * فأما فم الخور فكان فيه من المناظر الجميلة الوصف عدة تشرف على
النيل ومن ورائها البساتين ويفصل بين البساتين والدور المظلة على النيل شارع مسلول وأنشئ هناك حمام وجامع
وسوق وقد تقدم ذكر الخور وأنشأ هناك القاضي علاء الدين بن الاثير دارا على النيل وكان اذذاك كاتب السر
وبني الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الاثير واتصلت العمارة من بولاق الى فم الخور ومن فم الخور الى
حكر ابن الاثير وطبرح فيه من مساكن الاكابر من الوزراء والاعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف
* وأما الزريسة فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما وهب البستان الذي كان بالميدان انظارى للامير قوصون
انشأ قدامه على النيل زريسة ووضعها فعمر الناس هناك حتى انتظمت العمارة من حكر ابن الاثير الى الزريسة
وعمر هناك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت بالوق * وأما زريسة السلطان فان الملك الناصر
محمد بن قلاوون لما عمر ميدان المهراني المجاور لقناطر السباع الآن انشأ زريسة في قبلي الجامع الطيرمي

وحفر لاجل بناء هذه الزرية البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها في البناء وانشأ فوق هذه الزرية دار وكالة ورعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخاقاه التي انشأها بناحية سرباقوس وأنعم بالآخر على الأمير بكتر الساقى فانشأ الأمير بكتر بجواره حمامين أحدهما برسم الرجال والاخر برسم النساء فكثرت بناء الناس فيما هنالك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيرسى بزرية قوصون وصار هنالك ازقة وشوارع ودروب ومسكن من وراء المناظر المطلة على النيل تتصل بالخليج واكثر الناس من البناء في طريق الميدان السلطاني فصارت العمائر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها وتنافس الناس في تلك الاماكن وتغالوا في اجرها وعمر المكين ابراهيم بن قزوينه ناظر الجيش في قبلى زرية الساطان حيث كان بستان الخشاب دارا جليلة وعمر أيضا صلاح الدين الكمال والصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام وعدة من الكتاب فقبل لهذه الخطة منشأة الكتاب وانشأ فيها الصاحب أمين الدين خاقاه بجوار داره وعمر أيضا كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهراني فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة مسافة لا تقصر عن ازيد من نصف برصد بكثير كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع والمساجد والخوانك والحمامات وغيرها من البساتين لا تجد فيما بين ذلك خرابا البتة وانتظمت العمارة من وراء الدور المطلة على النيل حتى اشرفت على الخليج فبلغ هذا البر الغربى من وفور العمارة وكثرة الناس وتنافسهم في الاقبال على اللذات وتأنقهم في الانهماك في الممرات ما لا يمكن وصفه ولا يتأتى شرحه حتى اذا بلغ الكتاب اجله وحدث الحن من سنة ست وثمانمائة وتقلص ماء النيل عن البر الشرقى وكثرت حاجات الناس وضروراهم وتساهل قضاء المسلمين في الاستبدال في الاوقاف وبيع تقضما لشترى شخص الربعين والحامين ودار الوكالة التي ذكرت على زرية السلطان بجوار الجامع الطيرسى في سنة سبع وثمانمائة وهدم ذلك كله وباع أبقاضه وحفر الاساسات واستخرج ما فيها من الحجر وعمل جيرا فزال من ذلك رجبيا كثيرا وتتابع الهدم في شاطئ النيل وباع الناس أنقاض الدور فرغب في شرائها الامراء والاعيان وطلاب الفوائد من العامة حتى زال جميع ما هنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة وصار الساحل من منشأة المهراني الى قريب من بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة كأن لم تكن مغنى صبايات وموطن افراح وملاعب أتراب ومرتع غزلان تفتن النساء هنالك وتعيد الحليم سفيها سنة الله في الذين خلوا من قبل واني اذا تذكرت ما صارت اليه انشد قول عبد الله بن المعتز

سلام على تلك المعاهد والربا * سلام وداع لاسلام قدوم

وصار هذا العهد ما بين اول بولاق من قبله الى أطراف جزيرة القيل عامرا من غريبه المفضى الى النيل ومن شرقيه الذى ينتهى الى الخليج الا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال بعد بها الماء عن البر الشرقى وكثرت الغناء لبعده وفي كل عام تكثر الرمال ويبعد الماء عن البر ولله عاقبة الامور فهذا حال الجهة الغربية من ظواهر القاهرة في ابتداء وضعها والى وقتنا هذا وبقي من ظواهر القاهرة الجهة القبلية والجهة البحرية وفيها ما أيضا عدة أخطا تحتاج الى شرح وتبيان والله تعالى أعلم بالصواب

* (ذكر خارج باب زويلة) *

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان جهة تلى الخليج وجهة تلى الجبل فأما الجهة التي تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت في القديم عامرة بماء النيل وذلك انه لا خلاف بين أهل مصر قاطبة أن الاراضى التي هي من طين ابلز لا تكون الا من أرض ماء النيل فان أرض مصر ترية رملية سيخة وما فيها من الطين طرح بعلوها عند زيادة ماء النيل مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الاودية فالذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا فاذا مكث على الارض قعد ما كان في الماء من الطين على الارض فسماء أهل مصر ابلز وعليه تزرع الغلال وغيرها وما لا يشمله ماء النيل من الارض لا يوجد فيه هذا الطين البتة وانت ان عرفت أخبار مصر بتأتمك ما تضمنه هذا الكتاب ظهر لك أن موضع جامع عمرو ابن العاص رضى الله عنه كان كروما مشرفة على النيل وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذى يقال له قصر الشع وعما هو الآن تجاه الجامع وما زال ينحسر شيئا بعد شيئا حتى صار الساحل بمصر من عند سوق

المعاريج الآن الى قريب من السبع سقايات وجميع الاراضي التي فيها الآن المراغة خارج مصر الى نحو
السبع سقايات وما يقابل ذلك من بر الخليج الغربي كان غامرا بالماء كما تقدم وكان في الموضع الذي تجاه المشهد
المعروف بنيد وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين بسايتين شرقيها عند المشهد النفيسي - وغربيها عند
السبع سقايات منها بسايتين عرفت بجنان بن مكيك وعند هابن كافور الاخشيدي داره على البركة التي تجاه
الكبش وتعرف اليوم ببركة فارون ومنها بستان يعرف ببستان ابن كيسان ثم صار صاغة وهو الآن يعرف
ببستان الطواشي ومنها بستان عرف آخر بجنان الحبارة وهو من حوض الدمياطي الذي بقرب قنطرة السد
الآن الى السبع سقايات وبقر السبع سقايات بركة القيل ويشرف على بركة القيل بسايتين من دائرها
والي وقتنا هذا عليها بستان يعرف بالحباينة وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن
عمرو بن الغوث بن طي فدرما نخذ من طي والحباينون بطن من درما وبستان الحباينة فصل الناس بينه وبين
البركة بطريق تلك فيها المارة وكان من شرقي بركة القيل أيضا بسايتين منها بستان سيف الاسلام فيما بين البركة
والجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل وموضعه الآن المساكن التي من جملتها درب ابن البابا الى زقاق حلب
وحوض ابن هنس وعدة بسايتين آخر الى باب زويلة * وكذلك شقة القاهرة الغربية كانت أيضا بسايتين فوضع
حارة الوزيرية الى الكافوري كان ميدان الاخشيدي وجانب الميدان بستانه الذي يقال له اليوم الكافوري
وما خرج عن باب الفتوح الى منية الاصمغ الذي يعرف اليوم بالخندق كان ذلك كله بسايتين على حافة الخليج
الشرقية وقد ذكرت هذه المواضع في هذا الكتاب مدينة وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره
كان اوله ما عند مدينة عين شمس او من بحريه الاجل أن القطعة التي بجانب هذا الخليج من غربيه والقطعة التي
هي شرقيه فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر جميعهما طين ابيض والطين المذكور
لا يكون الا من حيث يتر ماء النيل فتعين أن ماء النيل كان في القديم على هذه الارض التي بجانب الخليج فينتج أن
اول الخليج كان عند آخر النيل من الجهة البحرية وينتهي الطين الى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقي ويصير
ما بعد الخندق في الجهة البحرية رملا لا طين فيه وهذا بين لمن تأمله وتدبره وفي هذه الجهة التي تلي الخليج خارج
باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب وبقيت هناك اشياء نحتاج أن نعرف بها وهي
* (حوض ابن هنس) * وهو حوض ترده الدواب ويتقل اليه الماء من بئر به صارت تلك الخطة تعرف وهي تلي
حارة حلب ويسلك اليها من جانبه وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الامير بدر الدين هنس بن عبد الله أحد
الحجاب الخاص في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب في سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وستائة وعمل بأعلاه
مسجد امرتفعه واساقية ماء على بئرين ومات يوم السبت عاشر شوال سنة سبع وأربعين وستائة ودفن
بجوار الحوض وكان هذا الحوض قد تعطل في عصرنا فجدده الامير تترأ أحد الامراء الكبار في الدولة المويديّة
في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ومات هنس أمير جنود السلطان الملك العزيز عثمان في سنة احدى وتسعين
وخمسمائة * (مناظر الكبش) * هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني مشرفة على
البركة التي تعرف اليوم ببركة فارون عند الجسر الاعظم الفاصل بين بركة القيل وبركة فارون انشأها الملك
الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في اعوام اربع وستائة
وكان حينئذ ليس على بركة القيل بناء ولا في الموضع التي في بر الخليج الغربي من قنطرة السباع الى المقس سوى
السايتين وكانت الارض التي من صليبة جامع ابن طولون الى باب زويلة بسايتين وكذلك الارض التي من قناطر
السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها الا البسايتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر
وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل
الاعظم وبر الجزيرة فكانت من أجل منتهات مصر وتأتق في بنائها واسماها الكبش فعرفت بذلك الى اليوم
وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكة وبها انزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي
لما وصل من بغداد الى قلعة الجبل وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بربس بالخلافة فأقام بهامدة ثم تحول منها
الى قلعة الجبل وسكن بمناظر الكبش أيضا الخليفة المستنفي بالله أبو الريح سليمان في أول خلافته وفيها أيضا
كانت ملوك جهاه من بني أيوب تنزل عند قدومهم الى الديار المصرية وأول من نزل منهم فيها الملك المنصور

لما قدم على الملك الظاهر بيبرس في المحرم سنة ثلاث وسبعين وستمائة ومعه ابنه الملك الأفضل نور الدين عليّ
وابنه الملك المنظر تقي الدين محمود فعندما حل بالكبش أتاه الأمير شمس الدين آق سقتر الفارقي بالسماط فذه
بين يديه ووقف كما يفعل بين يدي الملك الظاهر فامتنع الملك المنصور من الرضى بقيامه على السماط وما زال به
حتى جلس ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة انزل بهذه المناظر
نحو ثلثمائة من ممالك الاشرف خليل بن قلاوون عند ما قبض عليهم بعد قتل الاشرف المذكور ثم ان الملك
الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وبنها بناء آخر واجرى
الماء اليها وجتددها عدة مواضع وزاد في سعتها وانشأ بها اصطبلات رطفيه الخيول وعمل زفاف ابنته على ولد
الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر بعدما جهزها جهازا عظيما منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز
ذلك ثمانين ألف مثقال ذهب مصري سوى ما فيه من الحرير وأجرة الصنائع وعمل سائر الاواني من ذهب وفضة
فبلغت زينة الاواني المذكورة ما ينف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهى في هذا الجهاز وبالغ
في الاتفاق عليه حتى خرج عن الخبث في الكثرة فانما كانت اول بناته ولما نصب جهازا بالكبش نزل من قلعة الجبل
وصعد الى الكبش وعائنه ورتبه بنفسه واهتم في عمل العرس اهتماما ملوكا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد
منهم عن الحضور ووقف الامراء الاغانى على مراتبهم من اربع مائة دينار كل أمير الى ما تقي دينار سوى الشقق
الحرير واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل
لكل جوقة من جوق الاغانى اللاتي كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق
الاغانى التي قسم عليهم ثمان جوق من اغاني القاهرة سوى جوق الاغانى السلطانية واغانى الامراء وعدتهن
عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس انعم السلطان
لكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء
والكتاب وغيرهم فكان مهمما عظيما تجاوز المصر وفيه حد الكثرة وسكن هذه المناظر أيضا الامير صرغتمش
في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وعمر الباب الذي هو موجود الآن وبني الحجر اللتين
بجانب باب الكبش بالحدرة ثم ان الامير بليغا العمري المعروف بالخاصكي سكنه الى أن قتل في سنة ثمان وستين
وسبع مائة فسكنه من بعده الامير استدر الى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون
وأمر بهدم الكبش فهدم واقام خرابا لاسا كن فيه الى سنة خمس وسبعين وسبع مائة فحكره الناس وبنوا فيه
مساكن وهو على ذلك الى اليوم * (خط درب ابن البابا) هذا الخط يتوصل اليه من تجاه المدرسة البندقدارية
بجوار حام الفارقي ويسلك فيه الى خط واسع يشغل على عدة مساكن جديلة ويتوصل منه الى الجامع الطولوني
وقناطر السباع وغير ذلك وكان هذا الخط بستانا يعرف ببستان أبي الحسين بن مرشد الطائي ثم عرف ببستان
تامش ثم عرف أخيرا ببستان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب وكان يشرف على بركة الفيل وله دهاليز واسعة
عليها جواسق تنظر الى الجهات الاربع ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما في صفها الى
الصلبية بستان يعرف ببستان الوزير ابن المغربي وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربي ببستان عرف
أخيرا ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النعيمي ويتصل ببستان شجر الدر
بستانين الى حيث الموضع المعروف اليوم بالكارة من مصر ثم ان ببستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم
الدين الغتمى فبنى الناس فيه الدور في الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا
وهو الامير الجليل الكبير جنكلى بن محمد بن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجلي رأس المينة
وكبير الامراء الناصرية محمد بن قلاوون بعد الامير جمال الدين نائب الكرك قدم الى مصر في أوائل سنة أربع
وسبع مائة بعد ما طلبه الملك الاشرف خليل بن قلاوون ورغبة في الحضور الى الديار المصرية وكتب له منشورا
باقطاع جيد وجهزه اليه فلم يتفق حضوره الا في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقامه بالقرب من آمد
فاكرمه وعظمه واعطاه امرأة ولم يزل مكرما معظما وفي آخر وقته بعد خروج الامير أرغون النائب من مصر كان
السلطان يبعث اليه الذهب مع الامير بكتمر الساق وغيره ويقول له لا تبس الارض على هذا ولا تنزله في ديوانك
وكان أولا يجلس رأس المينة ثانيا نائب الكرك فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس جلس الامير جنكلى رأس

المنه وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بآية الامير بذر الدين وما زال معظمه في كل دولة بحيث ان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه الاتاكي الوالدي البدرى وزادت وجهته في أيامه الى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة وكان شكلا مليحا حلما كثير المعروف والجود عفيفا لا يستخدم مملوكا امره بالبنة واقتصر من النساء على امرأته التي قدمت معه الى مصر ومنها اولاده وكان يحب العلم وأهله ويطرح بمسائل علمية ويعرف ريع العبادات ويحجده ويتكلم على الخلاف فيه ويميل الى الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية ويعادى من يعاديه ويكرم أصحابه ويكتب كلامه مع كثرة الاحسان الى الناس بماله وجهه وكان ينسب الى ابراهيم بن أدهم وهو من محاسن الدولة التركية رحمه الله * (حكر الخازن) هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولوفي كان من جملة البساتين ثم صار اصطبل للجوق الذي فيه خيول المماليك السلطانية فلما تسلطن الملك العادل كتبغا اخرج منه الخيول وعمله ميدان يشرف على بركة الفيل في سنة خمس وتسعين وسبعمائة ونزل اليه ولعب فيه بالكرة أيام سلطنته كلها الى أن خلفه الملك المنصور لاجين وقام في الملك من بعده فأهمل أمره وعرفه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتا فعرف من حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس في البناء هناك وأنشأ وفيه الدور الجبلية فصار من أجل الاخطاط وأمرهاوا أكثر من يسكن به الامراء والمماليك * (سنجر الخازن) الامير علم الدين الاشرفي أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وتقل في أيام ابنه الملك الاشرف خليل وصار أحد الخزان فعرف بالخازن ثم ولي شدة الدواوين مع صاحب أمين الدين وانتقل منها الى ولاية الهند ثم الى ولاية القاهرة وشدة الجهات فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ومحبة للستر وتغافل عن مساوى الناس واقالة عنتر ذوى الهيات مع العصبية والمعرفة وكثرة المال وسعة الحال واقتناء الاملاك الكثيرة ثم انه صرف عن ولاية القاهرة بالامير قد ادار في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة فوجد الناس من عزله بقدا ارشدة وما زال بالقاهرة الى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فوجد له أربعة عشر ألف أردب غلة عتيقة وأموال كثيرة وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخازن وخاتناه بالقرافة دفن فيها عفا الله عنه * (ربيع البزادة) هذا الربيع تحت قلعة الجبل بسوق الخيل عمر بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان مكانه لا عمارة فيه فبنى الاجناد بجوار عتده مساكن واستجده وحكرين من جواره فامتدت العمارات الى تربة شجر الدر حيث كان البستان المعروف بشجر الدر وهناك الآن سكن الخلفاء وامتدت العمارات من تربة شجر الدر الى المشهد النفيسى ومزوا من تجاه المشهد بالعمائر الى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة * (خط قناطر السباع) كان هذا الخط في اول الاسلام يعرف بالجرأ نزل فيه طائفة تعرف ببني الازرق وبني رويل ثم دثرت هذه الخطة وبقيت صحراء فيها ديارات وكأئس للنصارى تعرف بكأئس الجراء فلما زالت دولة بني أمية ودخل أصحاب بني العباس الى مصر في سنة اثنين وثلاثين ومائة نزلوا في هذه الخطة وعمر واجها فصار تتصل بالعسكر وقد تقدم خبر العسكر في هذا الكتاب فلما خرب العسكر وصار هذا المكان بساتين وغيرها الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية وأنشأ ميدان المهاري والزربية والربعين بجوار الجامع الطيرسي على شاطئ النيل بنى الناس في حكر أقبغا واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبعمائة * (بئر الوطاويط) هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن خنابة لينقل منها الماء الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بخط الجراء وكتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لله الامر من قبل ومن بعده وله الشكر وله الحمد ومنه المنى على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر ابن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسها وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدل بنى من مائه ولا ينقل ولا يطل ولا يساق الا الى حيث يحجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما سمعه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك في سنة خمس وخمسين وثمانمائة وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم فلما طال الامر خربت السقايات والى اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات وبني فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط

ولما اكثرت الناس من بناء الاماكن في ايام الناصر محمد بن قلاوون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم بخط
بئر الوطاط ويط وهو خط عامر فهذا ما في جهة الخليج مما خرج عن باب زويلة * وأما جهة الجبل فانها كانت عند
وضع القاهرة صحراء وأول من أعلم انه عمر خارج باب زويلة من هذه الجهة الصالح طلائع بن رزيق فانه انشأ
الجامع الذي يقال له جامع الصالح ولم يكن بين هذا الجامع وبين هذا الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل بناء
البنية الا أن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه مقبرة فيما بين جامع الصالح وبين هذا الشرف من حين بنيت
الحارات خارج باب زويلة فلما عمرت قلعة الجبل عمر الناس بهذه الجهة شيئا بعد شيء وما برح من بني هذا الجبل
عند الحفر رم الاموات وقد صارت هذه الجهة في الدولة التركية لاسيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من
اعمر الاخطاط وانشأ فيها الامراء الجوامع والدور والموكية وتجددت هناك عدة اسواق وصار الشارع
خارج باب زويلة يفصل بين هذه الجهة وبين الجهة التي من - في الخليج وكتاهاتين الجهتين الآن عامرة وفي جهة
الجبل خط البسطيين وخط الدرب الاحمر وخط سوق الغنم وخط جامع المارديني وخط التبانة وخط
باب الوزير وخط المصنع وخط سويقة العزى وخط مدرسة الجاني وخط الرملة وخط القبيبات وخط
باب القرافة

* (ذكر خارج باب الفتوح)

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كله بساتين وتمتد البساتين من الخندق بحافتي الخليج الى
عين شمس فيقابل باب الفتوح من خارجه المنطرة المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للخلفاء من هذا
الكتاب وبلى هذه المنطرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشي اقله من عند زقاق الكحل الى المطرية
ويقابله في بئر الخليج الغربي بستان آخر يتوصل اليه من باب القنطرة وينتهي الى الخندق وقد ذكر خبر هذين
البساتين عند ذكر مناظر الخلفاء وكان بين هذين البساتين بستان الخندق وكان على حافة الخليج من شرفه
فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث الموضع التي تعرف اليوم ببركة جنناق وبالكداسين الى قريب من حارة
بهاء الدين حارة تعرف بمحارة البيازرة اختطت في نحو من سنة عشرين وخمسمائة وكانت مناظرها تشرف على
الخليج وبجوارها بستان مختار الصقلي وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حكر وبنيت فيه المساكن
الكثيرة بعد ذلك وكان أيضا خارج باب الفتوح حارة الحسينية وهم الریحانية احدى طوائف عسكر الخلفاء
الفاطميين وهذه الحارة اختطت بعد الشدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر فصارت على عين من
خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج ويقابلها حارة أخرى تنتهي الى بركة الارمن التي عند الخندق وتعرف
اليوم ببركة قراجا وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظواهرها من هذا الكتاب

* (ذكر الخندق)

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف أولا بمنية الاصمغ ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر
المغاربة أن يحفروا الخندق فامر جهة الشام من الجبل الى الابلية عرضه عشرة اذرع في عمق مثلها فبدي به يوم
السبت حادي عشر شعبان سنة ستين وثلاثمائة وفرغ في ايام يسيرة وحفر خندقا آخر قد اتمه وعمقه ونصب
عليه باب يدخل منه وهو الباب الذي كان على ميدان البستان الذي للاخشيد وقصد أن يقاتل القرامطة من
وراء هذا الخندق فقبل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة ثم صار بستانا جليلا من جلة البساتين
السلطانية في ايام الخلفاء الفاطميين وأدركها من منتهى القاهرة البهجة الى أن خربت * قال ابن عبد الحكم
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اقطع ابن سندر منية الاصمغ فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا
يحيى بن خالد عن الليث بن سعد رضي الله عنه ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقطع أحدا من الناس
شيئا من أرض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه منية الاصمغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصمغ بن عبد العزيز
من ورثته فليس بمصر قطعة اقدم منها ولا افضل وكان سبب اقطاع عمر رضي الله عنه ما اقطعه من ذلك كما حدثنا
عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه كان زبائع بن روح الجذامي غلام
يقال له سندر فوجده يقبل جارية له فحببه وجده فادعاه فأتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الي
زبائع فقال لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون فان رضيت

فأمسكوا وان كرهتم فيه عوا ولا تعذبوا أخلق الله ومن مثله أو أحرق بالنار فقهو حتر وهو مولى الله ورسوله فأعتق
سندر فقال أوصني يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصي بك كل مسلم فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتى سندر أبا بكر رضي الله عنه فقال احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه
أبو بكر رضي الله عنه حتى توفي ثم أتى عمر رضي الله عنه فقال احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر رضي الله عنه نعم ان رضيت أن تقيم عندي اجريت عليك ما كان يجري عليك أبو بكر رضي الله
عنه والا فانظر أي موضع اكتب لك فقال سندر مصر لانها أرض ريف فكتب له إلى عمرو بن العاص احفظ
فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم إلى عمرو رضي الله عنه أقطع له أرضا واسعة ودارا فجعل سندر
يعيش فيها فلما مات قبضت في مال الله تعالى قال عمرو بن شعيب ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الاصم
بعد فمهي من خير أموالهم قال ويقال سندر وابن سندر وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصى مولى
زباع بن روح بن سلامة الجذامي يكنى أبا الاسود له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بالوصية فأقطع منية الاصم بن عبد العزيز روى عنه أهل مصر حديثين روى عنه يزيد بن
عبد الله البرقي وربيعة بن لقيط التميمي ويقال سندر الخصى وابن سندر ثبت توفي بمصر في أيام عبد العزيز
ابن مروان ويقال كان مولاه ووجه يقبل جارية له فحببه ووجدع انفه واذنيه فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشكا ذلك إليه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زباع فقال لا تحملوهم يعني العبيد ما لا يطيقون
رأطهم وهم مما نأكلون فذكر الحديث بطوله وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر أنه ادرك مسروح بن سندر
الذي جدعه زباع بن روح وكان جدّه لأمّه فقال كان رجلا تغذي معي بموضع من قرية عثمان واسمها سمسم وكان
لابن سندر إلى جانبها قرية يقال لها قلون قطيعة وكان له مال كثير من رقيق وغير ذلك وكان ذا دهاء منكرا جسيما
وعمر حتى ادرك زمان عبد الملك بن مروان وكان لروح بن سلامة ابني زباع فورثه أهل التعدد بروح يوم مات
وقال القاضي مسروح بن سندر الخصى ويكنى أبا الاسود له صحبة ويقال له سندر دخل مصر بعد الفتح
سنة اثنتين وعشرين وقال الكندي في كتاب الموالى قال أقبيل عمرو بن العاص رضي الله عنه يوم ما سير
وابن سندر معه فكان ابن سندر ونفر معه يسرون بين يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه وأتوا الغبار فجعل
عمرو وعامة على طرف انفه ثم قال اتقوا الانبار فانه او شئت شي دخولا وأبعده خروجا واذا وقع على الرنة صار
نسمة فقال بعضهم لا ولتلك نفر تنفوا ففعلوا الا ابن سندر فقبل له ألا تنجي يا ابن سندر فقال عمرو ودعوه فان
غبار الخصى لا يضر فسمعها ابن سندر فغضب وقال أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتني فقال عمرو يغفر الله
لك انا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر لقد علمت اني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوصي بي
فقال أوصي بك كل مؤمن وقال ابن يونس اصم بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم يكنى أبا ريان حكى عنه
أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافري وعون بن عبد الله وغيره توفي ليلة الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الآخر
سنة ست وثمانين قبل أبيه وقال أبو الفرج علي بن الحسين الاصماني في كتاب الاغانى الكبير عن الرياشي
انه قال عن سكيبة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ان أبا عذرتا عبد الله بن الحسن بن علي
ثم خلفه عليهما العثماني ثم مصعب بن الزبير ثم الاصم بن عبد العزيز بن مروان قال وكان يتولى مصر فكتب
إليه سكيبة ان مصر أرض وحة فبني لها مدينة تسمى بمدينة الاصم وبلغ عبد الملك تزوجه اياها فانفس بها
عليه وكتب اليه اخبر مصر او سكيبة فبعث اليه بطلاقها ولم يدخل بها وتمعها بعشرين ألف دينار قلت في هذا
الخبر أو هام منها أن الاصم لم يل مصر وانما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان ومنها أن الذي بناه الاصم
لسكيبة منية الاصم هذه وليست مدينة ومنها أن الاصم لم يطلق سكيبة وانما مات عنها قبل أن يدخل عليها
وقال ابن زولاق في كتاب اتمام كتاب الكندي في أخبار امراء مصر وفي شوال يعني من سنة ستين وثمانية
كثرا لارجاف بوصول القرامطة إلى الشام ورئيسهم الحسن بن محمد الاعسم وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل
جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق ولما قتل ملك القرامطة دمشق وصاروا إلى الرملة فالتحازم عاذ بن
حيان إلى ياقم حصنها وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقا وعمل عليه بابا
ونصب عليه بابي الحديد الذين كانوا على ميدان الاخشيدي وبني القنطرة على الخليج وحفر خندق السري بن

قوله وكان لروح الخ هكذا
في النسخ وفي بعض اهل
اليعد بالتحية وانظر
ما معنى هذه العبارة اه

الحكم وفترق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان وأنفذ إلى ناحية الحجاز فتعرف خبر القرامطة وفي ذي الحجة كبس القرامطة القلزم وأخذوا وإليها ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة وفي المحرم بلغت القرامطة عين شمس فاستعدت جوهر للقتال لعشرين بقين من صفر وغلقت أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج إليه وأن يخرج الاشراف كلهم فخرج إليه أبو جعفر مسلم وغيره بالماضرب وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم الجمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الأحد للقتال وسار الحسن الاعسم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل خلق كثير ثم ولي الاعسم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الاعسم بالحب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف في الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طي كثيرا من سواده وهو مشغول بالقتال وكان جميع ما جرى على القرطبي بتدبير جوهر وجوائز انفعدها ولو أراد أخذ الاعسم في انهرامه لا خذه ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحملة والمكيدة وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء في المدينة من جاء بالقرطبي أو برأسه فله ثلثمائة ألف درهم وخمسون خلة وخمسون سرجا محلى على دوايها وثلاث جوائز ومدح بعضهم القائد جوهر بأبيات منها

كان طراز النصر فوق جبينه * بلوح وارواح الوري يمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة ومنها فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاختشيدية فقبض جوهر على نحو الالف منهم ومجنهم مقيدون وقال ابن زولاق في كتاب سيرة الامام العز الدين الله ومن خطه نقلت وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة ثلث وستين وثلاثمائة بسطت المغاربة في نواحي القرافة والمغائر وما قاربها فتزلوا في الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة فخرج الناس واستغاثوا بالمعز فأمرهم أن يسكنوا نواحي عين شمس وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التي ينزلون فيها وأمر لهم بمال ينون به وهو الموضع الذي يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد وجعل لهم واليا وقاضيا ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين لاهل مصر ولم يكن القائد جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت بها وحظر ذلك عليهم وكان مناديه ينادى كل عشية لا يبيت أحد في المدينة من المغاربة وقال يا قوت منية الاصمغ نسب الى الاصمغ ابن عبد العزيز بن مروان ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم وزعموا انها القرية المعروفة بالخندق قرب بام شرق القاهرة وقال ابن عبد الظاهر الخندق هو منية الاصمغ وهو الاصمغ بن عبد العزيز بن مروان قال مؤلفه رحمه الله وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفزه العزيز بالله وإنما احتفزه جوهر كما تقدم وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز النام من القاهرة إليها لتزورها في أيام النيل والربيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساكن عامرة بالخيول والفروا والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعها الى جامع الحسينية وبقي معطلا من ذكر الله تعالى واقامة الصلاة مدة ثم في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة تهدمه الامير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه فلم يبق الا بقية أطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنات لكون الريش وكانت تجاهها من شرقها فخر بنا جميعا * (صحراء الاهليلج) هذه البقعة شرق الخندق في الرمل واليها كانت تنتهي عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الاهليلج الهندي فعرفت بذلك وأظن أن هذا الاهليلج كان من جملة بستان ريدان الذي يعرف اليوم موضعه بالريديانية

* (ذكر خارج باب النصر) *

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه عند موضع القائد جوهر القاهرة كان فضاء ليس فيه سوى مصلى العيد الذي بناه جوهر وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه وما برح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان الذي يعرف اليوم بالريديانية لا عمارة فيه الى أن مات أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة سبع وثمانين واربعمائة

واربعه اثة فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى وبني على قبره تربة جليلة وهى باقية الى اليوم هنالك قنبايع
بناء التراب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الخبيوشية والريديانية وقبر الناس موتاهم هنالك لاسيما
أهل الحارات التى عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية وهى الريديانية وحارة البراذرة وغيرها ولم تزل هذه
الجهة مقبرة الى ما بعد السبع مائة بمدة فرغب الامير سيف الدين الحاج ال ملك فى البناء هناك وانشا الجامع
المعروف به فى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة وعمر دارا وحاما فاقتدى الناس به وعمروا هناك وكان قد بنى تجاه
المصلى قبل ذلك الامير سيف الدين كهر داس المنصورى دارا تعرف اليوم بدار الحاجب فسكن فى هذه الجهة
امراء الدولة وعملوا فيما بين الريديانية والخذق مناخات الجمال وهى باقية هناك فصارت هذه الجهة فى غاية
العمارة وفيها من باب النصر الى الريديانية سبعة اسواق جليلة يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت كثيرة
فمنها سوق اللفت وهو تجاه باب بيت الحاجب الا ان عند البئر كان فيه من جانيه حوانيت يباع فيها اللفت ومن
هذا السوق يستترى أهل القاهرة هذا الصنف والكرب وتعرف هذه البئر الى اليوم ببئر اللفت ويليه اسويقة
زاوية الخدام وادركت بهذه السويقة بقية صالحه ويلى ذلك سوق جامع ال ملك وكان سوقا عامرا فيه غالب
ما يحتاج اليه من المأككل والادوية والفواكه والخضر وغيرها وأدركته عامر اويليه سويقة السناطة عرفت
بقوم من أهل ناحية سباط سكنوا بها وكانت سوقا كبيرا وأدركته عامر اويلها سويقة أبى ظهير وادركتها
عامر اويلها سويقة العرب وكانت تتصل بالريديانية وتشتمل على حوانيت كثيرة جدا أدركتها عامر اويلها
فيها سكان وكانت كاهن من لبن معقود عقودا وكان باقول سويقة العرب هذه فرن ادركته عامر اهلها بلغنى انه
كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وما حوله كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف وكان من وراء هذا السوق
احواش فيها قباب معقودة من لبن ادركتها فائمة وليس فيها سكان وكان من جملة هذه الاحواش حوش فيه
اربعمائة قبة يسكن فيها البراذرة والمكارية اجرة كل قبة درهمان فى كل شهر فيتحصل من هذا الحوش
فى كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم فضة وكان يعرف بحوش الاحمدى فلما كان الغلاء فى زمن الملك الاشرف شعبان
ابن حسين سنة سبع وسبعين وسبع مائة خرب كثير مما كان بالقرب من الريديانية واختلت احوال هذه الجهة
الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة قتلاشت وهدمت دورها وبيعت أنقاضها وفيما بقيت آتلة الى الدور

* (الريديانية) *

كانت بستانا لريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص
بالحاكم ثم قتله فى يوم الثلاثاء لعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وريدان ان كان اسماعيل يافانه
من قولهم ريح ريبة وريادة وريديانة أى لينة الهبوب وقيل ريح ريبة كثيرة الهبوب

* (ذكر الخيلان التى بظاهر القاهرة) *

اعلم أن الخليج جمع خيلان وهو من صغير يختلج من نهر كبير او من مجرى وأصل الخيل الانتزاع خلجت النوى من النوى
اذا انتزعت وبأرض مصر عدة خيلان منها بظاهر القاهرة خليج مصر وخليج فم الخور وخليج الذكور وخليج
الناصرى وخليج قطرة الفخر وسترى من أخبارها ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى

* (ذكر خليج مصر) *

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر ويمر من غربى القاهرة وهو خليج قديم احتفزه بعض قدماء ملوك مصر
بسبب هاجرام اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم حين اسكنها وابنها اسماعيل
خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بمكة ثم تبادت الدهور والاعوام فجدد حفره نابيا بعض من ملك
مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما جاء الله سبحانه بالاسلام وله الحمد والمنة وفتحت أرض مصر على يد عمرو
ابن العاص جدده حفره بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم
فتسير فيه السفن الى البحر الملح وتترى فى البحر الى الحجاز واليمن والهند ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن عبد
الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب بالمدينة النبوية والخليفة حينئذ بالعراق أبو جعفر عبد الله بن محمد
المنصور فكتب الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم حتى لا تتحمل الميرة من مصر الى المدينة قطعه وانقطع

من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على ما هو عليه الآن وكان هذا الخليج أو الخليج يعرف بخلج مصر فلما انشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا الخليج من شريقه صار يعرف بخلج القاهرة وكان يقال له أيضا خليج أمير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه الذي اشار بتجديد حفره والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم أن الحاكم بأمر الله أباع على منصور الاحتقره وليس هذا بصحيح فقد كان هذا الخليج قبل الحاكم بمدة متطاولة ومن العامة من يسميه خليج اللؤلؤة أيضا * وسأقص عليك من أخبار هذا الخليج ما وقعت عليه من الانباء * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في أخبار طيطوس بن مالبان كلكن بن خربان مالبق بن تدراس بن صابن مرقونس بن صابن قبطيم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح وجلس على سرير الملك بعده مالبان وكان جبارا جريا شديدا لباس مهابا فدخل عليه الاشراف وهنوه ودعوا له فأمرهم بالاقبال على مصالحهم وما يعينهم ووعدهم بالاحسان والقبض تزعم انه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وان الفراعنة سبعة هـ واولهم وأنه استخف بأمر الهياكل والكهنة وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه أن ابراهيم لما فارق قومه اشفق من المقام بالشام لثلاثيته قومه ويردوه الى النمرود لانه كان من أهل كوثا من سواد العراق فخرج الى مصر ومعه سارة امرأته وترك لوطا بالشام وسار الى مصر وكانت سارة احسن نساء وقتها ويقال ان يوسف عليه السلام ورث جزأ من جمالها فلما سار الى مصر رأى الحرم المقيوم على أبواب المدينة سارة فمحبوا من حسنها ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك وقالوا دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة لم يرا احسن منها ولا اجل فوجه الملك الى وزيره فأحضر ابراهيم صلوات الله عليه وسأله عن بلده فأخبره وقال ما هذه المرأة منك فقال اخي فعرف الملك بذلك فقال مره أن يجئني بالمرأة حتى أراها فترقه ذلك فامتنع منه ولم تمكنه مخالفته وعلم أن الله تعالى لا يسوؤه في أهله فقال لسارة قومي الى الملك فانه قد طلبك مني قالت وما يصنع في الملك وما رأي قبل قال أرجو أن يكون خير فقامت معه حتى أتوا قصر الملك فأدخلت عليه فنظر منها منظر اراءه وقتته فأمر باخراج ابراهيم عليه السلام فأخرج وندم على قوله انها اخته وانما أراد انها اخته في الدين ووقع في قلب ابراهيم عليه السلام ما يقع في قلب الرجل على أهله وتغنى انه لم يدخل مصر فقال اللهم لا تفضح نبيل في أهله فراودها الملك عن نفسها فامتنت عليه فذهب لمتديده اليها فقالت انك ان وضعت يدك على اهلك نفسك لان لي رباً يعني منك فلم يلتفت الى قولها ومتديده اليها خفت يده وبقى حائراً فقال لها أري لي عني ما قد أصابني فقالت على أن لا تعاود مثل ما أتيت قال نعم فدعت الله سبحانه وتعالى فزال عنه ورجعت يده الى حالها فلما وثق بالصحة راودها ومناها ووعدا بالاحسان فامتنت وقالت قد عرفت ما جرى ثم مدت يده اليها خفت وضربت عليه اعضاؤه وعصبه فاستغاث بها وأقسم بالآلهة انها ان أزالته عنه ذلك فانه لا يعاودها فسألت الله تعالى فزال عنه ذلك ورجع الى حاله فقال ان لك رباً عظيماً لا يضيعك فأعظم قدرها وسألها عن ابراهيم فقالت هو قريبي وزوجي قال فانه قد ذكر انك اخته قالت صدق انا اخته في الدين وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا قال نعم الدين دينكم ووجه به الى ابنته جور يا وكأنت من الكمال والعقل يمكن كبير فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها فكانت تعظمها وأضافتها أحسن ضيافة وهبت لها جوهر او مالا فأتت به ابراهيم عليه السلام فقال لها ردي فلا حاجة لنا به فردته وذكر ذلك جور يا لا يهابها فمجب منها وقال هذا كريم من أهل بيت الطهارة فحبل في بئر هياكل حيلة فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى يقال لها آجر وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام وجعلت لها سلالا من الجلود وجعلت فيها زاداً وحلوى وفات يكون هذا الزاد معك وجعلت تحت الحلوى جوهرات نفيسة وحيلاً مكملاً فقالت سارة اشاور صاحبي فأنت ابراهيم عليه السلام واستأذنته فقال اذا كان مأكولاً فخذيه فقبلته منها وخرج ابراهيم فلما مضى وأمعنوا في السير اخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابها الجوهر والحلى فعرفت ابراهيم عليه السلام ذلك فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفقر بعضه في وجوه البر وكان يضيف كل من مر به وعاش طيطوس الى أن وجهت هاجر من مكة فعرفه انها يمكن جذب وتستغيثه فأمر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرقى السفن في البحر الملح فكان يحمل اليها الخنطة واصناف الغلات فتصل الى جنة وتحمل من هناك على المظايا فآحي بلداً المجازمة ويقال انما حليت الكعبة في ذلك العصر مما اهداه ملك مصر

وقيل انه لكثرة ما كان بحمله طوطيس الى الجواز سجنه العرب وجرحهم الصادوق ويقال انه سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده فدعا بالبركة لمصر وعرفه أن ولده سيملكها ويصير أمرها اليهم قرن بعد قرن * وطوطيس أول فرعون كان بمصر وذلك انه أكثر من القتل حتى قتل قرياته وأهل بيته وبنى عمه وخدمه ونسائه وكثيرا من الكهنة والحكماء وكان حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنته جوريا أو جورياق وكانت حكمة عاقلة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فأبغضته ابنته وأبغضه جميع الخاصة والعامة فلما رأته أمه من يده خافت على ذهاب ملكهم فسمته وهلك وكان ملكه سبعين سنة واختلفوا فيمن يملك بعده وأراد أن يقيموا أحدا من ولدا تريب فقام بعض الوزراء ودعا لجورياق فتم لها الأمر وملكته فهذا كان أول أمر هذا الخليج * ثم حفره مرة ثانية ادریان قيصر أحد ملوك الروم ومن الناس من يسميه اندريانوس ومنهم من يقول هوريانوس قال في تاريخ مدينة رومة وولي الملك ادریان قيصر أحد ملوك الروم وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وهو الذي درس اليهود مرة ثانية اذ كانوا رماوا النفاق عليه وهو الذي جدد مدينة يروشالم يعني مدينة القدس وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى ايليا وقال علماء أهل الكتاب عن ادریان هذا وغزا القدس وأخربها في الثانية من ملكه وكان ملكه في سنة تسع وثلاثين واربع مائة من سنى الاسكندر وقتل عامة أهل القدس وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليه هذه مدينة ايليا ويسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود ثم سار من القدس الى بابل فخارب ملكها وهزمه وعاد الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر القلزم وسارت فيه السفن وبقي رسمه عند الفتح الاسلامي فحفره عمرو بن العاص وأصاب أهل مصر منه شدا وأزهمهم بعبادة الاصنام ثم عاد الى بلاده بمالك الروم فابتنى عرض اعبي الاطباء فخرج يسير في البلاد يتبع من يداويه فخر على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للتصاري فأمر ببناء المدينة وحصنها واعاد اليها اليهود فأما واهبها وملكوا عليهم رجلا منهم فبلغ ذلك ادریان قيصر فبعث اليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات أكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة وأخرب المدينة حتى صارت تلالا لا عمار فيها البتة وتتبع اليهود يري أن لا يدع منهم على وجه الارض أحدا ثم أمر طائفة من اليونانيين فقتلوا الى مدينة القدس وسكنوا فيها فكان بين خراب القدس الخراب الثاني على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخسون سنة فعمرت القدس باليونان ولم يزل قيصر هذا يملكها حتى مات فهذا خبر حفر هذا الخليج في المرة الثانية فلما جاء الاسلام جدد عمرو بن العاص حفره * قال ابن عبد الحكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضى الله عنه حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة الرمادة فيكتب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام أما بعد فله عري يا عمرو ما بالي اذا شبت انت ومن معك أن اهلك أنا ومن معي فيا غوثاه ثم يا غوثاه يرد ذلك فكتب اليه عمرو بن عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين أما بعد فيا ليك ثم يا ليك قد بعث اليك بعير أوها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورجة الله وبركاته فبعث اليه بعير عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضهم بعضا فلما قدمت على عمر رضى الله عنه وسع بها على الناس ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس فدفعوا الى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ويأتدوا بالحمه ويحتذوا بجلده ويتفعلوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام فيما أرادوا ومن لحاف أو غيره فوسع الله بذلك على الناس فلما رأى ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجاعة من أهل مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام وقد اتى في روى لما احببت من الرقيق باهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم وجميع المسلمين أن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر فهو أسهل لما تريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة فان حمله على الظهر يبعد ولا يبلغ به ما تريد فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فقتل ذلك عليهم وقالوا نتقوف أن يدخل من هذا ضرر على مصر فرى أن نعلم ذلك على أمير المؤمنين ونقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نحمد اليه سبيلا فرجع عمرو بذلك الى عمر ففتحك عمر رضى الله عنه حين رآه وقال

والذى نفسى بيده لكان فى النظر اليك يا عمرو والى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فقتل ذلك عليهم
وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر فرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل
ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فنجب عمرو من قول عمرو وقال صدقت والله يا أمير المؤمنين لقد كان الامر على ما ذكرت
فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجتد في ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه ان شاء الله
تعالى فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج في حاشية القسطنطينية الذى يقال له
خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما اراد من الطعام
الى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين ومضى خليج أمير المؤمنين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى
حل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فتركه وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه الى ذنب
التمساح من ناحية بطحاء القلزم قال ويقال ان عمر رضى الله عنه قال لعمر وحين قدم عليه يا عمرو ان العرب
قد تشامت بى وكادت أن تغلب على رحلى وقد عرفت الذى اصابها وليس جند من الاجناد ارجى عندي
أن يغيب الله بهم أهل الحجاز من جندك فان استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيبهم الله تعالى فقال عمرو
ما شئت يا أمير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فما فتحنا مصر انقطع
ذلك الخليج واستدبر تركه التجار فان شئت أن نحفره فنشئ فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز ففعله فقال
عمر رضى الله عنه نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ذلك (رؤساء أهل أرضه
من قبط مصر فقالوا له ماذا جئت به اصلى الله الامير تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه
فان استطعت فاستقل من ذلك فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له يا عمرو وانظر الى ذلك الخليج ولا تنسين حفره فقال
له يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظيمة فقال له أما الذى نفسى بيده انى لا نملك حين خرجت
من عندي حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال
عمرو يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال فانى
سأجعل من ذلك أمر الا يحمل فى هذا البحر الارزق أهل المدينة وأهل مكة فحفره عمرو وعالجوه وجعل فيه السفن
قال ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص الى العاصى ابن العاصى فانك لعمرى
لا تسالى اذا سمعت انت ومن معك أن اعجف انا ومن معى فيا غوثاه ويا غوثاه فكتب اليه عمرو وأما بهد فيا ليبيك ثم
بالبيك انتك غير اولها عندك وآخرها عندى مع انى ارجو أن اجد السبيل الى أن اهل اليك فى البحر ثم ان عمرا
ندم على كتابه فى الجبل الى المدينة فى البحر وقال ان امكنت عمر من هذا خرب مصر وقلها الى المدينة فكتب
اليه انى تطرت فى أمر البحر فاذا هو عسر ولا يلتم ولا يستطاع فكتب اليه عمر رضى الله عنه الى العاصى ابن
العاصى قد بلغنى كتابك تعطل فى الذى كنت كتبت الى به من أمر البحر وايم الله لتفعلن اول قلن بأذنك ولا بعث
من يفعل ذلك فعرف عمرو أنه الجند من عمر رضى الله عنه ففعل فبعث اليه عمر رضى الله عنه أن لا تدع بمصر شياً
من طعامها وكسوتها وبصلها واعدتها واخلها الا بعثت اليها منه قال ويقال ان الذى دل عمرو بن العاص على
الخليج رجل من القبط فقال لعمر ورايت ان دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنهى الى مكة والمدينة اتضع
عن الجزية وعن أهل بيتي قال نعم فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه أن افعل فلما قدمت
السفن خرج عمر رضى الله عنه حاجاً ومعه قرا فقال للناس سيروا بنا تنظروا الى السفن التى سيرها الله تعالى اليها من
أرض فرعون حتى أتتنا فى الجار وقال اغسلوا من ماء البحر فانه مبارك فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام
صك عمر رضى الله عنه للناس بذلك الطعام صكوكا فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها فلحق عمر بن
الخطاب رضى الله عنه العلاء بن الاسود رضى الله عنه فقال كم ربح حكيم بن حزام فقال اتباع من صكوك الجار
بمائة ألف درهم وربح عليها مائة ألف فلقبه عمر رضى الله عنه فقال له يا حكيم كم ربحت فأخبره بمثل خبر العلاء
قال عمر رضى الله عنه فبعته قبل أن تقبضه قال نعم قال عمر رضى الله عنه فان هذا يسع لا يصح فارده فقال
حكيم ما علمت أن هذا يسع لا يصح وما اقدر على رده فقال عمر رضى الله عنه لا بد فقال حكيم والله ما اقدر على
ذلك وقد تفرق وذهب ولكن رأس مالى وربحى صدقة وقال القضاة فى ذكر الخليج أمر عمر بن الخطاب رضى
الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذى بجاشية القسطنطينية الذى يقال له خليج أمير المؤمنين

فساقه من النيل الى القلزم فلم يات عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين فسمي خليج امير المؤمنين * وذكر الكندي في كتاب الجند العربي أن عمرا حفره في سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه في ستة اشهر وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز في الشهر السابع ثم بنى عليه عبدالعزيز بن مروان قنطرة في ولايته على مصر قال ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حل فيه عمر بن عبد العزيز ثم اضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغاب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى ذنب التماسيح من ناحية بطحاء القلزم وقال ابن قديد أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام فسدت الى الآن وذكر البلاذري أن اباجعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال يكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين فانهم في مثل الحرجة اذ لم تأتهم الميرة من مصر * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج وهذا الخليج هو الذي حفره عمرو بن العاص لما ولي على مصر في ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بحر فسطاط مصر الحلو والحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح فكانت مساقته خمسة ايام لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر في ايام النيل فالمرأب النيلية تفرغ ما تحمله من ديار مصر بالقلزم فاذا فرغت حلت ما في القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر وكان مسلكا للتجار وغيرهم في وقته المعلوم وكان اقل هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارح المسلول منه اليوم الى القاهرة حافا بالقربوس الذي على البستان المعروف بابن كيسان مادا وآثاره اليوم مادة باقية الى الحوض المعروف بسيف الدين حسين صهر ابن رزيق والبستان المعروف بالمشتهى وفيه آثار المنطرة التي كانت معدة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ولم تكن الا كد المبنية على الخليج ولا ثبتي منها هناك وما برح هذا الخليج منتزعا لاهل القاهرة يعبرون فيه بالمرأب للذهاب الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف الآن بالخليج الناصري * قال المسيحي وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة احدى وأربع مائة منع الحاكم بأمر الله من الركوب في القوارب الى القاهرة في الخليج وشدد في المنع وسدت أبواب القاهرة التي يتطرق منها الى الخليج وأبواب الطاقات من الدور التي تشرف على الخليج وكذلك أبواب الدور والنوخ التي على الخليج * قال القاضي الفاضل في متجددات حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة ونهى عن ركوب المتفرجين في المراكب في الخليج وعن اظهار المنكر وعن ركوب النساء مع الرجال وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفي يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر في هذه المدة من المنكرات ما لم يعهد في مصر في وقت من الاوقات ومن الفواحش ما خرج من الدور الى الطرقات وجرى الماء في الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة في الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذوالباطلة في مراكب في نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهن المزاهر يضربن بها وتسمع اصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاوهن من الرجال معهن في المراكب لا يمنعون عنهن الايدي ولا الابصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئا من اسباب الانكار وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من المعاقبة * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفي سنة ست وسبع مائة رسم الاميران بيبرس وسلار جميع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكبي والتفرج فيه بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات الا اني تجمع الخمر والآلات الملامى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأغزينة من كوا في الزركش والقنابيز والخلي العظيم وبصرف على ذلك الاموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوران لمتولي الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور الا ما كان فيه غلة أو متجرا أو ما تناسب ذلك فكان هذا معدودا من حسناتهما ومسطورا في صحائفهما قال مؤلفه رحمه الله تعالى اخبرني شيخ معمر ولد بعد سنة سبع مائة يعرف بمحمد السعودي انه ادرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للذهاب وانها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورأيتها والا ن لا يمر بهذا الخليج من المراكب الا ما يحمل متاعا من متجرا ونحوه وصارت مراكب التزهة والتفرج انما تمر في الخليج الناصري فقط وعلى هذا الخليج الكبير في زماننا هذا أربع عشرة قنطرة باقى ذكرها ان شاء الله تعالى في القناطر وحاقا هذا الخليج الا ان معورتان بالدور وسأني ان شاء الله ذكر ذلك في مواضعه من هذا الكتاب وقال ابن سعد وفيه خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

ما زالت الانحاء تأخذه * حتى غدا كذوابة النجم

وقلت في نور الكنان الذي على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكنان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق

قد سلّ سيفاً عليه لاهباً شطب * فقا بلته بأحد اق بها ارق

واصبحت في يد الارواح تسجها * حتى غدت حلقاً من فرقها حلق

فقم نزرها ووجه الارض متضخ * أو عند صفرة ان كنت تغتبق

قال وقد ذكر مصر ولا ينكر فيها اظهاراً وانى انجرو ولا الات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر

ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة

فرايت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان وهو ضيق

وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والجمانة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون

العبور به في مركب والسرج في جانبيه بالليل منظر قتان وكثيراً ما يتفرج فيه أهل السترو في ذلك اقول

لا تركبن في خليج مصر * الا اذا يسدل الظلام

فقد علمت الذي عليه * من عالم كاهنهم طعام

صفان للحرب قد اظلا * سلاح ما ينهم كلام

يا سيدي لا تسر اليه * الا اذا هم قوم النيام

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام

والسرج قد بددت عليه * منها دنائير لا ترام

وهو قد امتد والمباقي * عليه في خدمة قيام

لله لكم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المامون ان اول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المامون

ابن البطائحي وكذلك على أصحاب البساتين في دولة الافضل وجعل عليه واليا بغيره ولله در الاسعد بن خطير

المما في حيث يقول

خليج كالحسام له ميقال * ولكن فيه للرأي مسرته

رأيت به الملاح تجبد عوما * كأنهم نجوم في مجمره

وقال بهاء الدين أبو الحسن علي بن الساعاتي في يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسنين يدع المسرفي والمسموع

كم لديه من ليل غاب صول * ومهارة مثل الغزال المروع

وعلى السدة عزة قبل أن تمسلكه ذلة الحب الخضوع

كسر واجسره هناك فخاكي * كسر قلب يتلوه فيض دموع

* (ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر) *

قال ابن سيده في كتاب المحكم في اللغة الخور مصب الماء في البحر وقيل هو خليج من البحر والخور المطمئن من

الارض وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب في الخليج الناصري ليقوى جري الماء فيه ويفزره

وكان قبل أن يحفر الخليج الناصري يمد خليج الذكر وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذي عرف

بالمقسي ثم وسع قال ابن عبد الظاهر وكان يخرج من البحر بالمقسي الماء في البرامح فوسعه الملك الكامل وهو خليج

الذكر ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشدي فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر بن

الحاكم وجعله بركة قدام المنطرة المعروفة بالؤلؤة صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج وكان يقع هذا الخليج

قبل الخليج الكبير ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره فحفر

واوصل بالخليج الكبير وشرع الامراء والجند في حفره من اخريات جادى الاسخرة فلما فتح كادت القاهرة

أن تفرق فسدت القنطرة التي عليه فهدمها الماء ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصري. وانا ادرى كنت آثاره وفيه بنيت القصب المسمى بالفارسي "وأخبرني الشيخ المعبر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزوري" انه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء وسبح فيه غير مرة وأراني آثاره وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الذكة الا أني ذكرها في القناطر ان شاء الله تعالى وعلى خليج فم الخور الا أن قنطرة وعلى خليج الذكر قنطرة باقى ذكرهما ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر واتما قبل له خليج الذكر لان بعض امراء الملوك الظاهر كن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي كان له فيه اثر من حفره فعرف به وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يصك فيه لهوهم ولعبهم * قال المسيحي "وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة كان ثالث الفتح فاجتمع بقنطرة المقدس عند كنيسة المقدس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير لاكل والشرب واللهو ولم يزلوا هناك الى أن انقضى ذلك اليوم وركب أمير المؤمنين يعني الظاهر لا عزازدين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بأمر الله في مركبه الى المقدس وعليه عمامة شرب مفضوطة بسواد وثوب ديبق من شكل العمامة ودار هناك طويلا وعاد الى قصره سالما وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وجاهلن في ثقاف الجمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقيح ذكره

* (ذكر الخليج الناصري) *

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ويصب في الخليج الكبير وكان سبب حفره أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ القصور والخانقاه بناحية سرياقوس وجعل هناك ميدانا يسرح اليه وابطل ميدان القيق المعروف بالميدان الاسود ظاهر باب النصر من القاهرة وترك المسطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش اطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل لتزفيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها فتقدم الى الأمير سيف الدين ارغون نائب السلطنة بدار مصر بالكشف عن عمل ذلك فتزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل وركب النيل فلم يزل القوم في فحص وتفحص الى أن وصلوا بالمرأى الى موردة البلاط من اراضي بستان الخشاب فوجدوا ذلك الموضع او طامكان يمكن أن يحفر الآن فيه عدة دور فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط وقدروا انه اذا حفر من الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهري الذي أنشأه الملك الناصر بستانا ويمر من البستان الى بركة قرموط حتى ينتهي الى ظاهر باب البحر ويمر من هناك على ارض الطبالة فيصب في الخليج الكبير فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقر رقبته امره لسائر امراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية في لقطاعاتهم وكتب الى ولاية الاعمال بجمع الرجال لحفر الخليج فلم يحض سوى ايام قلائل حتى حضر الرجال من الاعمال وتقدم الى النائب بالتزول للحفر ومعه الحجاب فعمل ذلك وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط حيث تعين فم الخليج الى أن يصب في الخليج الكبير وأزم كل أمير من الامراء بعمل أقصاب فرضت له فلما أتم شهر جادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقع الشروع في العمل فبدؤا بهدم ما كان هناك من الاملاك التي من جهة باب اللوق الى بركة قرموط وحصل الحفر في البستان الذي كان للنائب فأخذوا منه قطعة ورسم أن يعطى أرباب الاملاك اثمانا فأنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ومنهم من هدم داره وقتل أنقاضها فهدمت عدة دور ومساكن جديلة وحفر في عدة بساتين فأنتهى العمل في سلج جادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدة سواق وجرى فيه السفن بالغلل وغيرها فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشترى عدة اراض من بيت المال غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جديلة وأخذ الناس في العمارة على حافتي الخليج فعمر ما بين المقدس وساحل النيل بولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب في الخليج الكبير بأرض الطبالة وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتتافس الناس في السكنى هناك وأنشأوا الحمامات والمساجد والسواق وصار هذا الخليج مواطن افراح ومنازل لهو ومغنى صبايات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب وفيما عليه من الدور وما برحت مراكب التزهة تمر فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الاشرف كما ورد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى

*** (ذكر خليج قنطرة الفجر) ***

هذا الخليج يندى من الموضع الذى كان ساحل النيل بولاق وينتهى الى حيث يصب في الخليج الناصرى ويصب أيضاً في خليج لطيف تسقى منه عدة بساتين وكل من هذين الخليجين معمور بالخمين بالاملاك المطلية عليه والبساتين وجميع المواضع التى يترفيها الخليج الناصرى وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انخسر عنها الماء شيئاً بعد شيء كما ذكر في نواهل القاهرة وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصرى

*** (ذكر القناطر) ***

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة وعلى خليج قم الخور قنطرة واحدة وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصرى خمس قناطر وعلى بحر أبى المنجا قنطرة عظيمة وبالجزيرة عدة قناطر

*** (ذكر قناطر الخليج الكبير) ***

قال القضاة القنطرة ثمان اللتان على هذا الخليج يعنى خليج مصر الكبير أما التى فى طرف القسطاط بالحجراء القصوى فإن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها فى سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتنى قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الأمير اللهم بارك له فى أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه أمين وقام بينا ثم أسعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين أمير مصر فى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ورفع سمكه ثم زاد عليها الاخشيد فى سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عمرت فى أيام العزيز بالله وقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر فى هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء فلما انخسر النيل عن ساحل مصر اليوم أهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السدة عند فم بحر النيل فان النيل كان قد ربي الجرف حيث غيظ الجرف الذى على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار البكارة * (قنطرة السدة) هذه القنطرة موضعها مما كان غامراً بجماع النيل قديماً وفى الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهراتى وغيرها من بر الخليج الغربى وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الأحمر الذى هو جانب الخليج الغربى الآن تجاه خط بين الزقاقين فان النيل كان قد ربي جرفاً قد أدام الساحل القديم كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب فأهملت القنطرة الاولى لبعده النيل وقدمت هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينتهى وصار يتوصل منها الى بستان الخشاب الذى موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله وكان الذى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستائة ولها قوسان وعرفت الآن بقنطرة السدة من اجل أن النيل لما انخسر عن الجانب الشرقى وانكشف الاراضى التى عليها الآن خط بين الزقاقين الى موردة الخلفاء ووضع الجامع الجديد الى دار النحاس وما وراء هذه الاماكن الى المراغة وباب مصر بجوار البكارة وانكشف من اراضى النيل أيضاً الموضع الذى يعرف اليوم بمنشأة المهراتى صار ماء النيل اذا بدت زيادته يجعل عنده هذه القنطرة سدة من التراب حتى يسند الماء اليه الى أن تنتهى الزيادة الى ست عشرة ذراعاً فيفتح السدة حينئذ ويمر الماء فى الخليج الكبير كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب والامر على هذا الى اليوم * (قناطر السباع) هذه القناطر جانبها الذى يلي خط السبع سقايات من جهة الحجراء القصوى وجانبها الآخر من جهة جنان الزهرى وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ونصب عليها سبعاً عا من الحجارة فان رنكها كان على شكل سبع فقبل لها قناطر السباع من اجل ذلك وكانت عالية مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني فى موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وتردد اليه كثيراً صار لا يمر اليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرم من علوها وقال للامراء ان هذه القنطرة حين أركب الى الميدان وأركب عليها تألم ظهري من علوها ويقال انه أشاع هذا القصد انما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر لاحد غيره شئ يعرف به وهو كلما يمر به يرى السباع التى هي رنك الملك الظاهر فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة به كما كان يفعل دائماً فى محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ومعرفته لأتباعه ونسبته اليه فاستدعى الأمير

علاء الدين علي بن حسن المرواني والى القاهرة وشاد الجهات وأمره بهدم قناطر السباع وعمارها اوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الاول قبل ابن المرواني وأحضر الصناع ووقف بنفسه حتى انتهت في جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في أحسن قالب على ما هي عليه الآن ولم يضع سباع الحجر عليها وكان الامير الطنيسغا المارديني قد مرض ونزل الى الميدان السلطاني فأقام به ونزل اليه السلطان مرارا فبلغ المارديني ما يتحدث به العاقبة من أن السلطان لم يحترق قناطر السباع الا حتى تبقى باسمه وأنه رسم لابن المرواني أن يكسر سباع الحجر ويرميها في البحر واتفق انه عوفي عقيب الفراغ من بناء القنطرة وركب الى القلعة فسر به السلطان وكان قد شغفه جدا فسأله عن حاله وحادثه الى أن جرى ذكر القنطرة فقال له السلطان اعجبك عمارتها فقال والله يا خوند لم يعمل مثله اولا لكن ما كملت فقال كيف قال السباع التي كانت عليها لم توضع مكانها والناس يتحدثون أن السلطان له غرض في ازالها لكونها رنك سلطان غيره فامتنع ذلك واهرب الحال باحضار ابن المرواني وأزمه بأعادة السباع على ما كانت عليه فبادر الى تركيبها في أماكنها وهي باقية هناك الى يومنا هذا الا أن الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول فلنا منه أن هذا الفعل من جملة القربات والله در القائل

وانما غاية كل من وصل * صيد في الدنيا بأنواع الحيل

* (قنطرة عمر شاه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربي * (قنطرة طوقد مر) هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها الى بر الخليج الغربي وحده رفوف صون وغيره * (قنطرة اق سنقر) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من خط قبوا الكرمانى ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحباية ويمر من فوقها الى بر الخليج الغربي وعرفت بالامير اق سنقر شاد العمار السلطانية في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة الناصرية ومات بدمشق سنة أربعين وسبعمائة * (قنطرة باب الخرق) يقال للارض البعيدة التي تحرقها الرياح لاستوائها الخرق وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضعها ساحلا وموردة للسقائين في أيام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق وعمره المناظر في سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليرتفع عليها الى الميدان المذكور وقيل انها قنطرة باب الخرق * (قنطرة الموسكى) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من باب الخوخة وباب القنطرة ويمر فوقها الى بر الخليج الغربي أنشأها الامير عز الدين موسى قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان خيرا يحفظ القرآن الكريم ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ومات بدمشق يوم الاربعاء ثامن عشر شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة * (قنطرة الامير حسين) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربي فلما أنشأ الامير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومي الجامع المعروف بجامع الامير حسين في حكر جوهر النبوي أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها الى الجامع المذكور وكان يتوصل اليها من باب القنطرة فثقل عليه ذلك واحتاج الى أن فتح في السور الخوخة المعروفة بخوخة الامير حسين من الزيرية فصارت تحاه هذه القنطرة وقد ذكر خبرها عند ذكر الخوخة من هذا الكتاب والله تعالى اعلم * (قنطرة باب القنطرة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من القاهرة ويمر فوقها الى المقس وأرض الطبالة وأول من بناها القائد جوهر لما نزل بمناخه وأدار السور عليه وبني القاهرة ثم قدم عليه القرمطي فأحتاج الى الاستعداد لمخاربه فحفر الخندق وبني هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبي المسك كافورا الاخشيدي الملاصق للميدان والبستان الذي للامير أبي بكر محمد الاخشيدي ليتوصل من القاهرة الى المقس وذلك في سنة ثنتين وستين وثمانمائة وبها تسمى باب القنطرة وكانت مرتفعة بحيث تمر المراكب من تحتها وقد صارت في هذا الوقت قرية من ارض الخليج لا يمكن المراكب العبور من تحتها وتسد بأبواب خوفا من دخول الزعار الى القاهرة * (قنطرة باب الشعريه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يسلك اليها من باب القنطرة ويمشي من فوقها الى أرض الطبالة وتعرف اليوم بقنطرة الخروبى * (القنطرة الجديدة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من زقاق الكيل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها الى أرض الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين

وسبعمائة عندما انتهى حفر الخليج الناصري وكان ما على جانبي الخليج من القنطرة الجديدة هذه الى قناطر الاوز عاها بالاملاك ثم خربت شيئا بعد شيء من حين حدث فصل الباردة بعد سنة ستين وسبعمائة وخمسة الخراب هنالك منذ كانت سنة الشراقي في زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين في سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما غرقت الحسينة بعد سنة الشراقي خربت المساكن التي كانت في شرف الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن * (قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى اراضي البعل وغيرها وهي أيضا مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هنالك أملا كما طالة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منزهات أهل القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الايقنة الا انها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظر البعل التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركها يعطن فيها الكنان وبها عرفت الارض التي هنالك فسميت الى الآن بأرض البعل وكان هنالك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظر البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته في يومى الاحد والجمعة للترهة فيكون هنالك من أصناف الناس رجالهم ونساءهم ما لا يقع عليه حصرويا عندها ما ككل كثيرة وكان هنالك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك أدركتها وقد استخرجت بخمسة آلاف درهم في السنة عن يابو منند نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على انه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع الى اليوم تجتمع الناس هنالك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز * (قناطر بنى وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت بقناطر بنى وائل من اجل انه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقي يقال لهم بنو وائل ولم يزلوا هنالك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربي مقعداً أحدثه الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى لاختد المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ير أحسن منظر من هذه القنطرة في أيام النيل وزمن الربيع * (قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هي آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحي القاهرة وهي تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج الى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحي بتغلق أراضي نواحيهم بالرى ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شبين القصر ويسد عليه حتى يروى ما على جانبي الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شعول الرى جميع تلك الأراضي وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهي أيضا انشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شبين القصر وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب * (قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من اراضي بستان الخشاب برأس الميدان وهي أول قنطرة عمرت على الخليج الناصري على فنه أنشأها القاضي نحر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطي المعروف بالفخر ناظر الجيش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصري ومات في رجب سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن في الرياسة تمكنا كبيرا * (قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصري يتوصل اليها من اللوق ويمشي فوقها الى بر الخليج الناصري مما يلي القيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذي كان ميدانا في زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جهة اراضي بستان الخشاب فغرس في الميدان الظاهري الاشجار و صار بستانا عظيما كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار عمولك الامير برنغي وكان من خبره أنه تنقل في الخدم حتى الى الغربية من اراضي مصر في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان في سنة أربع وعشرين

كثرت الشناعة في القاهرة بسبب الفلوس وتعت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي وتقلد ولاية القاهرة الأمير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل إلى الدوحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السوق في الناس وأن متولى القاهرة فيه لين وأنه قليل الحرمة على السوق وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالخرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة ويشهر منهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فـ كـرهه واستدعى الأمير ارغون نائب السلطنة وتقدم إليه بالأغلاظ في القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهتم بيزور امره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان بعزله ويولى من يتفق في مثل هذا الأمر فاخترت ولاية قدادار وعوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراسته على سفك الدماء فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة في أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن احضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع ضربا مبرحاً وسمي عدة منهم في درار يب حوا ينتهم ونادى في البلد من رد فلسا بـ مـ ثم عرض أهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعر وامنه وأخذ يتبع من عصر خراوا حضر عريف الجمالين وألزمه بالحضار من كان يحمل العنب فلما حضر واعنده استملاهم أسماء من يشتري العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خسرأ الحارات والاختطاط ولم يرل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فقول أهل حارة زويلة وأهل حارة الروم والديلم وغير ذلك من الأماكن ما عندهم من الخمر وصبوها في البلايع والاقنية وألقوها في الأزقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والأطراف منها شيء كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والأزقة فترى من جرار الخمر شبيها كثيرا ولا يقدر أحد أن يتعرض لشيء منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيئا كثيرا من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويحرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فظهر الله به البلد من ذلك جميعه وتبع الزعراء أهل الفساد فخافوه وفزعوا من البلد فصار السلطان يشكره وينثي عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتى انه لما تأمر ابن الأمير بكتمر الساقى وركب إلى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الأمراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقى يا أمير بذكر بحياة ولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عترف بـ كتمر السلطان ذلك أعجبه وقال يا امير ما تخشى العامة والسوق الا ظالما مثل هذا ما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتى قال له لا تشاور في امر المفسدين فلم يفترب ذلك ورفع اليه جميع ما يتفوقه وشاوره في كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا الخمر واستاذنه في طليهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب في ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار إلى النائب وعرفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى بكبس بيوت الناس وهتك حرهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره إلى السلطان وعرفه ما يكون في فعل ذلك من الفساد الكبير وما زال به حتى صرف رأيه عما اشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس في مماقته والاختراق به في كل وقت فانه كان يعنى بالخازن ولم يحجبه عزله عن الولاية فكثير جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسم هناك وأمر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الاخرة واقام عنه نائبا من بطالي الحسينية ضمن المسطبة منه في كل يوم بثلاثمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ما هتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المستنعة وأرباب المطالم على الناس وكانوا اذا رأوا سكران او شتموا منه رائحة خراوا حضره اليه فتوقى الناس شره وشكاه الامراء غير مرة إلى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاختراق به إلى أن قبض عليه السلطان فخلع الجوار قداداروا أكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم إياه والسلطان يحجبه منه ذلك بحيث انه ابرزهم سوما لسائر عماله وولاه ان أحد منهم لا يقتص من وجب عليه القصاص في النفس او القطع الا أن يشاور فيه ويطلع بأمره ما خلا قدادار مستولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة في سائر الناس فدهى الناس منه بغطاء وشرع في كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المستصغين في البلد

وكتبوا الاوراق ورموها في بيوت الناس بالتهديد فكثرت اسباب الضرر وكثر بلاء الناس به وتغنت على الباعة
ونادى أن لا يفتح أحد حانوته بعد عشاء الآخرة فامتنع الناس من الخروج بالليل حتى كانت المدينة في النسل
موحشة واستجد على كل حارة دربا وألزم الناس بعمل ذلك فجيت بهذا الباب دراهم كثيرة وصار الخفراء
في الليل يدورون ومعهم الطبول في كل خط قظفربانسان قد سرق شيئا من بيت في الليل وتزايرو النساء فسمعه
على باب زويلة وما زال على ذلك حتى كثرت الشناعة فعزله السلطان في سنة تسع وعشرين بناصر الدين
ابن المحسن فأقام الى ايام الحج وسافر الى الحجاز ورجع وهو ضعيف فمات في سادس عشر صفر سنة ثلاثين
وسبعمائة * (قنطرة الكتبة) هذه القنطرة على الخليج الناصري بخط بركة قرموط عرفت بذلك لكثرة من
كان يسكن هنالك من الكتاب أنشأها القاضي شمس الدين عبد الله بن أبي سعيد بن أبي السرور الشهير بغريال بن
سعيد ناظر الدولة وولى نظار الدواوين بدمشق في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة نقل اليها من نظار البيوت بديار مصر
ثم استدعى من دمشق وقرقي وظيفة ناظر النظائر شريك القاضي شهاب الدين الاقحيسي واستقر كريم الدين
الصغير مكانه ناظرا بدمشق وذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم صرف غريال من النظر
بديار مصر وسفر الى دمشق في ثامن عشر صفر سنة ست وعشرين وطلب كريم الدين الصغير من دمشق ثم قرر
في مكان غريال في وظيفة النظر بديار مصر الخطير كاتب أرغون أخو الموفق واعيد غريال الى نظار دمشق ومات
بدمشق بعد ما صودروا خذ منه نحو ألفي ألف درهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وادركنا الاملاك منتظمة
بجانب هذا الخليج من أوله بموردة البلاط الى هذه القنطرة ومن هذه القنطرة الى حيث يصب في الخليج الكبير
فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس في هدم ما على هذا الخليج من المناظر البهجة
والمساكن الجليلة وبيع أبقاضه ما حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل ما بين قنطرة الفخر التي تقدم ذكرها
وأخر خط بركة قرموط واصبحت موحشة فقراء بعدما كانت مواطن أفراح ومغنى صبايات لا يأويها الا الغربان
واليوم سنة الله في الذين خلوا من قبل * (قنطرة المقسى) هذه القنطرة على خليج فم الخور وهو الذي يخرج
من بحر النيل ويلتقي مع الخليج الناصري عند الدكة فيصيران خليجا واحدا يصب في الخليج الكبير كان موضعها
جسر استند عليه الماء اذا بدت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا فيفتح ويمر الماء فيه الى الخليج الناصري
وبركة الرطلي وتناخر فتح الخليج الكبير حتى يرقى الماء ستة عشر ذراعا فلما انظر دماء النيل عن البر الشرقي بقي
تجاه هذا الخليج في ايام احتراق النيل رمله لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة وصار يتأخر دخول الماء في الخليج مدة
واذا كسر سد الخليج الكبير عند الوفاء من الماء بهذا الخليج مرور اقليل وما زال موضع هذه القنطرة سدا
الى أن كانت وزارة صاحب شمس الدين أبي الفرج عبد الله المقسى في ايام السلطان الملك الاشرف شعبان
ابن حسين فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به واتصلت العمائر أيضا بجانب هذا الخليج من حيث يتبدى الى أن
يلتقي مع الخليج الناصري ثم خرب ما عليه من العمائر والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة وكان للناس
بهذا الخليج مع الخليج الناصري في ايام النيل مرور في المراكب للترهة يخرجون فيه عن الحد بكثرة التهنك والتمتع
بكل ما يلهم الى أن ولي امر الدولة بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين الاميران بقوق وبركة فقام الشيخ
محمد المعروف بصائم الدهر في منع المراكب من المرور بالمفترجين في الخليج واستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر
ابن رسلان البلقيني فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما ينتهك في المراكب من الحرمات ويتجاسر به من
القواحش والمنكرات فبرز مرسوم الاميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول الى الخليج وركبت سلسلة
على قنطرة المقسى هذه في شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة فامتنعت المراكب بأسرها من عبور
هذا الخليج الا أن يكون فيها غلة او متاع فقلق الناس لذلك وشق عليهم * وقال الشهاب احمد بن العطار
الدينيري في ذلك

حديث فم الخور المسلسل ماؤه * بقنطرة المقسى قدسار في الخلق

الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل * يقول لقد أوقفتم الماء في حلق

وقال

تسلسل قنطرة المقسى * ما قد جرى والمنع اضحى شاملا

وقال

وقال أهل طينة في مجتهم * قوموا بنا نقطع السلاسل

ولم تزل مراصب الفرجة متمتعة من عبور الخليج الى أن زالت دولة الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهي مستقرة الى وقتنا هذا * (قنطرة باب البحر) هذه القنطرة على الخليج الناصري توصل اليها من باب البحر ويمر الناس من فوقها الى بولاق وغيره وهي مما أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاوون عند انتهاء حفر الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد كان موضعها في القديم غامرا بالماء عندهما كان جامع المقس مطلا على النيل فلما انحسر الماء عن بر القاهرة صار ماقدام باب البحر ملء فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربي لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره فاذا كان أو ان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر وربما جلفط في بعض السنين خوفا من غرق المقس ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق وغرس فيه الاشجار فصار بسايتين ومزارع وبقي موضع هذه القنطرة جرفا ورعى الناس عليه التراب فصار كوما يشق عليه أرباب الجرائم ثم نقل ما هنالك من التراب وأنشئت هذه القنطرة وفودي في الناس بالعمارة فأقول ما بين في غربي هذه القنطرة مسجد المهاميزي وبستانه ثم تتابع الناس في العمارة حتى اتقلم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضا وما بين منشأة المهراني ومنية الشيرج طولاً وصار ما يجانب الخليج معموراً بالدور ومن ورائها البساتين والاسواق والجامعات والمساجد وتقسمت الطرق وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن * (قنطرة الحاجب) هذه القنطرة على الخليج الناصري توصل اليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها أنشأها الامير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك انه كانت أرض الطبالة بيده فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في حفر الخليج الناصري تكتمر من المهندسين اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف أن يمر وابه على بركة الطواين التي تعرف اليوم ببركة الرطلي ويتنهدوا من هناك الى الخليج الكبير ففعلوا ذلك وكان قصدهم أولاً انه اذا انتهى الحفر الى الجرف ترافيه الى الخليج الكبير من طرف البعل فلما انتهى لبكتمر ذلك عمرت له اراضي الطبالة كما يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البركة فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائة واستند اليها جسر عمله حاجز بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلي وبين الخليج الناصري وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الریش وعمر قباها ريع عرف برقع الزبي وكان على ظهر القنطرة صفان من حوائط وعليها سقيفة تقي حر الشمس وغيره فلما غرق كوم الریش في سنة بضع وستين وسبعمائة صار هذا الكوم الذي خارج القنطرة ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ويمر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الازو وغيرها كما تقدم ذكره * (قنطرة الدكة) هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ثم عرفت بقنطرة التركاني من اجل أن الامير بدر الدين التركاني عمرها وهذه القنطرة كانت على خليج المذكور وقد انطم ما تحتمها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج المذكور والله در ابراهيم المعماري حيث يقول

يا طالب الدكة نلت المني * وفزت منها يلوغ الوطير

قنطرة من فوقها دكة * من تحتها تلتقي خليج الذكر

(قناطر بحر أبي المنجاء) هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وسبعمائة وتولى عمارتها الامير عز الدين ايبك الافرم * (قناطر الجيزة) قال في كتاب عجائب البنيان ان القناطر الموجودة اليوم في الجيزة من الابنية العجيبة ومن أعمال الجبارين وهي نصف واربعون قنطرة عمرها الامير قراقوش الاسدي وكان على العمائر في أيام السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ما هدمه من الاهرام التي كانت بالجيزة وأخذ حجرها فبنى منه هذه القناطر وبني سور القاهرة ومصر وما بينهما وبني قلعة الجبل وكان خصارا ومياسا هي الهمة وهو صاحب الاحكام المشهورة والحكايات المذكورة وفيه صنف الكتاب المشهور المسجي بالقناطر في أحكام قراقوش وفي سنة تسع وتسعين وخمسائة تولى امر هذه القناطر من لابصرة عنده فسدها رجاء أن يحبس الماء فيقويت عليها جارية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فاروى مارجا أن يروي وفي سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المنظر بيبرس الجاني تكبير برقيها فجمر

ما خرب منها واصلح ما فسد فيها فحصل النفع بها وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفاً من حجارة ابتدأ به من حيز النيل بأزاء مدينة مصر كأنه جبل ممتد على الأرض مسيرة ستة أميال حتى يتصل بالقناطر

* (ذكر البركة) *

قال ابن سيده البركة مستنقع الماء والبركة شبه حوض يحفر في الأرض انتهى وقد رأيت بخط معتبر ما مثاله وملأ البركة ماء فنصب الباء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء * (بركة الحبش) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وتعرف ببركة حجر وتعرف أيضاً باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وهي من أشهر برك مصر وهي في ظاهر مدينة القسطة من قبلها فيما بين الجبل والنيل وكانت من الموات فاستندبها قرة بن شريك الغنبيسي أمير مصر وأحياءه وغرسها قصباً فعرفت باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت في ملك أبي بكر المارديني فجعلها وقفاً ثم أرسدت لبنى حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فلم تزل جارية في الأوقاف عليهم إلى وقتنا هذا قال أبو بكر الكندي في كتاب الامراء وقدم قرة بن شريك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين فاستندب الاصطبل لنفسه من الموات وأحياءه وغرسه قصباً فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضاً اصطبل القامش يعنون انقصب كما يقولون قامش مروان وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وكان الاصطبل للازد فاشتراه منهم الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم فبناه وكان يجري على الذي يقرأ في المحصف الذي وضعوه في المسجد الذي يقال له محصف اسماء من كراه في كل شهر ثلاثة دنائير فلما حيزت اموالهم يعني اموال بني أمية وضمت إلى مال الله حيز الاصطبل فيما حيز وكتب بأمر المحصف إلى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح فكتب أن أقر وامحصفهم في مسجدهم على حاله وأجروا على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنائير في كل شهر من مال الله تعالى وقال القاضي بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحجر وتعرف باصطبل قامش وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي المارديني بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التي في شرقها وأظنها الجنان المنسوبة إلى وهب بن صدقة وتعرف بالحبش فاني رأيت في شرط هذه البركة أن الحد الشرقي ينتهي إلى القضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش فدل على أن الجنان خارجة عنها وذكر ابن يونس في تاريخه أن في قبلي بركة الحبش جنات تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي الصدي شهد فتح مصر والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش وذكر بعد هذا الشرط أن الحد البكري ينتهي إلى البئر الطولونية وإلى البئر المعروفة بموسى بن أبي خليل وهذه البئر هي البئر المعروفة بالنعش ورايت في كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئر اللتين استندبهما أبو بكر المارديني في بني وائل بحضرة الخليلج والقنطرة المعروفة احدهما بالفندق والاخرى بالعتيق وعلى السرب الذي يدخل منه الماء إلى البئر المجاورة المعروفة بالروا التي في بني وائل ذات القناطر التي يجري فيها الماء إلى المصنعة التي بحضرة العقية التي يصار منها إلى محصب وهي المصنعة المعروفة بدليله وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب إلى المصنعة ذات العمدة الخام القائمة فيها المعروفة بسيمينة وهي التي في وسط محصب ويقال ان هناك كانت سوق ليحصب وذكر في هذا الشرط دار الله في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على مثل هذه المصنعة المتقدم ذكرها المعروفة بسيمينة وهي سقاية زوف اليوم وعلى القناة التي يجري فيها الماء إلى مصنعة ذكرانه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة والحوض الذي هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة وكانت هذه المصنعة تسمى ربا وجعل هذا الحبش أيضاً على البئر التي له بالجنانية بحضرة الخندق وذكر أنهم تعرف بالقبانية وان ماءها يجري إلى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة في طريق المصلى القديم ثم إلى المصنعة التي تحت مسجده المقابل لدار عبد العزيز ثم إلى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الاخضر وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلاثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصر وفا في ابتاع بقر وكباش تذيب ويطنج لحما ويبتاع أيضاً معها خبز ودرهم وأكسية وأعبية ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر وكان بناؤه السقايتين اللتين بالموقف والسقايات التي بالمغافر وزوف ويحصب وبني وائل وعمل الجارية في سنة أربع وقيل في سنة ثلاث وثلاثمائة وقد حبس أبو بكر على الحرمين ضياعاً كان ارتفاعها نحو مائة ألف دينار منها سبوط وأعمالها وغيرها انتهى * وفي تاريخ النصارى أن الامير احمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك البعاقبة على عشرين ألف دينار فباع

النصارى رباع الكنائس بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر لليهود قلت هكذا في تواريخهم ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبش فلعل المارداني هو الذي اشتراها ثم وقفها * وقال ابن المتوج بركة الحبش هذه البركة مشهورة في مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها عند قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الله بن جماعة رحمة الله عليه على أنها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية النصف الاول على الاقارب والنصف الآخر على الطالبيين وثبت قبله عند قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب بالاستقضاة بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة أربعين وستمائة وهم الاقارب الحسينيون وهو اذ ذاك قاضي القضاة بالقاهرة والوجه البحري ومما مع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب وثبت عند قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمة الله تعالى وكان قاضي القضاة بمصر والوجه القبلي وخطيب مصر بالاستقضاة أيضا أن البركة المذكورة وقف على الاشراف الطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وبعدهما قاضي القضاة وجيه الدين الهمسي في ولايته ثم نفذ هما بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو حاكم الديار المصرية خلا لثغر الاسكندرية وباني اصل خبر هذه البركة مينا مشروحا من اصلها في مكانه ان شاء الله تعالى * قال فن جملة الاوقاف بركة الاشراف المشهورة ببركة الحبش وهذه البركة حدودها أربعة الخد القبلي ينتهي بعضه الى ارض العدوية يفصل بينهما جسر هناك وباقيه الى غيطان بساكنين الوزير والحد البحري ينتهي بعضه الى ابنية الادراتى هناك المطله عليهم الى الطريق وإلى الجسر الفاصل بينهما وبين بركة الشعبية والحد الشرقي الى حد بساكنين الوزير المذكورة والحد الغربي ينتهي بعضه الى بحر النيل وإلى أراضي دير الطين وإلى بعض حقوق جزيرة ابن الصابوني وجسر بستان المعشوق الذي هو من حقوق الجزيرة المذكورة وهذه البركة وقف الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية والذي شاهدته من امرها أني وقفت على اسجال قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري رحمة الله تعالى عليه تاريخه ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وهو حين ذلك حاكم القاهرة والوجه البحري على محضر شهد فيه بالاستقضاة أن نصف هذه البركة وقف على الاشراف الاقارب الحسينيين وثبت ذلك عنده ورأيت اسجال الشيخ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمة الله عليه على محضر شهد فيه بالاستقضاة وهو حين ذلك قاضي مصر والوجه القبلي وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الاشراف الطالبيين وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ثم نفذهما جميعا في تاريخ واحد قاضي القضاة وجيه الدين الهمسي وهو قاضي القضاة حين ذلك ثم نفذهما قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو قاضي القضاة بالديار المصرية واستقر النصف من ريع هذه البركة على الاشراف الاقارب مع قلمهم والنصف على الاشراف الطالبيين مع كثرتهم وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهم الجميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك وهقد لهم مجلس غير مرة فلم يقدروا على تغييره وأحسن ما وصفت به بركة الحبش قول عيسى بن موسى الهاشمي أمير مصر وقد خرج الى الميدان الذي بطرف المقابر فقال لمن معه أتأملون الذي أرى قالوا وما الذي يري الأمير قال أرى ميدان رهاق وجنان فخل وبستان شجر ومنازل سكنى وذروة جبل وجبانة اموات ونهر أعجاجا وأرض زرع ومراعى ماشية ومراع خيل وساحل بحر وصائد نهري وقائن وحش وملاح سفينة وحادي ابل ومفازة رمل وسهلا وجبال فهذه ثمانية عشر منزلا في أقل من ميل في ميل واين هذه الاوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة في قوله

زروادى القصر نعم القصر والوادي * لابتد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شيء يشاكله * من منزل حاضرا شئت أو بادي
تلقى به السفن والاعباس حاضرة * والضرب والنون والملاح والحادي

وقال —

زروادى القصر نعم القصر والوادي * وجبذا أهله من حاضر بادي
تلقى قراقرة والعيس واقفة * والضرب والنون والملاح والحادي

هكذا أنشد هما أبو الفرج الاصبهاني رحمه الله تعالى في كتاب الاغانى ونسبهما لابن عيينة بن المنهال بن محمد
ابن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة شاعر من ساكنى البصرة وقيل ان اسمه عذرة وقيل اسمه أبو عيينة
وكنيته أبو المنهال وكان بعد المائتين وأنشد أبو العلاء المعري في رسالة الصاهل والساج

يا صاح ألم بأهل القصر والوادي * وحبذا أهله من حاضر بادي

تري قراقرة والعيس واقضة * والضب والنون والملاح والحادي

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي وفي هذا الوقت من السنة يعنى أيام النيل تكون أرض مصر
أحسن شئ منظر اولاسيما منتزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة والحيزة وبركة الحبش وما جرى مجراها
من المواضع التي يطرقها أهل الخلاعة والقصف ويتناوبها ذوو الآداب والظرف واتفق أن خرجنا في مثل
هذا الزمان الى بركة الحبش واقتربنا من زهرها أحسن بساط واستظلنا من دوحها بأو في رواق فظلنا تعاطي
من زجاجات الاقداح شمساً في خلع بدور وجسوم نار في غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء
ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء فقال بعضهم (وهو امية المذكور من قوله المشهور)

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغيش

والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في عيين مرتعش

ونحن في روضة مفعوفة * ديج بالنور عطفها ووشي

قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش

وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الهوى فلم يطش

فأسقنى بالكبار مترعة * فهن أشقى لشدة العطش

وقال أيضاً

علل فؤادك بالذات والطرب * وباكر الراح بالبانات والضرب

أما ترى البركة الغناء لابة * وشيا من النور حاكته يد السحب

وأصبحت من جديد الروض في حلل * قد أبرز القطر منها كل محتجب

من سوسن شرق بالطلح محجرة * والخوان شهى الظلم والشنب

فانظر الى الورد يحسكى خد محتمش * ونرجس ظل يبدى لحظ مر تقب

والنيل من ذهب يطفو على ورق * والراح من ورق يطفو على ذهب

وربة يوم تقعننا فيه غلطنا * بجاحم من فم الابريق ملتهب

شمس من الراح حسانا بها تهر * موف على غصن يهتز في كتب

أرغى ذوائبه وانمز منعطفها * كصعدة الرمح في مسودة العذب

فاطرب ودونكها فاشرب قد بعثت * على التصابي دواعي اللهو والطرب

وقال

يا نزهة الرضد المصري قد جمعت * من كل شئ حلا في جانب الوادي

فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادي

وقال ابراهيم بن الرقيق في تاريخه حدثني محمد الكهيني وكان أديبا فاضلا قد سافر ورأى بلدان المشرق قال ما
رأيت قط اجل من أيام النور وروزو الغيطاس والمسلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي
كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في القصف والعزف وذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير الا خرج الى بركة الحبش
منتزها فيضربون عليها المضارب الخليلية والسرادات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد ومنهم من
يخرج بالقينات المسجعات الممالسك والمحتررات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون فاذا جاء
الليل امر الامير عيسى بن المعز ماقي فارس من عبيده بالعسس عليهم في كل ليلة الى أن يقضوا من اللهو والنزهة
أربهم وينصرفوا فيسكرن وينامون كما ينام الانسان في بيته ولا يضيع لاحد منهم ما قيمته حبة واحدة ويركب

الامير تميم في عشارى ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاما ومشربا فان كانت الليالى مقمرة والا كان معه من الشموع ما يعيد الليل نهارا فاذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادة وسألهم عما عز عليهم فبأمر لهم به وبأمر لمن يغنى لهم وينقل منهم الى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليلة ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التى على هذه البركة فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الايام ويتفرق الناس وقال محمد ابن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى "وتوفى بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة يصف بركة الحبش فى ايام الربيع

اذ اذن الحسنة قرط فهذه * ينينها من كل ناحية قرط

ترفرق فيها ادمع الطل غدوة * فقلت لآل قد نضمنها قرط

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وخرجت مرة حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى عفا الله عنه

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغيش

والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى عيىن مرتعش

وعاينت من هذه البركة ايام فيض النيل عليها ابهج منظر ثم زرتها ايام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر وفيها اقول

يا بركة الحبش التى يومى بها * طول الزمان مبارك وسعيد

حتى كأنك فى البسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عبيد

يا حسن ما يدوبك الكتان فى * نواره اوزره معيقود

والماء منك سبيوفه مسالوة * والقرط فيك رواقه ممدود

وكان ابراجا عليك عرائس * جلست وطيرك حولها غريد

يا ليت شعرى هل زمانك عائد * فالشوق فيه مبدئ ومعيد

وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بنى وائل وكان خليج بنى وائل مما يلي باب مصر من الجهة القبيلية الذى يعرف الى يومنا هذا باب القنطرة من اجل أن هذه القنطرة كانت هناك * قال ابن المتوج ورأيت ماء النيل فى زمن النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل * قلت وفى ايام الناصر محمد بن قلاوون استولى النشوتانظر الخاص على بركة الحبش وصار يدفع الى الاشرف من بيت المال مالا فى كل سنة فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور أبو بكر أعيدت لهم

* (ذكر الماردانى) *

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن رستم بن احمد وقيل محمد بن على بن احمد بن عيسى بن رستم وقيل محمد بن على بن أحمد بن ابراهيم بن الحسين بن عيسى بن رستم الماردانى أحد عظماء الدنيا ولد بصيينى لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقدم الى مصر فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وخلف أباه على بن احمد الماردانى ايام نظره فى أمور أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وسنه يومئذ خمس عشرة سنة وكان معتدل الكتابة ضعيف الحظ من النحو واللغة ومع ذلك فكان يكتب الكتب الى الخليفة فحن دونه على البديهة من غير نسخة فيخرج الكتاب سليمان بن سليمان بن احمد بن طولون واستوزره هارون بن خماريه فذبر أمر مصر الى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد الى مصر وأزال دولة بنى طولون وحمل رجالهم الى العراق فكان أبو بكر بمن جملة فأقام ببغداد الى أن قدم صحبة العساكر لقتال خباسة فذبر أمر البلد وأمر ونهى وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى وغيره بسماعه منهم فى بغداد وكان قليل الطلب للعلم تغلب عليه محبة الملك وطلب السيادة ومع ذلك كان يلزم تلاوة القرآن الكريم ويكثر من الصلاة ويؤاظب على الحج وملك بمصر من الضياع البكار ما لم يملكه أحد قبله وبلغ ارتفاعه فى كل سنة أربع مائة ألف دينار سوى الخراج وذهب وأعطى وولى وصرف وأفضل ومنع ورفع ووضع وحج سبعا وعشرين حجة انفق فى كل حجة منها مائة وخمسين ألف دينار وكان تكين أمير مصر بشيعة اذا خرج للحج ويتلقاه اذا قدم وكان

يحمل الى الجواز جميع ما يحتاج اليه ويفترق بالحرمين الذهب والفضة والنياب والخلوى والطيب والحبوب ولا يفارق أهل الجواز الا وقد اغناهم وقيل مرة وهو بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام ما بات في هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالهما الا وهو شبعان من طعام أبي بكر المارداني * ولما قدم الامير محمد بن طغج الاخشيد الى مصر استتر منه فانه كان منعه من دخول مصر وجمع العساكر لقتاله فاجتمع له زيادة على ثلاثين ألف مقاتل وحارب بهم بعد موت تكين أمير مصر ومترت به خطوط كثيرة فتن مصر اذ ذل وأحرقت دوره ودور أهله ومجاريه وأخذت امواله واسترق قبض على خليفته وعماله فكتب الى بغداد يسأل اماره مصر وكتب محمد بن تكين بالقدس يسأل ذلك فعاد الجواب بامارة ابن تكين وأن يكون المارداني يدير أمر مصر ويولى من شاء فظهر عند ذلك من الاستتار وأمر ونهى ودير أمر البلد وصار الجيش بأسره يغدو الى بابه فانفق في جماعة واصطنع قوما وقتل عدة من اصحاب ابن تكين وكان محمد بن تكين بالقدس وأمر مصر كله للمارداني بمفرده ومعه احمد بن كبلغ وقد قدم من بغداد بولاية ابن تكين على مصر وولاية أبي بكر المارداني تدير الامور فاستمال أبو بكر احمد بن كبلغ حتى صار معه على ابن تكين وحاربه وكان من أمره ما كان الى أن قدمت عساكر الاخشيد فقام أبو بكر لمحاربةهم ومنع الاخشيد من مصر فكان الاخشيد غاباله ودخل البلد فاستتر منه أبو بكر الى أن دل عليه فأخذه وسله الى الفضل بن جعفر بن القرات فلما صار الى ابن القرات قال له ايش هذا الاستيماش والتستروانت تعلم أن الحج قد أطل ويحتاج لاقامة الحج فقال له أبو بكر ان كان الى تخمسة عشر ألف دينار فقال ابن القرات ايش خمسة عشر ألف دينار قال ما عندى غير هذا فقال ابن القرات بهذا ضربت وجه السلطان بالسيف ومنعت أمير البلد من الدخول ثم صاح يا شادن خذ البك فاقم وادخل الى بيت وكان يومئذ صائما فامتنع من تناول الطعام والشراب ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه وليته واصبح فامتنع ابن القرات من الاكل اجلالا له فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية امتنع أبو بكر من الفطر كما امتنع في الليلة الاولى فامتنع ابن القرات أيضا من الاكل وقال لا آكل ابدا وأيا كل أبو بكر فلما بلغ ذلك أبا بكر أكل فأخذ ابن القرات في مصادره وقبض على ضياعه التي بالشام ومصر وتتبع اسبابه ثم خرج به معه الى الشام وعاد به الى مصر ثم خرج به ثانيا الى الشام فبات الفضل بن القرات بالرملة ورجع أبو بكر الى مصر فرد اليه الاخشيد أمور مصر كلها وخلع على ابنه وثقه بالسيف ولبس المنطقة ولبس أبو بكر الدراعة تترها ثم تنكر عليه الاخشيد وقبضه في سنة احدى وثلاثين وثمناثة وجعله في دار وأعد له فيها من الفرس والاكات والاواني والملبوس والطبايع والطرائف وانواع المأكول والمشارب ما بلغ فيه الغاية وتفقدوها بنفسه وطافها كلها فليل له عملت هذا كله لمحمد بن علي المارداني فقال نعم هذا مملك وأردت أن لا يحقر بشئ لنا ولا يحتاج أن يطلب حاجة الا وجدناها فان فقد عندنا شيئا مما يريد استدعى به من داره فتسقط نحن من عينيه عند ذلك فلم يزل معتقلا حتى خرج الاخشيد الى لقاء أمير المؤمنين المتقي لله فحمله معه ولما مات الاخشيد بد مشق كان أبو بكر بمصر فقام بأمره أبو نوح جور بن الاخشيد وقبض على محمد بن مقاتل وزير الاخشيد وأمر ونهى وصرف الامور الى أن كانت واقعة غلبون واتصال أبي بكر به فلما عادت الاخشيدية قبض على أبي بكر ونهبت دوره وأحرق بعضها وأخذ ابنه وقام أبو الفضل جعفر بن الفضل بن القرات بأمر الوزارة فعند ما قدم صكا فورد الاخشيدى من الشام بالعساكر التي كانت مع الاخشيد أطلق أبا بكر واكرمه ورد اليه ضياعه وضياع ابنه فلما ماتت أم ولده لحقه كافور ومعه الامير او نوح جور عند المقابر وترجله وعزياه ثم ركب معه حتى صلبا عليها فلما مرض مرض موته عاده كافور ومرارا الى أن مات في شهر شوال سنة خمس وأربعين وثمناثة فدفن بداره ثم نقل الى المقابر وكانت فضيلة جمة منها أنه أقام أربعين سنة يصوم الدهر كله ويركب كل يوم الى المقابر بكرة وعشية فيقف له الموكب حتى يمضي الى تربة اولاده وأهله فيقرأ عندهم ويدعوا لهم وينصرف الى المساجد في الصلوات فيصلي بها والباس وقوفه الا انه كان في غاية العجالة لا يراجع فيما يريده ولو كان ما كان ولما اراد المقدر أن يقيم وزيرا كتب رقعة فيها أسماء جماعة وأنفذت الى علي بن عيسى ليشير بواحد منهم وكان أبو بكر ممن كتب معهم اسمه فكتب تحت كل اسم واحد منهم ما يستحقه من الوصف وكتب تحت اسم أبي بكر محمد بن علي المارداني متروفا بحول وبني أبو بكر البقايات والمساجد في المغافرو في محب وبني وائل وليس لشي منها اليوم

أثر يعرف ومرت له في هذا الكتاب أخبار وقد أقرده ابن زولاق سيرة كثيرة وهذا منها والله أعلم

*** (ذكر بساتين الوزير) ***

هذه البساتين في الجهة القبلية من بركة الحبش وهي قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي وبنيو المغربي أصلهم من البصرة وصاروا إلى بغداد وكان أبو الحسن علي بن محمد تحلف على ديوان المغرب ببغداد فتسبب به إلى المغرب وولداً به الحسين بن علي ببغداد فقتلوا أعمالا كثيرة منها تدير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر الدولة ببغداد وكان خال ولده علي وهو أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجى الذي مدحه أبو الطيب المنبج من أصحاب أبي بكر محمد بن رائق فلما لحق ابن رائق بالحقه بالموصل صار الحسين بن علي بن المغربي إلى الشام ولحقه الأخشيدي وأقام عنده وصار ابنه أبو الحسن علي بن الحسين ببغداد فأخذ الأخشيدي غلامه فأتى المنون فحمله ومن يليه إلى مصر ثم خرج ابن المغربي من مصر إلى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مدة حياته وتخصص به الحسين بن علي بن محمد المغربي ومدحه أبو نصر بن نباتة وتخصص أيضاً علي بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه أبو العباس النامى ثم شجر بينه وبين ابن حمدان فقارقه وصار إلى بكجور بالرقه فحسن له مكاتبه العزيز بالله نزاروا التحيز إليه فلما وردت على العزيز مكاتبه بكجور قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه قتلها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة علي بن المغربي فلم يتم له أمر وتأخر عنه من كاتبه فقال لابن المغربي غررتي فيما اشترت به علي وتشكر له فقرضته إلى الرقة وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت إلى قتل ابن بكجور ومسير ابن حمدان إلى الرقة ففر ابن المغربي منها إلى الكوفة وكان العزيز بالله يستأذنه في القدوم فأذن له وقدم إلى مصر في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وخدم بها وتقدم في الخدم فغرض العزيز على أخذ حلب فقتل ديبجوتكين بلاد الشام وضم إليه أبا الحسن بن المغربي ليقوم بكاتبه وظهر الشام وتدير الرجال والأموال فسار إلى دمشق في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وخرج إلى حلب وحارب أبا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا فكتب لؤلؤا أبا الحسن ابن المغربي واسمته حتى صرف ديبجوتكين عن محاربة حلب وعاد إلى دمشق وبلغ ذلك العزيز بالله فاشتد حنقه على ابن المغربي وصرفه بصالح بن علي الروذبادي واستقدم ابن المغربي إلى مصر ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه فلما شرع الحاكم بأمر الله في قتل رجال الدولة من القواد والكتاب والقضاة قبض على علي ومحمد ابني المغربي وقتلهما ففر منه أبو القاسم حسين بن علي بن المغربي إلى حسان بن مفرج بن الجراح فأجاره وقلد الحاكم يار جتكين الشام فخافه ابن جراح لكثرة عساكره فحسن له ابن المغربي مهاجته فطرق يار جتكين في مسيره على غفلة وأسرهم وعاد إلى الرملة فشن الغارات على رساتيقها وخرج العسكر الذي بالرملة فقاتل العرب قتالاً شديداً كادت العرب أن تنهزم لولا ثبات ابن المغربي وأشار عليه بمباشر النداء باباحة النهب والغنيمة فثبوا وبادوا في الناس فاجتمع لهم خلق كثير ووزحوا إلى الرملة فلكوا ما بالغوا في النهب والهلك والقتل فانزعج الحاكم لذلك انزعاجاً عظيماً وكتب إلى مفرج بن جراح يحذره سوء العاقبة ويلزمه باطلاق يار جتكين من يد حسان ابنه وأرسله إلى القاهرة ووعدته على ذلك بخمسين ألف دينار فبادر ابن المغربي لما بلغه ذلك إلى حسان وما زال يغريه بقتل يار جتكين حتى أحضره وضرب عنقه فشنق ذلك على مفرج وعلم أنه فسد ما بينهم وبين الحاكم فأخذ ابن المغربي يحسن لمفرج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره إلى أن استجاب له فراسل أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة يدعوه إلى الخلافة وسئل له الأمر وسير إليه بابن المغربي يحثه على المسير وجرأه على أخذ مال تركه بعض المياسير ونزع الحاريب الذهب والفضة المنصوبة على الكعبة وضربها دنائير ودرهم وسماها الكعبية وخرج ابن المغربي من مكة فدعا العرب من سليم وهدل وعوف بن عامر ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة فقتلهم بنو الجراح وقبلوا له الأرض وسلوا عليه بأمر المؤمنين ونادى في الناس بالآمان وصلى بالناس الجمعة فامتنع الحاكم لذلك وأخذ في استمالة حسان ومفرج وغيرهما وبذل لهم الأموال فتشكروا على أبي الفتوح وقلد أيضاً مكة بعض بني عم أبي الفتوح فضعف أمره وأحسن من حسان بالغدر فرجع إلى مكة وكاتب الحاكم واعتذر إليه فقبل عذره

واما ابن المغربي فانه لما انحلت امر أبي القنوح ورأى ميل بن الجراح الى الحاكم كتب اليه
وانت وحسبي انت تعلم أن لي * لسانا أمام المجدين ويهدم
وليس حلما من تباين يمينه * فيرضى ولكن من تعض فيعلم

فسير اليه اما ما بخطه ونوجه ابن المغربي قبل وصول امان الحاكم اليه الى بغداد وبلغ القادر بالله خبره فانه سمع
بانه قدم في فساد الدولة العباسية فخرج الى واسط واستعطف القادر فعطف عليه وعاد الى بغداد ثم مضى الى
قرواش بن المقلد أمير العرب وسار معه الى الموصل فأقام بهامدة وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر فأقام
عند أميرها نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان الكردي وتصرف له وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف
فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله فصار يكن قيل فيه وقد اتبع غلاما تركيا كان يهواه قبل أن يتناعه

تبذل من مرقعة ونسك * بأنواع المسك والشفوف
وعن له غزال ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد اشده ما كان اتهاكا * كذلك الدهر مختلف الصروف

واقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة واعظم منزلة ثم كوتب بالسيرة الى الموصل ليستوزره صاحبها
فسار عن ميا فارقين وديار بكر الى الموصل فقتل دوزارته وارتد الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين
السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شعاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شعاع بن ركن
الدولة أبي علي بن بويه واجتمع برؤساء الديلم والاتراك وتحدث في وزارة الحضرة حتى قتله باغبر خلع وللقب
ولامقارعة الدراعة في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة فأقام شهورا وأغرى رجال الدولة بعضهم ببعض
وكانت أمور طويلة آت الى خروجه من الحضرة الى قرواش فتمدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره
من الفتنة العظيمة بالكوفة حتى ذهبت فيها عدة نفوس وأحوال فقر الى أبي نصر بن مروان فأكرمه وأقطعه ضياعا
واقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها فبرز عن ميا فارقين يريد المسيرة الى بغداد فسمي هناك وعاد الى المدينة
فمات بها الايام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة
سنة سبعين وثلثمائة وكان اسمر شديد السمرة بساطا عالميا بليغا متسلما متفنا في كثير من العلوم الدينية والادبية
والخوية مشارا اليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبدية عظيم القدر صاحب سياسة وتدير
وحيل كثيرة وأمور عظام دؤخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصنيفات وكان ملولا
حقودا لا تلبس كبد ولا تحل عقده ولا يحثى عوده ولا ترجى وعوده وله رأي يزين له العقوق ويبغض اليه
رعاية الحقوق كأنه من كبره قد ركب القلق واستولى على ذات الحبك وكان بمصر من بنى المغربي أبو الفرج محمد
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي قد قتل الحاكم جده محمد مع أبيه علي بن الحسين كما تقدم فلما نشأ
أبو جعفر فرسار الى العراق وخدم هناك وتنقلت به الاحوال ثم عاد الى مصر واصطنعه الوزير البارزي وولاه
ديوان الجيش وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعني به فلما مات الوزير البارزي وولى بعده الوزير أبو الفرج
عبد الله بن محمد البالي قبض عليه في جملة أصحاب البارزي واعتقله فقررته الوزارة وهو في الاعتقال وخلع
عليه في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة واقب بالوزير الاجل الكامل
الاوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته فما تعرض لاحد ولا فعل في البالي ما فعله البالي فيه وفي أصحاب
البارزي فأقام سنتين وشهورا وصرف في تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان الوزراء
اذا صرخوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج بن المغربي لما صرف أن يتولى بعض الدواوين فولى ديوان الانشاء
الذي يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر وهو الذي استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام
الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة ولم يزل نابه القدر الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * (بركة
الشعبية) * هذه البركة موضعها خلف جسر الاقروم فيما بينه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد
وكانت تجاور بركة الجيش من بحرها وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك *
قال ابن المنوج بركة الشعبية بظاهر مصر كان يدخل اليها ماء النيل وكان لها خليجان أحدهما
من قبلها وهو الآن بجوار منظره صاحب تاج الذين بنى حنا المعروفة بمنظرة المعشوق والثاني من بحرها

ويقال له خليج بني وائل عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر وكان يجري فيه الماء من النيل اليها فكان الماء يدخل اليها في كل سنة ويعمها ويدخل اليها الشجائر وكان بذاتها من جانبها الشرق ادر كثيرة وكانت نزهة المصريين فلما استأجرها الامير عز الدين أليك الافرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزي حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الاشجار والسكر وروم وحفر الآبار وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فداناً ولها حدود أربعة الخلد القبلي ينتهي بعضه الى بعض أرض المعشوق الجماري في وقف ابن الصلوبي وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل اليها الماء من خليج بركة الاشرف والحد الجري كان ينتهي بعضه الى منطرة قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وإلى جسر والحد الشرقي ينتهي الى الأدر التي كانت مطلة عليها وقد حُرب أكثرها وكانت مسكن اعيان المصريين من القضاة والكتاب والحد الغربي ينتهي الى جرف النيل ولما استأجرها الافرم شرط له خمسة أفدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها فداناً واحداً من بحريها وفداناً من غربيها ملاصقان لحد ارباب البساتين وقد انان بالجرف الذي من حقوقها فلما مات الافرم طمع الامير علم الدين الشجاعي في ورثته وفي الوقف وأربابه فغصب أرض الجرف وجعلها فداناً ثم تركها فلما كان في اثناء دولة الناصر محمد بن قلاوون ووزارة الاعسر بيعت أرضها لأرباب الابنية التي عليها وهذه البركة وقفها الخطير بن ماضي ودخل معهم بنو الشعيبة لاختلاط انسابهم بالتناسل وقال في موضع آخر ومن جملة الاوقاف بركة الخطير بن ماضي المشهورة ببركة الشعيبة ومساحة أرضها اربعة وخمسون فداناً وربع ولها حدود أربعة القبلي من البركة الصغرى منها الى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفيه قنطرة يجر منها الماء الى هذه البركة وبقي هذا الحد الى بعض ابنية مناظر المعشوق ومن جملة حقوق هذا الوقف الجواز المستطيل المسلول فيه الى المنطرة المذكورة ومنه دهايزها والايوان الجري وهذا جميعه رأيتُه رعة من ترعة هذه البركة المذكورة يجر الماء فيها في زمن النيل اليها وكان باقي هذه المنطرة داراً مطلة على بحر النيل من شرقها وعلى هذه التربة من بحريها ثم ملكها صاحب تاج الدين بن حنا وهدمها ووردم الخليج وعمر المنطرة والحمام والبيوت الموجودة الآن وبقي ذلك كله في أرض ابن الصابوني وحده هذه البركة من الجهة البحرية الى الطريق الآن وكان فيه جسر يعرف بحجر الحيات كان يفصل بين هذه البركة وبين بركة شطا وكان فيه قنطرة يجري الماء فيها من هذه البركة الى بركة شطا وكان في هذا الحد رعة أخرى يجري الماء فيها في زمن النيل من البحر الى هذه البركة ورأيتُه يجري فيها ورأيت الشجائر تدخل فيها الى هذه البركة وأما حدتها الشرقي فانه كان الى ابنية الأدر المطلة على هذه البركة وأما حدتها الغربي فانه كان الى بحر النيل ولم تزل كذلك الى أن استأجرها الامير عز الدين أليك الافرم فردم هذه التربة وبني حيطان هذا البستان وجسر عليه وزرع فيه الشتول والخضراوات وأقام على ذلك عدة سنين ثم استأجره أجارة ثانية واشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانبه الغربي وقد ان في جانبه الجري فعمر الناس واستغنى عن الجسور ورخص على الناس حتى رغبوا في العمارة وأجر كل مائة ذراع من ذلك بعشرة دراهم نفرة وعمر البئر المشهورة بئر السواقي فعمرت احسن عمارة فلما توفي الافرم طمع الشجاعي في ارباب الوقف وفي ورثته ونزع منهم القضاة بن المطلة على بحر النيل وابتاع ذلك من وكيل بيت المال وأعانه عليه قوم آخرون يجتمعون عند الله تعالى

* (ذكر المعشوق) *

اعلم ان المعشوق اسم لمكان فيه اشجار بظاهره مصر من جملة خطة راشدة عرف اولاً بجنان كهمن بن معمر ثم عرف بجنان المارداني ثم عرف بجنان الامير عقيم بن المعز لدين الله ثم جددته الافضل بن أمير الجيوش فعرف به وأخراصار من وقف ابن الصابوني فأخذها صاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه فلما انشئ الرباط المذكور أرصد لمصالحه وهو الآن وقف عليه وأرض هذا البستان مما وقفه ابن الصابوني على بنه وعلى رباطه المجاور لقبة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بالقرافة وبنو الصابوني يستأدون من التحدث على رباط الآثار شيئاً في كل سنة عن حكر أرض بستان المعشوق قال القاضي في ذكر خطة راشدة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان المعروفة كانت تعرف بكهمن ابن معمر ثم عرف بالمارداني وهو المعروف الآن بالامير عقيم بن المعز * هذا وقد بني المعتمد على الله أحمد بن المتوكل

في الجانب الشرقي من سر من رأى قصر اعمام المعشوق وأقام به وبين بغداد وتكريت منزلة فيها آثار بناء وقصور
تسمى العاشق والمعشوق وفيه انشد الشريف زهرة بن علي بن زهرة بن الحسن الحسيني وقد اجتاز به يريد الحج
قد رأيت المعشوق وهو من الهجر بحال تنبوا النواظر عنه
* اثر الدهر فيه آثار سوء * قد ادالت يد الحوادث منه

قال ابن يونس (كهمس) بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب يكنى أبا القاسم كان أبوه بصريا وولد هو بمصر
وكان عاقلا وكانت القضاة تقبله حدث عن محمد بن ربح وعيسى بن حجاز زغبة وسلمة بن شبيب ونحوهم توفي في يوم
الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وثلاثمائة وقال ابن خلكان (تميم) بن المعز بن
المنصور بن القائم بن المهدي كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المعزية وكان تميم
فاضلا شاعرا ماهر الطيفاظ ريفاولم يل المملكة لان ولاية العهد كانت لاختيه العزيز بن فوليبا بعد أبيه واشعاره
كلها حسنة وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وقد ذكر كلام من المارداني وابن حنا
والافضل وأما ابن ممانى فانه (اسعد) بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين بماتى أبي المكارم بن سعيد
ابن أبي المليح الكاتب المصري أصله من نصارى سيوط من صعيد مصر واتصل جدّه أبو المليح بأمير الجيوش بدر
الجمالي وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله وكتب في ديوان مصر وولى استيفاء الديوان وكان جوادا
مدحوا انقطع اليه أبو الطاهر الصاعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة الشاعر فن قوله فيه لمات

طويت سماء المكرما * ت وكورت شمس المدح

وتنازت شهب العلا * من بعد موت أبي المليح

ما كان بالنكس الدفء * من الرجال ولا الشجع

كفر النصارى بعدما * عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء والممات ولى ابنه المهذب بن أبي المليح زكريا ديوان الجيش بمصر في آخر الدولة
الفاطمية فلما قدم الأمير اسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شد على النصارى وأمرهم بشدة
الزناهير على اوساطهم ومنعهم من ارشاء الذواية التي تسمى اليوم بالعذبة فكتب لاسد الدين

يا اسد الدين ومن عدله * يحفظ فينا سنة المصطفى

كفى غبارا شد اوساطنا * فما الذى اوجب كشف القفا

فلما بعفه بطابته ولا يمكنه من ارشاء الذواية وعند ما ايس من ذلك اسلم فقدم على الدواوين حتى مات خلفه ابنه
أبو المكارم اسعد بن مهذب الملقب بالخطير على ديوان الجيش واسمته في ذلك مدة أيام السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وولى نظر الدواوين أيضا واختص بالقاضى الفاضل وحظى عنده
وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه وصنف عدة مصنفات منها تلقيح اليقين فيه الكلام على حديث
بنى الاسلام على خمس وكتاب حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو كبير وكان السلطان صلاح
الدين يكثر النظر فيه وقال فيه القاضى الفاضل وقفت من الكتب على ما لا تحصى عنه فخار أيت والله كتابا يكون
قبالة باب منه وانه والله من اهم ما طالع الملوكة وكتاب قوانين الدواوين صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين
مصر ورسومها واولها واحوالها وما يجري فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذي يقع في ايدي الناس جزء واحد
اختصره منه غير المصنف فان ابن ممانى ذكر فيه أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة
وقانون ربحها ومتحصلها من عين وغلة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كبله ودمنه وله ديوان
شعر ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ووزر له صفي الدين على بن عبد الله بن شكر
نخافه الاسعد لما كان يصدر منه في حقه من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليه ورتب له مؤامرات
ونكبه واحال عليه الاجناد فقر من القاهرة وسقط في حلب فخدم بها حتى مات في يوم الاحد سلخ بجادى
الاولى سنة ست وستمائة عن اثنتين وستين سنة وكان سبب تلقيب أبي مليح بممانى انه كان عنده في غلاء مصر
في أيام المستنصر فتح كثير وكان يتصدق على صغار المسلمين وهو اذ ذاك نصراني وكان الصغار اذا رأوه

قالوا عما في قلبهم او من شعره

تعبتني وتنهى عن امور * سبيل الناس أن يسهلوا عنها
انقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما على أضرمتها

وقال في اترجة كانت بين يدي القاضي الفاضل وهو معنى يدع

* لله بل الحسن اترجة * تذكر الناس بأمر النعيم *
كانها قد جعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

* (بركة شطا) * هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينه مصر طالبا جسر
الافرم ورباط الآثار كان الماء يعبر اليها من خليج بني وائل وموضع على يمنة من يخرج من باب القنطرة المذكورة
وكان عليه قنطرة بناها العزيز بالله بن المعز وبها سمي باب القنطرة هذا قال ابن المتوج بركة شطا بظاهر مصر على يسرة
من مرق من باب القنطرة وكان الماء يدخل اليها من خليج بني وائل من برايج بالسور المستجدة ومن بركة الشعبية
من قنطرة في وسط الجسر المعروف بجسر الحيات الذي كان يفصل بين البركتين المذكورتين وكان بوسطها مسجد
يعرف بمسجد الجلالة بقناطر بوسطها كان يسلك عليها اليه وكان يطل على بركة شطا آذخرت بانقطاع الماء عنها
ركان الى جانبها بستان فيه منظره ودرابة وطاحون وحمام وبظاهر باب حوض سبيل وقف ذلك المخلص الموقع وقد
خرب * (بركة فارون) هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدره ابن قبيصة خلف جامع ابن طولون وبين الجسر
الاعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل وعليها الآن عدة آذر وتعرف ببركة قراجا وكان عليها عدة عمائر
جليلة في قديم الزمان عند ما عجز العسكر والقطائع فلما خرب العسكر والقطائع كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب
خرب ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى انه كان من خرج من مصلى مصر القديم وموضعه الآن الكوم
الذي يطل على قبر القاضي بكار بالقرافة الكبرى يرى بركة الفيل وفارون والفيل ولم يزل ما حول هذه البركة خرابا
الى أن حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية في اراضي الزهري وكانت واقعة الكنائس في سنة احدى
وعشرين وسبع مائة فصار جانب هذه البركة الذي يلي خط السبع سقايات مقطوع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة
متولى مصر من بحرس المارة من القاهرة الى مصر ولم يكن هناك شيء من الدور وإنما كان هناك بستان بجوار
حوض الدماطي الموجود الآن تجاه كوم الاسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة
السد ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر اقباغا عبد الواحد مكانه وصارت فيه الدور الموجودة الآن
كما ذكر عند حكرا قباغا في ذكر الاحكار * قال القاضي دار الفيل هي الدار التي على بركة فارون ذكر بنو مسكين
انهم من حبس جدتهم وكان كافورا مبرمرا اشتراها ابن بني فيها دارا ذكر أنه انفق عليها مائة ألف دينار ثم سكنها
في رجب سنة ست وأربعين وثلاثمائة وذكر النبي انه انتقل اليها في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأنه
كان ادخل فيها عدة مساجد ومواقع اغتصبها من اربابها ولم يبق فيها غير أيام قلائل ثم ارسل الى أبي جعفر مسلم
الحسيني ليلا فقال له اضربني الى داره فاضرب به فخر على دار فقال ان هذه فقال لعلك تحري اترية فدخلها
وأقام فيها ثمورا الى أن عمرواله دار بخارويه المعروفة بدار الحرم وسكنها وقيل ان سبب انتقاله من جنان بني
مسكين بخار البركة وقيل وباء وقع في غلمانه وقيل ظهر له بها جان وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التي
تعرف اليوم بالروضة قال أبو عمر الكندي في كتاب الموالي ومنهم أبو غنيم مولى مسلمة بن مخلد الانصاري كان
شريف في الموالي وولاه عبد العزيز بن مروان الجزيرة ثم عزله عنها وكان يجلس في داره التي يقال لها دار الفيل
فينظر الى الجزيرة فيقول لاخوانه أخبروني بأعجب شيء في الدنيا قالوا ما نارة الاسكندرية قال ما اصبتم شيئا
قال فيقولون له فقناة قرطاجنة فيقول ما صنعت شيئا قالوا فما تقول انت قال العجب اني انظر الى الجزيرة
ولا اقدر ادخلها وعلى هذه البركة الآن عدة آذر جليلة وحمام وغير ذلك والله تعالى اعلم بالصواب
* (بركة الفيل) هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهي كبيرة جداء لم يكن في القديم عليها بانيان ولما وضع
جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين
حارة السودان وحارة البانسية وبين بركة الفيل قضاء ثم عر الناس حول بركة الفيل بعد السماثة حتى صارت
مساكنها اجل مساكن مصر كلها * قال ابن سعد وقد ذكر القاهرة وأعني في ظاهرها بركة الفيل لانها

دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرح اصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها قول

انظر الى بركة القيل التي اكتنفت * بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدوق فقلت

انظر الى بركة القيل التي فحرت * لها الغزالة فخر من مطالعها

وخل طرفك محفواً بيهجتها * تهيم وجداً وحبا في بدائعها

وماء النيل يدخل الى بركة القيل من الموضع الذي يعرف اليوم بالجسر الأعظم تجاه الكباش وبلغني أنه كان هناك قنطرة كبيرة تهدمت وعمل مكانها هذه المجاديل الحجر التي يزرعها الناس ويعبر ماء النيل الى هذه البركة أيضاً من الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديماً وحديثاً بالمجنونة وهي الآن لا تشبه القناطر وكناسها سرب يعبر منه الماء وفوقه بقية عقد من ناحية الخليج كان قد عقده الأمير الطبرس وبني فوقه منبرها فقال فيه علم الدين بن صاحب

ولقد عجب من الطبرس وصعبه * وعقواهم بعقوده مفتونه

عقدوا عقوداً لا تصح لانهم * عقدوا المجنون على مجنونه

وكان الطبرس هذا يعتريه الجنون واتفق أن هذا العقد لم يصح وهدم وآثاره باقية الى اليوم * (بركة الشقاق) هذه البركة في بر الخليج الغربي بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ في خطباف اللوق وكانت هذه البركة من جملة أراضي الزهري كما ذكر في حكر الزهري عند ذكر الاحكار وكان عليها في القديم عدة مناظر منها منظره الأمير جال الدين موسى بن بغمور وذلك أيام كانت أراضي اللوق مواضع زهرة قبل أن تختكروتنى دوراً وذلك بعد سنة ستمائة والله تعالى أعلم * (بركة السباعين) عرفت بذلك لأنه اتخذ عليها دار للسباع وهي موجودة هناك الى يومنا هذا وهي من جملة حكر الزهري وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة الا بعد سنة سبع مائة وانما كان جميع ذلك الخط وما حوله من منشأة المهراني الى المقس بساتين ثم حكرت * (بركة الرطل) هذه البركة من جملة ارض الطباخة عرفت ببركة الطوائين من اجل انه كان يعمل فيها الطوب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري القس الأمير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج على الجرف الى أن يترجى بجانب بركة الطوائين هذه ويصب من بحري ارض الطباخة في الخليج الكبير فواقوه على ذلك ومن الخليج من ظاهر هذه البركة كما هو اليوم فلما جرى ماء النيل فيه روى ارض البركة فعرفت ببركة الحاجب فانها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب المذكور وكان في شرقي هذه البركة زاوية بها فخل كثير وفيها شخص يصنع الارطال الحديد التي تزن بها الباعة فسموها الناس بركة الرطل نسبة لصانع الارطال وبقيت فخل الزاوية قائمة بالبركة الى ما بعد سنة تسعين وسبع مائة فلما جرى الماء في الخليج الناصري ودخل منه الى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنا فوقه الدور ثم تبايعوا في البناء حول البركة حتى لم يبق بدايرها خلوصاً صارت المراكب تعبر اليها من الخليج الناصري فتدورها تحت البيوت وهي مشحونة بالناس فتمر هناك للناس احوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير انكار فاذا انضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره فيجتمع فيها من الناس في يوم الاحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد وأدركت بهذه البركة من بعد سنة سبعين وسبع مائة الى سنة ثمانمائة اوقانا انكفت فيها عن كان بها ايدي الغير ووقدت عن اهلها العين الحوادث وساعدتهم الوقت اذ الناس ناس والزمان زمان ثم لما تكرر جرح المسمرات وتقلص ظل الرفاهة وانزلت محائب الحزن من سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وفيها الى الآن بقية صيباه ومعالم ايس وآثار تنبي عن حسن عهد ولله در القائل

في ارض طباختنا بركة * مدهشة للعين والعقل

ترج في ميزان عقلي على * كل بحار الارض بالارطل

* (البركة المعروفة بطن البقرة) هذه البركة كانت فيما بين أرض الطبالة وأراضى اللوق يصل اليها ماء النيل من الخور فيعبر في خليج الذكريا وكانت تحياه قصر اللؤلؤة ودار الذهب في بر الخليج الغربي وأول ما عرفت من خبر هذه البركة انها كانت بستانا كبيرا فيما بين المقس وجنان الزهري عرف بالبستان المقسى نسبة الى المقس ويشرف على بحر النيل من غربيه وعلى الخليج الكبير من شرقيه فلما كان في أيام الخليفة الظاهر لا عزازدين الله الى هاشم على بن الحاكم أمر الله امر بعد سنة عشر وأربعمائة بإزالة انشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام المنطرة التي تعرف باللؤلؤة فلما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر بالله هجرت البركة وبني في موضعها عدة اماكن عرفت بجارة اللصوص اذ ذاك فلما كان في أيام الخليفة الأشمر بأحكام الله ووزارة الاجل المامون محمد بن فائق البطائحي ازيلت الابنية وعرق حفر الارض وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكريا فصارت بركة عرفت بطن البقرة وما برحت الى ما بعد سنة سبع مائة وكان قد تلاشى أمرها منذ كانت الغلوة في زمن الملك العادل كتبغا سنة سبع وتسعين وستمائة فكان من خرج من باب القنطرة يجد عن يمينه أرض الطبالة من جانب الخليج الغربي الى حد المقس ويجد بطن البقرة عن يساره من جانب الخليج الغربي الى حد المقس وبحر النيل الاعظم يجري في غربي بطن البقرة على حافة المقس الى غربي أرض الطبالة ويمر من حيث الموضع المعروف اليوم بالحرف الى غربي البعل ويجري الى منية الشيرج فكان خارج القاهرة احسن منتزه في مصر من الامصار وموضع بطن البقرة يعرف اليوم بكوم الجاكي المجاور ليدان القمع وما جاور تلك الكيمان والخراب الى نحو باب اللوق وحدثنى غير واحد ممن لقيت من شيوخ المقس عن مشاهدة آثار هذه البركة واخبرني عن شاهد فيها الماء والى زمننا هذا موضع من غربي الخليج فيما يلي ميدان القمح يعرف بطن البقرة بقية من تلك البركة يجتمع فيه الناس للترهة * (بركة جناني) هذه البركة خارج باب الفتوح كانت بالقرب من منطرة باب الفتوح التي تقدم ذكرها في المناظر وكان ما حولها بساتين ولم يكن خارج باب الفتوح شيء من هذه الابنية وانما كان هنالك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم فلما حكر بستان ابن صيرم وعمر في مكانه الآثرو غيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ما حول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهي الى الآن عامرة وتعرف ببركة جناني * (بركة الججاج) هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو يريد منها عرفت أولا بجب عميرة ثم قيل لها أرض الحب وعرفت الى اليوم ببركة الججاج من أجل نزول حجاج البرية عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم وبعض من لا معرفة له بأحوال أرض مصر يقول جب يوسف عليه السلام وهو خطأ لا اصل له وما برحت هذه البركة منتزها للملك القاهرة * قال ابن يونس عميرة ابن عقيم بن جزء التميمي من بني القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة في الموضع الذي يبرز اليه الحاج من مصر لخروجهم الى مكة وقال أبو عمر الكندي في كتاب الخندق ان فرسان الخند من جب عميرة بن عقيم بن جزء وصاحب جب عميرة من بني القرناء طعن في تلك الايام فارتفعت بعد ذلك * وقال في كتاب الامراء ثم ان اهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر وكان السبب في ذلك أن لثابعت بمساح يسبحون عليهم اراضى زرعه فانتقصوا من القصب اصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكر واوساروا الى انفساط فخرج اليهم ليث في أربعة آلاف من جنود مصر ليومين بقيام شعبان سنة ثمانين ومائة فالتقى مع أهل الحوف لثني عشرة خلت من شهر رمضان فانهزم الجيش عن ليث وبقي في مائتين أو نحوها فحمل عليهم من معه فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم في أرض جب عميرة وبعث ليث الى انفساط بثمانين رأسا ورجع الى انفساط وقال المسيحي ولا تثنى عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب دياح رومي فيه ألف ثوب مرفوعة فضة ونصبت له فارة مستقلة وقبة منقله بالجواهر وضرب لابنه المنصور مضرب آخر وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر وأقبلت اسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يومها عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب * وقال ابن ميسر كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب في كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة وهو موضع نزهة بيئية انه خارج الحج على ميل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر في الروايع وضاع عن الماء ويسقيه الناس وقال ابو الخطاب بن دحية وخطب لبني عبيد يغداد أربعين جمعة وذلك

للمستنصر بل البطل المستنصر العقبلي صبيحة يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضيضي ضحي الا بصهباء
وادرك حجج الندامى قبل نفرهم * الى متى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل الف القطع للضرورة وهو جازن فخرج في ساعته بروايا النحر تزي بنغمات حداة الملاهي وتساقي * حتى
اناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق * فاقام بها سوق القسوق على ساق * وفي ذلك العام اخذه الله وأخذ أهل
مصر بالسنين * حتى بيع القرص في ايامه بالثمن الثمين * وقال القاضي الفاضل في حوادث المحترم سنة سبع
وسبعين وخمسة وفيه خرج السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بركة الحب للصيد ولهب الاكرة
وعاد الى القاهرة في سادس يوم من خروجه وذكر من ذلك كثير عن السلطان صلاح الدين وابنه الملك العزيز
عثمان * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفي حوادث صفر سنة اثنين وعشرين وسبع مائة وفيه
ركب السلطان الى بركة الحجاج للرعى على الكراكي وطلب كريم الدين ناظر الخاص ورسم أن يعمل فيها أحواشا
للخيول والجمال وميدانا وللا مبر بكثر الساقى مثله فأقام كريم الدين بنفسه في هذا العمل ولم يدع أحدا
من جميع الصنائع المحتاج اليهم يعمل في القاهرة عملا فكان فيها نحو الالف رجل ومائة زوج بقر حتى تمت المواضع
في مدة قريية وركب السلطان اليها وأمر بعمل ميدان لتساج الخيل فعمل ومابر ح الملوكة يركبون الى هذه
البركة لرمي الكراكي وهم على ذلك الى هذا الوقت وقد غربت الماني التي انشأها الملك الناصر وادركها هذه البركة
مرا حاطة بالالا غنام التي يعلقها التركاني حب القطن وغيره من العلف فتبلغ الغاية في السمن حتى انه يدخل
بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جنبها وثقلها وعجزها عن المشي وكان يقال كبش بركاوي نسبة الى هذه
البركة وشاهدت مرة كبش من كباش هذه البركة وزنت شقته التي فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الالية
وبلغني عن كبش انه وزن ما في بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا وكانت أليان تلك الكبش تبلغ الغاية
في الكبر وقد بطل هذا من القاهرة منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة حتى لا يكاد يعرفه اليوم
الأفراد من الناس وبركة الحجاج اليوم ارباب دركها قوم من العرب يعرفون ببني صبرة وقال الشريف
محمد بن اسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في معرفة القبائل والبطون بنو بطيخ بطن من لخم وهم ولد بطيخ
ابن مغالة بن دحمان بن عيث بن كليب بن أبي الحارث بن عمرو بن ربيعة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة
ابن لخم ونجدها بنو صبرة بن بطيخ ولهم حارة مجاورة للخطبة المعروفة اليوم بكوم دينار السائس وصبرة في خندف
وفي قيس وزاروين فالتى في خندف في بني جعفر الطيار بنو صبرة بن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن ابراهيم
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فخذو التي في قيس بنو صبرة بن بكر بن اشجع بن ريث بن غطفان
ابن سعد بن قيس بن عيلان فخذو أما التي في زرار في شيان بنو صبرة بن عوف بن محكم بن ذهل بن شيان بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دغعي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن زرار
فخذو وأما التي في عمن في لخم وخدام فأما التي في لخم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دحمان بن عيث بن كليب
ابن أبي الحارث بن عمرو بن ربيعة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة بن لخم وأما التي في جدام فبنو
صبرة بن نصيرة بن غطفان بن سعد بن اياس بن حرام بن جدام واليه يرجع الصبريون وهم بالشام والله تعالى
أعلم * (بركة قرموط) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس كانت من جملة بستان ابن ثعلب فلما حفر الملك
الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري من موردة البلاط رعى ما خرج من الطين في هذه البركة وبني الناس
الدور على الخليج فصارت البركة من ورائها وعرفت تلك الخطبة كلها ببركة قرموط وادركها ديارا جديلة
تناهى اربابها في احكام بنائها وتحسين سقوفها وبالقوا في زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الاشجار وأجروا
ليها المياه من الآبار فكانت تعد من المساكن البديعة الترفهة واكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم
وهم في الحقيقة المترفون أولو النعمة فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وافي لاذكرها وما مررت
بها قط الا وسيتلى من كل دار هناك آثار النعم اماروا نائح تقلى المطايخ أو عبيد بخور العود والنداء ونفحات
الجرأ وصوت غناء اودق هاون ونحو ذلك مما بين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم ثم هي
الآن موحشة خراب قد هدمت تلك المنازل وبيعت أبقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة

فزلت الطرق وجهلت الازقة وانكشفت البركة وبقي حولها بساتين خراب وبلغنى أن المراكب كانت تعبر الى هذه البركة لتتنزه وما احسب ذلك كان قائما كانت من جملة البستان ولم ينقل انه كان بقربها خليج سوى الخور ويعد أن يصل اليها والله أعلم * وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية * (بركة قراجا) هذه البركة خارج الحسينية قريبا من الخندق عرفت بالامير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالامرة فى سنة سبع عشرة وسبعمائة * (البركة الناصرية) هذه البركة من جملة جنات الزهرى فلما خربت جنات الزهرى صار موضعها كوم تراب الى أن أنشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان المهارى فى سنة عشرين وسبعمائة وأراد بناء الزرية بجانب الجامع الطيرسى احتياج فى بنائها الى طين فركب وعين مكان هذه البركة وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب اورا قابا بأسماء الامراء واتدب الامير بيرس الحاجب فنزل بالهندسين فقا سوادور البركة ووزع على الامراء بالاقصاب فنزل كل امير وضرب خيمة ليعمل ما يخصه فابتدوا العمل فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فتمادى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان اذ ذلك فى تلك الارض عدة كنائس ولم يكن هنالك شئ من العمائر التى هى اليوم حول البركة الناصرية ولا من العمائر التى فى خط قناطر السباع ولا فى خط السبع سقايات الى قنطرة السدة وانما كانت بساتين وكنائس وديورة للنصارى فاستولى الحفر على ما حول كنيسة الزهرى وصارت فى وسط الحفر حتى تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير نعمة هدمها فأراد الله تعالى هدمها على يد العامة كما ذكر فى خبرها عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين الى الزرية وجرى اليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأراضى بستان الخشاب عندهم وردة البلاط فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة فحفر الناس ما حولها وبنوا عليها الدور والظمية وما برح خط البركة الناصرية عامرا الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فتمرع الناس فى هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هنالك والهدم مستمر الى يومنا هذا

* (ذكر الجسور) *

الجسر بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيده والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر قال ان فراخا كفراخ الاوكر * بأرض بغداد وراء الاجسر والكثير جسور * (جسر الافرم) هذا الجسر بظاهر مدينة مصر فى بابين المدرسة المعزية بركة الحناء قبل مصر وبين رباط الاسمار النبوية كان موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار قضا الى بحرى خليج بيني وائل ثم ابني الناس فيه مواضع وكان هنالك الهرى قريبا من الخليج ثم صار موضع جسر الافرم هذا ترعة يدخل منها ماء النيل الى البركة الشعبية فلما استأجر الامير عز الدين أيسك الافرم بركة الشعبية وجعلها بستانا كما تقدم ذكره فى البرلر دهم هذه التربة وبني حيطان البستان وجسر عليه فأقام على ذلك سنين ثم لما استأجر أرض البركة بعد ما غرسها بالاشجار اجارة ثانية اشترط البناء على ثلاثة أفدنة فى جانب البستان الغربى وقدان فى جانبه البحرى ونادى فى الناس بفتح كيره وأرخص سعر الحكر وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم فهرع الناس اليه واحتكروا منه المواضع وبنوا فيها الدور المظلة على النيل فاستغنى بالعمائر عن عمل الجسور فى كل سنة بين البحر والبستان الذى أنشأه وبقي اسم الجسر عليه الى يومنا هذا الا أن الآدر التى كانت هنالك خربت منذ انظر د النيل عن البر الغربى بعد ما بلغ ذلك الخط الغاية فى العمارة وكان سكن الوزراء والاعيان من الكتاب وغيرهم * (الجسر الاعظم) هذا الجسر فى زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا مشى فيه من الكباش الى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة القيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أبحار يراها من يمر هنالك وبلغنى انه كان هنالك قنطرة مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطانى عند وردة البلاط أمر بهدم القنطرة فهدمت ولم يكن اذ ذلك على بركة القيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت ظاهرة يراها المارة ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصغر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هنالك * (الجسر بأرض الطالبة) هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلى وبين الخليج

الناصرى أقامه الامير الوزير سيف الدين بكتر الحاجب في سنة خمس وعشرين وسبعمئة لما انتهى حفر الخليج الناصرى واذن للناس في البناء عليه فحفر وبنيت فوقه الدور فصارت تشرف على بركة الرطلى وعلى الخليج وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتترجى حافة الخليج للترهفة فكثرت اغتياب غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى اليوم وهو من انزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة * (الجسر من بولاق الى منية الشيرج) كان السبب في عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة حتى أخرج من ناحية بستان الخشاب ودخل الماء الى جهة بولاق وفاض الى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير من بيوت الحكومة وامتد الماء الى ناحية منية الشيرج فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الامر وعزف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه متى غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها فركب السلطان الى البحر ومعه الامراء فرأى ما هاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقضى رأيه بعمل جسر عند نزول الماء وانصرف فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهراني ومنشأة الكتبة وعزق بساتين بولاق والجزيرة حتى صار ما بين ذلك ملقة واحدة وركب الناس المراكب للفرجة ومزوا بها تحت الاشجار وصاروا يتناولون التمار بأيديهم وهم في المراكب فتقدم السلطان لتولى القاهرة ومتولى مصر بيت الاعوان في القاهرة ومصر (ذا الحجير والجمال التي تنقل التراب الى الكيمان وألزمهم بالقاء التراب بناحية بولاق ونودي في القاهرة ومصر من كان عنده تراب فليمره بناحية بولاق وفي الاماكن التي قد علا عليها الماء فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا خوفا أن يخرق الماء ويدخل الى القاهرة وألزم ارباب الاملاك التي بولاق والخور والمناشي أن يقف كل واحد على اصلاح مكانه ويجتهد من عبور الماء على غفلة فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب حتى عذمت الحرافيش ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ووميه ونضرت الأكر القرية من البحر بنزها وغرقت الاقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواب التي بأعمال مصر فلما انقضت ايام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل في ايام نزوله ففسدت مطامير الغلات ومخازنها وشونها وتحسن سعر السكر والعسل وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء فكتب لولاة الاعمال بكسر الترع والجسور كي ينصرف الماء عن أراضي الزرع الى البحر الملح واحتياج الناس الى وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة ومساكنهم بنظر ما فسد من الفرق وفسدت عدة بساتين الى أن اذن الله تعالى بنزول الماء فسقط كثير من الدور وأخذ السلطان في عمل الجسور واستدعى المهندسين وامرهم باقامة جسر يصد الماء عن القادسة خشية أن يكون نيل مثل هذا وكتب باحضار خولة البلاد فلما تكاملوا امرهم فساروا الى النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلي المنية قد صارت أرضها وطبقة ومن هناك يخاف على البلد من الماء فلما عزفوا السلطان بذلك أمر بالزام من له دار على النيل بمصر ومنشأة المهراني او منشأة الكتاب أو بولاق أن يعمر قدامها على الجزيرة وبأنه لا يطلب منهم عليها حكر ونودي بذلك وكتب مرسوم بمساحتهم من الحكر عن ذلك فشرع الناس في عمل الزرابي وتقدم الى الامراء بطلب فلاحى بلادهم واحضارهم بالبقر والجرار ليفعل الجسر من بولاق الى منية الشيرج ونزل المهندسون فقاموا الارض وفرضوا الكل أميرا قصبا بمعينة وضرب كل أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل فأقاموا في عمله عشرين يوما حتى فرغ ونصبت عندهم الاسواق لجاء ارتفاعه من الارض أربع قصبات في عرض ثمانى قصبات فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا وقد الله سبحانه وتعالى أن الزرع في تلك السنة حسن الى الغاية وافلح فلا حجبها وانحط السعر لكثرة ما زرع من الاراضى وخصب السنة وكان قد اتفق في سنة سبع عشرة وسبعمئة غرق ظاهرا القاهرة أيضا وذلك أن النيل وفي ستة عشر ذراعا في ثالث عشر جادى الاولى وهو التاسع والعشرون من شهر أبيب أحد شهور القبط ولم يعهد مثل ذلك فان الانيال البدرية يكون وقاؤها في العشر الاول من مسرى فلما كثر سيل الخليج توقفت الزيادة مدة ايام ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع توت والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة أصابع ثم زاد في يوم تسعة أصابع واستمرت الزيادة حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع ففاض الماء واقطع طريق الناس فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الزيش والمنية وخرج من جانب المنية وعزقها فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر الوجه القبلى والبحرى وكسر بحراى المنجا

وفتح سد بلبيس وغيره قبل عيد الصليب وغرقت الاقصاب والزراعات الصيفية وعمّ الماء ناحية منية الشيرج
وناحية شبراخيت الدور التي هنالك وتلف للناس مال كثير من جلته زيادة على ثمانين ألف جرة خروا غرة
تسكسرت في ناحية المنية وشبرا عند هجوم الماء وتلفت مطامير الغلة من الماء حتى بيع قدح القمح بفلس
والفلس يومئذ جرة من ثمانية وأربعين جراً من درهم وصار من بولاق الى شبرا بحرا واحداً تمر فيه المراكب للزينة
في بساتين الجزيرة الى شبرا وتلفت القواصكه والمشمومات وقلت الخضرا التي يحتاج اليها في الطعام وغرقت
منشأة المهراني وفاض الماء من عند خاتقاه رسلان وأفسد بستان الخشاب واتصل الماء بالجزيرة التي تعرف
بجزيرة الفيل الى شبرا وغرقت الاقصاب التي في الصعيد فان الماء اقام عليها ستة وخمسين يوماً فعصرت كلها غسل
فقط وخرت سائر الجسور وعلاها الماء وتأخر هبوطه عن الوقت المعتاد فسقطت عدة دور بالقااهرة ومصر
وفسدت منشأة الكتاب المجاورة لمنشأة المهراني فلذلك عمل السلطان الجسر المذکور خوفاً على القااهرة من الغرق
* (الجسر بوسط النيل) وكان سبب عمل هذا الجسر أن ماء النيل قوى رميته على ناحية بولاق وهدم جامع
الخطيري ثم جدد وقويت عمارته وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقي الا قوة فأهم الملك الناصر أمره وكتب
في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بطاب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد افريقية وجع المهندسين من أعمال
مصر كلها قبلها وبجربها فالتكاملوا عنده ركب بعساكره من قلعة الجبل الى شاطئ النيل ونزل في الحراقة
وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وجولة الجسور وكشف امر شطوط النيل فاقضى الحال أن
يعمل جسر افيم بين بولاق وناحية انبوبة من البر الغربي ليرد قوة التيار عن البر الشرقي الى البر الغربي وعاد الى
القلعة فكثبت مراسيم الى ولاية الاعمال باحضار الرجال محبة المشددين واستدعى شاذ العمار السلطانية وأمره
بطلب الجمارين وقطع الحجر من الجبل وطلب رئيس البحر وشاذ الصناعة لاحضار المراكب فلم يمض سوى
عشرة ايام حتى تكامل حضور الرجال مع الشاذين من الاقاليم وندب السلطان لهذا العمل الامير اقبغا عبد
الواحد والامير برصبغا الحاجب فبرز ذلك وأحضر والى القااهرة ووالى مصر وأمر بجمع الناس وتسخير
كل أحد للعمل فركبوا وأخذوا الحرافيش من الاماكن المعروفة بهم وقبضوا على من وجد في الطرقات وفي
المساجد والجوامع وتبعهاهم في الاسفار ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الاحد عاشر ذي القعدة
وكانت ايام القيظ فهلك فيه عدة من الناس والامير اقبغا في الحراقة يستحث الناس على انجاز العمل
والمراكب تحمل الحجر من القصر الكبير الى موضع الجسر وفي كل قليل يركب السلطان من القلعة ويقف على
العمل ويهين اقبغا ويسببه ويستحثه حتى تم العمل للنصف من ذي الحجة وكانت عدة المراكب التي غرقت فيه
وهي مشحونة بالحجارة اثني عشر مراكباً كل مراكب منها تحمل ألف أردب غلة وعدة المراكب التي ملئت بالحجر
حتى ردم وصار جسر ثلاثة وعشرون ألف مراكب سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسمرياتا وحفر في
الجزيرة خليج وطى فلما جرى النيل في ايام الزيادة مرفى ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار وصارت قوة
جرى النيل من ناحية انبوبة بالبر الغربي ومن ناحية التكروري أيضاً فسر السلطان بذلك وأعجبه إعجاباً
كثيراً وكان هذا الجسر سبب انظراد الماء عن بر القااهرة حتى صار الى ما صار اليه الآن * (الجسر فيما
بين الجزيرة والروضة) كان السبب المقضي لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق
وناحية انبوبة وناحية التكروري انظراد ماء النيل عن بر القااهرة وانكشف أراض كثيرة وصار الماء يحاض
من بر مصر الى المقياس وانكشف من قبالة منشأة المهراني الى جزيرة الفيل والى منية الشيرج وصار الناس
يجدون مشقة بعد الماء عن القااهرة وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعد ما كانت بنصف وربع
درهم فشكا الناس ذلك الى الامير أرغون العلاق والى السلطان الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد
ابن قلاوون فطلب المهندسين ورئيس البحر وركب السلطان بأمراته من القلعة الى شاطئ النيل فلم يتهيأ عمل
لما كان من ابتداء زيادة النيل الآن رأى اقتضى نقل التراب والثقاف من مطابخ السكر التي كانت بمصر
والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر فنقل ثلث عظيم من التراب في المراكب الى الروضة وعمل جسر من الجزيرة الى
نحو المقياس في طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعاد الماء الى جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن اصال
الجسر الى المقياس لقله التراب وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره واتفق قسبل الملك الكامل بعد

ذلك وبطلنة أخيه الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فلما
دخلت سنة ثمان وأربعين وقف جماعة من الناس للسلطان في أمر البحر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف
الأراضي من تحت البيوت وغلاء الماء في المدينة فأمر بالكشف عن ذلك فنزل المهندسون وانفقوا على إقامة
جسر ليرجع الماء عن بر الحيزة إلى بر مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة
فأمر بجبايتها من أرباب الاملاكة التي على شط النيل وأن يتولى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر المحتسب
جبايتها واستخراجها فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من أراضيها خمسة عشر درهما وولوى قياسها أيضا
المحتسب وولوى الصنعة فبلغ قياسها سبعة آلاف وستمائة ذراع وجبى نحو السبعين ألف درهم فانفق عزل الضياء
عن الحسبة ونظر المنارستان المنصوري ونظر الجوالى وولاية ابن الاطروش مكانه ثم قتل الملك المظفر وولاية
أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ساطنة مصر بعد في شهر رمضان من أفلما كان في سنة تسع وأربعين
وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر فنزل الأمير بابه أروى نائب السلطنة والأمير منجك الاستادار وكان قد
عزل من الوزارة والأمير قبالى الحاجب وجماعة من الأمراء ومعهم عدة من المهندسين إلى البحر في الحراريق
والمراتب إلى بر الحيزة وقاموا ما بين بر الحيزة والقياس وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم
وألف خشبية من الخشب وخسمائة صاروا ألف حجر في طول ذراعين وعرض ذراعين وخمسة آلاف شفة وغير
ذلك من أشياء كثيرة فتركب النائب والوزير والأمير شيخو والأمراء إلى الحيزة وأعادوا النظر في أمر الجسر ومعهم
أرباب الخبرة فالتزم الأمير منجك بعمل الجسر وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الأمراء والأجناد
والكتاب وأرباب الاملاكة بحيث أنه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه فرس لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند وقطر على
كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم إلى أربعة آلاف درهم وعلى
كل كاتب أمير ألف مائة درهم وكاتب أمير الطبخانات مائة درهم وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم
وعلى كل دار درهمان وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما إلى عشرة دراهم وعلى كل طاحون خمسة
دراهم عن الحجر وعلى كل صهر حج في تربة بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو في مدرسة من عشرة دراهم إلى خمسة
دراهم وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم إلى درهمن وعلى أصحاب المقاعد والمعيشين في الطرقات شيء وكشف
البساتين والدورات التي استحدثت من بولاق إلى منية الشرج والتي استحدثت في الحكورة والتي استحدثت على الخليج
الناصرى وعلى بركة الحاجب وفي حكر أخى صارو جاقىست أراضيها كلها وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر
درهما وأخذ عن كل قين من اقنة الطوب شيء وعن كل فاخورة من الفواخير شيء وفرض على كل وقف
بالقاهرة ومصر والقراطين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شيء وكتب إلى ولاية الأعمال بالجباية
من ديورة النصارى وكتبتهم من مائتي درهم إلى مائة درهم وقطر على الفنادق والحنانات التي بالقاهرة ومصر
شيء وقطر على ضامنة الاغانى مبلغ خمسين ألف درهم وأقيم لكل جهة شاذ وصيرفي وكتاب وغير ذلك من المستحقين
من الاعوان فنزل من ذلك بالناس بلائ كبير وشدة عظيمة فأنه أخذ حتى من الشيخ والجوزوالارمله وجبى المال
منهم بالعبث وباطل كثير منهم مائة لبعية في القرامة ودهى الناس مع القرامة بتسلط الظلمة من العرفاء والضعفاء
والرسل فكان يغرم كل أحد للقباض والشاذ والصيرفي والشهود سوى ما قتر عليه جله دراهم فكثير كلام
الناس في الوزير حتى صاروا يلهمون قولهم هذه بخطه مرصعة نزلت من السماء على أهل مصر وقلسوا
شدة أخرى في تحصيل الاصناف التي يحتاج إليها ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة ونادى
في الجرافيش والفعلة من أراد العمل بمصر وبأخذ أجرته درهما ونصفا وثلاثة أرغفة فاجتمع اليه عالم كثير
وجعل لهم شيئا يستظلون به من حر الشمس وأحسن إليهم ورتب عدة من الكتب لنقل الحجر وأقام عدة
من الحجارين في الجبيل لقطع الحجر وجمالا وحيرا تنقلها من الجبل إلى البحر ثم تحمل من البر في المراكب إلى بر
الحيزة وتبدأ بعمل الجسر من الروضة إلى ساقية علم الدين بن زنبور وعارضه بجسر آخر من بستان التاج اسحاق
إلى ساقية ابن زنبور وأقام أخشابا من الجهتين وردد بينهما بالتراب والحجر والحلواء ورتب الجبال السلطانية
لقطع الطين من بر الروضة وجعله إلى وسط الجسر وأمر أن لا يبقى بالقاهرة ومصر صنائع الاحضر العمل وألزم
من كان بالقرب من داره ككوم تراب أن ينقله إلى الجسر فغرم كل واحد من الناس في نقل التراب من ألف

دراهم الى خمسمائة درهم وكان كل ما ينقل في المراكب من الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس وتحمله الجمال الى الجسر ثم اقتضى الرأي حفر خليج يجرى الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر فاحضرت الابار والجارايف والرجال لاجل ذلك وابتدؤا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور الى بولاق وكانت الزيادة قد قربت وانها لما انتهت الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه فسر الناس به سرورا كبيرا وانتهى عمل الجسر في أربعة اشهر الا أن الصناعة قويت على الوزير وبلغ الامراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الاموال فخذته في ذلك ومنعه فاعتذر بأنه لم يسخر أحد ولا استعمال الناس الا بالاجرة وان في هذا العمل للناس عدة منافع وما على من قول اصحاب الاغراض الفاسدة ونحو ذلك وتغادى على ما هو عليه فلما جرى الماء في الخليج الذي حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء الى بولاق مرت فيه المراكب بالناس للفرجة واحتاج منجك الى نقل خيمته من بر الروضة الى بر الجزيرة وأحضر المراكب الكبار وملاها بالجارايف وغرق منها عشرة مراكب في البحر وردم التراب عليها الى أن كل نحو ثلثي العمل تقويت زيادة الماء وبطل العمل فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والاسرى وردم على الجسر التراب وقواه فحاصل الماء عن البر الغربي الى البر الشرقي ومرت من تحت الميدان السلطاني وزرنية قوصون الى بولاق فصار معظمه من هذه المواضع وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة وانتهى طول جسر منجك الى مائتين وتسعين قصبة في عرض ثمان قصبات وارتفاع أربع قصبات والجسر الذي من الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة وعدة مارى في هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجارة اثنا عشر ألف مراكب سوى التراب وغير ذلك وكان ابتداء العمل في مستهل المحرم وانتهاه في سلخ ربيع الآخر ولم تنحصر الاموال التي جيت بسببه فانه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة الا وحي منه فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم ومن خصه درهم ان يحتاج الى غرامة أمثالهما وأضعافهما وناهيك بجمال يجي من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة وقد بقيت من جسر منجك هذه بقية هي معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى * (جسر الخليلي) هذه الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحري وبين جزيرة اروي المعروفة بالجزيرة الوسطى تجاه الخور وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمى تباره على بر القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وقام في عمل الجسر لصير رمى التبار من جهة البر الغربي كما تقدم ذكره انطرد الماء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهراني الى منية الشرج وعمل منجك الجسر الذي مرت ذكره ليعود الماء في طول السنة الى بر القاهرة فلم يتهيا كما كان أولا وجرى في الخليج الذي اختفاه تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى بولاق وصار تجاه هذا الخليج جزيرة والماء لا يزال ينطرد في كل سنة عن بر القاهرة الى أن استبد بتدبير مصر الامير الكبير برقوق فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة قصد الامير جهمار كس الخليلي عمل جسر ليعود الماء الى بر القاهرة ويصير في طول السنة هناك ويكثر النفع به فيرخص الماء المحمول في الروايا ويقرب مرسى المراكب من البلد وغير ذلك من وجوه النفع فشرع في العمل أول شهر ربيع الاول وأقام الخوازيق من خشب السنت طول كل خازوق منها ثمانية اذرع وجعلها صق في طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وسمر فيها افلاق النخل الممتدة والقي بين الخوازيق ترابا كثيرا واتصب هناك بنفسه ومالكه ولم يجب من أحد ما لا البتة فاتهمى عمدا في اخريات شهر ربيع الآخر وجفر في وسط البحر خليجا من الجسر الى زربية قوصون وقال شعراء العصر في ذلك شعرا كثيرا منهم عيسى بن حجاج

جسر الخليلي المقتدر سا * كالطود وسط النيل كيف يريد

فاذا سألتم عنهم قلنا لكم * ذا ثابت دهرنا وذلك يزيد

وقال الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

شكت النيل ارضه * للخليلى فاحصره

ورأى الماء خائفا * أن يطاها جسر

وقال

راى الخليلي قلب الماء حين طغى * بنى على قلبه جسرا وحيره

رأى ترميل ارضيه ووحدها * والنيل قد خاف بفشاها فجسره

ومع ذلك ما ازداد الماء الا انظر اذ اعز القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شئ كثير من الاراضي التي كانت عامرة بماء النيل وبعد النيل عن القاهرة بعد الميعاد في الاسلام مثله قط * (جسر شيبين) أنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة بسبب أن اقليم النيرة كانت له سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبي النجا وفي بعض السنين تشرق ناحية شيبين وناحية مرصا وغير ذلك من النواحي التي اراضيها عالية فشكا الامير بشتال من تشريق بعض بلاده التي في تلك النواحي فركب السلطان من قلعة الجبل ومعه المهندسون وخولة البسلاد وكانت له معرفة بأموال العمار وحدث س جيد وقرر سعيد ورأى مصيب فصار له كشف تلك النواحي حتى اتفق الرأي على عمل الجسر من عند شيبين القصر الى بنها العسل فوق الشروع في عمله وجعل له من رجال البسلاد اثني عشر ألف رجل وماتت قطعة جزاقة وأقام فيه القناطر فصار محبس لتلك البلاد واذا فتح بحر أبي النجا امتلأت الاملاق بالماء واستند على هذا الجسر وفي أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح بحر أبي النجا تلك السنة وفتح من جسر شيبين هذا وحصل بهذا الجسر نفع كبير لبلاد العلو واستجر منه عدة بلاد ووطية والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا * والله اعلم * (جسر امصر والجزيرة) اعلم أن الماء في القديم كان محيطا بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وجزيرة جسر من خشب يترع عليهم الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجزيرة وكان هذان الجسران من مرصا مكب مصطفة بعضها بجذاء بعض وهي موقفة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات * قال القاضي وأما الجسر فقال بعضهم رأيت في كتاب ذكره خط أبي عبد الله بن فضالة صفة الجسر وتعليقه وازالته وأنه لم يزل قائما الى أن قدم المأمون مصر وكان غريبا ثم أحدث المأمون هذا الجسر الموجود اليوم الذي تترع عليه المارة وترجع من الجسر القديم فبعد أن خرج المأمون عن البلد أتت ريح عاصف فقطعت الجسر الغربي فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا فبطل الجسر القديم واثبت الجديد ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية * وقال ابن زولاقي في كتابها تمام امر امصر ولعشر خناون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة سارت العساكر لقتال القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم الى أن قال في عبور جوهر أقبلت العساكر فعبرت الجسر أنواجا افواجا وأقبل جوهر في فرسانه الى المناخ موضع القاهرة وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة اصلى جسر القسطنطين ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتدا من القسطنطين الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربي المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة اليه واكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بمصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين القسطنطين والجزيرة راكبا احتراماً لموضع السلطان يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان رأس هذا الجسر الذي ذكره ابن سعيد حيث المدرسة الخروبية من انشاء البدو أحمد بن محمد الخزولي التاجر على ساحل مصر قبلي خط دار النحاس وما برح هذا الجسر الى أن خرب للملك المعز ايلى التركاني قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وسقانة فأهمل ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على المراكب وعلمه من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجزيرة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج فعمل ذلك * (الجسر من قلوب الى دمياط) هذا الجسر أنشاء السلطان الملك الظفر ركن الدين بيبرس المنصوري المعروف بالحا شنكير في اخريات سنة ثمان وسبع مائة وكان من خبره انه ورد القصاد بمواقفة صاحب قبر من عدة من ملوك الفرنج على غزو دمياط وانهم أخذوا ستين قطعة فاجتمع الامراء واتفقوا على انشاء جسر من القاهرة الى دمياط خوفا من حركة الفرنج في ايام النيل فيبتعدوا الوصول الى دمياط وعين لعمل ذلك الامير اقوش الرومي الحسامي وكتب الامراء الى بلادهم بخرج الرجال والاشهار ورسم الولاة بمساعدة اقوش وأن يخرج كل وال الى العمل برجال عمله وأبقارهم فباو صل اقوش الى ناحية فارسكور حتى وجد ولاة

الاعمال قد حضر وبالرجال والابصار قرب الامور فعمل فيه ثمانية جرافة بستمائة رأس بقرو ثلاثين ألف رجل وأقام اقوش الحرمة وكان عبوسا قليل الكلام مهابا الى الغاية فجذب الناس في العمل لكثرة من ضربه بالمقارع أو خرم انفه أو قطع اذنه أو اخرج به الى أن فرغ في نحو شهر واحد بقا من قلوب الى دمياط مسافة يومين في عرض أربع قصبات من اعلاه وست قصبات من اسفله ومشي عليه ستة رؤس من الخيل صفا واحد افعم النفع به وسلك عليه المسافرون بعدما كان يتعذر الساول ايام النيل لعبوم الماء الاراضي والله تعالى اعلم

* (وقد وجد بخط المصنف رحمه الله في اصله هنا ما صورته) *

امراء الغرب ببيروت بيت حشمة ومكارم مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت ولهم خدم على الناس وتفضيل وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي الذي مدحه أبو الطيب المتنبى بقوله

شدوا بابن اسحاق الحسين فصاغت * وقاربها كيزانها والتمارق

ثم كان كرامة بن بجير بن علي بن ابراهيم بن الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي فأقطعه الغرب وما معه بامرته فسمى امير الغرب وكان منشوره بخط العماد الاصفهاني الكاتب فحضر الامير كرامة بعد البدوة وسكن حصن بلعمور من نواحي اقطاعه وبعلو على تل اعمال بغير بناء ثم أنشأ أولاده هناك حصنا وماز الوايه وكان كرامة ثقيل على صاحب بيروت وذلك ايام الفرنج فاراد أخذه مرارا فلم يجد اليه سبيلا فآخذ في الخيلة عليه وهادن أولاده وسألهم حتى نزلوا الى الساحل وألقوا الصيد بالطير وغيره فرأسلهم حتى صار يصطاد معهم وأكرمهم وجباهم وكساهم وما زال يستدرجهم مرة بعد مرة ثم أخرج ابنه معه وهو شاب وقال قد عزمت على زواجه ثم دعاهم الى الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأثروا وأصغرا أولاد كرامة مع اتمه بالحصن في عدة قليلة فامتلا الساحل بالشواني والمدينة بالفرنج وتلقوهم بالشمع والاعاني فلما صاروا في القلعة وجلسوا مع الملوكة غدربهم وامسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم وركب مجموعهم ليلسا الى الحصن فأجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشعر والكهوف وبلغ من بالحصن أن أولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففحقوه وخرجت أتمهم ومعها ابنتها حبي بن كرامة وعمره سبع سنين ولم يبق من بنيهم سواه فأدركه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتوجه اليه لمباغت صيدا وبيروت وبأس رجله في ركابه فليس بيده رأسه وقال له أخذنا نارك طيب قلبك انت مكان ايك وامر له بكتابة أملاك أبيه بستان فارسا فلما كانت ايام المنصور قلاون ذكر أولاد تغلب بن مسعر الشجاعي أن يبد الخلية أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جلتهم أمراء الغرب فحماوا الى مصر ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لأمرائها وجندھا فأقطعت لعشرين فارسا من طرابلس فلما كانت ايام الاشرف خليل ابن قلاون قدموا مصر وسألوا أن يخذلوا على أملاكهم بالعدة فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة ارماع فلما كان الزول الناصري ونسابة الامير تنكر بالشام وولاية علاء الدين بن سعيد كشف تلك الجهات رسم السلطان المملوك الناصر محمد بن قلاون أن يستمر عليهم بستان فارسا فاستقرت على ذلك ثم كان منهم الامير ناصر الدين الحسين ابن خضر بن محمد بن حبي بن كرامة بن بجير بن علي المعروف بابن امير الغرب فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من توجه الى تلك الناحية وكانت اقامته بقرية أعبية بالجبل وله دار حسنة في بيروت واتصلت خدمته الى كل غادورائح وباد الاكابر والاعيان مع رياسة كبيرة ومعرفة عدة صنائع يتقنها وكاتبه جيدة وترسل بعدة قضاة ومولده في محرم سنة ثمان وستين وستمائة وتوفي للنصف من شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة انتهى * (ووجد بخطه أيضا من أخبار اليمن ما مثله) * كان ابتداء دولة بني زياد أن محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن زياد سلمه المأمون مع عدة من بني أمية الى الفضل بن سهل بن ذي الرياستين فورد على المأمون اختلال اليمن فأثنى الفضل على محمد هذا فبعثه المأمون أميراً على اليمن فخرج ومضى الى اليمن ونتج بها من بعد محاربه العرب وملك اليمن وبني مدينة زيد في سنة ثلاث ومائتين وبعث مولاه جعفر ابديه جليلا الى المأمون في سنة خمس وعاد اليه في سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا فارس فقوى ابن زياد وملك جميع اليمن وقتل جعفر الجبال وبني هامة المدينة الحجرية فظهرت كفاعة جعفر لكثرة دهائه فقتله ابن زياد ثم مات محمد بن زياد فلك بعده

ابنه ابراهيم ثم ملك بعده ابنه أبو الجليش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته ومات سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وترك طفلاً اسمه زياد فاقم بعده وكفلته أخته هند ابنة اسحاق وولّى معها رشده عبد أبي الجليش حتى مات فولّى بعده رشده عبده حسين بن سلامة وكان عفيفاً فوزر لهند ولاخيهما حتى ماتا ثم انتقل الملك الى طفل من آل زياد وقام بأمره عمته وعبد الحسين بن سلامة اسمه مرجان وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على أمره يقال لاحدهما قيس وللآخر نجاح فقتل قيس على الوزارة وكان قيس عسوفاً ونجاح رقيقاً وكان مرجان سيدهما يميل الى قيس وعمه الطفل يميل الى نجاح فشكا قيس ذلك الى مرجان فقبض على الملك الطفل ابراهيم وعلى عمته تلك فبنى قيس عليهم ما جدار افكان ابراهيم آخره لولك اليمن من آل زياد وكان القبض عليه وعلى عمته سنة سبع وأربع مائة فكانت مدة بني زياد مائتي سنة وأربعاً وستين سنة فغلب قتل ابراهيم وعمته تلك على نجاح وجمع الناس وحارب قيساً بنيد حتى قتل قيس وملك نجاح المدينة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وقال لسيدته مرجان ما فعلت بمواليك ومواليها فقال هم في ذلك الجدار فأخرجهم ما وصلى عليهم ما ودفنهم ما وبني عليهم ما مسجداً وجعل سيده مرجان موضعهم في الجدار ووضع معه جثة قيس وبني عليهم الجدار واستتب نجاح بمملكة اليمن وركب بالظلمة وضربت السكة باسمه ونجاح مولى مرجان ومرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشده ورشد مولى بني زياد ولم يزل نجاح ملكاً حتى مات سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة بممته جارية أهداها اليه الصليحي وترك من الاولاد عدة فلك منهم سعيد الاحول واخوته عدة سنين حتى استولى عليهم الصليحي فمهر بوا الى دهلك ثم قدم منهم جياش بن نجاح الى زييد متكرراً وأخذ منها ودعة وعاد الى دهلك فقدمها أخوه سعيد الاحول بعد ذلك واختفى بها واستدعى أخاه جياشاً وساراً في سبعين رجلاً يوم التاسع من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وقصدوا الصليحي وقد سار الى الحج فوافوه عند بئر أم معبد وقتلوه في ثلثي عشر ذي القعدة المذكور وقتل معه ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسه ما واحتاط على أمره أسماء بنت شهاب وعاد الى زييد معه أخوه جياش والرأسان بين أيديهما على هودج أسماء وملك اليمن فجمع المكرم ابن أمما في سنة خمس وسبعين وسار من الجبال الى زييد وقتل سعيداً فقتر سعيد وملك المكرم واسمه أحمد وأنزل رأس الصليحي وأخيه ودقهما وولى زييد خاله اسعد بن شهاب وماتت أسماء بعد ذلك في صنعاء سنة سبع وسبعين ثم عاد بنا نجاح الى زييد وملكها في سنة تسع وسبعين فقتر أسعد بن شهاب ثم غلبها أحمد المكرم بن علي الصليحي وقتل سعيد بن نجاح في سنة احدى وثمانين وفتر أخوه جياش الى الهند ثم عاد وملك زييد في سنة احدى وثمانين المذكورة فولدت له تجارته الهندية ابنة الفاتك بن جياش وبقي المكرم في الجبال يغير على بلاد جياش وجياش يملك تهامة حتى مات آخر سنة ثمان وتسعين فلك بعده ابنه فاتك وخالف عليه أخوه ابراهيم ومات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة فلك بعده ابنه منصور بن فاتك وهو صغير فثار عليه عمه ابراهيم فلم يظفر وثار زييد عبد الواحد بن جياش وملكها ففسار اليه عبد فاتك واستعادها ثم مات منصور وملك بعده ابنه فاتك بن منصور ثم ملك بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة حتى قتل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك بني نجاح فغلب على اليمن علي بن مهدي في سنة أربع وخمسين * (وأما الصليحي) فانه علي بن القاضي محمد بن علي كان أبوه في طاعته أربعون ألفاً فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله الرواحي أحد دعاة المستضيء وصحبه حتى مات وقد أسند اليه أمر الدعوة فقام بها وصار دليلاً لنجاح اليمن عدة سنين ثم ترك الدلالة في سنة تسع وعشرين وأربع مائة وصعد رأس جبل مسار في ستين رجلاً وجمع حتى ملك اليمن في سنة خمس وخمسين وأقام على زييد أسعد بن شهاب بن علي الصليحي وهو أخو زوجته وابن عمه ثم انه حج فقتله بنو نجاح في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين واستقرت التهام لبني نجاح واستقرت صنعاء لاجد بن علي الصليحي المقتول وتلقب بالملك المكرم ثم جمع وقصد سعيد بن نجاح بنيد وقاتله وهزمه الى دهلك وملك زييد في سنة خمس وسبعين فعاد سعيد وملك زييد في سنة تسع وسبعين فأتاه المكرم فقتله في سنة احدى وثمانين فلك جياش أخوه سعيد ومات المكرم بصنعاء سنة أربع وثمانين فلك بعده أبو جبر سبابة بن احمد المظفر بن علي الصليحي في سنة أربع وثمانين حتى مات سنة خمس وتسعين وهو آخر الصليحيين فلك بعده علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة فقدم من مصر الى جبال اليمن في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقام بأمر الدعوة والمملكة التي كانت بيد سبابة ثم قبض عليه

عليه باهر الخليفة الآخر بأحكام الله الفاطمي بعد سنة عشرين وخمسة واثنتي عشرة إلى الزريع
ابن عباس بن المكرم وآل الزريع من آل عدن وهم من حمدان ثم من جشم وبنو المكرم يعرفون بالذنب
وكانت عدن الزريع بن عباس وأحمد بن مسعود بن المكرم فقتلوا على زيد وولى بعدهما ولدا هما أبو السعود
ابن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبي السعود بن زريع حتى مات سنة
ثلاث وثلاثين وخمسة فولى بعده ولده الاعز على بن سبأ وكان مقامه بالمادة فمات بالسل وملك أخوه المعظم
محمد في سنة ثمان وثلاثين * وولى من الصليحيين أيضا المملكة السيدة سنة بنت أحمد بن جعفر بن موسى
الصليحي زوجة أحمد المكرم ولقبته بالحرّة ومولدها سنة أربعين وأربع مائة وربتها أسماء بنت شهاب
وترجها الملك المكرم أحمد ابن أسماء وهو ابن علي الصليحي سنة إحدى وستين وولاهها الأمر في حياته
فقامت بتدبير المملكة والحروب وأقبل زوجها على لذاته حتى مات وتولى ابن عمه سبأ فاستمرت في الملك
حتى مات سبأ وتولى ابن نجيب الدولة حتى ماتت سنة اثنتين وثلاثين وخمسة وشاركه في الملك المفضل
أبو البركات بن الوليد الجعري وكان يحكم بين يدي المملكة الحرة وهي من وراء الحجاب ومات المفضل في رمضان
سنة أربع وثلاثين وخمسة وملك بلاده ابنه الملك المنصور منصور بن المفضل حتى ابتاع منه محمد بن
سبأ بن أبي السعود معاقل الصليحيين وعدتها ثمانية وعشرون حصنا بمائة ألف دينار في سنة سبع وأربعين
 وخمسة وبقى المنصور بعد حتى مات بعد مائة وخمسة وثمانين سنة * (وأما علي بن مهدي) فانه
جبري من سوا حل زيد كان أبوه مهدي رجلا صالحا ونشأ أبوه على طريقة حسنة ووج ووعظ وكان
فصيحا حسن الصوت عالما بالتفسير وغيره يتحدث بالغيبيات فتكون له عدة أتباع كثيرة وجوع
عديدة ثم قصد الجبال وأقام بهم إلى سنة إحدى وأربعين وخمسة ثم عاد إلى أملاكه ووعظ ثم عاد إلى الجبال
ودعا إلى نفسه فأجابه بطن من خولان فسماهم الانصار وسمي من بعدهم من تهامة المهاجرين وولى على
خولان سبأ وعلى المهاجرين رجلا آخر وسمي كلا منهما شيخ الاسلام وجعلهما نقيسين على طائفتيهما فلا
يحاط بهما أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه إلى من تحت أيديهما وأخذ يغادي الغارات ويراهم على التماس
حتى أجلى البوادي ثم حاصر زيد حتى قتل فأتى بن محمد آخر ملوك بني نجاح فخارب ابن مهدي عبيد فأتى
حتى غلبهم وملك زيد يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمسة فبقي على الملك شهرين وأحد
وعشرين يوما ومات فلما بعده ابنه مهدي ثم عبد الغني بن مهدي وخرجت المملكة عن عبد الغني إلى أخيه
عبد الله ثم عادت إلى عبد الغني واستقر حتى سار إليه توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين
 وخمسة وفتح اليمن وأسر عبد الغني وهو آخر ملوك بني مهدي يكفر بالمعاصي ويقتل من يخالف اعتقاده
ويستبيح وطء نسائهم واسترقاق أولادهم وكان حنفي الفروع ولا يحبه فيه غلو زائد ومن مذهبه قتل من شرب
الخمر ومن سبغ الغناء ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من بأسر ملك بلاد اليمن كلها واستقرت في ملك السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب إلى مصر في شعبان سنة ست وسبعين
واستخلف على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلي وعلى زيد حطان بن كليل بن منقذ الكافي فمات شمس الدولة
بالأسكندرية فاختلف توابه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا فاستولى على اليمن ثم بعث في سنة ثمان
وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب فقدم إليها وقبض على حطان بن كليل بن منقذ
وأخذ أمواله وفيها سبعون غلافا زردية مملوءة ذهباً عينا وسجنه فكان آخر العهد به ونجا عثمان بن الزنجيلي
بأمواله إلى الشام فظفرها سيف الاسلام وصفت له مملكة اليمن حتى مات بها في شوال سنة ثلاث وتسعين
فأقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن طفتكين بن أيوب فحفظ وأدعى أنه أموي وخطب لنفسه بالخلافة وعمل
طول مائة عشرين ذراعا فصار عليه ممالكه وقتلوه في سنة تسع وتسعين وأقاموا بعده أخاه الناصر ومات بعد
أربع سنين فقام من بعده زوج أمه غازي بن خزيل أحد الأمراء فقتله جماعة من العرب وبقى اليمن بغير سلطان
فتغلبت أم الناصر على زيد فقدم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن أيوب إلى اليمن فغير يحمل ركوته على
كتفه فملكته أم الناصر البلاد وترجته فاشتد ظلمه وعموه إلى أن قدم الملك المسعود اقيس بن الملك
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من مصر في سنة اثنتي عشرة وستة مائة فقبض عليه وجعله إلى مصر

فأجرى له الكامل ما يقوم به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وأقام المسعود باليمن
 ووج وملك مكة أيضا في شهر ربيع الأول سنة عشرين وستمائة وعاد الى اليمن ثم خرج عنها واستخلف عليها
 استاداره على بن رسول فمات بمكة سنة ست وعشرين فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات في سنة
 تسع وعشرين واستقر عوضه ابنه عمر بن علي بن رسول وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين واستقر
 بعده ابنه المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول وصفاه اليمن وطالت أيامه انتهى ما ذكره المصنف بخطه في
 تاريخه عفا الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مقرة ومثواه * (ووجد بخطه أيضا ما مثله) * السلطان محمد بن طغلق
 شاه وطغلق يلقب غياث الدين وهو مملوك السلطان علاء الدين محمد بن شهاب الدين مسعود ملك الهند مقر
 ملكه مدينة دهلي وجميع البلاد برأيه الجزائر المغلطة في البحر وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر
 الا وهو بيده وأول ما فتح ملكه تكنك عدة قراها مائة ألف قرية وتسعمائة قرية ثم فتح بلاد حاجنكير وبها سبعون
 مدينة جليلة كلها بناه على البحر ثم فتح بلاد نكوت وهي كرمي تسعة مملوك ثم فتح بلاد دواكير وبها أربع
 وثمانون قلعة كلها جليلات المقدار وبها ألف ألف قرية وما تبا ألف قرية ثم فتح بلاد دورسمند وكان بها ستة مملوك
 ثم فتح بلاد المعبر وهو إقليم جليل له سبعون مدينة بناه على البحر وجملة ما بيده ثلاثة وعشرون اقليما وهي
 إقليم دهلي وإقليم الدواكير وإقليم المثنان وإقليم كهران وإقليم سامان وإقليم سويستان وإقليم وجاه وإقليم هاسي
 وإقليم سرسني وإقليم المعبر وإقليم تكنك وكرات وإقليم بداون وإقليم عوض وإقليم التيوذج وإقليم نكوت وإقليم
 بهار وإقليم كره وإقليم ملاوه وإقليم بهادر وإقليم كلاقور وإقليم حاجنكير وإقليم بليج وإقليم دورسمند وهذه الاقاليم
 تشمل على ألف مدينة ومائتي مدينة ومدينة دهلي دورسمند وأربعون ميلا وجملة ما يطلق عليه اسم دهلي
 احدى وعشرون مدينة وفي دهلي ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة فانها للشافعية ونحو سبعين مارستانا
 وفي بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين وبها جامع ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع في الهواء وللسلطان خدمة
 مرتين في كل يوم بكرة وبعد العصر ورتب الامراء على هذه الانواع اعلامهم قدرا الخانات ثم المملوك ثم الامراء
 ثم الاسفهلارية ثم الجندي في خدمته ثمانون خانا وعسكره تسعمائة ألف فارس وله ثلاثة آلاف فيل تلبس في
 الحروب البرك اصطوانات الحديد المذهب وتلبس في ايام السلم جلال الديناج وأنواع الحرير ووزين بالقصور
 والاسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للعرب فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة
 وله عشرون ألف مملوك اترال وعشرة آلاف خادم خصي وألف خازن دار وألف مشبق دار وما تبا ألف عبد ركابية
 تلبس السلاح وتمشي بركابه وتقاتل رجاله بين يديه والاسفهلارية لا يترهل منهم أحد لقرب السلطان وانما يكون
 منهم نوع الولاة والخان يكون له عشرة آلاف فارس وللملك ألف والامير مائة فارس وللاسفهلار دون
 ذلك ولكل خان عبدة لكي كل ثلث مائة ألف تنكة كل تنكة ثمانية دراهم ولكل ملك من ستمين ألف تنكة الى
 خمسين ألف تنكة ولكل امير من أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ولكل اسفهلار من عشرين ألف
 تنكة الى ما حولها ولكل جندي من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى
 ألف تنكة سوى طعامهم وكساويهم وعليتهم ولكل عبد في الشهر منان من الحنطة والارز وفي كل يوم ثلاثة
 استار لهم وما يحتاج اليه وفي كل شهر عشر تنكات يضاف وفي كل سنة أربع كساوي وللسلطان دار طراز فيها أربعة
 آلاف قزاز لعمل انواع القماش سوى ما يحمل له من الصين والعراق والاسكندرية ويفرق كل سنة مائتي
 ألف كسوة كاهله في فصل الربيع مائة ألف وفي فصل الخريف مائة ألف في الربيع غالب الكسوة من عمل
 الاسكندرية وفي الخريف كلها حريم من عمل دار الطراز بهلي وقاش الصين والعراق ويفرق على الخوانك والربط
 الكساوي وله أربعة آلاف زر كشي تعمل الزركش ويفرق كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة
 سوى ما يعطى الاجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطى جشرات ومع هذا فان الخيل عنده غالية مطلوبة
 وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابريت اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ووزير اقطاعه كذلك وله أربعة نواب مسي
 كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة وله أربعة ريسان أي كتاب سر لكل واحد منهم ثمانية
 كاتب ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة واصدر جهان وهو قاضي القضاة قري يتحصل منه نحو ستمين ألف تنكة
 ولصدر الاسلام وهو أكبر نواب القاضي ولشيخ الاسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك وللحسب ثمانية آلاف تنكة

وله ألف طيب وما شاطيب وعشرة آلاف بزار تركب الخيل وتعمل طيور الصيد وله ثلاثة آلاف سواق
لتحصيل الصيد وخمسمائة نديم وألفان ومائتان للملاهي سوى مما ليكه وهم ألف ملوك وألف شاعر باللغات
العربية والفارسية والهندية يجري عليهم ديوانه ومتى غنى أحد منهم لغيره قلة ولكل نديم قريتان أو قرية ومن
أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة إلى عشرين ألف تنكة سوى الخلع والكمالي والاققادات ويعد في وقت
كل خدمة في المزين من كل يوم سباطياً كل منه عشرين ألفاً مثل الخانات والملوك والأمراء والأسفهلارية
واعيان الاجناد وله طعام خاص يأكل معه الفقهاء وعدتهم ما تنافسه في الغداء والعشاء فبأكلون
ويتباحثون بين يديه ويذبح في مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر والفارأس من الغنم سوى الخيل
وأشواك الطيور ولا يحضر مجلسه من الجند إلا الاعيان ومن دعتهم ضرورة إلى الحضور والتدما وارباب الاغاني
يحضرون بالنوبة وكذلك الريسان والاطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها الخدمة والشعراء تحضر في
العبدن والمواسم وأول شهر رمضان وإذا تجدد نصر على عدو أو قروح ونحو ذلك مما ينشئ به السلطان وأمر
الجند والعامة مرجعها إلى ابريت وأمر القضاة كلهم مرجعهم إلى صدر جهان وأمر الفقهاء إلى شيخ الاسلام
وأمر الواردين والوافدين والادباء والشعراء إلى الريسان وهم كتاب السر وجهاز هذا السلطان مرة أحد
كتاب سره إلى السلطان أبي سعيد رسولاً ويبعث معه ألف ألف تنكة ليمتدق بها في مشاهد العراق وخمسمائة
فرس فقدم بغداد وقدمات أبو سعيد وكان هذا السلطان ترعد الفرائض لمهاجته وتزلزل الارض لو كبه بحاسر
بنفسه لانصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوساً عاماً ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولوا السكين
ويجلس وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبداً وإذا ركب في الحرب فلا يمكن وصف هيئته وله أعلام سود في أوساطها
تباين من ذهب تسير عن يمينه وأعلام حمر فيها تباين من ذهب تسير عن يساره ومعه ما تناجل نقارات وأربعون
جلاً كوسات كبارا وعشرون بوقاً وعشرة صنوج ويذكر له خمس نوب كل يوم وإذا خرج إلى الصيد
كان في جف وعدة من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتي فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جبل كل
قصر منها على مائتي جبل كلها ملبسة حريراً مذهباً كل قصر طبقان سوى الخيم والجركاوات وإذا انتقل من مكان
إلى مكان للترهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المصع بالجواهر
والساقوت وإذا خرج في قصره من موضع إلى آخر يمر راكباً وعلى رأسه الحبر والسلاح دارية وراءه بأيديهم
السلاح وحوله نحو اشياء عشر ألف ملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الحبر والسلاح دارية والجدارية حمله
القماش وإذا خرج للعرب أو سفر طويل حل على رأسه سبع حبورة منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة وله نخامة
عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة والخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر الا بالاعلام
واكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام واكثر ما يحمل الأمير ثلاثة واكثر ما يجزئه الخان في الحضر عشرة جنائب
واكثر ما يجزئ الأمير في الحضر جنبيان وأما في السفر فحسب ما يجتاز وكان السلطان بر واحسان وفيه تواضع
واقدمات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية في فقه
الحنفية ويجيد علم العقول ويكتب خطاً حسناً ولذته في الرياضة وتأديب النفس ويقول الشعر ويباحث العلماء
ويأخذ الشعراء ويأخذ بطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلماء عنده والعلماء تحضر عنده وتفطر
في رمضان معه بتعيين صدر جهان لهم في كل ليلة وكان لا يترخص في محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد
في بلاده أن يتظاهر بمحرم وكان يشدد في الخمر ويبلغ في العقوبة على من تعاطاه من المقر بين منه وعاقب بعض
أكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجلتها أربع مائة ألف ألف منقال وسبعة
وثلاثون ألف ألف منقال ذهباً حمرتها ألف وسبعمائة قنطار بالمصري وله وجود بر كثيرة منها انه يصدق
في كل يوم بلكين عنهما من نقد مصر ألف ألف وسبعمائة ألف درهم وربما بلغت صدقته في يوم واحد خمسين
لكاوي يصدق عند كل رؤية هلال شهر بالدينار دأباً وعليه راتب أربعين ألف فقير كل واحد منهم درهم
في كل يوم وخمسة ارطال بر وأرزو قرأ ألف فقيه في مكاتب لتعليم الاطفال القرآن وأجرى عليهم الارزاق وكان
لا يدع بدلي سائلاً بل يجري على الجميع الارزاق ويبلغ في الاحسان إلى الغرباء وقدم عليه رسول من أبي سعيد
مرة بالسلام والتودد فخلع عليه وأعطاه حملاً من المال فلما اراد الانصراف امره أن يدخل الخزنة ويأخذ

ما يختار قلم يأخذ غير مصحف فسأله عن ذلك فقال قد اغتاني السلطان بفضل له ولم أجد أشرف من كتاب الله فزاد إعجابه به واعطاه مالا جلته ثمانمائة تومان والتومان عشرة آلاف دينار وكل دينار ستة دراهم تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار عن ثمانية واربعون ألف ألف درهم وقصده شخص من بلاد فارس وقدم له كتباً في الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا فأعطاه جوهر ابعشرين ألف مثقال من الذهب وقصده آخر من بخارى بحمل بطيخ اصفر قلف غالبه حتى لم يبق منه الا اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهباً وكان قد التزم أن لا ينطق في اطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهباً وبعث ثلاث لكونك ذهباً الى بلاد ما وراء النهر ليفرق على العلماء والك على الفقراء ويتباع له حوائج تلك وبعث للبرهان الضياء عزه بحى شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة وكان لا يفارق العلماء سفراً وحضراً ومنازل الشرع في ايامه قائم والجهد مستتر فبلغ مبلغاً عظيماً في اعلاء كلمة الايمان فنشر الاسلام في تلك الاقطار وهدم بيوت النيران وكسر الندود والاصنام واتصل به الاسلام الى اقصى الشرق وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التشويب في الاذان ولم يحل له يوم من الايام من بيع آلاف من الرقيق كثيرة السبي حتى ان الجارية لا يتعدى ثمنها عديسة ذهلي ثمان تنكات والسرية خمس عشرة تنكة والعبد المراهق اربعة دراهم ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها وحفظها القرآن وكتابتها الخط وروايتها الاشعار والاخبار وجودة عنايتها وضربها بالعود ولعبها بالشرطيخ وهن يتفاخرن فتقول الواحدة آخذ قلب سيدي في ثلاثة ايام فتقول الاخرى انا آخذ قلبه في يوم فتقول الاخرى انا آخذ قلبه في ساعة فتقول الاخرى انا آخذ قلبه في طرفه عين وكان ينعم على جميع من في خدمته من أرباب السيوف والاقلام بكل جليل من البلاد والاموال والجواهر والخيول الجميلة بالذهب وغير ذلك الا القليلة فانه لا يشارك فيها أحد وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم فأكثرها مؤنة له في كل يوم أربعون رطلاً من ارز وستون رطلاً من شعير وعشرون رطلاً من سم من وصف جل من حشيش وقيمه جليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق واذا وقف السلطان للحرب كان أهل العلم حوله والمائة قدأمه وخلفه وأمامه القيلة كما تقدم عليها القيلة وقدأها العبيد المشاة والخيول في المينة والميسرة فتهيا له من النصر ما لا تهياً لأحد من تقدمه ففتح الممالك وهدم قواعد الكفار ومحاصروا معابدهم وأبطل فخرهم وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جالساً عاماً على تحت مصفح بالذهب وعلى رأسه حبر في موكب عظيم وينادي مناديه من له شكوى في شخص فينظر في ظلمات الناس وكان لا يوجب دهل في ايامه خرابية وأول من ملك مدينة دهل قطب الدين ايلك وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين أحد الملوك الغورية فتح الهند بعد عدة حروب واقطع مملوكه ايلك هذا مدينة دهل فبعث ايلك عسكر كرامه محمد بن بختيار فأخذ الى تخوم الصين وذلك كله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم ولي بعده ايتش بن ايلك أربعين سنة فقام بعده ابنه علاء الدين علي بن ايتش بن ايلك ثم أخوه معز الدين بن ايتش ثم أخته رضية خانون فأقامت ثلاث سنين ثم أخوها ناصر الدين بن ايتش فأقام أربعاً وعشرين سنة ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بليان سبعاً وعشرين سنة ثم بعده معز الدين نيا بيا خمس سنين ثم ابنه شمس الدين كيمور من سبعة اشهر ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين ايتش وقويت التركة العلجية وكانوا امرأاً يقال للواحد منهم خان واستبدت كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود اثنتين وعشرين سنة ومات سنة خمس عشرة وسبع مائة ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن مسعود سنة واحدة ولقب غياث الدين ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين وقتل سنة عشرين وسبع مائة ثم علاء الدين خسرو ومملوك علاء الدين محمود سبعة اشهر ومالك غياث الدين طغلق شاه مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود في أول شعبان سنة عشرين وسبع مائة ثم ملك بعده ابنه محمود بن طغلق شاه صاحب الترجمة هذا آخر ما وجد بخطه رحمه الله تعالى * (ووجد بخطه أيضاً رحمه الله تعالى) * ما احسن قول الاديب محمد بن حسن بن شاوور النقيب

مشت ايامكم لابل نراها * جرت جرياً على غير اعتياد

وما عقدت نواصيا بخير * ولا كانت تعذب الجياد

(خشان) مدينة في ما وراء النهر بها معدن اللؤلؤ البدرخشانى وهو المسمى بالبلخس وبها معدن اللازورد الفائق

وهما في جبلهما يحفر عليهما في معادتهما فيوجد الا لوزوردبهمولة ولا يوجد اللعل الابتعب كبير وانفاق زائد وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ولهذا عز وجوده وعلت قيمته * وأقصر ليل بلغارب البحر من أربع ساعات ونصف * وأقصر ليل اقتكون ثلاث ساعات ونصف فهو أقصر من ليل بلغارب ساعة واحدة وبين بلغارب وأفتكون مسافة عشرين يوما بالسير المعتاد انتهى * السلطانية من عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده او كانيق بن ارغون بن ابغاين هولاكو وخدابنده ملك بعده أخيه محمود غازان وملك بعده خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بهادرخان وكان الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتر بن استير بن عترجو ومذمات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك بل تفرقوا وقام في كل ناحية قائم انتهى (ووجد بخطه أيضا مانصه) والله درأبي اسحاق الاديب حيث قال

إذا كنت قد أيقنت أنك هالك * فمالك مما دون ذلك تشفق

ومما يشين المرء ذا الحلم أنه * يرى الأمر حتمًا واقعا ثم يفتلق

وحيث يقول

ومن طوى الخسبين من عمره * لاقى أمورًا فيه مستنكره

وان تخطأها رأي بعدها * من حادثات الدهر مالم يره

انتهى ما وجد بخطه في اصله

*** (ذكر الجزائر) ***

اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الاسلامية ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى مصر وحاصروا الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغني الى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر فكما قد تجددت بعد فتح مصر * ويقال والله اعلم ان بلهيت الذي يعرف اليوم بأبي الهول طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربي الذي يعرف اليوم ببر الجزيرة وانه كان في البر الشرقي بجوار قصر الشمع صنم من ججارة على مسامحة أبي الهول بحيث لو امتد خط من رأس أبي الهول وخرج على استواء السقط على رأس هذا الصنم وكان مستقبل المشرق وانه وضع أيضا لقلب الرمل عن البر الشرقي فقد رآه الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض امراء الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة احدى عشرة وسبع مائة وحفر تحت حتى بلغ الحفر الى الماء فلما أنه يكون هناك كنز فليوجد شي وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسمية أبي الهول فكان عقيب ذلك غلبة النيل على البر الشرقي وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم وكذلك قام شخص من صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء يعرف بالشيخ محمد صائم الدهري في تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبع مائة فتوجه وسباع الجزائر التي على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجه أبي الهول فقلب الرمل على أراضي الجزيرة ولا يشكر ذلك فله في خلقه أسرار بطالع عليها من يشاء من عبادته والكل بخلقه وقديره * وقد ذكر الاستاذ ابراهيم بن وصف شاه في كتاب أخبار مصر في خبر الواحات الداخلة أن في تلك الصحارى كانت اكثرد من ملوك مصر المحمية وكنوزهم الآن الرمال غلبت عليها قال ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل الرمال طلسمًا دفعها ففسدت طلسماتها لعدم الزمان * وذكر ابن يونس عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال ابن سالم فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكنكم يخرجكم منها انيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثران من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال ان الصحابي حدثه أنه سمع كعبا يقول ستعرك العراق عرك الاديم وتفت مصر فت البعرة قال الليث وحدثني رجل عن وهب المعافري انه قال وتشق الشام شق الشعرة وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ما وصلت الى معرفته ان شاء الله تعالى

*** (ذكر الروضة) ***

اعلم أن الروضة تطلق في زماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجزيرة وعرفت في أول الاسلام

بالجزيرة ويجزيرة مصر ثم قبل لها جزيرة الحصن وعرفت الى اليوم بالروضة والى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جوع الروم والقبط وبها أيضا بنى احمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية اى كانت بها ادار الصناعة وبها كان الحنان والمختار وبها كان اليهودج الذى بناه الخليفة الاسمر بأحكام الله المحبوسه البدوية وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية وبها الى اليوم مقياس النيل وسأورد من أخبار الروضة هنا ما لا تجده مجمعة فى غير هذا الكتاب * قال ابن عبد الحكم وقد ذكر محاصرة المسلمين الحصن فلما رأى القوم الجدم من المسلمين على فتح الحصن والحرص ورأوا صبرهم على القتال ورغبةهم فيه خافوا أن يظهر واعليهم فتبنى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وامروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وتختلف فى الحصن بعد المقوقس الاعرج فلما خاف فتح باب الحصن خرج هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة قال وكان بالجزيرة يعنى بعد فتح مصر فى أيام عبد العزيز بن مر وان امير مصر خمسةائة قاعل معدة لحريق يكون فى البلدأ وهدم * وقال القاضي جزيرة فسطاط مصر قال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخسين وحسن الجزيرة بناء احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليجز فيه حرمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقى من العراق والى مصر وجبى أعمال ابن طولون وذلك فى خلافة المعتمد على الله فلما بلغ احمد بن طولون مسيره استعد طر به ومنعه من دخول أعماله فلما بلغ موسى بن بغا الى الرقة تناقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم عرضت لموسى علة طالت به وكان بها مونه وثاوره الغلمان وطلبوا منه الارزاق وكان ذلك سبب تركه المسير فلم يلبث موسى بن بغا أن مات وكفى ابن طولون أمره ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتى أخذه النيل شيأ بعد شئ وقد بقيت منه بقايا منقطعة الى الآن وقد اخضر القاضى القضاعى رحمه الله فى ذلك سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة * وقد ذكر جامع سيرة ابن طولون أن صاحب الزنج لما قدم البصرة فى سنة أربع وخسين ومائتين واستجبل أمره انفذ اليه امير المؤمنين المعتمد على الله تعالى أبو العباس احمد بن امير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رسولا فى حمل أخيه الموفق بالله أبى احمد طلحة من مكة اليه وكان الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم نفاه اليها فلما وصل اليه جعل العهد بالخلافة من بعده لابنه المفقوض وبعد المفقوض تمكون الخلافة للموفق طلحة وجعل غرب الممالك الاسلامية للمفقوض وشرقها للموفق وكتب بينهما بذلك كتابا ارتن فيه أيمانهما بالوفاء بما قد وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد أخاه المعتمد على الخلافة ولا يراه أهلا لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابن ثم للموفق بعده شق ذلك عليه وزاد فى حقه وكان المعتمد تشاغلا ببلاد نفسه من الصيد والعب والتفرج بجواربه فضاعت الامور وفسدت تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلدا عملا بما تقلده وكان فى الشروط التى كتبها المعتمدين المفقوض والموفق انه ما حدث فى عمل كل واحد منهما من حدث كانت النفقة عليه من مال خراج قسمه واستخلف على قسم ابنه المفقوض موسى بن بغا فاستكتب موسى بن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب وانفرد الموفق بقسمه من ممالك الشرق وتقدم الى كل منهما أن لا يتطرق فى عمل الآخر وخلد كتاب الشروط بالكعبة وأفرد الموفق لمحاربة صاحب الزنج وأخرجه اليه وضم معه الجيوش فلما كبر أمره وطالت محاربه اياه وانقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذى كان يحمل فى كل عام واحتجبوا بأشياء دعت الضرورة الموفق الى أن كتب الى احمد بن طولون وهو يومئذ امير مصر فى حمل ما يستعين به فى حروب صاحب الزنج وكانت مصر فى قسم المفقوض لانهم من الممالك الغربية الا أن الموفق شكافى ككابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو بسبيله وأنفذ مع الكتاب تحريرا لخدام المتوكل ليقبض منه المال فها هو الا أن ورد تحرير على ابن طولون بمصر واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه يأمره فيه بحمل المال اليه على رسمه مع ما جرى الرسم بحمله مع المال فى كل سنة من الطراز والريق والخل والشع وغير ذلك وكتب أيضا الى احمد بن طولون كتابا فى السر أن الموفق انما انفذ تحريرا اليك عينا ومستقصيا على أخبارك وانه قد كاتب بعض اصحابك فاحترس منه واجل المال اليساوعلى انفاذه وكان تحرير ما قدم الى مصر انزله احمد بن طولون معه فى داره بالميدان

ومنع من الركوب ولم يمكنه من الخروج من الدار التي أنزلها حتى سار من مصر وتلطف في الكتب التي
اجاب بها الموفق ولم يزل يعزير حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التي وردت من العراق الى مصر وبعث
معه الى الموفق ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وما جرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار
بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وأرسل الى ماخور متولى الشام فقدم عليه بالعريش وسله اليه هو والمال
وأشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر ونظر في الكتب التي أخذها من تحرير فاذا هي الى جماعة من
قواده باستمالتهم الى الموفق قبض على اربابها وعاقبهم حتى هلكوا في عقوبته فلما وصل جواب ابن طولون الى
الموفق ومعه المال كتب اليه كتابا نائيا يستقل فيه المال ويقول ان الحساب يوجب أضعاف ما حلت وبسط
لسانه بالقول والتسفين معه من يخرج الى مصر ويقلدها عوضا عن ابن طولون فلم يجد أحدا عوضه لما كان
من كسب أحمد بن طولون وملا طفته وجوه الدولة فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال وأى حساب بيني
وبينه أو حال توجب مكاتبتي بهذا أو غيره وكتب اليه بعد البسملة وصل كتاب الامير ايده الله تعالى وفهمته
وكان أسعده الله حقا بحسن التخييل لئلا نصيره اباي عمدته التي يعتمد عليها وسيقه الذي يصل به وسنانه
الذي يتقى الاعداء بجده لاني دائب في ذلك وجعلته وكدي واحتمت الكلف العظام والمؤمن الثقال باستجذاب
كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغنى وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم
صيانة لهذه الدولة وذبا عنها وحسب الاطماع المشوقين لها والمخرفين عنها ومن كانت هذه سبيلا في الموالاة ومنهجه
في المناجحة فهو حري أن يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومن كل حال جلب له حظه ومنزلته
فعولت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء في مخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم الكلف على الطاعة
جعلوا وأزمت في المناجحة ثمنا وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الامير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء
والارغاب والارضاء والاكرام لأن يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة وثقلا وانى لا اعرف السبب الذي يوجب
الوحشة ويوقعها بيني وبين الامير ايده الله تعالى ولا ثم معاملة تقتضى معاملته او يتحدث منافرة لأن العمل الذي
أنا بسبيله لغيره والمكاتب في اموره الى من سواه ولا أنا من قبله فانه والامير جعفر المفوض ايده الله تعالى قد
اقتسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرده دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض
عهده أو اخفذه منه ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالامة بريئة منه ومن بيعته وفي حل وسعة من خلفه
والذي عاملني به الامير من محاولة صر في مرة واسقاط رضى أخرى وما يأتى ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد
اعهده وقد التمس أولياى واكثر والطلب في اسقاط اسمه وازالة رسمه فأتت الابقاء وان لم يؤثر واستعملت
الاناة اذ لم تستعمل معي ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوى المعرفة والفهم فصبرت نفسي على أحر من الجمر
وأمر من الصبر وعلى ما لا يتسع به الصدر والامير ايده الله تعالى اولى من أعاني على ما أثره من لزوم عهده
وأثوقاه من تأكد عقده بحسن العشرة والانصاف وكف الاذى والمضرة وأن لا يضطرني الى ما يعلم الله
عز وجل كرهى له أن أجعل ما قد أعدده لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة التي
قد ضرت رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصر وقال الى نقضها فعندنا وفي حيزنا من يرى انه أحق
بهذا الامر وأولى من الامير ولو آمنوني على انفسهم فضلا عن أن يعثر واحدنى على ميل أو قيام بنصرتهم
لاشتدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركتهم والامير يعلم أن بازائه منهم واحدا قد كبر عليه وفض كل
جيش انفضه اليه على انه لا ناصر له الا ليقف البصرة وأوباش عاقمتها فكيف من يجدد كرامته بعلو ناصر امطيهما
وما مثل الامير في اصاله رأي به يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من
الامير اعتاب أو رجوع الى ما هو أشبه به وأولى والارجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مآذ شره
واجراء في الحياطة على اجل عادته عندنا والسلام فلما وصل الكتاب الى الموفق اقلقه وبلغ منه مبلغا عظيما
وأعاطه غيظا شديدا وأحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشد أهلها بأسا واقدا ما تقتدم اليه في صرف
أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ما خور فامثل ذلك وكتب الى ماخور كتاب التقليد وأنفذه اليه فلما وصل
اليه الكتاب توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا
أنه يدور على المفوض ليحمل الاموال منه وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن طولون أمير مصر لما بلغه

من توقف ما خور عن مناهضته يأمرهما بحمل الأموال وعزم على قصد مصر والابقاع بآبن طولون واستخلاف ما خور عليها فاسار الى الرقة وبلغ ذلك آبن طولون فألقاه ونمحه لآلانه يقتصر عن موسى بن بغا لكن لتحمله تلك الدولة وأن يأتي سبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الآله لم يجد بدا من المحاربة ليدفع عن نفسه وتأتمل مدينة فسطاط مصر فوجد لها تؤخذ الآمن جهة النيل فأراد لكبرهته وكثرة فكره في عواقب الامور أن يبنى حصنا على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ليكون معقلا لحرمة وذخائره ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتي من البر وقد زاد فكره فبين يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مرصع حربية سوى ما يضاف اليها من العليات والجمائم والعشاريات والسنائك وقوارب الخدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبير وأن يمنع ما يجي اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفا مما سيحي من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كانه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيهما من يذب عن هذه الجزيرة وانفذ الى الصعيد والى اسفل الارض يمنع من يحمل الغلال الى البلاد لينع من يأتي من البر الميرة وأقام موسى بن بغا بالركة عشرة اشهر وقد اضطر بت عليه الاتزال وطالبوه بأرزاقتهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة في صفر سنة أربع وستين ومائتين هذا وأحمد بن طولون يجتهد في بناء الحصن على الجزيرة وقد أزم قواده وثقاته امر الحصن وفرقه عليهم قطعاً قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكذا نفسه فيه وكان يتعاهد هم بنفسه في كل يوم وهو في غفلة عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعاينيه ومن كثرة ما بذل في هذا العمل قدر أن كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل وتصدق بمال كثير شكر الله تعالى على ما من به عليه من صيائمه عما يقبح فيه عنه الاحدوثه وما رأى الناس شياً كان اعظم من عظيم الجدي ببناء هذا الحصن ومباكرة الصنائع له في الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء انفسهم من غير استحثاث لكثرة ما سخيا به من بذل المال فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصنائع التي كانت فيه مع كثرتها كأنما هي نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها وذهب للصنائع ما لا جزيلاً وترك لهم جميع ما كان سلفاً معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهباً وكان مما حمل أحمد بن طولون على بناء الحصن أن الموفق اراد أن يشغل قلبه فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله الا ثقاته وبعضها الموفق اليه فقال له الرسول من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذي تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك فوالله أيها الأمير لقد قام عليه أخذ هذه النعل بخمسة لكن شارف عند ذلك امر ببناء الحصن وقال ابو عمر الكندي في كتاب امراء مصر وتقدم أبو احمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ما خور التركي فكتب موسى بن بغا بذلك الى ما خور وهو والى دمشق يومئذ فتوقف لجزره عن مقاومة أحمد بن طولون فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون انه سائر اليه ولم يجد بدا من محاربه فاخذ أحمد بن طولون في الحذر منه وابتدأ في ابناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين ورأى أن يجعله معقلاً لآله وحرمة وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه وأقام موسى بن بغا بالركة عشرة اشهر وأجد بن طولون في احكام اموره واضطربت اصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع الى العراق فينأهوا كذلك توفي موسى بن بغا في سنة أربع وستين ومائتين وقال محمد بن داود لاجد بن طولون وفيه تحامل

لما تولى ابن بغا بالرتين ملاً * ساقبه زرقا الى الكعبين والعقب
بني الجزيرة حصناً يستجن به * بالعسف والضرب والصنائع في تعب
وراقب الجزيرة القصى نخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة * لما سوى القار للنظار والخشب
تري عليها لباس الذل مذنبت * بالسط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها الغزو الروم محتسبا * لكن بناها غداة الروح والعطب

وقال سعيد بن القاضى من ابيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يستطعمه * من الناس في بدو البلاد ولا حضر

ما تزل تنبلى وان بادأ أهلها * ومجد يؤدى وارمه الى الفخر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بنى طولون وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية فاستمر صناعة الى أن تقلد الأمير محمد بن طنج الاخشيد اماره مصر من قبل أمير المؤمنين الراضى بالله وسير مراكب من الشام عليها صاعد بن الكلثم فدخل تنيس وسارت مقدمته في البر ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذي جهزه احمد بن كبلغ الى يدبير محمد بن على المارداني على بحيرة فوسا وأقبل في مراكبه الى الفسطاط فكان بالجزيرة وقدم محمد بن طنج وتسلم البلاد لت بقيت من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وفتزمه جماعة الى القيوم فخرج اليهم صاعد بن الكلثم في مراكبه وواقعهم بالقيوم فقتل في عدة من أصحابه وقدمت الجماعة في مراكب ابن كدهم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها ثم مضوا الى الاسكندرية وساروا الى برقة فقال محمد بن طنج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة في بر مصر * وحكى ابن زولاق في سيرة محمد بن طنج انه قال اذ كرتى كنت آكل مع أبي منصور تكين أمير مصر وجرى ذكر الصناعة فقال تكين صناعة يكون بينها وبينها بحر خطأ فأشارت الجماعة بنقلها فقال الى أى موضع فأردت أن أشير عليه بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان ثم سككت وقلت أدع هذا الراى لنفسى اذا ملكت مصر فبلغت ذلك والحمد لله وحده واما أخذ محمد بن طنج دار خديجة كان يتردد اليها حتى علمت فلما ابتدوا بإنشاء المراكب فيها صاحبت به امرأة فقال خذوها فاساروا بها الى داره فأحضرها مساء واستخبرها عن أمرها فقالت ابعث معي من يحمل المال فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وشيا وعدة ذخائر لم ير مثلها وصاروا بها الى محمد بن طنج فطلب المرأة ليلساقها على ما كان منها فلم توجد فكان هذا أول مال وصل الى محمد بن طنج بمصر قال واستدعى محمد بن طنج الاخشيد صالح بن نافع وقال له كان في نفسى اذا ملكت مصر أن أجعل صناعة العمارة في دار ابنة الفتح وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بسنانا أسميه المختار فأركب وخط لي بسنانا ودارا وقد رلى النفقة عليهم ما فركب صالح بجماعة وخطوا بسنانا فيه دار للعلمان ودار للنوبة وخزائن للكسوة وخزائن للطعام وصورة وأتوا به فاستحسنه وقال كم قدرتم النفقة قالوا ثلاثين ألف دينار فاستكثرها فلم ير الواضعون من التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار فأذن في عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عندهم فحسروا على جماعة وفرغ من بنائه فاتخذ الاخشيد منتهاله وصار يفاخر به اهل العراق وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل النيل بمصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فلم يزل البستان المختار منتهى الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقد مدت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر فكان يترزه فيه المعز لدين الله معد وابنه العزيز بالله تزار وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها والوقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما كانت أيام استيلاء الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجالى وجمعه على الخلفاء انشأ في بحرى الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردد اليها تردها كثيرا فكان يسير في العشاريات المؤكيات من دار الملك التي كانت سكنه بمصر الى الروضة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الافضل بن أمير الجيوش واستبدت الخليفة الآخر بأحكام الله ابو على منصور بن المستعلى بالله أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا محبوبته العالية البدوية سماه الهودج * (الهودج) قال ابن سعيد في كتاب الحلى بالشعار عن تاريخ القرطبي قد اكتر الناس في حديث البدوية وابن مباح من بنى عها وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة الآخر بأحكام الله حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كحديث البطل وأهل ليله وليله وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الآخر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون في البوادي فبلغه أن بالصعيد جارية من اكمل العرب وأطرف نسايتهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا برى بداء الاعراب وصار يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيا وبات هناك

في ضائقة وتحييل حتى عاينها فمالأ صبره ورجع الى مقر ملكه ومسرير خلاقه فأرسل الى اهلهما يخبرهما فاجابوه الى ذلك وزوجوها منه فلما صارت الى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة القسطنطين المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل في شكل غريب وكان بالاسكندرية القاضي مكي الدولة ابوطالب احمد بن عبد المجيد ابن احمد بن الحسن بن حديد قد استولى على امورها وصار قاضيا وناظرها ولم يبق لاحد معه فيها كلام وضمن اموانها بحملة يحملها وكان ذا مروءة عظيمة يتخذى افعال البرامكة وللشعراء فيه مدائح كثيرة ومن مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبي الصلت وجاعة وكان الافضل بن أمير الجيوش اذا أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن حديد هذا فيغنيه بكثرة عطائه وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته وكان يجدف في نفسه برؤية هذا الجرن زيادة على اهل النعم ويباهي به اهل عصره فوثق به للبدوية محبوبه الخليفة فطلبته من الخليفة فأنفذ في الحال باحضاره فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه وبعث به وفي نفسه خرازة من أخذه منه وخدم البدوية وخدم جميع من يلودها حتى قالت هذا الرجل أجملنا بكثرة هداياه وتصفه ولم يكفنا قط أمرا تقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما بلغه ذلك عنها قال ما لي حاجة بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول حياتها غير رد الجرن الذي أخذ من داري التي بنيتها في أيامهم من نعمهم الى مكانه فلما سمعت هذا عنه تعجبت منه وأمرت برد الجرن اليه فقبل له قد وصلت الى حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بلغها الله أملها وبقيت البدوية متعلقة بالخاطر بان عم لها ربيت معه يعرف بابن مباح فكنت اليه وهي بقصر الخليفة الآخر

يا ابن مباح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قدملكا
كنت في حي مرأ مطلقا * نانا ماشئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مؤصدا * لأرى الا حبيسا مسكا
كم تنيننا بأعصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحى * حينما شاء طليق سلكا
(فأجابها) *

بنت عمى والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتنكا
بعت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا * مبدىا باليه ما قد ملكا

فبلغت الامر فقال لولائه أساء الادب في البيت الرابع لرددتها الى حبه وزوجتها به * قال القرطبي وللناس في طلب ابن مباح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في عصر الخليفة الآخر طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الامر مع العالية البدوية قال

ألا ابلاغوا الامر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الالفين عن الفة * بها سمرا الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الا قدمون * سألت فقل لي جواب السؤال

فلما بلغ الامر شعره قال جواب السؤال قطع لسائه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب ففوز ولم يتدر عليه قتالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات ولم يزل الامر يتردد الى الهودج بالروضة للترهفة فيه الى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج في يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسائة فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من التزارية قد كنوا له في فدرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتى أنخنوه وجرحوا جعاعة من خدامه فحمل الى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقد مات

* (ذكر قلعة الروضة) *

اعلم انه ما برحت جزيرة الروضة منترها ملوكا ومنترها للناس كما تقدم ذكره الى أن ولي الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب سلطنة مصر فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وشرع في حفر أساسها يوم الاربعاء خامس شعبان وابتدأ بنائها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره وفي عاشر ذى القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانوا بها وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأفق في عمارتها اموال الاجرة وبني فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجاً وبني بها جامعاً وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها اعد الصوان من البرابي وعمد الرخام وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الغلال والازواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغه عظيمة حتى قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبه بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظر اليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدي الى ملوك مصر لحسن منظرة وطيب طعمه وخرّب اليهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى واقامة الصلوات وافتحه في هدم بعض هذه المساجد خير غريب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد بن محمود بن احمد الاسدي الشهير باليغموري سمعت الامير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى بن الأمير شرف الدين يغمور بن جلدك بن عبد الله قال ومن عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أبي الفتح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل رحمه الله أنه أمرني أن أهدم مسجداً كان في جوار داره بجزيرة مصر فأخبرت ذلك وكهت أن يكون هدمه على يدي فأعاد الامر وأنا اكسير عنه وكأنه فهم من ذلك فاستدعي بعض خدمه من ثوابي وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبني في مكانه قاعة وقد رله صفتها فهدم ذلك المسجد وعمرت تلك القاعة مكانه وكملت وقدمت الفرنج الى الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التي بنيت في المكان الذي كان مسجداً فتوفي السلطان في المنصورة وجعل في مركب وأتى به الى الجزيرة فجعل في تلك القاعة التي بنيت مكان المسجد مدة الى أن بنيت له التربة التي في جنب مدارسه بالقاهرة في جانب القصر عفا الله عنه وكان النيل عند ما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربي فبما بين الروضة وبر الحبيزة وقد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا في ايام الزيادة فلم يرل يغرق السفن في البر الغربي ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال حتى عاد ماء النيل الى بر مصر واستقر هناك فأنشأ جسراً عظيماً تمتد من بر مصر الى الروضة وجعل عمره ثلاث قصبات وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يتربلون عن خيولهم عند البر ويمشون في طول هذا الجسر الى القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكباً سوى السلطان فقط ولما كملت تتحول اليها بأهل وحرمة واتخذها دار ملاك وأسكن فيها معه عماليكه البحرية وكانت عدهم نحو الالف مملوك * قال العلامة علي بن سعيد في كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هي أمام القسطنطينية بينا وبين مناظر الحبيزة وبها مقياس النيل وكانت منترها لاهل مصر فاخترها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبني بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء على السهل لم ترعيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان اليهودج الذي بناه الامر خليفة مصر لزوجته البدوية التي هام في حبها واختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر عديم بن المعز وغيره وشعر امرء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الديماطي

أرى سرح الجزيرة من بعيد * كاحداق تغازل في المغازل

كان مجرّة الجوزاً حاطت * وأثبتت المنازل في المنازل

وكنت أشق في بعض الليالي بالقسطنطينية على ساحلها فبذرهني فحكك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه

همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة في البناء وأبصرت في هذه الجزيرة أيوانا جلوسه لم تر عيني مثاله ولا أقدرا ما أتفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفي بعضها حاطر حظربه على اصناف الوجوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر وقد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة عمالي بر القاهرة قطعت فيه عشييات مذهبيات لم تزل لآخران الغربية مذهبيات وإذا زاد النيل فصل ما بينا وبين القسطنطينية وفى أيام احتراق النيل يتصل برها ببر القسطنطين من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع صاحب المحسن محيى الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا إلى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * وأبراجها مثل النجوم تتلالا
وللقلة الغزاء كالبدر طالعا * تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى إليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فغدت يميننا فحوها وشمالا
جرى قادم بالسعد فاخط حولها * من السعد أعلا ما فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين إيلك التركانى أول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية فى رجة الحناء بمدينة مصر وطمع فى القلعة من له جاء فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى أهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى أعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب فيها الجناندارية وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء وأعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاون الألقى والبرج الذى يليه للامير عز الدين الحلى والبرج الثالث من بروج الزاوية للامير عز الدين ارغان وأعطى برج الزاوية الغربى للامير بدر الدين التمشى وفزقت بقية الأبراج على سائر الأمراء ورسم أن تكون بيتونات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلم الملك المنصور قلاون الألقى وشرع فى بناء المدارس والقبه والمدسة المنصورية نقل من قاعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من عمد الصوان وعمد الرخام التى كانت قبيل عمارة القلعة فى البرابى وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتا بالجليلة مما كان فى البرابى وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه من عمد الصوان فى بناء الأيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصرى ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهب ككأن لم تكن وتأخر منها عقد جليل تسميه العاعة القوس كان مما يلى جانبها الغربى أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقي من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبقي الناس فوقها دورهم المطل على النيل * قال ابن المتوج ثم اشترى الملك المنصور تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة فى شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وانما سميت بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائر لها ودار عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والعمائر والثمار ما لم يكن فى غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بهامة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت إلى أن عمر حصنها احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل ثم اشترى الملك المنصور تقي الدين عمر المذكور وبعث على ملكه إلى أن سار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب إلى الملك المنصور بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه إلى الشام فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز ووجه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لا عود له إليها أبدا فوقف هذه المدرسة التى تعرف اليوم فى مصر بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف بمنازل العزيز ووقف عليها

الجزيرة بكما هو سافر الى عمه فلكه حياه ولم يزل الحبال كذلك الى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضي نقر الدين أبي محمد عبد العزيز بن قاضي القضاة عماد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن عبد القادر السكري مدرّس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة في دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع غين الى المناظر طولاً وعرضاً من البحر الى البحر واستأجر القطعة الثانية وهي بلى ارض الجزيرة بما فيها من الخلل والجسيز والغروس فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت الخيل ودخلت في العمار وأما الجسيز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جيز يزيد على أربعين شجرة وكان اهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع قطعت جميعها في الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى التي كان قد سيرها الى جزيرة قبرس ثم سلم مدرّس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة اولا في سنة ثمان وتسعين وستمائة وبقى بيد السلطان القطعة الثانية وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها وبقى أيضا عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل وعادت الروضة بعد هدم القطعة منها منتزها يشغل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجماعات والاعباد ومساجد وقد خرب أكثر مساكن الروضة وبقى فيها الى اليوم بقايا وبطرف الروضة (المقياس) الذي يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمي وهو آخر مقياس بنى بديار مصر قال ابو عمر الكندي وورد كتاب المتوكل على الله بابتداء المقياس الهاشمي للنيل وبغزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرزاد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج في كل شهر سبعة دنائير وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وقاء النيل ستة عشر ذراعاً أن يسجل أبو الرزاد قاضي البحر الستر الاسود الخليفي على شباك المقياس فاذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تبشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار في تهتك الناس يوم تخليق المقياس

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو ما مول

ستر الاله علينا لا يزالنا * أحلى تهتكنا والستر مسبول

(جزيرة الصابونى) هذه الجزيرة تجاه رباط الانار والرابط من جملتها وقفها ابو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحيش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية فكان بجوارقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يعرف اليوم بالصابونى * (جزيرة القيل) هذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتصل بحنية الشيرج من بحريه او يمر النيل من غريبها وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جميلة وموضعها كله مما كان غامراً بالماء في الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالقيل وترك في مكانه فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطيالة سماها الناس جزيرة القيل وصار الماء يمر من جوانبها فغريبها تجاه بر مصر الغربى وشرقها تجاه البعل والماء فيما بينا وبين البعل الذى هو الآن قبالة قنطرة الاوزقان الماء كان يمر بالمقس من تحت زربية جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصرى ومن جامع المقس على ارض الطيالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل وما برحت تتسع الى أن زرعت في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التي أنشأها بالقرافة بجوارقبة الشافعى رضى الله عنه وكثرت أطيانا بانحسار النيل عنها في كل سنة فلما كان في أيام الملك المنصور قلاون الاثني تقرب محمد الدين ابو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الحشاش المتحدث في الاحباس الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى بأن في أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين فأمر بقياس ما تحته منها من الرمال وجعلها لجهة الوقف الصلاحى وأقطع الاطيان القديمة التي كانت في الوقف وجعلها هي التي زادت فلما أمر الملك المنصور قلاون بعمل المارستان المنصورى وقف بقية الجزيرة عليه فغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن الناس من المزارعين هناك فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك وانجسر النيل عن جانب المقس الغربى

وصار ما هنا لك رمالا متصلة من بحورها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبلها بأراضي اللوق افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر فعمر وافي تلك الرمال المواضع التي تعرف اليوم بيولاقي خارج القوس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور واستجد ابن المغربي الطبيب بستانا اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للأمير سيف الدين طشتمر السابق بنحو المائة ألف درهم فضة عن هاهنا خمسة آلاف مثقال ذهبا وتتابع الناس في إنشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة المجاورة للشافعي رضي الله عنه وما كان فيها من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فصارت تذيب على مائة وخمسين بستانا إلى سنة وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه أكثر ما يطلب من المأكول وافتى الناس بها عدة دور وجامع بقيت قرية كبيرة وما زالت في زيادة ونمو فأنشأ القاضي القضاة جلال الدين الفزويني رحمه الله الدار المجاورة لبستان الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب على النيل فجاءت في غاية من الحسن فلما عزل عن قضاء القضاة وسار إلى دمشق اشتراها الأمير بثلاثين ألف درهم وخر بها وأخدمها رعايا وشبابيك وأبوابا ثم باع باقي نفعها بمائة ألف درهم فربح الباعة في ذلك شيئا كثيرا ونودي على زريته فحكرت وعمر عليها الناس عدة أملاك واتصلت العمارة بالأملاك من هذه الزريبة إلى منية الشريح ثم خربت شيئا بعد شيء وبقي ما على هذه الزريبة من الأملاك وهي تعرف اليوم بدار الطنبدي الناجح * وأنشأ بساتين الجزيرة فلم تزل عجبا من عجائب الديار حسن المنظر وكثرة المتحصل إلى أن حدث الحن من سنة ست وثمانمائة قتلاشت وخرت كثير منها فغلبت العلوفات من القبول والتبن وشدة ظلم الدولة وتطل معظم سوقها وفيها إلى الآن بقية صالحة * (جزيرة اروى) هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لأنها فيما بين الروضة وبولاقي وفيما بين القاهرة وبرز الخيرة لم ينحصر عنها الماء إلا بعد سنة سبع مائة وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو القداء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء الخزومي عن الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن الأكرافي أنه كان يترجم هذه الجزيرة أول ما انكشف ويقول هذه الجزيرة تصير مدينة أو قال تصير بلدة على الشك منى فاتفق ذلك وبني الناس فيها الدور الجليلة والاسواق والجامع والطاحون والفرن وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن منقريها مصر يحف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين القاهرة فاذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها وفي بعض السنين يركبها الماء فقتر المراكب بين دورها وفي أزقتها لما أكثر الرمل فيما بينها وبين البر الشرقي حيث كان خط الزريبة وفم الخور قل الماء هناك وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث في سنة ست وثمانمائة وفيها إلى اليوم بقايا حسنة * (الجزيرة التي عرفت بحلمية) هذه الجزيرة خرجت في سنة سبع وأربعين وسبع مائة ما بين بولاقي والجزيرة الوسطى سميت العامة بحلمية ونصبوا فيها عدة أخصاص بلغ مصر ووف الخصاص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة في ثمن رخام ودهان فكان فيها من هذه الأخصاص عدة وافر وزرع حول كل خص من المقاي وغيرها ما يستحسن وأقام أهل الخلاعة والمجون هناك وتمكروا بأنواع المحرمات وتردد إلى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها أحد وبلغ أجرة كل قصبة بالقياس في هذه الجزيرة وفي الجزيرة التي عرفت بالطومية فيما بين مصر والخيرة مبلغ عشرين درهما نقرة فوق الفدان هناك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ونصبت في هذه الأفنية الأخصاص المذكورة وكان الانتفاع بها فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة فعلى ذلك يكون الفدان فيها بمبلغ ستة عشر ألف درهم نقرة وأتلف الناس هناك من الأموال ما يحجل وصفه فلما أكثر تجارهم بالبيع قام الأمير أرغون العلاقي مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون في هدم هذه الأخصاص التي بهذه الجزيرة قيا ما زائد حتى أذن له في ذلك فأمره والي مصر والقاهرة قنزل على حين غفلة وكبس الناس وأراقا الخور وحرقا الأخصاص فتلط للناس في النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير إلى الغاية والنهاية وفي هذه الجزيرة يقول الأديب إبراهيم المعمار

جزيرة البحر جنت * بها عقول سليمة
لما حوت حسن مغنى * ببسطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها * وكم مشوا بنجمة

* (ذكر السجنون) *

قال ابن سيده السجن الحبس والسجان صاحب السجن ورجل سجين مسجون قال وجنسه يحبس حبسا فهو محبوس وحبس واحتبسه وحبسه أمسكه عن وجهه * وقال سبيويه حبسه ضبطه واحتبسه اتخذ حبسا والحبس والمحبسة والمحبس اسم الموضع وقال بعضهم الحبس ~~يكون~~ مصدر كالحبس وتطيره الى الله مرجعكم اى رجوعكم ويسألونك عن المحيض اى الحيض * وروى الامام احمد وأبو داود من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس في تهمه وفي جامع الجلال عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس في تهمه يوما وليلة فالحبس الشرعى ليس هو السجن في مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد أو كان يتولى نفس الخصم أو وكيله عليه وملازمته ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا كما روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضى الله عنهم ما قال أنبت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لي الزمه ثم قال لي يا أخا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك وفي رواية ابن ماجه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بي آخر النهار فقال ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم وهذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضى الله عنه ولم يكن له حبس معه الحبس الخصوم ولكن لما انتشرت الرعية في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضى الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها سجن حبس فيها ولهذا تنازع العلماء هل يتخذ الامام حبسا على قولين فمن قال لا يتخذ حبسا احتج بأنه لم يكن (رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خليفة من بعده حبس ولكن يعوقه بمكان من الامكنة أو يقيم عليه حافظا وهو الذى يسمى الترسيم أو يامر غريمه بملازمته ومن قال له أن يتخذ حبسا احتج بفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومضت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أنه لا يحبس على الديون ولكن يتلزم الخصمان وأول من حبس على الدين شريح القاضي وأما الحبس الذى هو الآن فانه لا يجوز عند أحد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحزن في الصيف والبرد في الشتاء وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا جد له وان أصل حبسه على ضمان وأما مسجون الولاية فلا يوصف ما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم انهم يخرجون مع الاعوان في الحديد حتى يشكروا وهم يصرخون في الطرقات الجوع فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه الا ما يدخل بطونهم وجميع ما يجمع لهم من صدقات الناس يأخذ السجان واعوان الوالى ومن لم يرضهم بالفوا في عقوبته وهم مع ذلك يستعملون في الحفر وفي العمائر وتحوذ ذلك من الاعمال الشاقة والاعوان تستخفهم فاذا انقضى عملهم رددوا الى السجن في حديد هم من غير أن يطعموا شيئا الى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا وقد قيل ان اول من وضع السجن والحرس معاوية * وقد كان في مدينة مصر وفي القاهرة عدة مسجون وهي حبس المعونة بمصر وحبس الصيار بمصر وخزانة السود بالقاهرة وحبس المعونة بالقاهرة وخزانة شمائل وحبس الديلم وحبس الرحبة والجلب بقلعة الجبل * (حبس المعونة بمصر) ويقال أيضا دار المعونة كانت اول ما تعرف بالشرطة وكانت قبلى جامع عمرو بن العاص وأصله خطة قيس بن سعد بن عباد الانصارى رضى الله عنهم اختطها في اول الاسلام وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال ان كنت بيت بمصر دارا واستغنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها ولا تهم وقيل بل كانت هي ودار الى جانبها النافع بن عبد قيس الفهرى وأخذها منه قيس بن سعد وعوضه دارا بزقاق القناديل ثم عرفت بدار الفلفل لان أسامة بن زيد التميمي صاحب خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ليمديه الى صاحب الروم فخرنه فيها فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين تولى الخلافة فكتب أن تدفع اليه ثم صارت شرطة ودار الصرف فلما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر في الجامع بنى شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين في خلافة المأمون ونقش في لوح كبير نصبه على باب الجامع الذى يدخل منه الى الشرطة مانصه بركه من الله لعبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أمر بإقامة هذه الدار الهاشمية المباركة على يد

عيسى بن يزيد الجلودى - مولى أمير المؤمنين سنة ثلاث عشرة ومائتين ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة الى صفر سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فقلعه يانس العزيزى وصارت حبسا يعرف بالمعونة الى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فجعله مدرسة وهى التى تعرف اليوم بالشرقية * (حبس الصيار) هذا الحبس كان بمصر يحبس فيه الولاة بعدما عمل حبس المعونة مدرسة وكان بأول الزقاق الذى فيه هذا الحبس حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ويبيع فيه أصناف السوق ويعرف هذا الرجل بالصيار من أجل أنه كانت له فى هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالموحة فقبل لهذا الحبس حبس الصيار ونشأ لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين الشهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل فلما أحدث الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفاضلى المظالم فى سلطنة الملك المعز أليك التركمانى خدم شرف الدين هبة الله على المظالم فى جباية التسقيع والتقويم ثم خدم بعد ابطال ذلك فى مكس القصب والرمات فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز نادى عنده بما باشره من هذه المظالم وما زال هذا الحبس موجودا الى أن خربت مصر فى الزمان الذى ذكرناه فخرى وبقي موضعه ومأخوله كيمانا * (خزانة البنود) هذه الخزانة بالقاهرة هى الآن زقاق يعرف بخط خزانة البنود على يمين من سلك من رجة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت أولا فى الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح يقال ان الخليفة الظاهر بن الحاكم أمر بها ثم انها احترقت فى سنة احدى وستين وأربع مائة فعملت بعد حريقها سجنين فى الامراء والاعيان الى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بني أيوب سجنين ثم عملت منزلا للامراء من الفرنج يسكنون فيها بأهلهم وأولادهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد حضوره من الكرك فلم ير الواهب الى أن هدمها الامير الحاج آل ملك الجوص كندار نائب السلطنة بديار مصر فى سنة أربع وأربعين وسبع مائة فاخط الناس موضعها دورا وقد ذكرت فى هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر (حبس المعونة من القاهرة) بهذا المكان بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس الخريز بين كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ونحوهم فى الدولة الفاطمية وكان حبسا حرا ضيقا شديدا يشتم من قربه رائحة كريهة فلما ولي الملك الناصر محمد بن قلاوون مملكة مصر هدمه وبناه قيسارية للعنبر وقد ذكر الاسواق من هذا الكتاب (خزانة شمائل) هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور عرفت بالامير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظارا يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القلع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان اهلاكه من المباليك وأصحاب الجرائم العظيمة وكان السجن بها يوظف عليه والى القاهرة شيئا يحمله من المال له فى كل يوم وبلغ ذلك فى أيام الناصر فرج مبلغا كبيرا وما زالت هذه الخزانة على ذلك الى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحودى فى يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها فى جملة ما هدمه من الدور التى عزم على عمارة أما كنهم مدرسة * وشمائل هذا هو الامير علم الدين قدم الى القاهرة وهو من فلاحى بعض قرى مدينة حماء فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل فخدم جندار فى الركاب السلطاني الى أن نزل الفرنج على مدينة دمياط فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وملكوا البر وحصروا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل اليهم فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى الماء بين المراكب ويرد على السلطان الخبير فتقدم عند السلطان وحظى لديه حتى أقامه امير جندار وجعله من اكبر أمرائه ونصه سيف نغمته وولاه ولاية القاهرة فباشر ذلك الى أن مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك العادل أبوبكر فلما خلع بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب أقام على شمائل * (المقشرة) هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى كان يقشر فيه القمح ومن جلته برج من أبراج السور على يمين الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاء دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن ارباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هنالك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وعمل البرج والمقشرة سجنين ونقل اليه أرباب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها يقامى فيه المسجونون من الغم والكرب ما لا يوصف عافانا الله من جميع بلائه * (الحب بقلعة الجبل) هذا الحب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الامراء وابتدئ عمله فى سنة احدى وثمانين وثمانمائة

تنبه لم يذكر المؤلف في النشر
جميع السجون التي ذكرها
في القلب اسقط منها اثنين
وهما حبس الديلم وحبس
الرحبة وذكر بدلهما اثنين
وهما المقشرة والجب فليحذر
هـ

والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاوون ولم يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الاثنين سابع عشر
جمادى الاولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وذلك أن شاد العمار نزل اليه ليصلح عمارته فشاها هدماً مرا
مهولاً من الظلام وكثرة الوطاط وروائح الكريهة وافترق مع ذلك أن الأمير بكتر الساقى كان عنده شخص
يسخر به ويمارحه فبعث به الى الحب ودلى فيه ثم أطلعته من بعد ما بات به ليلة فلما حضر الى بكتر أخبره بما عاينه
من شناعة الحب وذكر ما فيه من القبايح المهولة وكان شاد العمار في المجلس فوصف ما فيه الامراء الذين
بالحب من الشدائد فتحدث بكتر مع السلطان في ذلك فأمر بإخراج الامراء منه وردم وعمر فوقه أطباق
الماء الباردة وكان الذي ردم به هذا الحب النقض الذي هدم من الايوان الكبير المجاور للخرانة الكبرى
والله أعلم بالصواب

(ذكر المواضع المعروفة بالصناعة) *

لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله واصطنعه اتخذ
والصناعة ما يستصنع من أمر هذا أصل الكلمة من حيث اللغة وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعدت
لانشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن واحدها سفينة وهي بمصر على قسمين نيلية وحرية فالحرية هي
التي تنشأ لغزو العدو وتحتن بالسلاح وآلات الحرب وانقالت فتمت من نهر الاسكندرية ونهر دمياط وتيس
والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب
هذا اللفظ عربياً وأما المراكب النيلية فانها تنشأ في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل
الارض لحل الغلال وغيرها ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو في حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وأول من ركب البحر في الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمي
رضي الله عنه وكان على البحرين من قبل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فأحب أن يؤثر في الاعاجم أنرايع الله به
الاسلام على يديه فندب اهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفزقهم أجناداً على أحدها الجارود بن المعلى
رضي الله عنه وعلى الثاني سوار بن همام رضي الله عنه وعلى الثالث خلد بن المنذر بن ساوى رضي الله عنه
وجعل خلد على عامة الناس فحملهم في البحر الى فارس بغيران عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر
رضي الله عنه لا يأذن لاحد في ركوب البحر غازياً كراهة للتغير فيجنداه برسل الله صلى الله عليه وسلم
وخليفته أبي بكر رضي الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا في اصطخر وبارائهم اهل
فارس عليهم الهرب فدخلوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خلد في الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى
أمرها جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزدوا بما صنعوا على أن دعواكم الى حربهم وانما جئتم
لحاربهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين
فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع يدعى طاموس قتل من اهل فارس
مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلاً قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر
سبيلاً فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاشتد
غضبه على العلاء ورضي الله عنه وكتب اليه بعزله ونوعده وأمره بأنقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه
بنأمر سعد بن أبي وقاص عليه وقال الحق بسعد بن أبي وقاص بمن معك فخرج رضي الله عنه من البحرين
عن معه فحوسع رضي الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تسعين وتباعد وكتب عمر رضي الله عنه
الى عتبة بن غزوان بأن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين في البحر فأقطعهم الى فارس وعصاني وأظنه
لم ير الله عز وجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضعهم اليك من قبل أن
يجتاحوا فندب عتبة رضي الله عنه الناس وأخبرهم بكتاب عمر رضي الله عنه فاندب عاصم بن عمرو وعرجة بن
هرثة وحذيفة بن محصن ومجراة بن ثور ونهار بن الحارث والتريحان بن فلان والحصين بن أبي الحز والاحنف
ابن قيس وسعد بن أبي العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصة بن معاوية رضي الله تعالى عنهم فساروا من
البصرة في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعليهم ابوسبرة بن أبي رهم رضي الله عنهم فساحل بهم حتى
التقى ابوسبرة وخلد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ اهل اصطخر أهل فارس كلهم فأقوهم من كل وجه

وكورة فالتقوا هم وأبوسيرة فاقبلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة
ورجع اهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشام ألح معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ على جند دمشق
والاردن على عمر رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص لسمع اهلها
نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضي الله عنه اثم معاوية لانه المشير وأحب عمر
رضي الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني
اليه وأنا أشتي خلافتها فكتب اليه يا أمير المؤمنين اني رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء
والماء ان ركضت القلوب وان زل أزاع العقول يزاد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عو
ان مال غرق وان نجابرق فلما جاءه كتاب عمر وكتب رضي الله عنه الى معاوية لا والذي بعث محمدا بالحق لا أجز
فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا أن ببحر الشام يشرف على أطول شيء في الارض يستأذن الله تعالى في كل يوم وليله
أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أجز الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب والله لمسلم واحد أحب
الي مما حوته الروم فاباك أن تعرض لي وقد تقدمت اليك وقد علمت ما لي بالعلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك
وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لا يسألني الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا وروى عنه ابنه عبد الله
رضي الله عنه ما أنه قال لولا آية في كتاب الله تعالى لعوت راسك البحر بالدره * ثم لما كانت خلافة عثمان
ابن عفان رضي الله عنه غزا المسلمون في البحر وكان اول من غزاه فيه معاوية بن أبي سفيان وذلك انه لم يزل
عثمان رضي الله عنه حتى عزم على ذلك فأخبره وقال تتخب الناس ولا تقزع بينهم خيرهم من اختيار الغزو طائفت
فاحملوا عنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحاسبي خليفة بني فزارة فغزا خسين غزوة من بين شامية
وصانقة في البر والبحر ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعوا لله تعالى أن يرزقه العافية في جنده ولا يئليه
بمصايب أحد منهم حتى اذا أراد الله عز وجل أن يصيبه في جنده خرج في قارب طليعته فأتته الى المرقاء من
ارض الروم فنار به الروم وهجموا عليه فقاتلهم فأصيب وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا وغزا عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح في البحر لما تاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع وثلاثين في ألف مركب يريد الاسكندرية
فسار عبد الله في مائتي مركب أوترى شيا وحاربه فكانت وقعة ذات الصواري التي نصر الله تعالى فيها جنده
وهزم قسطنطين وقتل جنده واغرى معاوية أيضا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه في البحر وأمره أن توجه
الى رودس فسار اليها ونزل الروم على البرلس في سنة ثلاث وخسين في اماره مسقلة بن محمد الانصاري
رضي الله عنه على مصر فخرج اليهم المسلمون في البر والبحر فاستشهد وردان مولى عمرو بن العاص في جمع كثير
من المسلمين وبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة الى عامله على افرقية حسان بن النعمان يأمره بالتخاذ
صناعة تونس لانشاء الاسلحة البحرية * ومنها كانت غزوة مقلية في أيام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب
على شيخ الفتيان اسد بن القرات ونزل الروم تنيس في سنة احدى ومائة في اماره بشر بن صفوان الكلابي على مصر
من قبل يزيد بن عبد الملك فاستشهد جماعة من المسلمين وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما
من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها وما كان في زمن الانشاء فانظره فحده ان شاء الله تعالى
* وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
الحضرمي الاشيلي تعاليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في اول الامر فقال والسبب في ذلك أن العرب
لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجية لمارسهم أحواله ومرباهم في القلب
على اعواده من نوا عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت أم العجم
خولا لهم وفتح أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية
أعما وتكثرت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصراحيها فتاقت أنفسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن
والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أم الكفر
واختصوا بذلك من محالكمهم ونغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب
والاندلس * واول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر
ابن المعتصم عندما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عيسى بن اسحاق

فلنكوهها وقتلوا بها جعاً كثيراً من المسلمين وسبوا النساء والأطفال ومضوا إلى تنيس فأقاموا باشتومها فوق الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر واتسدت الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب وهذا للناس اذ ذل الرغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه لا جرم انه كان لخلاص الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أنه بعد من جلتهم فيصعب بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شجنت به كتب التواريخ * فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالاً ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو فأنها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن افرقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام إلى الفداء وكان أول فداء وقع بمال في الاسلام أيام بني العباس ولم يقع في أيام بني أمية فداء مشهور وإنما كان يفادي بالنصر بعد النصر في سواحل الشام ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الخزرية إلى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد * (الفداء الأول) باللامش من سواحل البحر الرومي قريبا من طرسوس في سنة تسع وثمانين ومائة وملك الروم يومئذ تنفور بن اشراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين في أعمال حلب فقودي بكل أسير كان يلاذ الروم من ذكر أو أنثى وحضر هذا الفداء من اهل الثغور وغيرهم من اهل الامصار نحو من خمسمائة ألف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخييل وال سلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم القضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الرزق معهم أسارى المسلمين فكان عدده من فودي به من المسلمين في اثني عشر يوماً ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامش أربعين يوماً قبل الايام التي وقع فيها الفداء وبعد هذا وقال مروان بن أبي حفصة في هذا الفداء يخاطب الرشيد من أبيات

وفكت بك الاسرى التي شيدت بها * محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيا المسلمين فكما كها * وقالوا سجون المشركين قبورها

* (الفداء الثاني) كان في خلافة الرشيد أيضاً باللامش في سنة اثنين وتسعين ومائة وملك الروم تنفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى * (الفداء الثالث) وقع في خلافة الواثق باللامش في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين وملك الروم ميخائيل بن فوفيل وكان القائم به خاقان التركي وعدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنان وستون من ذكر وأنثى وحضر مع خاقان أبو رملة من قبل قاضي القضاة احمد بن أبي داود يمتحن الاسرى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق القرآن فودي به وأحسن اليه ومن أبي ترك بأرض الروم فاختر رجاعة من الاسرى الرجوع إلى ارض النصرانية على القول بذلك وخرج من الاسرى مسلم بن أبي مسلم الحرمي وكان له محل في الثغور وكتب مصنفه في أخبار الروم وملوكهم وبلادهم فنالتهم محن على القول بخلق القرآن ثم تخلص * (الفداء الرابع) في خلافة المتوكل على الله باللامش أيضاً في شوال سنة احدى وأربعين ومائتين وملك ميخائيل وكان القائم به سيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي وعلى بن يحيى الارمني أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفي رجل ومائة امرأة وكان مع الروم من النصاري المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكنهم عدة اعلاج اذ كان الفداء لا يقع على نصرا في ولا يعقد * (الفداء الخامس) في خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضاً باللامش مستهل صفر سنة ست وأربعين ومائتين وكان القائم به على بن يحيى الارمني أمير الثغور ومعه نصر بن الازهر الشيعي من شيعة بني العباس المرسل إلى الملك في أمر الفداء من قبل المتوكل وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وثلاثمائة وسبعة وستين من ذكر وأنثى * (الفداء السادس) كان في أيام المهترئ الملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين * (الفداء السابع) في خلافة المعتضد باللامش في شوال سنة ثلاث وثمانين

ومائتين وملك الروم البيون بن بسيل وكان القائم به احمد بن طغان أمير النغور الشامية وانطاكية من قبل الامير ابي الجيش بخارويه بن احمد بن طولون وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين فقتل أبو الجيش بدمشق في ذى القعدة من هذه السنة وتم الفداء في اماره ولده جيش بن بخارويه وكانت عدة من فودى به من المسلمين في عشرة ايام ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأثنى وقيل ثلاثة آلاف * (الفداء الثامن) في خلافة المكتفي باللامش في ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وملك الروم البيون أيضا وكان القائم به رسم بن زردوى أمير النغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين في أربعة ايام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأثنى وعرف بفداء الغدر وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببقية الاسارى * (الفداء التاسع) في خلافة المكتفي وملك الروم البيون باللامش أيضا في شوال سنة خمس وتسعين ومائتين والقائم به رسم وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وأثنى * (الفداء العاشر) في خلافة المقدر باللامش في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانمائة وملك الروم قسطنطين بن البيون بن بسيل وهو صغير في حجر أرمافوس وكان القائم بهذا الفداء مونس الخادم وبشير الخادم الاثنى أمير النغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمر عدى بن احمد بن عبد الباقي التميمي الادنى من اهل اذنة وعدة من فودى به من المسلمين في ثمانية ايام ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وثلاثون من ذكر وأثنى * (الفداء الحادى عشر) في خلافة المقدر وملك ارمافوس وقسطنطين على الروم وكان باللامش في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقائم به مفلح الخادم الاسود المقدرى وبشير خليفة ذيل الخادم على النغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين في تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأثنى * (الفداء الثانى عشر) في خلافة الراضى باللامش في سلخ ذى القعدة وأيام من ذى الحجة سنة ست وعشرين وثمانمائة والملك على الروم قسطنطين وارمافوس والقائم به ابن ورفاء الشيباني من قبل الوزير ابي الفتح الفضل ابن جعفر بن الفرات وبشير التملى أمير النغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين في ستة عشر يوما ستة آلاف وثمانمائة ونيف من ذكر وأثنى وبقي في أيدي الروم من المسلمين الاسرى ثمانمائة رجل ردوا ففودى بهم في عدة مرار وزيدوا في الهدنة بعد انقضاء الفداء مائة ستة أشهر لاجل من تخلف في أيدي الروم من المسلمين حتى جمع الاسارى منهم * (الفداء الثالث عشر) في خلافة المطيع باللامش في شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثمانمائة والملك على الروم قسطنطين والقائم به نصر التملى من قبل سيف الدولة ابي الحسن على بن جردان صاحب جند حص وجند قدس بن وديار بكر وديار مصر والنغور الشامية والخزربة وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأثنى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم فوفاهم سيف الدولة ذلك وحله اليهم وكان الذي شرع في هذا الفداء الامير أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد أمير مصر والشام والنغور الشامية وكان أبو عمر عدى بن احمد بن عبد الباقي الادنى شيخ النغور قدم اليه وهو بدمشق في ذى الحجة سنة أربع وثمانين وثمانمائة ومعه رسول ملك الروم في اتمام هذا الفداء والاخشيد شديد العلة فتوفي يوم الجمعة ثمان خلون من ذى الحجة منها وشار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش راجعا الى مصر وحمل معه أبا عمر ورسول ملك الروم الى فلسطين فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء فسارا الى مدينة صور وركبا البحر الى طرسوس فلما وصلا كاتب نصر التملى أمير النغور سيف الدولة بن جردان ودعاه الى منابر النغور فخذ في اتمام هذا الفداء فنسب اليه ووقعت أفديه أخرى ليس لها شهرة * فتم فداء في خلافة المهدي محمد على يد النقاش الانطاكي * وفداء في أيام الرشيد في شوال سنة احدى وثمانين ومائة على يد عياض بن سنان أمير النغور الشامية * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر في ذى القعدة سنة أربع وتسعين ومائة * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر أيضا في ذى القعدة سنة احدى ومائتين * وفداء في أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين على يد محمد بن على * وفداء في أيام المعتمد على يد شفيع في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين * وفداء كان في الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة خرج فيه ابو بكر محمد بن على المارداني من مصر ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضي أبو حفص عمر بن الحسين العباسي وحزبه بن محمد الكتاني في جمع كبير وكانت عدة

من فودي به من المسلمين ستين نفساين ذكرواني فلما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خسين وثلاثمائة
اشتد أمرهم بأخذهم البلاد وقويت العناية بالاسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب
الحرية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة
مصر واسكندرية ودمياط من الشواني الحرية والشلنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور
وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواد الاسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان
يقال لهم القواد واحد منهم قائد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ديناراً
ثم الى عشرة دنائير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهي اقلها ولهم اقطاعات تعرف بابواب الغزاة بما فيه من
النظرون فيصل دينارهم بالمنااسبة الى نصف دينار وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول
ويكون معه المقدم والقائوس فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذي يقطع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه
ويقلعون باقلاعه ولا بد أن يقدم على الاسطول امير كبير من اعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى
النفقة في غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيماتعين من عدة المراكب السائرة
وكانت في ايام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة وآخر ما صارت اليه في آخر الدولة نحو الثمانين شونة
وعشر مسطحات وعشر جمالة فتقتصر عن مائة قطعة فيتم دم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان
يتعش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات في مدة ايام
سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء واحد منهم نقيب ولا يكره أحد
على السفر فاذا اجتمعوا علم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الوزير الخليفة بالخال فقروا بالنفقة
فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة فيجاس الخليفة على هيئته في مجلسه ويجلس الوزير
في مكانه ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب والمستوفى هو اميرهما فيجلس من داخل عتبة
الجلس وهذه رتبة له يتميز بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب الجيش في قاعة الدار على حصر مفروشة وشرط
هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن اعيان الكتاب ويسمى اليوم في زمننا ناظر الجيش وأما كاتب الجيش فانه
كان في غالب الامر هو دياو والمجلس الذي فيه الخليفة والوزير انطاع نصب عليهما الدراهم ويحضر الوزانون بيت
المال لذلك فاذا تم الاتفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في اخريات من هو واقف في الخدمة من جانب
واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قدرت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة فيستدعي مستوفى الجيش من
تلك الاوراق المنفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الآخر فاذا
تكلمت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنائير صرف ستة وثلاثين درهما
يدينار فيسألهم النقيب وتكتب باسمه ويده وتغضى النفقة هكذا الى آخرها فاذا تم ذلك ركب الوزير من
بين يدي الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل الى الوزير من القصر مائة يقال لها غداء الوزير وهي سبع مجنقات
أوساط احداها يلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهي مكشورة بالازهار فتكون
النفقة على ذلك مدة ايام متوالية مرة ومترقة مرة فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب
الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هنالك على شاطئ النيل بالجوامع منظرة يجلس فيها
الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هنالك
للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بالسلمة واللبودها وما فيها من المنجنيقات فبرمى بها وتخذر المراكب وتقلع
وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس الى بين يدي الخليفة فيودعهما ويدعو الجماعة
بالنصرة والسلامة ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين ديناراً ويخذر الاسطول الى دمياط ومن هنالك
يخرج الى بحر الملح فيكون له بلاد العدو وصيت عظيم ومهابة قوية والعادة أنه اذا غم الاسطول ما عسى أن يغتم
لا يتعرض السلطان منه الى شيء البتة الا ما كان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداها من المال
والتياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لا يشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضا الى منظرة
المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرة بألف وخمسمائة اسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم في المناخ
وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويعضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد ما يعطى منهم الوزير طائفة ويفرق

ما بقي من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمنهن ويربونهن حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستادين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والراية ويقال لهم الترابي وفيهم من صار اميرامن صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ومن كان منهم شيخا لا يتفجع به ضربت عنقه وألقي في بئر كانت في خرائب مصر تعرف ببئر المنامة ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرامن الفريخ بمال ولا بأسير مثله وكان المنفق في الاسطول كل سنة خارجا عن العدد والآلات * ولم يزل الاسطول على ذلك الى أن كانت وزارة شاوور ونزل حمري ملك الفريخ على بركة الحبش فأمر شاوور بتحويل مصر وبحريق مراكب الاسطول فخرقت ونهبها العبيد فيمانهبوا فلما كان زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعتنى أيضا بأمر الاسطول وأفرده ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم بأعمالها والحبش الجيوشى في البرتين الشرقي والغربي وهومن البر الشرقي بهتين والاميرية والمنية ومن البر الغربي ناحية سفت ونهبها ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضا الخراج وهو أشجار من سنط لا تحصى كثرة في البهنساوية وسفت ريشين والاشمونين والاسيوطية والاشخمية والقوصية لم تزل بهذه النواحي لا يقطع منها الامانة عوا الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وقد ذكر خبر هذا الخراج في ذكر أقسام مال مصر من هذا السكك وعين له أيضا النطرون وكان قد بلغ ضماته ثمانية آلاف دينار ثم أفرده ديوان الاسطول مع ما ذكر الزكاة التي كانت تجبي بمصر وبلغت في سنة زيادة على خمسين ألف دينار وأفرده المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدي وسلم هذا الديوان لاختيه الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب فأقام في مباشرته وعمالته صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر وتقرر ديوان الاسطول الذي ينفق في رجاله نصف وربيع دينار بعدما كان نصف وعن دينار فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استمر الحال في الاسطول قليلا ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر في امره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا في السلاسل نهارا ووجنوا في الليل حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم الا شئ قليل من الخبز ونحوه وربما اقاموا الايام بغير شئ كما يفعل بالاسرى من العدو وقصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل في مصر يا أسطولى غضب غضبا شديدا بعدما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله ويتبرك ببدء عائم الناس ثم لما انقرضت دولة بني أيوب وقلق الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فنظر في امر الشوانى الحربية واستدعى برجال الاسطول وكان الامر اقد استعملوهم في الخرابيق وغيرها واندبهم للسفر وأمر بمدة الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه في ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الخراج ومنع الناس من التصرف في اموال العمل وتقدم بعمارة الشوانى في نغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى النغور الى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الخرابيق والطرانق فانها كانت عدة كثيرة وذلك في شوال سنة تسع وستين وستمائة ثم سارت تريد قبرس وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى في اعلامها الصليبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفريخ حتى تطرقهم على غفلة ففكره الناس منه ذلك فلما فارت قبرس تقدم ابن حسون في الليل ليهاجم المينا فقدم الشونة المقدمة شعبا فانكسرت وتبعها بقية الشوانى فتكسرت الشوانى كلها وعلم بذلك مملك قبرس فأسر كل من فيها وأحاط بها معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخه وأن شوانيه قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملكنى الله تعالى ما خذلنى عسكرو ولا ذلت لى راية وما زلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره وأمر بإنشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم في مدة شهر المحرم سنة سبعين وستمائة الى أن تجوز فلما كان في نصف المحرم سنة احدى وسبعين وستمائة زاد النيل حتى لعبت الشوانى بين يديه فكان يوما مشهودا وفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلغوس بتجهيز أمر الشوانى فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيا جميع ما تحتاج اليه الشوانى حتى كملت عدتها نحو ستين

شونة وثمنها بالعبد وآلات الحرب ورتب بها عدة من الممالك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان ثلاثة أيام وصنعوا لهم قصورا من خشب وأحواصن القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة وأكثر الساحات التي قدام الدور والزراعي بالمائتي درهم كل زريبة قادوتها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا وخرج أهلها وبعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قدماء وأما بين المقياس إلى بستان الخشاب إلى بولاق ووقف السلطان ونائبه الأمير بيدرو بقة الامراء قدام دار الخناس ومنع الحجاب من التعرض لطرد الغامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة تبرج وقلعة تحاصر والقتال عليها طلع والنظر يرى عليها عدة من النفاين في أعمال الحيلة في القتب وما منهم الامن اظهر في شوته علامجا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الراعي وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى آخر الآية هذا والشواني تواصل بحاربة بعضها بعضا إلى أن اذن لصلاة الظهر ففضى السلطان بعسكره عائدا إلى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم وكان شيا يجلب وصفه وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فقادوتها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه في المركب خمسة دراهم وحصل عدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر دراهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر يسع سبعة أرتال بدرهم قبل خبز الشواني إلى بلاد الفرج فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح فلما كان المحرم سنة اثنين وسبع مائة في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والأزودة وعين لها جماعة من اجناد الحلقة وأزم كل أمير مائة بارسال رجلين من عدته وأزم أمراء الطبخانة والعشيرة باخراج كل أمير من عدته رجلا ونائب الأمير سيف الدين كهر داش المنصوري الزراقي إلى السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقي وزيت الشواني أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها وأطاموا يومين بلبا إليها على الساحل بالبرين وكان جمعا عظيما إلى الغاية وبلغت أجرة المركب الصغيرة مائة درهم لأجل الفرجة ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ومعه الأمير سلاز النائب والأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الامراء والعسكر فوقف المماليك على البر فحوى بستان الخشاب وعدى الامراء في الحرايق إلى الروضة وخرجت الشواني واحدة بعد واحدة ظعبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الأمير أقوش القاري من مينا الصناعة حتى توسط البحر فقلب بها الريح إلى أن مالت وانقلبت فصار أعلاها أسفلها فقادركها الناس ووقعوا ما قدروا عليه من العدد والسلاح وسلبت الرجال فلم يعدم منهم سوى أقوش وحده فنبكد الناس وعاد الامراء إلى القلعة بالسلطان وجهاز شونة عوضا عن التي غرقت وساروا إلى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس فأشرفوا من الغد على جزيرة أرواد من أعمال قبرص وقاتلوا أهلها وقتلوا أكثرهم وملكوها في يوم الجمعة ثامن عشرى صغير واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا إلى طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخنفس للسلطان واقتسموا ما بقي منها وكان معهم ما ثمان وثمانون أسيرا فسر السلطان بذلك سرورا كثيرا * (صناعة المقدس) * قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله أنه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مينا * وقال المسيحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا * وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار في الاسطول وقت صلاح الجمعة ليست بقين من شهر ربيع الآخر فأحرق خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها فحمل الجريون السلاح وأتهموا الروم التصاري وكانوا مقيمين بدارماتك بجوار الصناعة التي بالمقس وجلا على الروم هم وجوع من العامة معهم قهبا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرخوا جثثهم في الطرقات وأخذ من بقي فخبس بصناعة المقدس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة امير المؤمنين العزيز بالله في الاموال ووجوهها بدار مصر والشام والجزاز ومعه ياناس الصقلي وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره إلى الشام ومعهما مسعود الصقلي متولى الشرطة وأحضر الروم من الصناعة

فاعترفوا بانهم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز بالله وهو مبرزيريد السفر الى الشام
 وذكره في الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب وانه ذهب في النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار فطاف اصحاب
 الشرط في الاسواق بسجل فيه الامر برد ما نهب من دارماتك وغيرها والتوعد لمن ظهر عنده منه شيء وحفظ أبو
 الحسن يانس البلد وضبط الناس وأمر عيسى بن نسطورس أن يمد للوقت عشرون مراكب وطرح الخشب وطلب
 الصناع ويات في الصناعة وجد الصناع في العمل واغلب أحداث الناس وعاقبتهم يلعبون برؤس القتلى ويجزون
 بأرجلهم في الاسواق والشوارع ثم قرئوا بعضهم الى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت وضرب
 بالحرس على البلد أن لا يتخلف أحد ممن نهب شيئا حتى يحضر ما نهبه ويرده ومن علم عليه بشيء أو كتم شيئا أو جده
 أو أخره حلت به العقوبة الشديدة وتتبع من نهب فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم
 وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط وطيف بهم وفي عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم وحبس
 عدة أناس وأمر بمن ضربت أعناقهم فصلبوا عند كوم دينار وردا للمصريين الى المطبق وكان ضرب من ضرب
 من النهاية وقتل من قتل منهم برقع فكتب لهم تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب اما يقتل أو ضرب
 فأمضى فيهم بحسب ما كان في رفاعهم من قتل أو ضرب واشتد الطلب على النهاية فكان الناس يدل بعضهم على
 بعض فاذا أخذ أحد من انهم بالنهب حلف بالايمان المخلطة أنه ما بقي عنده شيء وجد عيسى بن نسطورس في عمل
 الاسطول وطلب الخشب فلم يدع عند أحد خشبا علم به الا أخذ منه وترايد اخراج النهاية لما نهبوه فكلوا
 بطرحونه في الازقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به وحبس كثير ممن أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب
 فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر صاحب يانس فانه قدم
 في عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة واغلفت الاسواق ومثد وطاف متولى الشرطة وبين
 يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم
 ينادى عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم امير المؤمنين فنظروا ليعترفوا فقال لهم عمرة ولا ترحم لهم عبرة
 في كلام كثير من هذا الجنس فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم فلما كان من الغد نودي معاشر الناس قد أمر
 الله من أخذ شيئا أو نهب شيئا على نفسه وماله فليرد من بقي عنده شيء من النهب وقد أجلناكم من اليوم الى مثله
 وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس الى الصناعة وطرح مراكب من كين في غاية الكبر من التي استعملها بعد
 حريق الاسطول وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبار من المنشأة بعد الحريق واتفق
 موت العزيز بالله وهو ساثر الى الشام في مدينة بليس فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله في الخلافة أمر
 في خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس قسملهم أهلهم وأعطى لاهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم
 كفته ودقته وخلع على عيسى بن نسطورس وأقرمه في ديوان الخياص ثم قبض عليه في ليلة الاربعاء سابع المحرم
 سنة سبع وثمانين وثلثمائة واعتقله الى ليلة الاثنين سابع عشر به فأخرجه الاستاذ برجوان وهو يومئذ متولى
 تدبير الدولة الى المقس وضرب عنقه فقتل وهو ماض الى المقس كل شيء قد كنت أحسنه الاموت العزيز بالله
 ولكن الله لا يظلم أحدا والله اني لاذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذ في نهب دارماتك وفي بعضها مكتوب
 يقتل وفي أخرى يضرب فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها يقتل فأمرت به الى القتل فصاحت أمه
 ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كاتل إليه النهب في شيء من أعمال مصر وانما ورد مصر بعد النهب بثلاثة
 ايام وناشدني الله تعالى أن اجعله من جملة من يضرب بالسوط وأن يعنى من القتل فلم التفت اليها وأمرت
 بضرب عنقه فقالت أمه ان كنت لا بد قاتله فاجعله آخر من يقتل لا تمتع به ساعة فأمرت به فجعل أول من ضرب
 عنقه فلطخت بدمه وجهها وسبقتني وهي منبوشة الشعر ذاهلة العقل الى القصر فلما وافيت قالت لي أقتله كذلك
 يقتلك الله فأمرت بها فضربت حتى سقطت الى الارض ثم كان من الامر ما ترون مما أنا صائر اليه وكان خبره
 عبرة لمن اعتبر وفي نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ركب الحاكم بأمر الله الى صناعة المقس لتطرح
 المراكب بين يديه * (صناعة الجزيرة) هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة وهي أول
 صناعة عملت بقسطاط مصر بنيت في سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هنالك خمسة مائة فاعل تكون
 مقية أبدامعدة لحريق يكون في البلاد أو هدم ثم اعتنى الامير أبو العباس أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الحربية

في هذه الصناعة وأطلقها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة إلى اليوم الملك الأمير أبو بكر محمد بن طنج الأخشيدي فأنشأ
صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب
* (صناعة مصر) هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن
خاتان امرأة الأمير أسد بن طولون إلى أن قدم الأمير أبو بكر محمد بن طنج الأخشيدي أميراً على مصر من قبل
الخليفة الراضي عواض عن أحمد بن كيغلق في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى
ابن أحمد السلي أبو مالك كبير المغاربة في طاعته ومضى ومعه بحكم وعلى بن بدر وتطيف التوشري وعلى
المغربي إلى الفيوم فبعث إليهم الأخشيدي صاعدين الكلهم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا من أسكبه
وركب فيها على بن بدر وبحكم وقد موأمنه بمصر أول يوم من ذي القعدة فأرسلوا بجزيرة الصناعة وركب
الأخشيدي في جيشه ووقف جبالهم والنيل بينهم وبينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء
ليست بشيء فأقام بحكم وعلى بن بدر إلى آخر النهار ومضوا إلى جهة الاسكندرية وعاد الأخشيدي إلى داره فأخذ
في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة إلى دار خديجة بنت الفتح في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة
وكان إذا ذل عند هاسم نزل منه إلى الماء وعندما ابتدأ في إنشاء المراكب بها صاحت به امرأة فأمرها بأخذها
إليه فسأله أن يعث معها من يحمل المال فيسير معها طائفة فأتت بهم إلى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع
منها آخر جوامع عينا وورقا وحلبا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وكانت مراكب الاسطول
مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها إلى أيام الخليفة الأخيرة أحكام الله تعالى فلما ولي المأمون بن البطاحي أنكر
ذلك وأمر أن يكون إنشاء الشواني والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر هذه وأضاف إليها دار الزبيب
وأنشأها منظره لجلوس الخليفة يوم مقدمة الاسطول وورميه فأقر إنشاء الحرييات والشنديات بصناعة الجزيرة
وكان لهذه الصناعة دهليز مادي بمطابق مضروباً بالحصر العبدانية بسطاو تازير أوفها محل ديوان الجهاد وكان
يعرف في الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا إلا بالخليفة والوزير إذا ركب في يوم فتح
الخلع عند وفاة النبل فإن الخليفة كان يدخل من بابها ويشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النبل إلى المقياس
كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب ولم تزل هذه الصناعة عامرة إلى ما قبل سنة سبع مائة ثم صارت يستأجر
بيستان ابن كيسان ثم عرف في زمننا بستان الطواشي ولكن فيما بين هذه الصناعة والروضة بحرم تربي بحرف
عرف موضعه بالحرف وأنشئ هناك بستان عرف بستان الحرف وصار في جله أوقاف خاقان الموصل وقيل
لهذا الحرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة
وخرب بستان الحرف أيضا إلى اليوم بستان الطواشي فيه بقية وهو على بسرة من يربد مصر من طريق المراغة
وبظاهر محوض ماء ترده الدواب ومن وراء البستان كمين فيها كنيسة للنصارى قال ابن المتوج وكان مكان
بستان ابن كيسان صناعة العمارة وادركت فيه بابها وبستان الحرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه
بحر النيل وان الحرف تربي فيه

* (ذكر الميادين) *

* (ميدان ابن طولون) كان قد بناه وتأنق فيه تأقاراً نذاً وعمل فيه المناخ وبركة الزبيق والقبعة الذهبية وقد ذكر
خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب * (ميدان الأخشيدي) هذا الميدان أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن
طنج الأخشيدي أمير مصر بجوار بستانه الذي يعرف اليوم في القاهرة بالكافوري ويشبه أن يكون موضع هذا
الميدان اليوم حيث المكان المعروف بالبند قانين وحطة الوزيرية وما جاور ذلك وكان لهذا البستان بابان من
حديد قلعهما القنادجوه عند ما قدم القرمطي إلى مصر يريد أخذها وجعلهما على باب الخندق الذي حفره
بظاهر القاهرة قريسا من مدينة عين شمس وذلك في سنة ستين وثلثمائة وكان هذا الميدان من أعظم أماكن مصر
وكانت فيه الخيول السلطانية في الدولة الأخشيدي * (ميدان القصر) هذا الميدان موضعه الآن في القاهرة
يعرف بالخرنشف عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافوري ولم يزل ميدان الخلفاء الفاطميين يدخل إليه
من باب انتبائين الذي موضعه الآن يعرف بقبو الخرنشف فلما زالت الدولة الفاطمية تعطل ربي إلى أن بنى به
الغزاصطيلات بالخرنشف ثم حكر وبني فيه فصار من أخطاط القاهرة * (ميدان قراقوش) هذا الميدان خارج

باب الفتوح * (ميدان الملك العزيز) هذا الميدان كان بجوار خليج الذكرو كان موضعه بستانا * قال القاضي الفاضل في متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج امر الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللوازة بالبستان المعروف بالبغدادية وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عني الاقرون به لجواره اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع ما فيه من الاصول انتهى ثم حصر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن دلت فيه كيمان وازدهار انتهى * (الميدان الصالحى) هذا الميدان كان بأراضي اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع المطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدار التي على الخليج الناصرى ومن جلته الطريق المملوكية الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة وكان أول بستان يعرف ببستان الشريف ابن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين ثعلب بن الامير نجر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة وكان عمل هذا الميدان سبيل البناء القنطرة التي يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الكبير لجواره عليها وكان قبل بنائها موضعها موردة سقاني القاهرة وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوكة بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاؤه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفي سلطنة الملك المعز بن الدين أيوب التبركاني الصالحى النجمى قال له منجمه ان امرأة تكون سببا في قتله فامر أن تحرب الدور والحوانيت التي من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحى وأمر أن لا يترك باب مفتوح بالاماكن التي يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضا طاعة وما زال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى ما بعد سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربى في قيسارية الغزل التي أنشأها هناك ولاجل هذا الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبنى موضعه ما هناك من المساكن ومن جلته حكر مرادى وهو على يمنة من سلك من جامع المطباخ الى قنطرة قدار وهو فى اوقاف خاتقا قوصون وجامع قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيانا بعد كثرة العمارة به * (الميدان الظاهرى) هذا الميدان كان بطرف أراضي اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدار من جهة باب الاوق أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان استاذ الملك الصالح نجم الدين أيوب وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون اليه وخرّب مناظره وعمله بستانا من اجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر اصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها وما زال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر قطع الاشجار في بساتين جزيرة الفيل وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذى أنشأه بنسرا قوس تحمل بأسرها الى الشراب خاباه السلطانية بقلعة الجبل ولا يساع منها شي البتة وتصرف كفه مما من الاموال الدوائية فجاءت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاصت بحسن فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اخص بالامير قوصون أن يمد هذا البستان عليه فعمر تجاؤه الزرية التي عرفت بزرية قوصون على النيل وبنى الناس الدور الكثيرة هناك سيما لحفر الخليج الناصرى فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب تلاشي أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزرية ثم لما خرب خط الزرية خرب ما عمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى اعلم * (ميدان بركة الفيل) هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكيش وكان أول اصطلح الجوق برسم خيول الممالك السلطانية الى أن جلس الامير زين الدين كتيبة على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس في أشد ما يكون من غلاء الاسعار

وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحز من وقوع قننة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهري بطرف اللوق فحسن بخاطرهم أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميداناً عوضاً عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامرأء فأعجبهم ذلك فأمر بأخراج الخيل منه وشرع في عمله ميداناً وبأبدار الناس من حيثئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هناك الأمير علم الدين سنجر الخازن في الموضع الذي عرف اليوم بمحكمة الخازن وتلاه الناس في العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد في طريقه أحداً من الناس سوى اصحاب الدكاكين من الباعة لقلعة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرفات خالية فأنشد ما قيل في الطيب ابن زهر

قل للغلائت وابن زهر * بلغنا الحد والنهابة

ترققا بالورى قليلا * في واحد منك كفايه

وما برح هذا الميدان باقياً الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قصر الأمير بكتر الساقى على بركة الفيل فادخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الأمير بكتر الساقى في سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باقى وقتنا هذا * (ميدان المهاري) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في برّ الخليج الغربي كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضي الفاضل رجة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون له شغف عظيم بالخيل فعمل ديواناً ينزل فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذي حضر فيه فاذا حملت فرس من خيول السلطان اعلم به وترقب الوقت الذي تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان يرسم تتاجها فركب من قلعة الجبل في سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعاً يعمل عليه ميداناً يرسم المهاري فوقه اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع وما زال واقفاً بفرسه حتى حدد الموضع وشرع في نقل الطين البليزاليه وزرعه من الخل وغيره وركب على الآبار التي فيه السواقي فلم يمض سوى ايام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدة مجرى لتناج وأعد لها سواسا وأميراً خورية وسائر ما يحتاج اليه وبني فيه أماناً ولازم الدخول اليه في ممّره الى الميدان الذي أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد ايام وأشهر حسن في نفسه أن يبني تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيرمى زربية ويبرز بالمناظر التي ينسبها في الميدان الى قرب البحر ففعل بنفسه وتحدث في ذلك فكثرت المهندسون المصروف في عينه وصعبوا الامر من جهة قلعة الطين هناك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك وما برحت الخيول في هذا الميدان الى أن مات الملك الظاهر برقوق في سنة احدى وثمانمائة واستقر بعده في ايام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشي امره عما كان قبل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براخا خالياً * (ميدان سرياقوس) كان هذا الميدان شرقي ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبني فيه قصوراً جليلية وعدة منازل للامراء وغرس فيه بستاناً كبيراً نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التي تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموها الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل في سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التي هناك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم في الاماكن التي بنيت لهم واستقرت توجه اليه في كل سنة ويقوم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعد ما تنقضي ايام الركوب الى الميدان الكبير الناصري على النيل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر ارباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقوم في هذه السرحة اياماً فيخرج للناس في اقامتهم بهذه السرحة اوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرّات ولا حصر ما يتفق فيها من المآكل والهيئات من الاموال ولم يزل هذا الرسم مستمراً الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهي آخر سرحة سار اليها السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل في سنة ثمانمائة بتعزك الممالك عليه من وقت قيام الأمير على باي الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فياصفا الوقت

في أيامه من كثرة الفتن وتواتر الغلوات والحن إلى أن نسي ذلك وأهمل أمر الميدان والقصور وغرب وفيه إلى اليوم بقية قائمة لم يبعث هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار لينقض خشبها وشبابيكها وغيرها فنقضت كلها وكان من عادة السلطان إذا خرج إلى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر أمراء الدولة قدر أوسعنا كل واحد بألف مثقال ذهباً وبرذون خاص مخرج ملجم وكنبوش مذهب وكان من عادة إذا مر في متصيداته باقطاع أمير كبير قدم له من الغنم والأوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسعو همة مثله إليه فيقبله السلطان منه وينعم عليه بخلعة كاملة وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال وكانت عادة الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب وأما أكابرهم فيركب بجنيين هذا في المدينة والحاضرة وهكذا يكون إذا خرج إلى سرياقوس وغيرها من نواحي الصعيد ويكون في الخروج إلى سرياقوس وغيرها من الأسفار لكل أمير طلب يشتمل على أكثر مما يليكه وقد أمهم خزائنه محمولة على جمل واحد يجزئه راكب آخر على جمل والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي مماليك ركاب خيل وهجن وركاب من العرب على هجن وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة وللطبلخانات قطار واحد وهو أربعة وعمر كوب الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب في كثيرها وقتلها إلى رأى الأمير وسعة نفسه والجنائب منها ما هو مخرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير وكان يضاهي بعضهم بعضاً في الملابس الفاخرة والسروج الحلاة والعدد المليحة وكان من رسوم السلطان في خروجه إلى سرياقوس وغيرها من الأسفار أن لا يتكلف إظهار كل شعار السلطنة بل يكون الشعار في موكبه السائر فيه جمهور مماليك مع المقدم عليهم واستاداره وأمامهم الخزانة والجنائب والهجن وأمامها هو نفسه فانه يركب ومعه عدة كبيرة من الأمراء الكبار والصغار من القرباء والخواص وجله من خواص مماليكه ولا يركب في السير برقة ولا بعصائب بل يتبعه جنائب خلعة ويقصد في الغالب تأخير النزول إلى الليل فإذا جاء الليل سجدت قدماه فوايس كثيرة ومشاعل فإذا قارب تخيمه تلقى يشوع موكبية في شمعانات كفت وصاحات الجاوشية بين يديه ونزل الناس كافة للاجئلة السلاح فأنهم وراءه والوشاقية أيضاً وراءه وتغني الطير دارية حوله حتى إذا وصل التصوير بسرياقوس أو الدهليز من الخيم نزل عن فرسه ودخل إلى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة ثم منها إلى شقة مختصرة ثم منها إلى اللاجوق وبدأت كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خروكه وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم الميت فيه وينصب بأزاء الشقة الحمام بقدر الرصاص والخوص على هيئة الحمام المبني في المدن إلا أنه مختصر فإذا نام السلطان طافت به المالبس دائرة بعدد دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة وتدور بسرياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين الأولى منذ يأوى إلى النوم والثانية عند قعوده من النوم وكل زفة يدورها أمير جندار وهو من أكابر الأمراء وحوله القوايس والمشاعل والطبول والنباتة ويستم على باب الدهليز النقباء وأرباب التوب من الخدم ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة إليه حتى يكاد يكون معه ما رستبان لكثرة من معه من الأطباء وأرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير وما يجري مجرى ذلك وكل من عاده طبيب ووصفه ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناة أو الدواء خاناة المحمولين في الصحبة والله اعلم * (الميدان الناصري) هذا الميدان من جملة أراضي بستان الخشب فيما بين مدينة مصر والقاهرة وكان موضعه قديماً عامراً بآباء النيل ثم عرف ببستان الخشب فلما كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان الظاهري وغرس فيه أشجاراً كما تقدم وأنشأ هذا الميدان من أراضي بستان الخشب فانه كان حينئذ مطلاً على النيل وتجهز في سنة ثمان عشرة وسبعمائة للركوب إليه وفتح الخيول على جميع الأمراء واستجذروا ركوب الأوجاقية بكوا في الزركش على صفة الطاسات فوق رؤسهم وسماهم الجفتاوات فيركب منهم اثنين ثوبى حريراً طلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية الذهب وتحت كل واحد فرس أبيض مجلية ذهب ويسيران معاً بين يدي السلطان في ركوبه من قلعة الجبل إلى الميدان وفي عودته منه إلى القلعة وكان السلطان إذا ركب إلى هذا الميدان للعب الكرة يفرق حواص ذهب على الأمراء المتقدمين وركوبه إلى هذا الميدان دائماً يوم السبت في قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فتم من تبي نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين وكان من مصطلح الملوك

أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الامراء في وقتين أحدهما عند ما يخرج الى صراط خيله في الربيع عند اكتمال تريبعها وفي هذا الوقت يعطى امراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكأيش مذهبة ويعطى أمراء الطبختانات خيلا عربيا * والوقت الثاني يعطى الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كأيش بفضة خفيفة وليس لامراء العنمرات حظ في ذلك الا ما يتفقدهم به على سبيل الانعام ولخاصية السلطان المقرين من أمراء المئين وأمراء الطبختانات زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس في السنة وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفي عنق الفرس رقبة حريز أطلس اصفر يزركش ذهب قنستر من تحت أذني الفرس الى حيث السرج ويكون قداه اثنتان من الاوشاقية راكبين على حصانين اشهين برقبين نظير ما هو راكب به كأنهم ماعدان لان يركبهما وعلى الاوشاقين المذكورين قبا آن اصفران من حريز بتر ازمن زركش بالذهب وعلى رأسهما قبعان مزركشان وغاشية الدرج بحجولة أمام السلطان وهي أديم مزركش مذهب يحمها بعض الركبادرية قداه وهو ماش في وسط الموكب ويكون قداه فارص يشيب بشابة لا يقصد بنغمها الا طراب بل ما يقرع بالمهاية سامعه ومن خلف السلطان الجنائب وعلى رأسه العصائب الساطانية وهي صفر مطرزة بذهب بالقابه واسمه وهذا لا يختص بالركوب الى الميدان بل يعمل هذا الشعار أيضا اذا ركب يوم العيد أو دخل الى القاهرة أو الى مدينة من مدن الشام ويرد اذ هذا الشعار في يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه ويقال لها الخبر وهو أطلس اصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الاكبر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان ويكون حوله وأمامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوي الاقطاعات والامرة ويكونون مشاة وبأيديهم الاطبار المشهورة.

• (ذكر قلعة الجبل) •

قال ابن سيده في كتاب المحكم القلعة بتحرريك القاف واللام والعين وتحتها الحصن المتنع في جبل وجعها اقلاع وقلع وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف وجعها قلوع وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهي متصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة قصير القاهرة في الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية والنيل الاعظم في غربيها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحتها ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول المماليك بدار مصر على يد الطوائف بهاء الدين قراقوش الاسدي في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وصارت من بعده دار الملك بدار مصر الى يومنا هذا وهي ثامن موضع صار دارا للملك بدار مصر وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان مدينة أمسوس ثم صار تحت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بنحت نصر ثم لما ملك الاسكندر بن فيلبش سارا الى مصر وجد بناء الاسكندرية فصارت دارا للملكة من حينئذ بعد مدينة منف الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام وقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن واختط مدينة فسطاط مصر فصارت دارا لامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بني أمية وقدمت عساكر بني العباس الى مصر وبنوا في ظاهر الفسطاط العسكر فصار الامراء من حينئذ تارة ينزلون في العسكر وتارة في الفسطاط الى أن بنى أحمد بن طولون القصر والميدان وأنشأ القطائع بجانب العسكر فصارت القطائع منازل الطولية الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد زوال دولة بني طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر المعز لدين الله وبني القاهرة المعزية فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ومقر الامامة ومنزل الملك الى أن انقضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما استبدت بعدهم بأمر سلطنة مصر بنى قلعة الجبل هذه ومات فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب واقتدى به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد مماليكهم البحرية فملكوا مصر من بعدهم فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا وأصبح ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه وذكر من ملكها ما فيه كفاية والله اعلم

*** (ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها) ***

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل أنه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء قال أبو عمرو الكندي في كتاب
أمرام مصر وابتنى حاتم بن هرثة القبة التي تعرف بقبة الهواء وهو أول من ابتناها وولى مصر إلى أن صرف
عنها في جادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة قال ثم مات عيسى بن منصور أمير مصر في قبة الهواء بعد عزله
لأحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولما قدم أمير المؤمنين المأمون إلى مصر
في سنة سبع عشرة ومائتين جلس بقبة الهواء هذه وكان يحضره سعيد بن عفريته قال المأمون لعن الله
فرعون حيث يقول أليس لي ملك مصر فلورأى العراق وخصبها فقال سعيد بن عفريته يا أمير المؤمنين لا تقل هذا
فإن الله عز وجل قال ودترنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون فإظنك يا أمير المؤمنين بشئ دمره
الله هذا بقبته ثم قال سعيد لقد بلغنا أن أرضنا لم تكن أعظم من مصر وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها وكانت
الأنهار بقناطر وجسور يتدبر حتى أن الماء يجري تحت منازلهم وأخيتهم يرسلونه متى شاءوا ويجسونه متى
شاءوا وكانت البساتين متصلة لا تنقطع ولقد كانت الأمة تضع المكمل على رأسها فيسقط مما يسقط من الشجر
وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى خمار لكثرة الشجر وفي قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين *
قال الكندي في كتاب الموالي قدم المأمون مصر وكان بهارجل يقال له الحضرمي يتظلم من ابن أسباط وابن تميم
لجاس الفضل بن مروان في المسجد الجامع وحضر مجلسه يحيى بن أكثم وابن أبي داود وحضر أصحاب الحديث والحارث
ابن مسكين ليولى قضاء مصر فدعاه الفضل بن مروان فبينما هو يكلمه إذ قال الحضرمي للفضل سل أصلحك الله
الحارث عن ابن أسباط وابن تميم قال ليس لهذا أحضرناه قال أصلحك الله سل فقال الفضل للحارث ما تقول
في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال ليس لهذا أحضرناك فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين فقام
الفضل وصار إلى المأمون بالخبر وقال خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث فأرسل المأمون إلى الحارث
فدعاه فأتدأه بالمسألة فقال ما تقول في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال هل ظلمك بشئ قال لا قال
فما ملتهم قال لا قال فكيف شهدت عليهم ما قال كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط إلا الساعة وكما شهدت
أنك غزوت ولم أحضر غزوك قال أخرج من هذه البلاد فليست لك بلاد وبيع قليل وكثيرك فأنك لا تعانيتها
أبد أو حبسه في رأس الجبل في قبة ابن هرثة ثم انحدر المأمون إلى البشروود وأحضره معه فلما فتح البشروود
أحضر الحارث فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر فرد عليه الجواب بعينه فقال فأى شئ
تقول في خروجنا هذا قال أخبرني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك أن الرشيد كتب إليه في أهل دهل يسأله
عن قتالهم فقال إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وإن كانوا انما شقوا العاصف قالهم
حلل فقال المأمون أنت تيس ومالك أليس منك أرحل عن مصر قال يا أمير المؤمنين إلى الثغور قال الحق
بمدينة السلام فقال له أبو صالح الحراني يا أمير المؤمنين تغفر زلتك قال يا شيخ تشفعت فارفع ولما بنى أحمد بن
طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا ما يقيم فيها فأنها كانت تشرف على قصره واعتنى بها
الأمير أبو الجيش خازويه بن أحمد بن طولون وجعل لها الستور الجليله والفرش العظيمة في كل فصل ما يناسبه
فلما زالت دولة بني طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب كما تقدم ذكره عند ذكر القطائع
من هذا الكتاب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبني فيها عدة مساجد * قال الشريف محمد بن أسعد الحراني
التسابة في كتاب النقط في الخطط والمساجد المبنية على الجبل المتصلة بالجامع المطل على القاهرة المعزية
التي فيها المسجد المعروف بسعد الدولة والتراب التي هناك تحتوى القلعة التي بناها السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب على الجميع وهي التي نعتها بالقاهرة وبنيت هذه القلعة في مدة يسيرة وهذه المساجد هي مسجد سعد
الدولة ومسجد معز الدولة وإلى مصر ومسجد مقدم بن عليان من بني بويه الديلي ومسجد العدة بنه أحد
الاستاذين السكار المستنصرية وهو غدة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن
ابن شبل بن علي بن تيس الرؤساء وكافى الكفاة أبي يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن علي بنه وانتقل
بالارث إلى ابن عمه القاضي الفقيه أبي الجراح يوسف بن عبد الجبار بن شبل وكان من اعيان السادة ومسجد

قسطة وكان غلاماً أرمنيّاً من غلمان المظفر بن أمير الجيوش مات مسموماً من أكلة هريسة * وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي سمعت أبا منصور قسطة الأرمني والى الاسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب نغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الأعياد فقبل له قد قرب من العدة وقفل عن المشرب وقطع الخطبة فبلغه أن قوماً من العسكرية عابوا عليه فعلمه فخطب في الجمعة الأخرى داخل البلد في الجامع خطبة بليغة قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فرغ وعن المنبر نزاع وليس ذلك عاراً على الخطيب فأنما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لا تجرى مع الفرسان وإنما العار على من تقلد الحسام وسرّ السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح إلى عسقلان وكان قسطة بهذا من عقلاء الأحرار المائلين إلى العدل المتأبرين على مطالعة الكتب وأكثر ميله إلى التواريخ وسير المتقدمين وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلي كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقها إلى البحري وقبره قدام الباب وترتبه ونشئ الأمير والد السلطان رضوان بن ونشئ المنعوت بالافضل كان من الأعيان الفضلاء الأدياء ضرب على طريقة ابن البواب وأبي علي بن مقله وكتب عدة ختمات وكان كرمياً شجاعاً يلقب فحل الأمراء وكانت هذه التربة آخر الصف ومسجد شقيق الملك الأستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف إلى سوز القلعة البحري إلى المغرب قليلاً ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظي كان بعد مسجد القاضي أبي الخياط المعروف بمسجد عبد الجبار وهو في وسط القلعة وبعده تربة لاون أخي يانس ومسجد القاضي النبيه كان لهمام الدولة غنام ومات رسولاً ببلاد الشام وشراه منه وأنشأه القاضي النبيه وقبره به وكان القاضي من الأعيان * وقال ابن عبد الظاهر أخبرني والدي قال كان مطلع الياءعني إلى المساجد التي كانت موضع قلعة الجبل قبل أن تسكن في ليالي الجمع نيت متفرجين كما نيت في جواسق الجبل والقرافة * قال مؤلفه رحمه الله وبالقلعة الآن مسجد الرديني وهو أبو الحسن علي بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث المفسر كان معاصراً لأبي عمر وعثمان بن مرزوق الحوفي وكان ينكر على أصحابه وكانت كلمته مقبولة عند الملوك وكان يأوي بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالرديني وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره وفي كتب المزرات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكبرواني واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده

* (ذكر بناء قلعة الجبل) *

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبدت بالأمم لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سلطان الشام رحمه الله عليه فامتنع أولاً من نور الدين بأن سراً أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات في تلك السنة فخلاله الجحوق وأمن جانبه وأحب أن يجعل لنفسه معقلاً بمصر فانه كان قد قسم القصر بين أمرائه وأنزلهم فيه ما فيقال إن السبب الذي دعاه إلى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليتين فأمر حينئذ بانشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي فشرع في بنائها وبني سور القاهرة الذي زاده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الأهرام الصغار التي كانت بالجيزة فجاء مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ما وجد بها من الحجارة وبني به السور والقلعة وقناطر الجيزة وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة فاهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي عهد قائم بناء القلعة وأنشأ بها الأدر السلطانية وذلك في سنة أربع وستمائة وما برح يسكنها حتى مات فاستمرت من بعده دار مملكة مصر إلى يومنا هذا وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها أياماً وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة ثم انتقل منها إلى دار الوزارة * قال ابن عبد الظاهر وسمعت حكاية بحكي

عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت الى أخيه وقال يا سيف الدين قد بنيت هذه القلعة لاولادك فقال يا خوند من الله عليك انت وأولادك وأولادك بالدين فقال ما فهمت ما قلت لك أنا فحب ما يأتي لي اولاد فحب ما انت غير فحب فأولادك يكونون فحب ما فسكت (قال مؤلفه رحمه الله) وهذا الذي ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاص به ولته بل اعتبر ذلك في الدول فحب الامر ينقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الاسلامية ولما توفي صلى الله عليه وسلم انتقل امر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي فهو رضي الله عنه مجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ثم لما انتقل الامر بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الى بني أمية كان القائم بالدولة الاموية معاوية بن أبي سفيان مخزوم بن حبيب بن أمية فلم تلح اولاده وصارت الخلافة الى مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بني العباس رضي الله عنه فكان أول من قام من بني العباس عبد الله بن محمد السفاح ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور واستقرت في بنيته الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكذا وقع في دول العجم أيضا فأول ملوك بني بويه عماد الدين أبو علي الحسن بن بويه والقائم من بعده في السلطنة اخوه حسن بن بويه وأول ملوك بني سلجوق طغرل والقائم من بعده في السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما مات خلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب واستمر فيهم الى أن انقرضت الدولة الايوبية فقام بمملكة مصر المماليك الاتراك وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيك فلما مات لم يفلح ابنه علي فصارت المملكة الى قطز وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق وانتقلت المملكة من بعده ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ المماليك الظاهري وقد جمعت في هذا فصلا كبيرا وقلنا فحب الامر بخلاف ما قلته لك ولله عاقبة الامور قال ابن عبد الظاهر والملك الكامل هو الذي اهتم بعمارته وعمارة أبراجها البرج الاجر وغيره فكمملت في سنة أربع وستمئة وتحول اليها من دار الوزارة ونقل اليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم في بيت فيها فلم يزلوا فيه الى أن حوّلوا منه في سنة احدى وسبعين وستمئة قال وفي آخر سنة اثنين وثمانين وستمئة شرع السلطان الملك المنصور قلاون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبني علوه مشرفات وقاعات مرجة لم ير مثليها وسكن في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمئة ويقال ان قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والصور خمسين ألف أسير * (البئر التي بالقلعة) * هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش قال ابن عبد الظاهر وهذه البئر من عجائب الابنية تدور البئر من أعلاها فتسفل الماء من نقالة في وسطها وتدور بشار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البئر الى معينها في مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان ارضها مسامة أرض بركة القبل وماؤها عذب سمعت من يحكي من المشايخ أنهم لما انقروا جأء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أن يزيده في ماؤها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غير حلوا وها وذا كرا القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتاب عجائب البيان أنه ينزل الى هذه البئر بدرج نحو ثمانية درجة

* (ذكر صفة القلعة) *

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على تشرعال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهي الى التصرع الابلق ثم من هناك متصل بالدور السلطانية على غير أوضاع ابراج الغلال ويدخل الى القلعة من بابين أحدهما باب الاعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج ويدخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب والباب الثاني باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة في جانبها بيوت وبجانبها القبلي سوق للمأكول ويتوصل من هذه الساحة الى دركاه جليسة كان يجلس بها الامراء حتى يؤذن لهم بالدخول وفي وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه في دهليز فسيح الى ديار ربيوت والى الجامع الذي تقام به الجمعة ويمشي من دهليز باب القلعة في مدخل أبواب الى رحمة فسيحة في صدرها الايون الكبير المذهب لجلوس السلطان في يوم الموكب واقامة دار

العدل وبجانب هذه الرحبة ذيارجلية ويمر منها الى باب القصر الابلق وبين يدي باب القصر رحبة دون الاولى يجلس بها خواص الامراء قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزائن القصر ويدخل من باب القصر في دهاليز خمسة الى قصر عظيم ويتوصل منه الى الايوان الكبير بساب خاص ويدخل منه ايضا الى قصور ثلاثة ثم الى دور الحرم السلطانية والى البستان والحمام والحوش وباقي القلعة فيه دور ومساكن للمماليك السلطانية وخواص الامراء بنسائهم وأولادهم ومعاليتهم وودواوينهم وطشخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكانت اكابر امراء الالوف وأعيان امراء الطبائفة والعشراوات تسكن بالقلعة الى آخر ايام الناصر محمد بن قلاوون وكان بها أيضا طباق المماليك السلطانية ودار الوزارة وتعرف بقاعة صاحب وبها قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزائن الخاوص وبها الدور السلطانية من الطشخاناه والركابخاناه والحوايجخاناه والزردخاناه وكان بها الحب الشنيع لسجن الامراء وبها دار النيابة وبها عدة أبراج يحبس بها الامراء والمماليك وبها المساجد والحوانيت والاسواق وبها مساكن تعرف بخرائب التركة كانت قدر حارة خربها الملك الاشرف برسباي في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطاني وكان ينزل اليه السلطان من جانب ايوان القصر ومن حقوقها أيضا الميدان وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق الخيل من غربيه وهو فسيح المدى وفيه يصلي السلطان صلاة العيدين وفيه يلعب بالكرة مع خواصه وفيه تعمل المذات أوقات المهامات أحيانا ومن رأى القصور والايوان الكبير والميدان الاخضر والجامع يقترن بالملك مصر بعلوهم وسعة الاتفاق والكرم * (باب الدرفيل) هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضا باب المدرج وكان يعرف قديما بباب سارية ويتوصل اليه من تحت دار الضيافة وينتهي منه الى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل * والدرفيل هو الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل ودار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى مات في سنة اثنين وسبعين وسقانة * (دار العدل القديمة) هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبخاناه والذي بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى في سنة احدى وستين وسقانة وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس وابتدأ بحضور في أول سنة اثنين وستين وسقانة فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبي نصر وشكا انه أخذ له بستان في ايام المعزايك وهو بأيدي المقطعين وأخرج كتابا مئبنا وأخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان فأمر برده عليه فقبله واحضرت مرافعة في ورقة محتومة رفعها خادم أسود في مولاة القاضي شمس الدين شيخ الخناينة تضمنت انه يبغض السلطان وتغنى زوال دولته فانه لم يجعل للعبادة مدرسا في المدرسة التي أنشأها بخط بين القصرين ولم يول قاضيا خنبلا وذكر عنه امورا قاذحة فبعت السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف انه ما جرى منه شيء وأن هذا الخادم طرده فاختلق على ما قال فقبل السلطان عذره وقال ولوشمتني أنت في حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا وغلت الاسعار بمصر حتى بلغ اردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان في الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر في امر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوما الى الامراء ببيع خمسمائة اردب في كل يوم ما بين ماثنين الى ما دونها حتى لا يشتري الخزان شيئا وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا اسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة اسماء الفقراء وقال والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء لفزقتها ولما انتهت احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد ألوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل امير من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق ما بقى على الاجناد ومفارقة الحلقة والمقدمين والبحرية وجعل طائفة التركمان ناحية وطائفة الاكراد ناحية وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة اشهر فلما تسلم الامراء والاجناد ما خصهم من الفقراء فرق من بقي منهم على الكسابة والتجار والشهود وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم فتخرج من الشون السلطانية الى جامع أحد بن طولون وتفرق على من هناك ثم قال هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لا بد لهم من شيء وأمر بفرق في كل منهم نصف درهم لينفقوا به في يومه ويستمر له من الغدا ما تقر رفائق فيهم

جمله مال وأعطى للمصاحب بها الدين علي بن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العيمان وأخذ الاتابك سيف الدين اقطاي طائفة التركمان ولم يبق أحد من الخواص والامراء الخواشي ولا من الحجاب والولاء وارباب المناصب وذوى المراتب واصحاب الاموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله وقال السلطان للامير صارم الدين المسعودي والى القاهرة خذ مائة فقير وأطعمهم الله تعالى فقال نعم قد أخذتهم دائماً فقال له السلطان هذا شيء فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة خذها لاجل فقال للسلطان السمع والطاعة وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التي عينت له وانقضى النهار في هذا العمل وشرع الناس في فتح الشون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء فقل سعر القمح ونقص الادب عشرين درهماً وقل وجود الفقراء الى أن جاء شهر رمضان ومبايعة المغل الجديد فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر ادب القمح أربعين درهماً وراقوا في اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل للنظر في امور الاسعار قررت عليه قصة ضيمان دار الضرب وفيها انه قد توقف الدراهم وسألوا ابطال الناصرية فان ضيمانهم يبلغ مائتي ألف وخمسين ألف درهم فوقع عليها يحيط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم وقال نخط هذا ولا نؤذي الناس في اموالهم * وفي مستهل شهر رجب منها جلس أيضاً بدار العدل فوقف له بعض الاجناد بصغير يتم ذكر أنه وصيه وشكاه من قضيته فقال السلطان لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعزان الاجناد اذ اذامات أحد منهم استولى بخداشه على موجوده فيموت الوصي ويكبر اليتيم فلا يجده ما لا وتقدم اليه أن لا يمكن وصيها من الانفراد بتركه ميت ولكن يكون نظر القاضي شامله وتصير اموال اليتام مضبوطة بامناء الحكم ثم انه استدعى نقباء العساكر وأمرهم بذلك فاستمر الحال فيه على ما ذكر * وفي خامس عشر شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة جلس بدار العدل واستدعى تاج الدين ابن القرمطي وقال له قد أفضجرتني مما تقول عندي مصالح لبيت المال فحدث الآن بما عندك فتكلم في حق قاضي القضاة تاج الدين وفي حق متولى جزيرة سواكن وفي حق الامراء وانهم اذامات منهم أحد أخذ ورثته اكثر من استحقاقهم فأنكر عليه وأمر بحبس وتحدث السلطان في امر الاجناد وانه اذامات احدهم في مواطن الجهاد لا يصل اليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته وانه يشهد بعض اصحابه فاذا حضر الى القاهرة لا تقبل شهادته وكان الجندی في ذلك الوقت لا تقبل شهادته فرأى السلطان أن كل امير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه لسمع قولهم وألزم مقتضى الاجناد بذلك فشرع قاضي القضاة في اختيار رجال جيا من الاجناد وعينهم لقبول شهادتهم فقررت العساكر بذلك وجلس أيضاً في تاسع عشر به بدار العدل فوقف له شخص وشكا أن الاملاك الديوانية لا يمكن أحد من سكانها أن يتقل منها فأنكر السلطان ذلك وأمر أن من انقضت مدة اجارته وأراد الخلق فلا يمنع من ذلك وله في ذلك عدة أخبار كلها صالحة رحمه الله تعالى وما برحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاوون الايوان ففجرت دار العدل هذه الى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فهدمها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمل موضعها الطبلخانة فاستمرت طبلخاناه الى يومنا الا انه كان في ايام عمارتها انما يجلس بها اذا انما في ايام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والامراء فينظر نائب دار العدل في امور المتظلمين وقرأ عليه القصص وكان الامر على ذلك في ايام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاوون * (الايوان) المعروف بدار العدل هذا الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون الا في الصالح النجمي ثم جدد ابنه السلطان الملك الاشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة ثقلها اليه من بلاد الصعيد ورخه ونصب في صدره سرير الملك وعلمه من العاج والابنوس ورفع سقف هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باباً من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكة من حديد بصناعة بدية تمتع الداخل اليه وله منه باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه ومن تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الامر على ذلك وكان أولاً دون ما هو اليوم فوسخ في قبة وزاد في ارتفاعه وجعل قدومه دركاه كبيرة فخاء من اعظم المباني الملوكة وأول ما جلس فيه عنداتها عمل الروك بعد ما رسم لنقيب الجيش ان يستدعى سائر الاجناد فلما تكامل حضورهم

جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألف بمضافهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعي بمضافيه من تقدمه على قدر منازلهم فيتقدم الجندى الى السلطان فيسأله أنت ابن من وملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من منتهى المحترم سنة خمس عشرة وسبعمائة الى منتهى صفر منها وما يرجع بعد ذلك يواظب على الجلوس به في يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزراء وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخصاص وكاتب الدست وتقف الاجناد بين يديه على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمر على الجلوس بالايوان الى أن استبدت بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضا الا انه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص لالمنى سوى اقامة رسوم المملكة فقط وكان من قبله من ملوك بني قلاوون انما يجلسون بالايوان سحرا على الشع و كان موضع جلوس السلطان في الايوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل الساطاني للحكم بين الناس كما سأتى ذكره عن قريب ان شاء الله تعالى وصار الايوان في ايام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ انما هو شئ من بقايا الرسوم الملوكية لا غير

* (ذكر النظر في المظالم) *

اعلم أن النظر في المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وكان من شروط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر نافذا الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وثبت القضاء فيحتاج الى الجمع بين صفى القريين وأن يكون بجلالة القدر نافذا الامر في الجهتين وهي خطة حدثت لفساد الناس وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يد وأول من نظر في المظالم من الخلفاء امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه وأول من أفرد للظلمات يوما تصفح فيه قصص المتظالمين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم يتقذره الى قاضيه ابن ادريس الازدى فينفذ فيه أحكامه وكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآخر ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فرد هاشم جلس لها خلفاء بنى العباس وأول من جلس منهم المهدي محمد ثم الهادي موسى ثم الرشيد هارون ثم المأمون عبد الله وآخر من جلس منهم المهدي بالله محمد بن الواثق وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الامراء للنظر في المظالم الامير أبو العباس أحمد بن طولون فكان يجلس لذلك يومين في الاسبوع فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الخليل خوارويه جعل على المظالم بمصر محمد بن عبيدة بن حرب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ثم جلس لذلك الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى واستدأ ذلك في سنة أربعين وثلاثمائة وهو يومئذ خليفة الامير أبي القاسم أو نوجور بن الاخشيد فقد مجلسا صار يجلس فيه كل يوم سبت ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن القرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد وما يرجع على ذلك مدة أيامه بمصر الى أن مات فلم ينظم أمر مصر بعده الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر بجيوش المعز لدين الله أبي تميم معتد فكان يجلس للنظر في المظالم ويوقع على رفاع المتظالمين فوقعاته بخطه على قصة رفعت اليه سوء الاجترام اوقع بكم طول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام قالوا جب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاجتناب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعدت فاستدأكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة تقتضى الا اذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين رأيه فيكم ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضى القضاة وتارة ينقر بالناظر فيه أحد عظماء الدولة فلما ضعف جانب المستنصر بالله أبي تميم معتد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعا اليه واقتدى به من بعده من الوزراء وكان الرسم في ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالة قاضى القضاة وبجانبه مشاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويقف بين يدي الوزير صاحب الباب واسف هسلار العساكر وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين في الاسبوع وآخر من تقلد المظالم في الدولة الفاطمية رزيق بن الوزير الاجل الملك

الصالح طلائع بن رزيق في وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة منه وقد قلده امير المؤمنين النظر في المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وكانت الدولة اذا اخلت من وزير صاحب سيف جلس للنظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر وبين يديه الحجاب والتقباء وينادي مناد بجضرته يا ارباب الظلمات فيحضرون اليه فن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة والقضاة رسالة يكشفها ومن تظلم من أهل النواحي التي خارج القاهرة ومصر فانه يحضر قصة فيها شرح ظلامته فينسلها الحاجب منه حتى تجتمع القصص فيدفعها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم يحمل بعد توقيعه عليها الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع بالقلم الدقيق ثم يحمل التواقيع في خريطة الى ما بين يدي الخليفة فيوقع عليها ثم يخرج في خريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه * وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمة الله تعالى عليه بد مشق عند ما بلغه تعدى ظلم ثواب أسد الدين شيركوه بن شادى الى الرعية وظلمهم الناس وكثرة شكواهم الى القاضي كمال الدين الشهرزورى وعجزه عن مقاومتهم فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه ثوابه وقال ان نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار الا بسبي والله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصلبته فامضوا الى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدي فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا في الطلب فقال لخروج أملاكى عن يدي أسهل على من أن يرانى نور الدين يعين أنى ظالم أو يساوى بينى وبين أحد من العامة في الحكومة فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من ارضاء أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الاسبوع وحضر عنده القاضي والفقهاء أقام مدة لم يحضر أحد يشكوا شيركوه فسأل عن ذلك فعترف بما جرى منه ومن ثوابه فقال الحمد لله الذى جعل أصحابنا يصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا وجلس أيضا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الاثنين والخميس لانهما لاظهار العدل ولما تسلم الملك المعز أيك التركا في أقام الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس في المدارس الصالحة بين القصرين ومعه ثواب دار العدل ليرتب الامور وينظر في المظالم فنادى باراقة انجور وابطال ما عليها من المقررو وكان قد كثرا لارجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام لاخدم مصر فلما نهزم الملك الناصر واستبدت الملك المعز أيك أحدث وزيره من المكوس شيئا كثيرا ثم ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بنى دار العدل وجلس بها للنظر في المظالم كما تقدم فلما بنى الايو ان الملك الناصر محمد بن قلاون واطب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه وصار يفصل فيه الحكومات في الاحايين اذا أعجب من دونه فصلها فلما استبدت الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطاني من قلعة الجبل وجلس فيه يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وواظب ذلك في يومى الاحد والاربعاء ونظر في الجليل والحقير ثم حوّل ذلك الى يومى الثلاثاء والسبت وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر وما زال على ذلك حتى مات فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده واستبدت بأمره جلس للنظر في المظالم بالاصطبل اقتداء بابيه وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه كما كان يقرأها على أبيه فانتفع اناس ونضر آخرون بذلك وكان الضرر أضعاف النفع ثم لما استبدت الملك المؤيد شيخ بالملكة جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا والامر على ذلك مستقر الى وقتنا هذا وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد عرف النظر في المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة وهو يرجع الى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالاعمال وسيردان شاء الله تعالى الكلام في حكم السياسة عن قريب

* (ذكر خدمة الايو ان المعروف بدار العدل) *

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايو ان مرة الاثنين والخميس طول السنة خلا شهر رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس وجلسه هذا انما هو للمظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسي اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذى هو تحت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة أولا أن يجلس قضاة القضاة من المذاهب الاربعة

عن يمينه واسكنهم الشافعي وهو الذي يلي السلطان ثم الى جانب الشافعي الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي والى جانب الحنبلي الوكيل عن يمين المال ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقد اقامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب السر وموقعي الدست تكملة حلقة دائرية فان كان الوزير من ارباب الاقلام كان بين السلطان وكتاب السر وان كان الوزير من ارباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية ارباب الوظائف وان كان نائب السلطنة فانه يقف مع ارباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية والمجدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا عن يمينه ويساره ذوو السن والقدر من اكابر امراء المثمن ويقال لهم امراء المشورة ويليه من اسفل منهم اكابر الامراء وارباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء امراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة واصحاب الخوائج والضرورات فيقرأ كتاب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقا بالعسكر فان كانت القصص في امراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش فان احتاج الى مراجعة في امر العسكر تحدث مع الحاجب وكتاب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية ان تكون الخدمة في هذا الايوان على ماتقدم ذكره في بكرة يوم الاثنين ولما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لا يتعدى السلطان فيه لسماع القصص ولا يحضره احد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش الا ان عرضت حاجة الى طلب احد منهم وهذا القعود عاده طول السنة ما عدا رمضان وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمين السلطان ويساره فيجلس الشافعي عن يمينه ويليهِ المالكي ويليهِ قاضي العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتي دار العدل الشافعي ويجلس الحنفي عن يسرة السلطان ويليهِ الحنبلي وصارت القصص تقرأ والقضاة وناظر الجيش يحضرون في يوم الخميس ايضا وكانت العادة ايضا انه اذا ولي احد المملكة من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون فانه عند ولايته يحضر الامراء الى داره بالقلعة وتفاض عليه الخليفة السودة ومن تحتها فرجية خضراء وعمامة سوداء مدورة ويقلد بالسيف العربي المذهب ويركب فرس النوبة ويسير والامراء بين يديه والغاشية قد امة والجواهرية تصيح والشباب السلطانية ينفخ بها والطبدرارية حو اليه الى ان يعبر من باب التماس الى درج هذا الايوان فينزل عن الفرس ويصعد الى التخت فيجلس عليه ويقبل الامراء الارض بين يديه ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ثم يقدموا الحلقة فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة فتفاض التشاريف على الخليفة ويجلس مع السلطان على التخت ويقلد السلطان المملكة بحضور القضاة والامراء ويشهد عليه بذلك ثم ينصرف ومعه القضاة فينزل السباط للامراء فاذا انقضى اكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الامراء * ومما قيل في هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر

شرقت ايوانا جلست بصدرة * فشرحت بالاحسان منه صدورا
قد كاد يستعلي الفراقد رفعة * اذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعية ملكه * من عدله لا يظلمون تقيرا
لا زال منصور اللواء مؤيدا * ابد الزمان وضده مقهورا
وقيل ايضا

يا مملوكا اطلع من وجهه * ايوانه لما بدا بدرا
انسيبتنا بالعدل كسرى ولن * نرضى لنا جبراه كسرا

* (القصر الايلق) * هذا القصر يشرف على الاصطبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة وانتهت عمارته في سنة أربع عشرة وانشأ بجواره جنينة ولاكل عمل فيه سماطاً حضره الامراء وأهل الدولة ثم أقيمت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المثمن ومقدمي الالوف ألف دينار ولكل من مقدمي الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبغنا مائة عشرة آلاف درهم فضة عنها خمسمائة دينار فبلغت

النفقة على هذا المهر خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر
 كل يوم للخدمة ما عدا يوم الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل كما تقدم ذكره وكان يخرج الى هذا
 القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على تخت الملك المنسوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاصطبل
 وتارة يقعد دونه على الارض والامراء وقوف على ما تقدم خلا امراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس
 لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الامراء الكبار الا من دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال
 السلطان جالسا الى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج في
 اخريات النهار الى قصوره الجوانية فينظر في مصالح ملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصة من ارباب
 الوظائف في الاشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه باب رجة
 يسلك اليها من الرجة التي تجاه الايوان فيجلس بالرجة التي على باب القصر خواص الامراء قبل دخولهم
 الى خدمة القصر وعيشى من باب القصر في دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه انواع البسط الى قصر عظيم البناء
 شاهق في الهواء ايوانين أعظمهما الشمالى بطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل
 والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها وفي الايوان الثاني القبلى باب خاص لخروج
 السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية منها واحد
 مسامت لارض هذا القصر واثنان يصعد اليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تشرف على مثل منظرة القصر
 الكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعة من النيل بدواليب تديرها الايقار من مقرة الى موضع
 ثم الى آخر حتى ينتهى الماء الى القلعة ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الامراء الخواص المجاورين
 للسلطان فيجى الماء في دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الاعمال لرفعة من الارض الى السماء
 قريباً من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من هذه القصور الى دور الحريم وهذه القصور جميعها
 من ظاهرها مبنية بالبحر الاسود والجر الاصفر موزرة من داخلها بالرخام والقصور المذهبة المشجرة بالاصدف
 والمجونات وأنواع الملونات وستوفها كلها مذهبة قدموت بالالزورد والنور يحرق في جدرانها بطاقات من
 الزجاج القبرسى الملقون كقطع الجوهر المولفة في العقود وجميع الاراضى قد فرشت بالرخام المنقول اليها من اقطار
 الارض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين واشجار وساحات للحيوانات البديعة
 والابقار والاغنام والطيور الدواجن وسياق ان شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والاحواش مفصلاً
 * وكان بهذا القصر الابلق رسوم وعوايد تغير كثير منها وبطل معظمها وبقيت الى الآن بقايا من شعار المملكة
 ورسوم السلطنة وساقص من ابناء ذلك ان شاء الله تعالى ما لا تراهم بغير هذا الكتاب مجموعاً والله يؤتي فضله من
 يشاء * (الاسمطة السلطانية) وكانت العادة أن يمتد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم اسمطة جليلة لعامة
 الامراء خلا البرانيين وقليل ما هم فيسمكة يمتد سباط أول لاياً كل منه السلطان ثم ثمان بعده يسمى الخاص
 قدياً كل منه السلطان وقد لاياً كل ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه ما كول السلطان وأما في آخر النهار
 فيمتد سباطان الاول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعى بطار حضر والافلاما معد المشوى فانه ليس له
 عادة محفوظة النظام بل هو على حسب ما يرسم به وفي كل هذه الاسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوات ثم يسقى
 بعدها الاقسام المعمولة من السكر والافاويه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت في كل ليلة
 بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلّى والموز والسكاج
 وأطباق فيها من الاقسام والماء البارد يرسم ارباب النوبة في السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكول
 والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوماً بينهم بساعات الرمل فاذا انتهت نوبة تبتهت التي تليها ثم ذهبت هي
 فقامت الى الصباح هكذا أبداً سافرا وحضرا وكانت العادة أيضاً أن يبيت في البيت السلطاني من القصر أو الخيم
 ان كان في السرحة المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من ارباب النوبة ويبيت أيضاً الشطرنج ليتشاغل به عن النوم
 * وبلغ مصروف السماط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهيه
 الغلمان والعامة وكان يعمل في سماط الملك الظاهر برقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الاوز والدجاج
 وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم لسماطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان في المحرم سنة ست وعشرين

وتماعنه تسأل الملك الأشرف برسباي عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بمكة وغشيا تقبل له عتامة رطل في الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لانه بلغه أنه يؤخذ بمأذ كرشاذا الشرا بجاناه ونحوه مائة وعشرون رطلا جعل راتب اللحم في كل يوم بزيادة أيام الخدمة وتقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة ارطال عن وجبتى القداء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ولعمل المامونية رطلين ونصفا من السكر وما يعمل برسم الجدارية فانه يحصل النحل

* (ذكر العلامة السلطانية) *

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به فأما مناشير الامراء والجند وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون الله ألى وعمل ذلك المولى بعده الى اليوم وأما تقي الدين النواب وتواقع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف وتواقع أرباب الرواتب والاطلاقات فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا ف يكتب مثلاً محمد بن قلاوون أو شعبان بن حسين أو فرج بن برقوق وان لم يكن أبوه عن تـسلطن كبرقوق أو شيخ فانه يكتب اسمه فقط و مثله برقوق أو شيخ وأما كتب البريد و خلاص الحقوق والطلاقات فانه يكتب أيضا عليها اسمه وربما كرم المكتوب اليه فكتب اليه أخوه فلان أو والده فلان وأخوه يكتب للا كبر من أرباب الرتب والذي يعلم عليه السلطان اما اقطاع فالرسم فيه أن يقال خرج الامر الشريف واما وظائف ورواتب واطلاقات فالرسم في ذلك أن يقال رسم بالامر الشريف وأعلى ما يعلم عليه ما افتتح بخطبه أولها الحمد لله ثم ما افتتح بخطبة أولها أما بعد حمد الله حتى ياتي على خرج الامر في المناشير أو رسم بالامر في التواقع ثم بعد هذا أنزل الرتب وهو أن يفتتح في المناشير خرج الامر وفي التواقع رسم بالامر وعتبار المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تظفر بالسواد وتتضمن اسم السلطان وألقابه وقد بطلت الطغرافى وقتنا هذا وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدي البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود اليهم الاجوبة السلطانية وعليها العلامة فاذا ورد البريدى أحضره أمير جنداروه ومن أمراء الالوف والدادار وكتاب السرى يدي السلطان فيقبل البريدى الأرض ويأخذ الدوادار والكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم ساوله السلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السرى ويقرأه على السلطان سرأفان كان أحد من الامراء حاضرا انتهى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمر وان كان الخبر على أجنحة الحمام فانه يكتب في ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الأزرق وكان الحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفي كل مركز عدة خيول كما ينشأ في ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز ويقتل عند نزوله المركز ما على جناحه الى طائر آخر حتى يسقط بقاعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السرى البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر ومما كان يحضر الى القصر بالقلعة في كل يوم ورقة الصباح يرفعها الى القاهرة ووالى مصر وتشغل على انها ما يتجدد في كل يوم وليلة بحارات البلدين وأخطا طها من سريق أو قتل قبيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ليأمر السلطان فيه بأمره * (الأشرفية) هذا القصر المعروف بالأشرفية أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة اثنتين وتسعين وسقانة ولما فرغ صنع به مهما عظيما لم يعمل مثله في الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وابن أخيه الامير موسى بن الصالح على بن قلاوون وجمع سائر أرباب الملاهى وجميع الامراء ووقف الخزانة بأكياس الذهب فلما قام الامراء من الخصاصكية للرقص تفر الخزانة على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان فانهم على كل أمير من الامراء بفرس كامل القماش وألبس خلعة عظيمة وأنتم على عدة منهم كل واحد بألف دينار وقرس وأنتم على ثلاثين من الامراء الخصاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار وأنتم على البليل المغنى بألف دينار وكان الذى عمل في هذا المهم من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر سقانة وأسم ومن الخيل خمسمائة كديش ومن السكر برسم المشروب ألف قطار وثمانمائة قطار وبرسم الحلوى مائة وستون قطارا وبلغت النفقة على هذا المهم في عمل السماط والمشروب والاقبية والطراز والسروج ودياب النساء مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا * (البيدرية) ومن جلد دور القلعة قاعة البيدرية أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وكان ابتداء بنائها

في أول يوم من شعبان سنة إحدى وستين وسبعمائة ونهاية عمارتها في ثامن عشر ذي الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن في غاية لم ير مثلها وعمل لهذه القاعة من الفرس والبسط ما لا تدخل قيمته تحت حصر فن ذلك تسعة وأربعون ثيابا رسم وقود القناديل جمل ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا في السماء ثمانية وعثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجاً بيت فيه من العجاج والابنوس مطعم يجلس بين يديه وكناف وباب يدخل منه إلى أرض كذلك وفيه مقر نص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر إليه بشبابيك الذهب خالص وطرارات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف في مؤنه وأجره ثمة ألف ألف درهم فضة عنها اخسون ألف دينار ذهباً وبصدر ابوان هذه القاعة شبالة حديد يقارب باباً زويلة بطل على جنبته بدبعة الشكل * (الدهيشة) عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك أنه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها فقصده مضاهاته ويعت الأمير أجباً والجميع المهندس لكشف دهيشة حماه وكتب لنائب حلب ونائب دمشق يحمل ألني جبريض وألني حجر من حلب ودمشق وحشرت الجبال لجلها حتى وصلت إلى قلعة الجبل وصرف في حولة كل حجر من حلب اثنا عشر درهماً ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الأمراء وجميع الكتاب ورسم باحضار الصانع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت في شهر رمضان منها وقد بلغ مصر وفيها خمسة آلاف درهم سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها وعمل لها من الفرس والبسط والأكات ما يجلي وصفه وحضر بها سائر الأغاني وكان مهمها عظيم * (البيع قاعات) هذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها سارايه ومات عن ألف ومائتي وصيفة مولدة سوى من عداها من بقية الأجناس * (الجامع بالقلعة) هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبل ذلك هناك جامع دون هذا فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائط فحاناه والفرش اشحاناه وعمد له جامعاً ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناء هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيه واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وسمع تآذيتهم وخطابهم وقراءتهم فاختر منهم عشرين مؤذناً رتبهم فيه وقرره فدرس فقه وقارناً يقرأ في المحقق وجعل عليه أوقافاً تكفيه وتفيض وصار من بعده من المولوك يخرجون أيام الجمع إلى هذا الجامع ويحضر خاصة الأمراء معه من القصر ويجيء باقيهم من باب الجامع فيصل إلى السلطان عن يمين المحراب في مقصورة خاصة به ويجلس عنده كبار خاصته ويصل مع الأمراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمينها ويسرتها على مراتبهم فإذا انقضت الصلاة دخل إلى قصوره ودور حرمه وتفرق كل واحد إلى مكانه وهذا الجامع متسع الأرجاء مرتفع البناء مفروش الأرض بالرخام مبطن السقوف بالذهب وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هي الرواقات بشبابيك الحديد المحيطة بالصنعة ويحفظ صحنه رواقات من جهاته * (الدار الجديدة) هذه الدار عند باب سر القلعة المطل على سوق الخيل عمرها الملك الظاهر بيبرس الأندلسي في سنة أربع وستين وسبعمائة وعمل بها في جمادى الأولى منها دعوة لأمراء عند فراغها * (خزانة الكتب) وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة قتل بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر المولوك فاتهم بها الغلمان وبيعوا أوراها محرقة ظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأجناس الأثمان * (القاعة الصالحية) عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت سكن المولوك إلى أن احترقت في سادس ذي الحجة سنة أربع وعثمانين وسبعمائة واحترق معها الخزانة السلطانية * (باب النحاس) هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية عمرها الناصر محمد بن قلاوون وزاد في سعة دهليزه * (باب القلعة) عرف بذلك من أجل أنه كان هناك قلعة بناها الملك الظاهر بيبرس وهدمها الملك المنصور قلاوون في يوم الاحد عاشر شهر رجب سنة خمس وعثمانين وسبعمائة وبني مكانها قبة فرغت عمارتها في شوال منها ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون وجدد باب القلعة على ما هو عليه الآن وعمل له باباً ثانياً * (الرفف) عمرها الملك الأشرف خليل بن قلاوون

وجعله عالياً يشرف على الخيزة كلها ويضبطه وصورة أمره الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلساً يجلس فيه السلطان واستقر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وعمل بجواره برجاً بجوار الاصطبل نقل اليه الممالك * (الجب) كان بالقلعة جب يجلس فيه الأمراء وكان مهولاً مظلماً كثير الوطأ ويطكره الرائحة يقيح السجون فيه ما هو كالموت أو أشد منه عمره الملك المنصور قلاوون في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة فلم يزل إلى أن قام الأمير بتكمير الساقى في أمره مع الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى أخرج من كان فيه من المحاييس ونقلهم إلى الأبراج وردمه وعرفوا الردم طباقاً في سنة تسع وعشرين وسبعمائة * (الطبخانة تحت القلعة) ذكر هشام بن الكلبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام تلقاه القناسون من أهل الأديان بالسيوف والريحان فكره عمر رضي الله عنه النظر إليهم وقال ردوهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أنها سنة الأجاجم فإن منعتم ظنوا أنه نقض لعهدهم فقال عمر رضي الله عنه دعوهم والتقليس الضرب بالبطيل أو الدف * وهذه الطبخانة الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التي عمرها الملك الظاهر بيبرس ودة قدم خبرها فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة هدمها الناصر محمد بن قلاوون وبناها هذه الطبخانة الموجودة الآن تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وباب المدرج وصار ينزل إلى عمارتها كل قليل وتولى شد العمارات بها أقسنقر شاد العمارات ووجد في أساسها أربعة قبور كبار المقادير عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء القبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قرياً من القلعة فكانوا خلقاً كبيراً عظمياً في الطول والعرض على بعضهم ملاءة ديبقية ملقونة ساعة مستها الأيدي تمزقت وتطايرت هباء وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد وبهما آثار الدماء والجراحات وفي وجه أحدهما ضربة سيف بين عينييه والجرح مسدود بقطنة فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الجاجب نبع من تحتها دم يظن أنه جرح طرى فكان في ذلك موعدة وذكرى وكانت الطبخانة ساحة بغير سقف فلما ولي الأمير سودون طازاً أميراً خور وسكن الاصطبل السلطاني عمر هذه الطابق فوق الطابق وكان الغرض من عمارتها صحيحة فان المدرسة الأشرفية كانت حينئذ قائمة فجاءه الطبخانة ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد إنشاء هذه الطابق فوق الطابق أن يجعل بهارماً حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الأشرفية وقد بطل ذلك فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الأشرفية كما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر المدارس * (الطابق بساحة الأيوان) عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها الممالك السلطانية وعمر حارة تحتهم وكانت الملوك تعني بها غاية العناية حتى أن الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته إلى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للممالك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لجهم ويحضر طعامهم في جودته وردائه في رأي فيه عيباً اشتد على المشرف والاستاد أروندرهما وحل بهما منه أي مكروهه وكان يقول كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال وعقاراً ما عمرت أسواراً وعملت حصوناً ما فعتى ولا ولادى والمسلمين وهم الممالك وكانت الممالك أبداً تقيم بهذه الطابق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للممالك أن ينزلوا من القلعة في النهار ولا يبيتوا إلا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يوم في الأسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت أيام بني قلاوون وكانت للممالك بهذه الطابق عادات جلية أولها أنه إذا قدم بالملوك باجره عرضه على السلطان ونزله في طبقة جنسه وسلبه لطواشي برسم الكتابة فأقول ما يدايه تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخطوط والقرآن بأداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار وكان الرسم اذ ذلك أن لا تجلب التجار إلا الممالك الصغار فاذا شب الوأخذ من الممالك علمه الفقيه شيئاً من الفقه وأقرأه فيه مقدمة فاذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه وإذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي التنساب لا يجسر جندى ولا أمير أن يتحدثهم أو يدنو منهم فينقل أذن إلى الخدمة ويتنقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذب أخلاقه وكثرت

آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واستد ساعده في زماية الشباب وحسن لعبه بالرمح وممرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر هذا ولهم أرتة من الخدام والكابر من رؤس النوب فيقصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن أو الطواشي الذي هو مسلم اليه أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه على انه اقترف ذنباً أو أخل برسم أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا فاقبله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم الممالك كان اذا أتاه بعض مقدمي الطباق في السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته ان كان من احتلام فينظر في سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجده جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجليل ويردعون من جاراً وتعدى وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والاطعمة والحلاوات والقواكه والكسوات الفاخرة والمعالي من الذهب والفضة بحيث تسع أحوال غلباتهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت ايام الظاهر برقوق راعى الحال في ذلك بعض الشيء الى أن زالت دولته في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للممالك في سكنى القاهرة وفي التزوج فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء اهل المدينة واخذوا الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الاحوال في ايام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن ممالك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم في الغالب النول المصنوع عجزاً عن شراء اللحم وغيره هذا وبقي الجلب من الممالك انما هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد في تنور خبز ومحول ماء في غيط اشجار ونحو ذلك واستقر رأي الناصر على أن تسليم الممالك للفقهاء يلفهم بل يتركون وشؤونهم فبدلت الارض غير الارض وصارت الممالك السلطانية أرض الناس وأداناهم وأخسهم قدراً وأشبههم نفساً وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضاً عن الدين ما فيهم الا من هو أرفى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لا جرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل الى مجرى القرات بسوء اباله الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولى الامر حتى انه ما من شهر الا يظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه وبلغت عدة الممالك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الاشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلهم طوائف فأفرد طائفتي الارمن والجر كس وسمها البرجية لانه أسكنهم في أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطا والقبحا وأبرزهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية وجعل منهم جدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب الممالك من بلاد أربك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم أفاض على من يشترى منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل الممالك في أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر الى عشرة دنانير ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يلا أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من الممالك شيء كثير رغبة فيما لديه حتى كان الاب يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه الى مصر وبلغ ثمن المملوك في ايامه الى مائة ألف درهم فأدونها وبلغت نفقات الممالك في كل شهر الى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى صارت في سنة ثمان واربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم * (دار النياية) كان بقلعة الجبل دار نياية بناها الملك المنصور قلاون في سنة سبع وعثمانين وسمتها سكنها الامير حسام الدين طر نطاي ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشبا كهاتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأبطل النياية وأبطل الوزارة أيضاً فصار موضع دار النياية ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الامير قوصون دار النياية عند استقراره في نياية السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نياية السلطنة الامير طشمر حص أخضر وقبض عليه فتولى بعده نياية السلطنة الامير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون فجلس بهم في يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

في شبالة دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصريومي الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة فيسيرون هناك من رأس الصوة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادي على الخيل بينهم وربما نودي على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والاسلحة وربما نودي على كثير من العقار ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة على ما تقدم ذكره فاذا مثل النائب في حضرة السلطان وقف في ركن الايوان الى أن تنقضي الخدمة فيخرج الى دار النيابة والامراء معه ويمد السباط بين يديه كما يمد سباط السلطان ويجلس جلوسا عاليا للناس وبحضره أرباب الوظائف وتقف قدأمة الحجاب وتقرأ القصص وتقدم اليه الشكاية ويفصل امورهم فكان السلطان يكتب للنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الامر واذا قرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسوما يكتفي فيها أصدره عنه وما لا يكتفي فيه الامر سوم السلطان أمر بكتابه عن السلطان وأصدره فيكتب ذلك وفيه فيه على انه باشارة النائب ويميز عن نواب السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الاسلامية وما كان من الامور التي لا بد له من احاطة علم السلطان بها فانه اما أن يعلم بذلك منه اليه وقت الاجتماع به أو يرسل الى السلطان من يعلم به ويأخذ رأي فيه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش في زمان النيابة ليس لهم خدمة الا عند النائب ولا اجتماع الابه ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان في امر من الامور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمر ذلك بعد اعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السر يرابعان النائب في بعض الامور دون بعض ثم اضمحلت نيابة السلطنة في أيام الناصر محمد بن قلاوون وتلاشت أوضاعها فليامان أعيدت بعده ولم تزل الى اثنا ايام الظاهر برقوق وآخر من وليها على اكثر قوانينها الامير سودون الشينجي وبعدده لم يل النيابة أحد في الايام الظاهرية ثم ان الناصر فرج بن برقوق أقام الامير تراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة في القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعد تراز أحد الى يومنا هذا وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثاني وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكتبه في غالب ما تكتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما راجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقطاعات من غير مشاورة ويعين الامر لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرف المطلق التصرف في كل أمر فيراجع في الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذي وظيفة لا يتصرف الا بأمره ولا يفصل أمر امعضلا الاجرا جعته وهو الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف الا ما كان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل أن لا يجاب في شيء يعينه وكان من عدا نائب السلطنة بدار مصر يليه في رتبة النيابة وكل نواب الممالك تخاطب بملك الامراء الا نائب السلطنة بمصر فانه يسمى كافل الممالك تميزا له وابانة عن عظيم محله وبالْحَقِيقَةُ ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط وانما كانت النيابة تطلق أيضا على اكابر نواب الشام وليس لاحد منهم من التصرف ما كان لنائب دمشق الا أن نيابة السلطنة تجلب تلي رتبة نيابة السلطنة بدمشق وقد اختلف الآن الرسوم وانقضت الرتب وتلاشت الاحوال وعادت اسماء لامعني لها وخيالات حاصلها عدم والله يفعل ما يشاء

* (ذكر جيوش الدولة التركية وزبها وعوايدها) *

اعلم انه قد كان بقلعة الجبل مكان معتاد لايوان الجيش وأدركت منه بقية الى اثناء دولة الظاهر برقوق وكان ناظر الجيش وسائر كآب الجيش لا يبرحون في ايام الخدمة نه ارمهم مقيمين بديوان الجيش وكانت لهذا الديوان عوايده قد تغيرا كثيرا ونسب غالب رسومه وكانت جيوش الدولة التركية بدار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو في اقطار المملكة وبلادها وسكان بادية كالعرب والتركمان وجندها محتاط من أترال وجر كس وروم وأكراد وتركان وغالبهم من الممالك المبتاعين وهم طبقات اكبرهم من له امرة مائة فارس وتقدمه ألف فارس ومن هذا القبيل تكون اكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبقات ومعظمهم من تكون له امرة أربعين فارسا وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبقات الاقل من أربعين ثم أمراء العشر اوات من تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعتدون

في امراء العشراوات ثم جند الحلقة وهو لا تكون مناشيرهم من السلطان كما أن مناشير الامراء من السلطان وأما
اجناد الامراء فناشيرهم من امرائهم وكان منشورا لامييرين فيه الامير ثلث الاقطاع ولا جناده الثلثان فلا يمكن
الامير ولا مباشره أن يشاركوا أحدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لا يخرج احدا من اجناده
حتى يتبين للمناصب موجب يقتضي اخراجه فحينئذ يخرج نائب السلطان ويقيم عند الامير عوضه وكان لكل
أربعين جنديا من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر لقتال فكانت مواقف الاربعين
مع مقدمهم وترتيبهم في موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر امراء المئين المتقدمين من السلطان ما تقي
ألف دينار جيشية وربما زاد على ذلك وأما غيرهم فدون ذلك يعبر أفلها الى ثمانين ألف دينار وما حولها
وأما الطبليخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار وأما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف
دينار الى ما دونها وأما اقطاعات اجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار وهذا القدر وما حوله اقطاعات
اعيان مقدمي الحلقة ثم بعد ذلك الاجناد بابات حتى يكون أدناها مائتين وخمسين ديناراً وسيرد تنقيس ذلك
ان شاء الله تعالى وأما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الامير من زيادة بينهم ونقص وأما اقطاعات
الشام فانها لا تقارب هذا بل تكون على الثلثين مما ذكرنا ما خلا نائب السلطنة بدمشق فانه يقارب اقطاعه أعلى
اقطاعات اكابر امراء مصر المقربين وجميع جند الامراء تعرض بدويان الجيش ويتبت اسم الجندى وحليته
ولا يستبدل أميره به غيره الا بتزيل من عوض به وعرضه وكانت للامراء على السلطان في كل سنة ملابس
ينعم بها عليهم ولهم في ذلك حظ وافر وينعم على امراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عري ويميز
خاصتهم على عامةهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبليخاناه والعشراوات على السلطان الرواتب الجارية في
كل يوم من اللحم وقوابله كلها والخبز والشعير العليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في كل سنة
وكذلك لجميع عماليك السلطان وذوي الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له
دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للاقطاع في جلة الحلقة ثم منهم من ينتقل الى امره عشرة أو الى امره طبليخاناه
بحسب الخط واتفق للاميرين طرطاي وكتبغا أن كلا منهما تزوج ولده بانية الآخر وعمل لذلك المهم العظيم ثم سأل
الامير طرطاي وهو اذن نائب السلطان الامير بيليك الايدمرى والامير طيميرس أن يسألا السلطان الملك
المنصور قلاوون في الانعام على ولده وولد الامير كتبغا باقطاعين في الحلقة فقال لهما والله لورأيتهما في مصاف
القتال يضربان بالسيف أو كانا في زحف قد احمى استعجب أن أعطي لهما اخبارا في الحلقة خشية أن يقال أعطى
الصليين الاخبار ولم يجب سؤلها هذا وهم من قد عرف لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي
رحمه الله اذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده فان كان صغيرا رتب معه من بلى امره حتى يكبر فكان اجناده
يقولون الاقطاعات أملاكا كبارها أولادنا الولد عن الوالد فحين نقاتل عليها وبه اقتدى كثير من ملوك مصر في ذلك
وللامراء المتقدمين حوائص ذهب في وقت الركوب الى الميدان ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب
من السكر والحلوى في شهر رمضان ولسائرهم الاخصية في عيد الاضحى على مقدار رتبهم ولهم البرسيم لتربيع
دوابهم ويكون في تلك المدة بدل العليق المرتب لهم وكانت الخيول السلطانية تفرق على الامراء مرتين في كل
سنة مرة عند ما يخرج السلطان الى مرابط خيوله في الربيع عند اكتمال تربيعها ومرة عند لعبه بالاكزة في الميدان
ولخاصة السلطان المقربين زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم في السنة مائة فرس ويفرق السلطان
أيضا الخيول على المماليك السلطانية في اوقات آخر وربما يعطى بعض مقدمي الحلقة ومن نفق له فرس من
المماليك يحضر من لجه والشهادة بأنه نفق فيعطى بدله ولخاصة السلطان المقربين انعام من الانعامات
كالعقارات والابنية الضخمة التي ربما نفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا في الايام الناصرية
مرارا كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب ولهم أيضا كساوى القماش المتنوع ولهم عند سفرهم الى الصيد
وغيره العلوفاة والازنال وكانت لهم آداب لا يتخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان والقصر وقف
كل أمير في مكانه المعروف به ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يتحدث رفيقه في الخدمة ولا بكلمة واحدة
ولا يلتفت الى نحوه أيضا ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يجتمع بصاحبه في زهوة ولا في رمى النشاب
ولا غير ذلك ومن بلغ السلطان عنه انه اجتمع باخر نقاه أو قبض عليه واختلف زى الامراء والعساكر في الدولة

التركية وقد بينا ما كان عليه زعيم حتى غيره الملك المنصور قلاوون عند ذلك كرس سوق الشرايين وصار زعيمهم
 اذا دخلوا الى الخدمة بالاقبسة الترية والكلاوات فوقها ثم القباء الاسلحي فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف
 ويخبر الامراء والمقدمون واعيان الجند بلبس اقبية قصيرة الاكام فوق ذلك وتكون الاكام اقصر من
 القباء التحتاني بلاتفاوت كبير في قصر الكتم والطول وعلى رؤسهم كلهم كلوات صغار غاليها من الصوف
 الملطي الاحمر وتضرب ويلف فوقها عمام صغار ثم زادوا في قدر الكلوات وما يلف فوقها في ايام الامير
 بلبغا الخاصة "القائم بدولة الاشرف شعبان بن حسين وعرفت بالكلوات الطرخانية وصاروا يسمون تلك
 الصغيرة ناصرية فلما كانت ايام الظاهر برقوق بالغوا في كبر الكلوات وعملوا في شدتها عوجا وقيل لها كلوات
 بركسية وهم على ذلك الى اليوم ومن زعيم لبس المهماز على الاخفاف ويعمل المنديل في الحياصة
 على الصولق من الجانب الايمن ومعظم حوائص المالك فضة وفيهم من كان يعملها من المذهب وربما
 عملت باليشم وكانت حوائص امراء المؤمنين الاكابر التي تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانه الخاص يرصع
 ذهبها بالجواهر وكان معظم العسكر بلبس الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب ولا بلبس طراز الا من له
 اقطاع في الحلقة وأما من هو بالجامكية أو من اجناد الامراء فلا يكفت مهمازه بالذهب ولا بلبس طراز وكانت
 العساكر من الامراء وغيرهم تلبس المتنوع من الكعصا والخطاي والكيجي والحمل والاسكندرافى والشرب
 ومن النصافي والاصواف الملوثة ثم بطل لبس الحرير في ايام الظاهر برقوق واقتصروا الى اليوم على لبس
 الصوف الملوّن في الشتاء ولبس النصافي المصقول في الصيف وكانت العادة أن السلطان يتولى نفسه استخدام
 الجند فاذا وقف قد امه من يطلب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب
 ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها حيز فلان كذا ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ويناولها السلطان فيكتب عليها
 بخطه يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ شاهد ا عندهم
 ثم يكتب مربعة مكمله بخطوط جميع مباشرى ديوان الاقطاع وهم كتاب ديوان الجيش فيرسمون علاماتهم
 عليها ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتب فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره ثم يكمل المنشور
 بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقتابلة على حجة أصله واستجد السلطان الملك المنصور قلاوون طائفة سماها
 الجبرية وهي أن الجبرية الصالحة لما تشتموا عند قتل الفارس اقطاعى في ايام المعز أيلك بقيت أولادهم
 بمصر في حالة ردّيه فعندما أفضت السلطنة الى قلاوون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق والجم والكسوة ورسم
 أن يكونوا جالسين على باب القلعة ومما هم الجبرية الى اليوم طائفة من الاجناد تعرف بالجبرية وأما
 البلاد الشامية فليس للنائب بالملكية مدخل في تأمير أمير عوض أميرات بل اذا مات أمير سواء كان كبيرا
 أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمر عوضه اما من في حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة أو ممن هو في مكان
 الخدمة أو ينقل من بلد آخر من يقع اختياره عليه وأما جند الحلقة فانهم اذا مات أحد هم استخدم النائب
 عوضه وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان ثم كتب المربعة وجهازها مع البريد الى حضرة السلطان
 فيقابل عليها في ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب قكتب المربعة من ديوان الاقطاع
 ثم يكتب عليها المنشور كما تقدم في الجند الذين بالحضرة وان لم يمضها السلطان أخرج الاقطاع لمن يريد ومن مات
 من الامراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ثم اما يرجع منهم أو يطلق
 لهم على قدر حصول العناية بهم واقطاعات الامراء والجند منها هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها
 ما هو نقد على جهات يتناولها منها ولم يزل الحال على ذلك حتى رآه الملك الناصر محمد بن قلاوون البلاد كما تقدم
 في أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه فأبطل عدة جهات من المالكوس وصارت
 الاقطاعات كلها بلادا والذى استقر عليه الحال في اقطاعات الديار المصرية بمارته الملك الناصر محمد بن
 قلاوون في الروك الناصري وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية اربعة وعشرون ألف فارس
 تفصيل ذلك امراء الالوف ومما لهم ألفان واربع مائة واربعه وعشرون فارسا تفصيل ذلك نائب ووزير
 وألوف خاصية ثمانية امراء وألوف خرجية اربعة عشر اميرا ومما اليكهم ألفان واربع مائة فارس * امراء
 طبلخاناه ومما اليكهم ثمانية آلاف ومما تسافرس تفصيل ذلك خاصية اربعة وخمسون اميرا وخرجية مائة وستة

وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس * كشف ولاية بالاقليم خمسمائة وأربعة وسبعون
تفصيل ذلك نغرا الاسكندرية واحد والجيزة واحد والفيوم واحد والشرقية واحد والمنوفية واحد
وقطيا واحد وكاشف الجيزة واحد والفيوم واحد والشمس واحد والاشمونين واحد وقوص واحد
واسوان واحد وكاشف الوجه البحري واحد وكاشف الوجه القبلي واحد * ومماليكهم خمسمائة وستون
* أمراء العشر اوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون وخارجية مائة وسبعون
اميرا ومماليكهم ألفان * ولاية الاقاليم سبعة وسبعون اميرا تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقلوب
واحد والجيزة واحد وتروجا واحد وحاجب الاسكندرية واحد واطفيح واحد ومنفلوط واحد ومماليكهم
سبعون فارسا * مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا تفصيل ذلك مقدموا
المماليك السلطانية أربعون مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الألوف أربعة وعشرون نقبيا بمماليك السلطان
وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا تفصيل ذلك بمماليك السلطان ألفا مملوك أجناد
الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الألوف والنائب والوزير كل منهم
مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم الارتفاع ألف ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال كل أردب واحد
من القمح يعشرين درهما والحبوب كل أردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص
تسعمائة ألف درهم * الألوف الخارجية كل منهم خمسة وعشرون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع
ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف سبعون ألف درهم
والخالص لكل منهم سبعمائة وعشرون ألف درهم * الطبخانه الخاصة كل منهم أربعون ألف دينار كل
دينار عشرة دراهم الارتفاع أربع مائة ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف خمسة
وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثمانمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبخانه الخارجية ثلاثون ألف
دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح من
ذلك الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشر اوات الخاصكية
كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع مائة ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال على
ما شرح من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشر اوات
الخارجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع سبعون ألف درهم بمافيته من ثمن
الغلال على ما شرح من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم والخالص لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف
لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بمافيته من ثمن
الغلال على ما شرح من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم *
الولاية الاصطبلخانه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم
بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة
آلاف درهم * الولاية العشر اوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم الارتفاع خمسة وثلاثون
ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون
ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع اثناعشر
ألف درهم بمافيته من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف
درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع تسعة آلاف درهم بمافيته من
ثمن الغلال من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم * نقباء الألوف
لكل منهم أربع مائة دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بمافيته من ثمن
الغلال من ذلك الكلف أربع مائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم * مماليك السلطان
ألفان * بابه أربع مائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف
درهم * بابه خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثمانمائة دينار سبعة عشر دراهم منها ثلاثة عشر ألف درهم * بابه
خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثناعشر ألف درهم * بابه ستمائة مملوك لكل واحد

ألف دينار عشرة آلاف درهم * اجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة وثمانون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار تسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار ثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندي لكل منهم ستمائة دينار ستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار خمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندي لكل منهم أربعمائة دينار أربعة آلاف درهم * بابة ألف وأثنى وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار سبعة عشر دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جندارو والاستادار والمهمندار ونيقب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون حدث بين اجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل في الاجناد بذلك واشترت السوقه والاراذل الاقطاعات حتى صار في زمننا الاجناد الحلقة اكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخرت منهم أراضى اقطاعهم * وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون لما تسلط في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاذ الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه جل كل منهما ما لليت المال يقر وعليهما ومن اختار حيزا بالحلقة ين على قدر عبرته في السنة دنانير يحملها البيت المال فان كانت عبرة الحيز الذي يرده خمسمائة دينار في السنة جل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه جل ما لليت المال بحسب ما يقر وعليه اغرلو وأقر لذلك ولما يؤخذ من طالبي الوظائف والولايات ديوانا اسماء ديوان البديل وكان يعين في المنشور الذي يخرج بالمقايضة المبلغ الذي يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة فقام الامراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولي الامير منجك اليوسفي الوزارة وسيره في المال ففتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندي يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العاتة الاقطاعات فكان يبدل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قلاوون في سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد في المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة واصحاب الصنائع وبيعت تقادم الحلقة واتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم في النزول عن اقطاعهم أو المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما غش الامر أبطل الامير شيخون العمري النزولات والمقايضات عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير امور الدولة وتقدم لمباشرى ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعدما كانوا يأخذون عشرين درهما

* (ذكر الحجية) *

وكانت رتبة الحجية في الدولة التركية جليلة وكانت تلي رتبة نيابة السلطنة ويقال لأكبر الحجية حاجب الحجاب وموضوع الحجية أن متوليها ينصف من الامراء والجنود تارة بنفسه وتارة بمشاوره السلطان وتارة بمشاوره النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرده وعرض الجنود فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه في الباب والقائم مقام النواب في كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر في محاصمات الاجناد واختلافهم في امور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الامور الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ولقد عهد نادائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفتر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضي وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام في ترسيم القاضي حامية له من ايدي الحجاب ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم اسم العدة جماعة من الامراء يتصبون للحكم بين الناس لا لغيره الا لتضمين ابوابهم بمال مقر في كل يوم على رأس نوبة القضاء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقيق من الناس سواء كان

الحكم شرعياً وسياسياً برغمهم وان تعترض قاض من قضاة الشرع لاخذ غريم من باب الحجاب لم يمكن من ذلك ونقيب الحجاب اليوم مع رذالة الحجاب وسفاته وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله بتظاهره اطراف السوق فانه يأخذ الغريم من باب القاضي ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة وكانت أحكام الحجاب أولاً يقال لها حكم السياسة وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زمننا اليوم اصلها ويتساهلون في التلغظ بها ويقولون هذا الأمر مما لا يمتنى في الاحكام الشرعية وانما هو من حكم السياسة وبحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وسأبين معنى ذلك وهو فصل عزيز

* (ذكر أحكام السياسة) *

اعلم أن الناس في زمننا بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام يرون أن الاحكام على قسمين حكم الشرع وحكم السياسة ولهذه الجملته شرح فالشرعية هي ما شرع الله تعالى من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر واشتق الشرع من شاطئ البحر وذلك أن الموضع الذي على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب وتسميه العرب الشريعة فيقولون للابل اذا وردت شريعة الماء وشربت قد شرع فلان ابله وشرعها يشدد الرأى اذا أوردتها شريعة الماء والشريعة والسراع والشرعة المواضع التي يحد الماء فيها ويقال شرع الدين بشرعه شرعاً بمعنى سنة قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ويقال ساس الامر سياسة بمعنى قام به وهو سائس من قوم سياسة وسوس وسوسة القوم جعلوه يسوسهم والسوس الطمع والخلق فيقال الفصاحة من سوسه والكرم من سوسه أى من طبعه فهذا اصل وضع السياسة في اللغة ثم رجمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الاحوال * والسياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الاحكام الشرعية علمها من علمها وجهاتها من جهاتها وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتباً متعددة والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشرعية تخرمها وليس ما يقوله اهل زماننا في شئ من هذا وانما هي كلمة مغلية اصلها ناسه فخرقها أهل مصر وزادوا بها ولها سينا فقتنا لوالسياسة وأدخلوا عليها الالف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وما الامر فيها الا ما قلت لك واسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أوزبك خان وصارت له دولة فزرقوا عدو عقوبات اثبتها في كتاب سماه ناسه ومن الناس من يسميه بسق والاصل في اسمه ناسه ولما تم وضعه كتب ذلك نقشا في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم وكان جنكز خان لا يتدب من شئ من أديان أهل الارض كما تعرف هذا ان كنت اشرفت على أخباره فصار الناس حكماء بنا بقي في أعقابهم لا يخرجون عن شئ من حكمه * واخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم احمد ابن البرهان رحمه الله انه رأى نسخة من الناسة بجزالة المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ما شرعه جنكزخان في الناسة أن من زنى قتل ولم يفرق بين المحسن وغير المحسن ومن لاط قتل ومن تعمداً الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ومن أعطى بضاعة فخر فيها فانه يقتل بعد الثالثة ومن اطعم اسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ومن وجد عبداً هارباً أو أسيراً قد هرب ولم يرده على من كان في يده قتل وأن الحيوان تكلف قوائمه ويشق بطنه ويمر من قلبه الى أن يموت ثم يؤكل لحمه وأن من ذبح حيواناً كذبجة المسلمين ذبح ومن وقع جملة أو قوسه أو شئ من متاعه وهو يكثر أو يفر في حالة القتال وكان وراءه أحد فانه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فان لم ينزل ولم يناوله قتل وشرط أن لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مؤنة ولا كلفة وأن لا يكون على أحد من الفقراء ولا القراء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم واصحاب العبادات والزهد والمؤذنين ومغسلي الاموات كلفة ولا مؤنة وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب للملة على أخرى وجعل ذلك كله قرية الى الله تعالى وألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أولاً وأنه أمير ومن يناوله اسير وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شئ وغيره يراه بل يشركه معه في اكله وألزمهم أن لا يتميز أحد منهم بالشبع على اصحابه ولا يتخطى أحد ناراً ولا مائدة ولا طبق الذي يؤكل عليه وأن من مرتقوم وهم يأكلون فلأن ينزل ويأكل كل معهم من غير اذنهم وليس لأحد منعهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول

الماء بشئ يغترفه به ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى ومنع أن يقال لشيء انه نجس وقال جميع الاشياء ظاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس وألزمهم أن لا يتعصبوا لشيء من المذاهب ومنعهم من تغنيم الالفاظ ووضع الالقاب وانما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط وألزم القائم بعده بعرض العساكر والسلمتها اذا ارادوا الخروج الى القتال وانه يعرض كل ما سافره عسكره وينظر حتى الابرّة والخط فن وجدده قد قصر في شئ مما يحتاج اليه عند عرضه اياه عاقبه وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال وجعل على العساكر اذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه والزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بنايتهم الابكار على السلطان ليختار منهم لنفسه وأولاده ورتب لعاكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات وشرع أن اكبر الامراء اذا اذنب وبعث اليه الملك أخس من عنده حتى يعاقبه فانه يلقى نفسه الى الارض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه وألزمهم أن لا يتردد الامراء لغير الملك فن تردد منهم لغير الملك قتل ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير اذن قتل وألزم السلطان باقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة وجعل حكمه لياسه لولده جغتاي بن جنكزخان فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم لياسه كالترام أول المسلمين حكم القرآن وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه فلما كثرت وقائع التفرق في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبحاق وأسروا كثير منهم وباعوهم تنقلوا في الاقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز أيك ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار وأسروا منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملأوا مصر والشام وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكزخان على منابر مصر والشام والحرمين فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم باو طرائقهم هذا وملوك مصر وامرأوها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد الى الرديء وفوضوا القاضى القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وناطوبه امر الاوقاف والايام وجعلوا اليه النظر في الاقضية الشرعية كنداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا في ذات انفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقداء بحكم لياسه فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم والاخذ على يد قويمهم وانصاف الضعيف منه على مقتضى ما في لياسه وجعلوا اليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في امور الاقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الاموال وخراج الاراضى فشرعوا في الديوان ما لم يأذن به الله تعالى ليصير لهم ذلك سبيلاً الى اكل مال الله تعالى بغير حقه وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الامور هذا وستر الحياء يؤتمن مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد احد أن يزيع عن الحق ولا يخرج عن قضية الحياء ان لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور انسابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذ عهد الحسن التي كانت في سنة ست وثمانائة الحجاب وهتكوا الحرمه وتحكموا بالجور تحكما خفي معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتان الله لاهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت ايديهم ليديقهم بعض الذي علوا لعلهم يرجعون * وكان أول ما حكمهم الحجاب في الدولة التركية بين الناس بمصر أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون استدعى الامير شمس الدين آق سنقر الناصري نائب طرابلس ليؤليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الامير سيف الدين بيغوا أميراً حاجباً كبيراً يحكم بين الناس فخلع عليه في جمادى الاولى سنة ست وأربعين وسبع مائة فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم وجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبة الولاة بالاعمال ونحوهم فاستمر ذلك ثم رسم في جمادى الآخرة منها أن يكون الامير رسلان بصل حاجباً مع بيغوا يحكم بالقاهرة

على عادة الحجاب فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المنصور جاجي بن محمد استقر الأمير سيف الدين ارقطاي نائب السلطنة فعاد أمر الحجاب الى العادة القديمة الى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين جرجي الحجابة في أيام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فرسم له أن يتحدث في أبواب الديون ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الامور الشرعية وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العدل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وذكروا أنهم ما خرجوا من بلادهم الا لكثرة ما ظلمهم التتار وجاروا عليهم وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا الثمنان ثم هم يثبتون على يد القاضي الحنفى اعصارهم وهم في سجنه وقد افس بعضهم فرسم للأمير جرجي باخراج غرمائهم من السجن وخلاص ما في قبيلهم للتجار وأنكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى ما عمله ومنع من التحدث في أمر التجار والمدينين فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم حتى أخذ للتجار أموالهم منهم شيئاً بعدئذى وتمكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بما شلوا * (أمير جانداز) موضوع أمير جانداز التسلم لباب السلطان ولرتبة البرد دارية وطواقب الركابية والحرمانية والجندارية وهو الذى يقدم البريد اذا قدم مع الدوادار وكتب السر وإذا أراد السلطان تقرير أحد من الامراء على شئ أو قتله بذنوب كان ذلك على يد أمير جانداز وهو أيضاً المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا ومن اعتقل بها لا تطول مدته بها بل يقتل أو يخلى سبيله وهو الذى يدور بالرفة حول السلطان في سفره مساء وصباحا * (الاستادار) اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان في السرحات والاسفار وله الحكم في علمان السلطان وباب داره واليه امور الجاشنكيرية وإن كان كبيرهم نظيره في الامرة من ذوى المثين وله أيضاً الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتى كانت أيام الظاهر برقوق فأقام الأمير جمال الدين محمود بن على بن اصفه عنه استاداراً وناط به تدبير أموال المملكة فتصرف في جميع ما يرجع الى أمر الوزير وناظر الخاص وصار يترددان الى بابيه ويمضيان الامور برأيه فخلت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث انه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء سيما اذا اعتبرت حال الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في أيام الناصر فرج بن برقوق كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب فانك تجده انما كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذه في سائر احوال المملكة واستقر ذلك لمن ولى الاستادارية من بعده والامر على هذا الى اليوم * (أمير سلاح) هذا الأمير هو مقدم السلاح دارية والمتولى لحل سلاح السلطان في الجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خاناه وما يستعمل بها وما يقدم اليها ويطلق منها وهو أبداً من أمراء المثين * (الدوادار) ومن عادة الدولة أن يكون بها من أمراءها من يقال له الدوادار وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الامور وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة على من يحضر الى الباب وتقديم البريد هو أمير جانداز وكتب السر وهو الذى يقدم الى السلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب وكان يخرج عن السلطان برسوم مما يكتب فيعين رسالته في المرسوم واختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار فارة كان من امراء العشرة اوات والطب خاناه وتارة كان من امراء الالوف فلما كانت أيام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ولى الأمير اقر الحنبلى وظيفة الدوادارية وكان عظيم في الدولة فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطنة ويعين في المرسوم اذ ذلك انه كتب برسالته ثم نقل الى نيابة السلطنة واقام الاشرف عوضه الأمير طاش غر الدوادار وجعله من اكبر امراء الالوف فاقتدى به الملك الظاهر برقوق وجعل الأمير يونس الدوادار من اكبر امراء الالوف فعظمت منزلته وقويت مهيبته ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ولى الدوادارية الأمير بوطا قحكم تحكماً زائداً عن المعهود في الدوادارية وتصرف ككثرت في التواب وولى وعزل وحكم في القضايا المعضلة فصار ذلك من بعده عادة لمن ولى الدوادارية سيما لولى الأمير يشبك والأمير حكيم الدوادارية في أيام الناصر فرج فانهما تحكما في جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية وما برح الحال على هذا في الايام الناصرية وكذلك الحال في الايام المؤيدية يقارب ذلك

ذلك * (نقابة الجيوش) هذه الرتبة كانت في الدولة التركية من الرتب الجليله ويكون متولياها كأكبر
الحجاب الصغار وله تخليه الجند في عرضهم ومعه يمشي النقباء فإذا أطلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب
أميرا أو جنديا كان هو المخاطب في الإرسال إليه وهو المألوم بأحضاره وإذا أمر أحد منهم بالترسيم على أمير
أو جندي كان نقيب الجيش هو الذي يرسم عليه وكان من رسمه أنه هو الذي يمشي بالحراصة السلطانية في المركبة
حالة السمر حة وفي مدة السفر ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعتمدين
لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل التهر عند طلب أحد إلى باب الحجاب ويضيفون
إلى كلهم أموال الناس الباطل اقتراهم على الله تعالى بالكذب فيقولون على المال الذي يأخذونه
باطلا هذا حق الطريق وإبريل لمن نازعهم في ذلك وهم أحد أسباب خراب الأقليم كما ين في موضعه من هذا
الكتاب عند ذكر الأسباب التي أوجبت خراب الأقليم * (الولاية) وهي التي يسميها السلف الشرطة
وبعضهم يقول صاحب العسس والعسس الطواف بالليل لتبصع أهل الرب يقال عن بعض عساو عسسا
وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعض المدينة حتى
أبو داود عن الأعمش عن زيد قال أتى عبد الله بن مسعود فقبل له هذا فلان تقطر لحية خرا فقال عبد الله رضي
الله عنه أنا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به وذكر الثعلبي عن زيد بن وهب أنه قال
قبل لابن مسعود رضي الله عنه هل لك في الوليد بن عتبة تقطر لحية خرا فقال أنا قد نهينا عن التجسس فإن
ظهر لنا شيء نأخذ به وكان عمر رضي الله عنه يتولى في خلافة العسس بنفسه ومعه مولاة أسلم رضي الله عنه
وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه * (قاعة الصاحب) وكانت وظيفة الوزارة
أجل رتب أرباب الأقسام لأن متولياها نافي السلطان إذا أنصف وعرف حقه إلا أن ملوك الدولة التركية قدّموا
رتبة النيابة على الوزارة فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها وولياها في الدولة التركية أناس من أرباب السيوف
وأناس من أرباب الأقسام فصار الوزير إذا كان من أرباب الأقسام يطلق عليه اسم الصاحب بخلاف ما إذا كان
من أرباب السيوف فإنه لا يقال له الصاحب وأصل هذه الكلمة في إطلاقها على الوزير أن الوزير - كما عني بن عباد
كان يصحب مؤيد الدولة أبانصور بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي صاحب بلاد الري - وكان مؤيد
الدولة شديد الميل إليه والمحبة له فسماه الصاحب وكان الوزير حينئذ أبو الفتح علي بن العميد يعاذه لشدة تمكنه
من مؤيد الدولة فقلب الوزراء بعد ابن عباد بالصاحب ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بني العباس ولا وزراء
الخلفاء الفاطميين قبل له الصاحب وقد جعت في وزراء الاسلام كتابا جليل القدر وأفردت وزراء مصر في تصنيف
بديع والذي أعرف أن الوزير رضي الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بني أيوب
كان يقال له الصاحب وكذلك من بعده من وزراء مصر إلى اليوم وكان وضع الوزير أنه أقيم لتنفيذ كلمة السلطان
وقام قصره فغير أنها انحطت عن ذلك بناية السلطنة ثم انقسم ما كان للوزير إلى ثلاثة هم الناظر في المال وناظر
الخاص وكتب السر فإنه يقع في دار العدل ما كان يقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم تلاشت الوزارة
في أيام الظاهر برقوق بما أحدثه من الديوان المفرد وذلك أنه لما ولي السلطنة أفرد أقطاعه لما كان أميرا
قبل سلطنته وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا وجعل مرجع هذا الديوان
إلى الاستاذ انور صرف ما يتحصل منه في جوامك ممالك استجدها شيئا بعد شيء حتى بلغت خمسة آلاف مملوك
وأضاف إلى هذا الديوان كثيرا من أعمال الديار المصرية وبذلك قوى جانب الاستادار وضعفت الوزارة حتى
صار الوزير قصارى نظره التحدث في أمر المكنوس فيستخرجها من جهاتها ويصرفها في ثمن اللحم وحواميج
المطبخ وغير ذلك ولقد كان الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول الوزارة اليوم عبارة عن
حواميج كشم عفش يشتري اللحم والحطب وحواميج الطعام وناظر الخاص غلام صلف يشتري الحرير والصوف
والنصافي والسحاب وأما ما كان للوزراء وناظر الخاص في القديم فقد بطل ولقد صدق فيما قال فإن الأمر على
هذا أو ما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبها يرتفع قدر متولياها إذا أضيفت إلى الاستادارية كما وقع للأمير جمال
الدين يوسف الاستادار والامير غفر الدين عبد الغني بن أبي الفرج وأما من ولي الوزارة بمفردها سمى من أرباب
الأقسام فأنما هو كاتب كبير يتردد ليلًا ونهارًا إلى باب الاستادار ويصرف يأمره ونهييه وحقيقة الوزارة اليوم

انها انقسمت بين أربعة وهم كاتب السر والاستادار وناظر الخصاص والوزير فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحو ذلك في دار العدل وفي داره وأخذ الاستادار التصرف في نواحي أرض مصر والتحدث في الدواوين السلطانية وفي كشف الاقاليم وولاية النواحي وفي كثير من امور ارباب الوظائف وأخذ ناظر الخصاص جانباً كبيراً من الاموال الديوانية السلطانية ليصرفها في تعلقات الخزانة السلطانية وبقي للوزير شئ يسير جداً من النواحي والتحدث في المكوس وبعض الدواوين ومصارف المطبخ السلطاني والسواقي واشياء أخرى اليه مرجع ناظر الدولة وشاد الدواوين وناظر بيت المال وناظر الاهراء ومستوفي الدولة وناظر الجبهات وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فان أمرهما يرجع الى غيره والله اعلم * (نظر الدولة) هذه الوظيفة يقال لتوليها ناظر النظارة يقال له ناظر المال وهو يعرف اليوم بـ ناظر الدولة وتلى رتبته رتبة الوزارة فاذا غاب الوزير او تعطلت الوزارة من وزير قام ناظر الدولة بتدبير الدولة وتقديم الى شاد الدواوين بتخصيل الاموال وصرفها في النفقات والكلف واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاوون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشي امور الدولة على ذلك حتى مات ولا بد أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ورأس المستوفين مستوفي العجبة وهو يتحدث في سائر المملكة مصر وشاما ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان فتكون تارة بما يعمل في البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدام كتاب في صفات الاعمال ومن هذا النحو وما يجري مجراه وهي وظيفة جليلة تلى نظر الدولة وبقية المستوفين كل منهم حديثه مقيد لا يتعدى حديثه قطران اقطار المملكة وهذا الديوان أعنى ديوان النظر هو أرفع دواوين المال وفيه ثبتت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل ديوان من دواوين المال انما هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتتناهى أسبابه واليه يرجع أمر الاستمرار الذي يشتمل على أرزاق ذوي الاقلام وغيرهم مياوطة ومشاهدة ومسانة من الرواتب وكانت أرزاق ذوي الاقلام مشاهدة من مبلغ عين وغلة وكان لاعنائهم الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوابه أو غير توابه والخبز والعليق لدواوينهم وكان لا كبرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة والاضحية وفي شهر رمضان السكر والحلوى واكثرهم نصيبا الوزير وكان معلومه في الشهر ما تين وخمسين ديناراً جيشية مع الاصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ثم مادون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير ومادون دونه وكان معلوم القضاة والعلماء اكثرهم خمسون ديناراً في كل شهر مضافاً لما يبداهم من المدارس التي يستدرون من أوقافها وكان أيضاً يصرّف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات ما بين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشعبه هذا سوى الارض من النواحي التي يعرف المرتب عليها بالرزق الاحباسية وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابتاعن أب وبنها الاخ عن أخيه وابن العم عن ابن العم بحيث ان كثيراً ممن مات وخرج ادراره من مرتبه لاجنبي لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولوته بما كان لقريبه أعيد اليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه * (نظر البيوت) كان من الوظائف الجليلة وهي وظيفة متوليا منوط بالاستادار فكل ما يتحدث فيه استادار السلطان فانه يشاركه في التحدث وهذا كان أيام كون الاستادار ونظيره لا يتعدى بيوت السلطان وماتة تقدم ذكره فاما منذ عظم قدر الاستادار ونفذت كلمته في جمهور أموال الدولة فان نظار البيوت اليوم شئ لا معنى له * (نظر بيت المال) كان وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليا التحدث في حول المملكة مصر وشاما الى بيت المال بقلعة الجبل وفي صرف ما ينصرف منه تارة بالوزن وتارة بالتسبيب بالاقلام وكان أبداً يصعد ناظر بيت المال ومعه شهود بيت المال وصير في بيت المال وكاتب المال الى قلعة الجبل ويجلس في بيت المال فيكون له هناك أمر ونهي وحال جليلة لكثرة الجول الواردة وخروج الاموال المصروفة في الرواتب لاهل الدولة وكانت أمراً عظيماً بحيث انها بلغت في السنة نحو أربع مائة ألف دينار وكان لا يلي نظار بيت المال الامن هو من ذوي العدالات المبرزة ثم تلاشي المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدري ناظر بيت المال من هو * (نظر الاصطبلات) هذه الوظيفة جليلة القدر الى اليوم وموضوعها الحديث في أموال الاصطبلات والمناخات وعليةها وأرزاق من فيا من المستخدمين وما بها من الاستعمال والاطلاق وكل ما يتنازع لها ويتنازع بها وأول من استحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو أول من زاد في رتبة أمير اخور واعتنى

بالأوقاجية والعرب الركابة وكان أبوه المنصور قلاوون يرغب في خيل برقة أكثر من خيل العرب ولا يعرف عنه أنه اشترى فرساً بأكثر من خمسة آلاف درهم وكان يقول خيل برقة نافعة وخيل العرب زينة بخلاف الناصر محمد فإنه شغف بأستعداد الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يبلغ في أكرام العرب ويرغبهم في أعنان خيولهم حتى خرج عن الحد في ذلك فكثر رغبة آل مهنا وغيرهم في طلب خيول من عداهم من العرب بل وتبعوا اعتناق الخيل من مظاهرهم وسمجوا بدفع الاعنان الزائدة على قيمتها حتى اتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل مهنا من السلطان وبلغوا في أيامه الرتب العلية وكان لا يحب خيول برقة وإذا أخذ منها شيئاً أعدهم لتفرقة على الأحرار البرانيين ولا يسمح بخيول آل مهنا إلا لأعز الأحرار وأقرب النخاسة منه وكان جيد المعرفة بالخيول شياتها وأنسابها لا يزال يذكر أسماء من أحضرها إليه ومبلغ ثمنها فلما اشترعته ملك جلب إليه أهل البحرين والحساء واقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم فدفعت لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم إلى عشرين إلى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب سوى ما ينمي به على مالكة من الثياب الفاخرة ولنسانه ومن السكر ونحوه فلم تنق طائفة من العرب حتى قادت إليه عتاق خيلها وبلغ من رغبة السلطان فيها أنه صرف في أعنانها دفعة واحدة من جهة كزيم الدين ناظر الناصر ألف ألف درهم في يوم واحد وتكرره هذا منه غير مرة وبلغ عن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم واشترى كثيراً من الجوربانين ألفاً وتسعين ألفاً واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب هذا سوى الأنعامات بالضياع من بلاد الشام وكان من عتانيته بالخيول لا يزال يتفقد بعضها بنفسه فإذا أصيب منها فرس أو كبير سنة بعث به إلى الجشار وتزني الفصول المعروفة عنده على الجوربين يديه وكاب الاصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ومع ذلك فلم تكن عنده في منزلة ما يجلب منها وبهذا اختصت سعادة آل مهنا وكثرت أموالهم وضياعهم فجزأتهم وكثرت عددهم وهاجهم من سواهم من العرب وبلغت عدة خيول الجشاريات في أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس وكان يعرضها في كل سنة ويدقغ أولادها بين يديه ويسلمها للعربان الركابة وينعم على الأحرار النخاسة بأكثرها ويتبعها ويقول هذه فلانة بنت فلان وهذا فلان بن فلانة وعمره كذا وشراء أم هذا كذا وكذا كان لا يزال يؤكد على الأحرار في تضييع الخيول ويلزم كل أمير أن يضر أربعة أفراس ويتقدم أمير أخور أن يضر السلطان عدة منها ويوصيه بكتمان خبرها ثم يشيع أنها لا يدغمش أمير أخور ويرسلها مع الخيل في حلبة السباق خشية أن يسبقها فرس أحد من الأحرار فلا يحقل ذلك فإنه ممن لا يطبق شيئاً ينقص ملكه وكان السباق في كل سنة بميدان القبط ينزل بنفسه وتحضر الأحرار بخيولها المضرة فيجريها وهو على فرسه حتى تنقضي نوبها وكانت عدتها مائة وخمسين فرساً فوقها فاتفق أنه كان عند الأمير قطلوبغا القنري حصان أدهم سبق خيل مصر كلها في ثلاث سنين متوالية أيام السباق وبعث إليه الأمير مهنا فرسانها على أنها ان سبقت خيل مصر فهي للسلطان وان سبقتها فرس ردت إليه ولا يركبها عند السباق الأبدوي فادها فركب السلطان السباق في أمرانه على عادته ووقف معه سليمان وموسى ابتادها وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهنا وقدر كعبها البدوي عرياً بغير سرج نأملت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهي عرياً بغير سرج والبدوي عليها بقميص وطاقية فلما وقعت بين يدي السلطان صاح البدوي السعادة لك اليوم يا مهنا لا شقيت فشق على السلطان أن خيله سبقت رابطت التضييع من خيله وصارت الأحرار تضر على عادتها ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس وترت زيادة على خمسة آلاف من الهجن الأصائل والنوق المهربات والقرشيات سوى أسباعها وبطل بعده السباق فلما كانت أيام الظاهر برقوق عني بالخيول أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جبل * (ديوان الانشاء) وكان بجوارقاعة صاحب قلعة الجبل ديوان الانشاء يجلس فيه كاتب السر وعنده موقعو الدرج وموقعو الدت في أيام الملوك طول التمار ويحمل اليهم من المطبخ السلطاني المطاعم وكانت الكتب الواردة وتعلق ما يكتب من الباب السلطاني موضوعاً بهذه القاعة وأناجست بها عند القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمري أيام مباشر في التوقيع السلطاني إلى نحو السبعين والسبعمئة فلما زالت

دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت امور كثيرة منها أمر قاعة الانشاء بالقلعة ومجرت وأخذ ما كان فيها من الاوراق ويغت بالقنطار ونسب رسمها وكاتب السر رتبة قديمة ولها أصل في السنة فقد خرج أبو بكر عبد الله ابن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني في كتاب المصاحف من حديث الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم قال فعملتها في سبع عشرة ليلة ولم يرزل خلفاء الاسلام يجتارون لكاتب سرهم الواحد بعد الواحد وكان موضوع كتابة السر في الدولة التركية على ما استقر عليه الامر في أيام الناصر محمد بن قلاوون أن لتوليها المسمى بكتاب السر وبصاحب ديوان الانشاء ومن الناس من يقول ناظر ديوان الانشاء قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها اما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال وله تفسير الاجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها وله تصرف المراسيم ورودا وصدورا وله الجلوس بين يدي السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه في المجلس فصاريوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة وصار إليه التحدث في مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل امر مهم وله التوسط بين الامراء والسلطان فيما يندب اليه عند الاختلاف أو التدبير واليه ترجع امور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم في سائر المملكة مصر او ثما فمضى من امورهم ما احب وبشار السلطان فيما لا بد من مشاورته فيه وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير فلما عظم تمكن القاضي فخر الدين فتح الله كاتب السر من الدولة جلس فوق الوزير صاحب سعد الدين ابراهيم البشري فاستقر ذلك من بعده ورتبة كاتب السر اجل الرتب وذلك انها منزعجة من الملك فان الدولة العباسية صار خلفاؤها في أول أمرهم منذ عهد أبي العباس السفاح الى أيام هارون الرشيد يستبدون بأموورهم فلما صارت الخلافة الى هارون ألقى مقاليد الامور الى يحيى بن جعفر البرمكي فصار يحيى يوقع على رفاغ الرافعين بخطه في الولايات وازالة الظلامات واطلاق الارزاق والعطيات فجلت لذلك رتبته وعظمت من الدولة مكانته وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بني العباس وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع وربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل ثم افردت في اخريات دولة بني العباس واستقل بها ككاتب لم يبلغوا مبلغ الوزراء وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الانشاء وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان له الديوان العزيز وهو الذي يحاط به الملوك في مكاتبات الخلفاء وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا واليه ينسب مؤيد الدين الطغرائي والطغرائي طرقة المكتوب فيكتب اعلى من البسملة بقلم غليظ القاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بها عن علامة السلطان وهي لفظة فارسية وفي بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأما مصر فانه كان بها في القديم لما كانت دارا مارة ديوان البريد ويقال لتوليته صاحب البريد واليه مرجع ما يرد من دار الخلافة على ايدي اصحاب البريد من الكتب وهو الذي يطالع بأخبار مصر وكان لامراء مصر كتاب يشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين الى أن قدم المماليك الى القاهرة فوقع وجعل أمر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلاج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكي وكان يوقع ومع ذلك ففي أمراء الدولة من يلي البريد وجرى الامر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت أيام المستنصر بالله الى تميم معتق بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربي عن وزارته ففرد له ديوان الانشاء فولى مدة طويلة وادرك أيام امير الجيوش بدر الجمالي وصار يلى ديوان الانشاء بعده الاكابر الى أن انقرضت الدولة وهو يسد للناصر الفاضل عبد الرحيم بن علي اليبساني فاقتدت بهم الدولة الايوبية ثم الدولة التركية في ذلك وصار الامر على ما الى اليوم وصار متولى رتبة كتابة السر اعظم أهل الدولة الا انه في الدولة التركية يكون معه من الامراء واحد يقال له الدوادار منزلة منزلة صاحب البريد في الزمن الاقل ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغيره اجمعة فلذلك يحتاج اليه

سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ولا يستغنى عن حسن سفارته نائب الشام في دورته وقله الا امر كله وأما في الدولة الايوبية فان كتاب الدرج كانوا في الدولة الكاملية قليلين جدا وكانوا في غاية العناية والتزاهة وقله الخلطة بالناس وانتفى أن صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير كان من جملتهم فسمع الملك الصالح نعم الدين أيوب عنه انه يحضر في الساعات فصرفه من ديوان الانشاء وقال هذا الديوان لا يحتمل مثل هذا وكلفت العادة أن لا يحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة فعرض للملك الصالح في بعض ايام الجمع شغل مهم فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم فقبل له انهم لا يحضرون يوم الجمعة فقال استخدموا في الديوان كتابنا فصارنا نأخذ يوم الجمعة لهم بطرا فاستخدم الامجد بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى * (نظر الجيش) قد تقدم انه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش في ايام الموكب وتقدم في ذكر الاقطاعات وذكر النيابة ما يدل على حال متولى نظر الجيش ولا بد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كتابات المملكة وجرئياتها في الاقطاعات وغيرها * (نظر الخاص) هذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر ما بلغ اليه في الدولة التركية وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما اطلب الوزارة واقام القاضي كريم الدين الكبير في وظيفة نظر الخاص صار متحدثا فيها هو خاص بمال السلطان يتحدث في مجموع الامر الخاص بنفسه وفي القيام بأخذه رأيه فيه فبقي يتحدث فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه والى ناظر الخاص التحدث في الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل وكانت كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملكة وكان نظر الخزانة منصبا جديلا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا وصارت تسمى الخزانة الكبرى وهو اسم اكبر من مسماه ولم يبق بها الا خلع يخلع منها أو ما يحضر اليها ويصرف أولا فاولا وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص وكان الرسم أن لا يلي نظر الخزانة الا القضاة او من يلحق بهم وما برحت الخزانة بقلعة الجبل حتى عملها الامير منطاش سجننا للمالك الظاهر برقوق في سنة تسعين وسبع مائة فتلاشت من حينئذ ونسي أمرها وصارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص في داره وكانت لاهل الدولة في الخلع عوايد وهم على ثلاثة انواع أرباب السيوف والاقلام والعلماء فأما أرباب السيوف فكانت خلع اكبر أمراء المئين الاطلس الاحمر الرومي وتحت الاطلس الاصفر الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحت سنجاب وله صيف من ظاهره مع الغشاء قندس وكلوثة زركش بذهب وكلايب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به في طرفيه حرايض مرقوم باللقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب قاديرهم فأعلاها ما عمل بين عدها أو كروسطي ومجنتان بالبخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان بيكارية واحدة غير مرصعة وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يراد سيفا محلي بذهب يحضر من السلاح خاناه ويحمله ناظر الخاص ويراد فرسا مسرجا ملجما بكتبوش ذهب والفرس من الاصطبل وقاشه من الزكبات خاناه ومرجع العمل في سروج الذهب والكنايش الى ناظر الخاص وكان رسم صاحب جاء من اعلى هذه الخلع ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الاسكندرية حريشيه بالطول وينسج بالذهب يعرف بالتمر ويعطى فرسين أحدهما كاذكروا الآخر يكون عوض كتبوشه زناري اطلس أحمر وكانت لنائب الشام على ما استقر في ايام الناصر محمد بن قلاوون مثل هذا وزيد لتكرز كبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقاني ودون هذه الرتبة في الخلع نوع يسمى طرز وحش يعمل بدار الطراز التي كانت بالاسكندرية وعصر وبدمشق وهو مجوهر جاحات كتابة باللقاب السلطان وجاهات طرز وحش وجاهات ألوان متميزة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاحات نقوش وطرز هذا يكون من القصب وربما كبر بعضهم فركب عليه طراز من زكبات الذهب وعليه فروس سنجاب وقندس كما تقدم وتحت القباء الطرز وحش قباء من المقترح الاسكندرية الطرح وكلوثة زركش بكلايب وشاش على ما تقدم وحياسة ذهب قسارة تكون بيكارية وتارة لا يكون بها بيكارية وهذه لا صاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة في الخلع كحاشيه نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه يتفاوت بينهما وتحت سنجاب بقندس والبقيصة كما تقدم الا أن الحياصة والشاش لا يكونان باطراف رقم بل تكون مجوهره بأخضر واصفر مذهب والحياصة لا تكون بيكارية ودون هذه الرتبة كحاشيه تكون واحدة بسنجاب بقندس والبقيصة على

ما ذكر وتكون الكلوثة خفيفة الذهب وجانبها يكاد ان يكونان خاليتين بالجملة ولا حياصة له ودون هذه الرتبة
مجوم لون واحد والبقية على ما ذكر خلا الكلوثة والكلاليب ردون هذه الرتبة مجوم مقدس وهو قباء ملقون
بجياخات من أحمر وأخضر وأزرق وغير ذلك من الألوان بسجباب وقندس وتحت قباء أما أزرق أو أخضر وشاش
ايض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره ثم دون هذا من هذا النوع وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت
خلعهم الكعجا الايض المطرز برقم حرير ساذج وسجباب مقدس وتحت كعجا أخضر وبقيار كان من عمل دمياط
مرفوم وطرحه ثم دون هذه الرتبة عدم السجباب بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج ودونهم ترك
الطرحه ودونهم بأن يكون التختاني مجوما ودون هذا أن يكون القوقاني من الكعجا ~~كعجا~~ غير ايض ودونه
أن يكون القوقاني مجوما ايض ودونه أن يكون تحت عنابي أو أما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير
طرز ولهم الطرحه وأجلهم أن يكون ايض وتحت أخضر ثم ما دون ذلك وكانت العادة أن أهبة الخطباء وهي
السواد تحمل الى الجوامع من الخزانة وهي دلق مدور وشاش أسود وطرحه سوداء وعلمان أسودان مكتوبان
بأبيض أو بذهب وقياس المبلغ قد اتم الخطيب مثل ذلك خلا الطرحه وكانت العادة اذا خلقت الاهبة المذكورة
اعيدت الى الخزانة وصرف عوضها وكانت للسلطان عادات بالخلع تارة في ابتداء سلطنته وتشمل حينئذ الخلع
سائر ارباب المملكة بحيث خلع في يوم واحد عند اقامة الاشراف كحك بن الناصر محمد بن قلاوون ألف ومائتا
تشریف في وقت لعبه بالكرة على اناس جرت عوايدهم بالخلع في ذلك الوقت كالجوكندارية والولاية ومن له
خدمة في ذلك وتارة في اوقات الصيد عند ما يسرح فاذا حصل أحد شيئا مما يصيده خلع عليه واذا
أحضر أحد اليه عز الا أو نه اما خلع عليه قباء مسجفا مما يناسب خلعة مثله على قدره وكذلك يخلع على البزدارية
وبجلة الجوارح ومن يجري مجراهم عند كل صيد وكانت العادة ايضاً أن ينعم على غلمان الطشت خاناه
والشراب خاناه والفراس خاناه ومن يجري مجراهم في كل سنة عند اوان الصيد وكانت العادة أن من يصل
الى الباب من البلاد او يرد عليه او يهاجر من مملكة أخرى اليه أن ينعم عليه مع الخلع بأنواع الادارات والارزاق
والانعامات وكذلك التجار الذين يصلون الى السلطان ويبيعون عليه لهم مع الخلع الرواتب الدائمة من الخبز
والقم والتوابل والخلوى والعليق والمساحات بنظير ~~كل~~ ما يساع من الرقيق المالك والجواري مع ما
يسامحون به ايضاً من حقوق أخرى تطلق وكل واحد من التجار اذا باع على السلطان ولورأسا واحداً من
الرقيق فله خلعة مكمله بحسبه خارجا عن الثمن وعما ينعم به عليه او يسفريه من مال السيل على سبيل القرض
ليتاجر به وأما جلالة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد المغرب فان لهم الخلع والرواتب
والعلاوقات والائزال ورسوم الاقامات خارجا عن مساحات تكتب لهم بالمقتررات عن تجارة يتجرون بها
عما اخذوه من اثمان الخيول وكان بين الفرس بأزيد من قيمته حتى ربما بلغ ثمنه على السلطان الذي يأخذه
محضره نظير قيمته عليه عشر مرات غير الخلع وسائر ما ذكره ليقوم اليوم سوى ما يخلع على ارباب الدولة وقد استجدت
في الايام الظاهرية وكثرت في ايام الناصر فرج نوع من الخلع يقال له الجبة يلبسه الوزير وشيوخه من ارباب الرتب
العالية جعلوا ذلك ترغاعا لبس الخلعة ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا المتوسطة وتجعل حوائصها بغير ذهب
فلم تزد حياصة الناصر محمد على مائة درهم فضة ولم يزد ايضاً سقط سرجه على مائة درهم فضة على عباءة صوف
تدمرى أو شامى فلما كانت دولة اولاده بالغوا في الترف والنفوا فيه عوايد أسلافهم ثم سلك الظاهر برقوق في
ملابسه بعض ما كان عليه الملوك الا كبر لا كله وترك لبس الحرير * (الميدان بالقلعة) هذا الميدان من بقايا
ميدان احمد بن طولون الذي تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم بنى الملك الكامل محمد بن
العادل أبي بكر بن أيوب في سنة احدى عشرة وستمائة وعمر الى جانبه بركا ثلاثا للبقية وأجرى الماء اليها ثم
تعطل هذا الميدان مدة فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد اهتم به ثم اهتم به الملك
الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل اهتم ما زائد اوجده له ساقية أخرى وأنشأ حوله الاشجار بجفاء من أحسن
شيء يكون الى أن مات قتلاشي امر الميدان بعده وهدمه الملك العزيز سنة احدى وخمسين وستمائة وعفت
اثاره فلما كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاوون عمارة فاقطع من باب الاصطبل
الى قريب باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت اليه الطين حتى كساه كله وزوجه وحفر به الابار

وركب عليها السواقي وغرس فيه النخل الفاخر والاشجار المثمرة وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن
وبني حوضا للسيل من خارجه فلما كمل ذلك نزل اليه ولعب فيه الكرة مع أمراءه وخلق عليهم واستقر يلعب
فيه يومى الثلاثاء والسبت وصار القصر الابلق يشرف على هذا الميدان فجاء ميدان قسيح المدي يسافر النظر
في أرجائه وإذا ركب السلطان اليه نزل من درج على قصره الجواني فنزل السلطان الى الاصطبل الخاص ثم الى
هذا الميدان وهو راكب وخواص الامراء في خدمته فيعرض الخيول في اوقات الاطلاقات ويلعب فيه
الكرة وكان فيه عدة من انواع الوحوش المستحسنة المنظر وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة للنفس وفي
هذا الميدان يصلي السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله اليه في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز
القصر غير المعتاد التزول منه فإذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاصطبل الى هذا الميدان ينزل
في دهليز سلطاني قد ضرب له على اكل ما يكون من الابهة فيصلي ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان
الكبير ويمتد به السباط ويطلع على حامل القبة والطير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكيرو كثير
من أرباب الوظائف وكانت العادة أن تعد السلطان أيضا خلعة العيد على أنه يلبسها كما كانت العادة في أيام
الخلفاء فيسبغها على بعض اكابر أمراء المؤمنين ولم يزل الحال على هذا الى أن كانت سنة ثمانمائة فصلى الملك
الظاهر برقوق صلاة عيد النحر يجامع القلعة لتخوفه بعد واقعة الامير على باي فمهر الميدان واستمرت صلاة
العيد يجامع القلعة من عامئذ طول الايام الناصرية والمؤيدية * (الحوش) ابتدئ العمل فيه على أيام الملك
الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة وكان قياسه اربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع
ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا ولا شرع في العمل رتب على كل أمير من أمراء
المؤمنين مائة رجل ومائة بيمة لنقل التراب برسم الردم وعلى كل أمير من أمراء الطبائفة مائة بيمة وتذب الامير
أقبا عبد الواحد شاد العمل فحضر من عند كل من الأمراء استاداره ومعه جنده ودوابه للعمل وأحضر
الاسارى وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس وأحضرت رجال النواحي وجلس استادار كل
امير في خيمة ووزع العمل عليهم بالانصاب ووقف الامير أقبا يستحث الناس في سرعة العمل وصار الملك الناصر
يحضر في كل يوم بنفسه فقال الناس من العمل ضرر زائد وأخرق أقبا بجماعة من امائل الناس ومات كثير
من الرجال في العمل لشدة العصف وقوة الحر وكان الوقت صيفا فاتمهي عمله في ستة وثلاثين يوما وأحضر اليه من
بلاد الصعيد ومن الوجه البحري اثني رأس غنم وكثيرا من الابقار البلق لتوقف في هذا الحوش فصار مراح
غنم ومرابط بقرو أخرى الماء الى هذا الحوش من القلعة وأقام الاغنام حوله وتبضع في كل سنة المراحات من
عذاب وقوص الى مادونها من البلاد حتى يؤخذ ما يهجمها من الاغنام المختارة وجليلها من بلاد النوبة ومن
المنين فيبلغ عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى اتباعها وبلغ البقل الأخضر الذي يشتري لفرأخ الاوز
في كل يوم خمسين درهما عن زيادة على مثقالين من الذهب فلما كملت أيام الظاهر برقوق عمل المواد
النسوية بهذا الحوش في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الاول في كل عام فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة
بهذا الحوش وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني ويليها الشيخ
المعتقد ابراهيم برهان الدين بن محمد بن يها در بن احمد بن رفاعة المغربي ويليها ولد شيخ الاسلام ومن دونه وعن
يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزري المغربي ويليها قضاة الاربعة وشيوخ العلم
ويجلس الامراء على بعد من السلطان فاذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحد بعد واحد
وهم يزيدون على عشرين منشدا فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربع مائة درهم فضة ومن كل أمير من
أمراء الدولة شقة حري فاذا انقضت صلاة المغرب مدت أسطحة الاطعمة الفاتحة فأكلت وحمل ما فيها ثم مدت
أسطحة الخلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتوكل وتحظفها النسيهات ثم يكون تكميل انشاد
المنشدين ووعظهم الى نحو ثلث الليل فاذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا أقيم السماع بقية الليل واستمر
ذلك مدة أيامه ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج

* (ذكر المياه التي بقلعة الجبل) *

وجميع مياه القلعة من ماء النيل تنقل من موضع الى موضع حتى تمر في جميع ما يحتاج اليه بالقلعة

وقد اعتنى المملوك بعمل السواقي التي تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة اثنى عشرة وسبعمائة أربع سواقي على بحر النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة وعمل نقالة من الصنع الذي عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقي الدين رجب التي بالرسيلة تحت القلعة الى بحر الاضطبل فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الاحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء الى الميدان الذي عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج في الجبل قنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولاً اثنين وأربعين ألف قصبة فميز الماء فيه من حلوان حتى يحاذي القلعة فاذا حاذى هانئ هنالك خبايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيراً كثيراً اذا تم صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يتكلف الله ونقله ثم يميز من محاذة القلعة حتى يتهى الى الجبل الاحمر فيصب من أعلاه الى تلك الارض حتى تزرع وعند ما اراد الشروع في ذلك طلب الامير سيف الدين قطلوبك بن قراستقر الجاشنكيراً أحد أمراء الطبليخاناه بدمشق بعدما فرغ من بناء القنطرة وساق العين الى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قنطرة عين بيت المقدس على خيل البريد الى قلعة الجبل فأمرهم انهم اقيم لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا الى حلوان ووزنوا بحرى الماء وعادوا الى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصدوا والتزموا بعمله فقال كم تريدون قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين فاستكثر طول المدة ويقال ان القنطرة ناظر الجيش هو الذي حسن لهم ان يقولوا هذه المدة فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج وما زال يحث للسلطان من كثرة المصروف عليه ومن خراب القنطرة ما حمله على صرف رأيه عن العمل واعاد قطلوبك والصناع الى دمشق فبات قطلوبك عقيب ذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ربيع الاول فلما كانت سنة احدى وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها لاجل سقى الاشجار وملء الفساقى ولاجل مراعات الغنم والابقار فطلب المهندسين والبنائين وزل معهم وسار في طول القنطرة التي تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القنطرة حتى تتصل بالقنطرة العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحد يجري الى القلعة فيسقى الميدان وغيره فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء أيضاً فركب ومعه المهندسون الى بركة الجيش وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وسق في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتقل الماء الى القنطرة العتيقة التي تحمل الماء الى القلعة زيادة لما تم وكان فيما بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وعدة بساين فندب الامير أقبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج وشراء الاملاك من أربابها لحفر الخليج وأجراه في وسط بستان صاحب بهاء الدين بن حنلو قطع أنشابه وهدم الدور وجمع عاتمة الحجارين لقطع الحجر ونقر الآبار وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل فعمل عرق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعرق كل بئر في الحجر أربعين ذراعاً فتهت راقته تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وانظم الخليج بعد ذلك وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الاثارة وما زالت الحائط قائمة من حجر في غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد قائم على الارض في طول الجرف الى أعلاه حتى هدمه الامير بلبغا السالمى في سنة اثنى عشرة وثمانمائة وأخذ ما كلن به من الحجر فرمى به القنطرة التي تحمل الى اليوم الماء حتى يصل الى القلعة وكانت تعرف بسواقي السلطان فلما هدمت جهل اكبر الناس أمرها ونسوا ذكرها (المطبخ) كان أولاً موضعه في مكان الجامع فأدخله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فيما زاده في الجامع وبني هذا المطبخ الموجود الآن وعمل عقودها بالحجارة خوفاً من الحريق وكانت أحوال المطبخ متسعة جداً سيما في سلطنة الاشرف خليل بن قلاوون فانه تبسط في الماء كل وغيرها حتى لقد ذكر جماعة من الاعيان انهم أقاموا مدة سفرهم معه يرسلون كل يوم عشرين درهما فيشتري لهم بها مما يأخذوه الغلمان أربع خوافق صيني مملوءة طعاماً مقفراً بالقلوبات ونحوها في كل خافقية ما ينيف على خمسة عشر رطل لحم أو عشرة أطيار دجاج سمان وبلغ راتب الخواج خاناه في أيام الملك العادل كسبغاً كل يوم عشرين ألف رطل لحم وراتب البيوت والجرايات غير أرباب الرواتب في كل يوم سبعمائة اردب قمحا واعتبر القاضي شرف الدين عبد الوهاب التشونازر الخاص أمر المطبخ السلطاني في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

فوجد عدة الدجاج الذي يذبح في كل يوم السباط والمخاض التي تخص السلطان ويبيعها الى الامراء سبع مائة
طائر وبلغ مصروف الخوايج خاناه في كل يوم ثلاثة عشر الف درهم فاكثروا ولد الناصر من مصر وفها حتى
توقفت أحوال الدولة في أيام الصالح اسماعيل وكتب أوراق يكلف الدولة في سنة خمس واربعين وسبع مائة
فبلغت في السنة ثلاثين الف درهم منها مصروف الخوايج خاناه في كل يوم اثنين وعشرون الف درهم
وبلغ في أيام الناصر محمد بن قلاوون راتب السكر في شهر رمضان خاصة من كل سنة الف قنطار ثم تزايد حتى
بلغ في شهر رمضان مئة خمس واربعين وسبع مائة ثلاثة آلاف قنطار عن اسمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف
دينار مصرية وكان راتب الدور السلطانية في كل يوم من أيام شهر رمضان ستين قنطارا من الحلوى يرسم التفرقة
للدور وغيرها وكانت الدولة قد توقفت أحوالها فوفر من المصروف في كل يوم اربعة آلاف رطل لحم وست مائة
كاجية سميد وثمينة اردب من الشعير وبلغ ألفي درهم في كل شهر وأضيف الى ديوان الوزارة سوق الخليل
والدواب والجمال وكانت بيد عدة اجناد عوضوا عن القطاعات بالنواحي واعتبر في سنة ست واربعين وسبع مائة
متحصل الخراج على الطباخ فوجد له على المعاملين في كل يوم خمسمائة درهم ولا ينفق احد في كل يوم ثمانية درهم
سوى الاطعمة المفخرة وغيرها وسوى ما كان يتعمد في له في عمل المهمات مع كثرتها ولقد تحصل له من ثمن
الروث والاكارع وسقط الدجاج والاوز في مهم عمله الامير بكثر الساقى ثلاثة وعشرون ألف درهم عنها نحو
ألفين ومائتي دينار فأوقعت الخوطة عليه وصوره فوجد له خمسة وعشرون دارا على البحر وفي عدة اما كن
واعتبر مصروف الخوايج خاناه في سنة ثمان واربعين وسبع مائة فكان في كل يوم اثنين وعشرين ألف رطل من
اللحم * (ابراج الحمام) كان بالقلعة ابراج يرسم الحمام التي تحمل البطائق وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر
في كتاب تمام الحمام الى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وست مائة ألف طائر وست مائة طائر وكان بها عدة
من المتقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ما عدا طائفة منها
فانها في برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبته الامير نحر الدين عثمان بن قزل أستاذ دار الملك
الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فان جميع الفيوم كانت في اقطاع ابن قزل
وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويعتقها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستقر هذا البرج يعرف بذلك
وكان بكل مركز حجام في سائر نواحي المملكة مصر واشاما ما بين اسوان الى القرات فلا تخصي عدة ما كان منها
في الثغور والطرق الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات وكان لها بالحل
من الاصطبلات السلطانية وجاميكات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها
من الاموال ما لا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع وية فول في كل يوم وكانت العادة أن
لا تحمل البطاقة الا في جناح الطائر لا مور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم علوا البطاقة في الذنب
وكانت العادة اذا باق من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبه بالجيزة وهي أول المراكز
واذا سرح الى الشرقية لا يطلق الا من مسجد تبر خارج القاهرة واذا سرح الى دمياط لا يسرح الا من ناحية
يسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجانداوية وكذلك كانت العادة في كل
مملكة يتوخى الابعاد في التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لا ترجع الى ابراجها من قريب وكان يعمل
في الطيور السلطانية علائم وهي داغات في أرجلها أو على مناقيرها ويسمونها ارباب المعيوب الاصطلاح وكان
الحمام اذا سقط بالبطاقة لا تقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عنابة شديدة
بالطائر حتى ان السلطان اذا كان يأكل وسقط الطائر لا يميل حتى يفرغ من الاكل بل يحمل البطاقة ويتركه الاكل
وهكذا اذا كان نائما لا يميل بل ينفه * قال ابن عبد الظاهر وهذا الذي رأينا عليه ملوكنا وكذلك في الموكب
وفي لعب الاكره لانه باهجة فيفوت ولا يستدرلك المهم العظيم اما من واصل أو هارب واما من متجدد في الثغور
قال وينبغي أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل لا يكتبون في أولها بسم الله وتؤرخ
بالساعة واليوم بالسنين وأناؤرخها بالسنة ولا يسمي في نعت الخاطب فيها ولا يذكر حشوف في اللفاظ
ولا يكتب الالب الكلام وزيدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره
او ظلب ولا يعمل البطائق هاشم ولا تجعل ويكتب آخرها حسب جلة ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل

أن تسرع إلى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتتها أحد وكل - وال فصل إليه يكتب في ظهره أنها وصلت إليه وتقلها حتى تصل محتومة قال وعماسا هذنه وتوليت أمره أنه في شهر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة حضر من جهة نائب الصببية نيف وأربعون طائر اصحبه البراجين ووصل كتابه أنه درجها إلى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تطلق فيه فقال براجوها قد أرف الوقت عليها في القرصة وجرى الحديث مع الأمير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطائفة هما وحصل الاستنزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت إلى الصببية في ذلك اليوم بعينه ويطبق بذلك في ذلك اليوم بعينه إلى دمشق ووصل الخبر إلى دمشق في يوم واحد وهذا مما أنام مصر فيه وحاضره والمشي به * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة إلا ما ينقل من قطيا إلى بليس ومن بليس إلى قلعة الجبل ولا تسلب بعد ذلك عن شيء وكفى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

* (ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل) *

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر في الملة الإسلامية على ثلاثة أقسام * القسم الأول من ولّى بفسطاط مصر منذ فتح الله تعالى أرض مصر على أيدي العرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثي عنهم وتابعيهم فصارت دار اسلام إلى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد إفريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبني القاهرة وهؤلاء يقال لهم امرأ مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة عشر يوما وأولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر اميرا * والقسم الثاني من ولّى بالقاهرة منذ بنيت إلى أن مات الامام العاضد لدين الله ابو محمد عبد الله رحمه الله وهؤلاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بمصر مائتا سنة وثمانين سنين واربعه أشهر واثنا عشر يوما وأولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وآخرها يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث من ملك مصر بعد موت العاضد إلى وقتنا هذا الذي نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة أقسام * القسم الاول ملوك بني أيوب وهم اكراد * والقسم الثاني الجبرية وأولادهم وهم مماليك أترالك لبني أيوب * والقسم الثالث مماليك أولاد الجبرية وهم حراكسة وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الامراء والخلفاء وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والأتراك والجرأكسة وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار وقد وضعت لسط ذلك كتابا بميتة كتاب السالك لمعرفة دول الملوك وحدثت تراجمهم في كتاب التاريخ الكبير المقتنى فطلبهم ما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده إلى سواهما في معناهما

* (ذكر من ملك مصر من الاكراد) *

اعلم أن الناس قد اختلفوا في الاكراد فذكر بعضهم أن الاكراد فضل طم الملك يوراسف وذلك أنه كان يأمر أن يذبح له كل يوم انسانا ويأخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحيي واحدا ويبعث به إلى جبال فارس فتوالدوا في الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داذ عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المناقضات الشيطان الذي يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه المؤمنات فعلق منه المناقضات فلما رآه الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هؤلاء الاماء الحوامل من الشيطان قال اكرادوهم إلى الجبال والاولاد يقرتهم اتهامهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدنسب الاكراد والاكراذ عند القرم من ولد كرد بن اسفندام بن منوشهر وقيل هم ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو ابن صمصمة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو بن بقاء بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بني حامد بن طازق من بقة أولاد جند بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهذه اقوال الفقههاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لمصاصار الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بتوكوران وهذيانة وبشتورية وشاخجانية وسرخجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكينكانية وچالوك وكرودينية وروادية ودسنية وهكارية وحيدية ووريجية ومروانية وجلانية وسيفكية وجوفى وترغم المروانية أنها من بني مروان

مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية أنهم من ولاد عتبة بن أبي سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر
 من الأكراد الإيبوية * (السلطان الملك الناصر صلاح الدين) * أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبي الشكر أيوب
 ابن شادي بن مروان الكردي من قبيل الروادية أحد بطون الهذلية نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه
 ببلد دوين من أرض أذربيجان من جهة أرتان وبلاد الكرج ودخل بغداد وخدم مجاهد الدين بهروز شحنة
 بغداد فبعث أيوب إلى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظا لها ومعه أخوه شيركوه وهو أصغر منه سنا فخدم أيوب
 الشهيد زندي لما نهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتركيت فطرده هو وأخوه أيوب
 من قلعتها فخصيا إلى زندي بالموصل فأواهما وأقطعهما أقطانا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا ثم انعم
 عليه بامرة وأصل شيركوه بنور الدين محمود بن زندي في أيام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين
 أيوب عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين فتمسكا في دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدي
 إلى مصر فصار صلاح الدين في خدمته من بجله إخوانه وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فاقم بعده
 في وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الآخرة سنة
 أربع وستين وخمسائة ولقبه بالملك الناصر وأزله بدار الوزارة من القاهرة فاستقال قلوب الناس وأقبل على الحد
 وترك الله ونعاضده هو والقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي رحمة الله على إزالة الدولة الفاطمية
 وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبني عدينة مصر ومدرسة للفقهاء المالكية
 ومدرسة للفقهاء الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام أصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض
 مصر ولم يزل يدأب في إزالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب لخليفة بغداد المستنصر بامر الله أبي محمد الحسن
 العباسي وكان العاضد مريضاً فمات في بعد ذلك ثلاثة أيام واستتب صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع
 وستين وخمسائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب وأخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهلهم وتأهب لغزو
 الفرنج وسار إلى الشوبك وهي بيد الفرنج فواقعهم وعاد إلى أيلة فنجى الزكوات من أهل مصر وفرقها على
 أصنافها ورفع إلى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفين وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين وأزل الغز بالقصر
 الغربي وأحاط بأموال القصر وبعث بها إلى الخليفة ببغداد وإلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زندي
 بالشام فأنته الخلع الخليفة قلبسها ورتب نوب الطبخانة في كل يوم ثلاث مرات ثم سار إلى الإسكندرية
 وبعث ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر إلى برقة وعاد إلى القاهرة ثم سار في سنة
 ثمان وخمسين إلى الكرك وهي بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك العظيم شمس الدولة توران شاه
 ابن أيوب إلى بلاد النوبة فأخذ قلعة أبريم وعاد ببغداد وسبى كثير ثم سار لاخذ بلاد اليمن فملك زيد وغيره أهلها
 مات نور الدين محمود بن زندي فوجه السلطان صلاح الدين في أول صفر سنة سبعين إلى الشام وملك دمشق
 بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما أبطلها من ديار مصر وأخذ حصن وحماه وحاصر حلب وبها الملك
 الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زندي فقاتله أهلها قتالا شديداً ففرحل عنها إلى حصن
 وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد إلى حلب فوقع الصلح على أن يكون له ما يده من بلاد الشام مع المعركة وكفرطاب
 وأهلهم ما بأيديهم وعاد فأخذ بغزاس بعد حصاره وأقام بدمشق ونذب قراقوش التقوى لاخذ بلاد المغرب فأخذ
 أيجلن وعاد إلى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمتهم فيها وحصرهم بحلب أياماً وأخذ بزاعة
 ومنيع وعزاز ثم عاد إلى دمشق وقدم القاهرة في سادس عشر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين بعدما كانت
 لعساكر حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بناءه الأمير بهاء
 الدين قراقوش الأسدي فشرع في بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل
 مدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضي الله عنه في القرافة وعمل مارساتاً بالقاهرة وتوجه إلى الإسكندرية
 فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبي طاهر أحمد السلقى وعمر الأسطول وعاد إلى القاهرة وأخرج
 قراقوش التقوى إلى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألفي
 دينار وألف أردب غلة سوى أقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف أردب ثم سار من القاهرة
 في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين إلى عسقلان وهي بيد الفرنج وقتل وأسرو سبى وغنم ومضى يريد بهم بالرملة

فقاتل البرنس ارباطم تلك الكرك قنالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها في شعبان يريد القريج وقد نزلوا على حياه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد القريج وعساكره تغزوا بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفدوا خذ من القريج عنوة وسار في سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين فليج ارسلان صاحب قونية من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فغزب حصن بهنسا ومضى الى القاهرة فقدمها في ثالث عشر شعبان ثم خرج الى الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبي طاهر بن عوف وأنشأ بها ماستانا ودارا للمغاربة ومدرسة وجدد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الى دمياط وعاد الى القاهرة ثم سار في خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة قاغار على بلاد القريج ومضى الى الكرك فعانت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من القريج ونزل السلطان بدمشق وركب الى طبرية فواقع القريج وعاد فتوجه الى حلب ونازلها ثم مضى الى البيرة على الفرات وعذى الى الرها فأخذها وملك حران والركة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضا فنزل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حران الى آمد فأخذها وسار على عين تاب الى حلب فملكها في ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاران وحرق بيسان على القريج وخرب اهرم عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضا وعاد ثم خرج في سنة ثمانين من دمشق فنزل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فخرقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حمه ومضى حتى بلغ حران ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتى أخذ مياقارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حران فقتل الصلح مع المواصله على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الى دهشق فقدمها في ثاني ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها في أول سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية في ثالث عشر ربيع الآخر من القريج ثم واقعهم على حطين وهم في خمسين ألفا فهزمهم بعد وقائع عديدة وأسر منهم عدة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها في ثاني جادى الاولى وأتقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدلا فافا وعدة حصون منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصغورية والشقيف والنولة والطور وسبسطيه ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأتقذ من هذه البلاد زيادة على عشر بن ألف أسير مسلم كانوا في أسر القريج وأسر من القريج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح بيت المقدس في يوم الجمعة سابع عشر رجب وأخرج منه ستين ألفا من القريج بعدما أسر ستة عشر ألفا ما بين ذكر وأنثى وقبض من مال المصاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبني بالقدس مدرسة للشافعية وقرر على من يرد كنيسة قمامة من القريج قطيعة يؤذيها ثم نازل عكا وصور ونازل في سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها في هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة ايام ثم خرج منها بعد خمسة ايام فشن الغارات على القريج وأخذ منهم أنطرسوس وخرب سورها وخرقها وأخذ جبله واللاذقية وصهيون والشغروبكاس وبقراص ثم عاد الى دمشق آخر شعبان بعد ما دخل حلب فملك عساكره الكرك والشوبك والسلع في شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من القريج في رابع عشر شوال وملك كوكب في نصف ذى القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها في ثالث ربيع الاول ونازل شقيف أرنون وحارب القريج حروبا كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل القريج عليها وحصرها ومن بها من المسلمين قتل بجمع عكا وقاتل القريج من أول شعبان حتى انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية في زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتد الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخرزوبة على حصار القريج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فغزب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوى القريج بقدم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقدمات ابوه بطرسوس وملك بعده فقد رآه الله تعالى موته أيضا على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك القريج عكا في سابع عشر جادى الآخرة وأسر وامن بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فدخل السلطان في آخرهم وواقعهم بأرسوف فانهزم

من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها
 وخرب كنيسة له ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب
 وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة اشهر اولها حادى عشر شعبان على
 أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودي بذلك فكان يوم ما شهدوا عواد السلطان الى
 دمشق فدخلها خامس عشرى شوال وقد غاب عنها أربع سنين فبات بها في يوم الاربعاء سابع عشرى صفر
 سنة تسع وثمانين وخسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة
 وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين ابو القحح عثمان) * وقد كان يومئذ
 ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر رأيه من الاسدية والسلاجية
 والاكراد فأتاه بمن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير نجر الدين جهار كس والامير فارس الدين ميمون
 القصرى والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضي الفاضل
 فبالغ في كرامته وتشكر ما بينه وبين أخيه الافضل فنسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل
 أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانيا الى دمشق
 فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بليس فجرت
 أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الافضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير أمور
 الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصره بدمشق حتى أخذها منه بعد حروب وبغناء الى صرخد وعاد العزيز
 الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز في ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخسمائة عن
 سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهر او احدا فاقم بعده ابنه * (السلطان
 الملك المنصور ناصر الدين محمد) * وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بأمور الدولة بهاء الدين قراقوش
 الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد في
 خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب
 يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الأمراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل
 دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار يريد حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل
 الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل في أثره وواقعه على بليس ففكسه في سادس ربيع
 الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة في يوم
 السبت ثامن عشره وأقام بأتابكية المنصور ثم خلعه في يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة
 وثمانية اشهر وعشرين يوما واستبدت بالسلطنة بعده عم أبيه * (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد
 ابن أيوب) * فخطب له بدار مصر وبلاد الشام وخزان والرها ونيافارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة
 الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمد عنه وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الأمراء فسكن قلعة الجبل
 واستمر أبوه في دار الوزارة وفي أيامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع
 وشرفت أراضي مصر الا الاقل وغلت الاسعار وتعدرو وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى أكل الناس
 بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفه العادل وحده من الاموات
 في مدة يسيرة نحو مائتي ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شديعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين
 في سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعادوا
 الحرب في سنة ست مائة وعزموا على أخذ القدس وكثير عيشتهم وفسادهم وكانت لهم والمسلمين شؤون آلت الى
 نزولهم على مدينة دمياط في رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وسقانة والعادل يومئذ بالشام فخرج
 الملك الكامل لمحاربتهم فبات العادل بمرج الصفر في يوم الخميس سابع حادى الاخرة منها وحل الى دمشق فكانت
 مدة سلطنته بدار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه * (السلطان
 الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد) بعهد أبيه فأقام في السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما
 ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وسقانة * واقم بعده ابنه * (السلطان

الملك العادل سيف الدين أبوبكر فاشتغل باللهو عن التدبير وخرجت عنه حلب واستوحش منه الامراء
 لتقريبه الشباب وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق الى دمشق وأخذها في أول جادى
 الاولى سنة ست وثلاثين وجرى له أمور آخرها انه سار الى مصر فقبض الامراء على العادل وخلعوه يوم الجمعة
 ثامن ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسمائة فكانت سلطنته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام * وقام بعده
 بالسلطنة أخوه (السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو القشوح أيوب) فاستولى على قلعة الجبل في يوم الاحد
 رابع عشر ذى القعدة وجلس على سرير الملك به ما كان قد خطب له قبل قدومه فضبط الاسور وقام باعباء
 المملكة أتم قيام وجع الاموال التي اتلفها أخوه وقبض على الامراء وقطر في عارة أرض مصر وحارب عربان
 الصعيد وقدم بمالكة وأقامهم أمراء وبني قلعة الروضة وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنهم املك مكة وبعث
 لغزو اليمن وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقربها دروساً أربعة للشافعية والحنفية
 والمالكية والحنابلة وفي ايامه نزل الفريخ على دمياط في ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين وعلّم الملك
 رواد فرس وملايكوها وكان السلطان بدمشق قد قدم عند ما بلغه حركة الفريخ ونزل اشهر طناح وهو مريض
 فمات بناحية المنصورة مقابل الفريخ في يوم الاحد رابع عشر شعبان منه وكانت مدة سلطنته بعد أخيه تسع
 سنين وثمانية اشهر وعشرين يوماً فقامت أم ولده خليل واسمها شجرة الدر بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه
 توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور * فقام من بعده ابنه (السلطان الملك المعظم
 غياث الدين توران شاه) وقد سار من حصن كيفا في نصف شهر رمضان فخر على دمشق وتسلطن بقلعتها في يوم
 الاثنين للثلاثين بقيت سامنه وركب الى مصر فزل الصالحية طرف الرمل لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فأعلن
 حينئذ موت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتقوه بموت السلطان بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل
 بالدهليز والسماط يد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد عليه سبيل ولا
 وصول ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة فقدمها يوم الخميس حادى عشرى فأساءت تدبير نفسه وتمتد
 البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوماً في يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة
 ثمان وأربعين وسمائة وبموته انقضت دولة بني أيوب من ديار مصر بعدما أقامت إحدى وثمانين سنة وسبعة
 عشر يوماً وملك منهم ثمانية ملوك

* (ذكر دولة المماليك البحرية) *

وهم الملوك الاتراك وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أقره أبوه
 السلطان الملك الكامل محمد بلاد الشرق وجعل ابنه العادل أبابكر ولي عهده في السلطنة بتصر فلأمات قام من
 بعده العادل في السلطنة وتنكر ما بينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبي بكر
 ابن أيوب وهو نائب دمشق فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ورتب ابنه المعظم توران شاه على
 بلاد الشرق وأقره بحصن كيفا وقدم دمشق وملكها فكتبه أمراء مصر تحته على أخذها من أخيه العادل
 وخامر عليه بعضهم فسار من دمشق في رمضان سنة ست وثلاثين فأنزعج العادل انزعاجاً كبيراً وكتب الى الناصر
 داود صاحب الكرك فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح فاتفق مسير الملك الصالح اممعايل بن العادل أبي
 بكر بن أيوب من حماه وأخذ دمشق للملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد في سابع عشرى صفر سنة
 سبع وثلاثين والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس فأنجل أمره وفارقه من معه حتى لم يبق معه
 الا مماليكه وهم نحو الثمانين وطائفة من خواصه نحو العشرين وأما الجميع فاتهم مضوا الى دمشق وكان
 الناصر داود قد فارق العادل وسار من القاهرة مغاضباً الى الكرك ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب
 وقبضه بنابلس في ثاني عشر ربيع الاول منها وبعثه بالكرك فأقام ممالك الصالح بالكرك حتى خلاص من سجنه
 في سابع عشرى شهر رمضان منها فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكاتهم عنده وكان من أمره ما كان
 حتى ملك مصر فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الاكرادوا أكثر من شرائهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته
 وبطائنه والمحيطين بدهليزه اذا سافروا معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية وكانوا دون الالف مملوك
 قبل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون كلهم اترك فلأمات الملك الصالح بالمنصورة أحسن الفريخ بشئ من ذلك

فركبوا من مدينة دمياط وساروا على فارسكور وواقعوا العسكر في يوم الثلاثاء أول شهر رمضان سنة سبع وأربعين ونزلوا بقرية شرمشاح ثم بالبرمون ونزلوا باتجاه المنصورة فكانت الحروب بين الفريقين إلى خامس ذي القعدة فلم يشعر المسلمون إلا والفرنج معهم في العسكر فقتل الأمير نضر الدين بن شيخ الشيوخ وانهزم الناس ووصل رواد فرنس ملك الفرنج إلى باب قصر السلطان فبرزت البحرية وجعلوا على الفرنج حملة منكرة حتى أراحوهم وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس وقتل من أعيانهم ألف وخمسمائة فظهرت البحرية من يومئذ واشتهرت ثم لما قدم الملك المعظم نوران شاه أخذ في تهديد شجرة الدر ومطالبتها بمال إليه فكانت البحرية تذكروهم بما فعلته من ضبط المملكة حتى قدم المعظم وما هي فيه من الخوف منه فشق ذلك عليهم وكان قد وعد الفارس إقطاي المتوجه إليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بامر فلم يف له فتكره وهو من أكابر البحرية وأعرض مع ذلك عن البحرية واطرح جانب الأمراء وغيرهم حتى قتلوه * وأجمعوا على أن يقيموا بعد في السلطنة سرية أسأذهم * (الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية) * فأقاموها في السلطنة وحلفوا لها في عاشر صفر ورتبوا الأمير عز الدين أيك التركماني الصالحى أحد البحرية مقدم العسكر وسار عز الدين أيك الرومى من العسكر إلى قلعة الجبل وأنهى ذلك إلى شجرة الدر فقامت بتدبير المملكة وعلمت على التواقيع بما مثاله والددة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والددة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك رواد فرنس بعد ما قرر على نفسه أربع مائة ألف دينار وعاد العسكر من المنصورة إلى القاهرة في تاسع صفر وحلفوا شجرة الدر في ثالث عشره فخلعت عليهم وأنفقت فيهم الأموال ولم يوافق أهل الشام على سلطتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار إليهم بدمشق وملكها فازرعج العسكر بالقاهرة وتزوج الأمير عز الدين أيك التركماني بالملكة شجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما ملك بعدها * (السلطان الملك المعز عز الدين أيك الجاشنكير التركماني الصالحى) * أحد المماليك الأتراك البحرية وكان قد انتقل إلى الملك الصالح من أولاد ابن التركماني فعرف بالتركماني ورفاه في خدمه حتى صار من جلة الأمراء ورتبه جاشنكيره فلما مات الصالح وقدمته البحرية عليهم في سلطنة شجرة الدر كتب إليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذتهم على إقامة امرأته ووافق مع ذلك أخذ الناصر لدمشق وحركتهم لمحاربته فوقع الاتفاق على إقامة أيك في السلطنة فأركبوه بشغار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسقانة ولقبوه بالملك المعز وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل فورد الخبر من الغد بأخذ الملك المغيث عمر بن العادل الصغير الكركلى والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصيبية فاجتمع رأى الأمراء على إقامة الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر ويقال المسعود يوسف بن الملك المسعود يوسف ويقال طسر ويقال أيضا قيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب شريك المعز في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين في خامس جمادى الأولى وصارت المراسم تبرز عن الملكين الآن الأمر والنهي للمعز وليس للأشرف سوى مجرد الاسم وولى المعز الوزارة لشرف الدين أبي سعيد هبة الله بن مساعد القانزى وهو أول قطي ولى وزارة مصر وخرج المعز بالعساكر وعربان مصر لمحاربة الناصر يوسف في ثالث ذي القعدة وخيم بمنزلة الصالحية وترك الأشرف بقلعة الجبل واقتتل مع الناصر في عاشره فكانت النصره على الناصر وعاد في ثاني عشره قتل بالناس من البحرية بلاء لا يوصف ما بين قتل وتهب وسبي بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر ما زادوا في الفساد على ما فعله البحرية وكان كبارهم ثلاثة الأمير فارس الدين إقطاي وركن الدين بيبرس البندقدارى وبلبان الرشيدى ثم في محرم سنة تسع وأربعين خرج المعز بالأشرف والعساكر فقتل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردد بينه وبين الناصر وأحدث الوزير الأسعد هبة الله القانزى مظالم لم تعهد بمصر قبله فورد الخبر في سنة خمس مائة بحركة التتر على بغداد فقطع المعز من الخطبة اسم الأشرف وانفرد بالسلطنة وقبض على الأشرف وسجنه وكان الأشرف موسى آخر ملوك بني أيوب بمصر ثم ان المعز جمع الأموال فأحدث الوزير مكوسا كثيرة سماها الحقوق السلطانية وعاد المعز إلى قلعة الجبل في سنة إحدى وخمسين وأوقع بعرب الصعيد وقبض على الشريف حصن الدين ثعلب بن ثعلب وأذل سائر عرب الوجهين القبلي والبحري وأفناهم قتلا وأسرا وسيبوا وزاد في القطيعة

على من بقي منهم حتى ذلوا وقلاوا ثم قتل الفارس اقطاعي فتر منه معظم البحرية ببيرس وقلاون في عدد كثير منهم الى الشام وغيرها ولم يزل الى أن قتله شجرة الدر في الحمام ليلة الاربعاء رابع عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما وكان ظلوما غشوما سافكا كالدماء افنى عوالم كثيرة بغير ذنب وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيك) * في يوم الخميس خامس عشر ربيع الاول وعمره خمس عشرة سنة فدير أمره نائب ابيه الامير سيف الدين قطز ثم خلعه في يوم السبت رابع عشر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة فكانت مدته سنتين وثمانية اشهر وثلاثة ايام وقام من بعده * (السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز) * في يوم السبت وأخرج المنصور بن المعز منفيها هو وأمه الى بلاد الاشكري وقبض على عدة من الامراء وسار فأوقع بجمع هولاء كوعلى عين جالوت وهزمهم في يوم الجمعة خامس عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وقتل منهم وأسر كثيرا بعد ما مله كوابعداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله وأزالوا دولة بنى العباس وخزبوا بغداد وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فلكوها فكانت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت للتر منذ قاموا ودخل المظفر قطز الى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الامير ركن الدين ببيرس البندقداري قريبا من المنزل الصالحية في يوم السبت نصف ذي القعدة منها فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما وقام من بعده * (السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح ببيرس البندقداري الصالح) * التركي الجنس أحد المماليك البحرية وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل في سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين فلم يزل حتى مات بدمشق في يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ست وسبعين وستمائة فكانت مدته سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد بركة خان) * وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه وقد عهد اليه بالسلطنة وزوجه بآبنة الامير سيف الدين قلاون الثاني فجلس على التخت في يوم الخميس سادس عشر صفر سنة ست وسبعين الى أن خلعه الامراء في سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وكانت مدته سنتين وشهرين وثمانية ايام لم يحسن فيما تدبير ملكه وأوحش ما بينه وبين الامراء فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر ببيرس) * وعمره سبع سنين وأشهر وقام بتدبيره الامير قلاون اتابك العساكر ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به الى الكرك فمجن مع أخيه بركة بها وقام من بعده * (السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الثاني العلائي الصالح) * أحد المماليك الاتراك البحرية كان قبيحا في الجنس من قبيلة مزح اغلي فحلب صغيرا واشتراه الامير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلي بألف دينار وصره بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة سبع وأربعين وستمائة فجعله من جملة البحرية فنقلت به الاحوال حتى صار اتابك العساكر في ايام العادل سلامش وذكر اسمه مع العادل على المنابر ثم جلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وتلقب بالملك المنصور وأبطل عدة مكوس فثار عليه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن ولقب نفسه بالملك الكامل في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فبعث اليه وهزمه واستعاد دمشق ثم قدمت التتار الى بلاد حلب وعانوا بها فتوجه اليهم السلطان بعساكره وأوقع بهم على حص في يوم الخميس رابع عشر رجب سنة ثمانين وستمائة وهزمهم بعد مقتله عظيمة وعاد الى قلعة الجبل وتوجه في سنة اربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما وأخذ عنوة من الفرنج وعاد الى القلعة ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة في سنة سبع وثمانين وعاد بغنائم كثيرة ثم سار في سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس فنزلها أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عنوة في رابع ربيع الآخر وهدمها جميعا وأنشأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن وعاد الى قلعة الجبل وبعث لغزو النوبة ثانيا عسكر اقتلوا وأسروا وعادوا ثم خرج لغزو الفرنج بهكنا وهو مريض فمات خارج القاهرة ليلة السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل) * في يوم الاحد سابع ذي القعدة المذکور وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى وهدمها

كلها بما فيها وحرقها وأخذ صور وحيفا وعنتيت وانطرسوس وصيدا وهدمها وأجلى الفريخ من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وتوجه الى دمشق وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة بعدما نادى بالفتنة للجهاد فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فخر على حلب ونازل قلعة الروم ونصب عليها عشرين من جندها حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة وقتل من بها من النصاري الارمن وسبى نساءهم وأولادهم وسماها قلعة المسلمين فعرفت بذلك وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة وسار في رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ونادى فيها بالجهاد لغزو اليمن وعاد ثم سار محققا على الهجن في البرية الى الكرك ومضى الى دمشق فقدمها في تاسع جادى الآخرة وقصد غزوه بنسأ وأخذها من الارمن فقدموا اليه وسلوها من تلقاء انفسهم وسلوا أيضا مصر عس وتل حمدون ومضى من دمشق في ثاني رجب وعبر من حص الى سليمة وهجم على الامير مهناب عيسى وقبضه واخوته وطلهم في الحديد الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق ثم رجع الى مصر فقدم قلعة الجبل في ثامن عشرين رجب ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة وانفر في نفر يسير ليصطاد فاقحم عليه الامير بيدار في عدة معه وقتلوه في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة ايام ثم حمل ودفن بمدرسة الاشرفية واقام من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون) * وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كيتباي بديرة ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة ايام وقام من بعده * (السلطان الملك العادل زين الدين كيتباي المنصورى) * أحد ممالك الملك المنصور قلاوون وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة اربع وتسعين وتلقب بالملك العادل فكانت ايامه ثم ايام لما فيها من قصور ومد النبل وغلاء الاسعار وكثرة الوباء في الناس وقدم الاورانية فقام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء في يوم الاثنين ثامن عشرين المحرم سنة ست وتسعين ففر الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما وقدم لاجين بالعسكر الى مصر وقام في السلطنة * (السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) * أحد ممالك المنصور قلاوون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في يوم الاثنين ثامن عشرين المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوت فرقت القلوب عنه حتى قتل في ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ودبر الامراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثانية في يوم الاثنين سادس جادى الاولى وقام بتدبير الامور الاميران سلا رناب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أستاذار حتى سار كانه يريد الحج فضى الى الكرك وانخلع من السلطنة فكانت مدته تسع سنين وستة اشهر وثلاثة عشر يوما فقام من بعده * (السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير) * أحد ممالك المنصور قلاوون في يوم السبت ثالث عشرين ذي الحجة سنة ثمان وسبعمائة حتى فر من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة فكانت مدته عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ثم قدم من الشام في العساكر * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثالثة في يوم الخميس ثاني شوال منها فاستبد بالامر حتى مات في ليلة الخميس حادى عشرين ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكانت مدته الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية على أبيه واقام بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر) * بعهد أبيه في يوم الخميس حادى عشرين ذي الحجة وقام الامير قوصون بتدبير الدولة ثم خلعه بعد تسعة وخمسين يوما في يوم الاحد لعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأقام بمده أخاه * (السلطان الملك الاشرف علاء الدين بك بن الناصر محمد بن قلاوون) * ولم يكمل له من العمر ثمان سنين فتكرت قلوب الامراء على قوصون وحاربوه وقبضوا عليه كما ذكر في ترجمته وخلعوا الاشرف في يوم الخميس أول شعبان فكانت مدته خمسة اشهر وعشرة ايام وقام الامير أيد غمش بامر الدولة وبعث يستدعى من بلاد الكرك * (السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون) * وكان مقبلا بقلعة الكرك من ايام أبيه فقدم على البريد في عشرة من اهل الكرك ليلة الخميس ثامن عشرين شهر رمضان وعبر الدور من قلعة

الجبل بمن قدم معه واحتجب عن الامراء ولم يخرج لصلاة العيد ولا حضر السباط على العادة الى أن ايس
شعار السلطنة وجلس على التخت في يوم الاثنين عاشر شوال وقلوب الامراء نائرة منه لاعراضه عنهم فسات
سيرته ثم خرج الى الكرك في يوم الاربعاء ثاني ذى القعدة واستخلف الامير آق سنقر السلاوي نائب الغيبة
فلما وصل قبة النصر نزل عن فرسه ولبس ثياب العرب ومضى مع خواصه أهل الكرك على البريد وترك الاطلاب
فسارت على البر حتى واقفه بالكرك فرد العسكر الى بلد الخليل وأقام بقلعة الكرك ونصرف اقيم تصرف
نخله الامراء في يوم الاربعاء حادي عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة اشهر وثلاثة عشر
يوماً واقاموا بعده أخاه * (السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل) * في يوم الخميس ثاني عشر المحرم
المذكور وقام الامير ارغون زوج أخته بتدبير المملكة مع مشاركة عدة من الامراء وسارت الامراء والعساكر
اقتال الناصر أجد في الكرك حتى أخذ وقتل فلما حضرت رأسه الى السلطان الصالح ورآها فزع ولم يزل يعتاده
المرض حتى مات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة فكانت مدته ثلاث سنين
وشهرين وأحد عشر يوماً وقام بعده أخوه * (السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان) * بعهد أخيه
وجلس على التخت من غداً وحش ما بينه وبين الامراء حتى ركبوا عليه فركب لقتالهم فلم يثبت من معه وعاد
الى القلعة منهم ما قبعه الامراء وخلعوه وذلك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين
وسبع مائة فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً فاقم بعده أخوه * (السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي) *
من يومه فسات سيرته وانهمك في اللعب فركب الامراء عليه فركب اليهم وحاربهم فخافه من معه وتركوه حتى أخذ
وذبح في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مائة وكانت مدته سنة وثلاثة اشهر واثنى عشر
يوماً واقم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد) * في يوم الثلاثاء
رابع عشر وعمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من الامور شيء والقائم بالامر الامير شيخو العمرى فلما أخذ
في الاستبداد بالتصرف خلع وسجن في يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين فكانت
مدته أربع سنين تقص خمسة عشر يوماً منها تحت الحجر ثلاث سنين ونصف ومدة استبداده نحو من تسعة اشهر
واقم من بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح) * في يوم الاثنين المذكور فكثير له وخرج
عن الحد في التبدل واللعب فثار عليه الاميران شيخو وطاز وقبضوا عليه وسجنوا بالقلعة في يوم الاثنين ثاني شوال
سنة خمس وخمسين وسبع مائة فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وأعيد * (السلطان الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاون) * في يوم الاثنين المذكور فأقام حتى قام عليه مملوكه الامير يلغا الخاصكي وقتله في ليلة
الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة اثنين وستين فكانت مدته هذه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام واقم
من بعده ابن أخيه * (السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون) * وعمره أربع
عشرة سنة في يوم الاربعاء المذكور وقام بالامر الامير يلغا ثم خلعه وسجنه بالقلعة في يوم الاثنين رابع عشر شعبان
سنة أربع وستين وسبع مائة واقام بعده * (السلطان الملك الاشرف زين الدين ابوالمعالي شعبان بن حسين
ابن الناصر محمد بن المنصور قلاون) * وعمره عشر سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان المذكور ولم يل من بني
قلاون من أبوه لم يتسلطن سواه فأقام تحت حجر يلغا حتى قتل يلغا في ليلة الاربعاء عاشر ربيع الآخر سنة ثمان
وستين وسبع مائة فأخذ يستبد بملكه حتى انفرد بتدبيره الى أن قتل في يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ثمان
وسبعين وسبع مائة بعد ما اقيم بدله ابنه في السلطنة فكانت مدته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوماً فقام
بالامر ابنه * (السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين) * وعمره سبع سنين في يوم السبت
ثالث ذى القعدة المذكور وأبوه حتى فلم يكن حظه من السلطنة سوى الاسم حتى مات في يوم الاحد ثالث عشر
صفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة فكانت مدته خمس سنين وثلاثة اشهر وعشرين يوماً فاقم بعده أخوه
* (السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي) * في يوم الاثنين رابع عشر صفر المذكور فقام بأمر الملك وتدبير
الامور الامير الكبير برقوق حتى خلعه في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة فكانت
مدته سنة وشهرين نقصان أربعة ايام وبه انتقلت دولة المماليك البحرية الاثر الزوال ولادهم ومدتهم مائة وست
وثلاثون سنة وسبعة اشهر وتسعة ايام أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وست مائة وآخرها يوم الثلاثاء

ثمان عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعقدتهم اربعة وعشرون ذكرا ما بين رجل وصبي وامرأة واحدة وأولهم امرأة وآخرهم صبي ولما أقيم الناصر حسن بعد أخيه المظفر حاجي طلب الممالك الجراكسة الذين قربهم المظفر سفارة الامير أغرلوقا فانه كان يدعى انه كان حركسي الجنس وجلبهم من أماكن حتى ظهر وافي الدولة وكبرت عمايتهم وكلفتهم فأخرجوا منفين أنحس خروج فقد مواعلي البلاد الشامية والله تعالى اعلم

* (ذكر دولة الممالك الجراكسة) *

وهم واللاض والروس أهل مدائن عامرة وجبال ذات اشجار ولهم اغانم وزروع وكلهم في مملكة صاحب مدينة سراي قاعدة خوارزم وملوك هذه الطوائف الملك سراي كلالمة فان داروه وهادوه كفت عنهم والاغزاهم وخصرهم وكم مرة قتلت عساكرهم منهم خلائق وسبت نساءهم وأولادهم وجلبتهم رقيقا الى الاقطار فأكثرت المنصور قلاون من شرائهم وجعلهم بوطائفة اللاض جميعا في ابراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وعمل منهم اوشاقية وجقدارية وجاشنة كبيرة وسلاحدارية وأولهم * (السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنص) * أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم فجلبه خواجا نغر الدين عثمان بن مسافر الى القاهرة فاشتراه منه الامير الكبير بلبغا الخاصكي وأعتمقه وجعله من جلة عماليكه الاجلاب فعرف ببرقوق العمالي فمات قتل بلبغا فخرج الملك الأشرف الاجلاب من مصر فسار منهم برقوق الى الكرك فقام في عتبة منهم مسجونانها عدة سنين ثم أفرج عنه وعن كان معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام حتى طلب الأشرف البلبغاوية فقدم برقوق في جلته ثم واستقر في خدمة وتلى السلطان علي وجايج مع من استقر من خشداشيتة فمضوا بالبلبغاوية الى أن خرج السلطان الى الحج فثاروا بعد سفره وسلطنوا اليه عليا وحكم في الدولة منهم الامير قرطاي الشهابي فثار عليه خشداشيتة أينك البدرى فأخرجه الى السلم وقام بعده بتدبير الدولة وخرج الى الشام فثار عليه البلبغاوية وفيهم برقوق وقد صار من جلة الامراء فعاد قبل وصوله بلبس ثم قبض عليه وقام بتدبير الدولة غير واحد في أيام بسيرة فركب برقوق في يوم الاحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة في طائفة من خشداشيتة وهجم على باب السلسلة وقبض على الامير بلبغا الناصري وهو القائم بتدبير الدولة وملك الاصطبل وما زال به حتى خلع الصالح حاجي وتسلطن في يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقت الظهر فغير العوايد وأفنى رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة الى أن ثار عليه الامير بلبغا الناصري وهو يومئذ نائب حلب وسار اليه فقتل من قلعة الجبل في ليلة الثلاثاء خامس جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وملك الناصري القلعة وأعاد الصالح حاجي ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه الى الكرك فسجنه بها فثار الامير منطاش على الناصري وقبض عليه وسجنه بالاسكندرية وخرج يريد محاربة برقوق وقد خرج من سجن الكرك وسار الى دمشق في عسكر فخار به برقوق على شقيب ظاهر دمشق وذلك مامعه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجي والقضاة وساروا الى مصر فقدمها يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنين وتسعين واستقبلت بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للتصيف من شوال سنة احدى وثمانمائة فكانت مدته اثنا عشر يوما واحدا وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما خلع فيها ثمانية اشهر وتسعة ايام وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج) * في يوم الجمعة المذكور وعمره نحو العشر سنين فدير أمر الدولة الامير الكبير ايتش ثم ثار به الامير يشبك وغيره فقتل في الشام وقتل بها ولم تزل ايام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرو والغلاء والوباء وطرق بلاد الشام فيها الامير تيمورلنك فخر بها كلها وحرقها وعماها بالقتل والتهب والاسر حتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتعزق أهلها في جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جرادل يتركها خضرا فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها وشنع موتهم واستقرت بها مع ذلك الفتن وقصر مدة النيل بمصر حتى شرفت الاراضي الاقلية وعظم الغلاء والفناء فباع أهل الصعيد وأولادهم من الجوع وصاروا أرقاء بملاكين وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجندال الى حيث يجري الفرات وابتلى مع ذلك بثلاثة فتن الاميرين نوروز الحاقطي وشيخ المهودي وخروجهما ببلاد

الشام عن طاعته فتردد لحوار بينهما اراحتي هزماه ثم قتلاه بدمشق في ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فكانت مدته منذ مات أبوه الى أن قتر في يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واخفى وأقيم بعده أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما وأقام الناصر في الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة واستولى على قلعة الجبل واستنبد بملكه أقيع استبداد الى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهم ما على اللجون في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة فانهزم الى دمشق وهما في اثره وقد صار الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشر والدولة قنزل على دمشق وحصره ثم ألزما الخليفة بخلعه من الساطنة فلم يجد بدا من ذلك وخلعه في يوم السبت خامس عشر ربيع ووفى بذلك في الناس فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة أشهر سوا وأقيم من بعده * (الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسي) * وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بني العباس لما قتله هولاء كور ابن تولى بن جنك كور خان في صفر سنة ست وخسين وستمائة ببغداد وملت الديار من خليفة وصار الناس يغير امام قرشي الى سنة تسع وخسين فقدم الامير أبو القاسم احمد بن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الخليفة الناصر العباسي من بغداد الى مصر في يوم الخميس تاسع رجب منها فركب السلطان الملك الظاهر ببرس الى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس وتلقب بالمستنصر ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل في محاربتهم لايام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته قريبا من سنة ثم قدم من بعده الامير أبو العباس احمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر من ذرية الخليفة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد في سابع عشر ربيع الاول فأنزله السلطان في برج قلعة الجبل وأجرى عليه ما يحتاج اليه ثم بايعه في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين بعدما ثبت نسبه على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ولقبه بالحاكم بأمر الله وبايعه الناس كافة ثم خطب من الغد وصلى بالناس الجمعة في جامع القلعة ودعى له من يومئذ على منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ثم خطب له على منابر الشام واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء وما زال بالبرج الى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس في المحرم سنة ثلاث وستين فاحتجب وصار كالسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر ببرس وأيام ولديه محمد بركة وسلامش وأيام قلاون فلما صارت السلطنة الى الاشرف خليل بن قلاون أخرجه من سجنه مكرما في يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين وستمائة وأمره فصعد منبر الجامع بالقلعة وخطب وعليه سواده وقد تقلد سيفا محلي ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وخطب أيضا خطبة ثالثة في يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ورج سنة أربع وتسعين ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتى افرج عنه المنصور لاجين في سنة ست وتسعين وأسكنه بمنظر الكباش وأنعم عليه بكسوة له ولعياله وأجرى عليه ما يقوم به وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة وصلى بالناس الجمعة ثم حج سنة سبع وتسعين وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة فكانت خلافته مدة اربعين سنة ليس له فيها امر ولا نهى انما حفظه أن يقال أمير المؤمنين وكان قد عهد الى ابنه الامير أبي عبد الله محمد المستمسك ثم من بعده لاخيه أبي الربيع سليمان المستكن في ذات المستمسك في حياته واشتد جرحه عليه فعهد لابنه ابراهيم ابن محمد المستمسك فلما مات الحاكم اقيم من بعده ابنه المستكن بالله أبو الربيع سليمان بعهد له فشهد وقعة شقيب مع الملك الناصر محمد بن قلاون وعليه سواده وقد أرخى له عذبة طويلة وتقلد سيفا غير محلي ثم تنكر عليه وسجنه في برج بالقلعة نحو خمسة أشهر وأفرج عنه وأنزله الى داره قريبا من المشهد النفيسي بترية شجرة الدر فأقام نحو ستة أشهر وأخرجه الى قوص في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقطع راتبه وأجرى له بقوص ما يتقوت به فبات بها في خامس شعبان سنة أربعين وعهد الى ولده فلم يمض الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن أخيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المستمسك بن احمد الحاكم بيعة خفية لم تظهر في يوم الاثنين خامس عشر شعبان المذكور وأقام الخطباء اربعة أشهر لا يذكرون في خطبهم الخليفة ثم خطب له في يوم الجمعة سابع ذي القعدة منها واقب بالواق بالله فلما مات الناصر محمد وأقيم بعده ابنه المنصور أبو بكر استدعى أبو القاسم احمد بن

أبى الربيع سليمان وأقيم في الخلافة ولقب بالحاكم بعدما كان يلقب بالمستنصر وكفى بأبى العباس في يوم السبت
سلخ ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة فاستمر حتى مات في يوم الجمعة رابع شعبان سنة ثمان وأربعين
وسبعمائة فأقيم بعده أخوه المعتضد بالله أبو بكر وكنيته أبو الفتح بن أبى الربيع سليمان في يوم الخميس سابع
عشره واستقر مع ذلك في نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها المستعين بما يرد إلى ضريحها من نذر العامة
على قيام أوده فان مرتب الخلفاء كان على مكس الصاعه وحسبه أن يقوم بما لا بد منه في قوتهم فكانوا ابداء
في عيش غير موسع فحسبت حال المعتضد بما يبيعه من الشيع المحمول الى المشهد النفيسى ونحوه الى أن توفي
يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وكان يبلغ بالكاف ورجع مرتين احدهما سنة أربع وخسين
والثانية سنة ستين فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بعهد اليه في يوم الخميس ثاني
عشره وخلع عليه بين يدي السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي وفوض اليه نظر المشهد ونزل الى
داره فلم يزل حتى تنكر له الامير أيبك في أول ذى القعدة سنة ثمان وسبعين بعد قتل الملك الاشرف شعبان
ابن حسين وأخرجه ليسر الى قوص وأقام عوضه في الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد في ثالث عشرى
صفر سنة تسع وسبعين وكان قد أمر برّد المتوكل من نفسه فرد الى منزله من يومه فأقام به حتى رضى عنه
أيبك وأعادته في العشرين من ربيع الاول منها الى خلافته ثم سخط عليه الظاهر برقوق وسجنه مقداف يوم
الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين وقد وثى به انه يريد الثورة وأخذ الملك وأقيم بعده في الخلافة الواثق بالله
أبو حفص عمر بن المعتصم ابى اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحاكم في يوم الاثنين المذكور فزال خليفة حتى مات
يوم السبت تاسع شوال سنة ثمان وثمانين فأقام الظاهر بعده في الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم في يوم الخميس ثامن
عشره ولقب بالمستعصم وركب بالقلعة وبين يديه القضاة من القلعة الى منزله فلما اشرف الظاهر برقوق
على زوال ملكه وقرب الامير بليغا الناصرى نائب حلب بالعساكر استدعى المتوكل على الله من محبسه
وأعادته الى الخلافة وخلع عليه في يوم الاربعاء أول جمادى الاولى سنة إحدى وتسعين وبالع في تعظيمه وأنعم
عليه فلم يزل على خلافته حتى توفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وهو أول من
اتسعت أحواله من الخلفاء بمصر وصار له اقطاعات ومال فأقيم في الخلافة بعده ابنه المستعين بالله أبو الفضل
العباس وخلع عليه في يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدي الناصر فرج بن برقوق ونزل الى داره ثم سار
مع الناصر الى الشام وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم فدعا الامير ان شيخ ونوروز فضى من موقفه اليهما
ومعه مباشر والدولة فأنزلاه ووكلا به و سار به لحصار الناصر ثم ألزمه حتى خلعه من السلطنة وأقامه شيخ
في السلطنة وبايعه ومن معه في يوم السبت خامس عشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعث الى نوروز
وهو بشمالى دمشق حتى بايعه فسالوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر واتظام أمرهم ثم سار به شيخ الى مصر
وأقام نوروز بدمشق فلما قدم به اسكنه القلعة ونزل هو بالحراقة من باب السلسلة وقام بجميع الامور وترك
الخليفة في غاية الحصر حتى استبذت بالسلطنة فكانت مدة الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة اشهر وخمسة أيام
ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ووكل به من يحفظه وأهله وقام من بعده بالسلطنة * (السلطان الملك المؤيد
ابو النصر شيخ المحمودى) * أحد ممالك الظاهر برقوق في يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة
فسجن الخليفة في برج بالقلعة ثم حمله الى الاسكندرية فسجنه بها ولم يزل سلطانا حتى مات في يوم الاثنين ثامن
المحرم سنة أربع وعشرين فكانت مدته ثمان سنين وخمسة اشهر وستة ايام فأقيم بعده ابنه * (السلطان
الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات احمد) * وعمره سنة واحدة ونصف فقام بأمره الامير ططر وفرق
ما جمعه المؤيد من الاموال وخرج بالمظفر يريد محاربة الامراء بالشام فظفر بهم وخلع المظفر وكانت مدته ثمانية
اشهر تقص سبعة ايام وقام بعده * (السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر) * أحد ممالك الظاهر برقوق
وجلس على تخت بقلعة دمشق في يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وقدم الى قلعة
الجبل وهو موعوك البدن في يوم الخميس رابع شوال فنقل في مرضه من يوم الاثنين ثاني عشره حتى مات
في يوم الاحد رابع عشرى ذى الحجة فكانت مدته ثلاثة اشهر ورومين فأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك
الصالح ناصر الدين محمد) * وعمره نحو عشر سنين فقام بأمره الامير برساي الدقاقى ثم خلعه بعد أربعة اشهر

وأربعة أيام وقام من بعده * (السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي) * أحد عماليك الظاهر
برقوق وجلس على تخت الملك في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة
هذا آخر الجزء الثالث من أصل مصنفه الامام المقرري رحمه الله تعالى ورضي عنه

* (ووجد على هامش بعض النسخ ما صورته) * وتوفي الأشرف برسباي ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى
وأربعين وثمانمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور ثم قام من بعده ولده * (الملك العزيز يوسف) *
وسنه نحو خمس عشرة سنة ثم خلع في تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وثمانمائة فكانت مدته نحو
ثلاثة أشهر وقام من بعده * (الملك الظاهر جقمق) * في تاسع عشر ربيع المذكور وخلع نفسه من الملك
في مرض موته وتولى بعده بههده ولده * (الملك المنصور عثمان) * في حادي عشر المحرم سنة سبع
وخسين وثمانمائة فكانت مدة الظاهر جقمق أربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور ثم خلع ولده المنصور
عثمان في سابع ربيع الأول سنة سبع وخسين وثمانمائة فأقام في الملك أحدًا وأربعين يوما وتولى عوضه
* (الملك الأشرف إينال) * في ثامن ربيع الأول سنة سبع وخسين وثمانمائة وخلع نفسه في مرض موته
في جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ولده
* (الملك المؤيد أحمد) * ثم خلع في ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته أربعة أشهر
وتولى * (الملك الظاهر خشقدم) * تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ومات عاشر شهر
ربيع الأول سنة اثنين وسبعين فكانت مدته نحو ست سنين ونصف ثم تولى * (الملك الظاهر بلباي) *
في حادي عشر الشهر المذكور ثم خلع في سابع جمادى الأولى من السنة المذكورة فكانت مدته ستة وخسين
يوما ثم تولى * (الملك الظاهر عمر بغا) * في ثامن جمادى الأولى المذكور ثم خلع في العشر الأول من شهر
رجب الفرد سنة اثنين وسبعين وثمانمائة وكانت مدته نحو تسعة وخسين يوما وتولى * (الملك الأشرف
قايتباي) * في ثاني عشر رجب من السنة المذكورة وتوفي في ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى
وتسعمائة فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور وأياما وتولى بعده ولده * (الملك الناصر
محمد) * في التاريخ المذكور ثم قتل بالجزيرة في آخر يوم الأربعاء النصف من ربيع الأول سنة أربع
وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وأياما ثم تولى حاكمه * (الملك الظاهر قانصوه الأشرفي قايتباي) * في
ضخوة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول المذكور ثم خلع في سابع ذي الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته
نحو عشرين شهرا وتولى عوضه * (الملك الأشرف جان بلاط الأشرفي قايتباي) * وأما ناخبره بمنزله الجديدة
في العود من المدينة الشريفة في يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته ستة
شهور وأياما ثم خلع في يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعمائة وتولى * (الملك العادل
طومان باي الأشرفي قايتباي) * ثم خلع سلخ رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته نحو مائة يوم وتولى بعده
* (الملك الأشرف قانصوه الغوري الأشرفي قايتباي) * مستهل شوال من السنة المذكورة انتهى والله تعالى
اعلم بالصواب

* (ذكر المساجد الجامعة) *

اعلم أن أرض مصر لما افتتحت في سنة عشرين من الهجرة واخط الصحابة رضي الله عنهم فسطاط مصر كما تقدم
لم يكن بالفسطاط غير مسجد واحد وهو الجامع الذي يقال له في مدينة مصر الجامع العتيق وجامع عمرو بن
العاص وما برح الأمر على هذا إلى أن قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من العراق
في طلب مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل عسكره في شمال الفسطاط وبنوا هناك الأبنية فسمي
ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هناك الجمعة في مسجد قصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص ويحياح العسكر
إلى أن بنى الأمير أحمد بن طولون جامع على جبل يشكر في سنة تسع وخسين ومائتين حين بنى القطائع فبلاشي
من حينئذ جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو ويحياح ابن طولون إلى أن قدم جوهر القائد
من بلاد القيروان بالمغرب ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله أبي تمام معذني القاهرة وبني الجامع الذي يعرف
بالجامع الأزهر في سنة ستين وثمانمائة فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الأزهر

وجامع القرافة الذي يعرف اليوم بجامع الاولياء ثم ان العزيز بالله أبانصور نزار بن المعز الدين الله بنى في ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم في سنة ثمانين وثلثمائة واكمله ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بنى جامع المقص وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع كلها الى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين في سنة سبع وستين وخمسائة فبطلت الخطبة من الجامع الازهر واستقرت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع اقيمت فيها الجمعة وما برح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التي تقام بها الجمعة فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريه الى دير الطين قبل مدينة مصر زيادة على مائة موضع وسيأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى وقد بلغت عدة المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا (منها) بمدينة مصر جامع عمرو بن العاص والجامع الجديد والمدرسة المعزية وجامع ابن اللبان وجامع القراء وجامع نقي التمار وجامع راشدة وجامع القبلة وجامع دير الطين وجامع بساين الوزير (ومنها) بالرافة جامع الاولياء وجامع الافرم وخنكاه بكنتر وجامع ابن عبد الظاهر وجامع الجواني وجامع الضراب وجامع قوصون وجامع الشافعي وجامع الديلي وجامع محمود وجامع بقرب زبة الست (ومنها) بالروضة جامع القيلس وجامع عين وجامع الرئيس وجامع الاباريقي وجامع المقسى (ومنها) بالخشبية خارج القاهرة جامع احمد الزاهد وجامع آل ملك وجامع كراي وجامع الكافوري بالقرب من السمساطية وجامع الخندق وجامع نائب الكرك وجامع سويقة الجيزة وجامع قيدار وجامع ابن شرف الدين وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر بجندوه وجامع سويقة الجيزة في أيام الظاهر برقوق (ومنها) خارج القاهرة بمابلي النيل جامع كوم الرش وجامع جزيرة القيل جامع امين الدين بن تاج الدين موسى جامع الفخر على النيل جامع الاسيوطي جامع الواسطي جامع ابن بدر جامع الخطيري جامع ابن غازي جامع المقص جامع ابن التركماني جامع بنت التركماني جامع الطولشي جامع باب الرخاء جامع الزاهد جامع ميدان القمح جامع صاروجا جامع ابن زيد جامع بركة الرطلي جامع الكينختي جامع باب الشعيرة جامع ابن مباله جامع ابن المغربي جامع العجبي بقنطرة الموسكي الجامع المعلق بقنطرة الموسكي أيضا جامع الحماكي بسويقة الرش جامع السرويبي بسويقة الرش أيضا جامع الكنجري جامع ابن حسون بالدة جامع ابن المغربي على الخليج جامع الطباخ بخط اللوق جامع المست نصيرة بخط باب اللوق حيث كان الكوم خفرا فاذا بقبر عرف بالست نصيرة وعمل عليه مسجد واقيت به الجمعة في أيام الظاهر برقوق جامع شاكر بجوار قنطرة قدار عر سنة ست وعشرين وثمانمائة جامع غبط المقاصد خلف قنطرة قدار جامع الجزيرة الوسطى جامع كريم الدين بخط الزرية جامع ابن غلاما بخط الزرية أيضا الجامع الاخضر جامع سويقة الموفق جامع سلطان شاه باب الخرق جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق كان زاوية للقراء فاقيت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة جامع منكلي بسويقة القيرى (ومنها) فيما بين القاهرة ومصر جامع بشتاك جامع الاسماعيلي على البركة الناصرية جامع الست مسكة جامع اق سنقر بجري السقاين جامع الشيخ محمد بن حسن الخنقي جامع ست حدق بالمريس جامع الطيرسي جامع الرحة عمارة الصالح امين الدين عبد الله بن غنام جامع منشأة المهرافى جامع يونس بالسبع سقايات على البركة جامع بركة الاستادار بجدة ابن خيمة جامع ابن طولون جامع للشهد النفيسى جامع البقلي بالقبيبات جامع شيخو جامع قاتباي برلس سويقة منم جامع الماس جامع قوصون جامع الصالح مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل جامع الجاي جامع المارديني جامع اصل (ومنها) بقلعة الجبل الجامع الناصري جامع التوبة جامع الاصطبل الجامع المؤيدى (ومنها) خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة تربة جوشن وتربة الظاهر برقوق وتربة طشتر حصر أخضر بالعجرا جامع الخضرى جامع التوبة الجامع المؤيدى (ومنها) بالقاهرة الجامع الازهر والجامع الحاككى والجامع الاقر ومدرسة الظاهر برقوق والمدرسة الصالحية والحجازية والمشهد الحسيني وجامع القاصكهاني والزمامية والصاحبية والبوبكرية والجامع المؤيدى والاشرفية وجامع الدوادارى قريبا من البرقة وجامع التوبة بالبرقة مدرسة ابن البقري والبساطية

* (ذكر الجوامع) *

علم انه لما اتصلت مبانى القاهرة المعزية بمبانى مدينة فسطاط مصر بحيث صارنا كأنهما مدينة واحدة واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القراطين لدفن امواتهم ذكرت ما فى هذه المواضع الاربعة من المساجد الجامعة وازفت اليها ما فى جزيرة فسطاط مصر التى يقال لها الروضة من الجوامع أيضا فانها منزهة أهل البلدين وجعت الى ذلك ما فى ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من أسسها وبالله التوفيق

* (الجامع العتيق) *

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الاسلامية بعد الفتح (خرج) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرة قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الامصار كانت له كجبة متقبلة فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب بن صلي فى مسجد مصر من الامصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوع عدات عمرة متقبلة فان أصيب فى وجهه ذلك حرم لجه ودمه على النار أن نطعمه وذنبه على من قتله * واول مسجد بنى فى الاسلام مسجد قبا ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا يحيى بن عطاء الخراسانى عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجد الجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضمو الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا يتخذ للقبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمرو وعهده * وقال ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندى فى كتاب أخبار مسجد أهل الزاوية الاعظم وأول امره وبنائه وزيادة الامراء فيه وغيرهم ومجالس الحكم والفقهاء منه وغير ذلك قال هبيرة بن ايض عن شيخه نجيب بن قيسبة بن كلثوم التميمي احد بنى سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا فلما اجتمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن نظار قيسبة بن كلثوم فرأى جناتا تقرب من الحصن فعرج اليها فى اهله وعبيده فقتل وضرب فيما فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو الى الاسكندرية وخلف اهله فيها ثم فتح الله عليهم الاسكندرية وعاد قيسبة الى منزله هذا فقتله واخطت عمرو ابن العاص داره مقابل تلك الجنان التى نزلها قيسبة وتشاور المسلمون اين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة فساءله عمرو فيه وقال انا اخط لك يا أبا عبد الرحمن حيث احببت فقال قيسبة لقد علمت يا معاشر المسلمين انى حزن هذا المنزل وملكته وانى أنصتق به على المسلمين وارتحل فزل مع قومه بنى سوم واخطت فيهم فبنى مسجدا فى سنة احدى وعشرين من الهجرة وفى ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التميمي

وبابليون قد سعدنا بفتحها * وحرنا لعمر الله قبا ومغنا

وقيسبة الخير بن كلثوم داره * اباح جهاها للصلاة وسلا

فكل مصل فى فنانا صلاته * تعارف اهل المصر ما قلت فاعلم

(وقال) ابو مصعب قيس بن سلة الشاعر فى قصيدته التى امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة

وأبولك سلم داره وأباحها * لجباة قوم ركع وسجود

(وقال) اليت بن سعد كان مسجدا هذا حدثني وأعنيابا * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بنى الى الآن من جملة الانشابات التى كانت فى البستان فى موضع الجامع شجرة زرنخت وهى باقية الى الآن خلف المحراب الكبير والحائط الذى به المنبر ومن العلماء من قال ان هذه الشجرة باقية من عهد موسى عليه السلام وكان لها تطير شجرة أخرى فى الوراقين احترقت فى حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التى كانت به وهى اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكى * قال الكندى وقال يزيد بن أبى حبيب سمعت اشياخنا عن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على اقامة قبله المسجد الجامع ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن

العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضي الله عنهم وفي رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة أبو ذر وأبو بصيرة ومجتمعة بن جزء الزبيدي ونيبه بن صواب * وقال عبد الله بن أبي جعفر أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما تقيان وقال داود بن عقبة إن عمرو ابن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن علقمة القرشي ثم العدوي يقيمان القبلة وقال لهما قوما إذا زالت الشمس أو قال اتصفت الشمس فاجعلوها على حاجبيكما ففعلا * وقال الليث إن عمرو بن العاص كان يمتد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد وقال عمرو بن العاص شرقتوا القبلة تصيبوا الحرم قال فشرقت جدا فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا وكان عمرو بن العاص إذا صلى في مسجد الجامع يصلي ناحية الشرق الا لشيء اليسير وقال رجل من تجيب رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة فضلى فيها ولم يتصرف عن قبلتهم الا قليلا وكان الليث وابن الهيثم إذا صليا تيامنا وكان عمر بن مروان عم الخلفاء إذا صلى في المسجد الجامع تيامن وقال يزيد بن حبيب في قوله تعالى قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها هي قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نصبها الله عز وجل مقابل الميزاب وهي قبلة أهل مصر وأهل الغرب وكان يقرأها فلنولينك قبلة ترضاها بالنون وقال هكذا أقرأها أبو الخير * وقال الخليل بن عبد الله الأزدي حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده فأما ط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع المسجد وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلة الى الميزاب * وقال ابن الهيثم سمعت أشياخنا يقولون لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مخوف ولا أدري بناء مسلة أو بناء عبد العزيز * وأول من جعل المحراب قرة بن شريك * وقال الواقدي حدثنا محمد بن هلال قال أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز ليالي بني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عمر بن شيبه أن عثمان بن مظعون نفل في القبلة فأصبح مكتبا فقالت له امرأته مالي أراك مكتبا قال لا شيء الا أني نفلت في القبلة وأنا أصلي فعمدت الى القبلة ففسلتها ثم علمت خلوقا فخلقتها فكانت أول من خلق القبلة * وقال أبو سعيد سلف الجعري أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان في بحريه وبابان في غربيه وكان الخارج إذا خرج من رفاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقي محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربي وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ وكان طوله من القبلة الى البحري مثل طول دار عمرو بن العاص وكان سقفه مطاأ جدا ولا يحسن له فاذا كان الصيف جالس الناس بفناءه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع * قلت وأول من جلس على منبر أو سرير ذي أعواد ربيعة بن محاسن وقال القاضي في كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزم عليه في كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عبيك فكسره * قال مؤلفه رحمه الله وفي سنة احدى وستين ومائة أمر المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي وأول من صلى عليه من الموتى داخل الجامع أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط في النصف من صفر وكانت وفاته فجأة فأخرج فحوة يوم الاحد السادس عشر من صفر وصلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا ولم يعلم أحد قبله صلى عليه في الجامع * وذكر عمر بن شيبه في تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج قال القاضي ولم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر الا في هذا الجامع قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس جاء نفر من بجاجق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون في الريف أفخيم في العيد في القطر والاخشي ويؤتمنارجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وأخذ بالذنوب وأعطى الحقوق * وأول من زاد في هذا الجامع مسلة بن مخلد الانصاري سنة ثلاث وخسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية قال الكندي في كتاب أخبار مسجد أهل الراية ولما ضاق المسجد بأهل شكي ذلك الى مسلة بن مخلد وهو الامير يومئذ فكتب فيه الى معاوية بن أبي سفيان فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلي ولا من الغربي

وذلك في سنة ثلاث وخمسين وجعل له رجة في البحري منه كان الناس يصيرون فيها ولا طه بالنورة وزخرف
جدراته وسقوفه ولم يكن المسجد الذي لعمر وجعل فيه نورة ولا زخرف وأمر بابتناء منار المسجد الذي
في القسطاط وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد وأمر مؤذني الجامع أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل فإذا
فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في القسطاط في وقت واحد قال ابن الهيثم فكان لأذانهم دوى شديد
فقال عابد بن هشام الأزدي ثم السلاماني لمسلة بن محمد

لقد مدت لمسلة الليالي * على رغم العداة مع الاماني
وساعده الزمان بكل سعد * وبلغه البعيد من الاماني
أمسلم فارتقي لازات تعلو * على الايام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحي * كالحسن ما يكون من الملباني
قناه به البلاد وساكنوها * كما تاهت بزيتنها الغواني
وكم لك من مناقب صالحات * وأجدل بالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كهوت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل محتطف الجان

وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع للاذان قال وجعل لمسلة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانه الأربع وهو
أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك قال وهو أول من جعل فيه الحصر وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء
وأمر أن لا يضرب ناقوس عند الاذان يعني الفجر وكان السلم الذي يصعد منه المؤذنون في الطريق حتى كان
خالد بن سعيد فحوله داخل المسجد * قال القاضي القضاي ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه في سنة تسع
وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وزاد فيه من ناحية
الغرب وأدخل فيه الرجة التي كانت في بحريه ولم يجد في شرفيه موضعاً يوسع به * وذكر أبو عمر الكندي
في كتاب الامراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما اكمل بناء المسجد خرج من دار
الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خفة فأمر بأخذ الابواب على من فيه ثم دأبهم رجلاً رجلاً
فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا فيقول رزقوه ألك خادم فيقول لا فيقول أخذموه أحجبت فيقول لا فيقول
أحجوه أعليك دين فيقول نعم فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهر أعمره ولم يزل الى اليوم وذكر أن
عبد الله بن عبد الملك بن مروان في ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان
مطاطاً وذلك في سنة تسع وثمانين ثم ان قرة بن شريك العيسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد
ابن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ في بنيانه في شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنيانه
يحيى بن خنظلة مولى بني عامر بن لؤي وكانوا يجتمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنيانه وذلك في شهر
رمضان سنة ثلاث وتسعين وتصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان في المسجد وذكر
أن عمرو بن العاص كان جعله فيه فله بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل هو سبر عبد العزيز بن مروان
وذكر أنه حل اليه من بعض كنانس مصر وقيل ان زكريا بن برقي ملك التوبة أهدها الى عبد الله بن سعيد بن أبي
سرح وبعث معه نجاره حتى ركبها واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد
قرة بن شريك في الجامع فنصب منبراً سواه على ما تقدم شرحه ولم يكن يخطب في القرى الاعلى العاصا الى أن ولي
عبد الملك بن موسى بن نصير الحمصي مصر من قبل مروان بن محمد فأمر بالتأخذ بالمنبر في القرى وذلك في سنة اثنتين
وثلاثين ومائة وذكر أنه لا يعرف منبراً أقدم منه يعني من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يزل كذلك الى أن قلع وكسرى أيام العزيز بالله بطر الوزير يعقوب بن كاس في يوم الخميس لعشر بقين
من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وجعل مكانه منبراً ذهب ثم أخرج هذا المنبر الى الاسكندرية
وجعل في جامع عمرو بها وانزل الى الجامع المنبر الكبير الذي هو به الآن وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر
ربيع الاول سنة خمس وأربع مائة وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة فجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن
الحسن بن خذاع الحسبي وجعل الى أخيه الخطابة بالجامع الأزهر وصرف بنو عبد السميع بن عمر بن الحسين

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع المنابر بعد أن أقاموا لهم وسلفهم فيها ستين سنة وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة وجد المنبر الجديد الذي نصب في الجامع قد لطخ بعد مدة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من آدم مذهب في شعبان من هذه السنة وخطب عليه ابن خداع وهو مغشي وزيادة قرة من القبلي والشرقي وأخذ بعض دار عمر وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله في المسجد وأخذ منهما الطريق الذي بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمر وما هو في أيديهم اليوم من الرباع وأمر قرة بعمل الحراب المجوف على ما تقدم شرحه وهو الحراب المعروف بعمر ولأنه في سميت محراب المسجد القديم الذي بناه عمر وكانت قبله المسجد القديم عند العمدة المذهبة في صف التوايت اليوم وهي أربعة عمد اثنين في مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت يجالس قيس ولم يكن في المسجد مذهب غيرهما وكانت قديمًا حلقه أهل المدينة ثم زرق أكثر العمدة وطوق في أيام الاخشيدي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير هذا الحراب فأما الحراب الاوسط الموجود اليوم فعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه في الجدار بعد قرة وقد ذكر قوم أن قرة عمل هذين الحرايين وصار للجامع أربعة أبواب وهي الأبواب الموجودة في شرقه الآن آخرها باب إسرائيل وهو باب النحاسين وفي غربيه أربعة أبواب شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفي بحريه ثلاثة أبواب وبيت المال الذي في علو القوارة بالجامع بناء أسامة بن زيد التنوخي متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين في أيام سليمان بن عبد الملك وأمر مصر يومئذ عبد الملك بن رفاعه الفهمي وكان مال المسلمين فيه وطرق المسجد في سلسلة سنة خمس وأربعين ومائة في ولاية يزيد بن حاتم المهلبى من قبل المنصور طرقة قوم بمن كان بايع على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان أول علوى قدم مصر قه بموايت المال ثم تضاربوا عليه بسيف فمهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأخذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهم مواوذكروا أن هذا المكان تسور عليه لص في إمارة احمد بن طولون وسرق منه بدرق دنائير فظفر به احمد ابن طولون واصطنعه وعقاعنه * وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة أمر العزيز بالله بعمل القوارة تحت قبة بيت المال فعملت وفُرج منها في شهر رجب سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ثم زاد فيه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبي العباس السفاح في مؤخره أربع أساطين وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو أول من ولي مصر لبني العباس فيقال أنه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت غربي دار النحاس وكان الزبير يتخلى عنها ووهبها لمواليه لخصومة جرت بين علمائه وعلمان عمرو بن العاص واخت الزبير فيما يلي الدار المعروفة به الآن ثم اشترى عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواله فقيمها بين ابنه الاصبغ وأبي بكر فلما قدم صالح بن علي أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبي بكر وعن طفل يتييم وهو حسان بن الاصبغ فأدخلها في المسجد وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية الآن وعمر صالح بن علي أيضًا مقدم المسجد الجامع عند الباب الأول موضع البلاطة الحمراء ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة التي في مؤخره وهي نصف الرحبة المعروفة بأبي أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى بن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهري شركة بني مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوض بني مسكين ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خراعة أميراً من قبل المأمون في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين وتوجه الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين ورجع الى القسطنطين في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأمر بالزيادة في المسجد الجامع فزيد فيه مثله من غريبه وعاد ابن طاهر الى بغداد لخمس بقين من رجب من السنة المذكورة وكانت زيادة ابن طاهر الحراب الكبير وما في غريبه الى حد زيادة الخازن فأدخل فيه الزقاق المعروف أولاً بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل ورجبة كانت بين يدي دار الرمل ودوراد كرها القضاة * وذكر بعضهم أن موضع فسطاط عمرو بن العاص حيث الحراب والمنبر قال وكان الذي تم زيادة عبد الله بن طاهر بعد مسيره الى بغداد عيسى بن يزيد الجلودى وتكامل ذرع الجامع سوى الزياتين مائة وتسعين ذراعاً بذراع العمل طولاً في مائة وخمسين ذراعاً عرضاً ويقال إن ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة * ونصب عبد الله بن طاهر الملح الأخضر فلما احترق

الجامع احترق ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد العجيني هذا اللوح مكان ذلك وهو هذا اللوح الاخضر الباقي الى اليوم ورجبة الحارث هي الرحبة البحرية من زيادة الخازن وكانت رحبة يتباع الناس فيها يوم الجمعة وذكر أبو عمر الكندي في كتاب الموالي أن أبا عمر والحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى محمد بن ريان بن عبيد العزيز ابن مروان لما ولي القضاء من قبل المتوكل على الله في سنة سبع وثلاثين ومائتين أمر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وحول سلم المؤذنين الى غربي المسجد وكان عند باب اسرائيل وبلط زيادة ابن طاهر وأصلح بنيان السقف وبني سقاية في الحدائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها وزيادة أبي أيوب احمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج في أيام المعتضم كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن احمد بن طولون وزيادة في بقية الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب * والمحراب المنسوب الى أبي أيوب هو الغربي من هذه الزيادة عند شمال الحدائين وكان بناؤها في سنة ثمان وخمسين ومائتين ويقال ان أبا أيوب مات في زمن احمد بن طولون بعد أن نكبه واضطني أمواله وذلك في سنة ست وستين ومائتين وأدخل أبو أيوب في هذه الزيادة أما كن ذكرها * قال وكان قد وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق فعمر وزيدت هذه الزيادة في أيام احمد بن طولون ووقع في الجامع في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين حريق اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث بن مسكين فهلك فيه أكثر زيادة عبيد الله بن طاهر والرواق الذي عليه اللوح الاخضر فأمر بخاروبه بن احمد بن طولون بعمارته على يد احمد بن محمد العجيني فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربع مائة دينار وكتب اسم خاروبه في دائرة الرواق الذي عليه اللوح الاخضر وهي موجودة الآن وكانت عمارته في السنة المذكورة * وأمر عيسى النوشري في ولايته الثانية على مصر في سنة أربع وتسعين ومائتين باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات فكان يفتح للصلاة فقط وأقام على ذلك أياما فخرج أهل المسجد ففتح لهم * وزاد أبو حفص الغباصي في أيام نظره في قضاء مصر خلافة لاخيه محمد الغفرقة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وكانت ولايته في رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان امام مصر والحرمين واليه اقامة الحج ولم يزل فاضيا بمصر خلافة لاخيه الى أن صرف من القضاء بالخصمي في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباك المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع أذرع وكان ابتداء ذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ومات قبل تمام هذه الزيادة وتعممها ابنه علي بن محمد وقرعت في العشر الاخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة * وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب ابن يوسف بن كلس بأمر العزيز بالله القوارة التي تحت قبعة بيت المال وهو أول من عمل فيه قوارة وزاد فيه أيضا مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسي الاطرش متولى مسجد بيت المقدس وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ونصب فيها حجاب الرخام التي للماء * وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدد بياض المسجد الجامع وقطع شئ كثير من الفسفساء الذي كان في اروقته وبيض مواضعه ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على ابوابه الخمسة الشرقية وهي التي عليها الآن وكان ذلك على يد برجوان الخادم وكان اسمه ثابتا في الألواح فقلع بعد قتله * وقال المسيحي في تاريخه وفي سنة ثلاث وأربع مائة انزل من القصر الى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه أيضا بتور من فضة عمله الخاصكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع الناس وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبة الباب حتى أدخل به وكان من اجتماع الناس لذلك ما يتجاوز الوصف * قال القاضي وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين في صحن المسجد الجامع وقطع عمد الخشب وجسر الخشب التي كانت هناك وذلك في شعبان سنة ست وأربع مائة وكانت العمدة والجسر قد نصبا أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع في سنة سبع وخمسين ومائتين زمن احمد بن طولون لان الحر اشتد على الناس فشكوا ذلك الى ابن طولون فأمر بنصب عمد الخشب وجعل عليها الستائر في السنة المذكورة وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمدة الخشب بدهن أجمر وأخضر فلم يثبت عليها ثم أمر بقلعها وجعلها بين الرواقين * وأول ما عملت المقاصير في الجوامع في أيام معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين ولعل فترة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة

* وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدي بنزع القصاص من مساجد الأمصار وبقتل المناير فجعلت على
عقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك * ولما ولي مصر موحى بن أبي العباس من أهل
الشام من قبل أبي جعفر اشناس أمر المعتصم أن يخرج المؤذنون إلى خارج المقصورة وهو أول من أخرجهم
وكافوا قبل ذلك يؤذنون داخلها ثم أمر الإمام المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الحجر المقابل للحراب وبالإضافة
في المقصورة في شرقها وغربها حتى اتصلت بالحدائين من جانيها وبعمل منطقة فضة في صدر الحراب الكبير
أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودي الحراب أطواق فضة ويجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد بن عبدون
في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة * قال مؤلفه رحمه الله ولم تزل هذه المنطقة الفضة إلى أن استبد
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر بعد موت الخليفة العاضد لدين الله في محرم سنة سبع
وستين وخمسائة فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر وذلك في حادي
عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة * قال القاضي وفي شهر رمضان من سنة أربعين وأربعمائة
حدثت الخزانة التي في ظهر دار الضرب في طريق الشرطة مقابلة لظهر الحراب الكبير وفي شعبان من سنة
إحدى وأربعين وأربعمائة ذهب بقية الجدار القبل حتى اتصل الأذهاب من جدار زيادة الخازن إلى المنبر
وبعد ذلك على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي زكريا * وفي شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين
وأربعين وأربعمائة عملت لموقف الإمام في زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودي صندوق
وتقطع هذه المقصورة في الشتاء إذا صلى الإمام في المقصورة الكبيرة * وفي شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة
زيد في الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم وزخرف هذا المجلس وحسن وجعل فيه محراب ورخيم
بالرخام الذي قلع من الحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة في صدر الحراب الكبير
وجرت هذه الزيادة على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى * وفي ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين
وأربعمائة عمر القاضي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبي زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روضنا
على صحن الجامع وجعل بعدها مرقاة تزل منه إلى بيت المال وجعل السطح مطعما من الخزانة المستحقة في ظهر
الحراب الكبير وجعل له مطعما آخر من الدوان الذي في رجة أبي أيوب * وفي شعبان من سنة خمس وأربعين
وأربعمائة بنيت المئذنة التي فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن أبي زكريا
التي مذكوره القاضي * وفي سنة أربع وستين وخمسائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا في القاهرة
حكماء جارا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتفقوا أنه لا حياى للبلاد من أجل ضعف الدولة وأنه كسفت لهم
عورات الناس فجمع مري ملك الفرنج بالساحل جو معه واحتشد قوما أقوى بهم عساكره وسار إلى القاهرة من
بليس بعد أن أخذها وقتل كثيرا من أهلها فأمر شاور بن مجير السعدى وهو يومئذ مستول على ديار مصر وزارة
للعاضد بأحراق مدينة مصر فخرج إليها في اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف فارورة فقط
وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران وفترقت فيها ونزل مري بجمع الفرنج على بركة الحبش فلما رأى دخان
الخرق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل أهل القاهرة وقد انخسر الناس فيها
واستمرت النار في مصر أربعة وخمسين يوما والنهاية تهدم ما بها من المبانى وتحفر لأخذ الخبايا إلى أن بلغ مري قدوم
أسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فرحل في سابع
شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتراجع المصريون شيئا بعد شيء إلى مصر ونشعبت الجامع فلما استبد السلطان
صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمسائة وأعاد صدور
الجامع والحراب الكبير ورسم عليه اسمه وجعل في سقاية قاعة الخطابة قسبة إلى السطح يرتقى بها أهل
السطح وعمر المنطرة التي تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر في كف دار عمر والصغرى الصرى مما يلي
الغربي قسبة أخرى إلى محاذاة السطح وجعل لها عيشة من السطح إليها يرتقى بها أهل السطح وعمر غرفة
المساعات وحزرت فلما تزل مستقرة إلى اثنا عشر يوما الملك المعز لدين أبيك التركلى في أول من ملك من المالكة وجدد
ببعض الجامع وأزال شعبه وجلى عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس في سائر أرضه شيء
بغير رخام حتى تحت الحصر * ولما تقلد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الاعز أبي القاسم خلف بن رشيد

الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الاعز العلاني الشافعي قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحباس في ولايته الثانية ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سور البحرى قد مال وانقلب علوه عن سمت سفله ورأى في سطح الجامع غرفا كثيرة محدثة وبعضها من خرف فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لا غير وجع ارباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى قوارة الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فامر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشد جدار الجامع البحرى وزاد في عمد الزيادة ما قوى به البغلات المذكورة وستشباكين كائنا في الجدار المذكور ليقوى بذلك وانفق المصروف على ذلك من مال الاحباس وخشي أن يتداعى الجامع كله الى السقوط فحدث صاحب الوزير بها الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في مفاوضة السلطان في عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعامعا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه في ذلك فرسم بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمدة والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمدة والقواصر كما كانت وزيد في العمدة أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه وفصل اللوح الاخضر اجزاء وجدد غيره واذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر وجليت العمدة كلها وبيض الجامع بأسره وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وستمائة وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تعطل الصلاة فيه لاجل العمارة * ولما كان في شهور سنة سبع وثمانين وستمائة شككا قاضى القضاة تقي الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الاعز السلطان الملك المنصور قلاوون سوء حال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الازهر بالقاهرة وأن الاحباس على أسوأ الاحوال وأن مجد الدين بن الحباب أخرج هذه الجهة لما كان يتحدث فيها وتقرّب بجزيرة الفيل الوقف الصلاحي على مدرسة الشافعية الى الامير علم الدين الشجاعى وذكر له بأن في اطيافها زيادة فقاموا ما تجدد بها من الرمال وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمة الجارية في الوقف وتقرّب أيضا اليه بأن في الاحباس زيادة من جملتها بالاعمال الغربية ما مبلغه في السنة ثلاثون ألف درهم وأن ذلك الجهة عمارة الجامعين وسأل السلطان في إعادة ذلك وابطال ما اقطع منه فلم يجب الى ذلك وأمر الامير حسام الدين طرناطى بعمارة الجامع الازهر والامير عز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع بمصر ورسم على مباشرى الاحباس وكشف المساجد لغرض كان في نفسه وبيض الجامع وجرد نصف العمدة التي فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقه بحاله ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون وأجرى الماء من البئر التي برزقاق الاقفال الى فسقية الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة وبطر العوام به فيما فعله بالجامع فصاروا يقولون نقل الديماس من البحر الى الجامع لكونه دهن الغرفة بالسيلقون وألبس العواميد الشيخ العريان لكونه جرد نصفها التحتاني فصار أبيض الاسفل اسمر الاعلى كما كان الشيخ العريان فان نصفه الاسفل كان مستورا بتمزأ يبيض وأعلامه عريان ولم يفعل بالجامع سوى ما ذكر * ولما حدثت الزلزلة في سنة اثنتين وسبع مائة تسعت الجامع فاتفق الاميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ أستاذ دار الملك الناصر محمد بن قلاوون والامير سلاوه ونائب السلطنة واليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة قتولى الامير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكم بالقاهرة وتولى الامير سلاوه عمارة جامع عمرو بمصر فاعتمد سلاوه على كاتبه بدر الدين ابن خطاب فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الف الاخير مقابل الجدار الذى هدمه عمود آخر تقوية له وجرد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفلى ما أسقف منها وخرّب بظاهر مصر والقراعتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها محن الجامع وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الألواح الطوال وروص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابين فنقل من هناك الى حيث شاء ولم يعمل منه في محن الجامع شي البتة وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله أربعة أذرع في عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك * ولما ولي علاء الدين بن مروانة نيابة دار العدل قسم جامعي مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعري وجامع عمرو مع بهاء

الدين بن السكري فسقطت الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للصحرى وجعل لها دارين بين
الباينين يمنع الجانبين من المار من باب الجامع الى باب الزيادة المسلول منه الى سوق التماسين وبلط أرضها
ورفع بعض رخام محسن الجامع وبلط بعض المحازات وعمل عضائد أعتاب تحوز العن من مواضع الصلاة *
ولما كان في شهر سنة ست وتسعين وستمائة اشترى صاحب تاج الدين دارا بسوق الاكفانيين وهدمها
وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذة سطح الجامع وجعل لها منحنى يتوصل اليها من سطح الجامع وعمل
في أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم في الظلاء ومكانا برسم ازيار الماء العذب وهدم سقاية الغرفة التي تحت المئذنة
المعروفة بالمنظرة وبنائها برجا كبيرا من الارض الى العلو حيث كان أولا وجعل بأعلى هذا البرج يتأمر تنقضا
يحتضن الغرفة المذكورة كما كان أولا ويتأمن من خارج الغرفة يرتفق به من هو خارج الغرفة بمن يقرب منها
وعمر القاضي صدر الدين ابو عبد الله محمد بن البار بناري سقاية في ركن دار عمر والبحري الغربي من داره
الصغرى بعدما كانت قد تهدمت فأعادها كما أحسن ما كانت ثم ان الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا
أن يسقط واهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق في شغل من اللهو عن عمل ذلك فأتى الرئيس برهان الدين
ابراهيم بن عمر بن علي المحلى رئيس التجار يومئذ بدار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع
بأسره فيما بين الحراب الكبير الى العن طولا وعرضا وأزال اللوح الأخضر وأعاد البناء كما كان أولا وجدد
لوحا أخضر بدل الاول ونصبه كما كان وهو الموجود الآن وجرد العمدة كلها وتبع جدران الجامع فرم شعنها
كله وأصلح من رخام العن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهى وبيض الجامع كله فجاء كما كان وعاد
جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا اقام الله عز وجل هذا الرجل مع ما عرف من شحه وكثرة ضننه بالمال حتى عمره
فشكر الله سعيه وبيض محياه وكان انتهاء هذا العمل في سنة أربع وثمانمائة ولم تعطل منه صلاة جمعة
ولاجاعة في مدة عمارته * قال ابن المتوج ان ذرع هذا الجامع اثنان واربعون ألف ذراع بذراع البز
المصري القديم وهو ذراع الحصر المستقر الى الآن فمن ذلك مقدمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربع مائة وخمسة
وعشرون ذراعا ومؤخره مثل ذلك وصحبه سبعة آلاف وخمسمائة ذراع وكل من جانيبه الشرقي والغربي
ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذراعا وذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد
أبوابه ثلاثة عشر بابا منها في القبلي باب الزينة الذي يدخل منه الخطيب كان به شجرة زيتون عظيمة قطعت
في سنة ست وستين وسبع مائة وفي البحري ثلاثة ابواب وفي الشرقي خمسة وفي الغربي أربعة وعدد عمد
ثلاثمائة وثمانية وسبعون عمودا وعدد ما دونه خمس مائة وثلاث زيادات فالبصرية الشرقية كانت لجلوس قاضي
القضاة بها في كل اسبوع يومين وكان هذا الجامع القصص * قال القاضي روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رضي الله عنهم وانما كان
القصص في زمن معاوية رضي الله عنه * وذكر عمر بن شيبه قال قيل للحسن متى أحدث القصص قال في خلافة
عثمان بن عفان قيل من أول من قص قال نعيم الداري * وذكر عن ابن شهاب قال أول من قص في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعيم الداري استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر
في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر فاستأذن نعيم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك فأذن له أن يذكر يومين
في الجمعة فكان نعيم يفعل ذلك * وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عليا رضي الله عنه قنت فدعا على قوم
من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعوه ولاهل الشام قال يزيد وكان
ذلك أول القصص * وروى عن عبد الله بن مغفل قال أمتنا على رضي الله عنه في المغرب فلما رفع رأسه من الركعة
الثالثة ذكر معاوية أولا وعمر بن العاص ثانيا وأبا العور يعني السلي ثالثا وكان أبو موسى الرابع * وقال
الليث بن جعد هما قصصان قصص العامة وقصص الخاصة فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من
الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكره لمن فعله ولمن استعفه وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ولي رجلا
على القصص فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وجهه ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحنه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة * ويقال ان أول
من قص بمصر سليمان بن عبد الحميد في سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وأُفرد

بالقصص وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعة وثلاثين سنة منها ستمائة قبل القضاء ويقال انه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات وكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ويسجد في المفصل ويسلم تسليمة واحدة ويقرأ في الركعة الاولى بالبقرة وفي الثانية بقل هو الله أحد ويرفع يديه في القصص اذا دعا وكان عبد الملك بن مروان شكالى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتحوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الجصى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشي * وفي هذا الجامع مصحف اسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير قال القضاى كان السبب فى كتب هذا المصحف أن الجراح بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف من اقضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال يبعث الى جند أنافيه بمصحف فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم فلما فرغ منه قال من وجد فيه حرفاً خطأ فلدراً من أحرر وثلاثون ديناراً قسداً وله القراء فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجياً ثم جاء الى عبد العزيز بن مروان فقال له انى قد وجدت فى المصحف حرفاً خطأ فقال مصحفى قال نعم فنظر فإذا فيه ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة فإذا هى مكتوبة شجرة قد قدمت الجليم قبل العين فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له ثلاثين ديناراً وبرأس أحرر ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يرد الى موضعه فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجرة الخولانى لأنه كان يتولى القصص والقضاء يومئذ وذلك فى سنة ست وسبعين ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن عبد الله الزنى وكان قاضياً بالاسكندرية قبل ذلك ثم تولى عبد العزيز بنى سنة ست وثمانين فبيع هذا المصحف فى ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم تولى أبو بكر فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بسبع مائة ديناراً فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب اليها فلما توفيت أسماء اشتراها أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمس مائة ديناراً فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع بعد عقبه بن مسلم الهمداني واليه القضاء وذلك فى سنة ثمان عشرة ومائة فجعله فى المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أول من قرأ فيه بعد أن اقر فى الجامع وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمى القاضى فى سنة عشرين ومائة وجعل له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائماً ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائماً ولم تزل الآية يقرؤون فى المسجد الجامع فى هذا المصحف فى كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة فقرأ فيه يوم الاثنين وكان قد جعل المطلب الخزاعى أمير مصر من قبل المأمون رزقاً فى رجب العلاء عشرة دنانير على القصص وهو أول من سلم فى الجامع تسليتين بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم الى مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبي رجب ولا أحسن * ولما ولى القصص حسن ابن الربيع بن سليمان من قبل غنم بن اسحاق أمير مصر من قبل المتوكل فى سنة أربعين ومائتين أمر أن تترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة فتركها الناس وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح وزاد فى قراءة المصحف يوماً فكان يقرأ يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة * ولما ولى حمزة بن أيوب ابن ابراهيم الهاشمى القصص بكتاب من المكتنى فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين صلى فى مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه فقبل له انه لم يحمل المصحف الى أحد قبلك فلوقت وقرأت فيه فى مكانه فقال لا افعل ولنكن اتوني به فان القرآن علينا أنزل والسنا انى فأتى به فقرأ فيه فى المؤخر وهو أول من قرأ فى المصحف فى المؤخر ولم يقرأ فى المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة والقصص فى اليوم العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربع مائة فنصب المصحف فى مؤخر الجامع حبال القوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستقر الامر على ذلك الى الآن * ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملقب فى سنة إحدى وثلاث مائة عزم على القراءة فى المصحف فى كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه وقال أعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه ابرى عبد العزيز بن مروان حياً فيكتب له مثله فرجع الى القراءة ثلاثة

ايام * وكان قد حضر الى مصر رجل من اهل العراق وأحضر معه ذكراً أنه مصنف عثمان بن عفان رضى الله عنه وانه الذى كان بين يديه يوم الدار وكان فيه اثر الدم وذكر أنه استخرج من خرائن المقندرو دفع المصنف الى عبد الله بن شبيب المعروف بابن بنت وليد القاضي فأخذ به ابو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشباً منقوشاً وكان الامام يقرأ فيه يوماً فى مصنف أسماء يوماً ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصنف واقتصر على القراءة فى مصنف أسماء وذلك فى أيام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة * وقد انكر قوم أن يكون هذا المصنف مصنف عثمان رضى الله عنه لان نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد * ورايت انا هذا المصنف وعلى ظهره ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصنف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماءؤه حمده المبارك مسعود بن سعد الهبتي لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له المتقرئين الى الله جل ذكره بقرائه والمتعلين له ليكون محفوظاً أبداً مابق ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء عفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاته وحاجته اليه أناله الله ذلك برأقه وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من تفرقه وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصنف والمدرس يشبه أن يكون وتصر فى ورقه وقصد بأيداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عني به وكان ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل * قال ابن المتوج ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من تحجب وخلفائهم أن الناس قد جربوا هذا المصنف وهو الذى على الكرسي الغربى من مصنف أسماء انه ما فتح قط الا وحدث حادث فى الوجود لتحقيق ما حدث أولاً والله اعلم * (قال القاضي ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها) * منها البلاطة التى خلف الباب الاول فى مجلس ابن عبد الحمك * ومنها باب البرادع روى عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقى قال رأيت الله عز وجل فى منامى قلت له يارب انت ترى وتسمع كلامى قال نعم ثم قال اتريد أن اريك باباً من أبواب الجنة قلت نعم يارب فأشار الى باب اصحاب البرادع أو الباب الاقصى مما يلي رحبة حارث وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما * وقال ابن المتوج وعند المحراب الصغير الذى فى جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيما بين بلي الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال ومن ذلك باب مقصورة عرفة * ومنها عند خزانة البئر التى بالجامع * ومنها قبال اللوح الاخضر * ومنها زاوية فاطمة ويقال انها فاطمة ابنة عفان لما وصى والدها أن تترك لله فى الجامع فتركت فى هذا المكان فعرف بها * ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتوالى أن يصل الى زاوية السطح التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتوالى الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر الى الركن الغربى الشرقى فيقف محاذاً لغرفة المؤذنين ويدعو ثم يمر وهو يتوالى الى المكان الذى ابتدأ منه يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته تقضى * قال القاضي ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلاثمائة فصرى فيه رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى يعرف بابن أبى شيخة صلاة القطر ويقال انه خطب من دقير نظراً وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام فى العيد لنا خطب * فخرض الناس على الكفر

وتوفى سنة تسع وثلاثمائة * (وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه) * منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال انه درس بها الشافعى فعرف به وعليها أرض بناحية سبنديس وفقها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء ووجه العلماء * ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها محمد الدين أبو الاشبال الحارث بن مهذب الدين أبى المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن

غيث المهلبى - الأزدي - البهنسى - الشافعى - وزير الملك - الاشرف موسى بن العادل أبى بكر بن أيوب بجزان وقرز
فى تدريسها قريه قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى - وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر
والقاهرة وبعد تدريسها من المناصب الجليلة وتوفى الجدى فى صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بمشق عن
ثلاث وستين سنة * ومنها الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها صاحب تاج الدين محمد بن نغز الدين محمد بن
بهاء الدين بن حنا وجعل لها مدرسين احدهما مالكى والاخر شافعى وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة
بخط البراذعين * ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذى يدخل اليه من سوق الغزل رتبها
كمال الدين التمنودى وعليها فندق بمصر موقوف عليها * ومنها الزاوية الساجية أمام المحراب الخشب رتبها
تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها * ومنها الزاوية المعينية فى الجانب الشرقى من الجامع
رتبها معين الدين الدهرولى وعليها وقف بمصر * ومنها الزاوية العلائية فنسب لعلاء الدين الضرير وهى فى ضمن
الجامع وهى لقراءة ميعاد * ومنها الزاوية الزينية رتبها صاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا كذلك ابن
المؤرج * واخبرنى المقرئ الاديب المؤرخ الضابط شهاب الدين احمد بن عبد الله بن الحسن الاوحدى رحمه
الله قال اخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال اخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد
الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك مجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الويا الكائن فى سنة تسع وأربعين
وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تخرج منه * قال ابن المأمون حدثنى القاضى المكي بن
حدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التى كانت بيد والده مشاركة الجامع العتيق وان
القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده الى أن يعملوا ثمانية عشر ألف قبيلة وأن المطلق يرسمه
خاصة فى كل ليلة ترسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف رياتا طيبا

* (ذكر المحارب التى بدار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها) *

* أعلم أن محارب ديار مصر التى يستقبلها المسلمون فى صلواتهم أربعة محارب * أحدها محراب الصحابة
رضى الله عنهم الذى أسسوه فى البلاد التى استوطنوها والبلاد التى كثر عمرتهم بها من اقليم مصر وهو محراب
المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بليس وبلاسة كندرية
وقوص واسوان وهذه المحارب المذكورة على سمت واحد غير أن محارب نغراسوان أشد تشريقا من
غيرها وذلك أن اسوان مع مكة شرقها الله تعالى فى الاقليم الثانى وهو الحد الغربى من مكة بغير ميل الى
الشمال ومحراب بليس مغرب قليلا * والمحراب الثانى محراب مسجد أحمد بن طولون وهو مخرف عن سمت
محراب الصحابة وقد ذكر فى سبب انحرافه أقوال * منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد
بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج
بالصناعة نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة الى جهة
الجنوب بنحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل انه رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذى خط له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المنام وقبل غير ذلك وانت ان صعدت الى سطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب
جامع عمرو بن العاص الى الجنوب ورأيت محراب المدارس التى حدثت الى جانبه قد انحرقت عن محرابه الى
جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحارب الاخر وقد عقد مجلس بجامع
ابن طولون فى ولاية قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء المقات منهم الشيخ تقي
الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولى والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا فى محرابه فأجمعوا على أنه مخرف
عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محض رأيت على
ابن جماعة * والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وما فى سمته من بقية
محارب القاهرة وهى محارب يشهد الامتحان بتقدم واضعها فى معرفة استخراج القبلة قائما على خط سمت
القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة * والمحراب الرابع محارب المساجد التى فى قرى بلاد الساحل
فانها تختلف محارب الصحابة الآن محراب جامع مئنة غرقى من سمت محارب الصحابة فان الوزير أبى

عبد الله محمد بن فائق المنعوت بالمأمون البطاحي وزير الخليفة الأسمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله أنشأ جامعاً بمكة زقناً في سنة ست عشرة وخمسة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة * وفي فرفة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تختلف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة مصر القسطنطينية غير مسجد على هذا الحكم * فأما محاريب الصحابة التي بفسطاط مصر والاسكندرية فإن سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل إلى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فاهما تستقبل خط نصف النهار الذي يقال له خط الزوال وتميل عنه إلى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يقضي إلى إبطال الصلاة * وقد قال ابن عبد الحكم قبله أهل مصر أن يكون القطب الشمالي على الكنف الأيسر وهذا سمت محاريب الصحابة قال وإذا طلعت منازل العقرب وتكملت صورته فمصاداته سمت القبلة لذياب مصر وبرقة وأفرقية وما والاها وفي الفرقدين والقطب الشمالي كفاية للمستقلين فانهم ان كانوا مستقبلين في مسيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين وان كانوا سائرين إلى الجنوب من الشمال استدبروها وان كانوا سائرين إلى الشرق من المغرب جعلوها على الاذن اليسرى وان كانوا سائرين من الشرق إلى المغرب جعلوها على الاذن اليمنى وان كان مسيرهم إلى النكباء التي بين الجنوب والصبا جعلوها على الكنف الأيسر وان كان مسيرهم إلى النكباء التي بين الجنوب والدبور جعلوها على الكنف اليمين وان كان مسيرهم إلى النكباء التي بين الشمال والدبور جعلوها على الحاجب اليمين وان كان مسيرهم إلى النكباء التي بين الشمال والصبا جعلوها على الحاجب الأيسر * وإذا عرف ذلك فانه يستحيل نصوب محرابين مختلفين في قطر واحد اذا زاد اختلافهما على مقدار ما يتسارع به في التيامن والتياسر وبيان ذلك أن كل قطر من اقطار الارض كبلاد الشام وذياب مصر ونحوهما من الاقطار قطعة من الارض واقعة في مقابلة جزء من الكعبة والكعبة تكون في جهة من جهات ذلك القطر فاذا اختلف محرابان في قطر واحد فالتيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ إلا أن يكون القطر قريباً من مكة وخطته التي هو محدود بينهما متسعة اتساعاً كثيراً يزيد على الجزء الذي يخصه لو وزعت الكعبة اجزاء مماثلة فانه حينئذ يجوز التيامن والتياسر في محاريبه وذلك مثل بلاد الحجة فانها على الساحل الغربي من بحر القلزم ومكة واقعة في شرقها ليس بينهما المسافة الجرف فقط وما بين جدة ومكة من البر وخطه بلاد الحجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل أولها عذاب وهي محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميل عنها في الجنوب ميلاً قليلاً والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام وآخر بلاد الحجة من ناحية الجنوب سواكن وهي ماثلة في ناحية الجنوب عن مكة ميلاً كثيراً وهذا المقدار من طول بلاد الحجة يزيد على الجزء الذي يخص هذه الخطه من الارض لو وزعت الارض اجزاء متساوية إلى الكعبة فيتعين والحالة هذه التيامن أو التياسر في طرفي هذه البلاد لطلب جهة الكعبة * وأما اذا بعد القطر عن الكعبة بعداً كثيراً فانه لا يضرب اتساع خطه ولا يحتاج فيه إلى تيامن ولا تياسر لا اتساع الجزء الذي يخصه من الارض فان كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة من اجل أن الكعبة من البلاد المعمورة كالكرة من الدائرة فالأقطار كلها في استقبال الكعبة محيطة بها كحاطة الدائرة بمركزها وكل قطر فانه يتوجه إلى الكعبة في جزء يخصه والاجزاء المنقسمة اذا قدرت الارض كالدائرة فانها تنقسم عند المحيط وتتضيق عند المركز فاذا كان القطر بعيداً عن الكعبة فانه يقع في متسع الحد ولا يحتاج فيه إلى تيامن ولا تياسر بخلاف ما اذا قرب القطر من الكعبة فانه يقع في متضيق الجزء ويحتاج عند ذلك إلى تيامن أو تياسر فان فرضنا أن الواجب اصناف عين الكعبة في استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة وقد علمت ما في هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء فانه لا يتسارع في اختلاف المحاريب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذي لا يخرج عن حد الجهة فلو زاد الاختلاف حكم يطلان أحد المحرابين ولا بد اللهم إلا أن يكونا في قطرين بعيدين بعضهما عن بعض وليس على خط واحد من مسامتي الكعبة وذلك كبلاد الشام وذياب مصر فان البلاد الشامية لها جانبان وخطها متسعة مستطيلة في شمال مكة وتمتد أكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة إلى مقدار بعدها عن الكعبة وفي هذين القطرين يجري ما تقدم ذكره في أرض الحجة إلا أن التيامن والتياسر ظهوره في البلاد الشامية أقل من ظهوره في أرض الحجة من اجزاء البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض الحجة

وذلك أن البلاد الشامية وقعت في منسج الجزء الخاص بها فلم يظهر أثر التيامن والتماسر ظهورا كثيرا كظهوره في أرض الحجة لأن البلاد الشامية لها جانب شرقي وجانب غربي ووسط جانبها الغربي هو أرض بيت المقدس وفلسطين إلى العريش أول حدة مصر وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حدة مهب النكباء التي بين الجنوب والصبيا وأما جانب البلاد الشامية الشرقي فإنه ما كان مشرقا عن مدينة دمشق إلى حلب والفرات وما يسامت ذلك من بلاد الساحل وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهب الجنوب قليلا وأما وسط بلاد الشام فإنها دمشق وما قاربها وتقابل الكعبة على وسط مهب الجنوب وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه إلى ناحية المشرق * وأما مصر فإنها تقابل الكعبة فيما بين الصبا ومهب النكباء التي بين الصبا والجنوب ولذلك لما اختلف هذا القطران أعنى مصر والشام في محاذاة الكعبة اختلفت محاريبهما وعلى ذلك وضع الصحابة رضي الله عنهم محاريب الشام ومصر على اختلاف سمتين فأما مصر بعينها وضواحيها وما هو في حدها أو على سمتها وفي البلاد الشامية وما في حدها أو على سمتها فإنه لا يجوز فيها تصويب محاريب مختلفين اختلافا يبينان تباعد القطر عن القطر عسافة قرية أو بعيدة وكان القطران على سمت واحد في محاذاة الكعبة لم يضر حينئذ تباعدهما ولا تختلف محاريبهما بل تكون محاريب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد وذلك كصرو وبرقة وقرية وصقلية والاندلس فإن هذه البلاد وإن تباعدت بعضها عن بعض فإنها كلها تقابل الكعبة على حد واحد وسمتها جميعا سمت مصر من غير اختلاف البتة وقد تبين بما تقرّر حال الاقطار المختلفة من الكعبة في وقوعها منها * وأما اختلاف محاريب مصر فإن له أسبابا أحدها حل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الحافظ أبو عيسى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما بين المشرق والمغرب قبله على العموم وهذا الحديث قد روى موقوفا على عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال أحمد بن حنبل هذا في كل البلدان قال هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبله قليل له فصلا من صلى بينهما جائزة قال نعم وينبغي أن يتحرى الوسط وقال أحمد بن خالد قول عمر ما بين المشرق والمغرب قبله قاله بالمدينة فمن كانت قبلته مثل قبله المدينة فهو في سعة مابين المشرق والمغرب وللسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال وقال أبو عمر بن عبد البر لا خلاف بين أهل العلم فيه * قال مؤلفه رحمه الله إذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم إبطال التوجه إلى الكعبة في بعض الاقطار والله سبحانه قد اقتضى على الكافة أن يتوجهوا إلى الكعبة في الصلاة حينما كانوا يقولون تعالوا من حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام وحينما كنتم قولوا وجوهكم شطره وقد عرفت ان كنت تمهت في معرفة البلدان وحدود الأقاليم أن الناس في توجههم إلى الكعبة كالدائرة حول المركز فمن كان في الجهة الغربية من الكعبة فإن جهة قبلته صلته إلى المشرق ومن كان في الجهة الشرقية من الكعبة فإنه يستقبل في صلته جهة المغرب ومن كان في الجهة الشمالية من الكعبة فإنه يتوجه في صلته إلى جهة الجنوب ومن كان في الجهة الجنوبية من الكعبة كانت صلته إلى جهة الشمال ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب فإن قبلته فيما بين الشمال والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فإن قبلته فيما بين الشمال والمشرق ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فقد ظهر ما يلزم من القول بعموم هذا الحديث من خروج أهل المشرق الساكنين به وأهل المغرب أيضا عن التوجه إلى الكعبة في الصلاة عينا وجهه لأن من كان مسكنه من البلاد ما هو في أقصى المشرق من الكعبة لوجعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه لكان انما يستقبل حينئذ جنوب أرضه ولم يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها فوجب ولا بد حل الحديث على أنه خاص بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من البلاد بدليل أن المدينة النبوية واقعة بين مكة وبين أوسط الشام على خط مستقيم والجانب الغربي من بلاد الشام التي هي أرض المقدس وفلسطين يكون عن يمين من يستقبل بالمدينة الكعبة والجانب الشرقي الذي هو حصن وجلب وما والى ذلك واقع عن يسار من استقبل

الكعبة بالمدينة والمدينة واقعة في أوسط جهة الشام على جهة مستقيمة بحيث لو خرج خط من الكعبة ومتر على استقامة الى المدينة النبوية لنفذ منها الى أوسط جهة الشام سواء وكذلك لو خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه على استقامة لوقع فيما بين الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامي فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذي وقع فيه من الكعبة ومتر لنفذ الى بيت المقدس على استواء من غير ميل ولا انحراف البتة وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال والدير وبين القطب الشمالي وهو الى القطب الشمالي أقرب وأميل ومقابلته ما بين أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب وهو الى الجنوب أقرب والمدينة النبوية مشرفة عن هذا سمت ومغربة عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام وهو الجانب الغربي تغربا يسيرا فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه وما بينهما فهو قبلته وتكون حينئذ الشام بأمرها ووجه بلادها خلفه فالمدينة على هذا في أوسط جهات البلاد الشامية ويشهد بصدق ذلك ما رويناه من طريق مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رقيت على بيت أختي حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا الحاجة مستقبل الشام مستدبر القبلة وله أيضا من حديث ابن عمر بينا الناس في صلاة الصبح إذا جاءهم أت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستدار الى الكعبة فهذا اعز الله أو ضع دليل أن المدينة بين مسكة والشام على حد واحد وأنما في أوسط جهة بلاد الشام فمن استقبل بالمدينة الكعبة فقد استدبر الشام ومن استدبر بالمدينة الكعبة فقد استقبل الشام ويكون حينئذ الجانب الغربي من بلاد الشام وما على سمت من البلاد جهة القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ومغرب الشتاء عن يمينه فيكون ما بين ذلك قبلته وتكون قبله الجانب الشرقي من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان أن يجعل المصلي مغرب الصيف عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره وما بينهما قبلته ويكون أوسط البلاد الشامية التي هي حد المدينة النبوية قبله المصلي بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ومغرب الاعتدال عن يمينه وما بينهما قبلته فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة وما على سمت من البلاد الشامية وما وراءها من البلدان المسامطة لها وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من البلدان فإن القبلة واقعة فيما بين المشرق والمغرب لكن على عكس وقوعها في البلاد الشامية فإنه يصير مشارق الكواكب في البلاد الشامية التي على يسار المصلي واقعة عن يمين المصلي في بلاد اليمن وكذلك كل ما كان من المغارب عن يمين المصلي بالشام فإنه يتقلب عن يسار المصلي باليمن وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة فإنه يتوجه الى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب وهذه الاقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث وحكمه لازم لهم وهو خاص بهم دون من سواهم من أهل الاقطار الأخر ومن أجل جل هذا الحديث على العموم كان السبب في اختلاف محارب مصر * (السبب الثاني) في اختلاف محارب مصر أن الديار المصرية لما اقتحمها المسلمون كانت خاصة بالقبض والروم مشحونة بهم ونزل الصحابة رضي الله عنهم من أرض مصر في موضع القسطاط الذي يعرف اليوم بمدينة مصر وبلاساكندرية وتركوها ساقرى مصر بأيدي القبط كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى وإنما كانت رابطة تخرج الى الصعيد حتى إذا جاء أو ان الربيع انتشر الاتباع في القرى رعى الدواب ومعهم طوائف من السادات ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى الجند عن الزرع ويبعث الى أمراء الاجناد يعطوا الرعية أعطياتهم وأرزاق عيالهم وينهاهم عن الزرع * روى الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد في كتاب فتوح مصر من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب أمر بنادره أن يخرج الى أمراء الاجناد يتقدمون الى الرعية أن يعطوا هم قائم وأن ارزاق عيالهم سابل فلا يزعمون ولا يزاعون * قال ابن وهب واخبرني شريك بن عبد الرحمن المرادي قال بلغنا أن شريك بن سمي الغطفاني أتى الى عمرو بن العاص فقال انكم لا تعطوننا ما يحسبنا اقتادنا بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير إذن عمرو فلما بلغ ذلك عمر اكتب الى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطفاني حرث بأرض مصر فكتب اليه عمر أن ابعث الى به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو أقرأه شريك فقال شريك لعمر وقتلني يا عمرو فقال عمرو ما أنا بالذي قتلتك انت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فأتدني بالخروج من غير

كتاب ولاك على عهد الله أن أجعل يدي في يده فاذا نزل بالخروج فلما وقف على غمر قال تؤمنني يا أمير المؤمنين قال ومن أي الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلك شريك بن سمي الغطفاني قال نعم يا أمير المؤمنين قال لا جعلتك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل مني ما قبل الله تعالى من العباد قال وتفضل قال نعم فكتب الى عمرو بن العاص ان شريك بن سمي جاءني تأبأ فقبلت منه * قال وحدثنا عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن بن شريح عن أبي قبيل قال كان الناس يجمعون بالقسطا اذا اقبلوا فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال قد حضر مرافق الريف ربيعكم فانصرفوا فاذا حض اللين واشتد العود وكثر الذباب فحى على فسطاطكم ولا أعلن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده * وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال كان عمرو يقول للناس اذا اقبلوا من غزوهم انه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج فرسه ربعة فليفعل ولا أعلن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فاذا حض اللين وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قير وانكم * وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك الجبيري عن مجير بن ذافر المعافري قال رحت أنا ووالدي الى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك بعد جيم النصارى بأيام سيرة فاطلنا الركوع اذا قبل رجال بأيديهم السيما يزحرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء فقال يا بني هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فقرأت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبجل عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق عليه حلة وعبامة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمدا موحزا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلاته الارحام ويأمر بالاعتصام وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال في ذلك فقال يا معشر الناس اياكم وخلا لا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى المذلة بعد العزة اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقبل بعد القفال في غير ذلك ولا نوال ثم انه لا بد من فراغ يقول الى المرء في توديع جسمه والتدبير لشانه وتخليته بين نفسه وبين شهواته ومن صار الى ذلك فلما أخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيجوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا يا معشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذلت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السمائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم وأسمنوها ووصونها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغناكم وأنفالكم واستوصوا بمن جاوركموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانن يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم ولا أعلن ما الى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه واعلوا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلوا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وحدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاقبضوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضي الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة فاجدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم فاذا يس العود وحض الماء وكثر الذباب وحض اللين وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدم من أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعباله على ما أطاق من سعته أو عسرة أو قول قولي هذا واستحفظ الله عليكم قال فحفظت ذلك عنه فقال والدي بعد انصرفنا الى المنزل لما حكيت له خطبته انه يا بني يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والادعة * قال وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم برية معهم ولبنهم الى حيث أحبوا وكانت القرى التي يأخذ فيها معظمهم منوف وسمند واهناس وطحا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم وكانت هذيل تأخذ في بيا ووسيم وكانت عدوان تأخذ في بوسير وقرى عك والذى يأخذ فيه معظمهم بوسير ومنوف وسنديس واتريب وكانت بلي تأخذ في منف وطراينة وكانت فهم تأخذ في اتريب وعين

شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ في مناوغي وبسطة ووسيم وكانت لحم تأخذ في القيوم وطرانية وقريبط وكانت
جذام تأخذ في قريبط وطرانية وكانت حضر موت تأخذ في بياوعين شمس وارتيب وكانت مراد تأخذ في منف
والقيوم ومعهم عيس بن زوف وكانت حير تأخذ في بوسير وقرى اهناش وكانت خولان تأخذ في قرى اهناش
والقيس واليهنسا وآل وعله يأخذون في سقط من بوسير وآل ابرحة يأخذون في منف وغفار وأسلم يأخذون مع
واثل من جذام وسعد في بسطة وقريبط وطرانية وآل يسار بن ضبة في ارتيب وكانت المعافر تأخذ في ارتيب
وصفا ومنوف وكانت طائفة من تحيب ومراد يأخذون باليدقون وكان بعض هذه القبائل رعاعا ور بعضا
في الربيع ولا يوقف في معرفة ذلك على أحد الا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا وكان يكتب لهم
بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن وكان لغفار وليث أيضا مريع بارتيب قال واقامت مدلج بنجر بنا فتأخذوها
منزلا وكان معهم قمر من حير حلقوهم فيها فهي منازلهم ورجعت خشين وطائفة من لحم وجذام قتلوا أكاف
هشان وابليس وطرانية ولم تكن قيس بالخوف الشرقي قديما وانما انزلهم به ابن الحجاب وذلك انه وفد الى
هشام بن عبد الملك فأمره بفريضة خمسة آلاف رجل فجعل ابن الحجاب الفريضة في قيس وقدم بهم فأمرهم
الخوف الشرقي بمصر فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكينة بالريف ومع
ذلك فكانت القرى كلها في جميع الاقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر
الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عند ما أنزل عبيد الله بن الحجاب مولى سلول قيسا بالخوف الشرقي فلما كان
في المائة الثانية من سني الهجرة كثرت انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها وما برحت القبط تنقض وتحارب
المسلمين الى ما بعد المائتين من سني الهجرة * قال ابو عمرو ومحمد بن يوسف الكندي في كتاب أهرام مصر وفي
أجرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحجاب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك بأن أرض
مصر تحتل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنوغي وقريبط وطرانية وعامة الخوف الشرقي
فبعث اليهم الحر بن أبي الديوان فحاربوهم فقتل منهم خلق كثير وذلك أول نقض القبط بمصر وكان نقضهم
في سنة تسع ومائة ورباط الحر بن يوسف بدحايا ط ثلاثة أشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة
احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا
فظفر بهم وخرج بجنس وهو رجل من القبط من سمود فبعث اليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر
فقتل بجنس في كثير من اصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط أيضا برشيد فبعث اليهم مروان
ابن محمد الحارثي فدخل مصر فارأى من بني العباس عثمان بن أبي سبعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن
قيصة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخاونايد والعمال وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة وصاروا
الى شرا سلبا وانضم اليهم أهل البشرد والاوسية والنخوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلب
على أهل الديوان ووجوه أهل مصر فخرجوا اليهم وقاتلهم القبط وقتلوا من المسلمين فأتى المسلمون النار في عسكر
القبط وانصرف العسكر الى مصر منهزما * وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط يلبثت
في سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم نقضت القبط في جمادى الاولى سنة ست عشرة
ومائتين مع من نقض من أهل اسفل الارض من العرب وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة العمال
فيهم فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر
اعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فعقد على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا
وأوقع الافشين بالقبط في ناحية البشرد حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء
والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتبع كل من بومأ اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى القسطنطين في صفر
ومضى الى حلوان وعاد لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالقسطنطين وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما *
فانظر أعزك الله كيف كانت اقامة الصحابة انما هي بالقسطنطين والاسكندرية وانه لم يكن لهم كثيرا اقامة بالقرى
وأن النصارى كانوا مائة مكنين من القرى والمسلمون بها قليل وانهم لم ينتشروا بالنواحي الا بعد عصر الصحابة
والتابعين يتبين لك انهم لم يؤسسوا في القرى والنواحي مساجد وتفطن لشيء آخر وهو أن القبط ما برحوا
كما تقدم يثبتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بما هم عليه من القوة والكثرة فلما وقع بهم المأمون الواقعة التي قلنا

غلب المسلمون على أما كنهم من القرى لما قتلوا منهم وسبوا وجعلوا غدة من كنائس النصارى مساجد وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب زعماءهم أنهم أمروا باستقبال المشرق الاعتدال وأنه الجنة لطالع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عند ما غلبوا عليها وصيروها مساجد فجاءت موازية لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيرا يحكم بخطتها وبعدها عن الصواب كما تقدم * (السبب الثالث) تساهل كثير من الناس في معرفة أدلة القبلة حتى أنك تجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا وقد علم من له ممارسة بالرياضيات أن منازل القمر يعرف وقت السحر وانتقال الفجر في المنازل وناهيك عما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام وهذه المنازل التي للقمر من بعض ما يستدل به على القبلة والطرفات وهي من مبادئ العلم وقد جهلوه في أعوزة الأدنى فخره أن يجهل ما هو أعلى منه وأدق * (السبب الرابع) الاعتذار بنجم سهيل فإن كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فإن هذا امر يحتاج فيه إلى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها في أوسط الجنوب وغربها يميل عن أوسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطلع سهيل ومطلعه في سمت قبلة مصر تقريرا فجهل من قام بأمر البناء فرق ما بين مطلع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن سمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه إليه البتة * (السبب الخامس) أن المحاريب الفاسدة بديار مصر أكثرها في البلاد الشمالية التي تعرف بالوجه البحري والذي يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام وذلك أن بلاد مصر التي في الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام في كثرة أمطارها وشدّة بردها وحسن فواكهها فاستطرد الشبه حتى في المحاريب ووضعها على سمت المحاريب الشامية فجاء شيئا خطأ وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام حتى يكون حكمها في استقبال الكعبة كالحكم في البلاد الشامية بل هي مغربة عن الجانب الغربي من الشام بعدة أيام وسمتاها مختلفان في استقبال الكعبة لاختلاف القطرين فإن الجانب الغربي من الشام كما تقدم يقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم وهو حيث مهب النكباء التي بين الشمال والدبور ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل وهم يستقبلون أوسط الجنوب في صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالي المسمى بالجدى وراء ظهورهم والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا فإذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربي من الشام بأيام عديدة تعين ووجب أن تكون محاريبها ولا بد مماثلة إلى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام وهذا أمر يدركه الحس ويشهد لصحته العيان وعلى ذلك أسس الصحابة رضي الله عنهم المحاريب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسسوا المحاريب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه إلى ناحية الجنوب * فرض رجل الله نفسك في التمييز وعود نظرك التأمل وأربأ نفسك أن نقاد كما نقاد البهيمه بتقليد لمن لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة وألئت لك من القول وقربت لك حتى كأنك تعابن الاقطار وكيف موقعها من مكة * ولّي هنا مزيد بيان فيه الفرق بين اصابة العين واصابة الجهة وهو أن المكلف لو وقف وفرضنا أنه خرج خط مستقيم من بين عينيه ومتر حتى انفصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها إلى جهة من الجهات فإنه لا بد أن يتكشف لبصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهي بصره إلى غيره أن كان لا يخبر عن مقابلته فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عيني الواقف بحيث يلتقيان في باطن الرأس على زاوية مثلثة ويتصلان بما انتهى إليه البصر من كلا الجانبين لكان ذلك شكلا مثلثا بقسمة الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة بنصفين حتى يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين فالخط الخارج من بين عيني مستقبل الكعبة الذي فرق بين الزاويتين هو مقابلة العين التي اشترط الشافعي رحمه الله وجوب استقباله من الكعبة عند الصلاة ومنتهى ما يتكشف بصر المستقبل من الجانبين هو حد مقابلة الجهة التي قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله في الصلاة والخطان الخارجان من العينين إلى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال فهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عين الكعبة ومهما وقعت صلاته منحرفة عن عين الخط أو يساره بحيث لا يخرج

استقباله عن منتهى حد الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين فانه مستقبل جهة الكعبة وان خرج استقباله عن حد الزاويتين من أحد الجانبين فانه يخرج في استقباله عن حد جهة الكعبة وهذا الحد في الجهة تسع بعد المدى ويضيق بقرية فأقصى ما ينتهي اليه اتساعه ربع دائرة الافق وذلك أن الجهات المعتبرة في الاستقبال اربع المشرق والمغرب والجنوب والشمال فمن استقبال جهة من هذه الجهات كان أقصى ما ينتهي اليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الافق وان انكشف لبصره أكثر من ذلك فلا عبرة به من اجل ضرورة تساوي الجهات فانالو فرضنا انسانا وقف في مركز دائرة واستقبل جزأ من محيط الدائرة لكات كل جهة من جهاته الاربع التي هي وراءه وأمامه ويمينه وشماله تقابل ربعا من ارباع الدائرة فتبين بما قلنا أن أقصى ما ينتهي اليه اتساع الجهة قدر ربع دائرة الافق فأى جزء من أجزاء دائرة الافق قصده الواقف بالاستقبال في بلد من البلدان كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الافق وكان الخط الخارج من بين عيني الواقف الى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ومنتهى الربع من جانبيه يمنة ويسرة هو منتهى الجهة التي قد استقبلها فخرج من محاريب بلد من البلدان عن حد جهة الكعبة لاتصح الصلاة لذلك المحراب بوجه من الوجوه وما وقع في جهة الكعبة صحت الصلاة اليه عند من يرى أن الفرض في استقبال الكعبة اصابة جهتها وما وقع في مقابلة عين الكعبة فهو الاستقبال الاصل الاولى عند الجمهور * وان أنصفت علمت أنه مهما وقع الاستقبال في مقابلة جهة الكعبة فانه يكون سديدا واقرب منه الى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين يمنة أو يسرة بخلاف ما وقع بعيدا عن مقابلة العين فانه بعيد من الصواب ولعله هو الذي يجري فيه الخلاف بين علماء الشريعة والله اعلم * وحيث تقرر الحكم الشرعي بالدالة السبعة والبراهين العقلية في هذه المسألة فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التي بقرافة مصر وبالوجه البحري من ديار مصر واقعة في آخر جهة الكعبة من مصر وخارجة عن حد الجهة وهي مع ذلك في مقابلة ما بين الجبة والنوبة لافي مقابلة الكعبة فانها منصوبة على موازاة خط نصف النهار ومحاريب الصحابة على موازاة مشرق الشتاء تحياه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها الى ناحية الجنوب فاذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لاهل مصر وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الافق صار سمت المحاريب التي هي موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة والذي يستقبلها في الصلاة يصلى الى غير شطر المسجد الحرام وهو خطر عظيم فاحذره * واعلم أن صعيد مصر واقع في جنوب مدينة مصر وقوس واقعة في شرقي الصعيد وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر فالمتوجه من مدينة قوس الى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء الى أن يصل الى عيذاب ولا يزال كذلك اذا سار من عيذاب حتى ينتهي في البحر الى جدة فاذا سار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة فاذا اعاد من مكة استقبل المغرب فاعرف من هذا أن مكة واقعة في النصف الشرقي من الربع الجنوبي بالنسبة الى أرض مصر وهذا هو سمت محاريب الصحابة التي بديار مصر والاسكندرية وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محاريب اقليم مصر * (برهان آخر) وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة فانه يستقبل ما بين القطب الشمالي الذي هو الجدي وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث وفي هذه المدة يكون مهب النكباء التي بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أو وسط الشمال بحيث يبقى الجدي تلقاء وجهه الى أن يصل الى بدر فاذا سار من بدر الى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الاعتدال تارة الى أن ينتهي الى المدينة فاذا ارجع من المدينة الى الصفراء استقبل مغرب الشتاء الى أن يعدل الى ينبع فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف فاذا سار من ينبع استقبل ما بين الجدي ومغرب التريا وهو مغرب الصيف وهبت النكباء تلقاء وجهه الى أن يصل الى مدين فاذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل ايلة ومن ايلة لا يزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ويميل عنه الى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى الى أن يصل الى القاهرة ومصر فلو فرضنا خطا خرج من محاريب مصر الصحيحة التي وضعها الصحابة وتمر على استقامة من غير ميل ولا انحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها * واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وبرقة واغريقية وطرابلس المغرب وصقلية والاندلس وسواحل المغرب الى السوس الاقصى والبحر المحيط وما على

سمت هذه البلاد يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي الى الميزاب فمن أراد أن يستقبل الكعبة في شيء من هذه البلاد فليجعل نبات نعش اذا غربت خلف كتفه الايسر واذا طلعت على صدغه الايسر ويكون الجدي على أذنه اليسرى ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ربح الشمال خلف أذنه اليسرى أو ربح الدبور خلف كتفه الايمن أو ربح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى فانه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محارب الصحابة الذين أمرنا الله باتباع سيد لهم ونما ناعن مخالفتهم بقوله عز وجل "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا اللهمنا الله بمنه اتباع طريقهم وصيرنا بكرمه من حزنهم وفريقهم انه على كل شيء قدير

* (جامع العسكر) *

هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع احمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان الى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار الى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته اماره مصر ملاصقا لشرطة العسكر التي كان يقال لها الشرطة العليا في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه وكانت ولاية الفضل اماره مصر من قبل المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور على الصلاة والخراج فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام ومصر تطرم لما كان في الخوف ونخروج دحية بن مصعب بن الاصبع بن عبد العزيز بن مروان فقام في ذلك وجهز الجنود حتى أسردحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقباي في أمر دحية وقد عجز عنه غيري حتى كفت أهل مصر أمره فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي بعد ما أقتره فندم الفضل على قتل دحية وأظهر توبة وسار الى بغداد فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خراعة على صلاة مصر وخراجها من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون في ربيع الأول سنة احدى عشرة ومائتين فزاد في عمارته وكان الناس يصابون فيه الجمعة قبل بناء جامع احمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع الى ما بعد الخمسمائة من سني الهجرة قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وكان يطلق في الاربع ليلالي الوقود وهي مستهل رجب ونصفه ومستهل شعبان ونصفه برسم الجوامع الستة الازهر والانور والاقرب بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تتضمن الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي يكون لأربابها واجهة بجله ككثيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقسيسير ويعني بجامع ساحل الغلة جامع العسكر فان العسكر حيثئذ كان قد خرب وجعلت أنقاضه وصار الجامع بساجل مصر وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب

* (ذكر العسكر) *

كان مكان العسكر في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالجرأ القصى وهي كما تقدم خطه بنى الازرق وخطه بنى رويل وخطه بنى يشكر بن جزيلة من الخم ثم دثرت هذه الجرأ وصارت حمرأ فلما زالت دولة بنى أمية ودخات المسودة الى مصر في طلب مروان بن محمد الجعدي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهي خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما في هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمى من يومئذ بالعسكر وصار أمراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون وقال الناس من عهد كنا بالعسكر خرجنا الى العسكر وكنت في العسكر فصارت مدينة القسطاط والعسكر ونزل الامراء من عهد أبي عون بالعسكر فلما ولي يزيد بن حاتم اماره مصر وقام علي بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المسجد كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يتحول من العسكر الى القسطاط وأن يجعل الديوان في كائن القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة الى أن قدم الامير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميراً على مصر فنزل بالعسكر يدار الا مارة التي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب الى الجامع الذي بالعسكر وكان الامراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ثم

تقول منه الى القطائع وجعلها أبو الجيوش خارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوان الخراج ثم فرقت
 حجر حجر بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بد ارفي
 العسكر عند المصلى القديم ونزلها الامراء من بعده الى أن ولي الاخشيدي محمد بن طفيح قنزل بالعسكر أيضا ولما بنى
 احمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبني الجامع على جبل يشكر فعمرها هنالك عماره عظيمة
 بحيث كانت هنالك دار على بركة قارون أنفق عليها كفافور الاخشيدي مائة ألف دينار وسكنها وكان
 هنالك مارستان احمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار * وقدمت عساكر المعزدين الله مع
 كاتبه وغلامه جوهر القائل في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسم كرعاهم غير أنه منذ بنى احمد بن طولون
 القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة القسطاط والقطائع فلما خرب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن
 طولون وميدانه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليسة حيث كان العسكر
 وأنزل المعزدين الله عمه أبا علي في دار الامارة فلم يزل أهلها الى أن خربت القطائع في الغلاء الكائن بمصر
 في خلافة المستنصر أعوام يضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك ما ينف على مائة ألف دار ولا ينكر
 ذلك فانظر ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذي يعرف اليوم بالكبارة وما بين كوم
 الجراح من مصر وقناطر السباع فهناك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع
 وحدره ابن هجبة الى كوم الجراح حيث القضاء الذي توسط فيما بين قنطرة السد وباب المخدم من جهة
 القرافة فهناك كان العسكر ولما استولى الخراب في الحنة فمن المستنصر أمر الوزير الناصر الدين عبد الرحمن
 البازوري ببناء حائط يسترا الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر
 فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الامراء بحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله
 أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فائق المنعوت بالأمون البطايحي فنودي بمدة ثلاثة ايام في القاهرة ومصر بأن من
 كان له دار في الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ومن تأخر
 بعد ذلك فلا حق له ولا حكر لمزومه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كلن منه مما يلي القاهرة
 من حيث مشهد السيدة نفيسة الى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصارت القضاء الذي وصل اليه من
 مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ويسلك فيه الى حيث كوم الجراح والعامر الآن
 من العسكر جبل يشكر الذي فيه جامع ابن طولون وما حوله الى قناطر السباع كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

* (جامع ابن طولون) *

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل
 ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات * وابتدأ في بناء هذا الجامع الامير أبو العباس احمد بن طولون
 بعد بناء القطائع في سنة ثلاث وستين ومائتين * قال جامع السيرة الطولونية كان احمد بن طولون
 يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بني الجامع الجديد بما أفاء الله عليه من المال الذي
 وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه بني العين فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود
 فقبل له ما تجدها أو تنفذ الى الكائن في الارياض والضباع الخراب فتحمل ذلك فأكثر ذلك ولم يحتره وتعذب
 قلبه بالفكر في أمره وبلغ التصرف الذي تولى له بناء العيز وكان قد غضب عليه وضربه ورماه في المطبق الخبير
 فكتب اليه يقول أنا ابنه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودي القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على
 وجهه فقال له ويحك ما تقول في بناء الجامع فقال أنا أصوره للامير حتى يراه عيانا بلا عمد الا عمودي القبلة
 فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له للنفقة عليه مائة
 ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك فوضع النصراني يده في البناء في الموضع الذي
 هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى الى أن فرغ من جميعه ويضه وخلقه وعلق فيه القناديل
 بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القراء والفقهاء وصلى
 فيه بكار بن قتيبة القاضي وعمل الربيع بن سليمان بابا فيماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله
 مسجدا ولو لم يفتح قطاة بنى الله له بيتا في الجنة فلما كان أول جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة

جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستقلى وفتح باب المقصورة وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف
والغلمان قيام وسائر الجباب حتى فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال يقول
لك الامر تفعل الله بما علمك وهذه لابي طاهر يعني ابنه وتصدق احمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه وعمل طعاما
عظيما للفقراء والمساكين وكان يوما عظيما حسنا * وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للإمامة
وقد فرشت وعلفت وجلت اليها الآلات والاواني وصناديق الاثربة وما شاكلها فقل بها أحمد وجدد طهره
وغير ما به وخرج من بابها الى المقصورة فركع وسجد شكر الله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسر له فلما أراد
الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على القوارة وخرج الى باب الريح فصعد النصراني الذي بنى الجامع
ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح يا أحمد بن طولون يا امير الامان عسلك بريد الجائرة ويسأل الامان أن
لا يجرى عليه مثل ما جرى في المرة الاولى فقال له احمد بن طولون انزل فقد امنك الله ولك الجائزة فقل وخلع
عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات * وراح أحمد بن طولون في يوم الجمعة الى
الجامع فلما في الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخي دعا للمعتمد ولولده ونسي أن يدعو لاجد بن طولون
ونزل عن المنبر فأشار أحمد الى نسيه الخادم أن اضربه خمسة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مرأى
المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الامير
أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فظن أحمد الى نسيه
أن اجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهناء الناس بالسلامة * ورأى
أحمد بن طولون الصناع ينون في الجامع عند العشاء وكان في شهر ربه رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء
افطار العيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة الى اليوم بمصر فلما فرغ شهر ربه رمضان قيل له قد انقضى
شهر رمضان فيعودون الى رسمهم فقال قد بلغني دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفرا العمل علينا وفرغ
منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وتقرّب الناس الى ابن طولون بالصلاح فيه وأزعم أولادهم كلهم
صلاة الجمعة في قوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد
منهم وراق وعدة غلمان * وبلغت النفقة على هذا الجامع في بانه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار * ويقال
ان احمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلّى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع الا الجامع فانه
لم يقع عليه من النور شيء فتألم وقال والله ما بينته الا الله خالصا ومن المال الحلال الذي لاشبهه فيه فقال له معبر
حاذق هذا الجامع يبق ويحزب كل ما حوله لان الله تعالى قال فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا فكل شيء وقع عليه جلال
الله عز وجل لا يثبت وقد صرح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهر اوطيلا كما تقدم في موضعه من
هذا الكتاب وبقى الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن * قال القاضي رحمه الله وذكر أن
السبب في بانه أن أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بإنشاء المسجد الجامع
بجبل يشكر بن جديله من لحم فابتدأ بانيه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل
ان احمد بن طولون قال أريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بتي وان غرقت بتي فقل له يبني بالجيرة والرماد والا بحر
الاجر القوي النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر لها على النار فبناه هذا البناء وعمل
في مؤخره مiazza وخرانة شراب فيها جميع الثمرات والادوية وعلمها خدام وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث
يحدث للحاضر من الصلاة وبناء على بناء جامع سامر او كذلك المنارة وعلق فيه سلاسل النحاس
المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالخضر العبدانية والسامانية * (حديث الكنز) قال جامع السيرة
لما ورد على احمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر اليه وزاده المعتمد مع ما طلب الثغور
الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرا فقها فأمر بتركها وكتب باسقاطها في سائر الاعمال ومنع
المتقبلين من القسح على المزارعين وخطر الارتفاق على العمال وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد ساور عبد الله
ابن دسومة في ذلك وهو يومئذ امين على أبي أيوب متولى الخراج فقال ان أمتني الامير تكلمت بما عندي فقال له
قد امنك الله عز وجل فقال أيها الامير ان الدنيا والآخرة ضرّتان والحازم من لم يخطأ احدهما مع الاخرى
والفترط من خطئ بينهما فبطلت أعماله وبطل سعيه وافعال الامير ايده الله الخير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله

من ركب خطة لم يحكمها ولو كاشق بالنصر دائما طول العمر لما كان شئ عندنا آثر من التضيق على انفسنا في العاجل بعمارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات وترك الانسان ما قد امكنه وصار في يده تضييع ولعل الذي جاء نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجمع للامير ايده الله بما قد عزم على اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار وان فسح ضياع الاحراء والمتقيلين في هذه السنة لانهما سنة طمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفر وفرا عظميا يضاف الى مال المرافق فيضبط به الامير ايده الله أمر ديناه وهذه طريقة امور الدنيا وأحكام امور الرياسة والسياسة وكل ما عدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدينه وهذا رأيي والامير ايده الله على ما عساه يراه فقال له تنظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى اكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى محمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيا لله عز وجل عوقبه الله عنه فأمض ما كنت عزمته عليه فلما أصبح أتخذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك وتقدم به في سائر الدواوين بامضائه ودعا بابن دسومة فعرفه بذلك فقال له قد اشار عليك رجلان الواحد في البقطة والاخر ميت في النوم وانت الى الحي اقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا فلت أقبل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما معن في الصحراء ساخت في الارض بدفوس بعض علمائه وهو مل فسقط الغلام في الرمل فاذا بقتق قفح فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار وهو الكثر الذي شاع خبره وكتب به الى العراق احمد بن طولون يجبر المقدم به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيره فبني منه المارستان ثم اصاب بعده في الجبل مالا عظيما فبني منه الجامع ووقف جميع ما بقي من المال في الصدقات وكانت صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة * ولما انصرف من الصحراء وجل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له بش الساحب والمستشار ان هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أنني امتنك لضربت عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورفع اليه بعد ذلك انه قد اجحف بالناس وأزهم اشياء ضجوا منها فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فبات في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة يخيل الكف زاهدا في شكر الناس كرين لا يش الى شئ من أعمال البر وكان احمد بن طولون من أهل القرآن اذا جرت منه اساءة استغفر وتضرع * وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء هذا الجامع أسر للناس بسماع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست له مبيضة فجمع الناس وقال أما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي وأما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكثر وما كنت لاشوبه بغيره وهذه العمد اما أن تكون من مسجد أو كنيسة فترهته عنها وأما المبيضة فاني نظرت فوجدت ما يكون بها من التباسات فظهرته منها وها أنا ابنيها خلفه ثم أمر ببنائها * وقيل انه لما فرغ من بناءه رأى في منامه كأن نار انزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله فلما أصبح قص رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لان النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربا نار انزلت نار من السماء أخذته دليله قصة قابيل وهابيل * قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرة بجميعه من غير ولم أرمصن فاذكره لانه مستفاد من الافواه والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ما حوله حتى كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتها في كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار لشخص يبيع الغزل ويشتره والظهر لحياز والعصر لشئ يبيع الحصى والقول * وقيل عن احمد بن طولون انه كان لا يعيب شئ قط فاتفق انه أخذ درجا بيض بيده وأخرجه ومده واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وبأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبني المنارة التي للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعامة يقولون ان العشاري الذي على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيفا وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعتنى بوقود هالدلة النصف من شعبان ثم ابطلها وقال المسيحي ان الحاكم انزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا * وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى احترقت القوارة التي كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شئ وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشر عمد رخام

وسنة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة أذرع في وسطها
 فؤارة تفور بالماء وفي وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها وفي أخرى على سلمها وفي السطح علامات الزوال والسطح
 بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا في ساعة واحدة * وفي المحرم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة أمر العزيز بالله
 ابن المعز ينيئاً فؤارة عوضاً عن التي احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفي وقولى عمارتها ابن الرومية وابن
 البناء وماتت أم العزيز في سلخ ذي القعدة من السنة والله اعلم * (تجديد الجامع) * وكان من خبر جامع ابن
 طولون أنه لما كان غلاماً مضى في زمان المستنصر وخربت القاطع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ما حول
 الجامع خراباً وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اسكبه وصار أخيراً ينزل فيه المغاربة بأباعرها
 ومتاعها عند ما تمر بمصر أيام الحج فيها الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الأشرف خليل بن
 قلاوون وبين الأمير بيدرامور موحشة تزايدت وتأكدت إلى أن جمع بيدرامور من يتق به وقتل الأشرف بناحية
 تروجه في سنة ثلاث وتسعين وستمائة كما سأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته وكان ممن وافق الأمير
 بيدرامور على قتل الأشرف الأمير حسام الدين لاجين المنصوري والأمير قراسنقر فلما قتل بيدرامور في محاربة بمالك
 الأشرف له فز لاجين وقراسنقر من المعركة فاخفى لاجين بالجامع الطولوني وقراسنقر في داره بالقاهرة وصار
 لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه وأعطى الله عهداً ان سلمه الله من
 هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به ثم انه خرج منه في خفية إلى القرافة
 فأقام بهامدة وراسل قراسنقر فحصل في لحاقه به وعمل أعمالاً إلى أن اجتمع بالأمير زين الدين كتيغا المنصوري
 وهو اذ ذاك نائب السلطنة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بأموار الدولة كلها فأحضرهما إلى مجلس
 السلطان بقلعة الجبل بعد أن اتفق أمرهما مع الإمراء وممالك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما إلى داره
 وهو آمن فلم تطل أيام الملك الناصر في هذه الولاية حتى خلعه الأمير كتيغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك
 العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرى أموراً اقتضت قيام لاجين على كتيغا وهم بطريق الشام
 ففر كتيغا إلى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار إلى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل
 وتلقب بالملك المنصور في المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر في نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج
 الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل إلى كرك الشوبك فجعله في قلعتها وأعانه أهل الشام على كتيغا حتى قبض
 عليه وجعله نائب حماء فأقام بهامدة منين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الأمير علم الدين سنجر الدواداري
 وأقامه في نيابة دار العدل وجعل إليه شراء الاوقاف على الجامع الطولوني وصرف إليه كل ما يحتاج إليه في
 العمارة واكد عليه في أن لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعاً وأن لا يقيم مستحسناً للصانع ولا يشتري لعمارة شيئاً مما يحتاج
 إليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ما يتفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية
 اندونة من أراضي الجيزة وعرفت هذه القرية باندونة كاتب بمصر كان نصرانياً في زمن أحد بن طولون ومن تكبه
 وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضاً ساحة بجوار جامع أحد بن طولون مما كان في القديم عامراً ثم خرب
 وحكها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه ويضمه ورتب فيه دروساً لالقاء الفقه على المذاهب
 الاربعة التي عمل أهل مصر عليها الآن ودرس ما يلقي فيه تفسير القرآن الكريم ودرس الحديث النبوي صلى الله عليه
 وسلم ودرس الطب وقرر للتطبيب معلوماً وجعل له اماماً راتباً ومؤذنين وقراشيين وقومة وعمل بجواره مكتبة
 لا قراءات ينام المسلم كتاب الله عز وجل وغير ذلك من انواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع
 ومن مستغلاته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يمهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الأمير قراسنقر من
 نيابة السلطنة فعزله وولى مملوكه منكوتروكان عسوفاً عجولاً حاداً ولا جين مع ذلك ركن إليه ويعول في جميع
 أموره عليه ولا يخالف قوله ولا ينقض فعله فشرع منكوترو في تأخير أمراء الدولة من الصالحية والمنصورية
 واجعل في أظهر التهم لهم والاعلان بما يريد من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم فتوحشت القلوب منه
 وتمالأت على بغضه ومشى القوم بعضهم إلى بعض وكاتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم
 ما يريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوترو فها هو الآن صلى السلطان العشاء
 الأخيرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجي وكان ممن هو قائم

بين يديه تقدم ليصلح الشعبة فضربه بسيف قد أخفاه معه أطاربه زنده وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيف وانحناجر قطعوه قطعاً وهو يقول الله والله وخرجوا من فورهم الى باب القلعة من قلعة الجبل فاذا بالامير طبع قد جلس في انتظارهم ومعه عدة من الامراء وكنا اذالك يبيتون بالقلعة دائماً واما فامر واما خضار منكوت من دار النيابة بالقلعة وقتلوه بعد مضي نصف ساعة من قتل أستاذ الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة * وفي سنة سبع وستين وسبعمائة جدد الامير بلبغا العمري الخاكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقه من الطلبة في الشهر أربعين درهما واربع فمحق فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية * وأول من ولي نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولي وهو اذالك الدوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولي نظره قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير مكين في ايام الناصر محمد بن قلاوون فجدد في اوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضي كريم الدين الكبير فجدد فيه مئتين فلما تكبه السلطان عاد نظره الى قاضي القضاة الشافعي * وما برح الى ايام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فولاه للامير صرغمش ونوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضي القضاة الى ايام الاشرف شعبان بن حسين فقوض نظره الى الامير الجاي اليوسفي الى أن غرق فحدث فيه قاضي القضاة الشافعي الى أن قوض السلطان الملك الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوي في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وكان الامير متطاش مدة تحكمه في الدولة فوضه الى المذكور في اواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوي وهو بايدهم الى اليوم * وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحري الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادي الهويدي البارز ارمقدم الدولة * وجددميضاً بجانب الميضأة القديمة وكان عبيد هذا بارزاً ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم تزلزى المتقدمين وتزايروا الامراء وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

* (ذكر دار الامارة) *

وكان بجوار الجامع الطولوني دار أنشأها الامير أجد بن طولون عند ما بنى الجامع وجعلها في الجهة القبليّة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر وجعل في هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرس والستور والآلات فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجتد وضوءه ويغير ما به وكان يقال لها دار الامارة وموضعها الآن سوق الجامع حيث البرازين وغيرهم ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز لدين الله أبو تميم معتمد من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج * قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاقي في كتاب سيرة المعز ولست عشرة بقيت من الحرم يعني من سنة ثلاث وستين وثمالة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع وجوه الاعمال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالي والاحباس والمواريث والشرطين وجميع ما يضاف الى ذلك وما يطرأ في مصر وسائر الاعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وعسلاج بن الحسن وكتب لهما سجالاً بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع اجد بن طولون وجلسا غداً هذا اليوم في دار الامارة في جامع اجد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاعمال ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القناتع والعسكر وصار موضعها ساحة الى أن حكرها الدويداري عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم وقد ذكر بناء القيسارية في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسواق

* (ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف) *

اعلم أن أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بالمدينة الشريفة وفي الاسفار وكان ابن أم مكتوم واسمه عمرو بن قيس بن شريح من بني عامر بن لؤي وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عسكنة من بني مخزوم ربما أذن بالمدينة وأذن أبو محذورة واسمه أوس وقيل سمرة بن معير بن لؤذان بن زبيرة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن مع بلال فأذن له وكان يؤذن في المسجد الحرام وأقام بمكة ومات بها ولم يأت المدينة * قال

ابن الكلبي كان أبو محذورة لا يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة إلا في الفجر ولم يهاجروا قام بمكة * وقال ابن جرير علم النبي صلى الله عليه وسلم أبا محذورة الاذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ثم جعله مؤذنا في المسجد الحرام * وقال الشعبي أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وقد جاء أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر وقال محمد بن سعد عن الشعبي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بلال وأبو محذورة وعمر بن أم مكتوم فاذا غاب بلال أذن أبو محذورة واذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم * قلت لعل هذا كان بمكة * وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وأن عمر رضي الله عنه أراد أن يؤذن له فأبى عليه فقال له الى من ترى أن اجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر رضي الله عنه فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذاع عنه وسلم بقاء * وذكر أبو داود في مراسله والدارقطني في سننه قال بكير بن عبد الله الاشج كان مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال رضي الله عنه * وقد كان عند فتح مصر الاذان انما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو وبه صلاة الناس بأسرهم وكان من هدى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم المحافظة على الجماعة وتشديد النهي على من تخلف عن صلاة الجماعة * قال أبو عمرو الكندي في ذكر من عترف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وكان أول من عترف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد الماردى وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لعمر بن الخطاب سارا الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى اقتتحت مصر فأقام على الاذان وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الاذان في ولده حتى انقرضوا * قال أبو الخير حدثني أبو مسلم وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الاذان كان أوله لا اله الا الله وآخره لا اله الا الله وكان أبو مسلم يوصي بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الاذان * ثم عترف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر وكانت له صحبة وفي عرافته زاد مسلة بن مخلد في المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للاذان وان مسلة بن مخلد اعتكف في منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فاني أمتد بالاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الأمير أن يتقسوا اذا أذنت فهاهم مسلة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط اكثر الليل الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين * وذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه أول من رزق المؤذنين فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلة بن مخلد الانصاري في امارته على مصر ببناء المنار في جميع المساجد خلا مساجد تحبيب وخولان فكانوا يؤذنون في الجامع أولا فاذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان لاذانهم دوى شديد * وكان الاذان أولا بمصر كاذان أهل المدينة وهو الله اكبر الله اكبر وباقيه كما هو اليوم فلم يزل الامر بمصر على ذلك في جامع عمرو والفسطاط وفي جامع العسكر وفي جامع أجد بن طولون وبقيسة المساجد الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبني القاهرة فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أجد بن طولون وخطب به عبد السميع ابن عمر العباسي بقلنسوة وسبق وطيلسان دبسى وأذن المؤذنون حتى على خير العمل وهو أول ما أذن به بمصر وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وقتت في الركعة الثانية والمنحط الى السجود ونسى الركوع فصاح به على بن الوليد قاضي عسكر جوهر بطلت الصلاة أعدظها أربع ركعات ثم أذن يحيى على خير العمل في سائر مساجد العسكر الى حدود مسجد عبد الله وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة ولا قرأها في الخطبة فأنكره جوهر ومنعه من ذلك * ولأربع بقين من جمادى الاولى المذكور أذن في الجامع العتيق يحيى على خير العمل وجهر وافي الجامع بالسلمة في الصلاة فلم يزل الامر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين الآن الحاكم بأمر الله في سنة أربع مائة أمر بجمع مؤذني القصر وسائر الجوامع وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وقرأ أبو علي العباسي مجلافيه الامر بترك يحيى على خير العمل في الاذان وأن يقال في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم وأن يكون ذلك من مؤذني

مؤذني القصر عند قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فامتثل ذلك ثم عاد المؤذنون إلى قول حتى على خير العمل في ربيع الآخر سنة إحدى وأربع مائة ومنع في سنة خمس وأربع مائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الاذان السلام على أمير المؤمنين وأمرهم أن يقولوا بعد الاذان الصلاة رحمك الله * (ولهذا الفعل اصل) * قال الواقدي كان بلال رضي الله عنه يقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يا رسول الله وبعث قال السلام عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله حتى على الصلاة حتى على الصلاة السلام عليك يا رسول الله * قال البلاذري وقال غيره كان يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته حتى على الصلاة حتى على الفلاح الصلاة يا رسول الله فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته حتى على الصلاة حتى على الفلاح الصلاة يا خليفة رسول الله فلما استخلف عمر رضي الله عنه كان سعد يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله ورحمة الله حتى على الصلاة حتى على الفلاح الصلاة يا خليفة خليفة رسول الله فلما قال عمر رضي الله عنه للناس انتم المؤمنون وأنا أميركم فدعى أمير المؤمنين استطالة لقول القائل يا خليفة خليفة رسول الله ولين بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله كان المؤذن يقول السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حتى على الصلاة حتى على الفلاح الصلاة يا أمير المؤمنين ثم ان عمر رضي الله عنه أمر المؤذن فزاد فيها رحمة الله ويقال ان عثمان رضي الله عنه زادها وما زال المؤذنون اذا أذنوا سلوا على الخلفاء وأمراء الاعمال ثم يقومون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة او الأمير فيصلي بالناس هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة خلافة بني العباس أيام كانت الخلفاء وأمراء الاعمال تصلي بالناس * فلما استولى العجم وترك خلفاء بني العباس الصلاة بالناس ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الاسلام ولم يكن أحد من الخلفاء الفاطميين يصلي بالناس الصلوات الخمس في كل يوم فسلم المؤذنون في أيامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارات فلما انقضت أيامهم وغير السلطان صلاح الدين رسومهم لم يجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراماً للخليفة العباسي * بغداد فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الاذان للفجر في كل ليلة بمصر والشام والحجاز وزيد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبد الله البرلسي الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان ذلك بعد سنة ستين وسبع مائة فاستمر ذلك ولما تغلب أبو علي بن كتيبات بن الفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجحالي على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة وسبعين الحافظ وقبده واستولى على سائر ما في القصر من الاموال والذخائر وجعلها الى دار الوزارة وكان امامياً متشدداً في ذلك خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر الدعاء للإمام المنتظر وأزال من الاذان حتى على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذي تنسب اليه الاسماعيلية فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسة مائة عاد الأمر الى الخليفة الحافظ وأعيد الى الاذان ما كان أسقط منه * وأول من قال في الاذان بالليل محمد وعلى خير البشر الحسين المعروف بأمر كابر بن شكنبه ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمي معناه الكرش وهو على بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان أول تأذينه بذلك في أيام سيف الدولة بن جردان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة قاله الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابة ولم يزل الاذان بحلب يراد فيه حتى على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالجلابية استدعى أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي إليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء وألقى بها الدروس فلما سمع الاذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال لهم حمز وهم يؤذنون الاذان المشروع ومن امتنع كبوه على رأسه فصعدوا وفعلا ما أمرهم به واستمر الأمر على ذلك * وأما منصرف لم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استتب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسة مائة وكان يتحلل مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله فأبطل من الاذان قول حتى على خير العمل وصار يؤذن في سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تزييع التكميل وترجييع الشهادتين

فاستمر الامر على ذلك الى أن بنت الازن المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في مصر
فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا على رأيهم وما عد ذلك فعلى
ما قلنا الا انه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيء أحدثه
محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبع مائة فاستمر الى أن كان في شعبان
سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ومثولى الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور
أمير حاج المعروف بجاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فسمع بعض الفقهاء الخلاطين سلام المؤذنين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتخون أن يكون
هذا السلام في كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منامه وأنه أمره أن يذهب إلى المحتسب فيبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل أذان فغضب المحتسب القاهرة وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخا جهولا وبلهانا مهولا
سبي السيرة في الحسبة والقضاء متافقا على الدرهم ولو قاده إلى البلاء لا يحتشم من أخذ البرطيل والرشوة
ولا يراعى في مؤمن الا ولا ذمة قد ضرى على الآثام وتجسده من كل الحرام يرى أن العلم ارجاء العذبة ولبس
الجبة ويحسب أن رضى الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة لم تحمد الناس قط أياديه ولا شكرت
أبداسماعيه بل جهالاته شائعه وقبائح أفعاله ذائغة أشخص غير مزة إلى مجلس المطالم وأوقف مع من أوقف
للصاكمة بين يدي السلطان من اجل عيوب فوادح حقق فيها شكاه عليه القوادح وما زال في السيرة
مذموما ومن العامة والخاصة ملوما وقال له رسول الله يأمر لك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا
في كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كما يفعل في ليالي الجمع فأعجب الجاهل هذا القول وجهل
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته وقد نهى الله
سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحدثات الأمور فأمر بذلك في شعبان من السنة
المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل
الجهالة ترى أن ذلك من جملة الأذان الذي لا يحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الاتحاد في الأذان
بعض القرى السلام بعد الأذان على شخص من المعتقدين الذين ماؤا فلا حول ولا قوة الا بالله والله وانا اليه
راجعون وأما التسليم في الليل على المآذن فانه لم يكن من فعل سلف الامة وأول ما عرف من ذلك أن موسى بن
عمران صلوات الله عليه لما كان بيني اسرائيل في التيه بعد غرق فرعون وقومه اتخذوا من فضة مع رجلين
من بني اسرائيل ينغمان فيهما وقت الرحيل ووقت النزول وفي أيام الأعياد وعندئذ الليل الاخير من كل ليلة
فتقوم عند ذلك طائفة من بني لاوى سبط موسى عليه السلام ويقولون نشيد امتزلا بالوحى فيه تحوير وتحذير
وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى الى وقت طلوع الفجر واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام
وبعد أيام يوشع بن نون ومن قام في بني اسرائيل من القضاء الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام وشرع
في عمارة بيت المقدس فرتب في كل ليلة عدة من بني لاوى يقومون عندئذ الليل الاخير فيضرب
بالآلات كالعود والسنطير والبربط والدف والمزمار ويحذو ذلك ومنهم من يرفع عقيرته بالنشيد المنزلة بالوحى على
نبي الله موسى عليه السلام والنشيد المنزلة بالوحى على داود عليه السلام ويقال ان عدد بني لاوى هذا كان
ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم في كتاب الزبور فاذا قام هؤلاء بيت المقدس قام في كل محلة من
محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات فان الآلات كانت مما يختص
بيت المقدس فقط وقد نهوا عن ضربها في غير البيت فيتسامع من قرية بيت المقدس فيقوم في كل قرية رجال
يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بني اسرائيل ومدنهم وما زال الامر على ذلك
في كل ليلة الى أن خرب بخت نصر بيت المقدس وجلبا بني اسرائيل الى بابل فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بني
اسرائيل مدة جلائهم في بابل سبعين سنة فلما عاد بنو اسرائيل من بابل وعمروا البيت العمارة الثانية أقاموا
شرائعهم وعاد قيام بني لاوى بالبيت في الليل وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل

عليه أيام عمارة البيت الأولى واستمر ذلك إلى أن خرب القدس بعد قتل نبي الله يحيى بن زكريا وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش فبطلت شرائع بني إسرائيل من حينئذ وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بني إسرائيل * (وأما في الملّة الاسلاميّة) * فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى منار الجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال اني أمدد الاذان من نصف الليل إلى قرب الفجر فانهم أيها الامير ان يتقسوا اذا أذنت فها هم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطاط أكثر الليل ثم ان الامير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل في حجرته ترب منه رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت في هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عسا ف كانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه في كل وقت ويقرأون القرآن بالحن وتوسلون ويقولون فها نذ زهدية ويؤذنون في اوقات الاذان وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه أبو الجيش خسارويه أقزهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع ابيه ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن وصار يعرف ذلك بالتسيح فلما ولي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبيد الله بن درباس الهدى في الماراني الشافعي كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعري في الاصول فعمل الناس إلى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه وتقدم الامر إلى المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التي تعرف بالارشدة فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة إلى وقتنا هذا * وبما أحدث أيضا التذكير في يوم الجمعة من إنشاء النهار بأنواع من الذكر على المآذن لينتهي الناس لصلاة الجمعة وكان ذلك بعد السجدة من سعي الهجرة قال ابن كثير رحمه الله في يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبع مائة رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الاموي ففعل ذلك

* (الجامع الأزهر) *

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى الامام أبي تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخسين وثلاثمائة وكل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التي في الرواق الأول وهي على هيئة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر بإنشائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائهم الكرامين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة * وأول جمعة جمعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبو منصور زار بن المعز لدين الله جده فيه أشياء وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كاس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنت بجانب الجامع الأزهر فاذا كان يوم الجمعة حضر والى الجامع وتخلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلي العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة في كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وطلع عليهم العزيز يوم عيد القطر وحلهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام والبيام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة في الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى في الصحن في الأعمدة القبليّة مما يلي الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جده ووقف على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحاكي ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر وضمن ذلك كتابا نسخته * هذا كتاب أشهد قاضي القضاء مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضاهه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربع مائة أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور أبي علي الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما

على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين خرسهما الله وأجناد الشام والرقه والرحبة وفواحي المغرب
وسائر أقاليم ومما فتحه الله ويقع له لامير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل مشكلم انه صحت عنده
معرفة المواضع الكاملة والخصص الشائعة التي يذكركم جميع ذلك ويحدث في هذا الكتاب وانما كانت من أملاك
الحاكم الى أن حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس الذين أمر بانشاءهما
وتأسيس بينهما وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب منها
ما يخص الجامع الازهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم ومنها
ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها من ذلك ما تصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة
والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة
بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذي كله بفسطاط مصر ومن ذلك ما تصدق به
على جامع المقس جميع اربعة الحوانيت والمنازل التي علوها والمخزين الذي ذلك كله بفسطاط مصر بالاية في جانب
المغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بحمام
الفارو ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من اربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالاية أيضا بالموضع
المعروف بحمام الفارو تعرف هذه الحوانيت بخصص القيسي بمجدود ذلك كله وأرضه وبناؤه وسفله وعالوه
وغرفة وممر ثقافته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه
وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محترمة محبسة بته بته لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تملكها باقية على شروطها جارية
على سبيلها المعروفة في هذا الكتاب لا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بمحدث ولا يستثنى فيها ولا يتأول
ولا يستغنى بتحدد تحييسها مدى الاوقات وتستقر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الارض
والسموات على أن يؤخر ذلك في كل عصر من ينتهي اليه ولايتها ويرجع اليه أمرها بعد مرقبة الله واجتلاب
ما يوفر منفعتها من اشهارها عند ذوى الرغبة في اجارة أسئالها فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة
وبقاء العين وممرته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما فمن ذلك للجامع
الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الاشهاد الخمس والثلث ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك
فما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوزان ألف دينار واحدة وسبع وستون ديناراً ونصف دينار
ومن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر عبادة تكون
عده له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة اليها مائة ديناراً واحدة وعثمانية دنانير ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
وفراخها اثنا عشر ديناراً ونصف وربع ديناراً ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً ومن ذلك نصف قطار شع بالقلقي سبعة دنانير ومن ذلك
لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخطاطة الحصر ومن الخطط وأجرة الخطاطة خمسة دنانير ومن ذلك ثلثين مشاققة
لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل القلقي ديناراً واحداً ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
واحد بالقلقي نصف دينار ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة ديناراً واحداً ومن ذلك مائة قدر لمونة النحاس
والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك ثلثين ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
أحبل وست دلاء آدم نصف ديناراً ومن ذلك ثلثين قطارين خرقة لمسح القناديل نصف ديناراً ومن ذلك ثلثين عشر
قفاف الخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل وثلثين مائتي مكينة لكسكس هذا الجامع ديناراً واحداً
وربع ديناراً ومن ذلك ثلثين ازاريفار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ومن ذلك
ثلثين زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف
ومن ذلك لارزاق المصلين يعني الائمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً خمسة دنانير وستة وخمسون
ديناراً ونصف منهم المصلين لكل رجل منهم ديناراً وثلاثين ديناراً ومن ديناراً في كل شهر من شهور السنة
والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناراً في كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة
أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ ديناراً واحداً

ومن ذلك مرة ما يحتاج اليه في هذا الجامع في سطحه وارتابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل تسنه ستون ديناراً ومن ذلك ثلث مائة وثمانين حل تبن ونصف حل جارية لعلف رأسي بقدر المصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك التبن المخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك ثلث فدائين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ومن ذلك لاجرة متولى العلف وأجرة السقاء والحيال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف ومن ذلك لاجرة قيم الميضاة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً والى هنا انقضى حديث الجامع الازهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع القصر ثم ذكر أن تانير الفضة ثلاثة دنانير وتسعة وثلاثون قنديل فضة فلجامع الازهر ثوران وسبعة وعشرون قنديلًا ومنه الجامع راشدة ثوران وسبعة عشر قنديلًا وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة في الاوقاف منها انه اذا فضل شيء واجتمع يشتري به ملك فان عازشاً واستخدم ولم يف الربيع بعمارته يبيع وعمره وأشياء كثيرة وجبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لا فائدة في ذكرها فانها مما خرجت بمصر * قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه نسخة وانتقلت الى قاضي القضاة تقي الدين ابن رزين وكان يصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي عشر ربيع الاول سنة تسع وستين وخمسائة لانه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين فخاء وزنها خمسة آلاف درهم قرة وقلع أيضاً المناطق من بقية الجوامع * ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها رويت بها في المنام ثم انه جدد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري * قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وسقانة اقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين ايدمر الحلبي كان جار هذا الجامع من مدة ستينين فرعى وفقه الله حرمة الحار ورأى أن يكون كما هو جاره في دار الدنيا انه غدا يكون نوابه جاره في تلك الدار ورسم بالنظر في امره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شيء منها في ايدي جماعة وحاط أمور حتى جمع له شيئاً صالحاً وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بمجملته مستهـ كثره من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جلة من المال وشرع في عمارته فعمر الواهي من أركانه وجدرانته وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حراماً في وسط المدينة واستحجبه مقصورة حسنة واثريه آثاراً صالحة يشبه الله عليها وعمل الامير يلبك الخازن داره مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محمد بن اسمعيل الحديث النبوي والرافائي ووقف على ذلك الاوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرّساً ثابته الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودي في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيباً واقامت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بها الدين علي بن حنا وولده الصاحب نحر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهوداً ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلبي والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ما تشهى الانفس وتلد الاعين وانصاوا وكان قد جرى الحديث في أمر جوارا الجمعة في الجامع وما ورد فيه من اقاويل العلماء وكتب فيها قتيبا أخذ فيها خطوط العلماء بجوارا الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها واقامت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكي * قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيراً فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعاً واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكي فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يحطّب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما انتبه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فاته قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو انتاع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة

بجامع الحاكي من اجل انه اوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن اعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر في ذى الحجة سنة اثنتين وسبع مائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكي وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكي وتولى الأمير سلا ر عمارة الجامع الازهر وتولى الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها * ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الاسعدي محتسب القاهرة في سنة خمس وعشرين وسبع مائة * ثم جددت عمارته في سنة إحدى وستين وسبع مائة عند ما سكن الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الأمير نحر الدين أبيان الزاهدي الصالح النجفي بخط الأبارين بجوار الجامع الازهر بعد ما هدمها وعمرها داره التي تعرف هناك الى اليوم بدربشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثر صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع وكان اثره عنده خصيصا به فأذن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتبع جدرانها وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبقي الجامع كله وبطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصيفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلي حائطا لتسجيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مكتب سجيل لأقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعما يطبخ كل يوم وانزل اليه قدورا من فخاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسه لهم لالقاء الفقه في الحراب التكبير ووقف على ذلك أوقافا جديدة باقية الى يومنا هذا ومؤذون الجامع يدعون في كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت الذي نحن فيه * وفي سنة أربع وثمانين وسبع مائة ولي الأمير الطواشي بهادر المتقدم على الممالك السلطانية نظار الجامع الازهر فتجزم رسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بن مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير الجرى * وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكلت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلق القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلاوا حتم شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع الجرى بهدم ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالجور ركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكي والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفي شوال منها ابتدئ بعمل الصهرج الذي يوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه في ربيع الأول وعمل بأعلامه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بحدائق الجامع أربع شجرات فلم تنفع وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميسأة عند ما بنى ثم عملت ميسأة حيث المدرسة الاقباوية الى أن بنى الأمير أقبغا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقباوية هناك وأما هذه الميسأة التي بالجامع الآن فان الأمير عبد الردين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميسأة المدرسة الاقباوية * وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظار هذا الجامع الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من القراء يلزمون الإقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الايام سبع مائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزبالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه والاستغفار بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار باب الاموال يقصدون

هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل يحمل اليهم انواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف زعمانه أن هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الامن اعظم الذنوب واكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشئت شملهم وتبذر الاما كن عليهم فساروا في القرى وتبدلوا بعد الصيانة وقد من الجامع اكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعدي وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بميت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقه وجندي وغيرهم منهم من يقصد بميت البركة ومنهم من لا يجد مكانا يأويه ومنهم من يستروح بميت هناك خصوصا في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان فانه يمتلي صحنه واكثر رواقانه فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم في الجامع وكان قد جاء معه من الاعوان والعلماء وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فخل بمن كان في الجامع انواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم وقتشت أساطهم وسلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعمل نوبا أسود للمبروعين من رقيق بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغني فمأجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

* (جامع الحاكم) *

هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكد له ابنه الحاكم بالمر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجاهلي القاهرة وجعل أبوابها حيث هي اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور * قال الامير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد المسيحي في تاريخ مصر وفيه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الحديد بالقاهرة مما يلي باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون في جامع القاهرة يعني الجامع الازهر وخطب فيه العزيز بالله * وقال في حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله في جامع صلاة الجمعة وخطب وكان في مسير بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبه القضيبي وفي رجله الخداء وركب لصلاة الجمعة في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة الى جامع ومعه ابنه منصور فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة * وقال في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح فقد رل للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدئ في العمل فيه وفي صفر سنة احدى وأربعمائة زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفي سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار * قال وتم بناء الجامع الحديد باب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور ديقية عملت له وعلق فيه ثمانية عتتها أربع وكثير من قناهيل فضة وفرش جميعه بالحصر التي عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرش ونعليقه وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة ثلثين في الجامع الازهر أن يمضوا اليه فضاوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا اصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه * وفي ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قياصر وأملأ على الجامع الحاكمي بباب الفتوح * قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكمي مكتوب انه أمر بعمله الحاكم أبو علي المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت في سيرة الحاكم وفي يوم الجمعة أقيمت الجمعة في الجامع الذي كان الوزير أنشأه بباب الفتوح * ورأيت في سيرة الوزير المذكور في يوم الاحد عاشر

قوله فيكون بينهما
الحج هكذا في نسخ
الاصل وفيه نظراء

رمضان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطابية مما يلي باب الفتوح قال
وكان هذا الجامع خارج القاهرة فجدد بعد ذلك باب الفتوح وعلى البنية التي تجاور باب الفتوح وبعض البرج
مكتوب ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش فيكون بينهما سبع
وثمانون سنة قال والفسقية وسط الجامع بناها صاحب عبد الله بن علي بن شكر وأجرى الماء إليها وأزالها
القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضي القضاة في سنة ستين وثمانمائة والزيادة التي إلى جانبه قبل ان يابنائه ولده الظاهر
علي لم يكملها وكان قد حبس فيها الفرج فعملا وفيها كائن هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب
عليها وبنيت اصطبلات وبلغني أنها كانت في الايام المتقدمة قد جعلت اهراء للغلال فلما كان في الايام الصالحة
ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنها من الجامع وأن بها
محرابا فانتزعت وأخرج الخيل منها وبني فيها ما هو الآن في الايام المعزية على يد الركن الصيرفي ولم يسقط ثم جدد
هذا الجامع في سنة ثلاث وسبعمائة وذلك انه لما كان يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتين
وسبعمائة زلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للبعثان قعقة
وللسقوف قرقة ومارت الأرض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيّل الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض
فهربوا من أماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النسا حاسرات وكثر الصراخ والعيول وانتشرت الخلائق
فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ما سقط من الحيطان وختر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية
وقاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقي ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها
فصارت على الأرض بغير ماء واجتمع العالم في الصحراء خارج القاهرة وباووا ظاهرياً بالبحر يجرهمهم وأولادهم
في الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل وقام الناس
في الجوامع يتهللون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة فكان مما تم في هذه الزلزلة
الجامع الحاكي فانه سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالي المذبتين وتشعثت سقوفه وجدرانه فانتدب
لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ووزل اليه ومعه القضاة والأمراء فكشفه بنفسه وأمر برمي
ما تمتم منه وإعادة ما سقط من البدنات فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبوضه حتى عاد
جديداً وجعل له عدة أوقاف بناحية الحيزة وفي الصعيد وفي الاسكندرية تغل كل سنة شيئا كثيرا ورتب
فيه دروسا أربعة لأقراء الفقه على مذاهب الاثمة الأربعة ودرسوا لأقراء الحديث النبوي وجعل لكل درس
مدرساً وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي وفي
تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين
الدين علي بن مخلوف المالكي وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني وفي درس الحديث
الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي وفي درس النحو والشيخ اثير الدين أباحيان وفي درس القراءات الشيخ
نور الدين الشطنوف وفي التصدير لأفاده العلوم علماء الدين علي بن اسماعيل القنوي وفي مشيخة الميعاد
المجد عيسى بن الخشاب وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة
قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلم يقرئ إتمام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجا بعض الجامع
ليلاً في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء في كل يوم ويستقي منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع
من قرره فيه معالم داره وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الآن أحوالها اختلفت كما اختلف غيرها فكان ما اتفق
عليه زيادة على أربعين ألف دينار وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ما حدثني به شيخنا الشيخ
المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقرئ بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال
اخبرني من حضر عمارة الأمير بيبرس للجامع الحاكي عند سقوطه في سنة الزلزلة انه لما شرع البناء في ترميم
ما وهي من المذبة التي هي من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعف البنان فاخرجه الموكل بالعمارة
وقحه فاذا فيه قطن ملفوف على كف انسان برنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدركها هي والكف طرية كأنها قرية
عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيى أحد مقدمي الحاقبة
ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في ولايته الثانية على يد الشيخ

قطب الدين محمد الهرماس في سنة ستين وسبع مائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع وعلى ما يحتاج اليه في زيت الوقود وحرمة في سقفه وجدرانه وجرى في عمارة الجامع على يد الهرماس ما حدثني به الشيخ المعمر شمس الدين محمد بن علي - امام الجامع الطبرسي - بشاطي النيل قال أخبرني محمد بن عمر البصري - قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكمي حجر أظهر من مكان قد سقط منقوش عليه هذه الايات الخمسة

ان الذي أسررت مكنون اسمه * وكتمته كما افوز بوصله
مال له جذر تساوى في الهيجا * طرفاه يضرب بعضه في مثله
فصير ذاك المال الا انه * في النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطق بربعه متكلمها * من بعد أوله نطقت بكلمه
لا تطف فيه اذا تكامل عدّه * فصير منقوطة بحمله شكله

قال وهذه الايات لغز في الحجر المكرم * وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش في كتاب العبر في أخبار من مضى وغيره في هذه السنة يعني سنة احدى وستين وسبع مائة صودر الهرماس وهدمت داره التي بناها أمام الجامع الحاكمي وضرب ونقي هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في وقف حصّة طندتا وهي الارض التي كان قد سأله الهرماس ان يقفها على مصالح الجامع الحاكمي فعين له خمسمائة وستين فدنا من طين طندتا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروا ليشهدوا عليه به وكان قد تقرّر من شروطه في اوقافه ما قبل انه رواية عن أبي حنيفة رجة الله تعالى عليه من أن للواقف أن يشترط في وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك فأحضر الكركي الموقع اليه الكتاب مطويا فقرأه ثم خطبته وأوله ثم طواه وأعاده اليه مطويا وقال أشهدوا بما فيه دون قراءة وتأمل فشهدواهم بالتفصيل الذي كتبوه وقرروهم مع الهرماس ولما أطلع السلطان على ذلك بعد نفي الهرماس طلب الكركي وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله أعلم بحقيقة ذلك غير أن المعلوم المقرّر أن السلطان ما قصد الامصالح الجامع نعم سأله اذ مر الخازن داره لوقف حصّة لطيفة على أولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا ووقت عليهم جزأيسير الم أعلم مقداره وأما التفصيل المذكور في كتاب الوقف فلم اتحققه ولم أطلع عليه فاستفتى المفتين في هذه الواقعة فأما المفتون كابن عقيل وابن السبكي والبلقيني والبساطي والهندي وابن شيخ الجبل والبغدادى ونحوهم فأجابوا بطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ وكان الخنفي - حكم والبقية نفذوا وأما الخنفي - فقال ان الوقف اذا صدر صحيحا على الاوضاع الشرعية فانه لا يبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس الواقعة وأما الشافعي - فكتب ما مضى من ان الخنفي - ان اقتضى مذهب بطلان ما صححه أو لا نفذ بطلانه وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكماء غير نائب الشافعي - وهو تاج الدين محمد بن احسان بن المناوى والقضاة الثلاثة الشافعي - والخنفي - والحنبل - وجدوا مرضى لم يسمع منهم الحضور الى سرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة في كل سنة فجمعهم السلطان في برج من القصر الذي بميدان سرياقوس عشاء الآخرة وذكر لهم القضية وسألهم عن حكم الله تعالى في الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوى فانه قال مذهب أبي حنيفة أن الشهادة الباطلة اذا اتصل بها الحكم صحح ولزم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الرأى في الدليل والنظر وقال له ابن عقيل هذا مما يقتضيه الحكم لو حكم به حاكم وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له سراج الدين البلقيني - ليس هذا مذهب أبي حنيفة ومذهبه في العقود والقسوخ ما ذكرت من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد في التحليل والتعريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها لا اثر له كذهب الشافعي - وادعوا أن الاجماع قائم على ذلك وقاموا على المناوى في ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له ما لم يظهر الباطن بخلافه فقال قال النبي - صلى الله عليه وسلم - نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - وانما الحديث الصحيح حديث انما أنا نبشروا لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث

قال المناوي الاحكام ما هي بالفتاوى قالوا له فيما ذا تكون افي الوجود حكم شرعي بغير قنوى من الله
ورسوله وكان قد قال في مجلس ابن الدريم القائم على نفيس اليهودي المدعو برأس الجالوت بين اليهود لا يلتفت
لقول المفتين قبيل له في هذا الجحاس ها أنت قد قلت مرتين ان المفتين لا يعتبر قواهم وان الفتاوى لا يعتد بها وقد
أخطأت في ذلك أشد الخطأ وأبأت عن غاية الجهل فان منصب القنوى أول من قام به رب العالمين اذ قال
في كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضى الامر الذي فيه
تستفتيان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها قد اتانى الله ربى فيما استفتيته وكل حكم
جاء على سؤال سائل تكفل ببيانه قرآن او سنة فهو قنوى والقائم به مفت فكيف تقول لا يلتفت الى الفتوى
أو الى المفتين فقال سراج الدين الهندي وغيره هذا كفر ومذهب أبى حنيفة أن من استخف بالفتوى
أو المفتين فهو كافر فاستدرك نفسه بعد ذلك وقال لم أرد إلا أن الفتوى اذا خالفت المذهب فهي باطلة قالوا له
وأخطأت في ذلك أيضا لان الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولا تخالف الحق في نفس الامر قال فأردت
بالفتوى التي تخالف الحق قالوا فأطلقت في موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ فاذا قدر هذا
وأدعيت أن الفتوى لا اثر لها فبطل المفتين والفتوى من الوجود قتل كما وحاووا كيف أعمل في هذا فتبين
لبعض الحاضرين انه استشكل المسألة ولم يبين له وجهها فقال لاشك أن مولانا السلطان لم ينكر صدور الوقف
وانما انكر المصارف وأن تكون الجهة التي عينها هي هرماس وشهوده وقضائه وللسلطان أن يحكم فيها
بعلمه ويطلق ما قرره من عند أنفسهم قال كيف يحكم لنفسه قبل له ليس هذا حكما لنفسه لانه مقر بأصل الوقف
وهو للمستحقين ليس له فيه شيء وانما بطل وصف الوقف وهو المصرف الذي قرر على غير جهة الوقف وله أن يوقع
الشهادة على نفسه بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة القلاية دون القلاية ولم يزلوا يذكرون له اوجهاتين
بطلان الوقف اما بأصله أو بوصفه الى أن قال يطل بوصفه دون أصله وأذن ذلك بعد اتعاب من العلماء
وازعاج شديد من السلطان في بيان وجوه ذكرها ثنتين وجه الحق وانه انما رقبه على مصالح الجامع المذكور
وهذا مما لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف نعمل في ابطاله فقالوا بما قرره
من اشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وانه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف الى هذا اليوم وغير ذلك من
الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا في هذا الوقف متى بطل هذا الوقف ثبت عليهم التساهل
وجرحوا بذلك وقدح ذلك في عدالتهم ومتى جرحوا الآن لزم بطلان شهادتهم في الاوقاف المتقدمة على هذا
التاريخ وخيل بذلك للسلطان حتى ذكر له اجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لا ينغطف على ماضى من
شهادته السابقة ولو كفر والعباد بالله وهذا مما لا خلاف فيه ثم استقر رأيه على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن
السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك * قال
مؤلفه رحمه الله انظر ثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من ثبت القاضي تاج الدين المناوي وهو
يومئذ خليفة الحكم ومصادمته الجبال وبين ما استفتى عليه من التساهل والتناقص في خبر أوقاف مدرسة
جمال الدين يوسف الاستاد ارومى بعقلك فرق ما بين القضيتين وهذه الارض التي ذكرت هي الآن بيد اولاد
الهرماس بحكم الكتاب الذي حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوي والجامع الآن مهتم وسقوفه كلها مامن
زمن الا يسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد وكانت ميسأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميسأته الآن فيما بينها
وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحل وهذه
الميسأة الموجودة الآن أحدث وأنشأ القسبية التي فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبع مائة وبض
مئذنتي الجامع واستجد المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكنت في جادى الآخرة سنة
سبع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التي يكبرون فوقها
وراء الامام * (هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين) * قال المسيحي وفي يوم الجمعة غرة رمضان سنة
ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة بالظلة الذهبية وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش ويده
القضيب وعليه الطليسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رفاع المنطلين بيده وقرأ منها عدة
في الطريق وكان يوما عظيما ذكره الشعراء * قال ابن الطوير اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح

في أول جمعة فإذا كانت الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور الكبير في هيئة المراسم بالمظلة وماتقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقير الصلاة من الذهب والمنديل والبطيسان المقور الشعري فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه في أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المتقدم ذكره في الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة إذا صار إليه في هذا اليوم وهو محمول بأيدي القراشين المميزين وهو لموقوف في العراضى الديقية ففرش في المحراب ثلاث طرّاحات أما سامان أو ديقى أبيض أحسن ما يكون من صنفهما كل منهما منقوش بالجمرة فيجعل الطرّاحات متطابقات ويعلق ستران مينة ويسره وفي السرايين كتابة مرقومة بالحرير الأحمر واضحة منقوشة أولها بسملة والفاخرة وسورة الجمعة وفي السرايين مثل ذلك وسورة إذا جاءك المنافقون قد أسبلوا وفرشاً في التعليق بجاني المحراب لاصقين بحسمه ثم يصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها إليه صاحب بيت المال فيها جرات ويجعل فيها ندمثلث لا يشتم مثله إلا هنالك فيجوز الذروة التي عليها الغشاء كالقبة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات فيأتي الخليفة في هيئة موقرة من الطبل والبوق وحوالي ركبته خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة توبة بعد توبة يستقبحون بذلك من ركوبه من الكركسي على ماتقدم طول طريقه إلى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفهلار العساكر ومن داخلها إلى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجري مجراهم ومن داخلها من باب خروجه إلى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة وإن احتاج إلى تجديد وضوء فعلى الوزير في مكان آخر فإذا أذن بالجمعة دخل إليه قاضي القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي ورحة الله وبركاته الصلاة يرسل الله فيخرج ماشياً وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وأيديهم الأسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعلمهم هذا الاسم فيصعد المنبر إلى أن يصل إلى الذروة تحت تلك القبة المجرة فإذا استوى جالساً والوزير على باب المنبر ووجهه إليه فيشير إليه بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه فيقبل بيده ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزور عليه تلك القبة لأنها كالمهودج ثم ينزل مستقبلاً فيقف ضابطاً لباب المنبر فإن لم يكن ثم وزير صاحب سيف زور عليه قاضي القضاة كذلك وقف صاحب الباب ضابطاً للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر إليه من دوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرتد في خطبته بالجامع الأزهر وقد قرأ في خطبته رب أو زعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية ثم يصلي على أبيه وجده يعني بهما محمد صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه ويعطى الناس وعظاً بليغا قليل اللفظ وتشمل الخطبة على ألفاظ جريئة ويذكر من سلف من آباءه حتى يصل إلى نفسه فقال وأنا اسمعه اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لأملك نفسي ضراً ولا نفعاً ويتوسل بدعوات نغمة تليق بمثله ويدعو للوزير أن كان والجيوش بالنصر والتأليف والعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكر كم فيطلع إليه من زور عليه ويفك ذلك التزير وينزل القهقري وسبب التزير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطرّاحات الثلاث في المحراب وحده أماماً ويقف الوزير وقاضي القضاة صفاً ومن وراءهما الاستاذون المحنكون والأمراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم إلى المقصورة لحفظه فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي فأسمع القاضي المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ما هو مكتوب في السرايين في الركعة الأولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في السرايين ويسر ذلك على طريق التدكير خفة الارتجاج فإذا فرغ خرج الناس وركبوا أولاً فأولاً وعاد طالباً للقصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول في العود فإذا انتهت الجمعة الثانية ركب إلى الجامع الأزهر من القشاشين على المنوال الذي ذكرناه والقالب الذي وصفناه فإذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه إلى مصر للخطابة في جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة إلى جامع ابن طولون ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر رتب ذلك إلى مصر كل أهل معيشة في مكان فيظهر المختار من الآلات والستور الثمنات ويهتفون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مات وعائدينهم وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شافاً

لذلك كله على الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الخراب اليوم الى دار الانماط الى الجامع بمصر فدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالري الذي تقدم ذكره في خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما فاذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شافا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أبواب المساجد التي يمر عليها كل واحد ينارا * وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بعترة شهر رمضان وجعته برسم الخليفة للعترة بدلة كبيرة موكبية مكحلة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكحلة منديلة وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلة وطيلسانها شعري وما هو برسم أخى الخليفة للعترة خاصة بدلة مذهبة وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للعترة خلعة مذهبة مكحلة موكبية وبرسم الجمعيتين بدلتان حريريتان ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فنذكره

* (جامع راشدة) *

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لانه في خطبة راشدة قال القاضي خطبة راشدة بن أدوب بن جديلة من لحم هي متاخة للخطبة التي قبلها الى الدير المعروف كان بأبي تكومس ثم هدم وهو الجامع الكبير الذي براشدة وقد دثرت هذه الخطبة ومنها المقبرة المعروفة بعترة راشدة والجنان التي كانت تعرف بكهس بن معسر ثم عرفت بالمارداني وهي اليوم تعرف بالامير تميم * وقال المسيحي في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وابتدئ بناء جامع راشدة في سابع عشر ربيع الآخر وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه ونبنى بالحجر وأقيمت به الجمعة وقال في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وفيه يعني شهر رمضان فرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعلق قناديله وما يحتاج اليه وركب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه وأشرف عليه وقال في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وفيه يعني شهر رمضان صلى الحاكم بجامعه الذي أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب وفي شهر رمضان سنة أربعمائة أنزل بقناديل وتور من فضة زنتها ألوف كثيرة فعلمت بجامع راشدة وفي سنة إحدى وأربعمائة هدم وابتدئ في عمارته من صفرو في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة صلى الحاكم في جامع راشدة صلاة الجمعة وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلي بفضة يضاء دقيقة والناس يمشون بركا به من غير أن يمنع أحدهم وكان يأخذ قصصهم ويقف وقفا طويلا لكل منهم واتفق يوم الجمعة حادى عشر حادى الآخر سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطبتان معا على المنبر وذلك أن أباطالب على بن عبد السميع العباسي استقر في خطابه باذن قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن محمد بن العوام بعد سفر العفيف البخاري الى الشام فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج له أمر امير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أن يحط فصعدا جميعا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا ثم بعد ذلك استقر أبوطالب خطيبا وأن يكون ابن عصفورة يتخلفه وقال ابن المتوج هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط وهو مشهور الآن بجامع راشدة وليس بصحيح وانما جامع راشدة كان جامعاً قديماً البناء بجوار هذا الجامع عمر في زمن الفتح عمرته راشدة وهي قبيلة من القبائل كقبيلة تميم ومهرة نزلت في هذا المكان وعمرها فيه جامعاً كبيراً أدركت أبا بعهضه ومحرا به وكان فيه نخل كثير من نخل المقل ومن جملة ما رأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤس مفترعة منها فذلك الجامع هو المعروف بجامع راشدة وأما هذا الموجود الآن فن عمارته الحاكم ولم يكن في بناء الجوامع أحسن من بنائه وقيل عمرته خطبة الخليفة وكان أهمها راشدة وليس بصحيح والاول هو الصحيح وفيه الآن نخل وسدر وبر وبقا رجل وهو مكان خلوة واقطاع ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا * قال مؤلفه هذا وهم من ابن المتوج في موضعين * (أولهما) أن راشدة عمرت هذا الجامع في زمن فتح مصر وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر فهذا الكندي ثم القاضي وعليهما يعول في معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم لم يقل أحد منهم ان راشدة عمرت زمن الفتح مسجدا ولا يعرف من هذا السلف رجعهم الله في جند من أجناد الامصار التي فتحتها الصحابة رضي الله عنهم انهم أقاموا خطبتين في مسجد واحد وقد حكينا ما تقدم عن المسيحي وهو مشاهد ما نقله من بناء الجامع المذكور في موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرة وتبعه القاضي على ذلك وقد عدا القاضي والكندي في كتابيهما

المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثه وذكر مساجد راشدة ولم يذكر فيها
جامعا اختطه راشدة وذكر هذا الدير وعين القضاء اسمه هدم وبني في مكانه جامع راشدة وناهيك بهما معرفة
لا تار مصر وخططها * (والوهم الثاني) * الاستدلال على الوهم الاول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ولا أدري
كيف يستدل بذلك فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد بل المتدعي انه كان راشدة مساجد لكن كونها
اختطت جامعا هذا غير صحيح وقال ابن أبي طي في أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في كتابه تاريخ حلب كانت
النصارى اليعقوبية قد شرعوا في انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة
فشار قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى وأنهى الى الحاكم ذلك وقبل له ان النصارى ابتداء وابتاعها وقال
النصارى انها كانت قبل الاسلام فأمر الحاكم الحسين بن جوهر بالنظر في حال الفريقين فقال في الحكم مع
النصارى وتبين للحاكم ذلك فأمر أن تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا فبني في أسرع وقت وهو جامع راشدة
وراشدة اسم للكنيسة وكان بجواره كنيسة احدى اهل اليعقوبية والاخرى للنسطورية فهدمتا أيضا وبنيتا
مسجدين وكان في حارة الروم بالقاهرة آدرال روم وكنيسة لهم فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا وحول الروم
الى الموضع المعروف بالجرا وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم وهذا أيضا مصرح بأن جامع راشدة
أسسه الحاكم وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزحوا عند الفتح
هناك فعرفت تلك البقاع بخطه راشدة وقد جدد جامع راشدة مرارا وأدركته عامرا تقام فيه الجمعة ويمتلئ
بالناس لكثرة من حوله من السكان وانما تعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة وقال
الشريف محمد بن أسعد الجوائى التسابيه راشدة بطن من نطم وهم ولد راشدة بن الحارث بن أذبن جد يله من نطم
ابن عدى بن الحارث بن مرة بن ادود وقيل راشدة بن أدوب ويقال لراشدة خالفة ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف
بالرصد المطل على بركة الحبش وقد دثرت الخطة ولم يبق في موضعها الا الجامع الحاكمي المعروف بجامع
راشدة

* (جامع المقس) *

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في لان المقس كان خطة كبيرة وهي بلد
قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب وقال في الكتاب الذي تضمن وقت الحاكم بأمر الله الاما كن
بمصر على الجوامع كما ذكر في خبر الجامع الازهر مانعه ويكون جميع ما بقي مما تصدق به على هذه المواضع
يصرف في جميع ما يحتاج اليه في جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة
وثن العود للجنور وغيره على ما شرح من الوظائف في الذي تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير في الدولة
الفاطمية ويركب الخليفة الى منظره كانت بجانبه عند عرض الاسطول فيجلس بها المشاهدة ذلك كما ذكر في
موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زربية من هذا الجامع في
شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارته * ولما بنى السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب هذا السور الذي على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الاحمر
حيث منشأة المهراني اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الاسدي أنشأ بجوار جامع
المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس في مكان المنطرة التي كانت للخلفاء فلما كان في سنة سبعين وسبعمائة
جحد بناء هذا الجامع الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسي وهدم القلعة وجعل مكانها جنيحة واتهمه
الناس بأنه وجد هناك مالا كثيرا وأنه عمر منه الجامع المذكور فصار العائمة اليوم يقولون جامع المقسي
ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من انشائه وليس كذلك بل انما جددته وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن
تجاه هذا الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصري
وأدركنا ما حوله في غاية العمارة وقد تلاشت المساكن التي هناك وبها الى اليوم بقية يسيرة ونظر هذا الجامع
اليوم يبدأ ولاد الوزير المقسي فانه جدد وجعل عليه أوقافا لمدارس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك وقال
جامع السيرة الصلاحية وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يبرك به الابرار وهو المكان الذي
سمت فيه الغنمية عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة السور

على مصر والقاهرة تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلى القاهرة عند المقس وبني فيه برجا يشرف على النيل وبني مسجده جامعاً واتصلت العمارة منه الى البلد وصارت تقام فيه الجمع والجماعات * (العزير بالله) * أبو النصر زار بن المعز الدين الله أبي تميم معتمد ولد بالمهدية من بلاد أفريقية في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقدم مع أبيه الى القاهرة وولى العهد فلما مات المعز الدين الله أقيم من بعده في الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة فأذن عن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه وسير يذهب الى بلاد المغرب فزق في الناس وأقر يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية وخطب له بمكة ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع افنديك التركى وقوى بهم وساروا الى الرملة وقتلوا عساكر العزير بما فاقبعث العزير جوهر القائد بعساكر كثيرة وملك الرملة وحاصره دمشق مدة ثم رحل عنها بغير طائل فأدركه القرامطة وقتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهراً ثم خلاص من تحت سيفوف افنديك وسار الى العزير فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه ودخل العزير الى الرملة وأسر افنديك في المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة فأحسن اليه وأكرمه اكراماً زائداً فكتب اليه الشريف أبو اسحاق عيسى ابراهيم الرئيس يقول يا مولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الاحسان اليه فلما لقيه قال يا ابراهيم قرأت كتابك في أمر افنديك وأنا أخبرك أعلم ناقد وعدناه الاحسان والولاية فلما قبل وجاء اليها نصب فازانته وخيامه حذاء ناو وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل فلما ولى منهزماً وسرت الى فازانته ودخلتها سجدت لله شكر أو سألته أن يفتح لي بالظفر به فجي به بعد ساعة أسيراً أتري يلقى في غير الوفاء ولما وصل العزير الى القاهرة اصطنع افنديك وواصله بالعطايا والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزير بالله ونظري اليه بما غمرني من فضله واحسانه فلما بلغ العزير ذلك قال لعمه حيدرة يا عم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندي ومات بمدينة بليس من مرض طويل بالقولنج والحصاة في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة فحمل الى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة عشر يوماً وكان نقش خاتمه بنصر العزير الجبار ينتصر الامام زار ولما مات وحضر الناس الى القصر لتعزية الخموا عن أن يوردوا في ذلك المقام شياً ومكثوا مطرقين لا ينسبون فقام صبي من أولاد الامراء الكنانين وفتح باب التعزية وانشد

انظر الى العليا كيف تضام * وما تم الاحساب كيف تقام

خير نرى ركب الركاب ولم يدع * للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس ابراهه وكان طرقت لهم كيف يوردون المراتى فمض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا وأنشد كل واحد ما عمل في التعزية وخلف من الاولاد ابنة المنصور وولى الخلافة من بعده وابنة تدعى سيدة الملاك وكان أسمر طويلاً اصهب الشعر أعين اشهل عريض المنكبين شجاعاً كريماً حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس والمعرفة بالغيل وجوارح الطير وكان محباً للصيد مغرباً به حريصاً على صيد السباع ووزر له يعقوب بن كلس اثني عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوماً ثم من بعده على ابن عمر العداس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن القرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة اشهر ثم أبو محمد بن عمار شهرين ثم الفضل بن صالح الوزير أياماً ثم عيسى بن نسطور سنة وعشرة اشهر وكانت قضائه أبو طاهر محمد بن أحمد ثم أبو الحسن علي بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان وخرج الى السفر أولاً في صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسية وخرج ثانياً ونظر بأفنديكين وخرج ثالثاً في صفر سنة اثنتين وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة وخرج رابعاً في ربيع الاول سنة أربع وستين فزل منية الاصبع وعاد بعد ثمانية اشهر واثني عشر يوماً وخرج خامساً في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرزاً أربعة عشر شهراً وعشرين يوماً ومات في هذه الخرجة بليس * وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيراً أثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه وأول من لبس منهم الخفين والمنطقة وأول من اتخذ منهم الاتراك

واصطنعهم وجعل منهم القواد وأول من رمى منهم بالنشاب وأول من ركب منهم بالذوابة الطويلة والخنك وضرب بالصوالة ولعب بالرمح وأول من عمل مأثدة في الشرطة السفلى في شهر رمضان يفرط عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان واتخذ الخيزل كوبة أياها وكانت أمته أم ولدا سمها درزارة وكان يضرب بأيامه المثل في الحسن فانها كانت كلها أعيادا أو أعراسا لكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحماكي وما عد ذلك فذهب اسمه ومحى رسمه * (الحاكم بأمر الله) * أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة في الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة في مدينة بليس بعد الظهور من يوم الثلاثاء عشرين شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار إلى القاهرة في يوم الأربعاء سائر أهل الدولة والعزيز في قبة على ناقه بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر ويده رمح وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شيئا ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ في جهاز أبيه العزيز بالله ودفعه ثم سار سائر أهل الدولة إلى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة في الإيوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معمة الجوهر والناس وقوف في صحن الإيوان فقبلوا له الأرض ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير فوق من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذي اختير له وهو الحاكم بأمر الله وكان سنة يومئذ إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار الكندي واسطة ولقب بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل وردت إلى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن سورين وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام فخرج ينجو تكين من دمشق وسار منهم المدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم إليه ابن الجراح الطائي في كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر فدخل إلى القاهرة وأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت إلى صرفه عن الوساطة وله في النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرابات وأقيم الطواشي برجوان الصقلي مكانه في الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن إبراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فهد بن اسماعيل الكماي مدينة صو وقلد يانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس وعمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم على فاهية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا إلى أن دخل مصر وعش وقلد وظيفة قضاء القضاء أبا عبد الله الحسين ابن علي بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد موت قاضي القضاء محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لأربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله في النظر سستان وثمانية أشهر غير يوم واحد وردت النظر في أمور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد خلفه الرئيس بن فهد واتخذ الحاكم مجلا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركة إلى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحدا من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك نحو المائتي ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده إلى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولى دمشق فهد بن تميم ومات بعد شهر وفروى على ابن فلاح وردت النظر في المطالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا الأمير المؤمنين وحده واجتمع دم من خالف ذلك وفي شوال قتل ابن عمار * وفي سنة إحدى وتسعين واصل الحاكم الركوب في الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والأزقة وبالع الناس في الوقود والزينة وأنفقوا الأموال الكثيرة في المأكول والمشرب والغناء واللهو وكثرت فزعهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فنع التسام من الخروج في الليل ثم منع الرجال من الجلوس في الحوائت * وفي رمضان سنة

اثنتين وتسعين قلدهم وصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابندأ في عمارة جامع راشدة في سنة ثلاث وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ نظري في الرياسة خمس سنين وتسعة اشهر واثناعشر يوما في ثامن جمادى الآخرة منها واقم في مكانه على بن عمر العداس وسار الامير ماروح لامارة طبرية ووقع الشرع في اتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت فولى دمشق بعده منفلج اللحياني الخادم وقتل على بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلي وعدة كثيرة من الناس وقلدا مارة برقة صندل الاسود في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء في رمضان وكانت مدة نظره في القضاء خمس سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له فاضى القضاء وداعى الدعاة وقلده عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع ما يده من النظر في المطالم * وفي سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود ببشدة الزنار ولبس الغيار ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلبس وذبح الابقار السلمية من العاهة الا في أيام الاضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لا يدخل أحد الحمام الا بترؤا أن لا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس في ذلك كله وشدة فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمر به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة أهل البصرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والخروج والمقابر سب السلف ولعنهم واكره الناس على نفس ذلك وكانته بالاصباغ في سائر المواضع وأقبل الناس من سائر النواحي فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الاسبوع وكثر الازدحام ومات فيه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب في الطرقات وأن لا يظهر أحد به البيع ولا شراء تخلت الطرق من المارة وكسرت أواني الخمر وأريق من سائر الاماكن واشتد خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة امانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا ينحصر حتى قهدت وفحمت دار الحكمة بالقاهرة وجعل اليها الكتب ودخل اليها الناس فاشتد الطاب على الركابية المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثير ثم عني عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ومنع الناس من المشى ملاصق القصر وقتل فاضى القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عددا كثيرا من الناس ضربت أعناقهم * وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوكة يدعو الى نفسه وادعى أنه من بني أمية فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما وقع بهم الحاكم وبابعه واستجاب له لواته ومزاته وزنادة وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مزمة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الاول وواقع فانهزم منه فضل واشتد الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوكة ونزلت العساكر بالجيزة وسار أبو ركوكة فواقع القائد فضل وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفا من هجوم عساكر أبي ركوكة واستمرت الحروب فانهم أورد ركوكة في ثالث ذي الحجة الى القيوم وتبعه القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه ببلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بها وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله الى الاعمال * وفي سنة سبع وتسعين أمر بمحوسب السلف فحى سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص ماء النيل فانه بلغ ستة عشر أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً ثم نقص ومات ينجوتكين في ذي الحجة واشتد الغلاء في سنة ثمان وتسعين وولى على بن فلاح دمشق وقبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب الى سائر الاعمال بذلك * وفي سادس عشر رجب قتر مالك بن سعيد الفارقي في وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر في سابع شعبان وقتر مكانه صالح بن علي الروذبادي وقتر في ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلى الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهم وامنع من الركوب وسائر أولادهم ما عفا عنهم ما بعد أيام وأمر بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين وأمر بإبطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلانه وقتله وفتح الخليل في رابع ثوت والماء على خمسة عشر ذراعاً

ذراعا فاشتد الغلاء * وفي تاسع المحرم وهو نصف نوت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فخرج الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الى الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ما دخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض في الناس والموت * فلما كان في رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه بصوم الصائمين على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الحسين الذي جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون بخمس في التكبير على الحناجر المنحوسون ولا يمنع من التربع عليها المربعون يؤذن بحج على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده * ولقب صالح بن علي الروضادى بثقة ثقات السيف والقلم واعبد القاضي عبد العزيز بن النعمان الى النظر في المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التي رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق القدس وهدمت كنيسة كانت بحجارة الروم من القاهرة ونهب ما فيها وقتل كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة بعد ما قطعت أيدي بعضهم من الكتاب بالسطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح في ذي القعدة وفي حادى عشر صفر صر صالح بن علي الروضادى وقرى مكانه ابن عبدون النصراني الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة وجدد ديوان يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم ففزع وملوخية ودلينس وضربوا وهدموا القصر واشتد الامر على النصارى واليهود في الزامهم لبس الغبار وكتب ابطال أخذ الخمس والتحاوى والفطرة وفز الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفز أبو القاسم الحسين بن المغربي وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والقراشين وقتل صالح بن علي الروضادى في شوال * وفي رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرى بده أحمد بن محمد القشورى الكاتب في الوساطة والسفارة وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضربت عنقه وقرى بده زرع بن عيسى ابن نسطورس الكاتب النصراني ولقب بالشافى ومنع الناس من الركوب في المراكب في الخليج وسدت ابواب الدور التي على الخليج والطاقات المطلة عليه وأُضيف الى قاضي القضاة مالا بن سعيد النظر في المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال التجوى وقتل ابن عبدون وأخذ ماله وضرب جماعة وشهروا من اجل بيعهم الملوخية والسمل الذي لا تشمله وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان في ثاني عشر جنادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة وأُحيط بأموالهما وأبطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالحجاء * وفي هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وابعده ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفي سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكتب بالمنع من حله وألغى في بحر النيل منه شيء كثير وأُحرق شيء كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم يرفى الا عياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فادونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس في الطرقات وغرق كثير منه في النيل ومنع من حله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفي سنة ثلاث وأربعمائة نزع السعر وازدحم الناس على الخبز وفي ثاني ربيع الأول منها هلك عيسى ابن نسطورس فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب في أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا في مثله وزنته خمسة ارطال وأن يكون مكشوفاً بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال والحير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وأن يشدوا الزناير ولا يستخدموا مسلماً ولا يشترخوا عبد أو أمة وتتبع آثارهم في ذلك فأسلم منهم عدة وقرى رحسين بن طاهر الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشر ربيع الأول منها ولقب أمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولي

يقتصر الامام أبو علي وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها خلق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم أن لا يقبل أحده الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان الانحناء الى الارض لمخلوق من صنيع الروم وأن لا يزاد على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورجة الله وبركاته ولا يصلي أحد عليه في مكتبة ولا مخاطبة ويقتصر في مكتبة على سلام الله وتحياته ونواحي بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتحقق من الدعاء لا غير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى اللهم وسلم على أمراء المؤمنين أبناء أمير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخلقتك ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان في امضاء ما كتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا أتق • الا الهى وله الفضل

جدي نبي وامامى أبى • ودينى الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل والخلق عباد الله ونحن أسنائه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام • وركب الحاكم يوم عيد الفطر الى المصلى بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد بسروج ولحم محلاة بفضة بيضاء خفيفة ونود ساذجة ومظلة بيضاء بغير ذهب عليه يياض بغير طرز ولا ذهب ولا جواهر في عمامته ولم يفرش المنبر ومنع الناس من حب السقف وضرب في ذلك وشهر وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي وأكثر الحاكم من الركوب الى القصراء بمحذاة في رجله وفوطه على رأسه • وفي سنة أربع وأربع مائة أزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام في التجوم وأقيم التجمون من الطرقات وطلبوا فغضبوا ونفروا وكثرت هبات الحاكم وصدفاته وعقته وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولي العهد وأمر أن يقال في السلام عليه السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسابن وصار يجلس بمكان في القصر وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطه وفي رجله حذاء عربي يتبادلين وعبد الرحيم يتولى النظر في امور الدولة كلها وأفرط الحاكم في العطاء وردها ما كان أخذ من الضياع والاملاكة الى أربابها وفي ربيع الآخر أمر بقطع يدى أبى القاسم الجرجاني وكان يكتب للقائد عيسى ثم قطع يد عيسى فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم بعد قطع يديه بأق من الذهب والنياب ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع وأبطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها وأكثر من الركوب في الليل ومنع النساء من المشي في الطرقات فلم تراه امرأة في طريق البنت وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمل خفافهن وتعطلت حوائثهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يسع شيء ودعى لعبد الرحيم بن الياس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد وفي سنة خمس وأربع مائة قتل مالك بن سعيد الفارقي في ربيع الآخر وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة اشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار وزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب في كل يوم عدة مترات واشترى الجير وركبها بديل الخيل • وفي جمادى الآخرة قتل الحسين بن طاهر الوزان فكانت مدة نظره في الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشة مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبى السيد الكاتب ولما أحياه أبى السيد الحسين في الوساطة والسفارة وأقر في وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبى العوام وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى أقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبني قرة فحما أقطع الاسكندرية والجيرة ونواحيهما وقتل اخى أبى السيد فكانت مدة نظره اثنتين وستين يوما وولد الوساطة فضل بن جعفر بن القرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغاب بنو قرة على الاسكندرية وأعمالها وأكثر الحاكم من الركوب فركب في يوم ست مترات مرة على فرس ومرة على حمار ومرة في محفة تحمل على الاغناق ومرة في عشاري في الليل بغير عمامة وأكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولى عبد

الرحيم بن الياس دمشق فسار اليها في جمادى الآخرة سنة تسع وأربع مائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه في صندوق وحملوه الى مصر ثم أعيد الى دمشق فأقام بها الى ليلة عيد الفطر وأخرج منها * فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربع مائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتله وليس بهيجم وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة اشهر وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عدد الايحيى وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر في الهجوم وعلى رصد او اتخذيتا في المقطم يقطع فيه عن الناس لذلك ويقال انه كان يعتريه جفاف في دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قال فيه بعضهم كانت افعاله لاتعال * وأحلام وسواسه لاتوثرل وقال المسيحي وفي محرم سنة خمس عشرة وأربع مائة قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الا على فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جله أربعة انفس تفرقوا في البلاد وأظهر قطعة من جلده رأس الحاكم وقطعة من القوطة التي كانت عليه فقبل له لم قتله فقال غير الله ولا سلام فقبل له كيف قتله فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده فقتل نفسه وقال هكذا أقتله فقطع رأسه وأنضذه الى الحضرة مع ما وجد معه وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم لا ما تحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتله

(جامع القبيلة)

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد بناءه الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجبال في شعبان سنة ثمان وسبعين وأربع مائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار وانما قيل له جامع القبيلة لان في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الاعماد وعليها السريرو فوقها المدرعون أيام الخلفاء ولما كمل أقام في خطبته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني الافطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسي بعد صرفه من قضاء الغربية فلما رقي المنبر أول خطبة أقيمت في هذا الجامع قال بسم الله الحمد لله وارتج عليه فلم يد رما يقول وكان هناك الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن الصيرفي الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد وأبو عبد الله بن بركات النحوي ووجوه الدولة فلما انجز من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره فاعتل ومات وكان قدولى قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالحلة وولى ديوان الاحباس وكان أحد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن الشعراء المجيد بن والنحاة اللغويين ولد بطرابلس الشام في سنة اثنتين وستين وأربع مائة وقدم الى القاهرة في سنة احدى وخمسمائة ومدح الافضل ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم يلقها فطلع عليه اليها وذل كتاب أبي الغنائم الزيدى النسابة ومن شعره بديها وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما

ولما تلاقينا وغاب رقيتنا * ورمت التشكي في خلوق في سر

بداضوء بدر فافتقرنا لضوئه * فيامن رأى بدر اينم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الافضل وجد بموضع الصهر يج مطلباً فختم عليه أشهر الى أن قتله وعمله صهر يجاوبى عليه هذا المسجد وهذا الشرف الذي عليه جامع القبيلة منتظرة في غاية الحسن لان في قبلته بركة الحبش وبستان الوزير المغربي والعدوية ودير النسطورية وبئر أبي سلامة وهي بئر مدورة برسم الغنم وبئر النعش كان يستقي منها اصحاب الزوايا وهي بجوار عفصة الصغرى وهي بئر أبي موسى بن أبي خلد وسميت بئر النعش لانها على هيئة النعش وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الامواه وشرق هذا الجبل جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الاحول وريحان ورعين والكلاخ والاكسوع وغربي هذا الجبل المعشوق والنبل وبستان اليهودى الى القبلة وطموه والاهرام وراشدة وبحرى هذا الجبل بستان الامير تميم وقنطرة خليج بني وائل ودير المعتدين وعقبة محصب ومجرس قسطنطين والشرف وغير ذلك وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب

ما حوله من القرافة وراشدة وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بابلهم يقال لهم المسلية وعما قليل يدثر كادثر غيره

(جامع المقياس)

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة القسطنطينية

هكذا يباض بالأصل

(الجامع الاقصر)

قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنطرة فحدث الخليفة الأمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في أنشائه جامعاً فلم يترك قدماً القصر دكاناً وبني تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لأمير صوب القصر وكل الجامع المذكور في أيامه وذلك في سنة تسع عشرة وخمسمائة وذكراً اسم الأمر والمأمون عليه وقال غيره واشترى له حمام شمول ودار الخحاس بمصر وجلسهما على سدنته ووقود مصابيحهم ومن يتولى أمره ويؤذن فيه وما زال اسم المأمون والأمر على لوح فوق المحراب وفيه تجسيد الملك الظاهر يبرس للجامع المذكور ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الاقصر فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبع مائة جتده الأمير الوزير المشير الاستاذ اربليغا بن عبد الله السالمى أحد المالكين الظاهريين وأنشأ بظاهريه الجري حوائط يعلوها طبايق وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من برايز الخحاس ونصب فيه منبراً فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد ثواب القضاة الخفنية وارشح عليه واستقر إلى أن مات في سابع عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة وبني على يمينه المحراب البصري مثدنة ويبصر الجامع كله ودهن صدره بلا زور وذهب فقلت له قد أعجبني ما صنعت بهذا الجامع ما خلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فان الخطبة غير محتاج إليها ها هنا القرب الخطب من هذا الجامع وبركة الماء تنضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار بابها الذي من جهة الركن المخلق فاحتج لعبد المنبر بأن ابن الطوير قال في كتاب نزعة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفة في الموالي سنة ويقوم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الاقصر فيخطب كذلك قال فهذا أمر قد كان في الدولة الفاطمية وما أنا بالذي أحدثته وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين وجعل فوق المحراب لوحاً مكتوباً فيه ما كان فيه أولاً وذكروا فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوتهم وألقابهم وجدد أيضاً حوض هذا الجامع الذي تشرب منه الدواب وهو في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الإسلامية كانت في دير من ديارات النصارى بهذا الموضع فلما قدم القائد جوهر بجيوش المعز الدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أدخل هذا الدير في القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور وجعل هذه البئر مما ينقع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام وذلك أن جوهر أنقل من الدير المذكور عظاماً كانت فيه من رمم قوم يقال انهم من الخواريين فسميت ببئر العظام والعامة تقول إلى اليوم ببئر العظيمة وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأول ما أعرف من اضافتها إلى الجامع الاقصر أن العماد الدمياطي ركب على فوحتها هذه المحال التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيها بعد السبع مائة في أيام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعي وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مثدنته التي جتدها السالمى والبركة إلى سنة خمس عشرة وثلاثمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المثدنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبة قائمة به إلى الآن • (الأمر بأحكام الله) * أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لا عز الدين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الأفضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالأمر بأحكام الله وركب الأفضل فرساً وجعل في السرج شياً وأركبه عليه ليغو شخص الأمر وصار ظهره في حجر الأفضل فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد

ابن فاثك البطايحي - ولقبه بالأمون ققام بأمر دولته الى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخسمائة فتفرغ الأمر لنفسه ولم يبق له صد ولا من أحم وبقي بغير وزير وأقام صاحب ديوان أحدهما جعفر بن عبد المنعم والآخر سامري - يقال له أبو يعقوب ابراهيم ومعهما مستوف يعرف بابن أبي نجاح كان راهبا ثم تحكم هذا الراهب في الناس وقد تمكن من الدواوين فاستدأ في مطالبة النصارى وحقق في جهاتهم الاموال وجلها أولا فأولا ثم أخذ في مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمنا والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتّاب والسوقة بحيث لم يحل أحد من ضرره فلما تفاقم أمره قبض عليه الأمر وضرب بالنعال حتى مات بالشرطة فجر الى كرسى الجسر وسمر على لوح وطرح في النيل وحذف حتى خرج الى البحر الملح فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخسمائة وثب جماعة على الأمر وقتلوه كاذك عند خير الهودج وكان كريماسحا الى الغاية كثير التزّهة محبا للمال والزينة وكانت أيامه كلها الهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشي به بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة الى أن نكس بالراهب على الناس فقبحت سيرته وكثر ظله واغتصابه للاموال * وفي أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعاقل والحصون بسواحل الشام فلكت عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وغزة في رجب سنة اثنتين وخسمائة وطرابلس في ذي الحجة منها وباناس وجبيل وقلعة تبين فيها أيضا وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخسمائة وكثرت المرافعات في أيامه وأحدثت ربه لم تكن وعمر الهودج بالروضة ودكة ببركة الحبش وعمرت تيس ودمياط وجدد قصر القرافة وكانت نفسه تحذنه بالسفر والغارة الى بغداد ومن شعره في ذلك

دع اللوم عني لست مني بموثق * فلا بد لي من صدمة المتحقق
وأستقي جبادي من فرات ودجلة * واجمع شمل الدين بعد التفرق
وقال

أما والذي حجت الى ركن يته * جرائم ركبنا مقلدة شهب
لاقتحم الحرب حتى يقال لي * ملكك زمام الحرب فاعتزل الحربا
ويترل روح الله عيسى ابن مريم * فيرضي بنا صاحبنا ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديدا السهرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذي جدد رسوم الدولة واعداد اليها بهجتا بعد ما كان الافضل أبطل ذلك وقتل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كاذك هنالك وقضاه ابن ذكوانا لبسني ثم نعمة الله بن بشير ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلي ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسي ثم صرفه ثانيا بسلام بن الرسخي وعزله بأبي الحجاج يوسف بن أيوب المغربي ثم مات فولى محمد بن هبة الله بن منبسر وكتاب انشاءه سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحنفي والشيخ أبو الحسن بن أبي أسامة وتاج الرياسة أبو القاسم ابن الصيرفي وابن أبي الدم اليهودي وكان نقش خاتمه الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين ووقع في آخر أيامه غلاء قلق الناس منه وكان جرياً على سفك الدماء وارتكاب المخطورات واستحسان القبائح وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف وما زال محجورا عليه حتى قتل الافضل وكان يركب للترّهة دائماً عندما استبد في يوم السبت والثلاثاء ويحول في أيام النيل بجرمه الى اللؤلؤة على الخليج واختص بغلاميه برعش وهزار الملوكة * (يلغا السالمي) * أبو المعالي عبد الله الامير سيف الدين الحنفي المصوفي الظاهري كان اسمه في بلاده يوسف وهو حذر الاصل وآبؤه مسلمون فلما جلب من بلاد المشرق سمي يلغا وقيل له السالمي نسبة الى سالم تاجر الذي جلبه قترقي في خدم السلطان الملك الظاهر برقوق الى أن ولاء فطر خاتناه صلاح سعيد السعداء في ثامن عشر جادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فأخرج كآب الوقف وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من يياض الناس فجرت أمور ذكرت في خبر الخاتناه * وفي سابع عشر صفر سنة ثمانمائة انعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الامير بهادر فطيلس ثم نقله الى امرة طبلخانة ثم جعله ناظرا على الخاتناه الشينونية بالصليبية في تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة فعصف بمباشريها وأراد حياهم على مر الحق فنشرت منه القلوب

ولما مرض الظاهر جعله أحد الأوصياء على تركته فقام بتخليف الماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق والاتفاق عليهم بحضرة الناصر فأنتق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما ولما انقضت النفقة نودى في البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وعوقب فحصل للناس من ذلك شدة وكان قد كثر القبض على الأمراء بعد موت الظاهر فحدث مع الأمير الكبير بنتمش القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه في أن يكون على كل أمير من المتقدمين خمسون ألف درهم وعلى كل أمير من الطبائفة عشرين ألف درهم وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم وعلى كل أمير خمسة ألف درهم وخمسة مائة درهم فرسم بذلك وعمل به مدة أيام الناصر وحصل به رفق للأمراء ومباشر بهم ثم خلع عليه واستقر أستاذار السلطان عوضا عن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي القرج الملكي في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة فأبطل تعرف منية بن خبيب وضممان العرصه وأخصاص السكاليين وكتب بذلك من سوما سلطانيا وبعث به إلى والي الاشمنين وأبطل وفر الشون السلطانية وما كان مقررا على البردار وهو في الشهر سبعة آلاف درهم وما كان مقررا على مقدم المستخرج وهو في الشهر ثلاثة آلاف درهم وكانت سماسة الغلال تأخذ من يشتري شيئا من الغلة على كل أردب درهمن بمسرة وبكاله ولواحة وأمانة فأنزهم أن لا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم وهذا على ذلك بالغرامة والعقوبة وركب في صفر سنة ثلاث وثمانمائة إلى ناحية المنية وشبرا الخيمة من الضواحي بالقاهرة وكسر منها ما ينيف على أربعين ألف جرة خمر وغزب بها كنيسة كانت للنصارى وحل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل وعلى باب زويلة وشدد على النصارى فلم يتمكنه أمراء الدولة من جلهم على الصغار والمذلة في ملابسهم وأمر ف ضرب الذهب كل دينار رزته مثقال واحد وأراد بذلك إبطال ما حدث من المعاملة بالذهب الأفرنجي ف ضرب ذلك وتعامل الناس به مدة وصار يقال دينار سالي إلى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية وصار يحكم في الأحكام الشرعية فقلق منه أمراء الدولة وقاموا في ذلك فنزع من الحكم الأفيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار وأخذ في محاشنة الأمراء عندما عاد الناصر فرج وقد أنزهم من تيمورلنك وشرع في إقامة شعار المملكة والنفقة على العساكر التي رجعت منهزمة فأخذ من بلاد الأمراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار فرسا وخمسة مائة درهم ثمنها وجي من أملاك القاهرة ومصر ونطاها رهما أجره شهر وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم وعن الفدان من القصب المزروع والقلعاس والنيلة نحو مائة درهم وجي من البساتين عن كل فدان مائة درهم وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلا ونهارا ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم وأخذ مما فيها من الذهب والفضة والفلوس نصف ما يجد سواء كان صاحب المال غائبا أو حاضرا فم ذلك أموال التجار والأيام وغيرهم من سائر من وجد له مال وأخذ ما كان في الجوامع والمدارس وغيرها من الحواصل فشمّل الناس من ذلك ضرر عظيم وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجره صرف وستة دراهم عن أجره الرسول وعشرة دراهم عن أجره قبيب فنفرت منه القلوب وانطلقت اللسان بذمه والدعاء عليه وعرض مع ذلك الجند وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر إلى الشام لقتال تيمورلنك ومن وجد عاجزا عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه فقبض عليه في يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة وسلم للقاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب وقرّر مكانه في الاستادارية فلم يزل إلى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة فأمر بإطلاقه بعد أن حصر وأهين أهانة كبيرة ثم قبض عليه وضرب ضربا مبرحا حتى أشقى على الموت وأطلق في نصف ذي القعدة وهو مريض فأخرج إلى دمياط وأقام بها مدة ثم أحضر إلى القاهرة وقلد وظيفة الوزارة في سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيرا فأبطل مكوس البحيرة وهو ما يؤخذ على ما يذبح من البقر والغنم واستعمل في أموره العسف وترك مداراة الأمراء واستعجل فقبض عليه وعوقب وسجن إلى أن أخرج في رمضان سنة سبع وثمانمائة وقلد وظيفة الإشارة وكانت للأمير جمال الدين يوسف الاستادار فلم يترك عادته في الإعجاب برأيه والاستبداد بالأمور واستعجال الأشياء قبل أوانها فقبض عليه في ذي الحجة منها وسلم للأمير جمال الدين يوسف فعاقبه وبعث به إلى الاسكندرية فسجن بها إلى أن سعى جمال الدين في قتله بجمال بذله للناصر فيه حتى أذن له في ذلك فقتل خنقا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة

رجه الله وكان كثيرا التسك من الصلاة والصوم والصدقة لا يخل بشئ من نوافل العبادات ولا يترك قيام الليل سفرا ولا حضرا ولا يصلي قط الا بوضوء جديد وكلما أحدث توشا واذا قوضا صلى ركعتين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويخرج في كثرة الصدقات عن الحديث ويقرأ في كل ثلاثة أيام ختمه ولا يترك أو راده في حال من الاحوال مع المروءة والهمة وسمع كثيرا من الحديث وقرأ بنفسه على المشايخ وكتب الخط الملع وقرأ القرآت السبع وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم الا انه كان متهورا في أخذ الاموال عيسو فالجوجا مصمما لا ينقاد الى أحد ويستبد برأيه فيغلط غلطات لا تحتمل ويستخف بغيره ويحب بنفسه ويريد أن يجعل غاية الامور بدايتها فذلك لم يتم له أمر

(جامع الظافر)

هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قد يماس سوق السراجين ويعرف اليوم بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الاخر ويقال له اليوم جامع القاهيين وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمر بأحكام الله منصور ووقف حوائته على سدته ومن يقرأ فيه * قال ابن عبد الظاهر بن الظاهر وكان قبل ذلك زربية تعرف بدار الكباش وبناءه في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباها وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقتضى حاجته فأق رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورمها في البالوعة فجاء الحزاز يطوف على السكين فلم يجد لها أما الخادم فانه استهزئ وخلصه منه وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمر وأبعمله جامعا ويسمى الجامع الاخر وبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصليون للقرآن وأول ما أقيمت به الجمعة في

هكذا يباين بالاصل

(جامع الصالح)

هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة * قال ابن عبد الظاهر كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهده الامام الحسين رضي الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على قتله فدفن في هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون الا داخل القصور الزاهرة وبني المشهده الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال ان الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جلة وصيته ما ندمت قط في شئ عملته الا في ثلاثة الاول بناء هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عون لها والثاني توليت لشاور الصعيد الاعلى والثالث خروجي الى بلبس بالعساكر واتصافى الاموال الخلة ولم أتمهم الى الشام وافتتح بيت المقدس وأسأصل ساقية الفرنج وكان قد أفتق في العساكر في تلك الدفعة مائة ألف دينار وبني في الجامع المذكور صهر يربا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصهر يرب المذكور أيام النبل وجعل البحاري اليه وأقيمت الجمعة فيه في الايام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله الباداري وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعدي وهي الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار * (طلائع بن رزيك) * أبو القارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم في أول أمره الى زيارة مشهده الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأرض التجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية وامام مشهده علي رضي الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع وأصحابه وباقوا هناك فرأى ابن معصوم في منامه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جلتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من اكبر محبيننا قل له اذهب فقد ولينا لمصر فلما أصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأى فسار حيثئذ الى مصر وترقى في الخدم حتى ولي منية بنى خصيب فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به في الاخذ بشار الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء فجمع طلائع عند ما وردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعند ما قرب من البلد فزع عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير

الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبقت بالامر لصغر سن الخليفة الفاتر نصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد واقبه بالعاضد لدين الله وباع له وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالامر دونهم فوقف له رجال بهاليزا القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحا لا يبي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لاهل الادب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا وكان مهابا في شكله عظيم في سطوته وجمع اموالا عظيمة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن فنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالا بينا * حتى استوى اقرارها ووجودها
ملتم الى أن المعاصي لم يكن * الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريد ما

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية وجدد الجامع الذي بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلبس على أن يكون ثلثاها على الاشراف من بني حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وسبع قرارات منها على اشراف المدينة النبوية وجعل فيها قراطا على بني معصوم امام مشهد علي رضي الله عنه ولما ولي الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الامراء واطهر مذهب الامامية وهو مخالف لمذهب القوم وباع ولايات الاعمال للامراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متول سنة اشهر فقتصر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من ذلك وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره ولم يترك مدة أيامه غز الفرج ونسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعث في كل سنة مرارا وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر ما يحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتى يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها الاقلام والمداد والآلات النساء ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة وكان أهل العلم يغدون اليه من سائر البلاد فلا يجيب أمل فاصد منهم * ولما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال في هذه الليلة ضرب في مثلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمر بقرية تمثلة فاغتسل وصلى على رأي الامامية مائة وعشرين ركعة أحيا بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوش فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر باحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل فلما أخذ في اصلاح العمامة قال رجل لاصالح نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذي جرى أمره تطير منه فان رأي مولانا أن يؤخر الركوب فعلى الطيرة من الشيطان لبس الى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا فمات منها كما تقدم

* (ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها) *

اعلم أن الاحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجري مجراها من المباني وكلها كانت على جهات بر فاما المسجد الجامع العتيق بمصر فكان يلى امامته في الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعة والصلوة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخارج وتارة يفرد الخارج عن الامير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ولا يخرج أمر الخارج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب وكان الامير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولي مصر عنبسة بن اسحاق ابن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخارج فقدمها الخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين واقام الى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف فكان آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلي بالناس في المسجد الجامع وصار يصلي بالناس رجل يرزق من بيت المال وكذلك المؤذنون ونحوهم وأما الاراضي فلم يكن سلف الامة من الصحابة والتابعين يعرضون لها وانما حدث ذلك بعد عصرهم

حتى ان أجد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبس على ذلك الاحباس الكثيرة لم يكن فيما سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض الى شئ من أراضى مصر البتة وحبس أبو بكر محمد بن علي المارداني بركة الحبش وسيوط وغيرهما على الحرمين وعلى جهات البر وحبس غيره أيضا فلما قدمت الدولة الفاطمية من الغرب الى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضي القضاة يتولى أمر الاحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للاحباس ديوان مفرد وأول ما قدم المعز أمر في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بحمل مال الاحباس من المودع الى بيت المال الذي لوجوه البر وطولب اصحاب الاحباس بالنشرائط ليحملوا عليها وما يجب لهم فيها وللنصف من شعبان ضمن الاحباس محمد بن القاضي أبي الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم في كل سنة يدفع الى المستحقين حقوقهم ويحمل ما بقي الى بيت المال * وقال ابن الطوير الخدمه في ديوان الاحباس وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه الأعيان كآب المسلمين من الشهود المعتذلين بحكمهم أنها معاملة دينية وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدمه في ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب وينجزون لهم الخرج باطلاق أرزاقهم ولا يوجب لاحد من هؤلاء خرج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستقرار خدمته ذلك الشهر جميعه ومن تأخر تعريفه تأخر الا ايجاب له وان تمادى ذلك استبدل به أو توفر ما باسمه لمصلحة أخرى خلا جوارى المشاهد فانها لا توفر لكنها تنقل من مقصر الى ملازم وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما في الشهر برسم الماء لزوارها ويجرى من معاملة سوا في السبيل بالقراءة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تتحول المصانع ولا الاحواض من الماء أبدأ ولا يعترض أحد من الاتفاقيات به وكان فيه كاتبان ومعينان * وقال المسيحي في حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأمر الحاكم بأمر الله بآليات المساجد التي لا غلة لها ولا أحد يقوم بها وماله منها غلة لا تقوم بما يحتاج اليه فأبقت في عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله فكانت عدة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجداً مبلغ محتاج اليه من النفقة في كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما على أن لكل مسجد في كل شهر اثني عشر درهما وقال في حوادث سنة خمس وأربعمائة وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل تحبيس عدة ضياع وهي اطفيج وصول وطوخ وست ضياع أخرى وعدة قياسر وغيرها على القراءة والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وعن الاكفان * وقال الشريف بن أسعد الجواني كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا بماعلى المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدئون بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القراءة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لتظهر حصر ذلك وقناده وعمارته وما تشعبت منه وما زال الأمر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استقرت دولة بني أيوب أضيفت الاحباس أيضا الى القضاة ثم تفرقت جهات الاحباس في الدولة التركية وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات * الاولى تعرف بالاحباس وبلى هذه الجهة دوا دار السلطان وهو أحد الأمراء ومعه ناظر الاحباس ولا يكون الامن أعيان الرؤساء وهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدبروا أكثر ما في ديوان الاحباس الرزق الاحباسية وهي أراض من أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها وعلى غير ذلك من جهات البر وبلغت الرزق الاحباسية في سنة أربعين وسبعمائة عند ما حترها النشوناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون مائة ألف وثلاثين ألف فدان عمل النشوبها أوراها وحدث السلطان في آخر اجها عن هي باسمه وقال جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الأمراء والحكام وأكثرها بأيدي أناس من فقهاء الأرياف لا يدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرؤون القرآن وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب وحسن له أن يقيم شاذاً أو ديوياً يسير في النواحي وينظر في المساجد التي هي عامرة وبصرف لها من رزقها النصف وما عد ذلك يجري في ديوان السلطان فعاجله الله وقبض عليه قبل عمل شئ من ذلك * الجهة الثانية تعرف بالاوقاف الحكيمة بمصر والقاهرة وبلى هذه الجهة قاضي القضاة الشافعي وفيها ما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والاسرى وانواع القرب ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الاوقاف فتارة يتفرد بظرف أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان ثواب القاضي وتارة يتفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الأعيان وبلى نظراً وأوقاف مصر

آخر ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجبابة وكانت جهة عامرة تحصل منها أموال جمة فيصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة في كل سنة تحمل من مصر اليهم مع من يتق به قاضي القضاة وتفرق هناك صررا ويصرف منها أيضاً بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولاهل السرة والفقراء شئ كثير الا انها اختلفت وتلاشت في زمننا هذا وعما قليل ان دام ما نحن فيه لم يبق لها اثر البتة وسبب ذلك انه ولي قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم في أيام الملك الناصر فرج وولاية الامير جمال الدين يوسف تدبير الامور والمملكة قضاها معا على اطلاق الاوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الاوقاف أقام شاهدين بشهادة بأن هذا المكان بضرب الجمار والمارة وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك وشراء جمال الدين في هذا الفعل كما شره في غيره فيحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلية بهذه الطريقة والناس على دين ملكهم فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف سعى عند القاضي المذكور بجباة أموال فيحكم له بما يريد من ذلك واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضارب بالجار والمارة وأن الحظ والمصلحة في بيعه أنقاضا فيحكم قاض شافعي المذهب ببيع تلك الاتقاض واستقر الامر على هذا الى وقتنا هذا الذي نحن فيه ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا في المعنى وحكم ببيع المساجد الجامعة اذا خرب ما حولها وأخذ ذرية واقفها بمن أنقاضها وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل فامتدت الايدي لبيع الاوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان في قراقرى مصر من التربة وجميع ما كان من الدور الجليلية والمساكن الانيقة بمصر القسطة ومنشأة المهراني ومنشأة الكتاب وزريسة قوصون وحكر ابن الاثير وسويقة الموفق وما كان في الحكومة من ذلك وما كان بالجوانية والعطوفة وغيرها من حارات القاهرة وغيرها فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب * الجهة الثالثة الاوقاف الاهلية وهي التي لها ناظر خاص اما من أولاد الاوقاف أو من ولاية السلطان أو القاضي وفي هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والتربة وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والتربة وغيرها وصاروا يفردون أراضي من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ويقومون صورة بملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كبار يدون فلما استبدت الامير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يلقب باسم السلطنة هم بارتجاع هذه البلاد وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء وغيره فلم يتهيأ له ذلك فلما جلس على تخت الملك صار أمره يستأجرون هذه النواحي من جهات الاوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا فلما مات الظاهر غش الامر في ذلك واستولى أهل الدولة على جميع الاراضي الموقوفة بمصر والشامات وصاروا جودهم من يدفع فيها لمن يستحق ربعها عشر ما يحصل له والاف كثيرة منهم لا يدفع شئاً البتة لاسيما ما كان من ذلك في بلاد الشام فانه استهلك وأخذ ولذلك كان أسوأ الناس حالا في هذه الحقن التي حدثت منذ سنة ست وعثمانية الفقهاء لخراب الموقوف عليهم وبيعه واستيلاء أهل الدولة على الاراضي

* (الجامع بجوارزبة الشافعي بالقراقة) *

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا فلما كثرت الناس بالقراقة الصغرى عندما عمر السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب المدرسة بجوارقبة الامام الشافعي رضي الله عنه وجعل لها مدرسا وطلبة زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في المسجد المذكور ونصب به منبرا وخطب فيه وصليت الجمعة به في سنة سبع وستائة

* (جامع محمود بالقراقة) *

هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجدة وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السري بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة قال القاضي الشافعي "المسجد المعروف بمحمود يقال ان محمود هذا كان رجلا جندا من جنود السري بن الحكم أمير مصر وانه هو الذي بنى هذا المسجد وذلك أن السري بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل في طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محمودا فأمره بضرب عنق

الرجل ففعل فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم وقال رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل يدي وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثرت أسفه وبكاؤه وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود فيها ولم يمت ليلته من الغم والندم فلما أصبح غدا الى السرى فقال له انى لم اتم في هذه الليلة على قتل الرجل وأنا أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا اعود في الجندية فأسقط اسمي منهم وان أردت نعمتي فهى بين يديك وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه * وقال ابن المتوج المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد فاضى العسكر والمدبر من بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرفت بالشريفية وسنة الخلافة المعظمة وتوفى في شوال سنة خمس وخمسين وستمائة وكان أيضا نقيب الاشراف

(جامع الروضة بقلعة جزيرة القسوط)

قال ابن المتوج هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقلق بترك العاقبة وكان بها بئر مالحه وذلك معاد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحه وهذه البئر التي رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع وانما ردمت بعد ذلك وهذا الجامع لم يزل بيد بني الرزاد ولهم ثواب عنهم فيه ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ الموحدين هدم هذا الجامع في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور كانت الى جانبه وشرع في عمارته فمات قبل الفراغ منه

(جامع غين بالروضة)

قال ابن المتوج المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غين وهو القديم ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع القياس فبطلت الخطبة منه ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة الظاهرية فكثرت عمارات الناس حوله في الروضة وقل الناس في القلعة وصاروا يجدون مشقة في مشيهم من أوائل الروضة وعمر صاحب محبي الدين أحمد ولد صاحب بها الدين علي بن حنا داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له اقامة الجمعة في هذا الجامع لقرية منه ومن الناس فحدث مع والده فشاور السلطان الملك الظاهر ببيع موقع منه بموقع لكثرة ركوبه بجزر النيل واعتنائه بعمارات الشواني ولعبها في البحر ونظره الى كثرة الخلأق بالروضة ورسم باقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة بنيه في عمارتها على ما كانت عليه فأقيمت الخطبة به في سنة ستين وستمائة وولى خطابه أفضى القضاة جمال الدين بن الغفاري وكان ينوب بالجزيرة في الحكم ثم ناب في الحكم بمصر عن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي وكان امامه في حال عطلته من الخطبة فلما أقيمت فيه الخطبة أضيفت اليه الخطبة فيه مع الامامة * غين أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله خلع عليه في ناسع ربيع الآخر سنة اثنين وأربعمائة وقلده سيفاً وأعطاه سجلاً قرئ فاذا فيه انه لقب بقائد القواد وأمر أن يكتب بذلك ويكتاب به وركب وبين يديه عشرة افراس بسر وجها ولجها وفي ذى القعدة من السنة المذكورة انفذ اليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرساً بسر وجها ولجها وقلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجزيرة والنظر في أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها وكتب له سجلاً يذكر بالجامع العتيق فنزل الى الجامع ومعه سائر العسكر والخلع عليه وحمل على فرسين وكان في محله مراعاة أمر النيز وغيره من المسكرات وتتبع ذلك والتشديد فيه وفي المنع من عمل الققاع وبيعه ومن اكل الملوخيا والسمك الذي لا قشر له والمنع من الملاحى كلها والتقدم بمنع النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع العسل وأن لا يتجاوز في بيعه اكثر من ثلاثة ارطال لمن لا يسبق اليه ظنه أن يتخذ منه مسكراً فاستمر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة فصرف عن الشرطتين والحسبة بمظفر الصقلي فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها أمر بقطع يدي كاتبه أبي القاسم على بن أحمد الجرجاني فقطعنا جميعاً وذلك انه كان يكتب عند السيدة الشريفة اخت الحاكم فانتقل من خدمتها الى خدمة غين خوفاً على نفسه من خدمتها فسقطت لذلك فبعث اليها يستعطفها ويذكر في رفته شيئاً وقفت عليه فارتابت منه فظنت أن ذلك حيلة عليها وانفذت الرقعة في طي رفته الى الحاكم فلما وقف عليها اشتد غضبه وأمر بقطع يديه جميعاً قطعتا وقيل بل كان غين هو الذي يوصل رفاع عقيل صاحب الخبر الى الحاكم في كل يوم

فأخذها من عقيل وهي محتومة بخاتمه ويدفعها كاتبه أبي القاسم الجرجاني حتى يحلوه وجه الحاسم
فأخذها حينئذ من كاتبه ويوقفه عليها وكان الجرجاني يفلح الختم ويقرأ الرقاع فلما كان في يوم من الأيام فلما
رقعة فوجد فيها طعنا على غين أسأذه وقد ذكر فيها بسوء فقطع ذلك الموضع وأصلحه وأعاد ختم الرقعة فبلغ ذلك
عقيل صاحب الخبر فبعث إلى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أسرهم فأذن له وحذنه بالخبر فأمر حينئذ
بقطع يدي الجرجاني فقطعنا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوما في ثالث جادى الأولى قطعت يد غين الأخرى
وكان قد أمر بقطع يده قبل ذلك ثلاث سنين وشهر نصار مقطوع اليدين معا ولما قطعت يده حملت في طبق إلى
الحاكم فبعث إليه بالطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من اصفاط ثياب وعاده جميع أهل الدولة فلما كان
ثالث عشره أمر بقطع لسانه فقطع وحمل إلى الحاكم فسير إليه الأطباء ومات بعد ذلك

(جامع الافرم)

قال ابن المتوج هذا الجامع بسفح الرصد عمره الامير عز الدين ابيك بن عبد الله المعروف بالافرم أمير جاندار
الملكي الصالح النجفي في شهر ر سنة ثلاث وستين وستمائة لما عمر المنطرة هناك وعمر بجوارها رباطا للفقراء
وقررهم عدة تتعقد بهم الجمعة وقررا قاعاتهم فيه ليلا ونهارا وقرر كفايتهم واعانتهم على الإقامة وعمر لهم هذا
الجامع يستغنون به عن السعي إلى غيره وذكر أن الافرم أيضا عمر مسجد ابجسر الشيمية في شعبان سنة ثلاث
وتسعين وستمائة جامعة اهدم فيه عدة مساجد

(الجامع بمنشأة المهراني)

قال ابن المتوج والسبب في عمارة هذا الجامع أن القاضي الفاضل كان له بستان عظيم فيما بين ميدان
القوق وبستان الخشاب الذي أكله البحر وكان بيم مصر والقاهرة من ثماره وأعنا به ولم تزل الباعة ينادون على
العنب رحم الله الفاضل يا عنب إلى مدة سنين عديدة بعد أن أكله البحر وكان قد عمر إلى جانبه جامعة
وبني حوله فسميت بمنشأة الفاضل وكان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدوي الديباجي العثماني وكان
قد عمر بجواره دارا وبستانا وغرس فيه أشجارا حسنة ودفع إليه فيه ألف دينار مصرية في أول الدولة
الظاهرة وكان الصرف قد بلغ في ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة
فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة وقطع جميع ذلك حتى لم يبق له أثر وكان خطيبه موفق الدين يسكن
بجوار الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ويتردد إليه وإلى والده محيي الدين فوقف وضرع إليهما وقال
اكون غلام هذا الباب ويخرب جامعي فرحمه الصاحب وقال السمع والطاعة يدبر الله ثم فكر في هذه البقعة
التي فيها هذا الجامع الآن وكانت تعرف بالكوم الاحمر مرصدة لعمل ائمة الطوب الا تحرية سميت بالكوم
الاخمر وكان الصاحب نخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا قد عمر منطرة قبالة هذا
الكوم وهي التي صارت دارا بن صاحب الموصل وكان نخر الدين كثير الإقامة فيها مدة الايام المعزية
فقلق من دخان الاقنة التي على الكوم الاحمر وشكا ذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد
الفائزي فأمره بتقويمه فقوم ما بين بستان الحلي وبحر النيل وابتاعه الصاحب بهاء الدين فلما مات ولده نخر
الدين وتحدث مع الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هناك ملكه هذه القطعة من الارض فعمر السلطان بها هذا
الجامع ووقف عليه بهية هذه الارض المذكورة في شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة وجعل النظر
فيه لولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفي وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبي
بكر المهدوي العثماني الديباجي إلى أن توفي يوم الاربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة وقد
تعطلت إقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ما حوله وقله الساكنين هناك بعد أن كانت تلك الخططة في غاية
العمارة وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه فاخترته المنية
قبل ذلك

(جامع دير الطين)

قال ابن المتوج هذا الجامع بدير الطين في الجانب الشرقي عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب نخر الدين

ولد صاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا في المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة وذلك انه لما عمر بستان المعشوق ومناظره وكثرت اقامته بها وبعد عليه الجامع وكان جامع دير الطير ضيقا لا يسع الناس فعمر هذا الجامع وعمر فوقه طبقة يصلي فيها ويعتكف اذا شاء ويحلو بنفسه فيها وكان ماء النيل في زمنه يصل الى جدار هذا الجامع وولى خطابه للفقهاء جمال الدين محمد بن الماشطة ومنعه من لبس السواد لاداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته في عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقد ذكرت ترجمة صاحب تاج الدين عند ذكر رباط الانبار من هذا الكتاب * (محمد بن علي بن محمد بن سليم ابن حنا) أبو عبد الله الوزير صاحب نحر الدين بن الوزير صاحب بهاء الدين ولد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وترقيج بابنة الوزير صاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفاضلي وناب عن والده في الوزارة وولى ديوان الاحباس ووزارة الصحة في أيام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق وحدث وله شعر جيد ودرس بحدسية أبيه صاحب بهاء الدين التي كانت في زقاق القناديل بمصر وكان محبا لاهل الخير والصلاح مؤثرا لهم متفقد الاحوالهم وعمر رباطا حسنا بالقرافة الكبرى رتب فيه جماعة من الفقراء ومن غريب ما يعطيه الارب ان الوزير صاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرقيب بن الزبير الذي كان بنو حنا يعادونه وعنه اخذوا الوزارة مات في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة بالسجن فأخرج كما تخرج الاموات الطرحاء على الطرقات من الغرباء ولم يشيع جنازته أحد من الناس مراعاة للصاحب بن حنا وكان نحر الدين هذا ينزله في أيام الربيع بمنية القائد وقد نصبت له الخيام وأقيمت المطابخ ويزين بديه المطربون فدخل عليه البشير بموت الوزير يعقوب بن الزبير وانه أخرج الى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد من الناس فسمي بذلك ولم يتمالك نفسه وأمر المطربين فغنوه ثم قام على رجله ورقص هو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ما خرج به عن الحد وخلع على البشير بموت المذكور خلعاً سنينة فلم يرض على ذلك سوى اقل من أربعة اشهر ومات في حادي عشر شعبان من السنة المذكورة فضع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة ولما دلى في لخدمه قام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة في ذلك الجمع الموفور بترية ابن حنا من القرافة وانشد

ثم هنياً محمد بن علي * بجميل قدمت بين يديكا

لم تزل عوتنا على الدهر حتى * غلبتنا يد المنون عليك

انت أحسنت في الحياة لنا * أحسن الله في الممات اليكا

فتباكي الناس وكان لها محل كبير ممن حضر رجمة الله عليهم اجمعين * وفي هذا الجامع يقول السراج الوراق

بنسبهم على تقوى من الله مسجدا * وخير مبانى العابدین المساجد

فقل في طراز معلم فوق بركة * على حسنها الزاهي لها البحر حاسد

لها محل حسن ولكن طرازها * من الجامع المعمور بالله واحد

هو الجامع الاحسان والحسن الذي * أقترله زيد وعمرو وخالد

وقد صاغت شهب الدجى شرفاته * فهاهي بين الشهب الافراق

وقد أرشد الضلال على مناره * فلاحاثر عنه ولا عنه حائل

ونالت نواقيس الديارات وجة * وخوف فلم يمدد اليهن ساعد

فتبسكى عليهن البطاريق في الدجى * وهن لدهيم ملقيات كواسد

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(جامع الظاهر)

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميداناً فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جامعاً قال جامع السيرة الظاهرية وفي ربيع الآخر يعني سنة خمس وستين وستمائة أهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية وسير الانابك فارس الدين اقطاي المستعرب والصاحب نحر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين علي بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعة فتوجوهوا ذلك واتفقوا على مناخ الجبال السلطانية فقال السلطان

لا والله لاجعلت الجامع مكان الجمال وأولى ما جعلته مبداني الذي ألعب فيه بالكرة وهو زهقي فلما كان يوم
الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير صاحب بهاء الدين علي بن حنا والقضاة
ونزل الى ميدان قراقوش وتحدث في أمره وقاسه ورتب أموره وأمر بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا
على الجامع يحكروا رسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على
محرابه قبة على قدر قبة الشافعي رجة الله عليه وكتب في وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد الرخام من سائر
البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والابقار والدواب من سائر الولايات وكتب باحضار الآلات من
الحديد والاختشاب النقية برسم الابواب والسقوف وغيرها ثم توجه لزيارة الشيخ الصالح خضر بالمكان الذي
أنشأه له وصلى الظهر هناك ثم توجه الى المدرسة بالقاهرة فدخلها والفقهاء والقراء على حالهم وجلس بينهم ثم
تحدث وقال هذا مكان قد جعلته لله عز وجل وخرجت عنه وقضاه اذامت لا تدفنوني هنا ولا تغبروا معام هذا
المكان فقد خرجت عنه الله تعالى ثم قام من ايوان الحنفية وجلس بالمحراب في ايوان الشافعية وتحدث وسمع
القرآن والدعاء ورأى جميع الاماكن ودخل الى قاعة واده الملك السعيد المبنية قرياً منها ثم ركب الى قلعة الجبل
وولى عدة مشددين على عمارة الجامع وكان الى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها السلطان الملك الظاهر فلما
رسم ببناء الجامع طلبها الامير سيف الدين قسطنطين النجدي من السلطان فقال الارض قد خرجت عنها لهذا الجامع
فاستأجرها من ديوانه والبناء والاصناف وهبتك اياها وشرع في العمارة في منتصف جمادى الآخرة منها وفي أول
جمادى الآخرة سنة ست وستين وثمان مائة سار السلطان من ديار مصر يريد بلاد الشام فقل على مدينة يافا وتسليمها
من الفرنج بأمان في يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور وسيراً أهلها فتفرقوا في البلاد وشرع
في هدمها وقسم أبراجها على الامراء فابعد في ذلك من ثاني عشره وقاسوا شدة في هدمها لخصائصها وقوة
بنائها لاسما للقلعة فانها كانت حصينة عالية الارتفاع ولها أساسات الى الارض الحقيقية وبأمر السلطان الهدم
بنفسه وبخواصه ومماليكه حتى غلبان البيوتات التي له وكان ابتداء هدم القلعة في سابع عشره ونقضت من
أعلىها ونظفت زلاقتها واستقر الاجناد في ذلك ليلاً ونهاراً وأخذ من أخشابها جلة ومن ألواح الرخام التي وجدت
فيها ووسق منها مراكب التي وجدت في يافا وسيرها الى القاهرة ورسم بأن يعمل من ذلك الخشب
مقصورة في الجامع الظاهري بالميدان من الحسينية والرخام يعمل بالمحراب فاستعمل كذلك ولما عاد السلطان الى
مصر في حادي عشر ذي الحجة منها وقد فتح في هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها أقام الى أن أهدت سنة
سبع وستين وثمان مائة فلما اكملت عمارة الجامع في شوال منار كركب السلطان ونزل الى الجامع وشاهده فراه في غاية
ما يكون من الحسن وأعجبه فجازاه في أقرب وقت ومدة مع علو الهمة فخلع على مباشره وكان الذي تولى بناءه
الصاحب بهاء الدين بن حنا والامير علم الدين سنجر السروزي متولى القاهرة وزار الشيخ خضر وعاد الى قلعة وفي
شوال منها تمت عمارة الجامع الظاهري ورتب به خطيباً حتى المذهب ووقف عليه حكراً مابق من أرض الميدان
ونزل السلطان اليه ورتب أوقافه ونظر في أموره * (يبرس) الملك الظاهر ركن الدين البندقداري أحد
المماليك البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي
بكر بن أيوب وأسكنهم قلعة الروضة كان أولاً من ممالك الامير علاء الدين ايدكين البندقداري فلما سخط عليه
الملك الصالح أخذ ممالكهم منهم الامير بيبرس هذا وذلك في سنة أربع وأربعين وثمان مائة ووقته على طائفة من
الجدارية وما زال يترقى في الخدم الى أن قتل المعز أيك التركاني الفارس اقطاعي الجدار في شعبان سنة اثنتين
وخمسين وثمان مائة وكانت البحرية قد انحازت اليه فركبوا في نحو السبع مائة فلما ألقب اليهم رأس اقطاعي
تفرقوا واتفقوا على الخروج الى الشام وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقداري وقلان الالقي وستقر
الاشقرو ويسرى وترامق وتنكز فساروا الى الملك الناصر صاحب الشام ولم يزل بيبرس يبلد الشام الى
أن قتل المعز أيك وقام من بعده ابنه المنصور على وقبض عليه نائبه الامير سيف الدين قطز وجلس على تخت
المملكة وتلقب بالملك المنصور فقدم عليه بيبرس فأمره المنصور قطز ولما خرج قطز الى ملاقاته التنازع وكان من نصرته
عليهم ما كان وحل الى دمشق فوثق اليه بأن الامير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه وانه عازم على القيام بالحرب
فأسرع قطز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مضمحل بيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذات بيبرس

فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يجترس من الآخر على نفسه ويتنظر الفرصة فبادر بيرس وواعد الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى والأمير سيف الدين بيدغان الركنى المعروف بسم الموت والأمير سيف الدين بلبان الهاروفى والأمير بدر الدين أنص الأصبهاني فلما قربوا في مسيرهم من القصر بين الصالحية والسعيدية عند القرين انجرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعادوا الأمير بيرس يساره هو وأصحابه طلب بيرس منه امرأه من سبي التتار فأتم عليه بها فقدم ليقبل يده وكانت إشارة بينه وبين أصحابه فعند ما رآوا بيرس قد قبض على يد السلطان المظفر قطز بأمر الأمير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أباته واختطفه الأمير أنص وألقاه عن فرسه إلى الأرض ورماه بهادر المغربي بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسمائه ومضوا إلى الدهليز المشورة فوقع الاتفاق على الأمير بيرس فقدم إليه اقطاعى المستعرب الجندار المعروف بالتابك وبإيعه وحلف له ثم بقية الامراء وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصر فلما تمت البيعة وحلف الامراء كلهم قال له الأمير اقطاعى المستعرب يا خوند لا يتم لك أمر إلا بعد دخولك إلى القاهرة وطلوعك إلى القلعة فركب من وقته ومعه الأمير قلاون والأمير بلبان الرشيدى والأمير يلبك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل فلقبهم في طريقهم الأمير عز الدين أيمن الحلبي نائب الغيبة عن المظفر قطز وقد خرج لتلقيه فأخبروه بما جرى وحلفوه فثقتهم إلى القلعة ووقف على بابها حتى وصلوا في الليل فدخلوا إليها وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قطز وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فأراهم وقد طلع النهار إلا والمشاعلى يتأذى معاشر الناس ترجوا على الملك المظفر وأدعوا سلطانكم الملك الظاهر بيرس فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم خوفا من عود البحرية إلى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس فأول ما بدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيب الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار من كل انسان وأخذ ثلث الترك الاهلية فبلغ ذلك في السنة ستمائة ألف دينار وكتب بذلك مسجودا قرئ على المنابر في صيغة دخوله إلى القلعة وهو يوم الاحد سادس عشر ذى القعدة المذكور وجلس بالايوان وحلف العساكر واستناب الأمير بدر الدين يلبك الخازندار بالديار المصرية واستقرت الأمير فارس الدين اقطاعى المستعرب أتابكا على عادته والأمير جمال الدين أقوش التجيبي أستاذ دار والأمير عز الدين أيمن الافرم الصالحى أمير جندارو الأمير لاجين الدرقيل ولبان الرومى وادارية والأمير بهاء الدين يعقوب الشهر زورى أمير اخور على عادته وبهاء الدين على بن حنا وزيرو الأمير ركن الدين التاجى الركنى والأمير سيف الدين بكجرى سجابا ورسم باحضار البحرية الذين تفرقوا في البلاد بطالين وسير الكتب إلى الاقطار بما تجبذله من النعم ودعاهم إلى الطاعة فأذعنوا له وانقادوا إليه وكان الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق لما قتل قطز جمع الناس وحلفهم وتلقب بالملك المجاهد وثار علاء الدين الملقب بالملك السعيد بن صاحب الموصل في حلب وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار فقام عليه جماعة ومقدمهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزى وقبضوا عليه فسير الظاهر إلى لاجين بناية حلب فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الامراء المعزية منهم الأمير سنجر الغتمى والأمير بهادر المعزى والشجاع بكتوت ووصل إلى السلطان الامام أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد في تاسع رجب فتلقاء السلطان في عساكره وبائع في اكرامه وأنزله بالقلعة وحضر شام الامراء والمقدمين والقضاة وأهل العلم والمشايخ بقاعة الأعمدة بين يدي أبي العباس فتأذب السلطان الظاهر ولم يجلس على هرمة ولا فوق كرسى وحضر العربان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشبة بغداد وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر وشهد معهم بالاستمفاضة الأمير جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر وعلم الدين بن رشيق وصدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحرانى وسديد الزمنى نائب الحكم بالقاهرة عند قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وأجبل على نفسه بثبوت نسب أبي العباس أحمد وهو قائم على قدميه ولقب بالامام المستنصر بالله وبإيعه الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وأخذ أموال الله بحقوقها وصرفها في مستحقها فلما تمت البيعة قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الاسلامية وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار وباع الناس المستنصر على طبقاتهم وكتب إلى الاطراف

بأخذ البيعة له واقامة الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة في ديار مصر باسمه وامم الملك الظاهر معا * فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب خطب الخليفة بالناس في جامع القلعة وركب السلطان في يوم الاثنين رابع شعبان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير نظارها القاهرة واقضت عليه الخلع الخليفية وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وقلد بسيف عربي وجلس مجلسا عاما حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والامراء والشهود وصعد القاضي نحر الدين بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحل صاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه فقام السلطان والامراء مشاة بين يديه وكان يوما مشهودا وأخذ السلطان في تجهيز الخليفة ليسيروا الى بغداد فرتب له الطواشي بهاء الدين صندلا الصالحى شرايبا والامير سابق الدين بوزيا الصيرفى آتابكا والامير جعفر أستاذار والامير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار والامير ناصر الدين بن صيرم خازندار والامير سيف الدين بلبان الشمسى وفارس الدين أحمد بن أزدمر الينغورى دوا دارية والقاضى كمال الدين محمد السنجارى وزيرا وشرف الدين أباحامد كاتباً وعين له خزانه وسلاحخاناه ومماليك عدة ثم بنحو الاربعين منهم سلاح دارية وجدارية وزرد كاشمية ورمح دارية وجعل له طشخاناه وفراشخاناه وشراشخاناه واماماً ومؤذناً وسائر أرباب الوظائف واستخدم له خمسمائة فارس وكتب لمن قدم معه من العراق باقطاعات وأذن له فى الركوب والحركة حيث اختار وحضر الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين أولو صاحب الموصل وأخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة وأخوهما المظفر فاكرهمهم السلطان وأقرهم على ما بأيديهم وكتب لهم تقاليد وجهزهم فى خدمة الخليفة وسار الخليفة فى سادس شوال والسلطان فى خدمته الى دمشق فنزل السلطان فى القلعة ونزل الخليفة فى التربة الناصرية بجبل الصالحية وبلغت نفقة السلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار وخرج من دمشق فى ثالث عشر ذى القعدة ومعه الامير بلبان الرشيدى والامير سنقر الرومى وطائفة من العسكر وأوصاهما السلطان أن يكونا فى خدمة الخليفة حتى يصل الى القرى فاذا عبر القرى أقاما بمن معهما من العسكر بالبر الغربى من جهات حلب لا تتطار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث ان احتاج اليهم ساروا اليه فساروا الى الرحبة وتركه أولاد صاحب الموصل وانصرفوا الى بلادهم وسار الى مشهد على فوجد الامام الحاكم بأمر الله قد جمع سبع مائة فارس من التركان وهو على عانة ففارقه التركان وصار الحاكم الى المستنصر طائعه فأكرمه وأثرله معه وسار الى عانة ورحل الى الحديثة وخرج منها الى هيت وكانت له حروب مع التتار فى ثالث محرم سنة ستين وستائة قتل فيها اكثر أصحابه وفتر الحاكم وجماعة من الاجناد وقعد المستنصر فلم يوقف له على خبر فحضر الحاكم الى قلعة الجبل وبايعه السلطان والناس واستمر بديار مصر فى مناظر الكباش وهو جد الخلفاء الموجودين اليوم * وفى سنة ست وستين قزرا الظاهر بديار مصر أربعة قضاة وهم شافعى ومالكي وحنفى وحنبل فاستمر الامر على ذلك الى اليوم وحدث غلاء شديد بمصر وعدمت الغلة فجمع السلطان الفقراء وعدتهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يعمونهم ولابنه السعيد بركة خان خمسمائة فقير وللنائب بلبك الخازندار ثلثمائة فقير وفتر الباقي على سائر الامراء ورسم لكل انسان فى اليوم برطل خبز فلم يربعد ذلك فى البلد أحد من الفقراء يسأل * وفى ثالث شوال سنة اثنين وستين أركب السلطان ابنه السعيد بركة بشعار السلطنة ومشى قدومه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى قلعة الجبل وزينت البلد وفيها رتب السلطان لعب القبق بيميدان العيد خارج باب النصر وختن الملك السعيد ومعه ألف وستائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد الامراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس من الغنم فكان دهما عظيما وأبطل ضمان المزور وجهاته وأمر بحرق النصارى فى سنة ثلاث وستين قشغ فىهم على أن يحملوا خمسين ألف دينار فتركوا * وفى سنة أربع وستين افتتح قلعة صفد وجهاز العساكر الى سيديس ومقدمهم الامير قلاون الانقلى فحصر مدينة اناس وعدة قلاع * وفى سنة خمس وستين أبطل ضمان الحشيش من ديار مصر وفتح ياغا والشقيف وانطاكة * وفى سنة سبع وستين حج ففسار على غزاة الى الكرك ومنها الى المدينة النبوية وغسل الكعبة بماء الورد يديه ورجع الى دمشق فأراق جميع الخجور وقدم الى مصر فى سنة ثمان وستين * وفى

سنة سبعين خرج الى دمشق * وفي سنة احدى وسبعين خرج من دمشق سائقا الى مصر ومعه يسرى واقوش الرومي وجرسك الخازندار وسنقرالائي فوصل الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق فكانت مدة غيبته أحد عشر يوما ولم يعلم بغيته من في دمشق حتى حضر ثم خرج سائقا من دمشق يريد كبس التتار فغاض القرات وقد امه قلاون ويسرى وأوقع بالتتار على حين غفلة وقتل منهم شيئا كثيرا وساق خلفهم يسرى الى سروج وتسلم السلطان البيرة * ووقع بمصر في سنة اثنتين وسبعين وباء هلك به خلق كثير * وفي سنة ثلاث وسبعين غزا السلطان سنيس وافتتح قلاعا عديدة * وفي سنة أربع وسبعين تزوج السعيد بن السلطان بانية الامير قلاون وخرج العسكر الى بلاد النوبة فواقع ملكهم وقتل منهم كثيرا وقتل منهم * وفي سنة خمس وسبعين سار السلطان لحرب التتار فواقعهم على الابليستين وقد انضم اليهم الروم فانهزموا وقتل منهم كثير وتسلم السلطان قيسارية ونزل فيها دار السلطان ثم خرج الى دمشق فوعك بها من اسهال وحجى مات منها يوم الخميس تاسع عشرى فحرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره ثمانون سنة وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران * وكان ملكا جليلا عسوقا عجولا كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا مقداما وترك من الذكور ثلاثة السعيد محمد بركة خان وملك بعده وسلا مش وملك أيضا والمسيود خضر ومن البنات سبع بنات وكان طويل الملبغ الشكل وفتح الله على يديه مما كان مع الفرنج قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقرص والقصر وحصن الكراد والقرين وحصن عكا وصافيا ومرقية وحلبا وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وأخذ من صاحب سيس دريسالك ودر كوس وتليس وكفردين وورعبان ومريزان وكينوك وأدنة والمصيصة وصار اليه من البلاد التي كانت مع المسلمين دمشق وبعليك وبعلون وبصري وصرخد والصلت وحصن وندمر والرحبة وتل ناشر وصهيون وبلاطيس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخواني والرصافة ومصياف والقلعة والسكر والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة وعمر الحرم النبوي وقبة العنزة بيت المقدس وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وعمر قناطر شبراخيت بالبحرية وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحردمياط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلعة الصيبية وقلعة بعليك وقلعة الصلت وقلعة صرخد وقلعة بعلون وقلعة بصرى وقلعة شيزر وقلعة حص وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة وخفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وعمر هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحرا ثموم طناح على يد الامير بلبان الرشيدى وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر وعمر القصر الابلق بدمشق وغير ذلك * ولما مات كتم موته الامير بدر الدين يلبك الخازندار عن العسكر وجعله في تابوت وعلقه بيت من قلعة دمشق واظهر أنه مريض ورتب الاطباء يحضرون على العادة وأخذ العساكر والخزائن ومعه محفة محمولة في الموكب محترمة وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان وسار الى أن وصل الى قلعة الجبل بمصر وأشيع موته رحمه الله تعالى

* (جامع ابن اللبان) *

هذا الجامع ببجسر الشيبية المعروف ببجسر الافرم عمره الامير عز الدين أيك الافرم في سنة ثلاث وتسعين وستمائة * قال ابن المتوج وكان سبب عمارته انه لما كثرت الخلائق في خطة هذا الجامع قصد الافرم أن يجعل خطبة في المسجد المعروف بمسجد الجلالة الذي ببركة الشافق ظاهر سور القسطاط المستحجة وأن يريد فيه ويعمره كما يختار فغنه الفقيه مؤمن الدين الحارث بن مسكين ورده عن غرضه فحسن له صاحب تاج الدين محمد بن صاحب نجر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين علي بن حنا عماره هذا الجامع في هذه البقعة لقرية منه فعمره في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة لكنه هدم بسببه عدة مساجد وعرف هذا الجامع في زمننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعي لا فامته فيه وأدركناه عامرا وقد انقطعت منه في هذه الحن اقامة الجمعة والجماعة لخراب ما حوله وبعد البحر عنه

* (الجامع الطيرسي) *

هذا الجامع عمره الامير علاء الدين طبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل في أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خاتناه في جادى الاولى سنة سبع وسبع مائة وكان من أحسن منزهات مصر وعمرها وقد خرب ما حوله من الحوادث والحن التي بعد سنة ست وثمان مائة بعدما كانت العمارة منه متصلة الى الجامع الجديد بمصر ومنه الى الجامع الخطيرى ببولاق ويركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع الى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدريين في النيل ويجمع هذا الجموع الناس للترفة فتمت به أوقات ومسرات لا يمكن وصفها وقد خرب هذا الجامع وأقفر من المساكن وصار مخوفا بعد ما كان ملهى وملعبا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولطبرس هذا المدرسة الطيرسية بجوار الجامع الازهر من القاهرة

* (الجامع الجديد الناصرى) *

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد عمره القاضي نحر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة احدى عشرة وسبع مائة وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبع مائة وأقيم في خطابه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن بجاعة الشافعى ورتب في امامته الفقيه تاج الدين بن مرهف فأول ما صل فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر وخطب عن قاضي القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين ولهذا الجامع أربعة أبواب وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا منها عشرة من صوان في غاية السهل والطول ووجهه ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسة مائة ذراع بذراع العمل من ذلك طوله من قبله الى بحريه مائة وعشرون ذراعا وعرضه من شريقه الى غربيه مائة ذراع وفيه ستة عشر شباك من حديد وهو شرف من قبله على بستان العالمه وينظر من بحريه ببحر النيل وكان موضع هذا الجامع في القديم عامرا بماء النيل ثم انحصر عنه النيل وصار رملة في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب يترغ الناس فيها دوابهم أيام احتراق النيل فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر طرحت الرمل في هذا الموضع فشرع الناس في العمارة على الساحل وكان موضع هذا الجامع شونة وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر فاطره وما برح هذا الجامع من أحسن منزهات مصر الى أن خرب ما حوله وفيه الى الآن بقية وهو عامر * (محمد بن قلاون) السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين بن الملك المنصور كان يلعب ببحر فوش وأمه أشلون ابنة شكاى وإد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من ديار مصر وولى الملك ثلاث مرات الاولى بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاون في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا فأقام في الملك سنة الاثلاثة أيام وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وأعيد الى المملوك ثانيا بعد قتل الملك المنصور لاجل يوم الاثنين سادس جادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين وخمسة اشهر وستة عشر يوما وعزل نفسه وسار الى الكرك فولى الملك من بعده الامير ركن الدين بيرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر في يوم السبت ثالث عشر شوال سنة ثمان وسبع مائة ثم حضر من الكرك الى الشام وجمع العساكر فحاصر على بيرس معظم جيش مصر وانحل امره فترك الملك في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبع مائة وطلع الملك الناصر الى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز فأقام في الملك من غير منازع له فيه الى أن مات بقلعة الجبل في ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبع مائة وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام وله في ولايته الثالثة مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوما ووجهه اقامته في الملك عن المدد الثلاث ثلاث وأربعين سنة وثمانية اشهر وتسعة أيام ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الامر لابنه أبي بكر المنصور في يوم الخميس المذكور ثم أخذ في جهازه فوضع في محفة بعد العشاء الآخرة بساعة وحمل على بغلين وأُنزل من القلعة الى الاصطبل السلطاني وسار به الامير ركن الدين بيرس الاحمدى أمير جاندار والامير نجم الدين أيوب والى القاهرة والامير قطوبغا الذهبى وعلم دارخوطا جار الدوادار وعبروا به الى القاهرة من باب النصر وقد غلقت الحوائط كلها ومنع الناس من

الوقوف للنظر اليه وقد ام الحفة شمعة واحدة في يد علفاد فلباد خلوا به من باب النصر كان قد امه مسرجة في يد شاب وشمعة واحدة وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليدفن عنده الملك المنصور قلاوون وكان الامير علم الدين سنجر الجاولي ناظر المارستان قد جلس معه القضاة الاربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خاتقاه سر يا قوس والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ ابراهيم الجعبري خطت الحفة وأخرج منها فوضع بجانب الفسقية التي بالقبلة وأمر ابن أبي الظاهر مغسل الاموات بتغسله فقال هذا ملك ولا أنقر بتغسله الا أن يقوم أحد منكم ويجترده على المدكة فاني أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو في عنقه خرزة فقام قطوبغا الذهبي وعلفاد وجرداه مع الغاسل من ثيابه فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ثيابه وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل فزعوا وترك القميص عليه وغسل به ووجد في رجله المروجعة بخشان مفتوحان فغسل من فوق القميص وكفن في نصفية وعملت له أخرى طريحة ومخدة ووضع في تابوت من خشب وصلى عليه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الشافعي بمن حضر وأزل الى قبر أبيه في محلبة من خشب قدر بطت بجبل ونزل معه الى القبر الغاسل والامير سنجر الجاولي ودفع الى الغاسل ثلثمائة درهم فباع ما ناله من الثياب بثلاثة عشر درهما سوى القبع فانه فقد وذكر الغاسل انه كان محسكا بخزقة معقدة بثلاث عقد فسبحان من لا يحول ولا يزول هذا ملك اعظم المعمور من الارض مات غريبا وغسل طريحا ودفن وحيدا ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب * (وفي ليلة السبت) قرأ القراء عند القبر بالقصة القرآن وحضر بعض الامراء وترك من الاولاد اثني عشر ولدا ذكرا وهم أحمد وهو أسنهم وكان بالكرك وأبو بكر وتسلطن من بعده وشقيقه رمضان ويوسف واسماعيل وتسلطن أيضا وشعبان وتسلطن وحسين وكلك وتسلطن وأمير حاج وحسن ويدعى نخاري وتسلطن وصالح وتسلطن ومحمد وترك من البنات ثمانية متزوجات سوى من خلف من الصغار وخلف من الزوجات جاريته طغاي وامة الامير تكتز نائب الشام ومات وليس له نائب بديار مصر ولا وزير ولا حاجب متصرف سوى أن برسباغا الحاجب تحكم في متعلقات أمور الاقطاعات وليس معه عصا الخويصة وبدر الدين بككاش نقيب الجيوش وأقبغا عبد الواحد استادار السلطان ومقدم الممالك ويبرس الاحدي أمير جاندار ونجم الدين أيوب والي القاهرة وجمال الدين جمال الكفاء ناظر الجيوش والموفق ناظر الدولة وصارم الدين أزيك شاة الدواوين وعز الدين عبد العزيز بن جماعة قاضي القضاة بديار مصر ونائب دمشق الامير الطنبغا ونائب الامير طشقر حص أخضر ونائب طرابلس الحاج ارقطاي ونائب صفد الامير اصلم ونائب غزة الاميراق سنقر السلاوي وصاحب حمه الملك الافضل ناصر الدين محمد بن المؤيد اسماعيل والامراء مقدمو الالوف بديار مصر يوم وفاته خمسة وعشرون أميراً وهم بدر الدين جنكلي بن البابا والحاج آل ملك ويبرس الاحدي وعلم الدين سنجر الجاولي ويوسف الدين كوكاي ونجم الدين محمود وزير بقدا هو لاء برانية بكار والباقي عماليكه وخواصه وهم ولده الامير أبو بكر والامير قوصون والامير بشتاك ومظفر دمر وأقبغا عبد الواحد الاستادار وأيدغش أمير اخور وقطوبغا النخري وبلغا الجياوي وملكترا الحجازي والطنبغا المارداني وبها در الناصري وواق سنقر الناصري وقاري الكبير وقاري أمير شكار وطرغاي وأرتغا أمير جاندار وبرسباغا الحاجب وبلدغي ابن الجوزا أمير سلاح ويغرا * وكان السلطان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفي عينيه حول وبرجله اليمنى ريم شوكة تنغص عليه أحيانا وتؤلمه وكان لا يكاد يس بها الارض ولا يمشي الا متكئا على أحد أو متوكئا على شيء ولا يصل الى الارض الا طرف أصابعه وكان شديد البأس جباراً أي يتولى الامور بنفسه ويجود ونخواصه وكان مها باعند أهل مملكته بحيث ان الامراء اذا كانوا عنده بالخدمة لا يجسر أحد أن يكلم آخر كلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم الى بعض خوفاً منه ولا يمكن واحد منهم أن يذهب الى بيت أحد البتة لاني وليمة ولا غيرها فان فعل أحد منهم شيئاً من ذلك قبض عليه وأخرجه من يومه منقياً وكان يسددا عارفاً بأموور عينته وأحوال مملكته وأبطل نيابه السلطنة من ديار مصر من سنة سبع وعشرين وسبع مائة وأبطل الوزارة وصار يتحدث بنفسه في الخليل من الامور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد من صغير وكبير لاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتحتولوا في النعم الجزيلة حتى انخولة والكلا بزية والاسرى من الارمن والفرنج وأعطى البازدارية الاخبار في الحلقة فتم من كان اقطاعه الالف هينار في السنة وزوج عدة منهم بجواريه وأنفى

خلقا كثيرا من الامراء بلغ عددهم نحو المائتي أمير وكان اذا كبر أحد من أمرائه قبض عليه وسلبه نعمته وأقام بدله صغيرا من ممالكه الى أن يكبر فيمسكه ويقيم غيره ليأمن بذلك شرهم وكان كثيرا التخليل حازما حتى انه اذا تخليل من ابنه قتله وفي آخر أيامه شره في جمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاية وغيرهم ورمى البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخدعا كثيرا الحيل لا يقف عند قول ولا يوف بعهده ولا يبر في يمين وكان محبا للعمارة عمر عدة أما كن منها جامع قلعة الجبل وهدمه مرتين وعمر القصر الابلق بالقلعة ومعظم الاماكن التي بالقلعة وعمر المجرى الذي ينقل الماء عليه من بحر النيل الى القلعة على السور وعمر الميدان تحت القلعة ومناظر الميدان على النيل وعمر قناطر السباع على الخليج ومناظر سرىاقوس والخانقاه بسرىاقوس وحفر الخليج الناصري بظاهر القاهرة وعمر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر وجدد جامع القبيلة الذي بالرصد والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة وغير ذلك مما يرد في موضعه من هذا الكتاب وما زال يعمر منذ عاد الى ولاية الملك في المرة الثالثة الى أن مات وبلغ مصروف العمارة في كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم فضة عنها ثمانية وخمسون ديناراً سوى من يسخره من المقصدين وغيرهم في عمل ما يعمره وحفر عدة من الخجانات والترع وأقام الجسور بالبلاد حتى انه كان ينصرف من الاخبار على ذلك ربيع متحصل الاقطاعات وحفر خليج الاسكندرية وبحر المحلة مرتين وبحر الليثي بالجيزة وعمل جسر شيبين وعمل جسر احباس بالشرقية والقليوبية مدة ثلاث سنين متوالية فلم يجمع فأنشأ ببناء بالطوب والجبر وأفق فيه أموالا عظيمة وراك ديار مصر وبلاد الشام وعرض الجيش بعد حضوره في سنة اثنى عشرة وسبعمائة وقطع ثمانمائة من الجند ثم قطع في مرة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا في سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثم قطع خمسة وستين أيضا في رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل وفاته شهرين وفتح من البلاد جزيرة ارواد في سنة اثنتين وسبعمائة وفتح ملطية في سنة خمس عشرة وسبعمائة وفتح أناس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وخرقها ثم عمرها الارمن فأرسل اليها جيشا فأخذها ومعها عدة بلاد من بلاد الارمن في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقام بها نائبا من أمراء حلب وعمر قلعة جعبر بعد أن دثرت وضربت السكة باسمه في شوال سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل موته بولي ذلك الشيخ حسن بن حسين بحضور الامير شهاب الدين أحمد قريب السلطان وقد توجه من مصر بهذا السبب وخطب له أيضا في أرتنا بلاد الروم وضربت السكة باسمه وكذلك بلاد ابن قرمان وجبال الاكراد وكثير من بلاد الشرق وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم يعرف بممالك أبيه وممالك الامراء بأسمائهم ووقائعهم وله معرفة تامة بالخليل وقيمه مع الحشمة والسيادة لم يعرف عنه قط انه شتم أحدا من خلق الله ولا سقه عليه ولا كلمه بكلمة سيئة وكان يدعو الامراء أرباب الاشغال بألقابهم وكانته عليه وسياسة جيدة وحرمة عظيمة الى الغاية ومعرفته بمهادنة الملوك لأمري وراءها يندل في ذلك من الاموال ما لا يوصف كثرة فكان كتابه ينقذ امره في سائر أقطار الارض كلها وهو مع ما ذكرنا مؤيد في كل أموره مظفر في جميع أحواله مسعود في سائر حركاته ما عانده أحد أو أضمر له سوء الا وندم على ذلك اوهلك واشتهر في حياته بديار مصر انه ان وقعت قطرة من دمه على الارض لا يطلع نيل مصر مدة سبع سنين فتعنه الله من الدنيا بالسعادة العظيمة في المدة الطويلة مع كثرة الطمأنينة والامن وسعة الاموال واقتنى كل حسن ومستحسن من الخيل والغلمان والجواري وساعده الوقت في كل ما يجب ويختار الى أن أتاه الموت

* الجامع بالمشهد النفيسي *

قال ابن المتوج هذا الجامع أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون فعمر في شهر ربيع أربعة عشرة وسبعمائة وولي خطبته علاء الدين محمد بن نصر الله بن الجوهري شاهد الخزانة السلطانية وأول خطبته فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السنة المذكورة وحضر أمير المؤمنين المستكن بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه والامير كهرdash متولي شدة العمار السلطانية وعمارة هذا الجامع ورواقاته والقسمية المستحجة وقيل ان جميع المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسي وما يدخل اليه من التذور ومن الفتوح

* (جامع الامير حسين) *

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط العدة أنشأه الأمير حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومي قدم مع أبيه من بلاد الروم الى ديار مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة وتخصص بالامير حسام الدين لاجين المنصوري قبل سلطنته فكانت له منه مكانة مكنية وصار أمير شكار وكان فيه بر وله صدقة وعنده تفقد لاصحابه وأنشأ أيضا القنطرة المعروفة بقنطرة الأمير حسين على خليج القاهرة وفتح الخوخة في سور القاهرة بجوار الوزيرية وجرى عليه من أجل قبحها ما قد ذكر عند ذكرها في الخوخ من هذا الكتاب وتوفي في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ودفن بهذا الجامع

* (جامع الماس) *

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناء الأمير سيف الدين الماس الحاجب وكل في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الماس هذا أحد عمال الملك الناصر محمد بن قلاوون فرماه الى أن صار من اكبر الامراء ولما أخرج الأمير أرغون الى نيابة حلب وبقي منصب النيابة شاغرا عظمى منزلة الماس وصار في منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ويركب الامراء الاكبر والاصغر في خدمته ويجلس في باب القلعة من قلعة الجبل في منزلة النائب والحجاب وقوف بين يديه وما برح على ذلك حتى توجه السلطان الى الجواز في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة فتركه في القلعة هو والامير جمال الدين أقوش نائب الكرك والامير أقبغا عبد الواحد والامير طشقر حص اخضر هؤلاء الاربعة لا غير وبقيت الامراء امامه في الجواز وما في اقطاعاتهم وأمرهم أن لا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الجواز فلما قدم من الجواز تقم عليه وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب منها انه لما أقام في غيبة السلطان بالقلعة كان يرسل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويودده ويدت منه في مدة الغيبة أمورا فاحشة من معاشره الشباب ومن كلام في حق السلطان فوشى به أقبغا وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته فهو شاب من أبناء الحسينية يعرف بعمير وكان ينزل اليه ويجمع الاوراثية ويحضر الشباب ويشرب فترك ذلك عليه ما كان ساكنا ويقال ان السلطان لما مات الأمير بكتمر الساقى وجد في تركه جردان فيه جواب الماس الى بكتمر الساقى اتى حافظ القلعة الى أن يرد على منك ما أعتمده فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشوب للال الدولة وشاهد الخزانة بايقاع الخوطة على موجوده فوجد له ستمائة ألف درهم فضة ومائة ألف درهم فلوسا وأربعة آلاف دينار ذهبا وثلاثين حياصة ذهبا كاملة بكفتياتها وخلعها وجواهرها وتحفا وأقام الماس عند أقبغا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقا بمحبسه في الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ووجل من القلعة الى جامع فدفن به وأخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها وكان رخاما فاخرا الى الغاية وكان اسمرطولا اغنيا لا يفهم شيا بالعربي سادجا يجلس في بيته فوق لباد على ما اعتاده وبهذا الجامع رخم كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم

* (جامع قوصون) *

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الأمير قوصون في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي تعرف بدار أقوش ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين قتال السبع الموصل فآخذها من ولده وهدمها وبنى بناء شادا العمائر واستعمل فيه الاسرى وكان قد حضر من بلاد تورين بناء فبنى مثنتى هذا الجامع على مثال المئذنة التي عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامع مدينة تورين وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة وخطب يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني بحضور السلطان ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة شنية ثم منعه السلطان الملك الناصر أن يستقر في خطبته فولى تخر الدين شكر * (قوصون) الأمير الكبير سيف الدين حضر من بلاد بركة الى مصر حجة خوند ابنة ازيك امرأة الملك الناصر محمد بن قلاوون في ثالث عشر ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ومعه قليل عصى وطبما وثموز ذلك بما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيه فطاف بذلك في أسواق القاهرة وثبت بالقلعة وفي داخل قلعة الجبل فاتفق في بعض الايام انه دخل الى الاصطبل السلطاني ليلعب مامعه فأحبه بعض الاوشاقية وكان صبيبا جديلا طويلا له من العمر ما يقارب

الثماني عشرة سنة فصار يتردد الى الاوشاق الى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه فعرّف بأنه يحضر لبيع مامعه وان بعض الاوشاق تولى به فأمر باحضاره اليه واستاع منه نفسه ليصير من جملة الممالك السلطانية فترّكه من جملة السقاة وشغف به وأحبه حباً كثيراً فأسلمه للأمير بكتكر الساقى وجعله أمير عشرة ثم أعطاه امرّة طليخاناه ثم جعله أمير مائة مقدّم ألف ورفاه حتى بلغه أعلى المراتب فأرسل الى البلاد وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه وأمر الجميع واختص به السلطان بحيث لم يزل أحد عنده ما ناله وزوجه بابتنة وتزوج السلطان أخته فلما احتضر السلطان جعله وصياً على أولاده وعهد لابنه أبى بكر فأقيم في الملك من بعده وأخذ قوصون في أسباب السلطنة وخلع أبابكر المنصور بعد شهرين وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله وأقام بكرك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ولقبه بالملك الاشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر فأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميراً وأكثر من العطاء وبذل الاموال والالعام فصار أمر الدولة كله بيده هذا واحد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة ~~السكر~~ نخافه قوصون وأخذ في التدبير عليه فلم يتم له ما أراد من ذلك وحزله على نفسه ما كان سالكاً فطلب أحد الملك لنفسه وكاتب الامراء والنواب بالمملكة الشامية والمصرية فأذعنوا اليه وكان بمصر من الامراء الامير أيد غمش والامير آل ملك وقارى والمارداني وغيرهم فخبيل قوصون منهم وأخذ في أسباب القبض عليهم فعملوا بذلك وخافوا القوت فركبوا الحربة وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه في ليلة الاربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ونهبت داره وسار دور وحواشيه وأسبابه وحمل الى الاسكندرية صحبة الامير قبلاى فقتل بها وكان كريماً يفرق في كل سنة للاضيحة ألف رأس غنما وثلاثمائة بقرة ويفرق ثلاثين حياصة ذهباً ويفرق كل سنة عدة أملاك فيها ما يبلغ ثلثين ألف درهم وله من الامار بديار مصر سوى هذا الجامع الخائف اباب القرافة والجامع تجاهاها وداره التي بالرملية تحت القلعة تجاه باب السلسلة وحكر قوصون

* (جامع المارداني) *

هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة كان مكانه أولاً مقابر أهل القاهرة ثم عمر ما كن فلما كان في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة أخذت الاما كن من أربابها وتولى شراءها الشوفلم نصف في أثمانها وهدمت وبني مكانها هذا الجامع فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ما حل اليه من الاخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة وأخذ ما كان في جامع راشدة من العمد فعملت فيه وجاء من أحسن الجوامع وأولى خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشرين رمضان سنة أربعين وسبع مائة وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن ابراهيم الجعبرى ولم يتناول معلوما * (الطنبغا المارداني الساقى) أمره الملك الناصر محمد بن قلاون وقدمه وزوجه ابنته فلما مات السلطان وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ذكر أنه وشى بأمره الى الامير قوصون وقال قد عزم على امساك قبيل قوصون وخلع أباب ~~سكر~~ وقلته بقوص هذا مع أن الطنبغا كان قد عظم عند المنصورا كثر ما كان عنده فلما أقيم الاشرف بكك وماج الناس وحضر الامير قطلوبغا من الشام وشغب الامراء على قوصون كان الطنبغا أصل ذلك كله ثم نزل الى الامير أيد غمش أمير اخور وانفق معه على ان يقبض على قوصون وطلع الى قوصون وشاغله وخذه عن الحركة طول الليل والامراء الكبار المشايخ عنده وما زال يساهره حتى نام وصكان من قيام الامراء وركوبهم عليه ما كان الى أن أمسك وأخرج الى الاسكندرية ولما قدم الطنبغا نائب الشام وأقام تقدم المارداني وقبض على سيفه ولم يجسر غيره على ذلك فتقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق التمر تاشى وهو أغاثه فشق ذلك عليه وكم في نفسه الى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمر تاشى وصار الامر له وعمل على المارداني فلم يشعر بنفسه الا وقد أخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد الى نياية جها في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين فصار البهاونى فيها نحو شهرين الى أن مات ايد غمش نائب الشام وقتل طقز دمر من نياية حلب الى نياية دمشق فنقل المارداني من نياية جها الى نياية حلب وسار اليها في أول رجب من السنة المذكورة وجاء الامير بلبغا اليصاوى الى نياية جها فأقام المارداني يسيراً في حلب ومرض ومات مسهلاً صفر سنة أربع وأربعين وسبع مائة وكان شاباً طويلاً رقيقاً حلوا الصورة لطيفاً معشوق الخطرة كريماً صائب الخدس عاقلاً

* (جامع أصلم) *

هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار في سنة ست وأربعين وسبعمائة * (أصلم) أحد عماليك الملك المنصور قلاوون الثاني فلما فرقت المماليك السلطانية في نيابة كتيبة بعد قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون وسلطنة الناصر محمد بن قلاوون كان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين أقوش المنصوري ثم انتقل إلى الأمير سلاسلار فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك بعد سلطنة بيبرس الجاشنكير خرج إليه أصلم بنحج الملك وبشره بهروب بيبرس فأنتم عليه بأمره عشرة ثم تنقل إلى أن صار أميراً بمائة مقدم ألف وخرج في التجريدة إلى اليمن فلما عاد اعتقله السلطان خمس سنين لكلام نقل عنه ثم أخرجه وأعادته إلى منزله ثم جهزه لنيابة صفد ومات الناصر وأصلم بصفد فخرج الأمير قوصون مع الطنبقا نائب الشام إلى حلب لأمسالك طشتمر فسار إلى قاري ثم رجع وانضم إلى الفخري وأقام عنده على خان لاجين وتوجه معه بحجة عساكر الشام إلى مصر فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون بأمره مائة في مصر على عادته وكان أحد المشايخ ويجلس رأس الحلقة ويجيد رمي الشباب مع سلامة صدر وخبر إلى أن مات في يوم السبت عاشربان سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأنشأ بجوار هذا الجامع داراً سنية وحوض ماء للسيل وبهذا الجامع درس وله أوقاف وهو من أحسن الجوامع

* (جامع بشتال) *

هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة القيل عمره الأمير بشتال فكمل في شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني في يوم الجمعة سابع عشره وعمر تجهه خاتمه على الخليج الكبير ونصب بينهما ساباطاً يتوصل به من أحدهما إلى الآخر وكان هذا الخط يسكنه جماعة من الفرنج والاقباط ويرتكبون من القبائح ما يليق بهم فلما عمر هذا الجامع وأعلن فيه بالاذان وأقامة الصلوات اشأزت قلوبهم لذلك وتحولوا من هذا الخط وهو من أجمع الجوامع وأحسنها رخاماً وازدهارها وادركناه إذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة القيل وغرقته في صير لجة ماء لئلا يكون منداً للمحسر ماء النيل عن البلد إلى جهة الغرب بطل ذلك وله من الآثار سوى ذلك قصر بشتال بين القصرين وقد تقدم ذكره

* (جامع اق سنقر) *

هذا الجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية عمره الأمير اق سنقر شاذ العماثر السلطانية واليه تنسب قطرة اق سنقر التي على الخليج الكبير بخط قبو الكرماني قبالة الحبانية وأنشأ أيضاً داراً جليلة وجامعين بخط البركة الناصرية وكان من جملة الاوشاق في أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم عمله أمير اخور ونقله منها فجعله شاذ العماثر السلطانية وأقام فيها مدة فأثرى ثراه كبيراً وعمر ما ذكر وجعل على الجامع عدة أوقاف فعمل وصودروا خرج من مصر إلى حلب ثم نقل منها إلى دمشق فمات بها في سنة أربعين وسبعمائة

* (جامع اق سنقر) *

هذا الجامع قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانية كان موضعه في القديم مقابر أهل القاهرة وأنشأه الأمير اق سنقر الناصري وبناه بالخر وجعل مقوفه عقوداً من حجارة ورخه واهتم في بنائه اهتماماً زائداً حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ويشيل التراب مع القلعة بيده ويتأخر عن غدائه اشتغالا بذلك وأنشأ بجانبه مكتبة لاقراء ايتام المسلمين القرآن وحاطوا نالسي الناس الماء العذب ووجد عند حجر أساس هذا الجامع كنز من الاموات وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل في السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة عنها نحو سبعة آلاف دينار وقرضه درساقه عدة من الفقهاء وولى الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان الشافعي خطبته وأقام له سائر ما يحتاج اليه من أرباب الوظائف وبني بجواره مكاناً للدفن فيه ونقل إليه ابنه فدفنه هناك وهذا الجامع من أجل جوامع مصر لانه لما حدثت الفتن ببلاد الشام وخرجت التواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برقوق امتنع حضور مغل وقب هذا الجامع لكونه في بلاد حلب فاعتل الجامع من أرباب وظائفه الا اذان والصلاة واقامة الخطبة في الجمع والاعياد ولما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة أنشأ

في وسطه الامير طوغان الدوادار بركة ماء وسقفاها ونصب عليها عمدا من رخام لجل السقف أخذهما من جامع
الخنديق فهدم الجامع بالخنديق من أجل ذلك وصار الماء ينقل الى هذه البركة من ساقية الجامع التي كانت للميضأة
فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهري على طوغان في يوم الخميس تاسع عشر جادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة
وأخرجه الى الاسكندرية واعتقله بها أخذ شخص الثور الذي كان يدير الساقية فان طوغان كان أخذه منه
بغير ثمن كما هي عادة أمراءنا فبطل الماء من البركة * (اق سنقر) السلارى الامير شمس الدين أحد ممالك
السلطان الملك المنصور قلاوون ولما فرقت الممالك في نيابة كسبغا على الامراء صار الاميراق سنقر الى الامير سلار
فقبل له السلارى لذلك ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك اختص به وزفاه في الخدم حتى صار
أحد الامراء المقدمين وزوجه بانيته وأخرجه لنيابة صفد فباشرها بعنفه الى الغاية ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة
غزة فلما مات الناصر وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور ابوبكر وخلع بالاشرف بكك وجاء الفخرى لحصار الكرك
قام اق سنقر بنصرة أحد ابن السلطان في الباطن وتوجه الفخرى الى دمشق والتوجه الطنبغا الى حلب ليطرد
طشقر نائب حلب فاجتمع به وقوى عزمه وقال له توجه أنت الى دمشق وملكها وأنا أحفظ لك غزة وقام في هذه
الواقعة قيسا عظيما وأمسك الدروب فلم يحضر أحد من الشام أو مصر من البريد وغيره الا وقبض عليه وحمل
الى الكرك وحذف الناس للناصر أحمد وقام بأمره ظاهرا وباطنا ثم جاء الى الفخرى وهو على خان لاجين
وقوى عزمه وعضده وما زال عنده بدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا وهرب الطنبغا فاتبعه اق سنقر
الى غزة وأقام بها ووصلت العساكر الشامية الى مصر فلما أمسك الناصر أحمد طشقر النائب وتوجه به الى
الكرك أعطى نيابة ديار مصر لاق سنقر فباشر نيابة وأجد في الكرك الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد
فأقره على النيابة وسار فيها سيرة مشكورة فكان لا يمنع أحد شيئا طلبه كائنا من كان ولا يرده سائلا ولو كان
ذلك غير ممنوع فارتقى الناس في أيامه واتسعت أحوالهم وتقدم من كان متأخرا حتى كان الناس يطلبون
مالا حاجة لهم به ثم ان الصالح أمسكه هو وبغرا أمير جندار وأولاه الحاجب وقرأوا الحاجب من أجل أنهم
نسبوا الى المالاة والمداجاة مع الناصر أحمد وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبع مائة
وكان ذلك آخر العهد به واستقر بعده في النيابة الحاج آل ملك ثم أفرج عن يغرا وأولاه جاق في شهر رمضان
سنة خمس وأربعين وسبع مائة

* (جامع آل ملك) *

هذا الجامع في الحسينية خارج باب النصر أنشأه الامير سيف الدين الحاج آل ملك وكل واقعت فيه
الخطبة يوم الجمعة تاسع جادى الاولى سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته
عامرة بالمساكن وقد خربت * (آل ملك) الامير سيف الدين اصله مما أخذ في أيام الملك الظاهر من كسب
البلستين لما دخل الى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وثمانمائة وصار الى الامير سيف الدين قلاوون وهو أمير
قبل سلطنته فأعطاه لابنه الامير على وما زال يترقى في الخدم الى أن صار من كبار الامراء المشايخ رؤوس
المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر الى
الكرك فأعجب الناصر عقله وتأنيه وسير من الكرك يقول للمظفر لا يعود يجيء الى رسولنا غير هذا فلما قدم
الناصر الى مصر عظمه ولم يزل كبيرا موقرا مبيلا فلما ولي الناصر أحمد السلطنة أخرجه الى نيابة حماة فأقام
بها الى أن تولى الصالح اسماعيل فأقدمه الى مصر وأقام بها على حاله الى أن أمسك الاميراق سنقر السلارى
نائب السلطنة بديار مصر فولاه النيابة مكانه فشد في الخمر الى الغاية وخذل شاربها وهدم خزنة البنود وأراق
خورها وبنى بها مسجدا وحكها للناس فسكنت الى اليوم كاتفتهم ذكره وأمسك الزمام زمانا وكان
يجلس للحكم في الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لا يمل ذلك ولا يسأم وتروح أرباب الوظائف
ولا يبق عنده الا النقباء البطالة وكان له في قلوب الناس مهابة وحرمة الى أن تولى الكامل شعبان فأخرجه أول
سلطنته الى دمشق نائبا بها عوضا عن الامير طقز دمر فلما كان في أول الطريق حضر اليه من أخذه وتوجه
به الى صفد نائبا بها فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبع مائة ثم سأل الحضور الى مصر فسمه له
بذلك فلما توجه ووصل الى غزة أمسكها نائبا بها ووجهه الى الاسكندرية في سنة سبع وأربعين ففتح بها وكان

خبرافيه دين وعبادة يميل الى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته وخرج له أحد بن إيلك الديماطي مشيخة
وحدث بها قرئت عليه مرات وهو جالس في شبالة النياية بقلعة الجبل وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند
المشهد الحسيني من القاهرة ومدرسة بالقرب منها وكان بركة من أحسن ما يكون وخيله مشهورة موصوفة
وكان يقول كل أمير لا يقوم رحمه ويسكب الذهب الى أن يساوى السنان ما هو أمير رجة الله عليه

* (جامع الفخر) *

في ثلاثة مواضع في بولاق خارج القاهرة وفي الروضة تجاه مدينة مصر وفي جزيرة الفيل على النيل ما بين بولاق
ومنية السرج * أما جامع الفخر بناحية بولاق فانه موجود تقام فيه الجمعة الى اليوم وكان أولاً عند ابتداء
بنايه يعرف موضعه بخط خص الكالة وهو مكان كان يؤخذ فيه مكس الغلال المتساعة وقد ذكر ذلك
عند ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب * وجامع الروضة باق تقام فيه الجمعة * وأما الجامع بجزيرة الفيل
فانه كان باقياً الى نحو سنة تسعين وسبع مائة وصلت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضعه باق بجوار دار تشرف
على النيل تعرف بدار الأمير شهاب الدين أحد بن عمر بن قطينة قرياً من الدار الحجازية (والفخر) هذا هو محمد بن
فضل الله القاضي فخر الدين ناظر الجيش المعروف بالفخر كان في نصرانيته متألها ثم اكرم على الاسلام
فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أياماً ثم أسلم وحسن اسلامه وأبعد النصارى ولم يقرب أحد منهم ورجع غير مرة
وتصدق في آخر عمره مدة في كل شهر ثلاثة آلاف درهم نقرة وبني عدة مساجد بديار مصر وأنشاء عدة أحواض
ماء للسيل في الطرقات وبني مارستاناً بمدينة الرملة ومارستاناً بمدينة بليس وفعل أنواعاً من الخير وكان حتى
المذهب وزار القدس عدة مرار وأحرم مرة من القدس بالحج وسار الى مكة محرماً وكان إذا خدمها أحدمرة
واحدة صار صاحبه طول عمره وكان كثير الاحسان لا يزال في قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة
لا يصحابه وانتفع به خلق كثير لوجهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لاحد من امراء الدولة عند
الملك الناصر محمد بن قلاوون ماله من الاقدام ولقد قال السلطان مرة لجندي طلب منه اقطاعاً لا تطول والله
لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين حيزاً يغل أكثر من ثلاثة آلاف درهم وقال له السلطان في يوم
من الايام وهو بدار العدل ناظر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ما قلت لك انها عوز نخس يريد بذلك
بنت كوكاي امرأة السلطان عند ما دعت انها حبلى وله من الاخبار كثير وكان أولاً كاتب الممالك السلطانية
ثم صار من كتابة الممالك الى وظيفة ناظر الجيش وقال من الوجهة ما لم يثله غيره في زمانه وكان الأمير أرغون نائب
السلطنة بديار مصر يكرهه وإذا جلس للحكم يعرض عنه ويدركفه الى وجه الفخر فعمل عليه الفخر
حتى سار للحج فقال للسلطان يا خوند ما يقتل الملوكة الا النواب بيدرا قتل اخاك الملك الاشرف ولا حين قتل
بسبب نائبه منك وكرم وخيل للسلطان الى أن أمر بمسير الأمير أرغون من طريق الحجاز الى نيابة حلب
وحسن للسلطان أن لا يستوزر أحد بعد الأمير الجمالي فلم يول أحد بعده الوزارة وصارت المملكة كلها
من احوال الجيوش وامور الاموال وغيرها متعلقة بالفخر الى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على
اربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة ناظر الشيخ قطب الدين موسى بن شيخ السلامة ثم رضى عن الفخر
وأمر باعادة ما أخذ منه من المال اليه وهو اربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال أنا خرجت عنها للسلطان
فلم ين بها جامعاً وبني بها الجامع الناصري المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء
وزار مرة القدس وعبر كنيسة قامة فسمع وهو يقول عند ما رأى الضوء بها رشا لا ترغ قلوبنا بعد اذهديتنا
وباشم آخر عمره بغير معلوم وكان لا يأخذ من ديوان السلطان معلوماً سوى كاجه ويقول اتبرك بها ولما مات في
رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة وترك موجوداً عظيماً الى
الغاية قال السلطان لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعي أن عمل ما يريد وأوصى للسلطان بمبلغ اربعمائة ألف
درهم نقرة فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم نقرة ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك
الناصر وأخذ أموال الناس الى الفخر تنسب قنطرة الفخر التي على فم الخليج الناصري المجاور لميدان السلطان
بموردة الجبس وقنطرة الفخر التي على الخليج المجاور للبحر الناصري وأدرجت ولده فقيراً يتكفف الناس
بعد مال لا يحد كرامة

* (جامع نائب الكرك) *

هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلي الخليج كان عامراً وعمر ما حوله عمارة كبيرة ثم خرب بخراب ما حوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمانمائة عمره الأمير جمال الدين قوش المعروف بنائب الكرك وقد تقدم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب

* (جامع الخطيرى بولاق) *

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة كان موضعه قديماً مغموراً بماء النيل إلى نحو سنة سبع مائة فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صار ما قدام المقس وما لا يعلوها ماء النيل الأيام الزيادة ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة فزوع موضع هذا الجامع بعد سنة سبع مائة وصار منتهزاً يجمع عنده الناس ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعربجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز القزاش داراً تشرف على النيل وتردد إليها فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الأزرق ناظر الجهات وسكنها فعرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجري فيها من أنواع المحرمات فاتفق أن النسوان ناظر الخاص قبض على ابن الأزرق وصادره فباع هذه الدار في جملة ما باعه من موجوده فاشترها منه الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى وهدمها وبني مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه فجاء من أجل جوامع مصر وأحسنها وعمل له منبراً من رخام في غاية الحسن وركب فيه عدة شبائك من حديد تشرف على النيل الأعظم وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ووقف عليه عدة أوقاف منها داره العظيمة التي هي في الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس وكان جملة ما أنفق في هذا الجامع أربع مائة ألف درهم نفقة وكلت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة واقعت به الجمعة في يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة فلما خلاص ابن الأزرق من المصادرة حضر إلى الأمير الخطيرى وأدعى أنه باع داره وهو مكره فدفع إليه ثمنها مرة ثانية ثم إن البحر قوى على هذا الجامع وهدمه فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ورعى قدام زريته ألف مكر بملوءة بالحجارة ثم انهدم بعد موته وأعيدت زريته * (أيدمر الخطيرى) الأمير عز الدين مملوك شرف الدين أيدمر الخطيرى الأمير مسعود بن خطير انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فرفاه حتى صار أحد أمراء الألو ف بعد ما حبسه بعد مجيئه من الكرك إلى مصر مدة ثم أطلقه وعظم مقداره إلى أن بقي يجلس رأس المسيرة ومعه امرأة مائة وعشرين فارساً وكان لا يمكنه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فنزل إليها بكرة ويطلع إلى القلعة بعد العصر كذا أبدأ فكانوا يرون ذلك تعظيماً له وكان منثوراً شبيهة كريمة يجب التزوج الكثير والفخر بحيث أنه لما تزوج السلطان ابنته بالأمير قوصون ضرب دينارين وزنهما أربع مائة مثقال ذهباً وعشرة آلاف درهم فضة برسم نقوط أمر أنه في العرس إذا طلعت ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرة هذا السكر الذي يعمل في الطعام ما يضر أن يعمل غير مكرز فقال لا يعمل إلا مكرزاً فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرز وكان لا يلبس قباء مطرزاً ولا مصقولاً ولا يدع أحداً عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وأنشأ بجانب هذا الجامع ربعاً كبيراً تنافس الناس في سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ودفن بقرية خارج باب النصر ولم يزل هذا الجامع مجمعا بقصده سائر الناس للتزعم فيه على النيل ويرغب كل أحد في السكنى بجواره وبلغت الأماكن التي يجواره من الأسواق والدور الغاية في العمارة حتى صار ذلك الخطأ عمراً خطاط مصر وأحسنها فلما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عما تجاه جامع الخطيرى وصار رمل لا يعلوها الماء إلا في أيام الزيادة وتكاثر الرمل تحت شبائك الجامع وقربت من الأرض بعدما كان الماء تحته لا يسكنه أيدمر كقراره وهو الآن عامر الآن الاجتماعات التي كانت فيه قبل انحسار النيل عما قبله قلت واتضع حال ما يجاوره من السوق والدور والله عاقبة الأمور

* (جامع قيدان) *

هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقى بظاهر باب الفتوح مما يلي قناطر الأوز تجاه أرض البعل كان مسجداً قديماً البناء فهدمه الطوائف بهاء الدين قراقوش الأسدي في محرم سنة سبع وتسعين وخمس مائة وحدد حوض السيل الذي فيه ثم إن الأمير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبراً لإقامة الخطبة يوم الجمعة وكان

عامر ابعماره ما حوله فلما حدث الغلاء في سنة ست وسبعين وسبع مائة أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين خرب كثير من تلك النواحي وبيعت اقتاضها وكانت الفرقة ايضا فصار ما بين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر وبين قناطر الازوا المقابلة لارض البعل سببا لا عامر له ولا ساكن فيه وخرب ايضا ما وراء ذلك من شرقيه الى جامع نائب الكرك وتعتل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدرانيله الى العدم ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانية في حدود الثلاثين وثمانمائة ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الانصاري العقاد الشهير بالازراوى ومات في ثمانى عشر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة

(جامع الست حدق)

هذا الجامع بخط المريس في جانب الخليج الكبير يحايل الغرب بالقرب من قنطرة السدة التي خارج مدينة مصر أنشأه الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاون واقبت فيه الخطبة يوم الجمعة لثلاثين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبع مائة والى حدق هذه نسب حكر الست حدق الذي ذكر عند ذكر الاحكام من هذا الكتاب

(جامع ابن غازى)

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق انشاء نجم الدين بن غازى دلال المماليك واقبت فيه الخطبة في يوم الجمعة ثمانى عشر جمادى الاولى سنة احدى واربعين وسبع مائة والى اليوم تقام فيه الجمعة وبقيت الايام لا يزال مغلق الابواب لقله السكان حوله

(جامع التركمانى)

هذا الجامع في المقس وهو من الجوامع الملية البناء انشاء الامير بدر الدين محمد التركمانى وكان ما حوله عامرا عمارة زائدة ثم تلاشى من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين وما برح حاله يحتل الى أن كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة تغرب معظم ما هنالك وفيه الى اليوم بقايا عامرة لا سيما بجوار هذا الجامع *(التركمانى)* محمد ويشت بالامير بدر الدين محمد بن الامير نقر الدين عيسى التركمانى كان أولا شاذا ثم ترقى في الخدم حتى ولى الجيزة وتقدم فى الدولة الناصرية فوله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شاذ الدواوين والدولة حينئذ ليس فيها وزير فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام وكان يلى نظر الدولة تلك الايام كريم الدين الصغير فقص به وما زال يدبر عليه حتى اخرجه السلطان من ديار مصر وعمله شاذ الدواوين بطرالمس فأقام هناك مدة سنتين ثم عاد الى القاهرة بشفاعه الامير تنكز نائب الشام وولى كشف الوجه البحرى مدة ثم أعطى امره طبخاياه وأعطى أخوه على امره عشرة وولده ابراهيم أيضا امره عشرة وكان بها باصاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة ومات عن سعاده طائله بالمقس في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة وهو امير

(جامع شيخو)

هذا الجامع بسوية منم فيما بين الصليبية والرميلة تحت قلعة الجبل انشاء الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الامراء في سنة ست وخمسين وسبع مائة ووفق بالناس في العمل فيه وأعطاهم اجورهم وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا وأقام الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود الرومى الخنقى شيخهم ثم لما عمر الخياطه تجاه الجامع نقل حضور الاكل والصوفية اليها وزاد عدتهم وهذا الجامع من اجل جوامع ديار مصر *(شيخو)* الامير الكبير سيف الدين احمد ممالك الناصر محمد بن قلاون خطى عند الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون وزادت وجاhte حتى شفع فى الامراء وأخرجهم من مجن الاسكندرية ثم انه استقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة وفى آخر الامر كانت القصص تقرأ عليه بمحضرة السلطان فى أيام الخدمة وصار زمام الدولة بيده فسلها أحسن سياسة بسكون وعدم شر وكان يمنع كل حرب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامسالك الامير بيلغاروس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالبحار وكان شيخو قد خرج متصيدا الى ناحية طنان بالغربية فلما كان يوم السبت رابع عشر شوال

سنة احدى وخسين وسبع مائة امسك السلطان الامير نجك الوزير وحلف الامراء لنفسه وكتب تقليد شيخو
بنية طرابلس وجهزه اليه مع الامير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار اليه وسفره من برفا وصل الى دمشق
ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة فظهر مرسوم السلطان بأقامة شيخو في دمشق على اقطاع الامير يلبك السالمى
وتجهيز يلبك الى القاهرة فخرج يلبك من دمشق وأقام شيخو على اقطاعه بها فواصل يلبك الى القاهرة الا وقد
وصل الى دمشق مرسوم بامسك شيخو وتجهيزه الى السلطان وتقييد عماليكه واعتمقالهم بقلعة دمشق فأمسك
وجهاز مقيداً فلما وصل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية فلم يزل معتقلاً بها الى أن خلع السلطان الملك
الناصر حسن وتولى اخوه الملك الصالح صالح فأفرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الامراء فوصلوا الى
القاهرة في رابع شهر رجب سنة اثنين وخسين وسبع مائة وانزل في الاشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته
وخرج مع الملك الصالح الى الشام في واقعة يلغاروس وتوجه الى حلب هو والامير طراز وارغون الكاملى خلف
يلغاروس وعاد مع السلطان الى القاهرة وصمم حتى امسك يلغاروس ومن معه من الامراء بعد ما وصلوا
الى بلاد الروم وحزرت رؤسهم وأمسك أيضاً ابن دلغاروا وحضر الى القاهرة ووسط وعلق على باب زويلة ثم خرج
بنفسه في طلب الاحدب الذى خرج بالصعيد وتجاوز في سفره قوص وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتى
سكنت الفتن بأرض مصر وذلك في آخر سنة اربع وخسين وأول سنة خمس وخسين ثم خلع الملك الصالح وأقام
بدله الملك الناصر حسنا في ثانی شوال واخرج الامير طراز من مصر الى حلب نائباً بها ومعه اخوته وصارت الامور
كلها راجعة اليه وزادت عظمتهم وكثرت أمواله واملاكه ومستأجراته حتى كاد يكسر أمواج البحر بممالك
وقيل له قارون عصره وعزيزه صره وانشأ خلقاً كثيراً فمضى بذلك حربه وجعل في كل مملكة من جهته عدة
امراء وصارت نوابه بالشام وفي كل مدينة امراء كبار وخدموه حتى قيل كان يدخل كل يوم ديوانه من اقطاعه
واملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتى ألف درهم نقرة وأكثر وهذا شئ لم يسمع بمثله في الدولة
التركية وذلك سوى الانعامات السلطانية والتقديم التي ترد اليه من الشام ومصر وما كان يأخذ من البراطيل
على ولاية الاعمال وجامعه هذا وخطاهه التي بخط الصليبية لم يعمر مثلها قبلها ولا عمل في الدولة التركية
مثل أوقافهم ما وحسن ترتيب المعاليم بهما ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان
وخسين وسبع مائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الامير منجك الوزير يقال له باي فجاء
وهو جالس بدار العدل وضربه بالسيف في وجهه وفي يده فارتجت القلعة كلها وكثر هرج الناس حتى
مات من الناس جماعة من الزحمة وركب من الامراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج
القاهرة ثم امسك باي فجاء وقتر فلم يعترف بشئ على أحد وقال أنا قدمت اليه قصة لينقلني من الجامة
الى الاقطاع فاقضى شغلي فأخذت في نفسي من ذلك فسجن مدة ثم سمر وطيف به الشوارع وبقي شيخو عليلاً من
تلك الجراحة لم يركب الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخسين وسبع مائة ودفن
بالخانقاه الشيعونية وقبره بها يقرأ عذده القرآن دائماً

(جامع الجاكي)

هذا الجامع كان بدرب الجاكي عند سويقة الرش من الحكر في بر الخليج الغربى اصله مسجد من مساجد
الحكر ثم زاد فيه الامير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهندار وجعله جامعاً وأقام فيه منبراً في سنة ثلاث عشرة
وسبع مائة فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحنة من سنة ست وثمان مائة فخرّب الحكر
وبيعت أبقاض معظم الدور التي هناك وتعطل هذا الجامع من ذكرائه وأقامة الصلاة لخرب ما حوله فحكم
بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع فاشترى شخص من الوعاظ يعرف بالشيخ أحمد الواعظ الزاهد صاحب
جامع الزاهد بخط المقس وهدمه وأخذ أنقاضه فعملها في جامع الذى بالمقس في أول سنة سبع عشرة
وثمان مائة

(جامع التوبة)

هذا الجامع بجوار باب البرقية في خط بين السورين كان موضعه مساكناً أهل الفساد وأصحاب الرأى
فلما انشا الامير الوزير علاء الدين مغلطاي الجالى خانقاه المعروفة بالجمالية فريسا من خزانة البنود بالقاهرة

كره مجاورة هذه الاماكن لداره وحاتقاهه فأخذها وهدمها وبني هذا الجامع في مكانها واسمها جامع التوبة فعرف بذلك الى اليوم وهو الآن تقام فيه الجمعة غير أنه لا يزال طول الايام مغلق الابواب لخلقه من ساكن وقد خرب كثير مما يجاوره وهناك بقايا من اماكن

*** (جامع صاروجا) ***

هذا الجامع مطل على الخليج الناصري بالقرب من بركة الحجاب التي تعرف ببركة الرطلي كان خطة تعرف بجامع العرب فأنشأها هذا الجامع ناصر الدين مجدأخوال امير صاروجا قبيب الجيش بعد سنة ثلاثين وسبع مائة وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة وأدركت منها بقية جيدة الى أن دثرت فصارت كيانا وتقام الجمعة الى اليوم في هذا الجامع أيام النيل

*** (جامع الطباخ) ***

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشفاف كان موضعه وموضع بركة الشفاف من جهة الزهري أنشأه الامير جمال الدين أقوش وجدده الحاج علي الطباخ في المطبخ السلطاني أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ولم يكن له وقف فقام بمصالحه من ماله مدة ثم انه صودر في سنة ست واربعين وسبع مائة فتعطل مدة نزول الشدة بالطباخ ولم تقم فيه تلك المدة الصلاة * (علي بن الطباخ) نشأ بمصر وخدم الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو بمدينة الكرك فلما قدم الى مصر جعله خوان سلاوسله المطبخ السلطاني فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لاحد من نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائفة وذلك أن الافراح وما كان يصنع من المهمات والاعراس ونحوها مما كان يعمل في الدور السلطانية وعند الامراء والمساليك والخواشي مع كثرة ذلك في طول تلك الاعوام كانت كلها انما يتولى أمرها هو بمفرده فمما اتفق له في عمل مهم ابن بكتير الساقى على ابنة الامير تسكن نائب الشام أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذي عمل فيه المهم المذكور وقال له يا حاج علي اعمل لي الساعة لوان من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوج فولى وجهه بحس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال كيف ما اعبس وقد حرمتي الساعة عشرين ألف درهم نقرة فقال كيف حرمتك قال قد تجمع عندي رؤس غنم وبقروا كارع وكروش وأعضاء وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقته من المهم وأريد أقعد وأبيعه وقد قلت لي اطبخ ويني افرغ من الطبخ تلف الجميع فقبسم السلطان وقال له راج اطبخ وضمان الذي ذكرت علي وأمر باحضاروا الى القاهرة ومصر فلما حضرا أكرمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة وتفرقة ما ناب الطباخ من المهم عليهم واستخرج منه فلحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة وهذا مهم واحد من ألوف مع الذي كان له من المعاليم والجرايات ومنافع المطبخ ويقال انه كان يحصل له من المطبخ السلطاني في كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أجدد بلغ ثلثمائة درهم نقرة فلما تحدثت الدولة خرج عليه تخارج وأغرى به السلطان فلم يسمع فيه كلاما وما زال على حاله الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر والملك الاشرف بك والملك الناصر أجد والملك الصالح اسماعيل والملك الكامل شعبان فصادره في سنة ست واربعين وسبع مائة وأخذ منه مالا كثيرا وعما وجد له ثمن وعشرون دارا مشرفة على النيل وغيره فقترقت خواشي الملك الكامل املاكه فأخذت ام السلطان ملكه الذي كان على البصر وكانت دارا عظيمة جدا وأخذت انقاض داره التي بالمجودية من القاهرة واقيم عوضه بالطبخ السلطاني وضرب ابنه أجد

*** (جامع الاسيوطي) ***

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيل عما يلي ناحية بولاق كان موضعه في القديم عامر ايام النيل فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هذا الجامع القاضي تميم الدين محمد بن ابراهيم بن عمر السيوطي ناظر المال ومات في سنة تسع وأربعين وسبع مائة ثم جدد عمارة بعد ما تم ثم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزي الحموي كاتب السرا وأجرى فيه الماء وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة سادس عشرى

جاءى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجاء فى احسن هندام وأبدع زى وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ
الجمعة فى اول جادى الاخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

*** (جامع الملك الناصر حسن) ***

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة القيل وكان موضعه بيت
الامير يلغا الجياوى الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور وابتدأ السلطان عمارته فى سنة سبع وخسين وسبع مائة
وأوسع دوره وعمله فى أكبر قالب وأحسن هندام وأختم شكل فلا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد
المسلمين يحكى هذا الجامع اقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وارصد لمصر وفها فى كل يوم
عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مئقال ذهباً * ولقد اخبرنى الطوائى مقبل الشامى انه سمع السلطان حسنا
يقول انصرف على القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم قررة وهذا القالب مमारى على
الكيمان بعد فراغ العقد المذكور قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه تركت
بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه وفى هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذراع ايوانه الكبير خمسة
وستون ذراعاً فى مثلها ويقال انه أكبر من ايوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة اذرع ومنها القبة
العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب والين مثلها ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ومنها البوابة
العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبنى اربع منابر
يوذن عليها فتمت ثلاث منابر الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وستين وسبع مائة
فسقط المنارة التى على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بحج كتب السبيل
الذى هناك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة اطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر
هناك منارتان هما فاقمتان الى اليوم ولماسقطت المنارة المذكورة اجمعت عاتمة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر
بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكى فى سقوطها

أبشر فعدك يا سلطان مصر أرى * بشير بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفي قد تبين لي
من تحتها قرئ القرآن فاستغيت * فالوجد فى الحال أذاها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت * بنفسها لجوى فى القلب مشتعل
فالمجد لله حظ العين زال بما * قد كان قدره الرحمن فى الازل
لا يعترى البوم بعد اليوم مدرسة * شيدت بانياتها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلات * علما فليس بمصر غير مشتعل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه
من بعده الطرايى بشير الجدار وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا فلم يترك منها الا شئ
يسيرا وأقطع اكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضدا
لقلعة الجبل فلما تكون قسنة بين أهل الدولة الاو بسعد عدة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ورصير الرى منه على
القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التى كان يضعدها منها الى المنارتين والبيوت التى
كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمى منه على القلعة وهدمت البسطة
العظيمة والدرج التى كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لا يمكن الصعود الى الجامع
وسد من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبايك أحمد مدارس هذا الجامع
ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضا عن الباب المسدود وقصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب
السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبني الاذان على درج هذا الباب وكان ابتداء هدم ما ذكر فى يوم
الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ فى عمارة الجامع بجوار

باب زويله اشترى هذا الباب الخامس والنور الخامس الذي كان معلقا هناك بخمسائة دينار وتوفي في يوم الخميس
سابع عشر شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب فلما كان
في يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان في المئذنتين كما كان واعيد
بناء الدريج والبسطة وركب باب بدل الباب الذي أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك * (الملك الناصر أبو
المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون) * جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة في يوم الثلاثاء رابع عشر
شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجي وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل
وعليه شعار السلطنة وفي ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطاني ومدير الدولة يومئذ الامير
يلغاروس والامير ألبجيسغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأجدشاذ النمر ابجنا ناه وأرغون الاسماعيلي
نقل على يلغاروس واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج ارقطاي وقرر ارقطاي في نيابة
السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفي واستقر في الوزارة والاستادارية وقرر الامير
أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثرت انكشاف الاراضى من ماء النيل
بالبر الشرقى فبما يلي بولاى الى مصر فاهتم الامراء بسد البحر مما يلي الجزيرة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا
كثيرا وأنفق على ذلك فلم يقد قرض على منجك في ربيع الاول وحدث الوباء العظيم في هذه السنة وأخرج
اجدشاذ النمر ابجنا ناه لنيابة صفد وألبجيسغا لنيابة طراباس فاستمر ألبجيسغا الى شهر ربيع الاول سنة خمسين
فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مر سوم فأمنه عليه وأمسك وقتل بدمشق * وفي سنة احدى
وخسين سار من دمشق عسكري عتده أربعة آلاف فارس ومن حلب ألفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عتدة
كثيرة من التركان فحصر وهامة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبدت بامرهم وقبض على
منجك وبلغ فاروس وقبض على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة
الكرن فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز واخوته
وبلغوا التميمى وبلغوا ووقفة تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لا يس الى القلعة في عتدة وافرة وقبض على
السلطان وحبسه بالدور فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة اشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح فأقام
السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقي الى يوم الاثنين
ثاني شوال سنة خمس وخسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمرى في السلطنة وقبض على الصالح
وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة اشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة
حلب * وفي ربيع الاول سنة سبع وخسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول اثناء الى آخر
الليل اصفر منها الجو ثم احترق اسودت قلف منها شيء كثير * وفي شعبان سنة تسع وخسين ضرب الامير شيخو
بعض المماليك بسيف فلم يزل يلبى حتى مات * وفي سنة تسع وخسين كان ضرب الفلوس الجدد
فعمل كل فلس زنة منقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن بالاسكندرية وقرر مكانه في نيابة حلب
الامير منجك اليوسفي وأمسك الامير صرغتمش في شهر رمضان منها وكانت حرب بين عماليكه وعماليك السلطان
اتصرف فيها المماليك السلطانية وقبض على عتدة أمراء قائم السلطان على ملوك بلبغا العمرى الخاصكى بتقدمة
ألف عوضا عن تنكير بغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته * وفي سنة ستين فر منجك من حلب فلم يوقف له
على خبر فآثر على نيابة حلب الامير يدمر الخوارزمي وسار لغزو سديس فأخذ أدنه بأمان وأخذ طرسوس
والمصيصة وعتدة بلاد وأقام بها ثوبا عاد فلما كانت سنة اثنين وستين عدى السلطان الى بر الجزيرة وأقام
بناحية كوم برامدة طويلا لولاء كان بالقاهرة فتذكر الحال بينه وبين الامير بلبغا الى ليلة الاربعاء تاسع جمادى
الاولى فركب السلطان في جماعة ليكبس على الامير بلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكن بمكان
وهو لا يس في جماعته فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به بلبغا فأنكسر عن معه وفر يريد قلعة الجبل فقبضه بلبغا
وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه ايدمر الدوادار ليشوجه الى بلاد الشام
ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الارزكشى أمير حاجب فبعث في الحال الى الامير بلبغا ليعلمه بمجيء
السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير ايدمر ومن حدثتد لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة شخص أتباعه

وحواشييه عن قبره وما آل اليه امره فكانت مدته ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافر وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة انه ما لا ط ولا شرب خرا ولا زنى الا انه كان يحنل ويحب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهن ويبالغ في اعطائهن المال وعادى في دولته اقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع في اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان اشقرا غمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده في الدولة التركية مثله

* (جامع القرافة) *

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الاولياء وهو بالقرافة الكبرى وكان موضعه يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافرو وهو مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة * قال القاضي كان القراء يحضرون فيه ثم بنى عليه المسجد الجامع الجديد بنى السيدة المعزية في سنة ست وستين وثمائه وهى أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب في شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الازهر بالقاهرة وكان بهذا الجامع بستان لطيف في غربيه وصهر يج وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب الكبير الاوسط تحت المنار العالى الذى عليه مصفح بالحديد الى حضرة الحراب والمقصورة من عدة أبواب وعدتها اربعة عشر بابا هر بعة مطوية الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف وهو مكندج مزرق بالالزورد والنفجر والزنجار وأنواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التى على العمدة مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبنى المعلم المزدق شيوخ الكناحي والنازك وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوقة فى منحنى حاقبها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمى وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها شاذل رأسه اليها ظن أن المدرج المزرق كان خشب كالمقرنص واذا أتى الى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحا لا تتوفيه وهذه من انحر الصنائع عند المزدقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليغملوا مثلها فانيقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصور وابن عزيز في أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن وكان كثيرا ما يجترى بينهما ويفرى بعضهم على بعض لانه كان أحب ما اليه كتاب مصور والنظر الى صورة أو تزويق ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده وكان قد أتى به فى محاربة القصير لان القصير كان يشط فى أجرته ويلحقه عجب فى صنعه وهو حقيق بذلك لانه فى عمل الصورة كان مقلد فى الخط وابن عزيز كان البواب وقد أعمن شرح ذلك فى الكتاب المؤلف فيه وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزدقين من الناس وكان البازورى قد حضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخله فى الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهوتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخله فى الحائط وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصورا القصير اقصه بثياب بيض فى صورة حنية دهنها أسود كأنها داخله فى صورة الحنية وصورا ابن عزيز راقصة بثياب حجر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن البازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب * وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكناحي صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من دهن لون الجب وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهري يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتم لهم نجاس مجله تزرق وتنشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه زنجلة اذا توسط أحدهم فى الوعظ ويقول

وتصدق لانا منى أن تسألنى * فاذا سالت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء فيأتى له فى الزنجلة ما يسره الله تعالى فاذا فرغ من التطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فاذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ما قسم لهم وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقى ونزل عن الكرسى وكان

جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالي الصيف الحديث في القمر في صحنه وفي
 الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه القاضي أبي حفص الاشربة والحلوى وغير ذلك * قال
 الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة حدثني الأمير أبو علي تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال
 اجتمعنا ليلة جمعة بجماعة من الامراء بنومعز الدولة وصالح وحاتم وراج وأولادهم وعلمائهم وجماعة ممن يلوذ
 بنا وكان بن الموفق والقاضي ابن داود وأبي المجد بن الصيرفي وأبي الفضل روزبه وأبي الحسن الرضيع
 فعملنا سباطا وجلسنا واستدعينا بن في الجامع وأبي حفص فأكلنا ورفعنا الباقي الى بيت الشيخ أبي حفص
 قيم الجامع ثم تحدثنا ونمنا وكانت ليلة باردة فتمنا عند المنبر وإذا انسان نصف الليل عن نام في هذا الجامع
 من عابري السبيل قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ويصيح واما لاه واما لاه فقلنا له وبلك ماشا نك وما الذي دهالك
 ومن سرقك وما سرقك فقال يا سيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لي أبو كربت الحاوي أمسى على الليل ونمت
 عندكم وأكلت من خيركم وسع الله عليكم وفي جمعة أجمع في سلقى من نواحي طرا والحكي الكبير والجبل كل غربية
 من الحيات والافاعي ما لم يقدر عليه قط حاو غيري وقد انفتحت الساعة السلة وخرجت الافاعي وأنا نائم
 لم اشعر فقلت له ايش تقول فقال اي والله يا للتجدات فقلنا يا بعد والله أهلكنا ومعنا صبيان واطفال ثم انابهننا
 الناس وهم ساء الى المنبر وطلعنا وازدحمت فيه ومنامن طلع على قواعد العمدة فسلق وبقى واقفا وأخذ ذلك
 الحاوي يحسس وفي يده كنف الحيات ويقول قبضت الرقطة ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين
 ويفتح ويضع فيها ويقول قبضت الفلاني والفلانية من الثعابين والحيات وهي معه بأسماء ويقول أبو تليس وأبو
 زعير ونحن نقول ايه الى أن قال بس انزلوا ما بقي على هم ما بقي بكم كبير شيء قلنا كيف قال ما بقي الا البتراء وأم
 رأسين انزلوا فما عليكم منهم ما قلنا كذا عليك لعنة الله يا بعد والله لا نزلنا الصبح فالمغرورون من تغزوه وصحنا بالقاضي
 أبي حفص القيم فاوقد الشمعة ولبس صباعات الخطيب خوفا على رجله وجاء فزلنا في الضوء وظلنا المذنة
 فتمنا الى بكرة ونفترق شملنا بعد تلك الليلة وجمع القاضي القيم عياله ثاني يوم وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا
 وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيء وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعله السكاحي فأخذ الحاوي فلم يزل به حتى جمع
 ما قدر عليه وقال ما أخليه الا الى السلطان وكان الوزير اذا ذاك الثائس الارمني * وهذه القضية تشبه قضية
 جرت لجعفر بن الفضل بن القرات وزير مصر المعروف بابن جرابه وذلك انه كان يهوى النظر الى الحيات والافاعي
 والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا الجري من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرسخة فيها سلال
 الحيات ولها اقيم فرائش حاو من الحواة ومعه مستخدمون يرسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حاو في
 مصر وأعمالها يصيد ما يقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغربية
 المنظر وكان الوزير يشبههم على ذلك أو في ثواب ويذل لهم الجمل حتى يجتهدوا في تحصيلها وكان له وقت يجلس فيه
 على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلال ويطرحونه على ذلك الرخام ويحترشون
 بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه فلما كان ذات يوم انقذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب
 وكان من أعيان كتاب أيامه وديوانه وكان عزيزا عنده وكان يسكن الى جوار دار ابن القرات يقول له فيها نشعر
 الشيخ الجليل أدام الله سلامته انه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات البخاري بها العادات انساب
 الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا الا بعد عناء ومشقة وبجملته
 بذلتها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصيته بعون ما وجد منهم الى أن تنفذ الحواة
 لاخذها وردّها الى سلالها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها أنا في أمر سيدنا الوزير خلد الله
 نعمته وحرس مدته بما أشار اليه في أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو
 وأحد من أهله في الدار والسلام * وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فائز
 المنعوت بالاجل المأمون البطايحي وكيه له أبا البركات محمد بن عثمان برم شعث هذا الجامع وأن يعمر بجانبه طاحونا
 للسبيل ويتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله امينا عليها ويطلق له ما يكفيه مع
 علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كافة طعن أقواتهم ويؤدي الامانة
 فيها ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة أربع

وستين وخسمائة عند نزول مري ملك الفرنج على القاهرة وحماها كما تقدم ذكره عند ذكر خراب القسطنطينية من هذا الكتاب وكان الذي تولى احراق هذا الجامع ابن سيماسة باشارة الاستاذ مؤمن الخلافة جوهر وهو الذي أمر المذكور بحرق جامع عمرو وبصر وسئل عن ذلك فقال لئلا يخطب فيه لبنى العباس ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الاخضر وكان مؤذن هذا الجامع في أيام المستنصر ابن بقاء المحدث ابن بنت عبد الغني بن سعيد الحافظ ثم جددت عمارة هذا الجامع في أيام المستنصر بعد حريقه وأدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكاثر وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والحزن في سنة ست وثمانمائة قل السالكين بالقرافة وصار هذا الجامع طول الايام مغلوفا وربما أقيمت فيه الجمعة

* (جامع الجيزة) *

بناء محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير علي بن عبد الله بن الاخشيدي فقدم كافر الى الخازن بينا نه فانه كان قد هدمه النيل وسقط في سنة أربعين وثلثمائة وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد جامع همدان وهو مسجد من احف بن عامر بن بكتل وقيل ان عقبه بن عامر في امرته علي مصرأمرهم أن يجمعوا فيه قال التميمي وشارف بناء جامع الجيزة مع أبي بكر الخازن أبو الحسن ابن جعفر الطحاوي واحتاجوا الى عمد للجامع فضى الخازن في الدليل الى كنيسة بأعمال الجيزة قطع عمدها ونصب بدلها أرسكا ناو حل العمدة الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه منذ ذلك الوقت عا * قال التميمي وقد كان يعنى ابن الطحاوي يصلى في جامع القسطنطينية وبعض عمد أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك

* (جامع منجك) *

هذا الجامع يعرف موضعه بالنقرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير أنشأه الامير سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة احدى وخمسين وسبع مائة وصنع فيه صهريحجا فصار يعرف الى اليوم بصهرحج منجك ورتب فيه صوفية وقدر لهم في كل يوم طعاما ولجوا خبزا وفي كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلى بالناس فيه صلاة الجمعة وجعل على هذا الموضع عدة أوقاف منها ناحية بلقينة بالقرية وكانت مرصدة برسم الخاشية ففوت بخمسة وعشرين ألف دينار فاشتراها من بيت المال وجعلها وقفا على هذا المكان * (منجك) الامير سيف الدين اليوسفي لما امتنع أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وقام في مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن أخذ فتوجه اليه وقطع رأسه وأحضرها الى مصر وكان حينئذ أحد السلاخدارية فأعطى امره بديار مصر وتنقل في الدول الى أن كانت سلطنة الملك الظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فأخرجه من مصر الى دمشق وجعله حاجبا بها موضع ابن طغريل فلما قتل الملك الظفر وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن اقيم الامير سيف الدين يلغاروس في نيابة السلطنة بديار مصر وكان أخا منجك فاستدعاه من دمشق وحضر الى القاهرة في ثامن شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مائة فرسم له بامرة مقدمة ألف وخمسة مئة خلع عليه خلع الوزارة فاستقر وزيراً وأستاد اراوخرج في دست الوزارة والامراء في خدمته من القصر الى قاعة صاحب القلعة لجلس بالشباك ونفذ أمور الدولة ثم اجتمع الامراء وقرأ عليهم أوراقتهم من أعلى الدولة من المصروف ووفر من جامكية الممالك مبلغ ستين ألف درهم في الشهر وقطع كثيرا من جوامك الخدم والجواري والبيوتات السلطانية ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه وقطع رواتب الاغانى وعرض الاسطبل السلطاني وقطع منه عدة أميرة وسراخورية وسواس وغلان ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين أردباني كل يوم وقطع جميع الكلابية وكانوا خمسين جوقه وأبقى منهم جوقتين ووفر جماعة من الاسرى والعناتين المستخدمين في الغمار وأبطل العمارة من بيت السلطان وكانت الحوائج تحتاج في كل يوم الى أحد وعشرين ألف درهم نقرة فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم وبقي مصر وفيها في اليوم ثمانية عشر ألف درهم نقرة وشرع يشكت على الدواوين ويحط على القاضي موفق الدين ناظر الدولة وعلى القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخواص ورسم أن لا يستقر في المعاملات سوى شاهد واحد وعامل وشاهد بغير معلوم وأغلظ على الكتاب والدواوين وهددهم وتوعدهم بخافوه واجتمع بعضهم ببعض واشتوروا

في أمرهم وانفقوا على مال يتوزعون به بينهم على قدر حال كل منهم وجعلوه الى منجك سراً فلم يحض من استقراره في الوزارة شهر حتى صار الكتاب وارباب الدواوين احباءه وأخلاءه وتمكنوا منه اعظم ما كانوا قبل وزارته وحسنوا له أخذ الاموال فطلب ولاية الافاليم وقبض على اقبغا والى الغربية وازمته بحمل خمسة آلاف درهم نقرة وولى عوضه الامير استدمر القلنجي ثم صرفه وولى بدله قطليجا مملوكاً بكتقر واستقر باستدمر القلنجي في ولاية القاهرة وازاد له التحدث في الجهات وولى البحرية لرجل من جهته وولى قوص لآخر ووقع الحوطة على موجود اسماعيل الواقدي متولى قوص واخذ جميع خواصه وولى طغاي كشف الوجه القلبي عوضاً عن علاء الدين على بن الكوراني وولى ابن المزوق قوص وأعمالها وولى مجد الدين موسى الهدباني الاشمونين عوضاً عن ابن الازكشي وتسامعت الولاية وارباب الاعمال بأن الوزير يفتح باب الاخذ على الولايات فهرع الناس اليه من جهات مصر والشام وحب وقصد واباه ورتب عنده جماعة برسم قضاء الاشغال فأتاهم اصحاب الاشغال والخواجج وكان السلطان صغيراً حظه من السلطنة أن يجلس بالايوان يومين في الاسبوع ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الامراء فيه فاذا انقضت خدمة الايوان خرج الامير من كليسا الفخري والامير بيغرا والامير بلبغا ترو المجدى وارلان وغيرهم من الامراء ويدخل الى القصر الامير بلبغا روس نائب السلطنة والامير سيف الدين منجك الوزير والامير سيف الدين شيخو العمري والامير الجيبغا المظفرى والامير بطريق ويتفق الحال بينهم على ما يرونه هذا الوزير أخو النائب متمكن متمكناً إذ اوقدم من دمشق جماعة للسعي عند الوزير في وظائف منهم ابن السلعوس وصالح الدين بن المؤيد وابن الاجل وابن عبد الحق وتحدثوا مع ابن الاطروش محتسب القاهرة في اغراضهم فسعى لهم حتى تقرر وافيما عينوا ولم ادخلت سنة تسع واربعين عرف الوزير السلطان والامراء انه لما ولى الوزارة لم يجد في الاهراء ولا في بيت المال شيئاً وسأل أن يكون هذا بحضور من الحكام فرسم للقضاة بكشف ذلك فركبوا الى الاهراء بمصر والى بيت المال بقلعة الجبل وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين وأشهدوا عليهم أن الامير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالاهراء ولا بيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم وقرئت المحاضر على السلطان والامراء فقلما كان بعد ذلك توقف امر الدولة على الوزير فشكا الى الامراء من كثرة الرواتب فاتفق الرأى على قطع نحو ستين سواً واقطعتهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ما باسهم من الكساوى وغيرها وقطع من العرب الركابة والتجاجة ومن أرباب الوظائف في بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ما جلته في اليوم أحد عشر ألف درهم وفتح باب المقايضات باقطاعات الاجساد وباب النزول عن الاقطاعات بالمال بفصل من ذلك مالا كثيراً وحكم على اخيه نائب السلطنة بسبب ذلك وصار الجندى يبيع اقطاعه لكل من أراد سواء كان المتزول له جندياً أو عامياً وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين ألف درهم الى مائتي ألفاً وأخذ يسي أن تضاف وظيفة نظير الخاص الى الوزارة وأكثر من الخط على ناظر الخاص فاحترس ابن زنبور منه وشرع في ابعاده مرة بعد مرة مع الامير شيخو ونسج شيخو منجك من التحدث في الخاص وخرج عليه فسق ذلك على منجك وافتراق عن غير رضى فتغير بلبغا روس النائب على شيخو رعاية لآخيه وسأل أن يعفى من النيابة ويعفى منجك من الوزارة واستقراره في الاستادارية والتحدث في عمل خفر البحر وأن يستقر استدمر العمري المعروف برسلان بصل في الوزارة فطلب وكان قد حضر من الكشف والبس خلع الوزارة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وكان منجك قد عزل من الوزارة في ثالث ربيع الاول المذكور وولى أمر شدة البحر في من الاجساد من كل مائة دينار درهماً ومن التجار والمعيشين في مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم الى خمسة دراهم الى درهم ومن اصحاب الاملاك والدور في مصر والقاهرة على كل قاعة ثلاثة دراهم وعلى كل طبقة درهمين وعلى كل مخزن أو اصطبل درهماً وجعل المستخرج في خان مسرور بالقاهرة والمشتد على المستخرج الامير بك نجفي مال كبيراً واستدمر فان أحوال الدولة توقفت في أيامه فسأل في الاعفاء فأعفى وأعيد منجك الى الوزارة بعد أربعين يوماً وقد تمنع تمنعاً كبيراً ولم يعاد الى الوزارة ففتح باب الولايات بالمال فقصدته الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ في ذلك مالا كثيراً فيقال انه أخذ من الامير ما زان لما نقله من المنوفية الى الغربية ومن ابن الغساق لما نقله من الاشمونين الى البهنساوية ومن ابن سلمان لما ولاه بنوف ستة آلاف دينار ووفر اقطاع شاذ الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية ووفر

جوامكهم ورواتبهم وشرع أو باش الناص في السعي عنده في الوظائف والمباشرات بجال وأتوه من البلاد فقضى اشغالهم ولم يرد أحد اطلب شيئاً ووقع في امامه القضاء العظيم فاختلت اقطاعات كثيرة فاقضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التي للعاشية وكتب لساير أرباب الوظائف وأصحاب الاشغال والممالك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم وكذلك لأرباب الصدقات فأخذ جماعة من الاقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات في نظير جوامكهم ونوفر في الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب * ولما دخلت سنة تحسين رسم الامير منجك الوزير لمتولى القاهرة بطلب اصحاب الارباع وكاتبه جميع املاك الحارات والازقة وساير أخطا مصر والقاهرة ومعرفة اسماء سكانها والقصص عن أربابها يعرف من توفر عنه ملك بموته في القضاء فطلبوا الجميع وأمعنوا في النظر فكان يوجد في الحارة الواحدة والرقاق الواحد ما يزيد على عشرين داراً خالية لا يعرف أربابها فقتلوا على ما وجدوه من ذلك ومن القنادق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها * وفي شعبان عزل ولاية الاعمال وأحضرهم الى القاهرة وولى غيرهم وأضاف الى كل وال كشف الجسور التي في عمله وضمن الناس سائر جهات القاهرة ومصر بحيث انه لا يتحدث أحد معه من المتقدمين والدواوين والشاذين وزاد في المعاملات ثلثمائة ألف درهم وخلع عليه ونودي له بمصر والقاهرة فاستند ظله وعسقه وكثرت حوادثه * فلما كانت ليالى عيد القطر عرف الوزير الامراء أن سباط العبد ينصرف عليه جلة ولا ينتفع به أحد فأبطله ولم يعمل تلك السنة * وفي ذى القعدة توقف حال الدولة وتوقف بمالك السلطان وساير المعاملين والحوادث ككاشية وانزعج السلطان والامراء بسبب ذلك على الوزير فاحتج بكثرة الكاف وطلب الموقف فاطر الدولة فقال ان الانعامات قد كثرت والكلف تزايدت وقد كانت الحوائج تكثر في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم واليوم ينصرف فيها ثمان وعشرون ألف درهم فكثرت أوراق يتحصل الدولة ومصرفها ويحصل الخاص ومصرفه فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم وكلفتها أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ووجد الانعام من الخاص والجيش بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الامراء فكان زيادة على عشرين ألف دينار سوى جلة من الغلال وان الذي استند على الدولة من حين وفاة الملك الناصر في ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة تحسين وسبعمائة وكانت جلة الانعامات والاقطاعات بنواحي الصعيد والقيوم وبلاد الملك والوجه البحري وما اعطى من الرزق للخدام والحواري سبعمائة ألف ألف وألف ألف وستمائة ألف معينة بأسماء أربابها من امير وخدام وجارية وكانت النساء قد أسرفن في عمل القمصان والبغالطيق حتى كان يفضل من القمصين كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة اذرع ويسمينه البهظة وكان يغرم على القمصين ألف درهم واكثر وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم وبلغ الخف والسر موزة الى خمسمائة درهم وما دونها الى مائة درهم فأمر الوزير منجك بقطع اكمام النساء وأخرق بهن وأمر الوالى بتسيع ذلك ونودي بمنع النساء من عمل ذلك وقبض على جماعة منهن وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فأنكف عن لبسها ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف المثمنة ونودي في القياس من باع ازار حر يرمله للسلطان فنودي على ازار ثمنه سبعمائة وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ولم يجسر أحد أن يشتره وبالف وزير في القصص عن ذلك حتى كشف ذلك كين غسالى الثياب وقطع ما وجد من ذلك فامتنع النساء من لبس ما أحدثه من تلك المنكرات ولما عظم ضرر الفار أيضاً من كثرة شكايه الناس فيه فلم يسمع فيه الوزير قولاً وقام في أمره الامير مغلطاي أمير خورفاست وحش منه الوزير واتفق انه كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة في محفل كبير بلغ عليه جماله في اليوم مائتي عليفة ولما قدم في المحرم مع الحاج اهدى للنائب وللوزير وللأمير طاز وللأمير صرغتمش هدايا جليلة ولم يهد للامير شيخو ولا للامير مغلطاي شيئاً ثم لما عاب عليه الناس ذلك اهدى بعد عدة أيام للامير شيخو هدية فردها عليه ثم انه انكر على الوزير في مجلس السلطان ما يفعله ولاية البر وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال واغلظ في القول فرسم بعزل الولاية والقبض على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد فلم يسمع الوزير غير السكوت * فلما كان في رابع عشرى شوال سنة احدى وتحسين قبض على الوزير منجك وقيد ووقعت الحوطة على ساير حواصله فوجدت له زرد خانا جل تحسين جلاد ولم يظهر من النقد

كثير مال فأمر بعقوبته فلما خوف اقرب صندوق فيه جوهر وقال سائر ما كان يحصل لي من النقد كنت اشترى به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر فاحيط بسائر أمواله وحمل الى الاسكندرية مقيدا واستقر الامير بلبان السناني نائب البيرة أستاذ اراعوض منجك بعد حضوره منها واضفت الوزارة الى القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخصاص فلم يزل منجك مسجوناً بالاسكندرية الى أن خلع الملك الناصر حسن وأقيم بدله في المملكة أخوه الملك الصالح صالح فأمر بالافراج عن الامير شيخو والامير منجك فحضرا الى القاهرة في رجب سنة اثنين وخمسين ولما استقر الامير منجك بالقاهرة بعث اليه الامير شيخو خمس رؤس خيل وألحق دينار وبعث اليه جميع الامراء بالتقدم وأقام بطلا ليجلس على حصير فوقه ثوب سرج عتيق وكلما أتاه أحد من الامراء يكي ويتوجع ويقول أخذ جميع مالي حتى صرت على الحصر ثم كتب قسوى تتضمن أن رجلا مسجوناً في قده هدد بالقتل ان لم يبيع أملاكه وأنه خشي على نفسه القتل فوكل في بيعها فكتب له الفقهاء لا يبيع المكره ودار على الامراء وما زال بهم حتى تحتوا له مع السلطان في رد أملاكه عليه فعارضهم الامير صر غمّش ثم رضى أن يرد عليه من أملاكه ما أنعم به السلطان على ممالكه فاسترد عدة أملاك وأقام الى أن قام ببلغاروس مجلب فاخفى منجك وطلب فلم يوجد وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر وهدد من أخفاء وألزم عربان العائد باقتفاء أثره فلم يوقف له على خبر وكبس عليه عدة أما كن بالقاهرة ومصر وقتل عليه حتى في داخل الصهر ريج الذي يجامعه فأعجب أمره وأدرك السلطان السفر لحرب ببلغاروس فتمرع في ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان فخرج الامير طاز بمن معه * وفي يوم الاثنين سابعه عرض الامير شيخو والامير صر غمّش اطلاقهما وقد وصل الامير طاز الى بليس فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك فسير اليه وأحضره وقتشه فوجد معه كتاب منجك الى أخيه ببلغاروس وفيه أنه محتف عند الحسام القدي استأذنه فبعث الكتاب الى الامير شيخو فوافاه والاطلاب خارجة فاستدعى بالحسام وسأله فأنكر فعاقبه الامير صر غمّش فلم يعترف فركب الى بيت الحسام بجوار الجامع الازهر وهجمه فاذا بمنجك ومعه مملوك فكتفه وسار به مشهورا بين الناس وقد هرعوا من كل مكان الى القلعة فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الامير شيخو فأفرج عنه في ربيع الاول سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صفد بطلا لفسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة فلما خلع الملك الصالح صالح وأعيد السلطان حسن في شوال منها نقل منجك من صفد وأنعم عليه بنبابة طرابلس عوضا عن ايتش الناصري فسار اليها وأقام بها الى أن قبض على الامير طاز نائب حلب في سنة تسع وخمسين فولى منجك عوضا عنه ولم يزل مجلب الى أن فر منها في سنة ستين فلم يعرف له خبر وعوقب بسببه خلق كثير ثم قبض عليه بدمشق في سنة احدى وستين فحمل الى مصر وعليه بشت صوف عسلي وعلى رأسه مئزر صوف فلم يؤاخذه السلطان وأعطاه امره طبلخانة ببلاد الشام وجعله طرخانة يقيم حيث شاء من البلاد الاسلامية وكتب له بذلك فلما قتل السلطان حسن وأقيم من بعده في المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي في جادى الاولى سنة اثنين وستين خامر الامير يدمر نائب الشام على الامير بلبغا العمري القائم بتدبير دولة الملك المنصور ووافقه جماعة من الامراء منهم الامير منجك فخرج الامير بلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية فوافى دمشق ومشى الناس بينه وبين الامير يدمر حتى تم الصلح وحلف الامير بلبغا أنه لا يؤذى يدمر ولا منجك فزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجنهما الى أن خلع الامير بلبغا المنصور وأقام بدله الملك الاشرف شعبان بن حسين وقتل الامير بلبغا فأفرج الملك الاشرف عن منجك وولاه نبابة السلطنة بدمشق عوضا عن الامير علي المنارداني في جادى الاولى سنة تسع وستين فلم يزل في نبابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائر في سنة سبعين بتقدم كثيرة جليلة وعاد الى دمشق وأقام بها الى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين الى مصر وقوض اليه نبابة السلطنة بدمصر وعمله تالك العساكر وجعل تدبير المملكة اليه وأن يخرج الاتهامات للبلاد الشامية وأن يولى ولاية أقاليم مصر والكشاف ويخرج الاقطاعات بمصر من عبدة ستمائة دينار الى مادونها وكانت عادة التواب قبله أن لا يخرج من الاقطاعات الا ما عبرته أربع مائة دينار فادونها فعمل النبابة على قالب جاور حرمة وافرة الى أن مات ختف أنه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبع مائة وله من العمر ثيف وستون سنة وشهد جنازة سائر الاعيان ودفن بترابته المجاورة للجامعة هذا وله سوى الجامع

المذكور من الأتابيد بدار مصر خان منجك في القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة
السلطان حسن وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رجه الله

* (الجامع الاخضر) *

هذا الجامع خارج القاهرة بمحط فم الخور عرف بذلك لأن بابيه وقبته فيه منقوش وكابات خضر والذى أنشأه
خازن دار الأمير شيخو واسمه

* (جامع البكري) *

هذا الجامع بمحكمة البكري قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات

* (جامع السروجي) *

هذا الجامع بمحكمة

* (جامع كرجي) *

هذا الجامع بمحكمة أقوش

* (جامع الفاضلي) *

هذا الجامع بسويقة الخادم الطواشي شهاب الدين فاخر المنصوري مقدم المماليك السلطانية ومات في
سابع ذي الحجة سنة سبع وثمانمائة وكان ذامها به وأخلاق حسنة مع سطوة شديدة ولهم بلسان الفاضلي
الأمير سيف الدين نصيب الجيوش مات في سنة سبع وتسعين وستمائة وولى نقابة الجيش بعد طبرس الوزير
وكان جوادا عارفا بأمر الاجناد خيرا كثيرا الترف

* (جامع ابن عبد الظاهر) *

هذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلى قبر الليث بن سعد كان موضعه يعرف بالخندق أنشأه القاضي فتح الدين
محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامي السعدي الروحي من ولد روح بن زنباع
الجذامي بجوار قبر أبيه وأول ما أقيمت به الخطبة في يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين
وستمائة وكان يوما مشهودا الكثرة من حضر من الاعيان * ولد بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين
وستمائة وسمع من ابن الجيزي وغيره وحدث وكتب في الانشاء وساد في دولة المنصور قلاوون بعقله ورأيه
وهمته وتقدم على والده القاضي محيي الدين وهو ما عرف بالانشاء والكتابة بحيث كان من جملة من بصر ففهم
بأمره ونهيه وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به ولما ولي القاضي فخر الدين بن لقمان الوزارة قال له الملك
المنصور من يلي عوضك كتابة السر فقال القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر فولاه كتابة السر عوضا عن ابن
لقمان ونعم كان من السلطان وحظي عنده حتى ان الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا فأحضر
ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته فلما أخذ الكتاب من السلطان أمر الوزير أن يتأخر حتى يقرأه فقرأه الوزير
ثم ان ابن لقمان صرف عن الوزارة وأعيد الى ديوان الانشاء فتأدب معه فلما ولي وزارة الملك الأشرف خليل بن
قلاوون شمس الدين بن السلجوس قال لفتح الدين اعرض علي كل يوم ما تكتبه فقال لا سبيل لك الى ذلك
ولا يطلع على أسرار السلطان الا هو فان احترم والاعينوا عوضى فلما بلغ السلطان ذلك قال صدق ولم يزل على
حاله الى أن مات وأبوه حتى بدمشق في النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فوجد في
تركه كنه قصيدة مرثية قد عملها في رقيقه تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الاثير لما مرض وطال مرضه
فاتفق أن عوفي ابن الاثير ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليال يسيرة ومرض ومات فترناه ابن الاثير
بعد موته وولى وظيفة كتابة السر عوضا عنه ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا في صناعة الانشاء الا انه دبر
الديوان وباشره أحسن مباشرة ومن شعره

ان شئت تنظري وتنظري حالي * فانتظر اذا هب التسيم قبولا
فقرأه مشلى رقة ولطافة * ولاجل قليلك لا أقول عيلا
فهو الرسول السلك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول عيلا

ولم يزل هذا الجامع عامر الى أن حدثت الحن في سنة ست وثمانمائة واختلفت القرافة لخراب ما حوله وهو اليوم قائم على أصوله

* (جامع بساين الوزير التي على بركة الحبش) *

* (جامع الخندق) *

هذا الجامع بناه الخندق خارج القاهرة ولم يزل عامر ابعماره الخندق فلما خربت مساكن الخندق تلاشى أمره ونقلت منه الجمعة وبقي معطلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فأخذ الامير طوغان الحسني الدوادار عمده الرخام وسقوفه وترك جدرانته ومنارته وهي باقية وعمال قليل تدثر كادثر غيرها مما حولها

* (جامع جزيرة القيل) *

* (جامع الطواشي) *

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعربة وباب البحر أنشأه الطواشي جوهر السحرقى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم انه تأمر في تاسع عشر شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبع مائة

* (جامع كراى) *

هذا الجامع بالريديانة خارج القاهرة عزمه الامير سيف الدين كراى المنصوري في سنة احدى وسبع مائة لكثرة ما كان هنالك من السكان فلما خربت تلك الاماكن تعطل هذا الجامع وهو الآن قائم وبجميع ما حوله اثر وعمال قليل يدثر

* (جامع القلعة) *

هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان عشرة وسبع مائة وكان أولا مكانه جامع قديم وبجواره المطبخ السلطاني والحوائجاناه والطشخاناه والقرائخاناه فهدم الجميع وأدخلها في هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئا كثيرا وعمر فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا برسم صلاة السلطان فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وقام المؤذنون فأذوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجعله خطيبا بهذا الجامع واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه وجعل به قراء ودرسا وقارئ محض وجعل له من الاوقاف ما يفضل عن مصارفه فجاءه من أجل جوامع مصر وأعظمها وبه الى اليوم يصلي سلطان مصر صلاة الجمعة والذي يخطب فيه ويصلي بالناس الجمعة فاضى القضاء الشافعي

* (جامع قوصون) *

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خاتناه قوصون أنشأه الامير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخاتناه والجامع وهو باق الى يومنا

* (جامع كوم الريش) *

هذا الجامع عمارة دولتشاه

* (جامع الجزيرة الوسطى) *

أنشأه الطواشي منقل خادم تذكارة الملك الظاهر بيبرس وهو عامر الى يومنا هذا

* (جامع ابن صارم) *

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

* (جامع الكيخنتى) *

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجنينة وهو بجانب موضع الكيخنت على شاطئ الخليج من جهة أرض

الطباة كان موضعه دارا اشتراها معلم الكيخفت وكان يعرف بالجووى وعملها جامعا فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومى فوقف عليه مواضع وجدده مثذنه فى جادى الاولى سنة اثنتين وثمانمائة ووسع فى الجامع قطعة كانت منشرا وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ربحان بعد سنة تسعين وسبع مائة وعمر بجانبه مساكن وهو الآن عامر بعمارة ما حوله

* (جامع الست مسكة) *

هذا الجامع بالقرب من قنطرة اق سنقر التى على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وسبع مائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الاحكار

* (جامع ابن الفلك) *

هذا الجامع بسويقة الجزيرة من الحسينية خارج القاهرة أنشأه مظفر الدين بن الفلك

* (جامع التكرورى) *

هذا الجامع فى ناحية بولاق التكرورى وهذه الناحية من جلة تسمى الجزيرة كانت تعرف بمنية بولاق ثم عرفت ببولاق التكرورى فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى وكان يعتقد فيه الخير وجرت بركة دعائه وحكمت عنه كرامات كثيرة منها أن امرأه خرجت من مدينة مصر تريد البحر فأخذ السودان ابنها وساروا به فى مركب وقبحوا القلع فحرت السفينة وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ودعا الله سبحانه وتعالى فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير فنادى من فى المركب بطلب منهم الصبي فدفعوه اليه وناولوه لأمته وكان بمصر رجل دباغ أناء عنده فأخذ منه أصحاب السلطان فأتى الى الشيخ وشكا اليه ضرورته فدعا ربه فرد الله عليه عصفه بسؤال أصحاب السلطان له فى ذلك وكان يقال له لم لاتسكن المدينة فيقول انى اشم رائحة كريهة اذا دخلتها ويقال انه كان فى خلافة العزيز بن المعز وان الشريف محمد بن اسعد الجوائى جمع له جزأ فى مناقبه ولما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبه جامع جددته ووسعه الامير محسن الشهابى مقدم الممالك وولى مقدمة الممالك عوضا عن الطواشى عنبر السحر فى أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة ومات فى ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبع مائة وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقرينهما منه فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد وهو باق الى يومنا هذا

* (جامع البرقية) *

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الامير مغلطاى الفخرى أخو الامير الماس الحاجب وكل فى المحرم سنة ثلاثين وسبع مائة وكان ظالمعا سوفامتكبرا جبارا قبض عليه مع أخيه الماس فى سنة أربع وثلاثين وسبع مائة وقتل معه

* (جامع الحزانى) *

هذا الجامع بالقرافة الصغرى فى بحرى الشافعى عمره ناصر الدين بن الحزانى الشرايشى فى سنة تسع وعشرين وسبع مائة

* (جامع بركة) *

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون يعرف خطه بمجرة ابن قحمة عمره شخص من الجند يعرف ببركة كان يباشر أستاذية الامراء ومات بعد سنة احدى وثمانمائة

* (جامع بركة الرطلى) *

هذا الجامع كان يعرف موضعه ببركة القول من جلة أرض الطباة فلما عمرت بركة الرطلى كما تقدم ذكره أنشئ هذا الجامع وكان ضيقا قصيرا السقف وفيه قبة تحتها قبر يزار وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه خادم الشيخ عبد العال

وتوفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما سكن الوزير صاحب سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيري بجوار هذا الجامع هدمه ووسع فيه وبناه هذا البناء في سنة أربع عشرة وثمانمائة * وولد البشيري في سابع ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وتنقل في الخدم الديوانية حتى ولي نظرا الدولة الى أن قتل الأمير جمال الدين يوسف الاستاد دار فاستقر بعده في الوزارة بسفارة فتح الدين فتح الله بن كاتب السر في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فباشر الوزارة بضبط جديد معرفته الحساب والكتابة الا انها كانت أيام محن احتاج فيها الى وضع يده وأخذ الاموال بأنواع الظلم فلما قتل الملك الناصر فرج واستبد الملك المؤيد شيخ صرفه عن الوزارة في يوم الخميس خامس جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة ودفن بالقرافة وهذا الجامع عامر بعمارة ما حوله

* (جامع الضوة) *

هذا الجامع فيما بين الطبخانة السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج على رأس الضوة أنشأه الأمير الكبير شيخ الحمودي لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج وأقامه الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي ابن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة وسكن بالاصطبل السلطاني فشرع في بناء دار يسكنها فلما استبدت بسلطنة مصر وتلقب بالملك المؤيد استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل فعملها جامعا وحاتها وصارت الجمعة تقام به

* (جامع الحوش) *

هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فصار يصلى فيه الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن قتل الناصر فرج

* (جامع الاصطبل) *

هذا الجامع في الاصطبل السلطاني من قلعة الجبل عمره

* (جامع ابن التركاني) *

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

* (جامع) *

هذا الجامع بخط السبع سقايات فيما بين القاهرة ومصر يطل على بركة فارون أنشأه

* (جامع الباسطي) *

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة أدركت موضعه وهو مطل على النيل طول السنة أنشأه شخص من عرض الفقهاء يعرف في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع الخنقي) *

هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن علي الخنقي في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع ابن الرفعة) *

هذا الجامع خارج القاهرة بجكر الزهري أنشأه الشيخ نحر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبي المجد العدوي

* (جامع الاسماعيلي) *

أنشأه الأمير أرغون الاسماعيلي على البركة الناصرية في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

* (جامع الزاهد) *

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة كان موضعه كوم تراب فقتله الشيخ المعتقد أحمد بن المعروف بالزاهد وأنشأ موضعه هذا الجامع فكمل في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة وهدم بسببه عدة

مساجد قد خرب ماحولها وبني بأقاصها هذا الجامع وكان ساكناً مشهوراً بالخير يعظ الناس بالجامع الأزهر وغيره ولطافة من الناس فيه عقيدة حسنة ولم يسمع عنه الا خيرات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطاعون ودفن بجامعه

*** (جامع ابن المغربي) ***

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصري أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي رئيس الاطباء بديار مصر وبني بجانبه قبة دفن فيها وعمل به درسا وقراء ومنبرا يحطب عليه في يوم الجمعة وكان عامراً بعمارة ماحوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل الى أن ينقض ويساع كما بيعت أقناض غيره

*** (جامع الفخري) ***

هذا الجامع بجوار دار الذهب التي عرفت بدار بهادر الا عسر المجاورة لقبوا الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ويتوصل اليه أيضاً من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية أنشأه الامير نجر الدين عبد الغني ابن الامير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الاستاد ارفى سنة احدى وعشرين وثمانمائة وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشر شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارباري الشافعي ثم تركه تنزهاً عنه وفي يوم الاحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي للتدريس وأضيف اليه مشيخة التصوف وقرى القاضي القضاة شمس الدين محمد الديري المقدسي الحنفي في تدريس الحنفية وفي تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي وحضر البرماوي وظيفة التصوف بعد عصر يومه فأتى الامير نجر الدين في نصف شوال منها ولم يكمل فدفن هناك

*** (الجامع المؤيدي) ***

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة وقيسارية بهاء الدين ارسلان أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحودي الظاهري فهو الجامع الجامع لحاسن البنين الشاهد بقمامة أركانه وخطامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان يحترق الناظر له عند مشاهدته عرش بليقيس وإوان كسرى أنوشروان ويستصغر من تأمل بديع اسطوانه الخورتن وقصر غمدان ويحب من عرف أوليته من تبدل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال ينالها وسجن ترهق فيه النفوس ويضام المجهود اذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل مجود فآله بعمره يقيم منشيه ويعلى كلمة الايمان بدوام ملك بانه

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنين

أوما ترى الهرمين قد قيسوا كم * ملك محاه حوادث الزمان

ان البناء اذا تعاطم قدره * أضفى يدل على عظيم الشأن

وأول ما ابتدئ به في أمر هذا الجامع أن رسم في رابع شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة بالتشال سكان قيسارية سنقر الاشقر التي كانت تجاه قيسارية الفاضل ثم نزل جماعة من أرباب الدولة في خامسه من قلعة الجبل وابتدئ في الهدم في القيسارية المذكورة وما يجاورها فهدمت الدور التي كانت هنالك في درب الصفيرة وهدمت خزانة شمائل فوجد بها من رمم القتلى ورؤسهم شي كثير وافرد لنقل ما خرج من التراب عدة من الجبال والحجر بلغت علاقتهم في كل يوم خمسمائة عليقة * وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان حبس في خزانة شمائل هذه أيام تغلب الامير منطاش وقبضه على الممالك الظاهرية فقاسى في ليلة من الليع والبراعيث شدائد فندرت له تعالى ان يسره له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجد الله عز وجل ومدرسة لاهل العلم فاختار لذلك هذه البقعة وفاء لنذره * وفي رابع جادى الآخرة كان ابتداء حفر الاساس وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة وقع الشروع في البناء واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ووفيت لهم وللباشريهم أجورهم من غير أن يكاف أحد في العمل فوق طاقته ولا مضرفه أحد بالقهر فاستقر العمل الى يوم الخميس

سابع عشر ربيع الأول فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجد الله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر
وبلاد الشام وتردد ركب السلطان إلى هذه العمارة عدة مرار * وفي شعبان طلبت عمد الرخام وألواح
الرخام لهذا الجامع فأخذت من الدور والمساجد وغيرها وفي يوم الخميس سابع عشر شوال نقل باب مدرسة
السلطان حسن بن محمد بن قلاوون والنور والنحاس المكث إلى هذه العمارة وقد اشترهما السلطان بمخمسة مائة
دينار وهذا الباب هو الذي عمل لهذا الجامع وهذا النور هو النور المعلق تجاه المحراب وكان الملك الظاهر
برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن وقطع البسطة التي كانت قد أدامه كما تقدم فبقى مصراعا الباب والسد
من ورائهما حتى نقلام النور الذي كان معلقا هناك * وفي ثامن عشر به دفنت ابنة صغيرة للسلطان
في موضع القبة الغربية من هذا الجامع وهي ثاني ميت دفن بها وانعقدت جلة ما صرف في هذه العمارة
إلى سلع ذى الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار ثم نزل السلطان في عشرين المحرم إلى هذه العمارة
ودخل خزانة الكتب التي عملت هناك وقد جعل إليها كتب كثيرة في أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدّم له
ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزي
بأن يكون خطيبا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته * وفي سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط عشرة
من الفعلة مات منهم أربعة وحمل ستة بأسوأ حال * وفي يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل
منه سوى الإيوان القبلي وخطب وصلى بالناس عز الدين عبد السلام المقدسي أحد نوّاب القضاء الشافعية
نسيابة عن ابن البارزي كاتب السر * وفي يوم السبت خامس شهر رمضان منها ابتدئ بهدم ملك بجوار
ربع الملك الظاهر بريس مما اشتراه الأمير نجر الدين عبد الفتى بن أبي الفرج الاستادار ليعمل ميساة واستمر
العمل هنالك ولأمر الأمير نجر الدين الإقامة بنفسه واستعمل بمالكه والزمامه فيه وجد في العمل كل يوم
فكملت في سلخه بعد خمسة وعشرين يوما ووقع الشروع في بناء حوائط على بابها من جهة تحت الربع وبعلوها
طباق وبلغت النفقة على الجامع إلى آخريات شهر رمضان هذا سوى عمارة الأمير نجر الدين المذكور زيادة على
سبعين ألف دينار وتردد السلطان إلى النظر في هذا الجامع غير مرة * فلما كان في اثنا عشر شهر ربيع الآخر
سنة إحدى وعشرين ظهر بالمتذنة التي أنشئت على بدنة باب زويلة التي تلي الجامع أعوجاج إلى جهة دار
التفاح فكتب محضر بجماعة المهندسين أنها مستحقة الهدم وعرض على السلطان فرسم هدمها فوق الشروع
في الهدم يوم الثلاثاء رابع عشر به واستمر في كل يوم فسقط يوم الخميس سادس عشر به منها حجر هدم ملكا تجاه
باب زويلة هلك تحته رجل فغلق باب زويلة خوفا على المارة من يوم السبت إلى آخر يوم الجمعة سادس عشر
جمادى الأولى مدة ثلاثين يوما ولم يعهد وقوع مثل هذا قط منذ بنيت القاهرة * وقال أدباء العصر في سقوط
المنارة المذكورة شعرا كثيرا منه ما قاله حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الشافعي رحمه الله

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارة ترهون من الحسن والزين

تقول وقد مالت عليهم غمها * فليس على جسدي أضرت من العين

فحدث الناس أنه في قوله بالعين قصد التورية لخدم في العين التي تصيب الأشياء فتتلفها وفي الشيخ بدر الدين
محمود العيني فإنه يقال له العيني أيضا

فقال المذكور يعارضه

منارة كعروس الحسن أذجلت * وهدمها قضاء الله والقدر

قالوا أصيب بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

يعرض بالشهاب ابن حجر وكل منهما لم يصب الغرض فإن العيني بدر الدين محمود ناظر الاحباس والشيخ شهاب
الدين أحمد بن حجر كل منهما ليس له في المتذنة تعلق حتى تخدم التورية وأقعد منهما بالتورية من قال

على البرج من بابي زويلة أنست * منارة بيت الله والمعهد النبي

فأخلى بها البرج اللعين أمالها * الأفاصر خوايا قوم باللعن للبرج

وذلك أن الذي ولي تدبير أمر الجامع المؤيد هذا وولي نظره عمارة بهاء الدين محمد بن البرجي فخدمت التورية
في البرجي كما ترى وتداول هذا الناس فقال آخر

عتبنا على ميل المنار زويلة • وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقال قريخي برج فحس أمانتي • فلا بارك الرحمن في ذلك البرج
وقال الأديب شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الجوهري أحد الشهود

منارة لثواب الله قد بنيت • فكيف هدت فقالوا فوضخ الخبرا
أصاب العين أبحارها انطلقت • ونظرة العين قالوا تفلق الجرا
وقال آخر

منارة قد هدمت بالقضا • والناس في هرج وفي رهج
أما لها البرج فالت به • فلغنة الله على البرج

وفي ثالث جادى الأولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر في تدريس
الشافعية والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسى البجائي المغربي في تدريس المالكية وعز الدين عبد العزيز
ابن علي بن القنبر البغدادى في تدريس الحنابلة وخلع عليهم بحضرة السلطان فدرس ابن حجر بالمحراب في يوم
الخميس ثالث عشره ونزل السلطان وأقبل ليحضر عنده وهو في القاء الدرس ومنعه من القيام له فلم يقم واستقر
فيما هو ويصده وجلس السلطان عنده ملياً ثم درس يحيى المغربي في يوم الخميس خامس عشره ودرس فيه أيضا
القنبر البغدادى وحضر معها قضاة القضاة والمشايخ • وفي سابع عشره استقر بدر الدين محمود بن أحمد
ابن موسى بن أحمد العيتابى ناظر الاحباس في تدريس الحديث النبوى واستقر شمس الدين محمد بن يحيى
في تدريس القراءات السبع • وفي يوم الجمعة حادى عشرى شوال من منازل السلطان الى هذا الجامع وقد
تقدم الى المياثرين من أمسه بتهينة السباط العظيم للمدة فيه والسكر الكثير لثلا البركة التي بالصحن من السكر
المذاب والحلوى الكثيرة فهي ذلك كله وجلس السلطان بكره النهار بالقرب من البركة في الصحن على تخت
واستعرض الفقهاء فقتر من وقع اختياره عليه في الدروس ومد السباط العظيم بأنواع المطاعم وملئت البركة
بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارثوا من السكر المذاب وجلاو منه ومن الحلوى ما قدروا عليه
ثم طلب قاضى القضاة شمس الدين محمد بن سعد الديرى الحنفى وخلع عليه كالملة صوف بفرو سمور واستقر
في مشيخة التصوف وتدرى الحنفية وجلس بالمحراب والسلطان عن يمينه ويلييه ابنه المقام الصارمى
ابراهيم وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ العلم وحضر أمراء الدولة ومباشروها فألقى درساً مفيداً الى أن
قرب وقت الصلاة فدعا بعض المجلس ثم حضرت الصلاة فصعد ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر المنبر
نخطب وصلى ثم خلع عليه واستقر خطيباً وخازن الكتب وخلع على شهاب الدين أحمد الأدرى الامام واستقر
في امامة الخمس وركب السلطان وكان يوماً مشهوداً • ولما مات المقام الصارمى ابراهيم بن السلطان دفن
بالقبة الشرقية ونزل السلطان حتى شهد دفنه في يوم الجمعة ثانى عشرى جادى الاسرة سنة ثلاث وعشرين
وأقام حتى صلى به الخطيب محمد البارزى كاتب السر صلاة الجمعة بعد ما خطب خطبة بليغة ثم عاد الى القلعة
وأقام القراء على قبره يقرؤن القرآن أسبوعاً والامراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه وكانت ليالى مشهودة
• وفي يوم السبت آخره استقر في قطر الجامع المذكور الامير مقبل الدوادار وكاتب السر ابن البارزى
فنزلا اليه جميعاً ونفقدا أحواله ونظرا في اموره فلما مات ابن البارزى في ثامن شوال منها انفراد الامير مقبل
بالتحدث الى أن مات السلطان في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فدفن بالقبة الشرقية
ولم تكن عمرت فشرع في عمارتها حتى كملت في شهر ردى القعدة منها وكذلك الدرج التي يصعد منها الى باب هذا
الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الا في شهر رمضان منها وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع
لم تعمل منها القبة التي تقابل القبة المدفون تحتها السلطان والبيوت المعدة لسكن الصوفية وغير ذلك فأفرد
لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار واستقر نظرها هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر

(الجامع الاشرفى)

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية العنبر كان موضعه حوائت تعلوها رابع ومن ورائها ساحات
كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية فابتدأ الهدم فيها بعدما استبدلت بغيرها أول شهر رجب سنة

ست وعشرين وثمانمائة وبني مكانها فلما عمر الايوان القلبي - أقيمت به الجمعة في سابع جادى الاولى سنة سبع وعشرين وخطب به الجوى - الواعظ وقدرى الخطابة المذكورة

*** (الجامع الباسطى) ***

هذا الجامع بخط الكافورى من القاهرة كان موضعه من جلة أراضى البستان ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره فأنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى - ناظر الجيوش في سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ولم يسخر أحد فى عمله بل وفى لهم أجورهم حتى كمل فى أحسن هندام وأكبر قالب وأبدع زى - ترناح النفوس رؤيته وتبتهج عند مشاهدته فهو الجامع الزاهر والمعبود الباهى الباهر ابتدئ فيه باقامة الجمعة فى يوم الجمعة الثانى من صفر سنة ثلاث وعشرين ورتب فى خطبته فتح الدين أحمد بن محمد ابن النقاش أحد مشهود الحوائت وموقعى القضاة ثم رتب به صوفية وولى مشيخة التعوف عز الدين عبد السلام ابن داود بن عثمان المقدسى - الشافعى - أحد قواب الحكم فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها وأجرى للفقراء الصوفية الخبز فى كل يوم والمعلوم فى كل شهر وبني لهم مساكن وحضرهم بجا يلا من ماء النيل ويسبل فى كل يوم فعم نفعه وكثر خيره * ثم تجدد فى بولاق جامع ابن الجابى وجامع ابن السفينى - وتجدد فى مصر جامع الحسنان بخط دار النحاس وفى حكر الصبان الجامع المعروف بالمسجد وبجامع الفتح وفى حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشى الساقى * وتجدد فى خارج القاهرة بسويقة ضفة جامع ابن درهم ونصف وفى خط معذبة قريش جامع كزل بغا وفى رأس درب النيدى - جامع حارس الطير وفى سويقة عمهور جامع القاضي أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبى عبد الله محمد الفارغانى - بنى فى سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة ويخط البراذعين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكن مهتار ناظر التماس * وتجدد فى المراغة جامع الشيخ أبى بكر المترف بناء الحاج أحمد القماح وأقيمت خطبة بجنائكه الامير جاني بك الاشرفى - خارج باب زويلة - وفى يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ويخط باب اللوق جامع مقدم السقاين قريما من جامع البست نصره ويخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع * وتجدد بالصغراء قريما من تربة الظاهر برقوق خطبة فى تربة السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقى * وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمرى - وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل * وتجدد فى زاوية الشيخ أبى العباس البصير التى عند قنطرة الخرق خطبة * وتجدد فى حدة الكجابين من أراضى اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة * وتجدد بالصغراء خطبة فى تربة الامير مشير الدولة كافور الزمام وفى فى خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة * وتجدد بخط الكافورى خطبة أحدتها بنو وفا فى جامع لطيف جدا * وتجدد بمدرسة ابن البقرى من القاهرة أيضا خطبة فى أيام المؤيد شيخ * وتجدد بجارة الديلم خطبة فى مدرسة أنشأها الطواشى مشير الدولة المذكور * وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء وخطبة بالقرب منها فى جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالخصانى - أحد الفقراء الاجدية السطوحية فى حدود الثلاثين وثمانمائة

*** (ذكر مذاهب أهل مصر وتخلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الائمة رجعهم الله تعالى وما كان من الاحداث فى ذلك) ***

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جميعا عربهم وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بهايمان أهل الكتاب كان من امره صلى الله عليه وسلم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلى الله عليه وسلم يجتوبون اليه فى كل وقت مع ما كانوا فيه من ضللك المعيشة وقلة القوت ففهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على فحله ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل وقت ومنهم طائفة عند ما تجدد فى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم يحكم أو أمر بشئ أو فعل شئ وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك الا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه

ما عمله جل بن مالك بن النابغة رجل من الاعراب من هذيل في دية الجنيح وخفي عليه * وكان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه تفرقت الصحابة رضي الله عنهم فبهم من خرج لقتال مسيلة واهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبقي من الصحابة بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبي بكر رضي الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيما علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من يحضره من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علم من ذلك رجع اليه والاجتهد في الحكم * ولما مات أبو بكر وولي أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح الأمصار وزادت تفرق الصحابة رضي الله عنهم فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضر ين لها في ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به والاجتهد أمير تلك البلدة في ذلك وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المديني مالم يحضر المصري وحضر المصري مالم يحضر الشامي وحضر الشامي مالم يحضر البصري وحضر البصري مالم يحضر الكوفي وحضر الكوفي مالم يحضر المديني كل هذا موجود في الآثار وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضر ويقوته ما غاب عنه فبعض الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون قتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم كتاباع أهل المدينة في الاكثر قتاوي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما واتباع أهل الكوفة في الاكثر قتاوي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واتباع أهل مكة في الاكثر قتاوي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما واتباع أهل مصر في الاكثر قتاوي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم اتى من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاء الأمصار ككأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلاده فيما كان عندهم واجتهدوا في ما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم * (وأما مذاهب أهل مصر) * فقال أبو سعيد بن يونس ان عبيد بن نجر المغافري يكنى أبا أمية رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر * وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها عفا فاشربا ولد سنة عشر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الحسين ومائة وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام وفي رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون في الفتن والترغيب * وعن عون بن سليمان الحضرمي قال كان عمر بن عبد العزيز قد جعل القضا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالي ورجل من العرب فأما العربي فجعفر بن ربيعة وأما المواليان فزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ما ذنب ان كانت الموالي تسهو بأنفسها صعدا وانتم لا تسبون وعن ابن أبي قتيبة كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يسابع عبد الله بن أبي جعفر وزيد بن أبي حبيب ثم الناس بعد * وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على حسين بن شفي بن مانع الاصمعي وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عد الى كتابين كان شفي سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والاخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعني بقوله الخولة والرباب

من كثر كبريين من سقى الجسر كائنا يكونان عند رأس الجسر مما يلي القسطنطينية من تحت مال كبرهما
 للبركة * وذكر أبو عمرو الكندي أن أباسعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من أهل مصر
 إلى العراق في طلب الحديث توفي سنة أربع وثمانين ومائة انتهى * وكان جال أهل الاسلام من أهل مصر
 وغيرهما من الأمصار في أحكام الشريعة على ما تقدم ذكره ثم كثر الرحل إلى الأفاق وتداخل الناس والمتقوا
 واقتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده فكان أول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري وكان أول من
 صنف وبوت سعيدين عروبة والريعي بن صبيح بالبصرة ومعمري بن راشد باليمن وابن جريح بمكة ثم سفيان الثوري
 بالكوفة وجاد بن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرور
 وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتقرئ بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بكنيسة بالابواب وجودة التميمي وحسن
 التاليف فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة إلى من لم تكن عنده وقامت الحجة
 على من بلغه شيء منها وجمعت الأحاديث الميمنة لخمعة أحد التأويلات من الأحاديث وعرف الصحيح
 من النقيم وزيف الاجتهاد المؤدى إلى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ترك عمله وسقط
 العذر عن خالف ما بلغه من السنن بلوغه إليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم
 وكثيرون التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة يعرف ذلك من نظري في كتب الحديث وعرف
 سير الصحابة والتابعين * فلما قام هارون الرشيد في الخلافة وولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد
 اصحاب أبي حنيفة رجه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد به بلاد العراق وخراسان والشام ومصر
 الا من اشار به القاضي أبو يوسف رجه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بن
 عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه وتلقب بالمتنصر في سنة ثمانين ومائة
 اختص يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي وكان قد ج وجمع الموطنين مالك الايويا ورجل عن ابن وهب وعن ابن
 القاسم وغيره علماء كثيرا وعاد إلى الاندلس فقال من الرياسة والحرمة ما لم يلقه غيره وعادت الفتيا إليه وانتهى
 السلطان والعامة إلى بابيه فلم يقاد في سائر أعمال الاندلس فاض الاشارة واعتناؤه فصاروا على رأي مالك
 بعد ما كانوا على رأي الاوزاعي وقد كان مذهب الامام مالك أدخله إلى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذي
 يقال له بسطور قبل يحيى بن يحيى وهو أول من أدخل مذهب مالك الاندلس وكانت افريقية الغالب عليها السني
 والاشاعرة إلى أن قدم عبد الله بن فروج أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة ثم غلب أسد بن القرات بن سنان
 قاضي افريقية بمذهب أبي حنيفة ثم لما ولي سحنون بن سعيد التميمي قضاء افريقية بعد ذلك نشر فيه مذهب
 مالك وصار القضاء في اصحاب سحنون دوليتا ولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول إلى أن تولى القضاء بها
 شوهاشم وكانوا مالكية فتوارثوا القضاء كما توارث الضباع ثم ان العز بن باديس حل جميع أهل افريقية على
 التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب فرجع أهل افريقية وأهل الاندلس كلهم إلى مذهب مالك إلى
 اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا إذ كان القضاء والاقضاء في جميع تلك المدن وسائر القرى
 لا يكون الا أن تسمى بالفتنة على مذهب مالك فاضطرت العامة إلى أحكامهم وقتا واهم ففشا هذا المذهب هناك
 فشوا طبع تلك الاقطار كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أباحامد الاسفراخي لما تمكن من
 الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البازري
 الشافعي عن أبي محمد بن الاكفاني الحنفي قاضي بغداد فأجيب اليه بغير رضى الاكفاني وكتب أبو حامد إلى
 السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية إلى الشافعية فاشتهر ذلك
 بخراسان وصار أهل بغداد حزينين وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد قاضي نيسابور ورئيس الحنفية
 بخراسان فأناها الحنفية فنارت بينهم وبين اصحاب أبي حامد فتنة ارتفع أمرها إلى السلطان فجمع الخليفة القادر
 الاشراف والقضاة وأخرج إليهم رسالة تتضمن أن الاسفراخي أدخل على أمير المؤمنين مدخل أوجهه فيما
 التصح والتقية والامانة وكانت على اصول المدخل والحيانة فلما تبين له أمره ووضع عنده خبث اعتقاده
 فيما سأل فيه من تقليد البازري الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه
 أسلافه من إشار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البازري وأعاد الأمر إلى حقه وأجراه على قديم

رسنه وجعل الخنفين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم بأن لا يلقوا
أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلما وخلع على أبي محمد الا كفا في واقطع أبو حامد عن دار الخلافة
وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر * (أول من
قدم يعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جح وكان قهيقها روى عنه الليث وابن وهب
ورشيد بن سعد وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر مذهب
مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر احتجاب مالك بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر
* قال ابن يونس وقدم اسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضائنا غير أنه كان يذهب
الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهب ابطال الاحباش فقلل امره على
أهل مصر وسئموا ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس الى مصر مع عبد الله
ابن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة
فحببه من أهل مصر جماعة من اعيانها كابي عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى
الزني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وكتبوا عن الشافعي ما ألفه وعملوا بمذهب الله ولم يزل امر
مذهبه يقوى بمصر وذكره ينشر * قال أبو عمرو والكندي في كتاب امراء مصر ولم يزل أهل مصر على
الجهل بالسلمة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخسين ومائتين قال ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن
خاقان أمير مصر من الجهر بالسلمة في الصلوات بالمسجد الجامع وأمر الحسين بن الربيع امام المسجد الجامع
بتركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل أهل مصر على الجهل بما في المسجد الجامع منذ
الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وأمر أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر
يصلون ست تراويح حتى جعلها أرجون خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخسين ومائتين ومنع من التشويب
وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك انهم أسفروا بها وما زال مذهب مالك
ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما أو الى مذهب
ابي حنيفة رحمه الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخسين وثلاثمائة بجيوش مولاه
المعز الدين الله أبي تميم معد وبني مدينة القاهرة فن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء
والقضاء وأنكر ما خلفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك * قال أبو عمرو
الكندي في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة انه قال قال يزيد بن أبي حبيب نشأت بمصر وهي علوية فقلبتا
عثمانية * وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
أسلم فقبل له عبد الله بن سبأ وعرف بابن السوداء وصار ينقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق
ذلك فرجع الى كيد الاسلام وأهله ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح
فأقبل عليه جماعة وما لوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل اليه فلما
حضر عنده سأله ما أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما شي بلغني عنك أخرج
عني فخرج حتى نزل الكوفة فأخرج منها فسار الى مصر واستقر بها وقال في الناس العجب من يصدق أن عيسى
يرجع ويكذب أن محمد يرجع وتحدث في الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي
ابن أبي طالب وصي محمد صلى الله عليه وسلم فن اظلم من لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن علي بن
أبي طالب وصيه في الخلافة على أئمة واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فامضوا في هذا الامر وأبدوا
بالطعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تسليوا به الناس وبث دعائه وكتب من مال
اليه من أهل الأمصار وكتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الأمصار كتبياضعونها
في عيب ولاتهم فيكتب أهل كل مصر منهم الى أهل الأمصار الآخر بما يرضعون حتى ملأوا بلاد الارض اذاعة وجاء
الى أهل المدينة من جميع الأمصار فأقوا عثمان رضي الله عنه في سنة خمس وثلاثين وأعلموه ما أرسل به
أهل الأمصار من شكوى غمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعمار بن ياسر
الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سيرة العمال فرجعوا الى عثمان الأعمار وقالوا ما انت كراشيأ

وتأخر عمار فوردا الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء في جماعة فأمر عثمان عاله أن يوافوه بالموسم فقد مواعليه واستشاروه فكل أشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين علي بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أقاربه ورفع لهم على من سواهم وكان المتحرفون عن عثمان قد نواعدوا بما يخرجون فيه بأمصارهم اذ اسار عنهما الامر فلم يتهيا لهم الوفوب وعند ما رجع الامراء من الموسم تكاتب المخالفون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان امير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري فلما خرج في شهر رجب من مصر في سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبه بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبي حبيب بل استخلف علي مصر الساقب بن هشام العامري وجعل علي الخراج سليم بن عزرا الجببي فانتزى محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة وأخرج عقبه بن عامر من القسطنطينية ودعا الى خلع عثمان رضى الله عنه واسعر البلاد وحرض علي عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافرين يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخرجون بهم الناس ليقوهم وقد أمرهم اذ القهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيجي رسول اولئك الذين دس فيد كرمكاهم فيلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون تلقى رسل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القوهم قالوا لهم ما الخبر قالوا لا خبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرا عليكم كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول انا نشكو الى الله واليكم ما عمل في الاسلام وما صنع في الاسلام فيقوم اولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأوا ذلك شيعه عثمان رضى الله عنه اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة وناذروه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن اوطاة ومسلمة بن مخلد وعمر بن حفزم الخولاني ومقسم بن بجرة وحجرة بن سرح بن كلال وأبو الهكك بن سعد بن مالك الأزدي وخالد بن ثابت الفهمي في جمع كثير وبعثوا سلمة بن مخزومة الجببي الى عثمان ليخبره بأمرهم ويصنع ابن أبي حذيفة فبعث عثمان رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطب الناس وقال ألا ان الكذالكذاد فبعث اليكم سعد بن مالك ليقول بجاعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم فانقروا اليه فخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قاتل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشنت أمركم وجعل بأسكم بينكم ولا أرضاكم بأمير ولا أرضاء عنكم * واقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم فاذا بجبل لابن أبي حذيفة فنعوه أن يدخل فقال ويلكم دعوني أدخل على جندى فأعلمهم بما جئت به فاني قد جئتكم بخير فأبوا أن يدعوه فقال والله لو ددت اني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال من يشترط في هذا البعث فكدر عليه من يشترط فقال انما يكفيننا منكم ستمائة رجل فتشترط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن ابن عديس البسولي وهم كنانة بن بشر بن سليمان الجببي وعروة بن سليم الليثي وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وسودان بن ريان الاصمعي وذرع بن يشكر النافعي وسبعين رجلا من أهل مصر في دورهم منهم بسر بن اوطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبي حذيفة الى معاوية بن خديج وهو أرمليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الاولى دفع عن معاوية ما كره ثم قتل عثمان رضى الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذها اليك واخذرن أبا الحسن * انا نمر الحرب امرار الوسن * بالسيف كي تخمد نيران الفتن
فلما دخلوا المسجد صاحوا بالناس قاتله عثمان ولكن الله قتله * فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا معاوية ابن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبي حذيفة فالتقوا بديناس من كورة الهنسا فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة ومضى معاوية حتى بلغ بركة ثم رجع الى

الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن خرميل فاقتتلوا بغير سائر شهر رمضان سنة ست وثلاثين قتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان الى مصر فقتل سلمت من كورة عين شمس في شوال فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فنعوه أن يدخلها فبعث اليه معاوية أنا لا نزيد قتال أحد انما جئنا نسال القود لعمان ادفعوا النساء فالتيه عبد الرحمن بن عديس وكثانة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة يعثمان ما دفعناه اليك فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبي حذيفة فاني أرضى بذلك فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن خزيمة وخرج في الرهن هو وابن عيسى وكثانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة وغيرهم من قلة عثمان فلما بلغوا لدمشق فمروا من السجيم غير أبي شمر بن أبرهة فانه قال لا أدخله أسيرا وأخرج منه أبقا وتسعهم صاحب فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجلا من الفرس فقال له عبد الرحمن بن عديس اتق الله في دمي فاني بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر في الصحراء كثير فقتله * وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لعمان فسينقل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكثانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * فلما بلغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه معاب ابن أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عباد الانصاري على مصر وجعل له الخراج والصلاة فدخلها مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجية بخرنا ودفع اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش علي رضي الله عنه الأهل خربنا الخارجين بها * فلما ولى علي رضي الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوى الرأي جهده معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليقبلا على أمرها فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدر على أن يلجأ مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل علي رضي الله عنه فكان معاوية يتحدث رجالا من ذوى رأى قريش فيقول ما أبتدعت من مكايدة قط اعجب الى من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع مني قلت لاهل الشام لا تنسبوا قيسا ولا تدعوا الى عزوه فان قيسا للناسبعة تأتينا كنبه ونصيخته سرا ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخرنا يجزي عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سرهم ويحسن الى كل راكب يأتيه منهم * قال معاوية وطفقت اكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس علي بالعراق فأنهاه اليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه بأمره بقتال أهل خربنا وبخرنا يومئذ عشرة آلاف فأبى قيس أن يقتلهم وكتب الى علي رضي الله عنه أنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقدر رضوا مني بأن أومن سرهم وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم وقد علت أن هوادم مع معاوية فقلت بكائدهم بأمر أهون علي وعلى من الذي أفعول بهم وهم أسود العرب منهم يسر بن اراطاة وسلة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عليه الا قتالهم فأبى قيس أن يقتلهم وكتب الى علي رضي الله عنه ان كنت تهني فاعزلي وابعث غيري وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض بني أمية بالمدينة أن جرى الله قيس بن سعد خيرا فانه قد كف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان واكتوا ذلك فاني أخاف أن يعزله علي ان بلغه ما بينه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا رضي الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بديل قيس وتحول فقال علي ويحكم انه لم يفعل فدعوني قالوا تعزله فانه قد بذل فلم ير الوابه حتى كتب اليه اني قد احتجت الى قريك فاستخلف علي علك وا قدم فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكر ايدخل عليه بيته فوليا قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة اشهر وخمسة أيام وصرف الخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم ولها الاشرمالك بن الحارث ابن عبد يغوث النخعي من قبل امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أن عبد الله بن جعفر كان اذا أراد أن لا يمنع علي شيئا قال له بحق جعفر فقال له اسألك بحق جعفر الا بعث الاشرالى مصر فان ظهرت فهو الذي يحب والا استرحت منه ويقال كان الاشر قد ثقل على علي رضي الله عنه وأبغضه وقلاه وبغضه فلما قدم قازم مصر لقي بما يلقى العمال به هناك فشراب شرية غسل فأت فلما أخبر على بذلك قال للبدن والقم وسمع عمرو ابن العاص بموت الاشر فقال ان الله جنودا من غسل أو قال ان الله جنودا من العسل * ثم ولها محمد بن أبي بكر

الصديق من قبل على رضى الله عنهم وجعل له صلاتها وخرأجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
فلقبه قيس بن سعد فقال له انه لا يعنى نصحي لك عزله اياى ولقد عزلنى عن غيروهن ولا عجز فاحفظ ما أوصيك به
يدم صلاح حالك دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى اليهم على ما هم عليه لا تكفهم
عن رأيهم فان أولئك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تحلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحى من مضر فانت أولى بهم منى
فألن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحى من مدج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا
عنك شأنهم وأزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا
لا ينقصك ولن تفعل انك والله ما علمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع الى ما هو سابق عنك والله موفقت
فعمل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى
دور الخاريجة فهدمها ونهب أموالهم ومجن ذرارهم فنصبوا له الحرب وهم وبالنهوض اليه فلما علم أنه لا قوة له بهم
أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية وأن ينصب لهم جسر اتقيوس يجوزون عليه ولا يدخلون
الفسطاط ففعلوا ولحقوا بجمع على رضى الله عنه ومعاوية على الحكيمين اغفل على أن يشترط على
معاوية أن لا يتاقل أهل مصر * فلما انصرف على الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى
الله عنه في جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام
الفسطاط وتقيب محمد بن أبي بكر فأقبل معاوية بن خديج في رهط من بعينه على من كان يمشى في قتل عثمان وطلب
ابن أبي بكر فدلته عليه امرأه فقال احفظوني في أبي بكر فقال معاوية بن خديج قتلت ثمانين رجلا من قومي في
عثمان واتركك وانت صاحب قتلته ثم جعله في جيفة جبار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة
اشهر ومقتله لاربعة عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين * ثم ولي عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل
بولاية هذه الثانية شهر ربيع الاول وجعل اليه الصلاة والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة
بعد عطاء جندها والتفقه على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقتل
خاريجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فأقام بها وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على رضى الله
عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهم وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فغضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل
على بن أبي طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية وكثير من
أهلها علوية فللمامات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الأزدي على صلاتها فلم يزل
أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاه يزيد بن معاوية حتى مات يزيد في سنة أربع
وستين ودعا عبد الله بن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر في امره وظهر وادعوته وكانوا يحسبونه
على مذهبهم وأؤفدوا منهم وقد اى اليه فسار منهم نحو الالف من مصر وسألوه أن يبعث اليهم بأمر يقومون معه
ويوازيونه وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشرف مصر يقولون ماذا ترى من الحب أن هذه
الطائفة المكتبة تأمر فينا ونهوى ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر *
وكان أول من قدم مصر رأى الخوارج حمر بن الحارث بن قيس المذبحي وقيل حمر بن عمرو ويكنى بأبي
الورد وشهد مع على صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحزبية النهر وانفج وصر الى مصر رأى الخوارج
واقام بها حتى خرج منها الى ابن الزبير في اماره مسلمة بن مخلد الانصارى على مصر * فللمامات يزيد بن معاوية
وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة بعث الى مصر بعبد الرحمن بن جحدم القهرى فقدمها في طائفة من الخوارج فوثبوا
على سعيد بن يزيد فاعتزلهم واستقر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها ومن قدم من مكة فأظهروا في مصر
التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب ناس من شيعة بنى أمية منهم كريب بن
ابرهه ومقسم بن بجرة وزباد بن حناطة التميمي وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف
علوية وعثمانية وخوارج * فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذى القعدة سنة أربع وستين كانت
شيعة من أهل مصر مع ابن جحدم فكاتبوه سرّا حتى أتى مصر في أشرف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان
في جيش الى ايله ليدخل من هنالك مصر وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فحضر الخندق في شهر وهو الخندق الذى
بالقرافة وبعث بمراكب في البحر ليخالف الى عيالات أهل الشام وقطع بعثا في البر وجهر جيشا آخر الى ايله

لمنع عبد العزيز من المسير منها ففرقت المراكب ونجبا بعضها وانهمزت الجيوش ونزل مروان عين شمس
نفرج اليه ابن بجدم في أهل مصر فتحاربوا واستحضر القتل فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان كريب بن ابرهة
وعباس بن سعيد وزباد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا في الصلح بين أهل مصر وبين
مروان فتم ودخل مروان الى القسطنطينية لثلاثة اشهر وسكن في كنانة وكان له ابن بجدم
تسعة اشهر ووضع العطاء فبايعه الناس الا نفر من المغافري قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا
قدمهم رجلا رجلا فاضرب أعناقهم وهم يقولون انا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته
وضرب عنق الاكدر بن حاتم بن عامر سيدنهم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكان ابن تار الى
عثمان رضي الله عنه فتنادى الجند قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة
على ثلاثين ألفا وخشي مروان واغلق بابه حتى أتاه كريب بن ابرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند
انصرفوا أنا له جار فاعطف أحد منهم وانصرفوا الى منازلهم وكان للنصف من جنادى الآخرة يومئذ مات
عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن
حينئذ غلبت العمالية على مصر فظاهروا فيها بسب علي رضي الله عنه وانه كفت السنة العلوية
والخوارج * فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسي على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة تسعين
خرج الى الاسكندرية في سنة احدى وتسعين فتعاقدت السراة من الخوارج بالاسكندرية على
القتل به وكانت عدتهم نحو من مائة فمعدوا الرئيسهم المهاجر بن أبي المنثي التميمي أحد بني فهم عليهم
عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرة ما عزمو عليه فأقن لهم قبل أن يتفرقوا فأمر
بجسهم في اصل منارة الاسكندرية وأحضر قرة وجوه الجند فسألهم فأقرؤا فقتلهم ومضى رجل
من كان يرى راهم الى أبي سليمان فقتله فكان يزيد بن أبي حبيب اذا أراد أن يتكلم بشئ فيه تقية من السلطان
تلفت وقال احذروا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان * فلما قام عبد الله بن يحيى
الملقب بطالب الحق في الحجاز على مروان بن محمد الجعدي قدم الى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له الناس من
تجيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عناية صاحب الشرطة فاستخرجهم فقتلهم حوثة بن سهيل الباهلي أمير
مصر من قبل مروان بن محمد فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية بيني العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة
جندت جرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون علي بن أبي طالب ويتبرؤن منه وصاروا
منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الاطائفة كانت بناحية الواحات
وغيرها فانهم أقاموا على مذهب الرواية دهرًا حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة * فلما
كان في اماره جند بن حطبة على مصر من قبل أبي جعفر المنصور قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب داعية لايه وعمه فذكر ذلك لجند فقال هذا كذب ودم اليه أن تغيب ثم بعث
اليه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبي جعفر المنصور فعزل جندا وخط عليه في ذي القعدة سنة أربع
وأربعين ومائة وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم
الناس بها وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وهو أول علوي قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد
ابن ربيعة بن حبيش الصدي وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر الدار
في قتل عثمان رضي الله عنه فاستنار خالد أصحابه الذين بايعوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد بن حاتم
في العسكر وكان الأمر قد صار وامتد قدمت عساكر بني العباس ينزلون في العسكر الذي بنى خارج القسطنطينية
من شماله كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجهم
في الجامع فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشي على العمالية وخرج منهم رجل قد شهد أمرهم حتى أتى الى عبد
الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على القسطنطينية فخبره أنهم اليه ليخرجون فضى عبد الله الى
يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ما كان لعشر من شوال سنة خمس وأربعين ومائة فانهمزوا
ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة من السنة المذكورة الى مصر
ونصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره وجل علي بن محمد الى أبي جعفر المنصور وقيل انه

اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طره فرض بها ومات فقبه هناك وحل عسامة الى العراق فحبس الى أن رده المهدي محمد بن أبي جعفر الى مصر وما زالت شيعة علي بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر يا مرفيه بأخراج آل أبي طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى الخنزي أمير مصر وفرق فيهم الاموال لتجملوا بها وأعطى كل رجل ثلاثين ديناراً والمرأة خمسة عشر ديناراً فخرجوا العشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين وقد مروا العراق فأخرجوا الى المدينة في شوال منها واستمر من كان بمصر على رأي العلوية حتى ان يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلاً من الجند في شيء وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الاعضا عنه فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندي مائة سوط فضر بها وحل بعد ذلك الى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتبع يزيد الرافض فحملهم الى العراق ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب انه يبيع له فأحرق الموضع الذي كان به وأخذاه فأقر على جمع من الناس بابعوه فضر بعضهم بالسياط وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب الى العراق في شهر رمضان ومات المتوكل في شوال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر فورد كتابه الى مصر بان لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرساً ولا يسافر من القسطنطين الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر في ربيع الآخر وقام المستعين فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبين الى العراق في رمضان سنة خمس مائتين ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة إحدى وخمسين وخروج جابر بن الوليد المدبلي بأرض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليه كثير من بني مدج فبعث اليه محمد بن عبيد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فنهزمهم وظفر بما معهم وقوى امره وأناه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يولى اليه بشدة ونجدة فكان بمن اتاه عبد الله المريسي وكان لصا خبيثاً ولحق به جريح النصراني وكان من شرار النصاري وأولى بأسهم ولحق به أبو حرملة فرج النوبختي وكان فاتكاً فقد له جابر على سنوور وسخا وشرقيون وبنافضي أبو حرملة في جيش عظيم فأخرج العمال وجي الخراج ولحق به عبد الله بن احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب الذي يقال له ابن الارقط فقوده أبو حرملة وضم اليه الاعراب وولاه بنا وبوصير ومنود فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك في جادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتل منهم ثم بثوا له فانهزم وقتل من أصحابه كثيراً منهم كثير ولحق ابن الارقط بأبي حرملة في شرفيون فصار الى عسكر يزيد فانهزم أبو حرملة وقدم من احم بن خاقان من العراقي في جيش فخار بآب حرملة حتى أسرى في رمضان واستأمن ابن الارقط فأخذ وأخرج الى العراق في ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ففر منهم ثم ظفروا به وحبس ثم حل الى العراق في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على احمد بن طولون ومات أبو حرملة في السجن لاربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأخذ جابر بعد حروب وحل الى العراق في رجب سنة أربع وخمسين وخروج في امره أرجون التركي رجل من العلويين يقال له بغا الاكبر وهو أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن اسماعيل ابن ابراهيم بن حسن بن حسين بن علي بالصعيد فخار به اصحاب أرجون وفر منهم فأتى ثم خرج بغا الاصغر وهو احمد ابن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين والامير يومئذ أحمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل في الحرب واتى برأسه الى القسطنطين في شعبان وخروج ابن الصوفي العلوي بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ودخل اسنا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين ونهبها وقتل أهلها فبعث اليه ابن طولون بجيش فخار به فنهزمهم في ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقيا باخيم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي وترك جميع ما معه وقتل رجاله فأقام ابن الصوفي بالواح ستين ثم خرج الى الاشمونين في المحرم سنة تسع وخمسين وسار الى اسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري فظفر به العمري وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق ابن الصوفي بأسوان فقطع لاهلها ثلجاً ثمانية آلاف شذلة فبعث اليه ابن طولون بغا فاضطرب امره مع اصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وحل الى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه

فصار الى المدينة ومات بها * وفي اماره هارون بن بخاريه بن احمد بن طولون انه ~~كرر~~ رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثبت اليه العاقبة فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين * وفي اماره ذكا الاعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثمانمائة الى دار ذكا تشكرونه على ما أذن لهم فيه فوثب الجند بالناس فنبه قوم وجرح آخرون ومحي ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس في المسجد والأسواق وافطر الجند يومئذ وما زال امر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة خمس وثمانمائة ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كاشوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيها جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية والابطشوا به وشكوه ثم ~~كرر~~ القول معاوية خال على * وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العاقبة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خال وخال المؤمنين وكتب الوحي ورد بف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن ما يقولونه والافقد كانوا يقولون معاوية خال على * من هاهنا ويشيرون الى أصل الأذن ويلقون أبا جعفر مسلما الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه وكان بمصر اسود يصيح دائما معاوية خال على فقتل بتيس أيام القائد جوهر * ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المصريين في شوال فلقوا كافورا الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر ونهبوا وصاحوا معاوية خال على * وسأله أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبين * وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملقب ينسب الى التشيع فضرب مائتي سوط ودره ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودره وجعل في عنقه غل وحبس وكان يتفقد في كل يوم ثلاثا يخفف عنه ويصق في وجهه فمات في محبسه فحمل ليلادفن فحضت جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى القبر فنعهم جماعة من الاخشيدي والكافورية فأبوا وقالوا هذا قبر رافضي فنارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس * وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافورا الاخشيدي بأزالته فخذته جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال ما أحدث في أيامي ما لم يكن وما كان في أيام غيري فلا أزيله وما كتب في أيامي أزيله ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها * ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله الى مصر وبني القاهرة اظهر مذهب الشيعة واذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حتى على خير العمل وأعلن بتفضيل على بن أبي طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عياش بن شد في الطريق فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال على * وخال المؤمنين فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع فنادى أيها الناس أقفوا القول ودعوا الفضول فانما حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقن أحد الا حلت به العقوبة الموجهة ثم أطلق العجوز * وفي ربيع الاول سنة اثنتين وستين عزز سليمان بن عمرو المختبب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال على بن أبي طالب فهم جوهر أن يحرق رجة الصيارفة لكن خشي على الجامع وأمر الامام بجمع مصر أن يجهر بالسملة في الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية وأمر في الموارث بالردة على ذوى الارحام وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى الا الزوج أو الزوجة أو الابن والجدة ولا يرث مع الأم الا من يرث مع الولد وخاطب أبو الطاهر محمد بن احمد قاضي مصر القائد جوهر في بنت واخ وانه كان حكم قديما للبنت بالنصف والاخ بالباقي فقال لا افعل فلما ألح عليه قال يا قاضي هذا عداوة لفاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد في ذلك وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضي وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر * ولما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان سنة اثنتين وستين وثمانمائة فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر خيرا للناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام * وفي صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة جلس علي بن النعمان للقاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاعتصار وكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين * ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزير بالله نزار بن المعز رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجمعهم الارزاق وألف كتابا في الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات وكان يجلس أيضا في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقراء والنجاة واصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فإذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه وجعل للفقهاء في شهر رمضان الاطعمة وألف كتابا في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو محبوب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري ملكته ووقفت عليه وهو يستقل على فقه الطائفة الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأفتى الناس به ودرّسوا فيه بالجامع العتيق وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم في كل شهر وأمر لهم ببناء دار إلى جانب الجامع الأزهر فإذا كان يوم الجمعة تخلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلي صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلق عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحلهم على بغال * وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية * وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله * وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولاخيه بمصر ولاخيه بالمغرب فمات في الزجة أحد عشر رجلا * وفي جنادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا عرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو في السجن أربعة من الشهود وسأله فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مرسل وسئل عن علي بن أبي طالب فقال لا عرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر بإحضاره فخلاه ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة علي بن أبي طالب فطوّل الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب * وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا وشهروا على الجبال وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلبوا صلاة الفجر * وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة قرئ سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزناز وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين وأن يشدوا الزناز وفه وقوع وغش في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ما قرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا المحببة كانت لمعاوية بن أبي سفيان ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجرير المنسوبة لعائشة رضي الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة إلى المتوكل والمنع من بحين الخبز بالرجل والمنع من أكل الدليس ومن ذبح البقر إذا عاهة ما عدا أيام النحر فإنه يذبح فيها البقر فقط والوعيد للنخاسين متى باعوا عبدا أو أمة لذمى وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر في أول الساعة التاسعة وقرئ أيضا سجل بالمنع من عمل الفساق ويعم في الاسواق لما يؤثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كراهية شرب الفساق وضرب في الطرقات والاسواق بالحرس ونودي أن لا يدخل أحد الحمام الا بمئذنة ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا في الحمام بغير مئذنة فضرروا وشهروا * وكتب في صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوائت والحجر وعلى المقابر والصعرا سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالأصباغ والذهب وعلى ذلك على أبواب الدور والقياسر وأكره الناس على ذلك وتسارع الناس إلى الدخول في الدعوة فجلس لهم قاضي القضاة عبيد

العزير بن محمد بن النعمان فقدموا من سائر النواحي والضياع فكان للرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعاء ولا شراف وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء * ولما وصلت قافلة الحاج منيهم من سبب العاقبة وبطشهم مالا يوصف فانهم ارادوا حمل الحاج على سبب السلف فأبوا فخل بهم مكروه شديد * وفي جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القراء وحلت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القراء والفقهاء والتجيمون والنحاة واصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم يرمثه مجتمعا وأجرى على من فيها من الخدام والفقهاء الارزاق السنوية وجعل فيها ما يحتاج اليه من الخبر والاقلام والخباز والورق * وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثمائة كان من اجتماع الناس ما جرت به العادة وأعلن بسبب السلف فيه فقبض على رجل نودى عليه هذا جزاء من سبب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم ومعه من الرعاع مالا يقع عليه حصروهم يسبون السلف فلما تم النداء عليه ضرب عنقه واستهل شهر رجب من هذه السنة بيوم الاربعاء فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرخ بيوم الثلاثاء وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع لمخالفتهم الامر وشهروا * وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحوما كتب على المساجد وغيرها من سبب السلف وطاف متولى الشرطة وألزم كل أحد بمحوما كتب على المساجد من ذلك ثم قرئ سجل في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بأن لا يحمل شيء من النيذ والمزور ولا يتظاهره ولا يشئ من الفقاع والدليس والسمك الذي لا تشتره والترمس العفن وقرئ سجل في رمضان على سائر المنابر بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الخمس الذين فيها جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عن ما يذفعون يخمس في التكبير على الجنائز الخمسون ولا يمنع من التربع عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذون من بها لا يؤذون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والخالف منهم بما خالف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده والى الله ربه معاده عنده كتابه وعليه حسابه * وفي صفر سنة أربع مائة شهر جماعة بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والموخيا والدليس والترمس * وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوى وابطل قراءة مجالس الحكمة في القصر وأمر بردة التشويب في الاذان واذن للناس في صلاة الضحى وصلاة التراويح وأمر المؤذنين بأسرهم في الاذان بأن لا يقولوا حى على خير العمل وأن يقولوا في الاذان للفجر الصلاة خير من النوم ثم أمر في ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة باعادة قول حى على خير العمل في الاذان وقطع التشويب وترك قواهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح وفتح باب الدعوة واعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المتع من ذلك والاذن فيه خمسة اشهر وضرب في جمادى من هذه السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسمك الذي لا قشره وشرب المسكرات وتبع السكرى فضيق عليهم * وفي يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة احدى واربع مائة وقع فائى القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى سائر الشهود والامناء بخروج الامر العظيم بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد * وفي شعبان سنة اثنين واربع مائة قرئ سجل يشدد فيه التكبر على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذي لا قشره ومنع النساء من الاجتماع في المآتم ومن اتباع الجنائز وأحرق الحاكم بأمر الله في هذا الشهر الزيب الذي وجد في مخازن التجار وأحرق ما وجد من الشطرنج وجمع صيادى السمك وحلفهم بالايمان المؤكدة أن لا يصطادوا وسمكا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق في خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة زيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الأربعة ارباطا فادونها ومنع من اعتصامه وطرح عنبا كثيرا في الطرقات وأمر بدوسه فامتنع الناس من التظاهر بشئ من العنب في الاسواق واشتد الامر فيه وغرق منه ما حل في النيل وأحصى ما بالجيزة من الكروم فقطف ما عليها من العنب وطرح ما جمعه من ذلك تحت أرجل البقر لدوسه وفعل مثل ذلك في جهات كثيرة وختم على مخازن العسل وغرق منه في أربعة أيام

خمسة آلاف جرة واحد وخمسين جرة فيها العسل وغرق من عسل النحل قدر احدى وخمسين زيرا •
وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة اشتد الانكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزيب والسبك الذي
لا قشر له وقبض على جماعة وجد عندهم زيب فضربت أعناقهم وصنعت عدة منهم واطلقوا • وفي شوال اعتقل
رجل ثم شهور فودى عليه هذا جزاء من سب أبابكر وعمر وشيرا فقتل فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا
لا طاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولا صبر لنا على ما جرى وكتبوا قصصا فصرخوا
ووعدوا بالجحى • في غد فبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا ونجوا فخرج اليهم قائد القواد
غين فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا الى معاشهم فانصرفوا الى قاضي القضاة
مالك بن سعيد الفارقي وشكوا اليه قتلهم من ذلك فخصوا وفيهم من بسب السلف ويعترض بالناس فقرئ سجل
في القصر بالترحم على السلف من الصحابة والنبي عن الخوض في ذلك وركب مرة قرأى لوحا على قيسارية فيه سب
السلف فأنكره وما زال واقفا حتى قلع وضرب بالحرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ سجل بتبعية الألواح
المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخلانات والأرباع المشتتة على ذكر الصحابة والسلف
الصالح رحيم الله بالسب واللعن وقلع ذلك وكسره وتغصية أثره ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة وإزالة
جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح وحذرفيه من المخالفة وهدد بالعقوبة
ثم انتقض ذلك كله وعاد الأمر الى ما كان عليه الى أن قتل الخليفة الأمر بأحكام الله أبو علي منصور
ابن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم مذكور أبو علي أحمد الملقب بكتيفات
ابن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن
الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بمذهب
الامامية والدعوة للإمام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الإمام محمد ورتب في سنة خمس
وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما امامي والاخر اسماعيلي واثنان أحدهما مالكي والاخر
شافعي • فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل
من الأذان حتى على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر فلما قتل في الحرم سنة ست وعشرين عاد الأمر
الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية وما برح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي
من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولى وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الأمير
يوسف بن الحافظ لدين الله ومات فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وشرع في تغيير الدولة وإزالتها وجرى على العاضد وأوقع
بأمراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف
قضاة مصر الشيعة كلهم وقوض القضاء لصدور الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي فلم يستتب عنه
في إقليم مصر الأمن • كان شافعي المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعي واختفى
مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل
نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر حنفيافيه تعصب فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد
الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم اليها أيضا عدة من بلاد الشرق وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة وما زال مذهبهم يتشرويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ
• وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين جل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري
تلميذ أبي علي الجبائي وشرط ذلك في أوقافه التي بدار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعي من
القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفة بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة
بالصحية بمصر وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمرت الحال على عقيدة الأشعري بدار مصر وبلاد الشام
أرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأى الأشعري اليها حتى انه صار هذا الاعتقاد
بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والأمر على ذلك الى اليوم ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر
كثير من مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها • فلما كانت

سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى - ولّى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعى - ومالكى - وحنفى - وخنبلى -
فاستقر ذلك من ستة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب
أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعرى - وعلمت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط
فى سائر ممالك الاسلام وعودى من مذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم
للخطابة والامامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وافقى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه
المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم واذ قد بينا الحال فى سبب
اختلاف الامة منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن استقر العمل على مذهب مالك والشافعى وأبى
حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلذلك ذكر اختلاف عقائد أهل الاسلام منذ كان الى أن التزم الناس
عقيدة الشيخ أبى الحسن الاشعرى - رحمه الله ورضى عنه

*** (ذكر فرق الخليفة واختلاف عقائدها وتباينها) ***

اعلم أن الذين تكلموا فى أصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن اقتر بها * فأما المخالفون
لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى الدهرية * والثانية أصحاب العناصر * والثالثة النوبية وهم
المجوس ويقولون بأصلين هما النور والظلمة ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة هواهرمن ويقرون بنبوة
ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرانية أصحاب كيومرت الذى يقال انه آدم والزرروانية
أصحاب زروان الكبير والزرادشتية أصحاب زرادشت بن بيورشت الحكيم والنوبية أصحاب الاثنين الازليين
والمناوية أصحاب مائى الحكيم والمزركسية أصحاب مزركل الخارجى والبصانية أصحاب بيسان القاتل
بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على آبيه وانه تولد من فكرة فكرها فى نفسه
فلما خرج على آبيه الذى هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهم على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من
يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون أن النفوس العلوية تنفص
عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة الطبايعيون * والطائفة الخامسة الصابئة القائلون بالهياكل
والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الخنفاء مناظرات وحروب
مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم أصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب
وأصنامها التى علمت على تماثيلها والخنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها
بالفعل فها هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة
أصحاب كاظم بن تارح ومن قوله أن الحق فى الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم
السلام ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وأن النبوة من أسرار
الالهة ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن أرغشد ويقرون بنبوة نوح ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ويرون
أن الشمس اله كل اله والحزانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص فى رأى العين وهى المديرات
السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعائلة الفاضلة * والطائفة السادسة اليهود * والسابعة
النصارى * والثامنة أهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية
وأحكام وضعها الشلم اعظم حكماءهم والمهندم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة أصحاب برهام أقول من انكر
نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الزماد الذين يهجرن الذات الطبيعية وأصحاب الرياضة التامة
وأصحاب التناسخ وهم اقسام أصحاب الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكلابية أهل الجبل ومنهم
الطبيسون أصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده فيصعد فى الهواء
على قدر قوته وفى اليهود عباد النار وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان * والطائفة التاسعة
الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة الفلاسفة أصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب
الحكمة فان فيلومحب وسوفا حكمه والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انهم صرف أربعة انواع الطبيعى
والمدنى والرياضى والالهى والمجموع ينصرف الى علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب فيه
ماهيات الاشياء هو الالهى والذى يطلب فيه كليات الاشياء هو الطبيعى والذى يطلب فيه كليات الاشياء

هو الرياضي ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة في كلام القدماء فأظهرها ورثها واسم
الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبيسيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة أصلاً
ويطلق أيضاً على العرب بوجه انقص وحكمتهم ترجع الى افكارهم والى ملاحظة طبيعة ويقتررون بالنبوات
وهم أضعف الناس في العلوم ومن الفلاسفة حكما الروم وهم طبقات فخرهم أساطين الحكمة وهم أقدمهم ومنهم
المشائرون واصحاب الرواق واصحاب أرسطو وفلاسفة الاسلام * فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين
الحكمة أهل ملطية وقونية وهم باليس الملقى وانكساغورس وانكسمالس وابناديس وفيثاغورس
وسقراط وافلاطون * ودون هؤلاء فلوطس وبقرات وديمقراطيس وأسقراطيس والنسافس * ومنهم حكما الاصول
من القدماء ولهم القول بالسمياء ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم
توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم فلذلك تركناها

* (القسم الثاني فرق أهل الاسلام) * الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ست فرق أمتي ثلاثا وسبعين
فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقرت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين
وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين
فرقة قال البيهقي حسن صحيح وأخرجه الحافظ ابن حبان في صحيحه نحوه فأخرجه في المستدرک من
طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وقال هذا حديث كثير في الاصول وقد روى
عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقد احتج مسلم
بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة * واعلم أن فرق
المسلمين خمسة أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وقد اختلفت كل فرقة منها على فرق فأكثر
اقتراح أهل السنة في القيا وبندسية من الاعتقادات وبقيت الفرق الأربع منها من يخالف أهل السنة الخلاف
البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان
معاف فقط وان الاعمال انما هي فراض الايمان وشرائعه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام
وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين بن غياث المريسي وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف وأقرب
مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح بن حي وأبعدهم الامامية وأما الغالية فليسوا بمسلمين واصحابهم
اهل ردة وشرك وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وأبعدهم الازارقة وأما البطيخية
ومن يحدشها من القرآن أو فارق الاجماع من العبادة وغيرهم فكفار باجتماع الامة وقد انحصرت الفرق
الهالكة في عشر طوائف

* (الفرقة الاولى المعتزلة) * الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها
عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده واصحابهم على أن الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة *
احداها الواصلة * أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم ولد
بالمدينة سنة ثمانين ونشأ بالبصرة ولقي أباهاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن
الحسين البصري وأكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقه فقيل له
الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتى عابه عمرو بن عبيد بن ذلك فقال من هذه عنقه لا خير
عنده فلبارع واصل قال عمرو رجعا اخطأت الفراسة وكان يبلغ بالراء ومع ذلك كان فصيحاً لساناً مقتدراً
على الكلام قد أخذ بجوامعها فلذلك امسكته أن أسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب
جداً لاسيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء أحد بدائع الكلام وكان لكثرة
صمته يظن به الخرم توفي سنة احدى وثلاثين ومائة قوله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب القيا وكتاب التوحيد
وعنه أخذ جماعة وأخباره كثيرة ويقال لهم أيضاً الحسينية نسبة الى الحسن البصري وأخذوا أصل العلم عن أبي
هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزله يدور على أربع قواعد هي نفي الصفات والقول
بالقدر والقول بمنزلة بين المنزلتين وأوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة فلما بلغ الحسن البصري عنه

هذا قال هؤلاء اعترفوا فاسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك ان عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعترف له في نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة القاعدة الرابعة القول بأن احدى الطائفتين من أصحاب الجبل وصفين مخطئة لابعينها وكان في خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * أصحاب عمرو ومن قوله ترك قول علي بن أبي طالب وطحمة والزبير رضى الله عنهم وقال ابن منبه اعترف عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * اتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ونظري في الفاسفة ووافقهم في كثير وقال جميع الطاعات من القرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهي أن علم الله وقدرته وحياته هي ذاته واثبت ارادات لا محل لها يكون الباري مريدا لها وقال بعض كلام الله لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كلاما مرويا والتهى وقال في امور الاسخنة كذهب الجبرية وقال تنتهي مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شيء ولا على افساء شيء ولا احياء شيء ولا امانة شيء وتقطع حركات أهل الجنة والنار ويصرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال يجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يزداد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لا تقوم فيما غاب الاجبر عشرين * والرابعة النظامية * اتباع ابراهيم ابن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة وأحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهي قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدر على الضرور والمعاصي وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وان كسر الجوهر الفرد وأحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ما هي عليه وأن الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر أن يكون الاجماع حجة وطعن في الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال قبحه الله أبوهريرة كذب الناس وزعم أنه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالى العربيات وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر وأحال رؤية الجن وزعم أن من سرق مائتي دينار فادونها لم يفسق وان الطلاق بالكناية لا يقع وان كان بنية وان من نام ضطجعا لا ينتقض وضوءه ما لم يخرج منه الحدث وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * اتباع أبي علي عمرو بن قانده الاسوارى القائل ان الله تعالى لا يقدر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * اتباع أبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وأنه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنايير وان كان هو الذى خلق أجسامها * والسابعة الجعفرية * اتباع جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان في فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والجوس وأسقط الحد عن شارب الخمر وزعم أن الصغار من الذنوب توجب بخليد فاعلمها في النار وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها فخافه فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * اتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جله أفعاله ثم هي تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللفظ المخزون وأن الله لم يخلقه لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعد الموقوع في الذى وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * اتباع أبي موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تليد بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له رهاب المعتزلة وانفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك في الربوبية ويجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد وزعم أن القرآن مما يقدر عليه وأن بلاغته وفصاحته لا ينجح الناس بل يقدر على الاتيان بمثلها وأحسن منها وهو أصل المعتزلة في القول بخلق القرآن وقال من أجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك في كفره كافر أيضا * والعاشرة الهشامية * اتباع هشام بن عمرو القوطى الذى يبالغ في القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال

حتى انه انكر ان يكون الله هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين وانه يجب الايمان بالله ومثني وانه أضل الكافرين وعاند ما في القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة في زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقين ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو أسبغ أحد الوضوء ودخل في الصلاة بنية القرية لله تعالى والعزم على اتمامها ورع ومجد مخلصا في ذلك كله الا ان الله علم أنه يقطعها في آخرها فان أول صلواته معصية ومنع أن يكون البحر انطلق لموسى وأن عصاه انقلبت حبة وأن عيسى أحبي الموقى بأذن الله وأن القمر انشق للنبي صلى الله عليه وسلم وانكر كثير من الامور التي تواترت تحصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتله بالغبلة وقال انما جاءته شر ذمة قبيله تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدري قاتله وقال ان طلمة والزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما جاءوا للقتال في حرب الجمل وانما برزوا للمشاوراة وتقاتل أسباع القرين في ناحية أخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فاما اذا عصت وفجرت وقتلت واليهافلا تنعقد الامامة لاحد وبني على ذلك أن امامة علي رضي الله عنه لم تنعقد لانها كانت في حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو أيضا مذهب الاصم وواصل بن عطاء وعمر بن عبد وانكر اقتضاض الابكار في الجنة وانكر أن الشيطان يدخل في الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسه الى قلب ابن آدم وقال لا يقال خلق الله الكافر لانه اسم العبد والكفر جميعا وانكر أن يكون في اسماء الله الضار النافع * والحادية عشر الحاطية * اتباع أحد بن حائط أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام وله بدع شنيعة منها أن للخلق الهين أحدهما خالق وهو الاله القديم والاخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم وزعم أن المسيح ابن الله وانه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وانه هو المعنى بقول الله تعالى في القرآن هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وزعم في قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أن معناه خلقه اياه على صورة نفسه وان معنى قوله عليه السلام انه لكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما أراد به عيسى وزعم أن في الدواب والطيور والحشرات حتى البق والبعوض والذباب انبياء لقول الله سبحانه وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم أن الله ابتدأ الخلق في الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية وطعن في النبي صلى الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه وقال ان أباذر الغفاري انسلك وأزهد منه فبجه الله وزعم أن كل من نال خيرا في الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض او آفة فيذهب كان منه وزعم أن روح الله تناسخت في الامة * والثانية عشر الجارية * اتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم ومن مذهبهم أن المسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر واجب المعرفة وهو لا فاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك في خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعيين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة * والثالثة عشر المعمرية * اتباع معمر بن عباد السلي وهو أعظم القدرة غلوا وبالغ في رفع الصفات والقدرة بالجله وانفرد بمسائل منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولا ذى لون وتأليف وحركة ولا حال ولا ممكن وان الانسان شيء غير هذا الجسد وهو حي عالم قادر مختار وليس هو بمنحترك ولا ساكن ولا متلون ولا يرى ولا يمس ولا يحل موضوعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الإلهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم أن الانسان منعم في الحياة وموزر في النار وليس هو في الجنة ولا في النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وأن الاعراض لا تتناهى في كل نوع وأن الارادة من الله للشيء غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشر التمامية * أسباع تمامية بن أشرس النخري وجع بين النفاض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بأمور بها وهو كالبهايم ونحوها وزعم أن اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالهايم لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم أن الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وأن العقل هو الذي يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع

وأن لا فعل للإنسان إلا الإرادة وما عداها فهو حدث * والخامسة عشر الجاحظية * أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميزها عن أصحابه منها أن المعارف كلها ضرورية وليس شيء من ذلك من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الإرادة وان العباد لا يخلدون في النار بل يصبرون من طبيعتها وان الله لا يدخل أحدا النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى وان الله يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشر الخياطية * أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو والخياط شيخ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد زعم أن المعدوم شيء وانه في العدم جسم ان كان في حدوته جسما وعرض ان كان في حدوته عرضا * والسابعة عشر الكعبية * أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد انفرد بأشياء منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مدبر لذاته ولا ارادته حادثة في محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضا وانكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المربيات فانما ذلك يرجع الى علمها وتمييزها قبل أن توجد * والثامنة عشر الجبائية * أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة انفرد بمقالات منها أن الله تعالى يسمى مطيعا للعباد اذا فعل ما أراد العبد منه وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وأن كلام الله عرض يوجد في امكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير أن يعدم من مكانه الأول ثم يحدث في الثاني وكان يقف في فضل علي - علي أبي بكر وفضل أبي بكر علي علي - ومع ذلك يقول ان أبا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشية * أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي انفرد ببدع في مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم أن القادر متجاوز أن يحلوا عن الفعل والتترك وأن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلا ولا ترك يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما أمر به وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لا تصح مع قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقد قبيحا وان كان حسنا وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه وان توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح وزعم أن الطهارة غير واجبة وانما أمر العبد بالصلاة في حال كونه متطهرا وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولا تجزئ الصلاة في الارض المغصوبة وزعم أن الزنج والتارك والهناد قادرون على أن يأثروا بمنزل هذا القرآن وقال أبو علي - وابنه أبو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية * أتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شاركا من المعتزلة والروافض في بدعهم وقلبا يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا قليلا منهم انفرد بباطلة وهي أن الله لا يعلم الشيء الا ما قدره وأراده وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يتختمهم ويختبرهم وللمعتزلة اسام منها الشنوية سمو بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكسية والاحدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سمو بذلك لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أدخل النار لا يخرج منها قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لا تحرق الا مرة والمقنية القائلون بفناء الجنة والنار والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن ومنهم اللقضية القائلون ألقاها القرآن غير مخلوقة والمتزقة القائلون الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر

* (الفرقة الثانية المشبهة) * وهم يغفلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * أتباع هشام بن الحكم ويقال لهم أيضا الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السيكة الصافية يتسلا من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة اشبار يشرب نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل * والجولقية * أتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة أيضا ومن شنيع قوله أن الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله شعر أسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر

أسود لا الفرج واللحية * والبيانبة * أتباع بيان بن سميعان القائل هو على صورة الانسان وبهالك كله
 الاوجهه لظاهر الآية كل شئ هالك الاوجهه * والمغيرة أتباع مغيرة بن سعيد الجعلي وهو أيضا من
 الروافض ومن شئنا قوله أن أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم أنه
 رجل من نور على رأسه تاج من نور وزعم أن الله كتب بأصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما
 وغضب من معاصيهم فغرق فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح وزعم أنه بكل مكان لا يخلو عنه مكان *
 والمنهالية أصحاب منهل بن ميمون * والزارية أتباع زرارة بن أعين * واليونسية أتباع يونس
 ابن عبد الرحمن القمي وكلهم من الروافض وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم أيضا السائية والشاكية
 والعملية والمستنئية والبدعية والعشرية والأتربة ومنهم الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني
 وهم طوائف الهضيبة والاشقاقية والجنديّة وغير ذلك الا أنهم يعدون فرقة واحدة لأن بعضهم لا يكفر
 بعضا وكلهم مجسمة الا أن فيهم من قال هو قائم بنفسه ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات ومن
 قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد وهو قول لاله الا الله وسواء اعتقدوا ولا وزعموا أن الله جسم وله حد
 ونهاية من جهة السفلى ويجوز عليه ملافاة الاجسام التي تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل
 الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والسموعات وأن الله لو علم أحدا من عباده لا يؤمن به
 لكان خلقه اياهم عبدا وانه يجوز أن يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لا يوجب
 حدة ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى أن ياتر الرسل وانه يجوز أن يكون اماما في وقت واحد وأن عليا
 ومعاوية كانا امامين في وقت واحد الا أن عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها وانفرد ابن كرام
 في الفقه بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان واجاز الصلاة في ثوب مستغرق في النجاسة
 وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام وأن النية تجب
 في النوافل وانه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض الكرامية
 أن الله علم أحدهما يعلم به جميع المعلومات والاخر يعلم به العلم الاول
 * (الفرقة الثالثة القدريّة) * الغلاة في اثبات القدرة للعبد في اثبات الخلق والايحاد وانه لا يحتاج في ذلك
 الى معاونة من جهة الله تعالى

* (الفرقة الرابعة المجبرة) * الغلاة في نفي استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفي الاختيار له ونفي الكسب
 وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افرقت المجبرة على ثلاث فرق * الجهمية أتباع جهنم بن صفوان الترمذي
 مولى راسب وقتل في آخر دولة بني أمية وهو ينفي الصفات الالهية كلها ويقول لا يجوز أن يوصف البارئ
 تعالى بصفة يوصف بها خلقه وان الانسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة
 والنار يفتيان وتنقطع حركات أهلها وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يـ يـ فـ لان العلم لا يزول
 بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة في نفي الاستطاعة وكفروه أهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن
 ونفي الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره *
 والبهائية أتباع بكرا بن أخت عبد الواحد وهو يوافق النظام في أن الانسان هو الروح ويرزعه أن البارئ
 تعالى يرى في القيامة في صورة يخلقها ويكلم الناس منها وأن صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من
 النار وحاله أسوأ من حال الكافر وحرم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرائرية
 أتباع ضرار بن عمرو وانفرد بأشياء منها أن الله تعالى يرى في القيامة بجاسة زائدة سادسة وان كـ قـ رـ أـ بـ
 مسعود وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلمهم كـ فـ أـ رـ زـ عـ مـ أن الجسم أعراض مجمعة كما قالت التجارية
 ومن جملة المجبرة البطيحية أتباع اسماعيل البطيحي والصباحية أتباع أبي صباح بن معمر والفكرية
 والخوفية

* (الفرقة الخامسة المرجئة) * الارباء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي
 الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضرك مع الايمان معصية كما أنه لا يتق مع الكفر طاعة أو يكون مشتقا من
 الارباء وهو التأخير لانهم أخرأوا حكم اصحاب الكبار الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة في اثبات الوعد

والرجاء ونفى الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة اصناف * صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وأبو
 شمر من بني حنيفة * وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان * وصنف قال بالارجاء المحض وهم
 أربع فرق * اليونسية أتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي زعم أن الايمان
 معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بأنه واحد ليس كمثل شيء * والغسانية أتباع غسان بن أبان الكوفي
 المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيباني ومذهبه في الايمان كذهب يونس الا انه يقول
 كل خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم
 غسان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص وعند أبي حنيفة رجه الله الايمان معرفة بالقلب وقرار باللسان فلا يزيد
 ولا ينقص بقرص الشمس * والثوبانية أتباع ثوبان المرحي ثم الخارجي المعتزلي وكان يقال له جامع
 النقائق هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب في العقل فعبده
 فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك * والتؤمنية أتباع أبي معاذ
 التومني الفيلسوف زعم أن من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم أن
 هذه الخصال التي تكون جلاء ايمانها فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان وأن من قتل نبيا كفر لا لاجل
 القتل بل لاستخفافه به وبغضه له * ومن فرق المرجئة الرئيسية أتباع بشر بن غياث المريسي كان عراقيا
 المذهب في الفقه تلمذ للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي وقال بنى الصفات وخلق القرآن فأكفرته الصفاتية
 بذلك وزعم أن افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فأكفرته المعتزلة بذلك وزعم أن الايمان
 هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الربودي ولما نظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفى الصفات قال له
 نصفك كافر أقولك بخلق القرآن ونفى الصفات ونصفك مؤمن أقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتباب العباد وبشر
 معدود من المعتزلة لنفسه الصفات وقوله بخلق القرآن * ومن فرق المرجئة الصالحية أتباع صالح بن عمرو بن صالح
 والجدريه أتباع جدر بن محمد التميمي والزيادة أتباع محمد بن زياد الكوفي والشيبية أتباع محمد بن شبيب
 والنساقسية والبهشية * ومن المرجئة جماعة من الأئمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة
 ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وجاد بن سليمان وأبي مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في أنهم
 لم يكفروا بالكفار ولا حكموا بتخليد مرتكبهم في النار ولا سبوا أخدام من الحماية ولا وقعوا فيهم * وأول
 من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن علي بن أبي طالب وتكلم فيه وصارت
 المرجئة بعده أربعة أنواع الأول مرجئة الخوارج الثاني مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع
 مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتبه الى الامصار يدعو الى الارجاء الا انه لم يؤخر
 العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الايمان لا يزول بزوالها
 وقال ابن قتيبة أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزني وذكر بعضهم أن أول من وضع
 الارجاء أباسلت السمان ومات سنة اثنتين وخسين ومائة

* (الفرقة السادسة الحرورية) * الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد في النار
 مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات
 والوعد والوعيد ومن مفرداتهم أن من ارتكب كسيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر
 وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافي في الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب
 الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يتخلد في النار واتفقوا على أن الايمان
 هو اجتناب كل معصية وقبل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 وعدتهم اثنا عشر ألفا ثم سار على رضي الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم اليهم جماعة
 حتى بلغوا اثني عشر ألفا

* (الفرقة السابعة التجارية) * أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله البخاري عبد الله كان حائكا وقيل انه
 كان يعمل الموازين وانه كن من أهل قم كان من جملة الجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات
 منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بجمته رفسه النظام وقال له قم أخرى الله من نسبك الى شيء من العلم والفهم

فانصرف مجموعا واعتدل حتى مات وهم الكتومة معتزلة الرى وجهاتها وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر واقدروا ككتاب العباد وفي الوعد والوعيد وامامة أبي بكر رضى الله عنه ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن وفي الرؤية وهم ثلاث فرق البرغمية والزعفرانية والمستدركة
* (الفرقة الثامنة الجهمية) * أتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والتقدير مع ميل الى الجبر ويتفون الصفات والرؤية ويقولون بخالق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم في المعطلة المجبرة

* (الفرقة التاسعة الروافض) الغلاة في حب علي بن أبي طالب وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية في آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وسموارافضة لان زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وقال هما وزير ابنتي محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس في الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى انه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال العباسية والربوبية أتباع أبي هريرة الربوبية وقيل أتباع ابي العباس الربوبية هو العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم وقال العثمانية وبنو أمية وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو علي بن أبي طالب ثم اختلفوا في الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منهم عشرين فرقة * الزيدية والصباحية اقرروا امامة ابي بكر رضى الله عنه ورأوا انه لانص في امامة علي رضى الله عنه واختافوا في امامة عثمان رضى الله عنه فانكروا بعضهم وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن قالوا علي أفضل من أبي بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو علي بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا امامة علي فقط وقال آخرون نص علي بن أبي طالب لابن علي والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدي المنتظر وقرقهم العشرون هي الامامية وهم محتلفون في الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم اكثرهم أن الامامة في علي بن أبي طالب وأولاده بنص النبي صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الاعيا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة * وأول من تكلم في مذهب الامامية علي بن اسماعيل بن هيثم التماري وكان من أصحاب علي بن أبي طالب وذهب القطعية منهم الى أن الامامة في علي بن الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم في محمد بن علي ثم في جعفر بن محمد ثم في موسى بن جعفر ثم في علي بن موسى وقطعوا الامامة عليه فسيروا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد بن علي بن موسى وقالت النساووسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حي ينتظر وقالت المباركية أتباع مباركة الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل وقالت الشيعية أتباع يحيى بن شبيب الاحمسي كان مع المختار قائد من قواده فافذه أمير اعلى جيش البصرة يقاتل مصعب بن الزبير فقتل بالمدار الامامة بعد جعفر بن محمد وأولاده وقالت المعبرية أتباع معمر الامامة بعد جعفر بن محمد بن جعفر وأولاده ويقال لهم القطعية لان عبد الله بن جعفر كان اقطع الرجلين وقالت الواقفية الامام بعد جعفر بن موسى بن جعفر وهو حي لم يمت وهو الامام المنتظر وسماوا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى وقالت الزرارية أتباع زرارة بن أعين الامام بعد جعفر بن عبد الله الا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسى بن جعفر من بعده وقاتل المفضلية أتباع المفضل ابن عمرو والامام بعد جعفر بن موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق العالم وتديره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى علي بن أبي طالب * والفرقة الثانية من فرق الروافض الكيسانية أتباع كيسان. ولى علي بن أبي طالب وأخذ عن محمد بن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفي الذي قام لاختار الحسين رضى الله عنه زعموا أن الامام بعد علي بن محمد بن الحنفية لانه أعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين أوصى اليه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا في الامام بعد ابن الحنفية فقال بعضهم رجع الامر بعده الى أولاد الحسن

والحسين وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقالت الكرية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفية حتى لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية أن البداجاز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي نور وقيل محمد بن أبي يزيد الاجدع ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق وهو أيضا من المشبهة وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الأئمة مثل علي وأولاده كلهم انبياء وأنه لابد من رسولين لكل أمة أحدهما ناطق والاخر صامت فكان محمد ناطقا وعلى صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور ولو اقيم وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعوية منهم الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا أن الدنيا لا تنقضي وان الجنة هي ما يصيبه الانسان من الخير في الدنيا والنار ضد ذلك وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وقالوا بالتساخي وان الناس لا يموتون وانما ترفع ارواحهم الى غيرهم وقالت البريعة منهم ان جعفر بن محمد له وليس هو الذي يراه الناس وانما تشبهه على الناس وزعموا أن كل مؤمن يوحى اليه وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكثرة وعشيا وقالت المعوية منهم أتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كله وخالفوه في أن الناس لا يموتون واقرقت الخطابية بعد قتل أبي الخطاب فرقا منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلي ومقاتلهم كقالة البريعة إلا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم ونفسوا اخية على كفاية الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمير فطلب عمير بن بيان في كفاية الكوفة ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفي زعم أن جعفر بن محمد له فطرده ولعنه وزعمت الخطابية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلد ايقال له جفر فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا لعنهم الله أن قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة معناه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأن الخمر والميسر أبوكرو وعمر رضي الله عنهما وأن الحب والطاغوت مغوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص رضي الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهو والشجاعة وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنه حسنيا أو حسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وأن لا يكون فيه آفة وهم يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة وأخذ مذهب زيد بن علي عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر مع القول بامامتهما وهم أربع فرق الجارودية أتباع أبي الجارود ويكنى أبا النجم زياد بن المنذر العبدي زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف لا بالتسمية وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة علي رضي الله عنه والحسن والحسين وأولادهما والجاريرية أتباع سليم بن جبر ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي بل أخطأوا بتركه الأفضل وهو علي وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التي أحدثها وقالوا لم ينص علي على امامة أحد وصارا الامر من بعده شوري ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كشير الا بتر قولهم ان عليا أفضل وأولى بالامامة غير أن أبا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا بل ترك علي الامامة له وأما عثمان فيستوقف فيه ومنهم البعقوية أتباع يعقوب وهم يقولون بامامة أبي بكر وعمر ويتركون من تبرأ منهما ويكرهون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتركون من دان بها الا انهم متفقون على تفضيل علي على أبي بكر وعمر من غير نفسية هما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على أحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية أتباع عبد الله بن سبا الذي قال شفاها على بن أبي طالب أنت الاله وكان من اليهود ويقول في يوشع بن نون مثل قوله ذلك في علي وزعم أن عليا لم يقتل وأنه حتى لم يمت وأنه في السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وأنه ينزل الى الارض بعد حين فجهه الله * والفرقة السادسة الكاملية أتباع ابي كامل الكفري جميع الصحابة بتركهم بيعه علي وكفروا عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الأئمة * (والفرقة السابعة) البياضية أتباع بيان بن سمعان زعم أن روح الاله حل في الانبياء ثم في علي وبعده في محمد ابن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد أبي هاشم في بيان بن سمعان يعني نفسه

لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلي - مولى خالد بن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج علي خالد بن عبد الله القسري بالكوفة في عشرين رجلا فقطعطوا به فقال خالد أطمعوني ماء وهو على المنبر فغير بذلك والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة وزعم أن معجزته علمه بالاسم الاعظم وأنه يحيي الموتى وزعم أن الله لما أراد أن يخلق العالم كتب بأصبعه أعمال عباده فغضب من معاصيهم فغرق فاجتمع من عرقه بحر أن أحدهما ملح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق الكفرة من البحر الملح وزعم أن المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي - بن أبي طالب * والفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان أحدهما أتباع هشام بن الحكم والثاني أتباع هشام الجولقي وهما يقولان لا تجوز العصية على الامام وتجوز على الانبياء وأن محمدا عصي ربه في أخذ القداء من أسرى بدر كذاب لعنهما الله وهما أيضا مع ذلك من المشبهة * والفرقة العاشرة الزرارية أتباع زرارة بن أعين أحد الغلاة في الرضا ويرزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن في الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك فحبه الله * والفرقة الحادية عشر الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين بن أبي طالب وزعم أنه اله وأن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الحكمة وأن روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في علي - وأولاده ثم صارت فيه ومذهبهم استحلال النحر والميتة ونكاح المحارم وأنكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصالحات وزعموا أن كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما في القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية عن يلزم موالاتهم مثل علي - والحسين والحسين وأولادهم * والثانية عشر المنصورية أتباع أبي منصور العجلي - أحد الغلاة المشبهة زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن علي - زين العابدين بن الحسين بن علي - بن أبي طالب وأنه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وأن معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يائي بلغ عني آية الكسف الساقط من السماء في قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرحوم الآية وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل علي - بن أبي طالب وأولاده وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم * والثالثة عشر الغرابة زعموا لعنهم الله أن جبريل أخطأ فانه أرسل الى علي - بن أبي طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشر الذمية بفتح الدال المجمة زعموا أن الله أن علي - بن أبي طالب بعثه الله نبيا وأنه بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره فادعى النبوة لنفسه وأرضى عليا بأن تزوجه ابنته وموله ومنهم العلوية أتباع عليان بن ذراع السدوسي وقيل الاسدي - كان بفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم ويرزعم أن عليا بعث محمد أو كان لعنه الله يذم النبي صلى الله عليه وسلم زعمه أن محمد بعث ليدعو الى علي - فدعا الى نفسه ومن العلوية من يقول بالهية محمد وعلي - جميعا ويقدمون محمد في الالهية ويقال لهم الميية ومنهم من قال بالهية خسة وهم أصحاب الكساء محمد وعلي - وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خستهم شيئا واحدا والروح حاله فيهم بالسوية لافضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

وكيف بعد الله في الدين خسة * نياوسبطينه وشيخا وفاطما

* والخامسة عشر اليوسية أتباع يونس بن عبد الله القمي - أحد الغلاة المشبهة * والسادسة عشر الزامية أتباع زمام بن سابق زعم أن الامامة انتقلت بعد علي - بن أبي طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى ابنه أبي هاشم ثم الى علي - بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن علي - فأوصى بها محمد الى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتروك في المذاهب الجاهل بحقوق أهل البيت * والسابعة عشر الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذهبهم وانفردوا بعظم الكفر قاتله الله وهو أنه زعم أن الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنة عشر البسيلة وهم من الراوندية زعموا أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت في علي - وأولاده الحسن والحسين

ونجد ابن الحنفية ثم في أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وانتقلت منه الى علي بن عبد الله بن عباس بوصيته
 اليه ثم الى أبي العباس السفاح ثم الى أبي سلة صاحب دولة بني العباس وقام بناحية كسر فيما وراء النهر رجل
 من أهل مرو وأورد يقال له هاشم ادعى أن أباسلة كان الها انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت
 دعوته هناك واحتجب عن أصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان أصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم
 أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآة محرقة تسمى شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق
 بعضهم ورجع الباقون وقد قننوا واعتقدوا أنه لا تدركه الابصار ونادوا في حروبهم بالهينة * والتاسعة
 عشر الجعفرية * والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة فانهم يقولون بامامة أبي بكر وانه
 لانص في امامة علي مع انه عندهم أفضل وأبو بكر مفضل * ومن فرق الروافض الخوالية والشاعية
 والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتاسخية القائلون ان الارواح تنساخ واللاعنة
 والمخطئة الذين يزعمون أن جبريل أخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام
 والرجعية القائلون سيرجع علي بن أبي طالب وينتقم من أعدائه والمتربسية الذين يتربصون حروب المهدي
 والامرية والجبسية والخلالية والكربسية أتباع أبي كرب الضمير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزني
 * (الفرقة العاشرة الخوارج) * ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين
 ولا أجمل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على علي رضي الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرأ منه
 ومنهم من صحبه ومنهم من كان في زمنه وهم جماعة قد دق الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة * الاولى
 يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا على علي رضي الله عنه في صفين وقالوا لا حكم الا لله ولا حكم للرجال
 واشتازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حملوه على التهاكم الى من حكم بكتاب الله فلا رضى بذلك
 وكانت قضية الحكمين أبي موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك وناذبوا
 عليا وقالوا في شعارهم لا حكم الا لله ورسوله وكان امامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة
 أتباع أبي راشد نافع بن الازرق بن قيس بن ثمار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج
 بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبري من عثمان وعلي والطعن عليهم ما وأن دارمخالفهم دار كفروا أن
 من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفهم في النار ويحل قتلهم وأنكروا رجس الزاني وقالوا من
 قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لا يحذف ويقطع السارق في القليل والكثير * والثالثة التجذات ولم يقل
 فيهم التجذية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويم وهو عامر الحنفي الخارج
 باليمامة وكان رأسا ذامالة مفردة وتسمى بأمر المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى مسجدان فأظهر
 مذهبه بمرو فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبيهم أن الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله
 وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثاني الاقرار بما جاء من عند الله تعالى بجلاله وما سوى ذلك من التحريم
 والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وآته لا يأتهم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف أن يعذب
 المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة في دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة أو كذب كذبة أو أصر
 على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى أو سرق أو شرب خرا من غير أن يبصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر *
 والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفرو قيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار وهو
 أحد بني مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر
 ابن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بني صويم بن مقاعس وقيل سمو بذلك لصفرة علمهم وزعم بعضهم أن الصفرية
 بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة في جميع بدعهم الا في قتل الاطفال ويقال للصفرية أيضا الزيدانية ويقال
 لهم أيضا النكار من اجل أنهم يتقصون نصف علي وثلاث عثمان وسدس عائشة رضي الله عنهم * والخامسة
 العبازية أتباع عبد الكريم بن عجرد * والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العبازية
 واقفوا الازارقة الا في شيئين أحدهما قولهم يجب البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثاني
 استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيا الا انهم

ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد
 الاخوات فقط * والسابعة الشعبية وهم طائفة من المجاردة وافقوا الميمونية في جميع بدعهم الا في
 الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الجزية أتباع حجة بن أدرك الشامي
 الخارج بخراسان في خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيشه وفساده ثم فض جوع عيسى بن علي عامل
 خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهم زعم منه عيسى الى كابل وآل أمر حجة الى أن غرق في كرمان بولده هناك
 فعرفت أصحابه بالجزية وكان يقول بالقدر كفرته الا زارقه بذلك وقال أطفال المشركين في النار كفرته
 القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم أعدائه بل يأمر بأحراق جميع ما يغنمه منهم * والتاسعة الحازمية
 وهم فرقة من المجاردة قالوا في القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج في الولاية والعداوة فقالوا
 لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لأعدائه * والعاشر المعلوماتية تباين في مسائلتين
 احدهما قالت المعلوماتية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت الجهولية لا يكون كافرا
 والثانية وافقت المعلوماتية أهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والجهولية وافقت القدرية في ذلك *
 والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبي الصلت وهم طائفة من المجاردة انفردوا بقولهم من أسلم
 قولينا لم يكن تبرا من اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا * والثانية عشر والثالثة عشر
 الاحسنية والعبدية وهما فرقان من النعالية أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن محمد
 ثم اختلفا في الاطفال فقال عبد الكريم تبرا منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا تبرا منهم بل يقول تنولي الصغار
 فلم تزل النعالية على هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال توقف عن جميع من في دار الثقة الامن
 عرفنا منه ايمانا فان اتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرا أنا منه ولا يجوز أن تبدأ أحدا بقتال قبرا أت منه
 النعالية وهو بالاخنس لانه خنس منهم أي رجع عنهم ثم خرجت فرقة من النعالية قيل لها العبدية أتباع
 معبد فخالفت النعالية في أخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشر
 الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه
 قبرا أت منه النعالية لمعاوته لابي مسلم وهو أول من اظهر القول بالثبوتية تعالى الله عن ذلك * والخامسة
 عشر الشيبية أتباع شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب
 العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفي وهم على ما كانت عليه الحكيمة الاولى الا أنهم انفردوا عن الخوارج
 بجواز امامة المرأة وخلافها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح
 بالمسجد الجامع فقرأت في الركعة الاولى بالبقرة وفي الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلا *
 والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضا العشرية من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر
 مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر قبرا أت كل فرقة من الاخرى وكفرتها
 بذلك * والسابعة عشر المكرمية أتباع أبي المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره ترك الصلاة
 لكن لجهله بالله وكذا قوله في سائر الكبائر * والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدم أحد
 اصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك
 فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بني مقاعس
 واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل يسمون الى أباض بضم الهمزة وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن
 عامر وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان وكان من غلاة الحكيمة * والفرقة العشرون الزيدية
 أتباع يزيد بن أبي انيسة وكان اباضيا فانفرد بدعوة قيحية وهي أن الله تعالى سيعت رسولان من العجم
 وينزل عليه كتابا جله واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم * ومن فرق الخوارج أيضا
 الحارثية والاصومية أتباع يحيى بن أصوم والبيهسية أتباع أبي البهس الهيصم بن خالد بن ساعد بن
 ضبعة كان في زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب واليعقوبية أتباع يعقوب بن علي الكوفي
 ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشراخية أتباع عبد الله بن شراخ والضماكية أتباع
 لفضالك والخوارج يقال لهم الشراة واحد هم شاري مشتق من شري الرجل اذا ألح أو معناه يستشري

بالشر أو من قول الخوارج شربنا أنفسنا الذين الله فحن لذلك شرارة وقيل انه من قولهم شاربته أى لاحتها
وماريتها وقيل شربى الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا الشدة غضبهم على المسلمين

*** (ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب الاشعرية) ***

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس جميعا وصف لهم ربهم
سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين
وبما أوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويههم وبدويهم عن معنى شئ
من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن امر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله
فيه سبحانه أمر ونهى وكما سأله صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم
عن شئ من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال
والحرام وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجها
ومسانيدها وجوامعها ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط
من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى
لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم ولا فرق أحد
منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما اثبتوا لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة
والسمع والبصر والكلام والحلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سؤفا واحدا
ودفعوا كذا اثبتوا رضى الله عنهم ما اطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي
مماثلة المخلوقين فاثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل
شئ من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية
الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق
الكلامية ولا مسائل الفلسفة فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا الى أن حدث في زمنهم القول بالقدر
وأن الامر أئمة أى ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه * وكان أول من قال بالقدر في الاسلام
معبد بن خالد الجهني وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم في القدر بالبصرة وسلك أهمل البصرة
مسلكه لما رأى عمرو بن عبيد يتخله وأخذ معبد هذا الرأي عن رجل من الاساورة يقال له أبو يونس سنسويه
ويعرف بالاسوارى فلما عظمت الفتنة به عذبه الحلاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين ولما بلغ
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما مقالة معبد في القدر تبرأ من القدرية واقتدى بمعبد في بدعته هذه
جماعة وأخذ السلف رجمهم الله في ذم القدرية وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث وكان عطاء بن
يسار قاضيا يرى القدر وكان يأتي هو ومعبد الجهني الى الحسن البصرى فيقولان له ان هؤلاء يسفكون
الدماء ويقولون انما تجرى أعمالنا على قدر الله فقال كذب أعداء الله قطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضا
في زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصروا بالكفر بالذنب والخروج على الامام وقتاله فناظرهم
عبد الله بن عباس رضى الله عنهم لما ظلم يرجعوا الى الحق وقال لهم امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
وقتل منهم جماعة كما هو معروف في كتب الاخبار ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير ورمى جماعة من أئمة
الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم وعدتهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله وحدث أيضا
في زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الشيعة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك انكره
وحرق بالنار جماعة ممن غلوه وأنشد

لما رأيت الامر أمر منكرا * اجت نارى ودعوت قنبرا

وقام في زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء السبأى وأحدث القول بوصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على
أئمة من بعده بالنص وأحدث القول برجعة على بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أيضا وزعم أن عليا لم يقتل وأنه سحر وأن فيه الجزء الالهي وأنه هو الذي يحيى في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وأنه لا بد أن ينزل إلى الأرض فيملاها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبأ هذا انتسبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الامامة موقوفة على أناس معينين كقول الامامية بأنها في الأئمة الاثني عشر وقول الاسماعلية بأنها في ولدا اسماعيل بن جعفر الصادق وعنه أيضا أخذوا القول بضيئة الامام والقول برجعته بعد الموت إلى الدنيا كما تعتقده الامامية إلى اليوم في صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه أخذوا أيضا القول بأن الجزء الالهي يحل في الأئمة بعد علي بن أبي طالب وأنهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأي كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذي أثار قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قتل كاذ كوفي ترجمة ابن سبأ من كتاب التاريخ الكبير المقتنى وكان له عدة أتباع في عامة الامصار وأصحاب كثيرون في معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضد الثوار ح وما زال امرهم يقوى وعددهم يكثر * ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهنم بن صفوان ببلاد المشرق فغطمت الفتنة به فانه نفي أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا فيجيئة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سني الهجرة فكثرت اتباعه على اقواله التي تؤول إلى تعطيل فأكبر أهل الاسلام بدعته وتعالى على انكارها وتضليل أهلها وحذر وامن الجهمية وعادوهم في الله وذموا من جلس اليهم وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهل وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المائتين من سني الهجرة وصفوا فيه مسائل في العدل والتوحيد واثبات افعال العباد وأن الله تعالى لا يخلق الشر وجهروا بأن الله لا يرى في الآخرة وأنكروا عذاب القبر على البدن وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث إلى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق في بدعهم وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية فنهى ائمة الاسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من يتكلمه ولم يزل أمر المعتزلة يقوى وأتباعهم تكثر ومذهبهم يتشرب في الارض * ثم حدث مذهب التجسيم المضاد للمذهب الاعتزالي فظهر محمد بن كزّام بن عراق بن حنابلة أبو عبد الله السجستاني زعيم الطائفة الكثرامية بعد المائتين من سني الهجرة وأثبت الصفات حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه وجمع وقدم الشام ومات بزغرة في صفر سنة ست وخسين ومائتين فدفن بالمقدس وكان هذا من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التبعيد والتشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لا يحصون لكنهم وكان اماما لطائفتي الشافعية والحنفية وكانت بين الكثرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعددة أزماها هذا وأمر الشيعة يفسد في الناس حتى حدث مذهب القرامطة المنسوبين إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء امر قرمط هذا في سنة أربع وسنين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبهم بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال والمآثر والطوق وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيته من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغداد وأخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الاموال التي تحمل اليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوابغداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعائهم بأقطار الارض فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا إلى قولهم الذي سمعوه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها إلى امور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويل بعيدا اتكلموا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلوها وأضلوها كثيرا * هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم من عزب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها والتصفيح لها فأنجز على الاسلام وأهل من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة واستمرزوا إلى

سنة سبع وثلاثين وأربع مائة وظهر وامتد مذهب التشيع قويتم بهم الشيعة وكتبوا على أبواب المساجد في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن منع الحسن أن يدفن عند جدته ومن نفي أباندر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى فلما كان الليل حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلب أن يكتب بأذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت بغداد القتل بين الشيعة والسنية وجهر الشيعة في الأذان بحج على خير العمل في الكرخ وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر وذهب إليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب وجهر وامتد مذهب الاسماعيلية وشوادعاتهم بأرض مصر فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم إلى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة في عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وما وراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين وكانت بينهم وبين أهل السنة من القتل والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرة واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكزمية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض وما منهم إلا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره فلم يتبق مصر من الأمصار ولا قطر من الاقطار الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا * وكان أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري قد أخذ عن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولازمة عدة أعوام ثم بدله فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول بالتحسين والتقبيح العقلين وما قبل في مسائل الصلاح والاصح واثبت أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع وأن العلوم وأن حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع وأن الله تعالى لا يجب عليه شيء وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية الى غير ذلك من مسائله التي هي موضوع أصول الدين

* (وحقيقة مذهب الأشعري) رحمه الله أنه سلك طريقا بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التمسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه فقال إليه جماعة وعزوا على رأيه منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الأسفرائني والشيخ أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني والامام نضر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي وغيرهم ممن يطول ذكره ونصر وامتد مذهب وناظر واعلمه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لاتعد كاد تحصر فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه إلى الشام فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألقبها قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وصار يحفظها صغارا ولادته فلذلك عقدوا الخصام وشدوا البنان على مذهب الأشعري وجعلوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادي الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليم الملوك من الأتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفتقهم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عاتتهم ثم مات خلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيبي وتلقب بأمير المؤمنين وعلم على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتبعوا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبج دما من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدي المعصوم فكأن أراقوا بسبب ذلك من دماء خلأق لا يحصىها الا الله خالقها سبحانه وتعالى كما هو معروف في كتب التاريخ فكان هذا هو السبب في اشتداد مذهب الأشعري وانتشاره في امصار الاسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا أن

يكون مذهب الخنابلة أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات الى أن كان بعد السبع مائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحزاني قصصى للاقتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنسك كير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على اقواله ويعمل برأيه ويرى أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية وفريق يتدعه ويضله ويرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقيل بمصر * هذا وبين الاشاعرة والماتريديّة أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدوا الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبه أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني رضى الله عنهم من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها في أول الامر تباين وتنافر وقد ح كل منهم في عقيدة الآخر الا أن الامر آل اخرا الى الاعضاء والله الحمد فهذا اعزله الله بيان ما كانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ما اجله أهل الاخبار وأجلت ما فصلوا فدونك طالب العلم تناول ما قد بذلت فيه جهدي وأطلت بسببه سهرى وكنت في تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا وثلثه غصوا بالاتكاف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده * (أبو الحسن) على بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعري البصري ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفي ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجي وأبا خليفة الجحفي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلد زوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيًا ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعالها وأنا نائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضايحهم ومعاليهم وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبني علي قواعدهم وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب الامع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلدا وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعاية ومنح كثر وقال مسعود بن شيبه في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ربيب أبي علي الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام وذكرا الخطيب أنه كان يجاس أيام الجمعيات في حلقة أبي اسحاق المروزي الفقيه في جامع المنصور وعن أبي بكر بن الصيرفي كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في أقاع السماسم * وجملة عقيدته أن الله تعالى عالم يعلم قادر بقدرته حتى بحياة مر يد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وأن صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والتعبارة دالة على ما في النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال وأراد الله تعالى جميع الكتابات خيرا وشرها ونفعها وضرها ومال

في كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لا يشاركه في الخلق غيره فأخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارئ قال وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يرى وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه في الدار الاخرى في الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان أحدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون الغدوم والثاني انه ادراك لوراء العلم وأثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكا كان وراء العلم وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية وورد السمع بها فيجب الاعتراف به وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب أى أقرب وحداثة الله تعالى واعترف بالرسالة تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد في النار مؤمن قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لا يجب عليه شيء أصلا بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقهم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو أدخل الخلاق بأجمعهم النار لم يكن جورا ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيئا البتة ولا يقتضى تحسينا ولا تقييما فعرفة الله تعالى وشكر المذموم واثابة الطائع وعقاب العاصي كل ذلك بحسب السمع دون العقل ولا يجب على الله شيء لا صلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح والالطف والنعم كلها بفضل من الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضرر فلا يتنفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائرا ولا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتناع لاوامره والانتفاء عن نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء في القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عن مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التي ستقع في الآخرة مثل سؤال التبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراف وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار ودون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون في الفضل ترتبهم في الامامة قال ولا أقول في عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم الا انهم رجعوا عن الخطأ وأقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة وأقول في معاوية وعمر بن العاص انهما بغيا على الامام الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قاتلهم مقاتلة أهل البقي وأقول ان أهل النهران الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضي الله عنه كان على الحق في جميع أحواله والحق معه حيث دار * فهذه جملة من أصول عقيدته التي عليها الآن جاهر أهل الامصار الاسلامية والتي من جهر بخلافها أريق دمه والاشاعة يسمون الصفاية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افرقوا في الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة كالاستواء والتزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجي على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعزوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار المسلمين في ذلك حجة أقوال أحدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد تنقيح الظاهر ورابعها جعلها على الجواز خامسها جعلها على الاشتراك ولكل فريق أدلة وججاج تضمنتها كتب أصول الدين ولا يزالون محتلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

*(فصل) اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وغيره يعرفون خلق تعالى الخلق وتعترف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ما عرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع يبعثه الرسل عليهم السلام عليهم

بأنه تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب وعن الاقتضار ويصفونه سبحانه
بالاقتدار المطلق وهذا التنزيه هو المشهور وعقلا ولا يتعداه عقل أصلا فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين احدهما المعرفة التي
تقتضيها الأدلة العقلية والاخرى المعرفة التي جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن
به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذي أراده الله تعالى من غير تأويل ~~بفكره~~ ولا تحكم فيه برأيه وذلك
أن الشرائع انما أنزلها الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بأدراك حقائق الاشياء على ما هي عليه في علم
الله وأنى لها ذلك وقد تقدمت بما عندها من اطلاق ما هنالك فان وهم باعتمادهم من الاوضاع الشرعية
ومنعها الاطلاع على حكمه في ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى ~~فكره~~ فان تنزيهه
لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة
والافهوتعالى منزله عن تنزيه عقول البشر بأفكارها فانها مقيدة بأوطارها فتزيرها كذلك مقيدة بحسبها
وبموجب أحكامها وأثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حينئذ ~~يكشف~~ الله لها الغطاء عن بصائرهما
ويهديها الى الحق فتزده الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية وقد أجمع المسلمون فاطبة على جواز
رواية الاحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم في ذلك ثم أجمع أهل الحق منهم على
أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهاة الخلق لقول الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولقول
الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذه السورة يقال لها سورة
الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنها ورغب امته في تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن
من اجل انهم شاهدوا تنزيه الله تعالى وعدم التشبه والمثل له سبحانه وسُميت سورة الاخلاص لاشتغالها على
اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيهه بالخلق وأما الكاف التي في قوله تعالى ليس كمثله شيء فانها
زائدة وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب اتيان للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفي بهما عنه ذلك فاذا ثبت
اجماع المسلمين على جواز رواية هذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق
في تعظيم الله تعالى بذكرها الا نفي التعطيل ~~لكون~~ أعداء الرسل سبوا بهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته
العلا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من الحادهم في اسمائه سبحانه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العلا ونقلها عنه أحكام البرة ثم نقلها
عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت اليها وكل منهم يروى بها صفاتها من غير تأويل شيء منها مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون
أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد بما نطق به رسوله
صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضي الله عنهم وبلغوها لامتة أن يغص بها
في حلق الكافرين وأن يكون ذكرها نكافى قلب كل ضال معطل مبتدع يقفوا أثر المبتدعة من أهل الطبايع
وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بما صح
عنه وثبت فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وانه أحد صمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجافي حلق المعطلة وقد قال الشافعي
رحمه الله الاثبات أمكن نقله الخطابي ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه
الاحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة
من صفات الله تعالى ~~كقوله~~ سبحانه يدا الله فوق أيديهم فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى
المراد به ~~وكذا~~ قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكاية تعالى عن اليهود نسبهم اياه الى الجنل
فقال تعالى بل يداه مبسوطتان ينطق ~~ككيف~~ يشاء فان نفس تلاوة هذا مينة للمعنى المقصود وايضا
فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل نحو قولهم في قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى الاستواء الاستيلاء ~~كقوله~~ استوى الامير على البلد وانشدوا قد استوى بشر على العراق
فلزمهم تشبيه الباري تعالى بشروا أهل الاثبات نزوها اجلال الله عن أن يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا
وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقهم وتحتجوا أن يقولوا مشتركة لان الله

تعالى لا شريك له ولذلك لم يتناول السلف شيئا من أحاديث الصفات مع علنا قطعاً أنها عندهم مصروفة عما سبق إليه ظنون الجهال من مشابهتها للصفات المخلوقة وتأمل تبحر الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والأنثى في قوله سبحانه خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذكروكم فيه علم سبحانه ما يحظر قلوب الخلق فقال عز من قائل ليس كمثل شيء وهو السميع البصير * وأعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم بحيث أنهم كانوا يسمعون أنفسهم الأحرار والسياد وكانوا يعتدون سائر الناس عبدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا تعاطفهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائمهم شنفاد واشنيس والمقعق وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خدasha وأبو مسلم السروج فأروا أن كيدهم على الحيلة النجح فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى فقوم أدخلوهم إلى القول بأن رجلا ينظر يدعي المهدي عنده حقيقة الدين إذا لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار إذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكفر وقوم خرجوا إلى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم إلى القول بلطاول وسقوط الثرائع وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجيا صغريا وقد أظهر عبد الله بن سبأ الجبيري اليهودي الإسلام ليكيد أهله فكان هو أصل إثارة الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحرق على رضي الله عنه منهم طوائف اعلنوا بالهتية ومن هذه الأصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة * والحق الذي لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوه لا سر تحته وهو كله لازم كل احد لا مسامحة فيه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عم على شيء من الشريعة كتمه عن الآخر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كنتم شيئا لم يبلغ كما أمر ومن قال هذا فهو وكافر باجماع الأمة وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول حتى بالغ القدر في جعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونفوت الكمال وبالغ المشبه في مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرحي في سلب العقاب وبالغ المعتزلي في التخيل في العذاب وبالغ الناصبي في دفع علي رضي الله عنه عن الإمامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الهلوك وبالغ السنّي في تقديم أبي بكر رضي الله عنه وبالغ الرافضي في تأخيرهم حتى كفره وميدان الطن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الأوهام وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغى والفساد إلى أقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الأموال واستباحوا الدماء واتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان أحدهم إذا بالغ في أمر نازع الآخر في القرب منه فإن الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهي في المنازعة إلى الطرف الآخر من طرفي التقابل لكنهم أبوا إلا ما قد منازعهم من التدابر والتقاطع ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك

* (ذكر المدارس) *

قال ابن سبويه درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى اعتاد لحفظه وقد قرئ بهما وليقولوا درست ودارست ذاكرتهم وحكي درست أي قرئت وقرئ درست ودرست أي هذه أخبار قد عفت وانفتحت ودرست أشد مبالغة والدارس المدرس وقال ابن جني ودرسته أيه ودارسته ومن الشاذ قراءة ابن حيوة وعما كنتم تدرسون والمدرس الموضع الذي يدرس فيه وقد ذكر الواقدي أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما وقيل قدم بعد بدر يسير فقتل دارا القراء ولما أراد الخليفة المعتض بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بناء قصره

في الشامية بغداد استازاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فستل عن ذلك فذكر أنه يريد له بيتاً فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الأرزاق السنوية ليقتصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه * والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عليها بعد الأربع مائة من سني الهجرة وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبنى بها أيضاً الأمير نصر بن سبكتك * بنى مدرسة وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتك مدرسة وبنى بها أيضاً المدرسة السعيدية وبنى بها أيضاً مدرسة رابعة وأشهر ما بنى في القديم المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة قررها للفقهاء معالم وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك أبي علي - الحسن بن علي - بن إسحاق بن العباس الطوسي - وزير ملك شاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين وأربع مائة وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربع مائة ودرس فيها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي - الفيروزبادي صاحب كتاب التبيين في الفقه على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه ورجه فاعتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر * وأما مصر فأنها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وإنما هم شيعية اسماعيلية كما تقدم وأول ما عرف إقامة درس من قبل السلطان بعلوم جارية لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعلم ذلك بالجامع الأزهر كما تقدم ذكره ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم وعمل أيضاً مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير ثم بنى الحاكم بأمر الله أبو علي - منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الإمام الشافعي - ومذهب الإمام مالك واقدي بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فإنه بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر * وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمعية المجاورة للجامع أيضاً ثم المدرسة السبوية التي بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة وأولاده وأمرؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم إلى يومنا هذا وسأذكر ما بديار مصر من المدارس وأعزف بحال من بناها على ما اعتدته في هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب وبالله استعين

(المدرسة الناصرية)

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبله * هذه المدرسة عرفت أولاً بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار أحد أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ومات في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ثم عرفت بالمدرسة الشريفة وهي إلى الآن تعرف بذلك وكان موضعها يقال له الشرطة وذكر الكندي أنها خبطة قيس ابن سعد بن عبادة الانصاري - وعرفت بدار القفل وقال ابن عبد الحكم كانت فضاء قبل ذلك وقيل كانت هي والدار التي إلى جانبها لتافع بن عبد الله بن قيس القهري فأخذها منه قيس بن سعد وسميت دار القفل لأن اسمها بن زيد التنوخي - صاحب الخراج بمصر ابتاع من موسى بن وردان فلقب بعشرين ألف دينار ليده إلى صاحب الروم فخره فيها ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع بنى هذه الدار شرطية في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم صارت سجنًا تعرف بالمعونة فهدها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة وهي أول مدرسة علمت بديار مصر ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها وقد خربت وبقي منها شيء يسير قرأت عليها اسم

الخليفة العزيز بالله ووقف عليها أيضا قرية تعرف
زين التجار فعرفت به ثم درس بها بعدد ابن قطيطة بن الوزان ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ النسيخ وبعده
الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفي قاضي القضاة الاموي فعرفت به
وقيل لها المدرسة الشريفة من عهده الى اليوم ولولا ما تناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فان الكيمان
ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا وقد ذكر جبرس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب

* (المدرسة القمحية) *

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر كان موضعها يعرف بدار الغزل وهو قيسارية يباع فيها الغزل فهدمها
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها
لنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسة ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر وضبعة بالقيوم تعرف
بالخبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرّس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء
المالكية ويحصل لهم من ضيعتهم التي بالقيوم فتح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم
وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدرثت وفي شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أخرج
السلطان الملك الأشرف برسبى الدقاق ناحيتي الاعلام والخبوشية وكاتتا من وقف السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة وأنعم بها على مملوكين من مملوكيه ليكونا أقطاعا لهما

* (مدرسة يازكوج) *

هذه المدرسة بسوق الغزل في مدينة مصر وهي مدرسة معلقة بناها

* (مدرسة ابن الارسوف) *

هذه المدرسة كانت بالبرازين التي تجاور خط الخالين بمصر عرفت بابن الارسوف التاجر العسقلاني وكان
بناؤها في سنة سبعين وخمسة ووقفها وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوف مات بمصر في يوم الاثنين حادي
عشر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسة

* (مدرسة منازل العز) *

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز
وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لثروة الخلفاء ومن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن
قتل وكان يجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جهة حقوقها وهي باقية فلما زالت الدولة الفاطمية على يد
السلطان صلاح الدين يوسف أنزل في منازل العز الملك المنفرتي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم انه
اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لهما من بيت المال في شهر شعبان سنة ست وستين وخمسة وأنشأ فندقين
بمصر بخط الملاحين وأنشأ بعبا بجوار أحد الفندقين واشترى جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة فلما زاد
أن يخرج من مصر الى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر
الاصطبل فندقا عرف بفندق التخله ووقفه عليها ووقف عليها الروضة ودرس بها شهاب الدين الطوسي وقاضي
القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكري وعدة من الاعيان وهي الآن عامرة
بعمارة ما حولها * الملك المنفرتي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن
شادي بن مروان هو ابن أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعهم الى القاهرة في واستنابه
السلطان على دمشق في المحرم سنة احدى وسبعين ثم نقله الى نياية جاء وسلم اليه سنجار لما أخذه في ثاني
رمضان سنة ثمان وسبعين فأقام بها وخلق السلطان على حلب فقدم عليه في سابع صفر سنة تسع وسبعين
فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائبا عنه بديار مصر عوضا عن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فقدمها
في شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالقيوم وأعمالها مع القبايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماه
ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان وهو بدمشق في سنة ثمانين لاجل أخذ الكرك من الفرنج فسار اليها
وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان الى دمشق وعاد الى القاهرة في شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر

ابنه الملك العزيز عثمان وجعل الملك المظفر كافلاً له وقام بتدبير دولته فلم يزل على ذلك الى جادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد السير الى بلاد المغرب واللباق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوى فبلغ السلطان ذلك فكتب اليه ولم يزل به حتى زال ما به وسار الى السلطان فقدم عليه دمشق في ثالث عشر شعبان فأقره على جهه والمعزة ومنج وأضاف اليه مياقارفين فخلق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزيا فإنه سار الى بلاد المغرب وكانت له في أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص وعرفت له مواقف عديدة في الحرب مع الفرنج وأثار في المصافات وله في أبواب البر أفعال حسنة وله بمدينة القيوم مدرستان احدهما للشافعية والاخرى للمالكية وبني مدرسة بمدينة الزها وسمع الحديث من السلفى وابن عوف وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن وكان جواداً شجاعاً مقداماً شديد البأس عظيم الهمة كثير الاحسان ومات في نواحي خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسائة وتقل الى جهه فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد

* (مدرسة العادل) *

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى من مدينة مصر الذى وقف على الشافعى عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقي الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الفقيه جلال الدين أبي محمد عبد الله بن نجم بن شام بن نزار بن عشا بن عبد الله بن محمد بن شام فعرف به وقيل لها مدرسة ابن شام الى اليوم وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهى للمالكية

* (مدرسة ابن رشيق) *

هذه المدرسة للمالكية وهى بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكاتم من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر فى سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يعثون اليها فى غالب السنين المال

* (المدرسة الفائرية) *

هذه المدرسة فى مصر بخط أنشأها صاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائري قبل وزارته فى سنة ست وثلاثين وستمائة ودرس بها القاضى محيى الدين عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضى القضاة صدر الدين موهوب الجزري وهى للشافعية

* (المدرسة القطبية) *

هذه المدرسة بالقاهرة فى خط سويقة المصاحب بداخل درب الحريرى كانت هى والمدرسة السيوفية من حقوق دار الديباج التى تقدم ذكرها وأنشأ هذه المدرسة الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني فى سنة سبعين وخمسائة وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

* (المدرسة السيوفية) *

هذه المدرسة بالقاهرة وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحي وقفها السلطان السيد الاجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الخنفة وقرر فى تدريسها الشيخ محمد الدين محمد بن محمد الجبتي ورتب له فى كل شهر احد عشر ديناراً وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الخنفة المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر للجبتي ومن بعده الى من له النظر فى امور المسلمين وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها وهى الآن تجاه سوق الصناديقين وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فاته قال فى كتاب الروضة الزاهرة فى خطط المعززة القاهرة مدرسة السيوفية وهى للخنفة وقفها عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين وما أدري كيف وقع له هذا الوهم فان كتاب وقفها موجود وقد وقف عليه ونلصقت منه ما ذكره وفيه أن وقفها السلطان صلاح الدين

وخطه على كتاب الوقف ونصه الحمد لله وبه توفيق وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشر شعبان سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ووقف على مستحقها اثنين وثلاثين حائوا بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وذكر في آخر كتاب وقفها أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول في الشهادة والقضاء على لفظه بما انضمه المسطور فشهدوا بذلك وأثبتوا شهادتهم آخره وحكم حاكم المسلمين على صحة هذا الوقف بعدما خاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك وأمضاه لكنه لم يذكر في الكتاب اسم القاضي بثبوت بل ذكر رسم شهادة اليهود على الواقف وهم على بن إبراهيم بن نجيب بن غنائم الانصاري - الدمشقي - والقاسم بن يحيى بن عبد الله بن قاسم الشهرزوري - وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعي - وعبد الرحمن بن علي - بن عبد العزيز بن قريش الخزومي - وموسى بن حاكم بن موسى الهداني - في آخرين * وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الخفية بدار مصر وهي باقية بأيديهم

(المدرسة الفاضلية)

هذه المدرسة بدرب ملوخي من القاهرة بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي - البيساني - بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للاقراء أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبي - ناظم الشاطبية - ثم تليده أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي - ثم الشيخ علي - بن موسى الدهان وغيرهم ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندراني - ووقف بهذه المدرسة جلة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال انها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها الماوقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل - كتبغا المنصوري - مسهم الضر - فصاروا يبيعون كل - مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت ايدي الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت ونها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جذا مکتوب بالخط الاول الذي يعرف بالـ **كوفي** - تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ويقال ان القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو في خزانه مفردة له بجانب المحراب من غربية وعليه مهابة وجلالة والى جانب المدرسة كتاب برسم الايتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها * (عبد الرحيم) بن علي - بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محي الدين أبو علي - ابن القاضي الاشرف التتيمي - العسقلاني - البيساني - المصري - الشافعي - كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال صاحب ديوان الانشاء في أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الانشاء ثم خدم بالاسكندرية ندرية مدة فلما قام بوزارة مصر العادل رزك بن الصالح طلائع ابن رزك خرج أمره الى والى الاسكندرية بتسييره الى الباب فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الانشاء عينه الكامل بن شاوور وسعى له عند أبيه الوزير شاوور بن مجير فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الانشاء فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب فأحضره وأعجبه اتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده بخله وزيره ومشيره بحيث كان لا يصدر أمرا الا عن مشورته ولا ينفذ شيئا الا عن رأيه ولا يحكم في قضية الا بتدبيره فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة وتقلد الامر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره معه الافضل كان معهما على حاله الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لاخذ ديار مصر وخرج الافضل لقتاله فقاتل منكبوا أحوج ما كان الى الموت عند تولى الاقبال واقبال الادبار في سحر يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بترسه من القرافة الصغرى * قال ابن خلكان وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعمه كان منه غابة التمكن وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين

وله فيه الغرائب مع الاكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا اجعت ما تقصر عن مائة وهو مجيد في أكثرها وقال عبد اللطيف البغدادى دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويحلى على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أواد الليل والصيام وقراءة القرآن وكان قليل اللذات كثير الحسنات دائم التمجيد ويشغل بعلوم الادب وتفسير القرآن غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيئا الا في طاعة وكتب في الانشاء ما لم يكتبه غيره * وحكى لى ابن القطان أحد كتابه قال لما خطب صلاح الدين بمصر للإمام المستضى * بأمر الله تقدم الى القاضي الفاضل بأن يكتب الديوان العزيز ومولوك الشرق ولم يكن يعرف خطهم واصلحهم فواوغر الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل وجاء بها مفوضة ليقرأها الفاضل متبججا بها فقال لا احتاج أن أقف عليها وأمر بجمعها وتسليمها الى التجاب والعماد يصبر قال ثم امرنى أن ألحق التجاب بيلبس وأن أفض الكتب وأكتب صدورها ونهايتها ففعلت ورجعت بها اليه فكتب على حذوها وعرضها على السلطان فارتضاها واما براسها الى أربابها مع التجاب وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ولباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين ويركب معه غلام وركابى ولا يمكن أحدا أن يصحبه ويكثر زيارة القبور وتنشيع الجنائز وعيادة المرضى وله معروف في السر والعلانية واكثر أوقاته يفطر بعد ما يتهور الليل وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حذبة يغطيها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه ولا يضر أحد به ولا صحاب الادب عنده نفاق يحسن اليهم ولا يئ عليهم ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم وكان دخله في كل سنة من اقطاع ورباع وضياح خمسين ألف دينار سوى متاجره للهند والمغرب وغيرهما وكان يقتنى الكتب من كل فن ويحتملها من كل جهة وله نسخ لا يفترقون ومجلدون لا يطلون قال لى بعض من يخدمه في الكتب ان عدد ما قد بلغ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وهذا قبل موته بعشرين سنة * وحكى لى ابن صورة الكتبى أن ابنه القاضي الاشرف التمس من أن أطلب له نسخة الحامسة ليقرأها فأعطت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادام الحماسات فأحضر له خمسا وثلاثين نسخة وصار يفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان وهذه عليا خط فلان حتى اتى على الجميع وقال ليس فيها ما يصلح للصبيان وأمرنى أن أشتري له نسخة بدينار

* (المدرسة الازكشية) *

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقين ويعرف اليوم بسوقه أمير الجيوش بناها الامير سيف الدين أياز كوج الاسدى بمولود أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفا على الفقهاء من الخنفية فقط في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وكان أياز كوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وكان الامير نخر الدين جهار كس رأس الصلاحية ولم يزل على ذلك الى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الامير نخر الدين بن قزل

* (المدرسة الفخرية) *

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة صاحب ودرب العذاس عزها الامير الكبير نخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل الباروى * أستاذ الملك الكامل محمد بن العادل وكان الفراغ منها في سنة اثنين وعشرين وستمائة وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الامير حسام الدين ساروح بن أرتق شاذ الدواوين ومولود الامير نخر الدين في سنة احدى وخمسين وخمسمائة بحلب وتنقل في الخدم حتى صار أحد الامراء بديار مصر وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاذ اده واليه أمر المملكة وتديرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بجزان بعد مرض طويل في ثامن عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الاكثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي نجهاها وله أيضا رباط بالقرافة

والى جانبه كتاب سبيل ونى بمكة رباطا

*** (المدرسة السيفية) ***

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقائين وخط الملمين وموضعها من جدلة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهي من المدرسة القطبية فكما شيخ الشيخ يعنى صدر الدين محمد بن جوية وبنيت فى وزارة صفى الدين عبد الله بن على بن شكران سيف الاسلام ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضي صدر الدين يعنى ابن درباش وسيف الاسلام هذا اسمه طفتة كين بن أيوب * (طفتة كين) ظهير الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الايوبى سيرة أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ~~فكها~~ واستولى على كثير من بلادها وكان شجاعا كريما مشكورا لسيرة حسن السياسة قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون احسانه وبره وسار اليه شرف الدين بن عتير ومدحه بعدة قصائد بديعة فأجرل صلته وأكثر من الاحسان اليه واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج من اليمن فلما قدم الى مصر والسلطان اذذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الرمه أرباب ديوان الزكاة يدفع زكاة مامعه من المتجر فعمل

ما كل من يتسمى بالعزير لها * أهل ولا كل برق بحبه غدته

بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقة

وتوفى سيف الاسلام فى شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمصورة وهي مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى

*** (المدرسة العاشورية) ***

هذه المدرسة بمحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورجبة كوكاى قال ابن عبد الظاهر كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشترى مائة الست عاشوراء بنت ساروح الاسدى زوجة الامير أياز كوج الاسدى ووقفها على الخفية وكانت من الدور الحسنة وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الايام مغلوقة لا تفتح الا قليلا فلما فى زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب

*** (المدرسة القطبية) ***

هذه المدرسة فى أول حارة زويلة برجبة كوكاى عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدراقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد واليه نسبت وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ووفاتم ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكانت قد سمعت الحديث وخرج لها الحفاظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري أحاديث ثمانيات حدثت بها وكانت عاقلة دينية فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشتري لها وقف بغل فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للخفية وقراء وهي الى اليوم عامرة

*** (المدرسة الخروية) ***

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبي لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل بيت أخيه عز الدين قليه على شاطئ النيل وجعل فيه هذه المدرسة وهي ألطف من مدرسة أخيه ويجنبها مكتب سبيل ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرسا حديث فقط ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة

*** (مدرسة المحلى) ***

هذه المدرسة على شاطئ النيل داخل صناعة القنطرة من مدينة مصر أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم ابن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان وينتفى فى نسبه الى طلبة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنتفى فى بنائها زيادة على

خمسین ألف دينار وجعل بجوارها مكتب سبيل لكن لم يجعل بهامدرسا ولا طلبة وتوفي ثاني عشر ربيع الاول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن رقوق مائة ألف دينار وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكن مشكور السيرة في الديانة وله من المأثر تجديد جامع عمرو بن العاص فإنه كان قد تداعى الى السقوط فقام بعمارة حتى عاد قرييا مما كان عليه شكر الله له ذلك

* (المدرسة القارقانية) *

هذه المدرسة بناها شارع في سوق حارة الوزيرية من القاهرة فتحت في يوم الاثنين رابع جادى الاول سنة ست وسبعين وثمانمائة وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر القارقانى السلاحدار كان ملوكا لا أمير فبحم الدين أمير حاجب ثم انتقل الى الملك الظاهر بيبرس فترقى عنده في الخدم حتى صار أحد الأمراء الاكبر وولاه الاستادارية وناب عنه بديار مصر مدة غيبته وقدمه على العساكر غير مرة وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما شجاعا مقداما حاز ما صاب دراية بالامور وخبرة بالاحوال والتصرفات مديرا للدول كثيرا البر والصدقة ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده في ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ولا ميناية السلطنة بديار مصر بعد موت الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار فأظهر الخزم وضم اليه طائفة منهم شمس الدين اقوش وقطليجا الرومى وسيف الدين قليج البغدادى وسيف الدين بجو البغدادى وسيف الدين شعبان أمير شكارو بكتمر السلاحدار وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا مع مماليك بيلبك الخازندار على القبض عليه وتحتويع الملك السعيد في ذلك وما زالوا به حتى قبضوا عليه بمساعدة الأمير سيف الدين كوندك الساقى لهم وكان قد ربي مع السعيد في المكتب فلم يشعر وهو قاعد بساب القلة من القلعة الا وقد سحب وضرب وتفت لحيته وجز وقدرت كعب في اهاتيه أمر شنيع الى البرج فحبس به لبالي قليله ثم أخرج منه ميتا في اثناء سنة ست وسبعين وثمانمائة وجهل قبره

* (المدرسة المهدية) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حجام قارى بناها الحكيم مذهب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش بن أبي الخير بن أبي سليمان بن أبي حليقة رئيس الاطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما في صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين في حياته وكان لا يولد له ولد فبعش فرأت أمته وهى حامل به قائلا يقول هيئ والله حلقة فضة قد تصدق بوزنها وساعة يوضع من بطن أمته تنقب اذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش فعاشدت أمته أباه أن لا يقبلها من اذنه فـكـبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مذهب الدين أبو سعيد فعلم له حلقة فعاش وكان سبب اشتهاره بأبي حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب وكان جماعة من الاطباء بالباب فقال الخادم من هو منهم فقال السلطان أبو حليقة فخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ومات الرشيد في سنة ست وسبعين وثمانمائة

* (المدرسة الخروبية) *

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر أنشأها كبير الخرابية بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المجهلة وضمها ثم واسا كنة بعدها بامام موحد ثم بآء آخر الحروف التاجرى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمس وسبعمائة وجعل مدرسا للفقهاء الشافعية الذين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقينى ومات سنة اثنين وستين وسبعمائة وأنشأ ايضا برعين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ولیدر الدين هذا أخ من ابيه استن منه يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي عاش بعد أخيه وأنجب في أولاده وادركت لهم اولاد انجباء وكان أول قليل المال ثم عمول وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث ابن سعد مقابل السروين وجدتها حفيد نور الدين علي بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف اليها مطهرة حسنة ومات سنة تسع وستين وسبعمائة وشرط بدر الدين في مدرسته أن لا يلي بها أحد من العجم وظيفه

من الوظائف فقال في كل وظيفة منها ويكون من العرب دون العجم وكانت له مكارم جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار

* (المدرسة الخروبية) *

هذه المدرسة بخط الشون قبلي دار النحاس من ظاهري مدينة مصر أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي وهي أكبر من مدرسة عمه بدر الدين إلا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرّس ولا طلبة ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ونشأ في دنيا عريضة رجه الله تعالى

* (المدرسة صاحبة البهائية) *

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر قرب الجامع العتيق أنشأها الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن خناني سنة أربع وخمسين وسبعمائة وكان اذ ذل زقاق القناديل أعرا خطاط مصر وانما قيل له زقاق القناديل من أجل أنه كان سكن الاشراف وكانت أبواب الدوير يعلق على كل باب منها قنديل * قال القاضي ويقال أنه كان به مائة قنديل وقد كل ليلة على أبواب الاكابر * وابن خنانه هو علي بن محمد بن سليم بفتح السين المهملة وكسر اللام ثانيا آخر الحروف بعدها ميم ابن خنانه مهملة مكسورة ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف الوزير صاحب بهاء الدين ولد بمصر في سنة ثلاث وسبعمائة وتقلت به الاحوال في كتابة الدواوين الى أن ولي المناصب الجليلة واشتهرت كفايته وعرفت في الدولة نهضته ودرايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في ثامن شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وسبعمائة بعد القبض على صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وقوض اليه تدبير المملكة وامور الدولة كلها فنزل من قلعة الجبل بخلق الوزارة ومعه الامير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار وجميع الاعيان والاكابر الى داره واستبد بجميع التصرفات وأظهر عن حزم وعزم وجوده رأى وقام بأعباء الدولة من ولايات الاعمال وعزله من غير مشاورة السلطان ولا اعتراض أحد عليه فصار مرجع جميع الامور اليه ومصدر رعايته ومنشأ ولايات الخطط والاعمال من قبله وزوالها عن أربابها لا يصدر الا من قبله وما زال على ذلك طول الايام الظاهرية فلما قام الملك السعيد بركة فان بأمر المملكة بعد موت أبيه الملك الظاهر أقره على ما كان عليه في حياة والده فدير الامور ووسائل الاحوال وما تعرض له أحد بعد اوده ولا سوع مع كثرة من كان بناويه من الامراء وغيرهم الا وصده الله عنه ولم يجد ما يتعلق به عليه ولا ما يبلغ به مقصوده منه وكان عطاؤه واسعا وصلاته وكلفه للامراء والاعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمة تخرج عن الخدي في الكثرة وتجاوز القدر في السعة مع حسن ظن بالفقراء وصدق العقيدة في أهل الخير والصلاح والقيام بمعوتهم وتفقد أحوالهم وقضاء أشغالهم والمبادرة الى امثال أوامرهم والعفة عن الاموال حتى أنه لم يقبل من أحد في وزارته هدية الا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد بترك ما يصل من أثره وكثرة الصدقات في السر والعلانية وكان يستعين على ما التزمه من المبرات ولزمه من الكلف بالتأجر وقدمه حقه من الناس قبل مديحهم وأجرل جوائزهم وما أحسن قول الرشيد الفارقي فيه

وقائل قال لي نبي لنا عمرا * فقلت ان عليا قد تبته لي

مالى اذا كنت محتاجا الى عمر * من حاجة فليمن حسبي اتباه على

وقول سعد الدين بن مر وان الفارقي في كتابه الدرج المختص به أيضا

يم عليا فهو بحر الندى * وناده في المضلع المعضل

فرفده ببحر على مجذب * ووفده مفض الى مفصل

يسرع ان سيل نداه وهل * أسرع من سيل اتي من على

الا أنه أحدث في وزارته حوادث عظيمة وقاس أراضى الاملاك بمصر والقاهرة وأخذ عليها ما لا وصادر أرباب الاموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة واستخرج جوالي الذمة مضاعفة ورزى بفقد ولديه صاحب نخر الدين محمد والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما فافانهم الانجيب صدر

رئيس فاضل مذكور ومات حتى صار جثة جده وهو على المكانة وافر الحرمة في ليلة الجمعة مستهل ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بترته من قراة مصر ووزر من بعده صاحب برهان الدين الخضر بن حسن بن علي السنجاري وكان بينه وبين ابن خنا عداوة ظاهرة وباطنة وحقوق بارزة وكامنة فأوقع الحوطة على صاحب تلح الدين محمد بن حنابل مشق وكان مع الملك السعيد بها وأخذ خطه بمائة ألف دينار وجهزه على البريد الى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين احمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار واجتبط بأسبابه ومن يلوذ به من اصحابه ومعارفه وغلبانه وطولبوا بالمال * وأول من درس بهذه المدرسة صاحب نجر الدين محمد ابن بانيها الوزير صاحب بها الدين الى أن مات يوم الاثنين حادي عشر شعبان سنة ثمان وستين وستمائة فوليه من بعده ابنه محيي الدين احمد بن محمد الى أن توفي يوم الاحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة فدرس فيها بعده صاحب زين الدين احمد بن صاحب نجر الدين محمد بن صاحب بها الدين الى أن مات في يوم الاربعاء سابع صفر سنة أربع وسبعمائة فدرس بها ولده صاحب شرف الدين وتوارثها أبناء صاحب ياون نظرها وتدرسها الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن صاحب بها الدين ولها بعد آية عز الدين ووليه عز الدين بعد بدر الدين احمد بن محمد بن محمد بن صاحب بها الدين فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن صاحب لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وضع بعض نقاب القضاة يده على ما بقي لها من وقف وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام سبعة من ذكر الله وأقام الصلاة وأياها أحد نظراب ماحولها وبها شخص بيتها كي لا يسرق ما بها من أبواب ورخام وكان لها خزنة كتب جليلة ففعلها شمس الدين محمد بن صاحب وصارت تحت يده الى أن مات فتفرقت في أيدي الناس وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر فأتى قبل ذلك * ولما كان في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمه الرخام التي كانت بهذه المدرسة وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل المسقوف الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولي الامير تاج الدين الشوبكي - الدمشقي ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشدة العمار السلطانية فهدم هذه المدرسة في أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر تنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها وتشتا حنون في سكني يوتها حتى يصير البيت الواحد من يوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ثم تلاشي أمرها حتى هدمت وسيجهل عن قريب موضعها والله عاقبة الامور

* (المدرسة الصاحبة) *

هذه المدرسة بالقاهرة في سوق الصاحب كان موضعها من جلة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جلة دار الدياج أنشأها الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر وجعلها وقفاً على المالكية وبها درس نحو وخزاة كتب وما زالت يده أولاده فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة جدد عمارتها القاضي علم الدين ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة في أيام الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون واستجد فيها منبر افصار يصلي بها الجمعة الى يومنا هذا ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلي فيها الجمعة * (عبد الله بن علي بن الحسين) بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن علي صفي الدين أبو محمد الشنبي - الدمي - المالكي - المعروف بابن شكر ولد بناحية دميرة احدى قرى مصر البحرية في ناسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ومات أبوه فتزوجت أمه بالقاضي الوزير الاعز نجر الدين مقدم ابن القاضي الاجل أبي العباس أحمد بن شكر المالكي - فرباه وتوّه باسمه لانه كان ابن عمه فعرف به وقيل له ابن شكر وسمع صفي الدين من الفقيه أبي الظاهر اسماعيل بن مكّي بن عوف وأبي الطيب عبد المنعم بن يحيى وغيره وحدث بالقاهرة ودمشق وتفقه على مذهب مالك وبرع فيه ونصف كتابا في الفقه كان كل من حفظه نال منه حظاً وافراً وقصد بذلك أن يشبه بالوزير عون الدين بن هبيرة - كانت بداية أمره انه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لآخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأفرده من الابواب الدوائية الزكاة بمصر والجنس الحيواني بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن اقرط وساحل السسط والمراكب الدوائية واسنا وطنبدي استخدم العادل في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفي بن شكر هذا وكان ذلك

في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن حينئذ اشتهر ذكره وتخصص بالملك العادل فلما استقل بمملكة مصر في سنة
ست وتسعين وخمسمائة عظم قدره ثم استوزره بعد الصنعة بن التجار فخل عنده محل الوزراء الكبار والعلماء
المشاورين وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعظيم وصادر كتاب الدولة واستصنى اموالهم فقتر منه القاضي
الاشرف ابن القاضي الفاضل الى بغداد واستشفع بالخليفة الناصر وأحضر كتابه الى الملك العادل يشفع فيه
وهرب منه القاضي علم الدين اسماعيل بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش والقاضي الاسعد اسعد بن ممان
صاحب ديوان المال والتجارات الى الملك الظاهر بحلب فأقاما عنده حتى ماتا وصاد بنى حمدان وبنى الحباب وبنى
الجليلين وأكابر الكتاب والسلاطين لا يعارضه في شيء ومع ذلك فكان يكثر التغضب على السلطان ويتجنى عليه
وهو يحتمله الى أن غضب في سنة سبع وستمائة وخلف أنه ما بقي يخدم فلم يحتمله وولى الوزارة عوضا عنه
القاضي الاعز خفر الدين مقدم بن شكر وأخرجه من مصر بجميع امواله وحرمة وغلبته وكان نقله على ثلاثين
جلاوا أخذ أعداؤه في اغراء السلطان به وحسنوا له أن يأخذ ماله فأبى عليهم ولم يأخذ منه شيئا وسار الى آمد
فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل في سنة خمسين وستمائة فطلبه الملك الكامل محمد بن الملك
العادل لما استبدت بسلطنة ديار مصر بعد أبيه وهو في نوبة قتال الفرنج على دمياط حين رأى أن الضرورة
داعية لحضوره بعد ما كان يعاديه فقدم عليه في ذي القعدة منها وهو بالمنزلة العادية قريبا من دمياط فقلقه
واكرمه وحادثه فيما نزل به من موت أبيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين أحمد بن المشطوب واضطراب
أرض مصر بثورة العربان وكثرة خلافتهم فشجعهم وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور وسار الى القاهرة
فوضع يده في مصادرات أبواب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار وقرر على الاملاك ما لا وأحدث
حوادث كثيرة وجع ما لا عظميا أمته السلطان فكثرت كنهه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث أنه
لما انتقضت نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته التي كانت على
الخليج ويحدث معه في مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة وهو وزير في يوم الجمعة ثامن شعبان
سنة اثنين وعشرين وستمائة وكان بعيد الغور جاعا لعمال ضابطا له من الاتفاق في غير واجب قدماء هيبته
الصدور وانقاده على الرغم والرضى الجمهور وأخذ جبرات الرجال وأضرهم وماذا لم يخطر ايقاده على بال
وبلغ عند الملك الكامل بحيث أنه بعث اليه بانيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبي بكر ليزوراه
في يوم عيد فقاما على رأسه قياما واشد زككي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصي قصيدة
زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه

للم تقم لله حق قيامه ما كنت تقعد والمولوك قيام

وقطع في وزارته الارزاق وكانت جملتها أربع مائة ألف دينار في السنة وتسارع أبواب الخواص والاطماع
ومن كان يخافه الى باب وملوا طرقاته وهو يمينهم ولا يخجل بشيء منهم وهو عالم وأوقع بالرؤساء وأرباب
البيوت حتى استأصل شافهم عن آخرهم وقدم الاراذل في مناصبهم وكان جلد اقوياء حل به مرة دوسطاريا
قوية وأزمنت فيئس منه الاطباء وعندما اشتد به الوجع وأشرف على الهلاك استدعى بعشرة من وجوه
الكتاب كانوا في حبسه وقال انتم في راحة وأنا في الالم كلا والله واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم
فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة أيام ركب وكان يقول
كثيرا لم يبق في قلبي حسرة الا كون اليسانى لم تتخرج شيبته على عتباتي يعنى القاضي الفاضل عبد الرحيم
اليسانى فانه مات قبل وزارته وكان يرى اللون تغلوه حجرة ومع ذلك فكان تطلق الحيا حلوا اللسان حسن الهيئة
صاحب دهاء مع هوج وخبث في طيش ورعونة مفردة وحقد لا تخبونها به ينتقم ويظن أنه لم ينتقم فيعود وكان
لا يشام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد ويتخذ الرؤساء كلهم أعداء ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال
ولا يرحم أحد اذا انتقم منه ولا يسأل في عاقبة وكان له ولا له كلمة يرونها ويعملون بها كما يعمل بالاقوال
الالهية وهي اذا كنت دقا فلاتكن وتداوكان الواحد منهم بعيدا في اليوم مرات ويجعلها حجة عند
انتقامه وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولا يمكن أحدا من الوصول اليه حتى الطبيب
والحاجب والقراش عليهم عيون لا يسكلم أحد منهم فضل كلة خوفه منه وكان اكبر أغراضه اباداة أرباب

البيوت ومحو آئلهم وهدم ديارهم وتقريب الاسقاط وشرا الفقهاء وكان لا يأخذ من مال السلطان فلسا ولا ألف دينار ويظهر أمانة مفرطة فاذا لاح له مال عظيم احتجبه ويبلغ اقطاعه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان قد عني فأخذ يظهر جلد اعظيما وعدم استكانة واذا حضر اليه الامراء والاكابر وجلسوا على خوانه يقول قتموا اللون القلاني لا امير فلان والصدر فلان والقاضي فلان وهو يني أمور في معرفة مكان المشار اليه برموز ومقدمات يكبر فهم ادوار الزمان وكان يتشبه في ترسله بالقاضي القاضل وفي محاضراته بالوزير عون الدين بن هبيرة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه اهلية هذا لكنه كان من دهاء الرجال وكان اذا لفظ شخصا لا يفتن له الا بكثرة الغنى ونهاية الرفعة واذا غضب على أحد لا يفتن في شأنه الا بمجوارته من الوجود وكان كثيرا ما ينشد

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لم يحصده عنباً

وينشد كثيرا

لود عدوى ثم تزعم اني * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وأخذ مائة من مرض من حى قوية وحدث به النافض وهو في مجلس السلطان بنفذ الاشغال فأتاه ترولا أننى جنبه الى الارض حتى ذهبت وهو كذلك وكان يعزز على الملوك الجسابة وتقف الرؤساء على يابه من نصف الليل ومعهم المشاعلى والشع وعند الصباح يركب فلا يراهم ولا يرونه لانه اما أن يرفع رأسه الى السماء تيمنا واما أن يعرج الى طريق غير التي هم بها واما أن يأمر الجنادرة التي في ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ويكون الرجل قد وقف على يابه طول الليل اما من أوله أو من نصفه بغلانه ودوابه فيطرد عنه ولا يراه وكان له بواب يأخذ من الناس ما لا كثيرا ومع ذلك يمينهم اهانة مفرطة وعليه للصاحب في كل يوم خمسة دنانير منها دينار يرسم الفقاع وثلاثة دنانير يرسم الخلوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضا ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى ولما كان بعد موت صاحب قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر وهو محي الدين أبو المظفر ابن الجوزي ومعه خلعة الخليفة للملك الكامل وخلع لاولاده وخلعة للصاحب صني الدين فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء وقبض الملك الكامل على اولاده تاج الدين يوسف وعز الدين محمد وحبسهم لوقوع الحوطة على سائر موجوده ورحمه الله وعفاه عنه

* (المدرسة الشريفة) *

هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الامير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن موسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الجعفرى الزينبي أمير الحاج والزائر وأحد امراء مصر في الدولة الايوبية وتمت في سنة اثنى عشرة وستمائة وهي من مداوس الفقهاء الشافعية * قال ابن عبد الظاهر وجرى له في وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الوراق وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبابكر يعنى ابن أيوب لما ملك مصر وكان قد دخلها على أنه نائب للملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فقوى عليه وقصد الاستبداد بالملك فأحضر الناس للعلم وكان من جلتهم الفقيه ضياء الدين بن الوراق فلما شرع الناس في الخلف قال الفقيه ضياء الدين ما هذا الخلف بالامس حلفكم للمنصور فان كانت تلك الايمان باطلة فهذه باطلة وان كانت تلك صحيحة فهذه باطلة فقال الصاحب صني الدين بن شكر للعادل أفسد عليك الامور هذا الفقيه وكلن الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه واعتقاله بالرصد من سمع عليه فيه لانه كان مسجده فأقام مدة سنين على هذه الصورة فلما كان في بعض الايام وجد عثة من المتربصين فحضر الى دار الوزارة بالقاهرة فبلغ العادل حضوره فخرج اليه فقال له الفقيه اعلم والله اني لا حال لتلك ولا ابرأتك أنت تتقدمنى الى الله في هذه المدة وأما بعدك اطلبك بين يدي الله تعالى وتركه وعاد الى مكانه فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل فوجده متألما حزينا فسأله فعرّفه فقال يا مولانا لم تجرد الدم في نفسك فقال خذ كل ما وقعت الحوطة عليه وكل ما استخرج من أجرة أملاكه وطيب خاطره وأما الفقيه ضياء الدين فانه أصبح وحضرت اليه جماعة من الطلبة

فأصبح السلطان ونزل إلى القبة وحضر القضاء وسائر المجالس وأهل الدولة وكافة الناس وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر وعلى عزاء الملك الصالح بن القصرين بالدخول مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين ووضع عند القبر سنانا جنى السلطان وبقية وزكاشه وقوسه ورتب عنده القراء على ما شرطت خبيرة الدرة في كتاب وقفها وجعلت النظر فيها للمصاحب جاء الدين على بن حنينا وذريرة وهي يدهم إلى اليوم وما أحسن قول الأديب جمال الدين أبي المظفر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن محمد بن عمر بن أبي القاسم بن قحش الواسطي المعروف بابن السيرة الشاعر لما مر هو الأمير نور الدين ~~تصكر~~ في القاهرة بين القصرين ونظر إلى تربة الملك الصالح هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية فانشد

نبئت لارباب العلوم مدارسها * لتجويها من هول يوم المهالك

وضاقت عليك الأرض لم تلق منزلا * تحلب به إلا إلى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التي فيها قبر الملك الصالح مجاورة لايوان الفقهاء المالكية الممتن إلى الامام مالك بن انس رضي الله عنه قصد التورية بمالك الامام المشهور ومالك خازن النار أعادنا الله منها

(المدرسة الكاملية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان في سنة اثنين وعشرين وسقاية وهي ثاني دار عملت الحديث فان أول من بنى دارا على وجه الأرض للامام العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المستغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربيع الذي يحوارها على باب الخرنشف ويمتد إلى درب المقابل للجامع الآخر وهذا الربيع من إنشاء الملك الكامل وكان موضعهم من جهة القصر الغربي ثم صار موضعها سكنة القضاة وكان موضع المدرسة سوقا للزيت ودار تعرف بابن كستول * وأقول من ولي تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية ثم أخوه أبو عمرو وعثمان بن الحسن بن علي بن دحية ثم الحافظ عبد العظيم المنذري ثم الرشيد العطار ومبارحت بيد أعيان الفقهاء إلى أن كانت الحوادث والحزن منذ سنة ست وخمسة مائة قتلت كما تلاحظ غيرها وولي تدريسها صبي لا يشاء إلا ناسي الأياصور ولا يعتاز عن الهمة إلا بالنطق واستقر فيها دهر الأيدرس بها حتى نسيت أو كادت تنسى دروسها ولا حول ولا قوة إلا بالله * (الملك الكامل) ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الكردي الأيوبي خامس ملوك بني أيوب الأكراد بدار مصر وولي خامس عشر ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمسة مائة وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق فلما استولى على مملكة مصر قدم الملك الكامل إلى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسة مائة ونصبه أبوه نائباً عن أبيه مصر وأقطعته الشرقية وجعله ولي عهده وحلف له الأمر وأمسكته قلعة الجبل وسكن العادل في دار الوزير بالقاهرة وصار يحكم بدار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بمفرده فلما مات الملك العادل ببلاد الشام استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسقاية وهو على محاربة الفرنج بالمرزة العادلية قرب سامر دمياط وقدمه كوا البر الغربي فثبت قسا لهم مع ما حدث من الوهن بموت السلطان وثار العربان بنواحي أرض مصر وكثر خلافهم واشتد ضررهم وقام الأمير عماد الدين أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب وكن أبل الأحرار الأكلبر وله لفيق من الأكراد الهكاري بنير يدخلع الملك الكامل وتلك أخيه الملك الصائبر إيهيم بن العادل ووافق على ذلك كثير من الأحرار فلم يجد الكامل يد آمن الرحيل في الليل جريده وسلم من العادلية إلى أشعوم طناح ونزل بها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل واحد هواه ولم يخرج واحدا منهم على آخر وتزكوا قسا لهم وسائر ما معهم فاحتتم الفرنج الفرصة وعبروا إلى بر دمياط واستولوا على جميع ما تركه المسلمون وكان شيا عظيما وهم الملك الكامل بمحاربة أرض مصر ثم إن الله تعالى ثبته وتلاصقت به العساكر وبعد يومين قدم عليه أخوه الملك العظيم عيسى صاحب دمشق بأشعوم فاشتد عضده بأخيه وأخرج ابن المشطوب من العسكر إلى الشام ثم أخرج الصائبر إيهيم إلى الملوكة الأيوبية بالشام والشرق يستقرهم

لجهد الفرنج وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الاشرف موسى شاه يستخذه على الحضور وصدر المكتبة
بهذه الايات

يا مسعدى ان كنت حقاً مسعياً * فانهض بغير ثلبث ووقوف
واحث قلوصك مر قلاً وموجفا * بتجشم في سيرها وتعسف
واطوا المنازل ما استطعت ولا تنخ * الاعلى باب الملك الاشرف
واقرا السلام عليه من عبدالله * متوقع لقدمه متشوق
واذا وصلت الى جاء فقل له * عني بحسن توصل وتلطف
ان تأت عبدالله عن قليل تلقه * ما بين كل مهند ومثقف
أوتبط عن انجاده فلقاؤه * بك في القيامة في عراض الموقف

وجدد الكامل في قتال الفرنج وأمر بالنفير في ديار مصر وأتته المولود من الاطراف فقد رآه أخذ الفرنج له مياط
بعد ما حاصره وها ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ووضعوا السيف في أهلها فرحل الكامل من أشموم
ونزل بالمنصورة وبعث يستنفر الناس وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو المائتي ألف راجل وعشرة آلاف
فارس وقدم عامة اهل أرض مصر وأنت التجيدات من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون في جع عظيم الى
الغاية بلغت عدّة فرسانهم خاصة نحو الاربعين ألفا وكانت بين الفريقين خطوب آت الى وقوع الصلح وتسلم
المسلمون مدينة دمياط في ناسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة بعدما أقامت بيد الفرنج سنة وأحد
عشر شهرا تنقص ستة أيام وسار الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى قلعة الجبل وأخرج كثيرا من الامراء
الذين واقفوا ابن المنطوب من القاهرة الى الشام وفرق أخبارهم على محاليكه ثم تخوف من أمرائه في سنة
احدى وعشرين بملهم الى أخيه الملك المعظم فقبض على جماعة منهم وكتب اخاه الملك الاشرف في موافقته
على المعظم فقويت الوحشة بين الكامل والمعظم واشتد خوف الكامل من عسكره وهم أن يخرج من القاهرة
لقتال المعظم فلم يجسر على ذلك وقدم الاشرف الى القاهرة فسر بذلك سرورا كثيرا وتحالفا على المعاضدة وسافر
من القاهرة حال مع المعظم فتحير الكامل في أمره وبعث الى ملك الفرنج يستدعيه الى عكا ووعده بأن يمكنه
من بلاد الساحل وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان جلال الدين
الخوارزمي وبعث يستجديه على الكامل وابطل الخطبة لكامل فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته
في رمضان سنة أربع وعشرين وسار الى العباسية ثم عاد الى قلعة الجبل وقبض على عدّة من الامراء ومحاليكه
أبيه لمكاتبهم المعظم وأتفق في العسكر فاتفق موت الملك المعظم في سلخ ذى القعدة وقيام ابنه الملك الناصر داود
بسلطنة دمشق وطلبه من الكامل المواعدة فبعث اليه خلعة سنية وسحقا سلطانيا وطلب منه أن ينزل له عن
نلعة الشوبك فامتنع الناصر من ذلك فوعدت المنافرة بينهما وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح نجم
الدين أيوب وأركبه بشعار السلطنة وأنزله بدار الوزارة وأخرج من القاهرة في العساكر يريد دمشق
فأخذ نابلس والقدس فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الاشرف وسارا الى الكامل يطلبان منه
الصلح فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد القاهرة فقدمها الناصر والاشرف وأقام بها الناصر
وسار الاشرف والجهاهد الى الكامل فأدركاه ببل العجوز فأكرهما وقتر مع الاشرف انتراع دمشق
من الناصر وأعطاهما للاشرف على أن يكونا كامل مابسين عقبة أفيق الى القاهرة ولا اشرف من
دمشق الى عقبة أفيق وأن يعين بجماعة من ملوك بني أيوب فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا باستدعاء الملك
الكامل له فتحير الكامل في أمره لعجزه عن محاربته وأخذ يلاطفه وشرع الفرنج في عمارة صيدا وكانت
مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فلما بلغ الناصر موافقة الاشرف للكامل عاد من نابلس الى
دمشق واستعد للعرب فسار اليه الاشرف من تلي العجوز وحاصره بدمشق وأقام الكامل ببل العجوز وقد نورط
مع الفرنج فلم يجد بدا من اعطائهم القدس على أن لا يجتدسوره وأن تبقى العجرة والاقصى مع المسلمين ويكون
لهم قرى القدس الى المسالين وأن القرى التي في مابين عكا وياقا ويزلد والقدس للفرنج وانعقدت الهدنة
على ذلك اثمّة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما وأولها ثامن ربيع الاول سنة ست وعشرين ونودى

في القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنج فكان أمرهم هولا من شدة البكاء والصرخا وخرجوا
بأجمعهم فصاروا الى تخيم الكامل وأذواعلى يابه في غير وقت الاذان فشق عليه ذلك وأخذ منهم الستور
وقناديل الفضة والاكلات وزجرهم وقيل لهم امضوا حيث شئتم فغظم على المسلمين هذا وكرا لا تكرا على الملك
الكامل وشنت المقالة فيه وعلا الانبساط الى بلاده بعد ما دخل القدس وكان مسيره في آخر جمادى الآخرة
سنة ست وعشرين وسيرا الكامل الى الاقاق يسكن قلوب المسلمين وانزعاجهم لاخذ الفرنج القدس ورجل من
تل العجوزير يد دمشق والاشرف على محاصرتها في القتال واشتد الامر على الناصر الى أن تزامى في الليل
على الملك الكامل فأكرمه وأعادته الى قلعة دمشق وبعث من تسليها منه وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك
والصلت والبلقاء والاغوار وناطس وأعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل
دمشق في أول شعبان وأعطاه بالاشرف وأخذ منه ما معه من بلاد الشرق وهي حران والرها وسروج وغير
ذلك ثم سار الكامل فأخذ حياه ووجه منها فقطع القوات ثم سار الى جعبر والرقه ودخل حران والرها ورتب
أمورها وأتته الرسل من ماردن وأمد الموصل وأربل وغير ذلك واقعت له الخطبة بماردن وبعث يستدعي
عساكر الشام لقتال الخوارزمي وهو يخلط ثم رجل الكامل من حران لا مؤر حدثت وسار الى مصر فدخلها
في شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعه من ولاية العهد وعهد
الى ابنه الملك العادل أبي بكر ثم سار الى الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين ثم عاد الى مصر وحضر بجر النيل
فيما بين المقياس وبر مصر وعلى فيه بنفسه واستعمل فيه الملوكة من أهله والامراء والجنود فصار الماء دائما فيما بين
مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والبحيرة في أيام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام
في آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل وأسكنه قلعة الجبل وأخذ الصالح
معه فدخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتار وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران
فرحل التتار عن خلط ثم رجل الى الزها وسار الى آمد ونازلها حتى أخذها وأتم على ابنه الصالح بمحضر كيف
وبعث اليه وعاد الى مصر في سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامراء ثم خرج في سنة احدى وثلاثين الى دمشق
وسار منها ودخل الدربند وقد أعجبت كثره عساكره فانه اجتمع معه ثمانية عشر طلبا ثمانية عشر ملكا
وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل على النهر الازرق بأول بلد الروم وقد نزل عساكر
الروم وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه فحير لقله الاقوات عنده ولا اختلاف ملوك بني أيوب عليه ورجل الى
مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره وأخذ ملوك الروم الزها وحران بالسيف فجهز الكامل وخرج بعساكره
من القاهرة في سنة ثلاث وثلاثين وسار الى الزها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها وأخذ حران بعد قتال
شديد وبعث بمن كان فيها من الروم الى القاهرة في القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس ثم خرج الى ديسر
وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها في سنة أربع وثلاثين ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ونزل
على دمشق وقد امتنع عليه فضايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل وعوضه عنها ببلد
وبصري وغيرهما في تاسع عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وأخذ تجهيزا أخذ حلب وقد نزل به زكام فدخل
في ابتداءه الحمام فانه فعت المواد الى معدته فتورم وبارت فيه حتى فتهام الاطباء عن التي وحذروه منه فلم يصبر
وتقبأ فأت لوقته في آخر شهر الاربعاء حادي عشرى ووجب سنة خمس وثلاثين وسماته عن ستين سنة منها
ما كنه أرض مصر نحو أربعين سنة استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما وكان
يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوي وحديث بني دار الحديث الكاملية بالقاهرة
وكان يناظر العلماء ويحتملهم بمسائل غريبة من فقه وخوف في أجاب عنها حظي عنده وكن كان يبيت عنده بقلعة
الجبل عدة من أهل العلم على أسيرة بجانب سريره ليسا به ورو كان للعلم والادب عنده فضايق فقصة الناس
لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهيا بالحرما سديد الرأي حسن التدبير عفيفا عن
الدماء وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفى الدين
عبد الله بن علي بن شكر أحد وانما كان يقرب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم
بنفسه واذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامراء لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا

وتفقد ما بنفسه فان وقف فيها على خلل عاقب متوليا أشد العقوبة فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة جيدة وكان يخرج من زكوات الاموال التي تجبي من الناس سبهي الفقراء والمساكين ويعين مصرف ذلك لمستحقه شرعا ويفرز منه معالم الفقهاء والصحاء وكان يجلس كل ليلة بجمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن الإدارة وأقام على كل طريق خفرا لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بجمع المال مجتهدا في تحصيله وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله رحمه الله تعالى

اذا تحققت ما عند صاحبكم * من الغرام فذال القدر يكفيه
انتم سكنتم فوادى وهو منزلكم * وصاحب البيت ادري بالذي فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبي حليقة في اليوم الذي مات فيه كيف نوم السلطان في ليلته فأشدد

يا خليلي خبراني بصدق * كيف طم الكرى فاني نيت
ودفن أولاب قلعة دمشق ثم نقل الى جوار جامع بني أمية وقبره هناك رحمه الله تعالى

(المدرسة الصبرية)

هذه المدرسة من داخل باب الجبلون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينا وبين الجامع الخاكي بجوار الزيادة بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وتوفي في تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة

(المدرسة السرورية)

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته وأن يوقف الفندق الصغير عليها وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته وتولى ذلك القاضي كمال الدين خضر ودرس فيها وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما الى الايام الكاملية فانقطع الى الله تعالى ولزم داره الى أن مات ودفن بالقرافة الى جانب مسجده وكان له بر واحسان ومعروف ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخزان مسرور المصطفى وله ريع بالشارع

(المدرسة القوصية)

هذه المدرسة بالقاهرة في درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها الأمير الكردي والى قوص

(مدرسة بحارة الديلم)

(المدرسة الظاهرية)

هذه المدرسة بالقاهرة من جلة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخليم وقد تقدم ذكرها في أخبار القصر وعماد دخل في هذه المدرسة باب الذهب المذكور في أبواب القصر فلما وقع الملك الظاهر يبرس البندقدارى الحوطة على القصور والمناظر كما تقدم ذكره نزل القاضي كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوم قاعة الخليم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى شيخ الخنابلة ومدّرس المدرسة الصالحية التجمية ثم باعها المذكور السلطان فأمر بهدمها وبناء موضعها مدرسة فابتدئ بعمارتها في ثاني ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها في سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع في بنائها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام فكتب بماربته الى الأمير جمال الدين بن يغمور

ينظر له في
الأصل

وأن لا يستعمل فيها أحد غير أجرة ولا ينقص من أجره شيئاً فلما كان يوم الاحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القراء وجلس أهل المدرس كل طائفة في ايوان منها الشافعية بالايوان القبلي ومدرستهم الشيعية في الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموي والخنفة بالايوان البحري ومدرستهم الصمدية محمد بن عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبي وأهل الحديث بالايوان الشرقي ومدرستهم الشيعية شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمشقي والقراء بالقرآن السبع بالايوان الغربي وشيخهم الفقيه كمال الدين الحلبي وقرروا كلهم الدروس وتناظروا في علومهم ثم مدت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الاديب أبو الحسين الجزاري فانشد

الاهكذا بيني المدارس من بني * ومن يتعالى في الثواب وفي الشنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة * بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها كل حسن مفترق * فراق قلوبا للانام وأعينا
ومدجاورت قبر الشهيد نفسه النسيبة منها في سرور وفي هنا
وما هي الاجنة الخلد أزلفت * له في غدا فاختار تعجيلها هنا
وقال السراج الوراق أيضا قصيدة منها

ملك له في العلم حبة وأهله * فقله حبة ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق اليها شيق وشام
ولا تذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاها في النظام نظام
ولا تذكرن ملكا في بئس مال * وكل ملك في يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة * حتى لاح صبح فاستقر نظام
وقد برزت كالروض في الحسن اثبات * بأن يديه في النوال غمام
الم تر محرابا كأن أزاهرا * تفتح عنهن الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك جالك والخلفاء * فانخر فان محلك الجوزاء
أنت الذي أمرأوه بين الوري * مثل الملوك وجنده امراء
ملك تزينت الممالك باسمه * ونجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلام خير مدرس * حلت بها العلماء والفضلاء
يبقى كائني الزمان وملكه * باق له ولحاسديه فناء
كم للفرج وللتناهي سبابه * رسل مناهي الغفوالاعفاء
وطريقه ليلادهم موطوءة * وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا * ما أقبل الا صباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم افيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا وجعل بها خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في سائر العلوم وبني بجانبها مكتبة لتعليم أتيام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الربع وكان ربعا كبيرا الكنه غرب منه عدة دور فلم تعمروا تحت هذا الربع عدة حوانيت هي الآن من أجل الاسواق والناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسائر تفعون فيه الى الحكام وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة الا انها قد تقدم عهدا فرثت وبها الى الآن بقية صالحة وتظهر آثاره فيكون يد الخنفة وأحيانا يد الشافعية وينازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الامور

* (المدرسة المنصورية) *

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط ابن القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبه

التي تجاهاها والمارستان الملك المنصور قلاوون الثاني - الصالح - على يد الامير علم الدين منبر الشجاعى - ورتب
بها دروسا أربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ودرسوا الطب ورتب بالقبة درسا للحدیث النبوی ودرسوا التفسير
القرآن الكريم وسبعا وكانت هذه التداريس لا يليها الا أجل الفقهاء المعبرين ثم هي اليوم كما قيل

تصدرت للتدريس كل مهووس * بليسد يسمى بالفقه المدرس

حقق لاهل العلم أن يتتلاوا * بيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدامن هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* (القبة المنصورية) هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصوري
وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدرا وبها قبر تفتن الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الملك
الناصر محمد بن قلاوون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون وبها قاعة جلالة في وسطها فسقية
يصل إليها الماء من فؤارة بدبعة الرى وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون وهذه القاعة مغطاة لا قامة
الخدّام الملوكية الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية واحد هم طواشي وهذه لفظة تركية
أصلها بلغتهم طابوشى فتلاعبت بها العامة وقالت طواتى وهو الخصى وهو لاء الخدّام في كل يوم ما يكفهم
من الخبز النقي والعم المطبوخ وفي كل شهر من المعاليم الوفرة ما فيه غنية لهم وأدرّكهم ولهم حرمة وافرة
ركلة نافذة وجانب مرعى ويعتد شيخهم من أعيان الناس يجلس على مرتبة وبقيّة الخدّام في مجالسهم لا يرحون
في عبادة وكان يستقر في وظائف هذه الخدمة كبار خدّام السلطان ويقيمون عندهم توابيا واطبون الإقامة بالقبة
ويرون مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم من تمام نفقهم وكال سيادتهم انما هم الى خدمة القبة
المنصورية ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ما كان والخدّام بهذه القاعة الى اليوم وقصد الملوك باقامة الخدّام
في هذه القاعة التي يتوصل الى القبة منها إقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان في مدة الحياة وهم الى اليوم
لا يـكـنـون أحد من الدخول الى القبة الا من كان من أهلها والله دريحي بن حكم البكرى الجياىى المغربي
الملقب بالغزال لجماله حيث يقول

أرى أهل الثراء اذا وفوا * بنوا تلك المقابر بالحنور

أبوا الامباهاة وتبها * على الفقراء حتى في القبور

وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة وتعرف بدروس وقف الصالح وذلك ان الملك الصالح عماد
الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون قصد عمارة مدوسة فاخرته المنية دون باق غرضه فقام الامير أرغون
العلاقى زوج أمه في وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الاعمال الشرقية عن أم الملك الصالح فابته بطريق
الوكالة عنها ورتب ما كان الملك الصالح اسماعيل قرره في حياته لو أنشأ مدرسة وجعل ذلك الامير أرغون مرتبا
لمن يقوم به في القبة المنصورية وهو وقف جليل يتحصل منه في كل سنة نحو الاربعة آلاف دينار ذهب
ثم لما كانت الحوادث وخربت الناحية المذكورة تلاشى امر وقف الصالح وفيه الى اليوم بقية وكان لا يلى
تدريس دروسه الا قضاة القضاة فوليه الآن الصبيان ومن لا يؤهل لو كان الانصاف له * وفي هذه
القبة أيضا قراء يتناوبون القراءة بالشبايك المظلة على الشارع طول الليل والنهار وهم من جهة ثلاثة اوقاف
فطائفة من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل وطائفة من جهة الوقف السني وهو منسوب الى الملك
المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون * وبهذه القبة امام راتب يصلى بالخدّام والقراء
وغيرهم الصلوات الخمس ويفتح له باب فيما بين القبة والمحراب يدخل منه من يهلى من الناس ثم يغلق بعد انقضاء
الصلاة * وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أجال من الكتب في انواع العلوم مما وقفه الملك
المنصور وغيره وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرقت في ايدي الناس * وفي هذه القبة خزانة بها ما ياب
المقبورين بها ولهم قراش معلوم معلوم لتعهدهم ويوضع ما يتحصل من مال اوقاف المارستان بهذه القبة تحت
ايدى الخدّام وكانت العادة انه اذا أمر السلطان أحدا من أمراء مصر والشام فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه
التشريف والشر بوش وتوقد له القاهرة فيز الى المدرسة الصالحية بين القصرين وعمل ذلك من عهد سلطنة
العزيزيل ومن بعده فتقل ذلك الى القبة المنصورية وصاوا الامير بحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه

صاحب الحجاب وتبدأ سمطة جليلة بهذه القبة ثم ينصرف الأمير ويجلس له في طول شارع القاهرة الى القلعة أهل
الانغاى لترتفع في نزوله وصعوده وكان هذا من جملة منزهات القاهرة وقد بطل ذلك منذ اقرضت دولة بني قلاوون *
ومن جملة أخبار هذه القبة انه لما كان في يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين وستمائة بعث الملك الاشرف
صلاح الدين خليل بن قلاوون بجملة مال تصدق به في هذه القبة ثم امر بنقل آية من القلعة فخرج سائر الامراء
ونائب السلطنة الأمير بيدرا بن الدين والوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلعوس التنوخي وحضروا
بعد صلاة العشاء الاخرة ومشوا بأجمعهم فقام تابوت الملك المنصور الى الجامع الازهر وحضر فيه القضاة
ومشايخ الصوفية فتقدم قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة وخرج الجميع أمامها الى
القبة المنصورية حتى دفن فيها وذلك في ليلة الجمعة ثاني المحرم وقيل عاشره ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز
خارج القاهرة الى القبة المنصورية لعمل مجمع بسبب قراءة ختم كريمة في ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر
منها وحضر المشايخ والقراء والقضاة في جمع موفور وفزق في الفقراء صدقات جزيلة ومدت سمطة كثيرة
وتفرقت الناس اطعمتها حتى امتلأت الايدي بها وكانت احدى الليالى الغزيرة كثر الدعاة فيها للسلطان وعساكر
الاسلام بالنصر على أعداء الملّة وحضر الملك الاشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية وفترق ما لا كثير وكان
الملك الاشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا فسار لذلك وعاد في العشرين من شعبان وقد فتح
الله مدينة عكا عنوة بالسيف وخرب أسوارها وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر وقد زينت
القاهرة زينة عظيمة فعند ما حذى باب المارستان نزل الى القبة المنصورية وقد غصت بالقضاة والاعيان
والقراء والمشايخ والفقهاء فتلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس فأخذ القراء في القراءة وقام نجم الدين محمد بن فتح
الدين محمد بن عبد الله بن مهمل بن غياث بن نصر المعروف بابن العنبري الواعظ وصعد منبر انصب له فجلس عليه
واقترح بنشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الاجر فلم يسعد فيها بحظ وذلك انه افتتحها بقوله

زرو الديك وقف على قبريها * فكأن بك قد نقلت اليها

فعند ما سمع الاشرف هذا البيت تطير منه ونهض قائما وهو يبسب الأمير بيدرا نائب السلطنة لشدة حنقه وقال
ما وجد هذا شيئا يقوله سوى هذا البيت فاخذ بيدرا في تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبري بأنه
قد اضر في هذا الوقت بحسن الوعظ ولا نظيره فيه الا انه لم يرزق سعادة في هذا الوقت فلم يصغ السلطان الى
قوله وسار فانفض المجلس على غير شيء وصعد السلطان الى قلعة الجبل ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف
المارستان وأحب أن يجد له وقفا من بلاد عكا التي اقتحمها بسيفه فاستدعى القضاة وشاورهم فيما هم به
من ذلك فرغبوا فيه وحثوه على المبادرة اليه فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح
المدرسة والقبة المنصورية وما يحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصايح وبسط وكلفة الساقية وعلى خمسين مقرا
يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة وامام راتب يصلى بالناس الصلوات الخمس في محراب القبة وستة خدام
يقيمون بالقبة وهي الكابرة وتل الشيوخ وكرداته وضواحيها من عكا ومن ساحل صور معركة وصدفين وكتب
بذلك كتاب وقف وجعل النظر في ذلك لوزيره صاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فلما تم ذلك تقدم بعمل
مجمع بالقبة لقراءة ختم كريمة وذلك ليلة الاثنين رابع ذى القعدة سنة تسعين وستمائة فاجتمع القراء والوعاظ
والمشايخ والفقراء والقضاة لذلك وخلع على عامة ارباب الوظائف والوعاظ وتفرقت في الناس صدقات جمة وعمل
مهم عظيم احتفل فيه الوزراء احتفالا رائدا ويات الأمير بيدرا نائب السلطنة والأمير الوزير شمس الدين
محمد بن السلعوس بالقبة وحضر السلطان ومعه الخليفة الحاكم بأمر الله احمد وعليه سواده فخطب الخليفة
خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق من التتار فلما فرغ من المهم افاض السلطان على الوزير تشرىفا سنيا
وفي يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وستمائة اجتمع القراء والوعاظ والفقهاء والاعيان
بالقبة المنصورية لقراءة ختم شريفة ونزل السلطان الملك الاشرف وتصدق بمال كثير وآخر من نزل الى القبة
المنصورية من ملوك بني قلاوون السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة احدى وستين وسبعمائة
وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم وبجناوى العلم ووزار قباية وجهه ثم خرج فنظر في امر المرضى بالمارستان
وتوجه الى قلعة الجبل

* (المدرسة الناصرية) *

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقها كان موضعها جاما فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بإنشاء مدرسة موضعها فابتدى في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الأرض الى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها فكان من خلعه ما كان فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الى مملكة مصر فى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة أمر باتمامها فأكملت فى سنة ثلاث وسبعمائة وهى من أجل مباني القاهرة وبابها من اعجب ما علمته ايدى بن آدم فانه من الخام الابيض البديع الزى الفائق الصناعة ونقل الى القاهرة من مدينة عكا وذلك أن الملك الاشرف خليل بن قلاوون لما فتح عكا عنوة فى سبع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وسبعمائة اقام الامير علم الدين سنجر الشجاعى لهدم أسوارها وتخريب كائنها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كائس عكا وهى من رخام قواعدها وأعضادها وكل ذلك متصل ببعضه بعض فحمل الجميع الى القاهرة وأقام عنده الى أن قتل الملك الاشرف وعادى الحال على هذا أيام ساطنة الملك الناصر محمد الاولى فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الامير سيف الدين بلبان الرشيدى ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة فأخذها من ورثة الامير يد رافاتها كانت قد انتقلت اليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة فلما خلع من الملك وأقيم الناصر محمد اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقفها وولى شراءها وصيه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أيه ولما كملت نقل اليها أمته بنت سكاى بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير على بخط الشرايشين من القاهرة والربع الذى يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ووقف عليها أيضا حوايت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار العلم خارج مدينة دمشق فلما مات ابنه أول من الخافون طغافى فى يوم الجمعة سبع عشر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره ثمانى عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفا يختص بها وهو باقى الى اليوم بصرف لقراء وغير ذلك * وأول من رتب فى تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي ليدر من فقه المالكية بالايوان الكبير القبلى وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرافى ليدر من فقه الحنابلة بالايوان الغربى وقاضى القضاة أحمد بن السروجى الحنفى ليدر من فقه الحنفية بالايوان الشرقى والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعى ليدر من فقه الشافعية بالايوان البحرى وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم المعاليم ورتبها اماما يؤتم بالناس فى الصلوات الخمس وجعل بها خزانه كتب جليلة وأدركت هذه المدرسة وهى محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب أن يصعد اليها وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكرفى كل شهر لكل أحد منهم نصيب ويفرق عليهم لحوم الاضاحى فى كل سنة وقد بطل ذلك وذهب ما كان لهما من التاموس وهى اليوم عامرة من أجل المدارس

* (المدرسة الحجازية) *

هذه المدرسة برحلة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية كان موضعها بابا من أبواب القصر يعرف باب الزمرد أنشأها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الامير بكتر الحجازى وبه عرفت وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى ودرسا للفقهاء المالكية وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة ورتب لها اماما راتبهم بالناس الصلوات الخمس وجعلت بها خزانه كتب وأنشأت بجوارها قبة من داخلها تدفن تحتها ورتب بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا وأنشأت بها منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للسبيل فيه عدة من ايتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ويجرى عليهم فى كل يوم لكل منهم من الخبر النقي خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ويقام لكل منهم بكسوفى الشتاء والصيف وجعلت على هذه الجهات عدة اوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنينة وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكناك وفى عيد الاضحى اللحم وفى شهر رمضان يطبخ لهم الطعام وقد بطل ذلك ولم يبق غير العلوم فى كل شهر وهى من المدارس النبكية وعهدى بها محترمة الى الغاية

يجلس بها عدة من الطواشية ولا يمكنون أحدا من عبور القبة التي فيها قبر خوند الخجارية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة * واتفق مرة أن شخصاً من القراء كان في نفسه شيء من أحد رفقائه فأتى الى كبير الطواشية بهذه القبة وقال له ان فلان دخل اليوم الى القبة وهو بغير سراويل فغضب الطواشي من هذا القول وعد ذلك ذنباً عظيماً وفعلاً محذوراً وطلب ذلك المقرئ وأمر به فضرِبَ بين يديه وصار يقول له تدخل على خوند بغير سراويل وهم بالخارج من وظيفة القراء لولا ما حصل من شفاعاة الناس فيه وكان لا يلي نظر هذه المدرسة الا الامراء الاكابر ثم صار يلها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها في سنة احدى وستين وسبع مائة ولما ولي الامير جمال الدين يوسف البحاسي وظيفة أستاذية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته صار يجلس في المدرسة الخجارية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين والاعوان المرسمين عليهم فزال تلك الابهة وذهب ذلك الناموس واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستاذية في داره وجعلوا هذه المدرسة سجنًا ومع ذلك فهي من ابهج مدارس القاهرة الى الآن

* (المدرسة الطيرسية) *

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر من القاهرة وهي غربية مما يلي الجهة البحرية أنشأها الامير علاء الدين طيرس الخازنداري ققيب الجيوش وجعلها مسجد الله تعالى زيادة في الجامع الازهر وقربها درساً للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها مiazza وحوض ماء سبيل ترده الدواب وتأنق في رخامها وتذهب سقوفها حتى جاءت في ابداع زى وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة بحيث انه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحارب وبلغت النفقة عليها جلة كثيرة وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبع مائة ولها بسط تفرش في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحارب أيضاً وفيها خزانة كتب ولها امام راتب * (طيرس) بن عبد الله الوزير كان في ملك الامير بدر الدين يلبيك مملوك الخازندار الظاهري نائب السلطنة ثم انتقل الى الامير بدر الدين يدر وتقل في خدمته حتى صار نائب الصبغة ورأى حينما لا المنصور لا حين يدل على انه يصير سلطان مصر وذلك قبل أن تقلد السلطنة وهو نائب الشام فوعده ان صارت اليه السلطنة أن يقدمه ويتوبه فلما تلك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر عوضاً عن بلبان الفاضلي في سنة سبع وتسعين وست مائة فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية من اقامة الحرمة وأداء الامانة والعفة المفرطة بحيث انه ما عرف عنه أنه قبل من أحد هدية البتة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع وله من الآثار الجيلة الجامع والخانقاه بأراضي بستان الخشاب المطلة على النيل خارج القاهرة فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة وهو أول من عمر في أراضي بستان الخشاب وقد تقدم ذكر ذلك ومن آثاره أيضاً هذه المدرسة البديعة الزى وله على كل من هذه الاماكن اوقاف جليله ولم يزل في نقابة الجيش الى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبع مائة ودفن في مكان بمدرسته هذه وقبره بها الى وقتنا هذا ووجد له من بعده مال كثير جداً وأوصى الى الامير علاء الدين على الكوراني وجعل الناظر على وصيته الامير ارغون نائب السلطنة واتفق انه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشرة حساب مصر وفيها فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل اوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها وقال شيء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه ولهذه المدرسة شبائك في جدار الجامع تشرف عليه ويتوصل من بعضها اليه وما عمل ذلك حتى استفتى الفقهاء فيه فأفتوه بجواز فعله وقد تداولت ايدي نظار السوء على اوقاف طيرس هذا فخرّب الجامع والخانقاه وبقيت هذه المدرسة عمرها الله بذكره

* (المدرسة الاقبغوية) *

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر على يسرة من يدخل اليه من باب الكبير البحري وهي تشرف بشبائك على الجامع مركبة في جداره فصارت تجاه المدرسة الطيرسية كان موضعها دار الامير الكبير عز الدين ايدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس ومiazza للجامع فأنشأها الامير علاء الدين اقبغا عبد الواحد

أستاذ دار الملك الناصر محمد بن قلاوون وجعل بجوارها بقية ومنارة من حجارة منحوتة وهي أول مثذنة عملت
بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وإنما كانت قبل ذلك تبنى بالأجر بناها هي والمدرسة المعلم ابن السيوفي
رئيس المهندسين في الأيام الناصرية وهو الذي تولى بناء جامع المارديني خارج باب زويلة وبني مثذنته أيضا
وهي مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا من بيوت العبادات شيء البتة وذلك أن أقبغا عبد الواحد
اغتنب أرض هذه المدرسة بأن أقرض ورثة أيدمر الحلي مالا واهل حتى تصرف فوافيه ثم أعسفهم في الطلب
وأجأهم إلى أن اعطوه دارهم فهدمها وبني ووضعها هذه المدرسة وأضاف إلى اغتناب البقعة أمثال ذلك
من الظلم فبناها بأنواع من الغصب والعسف وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيرسية
وحشر لعملها الصنائع من البنائين والتجارين والحجارين والمرجين والفعلة وقرر مع الجميع أن يعمل كل
منهم فيها يوم في كل أسبوع بغير أجر فكلان يجتمع فيها في كل أسبوع سائر الصنائع الموجودين بالقاهرة ومصر
فيجدون في العمل نهارهم كله بغير أجر وعليهم مملوك من مماليكه ولادة شدة العمارة لم ير الناس أظلم منه ولا أتعى
ولا أشد بأسا ولا أقسى قلبا ولا أكثر عنتا فلقى العمال منه مشقات لا توصف وجاء مناسبا لمولاه وجعل مع
هذا إلى هذه العمارة سائر ما يحتاج اليه من الامتعة وأصناف الآلات وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب
والرخام والدهان وغيره من غير أن يدفع في شيء منه ثمن البتة وإنما كان يأخذ ذلك ما بطريق الغصب
من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان فإنه كان من جملة ما يهدم شدة العمائر السلطانية وناسب هذه
الافعال انه ما عرف عنه قط انه نزل إلى هذه العمارة الا وضرب فيها من الصنائع عدة ضربا موقعا فيصير ذلك
الضرب زيادة على عمله بغير أجر فيقال فيه كذا كذا خصالك هذه بعماري فلما فرغ من بنائها جامع فيها سائر الفقهاء
وجميع القضاة وكان الشريف شرف الدين علي بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين نقيب الاشراف
ومحتسب القاهرة حينئذ يؤتمل أن يكون مدرستها وسعي عنده في ذلك فعمل بسطا على قياسها بلغ ثمنها
سبعة آلاف درهم فضة ورشاهم باقرا شت هناك ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة وفي الذهن أن الشريف
بلي التدريس وعرف أنه هو الذي أحضر البسط التي قد فرشت قال الامير أقبغا لمن حضر لأولى في هذه الأيام
أحدا وقام فتفرق الناس وقرر فيها درسا للشافعية ولدى تدريسه ودرسا للحنفية ولدى تدريسه

ض

وجعل فيها عدة من الصوفية واهم شيخ وقرر بها طائفة من القراء يقرؤون القرآن بشبكاها وجعل لها اماما راتبا
ومؤذنا وفرشين وقومة ومباشرين وجعل النظر للقاضي الشافعي بديار مصر بشرط في كتاب وقفه أن لا يلى
النظر أحد من ذريته ووقف على هذه الجهات حوائط خارج باب زويلة بخط تحت الربع وقرية بالوجه القبلي
وهذه المدرسة عامرة إلى يومنا هذا الا انه تعطل منها المضأة وأضيف إلى مضأة الجامع لتغلب بعض الامراء
بمواطأة بعض النظار على بتر الشافعية التي كانت برسمها * (أقبغا عبد الواحد) الامير علاء الدين أحضره
إلى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاوون ولقبه باسم تاجره الذي أحضره
لخطي عنده وعمله شاذ العمار فتمض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه حتى علمه أستاذ دار السلطان بعد الامير
مغلطاي الجمالي في المحرم سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة وولاه مقدم المماليك فقويت حرمة وعظمت
مهابة حتى صار سائر من في بيت السلطان يخافه ويخشاه وما برح على ذلك إلى أن مات الملك الناصر وقام
من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فقبض عليه في يوم الاثنين سلخ المحرم سنة اثنين وأربعين وسبع مائة وأمسك
أيضا ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه ورسم عليه الامير طيغا الجدي وبيع موجوده من الخيل والجمال
والجوارى والقماش والاسلحة والاواني فظهر له شيء عظيم إلى الغاية من ذلك انه بيع بقلعة الجبل وبها كانت
تعمل حلقات مبيعة سراويل امرأته بمبلغ مائتي ألف درهم فضة عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب وبيع له
أيضا قنقاب وشموزة وخف نساء بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار
وبيعت بدلة مقانع بمائة ألف درهم وكثرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم فبعث السلطان اليه
شاذ الدواوين يعرفه انه اقسام بترية الشهيد يعني أباه انه متى لم يعط هؤلاء حقهم والامير ترك على جبل وطفقت بك
المدينة فشرع أقبغا في استرضائهم واعطاهم نحو المائتي ألف درهم فضة ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن
سرور المعروف بوزير بغداد ومعه الحاج ابراهيم بن صابر مقدم الدولة لطالبته بالمال فأخذ منه أولوا وجواهر

نفسه وصعدا بها الى السلطان وكان سبب هذه النصيحة انه كان قد تحكم في امور الدولة السلطانية وأرباب
الاشغال أعلاهم وأدناهم بما اجتمع له من الوظائف وكان عنده فراش غضب عليه وأوجعه ضربا فانصرف
من عنده وخدم في دار الامير أبي بكر ولد السلطان فبعث اقبغا يستدعي بالفراش اليه فغضبه منه
أبو بكر وأرسل اليه مع أحد عماليكه يقول له اني اريد أن تهني هذا الغلام ولا تشوش عليه فلما بلغه
المملوك الرسالة اشتد حنقه وسبه سببا فاحشا وقال له قل لاستاذك يسير الفراش وهو جديده وكان قبل ذلك
اتفق أن الامير أبي بكر يخرج من خدمة السلطان الى بيته فاذا الامير اقبغا قد بطح مملوكا وضربه فوق
أبو بكر بنفسه وسأل اقبغا في العفو عن المملوك وشفع فيه فلم يلتفت اقبغا اليه ولا نظر الى وجهه فنجح أبو بكر
من الناس لكونه وقف قائما بين يدي اقبغا وشفع عنده فلم يقم من مجلسه لوقوفه بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف
على رجله ولا قبل مع ذلك شفاعته ومضى وفي نفسه منه حنو كبير فلما عاد اليه مملوكه وبلغه كلام اقبغا
بسبب هذا الفراش أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة وأخذ في نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر وعهد
اليه من بعده وكان قد التزم انه ان ملكه الله يصارن اقبغا وليضربه بالمقارع وقال للفراش اقعدي في بيتي
واذا حضر أحد لا خذك عرفت ما أعمل معه وأخذ اقبغا يتربق الفراش وأقام اناسا للقبض عليه فلم يتهباله
مسكه فلما أفضى الامر الى أبي بكر استدعى الامير قوصون وكان هو القائم حينئذ بتدبير امور الدولة وعزفه
ما التزمه من القبض على اقبغا وأخذ ماله وضربه بالمقارع وذكر له ولعده من الامراء ما جرى له منه وكان لقوصون
بأقبغا عنابة فقال للسلطان السمع والطاعة يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال فاذا فرغ ماله يفعل
السلطان ما يختاره وأراد بذلك تطاول المدة في أمر اقبغا فقبض عليه ووكل به رسل ابن صابر حتى انه بات
ليله قبض عليه من غير أن يأكل شيئا وفي صبيحة تلك الليلة تحدث الامراء مع السلطان في نزوله الى داره
محتفظا به حتى يتصرف في ماله ويحمله شيئا بعد شيء فنزل مع المجدي وباع ما يملكه وأورد المال فلما قبض على
الحاج ابراهيم بن صابر واقام ابن شمس موضعه أرسله السلطان الى بيت اقبغا ليصره ويضربه بالمقارع ويعذبه
فبلغ ذلك الامير قوصون فغضب منه وشنع على السلطان كونه أمر بضربه بالمقارع وأمر بمر اجعته فخنق من ذلك
واطلق لسانه على الامير قوصون فلم يزل به من حضره من الامراء حتى سككت على مضض وكان قوصون يدبر
في انتفاض دولة أبي بكر الى أن خلعه وأقام بعده أخاه الملك الاشرف بك بن محمد بن قلاوون وعمره نحو السبع
سنين وتحكم في الدولة فأخرج اقبغا هو وولده من القاهرة وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام فسار من
القاهرة في تاسع ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على حيز الامير مسعود بن خطير بدمشق ومعه
عياله فأقام بها الى أن كانت قسنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون وعصيانته بالكرك على أخيه الملك
الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون فاتهم اقبغا بانه بعث مملوكا من عماليكه الى الكرك وأن الناصر
أحمد خلع عليه وضربت البشائر بقلعة الكرك وأشاع أن أمراء الشام قد دخلوا في طاعته وحلفوا له
وأن اقبغا قد بعث اليه مع مملوكه يشره بذلك فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف اخي شطى بذلك وصل
في وقت ورود كتاب نائب الشام الامير طغرل مر يخبره بأن جماعة من أمراء الشام قد كاتبوا أحمد بالكرك
وكاتبهم وقد قبض عليهم ومن جملتهم اقبغا عبد الواحد فرسم بحمله مقيدا فحمل من دمشق الى الاسكندرية
وقتل بها في آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان من الظلم والطمع والتعاضم على جانب كبير وجمع من
الاموال شيئا كثيرا وأقام جماعة من أهل الشر لتتبع أولاد الامراء وتعرف أحوال من افتقر منهم
أو احتاج الى شيء فلا يزالون به حتى يعطوه ما لا على سبيل القرض بفائدة جزيلة الى أجل فاذا استحق المال
اعسفه في الطلب وأجأه الى بيع ماله من الاملاك وحلها ان كانت وقضا بعنايته به وعين لعمل هذه الحيل
شخصا يعرف بابن القاهرة وكان اذا دخل لاحد من القضاة في شراء ملك أو حل وقف لا يقدر على مخالفته ولا يجيد
بذات من موافقته * ومن غريب ما يحكي عن طمع اقبغا أن مشد الحاشية دخل عليه وفي اصبعه خاتم يقص
أجر من زجاج له برق فقال له اقبغا ايش هو هذا الخاتم فأخذ يعظمه وذكر أنه من تركه أيسه فقال بكم
حسبوه عليك فقال بأربعمائة درهم فقال أرنيه فساو له اياه فأخذه وتشاغل عنه ساعة ثم قال له والله فضيحة
أن تأخذ خاتمك ولم تكن خذه انت وهات ثمنه ودفعه اليه وألزمه باحضار الاربعمائة درهم فما وسعه إلا أن

أحضرها إليه فعاقيه الله بذهاب ماله وغيره وموته غرباً

* (المدرسة الحسامية) *

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قرياً من حارة الوزيرية بناها الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري نائب السلطنة بديار مصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية وهي في وقتنا هذا تتجاه سوق الرقيق ويسلك منها إلى درب العباس وإلى حارة الوزيرية وإلى سوق الصابون وباب الخوخة وغير ذلك وكان يجانبها طبقة خياط فطلبت منه ثلاثة أمثال ثمنها فلم يعها وقبل لطرنتاي لوطيلته لاستحي منك فلم يطلبه وتركه وطبقته وقال لا أشوش عليه * (طرنتاي) بن عبد الله الأمير حسام الدين المنصوري رباه الملك المنصور قلاوون صغيراً ور قام في خدمته إلى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير عز الدين إيلك الأقرم الصالح وخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وسميته فباشراً ذلك مباشرة حسنة إلى أن كانت سنة خمس وعثمانين فخرج من القاهرة بالعساكر إلى الكرك وفيها الملك المسعود نجيم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش ابنا الملك الظاهر بيبرس في رابع المحرم وسار إليها فوافاه الأمير بدر الدين الصوائف بعساكر دمشق في ألقي فارس ونازلاً الكرك وقطعا الميرة عنها واستفسد رجال الكرك حتى أخذوا خضرًا وسلامش بالامان في خامس صفر وتسلم الأمير عز الدين إيلك الموصل إلى نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر في نيابة السلطنة بها وبعث الأمير طرنتاي بالبشارة إلى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك في ثامن صفر ثم قدم بابي الظاهر فخرج السلطان إلى لقائه في ثاني عشر ربيع الأول وأكرم الأمير طرنتاي ورفع قدره ثم بعثه إلى أخذ صهيون وبها سنقر الأشرف سار بالعساكر من القاهرة في سنة ست وعثمانين ونازلها وحصرها حتى نزل إليه ستمت بالامان وسلم إليه قلعة صهيون وسار به إلى القاهرة فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه ولم يزل على مكانه إلى أن مات الملك المنصور وقام في السلطنة بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون فقبض عليه في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وعثمانين وعقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشر بقعة الجبل وبقي ثمانية أيام بعد قتله مطر وحاجب جس القلعة ثم أخرج في ليلة الجمعة سادس عشر ذي القعدة وقدلف في حصير وحمل على جنوبية إلى زاوية الشيخ أبي السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودي شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلًا وبقي هناك إلى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته إلى تربته التي أنشأها بدارسته هذه وكان سبب القبض عليه وقله أن الملك الأشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان يطرح جأبه في أيام أبيه وبغض منه ويهين ثوابه ويؤذي من يخدمه لانه كان يميل إلى أخيه الملك الصالح علاء الدين علي بن قلاوون فلما مات الصالح علي وانتقلت ولايته العهد إلى الأشرف خليل بن قلاوون مال إليه من كان ينحرف عنه في حياة أخيه الأمير طرنتاي فانه ازداد تماديًا في الاعراض عنه وجرى على عادته في اذى من ينسب إليه وأغرى الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلغوس ناظر ديوان الأشرف حتى ضربه وصرفه عن مباشرة ديوانه والأشرف مع ذلك يتأكد حقه عليه ولا يجيد بدأ من الصبر إلى أن صار له الأمر بعد أبيه ووقف الأمير طرنتاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته وهو منحرف عنه لما أسلفه من الاساءة عليه وأخذ الأشرف في التدبير عليه إلى أن نقل له عنه أنه يتحدث سرًا في افساد نظام المملكة واخراج الملك عنه وانه قصد أن يقتل السلطان وهوراكب في الميدان الأسود الذي تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتفل ذلك وعند هاسير أربعة ميادين والأمير طرنتاي ومن واقفه عند باب سارية حتى انتهى إلى رأس الميدان وقرب من باب الاصطبل وفي الظن أنه يعطف إلى باب سارية ليكمل التسيير على العادة فعطف إلى جهة القلعة وأسرع ودخل من باب الاصطبل فبادر الأمير طرنتاي عندما عطف السلطان وساق فيمن معه ليدركوه فقاتلهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه وما هو الآن نزل الأشرف من الركوب فاستدعى بالأمير طرنتاي فغعه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري عن الدخول إليه وحذره منه وقال له والله اني أخاف عليك منه فلا تدخل عليه الا في عصابة تعلم انهم يتعاونك منه ان وقع امر تكرهه فلم يرجع اليه وغرّه أن أحدًا لا يجسر عليه لمهاتته في القلوب ومكاته من الدولة وأن الأشرف لا ياداره بالقبض عليه وقال لكتبغا والله لو كنت نائمًا ما جسر خليل يهني وقام ومشى إلى السلطان ودخل ومعه كتبغا فلما وقف على عادته نادى اليه جماعة قد أعدهم السلطان

وقبضوا

وقبضوا عليه فاحذو اليكم من كل جانب والسلطان يعتد ذنوبه ويذكر له اساءته ويسببه فقال له يا خوند هذا جميعه قد علمته معك وقد مت الموت بين يدي ولكن والله لتندم من بعدي هذا الايدي تتناوب عليه حتى ان بعض الخصاصكية قلع عينه وسحب الى السجن فخرج كتيبغا وهو يقول ايش اعل ويكرها فأدره الطلب وقبض عليه أيضا ثم آل امر كتيبغا بعد ذلك الى أن ولي سلطنة مصر وأوقع الاشرف الحوطة على اموال طرنتاي وبعث الى داره الامير علم الدين سنجر الشجاعى فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ومن القضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى عنما زيلدة على مائة وسبعين قنطارا فضة سوى الاواني ومن العدد والاسلحة والاقشة والآلات والخيول والمعاليك ما يتعذرا حضا حقيقته ومن الغلات والاملاك شئ كثير جدا ووجد له من البضائع والاموال المسفرة على اعمه والودائع والمقارضات والقنود والاعسال والابقار والاعنعام والرقيق وغير ذلك شئ يحل وصفه هذا سوى ما اخفاه مباشرة بهمه والشام فلما حلت امواله الى الاشرف جعل يلقها ويقول

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المني

واتفق بعد موت طرنتاي أن ابنه سأل الدخول على السلطان الاشرف فاذن له فلما وقف بين يديه جعل المنديل على وجهه وكان اعمى ثم متديه وبكى وقال شئ لله وذكرا أن لاهله أيا ما عندهم ما يأكونه فرق له وأخرج عن أملاك طرنتاي وقال تبلغوا بربعها فسبحان من يده القبض والبسط

* (المدرسة المنكوتية) *

هذه المدرسة بحارة بها الدين من القاهرة بناها بجوار داره الامير سيف الدين منكوتى الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فكملت في صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسا للمالكية فترفيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جيل التونسى المالكى ودرسوا للحنفية درسا فيه وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام وهى اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وامرها متلاش وهي من المدارس الحسنة * (منكوتى) هو أحد عماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى في خدمته واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولي مملكة مصر بعد كتيبغا في سنة ست وتسعين وستمائة لجعله أحد الامراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة عوضا عن الامير شمس الدين قراستقر المنصورى يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة فخرج سائر الامراء في خدمته الى دار النيابة وباشر النيابة بتعظيم كثير وأعطى المنصب حقه من الحرمة والوافرة والمهابة التى تخرج عن الحد وتصرف في سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان في شئ البتة وبلغت عبرة اقطاعه في السنة زيادة على مائة ألف دينار * ولما عمل الملك المنصور الزولك المعروف بلزولك الحسامى قوض تفرقة منالات اقطاعات الاجناد له فجلس في شبك دار النيابة بقلعة الجبل ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل مقدمة منالات فلم يجسر أحد أن يتحدث في زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حقه وبقي أياما في تفرقة المنالات والناس على خوف شديد فان اقل الاقطاعات كان في أيام الملك المنصور قلاون عشرة آلاف درهم في السنة واكثره ثلاثين ألف درهم فرجع في الزولك الحسامى أكثر اقطاعات الحلقة الى مبلغ عشرين ألف درهم ومادونها فشق ذلك على الاجناد وتقدم طائفة منهم ورموا منالاتهم التى فرقت عليهم لان الواحد منهم وجد مناله بحق النصف مما كان له قبل الزولك وقالوا المنكوتى ما أن تعطونا ما يقوم بكافنا ولا نخذوا أخباركم ونحن نخدم الامراء ونصير بطالين فغضب منكوتى وأخرق بهم وتقدم الى الحجاب فضر بهم وأخذوا سيوفهم وأدعواهم السجون وأخذ يحاطب الامراء بفحش ويقول ايا قراوشكا من خبزه ويقول تقول للسلطان فقلت به وفعلت ايش يقول للسلطان ان رضى يخدم والا الى لعنة الله فشق ذلك على الامراء وأسروا له الشر ثم انه لم يزل بالسلطان حتى قبض على الامير بدر الدين يسرى وحسن له اخراج اكابر الامراء من مصر فخردهم الى سبى وأصبح وقد خلاه الجوف فلم يرض بذلك حتى تحدث مع خوشداشيتيه بأنه لا بد أن ينشئ له دولة جديدة ويخرج طغىي وكرجى من مصر ثم انه جهز حمدان ابن صلغاي الى حلب في صورة انه يستجمل العساكر من سبى وقرر معه القبض على عدة من الامراء وأتر عدة

هكذا يرض له في الاصل

أمر أجمعهم له عذرة وذخرا وتقدم الى صاحب نجر الدين الخليلي بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أرباب الرواتب ليتطعم أكثرها فلم تدخل سنة ثمان وتسعين حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث بالامير طغا الى نيابة طرابلس فتصل طغامن ذلك فلم يعفه السلطان منه وألح منه منكوتمر في اخراجه وأغلظ للامير كرجي في القول وحط على سلا رويبر من الجناشكير وأنظارهم وغض منهم وكان كرجي شرس الاخلاق ضيق العطن سريع الغضب فهم غير مرتبة بالقتل بمنكوتمر وطفحي يسكن غضبه فبلغ السلطان فساد قلوب الامراء والعسكر فبعث قاضي القضاة حسام الدين الحسن ابن احمد بن الحسن الرومي الخنقي الى منكوتمر يحذره في ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم يلتفت الى قوله وقال أنا مالي حاجة بالنيابة أريد أخرج مع الفقراء فبالغ السلطان عنه ذلك استدعاه وطيب خاطره ووعد بسفر طغجي بعد أيام ثم القبض على كرجي بدمه فنقل هذا الامراء قضا القوا وقتلوا السلطان كما قد ذكر في خبره وأول من بلغه خبر مقتل السلطان الامير منكوتمر فقام الى شبك النياية بالقلعة فرأى باب القلعة وقد افتتح وخرج الامراء والشيوخ تقدوا والخجة قد ارتفعت فقال والله قد فعلوها وأمر فغلقت أبواب دار النياية وألبس محالكة آلة الحرب فبعث الامراء اليه بالامير الحسام أستاذ رفرعه بمقتل السلطان وتلطف به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمنديل وساربه الى باب القلعة والامير طغجي قد جلس في مرتبة النياية فتقدم الى طغجي وقبل يده فقام اليه وأجلسه بجانبه وقام الامراء في امر منكوتمر يشفون فيه فأمر به الى الحب وانزلوه فيه وعندما استقر به أدلت له القففة التي نزل فيها وتصايحوا عليه بالصعود فطلع عليهم واذا كرجي قد وقف على رأس الحب في عذرة من المماليك السلطانية فأخذ يسب منكوتمر ويهينه وضربه بات ألقاه وذبحه بسده على الحب وتركه وانصرف فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل وذلك في ليلة الجمعة عاشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين

* (المدرسة القراستقرية) *

هذه المدرسة تجاه خاتاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رجة باب العبد وباب النصر كان موضعها وموضع الربع الذي بجانبها الغربي مع خاتاه يبزر وما في صفها الى حمام الاعسر وباب الجوانية كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التي تقدم ذكرها أنشأها الامير شمس الدين قراستقر المنصوري نائب السلطنة سنة سبع مائة وبني بجوار بابها مسجد امعلقا ومكتبا لا قراء ايتام المسلمين كتاب الله العزيز وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ووقف على ذلك داره التي بجارة بهاء الدين وغيرها ولم يزل يطر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا وهي من المدارس المليحة وكان عهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لا ينزلون الا في هذه المدرسة حتى يتيمأ سفرهم وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبع مائة * (قراستقر بن عبد الله) الامير شمس الدين الجواك كندار المنصوري صار الى الملك المنصور قلاون وترقى في خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بحلب في شعبان سنة اثنين وثمانين وسقائة عوضا عن الامير علم الدين سنجر الباشقردى فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاون فلما توجه الاشرف الى فتح قلعة الروم عاد بعد فتحها الى حلب وعزل قراستقر عن نيابته وولى عوضه الامير سيف الدين بلبان الطناسخي وذلك في أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين فلما خرج السلطان من مدينة حلب خرج في خدمته وتوجه مع الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر في عذرة من الامراء لقتال أهل جبال كسروان فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ولم يزل بها الى أن ثار الامير بيدرا على الاشرف فتوجه معه وأعان على قتله فلما قتل بيدرا فتر قراستقر ولاجين في نصف الحزم سنة ثلاث وتسعين وسقائة واختفى بالقاهرة الى أن استقر الامر للملك الناصر محمد بن قلاون وقام في نيابة السلطنة وتدير الدولة الامير زين الدين كتيبغا فظهر في يوم عيد الفطر وكانا عند فرارهما يوم قتل بيدرا أطاعا الامير بيحاص الزبي مملوك الامير كتيبغا نائب السلطنة على حالهما فأعلم أستاذه بأمرهما وتلطف به حتى تحدث في شأنهما مع السلطان فعفا عنهما ثم تحدث مع الامير بكاش القصري الى أن ضمن له التحدث مع الامراء وسعى في الصلح بينهما

وبين الامراء والمماليك حتى زالت الوحشة وظهر امن بيت الامير كتبغا فاحضرهما بين يدي السلطان
وقبلا الارض وأقيمت عليهما التشاريف وجعلهما امراء على عادتتهما ونزلا الى دورهما فعمل اليهما الامراء
ما جرت العادة به من التقادم فلم يزل قراسنقر على امره الى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة
وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا فاستقر على حاله الى أن تار الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة
بديار مصر على الملك العادل كتبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق فركب معه قراسنقر وغيره من الامراء الى
أن فر كتبغا واستقر الامير حسام الدين لاجين وتلقب بالملك المنصور فلما استقر بقاعة الجبل خلع على الامير قراسنقر
وجعله نائب السلطنة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وستمائة فباشير النيابة الى يوم الثلاثاء للنصف من ذي
القعدة قبض عليه وأُحيط بجموده وحواله وتوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه واستقر في نيابة
السلطنة بعده الامير نكوتر وعده السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه في الطمع وكثرة الحمايات وتحويل
الاموال على سائر الوجوه مع كثرة ما وقع من شكايه الناس من ممالئكه ومن كآبه شرف الدين يعقوب فانه كان
قد تخصم في بيته تحكما زائدا وعظمت نعمته وكثرت سعاداته وأسرف في اتخاذ المماليك والخدم وانهمك
في اللعب الكثير وتعذى طوره وقراسنقر لا يسمع فيه كلاما موافقا لسلطان بسببه وأعظم في القول وألزمه
بضربه وتأديبه وأخراجه من عنده فلم يعأ بذلك وما زال قراسنقر في الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين
وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطنة فأفرج عنه وعن غيره من الامراء ورسم له نيابة أصيبية
فخرج اليها ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المظفر تقي الدين محمود بسفارة الامير بيبرس
الحاشنكيروالامير سلا رنم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاته التتالي نيابة حلب واستقر عوضه في نيابة حماه
الامير زين الدين كتبغا الذي تولى سلطنة مصر والشام وذلك في سنة تسع وتسعين وستمائة وشهد وقعة شقيب
مع الملك الناصر محمد بن قلاوون ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المظفر بيبرس
الحاشنكيروصاحب الناصر في الكرك فلما تخرج لطلب الملك واستدعى ثواب الممالك أجابه قراسنقر
وأعانه برأيه وتدبيره ثم حضر اليه وهو بدمشق وقدم له شيا كثيرا وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه
بقاعة الجبل فولاه نيابة دمشق عوضا عن الامير عز الدين الافرم في شوال سنة تسع وسبعمائه وخرج اليها
فسار الى غزة في عدة من الثواب وقبضوا على المظفر بيبرس الحاشنكيروساربه هو والامير سيف الدين الحاج
بهادر الى الخطارة قتلقاهم الامير استدمر كرجي فسلم منهم بيبرس وقبده وأرسله بغلا وأمر قراسنقر
والحاج بهادر بالسير الى مصر فشق على قراسنقر تقييد بيبرس وتوهم الشر من الناصر وانزعج لذلك انزعاجا
كثيرا وألقى كلوته عن رأسه الى ارض وقال لفرشه الدنيا فانية يا ليتنا مشا ولا رأينا هذا اليوم فخرج
من حضر من الامراء ورفعوا كلوته ووضعوها على رأسه ورجع من فوره ومعه الحاج بهادر الى ناحية
الشام وقد ندم على تشييع المظفر بيبرس فخذ في سيره الى أن عبر دمشق وفي نفس السلطان منه كونه
لم يحضر مع بيبرس وكان قد أراد القبض عليه فبعث الامير نوغاي القيصاي أمير بالشام ليكون له عيناه على
الامير قراسنقر فظن قراسنقر لذلك وشرع نوغاي يتحدث في حق قراسنقر بما لا يليق حتى نقل عليه مقامه
فقبض عليه بأمر السلطنة وسجن بقاعة دمشق ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق وولاه نيابة حلب بسؤاله
وذلك في المحرم سنة احدى عشرة وسبعمائه وكتب السلطان الى عدة من الامراء بالقبض عليه مع الامير أرغون
الدوادار فلم يتمكن من التحدث في ذلك كثيرة ما ضبط قراسنقر أموره ولا زمه عند قدومه عليه بتقليد نيابة
حلب بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكانه وقراسنقر معه فكثير الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر
لمسك قراسنقر حتى بلغ ذلك الامراء وسمعه قراسنقر فاستدعى بالامراء وحضر الامير أرغون فقال قراسنقر
بلغني كذا اوها أنا أقول ان كان حضر معكم سر سوم بالقبض علي فلا حاجة الى قسنة أنا طائع السلطان وهذا
سبقي خذه ومتديده وحل سيفه من وسطه فقال أرغون وقد علم أن هذا الكلام مكيدة وان قراسنقر لا يمكن
من نفسه اني لم أحضر الا بتقليد الامير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسوال الامير وحاشا لله أن السلطان يذكر
في حق الامير شيا من هذا فقال قراسنقر غدا تر كعب ونسافر وانقض المجلس فبعث الى الامراء أن لا يركب
أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته وفترق ما عنده من الخواص ومن الدراهم على ممالئكه ليتحملوا به على

أوساطهم وأمرهم بالاحتراس وقدم غلمانهم وحواشيهم في الليل وركب وقت الصباح في طلب عظيم وكانت
عدة مماليك ستمائة مملوك قد جعلهم حوله ثلاث حلقات وأركب أرغون إلى جانبه وسار على غير الجادة حتى
قارب حلب ثم عبرها في العشرين من المحرم وأعاد أرغون بعد ما انعم عليه بألف دينار وخمسة وخمسين
وأقام بمدينة حلب خاتماً يترقب وشرع يعمل الحيلة في الخلاص وصادق العربان واختص بالأمير حسام الدين
مهنأ أمير العرب وبأنه موسى وأقدمه إلى حلب وأوقفه على كعب السلطان إليه بالقبض عليه وأنه لم يفعل
ذلك ولم يزل به حتى أفسد ما بينه وبين السلطان ثم أنه بعث يستأذن السلطان في الحج فأعجب السلطان ذلك ووطن
أنه يسفره يتم له التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز الكبير وأذن له في السفر وبعث إليه بالثني ديناراً مصرية
فخرج من حلب ومعه أربع مائة مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجن وسار حتى قارب الكرك فبلغه أن
السلطان كتب إلى النواب وأخرج عسكراً من مصر إليه فرجع من طريق السماوة إلى حلب وبها الأمير
سيف الدين قرطاي نائب الغيبة فنعته من العبور إلى المدينة ولم يمكن أحداً من مماليك قراسنقر أن يخرج
إليه وكانت مكتابة السلطان قد قدمت عليه بذلك فرحل حينئذ إلى مهنأ أمير العرب واستجار به فأكرمه
وبعث إلى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان بداً من قبول شفاعته مهنأ وخير قراسنقر فيما يريد ثم أخرج
عسكراً من مصر والشام لقتال مهنأ وأخذ قراسنقر فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب إلى السلطان يسأله
في صرخة وقصد بذلك المطاولة فأجابته إلى ذلك ومكنه من أخذ حواصله التي يجلب وأعطي مملوكه ألف ديناراً فلما
قدم عليه لم يطمئن وعبر إلى بلاد الشرق في سنة ثلثي عشرة وسبعمائة في عدة من الأمراء يريد خربنداقاً
وصل إلى الرحبة بعث بآبائه فرج ومعه شيء من أنقائه وخيوله وأمواله إلى السلطان بمصر ليقتدر من قصده
خربنداقاً ورحل عن معه إلى ماوردين قتلناه المغل وقام له قوابل خربنداقاً لاقامات إلى أن قرب الأردن وافر كعب
خربنداقاً إليه وتلقاه وأكرمه ومن معه وأنزلهم منزلاً يليق بهم وأعطي قراسنقر المراغة من عمل أذربيجان وأعطي
الأمير جمال الدين أقوش الأفرم همدان وذلك في أوائل سنة ثلثي عشرة وسبعمائة فلم يزل هناك إلى أن مات
خربنداقاً وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربنداقاً فاشق ذلك على السلطان وأعمل الحيلة في قتل قراسنقر والأفرم
وسير اليهما القداوية فخرت بينهم خطوط كثيرة ومات قراسنقر بالأسهال ببلد المراغة في سنة ثمان
وعشرين وسبعمائة يوم السبت سابع عشر شوال قبل موت السلطان يسير فلما بلغ السلطان موته في حادي
عشر ذي القعدة عند ورود الخبر إليه قال ما كنت أشتي موت الأمن تحت سيفي وأكون قد قدرت عليه
وبلغت مقصودي منه وذلك أنه كان قد جهز إليه عدداً كثيراً من القداوية قتل منهم بسببه مائة وعشرون
فداوياً بالسيف سوى من فقد ولم يوقفه على خير وكان قراسنقر جسيماً جليلاً صاحب رأي وتدبير
ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيئاً مع حسن الشاكلة وعظم
المهابة والسعادة الطائلة وبلغت عدة مماليك ستمائة مملوك ما منهم إلا من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة وله من
الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلية بحارة بها الدين فيها كان سكنه

* (المدرسة الغزنوية) *

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسوقه أمير الجيوش تجاه المدرسة البازوكوجية بناها الأمير
حسام الدين قايماز النجفي مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن
يوسف بن علي بن محمد الغزنوي البغدادي المقرئ الفقيه الحنفي ودرس بها فعرفت به وكان أماماً في الفقه
وسمع على الحافظ السلفي وغيره وقرأ بنفسه وسكن مصر آخر عمره وكان فاضلاً حسن الطريقة متديناً وحدث
بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام قرواه عنه جماعة وجمع كتاباً في الشيب والعمر وقرأ عليه أبو الحسن
السخاوي وأبو عمرو بن الحاجب ومولده ببغداد في ربيع الأول سنة اثنين وعشرين وخمسمائة وتوفي
بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الأول سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهي من مدارس الخنزية

* (المدرسة البوكرية) *

هذه المدرسة بجوار درب العباسي قرياً من حارة الوزيرية بالقاهرة بناها الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأمير

سيف الدين بكتر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الخفية وبني بجانيها خوض ماء السيل وسقاية ومكتبا للآيتام وذلك في سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة وبني قبالتها جامعانات قبل اتمامه وكان يسكن دار بدر الدين الامير طرناى المجاورة للمدرسة الحسامية تجاه سوق الجوارى فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه ثم لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا وصار يتقام بها الجمعة * (اسنبغا) بن بكتر الامير

هكذا يباين
في الاصل

* (المدرسة البقرية) *

هذه المدرسة في الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحماكى المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق الى ناحية العطوف بناها الرئيس شمس الدين شاكركر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقرى أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة في أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون وهو خال الوزير صاحب سعد الدين نصر الله ابن البقرى وأصله من قرية تعرف بدار البقر إحدى قرى الغربية نشأ على دين النصارى وعرف بالحساب وبأشراج الى أن أقدمه الامير شرف الدين بن الازكشى استأدار السلطان ومشير الدولة في أيام الناصر حسن فاسلم على يديه وخاطبه بالقاضى شمس الدين وخلع عليه واستقر به في نظر الذخيرة السلطانية وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة وأضاف اليه نظر الاوقاف والاملاك السلطانية ورتبه مستوفيا بمدرسة الناصر حسن فشكرت طريقته وحدث سيرته وأظهر سيادة وحشمة وقرب أهل العلم من الفقهاء وتفضل بأنواع من البر وأنشأ هذه المدرسة في أبداع قالب وأهيج ترتيب وجعل مآدرسا للفقهاء الشافعية وقرى في تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن علي الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعى ورتب فيها معادا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسى الدميرى الشافعى وجعل امام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبابكر بن الشهاب أحد النحوى وكان الناس يرحلون اليه في شهر رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح لشبهه صوته وطيب نغمته وحسن أدائه ومعرفة بالقرآن السبع والعشر والشواذ ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة والكرامة الى أن مرض مرض مونه فأبعد عنه من يلوذه من النصارى وأحضر الكمال الدميرى وغيره من أهل الخير فآذوا عنه حتى مات وهو يشهد شهادة الاسلام في سنة ست وسبعين وسبع مائة ودفن بمدرسته هذه وقبره بها تحت قبة في غاية الحسن وولى نظر الذخيرة بعده أبو غالب ثم استجبد في هذه المدرسة منبرا وأقيمت بها الجمعة في تاسع جادى الاولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة بأشارة علم الدين داود الكوبر كاتب السر

* (المدرسة القطبية) *

هذه المدرسة بأول حارة زويلة بمحايل الخرنشفي في رجة كوكاى عرفت بالسبب الجليلة عصمة الدين خاقون مؤنسة القطبية المعروفة بدار اقبال العلافي ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ابن شادى وكان وقفها في سنة خمس وستمائة وبها درس للفقهاء الشافعية وتصدير قرأت وفقهاء يقرؤون

* (مدرسة ابن المغربي) *

هذه المدرسة آخر درب الصقالبة فيما بين سويقة المسعودى وحارة زويلة بناها صلاح الدين يوسف بن ابن المغربي رئيس الاطباء تجاه داره ومات قبل اكمالها فدفن بعدمونه في قبة تجاه جامع المثل على الخليج الناصرى بقرب بركة قرموط وصارت هذه المدرسة قائمة بغير اكمال الى أن هدمها بعض ذريته في سنة أربع عشرة وثمانمائة وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة

* (المدرسة البديرية) *

هذه المدرسة برجة الايدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسينى بناها الامير بيدر الايدمرى

* (المدرسة البديرية) *

هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية كان موضعها من جهة تربة القصر التي تقدم ذكرها فنبش شخص من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسي ما هنالك من قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درس فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقيني وهي مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد اليها أحد والعباسي هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العباسية وله في مدينة بليس مدرسة وقد تلاشت بعدما كانت عامرة ملحقة

* (المدرسة الملكية) *

هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة بناها الامير الحاج سيف الدين آل ملك الجوص كندار تجاه داره وعمل فيها درس للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة وجعل لها عدة أوقاف وهي الى الآن من المدارس المشهورة وموضعها من جهة رحبة قصر الشوك وقد تقدم ذكرها عند ذكر الرحاب من هذا الكتاب ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح

* (المدرسة الجمالية) *

هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادربناها الامير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي وجعلها مدرسة للحنفية واختفاء للصوفية وولى تدريسها ومشجعة التصوف بها الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركماني الحنفي وتداولها ابنه قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي وابنه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي التركماني الحنفي ثم قريتهم حميد الدين حماد وهي الآن بيد ابن حميد الدين المذكور وكان شأن هذه المدرسة كبير ايسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولادة أمرها وتخرجهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه اخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة * (مغلطاي) ابن عبد الله الجمالي الامير علاء الدين عرف بخيرز وهي بالتركية عبارة عن الديك بالقرية اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو شاب من الجمالية الى الامرة على اقطاع الامير صارم الدين ابراهيم الابراهيمى تقيب المماليك السلطانية المعروف بيزر الامرة في صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان يتدب في التوجه الى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ثم يعنه أمير الركب الى الحجاز في هذه السنة فقبض على الشريف أسد الدين زمينه بن أبي نجي صاحب مكة وأحضره الى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب فأكرمه عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة في الاسراع بهم ثم انه جعل استادار السلطان لما قضى على القاضي كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره اليها لحضار شمس الدين غريال فيوم حضر خلع عليه وجعل استادار اعوضا عن الامير سيف الدين بكتمر العلائي وذلك في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف اليه الوزارة وخلع عليه في يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين عوضا عن صاحب أمين الملك عبد الله ابن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل غني فلم يعفه السلطان وقال أنا خلى من يشار معك ويعترفك ما تعمل وطلب شمس الدين غريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقا للوزير الجمالي فرفقت قصة الى السلطان وهو في القصر من القلعة فيما الخط على السلطان بسبب تولية الجمالي الوزارة والماس حاجبا وانه بسبب ذلك اضاع أو ضاع المملكة وأهانها وفترط في اموال المسلمين والجيش وان هذا لم يفعله أحد من الملوك فقد وليت الحجابة لمن لا يعرف بحكم ولا يتكلم بالعربي ولا يعرف الاحكام الشرعية ووليت الوزارة والاستادارية لشاب لا يعرف يكتب اسمه ولا يعرف ما يقال له ولا يتصرف في امور المملكة ولا في الاموال الدوائية الأرباب الاقلام فانهم يأكلون المال ويحيلون على الوزير فلما وقف السلطان عليها أوقف عليها القاضي نحر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب البطالين ممن انقطع

رزقه وكثر حسده وقرع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص باحضار اوراق في كل يوم تشمل على اصل الحاصل وما جئ في ذلك اليوم من البلاد والجهات وما صرف وأنه لا يصرف لاحد شيء البتة الا بأمر السلطان وعلمه فلما حضر الوزير الجمالى انكر عليه السلطان وقال له ان الدواوين تلعب بك وأمر فأحضر التاج اسحاق وغريال ومجد الدين بن لعبية وقرعهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل والمصروف وقد فصلت بأسماء ما يحتاج الى صرفه والى شرائه وبيعه فصاروا يحضرون كل يوم الاوراق الى السلطان وتقرأ عليه فيصرف ما يحتاج ويوقف ما يريد ورسم أيضا أن مال الخيزة كله يحمل الى السلطان ولا يصرف منه شيء ثم لما كانت الفتنة بشعر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج وغضب السلطان على أهل الاسكندرية بعث بالجمالى اليها فصار من القاهرة في اثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودخل اليها فجلس بالخمس واستدعى بوجوه أهل البلد وقبض على كثير من العاتة ووسط بعضهم وقطع ايدي جماعة وأرجلهم وصادر أرباب الاموال حتى لم يدع أحدا له ثروة حتى ألزمه بمال كثير فباع الناس حتى ثياب نسائهم في هذه المصادرة وأخذ من التجار شيئا كثيرا مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه من الكتب بسفك الدماء وأخذ الاموال ثم أحضر العدد التي كانت بالثغر من صدقة رسم الجهاد فبلغت ستة آلاف عدة ووضعها في حاصل وختم عليه وخرج من الاسكندرية بعد عشرين يوما وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتي ألف دينار للسلطان وعاد الى القاهرة فلم يزل على حاله الى أن صرف عن الوزارة في يوم الاحد ثاني شوال سنة ثمان وعشرين ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير فلم يستقر أحد في الوزارة وبقي الجمالى على وظيفة الاستادارية وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة وقلة الواصل اليها فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق بسبب تقديمه لمحمد بن لعبية فانه كان قد استقر في نظر الدولة والصحة والبيوت ونحو ذلك في الوزير وتسلم قيادته فكتبت مرافعات في الوزير وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الخيزة فخرج الامير أتمش المجدى بالكشف عليه وهم السلطان بايقاع الحوطة به فقام في حقه الامير بكتر الساقى حتى غنى عنه وقبض على كثير من الدواوين ثم انه سافر الى الجواز فلما عاد توفي بسطح عقبة اليه في يوم الاحد سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فصر ورجل الى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه في يوم الخميس حادى عشر المحرم المذكور بعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى وولى السلطان بعده الاستادارية الامير أقبغا عبد الواحد وكان ينوب عن الجمالى في الاستادارية الطنقش مملوك الافرم قتلها بها من ولاية الشرقية وكان الجمالى حسن الطباع جميل الى الخير مع كثرة الحشمة ومما شتهر عليه في وزارته انه لم يجز على أحد بولاية مباشرة وأنشأ ناسا كثيرا وقصد من سائر الاعمال وكان يقبل الهدايا ويحب التصادم فخلت له الدنيا وجمع منها شيئا كثيرا وكان اذا أخذ من أحد شيئا على ولاية لا يعزله حتى يعرف انه قد اكتسب قدر ما وزنه له ولو أكثر عليه في السعي فاذا عرف انه أخذ ما غرمه عزله وولى غيره ولم يعرف عنه انه صادر أحد ولا اختلس مالا وكانت أيامه قلة الشر الا انه كان يعزل ويولى بالمال فتزايد الناس في المناصب وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين

* (المدرسة الفارسية) *

هذه المدرسة بخط الفهادين من أول العتوفية بالقاهرة كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين فلما كانت واقعة النصارى في سنة ست وخمسين وسبعمائة هدمها الامير فارس الدين البكي قريب الامير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبني هذه المدرسة ووقف عليها وفتايقوم بما يحتاج اليه

* (المدرسة السابقية) *

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جهة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل الى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام اليسرى بخط بين القصرين وكان يتوصل اليها أيضا من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضع الآن قيسارية الامير جمال الدين يوسف الاستادار بنى هذه المدرسة الطواشى الامير سابق الدين منقشال الانوكى مقدم الممالك السلطانية الاشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية قرر في تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن

الملقن الشافعي وجعل فيها تصدير قرآت وخزانة كتب وكذا باقر آفيه اتباع المسلمين وبني بينها وبين داره التي تعرف بقصر سابق الدين حوض ماء للسبيل هدمه إلا جمال الدين يوسف الاستادار لما بني داره المجاورة لهذه المدرسة وولى سابق الدين مقدمة المماليك بعد الطواشي شرف الدين مختصر الطغمرى في صفر سنة ثلاث وستين وسبع مائة ثم تنكر عليه الأمير بلبغا الخصاصكي القائم بدولة الملك الأشرف شعبان بن حسين وضربه ستمائة عصا وسجنه ونفاه إلى أسوان في آخر شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين فلم يكن غير قليل حتى قتل الأمير بلبغا فاستدعى الأشرف سابق الدين من قوص وصرف ظهر الدين مختار المعروف بشاذروان عن التقديم وأعادها إليها فاستمر إلى أن مات سنة ست وسبعين وسبع مائة

* (المدرسة القيسرانية) *

هذه المدرسة بجوار المدرسة صاحبية بسويقة صاحب فيما بينها وبين باب الخوخة كانت دارا يسكنها القاضي الرئيس شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني أحد موقعي الدست بالقاهرة فوقفها قبل موته مدرسة وذلك في ربيع الأول سنة إحدى وخسين وسبع مائة ووفى سنة اثنين وخسين وسبع مائة وكان خشنا كبيرا الهمة سعى بالأمير سيف الدين بهادر الدمر داني في كتابة السر بالقاهرة مكان علاء الدين علي بن فضل الله العمري فلم يتم ذلك ومات الأمير بهادر فأنحط جانبه وكانت ديناه واسعة جدًا وله عدة مماليك يتوصل بهم إلى السعي في أغراضه عند أمراء الدولة وكان ينسب إلى شيخ كبير

* (المدرسة الزمامية) *

هذه المدرسة بخط رأس البند قانين من القاهرة فيما بين البند قانين وسويقة صاحب بناها الأمير الطواشي زين الدين مقبل الرومي زمام الأدر الشريفة للسلطان الظاهر برقوق في سنة سبع وتسعين وسبع مائة وجعل بهادر ساو صوفية ومنبرًا يخطب عليه في كل جمعة وبينها وبين المدرسة صاحبية دون مدى الصوت فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر وهذا أقطاره بالقاهرة من شنيع ما حدث في غير موضع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم على إزالة هذه المبتدعات

* (المدرسة الصغيرة) *

هذه المدرسة فيما بين البند قانين وطواحين الملمين ويعرف خطها بيت محب الدين ناظر الجيوش ويعرف أيضا بخط بين العواميد بنتها الست أيدكين زوجة الأمير سيف الدين بكجا الناصري في سنة إحدى وخسين وسبع مائة

* (مدرسة تربة أم الصالح) *

هذه المدرسة بجوار المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسي فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة ما كان يستأنأ أنشأها الملك المنصور قلاوون على يد الأمير علم الدين شخير النجاشي في سنة اثنين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون فلما كمل بناؤها نزل إليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح علي ونصديق عند قبرها جمال جزيل ورتب لها وقفًا حسنًا على قراء وفقهائها وغير ذلك وكانت وفاتها في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة

* (مدرسة ابن عزّام) *

هذه المدرسة بجوار جامع الأمير حسين بمحجر جوهر النوبتي من بر الخليل الغربي خارج القاهرة أنشأها الأمير صلاح الدين خليل بن عزّام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الاسكندرية وكتب تاريخًا وشارك في علوم فلما قتل الأمير بركة بسجن الاسكندرية تارت ممالكة على الأمير الكبير برقوق خنقا قتله فانكر الأمير برقوق قتله وبعث الأمير يونس النوروزي دوا داره لكشف ذلك فتبش عنه قبره فاذا فيه ضربات عدة احدا من في رأسه فاتهم ابن عزّام بقتله من غير اذنه في ذلك فأخرج بركة من قبره وكان يشاهد من غير غسل ولا كفن وغسله وكفنه وأحضر ابن عزّام معه فسجن بمخزاة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة ثم عصر وأخرج يوم الخميس خامس عشر وحب سنة اثنين وثمانين وسبع مائة من خزانة شمائل وأمر به فدمر عريان بعد ما ضرب عند باب القلعة

بالمقارع ستة وثمانين بحضرة الامير قطلو دمر الخازندار والامير مامور حاجب الحجاب فلما نزل من القلعة وهو مسمر على الجبل أنشد

لک قلبي محله فدى لم تحله
لک من قلبي المسکان فلم لا تحله
قال ان كنت مالکاً فلی الامر کلّه

وما هو الآن وقب بسوق الخيل تحت القلعة واذا بما اليك بركة قدأ کبت عليه تضربه بسيفها حتى تقطع قطعاً وحز رأسه وعلق على باب زويلة وتلا عبت ايديهم فأخذوا حدأذنه وأخذوا حد رجليه واشترى آخر قطعة من لجه ولاکها ثم جمع ما وجد منه ودفن بمدرسه هذه فقال في ذلك صاحبنا الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

بدت أجزاء عزام خليل * مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المرائي * محزنة بتقليع الخليل

* (المدرسة المحمودية) *

هذه المدرسة بخط الموازين خارج باب زويلة تجاه دار القردمية يشبه أن موضعها كان في القديم من جملة الحارة التي كانت تعرف بالمنصورية أنشأها الامير جمال الدين محمود بن علي - الاستادار في سنة سبع وتسعين وسبعمائة ورتب بهادرسا وعمل فيها خزنة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها وهي باقية الى اليوم لا يخرج لاحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة وهذه الخزنة كتب الاسلام من كل فن وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر * (محمود) بن علي بن اصفري عنه الامير جمال الدين الاستادار ولي شد باب رشيد بالاسكندرية مدة وكانت واقعة الفرج بها في سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد فيقال ان ماله الذي وجد له حصله يومئذ ثم انه سار الى القاهرة فلما كانت ايام الظاهر برقوق خدم أستاذاراً عند الامير سودون باق ثم استقر شاد الدواوين الى أن مات الامير بهادر المتحكي أستاذار السلطان فاستقر عوضا عنه في وظيفة الاستادارية يوم الثلاثاء ثالث جادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ثم خلع عليه في يوم الخميس خامسه واستقر مشير الدولة فصار يتحدث في دواوين السلطنة الثلاثة وهي الديوان المفرد الذي يتحدث فيه الاستادار وديوان الوزارة ويعرف بالدولة وديوان الخالص المتعلق بنظر الخواص وعظم امره ونفذت كلمته لتصرفه في سائر أمور المملكة فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بمحضور الامير يلبغا الناصري نائب حلب في يوم الاثنين خامس جادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بعساكر الشام الى القاهرة واختفى الظاهر ثم أمسكه هرب هو وولده فنهبت دوره ثم انه ظهر من الاستار في يوم الخميس ثامن جادى الآخرة وقدم للامير يلبغا الناصري مالا كثيرا فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة الجبل وأقيم بدله في الاستادارية الامير علاء الدين اقبغا الجوهري فلما زالت دولة يلبغا الناصري بقيام الامير منطاش عليه قبض على اقبغا الجوهري فبين قبض عليه من الامراء وأفرج عن الامير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وألبسه قباء مطرزا بذهب وأنزله الى داره ثم قبض عليه وسجن بجزاة الخالص في يوم الاحد سادس عشر ذي الحجة في عتمة من الامراء والمماليك عند عزم منطاش على السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ومسيره الى دمشق فكانت جملة ما حمله الامير محمود من الذهب العين للامير يلبغا الناصري وللأمر منطاش ثمانية وخمسين قنطارا من الذهب المصري منها ثمانية عشر قنطارا في ليلة واحدة فلم يزل في الاعتقال الى أن خرج المماليك مع الامير يوطا في ليلة الخميس ثاني صفر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة فخرج معهم وأقام بمنزله الى أن عاد الملك الظاهر برقوق الى المملكة في رابع عشر صفر فخلع عليه واستقر أستاذار السلطان على عادته في يوم الاثنين تاسع عشرى جادى الاولى من السنة المذكورة عوضا عن الامير قرقاس الطشقرى بعد وفاته ثم خلع على ولده الامير ناصر الدين محمد بن محمود في يوم الخميس ثاني عشرى صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقر نائب السلطنة بشعر الاسكندرية عوضا عن الامير الأطنبغا المعلم فقويت حرمة الامير محمود ونفذت كلمته الى يوم الاثنين حادى عشر رجب من السنة المذكورة فنار عليه المماليك السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ورموه من أعلى القلعة بالحجارة

وأحاطوا به وضربوه يريدون قتله لولا أن الله أعانه بوصول الخبر إلى الأمير الكبير يتش وكان يسكن قريبا من القلعة فركب بنفسه وساق حتى أدركه وفترق عنه المماليك وسار به إلى منزله حتى سكنت الفتنة ثم شيعه إلى داره فكانت هذه الواقعة مبدأ انحلال أمره فان السلطان صرفه عن الاستادارية وولى الأمير الوزير ركن الدين عمر بن قايمار في يوم الخميس رابع عشره وخلع على الأمير محمود قبا بطر زذهب واستقر على أمره ثم صرف ابن قايمار عن الاستادارية وأعيد محمود في يوم الاثنين خامس عشر رمضان وأنعم على ابن قايمار بأمره طبلخاناه فجدد بنجر الاسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر ثم لما خرج الملك الظاهر إلى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين سار في ركابه ثم حضر إلى القاهرة في يوم الاربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة قبل حضور السلطان وكان دخوله يوما مشهودا فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل حدث منه تغير على الأمير محمود في يوم السبت ثالث عشر ربيع الأول وهم بالايقاع به فلما صار إلى داره بعث إليه الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوى يطلب منه خسمائة ألف دينار وان وقف يحيط به ويضربه بالمقارع فتزل إليه وتقر الحال على مائة وخمسين ألف دينار فطلع على العادة إلى القلعة في يوم الاثنين خامس عشره فسببه المماليك السلطانية ورجوه ثم ان السلطان غضب عليه وضربه في يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة وأخذ أمره بنحل فولى السلطان الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير تنكز استادارية الاملاك السلطانية في يوم الاثنين خامس رجب وولى علاء الدين علي بن الطبلاوى في رمضان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية والتحدث في المنجر السلطاني فوق بينه وبين الأمير محمود كلام كثير ورافعه ابن الطبلاوى بحضرة السلطان وخزج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة فأزيم السلطان محمود بمجموع مائة وخمسين ألف دينار فخلع عليه عند تكميله جلها في يوم الاحد تاسع عشر رمضان وخلع أيضا على ولده الأمير ناصر الدين وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندراني وعلى الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوى ثم ان محمود اوعك بدنه فتزل إليه السلطان في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة يعود فقدم له عده تقادم قبل بعضها ورد بعضها وتحدث الناس أنه استقلها فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين بعث السلطان إلى الأمير محمود الطواشي شاهين الحسني فأخذ زوجته وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب وأخذ ما لوقاشا على حمالين وصار بهما إلى القلعة هذا ومحمود مريض لازم الفراش ثم عاد من يومه وأخذ الأمير ناصر الدين محمد بن محمود وجهه إلى القلعة ثم نزل ابن غراب ومعه الأمير إلى باي الخازندار في يوم الاحد سابعه وأخذ من ذخيرة دار محمود خمسين ألف دينار وفي يوم الخميس حادى عشره صرف محمود عن الاستادارية واستقر عوضه الأمير سيف الدين قطلوبك العلأى استادار الأمير الكبير يتش وقرر سعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد فاجتمع مع ابن الطبلاوى على عداوة محمود والسعي في اهلاكه وسلم ابن محمود إلى ابن الطبلاوى في تاسع عشر ربيع الأول ليستخلص منه مائة ألف دينار ونزل الطواشي صندل النجكي والطواشي شاهين الحسني في ثالث عشره ومعهما ابن الطبلاوى فأخذ من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة ازيار صغار اوجد فيها ألف درهم فضة فخلعت إلى القلعة ووجد أيضا بهذه الخربة جرتان في أحدهما ستة آلاف دينار وفي الأخرى أربعة آلاف درهم فضة وخسمائة درهم وقبض على مباشرى محمود ومباشرى ولده وعوقب محمود ثم أوقعت الحوطة على موجود محمود في يوم الخميس سابع جمادى الاولى ورسم عليه ابن الطبلاوى في داره وأخذ مما لملكه واتباعه ولم يدع عنده غير ثلاث ممالك صغار وظهرت أموال محمود شيئا بعد شيئا ثم سلم إلى الأمير فرج شاذ الدواوين في خامس جمادى الآخرة فنقله إلى داره وعاقبه وعصره في ليلته ثم نقل في شعبان إلى دار ابن الطبلاوى فضربه وسعطه وعصره فلم يعترف بشيء وحكى عنه انه قال لو عرفت أنى أعاقب ما اعترف بشيء من المال وظهر منه في هذه الهمة ثبات وجلد وصبر مع قوة نفس وعدم خضوع حتى انه كان يسب ابن الطبلاوى اذا دخل إليه ولا يرفع له قدرا ثم ان السلطان استدعاه إلى ما بين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين وحضر سعد الدين بن غراب فشا فنه بكل سوء ورافعه في وجهه حتى استغضب السلطان على محمود وأمر بمعاقبته حتى يموت فأُنزل إلى بيت الأمير حسام الدين حسين بن أخت الفرص شاذ الدواوين وكان استادار محمود فلم يزل عنده في العقوبة إلى أن نقل من داره إلى خزانة

شمائل في ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى وهو مريض فأت بها في ليلة الاحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبع مائة ودفن من الغد بديره وقد أناف على الستين سنة وكان كثير الصلاة والعبادة مواظبا على قيام الليل الا انه كان شجاعا مسيكا شرها في الاموال رعى الناس منه في رماية البضائع بدواه اذا نسبت الى ما حدث من بعده كانت عافية ونعمة واكثر من ضرب القلوس بديار مصر حتى فسد بكثرتها حال اقليم مصر وكان جلة ما حمل من ماله بعد نكبته هذه مائة قنطار ذهبا وأربعين قنطارا عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا وألف ألف درهم فضة وأخذله من البضائع والغلال والقنود والاعمال ما قيمته ألف ألف درهم واكثر

(المدرسة المهدية)

هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولي رئاسة الاطباء في حادى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة واستقر مدرّس الطب بالمارستان المنصوري

(المدرسة السعدية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بقرب حدرة البقر على الشارع السلوك فيه من حوض ابن هنس الى الصليبية وهي فيما بين قلعة الجبل وبركة القيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الاسلام وهي الآن في ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل بناها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية في سنة خمس عشرة وسبع مائة وبني بها أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة في العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى وهو الذى عمر القرية التى تعرف اليوم بالخريرية من أعمال الغربية وكانت اقطاعه ثم انه أخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الامير قوصون في أرض أخذها منه فسار الى طرابلس وبها مات في سنة ثمان وعشرين وسبع مائة

(المدرسة الطنجية)

هذه المدرسة بخط حدرة البقر أيضا أنشأها الامير سيف الدين طنجى الاشرفى ولها وقف جيد (طنجى) الامير سيف الدين كان من جلة مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون ترقى في خدمته حتى صار من جلة أمراء ديار مصر فلما قتل الملك الاشرف قام طنجى في المماليك الاشرفية وحارب الامير بيدرا المتولى لقتل الاشرف حتى أخذه وقتله فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاون في المملكة بعد قتل بيدرا صار طنجى من اكابر الامراء واستقر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتيغامة أيامه الى أن خلع الملك العادل كتيغا وقام في سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى بمملوكه الامير سيف الدين منكوتر نيابة السلطنة بديار مصر فأخذ يواحد من امراء الدولة بسوء تصرفه وانفق أن طنجى حج في سنة سبع وتسعين وستمائة ففقر منكوتر مع المنصور انه اذا قدم من الحج يخرج به الى طرابلس ويقبض على أخيه الامير سيف الدين كرجى فعند ما قدم طنجى من الجمار في صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة رسم له نيابة طرابلس فنقل عليه ذلك وسعى بأخوته الاشرفية حتى اعفاه السلطان من السفر فسخط منكوتر وأبى الاسفر طنجى وبعث اليه يلزمه بالسفر وكان لاجين متقادا المنكوتر لا يحالفه في شئ فتواعد طنجى وكرجى مع جماعة من المماليك وقتلوا لاجين وقتل كرجى وخرج فاذا طنجى في انتظاره على باب القلعة من قلعة الجبل فسر بذلك وأمر باحضار من بالقلعة من الامراء وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائما وقتل منكوتر في تلك الليلة وعزم على أنه يتسلطن ويقوم كرجى في نيابة السلطنة فخذله الامراء وكان الامير بيدرا الدين بكاش الفخرى أمير سلاح قد خرج في غزاة وقرب حضوره فاستقبلوه بما يريد الى أن يحضر فأخر سلطنته وبقي الامراء في كل يوم يحضرون معه في باب القلعة ويجلس في مجلس النيابة والامراء عن يمينه وشماله ويمد سباط السلطان بين يديه فلما حضر أمير سلاح بمن معه من الامراء انزل طنجى والامراء الى لقائهم بعدما امتنع امتناعا كثيرا وترك كرجى يحفظ القلعة بمن معه من المماليك الاشرفية وقد نوى طنجى الشر للامراء الذين قد خرج الى لقائهم وعرف ذلك الامراء المقيمون عنده في القلعة فاستعدوا له وسار هو والامراء الى أن لقوا الامير بكاش

ومعه من الاشرفية أربع مائة فارس تحفظه حتى يعود من اللقاء الى القلعة فعندما وافاه بقبة النصر وتعاونا
أعلمه بقتل السلطان فشق عليه وللوقت جرد الامراء سيوفهم وارتفعت الضجة فساق طغبي من الحلقة والامراء
وراءه الى أن أدركه قراقوش الظاهري وضربه بسيف ألقاه عن فرسه الى الارض ميتا فتر كبري ثم أخذ
وقتل وحمل طغبي في منزلة من مزابل الحمامات على جمار الى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هناك الى اليوم
وكان قتله في يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين
ومنكوتر

* (المدرسة الجاولية) *

هذه المدرسة بجوار الكيش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ثلاث
وعشرين وسبعمائة وعمل بها درساً وصوفية ولها الى هذه الايام عدة أوقاف (سنجر) بن عبد الله الامير علم الدين
الجاولي كان مملوك جاولي أحد امراء الملك الظاهر بيبرس وانتقل بعد موت الامير جاولي الى بيت قلاون
وخرج في أيام الاشرف خليل بن قلاون الى الكرك واستقر في جلة البحرية بها الى أيام العادل كتبها فحضر
من عند نائب الكرك ومعه حواشيها فرفعه كتبها وأقامه على الخوشتخانة السلطانية وصحب الامير سلار
وواخاه فتقدم في الخدمة وبقي أستاذ اراصغير في أيام بيبرس وسلار فصار يدخل على السلطان الملك الناصر
ويخرج ويراعي مصالحه في أمر الطعام ويتقرب اليه فلما حضر من الكرك جهزه الى غزة نائباً في جادى
الاولى سنة احدى عشرة وسبعمائة عوضاً عن الامير سيف الدين قطلو أقر عبد الخالق بعد امساكه
وأضاف اليه مع غزة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس وأعطاه اقطاعاً كبيراً بحيث كان للواحد
من مماليكه اقطاع يعمل عشرين ألفاً وخمسة وعشرين ألفاً وعمل نيابة غزة على القالب الجائر الى أن وقعت
بينه وبين الامير تنكز نائب الشام بسبب دار كانت له تجاه جامع تنكز خارج دمشق من شمالها أراد تنكز أن
يتنازعها منه فأبى عليه فكتب فيه الى الملك الناصر محمد بن قلاون فأمسكه في ثامن عشر شعبان سنة عشرين
وسبعمائة واعتقله نحو اثنان سنين ثم أفرج عنه في سنة تسع وعشرين وأعطاه امرأة أربعين ثم بعد مدة
اعطاه امرأة مائة وقدمه على ألف وجعله من امراء المشورة فلم يزل على هذا الى أن مات الملك الناصر فتولى
غسله ودفنه قلاونى الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون سلطنة مصر أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها مدة
ثلاثة أشهر ثم نقله الى نيابة غزة فحضر اليها وأقام بها نحو ثلاثة اشهر أيضاً ثم أحضره الى القاهرة وقرره على ما كان
عليه وولى نظراً المارستان بعد نائب الكرك عندما أخرج الى نيابة طرابلس ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن
محمد بن قلاون وهو ممنوع في الكرك فأشرف عليه في بعض الايام الناصر أحمد من قلعة الكرك وسبه وشيخه
فقال له الجاولي نعم أنا شيخ فحس ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ الفس ونقل المنجنيق الى مكان يعرفه
ورمى به فلم يخط القلعة وهدم منها جانباً وطلع بالعسكر وأمسك أحمد وذبجه صبراً وبعث برأسه الى الصالح اسماعيل
وعاد الى مصر فلم يزل على حاله الى أن مات في منزله بالكيش يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين
وسبعمائة ودفن بمدرسته وكانت جنازته حافلة الى الغاية قد سمع الحديث وروى وصنف شرحاً كبيراً
على مسند الشافعي رحمه الله وأفتى في آخر عمره على مذهب الشافعي وكتب خطه على فتاوى عديدة وكان
خبيراً بالامور عارفاً بسياسة الملك كفواً لاوليه من النيابات وغيرها لا يزال يذكر أصحابه في غيبته عنهم ويكرهم
اذا حضر واعنده وانتفع به جماعة من الكتاب والعلماء والاكابر وله من الاسرار الجلية الفاضلة جامع بمدينة
غزة في غاية الحسن وله بها أيضاً حمام مليح ومدرسة للفقهاء الشافعية وخان للسبيل وهو الذى مدّن غزة وبني بها
أيضاً مارستاناً ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافاً جليلة وجعل نظره لتوابع غزة وعمرها أيضاً الميادين
والقصر وبني ببلد الخليل عليه السلام جامعاً سقفه منه حجر نفير وعمل الخان العظيم بقاقون والخان بقرية
الكثيب والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان في حمراء يسان وداراً بالقرب من باب النصر داخل القاهرة
وداراً بجوار مدرسته على الكيش وسائر عمارته نظريفة انيقة محكمة متقنة مليحة وكان ينتهي الى الامير سلار
ويجمل ذكره

* (المدرسة القارفاينة) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون وهي الآن بجوار حمام
القارقاتي تجاه البندقدارية بناها والجامع المجاور لها الامير ركن الدين بيبرس القارقاتي وهو غير القارقاتي
النسب اليه المدرسة القارقاتية بحارة الوزيرية من القاهرة

* (المدرسة الشيعية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة القيل كان موضعها مسجدا يعرف بمسجد سنقر
السعدى الذى بنى المدرسة السعدية فهدمه الامير الطواشى سعد الدين بشير الجدار الناصرى وبنى موضعه
هذه المدرسة فى سنة احدى وستين وسبع مائة وجعل بها خزانة كتب وهي من المدارس اللطيفة

* (المدرسة المهندارية) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلة الجبل يعرف خطها اليوم بخط جامع المارداني
خارج الدرب الاحمر وهي تجاه مصلى الاموات على يمينه من ساك من الدرب الاحمر طابا جامع المارداني ولها
باب آخر فى حارة البانسية بناها الامير شهاب الدين احمد بن اقوش الغزيرى المهندار وتقيب الجيوش
فى سنة خمس وعشرين وسبع مائة وجعلها مدرسة وخانقا وجعل طلبة درسها من الفقهاء الخفية وبنى الى
جانبا القيسارية والرابع الموجودين الآن

* (مدرسة الجهاى) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بخط
سويقة العزى أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجهاى فى سنة ثمان وستين وسبع مائة وجعل بها درسا
للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء الخفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهي من المدارس
المعتبرة بالبلدية ودرس بها شيخنا جلال الدين البناى الحنفى وكانت سكنه (الجهاى) بن عبد الله اليوسفى الامير
سيف الدين تنقل فى الخدم حتى صار من جلة الامراء بدار مصر فلما أقام الامير الاستدمر الناصرى بأمر
الدولة بعد قتل الامير بلبغا الخاصكى العمرى فى شوال سنة ثمان وستين وسبع مائة قبض على الجهاى فى عدة
من الامراء وقيدهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنوا الى عاشر صفر سنة تسع وستين فأفرج الملك الاشرف
شعبان بن حسين عنه وأعطاه امرأة مائة وتقدمة ألف وجعله أمير سلاح بترافى ثم جعله أمير سلاح تائبك العساكر
وناظر المارستان المنصوري عوضا عن الامير منكل بفا الشهمى فى سنة أربع وسبعين وسبع مائة وتزوج
بجويدة بركة أم السلطان الملك الاشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم فى الدولة تحكما زائدا الى يوم الثلاثاء
سادس المحرم سنة خمس وسبعين وسبع مائة فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان
بعد موتها فركب السلطان وأمر أهله وبنات الفريقان ليلة الاربعاء على الاستعداد للقتال الى بكرة نهار الاربعاء
نواقع الجهاى مع أمراء السلطان احدى عشرة ووقعه انكسر فى آخرها الجهاى وفر الى جهة بركة الحبش وصعد
من الجبل من عند الجبل الاجر الى قبة النصر ووقف هناك فاشتد على السلطان فبعث اليه خلعة بناية جاءه
فقال لا اوجه الا وجهى مما ليكى كاهم وجميع أموالى فلم يوافق السلطان على ذلك وبنات الفريقان على
الحرب فأنسل أكثر مما ليك الجهاى فى الليل الى السلطان وعند ما طلع النهار يوم الخميس بعث السلطان
عساكره لمحاربة الجهاى بقبة النصر فلم يقاتلهم وولى منزما والطلب وراءه الى ناحية الخرافانية بشاطئ النيل
قريبا من قلوب قعير وقد أدركه العسكر فألقى نفسه بفرسه فى البحر يريد النجاة الى البر الغربى فغرق بفرسه
ثم خلس الفرس وهلك الجهاى فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها على احضار مما ليك فأمسك منهم جماعة وبعث
السلطان الغطاسين الى البحر تطلبه قبيعه حتى أخرجه الى البر فى يوم الجمعة تاسع المحرم سنة خمس وسبعين
وسبع مائة فحمل فى تابوت على لباد أجر الى مدرسته هذه وغسل وكفن ودفن بها وكان مهاجرا عسوقا
عتبا تحدث فى الاوقاف فشد على الفقهاء وأهان جماعة منهم وكان معروفا بالاقدام والشجاعة

* (مدرسة أم السلطان) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها الآن بالتيانة وموضعها كان قد بجا مقبرة لاهل

القاهرة أنشأها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسيل وهي من المدارس الجليلة وفيها دفن ابنها الملك الأشرف بعد قتله * (بركة) الست الجليلة خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها في مملكة مصر عظم شأنها ووجت في سنة سبعين وسبعمائة بحمل كثير ورج زائد وعلى محفها العصائب السلطانية والكؤوسات تدق معها وسار في خدمتها من الأمراء المقدمين بشتاك العمري رأس نوبة وبها دراجمالي ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف ومن جلة ما كان معها قطار جمال محملة تحاير قد زرع فيها البقل والخضراوات الى غير ذلك مما يجعل وصفه فلما عادت في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره الى لقاءها وسار الى البويب في سادس عشر المحرم وتزوجت بالامير الكبير الجاي اليوسفي وبها طال واستطال ماتت في ثامن عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف يتحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الافعال الجليلة في تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد في أهل الخير ومحبة في الصالحين وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة وأسف السلطان على فقدها ووجد وجددا كبيرا الكثرة حبه لها واتفق أنها المامات أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج السعدي

في ثامن العشرين من ذي قعدة * كانت صبيحة موت أم الأشرف

فأله يرحمها ويعظم أجره * ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان كما قال وغرق الجاي اليوسفي كما تقدم ذكره في يوم عاشوراء

* (المدرسة الايتيمية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الامير الكبير سيف الدين ايتيمش الجبائي ثم الظاهري في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبني بجانبها فندقا كبيرا يعلو ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسيل وربعا وهي مدرسة لطيفة * (ايتيمش) ابن عبد الله الامير الكبير سيف الدين الجبائي ثم الظاهري كان أحد المماليك البلغاوية

* (المدرسة المجدية الخليلية) *

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد عمرها الشيخ الامام محمد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين أبي علي الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلي الداري فتمت في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة وقتر فيها مدرسا شافعيًا ومعدن وعشرين نفرا طلبة وامامات رتبًا ومؤذنا وقيا لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وادارة ساقيتها وأجرى الماء الى فسقيتها ووقف عليها غيظا بناحية باربار من أعمال المزاجيتين وبستانا بمحلة الامير من المزاجيتين بالغربية وغيظا بناحية نطوبس وربع غيظ بظاهر نغر رشيد وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس وربعا بمدينة مصر * ومحمد الدين هذا هو والد صاحب الوزير نغر الدين عمر بن الخليلي ودرس بهذه المدرسة صاحب نغر الدين الى حين وفاته وتوفي محمد الدين بدمشق في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة وكان مشهورا بالصلاح

* (المدرسة الناصرية بالقرافة) *

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه من قرافة مصر أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعي وجعل له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارًا معاملة تصرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلاث دراهم وعن معلوم النظر في اوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري وراوتين من ماء النيل وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة ووقف عليها جاما بجوارها وفرنا تجاهاها وحوانيظ بظاهرها والجزيرة التي يقال لها جزيرة القيل ببحر النيل خارج القاهرة وولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واصلت في فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة

ولى تدريسه قاضى القضاة تقي الدين محمد بن رزين الجوى بعد عزله من وظيفة القضاء وتزله نصف المعلوم فلما مات ولها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد برع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السجارى التدريس قرره المعلوم الشاهده كتاب الوقت

* (المدرسة المسلية) *

هذه المدرسة بمدينة مصر فى خط السيورين أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام الباسى الأصل ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن بسير بفتح الباء أول الحروف وكسر السين المهملة ثم باء آخر الحروف بعد هاءراء ومات فى سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تتم فوصى بتكملتها وأفرادها ما لا وقف عليها دورا وأرضاً بناحية قليوب وشرط أن يكون فيها مدرس مالكي ومدرس شافعي ومؤدب أطفال وغير ذلك فأكملها مولاه ووصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة استاذة وهى الآن عامرة وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة ما لم يبلغه أحد ممن أدركناه بحيث أنه جاء نصيب أحد أولاده نحو ما تقي القديسار مصرية وكان كثير الصدقات على الفقراء مقترأ على نفسه إلى الغاية وله أيضاً مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير وله أيضاً دار جليلة على ساحل النيل بمصر وكان أبوه تاجراً سفاراً بعدما كان حمالاً فصار ابن بسير ورزق محمد هذا من ابنته فنشأ على صيانة ورزق الحظ الوافر فى التجارة فكان يبعث أحدهم بمال عظيم إلى الهند ويبعث آخر بمثل ذلك إلى بلاد السكرور ويبعث آخر إلى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين إلى عدة جهات من الأرض فامتهم من يعود الاوقد تضاعفت فواتد ماله أضاعها فامضاعفة

* (مدرسة ايتال) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القما حين كان موضعها فى القديم من حقوق حارة المنصورة أوصى بعمارها الأمير الكبير سيف الدين ايتال اليوسفى أحد المماليك اليلبغاوية فابتدأ بعملها فى سنة أربع وتسعين وفرغت فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يعمل فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره فانه لم مات فى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة فنقل إليها دفن فيها و(ايتال) هذا ولى نيابة حلب وصار فى آخر عمره أتابك العساكر بديار مصر حتى مات وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق والعساكر

* (مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار) *

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة كان موضعها قيسارية يعاوها ضباق كلها وقف فأخذها وهدمها واستأبشق الأساس فى يوم السبت خامس جمادى الأولى سنة عشر وثمانمائة وجمع لها الآلات من الاجار والاختشاب والرخام وغير ذلك وكان مدرسة الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التى كانت بالصوة تحياه الطبطينا من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبائيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من انواع العلوم جملة فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الاشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونقلها إلى داره وكان بمافيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة اشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك أحدها بخط يافوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبة ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى الكاس الحرير الاطلس ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوله الاشهاد على الملك الاشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة وقد انتهت عمارتها جمع بها الأمير جمال الدين القضاة والاعيان وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على سجادة المشيخة وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية ومدت بما طاب لجلالاه كل عليه كل من حضر وملا البركة التى توسط المدرسة ما قد أذيب فيه سكر من جماء اليمون وكان يوماً مشهوداً وقررتى تدريس الحنفية بدر الدين

محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزاني وفي تدريس المالكية شمس الدين محمد بن البساطي وفي تدريس الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلي وفي تدريس الحديث النبوي شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر وفي تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني فكان يجلس من ذكرنا واحدا بعد واحد في كل يوم الى أن كان آخرهم شيخ التفسير وكان مسك الختام وما منهم الا من يحضر معه ويلبسه ما يليق به من الملابس الفاخرة وقرع عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة وأخرى لكل واحد ثلاثة ارطال من الخبز في كل يوم وثلاثين درهما فلوسا في كل شهر وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم في كل شهر ورتبها اماما وقومة ومؤذنين وقرائين ومباشرين واكثر من وقف الدور عليها وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته فجاءت في أحسن هدام وأتم قالب وأخزى وأبدع نظام الا انها وما فيها من الآلات وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا وعمل فيها الصانع بأبحس أجرة مع العسف الشديد فلما قبض عليه السلطان وقتله في جادى الاولى سنة اثنتي عشرة وثمانمائة واستولى على امواله حسن جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه في رعاها فانه غاية في الحسن وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير قال الى ذلك وعزم عليه فكمه ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر واستشنع أن يهدم بيت بني علي اسم الله يعلن فيه بالاذان خمس مرات في اليوم واليلة وتقام به الصلوات الخمس في جماعة عديدة ويحضره في عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرؤون القرآن في وقت التصوف ويذكرون الله ويدعونه ويتحلق به الفقهاء لدرس تفسير القرآن الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الأئمة الاربعة ويعلم فيه ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل ويجري على هؤلاء المذكورين الارزاق في كل يوم ومن المال في كل شهر ورأى أن ازالة مثل هذا اوصمة في الدين فتجرد له وما زال بالسلطان يرغبه في ابقائها على أن يزال منها اسم جمال الدين وتنسب اليه فانه من الفتنة دم مثلها ونحو ذلك حتى رجع الى قوله وقوض أمرها اليه فهدم ذلك أحسن تدبير وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض التربة فاستبدل به جمال الدين أراضا من جهلة أراضى الخراج بالجيزة وحكم له قاضي القضاة جمال الدين عمر بن العديم ببيعة الاستبدال وهدم البناء وبني موضعه هذه المدرسة وتسلم متولى موضعها الارض المستبدل بها الى أن قتل جمال الدين وأحيط بأمواله فدخل فيها أحيط به هذه الارض المستبدل بها وادعى السلطان أن جمال الدين اقتات عليه في أخذ هذه الارض وأنه لم يأذن في بيعها من بيت المال فأفتى حينئذ محمد شمس الدين المدني المالكي بأن بناء هذه المدرسة الذي وقفه جمال الدين على الارض التي لم يملكها بوجه صحيح لا يضح وأنه باق على ملكه الى حين موته فندب عند ذلك شهود القيمة الى تقويم بناء المدرسة فقوموها باثني عشر ألف دينار ذهباً واثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة فحمل المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه وباعوا بناء المدرسة للسلطان ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور وأشهد عليه أنه وقف أرض هذه المدرسة بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حتى ببيعة الاستبدال ثم وقف البناء الذي اشتراه وحكم ببيعة أيضا ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ونحصره ثم منعه وجدد كتاب وقف يتضمن جميع ما قرره جمال الدين في كتاب وقفه من أرباب الوظائف وما لهم من الخبز في كل يوم ومن المعلوم في كل شهر وأبطل ما كان لا ولا جمال الدين من فائض الوقف وأقر لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفا عليها عدة مواضع تقوم بكفاية مصر وفها وزاد في أوقافها أرضا بالجيزة وجعل ما بقي من اوقاف جمال الدين على هذه المدرسة وبعضه وقف على اولاده وبعضه وقف على التربة التي أنشأها في قبة أبيه الملك الطاهر برقوق خارج باب النصر وحكم القضاة الاربعة ببيعة هذا الكتاب بعد ما حكموا ببيعة كتاب وقف جمال الدين ثم حكموا ببطالانه ثم لما تم ذلك محي من هذه المدرسة اسم جمال الدين ورنكه وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بد الله رحمنها من اعلامه وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها ثم نظر السلطان في كتبها العلوية الموقوفة بها فأقر منها جلة كتب بظاهرها كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له وحمل كثير من كتبها الى قلعة الجبل وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجالية ولم تزل على ذلك حتى قتل الناصر وقدم الامير شيخ الى القاهرة واستولى على امور الدولة فتوصل شمس الدين محمد أخو جمال الدين وزوج ابنته لشرف الدين أبي بكر بن الجعي موقع الاستاد الامير شيخ حتى أحضر قضية القضاة وحكم الصدر على بن الادعي قاضي القضاة الحنفى برد

أوقاف جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط في الحكم بل تهوؤ فيه وجازف ولذلك أسباب منها عناية
الامير شيخ جمال الدين الاستاد ارفانه لما انتقل اليه اقطاع الامير بحاس بعد موت الملك الظاهر برقوق استقر
جمال الدين استاداره كما كان استادار بحاس فخدمه خدمة بالغة وخرج الامير شيخ الى بلاد الشام واستقر
في نيسابطة طرابلس ثم في نيسابطة الشام وخدمه جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوده بمسقرة وأرسل مرة الامير شيخ
من دمشق بصدر الدين بن الادمي المذكور في الرسالة الى الملك الناصر وجمال الدين حينئذ عزيز مصر فأنزله
وأكرمهم وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفية وكأية السر بدمشق وأعاده اليه وما زال معتنيا بأموال الامير شيخ
حتى انه اتهم بأنه قد مالاه على السلطان فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه فلما قتل الناصر
واستولى الامير شيخ على الامور بدمصر وولى قضاء الحنفية بدمصر لصدر الدين علي بن الادمي المذكور
وولى استاداره بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسي استادار السلطان فخدم شرف الدين أبو بكر بن الجعي
زوج ابنة أخي جمال الدين عنده موقعا وتمكن منه فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السر حتى أئتمن جراحة
عند الملك المؤيد شيخ ونكبه بعد ما تسلطن واستعان أيضا بقاضي القضاة صدر الدين بن الادمي فانه كان
عشره وصديقه من أيام جمال الدين ثم استمال ناصر الدين محمد بن البارزي موقع الامير الكبير شيخ فقام
الثلاثة مع شمس الدين أخي جمال الدين حتى أعيد الى مشيخة خانكاه ببيرس وغيرها من الوظائف التي أخذت
منه عند ما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه وتحدثوا مع الامير الكبير في رد أوقاف جمال الدين الى أخيه
وأولاده فان الناصر غصبا منهم وأخذ أموالهم وديارهم بظلمة الى أن فقدوا القوت ونحو هذا من القول حتى
حز كوامنه حقا كما ناع على الناصر وعلموا منه عصيته لجمال الدين هذا وغرض القوم في الباطن تأخير فتح
الدين والابقاع به فانه ثقل عليهم وجوده معهم فأمر عند ذلك الامير الكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة
والامراء وأهل الدولة عنده بالحرقاة من باب السلسلة في يوم السبت تاسع عشر شهر رجب سنة خمس عشرة
وتقدم أخو جمال الدين ليدعي على فتح الدين فتح الله كاتب السر وكان قد علم بذلك ووكل بدر الدين حسنا
البردي أحد قواب الشافعية في سماع الدعوى ورد الاجوبة فعند ما جلس البردي للسمع معه مع أخي جمال الدين
نهره الامير الكبير وأقامه وأمر بأن يكون فتح الله هو الذي يدعي عليه فلم يجد بدا من جلوسه فهاهو الآن ادعى
عليه أخو جمال الدين بأنه وضع يده على مدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق فبادر قاضي القضاة صدر
الدين علي بن الادمي الحنفي وحكم برفع يده وعود أوقاف جمال الدين ومدرسته الى مانص عليه جمال الدين
ونفذ بقية القضاة حكمه وانفضوا على ذلك فاستولى أخو جمال الدين وصهره شرف الدين على حاصل كبير
كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها ومن مال بعنه الملك الناصر اليها وفرقوه حتى كتبوا كتابا اخترعوه
من عند انفسهم جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لأخيه شمس
الدين المذكور وذريته الى غير ذلك مما افقوه بشهادة قوم استمالوهم فالواثم أثبتوا هذا الكتاب على قاضي
القضاة صدر الدين بن الادمي ونفذ بقية القضاة فاستمر الامر على هذا البهتان المخلوق والافك المقتري مدة
ثم تاربعض صوفية هذه المدرسة وأثبت محضر بأن النظر لكاتب السر فلما ثبت ذلك نزع يد أخي جمال الدين
عن التصرف في المدرسة ونولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر واستمر الامر على هذا فكانت
قصة هذه المدرسة من اعجب ما سمع به في تناقض القضاة وحكمهم بالظلم ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح ما ابطلوه
كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم سنكتب شهادتهم وبسألون

* (المدرسة الصرغتمشية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبي العباس أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان
موضعها قديما من جبله قطائع ابن طولون ثم صار عدة مساكن فأخذها الامير سيف الدين صرغتمش
الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين
وسبعمائة وانتهت في جادى الاولى سنة سبع وخمسين وقد جاءت من أيدع المباني وأجلها وأحسنها قريبا
وأجمعها منظر افر كركب الامير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعه وحضر اليه الامير سيف الدين شيخو العمرى مدير

الدولة والامير طاشقمر القاسمي حاجب الحجاب والامير قوتاي الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة
الاربعة ومشايخ العلم ورتب مدرّس الفقه بما قوام الدين أمير كتاب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير
غازي الاتقاني فالقي القوام المدرس ثم مدحهما طجليل بالهمة الملوكية ومثلت البركة التي بها سكر اذيب
بالماء فأكل الناس وشربوا وأبج ما بقى من ذلك للهامة فاستهيوه وجعل الامير صرغتمش هذه المدرسة وقضا على
الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درسا للعديد النبوي وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبته لهم
وقال أدياء العصر فيها شعر كثيرا فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي

لهنك يا صرغتمش ما ينبت * لآخر الذي دنياك من حسن بستان

به يزدهي الترخيم كالزهر بهجة * فله من زهر ولله من باق

وخلع في هذا اليوم على القوام خلعة سنينة وأركبه بغلة زائغة وأجازه بعشرة آلاف درهم على ابيات مدحه بها
في غاية السهاجة وهي

ارأيت من حاز الرتبة * وأنى قريبا ونفى ريسا

فبدا علما وسما كرما * ونما قدما ولقد غلبا

بتقى وهدى وندا وجددا * فعدا وسدى وجي وجبا

يدى سننا أحي سننا * حلى زمنا عند الادبا

هذا صرغتمش قد سكبت * أيام امارته السحبا

وأزال الجلب الى خصب * والضنك الى رغد قلبا

يا عانة جبار ربي * ذى العرش وقد بذل النشبا

ملك فطن ركن لسن * حسن بسن ربي الادبا

ملك الكبريا ملك الامرا * ملك العلى ملك الادبا

بحر طام غيث هام * قد رسام حامى الغربا

يشاشته وسماحته * وجاسته جلى الكربا

ودياته وصياته * وأماته حاز الرتبة

أبى أصلا اسنى نسلا * اعطى فضلا مأوى الغربا

نعم المأوى مصر لما * شملت قوما نبلا نجبا

فب نور وسمت نورا * وعلت دورا وأرت طربا

نسقت دررا وسقت دررا * ودعت غررا وحوث أدبا

وخطابته افتخرت وعلت * وسمت وزرت وحوث أدبا

جدد درسا ثم اجن جنى * منها ومنى فحى طلبا

من نازعنى نسيى علنا * فاراب لنا نعمت نسبا

كنون أبا الحنفية تم قوام الدين بدا لقباً

عش في رحب ترقى عجا * من متعب عجب عجا

* (صرغتمش) الناصرى الامير سيف الدين رأس نوبة جلبيه الخواجا الصوفى في سنة سبع وثلاثين
وسبع مائة فاشتره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بما بقى ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو أربعة آلاف
منقال ذهباً وخلع على الخواجا تشريفا كاملا بصياصة ذهب وكتب له توقيعاً بمساحة مائة ألف درهم من
متجره فلم يعأ به السلطان وصار في أيامه من جلة الجندارية وحكى عن القاضي شرف الدين عبد الوهاب ناظر
الخاص ان السلطان أنعم على صرغتمش هذا بعشر طاقات أديم طائفي فلما جاء الى الشور تردد اليه مراراً حتى
دفعها اليه ولم يزل حامل الذكر الى أن كانت أيام المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فبعه مسقراً مع الامير نخر الدين
ايازا السلاح دار لما استقر في نيسابة حلب فلما عاد من حلب ترقى في الخدمة وتمكن عند المظفر وتوجه في خدمة
الصالح بن محمد بن قلاوون الى دمشق في نوبة يلعاروس وصار السلطان يرجع الى رأيه فلما عاد من دمشق أمسك

الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير امر السلطان وأخذ أمواله وعارض في أمره الأمير شيخو والأمير طاز ومن حينئذ عظم ولم يزل حتى خلع السلطان الملك الصالح وأعيد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فلما أخرج الأمير شيخو انفرد صرغتمش بتدبير أمور المملكة ونظم قدره ونفذ كلمته فعزل قضاة مصر والشام وغير الثواب بالممالك والسلطان يحدد عليه إلى أن امسكه في العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وقبض معه على الأمير طشتمر القاسمي حاجب الحجاب والأمير ملكتمر الحمدي وبجاعة وحملهم إلى الاسكندرية فسجنوا بها وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثنى عشر يوماً من سجنه في ذي الحجة سنة تسع وخمسين وسبع مائة وكان ملج الصورة جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك في الفقه على مذهب الحنفية ويسالغ في التعصب لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم ويحلمهم اجلا لا زائدا ويشد وطرفاً من النحو وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية فاذا بحث في الفقه أو اللغة اشتط ولما تحدث في الاوقاف وفي البريد خاف الناس منه فلم يكن أحديهم يركب خيل البريد الا برسومه ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه تماساً ودراهم على خيل البريد واشتد في أمر الاوقاف فعمرت في مباشرته ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله وكانت شياً كثيراً يكل عنه الوصف

* (ذكر المارستانات) *

قال الجوهري في الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر أن الملك مناقبوش بن أشمون أحد ملوك القبط الاول بأرض مصر أول من عل البيمارستانات لعلاج المرضى وأودعها العقاقير ورتب فيها الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم ومناقبوش هذا هو الذي بنى مدينة اخميم وبنى مدينة سنترية * وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن ابوقليس وذلك أنه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له موضعاً مفرد للمرضى وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين أي جمع المرضى وأول من بنى المارستان في الاسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة وذلك في سنة ثمان وثمانين وجعل في المارستان الاطباء وأجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذمين لتلايخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق وقال جامع السيرة الطولونية وقد ذكر بناء جامع ابن طولون وعمل في مؤخره ميثاة وحرانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة

* (مارستان ابن طولون) *

هذا المارستان موضعه الآن في أرض العسكروهي الكيمان والصحراء التي فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجراح وفيما بين قطرة السدة التي على الخليج ظاهراً مدينة مصر وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر وقد ترو هذا المارستان في جملة ما ترو ولم يبق له اثر * وقال أبو عمر الكندي في كتاب الامراء وأمر أحد بن طولون أيضاً ببناء المارستان للمرضى فبنى لهم في سنة تسع وخمسين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي سنة احدى وستين ومائتين بنى أحد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الاساقفة والقيسارية وسوّل الرقيق وشرط في المارستان أن لا يعالج فيه جندي ولا يملوك وعمل حمامين للمارستان احدهما للرجال والاخرى للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط أنه اذا جى بالعليل تنزع مياحه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس مياها ويغسل له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فزوجاً ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطى ماله ومياحه وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى بتور فرعون وكان الذي اتفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خرائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحجوسين من المجانين فدخل مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الامير اجمع كلامي ما أنا بمجنون وانما عملت على حيلة وفي نفسي شهوة رمانة عريشة اكبر ما يكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها في يده ورازها ثم غافل

أحمد بن طولون ورمى بها في صدره فنضجت على ثيابه ولو تمكنت منه لانت على صدره فأمرهم أن يحفظوا به
ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في المارستان

*** (مارستان كافور) ***

هذا المارستان بناه كافور الأخشيدي وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الأخشيدي
بمدينة مصر في سنة ست وأربعين وثلثمائة

*** (مارستان المغافر) ***

هذا المارستان كان في خطة المغافر التي موضعها بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التي
بالقرافة بناء الفتح بن خاقان في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد بادأ أثره

*** (المارستان الكبير المنصوري) ***

هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين
الله أبي تميم معد ثم عرف بدار الأمير نحر الدين جهار كس بعد زوال الدولة الفاطمية وبادر موسك ثم عرف بالملك
المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وصار يقال لها الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته إلى
أن أخذها الملك المنصور قلاوون الأتقي الصالح من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية
وعوضت عن ذلك قصر الزمرد بربحة باب العيد في ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة
بسفارة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك ورسم بعمارتهما مارستانا وقبة ومدرسة فتولى الشجاعي
أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الغرض في أسرع مدة وهي أحد عشر شهرا
وأيام وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر
جليلة منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل وكان الشروع في بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سنة
ثلاث وثمانين وستمائة وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم في أيام الظاهر
بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة أصابه بدمشق قولنج عظيم فعالجها الأطباء بأدوية أخذت له من مارستان
نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر أن آتاه الله الملك أن يبنى مارستانا فلما تسلطن
أخذ في عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض أهلها عنها قصر الزمرد وولى الأمير علم الدين سنجر
الشجاعي أمر عمارته فبقي القاعة على حالها وعملها مارستانا وهي ذات إيوانات أربعة بكل إيوان
شاذروان وبدور قاعاتها فسقية بصير إليها من الشاذروانات الماء واتفق أن بعض الفعلة كان يحفر في أساس
المدرسة المنصورية فوجد حق اشنان من نحاس ووجد رفيقه فقاما شحاسا محتوما برصاص فأحضرا ذلك إلى
الشجاعي فاذا في الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الإبصار ووجد في التهمم ذهباً كان
بجمله ذلك نظير ما غرم على العمارة فحمله إلى أسعد الدين كوهي الناصري العدل فرفعه إلى السلطان ولما شجرت
العمارة وقف عليها الملك المنصور من الأملاك بدار مصر وغيرها ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة
ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الإيتام ثم استدعى قدام من شراب المارستان وشربه
وقال قد وقفت هذا على مثلي فن دوني وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندي والأمير والكبير والصغير والحر
والعبد الذكور والإناث ورتب فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض
وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقر لهم المعاليم ونصب الاسرة للمرضى
وفرشها بجميع الفرش المحتاج إليها في المرض وأفرد لكل طائفة من المرضى موقعا فجعل أووين المارستان
الأربعة للمرضى بالحميات ونحوها وأفرد قاعة للرمدى وقاعة للبرص وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكانا
للمبرودين ينقسم قسمين قسم للرجال وقسم للنساء وجعل الماء يجري في جميع هذه الأماكن وأفرد مكانا للطبخ
الطعام والأدوية والأشربة ومكانا لتركيب المعاجين والأحمال والشياطات ونحوها وموضع يخزن فيها
الحواصل وجعل مكانا يترقى فيه الأشربة والأدوية ومكانا يجلس فيه رئيس الأطباء لالقاء درس طب ولم يخص

عدة المرضى بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غنى وفقر ولا حدة مدة لا قامة المريض به بل يرتب منه لمن هو مريض يداؤه سائر ما يحتاج اليه ووكّل الأمير عز الدين أيلك الأقرم الصالحى أمير جندارنى وقف ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لأولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعى فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين وسقمانه ولما قرئ عليه كتاب الوقف قال للشجاعى "ما رأيت خط الأسعد كاتبى مع خطوط القضاة أبصر أيش فيه زغل حتى ما كتب عليه فما زال يقرب لذهنه أن هذا بما لا يكتب عليه الاقضاة الاسلام حتى فهم ذلك فبلغ مصروف الشراب منه فى كل يوم خمسمائة رطل سوى السكر ورتب فيه عدة ما بين أمين ومباشر وجعل مباشرين للإدارة وهم الذين يضبطون ما يشتري من الاضناف وما يحضر منها الى المارستان ومباشرين لاستخراج مال الوقف ومباشرين فى المطبخ ومباشرين فى عمارة الاوقاف التى تتعلق به وقررنى القبة خمسين مقربا يتساوون قراءة القرآن ليللا ونهارا ورتب بها اما مارا تابا وجعل بها رئيسا للمؤذنين عند ما يؤذنون فوق منارة ليس فى اقليم مصر اجل منها ورتب بهذه القبة درسا لتفسير القرآن فيه مدرّس ومعيدان وثلاثون طالبا ودرّس حديث نبوى وجعل بها خزنة كتب وستة خدام طواشيه لا يزالون بها ورتب بالمدرسة اما ما راتا وما تصدرا لاقراء القرآن ودرّسا أربعة للفقه على المذاهب الاربعة ورتب بكتب السبيل معلمين يقرّنان الايتام ورتب للايتام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف فلما ولى الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك نظر المارستان أنشأ به قاعة للمرضى ونحت الحجارة المبني بها الجدران كلها حتى صارت كأنها جديدة وجدّد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة وعمل خيمة تظل الاقفاص طولها مائة ذراع قام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل أيضا حوض ماء كان يرسم شرب اليه ثم من جانب باب المارستان وابطله لتأذى الناس بتزرائحة ما يتبع قدامه من الاوساخ وأنشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور وقد تورّع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة فى المدرسة المنصورية والقبة وعابوا المارستان لكثرة عصف الناس فى عله وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستانا نذب الطواشى حسام الدين بلالا المغيثى للكلام فى شرائه فاساس الامر فى ذلك حتى أنه تمت مؤنسة خاتون ببيعها على أن تعوض عنها بدارتها وعباها فاعوضت قصر الزمرد بركة باب العيد مع مبلغ مال حمل اليها ووقع البيع على هذا فندب السلطان الأمير سنجر الشجاعى للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ ثمانمائة أسير وجمع صناعات القاهرة ومصر وتقدم اليهم بأن يعملوا بأجمعهم فى الدار القطبية ومنعهم أن يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا وشدّد عليهم فى ذلك وكان مهابة فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العهد الصوان والعهد الرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقضاء المذكورة على العجل الى المارستان ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاساقيل حتى لا يتوانوا فى عملهم وأوقف بمال يملكه بين القصرين فكان اذا مرّ أحد ولو جمل أنزموه أن يرفع حجرا ويلقيه فى موضع العمارة فينزل الجندى والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك قتل أكثر الناس المروزمين هناك ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف قبا صورتها ما يقول أئمة الدين فى موضع أخرجه أهلهم منه كرها وعجز بمسحّين يعسفون الصناع وأخرب ما عمره الغير ونقل اليه ما كان فيه فعمره هل تجوز الصلاة فيه أم لا فكتب جماعة من الفقهاء لا تجوز فيه الصلاة فما زال المجد عيسى ابن الخشاب حتى أوقف الشجاعى على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يجبه أحد منهم بشئ سوى الشيخ محمد المرجانى فأنه قال أنا اقيمت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها ونهض قائما فأنقض الناس واتفق أيضا أن الشجاعى مازال بالشيخ محمد المرجانى يلج فى سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ بالمدرسة المنصورية حتى أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعى والقضاة وأخذ المرجانى فى ذكر ولادة الامور من الملوك والامراء والقضاة وذم من يأخذ الاراضى غصبا ويستحث العمال فى عماله وينقص من أجورهم وختم بقوله تعالى ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتنى اتخذ فلانا خليلا وقام فسأله الشجاعى الدعاء له فقال يا علم الدين

قد دعاك ودعا عليك من هو خير مني وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشق عليه وانصرف فصار الشجاعى من ذلك في قلق وطلب الشيخ نقي الدين مجد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه في حديث الناس في منع الصلاة في المدرسة وذكر له أن السلطان انما أراد محكاكة نور الدين الشهيد والاعتداء به لرغبته في عمل الخير فوقع الناس في القدر فيه ولم يقدحوا في نور الدين فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك القربى وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه فمات في طريقه قبل وصوله مملكتهم وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فنأين باعلم الدين تجمدا لا مثل هذا المال وسلطانا مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجوه الخير بعمارة هذا الموضع وأنت ان كان وقوفك في عمله بنية نفع الناس فكذلك الأجر وان كان لاجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شيء فقال الشجاعى الله المطلاع على النيات وقرر ابن دقيق العيد في تدريس القبة * (قال مؤلفه) ان كان التخرج من الصلاة لاجل أخذ الدار القبطية من أهلها بغير رضاهم واخراجهم منها بعنف واستعمال أنقاض القلعة بالروضة فلعسى ما تملك بنى أيوب الدار القبطية وبنواهم قلعة الروضة واخراجهم أهل القصور من قصورهم التي كانت بالقاهرة واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كما أخذ قلاون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القبطية وأنت ان امعنت النظر وعرفت ما جرى بينك أن ما القوم الاسارق من سارق وغاصب من غاصب وان كان التخرج من الصلاة لاجل عسف العمال وتسخير الرجال فشيء آخر بالله عزفى فاني غير عارف من منهم لم يسلك في أعماله هذا السبيل غير أن بعضهم أظلم من بعض وقدم مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة منهم شرف الدين البوصيرى فقال

ومدرسة وذا الخور نرى انه * لديها حظير والسدير غدير
مدينة علم والمدارس حولها * قري او نجوم بدرهن منبر
نبتت فأخني الظاهرة نورها * وليس بظهور للنجوم ظهور
بناء كأن الحل عند من شكله * ولانت له كالشمع فيه مخور
بناها سعيد في بقاع سعيدة * بها سعدت قبل المدارس نور
ومن حينما وجهت وجهك نحوها * تلقى منها نضرة وسرور
اذا قام يدعو الله فيها مؤذن * فها هو الا للنجوم سمير

* (المارستان المؤيدى) *

هذا المارستان فوق الصورة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل حيث كانت مدرسة الاشرف شعبان بن حسين التي هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا انه ضيق عما كان * أنشأ المؤيد شيخ في مدة أولها جادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ووزل فيه المرضى في نصف شعبان وعملت مصارفه من جلاله أوقاف الجامع المؤيدى الجناور لباب زويلة فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة أربع وعشرين تعطل قليلا ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في ربيع الأول منها وصار منزلا للرسول الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستمر جامعنا تصرف معالمه أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى

* (ذكر المساجد) *

قال ابن سيده المسجد الموضع الذي يسجد فيه وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيه اسمه المعنى على هذا المذهب انه من أظلم ممن خالف قبله الاسلام وقد كان حكمه أن لا يجي على مفعول لان حق اسم المكان والمصدر من فعل يفعل أن يجي على مفعول ولكنه أحد الحروف التي شذت فجاءت

على مفعول * قال سيبيويه وأما المسجد فأنهم جعلوه اسمًا للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال في المدق أنه اسم للجلود يعني أنه ليس على الفعل ولو كان على الفعل لقبل مدق لأنه آلهة والآلات تجيء على مفعول كتحزن ومكتس ومكسح والمسجدة الجرة المسجود عليها وقوله تعالى وإن المساجد لله قيل هي مواضع السجود من الإنسان الجهة والبدان والركبتان والرجلان * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط على الخطط عن القاضي أبي عبد الله القاضي أنه كان في مصر القسطنطينية من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد * وقال المسيحي في حوادث سنة ثلاث وأربع مائة وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التي لا غل لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها في كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهما وفي سنة خمس وأربع مائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع منها اطفيع وطوخ على القراء والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع والمارستان وفي ثمن الأكفان * وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر في زمنه أربع مائة وثمانون مسجدًا ذكرها

* (المسجد بجوار دير البعل) *

قوله قد تقدم الخ فيه أنه لم يتقدم ذلك وإنما أخبار الكنائس والديارات سيأتي ذكرها في آخر الكتاب اهـ

متصححه

قد تقدم في أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر دير البعل وأنه يعرف بدير القطير ولما كان في سنة خمس وسبعين وستمائة خرج جماعة من المسلمين إلى دير البعل فرأوا آثارًا محاريب بجوار الدير فعترفوا صاحب بها الدين بن حنا ذلك فسير المهندسين لكشف ما ذكر فعادوا إليه وأخبروه أنه آثار مسجد فشاورا الملك الظاهر يبرس وعمره مسجدًا بجانب الدير وهو عامر إلى الآن وبته وهو من أحسن مشرفات مصر وله وقف جيد وممر تب يقوم به نصارى الدير

* (مسجد ابن الجباس) *

هكذا يضل في الأصل

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الاموات دون باب اليانسية عرف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجباس بحميم وباء موحدة بعدها ألف وسين مسملة القرشي العقيلي الفقيه الشافعي المقرئ كان فاضلًا صالحًا ذا هدا عابدًا مقرئًا كتب بخطه كثيرًا وسمع الحديث النبوي ومولده يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ووفاته

* (مسجد ابن البناء) *

هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبي عليه السلام وهو من مختلفاتهم التي لا أصل لها وإنما يعرف بمسجد ابن البناء وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر البتة فإن الله سبحانه وتعالى لما نجي نبيه نوحًا من الطوفان خرج معه من السفينة أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ومن هذه الثلاثة ذرأ الله سائر بني آدم كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فقسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة * فصار لسام بن نوح العراق وفارس إلى الهند ثم إلى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين والدو ووبار والذهناء وسائر أرض اليمن والحجاز ومن نسله الفرس والسرانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق * وصار لحام بن نوح الجنوب مما يلي أرض مصر مغربًا إلى المغرب الأقصى ومن نسله الحبشة والزيح والقبط سكان مصر وأهل النوبة والأفارقة أهل إفريقية وأجناس البربر * وصار ليافث بن نوح بحر الخزر مشرقًا إلى الصين ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم والغوط وأهل الصين واليونانيون والترك * وقد بلغني أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرايين تعرف بسام بن نوح وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجدًا وتزعم اليهود القرايون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا وهم إلى الآن يحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد أخبرني به قاضي اليهود ابراهيم بن فرج الله بن عبد الكافي الداودي العاتاني وليس هذا بأول شيء اختلقته العاتمة * (وابن البناء) هذا هو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرئ سمع من القاضي مجلي وأبي عبد الله الكيزاني وغيره وحدث وأقرأ القرآن واتقعه به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد وكان يعرف خطه بخط بين البابين ثم عرف بخط الاقطالين ثم هو الآن يعرف بخط الضيبيين وباب

القوس * ومات ابن البناء هذا في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وخسمائة واتفق الى عند هذا المسجد امر عجيب وهو اني مررت من هناك يوماً بمواضع وثمانين وسبع مائة والقاهرة يومئذ لا يمر الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس لكثرة مرورهم ركباناً ومشاة فعندما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشي أمامي وهو يقول لرفيقه والله يا أخي ما مررت بهذا المكان قط الا وانقطع نعلي فوالله ما فرغ من كلامه حتى وطئ شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعليه وقدمه فجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد فكان هذا من عجائب الامور وغرائب الاتفاق

* (مسجد الحلبين) *

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة على يسرة من سلك من حمام خشبية طالبا البند قانين بنى على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفعه تحت الارض فلما قدم طلّاح بن رزيق من الاشمونين الى القاهرة باستدعاء أهل القصر له لياخذ بشار الخليفة وغلب على الوزارة استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله الى تربة القصر وبنى موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود والباب الثاني كان يتوصل منه الى دار المأمون البطايعي التي هي اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سدت هذا الباب وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد الى أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل بن سلطان بن عمار ابن تمام أبو عبد الله الحلبي الجعبري المعروف بالخطيب وكان صالحاً كثير العبادة زاهداً منقطعاً عن الناس ورعا وسمع الحديث وحديث وكان مولده في شهر رجب سنة أربع وعشرين وست مائة بقلعة جعبر ووفاته بهذا المسجد وقد طالت اقامته فيه يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ودفن بمقابر باب النصر رجه الله وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأجملها

* (مسجد الكافوري) *

هذا المسجد كان في البستان الكافوري من القاهرة بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطايعي في سنة ست عشرة وخسمائة وبنى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه وهو باق الى اليوم بخط الكافوري ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه فخل وشجر وهو من خمير خام حسن

* (مسجد رشيد) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق بناه رشيد الدين البهائي

* (المسجد المعروف بزراع النوى) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور على يسرة من سلك من رأس المنجية طالبا جامع قوصون والصلبية وتزعم العائمة انه بنى على قبر رجل يعرف بزراع النوى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيضا من اقراء العائمة الكذب فان الذين اقرءوا أسماء الصحابة رضى الله عنهم كالامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري في تاريخه الكبير وابن أبي خيثمة والحافظ أبي عبد الله بن منذر والحافظ أبي نعيم الاصفهاني والحافظ أبي عمر بن عبد البر والفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزراع النوى وقد ذكر في أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة وذكر في أخبار مدينة فسطاط مصر أيضا من دخل مصر من الصحابة وليس هذا منهم وهذا ان كان هناك قبر فهو لامين الامناء أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أباعلى منصور بن العزيز بالله خلق عليه للوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة وكان قبل ذلك يتولى بيت المال فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعودا وكان قد ظفر بمال يكون عشرات وصباغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك في عدة أدر بمصر وجميعه مما خلفه قائد القواد الحسين بن جوه القائد فباع المتاع وضاف ثمنه الى العين فحصل منه مال كثير وطالع الحاكم بأمر الله به أجمع لورثه

قوله يكون عشرات هكذا في النسخ وانظر ما معناه ولعل المراد ما بين نقود وصباغات الخ كما يؤخذ مما بعد ويجزأه مصححه

فأند القواد ولم يعترض منه شيء وكثرت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته فانطلق في ذلك فاتصل به عن أمين الامناء بعض التوقف فخرجت اليه رقعة بخطه في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربع مائة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لأرجو ولا اتقى * الا الهى وله الفضل

جندى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

ما عندكم ينقد وما عند الله باق المال مال الله عز وجل والخلق عيال الله ونحن أمناءه فى الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره فى جنادى الآخرة من سنة خمس وأربع مائة وذلك انه ركب مع الحاكم على عادته فلما حصل بجارة كامة خارج القاهرة ضرب رقبته هناك ودفن فى هذا الموضع تخميناً واستحضر الحاكم جماعة الكتاب بعد قتله وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم وأمرهم بلزوم دواوينهم ووفى بهم على الخدمة وكانت مدة تدار ابن الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحضرة وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوماً وكان توقيع عن الحضرة الامامية الحمد لله وعليه توكل

(مسجد الذخيرة)

هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأول الرملة تجاه شباك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن فلاون التى تلى بابها الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة * قال ابن المأمون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسة مائة استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من عسفه وظلمه ما هو مشهور وبني المسجد الذى ما بين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف وسعى مسجد لا بالله بكم انه كان يقبض الناس من الطريق ويهسفهم فيحلفونه ويقولون له لا بالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجر ولم يعمل فيه منذ أنشأه الا صانع مكره أوفاعل مقيد وكتب عليه هذه الايات المشهورة

بني مسجد الله من غير حيلة • وكان بحمد الله غير موفق

كطعمة الايتام من كذفرجها * لك الويل لا ترقى ولا تصدق

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالامراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ما جعل الله له ما قدمه وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وذكر عنه فى حالتي غسله وحلوه بقبه ما يعيد الله كل مسلم من مثله وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ما تقدم عن ابن المأمون

(مسجد رسلان)

هذا المسجد بجارة اليانسة عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به وقد حكيت عنه كرامات ومات به فى سنة احدى وتسعين وخمسة مائة وكان يتقوت من أجره خياطته للثياب وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان ابو القاسم كان فقها محدثا مقرئاً مات فى سنة سبع وعشرين وست مائة

(مسجد ابن الشينى)

هذا المسجد بخط الكافورى مما يلي باب القنطرة وجهة الخليج مجاور دار ابن الشينى أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشينى مهتار السلطان بالاصطبلات السلطانية وقتر فيه شيخنا تقي الدين محمد بن حاتم فكان يعمل فيه ميعاداً يجتمع الناس فيه لسماع وعظه وكان ابن الشينى هذا حشماً نفوراً خيراً يحب أهل العلم والصلاح ويكرهم ولم يزل بعده فى رتبته مثله ومات ليلة الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة

(مسجد يانس)

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة * قال ابن المأمون فى تاريخه وكان الاجل المأمون يعنى الوزير

محمد بن فاذك البطائحي قد ضم اليه عدة من محاليك الافضل بن أمير الجيوش من جلتهم يانس وجعله مقدما على صبيان جلسه وسلم اليه بيت ماله وميزه في رسومه فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب يعني سنة ست عشرة وخمسة مائة ما عمل في المسجد المستجدة قبالة باب الخوخة من الهمة ووفورا الصدقات وملازمة الصلوات وما حصل فيه من الثوبات كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له في بناء مسجد بظاهر باب سعادة فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال له ما تم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة واتمها هذا الساحل فيه معونة للمسلمين ومورد للفقراء وهو مرسى مراكب الغلة والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه ولولم يكن المسجد المستجدة قبالة باب الخوخة محرسا لما استجده حتى انالم فخرج بساحته الاولى فان أردت أن تبني قبلي مسجد الريني أو على شاطئ الخليج فالطريق ثم سهلة فقبل الأرض وامثل الامر فلا قبض على المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله الى أن استخدمه في حجة بابه سأل في مثل ذلك فلم يجبه الى أن أخذ الوزارة فبناه في المكان المذكور وكانت مدته يسيرة فتوفي قبل اتمامه وإكماله فكملة أولاده بعد وفاته انتهى وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح ناظر الجيوش يانس الارمني هذا عند ذكر الحارة الباسية من هذا الكتاب

* (مسجد باب الخوخة) *

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب * قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسة مائة ولما سكن المأمون الاجل دار الذهب وما معها يعني في أيام النسل للترفة عند سكن الخليفة الأمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبني موضعه مسجد أو كان الصانع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى انه تفطر بعد ذلك واحتج الى تجديده

* (المسجد المعروف بمسجد موسى) *

هذا المسجد بخط الركن الخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الاقرا محاور لحوض السيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبار حجة باب العيد أول من اخنطه القائد جوهر عند ما وضع القاهرة قال ابن عبد الظاهر ولما بنى القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن الخلق قبالة حوض الجامع الاقرو قريب دير العظام والمصريون يقولون بتر العظيمة فـكـره أن يكون في القصر دير فقل العظام التي كانت به والزم الى دير بناءه في الخندق لانه كان يقال انها كانت عظام جماعة من الحواريين وبني مكانها مسجد امن داخل المسور يعني سور القصر * وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس وفي ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذي بالركن الخلق من القاهرة حجر مـكـتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمسجد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق الى وقتنا هذا

* (مسجد نجم الدين) *

هذا المسجد بظاهر باب النصر أنشأه الملك الافضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادي يعقوب بن مروان الكركدي والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل الى جانبه حوض ماء للسيل ترده الدواب في سنة ست وستين وخمسة مائة ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أيمن الدين شيركوه من بلاد الأكراد الى بغداد وخدمها وترقى في الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ثم انه انتقل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين اتابك زنكي بالموصل فخدمه حتى مات فتعلق بخدمة ابنة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فرقاه وأعطاه بعلبك ورج من دمشق سنة خمس وخمسة مائة فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود الى القاهرة وصار الى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسة مائة وخرج العاضد الى لقائه وأزله بمنظر اللؤلؤة فلما استبد صلاح الدين بسلطنته مصر بعد موت الخليفة العاضد اقطع أباه نجم الدين الاسـكـندرية والبحيرة الى أن مات بالقاهرة في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثمان وستين وخمسة مائة وقيل في ثامن عشر من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر فحمل الى داره فمات بعد أيام وكان خيرا جوادا متدينا محبا لاهل العلم والخير

ومامات حتى رأى من أولاده عدة مارك وصار يقال له أبو المارك ومدحه العماد الاصبهاني بعدة قصائد ورواه
الفقيه عمارة بقصيدته التي أولها

هي الصدمة الاولى فن بان صبره * على هول ملقاة تعاظم امره

(مسجد صواب)

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبية عرف بالطوائني شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ومات
في ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرا دينا فيه صلاح

(المسجد بجوار المشهد الحسيني)

هذا المسجد انتهى في مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو بدار
العدل أن مسجد اعلى باب مشهد السيد الحسين عليه السلام وإلى جانبه مكان من حقوق القصر يبيع وحل
ثمنه للدوان وهو ستة آلاف درهم فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما
بفردة أو عليهما حائط دائر فقبل له ان بينهما زرب قصب فأمر برده المبلغ وابتى الجميع مسجد أو أمر بعمارة ذلك
مسجد الله تعالى

(مسجد القبل)

هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت اليسرى أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين أنشأه على ما هو عليه
الآن الأمير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطان الساق وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من
عمارة الخلفاء وأدخلها في عمارته التي تعرف اليوم بقصر بشتاك ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا
المسجد فقط ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد القبل وتزعم أن
النيل الاعظم كان يمر بهذا المكان وأن القبل كان يغسل موضع هذا المسجد فعرف بذلك وهذا القول كذب
لا أصل له وقد تقدم في هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها وما علمت أن النيل كان يمر هناك أبدا
وبلغنى انه عرف بمسجد القبل من اجل أن الذي كان يقوم به كان يعرف بالقبيل والله اعلم

(مسجد تبر)

هذا المسجد خارج القاهرة عما يلي الخندق عرف قديما بالبئر والجيزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد
التبر وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريسا من المطرية قال القاضي مسجد تبر بنى على رأس ابراهيم بن عبد
الله بن حسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انفعه المنصور فسرقة أهل مصر ودفنوه هناك وذلك
في ستة نحس وأربعين ومائة ويعرف بمسجد البئر والجيزة وقال الكندي في كتاب الامراء ثم قدمت الخطباء
الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين
ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا امره * وتبر هذا أحد الامراء الاكابر في أيام
الاستاذ كافور الاخشيدى فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر تبارت بالاشيديدى هذا في جماعة
من الكافورية والاشيديدية وحاربوه فانهزم بمن معه الى اسفل الارض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب واقام
على الخلاف فسير اليه عسكرا حاربوه بناحية صهرجت فانكسر وصار الى مديشة صور التي كانت على
الساحل في البحر فقبض عليه بها وأدخل الى القاهرة على خيل فسجن الى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت
المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت امواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في التبرود الى ربيع الآخر منها
فجر نفسه واتهام أيا ما مريضاً ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسى الجبل * وقال ابن عبد الظاهر انه
حشى جلده بنا وصلب فر بما سميت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه وقيل ان تبر هذا خادم الدولة المصرية
وقبره بالمسجد المذكور قال مؤلفه هذا وهم وانما هو تبر الاخشيدى

(مسجد القطبية)

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين والله اعلم

* (ذكر الخوانك) *

الخوانك جمع خانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونتاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الاربع مائة من سني الهجرة وجمعت لتعني الصوفية في العبادة الله تعالى * قال الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله اعلموا أن السالكين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينسبوا قاض لهم في عصرهم بتسمية علم سوى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها أفضل لهم المحبة ولما أدرك أهل العصر الثاني سمي من محبة المحبة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقبل لخواص خواص الناس من لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداخي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال وهذه التسمية غلبت على هذا الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ولا يظهر فيه انه كالألقاب فأما قول من قال انه من العوف وتصوف اذ لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس التميمص فذلك وجه ولكن القوم لم يحتضروا لبس الصوف ومن قال انهم ينسبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتسبة الى الصفة لا تفي على نحو الصوفي ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الا قول بقلوبهم من حيث الحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة من الصف ثم ان هذه الطائفة اشتهر من أن يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله اعلم * وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي رحمه الله والصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأني بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المقننين لبسوا ألحسة الصوفية لينسبوا اليهم وما هم منهم شيء بل هم في غرور وغلط يستترون بلبسة الصوفية توقيفا نارة ودعوة أخرى ويتنهجون مناهج أهل الاباحية ويرغمون أن ضمائرهم خلعت الى الله تعالى وأن هذا هو الظفر المراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام وهذا هو عين الاتحاد والزندقة والابعاد والله در القائل

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف

ولست انحل هذا الاسم غير فني * صافي وصوفي حتى سمي الصوفي

قال مؤلفه ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس البعمرى

ما شروط الصوفي في عصرنا اليوم سوى ستة بغير زياده

وهي نيك العلوق والسكر والسطوة والرقص والغنا والقياده

واذا ما هذى وابدى اتحادا * وحاولا من جهله أو اعاده

واي المنكرات عقلا وشرعا * فهو شيخ الشيخ ذوالسجاده

ثم ثلاثي الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى * وأقول من اتخذ ديناً للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك انه عمداً الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بحاجتهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره فجاء يوم الزورهم فسأل عنهم فإذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قد دعاهم فأناه فقال له يا ابن عامر ما تريد من هؤلاء القوم قال أريد أن أقر بهم فيشفعوا فأشفعهم وبسألوا فأعطيتهم وبشروا علي فأقبل منهم فقال لا ولا كرامة فتأني الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياً وتشركتهم في أمرك حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا الى الدنيا ولا الى الآخرة قوموا فارجعوا الى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فأنطق بلفظة ذكره أبو نعيم

• (الخاتمة كاه الصلاحية دار سعيد السعداء ديرة الصوفية) *

هذه الخاتمة بخط رغبة باب العبد من القاهرة كانت أولاداً راعف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر ويقال غيره وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الاستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل في سبع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى برأسه من القصر ثم صلبت جثته باب زويلة من ناحية الخرق وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما كانت وزارة العادل رزيق بن الصالح طلائع بن رزيق سكنها وفتح من دار الوزارة الباسر داباً تحت الأرض ليعرفه ثم سكنها الوزير شاور بن مجير في أيام وزارته ثم ابنه الكامل فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ملك مصر بعد موت الخليفة العاضد وغير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الأكراد على هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد التسعة ووقفها عليهم في سنة سبع وستين وخمسمائة وولى عليهم شيخاً ووقف عليهم بستان الحباينة بجوار بركة الفيل خارج القاهرة وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره ورتب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً بجوارهم فكانت أول خانكاه عملت بدار مصر وعرفت بديرة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده إلى أن كانت الحوادث والحزن منذ سنة ست وثمانمائة وانقضت الأحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجي بركتهم وولى مشيختها الأكبر والأعيان **كاه** أولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدير الدولة وقيادة الجيوش وتقديم العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير صاحب قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن ذي الرياستين الوزير صاحب قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وجامعة من الأعيان ونزل بها الأكبر من الصوفية وأخبرني الشيخ أحمد بن علي القصار رحمه الله أنه أدرك الناس في يوم الجمعة بأتون من مصر إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية خاتمة سعيد السعداء عند ما يتوجهون منها إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكبي حتى تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم وكان لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة وذلك أنه يخرج شيخ الخاتمة منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حلت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة يسكون وخفر إلى باب الجامع الحاكبي الذي يلي المنبر فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور وتعرف بمقصورة السميلة فانه بها إلى اليوم بمسلة قد كتبت بحروف كبار فلي الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائماً وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤون القرآن حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الأجزاء منهم ويشغلون بالترحم واستماع الخطبة وهم متعشون خاشعون فاذا قضيت الصلاة والدعاء بعد ما قام قارئ من قرأ الخاتمة ووقع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فاذا فرغ قام الشيخ من مصلاته وسار من الجامع إلى الخاتمة والصوفية معه كما كان توجههم إلى الجامع فيكون هذا من أجل عوايد القاهرة وما برح الأمر على ذلك إلى أن ولى الأمير يلغا السالمى نظر الخاتمة المذكورة في يوم الجمعة ثامن عشر جادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبع مائة فقتل اليها وأخرج كتاب الوقف وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف فقطع من الصوفية المترلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال وزاد الفقراء المجتردين وهم المقيمون بها في كل يوم رغيفاً من الخبز فصار لكل مجترد أربعة أرغفة بعد ما كانت ثلاثة ورتب بالخاتمة وطيفتي ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد صلاة الصبح فكثرت الكبر على السالمى ممن أخرجهم وزاد الاشلاء فقال بهض ادباء العصر في ذلك

بأهل خانقة الصلاح أراكم * ما بين شالك للزمان وشاتم

يكفيكم ما قد اكتم باطلا * من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمى نظر الخاتمة المذكورة أن العادة كانت قديماً أن الشيخ هو الذى يتحدث في نظرها فلما كانت أيام الظاهر برقوق ولى مشيختها شخص يعرف بالشيخ محمد البلالى قدم من البلاد الشامية وصار للامير سودون الشيخون نائب السلطنة بدار مصر فيه اعتقاد فلما سعى له في المشيخة

واستقر فيها بتعيينه سأل أن يتحدث في النظر اعانة له فتحدث وكانت عدة الصوفية بها نحو الثمانمائة رجل لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زيتها ثلاثة ارطال خبز وقطعة لحم زيتها ثلث رطل في مرق ويعمل لهم الحلاوى في كل شهر ويفترق فيهم الصابون ويعطى كل منهم في السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما فزل الامير سودون عندهم جماعة كثيرة يحجز ربع الوقف عن المقيم لهم بجميع ما ذكر فقطعت الحلاوى والصابون والكسوة ثم ان ناحية دهمرو شرفت في سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل فوق العزم على غلق مطبخ الخانقاه وابطال الطعام فلم تحتل للصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر رفوق فولى الامير يلغا السالى النظر وأمره أن يعمل بشرط الواقف فلما نزل الى الخانقاه وتحدث فيها اجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وأوقفه على كتاب الوقف فأقام بالعمل بشرط الواقف وهو أن الخانقاه تكون وقفا على الطائفة الصوفية والوارد من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الاشعرية الاعتقاد ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخانقاه بها وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه فأتدب الكلام رجلا من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الاصوات وكثر اللفظ فأشار القضاة على السالى أن يعمل بشرط الواقف وانصرفوا فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع بأن السالى قد كفر وبسط لسانه بالقول فيه وبدت منه سمجات فقبض عليه السالى وهو ماش بالقاهرة فاجتمع عدة من الاعيان وفترقوا بينهم فبلغ ذلك السلطان فأحضر القضاة والفقهاء وطلب العبادى في يوم الخميس ثامن شهر رجب وادعى عليه السالى فاقضى الحال تعزيره فعزروه وكشف رأسه وأخرج من القلعة ماشيا بين يدي القضاة ووالى القاهرة الى باب زويلة فسجن بحبس الديلم ثم نقل منه الى حبس الرحبة فلما كان يوم السبت حادى عشره استدعى الى دار قاضى القضاة جمال الدين محمود القيسرى الحنفى وضرب بحضرة الامير علاء الدين على بن الطلائى والى القاهرة نحو الاربعين ضربة بالعصا تحت رجله ثم أعيد الى الحبس وأفرج عنه فى ثامن عشره بشفاة شيخ الاسلام فيه ولما جدد الامير يلغا السالى الجامع الاقرو على له منبرا وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة الزم الشيخ بالخانقاه والصوفية ان يصلوا الجمعة به فصاروا يصلون الجمعة فيه الى أن زالت أيام السالى قدركوا الاجتماع بالجامع الاقرو ولم يعودوا الى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكى ونسى ذلك ولم يكن بهذه الخانقاه مثذنة والذى بنى هذه المثذنة شيخ ولى مشيختها فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة يعرف بشهاب الدين أحمد الانصارى وكان الناس يمزون فى صحن الخانقاه بنعالهم فحدد شخص من الصوفية بها يعرف بشهاب الدين أحمد العثمانى هذا الدرازين وغرس فيه هذه الاشجار وجعل عليها وقفا لمن يتعاهد بالخدمة

* (خانقاه ركن الدين بيبرس) *

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى التى تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب وهى أجل خانقاه بالقاهرة بناها وأوسعها مقدارا وأتقن اصنعة بناها الملك المنصور ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير فبدأ فى بنائها فى سنة ست وسبعمائة وبني بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ولهذه القبة شبيلك تشرف على الشارع المسالوك فيه من رحبة باب العبد الى باب النصر من جملتها الشبيلك الكبير الذى جملة الامير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسى وأرسل بعمامته وشبأكه للذى كان بدار الخلافة فى بغداد وتجلس الخلفاء فيه وهو هذا الشبيلك كما ذكر فى أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب فلما ورد هذا الشبيلك من بغداد عمل بدار الوزارة واستمر فيها الى أن عمر الامير بيبرس الخانقاه المذكورة فجعل هذا الشبيلك بقبة الخانقاه وهو يومئذ الى يومنا هذا وانه لشبيلك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة ولما شرع فى بنائها فرق بالناس ولا طفقهم ولم يعسف فيها أحدا فى بنائها ولا كره صانعها ولا غصب من آلائها شيئا وانما اشترى دار الامير عز الدين الافرم التى كانت بمدينة مصر واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد الفاضلى وأخذما كان فيه ما من الانقاض واشترى أيضا دار الانمط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة وقضها وما حولها واشترى أملاكا كانت قد

بُعث في أرض دار الوزارة من ملاكها بغيا كراه وهدمها فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو
 فدان وثلاث وعند ما شرع في بنائها حضر اليه الامير ناصر الدين محمد ابن الامير بكاش الغزوي أمير سلاح وأراد
 التقرب لخاطره وعرفه أن بالقصر الذي فيه سكن أبيه مغارة تحت الأرض كبيرة يذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر
 الخلفاء القاطمين وأنهم لما قبحوها لم يجدوا بها سوى رخام كثير فسدوها ولم يعترضوا لشيء مما فيها فبذلك
 وبعث عدة من الامراء فقبضوا السكان فاذا فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة فيه ما لا يوجد مثله لعظمه فقتله
 من المغارة ورخم منه الخانقاه والقبة وداره التي بالقرب من البند قانين وحارة زويلة وفضل منه شيء كثير
 عهدي أنه محترق بالخانقاه وأظنه أنه باق هناك ولما مكثت في سنة تسع وسبع مائة قتر بالخانقاه أربع مائة
 صوفي وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل
 يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الخاوي ورتب بالقبة درسا للحديث النبوي له مدرّس
 وعنده عدة من المحدثين ورتب القراءة بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ووقف عليها عدة ضياع
 بدمشق وحماه ومنية الخلد من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقسارية بالقاهرة فلما
 خلع من السلطنة وقبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون وقتله أمر بقلعها فقلعت وأخذ سائر ما كان موقوفا
 عليها ومحاسن من الطراز الذي بظاهرها فوق الشبايك وأقامت نحو عشرين سنة معطلة ثم أنه أمر بفتحها
 في أول سنة ست وعشرين وسبع مائة ففتحت وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها واستقرت إلى أن شرفت أراضي
 مصر لقصور مد النيل أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ست وسبعين وسبع مائة فبطل طعامها
 وتعطل مطبخها واستقر الخبز وبلغ سبعة دراهم لكل واحد في الشهر بدل الطعام ثم صار لكل واحد منهم
 في الشهر عشرة دراهم فلما قصر مد النيل في سنة ست وتسعين وسبع مائة بطل الخبز أيضا وعلقت الخبز من الخانقاه
 وصار الصوفية يأخذون في كل شهر مبلغا من الفلوس معاملة القاهرة وهم على ذلك إلى اليوم وقد أدركتها
 ولا يمكن بوابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة فيها لما لها في النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها
 حتى الفقهاء والاجناد وكان لا ينزل بها أمر ذو فيها جماعة من أهل العلم والخبر وقد ذهب ما هناك فنزل بها
 اليوم عدة من الصغار ومن الأساكفة وغيرهم من العامة الآن أوقافها عامرة وأرزاقها إدارة بحسب
 تقود مصر ومن حسن بناء هذه الخانقاه أنه لم يحتاج فيها إلى مرمة منذ بنيت إلى وقتنا هذا وهي مبنية بالبحر
 وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول أنه لم تبني خانقاه أحسن من بنائها
 * (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري) * اشتراه الملك المنصور قلاوون صغيرا ورعاه في الخدم
 السلطانية إلى أن جعله أحد الامراء وأقامه جاشنكير وعرف بالشجاعة فلما مات الملك المنصور خدّم ابنه
 الملك الأشرف خيلا إلى أن قتله الأمير بيدرا باشا بحية تروجة فكان أول من ركب على يديرا في طلب ثار الملك
 الأشرف وكان مهايا بين خشد اشيتة فركبوا معه وكان من نصرتهم على يديرا وقتله ما قد ذكر في موضعه فاشتهر
 ذكره وصار استادار السلطان في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية رفيقا للأمير سلاور
 نائب السلطنة وبه قويت الطائفة البرجية من المماليك واشتد بأسهم وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس
 وسلاور إلى أن أئف من ذلك وسار إلى الكرك فأقيم بيبرس في السلطنة يوم السبت ثالث عشر شوال سنة
 ثمان وسبع مائة فاستضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الامراء والمماليك واضطربت أمور
 المملكة لمكان الأمير سلاور وكثرة حاشيته وميل القلوب إلى الملك الناصر وفي أيامه عمل الجسر من قلوب إلى
 مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا في عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله حتى أنه كان
 يسير عليه ستة من الفرسان معاجدا بعضهم وأبطل سائر الخجارات من السواحل وغيرها من بلاد الشام
 وسامح بما كان من المقر على السلطان وعوض الاجناد بدله وكسبت أماكن الريب والقواحش بالقاهرة
 ومصر وأريقّت الخجور وضرب الناس كثير في ذلك بالمقارع وتببع أماكن الفساد وبالغ في ازالته ولم يراع في ذلك
 أحدا من الكتاب ولا من الامراء فخف المنكر وخفي الفساد الآن الله أراد زوال دولته فسولت له نفسه أن
 بعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ما خرج به معه من الخيل والمماليك وحمل الرسول إليه بذلك مشافهة
 أغلظ عليه فيها فحقق من ذلك وكاتب ثواب الشام وأمره مصر في السر يشكوا حل به وترفق بهم وتلطف بهم

فرقوا له وامته وضوا المأبى ونزل الناصر من الكرك وبرز عنها فاضطرب الامر بمصر واختل الحال من بيبرس
وأخذ العسكر يسير من مصر الى الناصر شياً بعد شئ وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق في غرة شعبان
سنة تسع وسبعمائة فعندما نزل الكسوة خرج الامراء وعامة أهل دمشق الى لقائه ومعهم شعار السلطنة
ودخلوا به الى المدينة وقد فرحوا به فرحاً كثيراً في ثاني عشر شعبان ونزل بالقلعة وكاتب النواب فقدموا عليه
وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته يخطب له بها ويحجي اليه مالها ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر
وأمر بيبرس كل يوم في نقص الى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بيبرس المملكة ونزل من قلعة
الجبل ومعه خواصه الى جهة باب القرافة والعانة تصيح عليه وتسببه وترجيه بالجحارة عصية للملك الناصر
وحبالة حتى سار عن القرافة ودعا الحرس بالقلعة في يوم الاربعاء للملك الناصر فكانت مدة سلطنة بيبرس
عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوماً وقدم الملك الناصر الى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت
المملكة واستولى على السلطنة مرة ثالثة ونزل بيبرس باطفيح ثم سار منها الى اخميم فلما صار بها تفرق عنه من كان
معه من الامراء والمماليك فصاروا الى الملك الناصر فتوجه في نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام
فقبض عليه شرقي غزوة وحمل مقبدا الى الملك الناصر فوصل قلعة الجبل يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة
واقف بين يدي السلطان وقبل الارض فعنفه وعدد عليه ذنوباً ووجه ثم أمر به فسجن في موضع الى ليلة الجمعة
خامس عشره وفيها الحق بربه تعالى فحمل الى القرافة ودفن في تربة الفارس اقطاي ثم نقل منها بعد مدة الى تربته
بسفح المقطم فقبورها زماناً طويلاً ثم نقل منها ثالث مرة الى خانقاهه ودفن بقبورها وقبره هناك الى يومنا هذا
وأدركت بالخانقاه المذكورة شيخاً من صوفيتها أخبرني انه حضر نقله من تربته بالقرافة الى قبة الخانقاه وانه
تولى وضعه في مدفنه بنفسه وكان رحمه الله خيراً عفيفاً كثيراً الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيم
في النفوس مهاب السطوة في أيام امرته فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانب
وطمع فيه وتغلب عليه الامراء والمماليك ولم تنجح مقاصده ولا سعد في شئ من تدبيره الى أن انقضت أيامه
وأناخ به جامه رحمه الله

* (الخانقاه الجمالية) *

هذه الخانقاه بالقرب من درب راشد بسلك اليها من رجة باب العبد بناها الامير الوزير مغلطاي الجمالي في سنة
ثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب

* (الخانقاه الظاهرية) *

هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق
في سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد ذكرنا عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

* (الخانقاه الشرايشية) *

هذه الخانقاه فيما بين الجامع الاقصر وحارة برجوان في آخر المنع الذي كان للخلفاء وهو يعرف اليوم بالدرب
الاصفر ويتوصل منها الى درب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وبابها الاصل من زقاق ضيق بوسط سوق حارة
برجوان أنشأها الصدر الاجل نور الدين علي بن محمد بن محاسن الشرايشي وكان من ذوي الغنى واليسار
صاحب ثراء متسع وله عدة أوقاف على جهات البر والقربات ومات في

* (الخانقاه المهمندارية) *

هذه الخانقاه خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردني بناها الامير شهاب الدين أحمد بن
أقوش العزري المهمندار ونيق الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكرنا في المدارس
من هذا الكتاب

* (خانقاه بشتالك) *

هذه الخاقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي تجاه جامع بشتاك أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصري وكان فتحها أول يوم من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسبع مائة واستقر في مشيختها شهاب الدين القدسي وتقرر عنده عدة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام في كل يوم فاستمر ذلك مدة ثم بطل وصار يصرف لاربابها عوضا عن ذلك في كل شهر مبلغ وهي عامرة الى وقتنا هذا وقد نسب اليها جماعة منهم الشيخ الاديب البارع بدر الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالبدري البشتكي

* خاقاه ابن غراب *

هذه الخاقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقي بجوار جامع بشتاك من غربيه أنشأها القاضي الامير سعد الدين ابراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندراني ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستاد ارسلطان وكاتب السر وأحد أمراء الالوف الاكبر أسلم جد غراب وباشرا بالاسكندرية حتى ولي نظر الثغر ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك فولى أيضا نظر الاسكندرية وولده ماجد و ابراهيم فلما فتحكم الامير جمال الدين محمود بن علي في الاموال أيام الملك الظاهر برقوق اختص بابراهيم وجعله الى القاهرة وهو وصي واعتق به واستكتبه في خاص أمواله حتى عرفها فتسكر محمود عليه لامر يدا منه في ماله وهم به فبادر الى الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي وتراعى عليه وهو يومئذ قد نافس محمودا فأوصله بالسلطان وأمكنه من سماع كلامه فلا أدنه يذكر أموال محمود ووغر صدره عليه حتى نكبه واستصفي أمواله كما ذكر في خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب وولى ابن غراب نظر الديوان المقر في حادي عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبع مائة وعمره عشرون سنة او نحوها وهي أول وظيفة وليها فاختص بابن الطبلاوي ولازمه وملا عينه بكثرة المال فتحدث له في وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبي الفرج بن ناج الدين موسى فوليا في تاسع عشر ذي القعدة وغص بمكان ابن الطبلاوي فعمل عليه عند السلطان حتى غيروه عليه وولاه امره قبض عليه في داره وعلى سائر أسبابه في شعبان في سنة ثمان مائة ثم أضيف اليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدمامسي في تاسع ذي القعدة سنة ثمان مائة فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا وقد رآه موت السلطان في شوال سنة احدى وثمان مائة بعد ما جعله من جملة أوصيائه فباطن الامير يشبك الخازن دار على ازالة الامير الكبير ايتش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق وعمل لذلك أعمالا حتى كانت الحرب بعد موت السلطان الملك الظاهر بين الامير ايتش وبين الامير يشبك في ربيع الاول سنة اثنين وثمان مائة التي انهزم فيها ايتش وعدة من الامراء الى الشام وتحكم الامير يشبك فاستدعى عند ذلك ابن غراب أخاه نخر الدين ماجد من الاسكندرية وهو ولي نظرها الى قلعة الجبل وفوضت اليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاما بسائر أمور الدولة الى أن ولي الامير بلبغا السالمى الاستادارية فسلك معه عادته من المنافسة وسعى به عند الامير يشبك حتى قبض عليه وتقلد وظيفة الاستادارية عوضا عن السالمى في رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمان مائة مضافا الى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغير في الكتاب وصار له ديوان كدواوين الامراء ودقت الطبول على بابيه وخاطبه الناس وكاتبوه بالامير وسار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء وزيادة الاسمطة والاتساع في الامور والازدياد من المماليك والخيول والاستكثار من الخول والحواشي حتى لم يكن أحد يضاهيه في شيء من أحواله الى أن تنازع الامير ان حكيم وسودون طاز مع الامير يشبك فكان هو المتولى كبر تلك الحروب ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا لامراء الدولة وصار الى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك وعاد فدخل القاهرة على حين غفلة فزل عند جمال الدين يوسف الاستادار فقام باصلاح امره مع الامراء حتى حصل له الغرض فظهر واستولى على ما كان عليه الى أن تنكرت رجال الدولة على الملك الناصر فرج فقام مع الامير يشبك بحرب السلطان الى أن انهزم الامير يشبك بأصحابه الى الشام فخرج معه في سنة تسع وثمان مائة وأمدّه ومن معه بالاموال العظيمة حتى صاروا عند الامير شيخ نائب الشام واستنصر العساكر لقتال الملك الناصر وحزبهم على المسير الى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة وكان من وقعة السعيدية ما كان على ما هو مذكور في خبر الملك الناصر عند ذكر الخاقاه الناصرية من هذا الكتاب فاخفى الامير يشبك وطائفة من الامراء بالقاهرة ولحق ابن غراب بالامير اينال باي بن قحماس وهو يومئذ اكبر الامراء

الناصرية وحلها عينه بالمبالى فتوسط له مع الملك الناصر حتى أمنه وأصبح في داره وجميع الناس على بابه ثم تقلد وظيفة نظير الجيوش واختص بالسلطان وما زال به حتى استرضاه على الأمير يشك ومن معه من الأمراء وظهروا من الاستتار وصاروا بقلعة الجبل فخلع عليهم السلطان وأمرهم وصاروا إلى دورهم فنقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السر فسعى به حتى قبض عليه وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من أغراضه فلما استقر في كتابة السر أخذ في نقض دولة الناصر إلى أن تم له مراده وصارت الدولة كلها على الناصر فخلاه وخيل له وحسن له الفرار فاتفقوا له وترامى عليه فأعده رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ووقفاهما وراء القلعة وخرج الناصر وقت القائلة ومعه مملوك من مماليكه يقال له يغيوث وركبا القرسين وصارا إلى ناحية طرائم عادامع فاصدى ابن غراب في مركب من المراكب النيلية ليلا إلى دار ابن غراب ونزلا عنده وقد خفي ذلك على جميع أهل الدولة وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على تخت الملك عشاء ولقبه بالملك المنصور ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوما إلى أن أحسن من الأمراء بتغير فأخرج الناصر ليلا وجمع عليه عدّة من الأمراء والمماليك وركب معه بلامه الحرب إلى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور وانهمزوا ودخل الناصر إلى القلعة واستولى على المملكة ثانيا فالتى مقاليد الدولة إلى ابن غراب وقوض إليه ما وراء سريره ونظمه في خاصته وجعله من أكابر الأمراء وناط به جميع الأمور فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والأمراء بمن عليهم بأنه أتى لهم مهجهم وأعاد اليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم وأمدّهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم إليه ويفخروا به أكثر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال من غير حاجة ولا ضرورة ألبّاه إلى شئ من ذلك وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه وترك كتابة السر لغلامه وأحد كتابه نحر الدين بن المزوق ترفعها واحتقارها ولبس هيئة الأمراء وهى الكلوثة والقباء وشذ السيف في وسطه وتحول من داره التي على بركة القيل إلى دار بعض الأمراء بمحذرة البقر فغاضبه القضاة وكان عند الانتهاء الانحطاط ونزل به مرض الموت فقال في مرضه من السعادة ما لم يسمع بمثله لاحد من أبناء جنسه وصار الأمير يشك ومن دونه من الأمراء يترددون إليه وأكثرهم إذا دخل عليه وقف قائما على قدميه حتى ينصرف إلى أن مات يوم الخميس التاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته أحد الأمور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الأمراء والاعيان وسائر أرباب الوظائف بحيث استأجر الناس السقايف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد إلى القاعة فدفن خارج باب المحروق وكان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا وأكرمهم يدا مع تدين وتعفف عن القاذورات وبسط يدا بالصدقات إلا أنه كان غدارا لا يتوانى عن طلب عدوه ولا يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس فكم ناطح كبشاً وتل عرشاً وعالج جبالاً شامخة واقطع دولاً من أصولها الراسخة وهو أحد من قام بتخريب إقليم مصر فانه ما زال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار إلى مائتى درهم وخمسين درهماً من الفلوس بعدما كان بنحو خمسة وعشرين درهماً فقصدت بذلك معاملة الأقليم وقلت أمواله وغلّت أسعار المبيعات وساءت أحوال الناس إلى أن زالت الهبة وانطوى بساط الرقة وكاد الأقليم يدمر كما ذكر ذلك عند ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب عفا الله عنه وسامحه فلقد قام بمؤامرة آلاف من الناس الذين هلكوا في زمان الحنة سنة ست وسنة سبع وثمانمائة وتكفّنهم فلم ينس الله له ذلك وستره كما ستر المسلمين وما كان ربك نسياً

(الخاتمة البندقدارية)

هذه الخاتمة بالقرب من الصليبية كان موضعها يعرف قديماً بدير مسعود وهى الآن تجاه المدرسة القارقانية وحمام القارقاني أنشأها الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى الصالحى النجمي وجعلها مسجداً لله تعالى وخاتمة ورتب فيها صوفية وقراء في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة استتباه الملك المعز أيك فواتب الجيوش بالمدارس الصالحة مع تواب دار العدل وإلى أيديكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لأنه كان أول مملوك ثم انتقل منه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف بين المماليك البحرية ببيبرس البندقدارى وعاش أيديكين إلى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب في سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكان الغلاء بها شديداً فلم تطل أيامه وفارقه بدمشق بعد محاربته سنقر الأشقر

والقبض عليه في حادي عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فاقام في النياية فحوشه وصرفه الامير علاء الدين طبريز الوزير فلما خرج السلطان الى الشام في سنة احدى وستين وستمائة واقام بالطور اعطاء امره بمصر وطبختاها في ربيع الاخر منها ومات في ربيع الاخر سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه

* (خانقاه شيخو) *

هذه الخانقاه في خط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الامير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة ست وخمسين وسبع مائة كان موضعها من جملة قطائع أحد بن طوطن وآخر ما عرف من خبره انه كان مساكن للناس فاشتراها الامير شيخو من اربابها وهدمها في المحرم من هذه السنة فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاخطفها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعاوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودرس الحديث النبوي ودرس الاقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف واقام شيخنا أكل الدين محمد بن محمود في مشيخة الخانقاه ومدرس الحنفية وجعل اليه النظر في أوقاف الخانقاه وقرر في تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن علي السبكي وفي تدريس المالكية الشيخ خليل وهو متجند الشكل وله اقطاع في الحلقة وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الحلوى والزيت والصابون ووقف عليها الاوقاف الجليله فعظم قدرها واشتهر في الاقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم وأرت في العمارة على كل وقف بديار مصر الى أن مات الشيخ أكل الدين في شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبع مائة فوليها من بعده جماعة ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذي فاض عن مصر وفها فاخذ الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لارباب الوظائف بهاء عدة أشهر وهي الى اليوم على ذلك

* (الخانقاه الجاولية) *

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكيش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وقد تقدم ذكرها في المدارس

* (خانقاه الجيبغا المظفرى) *

هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وترية عثمان بن جوشن السعودي أنشأها الامير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بهاء عدة من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ويحضرون في كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس وكاب يقرأ فيه اطفال المسلمين الايتام كتاب الله تعالى ويتعلون الخط ولهم في كل يوم الخبز وغيره وما برحت على ذلك الى أن اخرج الامير برقوق اوقافها فتعطلت واقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها وهي الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السيل * (الجيبغا المظفرى) الخاصكى تقدم في أيام الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاون تقدم كثيرا بحيث لم يشاركه أحد في رتبته فلما قام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في السلطنة أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الامر والنهي فلما اختلف أمراء الدولة أخرج الى دمشق في ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبع مائة واقام بدمشق الى شعبان وسار الى نياية طرابلس عوضا عن الامير بدر الدين مسعود بن الخطيرى فلم يزل على نيايتها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين وسبع مائة فكتب الى الامير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه في التصيد الى الناعم فاذن له وسار من طرابلس واقام على بحيرة حصا ياما يتصيد ثم ركب ليلا عن معه وساق الى خان لاجين ظاهر دمشق فوصله أول النهار واقام به يومه ثم ركب منه عن معه ليلا وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الابلق وقبض عليه وقيده في ليله الخميس ثالث عشر شهر ربيع الاول وأصبح وهو

يسوق الخيل فاستدعى الامراء وأخرج لهم كتاب السلطان بامسالك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على اموال أرغون شاه فلما كان يوم الجمعة رابع عشر به أصبح أرغون شاه مذبوحاً ناسحاً الجيبيغا أن أرغون شاه ذبح نفسه وفي يوم الثلاثاء انكسر الامراء أمره وثاروا عليه فركب وقادهم واتصرو عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الاموال وخرج من دمشق وسار الى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر الى دمشق بانكار كل ما وقع والاجتهاد في مسك الجيبيغا فخرجت عساكر الشام اليه فقتل من طرابلس فأدركه عسكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل الى عسكر دمشق فقيده وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر وهو نحر الدين ايام ثم وسط بمصر السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكر دمشق ووسط معه الامير نحر الدين ايام وعلقوا على الخشب في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس وسبع مائة وعمره دون العشرين سنة فطأ ترابيه وكان له البدر حسنا والعصن اعتدالا

(خاتمة سرياقوس)

هذه الخاتمة خارج القاهرة من شمالها على نحو يريد منها بأول تبة بنى اسرائيل بسماسم سرياقوس أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك انه لما بنى الميدان والاحواش في بركة الحب كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الحب اتفق انه تركب على عادته للصيد هناك فأخذه ألم عظيم في جوفه كاد يأتى عليه وهو يجلد ويكتم ما به حتى عجز فزل عن القوس والام يتزايد به فذوقه ان عافاه الله لينين في هذا الموضع موضعاً بعد الله تعالى فيه تخف عنه ما يجده ويركب فقضى نعمته من الصيد وعاد الى قلعة الجبل فلزم القراش مدة ايام ثم عوفي فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين واخط على قدوميل من ناحية سرياقوس هذه الخاتمة وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ونحى بجانبها مسجد اقام به الجمعة ونحى بها حماما ومطبخا وكان ذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبع مائة كمل ما أراد من بنائها وخرج اليها بنفسه ومعه الامراء والقضاة ومشايخ الخواريك ومدت هناك المظلة عظيمة بداخل الخاتمة في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ونصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لاسماع الحديث النبوي وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثاً ثنائياً وسامع السلطان ذلك وكان جمعاً موفوراً وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع ما يجوز له روايته وعندما انقضى مجلس السماع قرر السلطان في مشيخة هذه الخاتمة الشيخ محمد الدين موسى بن أحمد بن محمود الاقصر اى ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولكل من ولى بعده وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ الا شيخ خاتمة سعيد السعداء وحضرته التشاريف السلطانية فخلع على قاضي القضاة بدر الدين وعلى ولده عز الدين وعلى قاضي القضاة المالكية وعلى الشيخ محمد الدين أبى حامد موسى بن أحمد بن محمود الاقصر اى شيخ الشيوخ وعلى الشيخ علاء الدين القوفوى شيخ خاتمة سعيد السعداء وعلى الشيخ قوام الدين أبى محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وعلى جماعة كثيرة وخلع على سائر الامراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل فرغب الناس في السكنى حول هذه الخاتمة وبنوا الدور والحوائط والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخاتمة سرياقوس وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخاتمة عدة حمامات وهى الى اليوم بلدة عامرة ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الاصناف احتكاماً لمكان الخاتمة ويعمل هناك في يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس اليه من الاماكن البعيدة يباع فيه الخيل والجمال والحير والبقر والغنم والدجاج والاوز واصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك وكانت معالم هذه الخاتمة من اسنى معلوم بديار مصر يصرف له كل صوفى في اليوم من لحم الضأن السليج رطل قد طبخ في طعم شهى ومن الخبز النقي أربعة أرطال ويصرف له في كل شهر مبلغ أربعين درهماً فضة ضاراً وورطاً حلوى وورطاً زيتاً من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن كسوة في كل سنة وتوسعة في كل شهر رمضان وفي العيد وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشراؤها وباتخاذ خزائنها السكر والاشربة والادوية وبها الطبائى والجراثيم والكحل ومصلح الشعر وفي كل رمضان يفرق

على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم الخماس ويعطون حتى الاستسنان لغسل الأيدي من وضر
العلم يصرف ذلك من الوقت لكل منهم وبالجمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج
إلى شيء غيرها ويتفرغ للعبادة ثم استجد بعد سنة تسعين وسبع مائة بها جام أخرى برسم النساء وما برحت
على ما ذكرنا إلى أن كانت الحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام وصار يصرف لهم في ثمنه مبلغ من
نقد مصر وهي الآن على ذلك وأدركت من صوفيتها شخصاً شيخاً يعرف بابي طاهر بنام أربعين يوماً بليلتها
لا يستيقظ فيها البتة ثم يستيقظ أربعين يوماً لا ينام في ليلتها ولا نهارها أقام على ذلك عدة أعوام وخبره مشهور
عند أهل الخانقاه وأخبرني أنه لم يكن في النوم الا كغيره من الناس ثم كثر نومه حتى بلغ ما تقدم ذكره
ومات بهذه الخانقاه في نحو سنة ثمانمائة ومما قيل في الخانقاه وما أنشأه السلطان بها

سرتخوسر ياقوس وانزل بفنا * أوجاءها بأذن النبي والرشد
تلق محلا للسرور والهنا * فيه مقام للتيق والزهدي
نسيه يقول في مسيره * تنهى يا عذبات الرند
وروضه الزبان من خليجه * يقول دع ذكر أراضني نجد

* (خانقاه ارسلان) *

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جهة أراضى منشأة المهراني أنشأها الأمير بهاء الدين ارسلان الدوادار
* (ارسلان) الأمير بهاء الدين الدوادار الناصري كان أولاً عند الأمير سلا ر أيام نيابته مصر خصيصاً به خطياً
عنده فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من مصر بكره بعضاً من الشام ونزل بالريدية ظاهراً القاهرة في شهر
رمضان سنة تسع وسبع مائة أطلع ارسلان على أن جماعة قد انفقوا على أن يجمعوا على السلطان ويشتكوا به
يوم العيد أول شوال فجاء إليه وعرفه الحال وقال له أخرج الساعة وأطلع القطعة وأملكها فقام السلطان
وفتح باب سر الدهليز وخرج من غير الباب وصعد قلعة الجبل وجلس على سرير الملك فرعى السلطان له هذه
المناجحة ولما أخرج الأمير عز الدين أيدهم الدوادار من وظيفته رتب ارسلان في الدوادارية وكان يكتب
خطاً مليحاً ودربه القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه فصار يكتب بخطه إلى كتاب السر عن
السلطان في المهمات بعبارة مستدرة وافية بالمقصود واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره في أيامه
ذكر ولم يشتر غير الدين وكرم الدين بعظمة الأبعد واجتهد في إبعاده فما قدر على ذلك وفي أيام توليته الدوادارية
السلطانية أنشأ هذه الخانقاه على شاطئ النيل وكان ينزل في كل ليلة ثلاثاء إليها من القطعة ويبعث بها
ويحتفل الناس للعبور إليها ويرسل عن السلطان إلى مهناً أمير العرب ونفع الناس نفعا كبيراً وقلدهم منها جسيمة
ومات في ثالث عشرى شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مائة فوجد في تركته ألف ثوب أطلس ونفائس
كثيرة وعدة نواقيع ومناشير معلقة فأنكر السلطان معرفتها ونسب إليه اختلاسها وأول من ولي مشيختها تقي
الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسيني القنأى الشافعي جد الشيخ عبد الرحيم
القنأى الصالح المشهور وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيهاً شافعيًا وكان أبو البقاء هذا عالماً عارفاً زاهداً قليل
التكلف متقللاً من الدنيا مع الحديث وأجمعه وولد في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات ليلة الاثنين رابع عشر
جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مائة ودفن بالقراة فتداول مشيختها القضاة الاخائية إلى أن
كانت آخر أيدي شيخنا قاضي القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخنائي فلما مات في سنة تسع وثمانين
وسبع مائة تلقاها عنه عز الدين بن صاحب ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن صاحب رحمه الله

* (خانقاه جعفر) *

هذه الخانقاه بطرف القراة في سفح الجبل بمحايل بركة الحبش أنشأها الأمير بكتر الساقى وأبدأ بحضورها
في يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبع مائة وأول من استقر في مشيختها الشمسي شمس الدين
الرومي ورتب له عن معلوم المشيخة في كل شهر مائة درهم وعن معلوم الأمانة مبلغ خمسين درهما ورتب معه
عشرين صوفياً لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل ما بنى بمصر ورتب بها صوفية وقراء
وقرأ لهم الطعام والخبز في كل يوم والدرهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر وبني بجانبها جاماً وأنشأ

هناك يستأنف عمير تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس في مشيختها الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة قبط الطعام والخبز منها وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها وخرت الحمام والبستان وصار يصرف لارباب وظائفها مبلغ من تقدم مصر وأقام فيها رجل يحرسها وتزق ما كان فيها من الفرش والالات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكثف والقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الامتعة والثفائس الملوكة وخرب ما حولها خلوه من السكان * (بكتمر الساقى) الامير سيف الدين كان أحد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما استقر الملك الناصر محمد بن قلاوون في المملكة بعد بيبرس أخذه في جيله من أخذ من مماليك بيبرس ورفاه حتى صار أحد الامراء الاكابر وكتب الى الامير تنكز نائب السلطنة بدمشق بعد أن قبض على الامير سيف الدين طغاي الكبير يقول له هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من طغاي اكتب اليه بما تريد من حوائجك فعظم بكتمر وعلا محله وطار ذكره وكان السلطان لا يفرقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان في الدور السلطانية ثم تزوجه بجاريته وحظيته فولدت لبكتمر ابنه أحمد وصار السلطان لا ياكل الا في بيت بكتمر مما تطبخه له أم أحمد في قدر من فضة وينام عندهم ويقوم واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله ولما شاع ذكر بكتمر وتسامع الناس به قدموا اليه غرائب كل شئ وأهدوا اليه كل نفيس وكان السلطان اذا جل اليه أحد من التواب مقدمة لا بد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها والذي يصل الى السلطان يجب له غالبه فـ كثرت أمواله وصارت اشارته لا ترد وهو عبارة عن الدولة واذا ركب كان بين يديه ما تناعصا نقيب وعمره السلطان القصر على بركة القيل ولما مات بطريق الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة خلف من الاموال والقماش والامتعة والاصناف والزردخانة ما يزيد على العادة والحد ويستحي العاقل من ذكره فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا وقال هذه لي ما وهبته اياها وبيع الباقي من الخيل على ما أخذه الخاصكية بشئ بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ومائتي ألف درهم وثمانين ألف درهم فضة خارجا عما في الخسارات وانتم السلطان بالزردخانة والسلاخانة التي له على الامير قوصون بعد ما أخذ منها سرجا واحد اوسيفا القيمة عن ذلك سقانة ألف دينار وأخذ السلطان ثلاثة صناديق جوهر امتنا لا تعلم قيمة ذلك وبيع له من الصيني والكتب والختم والربعات ونسخ البخاري والدوايات القولاذ والمطعمه والبضم بسقط الذهب وغير ذلك ومن الوربر والاطلس وانواع القماش السكندري والبغدادى وغير ذلك شئ كثير الى الغاية المفرطة ودام البيع لذلك مدة مشهور وامتنع القاضي شرف الدين النشوناظر الخاص من حضور البيع واستغنى من ذلك فقيل له لاى شئ فعلت ذلك قال ما أقدر أصبر على غير ذلك لان المائة درهم تباع بدرهم ولما خرج مع السلطان الى الحجاز خرج بجمل زائد وحشمة عظيمة وهو ساقه الناس كلهم وكان ثقله وجاله نظير ما للسلطان ولكن يزيد عليه بالزركش والالات الذهب ووجد في خزانته بطريق الحجاز بعد موته خمسمائة تشرىف منها ما هو اطلس بطرز زركش ومادون ذلك من خلع ارباب السيوف وأرباب الاقلام ووجد معه قيود وجنازير وتنكر السلطان له في طريق الحجاز واستوحش كل منهم من صاحبه فاتفق انهم في العود مرض ولده أحمد ومرض من بعده فمات ابنه قبله بثلاثة أيام فحمل في تابوت مغشى بجلد وجل ولما مات كثرت دفن مع ولده فخل وحث السلطان في المسير وكان لا يشام في تلك السفر الا في برج خشب وبكتمر عنده وقوصون على الباب والامراء المشايخ كلهم حول البرج بسبب وفهم فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر ويقال ان السلطان دخل عليه وهو مريض في درب الحجاز فقال له يبنى وينك الله فقال له كل من فعل شيا يلقبه ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد وبكت وأعوذت الى أن سمعها الناس تتكلم بالقبح في حق السلطان من جلته أنت تقتل مملوك أنا ابني ايش كان فقال لها بس تقشرين هاتى مفاتيح صناديقه فأنا أعرف كل شئ أعطيته من الجواهر فرمت بالمفاتيح اليه فأخذها ولما وصل السلطان الى قلعة الجبل اظهر الحزن والندامة عليه وأعطى أخاه قارى امرأة مائة وثلاثة آلاف وكان يقول ما بقى يميننا مثل بكتمر وأمر فحملت جثته وجثته ابنه الى خانقاهه هذه ودفنتا بقبته وبدت من السلطان امور منكرة بعد موت بكتمر فإنه كان يحجر على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة وكان يتلف بالناس ويقضى حوائجهم ويسوسهم احسن سياسة ولا يخالفه السلطان في شئ ومع ذلك فلم يكن له حياية ولا رعاية ولا غلمانه ذكر ومن المغرب بغلق

باب اصطبله وكان محاله على السلطان من المرتب في كل يوم محقيتان يأخذنهما من بيت المال كل يوم
سبع مائة درهم عن كل محقية ثمانية وخمسين درهما وكان السلطان اذا أنعم على أحد بشئ أو ولاءه وظيفة قال له
روح الى الأمير بكثرويس يده وكان جيد الطباع حسن الاخلاق لين الجانب سهل الاتقياد رزحه الله

*** خاتمه قوصون ***

هذه الخاتمة في شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين قوصون
وكلت عمارتها في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقر في مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الشفاء محمود بن أبي القاسم
احمد الاصفهاني ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز والقمح والصابون والزيت وسائر ما يحتاج اليه حتى
جامكية غلام بغلته واستقر ذلك في الوقف من بعده لكل من ولي المشيخة بها وقر به جماعة كثيرة من الصوفية
ورتب لهم الطعام والقمح والخبز في كل يوم وفي الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون
وما زالت على ذلك الى أن كانت الحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصر في مستحقها
مال من تقدمه صر وتلاشي امرها من بعد ما كانت من اعظم جهات البر واكثرها نفعا وخيرا وقد تقدم ذكر
قوصون عند ذكر جامعها من هذا الكتاب

*** خاتمه طغاي النجمي ***

هذه الخاتمة بالحجرات خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر أنشأها الأمير طغاي نمر النجمي فخامت
من المباني الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما
وعرس في قبابها بستانا وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسيل ترده الدواب ووقف على ذلك عدة اوقاف ثم ان
الحمام والحوض تعطلا مدة فلما ماتت أرنباى زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ثمان
وثمانمائة دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبنى على قبرها ووقف عليها أوقافا ثم بدله فنقلها الى هذه الخاتمة
ودفنها بالقبة التي فيها وادار الساقية وملا الحوض ورتب لقراء هذه الخاتمة معلوما وعزم على تجديد ما تدهت
من بنائها وادارة حمامها ثم بدله فأنشأ بجانب هذه الخاتمة تربة ونقل زوجته مرة ثالثة اليها وجعل أملاكه وقفا
على تربيته * (طغاي نمر النجمي) كان دوادار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون فلما مات الصالح استقر على
حاله في أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المنصور حاجي وكان من أحسن الاشكال وأبدع الوجوه تقدم
في الدول وصارت له وجهة عظيمة وخدمه الناس ولم يزل على حاله الى أن لعب به اغرلوا فمينا لعب وأخرجوه
الى الشام وألحقه بمن أخذه من غزوة ذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وطغاي
هذا أول دوادار أخذ امره مائة وتقدمه ألف وذلك في أول دولة المنصور حاجي ولما كانت واقعة الأمير ملك نمر
الجباري والأمير أرق سنقر وعدة من الامراء في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى
طغاي نمر سيفه وبنى بغير سيف بعض يوم ثم ان المنصور أعطاه سيفه واستقر في الدوايرية فموشم وأخرج هو
والامير نجم الدين محمود الوزير والامير سيف الدين يدمر البدرى على الهجن الى الشام فأدركهم الأمير
سيف الدين منجك وقتلهم في الطريق

*** خاتمه أم أولك ***

هذه الخاتمة خارج باب البرقية بالحجرات التي أنشأها الخاقون طغاي تجاه تربة الأمير طاشقر الساقى فخامت
من أجل المباني وجعلت بها صوفية وقرا ووقف عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جوارها
مرتب يقوم بها * (طغاي الخوند الكبرى) زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وأم ابنه الأمير أولك
كانت من جلة امائه فاعتقها وترزجها ويقال انها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة
الجمال وأتت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها مثلها ولم يدم
السلطان على محبة امرأته سواها وصارت خونده بعد ابنه توكاي وأكبر نساؤه حتى من ابنة الأمير تنكر
وجج بها المقاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحل لها البقول في محارطين على ظهر الجبال وأخذ لها
الابصار الحلاية فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل اللبن وكان يلقى لها اللبن في الغداء

والعشاء وناهيك بمن وصل إلى مداومة البقل والجبن في كل يوم وهما أخس ما يؤكل فساءه يكون بعد ذلك وكان القاضي كريم الدين والامير مجلس وعدة من الامراء يتراجلون عند التزول ويمشون بين يدي محضتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حججها الامير بشمال في سنة تسع وثلاثين وسبع مائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقديما الى السلطان لا بد أن يكون لحوند طغاي منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمته من بعده الى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبع مائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما خصباء وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر حواريجها وجعلت على قبرها بقية المدرسة الناصرية بين القصرين قراة ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جلته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه وهي من اعمار الاماكن الى يومنا هذا

* (خانقاه يونس) *

هذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق وهي أول مكان بني هناك * أنشأها الامير (يونس النوروزي الدوادار) كان من عمال الملك الامير سيف الدين جرجي الادريسي أحد الامراء الناصرية وأحد عقائمه قترقي في الخدم من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار من جملة الطائفة البلغافية فلما قتل الامير بلبغا الخاصكي خدم بعده الامير استمر الناصري الاتابك وصار من جملة دوادارته وما زال ينقل في الخدم الى أن قام الامير برقوق بعد قتل الملك الاشرف شعبان فكان من اعائه وقاتل معه فرعى له ذلك ورفاه الى أن جعله أمير مائة مقدم ألف وجعله دواداره لما تسلطن فسلك في رياسته طريقة جليدة ولزم حالة جليدة من كثرة الصيام والصلاة واقامة التاموس الموكي وشدة المهابة والاعراض عن اللعب ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراء وحضور السماع والشغف به واکرام الفقهاء وأهل العلم وأنشأ بالقاهرة ربعا وقبسية بجهة البند قاتنين وترية خارج باب الوزير تحت القلعة وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الاعلى وأنشأ خانقا عظيما خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتبا يقرأ فيه ايتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنيهم اصهر رجلا يتقل اليه ماء النيل وما زال على وفور حرمة وثقود كلمته الى أن خرج الامير بلبغا الناصري نائب حلب على الملك الظاهر رقوق في سنة احدى وتسعين وسبع مائة وجهز السلطان الامير تمش والامير يونس هذا والامير جهار كس الخليلي وعدة من الامراء والمماليك اقتاله فلقوه بدمشق وقاتلوه فزهزهم وقتل الخليلي وقترا تمش الى دمشق ونجا يونس بنفسه يريده مصر فأخذ الامير عياف بن شطي امير الامراء وقتله يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبع مائة ولم يعرف له قبر بهدأ أعد لنفسه عدة مدافن في غير ما مدينة من مصر والشام

* (خانقاه طبرس) *

هذه الخانقاه من جملة أراضي بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل أنشأها الامير علاء الدين طبرس الخازندار نقيب الجيوش في سنة سبع وسبع مائة بجوار جامع المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هذا السكاب وقربها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم ولم تزل عامرة الى أن حدثت الحن من سنة ست وثمانمائة فابناع شخص الوكالة والربعين المعروفين بربع بكتبر والجامعين ونقض ذلك فخرط الخطوصار مخوفا فلما كان في سنة أربع عشرة وثمانمائة نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطبرسية بجوار الجامع الازهر وهي الآن بصد دان تدنو وتسمى آثارها

* (خانقاه اقبغا) *

هذه الخانقاه هي موضع من المدرسة الاقبغافية بجوار الجامع الازهر افرد الامير اقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وطيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهي باقية الى يومنا هذا وله أيضا خانقاه بالقرافة

* (الخانقاه الخروية) *

هذه الخياطة فساغل الخيرة تجاه المقياس كانت منظرة من اعظم الدور وأحسنها أنشأها زكي الدين أبو بكر ابن علي الخزرجي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخزرجي التجار بحصر فلم تزل بأيديهم الى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب الفرسنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وأقام بها فاقضى رأيته أن يجعلها خانقاه فاستدعى بابن الخزرجي ليشتريها منه فباعتها بمائة دينار وأقامها باقية فاقدم الى الامير سيف الدين أبي بكر بن المنروق الاستاذار بعملها خانقاه وسار منها في يوم الاربعاء سادس عشره فأخذ الامير أبو بكر في عملها حتى كملت في آخر السنة واستقر في مشيختها شمس الدين محمد بن الحقي الدمشقي الحنبلي وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ورتب له في كل يوم عشرة مؤيديه عنها مبلغ سبعين درهما فلو ساسوى الخبز والسكن وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم فجاءت من احسن شيء

* (ذكر الربط) *

الربط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله قال ابن سيده الرباط من الخيل الخنس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة تغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل نفسها رباطا والرباط الرباط المواظبة على الامر قال الفارسي هو ثمان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثمان من رباط الخيل وقوله تعالى وصابروا ورباطوا قيل معناه جاهدوا وقيل وانظروا على مواقيت الصلاة وقال ابو حفص السهروردي في كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ثم قيل لكل تغريد في أهله عن وراءهم رباط فالجهاذ المرابط يدفع عن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء تزلت هذه الآية أصبروا وصابروا ورباطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة قال رباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الرباط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقيق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقي ما يفسد الاعمال ويصحح الاحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحسن النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا * والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متسابقة ووضع الرباط لهذا المعنى * قال مؤلفه رحمه الله ولا تتخذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون الى أهل ولا مال مكانا من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة

* (رباط الصاحب) *

هذا الرباط مطلق على بركة الحبس أنشأه الصاحب نضر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وستين وثمانمائة وهو باق الى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدى ريع وقفه من لا يقوم بمصالحه

* (رباط الفخري) *

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر بناء الامير عز الدين ابيك الفخري أحد امراء المماليك الظاهرية بپرس

* (رباط البغدادية) *

هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بپرس حيث كان المحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا

الكتاب ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليظة تذكرا بآي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس في سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأزلفتها به ومعها النساء الخيرات ومأبرح الى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخبر وله دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفههن وآخر من أدرك فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانم أُم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقد آثفت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة بالسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من نساء دمشق ودمصر وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس وصار بعدها **كل** من قام بشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية آثفت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت الثمانين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة وأدركنا هذا الرباط ونودع فيه النساء الا في طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى ان خادمة الفقيرات به كانت لا تمكن أحدا من استعمال ابريق بيزوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه ثم لما سفت الاحوال من عهد حدوث الحن بعد سنة ست وثمانمئة ثلاث أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من نجب النساء المعتدات به وفيه الى الآن بقايا من خبر وبلى النظر عليه فاضى القضاة الحنفى

* (رباط الست كليله) *

هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر البغدى ملاصق للسور المحرر بخط سوق الغنم وجامع أصل وقفه الامير علاء الدين البراباه على الست كليله المدعوة دولاي ابنة عبد الله التتارية زوج الامير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهري وجعله مسجد ورباطا ورتب فيه اماما ومؤذنا وذلك في ثالث عشرى شوال سنة أربع وتسعين وستمائة

* (رباط الخازن) *

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعى رجة الله عليه من قرافة مصر بناء الامير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهذا الخازن هو الذى يشب اليه حكر الخازن خارج القاهرة

* (الرباط المعروف برواق ابن سليمان) *

هذا الرواق بجدار الهلالية خارج باب زويلة يعرف بأحد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن ابراهيم بن أبي المعالى ابن العباس الرجبى البطائحي الرفاعي شيخ الفقهاء الاجدية الرفاعية بديار مصر كان عبدا صالحا له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم وينتجى اليه كثير من الفقهاء الاجدية وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذي الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة بهذا الرواق

* (رباط داود بن ابراهيم) *

هذا الرباط بخط بركة الفيل بنى في سنة ثلاث وستين وستمائة

* (رباط ابن أبي المنصور) *

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صنى الدين الحسين بن على بن أبي المنصور الصوفى المتلكى كان من بيت وزارة قنجر د وملك طريق أهل الله على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التيجي المغربي وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكى عنه كرامات وصف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ وروى الحديث وحدث وشاركه في الفقه وغيره وكانت ولادته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين وستمائة

* (رباط المشتى) *

هكذا يباين
في الأصل

ولله در شيخنا العارف الاديب

هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك
شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر الدمنهوري حيث يقول

بروضة المقياس صوفية * هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أباد علت * وشيخهم ذاك له المشتهى
وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي
بالسلة مزت بنا حلوة * ان رمت تشبيها لها عينها
لا يبلغ الواصف في وصفها * حذا ولا يلقي له منتهى
بتم مع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومها المشتهى

* (رباط الآثار) *

هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ويجاور ببستان المعروف بالمعشوق * قال
ابن المتوج هذا الرباط عمره صاحب تاج الدين محمد بن صاحب نحر الدين محمد ولد صاحب بهاء الدين علي
ابن جناح واربستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ربع بستان المعشوق فإذا
كملت عمارته يوقف عليه ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمرفيه شيأ يسيرا وأدركه الموت الى رحمة الله
تعالى وشرع صاحب ناصر الدين محمد ولد صاحب تاج الدين في تكملته فعمرفيه شيأ جيدا انتهى وانما قيل له
رباط الآثار لان فيه قطعة خشب وحديد يقال ان ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها
الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع وذكروا أنهم لم تزل
عندهم وروثه من واحد الى آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم
تبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا هذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن
يتردد اليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحصر الماء من تجاؤه وحدثت الحن من سنة ست وثمانمائة
قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية ولما كانت أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر
فيه درس باللقهاء الشافعية وجعل له مدة ساو عنده عدة من الطلبة ولهم جاري كل شهر من وقف وقفه عليهم
وهو باق أيضا وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة
كتب وهو عامر بأهله * (الوزير صاحب) تاج الدين محمد بن صاحب نحر الدين محمد بن الوزير صاحب
بهاء الدين علي بن سليم بن خنولة في سابع شعبان سنة أربعين وثمانمائة ومع من سبط السلفي وحدثت وانهت
اليه رياسته عصره وكان صاحب صيانة وسود ومكارم وشاكلة حسنة وبرة فاخرة الى الغاية وكان يتناهي
في المطاعن والملابس والمناسك ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل
الصلاح والمبالغة في اعتقادهم ونال في الدنيا من العز والجاه ما لم يره جدّه صاحب الكبر بهاء الدين بحيث انه
لما تقلد الوزير صاحب نحر الدين بن الخليلي الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشریف الوزارة الى بيت
الصاحب تاج الدين وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف الى داره وما زال على هذا القدر من وفور العز الى
أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بعد قبل الوزير الامير سنجر
الشجاعي فلم ينجب وتوقفت الاحوال في أيامه حتى احتاج الى احضار تقاوي التواحي المرصدة بها للتخضر
واستهلكها ثم صرف في يوم الثلاثاء خامس عشرين جادي الاولى سنة أربع وتسعين وثمانمائة بتغر الدين عثمان
ابن الخليلي وأعيد الى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل وسلم مرة للشجاعي فخرّده من ثيابه وضربه شيئا واحدا
بالمسارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ومات في رابع جادي الآخرة سنة سبع وسبع مائة ودفن في تربتهم
بالقرافة وكان له شعر جيد ولله در شيخنا الاديب جلال الدين محمد بن خطيب داريا الدمشقي النيساباني
حيث يقول في الآثار

يا عين ان بعد الحبيب وداره * وثأت مرابعه وشط مناره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تربه فهذه آثاره

وقد سبقه لذلك صلاح خليل بن ايك الصقدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور ومراره
يا عين دونك فأنظري وتمتعي * ان لم تربه فهذه آثاره
واقتردي بهما في ذلك أبو الخزم المديني فقال

يا عين كم ذاتسفين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقل عنهما * فتمتعي يا عين في آثاره

* (رباط الافرم) *

هذا الرباط بفتح الجرف الذي عليه الرصد وهو يشرف على بركة الحبش وكان من أحسن منتزهات أهل مصر
أنشأها الأمير عز الدين إيلك الافرم أمير خازن دار الصالحى النجمي ورتب فيه صوفية وشيخا واماما وجعل فيه
منبرا يحفاب عليه للجمعة والعبدن وقرر لهم معالم من اوقاف أرصد هالهم وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة
وهو باق الا انه لم يبق به ساكن نظراب ما حوله وله الى اليوم متحصل من وقفه والافرم هذا هو الذي ينسب اليه
جسر الافرم خارج مصر وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب

* (الرباط العلوى) *

هذا الرباط خارج مصر يخط بين الزقاقين شرق الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصله وهو آيل الى الدوران
نظراب ما حوله أنشأها الملك علاء الدين أبو الحسن على ابن الملك المجاهد سيف الدين احمق صاحب الجزيرة
ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يجوار داره وحمامه وطاحونه وجعل له فيه مدفنا ووقف عليه
بستان الجرف وبستانا بناحية شبراو عدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكارا ودورا بجانب الرباط
ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم
سنة سبع وخسين وستمائة بجزيرة ابن عمر وكان من الحلقة وسمع الحديث من الشيخ الحزاني وابن عرين
وابن علاف ودفن فيه وبه الى الآن بقية ومحضره الفقهاء يوما في الاسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ
ميعاد وقرأ وكان اقلامهم ورايسكنى أهله دائما فيه وفي هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق

* (ذكر الزوايا) *

* (زاوية الدمياطى) *

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السيل المعتاشرب الدواب
أنشأها الامير عز الدين إيلك الدمياطى الصالحى النجمي أحد الامراء المقتدين الاكابر في أيام الملك
الظاهر بيبرس وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الاربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة والى الآن
يعرف الحوض الجاور لها بحوض الدمياطى

* (زاوية الشيخ خضر) *

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن
أبي بكر بن موسى المهراني العدوي شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس كان أولا قد انقطع بجبل المزة خارج
دمشق فعرفه الامير سيف الدين قشمر النجمي وتردد اليه فقال له لا بد أن يتسلطن الامير بيبرس البندقدارى
فأخبر بيبرس بذلك فلما صارت المملكة اليه بعد قتل الملك الظاهر قطز اشتمل على اعتقاده وقرية وبني له زاوية بجبل
المزة وزاوية بظاهر بعلبك وزاوية بجمامه وزاوية بجمص وهذه الزاوية خارج القاهرة ووقف عليها أحكارا تغل
في السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأثر له بها وصار ينزل اليه في الاسبوع مرة أو مرتين ويطلع له على غوامض
أسراره ويستشيره في اموره ولا يخرج عما يشيره ويأخذ معه في أسفاره وأطلق يده وصرفه في مملكته فهدم
كنيسة اليهود بدمشق وهدم كنيسة للنصارى بالقدس كانت تعرف بالمصلبة وعلها زاوية وقتل قسيسها يده
وهدم كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن هارأس يحيى بن زكريا وعلها مسجدا
سماه الخضر فأتى جانبه الخاص والعام حتى الامير بدر الدين بيديك الخازن دار نائب السلطنة والصاحب بهاء
الدين على بن حنا ومولوك الاطراف وكان يكتب الى صاحب جماء وجميع الامراء اذا طلب حاجة مأمثلة

الشيخ خضرياً الجمارة وكان ربع القامة كث اللحية يتغهم عسراوى وفي لسانه بجمعة مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة وعمل الاسطة الفاخرة وكانت أحواله عجيبه لا تتكيف واقوال الناس فيه مختلفة منهم من ثبت صلاحه ويعتقده ومنهم من يرميه بالعظائم وكان يخبر السلطان بأمر ترتفع منها انه لما حاصر أرسوف وهى أول فتوحاته قال له متى نأخذ هذه المدينة فعين له يوما يأخذها فيه فأخذها في ذلك اليوم بعينه واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية فلذلك كثر اعتقاده فيه وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناصح في ملازمة السلطان له في أسفاره

ما الظاهر السلطان الامالك الدنيا بذالك لنا الملاحم تحبر

ولناديل واضح كالشمس في * وسط السماء لكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه * أبدا علمنا انه الاسكندر

ومابرح على رقبته الى ثامن عشر شوال سنة احدى وسبعين وستمائة قبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ومنع الناس من الاجتماع به ويقال ان ذلك بسبب أن السلطان كان اعطاه تحفا قدمت من اليمن منها كثرى من ملح الى الغاية فأعطاه خضر لبعض المردان فبلغ ذلك الامير بدر الدين الخازندار النائب وكان قد ثقل عليه بكثرة تسلطه حتى لقد قال له مرة بمحضرة السلطان كأنك تسفق على السلطان وعلى اولاده مثل ما فعل قطز بأولاد المعز فأسرته ما في نفسه وبلغ خبر الكثر الى السلطان فاستدعاه وحضر جماعة حاققوه على امور كثيرة منكرة كاللواط والزنا ونحوه فاعتقله ورتب له ما يكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى ولما سافر السلطان الى بلاد الروم قال خضر لبعض اصحابه ان السلطان يظهر على الروم ويرجع الى دمشق فيوت بها بعد أن اموت أنا بعشرين يوما فكان كذلك ومات خضر في محبسه بقلعة الجبل في سادس المحرم أو سابعه من سنة ست وسبعين وستمائة وقد أناف على الخمسين فسلم الى أهله وحلوه الى زاوية هذه ودفعوه فيها وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه فقدم البريد بعد موته ومات السلطان بدمشق في سابع عشر المحرم المذكور بعد خضر بعشرين يوما وهذه الزاوية باقية الى اليوم

* (زاوية ابن منظور) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن احمد بن منظور بن يس ابن خليفة بن عبد الرحمن أبو عبد الله الكافى العسقلانى الشافعى الصوفى الامام الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدث عن أبي الفتوح الحلالى وروى عنه الدمياطى والدوادارى وعدة من الناس ونظر في الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده في ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ووفاته بزاويته في ليلة الثانی والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستمائة وكانت هذه الزاوية أولاً تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى

* (زاوية الظاهرى) *

هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهراً القاهرة عند حمام طرغاي على الخليج الناصرى كانت أولاً تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحضر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من بره الشرق واتصلت المناظر هناك الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة تخربت حمام طرغاي وبيعت أبقاضها وأتقاض كثير مما كان هناك من المناظر وأنشئ هناك بدستان عرف أولاً بعبد الرحمن صبرى الامير جمال الدين الاستاد ارلانه أولاً أنشأ ثم اتقل عنه * والظاهرى هذا هو احمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى وبرع حتى صار اماما حافظا وتوفى ليلة الثلاثاء لاربع بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بترته خارج باب النصر * وابنه عثمان بن احمد بن محمد بن عبد الله نخر الدين ابن جمال الدين الظاهرى الحلبي الامام العلامة المحدث الصالح ولد في سنة سبعين وستمائة وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثرا ومات بزاويته هذه في سنة ثلاثين وسبعمائة

* (زاوية الجيزة) *

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضي الزهري وهي الآن خارج باب زويلة بالقرب من معبدة فريج أنشأها الأمير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد أمراء الملك المنصور قلاوون في سنة اثنتين وثمانين وستمئة وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية

* (زاوية الخلاوي) *

هذه الزاوية بخط الأباوين من القاهرة بالقرب من الجامع الأزهر أنشأها الشيخ مبارك الهندي السعودي الخلاوي أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبي السعود بن أبي العنشاير الباري الواسطي في سنة ثمان وثمانين وستمئة وأقام بها إلى أن مات ودفن فيها فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن علي بن مبارك وكانت له سماعات وهرديات ثم قام من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن علي بن الشيخ مبارك الهندي وحدث فسمعنا عليه بها إلى أن مات في صفر سنة ثمان وثمانمئة وبها الآن ولده وهي من الزوايا المشهورة بالقاهرة

* (زاوية نصر) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو القحح المنجي الناسك القدوة وحدث بها عن إبراهيم بن خليل وغيره وكان فقيها معتزلا عن الناس متخليا للعبادة يتردد إليه اكابر الناس وأعيان الدولة وكان للامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير فلما ولي سلطنة مصر أجل قدره واكرم محله فهرع الناس اليه ونسلاوبه في حوائجهم وكان يتغالي في محبة العارف محي الدين محمد بن عربي الصوفي ولذلك كانت بينه وبين شيخ الاسلام احمد بن تيمية مناكرة كبيرة ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها

* (زاوية الخدام) *

هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية خارج باب النصر أنشأها الطواشي بلال الفزاجي وجعلها وقفاً على الخدام الحبش الاجناد في سنة سبع وأربعين وستمئة

* (زاوية تقي الدين) *

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك العجمي وكان وجهاً محترماً عند أمراء الدولة ولم يزل بها إلى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة وما زالت منزل الفقراء العجم إلى وقتنا هذا

* (زاوية الشريف مهدي) *

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقي الدين المذكور بناها الأمير صرغتمش في سنة ثلاث وخسين وسبعمائة

* (زاوية الطرايرية) *

هذه الزاوية بالقرب من مودة البلاط بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون بواسطة القاضي شرف الدين الشوناظر الخاص برسم الشيخين الاخوين محمد و احمد المعروفين بالطرايرية في سنة أربعين وسبعمائة وكانا من أهل الخير والصلاح ونزلاً أولاً في مقصورة بالجامع الأزهر فعرفت بهما ثم عرفت بعدهما بمقصورة الحسام الصفدي والدا اميرالوزير ناصر الدين محمد بن الحسام وهذه المقصورة بآخر اوراق الاول مما يلي الركن الغربي ولم تزل هذه الزاوية عامرة إلى أن كانت الحن من سنة ست وثمانمئة وخرب خط زرية قوصون وما في قبليه إلى منشأة المهراني وما في بحريه إلى قرب بولاق

* (زاوية القلندرية) *

القلندرية طائفة تنتمي إلى الصوفية وتارة تسمى نفسها ملامتية وحقيقة القلندرية أنهم قوم طر حوا التقيد بأداب الجمالسات والمحاطبات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من اللذات

المباحة واقتصر واعلى رعاية الرخصة ولم يطلبوا احقاقق العزيمة والتزموا أن لا يدخروا شيئا وتركوا الجمع والاستسكان من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وازعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى واقتصر واعلى ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيب القلوب * والفرق بين الملامتى والقنندرى أن الملامتى يعمل في كتم العبادات والقنندرى يعمل في تخريب العادات واللامتى يتسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه الا انه يخفى أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه تستر الحال حتى لا يفتن له وهو مع ذلك متطلع الى المزيد من العبادات والقنندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينحطف الاعلى طيب القلوب وهو رأس ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة من الجهة التي فيها التبر والمقابر التي تلى المساكن أنشأها الشيخ حسن الجوائقي القنندرى أحد فقهاء الحجة القنندرية على رأى الجوالقة ولما قدم الى ديار مصر تقدم عند امراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه فأترى زاء زائد في سلطنة الملك العادل كنيغاسا فرمعه من مصر الى الشام فانفق أن السلطان اصطاد غزالا ودفعه اليه ليحمله الى صاحب جملأ حضره اليه البسه تشريفا من حرير طرز وخش وكوثة زركش فقدم بذلك على السلطان فأخذ الامراء في مداعبته وقالوا له على سبيل الانكار كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال فأين التزهد وسلوك طريق الفقراء ونحو ذلك فعند ما حضر صاحب جاء الى مجلس السلطان على العادة قال له يا خوند ايش علمت معي الامراء انكروا على والفقراء تطالبني فأقم عليه بألف دينار لجمع الفقراء والنامس وعمل وقتا عظيما زاوية الشيخ على الحريري خارج دمشق وكان يحج النفس جيل العشرة لطيف الروح يخلق طيبة ولا يعم ثم انه ترك الحلق وصارت له طيبة وتعمم عمامة صوفية وكانت له عصبة وفيه مروءة وعصية ومات بدمشق في سنة اثنين وعشرين وسبع مائة وما زالت هذه الزاوية منزلا لطائفة القنندرية ولهم بها شيخ وفيها منهم عدد موفور وفي شهر ذي القعدة سنة احدى وستين وسبع مائة حضر السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بخانقاه أبيه الملك الناصر في ناحية سرياقوس خارج القاهرة ومثله شيخ الشيخ سماطا كان من بجله من وقف عليه بين يدي السلطان الشريف على شيخ زاوية القنندرية هذه فاستدعاه السلطان وانكر عليه خلق طيبة واستنابه وكتب له توقيع سلطان منع فيه هذه الطائفة من تخليق لحاهم وأن من تظاهروا بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم وأن يكون شيخا على طائفته كما كان مادام وداموا متمسكين بالسنة النبوية وهذه البدعة لها من دظهيرت ما يزيد على أربع مائة سنة وأول ما ظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة وسبعمائة وكتب الى بلاد الشام بالزام القنندرية بترك زى الاعاجم والمجوس ولا يمكن أحد من الدخول الى بلاد الشام حتى يترك هذا الزى المبتدع واللباس المستبشع ومن لا يترك ذلك يعزر شرعا ويقطع من قراره قلعافنودى بذلك في دمشق وأرجائها يوم الاربعاء سادس عشر ذي الحجة

* (قبة النصر) *

هذه القبة زاوية نسكنها فقراء الحجة وهي خارج القاهرة بالصحرى تحت الجبل الاحمر بابا خرميدان القبق من بحرية جدد لها الملك الناصر محمد بن قلاوون على يد الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك

* (زاوية الركاكى) *

هذه الزاوية خارج القاهرة في أرض المقدس عرفت بالشيخ المعتمد أبي عبد الله محمد الركاكى المغربى المالكي لاقامته بها وكان قضاها مالكا متصليا لا شغال المغاربة يتبرك الناس به الى أن مات بها يوم الجمعة ثاني عشر جادى الاولى سنة أربع وتسعين وسبع مائة ودفن بها * والركاكى نسبة الى ركاكة بلدة بالمغرب هي أحد مراسي سواحل المغرب بقرب البحر المحيط تنزل فيه السفن فلا تخرج الا بالرياح العاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء

* (زاوية ابراهيم الصائغ) *

هذه الزاوية بوسط الجسر الاعظم تطل على بركة القبل عمرها الامير سيف الدين طغاي بعد سنة عشرين

وسبعمائة وأُنزل فيها قصير أعجميا من فقراء الشيخ تقي الدين رجب يعرف بالشيخ عز الدين العجمي - وكان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها إلى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ إلى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به

* (زاوية الجعبري) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة تنسب إلى الشيخ برهان الدين ابراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري - المعتقد الواعظ كان يجلس للوعظ فيجتمع إليه الناس ويذكرونهم ويروى الحديث ويشارك في علم الطب وغيره من العلوم وله شعر حسن وروى عن السكاوي - وحدث عن الهزراكي - وكان له أصحاب يبالغون في اعتقاده ويغفلون في أمره وكان لأبراه أحد الأ أعظم قدره وأجله وأثنى عليه وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها وعمر حتى جاوز الثمانين سنة فلما مرض أمر أن يخرج به إلى مكان قبره فلما وقف عليه قال قبري وحال دبير ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشر المحرم سنة سبع وثمانين وسبعمائة والجماعة عدته منهم

* (زاوية أبي السعود) *

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج عرفت بالشيخ المبارك أيوب السعودي - كان يذكر أنه رأى الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر وسلك على يديه وانقطع بهذه الزاوية وتبرك الناس به واعتقدوا إجابة دعائه وعمر وصار يحمل المعزة عن الحرككة حتى مات عن مائة سنة أول صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

* (زاوية الحمصي) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط حـ كـ خـ زائن السلاح واللاوسية على شاطئ خليج الذكـ من أرض المقـس بجوار الدكة أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ودي طيقوش ابن الأمير نحر الدين الطنبغا الحمصي أحد الأمراء في الأيام الناصرية كان أبوه من أمراء الظاهر يسيـر ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ووقف عليها عدة أمانـ كن في جوارها وحصة من قرية بورين من قرى ساحل الشام وغير ذلك في سنة تسع وسبعمائة فلما خرب ما حولها وارتدم خليج الذكـ تعطلت وهي الآن قد عزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها وصار السلوك إليها مخوفا بعد ما كانت تلك الخطـ في غاية العمارة وفي جادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت

* (زاوية المغربي) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بدرب الزقاق من الحـ كـ عرفت بالشيخ المعتقد على - المغربي ومات في يوم الجمعة خامس جادى الأولى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحـ كـ وهدم درب الزقاق وغيره

* (زاوية القصرى) *

هذه الزاوية بخط المقـس خارج القاهرة عرفت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن موهـ عبد الله بن حسن القصرى - الرجل الصالح الفقيه المالكي - المغربي قدم من قصر كامة بالمغرب إلى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جيلة من العبادة وطلب العلم إلى أن مات بها في التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

* (زاوية الجاكي) *

هذه الزاوية في سويقة الرش من الحـ كـ خارج القاهرة بجانب الخليج الغربي - عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن ابراهيم بن علي - الجاكي ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر وكانت جنازته عظيمة جدا وأقام الناس يتركون بزيارة قبره إلى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة فأقبل الناس إلى زيارة قبره وكان إهم هنالك مجتمع عظيم في كل يوم ويحملون النذور إلى

قبره ويرغمون أن الدعاء عنده لا يرد قسنة أضل الشيطان بها كثير من الناس وهم على ذلك إلى يومنا هذا

*** (زاوية الانباسي) ***

هذه الزاوية بخط المفسر عرفت بالشيخ الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الانباسي الشافعي قدم من الريف وبرع في الفقه واشتهر بسلامة الباطن وعرف بالخير والصلاح وكتب على القتوى ودرس بالجامع الأزهر وغيره ونصدي لاشغال الطلبة عدة سنين وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وطلبه الامير سيف الدين برقوق وهو يومئذ نائبك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فغيب فراراً من ذلك وتزها عنه إلى أن ولى غيره وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته بمنزلة المولى من طريق الحجاز بعد عوده من الحج في ثامن المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ودفن بعيون القصب

*** (زاوية اليونسية) ***

هذه الزاوية خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية واحدهم يونسى بضم الياء المجبة بالثنتين من تحتها يوبعد الياء واو ثم نون بعدها سين مهملة في آخرها ياء آخر الحروف نسبة إلى يونس بن يونس المنسوب اليه الطائفة اليونسية غير واحد منهم يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته وان كان هو أقوى منها كالكركى تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وقد كفر من زعم ذلك فان الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة واليونسية أيضاً فرقة من المرجئة ينتمون إلى يونس السموى وكان يزعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن وزعم أن ابليس كان عارفاً بالله غير أنه كفر باستكباره عليه ولهم يونس بن يونس بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقهاء اليونسية شيخ صالح له كرامات مشهورة ولم يكن له شيخ بل كان مجذوباً يجذب إلى طريق الخير توفى بأعمال داراً في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور بزار ويترك به واليه تنسب هذه الطائفة اليونسية

*** (زاوية الخلاطى) ***

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنيجي عرفت وكانت لهم وجاهة منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين على بن محمد بن حسين الخلاطى مات في نصف جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بها

*** (الزاوية العدوية) ***

هذه الزاوية بالقرافة تنسب إلى الشيخ عدى بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري القرشي الاموى وكان قد صحب عدة من المشايخ كعقيل المنجي وجماد الدباس وعبد القادر السهروردى وعبد القادر الجيلي ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل وبني له زاوية فقال اليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثله حتى مات سنة سبع وقبل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته وقدم ابن أخيه إلى هذه البلاد وهو زين الدين فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع في قرية بالشام تعرف بيت فار على هيئة الملوكة من اقتناء الخيول المسومة والممالك والحوارى والملابس وعمل الاسطحة الملوكة فافتنت به بعض نساء الطائفة القيمرية وبالغت في تعظيمه وبذلت له أموالاً عظيمة وحاشيتها تلومها فيه فلا تصفى إلى قولهم فاحتلوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات فازادها ذلك الاضلالاً وقالت أنتم تسكرون هذا عليه انما الشيخ يدل على ربه وأناه الامير الكبير علم الدين سنجر الدوادار ومعه الشهاب محمود لتخليقه في أول دولة الاشرف خليل بن فلاون إلى قريته فاذا هو كالمالك في قلعة التجميل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآية الذهب والفضة والنضار الصبى وأشياء تفوت العبد إلى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المتنوعة فلما خلا عليه لم يحتفل بهما وقبل الامير سنجر يده وهو جالس لم يقم وبقي قائماً قد انه يحدته وزير الدين سألته ساعة ثم أمره أن يجلس فجلس على ركبته متأد يابن يديه فلما خلفاه

أنهم عليهم بما يقارب خمسة عشر ألف درهم وتختلف من طائفة الشيخ عز الدين أمدان وأنعم عليه بامرة دمشق ثم نقل إلى أمرة بصفتهم أعيد إلى دمشق وترك الأمرة واقطع بالمرّة وترد إليه الأكراد من كل قطر وجلوا إليه الأموال ثم أنه أراد أن يخرج على السلطان بمن معه من الأكراد في كل بلد فباعوا أموالهم واشتروا الخيل والسلاح ووعد رجاله بنيات البلاد ونزل بأرض الجيون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فكتب إلى الأمير تنكز نائب الشام يكشف أخبارهم وأمسك السلطان من كان بهذه الزاوية العدوية ودرك على أمير طبروا خلت الأخبار فقبل أنهم يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون ملك اليمن فطلق السلطان لأمرهم وأهمه إلى أن أمسك الأمير تنكز عز الدين المذكور ووجنه في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة حتى مات وفترق الأكراد ولم يتدارك لا وشك أن يكون لهم نوبة

* (زاوية السدار) *

هذه الزاوية برأس حارة الديلم بناها الفقير المعتدل على "بن السدار" في سنة سبعين وسبع مائة وتوفي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة

* (ذكر المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها) *

* (مشهد زين العابدين) *

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولوني ومدينة مصر تسميه العاتية مشهد زين العابدين وهو خطأ وانما هو مشهد رأس زيد بن علي المعروف بزين العابدين بن الحسين بن علي "بن أبي طالب عليه السلام ويعرف في القديم بمسجد محرس الخصى" * قال القاضي "مسجد محرس الخصى" بن علي رأس زيد بن علي "بن الحسين بن علي" بن أبي طالب حين انقذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصب على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفعوه في هذا الموضع * وقال الكندي في كتاب الامراء "وقدم إلى مصر في سنة اثنين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبي الايض القيسي" خطيبا برأس زيد بن علي "رضوان الله عليه يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس إليه في المسجد" * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون وبنو زيد بن علي "زين العابدين بن الحسين بن علي" بن أبي طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة ولم يقله عليه السلام غير رأسه التي بالمشهد الذي بين الكومين بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة القيل وهو من الخطط يعرف بمسجد محرس الخصى ولما صلب كشفوا عورته فسج العنكبوت فسترها ثم أنه بعد ذلك أحرق وذرى في الريح ولم يبق منه إلا رأسه التي بمصر وهو مشهد صحيح لأنه طيف بها بمصر ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة اثنين وعشرين ومائة فسرفت ودفت في هذا الموضع إلى أن ظهرت وبني عليها مشهد * وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن منجب بن الصيرفي "حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدى" خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأته وهو هامة وافرة وفي الجهة أثر في سعة الدرهم فضح وعطروا وحمل إلى دار حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الاحد تاسع عشر ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به في يوم الاحد ووجدانه في يوم الاحد * (زيد بن علي) بن الحسين بن علي "بن أبي طالب كنيته أبو الحسن الامام الذي تنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة سكن المدينة وروى عن أبيه علي "بن الحسين الملقب زين العابدين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبي رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهري وزيكريا ابن أبي زائدة وخلق ذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة وقيل لبعضهم بن محمد الصادق عن الرافضة أنهم يتبرؤون من علي زيد فقال يرى الله بمن تبرأ من عبي الله كان والله أقرأنا الكتاب الله وأتقنه في دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا الدنيا ولا الآخرة مثله وقال أبو اسحاق السبيعي "رأيت زيد بن علي فلم أرفى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان أفصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا وقال الشعبي "والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفتقه ولا أشجع ولا أزهو وقال أبو حنيفة شاهده زيد بن علي "كما شاهدت أهله فتأريت في زمانه أفتقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا أيقن قولاً لقد كان مثقظ القرين وقال الاعشى

ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ولقد وفي له من تابعه
 لا قامهم على المنهج الواضح وشمل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال خرج على ما خرج عليه أناؤه وكان
 يقال لزيد حليف القرآن وقال خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت في طلب الرزق رخصة
 وما وجدت أبتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لقد أصيب عندكم
 رجل ما كان في زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله زيد بن علي - لقد رأيت به وهو غلام حدث وأنه يسمع
 الشيء من ذكر الله فيغشي عليه حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا وكان نقش خاتم زيد اصبر توجر
 اصدق نبي وقرأ مرة قوله تعالى وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فقال ان هذا لو عيد
 وتهديد من الله ثم قال اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا وكان إذا كمل انسان وخاف أن يهجم على
 أمر يخاف منه ما أتى قال له يا عبد الله أمسك أمسك كف اليك اليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه
 ولا يكلمه وقد اختلف في سبب قيام زيد وطلبه الامر لنفسه قيل ان زيد بن علي - وداود بن علي - بن عبد الله بن
 عباس ومحمد بن عمر بن علي - بن أبي طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسري بالعراق فأجازهم ورجعوا إلى
 المدينة فلما ولي يوسف بن عمر العراق بعد عزل خالد كتب إلى هشام بن عبد الملك وذكر له ان خالد انتاع
 أرضا بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ثم رد الأرض عليه فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسيرهم
 إليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا فصدمهم وأمرهم بالمسير إلى
 العراق ليقابلوا خالد افساروا على كرهه وقابلوا خالد افسد قههم وعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل
 أهل الكوفة زيد افعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسري انه أودع زيد اوداود بن علي - ونفرا من قريش
 ما لا يكتب يوسف بن عمر بذلك إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم إلى يوسف
 ليجمعهم وخالد افسد موعاه عليه فقال يوسف لزيد ان خالد اذعم انه أودع عندك ما لا فقال زيد كيف يودعني
 وهو يشتم أباهي على منبره فأرسل إلى خالد فأحضره في عباة وقال له هذا زيد قد أنكر أنك أودعته شيئا فنظر خالد
 إليه وإلى داود وقال ليوسف اريد أن تجمع ائلك مع ائمنافي هذا كيف أودعه وأنا أشتم أباه وأشتمه على
 المنبر فقال زيد لخالد ما دعاك إلى ما صنعت فقال شدد على العذاب فأدعيت ذلك وأملت أن يأتي الله فيخرج قبل
 قدومك فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة وقيل ان يزيد بن خالد القسري هو الذي ادعى أن المال وديعة
 عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير إلى العراق إلى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظله فقال أنا أكتب
 إليه بالكف عنكم وأرهم بذلك فساروا على كره فجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ليس لي عندهم قليل
 ولا كثير فقال له يوسف أنهم بأمر المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمرهم بالقرشين فضر بوا وترك
 زيد ثم استخلفهم وأطلقهم فلقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قال له هشام لما أمرهم بالمسير إلى يوسف
 والله ما آمن ان يعتنني إليه أن لا يجتمع أنا وأنت حميين أبدا قال لا بد من المسير إليه فسار إليه وقيل كان
 السبب في ذلك أن زيد اكان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي - في وقوف على - رضي الله
 عنه فزيد يخاصم عن بني حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكانا يباغقان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان
 بينهما حرقا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن قنارعا وما بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث
 بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن أمة ومع ذلك
 فقد صبرت أمي بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيري يعني فاطمة بنت الحسين أم عبد الله فانه تزوجت بعد أبيه الحسن
 ابن الحسن ثم ان زيد اندم واستحي من فاطمة فأنعمته ولم يدخل إليها زمانا فأرسلت إليه يا ابن أخي اني لاعلم
 أن أملك عندك كأم عبد الله عنده وقالت لعبد الله بن سماعيل لا تم زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت وذكر أن
 خالد اقال لهما اغدوا علينا غدا فقلت ابن عبد الملك ان لم افعل ينكحانيات المدينة تغلي كل رجل يقول قائل
 قال زيد مكذبا فيقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان من الغد جلس خالد في المسجد واجتمع الناس فبين
 شامت ومهموم فدعا بها خالد وهو يحجب أن يشاء فاذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق
 زيد كل ما علك ان خاصلك إلى خالد أبدا ثم أقبل إلى خالد فقال له لقد جعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد أما هذا السفيه أخذ قسما من رجل من الانصار من آل

قوله في وقوف على
 الخ هكذا في النسخ
 ولعله محرف عن
 رفوق جمع رق بمعنى
 الصحيفة لاشتمالها
 على حكم ونصائح
 مثلا وليجزر اه
 مصححه

عمر بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفينة أما ترى لوال عليك حقاً ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها
القططاني فاما لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني فوالله اني لخير منك وخير من أيك وأمي خير من أمتك فتضاحك
زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب أفتذهب الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب احسابهم
فقام عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال **كذبت والله أيها القططاني فوالله لهو خير منك**
نفساً وأباً وأماً ومحمداً وتناوله بكلام كثير وأخذ كفاً من حصاء وضرب بها الارض وقال والله انه ما لنا على
هذا من صبر وقام ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له وهو يرفع اليه القصص فكلاما رفع
قصة يكتب هشام في أسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالدا أبداً ثم انه أذن له يوماً بعد طول
حبس فصعد زيد وكان باذناً فوق في بعض الدرج وهو يقول والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل ثم صعد وقد جفع له
هشام أهل الشام فسلم ثم جلس فرمى عليه هشام طويلاً خلف له هشام على شيء فقال هشام لا أصدقك فقال
يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع أحد عن أن يرضى بالله ولم يضع أحد عن أن لا يرضى بذلك منه فقال هشام أنت
زيد المؤتمل للخلافة وماتت والخلافة لا أتم لك وأنت ابن أمة فقال زيد لا أعلم أحد عند الله افضل من نبي بعثه
ولقد بعث الله نبيا وهو ابن أمة ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن ابراهيم والتبوة
اعظم منزلة من الخلافة عند الله ثم لم يمنعه الله من أن جعله بالعرب وأبا الخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم
وما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أمي فاطمة لا انخر بأم فوثب هشام من مجلسه وتفرق
الشاميون عنه وقال لما جبه لا بيت هذا في عسكري أبدأ الخرج زيد وهو يقول ما كره قوم قط جر السيوف
الاذلولوا وساروا الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل
الكوفة فانهم لا يفون لك فلم يقبل وقال خرج بنا هشام اسراء على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى
الجزيرة ثم الى العراق ثم الى تيس تقيف يلعب بنا وأنشد

بكرت تخوفني الخوف كائن * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها ان المنية منزل * لا بد أن أسقى بكأس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بصيق المنزل
فأثنى حبالك لأبالك واعلى * أني امرؤ ساموت ان لم أقتل

استودعك الله واني أعطى الله عهد ان دخلت يدى في طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل الى الكوفة
فأقامهم مستخضياً ينقل في المنازل فأقبلت الشيعة تختلف اليه تباعبه فباعه جماعة من وجوه أهل الكوفة
وكانت بيعته اناندهم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء
المحرومين وقسم هذا التي بين أهل بالسواء ورد المظالم وأفعال الخير ونصرة أهل البيت أتباعون على ذلك فاذا
قالوا ثم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤمنن
ببيعتي ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لي في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم فاشهد فباعه
خمس عشرة ألفاً وقيل أربعون ألفاً وأمر أصحابه بالاستعداد فأقبل من يريد أن يبق ويخرج معه يستعد ويتهيأ
فشاع امره في الناس هذا على قول من زعم انه اتى الكوفة من الشام واختبى بها يبيع الناس وأما على قول
من زعم انه اتى الى يوسف بن عمر لمراقبة خالد بن عبد الله القسري أو انه يزيد بن خالد فانه قال أقام زيد بالكوفة
ظاهراً ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف اليه وتأمروه بالخروج ويقولون اننا نرجو
أن تكون أنت المنصور وان هذا الزمان الذي يهلك فيه شوأمة فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فقال
هو هاهنا ويبيع الله ليس يرفيقول نعم ويعتل بالوجع فكث ما شاء الله ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة
فاحتج بأنه يحاكم آل طلحة بن عبيد الله يملك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليؤكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى الجدة
من يوسف في أمره سار حتى اتى القادسية وقيل التعاليم فتيه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفاً
لم يخاف عنك أحد فنضرب عنك بأساً فقتلوا هاهنا من أهل الشام الاعداء يسيرة وبعض قبائلنا يكفهم
بأذن الله وحلفوا له بالايمن المغلطة فجعل يقول اني أخاف أن تخذلوني وتسلبوني **كفعلكم بأبي وجندى**
فيحلفون له فقال له داود بن علي لا يقر يا ابن عمي هؤلاء أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جندك على بن أبي

طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه وانتزعوا رداءه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا يا زيد ان هذا لا يريد أن تظهر انت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منك فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بذهبه وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال له داود اني اخاف ان رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وانت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فاتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم قال له نشدتك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكيف بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكيف حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدي قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال اقتطع أن بني لك هؤلاء وقد غدرا أولئك بجديك قال قد بايعوني ووجبت البيعة في عني وعنتهم قال أفتأذن لي أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فأهلك نفسي فأذن له فخرج الى اليمامة وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن الى زيد أما بعد فان أهل الكوفة فجع العلانية حور للسيرة هوج في الرد اخرج في اللفا تقدمهم السنهم ولا تتابعهم قلوبهم ولقد تواترت كتبهم الى بدعوتهم فصممت عن بدائهم وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم بأسامهم واطراحهم ومالههم مثل الاما قال علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه ان أهملتم خضتم وان خورتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجتمعتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شيء من ذلك وأقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج وتزجج بالكوفة امرأتين وكان ينتقل ناراً عنده هذه في بني سلمة قومها وناراً عنده هذه في الأزرقوه هاتونارة في بني عيس وناراً في بني تغاب وغيرهم الى أن ظهر في سنة اثنتين وعشرين ومائة فأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من كان يريد الوفاء بالبيعة يتجهز فباع ذلك يوسف بن عمر فبعث في طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد أن يؤخذ فتجمل قبل الاجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت في ناس من أهل الشام ويوسف ابن عمر بالحيرة فلما علم أصحاب زيد أن يوسف بن عمر قد بلغه الخبر وأنه يبحث عن زيد اجتمع الى زيد جماعة من رؤسهم فقالوا ارجك الله ما قولك في أبي بكر وعمر فقال زيد رجهم الله وغفر لهم ما سمعت أحد من أهل بيتي يقول فيهما الا خير او ان أشد ما قول فيما ذكرتم انا كنا أحرق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس اجمعين فدفعوا عنه ولم يبلغ ذلك عندناهم كفرا وقد ولو اعدوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموا واذا كان هؤلاء لم يظلموا فلم تدعوا الى قتالهم فقال ان هؤلاء ايسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لي ولا نفسهم ولكم وانما ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والى السن أن تحيى الى البدع أن تطفأ فان أجبتمونا سعدتم وان ايئتم فليست عليكم بوكيل ففارقه ونكثوا بيعته وقالوا قد سبق الامام يعنون محمد الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون أن المغيرة سماهم الرافضة حين فارقه وكانت طائفة قد أتت جعفر بن محمد الصادق قبل قيام زيد وأخبروه ببيعته فقال بايعوه لهو والله افضلنا وسيدنا فعاذوا وكنوا ذلك وكان زيد قد واعد أصحابه أول ليلة من صفر فباع ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم عامله على الكوفة يأمره بأن يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم وطلبوا زيد انخرج ليلا من داره معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري وكان بها ورفعوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر فلما اصبحوا نادى أصحاب زيد بشعارهم وثاروا فأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل اليه خمسين فارسا ليعرفوا الخبر فساروا حتى عرفوا الخبر وعادوا اليه فسارت الحيرة بأشراف الناس وبعث ألفين من الفرسان وثلثمائة رجالة معهم الشباب وأصبح زيد فكان جميع من واقاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال سبحان الله اين الناس فقبل انهم في المسجد الاعظم محصورون فقال والله ما هذا بعد ان بايعنا وأقبل فلقبه على جبابة الصايد بين خسمائة من أهل الشام فحمل عليهم فمين معه حتى هزمهم وانهى الى دار أنس بن عمر الأزدي وكان فمين بايعه وهو في الدار فنودي فلم يجب فناده زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما خلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم سار ويوسف بن عمر يتظر اليه وهو في مائتي رجل فلو قصد زيد لقتله والريان يتبع آثار زيد بالكوفة في أهل الشام فأخذ زيد في المسير حتى دخل الكوفة فسار بعض أصحابه الى الجبابة وواقعوا أهل

الشام فأسر أهل الشام منهم رجلا ومضوا به إلى يوسف بن عمر فقتله فلما رأى زيد خذلان الناس إياه قال قد فعلوا حسبي الله وساروه ويزم من لقيه حتى انتهى إلى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الباب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا من هذا إلى العزاخر جوا إلى الدين والدينا فانكم لستم في دين ولادينا وزيد يقول والله ما خرجت ولاقت مقامي هذا حتى قرأت القرآن وأنقذت الفرائض وأحكمت السنن والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التزويل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام وما تحتاج إليه الأمة في دينها مما لا بد لها منه ولا غنى لها عنه وأنى لعلي بينة من ربي فرماهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد فانصرف زيد حين معه وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأناه الريان وقاتله وخرج أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنا فلما كان من الغد أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزني فلقبهم زيد فاقتلوا وقتلوا أشد ما فأنهم أصحاب العباس وقتل منهم سبعين فلما كان العشي عبي يوسف بن عمر الجيوش وسرهم فالتقاهم زيد بن معه وحل عليهم حتى هزمهم وهو يتبعهم فبعث يوسف طائفة من المشايخ فرموا أصحاب زيد وهو يقاتل حتى دخل الليل فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه فرجع أصحابه ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا للمساء والليل فأنزلوا زيدا في دار وأبوه بطيب فانتزع النصل فضج زيد ومات رحمه الله لليلتين خلتا من صفر سنة اثنين وعشرين ومائة وعمره اثنان وأربعون سنة ولما مات اختلف أصحابه في أمره فقال بعضهم نطرحه في الماء وقال بعضهم بل نجوز رأسه ونلقيه في القتل فقال ابنه يحيى بن زيد والله لا يأكل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا ذلك واجروا عليه الماء وكان معه مولى سندی فدل عليه وقيل وآهم قصار فدل عليه وتفرق الناس من أصحاب زيد وسار ابنه يحيى نحو كركلا وتبع يوسف بن عمر الجرحى في الدور حتى دل على زيد في يوم الجمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فدفن لمن وصل به عشرة آلاف درهم وتصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مصر وأما جسده فان يوسف بن عمر صلبه بالكوفة ومعه ثلاثة ممن كانوا معه وأقام الحرس عليه فحكك زيد مصابوا أكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده وبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده في الريح وكان زيد لما صلب وهو عريان استرخى بطنه على عورته حتى ما يرى من سوته شيء ومز زيدا مرة بمحمد بن الحنفية فنظر إليه وقال اعبدك بالله أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق وقال عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي سمعت أبي يقول اللهم إن هشام رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وان يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرجه اللهم وأحرق هشام في حياته إن شئت والأفا حرقه بعد موته قال فرأيت والله هشام محمرا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر يدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو قتلت يا أبناء واقفت دعوتك ليله القدر فقال لا يا بني بل صمت ثلاثة أيام من شهر رجب وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من شهر رمضان كتبت أصوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم أدعوا الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلي المغرب وبعد قتل زيد انتفض ملك بني أمية وتلاشي إلى أن أزالهم الله تعالى بني العباس * وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر تبرك الناس بزيارته ويقصدونه لاسميا في يوم عاشوراء والعامته تسميه زين العابدين وهو وهم وانما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل قبره بالبيع ولما قتل الامام زيد بسودت الشيعة أي لبست السواد وكان أول من سود على زيد شيخ بني هاشم في وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ورثاه بقصيدة طويلة وشعره حجة حاج به سبويه توفي سنة تسع وعشرين ومائة

* (مشهد السيدة نفيسة)

قال الشريف النقيب النسابة شرف الدين أبو علي محمد بن أسعد بن علي بن معمر بن عمر الحسيني الجوافي المالكي في كتاب الروضة الانسية بفضل مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها * نفيسة ابنة الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أمهم آتم ولد وأختها القاسم ومحمد وعلي وإبراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى واسماعيل واسحاق وآم كلثوم أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي فأمهم آتم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن علي وأمهم آتم ولد تزوج أم كلثوم اخت نفيسة عبد الله بن علي بن

قوله فأمهم الخ هكذا في النسخ ولا يخفى ما في هذه العبارة من السقامة والتنافي والظاهر أن فيها سقطا والاصل فأما القاسم ومحمد ويحيى وآم كلثوم فأمهم الخ كما يدل على ذلك قوله فأمهم بالنساء وكذلك بقية العبارة حيث بين فيها أمهات ستة منهم وليجز راهم صحبه

عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي وأما علي وأما علي وأما علي
 وزيد اخوة نفيسة من أبيها فأتمهم أم ولد تدعى أم عبد الحميد وأما عبد الله بن الحسن بن زيد فأمته الزائدة بنت
 بسطام بن غير بن قيس الشيباني وأما اسماعيل واسحاق فهما لأم ولد وكان اسماعيل من أهل الفضل والخير
 صاحب صوم ونسك وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأما يحيى بن زيد فله مشهد معروف بالمشاهد يأتي ذكره
 إن شاء الله تعالى وتزوج بن نفيسة رضي الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين
 ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان يقال له اسحاق المؤمن وكان من أهل الصلاح
 والخير والفضل والدين روى عنه الحديث وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضي اسحاق بن
 جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقي وبجلب بنو زهرة وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم
 لم يعقبا وأما جند نفيسة وهو زيد بن الحسن بن علي فمروى عن أبيه وعن جابر وابن عباس وروى عنه ابنه وكانت
 بينه وبين عبد الله بن محمد ابن الحنفية خصومة وفدا لاجلها على الوليد بن عبد الملك وكان يأتي الجمعة من ثمانية
 أميال وكان إذا ركب نظر الناس إليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا جده رسول الله وكتب إليه الوليد بن عبد
 الملك يسأله أن يسابع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك ففرق منه وأجابه فلما استخلف سليمان وجد
 كتاب زيد بذلك إلى الوليد فكتب إلى أبي بكر بن حزم أمير المدينة ادع زيد بن الحسن فأقره الكتاب فان
 عرفه فاكتب إلى وان هو نكل فقدمه فأصاب يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما كبه ولا
 أمر به بخاف زيد الله واعترف فكتب بذلك أبو بكر فكتب سليمان أن يضربه مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشي به
 حافيا فجلس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال حتى اكلم أمير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد فقال الرسول
 لا تخرج فان أمير المؤمنين مريض فأت سليمان وأحرق عمر الكتاب وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد فهو الذي
 كان والي المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور وكان فاضلاً دينا عالماً وأمه أم ولد توفى أبوه
 وهو غلام وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار خلف الحسن ولده أن لا ينظر رأسه سقف الاسقف مسجد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أويث رجل يكلمه في حاجة حتى يقضى دين أبيه فوفاه وقضاه بعد ذلك ومن كرمه انه اتى
 شباب شارب متأذب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أقبلوا ذوى الهيات عثراتهم وأنا ابن أبي امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبي مع أهلك كما قد علمت قال
 صدقت فهل انت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بجمع من دينار وقال له تزوج بها وعد إلى كتاب الشاب وكان
 الحسن بن زيد يجري عليه النفقة وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مريد عليه فيقال انها
 حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تدم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها لا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق
 بنفسى وأما عتيقة لا يقطعها الا الفاترون وكانت تحفظ القرآن وتفسره وكانت لا تأكل الا في كل ثلاث ليال
 أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيئا وقد ذكر أن الامام الشافعي محمد بن ادريس كان زارها وهي من
 وراء الحجاب وقال لها ادعى لي وكان محبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضي الله عنها بعد موت الامام
 الشافعي رجة الله عليه بأربع سنين لان الشافعي توفى سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين وقيل انها كانت فيمن
 صلى على الامام الشافعي وتوفيت السيدة نفيسة في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت في منزلها وهو
 الموضع الذي به قبرها الآن ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب وأراد اسحاق بن الصادق وهو زوجها
 أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لاجل البركة وقبر السيدة نفيسة أحد
 المواضع المعروفة بأجابه الدعاء بمصر وهي أربعة مواضع بحسن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد
 موسى صلوات الله عليه وهو الذي بطراومشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها والمخدع الذي على يسار الصلي في
 قبله مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جأحة يحضون إلى
 أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه تسعين
 ومائة ختمة وانها لما حضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت في حزنها إلى قوله تعالى قل لمن مافى السموات
 والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها رجاها الله تعالى مع قوله الرحمة ويقال ان الحسن
 ابن زيد والد السيدة نفيسة كان محباب الدعوة مدوحا وان شخصا وثى به إلى أبي جعفر المنصور وأنه يريد الخلافة

لنفسه فانه كان قد انتهت اليه رياسته بنى حسن فأخضره من المدينة وسلبه ماله ثم انه ظهر له كذب الناقل عنه فن عليه وردّه الى المدينة مكرّماً فلما قدمها بعث الى الذي وتى به يهديه ولم يعقبه على ما كان منه ويقال انه كان مجاب الدعوة فترت به امرأة وهو في الابطح ومعها ابن لها على يدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن بن زيد أن يدعوا لله لها برده فرفع يديه الى السماء ودعا به فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشيء فأخذته أمه وكان يعتد بألف من الكرام ولما قدمت السيدة نفيسة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر نزلت بالمنصورة وكان بجوارها دار فقيم اقوم من أهل الذمة ولهم ابنة مقعدة لم تمس قط فلما كان في يوم من الايام ذهب أهلها في حاجة من حوائجهم وتركوها المقعدة عند السيدة نفيسة فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمحت الله تعالى فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة فلما قدم أهلها وعابوا نوحها تمشى أتوا الى السيدة نفيسة وقد يتقنوا أن مشى ابنهم كان يبركه دعائها وأسلوا بأجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرف انه من بركاتها وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر الناس اليها وشكوا اليها ما حصل من توقف النيل فدفعت قناعها اليهم وقالت لهمم القوه في النيل فألقوه فيه فزاد حتى بلغ الله به المنافع وأسرا بن لامرأة ذميمة في بلاد الروم فأنت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يردها الله اليها عليها فلما كان الليل لم تشعر الذميمة الا بانها وقد هجم عليها دارها فأسألته عن خبره فقال يا أمها لم اشعر الا بقد وقعت على القيد الذي كان في رجلي وقائل يقول أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فوالذي يحلف به يا أمها لقد كسر قيدي وما شعرت بنفسى الا وأنا واقف بباب هذه الدار فلما أصبحت الذميمة أتت الى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسألت هي وابنها وحسن اسلامهما * وذكر غير واحد من علماء الاخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لا يحصى عددهم ويقال ان أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السري بن الحكم أمير مصر ومكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان مصفيا بالحديد بعد البسيلة مانصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معذ أبي عيم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آتائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشده عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله في علانه وأمتع المؤمنين بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبه التي على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذي بالحراب

* (مشهد السيدة كثرهم) *

هي كثرهم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب موضعه بمقابر قرش بمصر بجوار الخندق وهي أم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات العابدات

* (سناوشا) *

يقال انها من اولاد جعفر بن محمد الصادق كاتتا تلوان القرآن الكريم في كل ليلة فماتت احداهما فصارت الاخرى تتلو وتهدي ثواب قراءتها لاختها حتى ماتت

* (ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة) *

القبر مدفن الانسان وجعه قبور والمقبرة موضع القبر قال سيبويه المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم وقبره يقبره دقة وأقبره جعل له قبرا * واعلم أن لاهل مدينة مصر ولاهل القاهرة عدة مقابر وهي القرافة فما كان منها في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان منها في شرق مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى وفي القرافة الكبرى كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت أرض مصر واخط العرب مدينة القسطنطين ولم يكن لهم مقبرة سواها فلما قدم القائد جوهر من قبل المعز لدين الله بنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة

عرفت بتربة الزعفران قبر وافيها أمواتهم ودفن رعيته من مات منهم في القرافة الى أن اختطت الحارات خارج باب زويلة فقبر سكانها موتاهم خارج باب زويلة مما يلي الجامع فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل وكثرت المقابر بها عند حدوث السدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجبالى دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية في هذه الجهة ثم دفن الناس الاموات خارج القاهرة في الموضع الذى عرف بميدان القبق فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وبنوا هناك التراب الخليلية ودفن الناس أيضا خارج القاهرة فيما بين باب الفتوح والخندق ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار وسوف أقص عليك من أنسابها ما انتهت الى معرفته قدرتي ان شاء الله تعالى ويذكر أهل العناية بالامور المتقدمة أن الناس في الدهر الاول لم يكونوا يدفنون موتاهم الى أن كان زمن دوناي الذى يدعى سيد البشر لكثرة ما علم الناس من المنافع فشكوا اليه أهل زمانه ما يتأذون به من خبث موتاهم فأمرهم أن يدفنوه في خرابي ويسدوا رؤسها ففعلوا ذلك فكان دوناي أول من دفن الموتى وذكر أن دوناي هذا كان قبل آدم بدهر طويل مبلغه عشرون ألف سنة وهى دعوى لا تصح وفي القرآن الكريم ما يقتضى أن قابيل ابن آدم أول من دفن الموتى والله أصدق القائلين وقد قال الشافعي رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده

* (ذكر القرافة) *

روى الترمذى من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابي بأرض بعث قائد انور الهم يوم القيامة قال وهذا حديث غريب وقد روى عن أبي طيبة عن ابن بريدة مر سلا وهذا أصح قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث ابن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فحجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر سلمه لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تردع ولا يستتبط بهاماء ولا يتنقع بها فأسأله فقال انال تجد صفحتها في الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر انال نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من المغافري قال له عامر فقبل عمرت فقال المقوقس لعمرو وما ذلك ولا على هذا عاهدتنا فقطع اهلهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم * وعن ابن لهيعة أن المقوقس قال لعمرو انال تجد في كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم نبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها من عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر عمرو بن العاص السهمي وعبد الله بن حذافة السهمي وعبد الله بن جزة الزبيدي وأبو بصيرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني ويقال ومسلمة بن مخلد الانصاري انتهى ويقال ان عامرا هو الذى كان أول من دفن بالقرافة قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح الشرقي وقالت فيه امرأة من العزب

قامت بواكيه على قبره * من لى من بعدك يا عامر

تركنى في الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرمله بن عمران قال حدثني عمير بن أبي مدركه الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام فقال لأدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفن تحته أو ليقبرن تحته قوم يعثهم الله يوم القيامة لاحساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلنى منهم قال حرمله بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبرا في بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابي بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاى القرافة هم بنو غص بن سيف بن وائل ابن المغافرو في نسخة بنو غصن وقال أبو عمرو الكندي بنو جص بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحيل

ابن المغافرين بغفر وقيل ان قرافة اسم أم عزافر وبخض ابن سيف بن وائل بن الجيزي قد صحف القاضي في قوله غمسن بالغين المجمة والاقرب ما قاله الكندي لانه اقدم بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء الاول مقبرة بمصر مشهورة سميت بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة الثاني القرافة محلة بالاسكندرية منسوبة الى القبيلة أيضا وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة الذي يقال له اليوم جامع الاولياء وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون في ليالي الصيف يتحدثون في القمر في صحنه وفي الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيه الاشرية والحلوى والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء وكانت الطفيلية يلزمون الميت فيه ليالي الجمع وكذلك أكثر المساجد التي بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل ما يحمل اليها ويعمل فيها من الحلاوات واللحومات والاطعمة وقال موسى بن محمد بن سعيد في كتاب المغرب عن أخبار المغرب وبنت ليالي كثيرة بقرافة القسوطا وهي في شرقها بها منازل الاعيان بالقسوطا والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التي فيها قبر الامام الشافعي رضي الله عنه وبها مسجد جامع وزب كثيرة عليها وقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما في الليالي المقمرة وهي معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر منزهاتهم وفيها اقول

ان القرافة قد حوت ضدين من * دنيا وأخرى فهي نعم المنزل
يفشى الخليلع بها السماع مواصلا * ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليله يتناها وندينا * لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدرد قملأ البسطة نوره * فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجها حاكينه * لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقها جبل المقطم وليس له علو ولا عليه أخضرار وانما يقصد للبركة وهونيه المذكور في الكتب وفي سفحه مقابر أهل القسوطا والقاهرة والاجماع على انه ليس في الدنيا مقبرة اعجب منها ولا أبهى ولا اعظم ولا انظف من ابنتها وقباها وحجرها ولا اعجب تربة منها كما أنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها وقال شافع بن علي

تجبت من امر القرافة اذ غدت * على وحشة المولى لها قلنا يصبو
فالقيتهم أوى الاحبة كاهم * ومستوطن الاحباب يصبوه القلب

وقال الاديب أبو سعيد محمد بن احمد العميدى

اذا ما ضاق صدرى لم اجدلى * مقتر عبادة الا القرافة
لئن لم يرحم المولى اجتهدى * وقلة ناصرى لم ألق رافه

واعلم أن الناس في القديم انما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفخ وسفح المقطم واتخذوا التراب الجليله أيضا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التي موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه في سنة ثمان وسقائة بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعي وبني القبة العظيمة على قبر الشافعي وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الانبيسة من القرافة الكبرى الى ما حول الشافعي وأنشأوا هناك التراب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمارتها في الزيادة وتلاشى امر تلك وأما القطعة التي تلي قلعة الجبل فتجددت بعد السبع مائة من سنى الهجرة وكان ما بين قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه وباب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الامراء والاجناد ويجتمع الناس هنالك للتفرج على السباق فتصير الامراء تتسابق على حدة والاجناد تتسابق في جهة وهم منفردون عن الامراء والشرط في السباق من تربة الامير يبدرا الى باب القرافة ثم استجدأ امر اعدولة الناصر محمد بن قلاوون في هذه الجهة التراب فبنى الامير بيلغا التركاني والامير طقمرد الممشقي والامير قوصون وغيرهم من الامراء وتبعهم الجنود وسائر الناس فبنوا التراب والخوانك والاسواق والطواحين والجمامات حتى صارت العمارة من بركة الحبش الى باب القرافة ومن حدة مساكن مصر الى الجبل وانقسمت الطرق في القرافة وتعددت بها

الشوارع ورغب كثير من الناس في سكناها العظم القصور التي أنشئت بها وسجيت بالتراب ولكثرة تعاهد أصحاب التراب لها وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لاهل القرافة وقد صنف الناس فين قبر بالقرافة واكثر وامن التأليف في ذلك ولست بصدد شيء مما صنفوا في ذلك وانما غرضي أن أذكر ما تشتمل عليه القرافة * وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقرافة شيء يقال له القطرية تنزل من جبل المقطم فاخطفت جماعة من أولاد ~~سكانها~~ حتى رحل اكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل بكارة مصر يعرف بحميد القوال خرج من اطمح على حماره فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفه وعزا حملها خلفه فلم يشعر بالحمار الا وقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد أخرجت جوف الحمار بخالسيها فقر وهو بعد والى الى مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد أكل كل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموق بالقرافة وتبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين فامتنع الناس من الدفن في القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة

* (ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة) *

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذي يقال له جامع الاولياء والقرافة الصغيرة وبها قبر الامام الشافعي وكانت في أول الامر خطبتين لقبيلة من اليمن هم من المغافرين بغضر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهي حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الاولياء فانه كان يشغل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ما خرب ومنها ما هو باق وسترى من ذلك ما يتيسر ذكره

* (مسجد الاقدام) *

هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر قال القاضي ذكر الكندي أن الجند بنوه وليس من الخطط وسمى بالاقدام لان مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وباعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوى غيرهم وقالوا لا نتكث بيعه ابن الزبير فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على يدي المغافر في هذا الموضع فسمى المسجد بهم لانه بنى على آثارهم والآن آثار الاقدام يقال جثت على قدم فلان أى على أثره وقيل بل أمرهم بالبراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يبرأ منه فقتلهم هناك وقيل انما سمي مسجد الاقدام لان قبيلتين اختلفتا فيه كل تدعى انه من خطتها فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالاقدام وجعل لأقربهما منه والقديم من هذا المسجد هو محرابه والاروقة المحيطة به وأما خارجة فزيادة الأخشيد وزيادة الجديدة التي في بحريه لسمعون الملقب بسهم الدولة متولى الستارة وكان من أهل السنة والخير ويقال انما سمي مسجد الاقدام لانه كان يتداوله العباد وكانت حجارته كذا أنا فآثر فيها موضع أقدامهم فسمى لذلك مسجد الاقدام

* (مسجد الرصد) *

هذا المسجد بناء الفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجبالى بعد بناءه للجامع المعروف بجامع القبيلة لاجل رصد الكواكب بالآلة التي يقال لها ذات الحلق كما ذكر فيما تقدم

* (مسجد شقيق الملك) *

هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناء شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله في سنة احدى وأربعين وخمسمائة وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الامراء والاستاذون وكافة الرؤساء وكان فيه كرم وسمو همة وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها فينفذ اليهم في أيام العنب والتين لكل مسجد قصص رطب ويرسل في كل ليلة من ليالى الوقود لكل مسجد خروف شواء وسطل جوذاب وجام حلوى ولا سيما اذا كان باثنا في هذا المسجد فانه لا يأكل حتى يسير ذلك لمن اسمه عنده وكان يعمل جفان القطائف المشوية باللوز والسكر والكافور والمسك وفيها ما فيه بدل اللوز الفستق ويستدعى من لا يقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوى البيوت المنقطعين ويأمر

إذا حضر وابسكب الخلو والشيرج عليه بالجرارو يأمرهم بالاكل منه والجل معهم وكان أحبيهم اليه من يأكل طعامه ويستدعي برّه وانعامه رحمه الله

*** (مسجد الانطاكي) ***

هذا المسجد كان أيضا بالصدومابرحت هذه المساجد الثلاثة بالصدية كنّها الناس الى مابعد سنة ثمانين وسبع مائة ثم خربت وصار الرصد من الاماكن المخوفة بعدما أدركته منزها للعامة

*** (مسجد النارنج) ***

هذا المسجد عامر الى يومنا هذا فيما بين الرصد والقراة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون المعروفة بعفصة الكبرى غربها الى البحرى قليلا وهو المثل على بركة الحبس شرقى الكتفى وقبلى القراة بنته الجهة الاخرية المعروفة بجهة الدار الجديدة فى سنة اثنين وعشرين وخمسة اخرجت له اثني عشر ألف دينار على يد الاستاذين اقتضار الدولة ومنعز الدولة الطويل المعروف بالوحش وتولى العمارة والاتفاق عليه الشريف أبو طالب موسى بن عبد الله بن هاشم بن مشرف بن جعفر بن المسلم بن عبيد الله بن جعفر بن محمد بن ابراهيم بن محمد النعماني بن عبيد الله بن موسى الكاظم الحسيني الموسوي المعروف بابن أخى الطيب بن أبي طالب الوراق وسعى مسجد النارنج لان نارنج لا يقطع أبدا

*** (مسجد الاندلس) ***

هذا المسجد فى شرقى القراة الصغرى بجانب مسجد الفتح فى الموضع الذى يعرف عند الزرار بالبقعة وهو مصلى المغافر على الجناز ويقال انه بنى عند فتح مصر وقيل بنى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الاخرية أم ابنة الامر التى يقال لها ست القصور فى سنة ست وعشرين وخمسة على يد المعروف بالشيخ أبى تراب * (وجهة مكنون) هذه كان الخليفة الامر بأحكام الله كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار وكان لها صدقات وبر وخير وفضل وعندها خوف من الله وكانت تبعث الى الاشرف بصلات جزيله وترسل الى أرباب البيوت والمستورين أموالا كثيرة ولما وهب الامر لهزارا المولك ولبرغش فى كل يوم مائتى ألف دينار عينا لكل منها مائة ألف دينار حضر اليها عشاء على عادته فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله وقالت له والله ما تدخل الى أوتهب لى مثل ما وهبت لواحد من غلاميك فقال الساعة ثم استدعى بالقراشين فحضر وافقال هاو مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا الى أن حضرت عشرة كيسة فى كل كيس عشرة آلاف دينار ويحمله عشرة من القراشين ففتحت له الباب ودخل اليها ومكنون هذا هو الاستاذ الذى كان يرسم خدمتها واية ال له مكنون القاضى لسكونه وهذه وكان فيه خير وبر كبير ويجانب مسجد الاندلس هذا رباط من غربيه بنته جهة مكنون هذه فى سنة ست وعشرين وخمسة يرسم الجناز الارامل فلما كان فى سنة أربع وسبعين وخمسة بنى الحاجب لؤلؤ العادلى بركة الاندلس والرباط بستانا وأحواضا ومقعدا وجع بين مصلى الاندلس وبين الرباط بجناط بينهما وعمل ذلك لخلول العفيف حاتم بن مسلم المقدسى الشافعى به ولما مات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقام من بعده فى السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان عمل لايه عزاء بالاندلس هذا فاجتمع هناك القراء والفقهاء واقبت المطابخ وهيئت المطاعم الكثيرة وفترقت على الزوايا ومدت أسطحة عظيمة بالخيام التى ضربت حول الاندلس فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم وقرأ القراء ختمة شريفة وعده هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهورة بديار مصر وكان ذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة على رأس سنة من موت الملك الظاهر فقال فى ذلك القاضى محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر

يا ايها الناس اسمعوا * قولنا بصدق قد كسى
ان عزا السلطان فى * غرب وشرق مانسى
أليس ذا مائة * يعمل فى الاندلس

ثم عمل بعد ذلك مجتمع في المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعي من القرافة ومجتمع بجامع ابن طولون ومجتمع بجامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ومجتمع بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ومجتمع بالمدرسة الصالحية ومجتمع بدار الحديث الكاملية ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ومجتمع بالجامع الحاكمي وأقيم في كل واحد من هذه المجتمعات الاطعمة الكثيرة وعمل للتكرارة خوان والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير والصلاح فقبل في ذلك

فشكرا لها أوقات برتقبلت * لقد كان فيها الخير والبر أجمعاً
لقد عمت النعمى بها كل موطن * سقى الغواذى مر بها ثم مر بها
ولما مضى السلطان لم يرض جوده * وخلف فيها بره متنوعاً
ففي عيش في معرفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعاً
فدام له منا الدعاء مكرراً * مدى دهرنا والله يسمع من دعا

(مسجد البقعة)

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غربيه ببناء الامير أبو منصور صافي الافضل

(مسجد الفتح)

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق ببناء شرف الاسلام سيف الامام يانس الرومي وزير مصر وسعى بالفتح لان منه كان انهم زام الروم الى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود فبين سواهما مددا لعمر بن العاص وكان الفتح ويقال ان محرابه اللطيف الذي بجانبه الشرق قديم وان تحت حائطه الشرق قبر عامر الذي كان اول من دفن بالقرافة ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط بيت القبلة الى جهة الجنوب انحرافا كبيرا كما ذكر عند ذكر محراب مصر من هذا السكاب واستشهد يومئذ جماعة دفنوا في مجرى الحصا فكان يرى على قبورهم في الليل نور

(مسجد أم عباس جهة العادل بن السلار)

هذا المسجد كان بجوار مصلى خولان بالمغاقر غربي المقابر بته بلاوة زوج العادل بن السلار سلطان مصر في خلافة الظاهر سنة سبع وأربعين وخمسمائة على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوي بن القفاص وكانت بلاوة مغربية وهي أم الوزير عباس الصنهاجي البادي سي وقد دثر هذا المسجد

(مسجد الصالح)

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة المعروف بجامع الاولياء عرف بمسجد بني عبيد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذي بناه الصالح طلائع بن رزيق وزير مصر وكان في أعلاه مناظر وعمارة متقنة الزى وأدركته عامر الى ما بعد سنة ثمانمائة

(مسجد ولي عهد امير المؤمنين)

هو الامير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود المهدي أحد الاقارب في الايام الحاكمة كان الى جانب مسجد الصالح وبجانبه تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفي شرفيه أيضاً أربع حنايا وكانت دار أبي هاشم هذا بمصر دار الافراح ومن ولده الشريف الامير الكبير أبو الحسن علي ابن الامير عباس بن شعيب بن أبي هاشم المذكور ويعرف بالشريف الطويل وبالنباش

(مسجد الرحة)

هذا المسجد كان في صدر القرافة الكبرى بالقرب من تربة ركن الاسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيق قال الكندي ومنها مسجد القرافة وهم بنو محسن بن سيف بن وائل بن الجيزي قبلي القرافة على يمينك اذا أمت مسجد الاقدام مقابله فسقية صغيرة وله منارة يعرف بمسجد الرحة وعرف هذا المسجد بأبي تراب

الصوف وكييل الجهة التي بنت مسجد الاندلس ورباطه ومسجد رقية وأبو تراب هذا تولى بناءه وكان يقوم بخدمة الشيخ نسيم وأبو تراب هو الذي أخرج اليه ولداً آمراً في قفة من خوص فيها حوائج طليخ من كزاث وبصل وجزر وهو طفل في السماط في أسفل القنفة والحوائج فوقه ووصل به الى القرافة وأرضعته المرضعة بهذا المسجد وخفي أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قصفه فلما حان نفعه ثم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الواعظ بعد مامات الشيخ أبو تراب عند الحافظ فأخذ الصبي وقصده فأتى وخلع على ابن الجوهرى ثم تقي الى دمياط فمات بها في جمادى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

(مسجد مكنون)

هو بجانب مسجد الرحمة بناء الاستاذ مكنون القاضي الذي تقدم ذكره في مسجد الاندلس

(مسجد جهة ريحان)

هذا المسجد كان في وجه مسجد أبي تراب قبالة دار البقر من القرافة الكبرى وجدده أستاذ الجهة الحافظية واسمه ريحان في سنة اثنين وأربعين وخمسمائة

(مسجد جهة بيان)

هذا المسجد كان في بطحاء مسجد الاقدام بجوار ترب المادرايين بنته الجهة الحافظية المعروفة بجهة بيان الحسامي على يد أبي الفضل الصعيدي المعروف بابن الموفق وحكي الخليفة عن هذه الجهة خبراً عجيباً قال القاضي المكي أبو الطاهر اسماعيل بن سلامة قال لي أمير المؤمنين الحافظ يومياً قاضي أباً الطاهر قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال أحدثك بمحدث عجيب قلت نعم قال لما جرى من أبي علي بن الفضل ما جرى بيننا أنا في الموضع الذي كنت معتقلاً فيه رأيت كناناً قد جلست في مجلس من مجالس القصر اعرفه وكان الخلافة أعيدت الي وكان المغنسات قد دخلن بهنيتي وبغيتي بين يدي وفي جلست جارية معها عود يعني هذه الجارية المذكورة فأنشأت تغني قول أبي العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله

ولونالها أحد غيره * لزلزل الارض زلزالها

وكان في وقت الى خزانة بالجلس أخذت منها حقة فيها جوهر فلات فها منه ثم استيقظت فوالله يا قاضي ما كان الا يومان حتى كسر على الحبس لما قتل أبو علي بن الفضل وقيل لي السلام على أمير المؤمنين فلما خرجت وأتت أياً ما جلست في ذلك المجلس الذي رأيته في النوم ودخل الجوارى بهنيتي فغنت أحداهن وهي ذات عود ذلك الصوت بعينه فقلت لها على رسلك حتى تقضي نحن أيضاً من حقل ما يجب علينا وقت الى الخزانة وأخذت الحق الذي فيه الجوهر ثم جئت اليها وقلت لها افتني فالتفت فقلت لها حشوته جوهراً وقلت لها انك علينا في كل سنة في مثل هذا اليوم مثل ذلك

(مسجد توبه)

هو ابن ميسرة الكماي مغني المستنصر كان في شرقي الاقحوب وقبالة تربة تنسب الى الطالبة صاحبة أرض الطالبة وكلاهما في القرافة الكبرى

(مسجد دري)

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى في رجة الاقحوب بناء شهاب الدولة دري غلام المظفر أخى الفضل ابن أمير الجيوش في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وكان أرمنياً فأسلم وصار من المتشدد في مذهب الامامية وقرأ الجبل للزجاجي في النحو والمع لابن جني وكانت له خرائط من القطن الايض يلبسها في يديه ورجليه وكان يتولى خرائط الكسوات ولا يدخل على بسط السلاطين ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل

مجلسه الا بالخراائط في رجله ولا يأخذ من أحد رقعة الا وفي يده خريطة يظن أن من لسه نجسه وسوسة منه فان اتفق أنه صاحح أحد أو امسك رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه ولا بدنه حتى يغسلها فان مس ثوبه غسل الثوب وكان الاستاذون يعيئون به ويردون في بساط الخليفة الخافض العنب فاذا مشى عليه واتعبر ووصل ماؤه الى رجله سبهم وحرد فيحك الخليفة ولا يؤاخذهم وعمل مرة الوزير رضوان بن ونحشى دواء حليتها ألف دينار مرصعة قد خل عليه شهاب الدولة دري الصغير هذا وقد أحضرت الدواء المذكورة فقال له يا مولانا أحسن من مداد هذه الدواء ووقع على هذه فيكون ذلك زكاتها اذ الله فيه رضى ولنييه وناوله رقعة الشريف القاضي سنا الملك أسعد الجواني التحوي يطلب فيها راتباً لابنه الشريف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير فوقع عليها فلما كان في الليل رأى في نومه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو يقول جزاك الله خيراً على فعلك اليوم

(مسجد ست غزال)

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى بجوار ترربة النعمان بنته ست غزال في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت غزال هذه صاحبة دواء الخليفة لا تعرف شيئاً إلا أحكام الدوى واللبق ومسح الاقلام والدواة وكان يرسم خدمتها الاستاذ مأمون الدولة الطويل

(مسجد رياض)

هو لوقافة الحافظ لدين الله كانت تنف بين يديه بالقصر وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التي يجيء الماء اليها من حفصة الكبرى وكان فيه حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات

(مسجد عظيم الدولة)

هذا المسجد كان معلقاً بخط سوق القرافة الكبرى وكان عظيم الدولة هذا صقلياً صاحب الستر وحامل المظلة وكان بجوار هذا المسجد مسجد التساح ومسجد السدرة ومسجد جهة مراد وكان القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج هبة الله بن الميسر لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات السواعد واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة التوقود نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة عاقبتها السدرة فأمر بقطع بعضها فقبل له لا تفعل فان قطع السدر محمد وروى أبو دادي كتاب السن له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار فقطعها على ركوب نصف شعبان فمأسى وصرف في الحرم ونفى الى تنيس وقتل

(مسجد أبي صادق)

هذا المسجد كان غربي مسجد الاقدام ببناء ابن سعد بن ابوالحسن علي بن محمد البغدادي بعد سنة عشرين وأربعمائة ووجدته أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعد بن البغدادي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكي المحدث وكان قارئ المصنف بالجامع ومصلياً به ومصترافيه لاقراء السبع وكان فيه حنة على الحيوانات لاسماعيل القطط والكلاب وكان مشارف الجامع وجعل عليه جارية من الغدد كل يوم لاجل القطط وكان عند داره بزاز الاقال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها ويرجمها تبع دابته منها شئ يمشي معه في الاسواق قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخط حدثني الشيخ منجب غلام أبي صادق قال كان لمولاي الشيخ أبي صادق كلب لا يفارقه أبداً اذا كان راكباً يمشي خلفه فاذا وقفت بغلته قام تحت يديها فاذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه وحديثي قال ولدت كلبه في مستوقد حمام وكان المؤذن يأتي خلف مولاي سحر اكل يوم لقراءة المصنف وكان مولاي ياخذ في كنه كل يوم رغيفاً فاذا حاذى موضع الكلبة قطع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمي لها بنفسه الى أن تأكل ثم يستدعي الوفاً ويعطيه قيراطاً ويقول له اغسل قدحها واملا ماء حلوا ويستخلفه على ذلك

فلما كبر أولادها صارياً خذ بعد زغيفين إلى أن كبروا وتفترقوا وحدثني قال كان قد جعل كراء حانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الأحباس وكان يؤتى بالغد مقطعة فيجلس ويقسم عليها وانقطعة كانت تحمل شيئاً من ذلك وتمضي به وفعلت ذلك مراراً فتنال مولاي للشيخ أبي الحسن ابن فرج امض خلف هذه القطعة وانظر إلى ابن تؤدى ذلك فمضى ابن فرج فاذا بها تؤدى إلى أولادها فعاد إليه وأخبره فكان بعد ذلك يقطع غداً صغاراً على قدر مساع القطط الصغار وغداً كباراً للكبار ويرسل بجزء الصغار إليهم إلى أن كبروا

* (مسجد القراش) *

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بنام أحد قراش الفضل بن أمير الجيوش وبجواره مسجد بناء زيد بن حسام ومسجد الأجابة القديم وترتبه العطار ودار البقر وقناطر الاطفيحي كل ذلك بالقرب من جامع القرافة

* (مسجد تاج الملوك) *

هذا المسجد قدام دار النعمان وترتبه من القرافة الكبرى بناء تاج الملوك بدران بن أبي الهيجاء الكردى المارداني وهو أخو سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزيق وكان مجتمع أهل مصر عنده في الأعياد والمواسم وليالي الوقود

* (مسجد الثمار) *

هذا المسجد كان ملاصقاً للزيادة التي في بحري مسجد الاقدام وفيه قبور بني الثمار

* (مسجد الحجر) *

هذا المسجد كان بحري مسجد عمار بن يونس مولى المغافرو شرقي قصر الزجاج من القرافة الكبرى بنته مولاة علي بن يحيى بن طاهر المعروف بابن أبي الخمارجي الموصلي في ربيع الاول سنة ثلاثين وأربع مائة

* (مسجد القاضي يونس) *

هذا المسجد كان غربى مسجد الحجر المذكور بنام الشيخ عدى الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ثم صار بيد قاضي القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبي الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المعروف بجواهر خطيب القدس القرشي وكان من الأعيان ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار ولم يأكل قط للسلطان خبزاً وكان يروى الحديث عن جده

* (مسجد الوزيرية) *

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية وكانت الحجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات لها القبول التام وتدعى أم الخير وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهري وكانت على غاية من الكرم وحسن الاخلاق والشم ومن مكارم أخلاقها وحسن طباعها وكياسة انطباعها ما حكاها الجوافي النسابة في كتاب النقط على الخطط قال حدثني الشيخ أبو الحسن بن السراج المؤذن بالجامع بمصر قال كان قدام الباب الاول من أبواب جامع مصر يباع رطب يقعد على الارض وبين يديه اقفاص رطب من أحسن الأرطاب فيينا الحجازية الواعظة هذه ذات يوم قد أربت الخروح من باب الجامع وهي في حنيتها وجوارها وإذا ذلك الرطاب ينادى على قفص رطب قدامه معاشر الناس اشتروا الطيبة الحجازية على أربعة على أربعة يريد على أربعة أرطال رطب بدرهم فلما سمعته الحجازية وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع وأنفذت إليه بعض الجوارى فصاحت به فلما أتتها قالت لها أختي قولك الحجازية على أربعة مشكل لا ترجع تنادى كذا وهذا رباعي هدية مني لك ربح هذا القفص ولا تناد كذا فأخذه وقبل يدها وقال السمع والطاعة

* (مسجد ابن العكر) *

هذا المسجد غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الاقدام قبالة قصر المكتبي وبجذاء مسجد النارج
بناء القاضي العادل بن العكر

(مسجد ابن كباس)

هذا المسجد كان مجاورا للقناطر الاطفيحية على يسار من أم طريق الجامع بناء القاضي ابن كباس

(مسجد الشهية)

هذا المسجد كان شرقي مسجد الاقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لربة القاضي ابن قابوس
كان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع ويعرف أيضا بمسجد شادن الفضلي غلام الوزير جعفر بن الفضل بن
الفرات

(مسجد زنكادة)

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناء زنكادة المحدث بعد ما تاب في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الاولياء وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مزروع ويعرف بمسجد القبة وقد
ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

(مسجد الاطفيحي)

هذا المسجد كان في البطحاء بجري مجرى جامع القبلة الى الشرق مخالط الخط الكلاع ورعين والاكنوع
والاحول ويقال له مسجد وحاطة بن سعد الاطفيحي من أهل اطيح شيخ له سمع وكتب الحديث في سنة ثمان
وخسين وأربع مائة وما قبلها وسمع من الحبال وهو في طبقته وهو رفيق القراء وابن مشرف وابن الخطبة وأبي
صادق وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة ككأبي العباس ابن الخطبة وكان الفضل الكبير شاهنشاه
صاحب مصر قد زنه واتخذ السعي اليه مفترضا والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه وكان فكه
الحديث قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث وقصده الناس لأجل حلول السلطان عنده
لقضاء حوائجهم فقضاها وصار مسجده مؤثلا للحاضر والبادي وصدي لاجابة صوت النباي
وشكا الشيخ الى الفضل تعذر الماء ووصوله اليه فأمر ببناء القناطر التي كانت في عرض القرافة من المجري
الكبيرة الطولونية فبنيت الى المسجد الذي به الاطفيحي ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار وعمل الاطفيحي
صهرج ماء شرقي المسجد عظيمًا محكم الصنعة وحامًا وبستانًا كان به نخلة سقطت بعد سنة خسين وخمسمائة
وعمل الفضل له مقعدًا بجذاء المسجد الى الشرق علو زيادة في المسجد شرقيه وقاعة صغيرة مرخسة اذا جاء
عنده جلس فيها وخلًا بنفسه واجتمع معه وحاده وكان هذا المقعد على هيئة المنطرة بغير ستائر كل من قصد
الاطفيحي من الكتي براه وكان الفضل لا يأخذه عنه القرار يخرج في اكثر الاوقات من دار الملك باكرا
أو ظهرا أو عصرًا بغتة فيترجل ويدق الباب وقار الشيخ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقرعون أبواب النبي
صلى الله عليه وسلم نظفر الابهام والمسجة كما يحصب بهما الحاصب فان كان الشيخ يصلي لا يزال واقفا حتى
يخرج من الصلاة ويقول من فيقول ولدك شاهنشاه فيقول نعم ثم يفتح فيصاخه الفضل ويمر يديه التي لمس بها
يد الشيخ على وجهه ويدخل فيقول الشيخ نصر الله أيدك الله سددك الله هذه الدعوات الثلاث لا غير أبدا
فيقول الفضل آمين وبني له الفضل المصلي ذات المحاريب الثلاثة شرقي المسجد الى القبلي قليلا ويعرف بمصلي
الاطفيحي كان يصلي فيه على جنازة مومي القرافة وكان سبب اختصاص الفضل بهذا الشيخ انه لما كان
محاصرًا زار ابن المستنصر بالاسكندرية وناصر الدولة اقسكين الارمني أحد عماليك أمير الجيوش بدر وكانت
أم الفضل اذ ذاك وهي عجوز لها سمع ووقار تطوف كل يوم وفي الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات
والاسواق وتستقص الاخبار وتعلم محب ولدها الفضل من مبغضه وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجات يوم

جمعة الى مسجده وقالت له ياسيدي ولدي في العسكر مع الافضل الله يأخذني الحق منه فاني خائفة على ولدي فادع الله لي أن يسلمه فقال لها الشيخ يا أمة الله أما تستحيين تدعين على سلطان الله في أرضه المجاهد عن دينه الله تعالى ينصره ويظفروه ويسلمه ويسلم ولدك ما هو ان شاء الله الامنصور مؤيد مظفر كأكابيه وقد فتح الاسكندرية وأسر أعداءه وأتى على أحسن قضية وأجل طوية فلا تشغلي لك سرًا فما يكون الاخير ان شاء الله تعالى ثم انها اجتازت بعد ذلك بالقار الصيرفي بالقاهرة باسراجين وهو والد الامير عبد الكريم الامري صاحب السف وكان عبد الكريم قد ولي مصر بعد ذلك في الايام الحاقضية وكان عبد الكريم هذا في ايام الامر وجاهة عظيمة وصولته ثم افتقر فوقت أتم الافضل على الصيرفي تصرف دينار وتسع ما يقول لانه كان اسماعيليا متمالفا فقال له ولدي مع الافضل وما أدري ما خبره فقال لها الفار المذكور لعن الله المذكور الارمني الكلب العبد السوء ابن العبد السوء مضي يقاتل مولاة ومولى الخلق كأمك والله يا عجوز برأسه جازا من هاهنا على ربح قد ام مولاة نزار ومولاى ناصر الدولة ان شاء الله تعالى والله ياطف بولدك من قال لا تخليه يمضي مع هذا الكلب المنافق وهو لا يعرف من هي ثم وقفت على ابن بابان الحلبي وكان يزارا بسوق القاهرة فقالت له مثل ما قالت للفار الصيرفي وقال لها مثل ما قال لها فلما أخذ الافضل نزارا وناصر الدولة وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحديث وقالت ان كان لك أب بعد أمير الجيوش فهذا الشيخ الاطفيحي فلما خلع عليه المستعلي بالقصر وعاد الى دار الملك بمصر اجتاز بالبازين يوما فلما نظر الى ابن بابان الحلبي قال انزلوا بهذا اقتزوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه ثم قال لعبد علي أحد مقدمي ركابه قف هاهنا لا يضيع له شيء الى أن يأتي أهله فيتسلوا فاقشه ثم وصل الى دكان الفار الصيرفي فقال انزلوا بهذا اقتزوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه وقال ليوسف الاصغر أحد مقدمي الركاب اجلس على حافوته الى أن يأتي أهله ويتسلوا موجوده وابالك وماله وصندوقه وان ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه كان لنا خصم أخذناه وقد فعلناه ما يردع غيره عن فعله ومالنا ماله ولا فقرا أهله ثم اتى الافضل الى الشيخ أبي طاهر الاطفيحي وقربه وخصمه الى أن كان من أمره ما شر حناه

* (مسجد الزيات) *

هذا المسجد مجاور بيت الخواص غريبه ومسجد ابن أبي الرذاذ يعرف بمسجد الانطاكي ومسجد الفخاوري يعرف بمسجد البطحاء ومسجد ابن أبي الصغير قبلي مسجد بني مانع وهو جامع القرافة ومسجد الشريفة بنى في سنة احدى وخمسمائة ومسجد ابن أبي كامل الطرابلسي كان بجارة القرن بناء الاعز بن أبي كامل والمعبد الذي كان على رأس العقبة التي يتوصل منها الى الرصد بناء أبو محمد عبد الله الطباخ ويقال انه كان بالقرافة الكبرى اثنا عشر ألف مسجد

* (القصر المعروف بباب ليون بالشرف) * هذا القصر كان على طرف الجبل بالشرف الذي يعرف اليوم وجاء الفتح وهو مبني بالججارة ثم صار في موضعه مسجد عرف بمسجد المقس والمقس ضيعة كانت تعرف بأتم دين سميت المقس لأن العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقلب فقبل المقس وليون اسم ببلد بمصر بلة السودان والروم وقد ذكر المقس عند ذكر نواهر القاهرة من هذا الكتاب والله تعالى اعلم

هكذا يابض
بالاصل

* (ذكر الجواسق التي بالقرافة) *

قال ابن سيده الجوسق الحصن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور وكان بالقرافة قصر الكتفي وقصر بني كعب وقصر بني عقبة وقصر أبي قبيل وقصر العزيز وقصر البغدادى وقصر يشب وقصر ابن كرامة

* (جوسق بني عبد الحكم) * كان جوسقا كبيرا له حوش وكان في وسط القرافة بمحضرة مسجد بني سريع الذي يقال له الجامع العتيق وهو أحد الجواسق الثلاثة وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام وجدد هذا الجوسق ابن الالهيبي المغربي

• (جوسق بن غالب ويعرف ببني بابشاد) • كان بالمغافر بنى في سنة ثلاث وخسين وأربعمائة وإلى جانبه قبر الشيخ أبي الحسن طاهر بن بابشاد

• (جوسق ابن ميسر) • كان بجوار جوسق بن غالب بناء أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفرج هبة الله وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم الغدير وهو شافعي المذهب وهو هبة الله بن هبة الله بن الميسر وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وأبو عبد الله هذا هو الذي كان بعد ذلك قاضي القضاة بمصر وهو الذي حبس القياصر التي كانت في القشاشين بمصر وكان يحمل قدّامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التي عليها الشمع ليالي الوقودات وكان فيه كرم سمع بأن المادرائي - عمل في أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمى افطن له فأمره بعمل لب البس بالسكر الأبيض الفايند المطيب بالمسك وعمل منه في أول الحال شيئاً عوضاً له لب ذهب في صحن واحد قضى فيه جلته وخطف قدّامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل القسّيق الملبس وهو أول من أخرجه بمصر وكان قد سمع في سيرة أبي بكر المادرائي أنه عمل هذا الافطن له وجعل في كل واحد خمسة دنانير ووقف أستاذ على السماط فقال لأحد الجلّساء افطن له وكان على السماط عدّة صحنون من ذلك الجنس لكن ما فيها ما فيه دنانير الا صحن واحد فلما رزى الأستاذ لأحد الجلّساء على سماط المادرائي بقوله افطن له وأشار إلى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمده فحصل له جلته ورآه الناس وهو إذا أكل يخرج شيئاً من فمه ويجمع يده ويحيط في حجره فتنبهوا وتزاحوا عليه فقبيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له وقتل هذا القاضي في تنيس في أيام بهرام الوزير النصراني الأرميني سنة ست وعشرين وخمسمائة

• (جوسق ابن مقشر) • كان جوسق طويلاً ذات ربة إلى جانبه

• (جوسق الشيخ أبي محمد) • عامل ديوان الاشراف الطالبين وجوسق ابن عبد المحسن بخط الاكحول وجوسق البغدادى الجرحاوى كان قبره إلى جانبه خرب في سنة عشرين وخمسمائة وجوسق الشريف أبي اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكتكتى الموسوى تقيب مصر

• (جوسق المادرائي) • هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره وهو جوسق كبير جدّاً على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان في بحريه على جانبه الممر من مقطع الحجارة بناء أبو بكر محمد بن علي المادرائي في وسط قبورهم من الجبابة وكان الناس يجتمعون عنده هذا الجوسق في الاعياد ويوقد جميعه في ليله النصف من شعبان كل سنة وقوداً عظيماً ويحلق القراء حوله لقراءة القرآن فيمتر للناس هنالك اوقات في تلك الليلة وفي الاعياد بديعة حسنة

• (جوسق حب الورقة) • كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا أدر كنهه عامراً وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعمانهم أن فيها خبائاً وكان اكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجرى مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة يتزده فيه ويغيد الله تعالى هنالك وكان من هذه الجواسق ما تحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان وكان بالقرافة عدّة قصور وهي التي تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين الا أن الجواسق اكثرها بغير بساتين ولا بئر بل مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور

• (قصر القرافة) • بنته السيدة تفرید أم العزيز بالله في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسن بن عبد العزيز الفارمى المحتسب هو والحمام الذي كان في غريه وبت البترو البستان المعروف بالتاج المعروف بمحسن أبي المعلوم وبت جامع القرافة ثم جدده الامر بأحكام الله ويضه في سنة عشرين وخمسمائة وعمل شرقى بابه مصطبة للصوفية وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالمادح وكان الامر يجلس في الطاق بالمنظر الذي بناء بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة قدّامه وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ولم يزل هذا القصر إلى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

• (ذكر الباطات التي كانت بالقرافة) •

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها المجائز والارامل العابدات وكانت لها الجرايات والفتوحات وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ

* (رباط بنت الخواص) * كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلى بن جبيع بن نجاشي الشافعي مؤلف كتاب الذخائر وقاضي القضاة بمصر

* (رباط الاشرف) * كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراة وبني عبد الله وبمسجد القبة وهو شرقي بستان ابن نصر بناه أبو بكر محمد بن علي المادرائي ووقفه على نساء الاشرف

* (رباط الاندلس) * بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الا مصرية كما تقدم

* (رباط ابن العكاري) * كان بمحضرة مسجد بني سريع المعروف بالجامع العتيق

* (رباط الحجازية) * بنته وحبيسته على الحجازية فوزجارية على بن أحمد الجرجاني الوزير وهو المسجد الذي تقدم ذكره

* (رباط رياض) * كان بجوار مسجد الحاجة رياض

* (ذكر المصليات والمحاريب التي بالقرافة) *

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب

* (منها مصلى الشريفة) * كان يدرب القرافة بمحجرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوف الشامي التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

* (مصلى المغافر) * وهو الاندلس جده ابن برك الاخشيدى بنته جهة مكنون الا مصرية في سنة ست وعشرين وخمسمائة

* (مصلى عقبة القرافة يعرف بمصلى الاندلسي) * كان ذا مصطبة مربعة على يسرة الطالع الى القرافة بناه يوسف بن أحمد الاندلسي الانصاري في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة

* (مصلى القرافة) * جده الفقيه ابن الصباغ المالكي في سنة عشرين وخمسمائة وكان بمحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر

* (مصلى الفتح) * كان ملاصقا لمسجد الفتح بناه أبو محمد القلي المغربي النجم الحافظي

* (مصلى جهة العادل) * أبي الحسن بن السلار وزير مصر

* (مصلى الاطفيحي) * بجوار مسجد الاطفيحي الذي تقدم ذكره

* (مصلى الجرجاني) * بناه الوزير علي بن أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبيرة وبالجبانة عدة محاريب خربت كلها

* (مصلى خولان) * هذه المصلى عرفت بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان وهم من قبائل اليمن واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وفي هذه المصلى مشهد الاعياد ويوم الناس ويحطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص وابست هذه المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر وانما كانت مصلى العيد في أول الاسلام غير هذه قال القاضي مصلى العيد كان مصلى عمرو ابن العاص مقابل الحمام وهو الجبل المطل على القاهرة فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أمر بتحويله فحول الى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشرين ومائتين ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين واسمه باق عليه الى اليوم * قال الكندي ولما قدم شقي الاصمعي الى مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بهذا اسما فآبى عون عند العسكر قال ما لهم وضعا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم قال فقد موا مصلاهم الى

موضعه الذي هو به اليوم يعني المصلى القديم المذكور وقال الكندي ثم ضاق المصلى بالناس في اماره عنيسة ابن اسحاق الضبي على مصر في أيام المتوكل على الله فأمر عنيسة بابتناء المصلى الجديد فابتدى ببنائه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين وصلى فيه يوم التخر من هذه السنة * وعنيسة هو آخر عربي ولي مصر وآخر أمير صلي بالناس في المسجد وهو المصلى الذي بالصحراء عند الجارودي ثم جدد له الحياكم وزاد فيه وجعل له قبة وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة العيد بالمصلى أوقفوا جيشا في سفح الجبل مما يلي بركة الحبش ليراعى الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفا من البجة فانهم قدموا غير مزمرة وكثا على الحب حتى كبسوا الناس في مصلاهم وقتلوا ونهبوا ثم رجعوا من حيث أتوا فخرج عبد الحميد ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة فكمن لهم بالصعيد في طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم في أخذ الناس في مصلى العيد فكبسهم وقتل الاعور رئيسهم بعد ما أقبلوا الى المصلى في العيد في سنة ست وخمسين ومائتين وأمير مصر أحمد بن طولون على الحب وكبسوا الناس في مصلاهم وقتلوا ونهبوا منهم وعادوا سالمين ثم دخل العمري الى بلاد البجة غازيا فقتل منهم مقتلة عظيمة وضايقهم في بلادهم الى أن أعطوه الجزية ولم يكونوا أعطوا أحدا قبله الجزية وسار في المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة وسالم النوبة الى أن بدأ النوبة بالغدر في الموضع المعروف بالمريس فقال عليهم وحاربهم وخرب ديارهم وسبي منهم عالما كثيرا حتى كان الرجل من أصحابه يتنازع الحاجة من الزيات والبقال ينوبى أو نوبية لكثرتهم معهم فخاؤا الى أحمد بن طولون وشكوا له من العمري فبعث اليه جيشا ليحاربه فأوقع بالحبش وهزمهم وكانت لهم أبناء وقصص الى أن قتله غلامان من أصحابه وأحضرا رأسه الى أحمد بن طولون فأنكر فعلهما وضرب أعناقهما وغسل الرأس ودفنه

* (ذكر المساجد والمعابد التي بالجبل والصحراء) *

وكان يجبل المقطم والصحراء التي تعرف اليوم بالقرافة الصغرى عدة مساجد وعدة مغاير ينقطع العباد بها منها ما قد درث ومنه شئ قد بقي أثره

* (مسجد التنور) * هذا المسجد في أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرفها أدركته عامر أوفيه من يقيم به * قال القاضي * المسجد المعروف بالتنور بالجبل هو موضع تنور فرعون كان يوقد له عليه فاذا راوا النار علموا بركوبه فاتخذوا له ما يريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس ثم بناء أحمد بن طولون مسجدا في صفر سنة تسع وخمسين ومائتين ووجدت في كتاب قديم أن يهودا بن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع اخوته على يوسف وجرى من امر الصواع ما جرى تأخر عن اخوته وأقام في ذروة الجبل المقطم في هذا المكان وكان مقابلا لتنور فرعون الذي كان يوقد له فيه النار ثم خلا ذلك الموضع الى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع وبقيام يهودا فيه فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التي فيه وجعل فيه صهريجا فيه الماء وجعل الاتفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التي بالمغافر وغير ذلك ويقال ان تنور فرعون لم يزل في هذا الموضع بحاله الى أن خرج اليه قائد من قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف فاطرميز فهدمه وحضر فتحته وقد رأى أن فتحته ما لا فم يجد فيه شيئا وزال رسم التنور وذهب وأنشد أبو عمرو الكندي في كتاب امراء مصر من أبيات لسعيد القاضي

وتنور فرعون الذي فوق قلته * على جبل عال على شاطئ وعمر

بني مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به في الليل ان ضل من يسرى

فخال سنا قنديه وضياه * سهيلا اذا ملاح في الليل للسفر

* (القرقوبى) * قال القاضي * المسجد المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المائل على كهف السودان

بناءه أبو الحسن القرقوبى الشاهد وكيل التجار بمصر في سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان في موضعه محراب

نجارة يعرف بمحراب ابن القاضي الرجل الصالح وهو على يسار المحراب

• (مسجد امير الامراء) • رفق المستنصر مري على قرية الجبل البحرية المطل على وادي مسجد موسى عليه السلام

• (كهف السودان) • مغارة في الجبل لا يعلم من أحدثه ويقال ان قوما من السودان نقروه فنسب اليهم وكان صغيرا مظلما فبناه الاحدب الاندلسي القزاز وزاد في سفله مواضع نقرها وبني علوه ويقال انه اتفق فيه اكثر من ألف دينار ووسع المجاز الذي يسلك منه اليه وعمل الدرج النقر التي يصعد عليها اليه وبدأ في بنيانه مستهل سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه في شعبان من هذه السنة

• (العارض) • هذا المكان مغارة في الجبل عرفت بأبي بكر محمد جد مسلم القاري لانه قهرها ثم عزت بأمر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها منارة هي باقية الى اليوم وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض وجه الله وقه در القاتل

جزءا تقرأ تحت ذيل العارض • وقل السلام عليك يا ابن الفارض
وقد ذكر القاضي أربع عشرة مغارة في الجبل منها ما هو باق وليس في ذكرها فائدة

• (اللولوة) • هذا المكان مسجد في سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللولة قيل كان بناؤه في سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن

• (مسجد الهرعاء) • فيما بين اللولة ومسجد محمود وهو مسجد قديم تترك بالصلاة فيه وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب لانه تقام فيه الجمعة

• (دكة القضاة) • قال القاضي هي دكة مرتفعة عن المساجد في الجبل كان القضاة بمصر يخرجون اليها لنظر الالهة كل سنة ثم بنى عليها مسجد

• (مسجد فائق) • مولى لخمارويه بن أحمد بن طولون كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى عليه السلام

• (مسجد موسى) • بناء الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن القرات

• (مسجد زهرون بالعصراء) • هو مسجد أبي محمد الحسن بن عمر الخولاني ثم عرف بابن المبيض وكان زهرون قيمه فنسب اليه

• (مسجد الفقاعي) • هو أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر وهو مسجد كبير بناء كافور الاخشيدى ثم جدد وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجاني وكان في وسط هذا المسجد محراب مبنى بطوب يقال انه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ويقال انه أول محراب اختط في مصر وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه بناء قبل ذلك

• (مسجد الكنز) • هذا المسجد كان شرقي الخندق وبحرى قبر ذى النون المصري وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام ومات قبل تمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبي ووسعه وبناء وحكى أنه لما هدمه رأى قاتلا يقول في المنام على أذرع من هذا المسجد كنز فاستسقط وقال هذا من الشيطان فرأى هذا القاتل ثلاث مرات فلما أصبح أمر بحفر الموضع فاذا فيه قبر وظهر له لوح كبير تحته ميث في لحد كاعظم ما يكون من الناس جثة ورأسا وكفانه طرية لم يبل منها الا ما يلي جمجمة الرأس فانه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن واذا له جثة فزاعه ما رأى وقال هذا هو الكنز بلا شك وأمر بإعادة اللوح والتراب كما كان وأخرج القبر عن سائر الحيطان وأبرزه للناس فصارت رازي وتبرك به

• (مسجد في غربي الخندق) • أنشأه أبو الحسن بن التجار الزيات في سنة احدى وأربعين وأربعمائة

• (مسجد لؤلؤ الحاجب) • بالقرافة الصغرى بنى بجانبه مقبرة وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار الى قرب الماء فقال الحفار اني أجدي البئر شيئا كأنه حجر فقال له لؤلؤ فسبب في قلعه فلما قلعه فار الماء وأخرجته واذا هو

اسطام مركب وهو الخشبة التي تبنى عليها السفينة وهذا يصدق ما قاله ارسطاطاليس في كتاب الاثمار العلوية قال ان اهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الاجري يعني بحر الشام وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ

* (مقام المؤمن) * قيل انه مؤمن آل فرعون لانه أقام فيه وهذا بعيد من الصحة

* (قنطرة ابن طولون وبثره) * هذه القنطرة قائمة الى اليوم من بئر أحمد بن طولون التي عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عند نايتير عضة ولا تزال هذه القنطرة الى اثناء القرافة الكبرى ومن هناك خفيت لتهدمها وهي من أعظم المباني * قال القاضي قنطرة أحمد بن طولون وبثره بظاهر المغاقر كن السبب في بناء هذه القنطرة أن أحمد ابن طولون ركب فتر مسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كتبه العطش وكان في المسجد خياط فقال يا خياط أعندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمديني لا تشرب كثيرا فيسبم أحمد بن طولون وشرب فمده فيه حتى شرب اكثر ثم ناوله اياه وقال يا فتى سقيتنا وقلت لا تمده فقال نعم اعزله الله موضعا ههنا منقطع وانما أخطب جعتي حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء عندكم ههنا معور فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل في داره قال جيتوني بخياط في مسجد الاقدام فا كان بأسرع من أن جاء به فلما رآه قال سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء وهذه ألف دينار خذها وابتدأ في الاتفاق وأجرى على الخياط في كل شهر عشرة دنانير وقال له بشر في ساعة يجري الماء فيها فجاء في العمل فلما جرى الماء أنابه بمشرا الخلع عليه وجعله واشترى له دارا يسكنها وأجرى عليه الرزق السقي الدار وكان قد اشرب عليه بأن يجري الماء من عين أبي خلد المعروف بالنعش فقال هذه العين لا تعرف أبدا الا بأبي خلد واني أريد أن أستنبط بئرا فعدل عن العين الى الشرق فاستنبط بئره هذه وبني عليها القنطرة وأجرى الماء الى القسبة التي بقرب درب سالم * وقال جامع السيرة الطولية وأما رغبته في ابواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ثم العين التي بناها بالمخافر وبناها بنه صحيحة ورغبة قوية حتى انها ليس لها نظير ولهذا اجتهد المادرايون وأنفقوا الاسوال الخطيرة ليحكموها فأعجزهم ذلك لانما وقعت في موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها وهي مفتوحة طول النهار لن كشف وجهه للاخذ منها ولن تمان له غلام أو جارية والدليل للفقراء والمساكين فهي حياة ومعونة واتخذوها مستغلا فيه فضل وكفاية لمصالحها والذي نولى لأحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق بها وانه دخل الى أحمد بن طولون في عشيبة من العشايا فقال له اذا فرغت مما تحتاج اليه فأعطني لتركب اليها فقال يركب الامير اليها في غد فقد فرغت وتقدم التصراني فرأى موضعا بها يحتاج الى قصرية جيرة وأربع طوبات فبادر الى عمل ذلك وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهاهده فيها ثم أقبل الى الموضع الذي فيه قصرية الجير فوقف بالاتفاق عليها فخرطوية الجير غاصت يد القوس فيه فكان بأحمد ولسوء ظنه قد رأى ذلك المكروه أراد به التصراني فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب وضربه بحجارة سوط وأمر به الى المطبق وكان المسكين يتوقع من الجائرة مثل ذلك دنانير فاتفق له اتفاق سوء وانصرف أحمد بن طولون وأقام التصراني الى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع فتدبر له ثلثمائة عود فقيل له ما تجد لها أو تنفذ الى الكنائس في الارياف والضباب الخراب فتكمل ذلك فأنكره ولم يحتره وتعذب قلبه بالفكر في امره وبلغ التصراني وهو في المطبق الخبر فكتب اليه أنا ابنه لك كما تحب وتختار بلا عدا الا عمودي القيله فأحضره وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه فبناه * قال ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية بلغه أن قوما لا يستحلون شرب ما شربا قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه كنت ليلة في داري اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لي الامير يدعوك فركبت مذعورا مرعوبا فعدل بي عن الطريق فقلت أين تذهب بي فقال الى الصحرَاء والاسير فيها فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم الله الله في فاني شيخ كبير ضعيف مسنن فتدري ما يراد مني فارحني فقال لي احذر أن يكون لك في السقاية قول وسرت معه واذا بالمشاعل في الصحرَاء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع قترلت وسمت عليه غلم يرذ علي فقلت أيها الامير ان الرسول أعنتني وكنتي وقد عطشت فيأذن لي الامير في الشرب فاراد الغلمان أن يسقوني فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يراني وشربت وازددت في الشرب حتى كدت أنشق ثم قلت أيها الامير سقاك الله من أنهار الجنة فلقد أرويت

وأغثت ولا أدري ما أصف أطيّب الماء في حلاوته ويرده أم صفاء أم طيب ريح السقاية قال فنظر الى وقال
أريدك لا امر وليس هذا وقته فأصرفوه فصرقت فقال لي الخادم أصبت قتل أحسن الله جزاءك فلولاً
لهلكت وكان مبلغ النفقة على هذه العين في بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمر والكندي
في كتاب الامراء لسعيد القاص أياً نافي رثاء دولة بني طولون منها في العين والسقاية

وعين معين الشرب عين زكية * وعين أجاج للزواة وللظهر
كان وفود النيل في جنباتها * تروح وتغدو بين مد إلى جزر
فأرل بها مستنبطاً لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمنله * لقيس لقد جاءت بمستقطع نكر
يمز على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحور والحي من بشر
قبائل لانزء السحاب يمدّها * ولا النيل يروها ولا جدول يجرى

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون سريع نخذه
من الاشعرين هم ولد سريع بن مانع من بني الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم رهط أبي قبيل التابعي الذي خطه اليوم الكوم شرقى قناطر سقاية
احد بن طولون المعروفة بعفصة الكبيرة بالقرافة

(الخنديق) هذا الخندق كان بقرافة مصر قد نذر وعلى شفيره الغربي قبر الامام الشافعي رضي الله عنه وكان
من النيل الى الجبل حفر مرتين مرة في زمن مروان بن الحكم ومرة في خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد ثم
حفره أيضاً القائد جوهر قال القضاعي الخندق هو الخندق الذي في شرقى القسطنطين في المقابر كان الذي اثار
حفره مسير مروان بن الحكم الى مصر وذلك في سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم
القهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فلما بلغه مسير مروان الى مصر اعد واستعد وشاور الخندق في
أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذي أشار به عليه ربيعة بن جبيش الصدفي فأمر ابن جحدم باحضار المحارث
من الكور لحفر الخندق على القسطنطين فلم تبق قرية من قرى مصر الا حضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره
غزاة الحرم سنة خمس وستين فما كان شئ أسرع من فراغهم منه حفره في شهر واحد وكانت الحرب من ورائه
يغدون اليها ويرحون فسميت تلك الايام أيام الخندق والتراويح لرواحهم الى القتال وكانت المغافر أكثر قبائل
أهل مصر عدداً كانوا عشرين ألفاً ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين
في اثني عشر ألفاً وقيل في عشرين ألفاً فخرج أهل مصر الى مروان فخاربوه يوماً واحداً بعين شمس ثم تحاجزوا
ورجع أهل مصر الى خندقهم فتحصنوا به وصحبهم جيوش مروان على باب الخندق فاصطف أهل مصر على
الخندق فكانوا يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم ثوباً ثوباً وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين
شمس وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر كريب بن أبرهة بن الصباح الحيري وزباد بن حنطة التميمي
وعباس بن سعيد المرادي يقول انكم ضمنتم لي ضماناً لم تقوموا به وقد طالت الايام والممانعة فقام كريب وزباد
وعباس الى ابن جحدم فقالوا له أيها الامير انه لا قوام لنا بما ترى وقد رأينا أن نسعى في الصلح بينك وبين مروان
وقد مل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلك الناس الى مروان فيكون محكماتك فقال ومن لي بذلك
فقال كريب أنا لك به فسعي كريب وصاحبا في الصلح على أمان كنبه مروان لاهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء
النيل وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار وثلاثمائة ثوب بطرية ومائة ربيعة وعشرة أفراس
وعشرين بغلاً وخمسين بعيراً فتم الصلح على ذلك ودخل مروان القسطنطين مستهلاً بجادى الاولى سنة خمس
وستين فنزل دار الفلفل ودفع الى ابن جحدم جميع ما صالحه عليه وسار ابن جحدم الى الجواز ولم يلق كل واحد
منهما الا آخر وتفرق المصريون وأخذوا في دفن قتلاهم والبكاء عليهم فسمع مروان البكاء فقال ما هذه
النوادر فقيل على القتلى قال لا أسمع نائحة تنوح الا أحلت بمن هي في داره العقوبة فسكتن عند ذلك ودفن
أهل مصر قتلاهم فيما بين الخندق والمقطم وهي المقابر التي يسميها المصريون مقابر الشهداء ودفن أهل الشام
قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الاصمخ وكان قتل أهل مصر ما بين السماناة الى السبع مائة وقتل أهل الشام

فحو الثلثائة ولما برز مروان من القسطنطينية سائرا الى الشام سمع وجبة النساء يندبن قتلاهن قال ويجهن ما هذا قالوا النساء على مقابرهن يندبن قتلاهن فعزج عليهن فأمر بالانصراف قالوا كذا هن كل يوم قال فامنعوهن الامن سبب وخرج مروان من مصر الى الشام لاهلال رجب سنة خمس وستين وكان مقامه بالقسطنطينية شهرين واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر وضم اليه بشر بن مروان وكان حدثا ثم ولي عبد الملك بشر بعد ذلك البصرة قال ثم دثر هذا الخندق الى أيام خلع الامين بمصر وبيعة المأمون وولى البلد عباد بن محمد بن حسان مولى كندة من قبل المأمون فكتب الامين بمصر الى أهل الحوفين في القيام ببيعته وقتال عباد وأهل مصر فجمع أهل الحوف لذلك واستعدوا وبلغ أهل مصر فأشاروا على عباد بحفر الخندق حفر واخذوا من النيل الى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق فكان القتال عليه أياما متفرقة الى أن قتل الامين وتمت بيعة المأمون ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا هذا * وذكر ابن زولاق أن القائد جوهر الماخط القاهرة وكثر الارجاج بمسيرة القرامطة الى مصر حفر خندق السرى بن الحكم باب مدينة مصر وعمل عليه بابا في ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة وحفر خندقا في وسط مقبرة مصر وهو الخندق الذي حفره ابن جندم ابتدأ حفره من بركة الحبش حتى وصله بخندق عبد الرحمن بن جندم حتى بلغ به قبر محمد بن ادريس الشافعي ثم حفر من الجبل الى أن وصل لخندق ابن جندم وسط المقابر وبدأ به يوم السبت التاسع من شوال سنة احدى وستين وثلثمائة وفرغ منه في مدة يسيرة

* (القباب السبع) * هذه القباب بأخر القرافة الكبرى بمبالي مدينة مصر قال ابن سعيد في كتاب المغرب والقباب السبع المشهورة بظاهر القسطنطينية هي مشاهد على سبعة من بنى المغربى قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين بن علي بن المغربى الى أبي الفتح حسن بن جعفر بمكة وفي ذلك يقول أبو القاسم بن المغربى

اذ ائتمت أن تزو الى الطف باكا * فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربى عصابة * مضخة الاجسام من حل الدم
فكم تركوا محراب أى معطل * وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بنى المغربى عند ذكر بساين الوزير من بركة الحبش ويتعلق بهذا الموضوع من خبرهم أن أبا الحسن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن المغربى لما خرج من بغداد وصار الى مصر في أيام العزيز بالله بن العزيز بالله بن الله في سنة احدى وثمانين وثلثمائة رتب له في كل سنة ستة آلاف دينار وصار من شيوخ الدولة فقال يوما لمؤدب ولده أبي القاسم حسين وهو علي بن منصور بن طالب المعروف بأبي الحسن ودخله بن القادح سرا أنا أخاف همة ابني أبي القاسم أن تزوجه الى أن يوزدنا مورد الاصدر عنه فان كانت الانقاس مما تحفظ وتكتب فاك كتبها واحفظها وطالعتي بها فقال أبو القاسم في بعض الايام لمؤدبه هذا الى متى نرضى بالهول الذي نحن فيه فقال له وأى خول هذا تأخذون من مولانا في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة فقال أريد أن تصار الى أبو ابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجري علينا كالولدان والنسوان فأعاد ذلك على أبيه فقال ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحية وهامته وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مؤدبه وحشة وكان ذلك في خلافة الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز وتحدث القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وكان الحاكم قد أكرم من قتل رؤساء دولته وصار يبعث الى القائد كلما قتل رئيسا برأسه ويقول هذا عدوى وعدوك قبض على أبي الحسن علي بن الحسين المغربى والد الوزير أبي القاسم الحسين وعلي أخيه أبي عبد الله محمد بن الحسين وعلي محمد أخو الوزير المذكور لثلاث خاؤون من ذي القعدة سنة أربع مائة وقر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربى من مصر في زى جمال الليل من ذي القعدة ولحق بحسان بن الجراح وكان من أمره ما كان

* (ذكر الاحواض والآبار التي بالقرافة) *

* (حوض القرافة) * أمر بيناته السيدة ست الملك عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله في شعبان سنة ست

وستين وثلاثمائة واختل في أيام العادل أبي الحسن بن السلار وزير مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة فأمر
بعمارة ثم انشق في سنة ثمانين وخمسمائة فجده القاضي السعيد ثقة الثقات ذوالرياستين أبو الحسن
علي بن عثمان بن يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه أحد بني عبد الله بن عبد الرحمن
بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الخزومي صاحب النظر في ديوان مصر ومهتف كتاب المنهاج
في أحكام الخراج وهو كتاب جليل الفائدة ولم تزل آثار هذا القاضي جيدة ومقاصده سديدة وعنده شحوة
قرشية وحرارة وعصية وهو وإن طاب أصوله فقد زكافروعا وإن تفرقت في سواء فضائل فقد جمعها الله فيه
جميعا ولم يزل مذكرا يسعى في الامانة على صراط مستقيم أخذنا بقوله تعالى اخبارا عن الكريم ابن
الكريم اجعلني على خزان الأرض اني حفظ عليم

* (الحوض بجوار قصر القرافة) * في ظهر الحمام العزيزي بحضرة قرن القرافة أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر
لاعزاز دين الله واسمها السيدة رصد على يد وكيلها الشريف المحدث أبي إبراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون
ابن حمزة الحسيني العبدل شيخ القراء وابن الخطاب والقلكي
* (حوض بحضرة الاشعوب) * وهو قصر بني عقيب

* (حوض في داخل قصر أبي المعلوم) * مجاور للبر الكبيرة ذات الدواليب بناء المحتسب القاري مع
عمارة البر والمبضأة في أيام السيدة أم العزيز ويقال ان الحوض والبر من بناء الملاحات واثما جددته
عمة الحاكم

* (حوض) * بقصر بني كعب وبجانبه بئر أنشأ الحاجب لؤلؤ وهو من حقوق قصر بني كعب وقد خربت
هذه الاحواض ودرثت

* (ذكر الابار التي ببركة الحبس والقرافة)

* (بئر أبي سلامة) * وتعرف ببئر الغنم وهي قبلي التوبة وموضعها أحسن موضع في البركة وهي التي عنى
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله

الله يوحى ببركة الحبس • والافق بين الضياء والغيب
والنيل تحت الريح مضطرب • كصارم في يمين مر تعش
ونحن في روضة مفروقة • دجج بالنور عطفها ووشى
قدسجتها يد الغمام لنا • فنحن من تسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل • دعاه داعي الهوى فلم يبطش
فعاطني الراح ان تاركها • من سورة الهم غير منتعش
واسقى بالكبار مترعة • فنه أشقى لشدة العطش

* (بئر غربي دير مر حنا وستان العبيدي) * ودير مر حنا يعرف اليوم في زماننا بدير الحنين وهو عامر
بالتنصاري

* (بئر الدرج) * شرقي بساتين الوزير لها درج ينزل به اليها عملها الحاكم بأمر الله وشرقها قبور التنصاري
وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود والبستان المجاور لعفصة للصغرى أول بركة الحبس على لسان الجبل
الخارج الى البركة بجوار بئر النعش وبئر السفارين وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليفه وقد صار هذا البستان
الى المذهب بن الوزير

* (بئر الزقاق) * شرقي بئر عفصة الصغرى والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل وفي أوله بئر مر بعة كان يسقى
منها البقر والغنم

* (ذكر السبعة التي تزار بالقرافة)

اعلم أن زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء ثم صارت ليلة الجمعة وأما زيارة يوم السبت فقبل انها قد عجمه وقيل

متاخرة وأقول من زار يوم الاربعاء وابتدأ بالزيارة من مشهد السيدة نفيسة الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يزحم بن رافع السارعي الشافعي المغافري الزوار المعروف بعابد ومولده سنة احدى وستين وخمسائة ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة في ليلة الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بسفح المقطم على تربة بنى نهار بجري تربة الرديني وأقول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرئ أبو الحسن علي بن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس والد شرف الدين محمد بن علي بن أحمد بن الجباس فجمع الناس وزارهم في ليلة الجمعة في كل أسبوع وزار معه في بعض الليالي السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ومشي معه أكابر العلماء وكان سبب تجرد أبي الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى انه دولب مطبخ سكر شركة رجل فوقف عليهما مال للدوان فحبنا بالقصر فقرأ ابن الجباس في بعض الليالي سورة الرعد فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا فأمر بالافراج عنه فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضا فأفرج عنهم جميعا واتفق انه مرق في بعض ليالي الزيارة براوية الفخر الفارسي فخرج وقال له ما هذه البدعة في غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة وأمر برذابن الجباس فلما جاءه قال دم على ما انت عليه فاني رأيت الساعة قوما فقالوا هل تعطينا ما يعطينا ابن الجباس في ليالي الجمع فقلت أن ذلك هو الدعاء والقراءة * وأما زيارة يوم السبت فقد تقدم انه اختلف فيها وحكى الموفق بن عثمان عن القاضي انه كان يحث على زيارة سبعة قبور وأن رجلا شكاه اليه ضيق حاله والدين فقال له عليك بزيارة سبعة قبور * (أولهم) * الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينوري وتوفي ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقية من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة * (والثاني) * عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادي صاحب الخلفاء وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة * (والثالث) * أبو ابراهيم اسماعيل ابن المزني وتوفي سنة أربع وستين ومائتين * (الرابع) * القاضي بكار بن قتيبة وتوفي سنة سبعين ومائتين * (والخامس) * القاضي المفضل بن فضالة وتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين * (والسادس) * القاضي أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمي وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة * (والسابع) * أبو القيص ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصري وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين وكانوا أولاً يزورون بعد صلاة الصبح وهم مشاة على أقدامهم الى أن كانت أيام شيخ الزوار محمد العجمي السعودي فزاروا بكافي يوم السبت بعد طلوع الشمس لان رجليه كانتا موعجتين لا يستطيع المشي عليهما وذلك في اواخر سنة ثمانمائة وتوفي في عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة لحاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المرجوشي السعودي ومحبي الدين عبد القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن الشهير بابن عثمان فبعد ذلك ومات ابن عثمان في سابع شهر ربيع الاخر سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمرت الزيارة على ذلك وقد حكي صاحب كتاب محاسن الابرار ومجالس الاختيار سبعة غير من ذكرنا وسماهم المحققين وهم صلة بن مؤمل وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن جعفر الخوارزمي وسالم العفيف وأبو الفضل بن الجوهري وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن عرف بالزار وأبو الحسن علي عرف بطير الوحش وأبو الحسن علي بن صالح الاندلسي الكحال وذكر أيضا سبعة آخروهم عقبه بن عامر الجهني والامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وأبو بكر الدقاق وأبو ابراهيم اسماعيل المزني وأبو العباس أحمد الجزار والفقيه ابن دحية والفقيه ابن فارس النخعي وزيارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصبح والعمل عليها في الزيارة الآن الانهم يجتمعون طوائف لكل طائفة شيخ ويقومون منا وبكارا ووضعا را ويخرجون في ليالي الجمع وفي كل سبت بكرة النهار وفي كل يوم اربعاء بعد الظهر وهم يذكرون الله فيزورون ويجمع معهم من الرجال والنساء خلا لائق لا تخصي ومنهم من يعمل ميعاد وعظ ويقال لشيخ كل طائفة الشيخ الزائر فترزلهم في الزيارة أمور منها ما يستحسن ومنها ما يشكر ولكل عبدا ماوى

فن أشهر منارات القرافة * (قبرا لامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي) * رجة الله ورضوانه

هكذا بيض في
الاصل ورأيت في
بعض الكتب
المتضمنة لاسماء
الرواة والفقهاء
وغيرهم ما نصه
(مزني) اكبر اصحابنا
علما وأعلم غلمان
الشافعي الذي مهد
المذهب ولين كلام
الشافعي اسمه
اسماعيل بن يحيى
ابن اسماعيل بن
عمر بن اسحاق بن
مسلم بن بهدلة بن
عبد الله المزني من
قبيلة مزينة يكنى أبا
ابراهيم مات بمصر
سنة أربع وستين
ومائتين اهـ بحروفه
اهـ متحججه

عليه وتوفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر وحمل على الاعناق حتى دفن في مقبرة بني زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه وعرفت أيضا بقبرية أولاد ابن عبد الحكم قال القاضي وقد حزن الناس خيرة هذه التربة المباركة والقبر المبارك وينقل عن المزي أنه قال فيه

سقى الله هذا القبر من ببل مزنه * من الغفوا ما يغنيه عن طلل المزن
لقد كان كفوا للعداء ومعتلا * وركنا لهذا الدين بل إيمانا ركن
هكذا وقفت عليه ثم رأيت بعد ذلك أن المزي رحمه الله لما دفن ممر رجل على قبره وأذابتها ف يقول فذكر البيتين وقال آخر

لله در الثرى كم ضم من كرم * بالشافعي حليف العلم والأثر
يا جواهر الجوهر المكنون من مضر * ومن قرش ومن ساداتها الآخر
لما توليت ولي العلم مكتبا * وضرت موتك أهل البدو والحضر
ولا آخر

أكرم به رجلا ما مثله رجل * مشارك لرسول الله في نسبه
اضحى بمصر دفينا في مقطمها * نعم المقطم والمدفون في تربه

ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة قد صنف الأئمة فيها عدة مصنفات وله في تاريخي الكبير المتقي ترجمة كبيرة ومن أبداع ما حكى من مناقبه أن الوزير نظام الملك أبا علي الحسن بن علي بن اسحاق لما بنى المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة أحب أن ينقل الإمام الشافعي من مقبرته بمصر إلى مدرسته وكتب إلى أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الإمام المستنصر بالله معذبا له في ذلك وجهله هدية جليله فركب أمير الجيوش في موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم وقد اجتمع الناس لرؤيته فلما بنى القبر شق ذلك على الناس ولم أجوا وكثر اللغط وارتفعت الاصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به فسكرتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك فقرأ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العائمة والغوغاء من حوله ووقع الحفر حتى انتهوا إلى اللحد فعند ما أرادوا قطع ما عليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرية أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى فمأفاقوا الأبعد ساعة فاستغفروا عما كان منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا وكان يوم ما من الأيام المذكورة وتراحم الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين يوما طبيا لهما حتى كان من سنة الأزدحام لا يتوصل إليه إلا بعناء ومشقة زائدة وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به بهدية عظيمة مع كتابه إلى نظام الملك فقرأ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك فكان يوما مشهودا ببغداد وكتب نظام الملك إلى عاتمة بلدان المشرق من حدود القرات إلى ما وراء النهر بذلك وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش فقرأت في تلك الممالك بأسرها فزاد قدر الإمام الشافعي عند كافة أهل الأقطار وعاتمة جميع أهل الأمصار بذلك ووردت في كتاب امتاع الاسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والخفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم تطير هذه الواقعة وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل قبر الشافعي يزار ويتركب له إلى أن كان يوم الأحد لسبع خلعت من جمادى الأولى سنة ثمان وستمائة فأتته ببناء هذه القبة التي على ضريحه وقد أنشأها الملك الكامل المنصور أبو المعالي ناصر الدين محمد ظهيرا أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصروفة وأخرج في وقت بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هناك ودفنت في موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبر أمته شمسة وقيل فيها عدة أشعار منها قول الأديب الكاتب صياح الدين أبي الفتح موسى بن ملهم

مررت على قبة الشافعي * فعابن طرقي عليها العشاري
فقلت لصبي لا تعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن ابراهيم النابلسي
لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب
ولولم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب
وقال آخر

أثبت لقبر الشافعي أزوره * تعزضنا فلاك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن جاد البوصيري صاحب البزدة
بقبة قبر الشافعي سفينة * رست في بناء محكم فوق جلود
ومذغاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

ومنها * (قبر الامام الليث بن سعد) * رحمه الله قد اشتهر قبره عند المتأخرين وأول ما عرفت من خبر هذا القبر أنه
وجدت مضطبة في آخر قباب الصدف وكانت قباب الصدف أربع مائة قبة فيما يقال عليها كتوب الامام
الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر كما ذكر في كتاب
هادي الراغبين في زيارة قبور الصالحين لأبي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن علي بن محمد
ابن علي بن طلحة وفي كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان وذكر الشيخ محمد الأزهرى في كتابه في الزيارة
أن أول من بنى عليه وخير كبير التجار أبو زيد المصري بعد سنة أربعين وثمانمائة ولم يزل البناء يتزايد الى
أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته في أيام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن تلاق قبيل سنة
ثمانين وسبع مائة ثم جددت في أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ
سليمان المادح في محرم سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم جددت في سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة على يد
امراء قدمت من دمشق في أيام المؤيد شيخ عرفت بحربا بنت ابراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط
وكان لها معروف وبر توفيت في تاسع عشر ذى القعدة سنة أربعين وثمانمائة ويجمع بهذه القبة
في ليلة كل سبت جماعة من القراء فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يتختموا ختمه كاملة عند
السحر ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس ثم تفاحش الجمع وأقبل النساء والاحداث
والغوغاء فصار أمرهم كرا لا ينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ بل يحدث منهم على القبور ما لا يجوز
ثم زادوا في التعدي حتى حفر واما هنا لك خارج القبة من القبور وبناى اتخذوها من احض وسقايات ماء
ويزعم من لا علم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الامام الشافعي
وليس ذلك بصحيح وانما حدثت بعد السبع مائة من سنى الهجرة بتمام ذكر بعضهم أنه رآه وكانوا اذا ذكروا يجتمعون
للقراءة عند قبر أبي بكر الادفوى

* (ذكر المقابر خارج باب النصر) *

اعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر انما حدثت بعد سنة ثمانين وأربع مائة وأول تربة بنيت هناك
تربة أمير الجيوش بدر الجبال المامات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية قال الشريف أمين الدولة
أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الافطسي وقد مر تربة الافضل

أجرى دما أفضائه * جدت برأس الطابية

صدع الزمان صفاته *

بال وما يليق أيا ديه على الباقي

هكذا باض
في نسخ الأصل

وبخارج باب النصر في أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن الحنفية بن ابراهيم
العامة مشهدة الست زينب ثم تتابع دفن الناس موتاهم في الجهة التي هي اليوم من بحرى مصلى الاموات
الى نحو الزيدانية وكان ما في شرق هذه المقبرة الى الجبل براحا واسعا يعرف بميدان القبق وميدان العيد
والميدان الاسود وهو ما بين قلعة الجبل الى قبة النصر تحت الجبل الاجر فلما كان بعد سنة عشرين

وسبعمائة ترك الملك الناصر محمد بن قلاوون النزول الى هذا الميدان وهجره فأول من ابتدأ فيه بالعمارة الأمير شمس الدين قراستقر فاخطت تربته التي تجاور اليوم تربة الصوفية وبني حوض ماء للسيل وجعل فوقه مسجد وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية أدركته عامرا هو وما فوقه وقد تهدمت وبقيت منه بقية ثم عمر بعده نظام الدين آدم أخو الأمير سيف الدين سلارقباج تربة قراستقر مدفنا وحوض ماء للسيل ومسجد معلقا وتتابع الامراء والاجناد وسكن الحسينية في عمارة التربة هناك حتى انشدت طريق الميدان وعمرها الجوانية أيضا وأخذ صوفية الخاتقاء الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدانين وأداروا عليها سورامن حجر وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم وهي باقية الى يومنا هذا وقد وسعوا فيها بعد سنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراستقر وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الاموات ويرغبون في الدفن بها الى أن تولى مشيخة الخاتقاء الشيخ شمس الدين محمد البلالي فسمح لكل أحد أن يقبر ميتة بها على مال يأخذه منه فقبر بها كثير من أعوان الطلبة ومن لم تشكر طريقته فصارت مجمع نسوان ومجلس لعب وعمر أيضا بجوار تربة الصوفية الأمير مسعود بن خطير تربة وعمل لها منارة من حجارة لا نظير لها في هيتما وهي باقية وعمر أيضا بمجد الدين السلاحي تربة وعمر الأمير سيف الدين كوكاي تربة وعمر الأمير طاجاي الدوادار على رأس الصبق مقابل قبة النصر تربة وعمر الأمير سيف الدين طشمر الساقى على الطريق تربة وبني الامراء الى جانبه عدة ترب وبني الطواشي محسن البهاء تربة عظيمة وبنت خوند طغاي تربة تجاه تربة طشمر الساقى وجعلت لها وقفا وبني الأمير طغاي عمر النجفي الدوادار تربة وجعلها خاتقاء وأنشأ بجوارها حماما وحوانيت وأسكنها للصوفية والقراء وبني الأمير منكلي بغا الفغري تربة والامير طشمر طلبه تربة والامير أرنا تربة وبني كثير من الامراء وغيرهم التربة حتى انصابت العمارة من ميدان القيق الى تربة الروضة خارج باب البرقية ومات الملك الناصر حتى بطل من الميدان السباق بالخليل ومنعت طريقه من كثرة العمائر وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعمائة عدة عواميد من رخام منصوبة يقال لها عواميد السباق فيما بين قبة النصر وقريب من القلعة وأول من عمر في البراح الذي كان فيه عواميد السباق الامير يونس الدوادار في أيام الملك الظاهر تربة الموجودة هناك ثم عمر الأمير حماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة بجانب تربة يونس وأحيط على قطعة كبيرة حائط وقبر فيها من مات من ممالك السلطان وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامي شيخ الخاتقاء الظاهرية والشيخ المعتقد طلحة والشيخ المعتقد أبو بكر البجاعي فلما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع وجعلت خاتقاء وجعل فيها قبة على قبر السلطان وقبور الفقراء المذكورين وتجدد من حينئذ هناك عدة ترب جليلة حتى صار الميدان شوارع وأزقة ونقل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق الجمال وسوق الجير من تحت القلعة الى تجاه التربة التي عمرها على قبر أبيه فاستقر ذلك أياما في سنة أربع عشرة وثمانمائة ثم أعيدت الاسواق الى مكانها وكان قصده أن يبنى هناك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرين ويجعل بجانبه سوقا وبني طاحونا وحماما وفرنا لتعمير تلك الجهة بالناس فبات قبل بناء الخان وخلت الحمام والطاحون والفرن بعد قتله

* (ذكر كنائس اليهود) *

قال الله عز وجل "ولو لدفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ذكر فيها اسم الله كثيرا قال المفسرون الصوامع للصائتين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلمين قاله ابن قتيبة والكنيس كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذي يجتمع فيه للصلاة ولهم بديار مصر عدة كنائس منها كنيسة دموة بالحيزة وكنيسة جوجر من القرى الغربية وبمصر القسطاط كنيسة بخط المصاصة في درب الكرمه وكنيسة بستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بالحدودية وفي حارة زويلة خمس كنائس

* (كنيسة دموة) * هذه الكنيسة اعظم معبد لليهود بأرض مصر فاتهم لا يختلفون في انها الموضع الذي كان يأوى اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة

مقامه بمصر منذ قدم من مدين الى أن خرج بنى اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني على يد طيطس بضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينف على خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة رزخت في غاية الكبر لا يشكون في أنها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه في موضعها فأثبت الله هناك هذه الشجرة وأنها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعد في السماء مع حسن استواء ونحن في استقامة الى أن أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فتقدم بقطعها لينفع بها في العمارة فحضروا الى ما أمروا به من ذلك فأصحت وقد تكوورت وتعققت وصارت شذعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن رزى يهودي يهودية تحتها فتهدت أغصانها وتحتات ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهي باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهلهم اليها في عيد الخاطاب وهو في شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل جهنم الى القدس وقد كان لموسى عليه السلام أبناء قد قصها الله تعالى في القرآن الكريم وفي التوراة وروى أهل الكتاب وعلماء الاخبار من المسلمين كثيراً منها وسأقص عليك في هذا الموضع منها ما فيه كفاية اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب

• (موسى بن عمران) • وفي التوراة عزم بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أمه يوحنا بنت لاوي فهي عمة عمران والد موسى ولد بمصر في اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائة لدخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر وكان بنو اسرائيل منذ مات لاوي بن يعقوب في سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب بمصر في البلا مع القبط وذلك أن يوسف عليه السلام لما مات في سنة ثمانين من قدومه يعقوب بمصر كان الملك اذ ذاك بمصر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم وتسميه القبط دزيعوس فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس فعمله على أذى الناس وخالف ما كان عليه يوسف وساءت سيرة الملك حتى اعتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحي فشق ذلك من فعله على الناس وهو ما يجتمع من الملك فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينه وبين الناس وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وفتق فيهم ما لا حتى سكتوا واتفق أن وجلا من الاسرائيليين ضرب بعض سدنة الهياكل فأدماه وعاب دين الكهنة فغضب القبط وسألوا الوزير أن يخرج بنى اسرائيل من مصر فأبى وكان دارم الملك قد خرج الى الصعيد فبعث اليه يخبره بأمر الاسرائيليين وما كان من القبط في طلبهم اخراج بنى اسرائيل من مصر فأرسل اليه أن لا يحدث في القوم حد نادون ووافاته فغضب القبط وأجمعوا على خلع الملك وإقامة غيره فسار اليهم الملك وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير فظفر في الملك وصاب من خلفه بحماقي النيل طوائف لا تحصى وعاد الى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء وأخذ الاموال واستخدام الاشرف والوجوه من القبط ومن بنى اسرائيل فأجمع الكل على ذمته واتفق انه ركب في النيل فهاجت به الريح وأغرقه الله ومن معه ولم يوجد جثته الا عند شطونف فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاد يوش وكان صبيبا ويسميه بعضهم معدان فاستقام الامر له وردت النساء الا في اغتصبهن أبوه وهو خامس الفراعنة فكثرت بنو اسرائيل في زمنه ولهجوا بطلب الاصنام وذمتها وهلك بلاطس الوزير وقام من بعده في الوزارة كما هن يقال له املاده فأمر بأفراد بنى اسرائيل ناحية في البلاد بحيث لا يختلط بهم غيرهم فأقطعوا مواضع في قبلي مدينة منف صاروا اليه وبنوا فيه معبدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام فخطب رجل من القبط بعض نسايم فأبوا أن ينكحوه وقد كان هو بها فأكبر القبط فلبهم وصاروا الى الوزير وشكوا من بنى اسرائيل وقالوا هؤلاء قوم يسيئوننا ويرغبون عن مناكحتنا ولا نحب أن يجاورونا لما يدنو ايدنا فقال لهم الوزير قد علمت اكرام طوطيس الملك بلجدهم ونهراوش من بعده وقد علمت بركة يوسف حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جأبا بمصر بمكانه وأمرهم بالكف عن بنى اسرائيل فأهسكوا الى أن احتجب معدان وقام من بعده في الملك ابنه كاسم الذي يسميه بعضهم كاسم ابن معدان بن الريان بن الوابد بن دموع العمليتي وهو السادس من فراعنة مصر وكان أولهم يقال له فرعان فصار ذلك اسم الكل من تخير وعلا أمره وطالت أيام كاسم ومات وزير أبيه فأقام من بعده رجلا من بيت المملكة

يقال له ظلم بن قورس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيمادها متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك ويقال انه من ولد أشمون الملك وقيل من ولدها فأحبه الناس وعمر الخراب وبني مدنا من الجائين ورأى في نجومه انه سيكون حدث وشدة وشكا القبط اليه من الاسرا يلبين فقال هم عبيدكم فكان القبطي اذا أراد حاجة سخر الاسرا يلبى وضربه فلا يغير عليه أحد ولا ينكر عليه ذلك فان ضرب الاسرا يلبى أحد من القبط قتل البنت وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرا يلبات فكانت أول شدة وذلل أصاب بنى اسرائيل وكثر ظلمهم وأذا هم من القبط واستبد الوزير ظلما بأمر البلد كما كان العزيز مع نهر اوش وتوفى اكسامس الملك فاتهم ظلمان بأنه سمه فركب في سلاحه وأقام لا طم الملك مكان أبيه وكان ابنه جريا مجببا فصرف ظلم ابن قورس عما كان عليه من خلاقته واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولدها وأنفذ ظلمه عاما على الصعيد وسير معه جماعة من الاسرا يلبين وزاد تجبره وعتوه وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم في مجلسه ومذبه الى الاموال ومنع الناس من فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت واكثر من التساء وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه واستعبد بنى اسرائيل فأبغضه الخاص والعام وكان ظلمه الما صرف عن الوزارة وخرج الى الصعيد أراد ازالة الملك والخروج عن طاعته فبقي المال وامتنع من حمله وأخذ المعادن لنفسه وهم أن يقيم ملكا من وادق طرين ويدعو الناس الى طاعته ثم انصرف عن ذلك ودعا لنفسه وكاتب الوجوه والاعيان فافتقر الناس وتناول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك وطمع فيه ويقال ان روحانيا ظهر لظلم وقال له ان أطلعني قلدك مصر زمانا طويلا فأجابه وقرب اليه اشياء منها غلام من بنى اسرائيل فصار عون له وبلغ الملك خبر خروج ظلم عن طاعته فوجه اليه قائدا قلدك مكانه وأمره أن يقبض على ظلم ويبعث به اليه موثقا فصار اليه وخرج ظلم للقاءه وحاربه فظفريه واستولى على مامعه فجهز اليه الملك قائدا آخر فجهز به وسار في اثره وقد كثف جمعه فبرز اليه الملك واحترق فكانت لظلم على الملك فقتله واستولى على مدينة منف ونزل قصر المملكة وهذا هو فرعون موسى عليه السلام وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب وقيل هو من العمالة وهو سابع الفراعنة ويقال انه كان قصيرا طويلا الحية اشبل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أعرج وقيل انه كان يكنى بأبي مرة وان اسمه الوليد بن مصعب وانه أول من خضب بالسواد لما شاب له عليه ابليس وقيل انه كان من القبط وقيل انه دخل منف على أن يحمل النطرون لبيعه وكان الناس قد اضطربوا في تولية الملك فكتبوه ورضوا بتولية من يوليه عليهم وذلك انهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من يظهر عليهم ليحكموه فكان هو أول من أقبل بحماره فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم وانكر قورم بهذا وقالوا كان القوم لدهي من أن يلدوا ملوكهم من هذه سيده فلما جلس في الملك اختطف الناس عليه فبذل لهم الاموال وقيل من خالفه عن أطاعه حتى اعتدل أمره ورتب المراتب وشيد الاعمال وبني المدن وخندق الخنادق وبني بناحية العريش حصنوا كذلك على جميع حدود مصر واستخلف هامان وكان يقرب منه في نفسه وأثار الكنوز وصرفها في بناء الدائن والعمارات وحضر خليج سر دوس وغيره وبلغ الخراج بمصر في رخصه سبعة وتسعين ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل و فرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس وكان ممن صحبه من بنى اسرائيل رجل يقال له امرى وهو الذي يقال له بالعبرانية عيرام وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوى وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا قصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلقه بالليل وكان فرعون قد رأى في كهنته ونجومه انه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرا يلبين فمعه من المناحة ثلاث سنين التي رأى أن ذلك المولود يولد فيها فأتت امرأة امرى اليه في بعض الليالي بشئ قد أصلحته له فواقعها فاشتعلت منه على هارون وولده ثلاث وسبعين من عمره في سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر ثم أتته مرة أخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره ورأى فرعون في نجومه انه قد حمل بذلك المولود فأمر بدمج الذكران من بنى اسرائيل وتقدم الى القوا بل بذلك فولد موسى عليه السلام في سنة ثلاثين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر وفي سنة اربع وعشرين وأربع مائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام واطنى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان من أمره ما قصه الله سبحانه من قذف أمته له في التابوت فألقاه النيل الى تحت قصر الملك وقد أرصدت أمته أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة

فرعون الى البحر مع جوارها فرائه واستخرجته من التابوت فرجته وقالت هذا من العبرانيين من لنا بظن ترضعه
فقلت لها أخته أنا أتبعها وجاءت بأمه فاسترضعتها ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون
وسمته موسى وتبنته ونشأ عند ها وقيل بل أخذته امرأه فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله الى
أن كبر وعظم شأنه فرد اليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو اليونانيين
وقد عاؤا في أطراف مصر فخرج في جيش كثيف وأوقع بهم فأظفروا الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غائما
فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وأمر أنه واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون فأراد فرعون أن
يستخلفه حتى قتل رجلا من أشرف القبط له قرابة من فرعون فطلبه وذلك أنه خرج يوما يمشي في الناس وله صولة
بما كان له في بيت فرعون من المرقى والرضاع فرأى عبرانيا يضرب فقتل المصري الذي ضرب به ودفعه
وخرج يوما آخر فاذا برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا
أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس ونما الخبر الى فرعون فطلبه وألقى الله في نفسه الخوف لما يريد من
كرامته فخرج من منف وخلق عدين عند عقبة ايلة ونومدين أمة عظيمة من بني ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين
هنا وكان فراره وله من العمر أربعون سنة فقتل عند بيرون وهو شعيب عليه السلام من ولدمدين بن ابراهيم
وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان فأقام هناك تسعا وثلاثين سنة تكبح فيها صغورا ابنة شعيب وبنوا
اسرائيل مع فرعون وأهل مصر كما قال الله تعالى يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم فلما مضى من سنة
الثمانين لموسى شهر وأسبوع كله الله جل اسمه وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان وأمره أن
يذهب الى فرعون وشدة عضده بأخيه هارون وأيده بآيات منها قلب العصا حية وبياض يده من غير سوء وغير ذلك
من الآيات العشر التي أحلها الله لفرعون وقومه وكان محي الوحي من الله تعالى اليه وهو ابن ثمانين سنة ثم قدم
مصر في شهر أيار ولقي أخاه هارون فسربه وأطعمه جلبا نقيه ثريد وتنبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة
وغدا به الى فرعون وقد أوحى اليهما أن يأتيا الى فرعون ليعث معهما بنى اسرائيل فيستنفذهم من هذه مكة
القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التي وعدهم الله بملكها على اسان ابراهيم واسحاق
ويعقوب فأبلغ ذلك بنى اسرائيل عن الله فآمنوا بموسى واتبعوه ثم حضرا الى فرعون فأقاما يساه أياما على
كل منهما جنة صوف ومع موسى عصاه وهما الايصال الى فرعون لشدة حجابيه حتى دخل عليه مضطج كان
يلهو به فعرفه أن بالسباب رجلين يطلبان الاذن عليك بزعمان أن الهما قد أرسلهما اليك فأمر بادخالهما
فلما دخل عليه خاطبه موسى بما قصه الله في كتابه وأراه آية العصا وآيته في بياض اليد فغاض فرعون ما قاله
موسى وهم يقتله فدفعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد اقبلت وصححت على أعينهم فعموا ثم انه لما فتح عن عينيه
أمر قوما آخرين بقتل موسى فأتتهم نار آخرتهم فازداد غيظه وقال لموسى من اين لك هذه النواميس الغظام
اسخرة بلدى علوك هذا أم نعلته بعد خروجه من عندنا فقال هذا ناموس السماء وليس من نواميس الارض
قال فرعون ومن صاحبه قال صاحب البنية العليا قال بل تعلمت من بلدى وأمر بجمع السخرة والكنهنة
وأصحاب النواميس وقال اعرضوا على أرفع أعمالكم فاني أرى نواميس هذا الساحر ربيعة جدا فعرضوا
عليه أعمالهم فسره ذلك وأحضر موسى وقال له لقد وقفت على سحره وعندي من يفوق عليك فواعدهم يوم
الزينة وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته وكاؤا ما تاتي
ألف وأربعين ألفا يعملون من الاعمال ما يحير العقول ويأخذ القلوب من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوقة
مشوهة منها الطويل والعريض والمقلوب جهته الى أسفل ولحيته الى فوق ومنها ماله قرون ومنها ماله خرطوم
وأنياب ظاهرة كآنياب الفيلة ومنها ما هو عظيم في قدر الترس الكبير ومنها ماله آذان عظام وشبه وجوه
القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مراكبة على حيات عظيمة تطير في الهواء ويرجع بعضها على بعض
فيبتلعها وحيات يخرج من أفواهها نار تتشر في الناس وحيات تطير وترجع في الهواء وتحد على كل من
حضر لتبتلعها فيتهارب الناس منها وعصى تتخلق في الهواء قصير حيات برؤس وشعور وأذنان تهم بالناس أن
تتهشمهم ومنها ماله قوائم ومنها تماثيل دهولة وعلوالة دخان تعشى أبصار الناس عن النظر فلا يرى بعضهم بعضا
ودخان تظهر ضورا كهية الثيران في الجوع على ذواب يصد من بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج وضورا خضرا على

دواب خضر وصور اسودا على دواب سود هائلة فلما رأى فرعون ذلك شره ما رأى هو ومن حضره واغتم موسى ومن آمن به حتى أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألقى ما في عينك تلقف ما صنعوا وكان للحررة ثلاثة رؤساء ويقال بل كانوا سبعين رئيسا فأمر اليهم موسى قدرأيت ما صنعتم فان قهرتكم أنؤمنون بالله فقالوا نفعل ففعاظفرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويزنون بهما وعلماهما دراعنان من صوف وقد احتزما بليف فلقح موسى بعصاه حتى غابت عن الاعين وأقبلت في هيئة تنين عظيم له مینان يتوقدان والنار تخرج من فيه ومخزبه فلا يقع على أحد الا برص ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت وصار التنين فاغرافاه فالتقط جميع ما علمته السحرة وماتت مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وساير من فيها من الملاحين وكانت في النهر الذي يتصل بدار فرعون وابتلع عددا كثيرة وحجارة قد كانت حملت الى هناك ليليني بها ومزالتين الى قصر فرعون ليتعلمه وكان فرعون جالسا في قبة على جانب القصر يشرف على عمل السحرة فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر الى أعلاه ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع من القصر فصاح فرعون مستغنيا بموسى عليه السلام فزجر موسى التنين فانهطف ليلتلع الناس ففروا كلهم من بين يديه وانساب يريد هدم فأمسكه موسى وعاد في يده عصا كما كان ولم ير الناس من تلك المركب وما كان فيها من الحبال والعصى والناس ولا من العمدة والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه اثرا فعند ذلك قالت السحرة ما هذا من عمل الآدميين وانما هو من فعل جبار قد ير على الاشياء فقال لهم موسى أو فوا بعهدكم والاسلمته عليكم يتلعمكم كما ابتلع غيركم فآمنوا بموسى وجا هروا فرعون وقالوا هذا من فعل اله السماء وليس هذا من فعل أهل الارض فقال قد عرفت انكم قد واطأتموه على وعلى ملكي حسدا منكمل وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا وجاهرته امرأته والمؤمن الذي كان يكم ايمانه وانصرف موسى فأقام بمصر يدع فرعون أحد عشر شهرا من شهر ايار الى شهر نيسان المستقبل وفرعون لا يحببه بل اشتد جوره على بني اسرائيل واستعبادهم واتخاذهم خزي في مهنة الاعمال فأصاب فرعون وقومه الجوائح العشرة واحدة بعد أخرى وهو يثبت لهم عند وقوعها ويفزع الى موسى في الدعاء باخلطها ثم يبلغ عند انكشافها فانها كانت عذابا من الله عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه فنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر أهل مصر عطشا وكثرت عليهم الضفادع حتى وخت جميع مواضعهم وقدرت عليهم عيشهم وجميع ما كلهم وكثر البعوض حتى خبس الهواء ومنع التسيب وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونقص عليهم حياتهم وماتت دوابهم وأغناهم هم فجأة وعم الناس الجرب والجدرى حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجحذى ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات وذهب بجميع الثمار وكثر الجراد والجنادب التي أكلت الاشجار واستقضت أصول النبات وأظلت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كانت من غلظتها تحبس بالاجسام وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لاحد منهم ولد بكر الا جفع به في تلك الليلة ليكون لهم في ذلك شغل عن بني اسرائيل وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة احدى وثمانين لموسى فعند ذلك سارع فرعون الى ترك بني اسرائيل فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو اسرائيل من عين شمس وفي التوراة انهم أهرأوا عند خروجه أن يذبح أهل كل بيت حلا من الغنم ان كان كذايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان أكثر وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة وأن يأكلوا شواء رؤسهم وأطرافه ومعاها ولا يكسروا منه عظما ولا يدعوا منه شيأ خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا بسرعة وأواسطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصمهم في أيديهم ويخرجوا ليلا وما فضل من عشايتهم ذلك أحرقة بالنار وشرع هذا عيد الههم ولا عقابهم ويسمى هذا عيد الفصح وفيها انهم أمرأوا أن يستعبروا منهم حليا كثيرا يخرجون به فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بماعهم من الدواب والانعام وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى من المدفن الذي كان فيه بالهام من الله تعالى وكانت عدتهم ستائة ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء وشغل القبط عنهم بالمأتم التي كانوا فيها على موتاهم فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتى وافوا الى فوهة الجبوت وتسمى نار موسى وهو ساحل البحر يجانب الطور فاتهى خبرهم الى فرعون في يومين ليلة فندم بعد خروجه وجمع قومه وخرج في ككرة كفاك

عن مقداره اقول الله عز وجل اخبارا عن فرعون انه قال عن بني اسرائيل وعدتهم ما قد ذكر على ما جاء في التوراة ان هؤلاء لشردمة قليلون وانهم لنا لغائظون ولحق بهم في اليوم الحادى والعشرين من نيسان فأقام العسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر وفي صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويقطعه ففلق الله لبني اسرائيل البحر اثني عشر طريقا عبر كل سبط من طريق وصارت المياه قائمة عن جانبهم كما مثال الجبال وصير قاع البحر طريقا صافيا كالوادي ومن معه وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو اسرائيل الى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقهم الله جميعا ونجا موسى وقومه ونزل بنو اسرائيل جميعا في الطور وسجدوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر في التوراة وكانت مريم أخت موسى وهارون تأخذ الدف بيديها ونساء بني اسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول وهي ترتل التسيب لهم ثم ساروا في البر ثلاثة أيام وأقمرت مصر من أهلها ومريم موسى بقومه فتفي زاده في اليوم الخامس من ايار فنجوا الى موسى فدعا ربه فنزل لهم المن من السماء فلما كان اليوم الثالث والعشرون من ايار عطشوا ونجوا الى موسى فدعا ربه فنجله عينان من الحزرة ولم يزل يسير بهم حتى وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر فأمر الله موسى بتطهير قومه واستعدادهم لسماع كلام الله سبحانه فطهرهم ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الثالث وهو السادس من الشهر رفع الله الطور وأسكنه نوره وظلل حواياه بالغيام وأظهر في الافاق العود والبرق والصواعق وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات وهي انا الله ربكم واحد لا يكن لكم معبود من دوني لا تحلف باسم ربك كذبا اذ كبر يوم السبت واحفظه بر والديك وأكرمهما لا تثقل النفس لاتزن لا تسرق لا تشهد بشهادة زور لا تحسد أخاك فيما رزقه فصاح القوم وارتعدوا وقالوا لموسى لاطاقة لنا باسماع هذا الصوت العظيم كن السفير بيننا وبين ربنا وجميع ما يأمرنا به سمعنا وأطعنا فأمرهم بالانصراف وصعد موسى الى الجبل في اليوم الثاني عشر فأقام فيه أربعين يوما ودفع الله اليه اللوحين الجوهري المكتوب عليهما العشر كلمات ونزل في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز فرأى العجل فأرتفع الكتاب وثقل على يديه فألقاهما وكسرهما ثم برد العجل وذراه على الماء وقتل من القوم من استحق القتل وصعد الى الجبل في اليوم الثالث والعشرين من تموز ليشفع في الباقي من القوم ونزل في اليوم الثاني من ايلول بعد الوعد من الله بتعويضه لوحين آخرين مكتوب عليهما ما كان في اللوحين الاولين فصعد الى الجبل وأقام أربعين ليلة أخرى وذلك من ثالث ايلول الى اليوم الثاني عشر من تشرين ثم أمره الله باصلاح القبة وكان طولها ثلاثين ذراعا في عرض عشرة أذرع وارتفاع عشرة أذرع ولها سرادق مضروب حوايلها مائة ذراع في خمسين ذراعا وارتفاع خمسة أذرع فأخذ القوم في اصلاحها وما تزين به من الستور من الذهب والفضة والجواهر ستة أشهر الشتاء كله ولم يفرغ منها نصبت في اليوم الاول من نيسان في أول السنة الثانية ويقال ان موسى عليه السلام حارب هناك العرب مثل طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتى أقامهم جميعا وانه وصل الى جبل فاران وهو مكة فلم ينج منهم الا من اعتصم بملك اليمن أو اتى الى بني اسماعيل عليه السلام وفي ثلثي الشهر الباقي من هذه السنة طعن القوم في بزية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة وجملة شرائعها ستمائة وثلاث عشرة شريعة وفي آخر الشهر الثالث حترمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة لقواهم بخفاف أهلها لانهم جبارون فأقاموا تسع عشرة سنة في رقيم وتسع عشرة سنة في أحد وأربعين موضعا مشروحة في التوراة وفي اليوم السابع من شهر ايلول من السنة الثانية خسف الله بقارون وبأولائه بدعاء موسى عليه السلام عليهم لما كذبوا وفي شهر نيسان من السنة الاربعين توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ولها مائة وست وعشرون سنة * وفي شهر آب منها مات هارون عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ثم كان حرب الكنعانيين وسيحون والعوج صاحب البثنية من أرض حوران في الشهر الثاني بعد ذلك الى شهر شباط فلما أهل شباط أخذ موسى في إعادة التوراة على القوم وأمرهم بكتب نسختها وقرائها وحفظها شاهدوه من آثاره وما أخذوه عنه من الفقه وكان نهاية ذلك في اليوم السادس من آذار وقال لهم في اليوم السابع منه اني في يومى هذا استوفيت عشرين ومائة سنة وان الله قد عزفني انه يقبضني فيه وقد أمرني أن استخلف عليكم يوشع بن نون ومنعه السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا الوقت ومعهم العازر بن هارون

أخي فاطموا وأطيعوا وأنا أشهد عليكم الله الذي لا اله الا هو والارض والسموات أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا تبدلوا شرائع التوراة بغيرها ثم فارقههم وصعد الجبل فقبضه الله تعالى هناك وأخفاه ولم يعلم أحد منهم قبره ولا شاهداه وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وستمائة وست وعشرون سنة وذلك في أيام منو جهر ملك القرس وزعم قوم أن موسى كان ألغى عنهم من جعل ذلك خلقه ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يعرف الجرم من القتل فإدعاه فرعون بهما جميعا تناول جرة فأهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وذ كرمحمد بن عمر الوائدي أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ولا يدل القرآن على شيء من ذلك فليس في قوله تعالى وحل عقدة من لسانى دليل على شيء من ذلك دون شيء فأقاموا بعده ثلاثين يوما يـكـون عليه الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون بترجيلهم فسادهم وعبر بهم الاردن في اليوم العاشر من نيسان فوافوا أريحا فكان منهم ما هومذ كور في مواضعه فهذه جملة خبر موسى عليه السلام

(كنيسة جورج) هذه الكنيسة من أجل كائنات اليهود ويزعمون أنها منسوبة لنبي الله الياس عليه السلام وأنه ولدها وكان يتعاهد لها في طول اقامته بالارض الى أن رفعه الله اليه *(الياس)* هو فيخاس بن العازر بن هارون عليه السلام ويقال الياس بن ياسين عيزار بن هارون ويقال هو الياس هو هي عبرانية معناها قادر أزلي وعزب فيقيل الياس ويذكر أهل العلم من بني اسرائيل أنه ولد بمصر وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين وأنه هو الخضر الذي وعده الله بالحياة وأنه لما خرج بلعام بن باعورا ليدعو على موسى صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه وكان من زنا بني اسرائيل بنساء الامورانيين وأهل مواب ما كان فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرون ألفا الى أن هجم فيخاس هذا على شبا فيه رجل على امرأة يري بها فتنظمها جميعا برحمه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله فرجهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء وكانت له أيضا آثار مع نبي الله يوشع بن نون ولما مات يوشع قام من بعده فيخاس هذا هو وكالاب بن يوفنا فصار فيخاس اما ما وكالاب يحكم بينهم وكانت الاحداث في بني اسرائيل فساح الياس ولبس المسوح ولزم القفار وقد وعده الله عز وجل في التوراة بدوام السلامة فأول ذلك بعضهم بأنه لا يموت فامتد عمره الى أن ملك يهوذا فاطم بن أسا بن افيان رحيم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا في بيت المقدس وملك أحوث بن عمري على الاسباط من بني اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم بيبلس وساءت سيرة أحوث حتى زادت في القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بني اسرائيل وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمسكر بحيث اربى في الشر على أبيه وعلى سائر من تقدمه وكانت له امرأة يقال لها سبيل ابنة أشاعل ملك صيدا أكفر منه بالله وأشد عتوا واستكبارا فعبدوا بن بل الذي قال الله فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين وأقاماله مذبحا بمدينة شمرون فارسل الله عز وجل الى أحوث عبده الياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بل ويأمره بعبادة الله تعالى وحده وذلك قول الله عز وجل من قائل وان الياس ابن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه ولما أيس من ايمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن أقسم في مخاطبته أحوث أن لا يكون مطر ولا ندائم تركه فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الاردن فحكت هناك مختفيا وقد منع الله قطر السماء حتى هلكت البهائم وغيرها فلم يزل الياس مقبيا في استناره الى أن جف ما كان عنده من الماء وفي طول اقامته كان الله جل جلاله يبعث اليه بغربان يحمل له الخبز واللحم فلما جف ماؤه الذي كان يشرب منه لا متناع المطر أمره الله أن يسير الى بعض مدائن صيدا فخرج حتى وافى باب المدينة فاذا امرأة تحتطب فسألها ماء يشربه وخبزا ياكله فأقسمت له ان ما عندها الا مثل غرفة دقيق في اناء وشي من زيت في جرة وأنها تجمع الخطب لتقنات منه هي وابنها فبشرها الياس عليه السلام وقال لها لا تجزعي وافعلي ماقلت لك واعلمي لي خبزا قليلا قبل أن نعمل لنفسك ولولدك فان الدقيق لا يجز من الاناء ولا الزيت من البصرة حتى ينزل المطر ففعلت ما أمرها به وأقام عندها فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك الى أن مات وادها وجرعت عليه فسأل الياس ربه تعالى فأجبي الولد وأمره الله أن يسير الى أحوث ملك بني اسرائيل لينزل المطر عند اخباره بذلك فسار اليه وقال له اجتمع بني

اسرائيل وأبناء يعال فلما اجتمعوا قال لهم الياس الى متى هذا الضلال ان كان الرب الله فاعبدوه وان كان يعال هو الله فارجعوا بنا اليه وقال ليقترب كل منا قربانا فاقرب أنا لله وقربوا أنتم ليعال فقبل منه قربانه ونزلت نار من السماء فأكلته فآله الذي يعبد فلما رضى بذلك أحضروا ثورين واختاروا أحدهما وذبحوه وصاروا ينادون عليه يا يعال يا يعال والياس يسخر بهم ويقول لورفعتم أصواتكم قليلا ففعل الهكم نائم أو مشغول وهم يصرخون ويحرقون أيديهم بالسكاكين ودماهم تسيل فلما يسوا من أن تنزل النار وتاكل قربانهم دعا الياس القوم الى نفسه وأقام مذبحا وذبح ثورة وجعله على المذبح وصب الماء فوقه ثلاث مرات وجعل حول المذبح خندقا محفورا فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتى امتلأ الخندق من الماء وقام يدعو الله عزاسمه وقال في دعائه اللهم أظهر لهذه الجماعة انك الرب وانى عبدك عامل بامر لك فانزل الله سبحانه ناراً من السماء اكلت القربان ومجارة المذبح التي كان فوقها اللحم وجميع الماء الذي صب حوله فسجد القوم أجمعون وقالوا نشهد أن الرب الله فقال الياس خذوا أبناء يعال فأخذوا وحبسهم فذبحهم كاهنهم ذبحا وقال لا حطب انزل وكل واشرب فان المطر نازل فزل المطر على ما قال وكان الجهد قد اشتد لا تقطاع المطر مدة ثلاث سنين وأشهر وغزرا المطر حتى لم يستطع احوب أن ينصرف لكثرة فغضبت سببها لامرأة احوب لقتل ابناء يعال وحلفت بالله انها لتجعل روح الياس عوضهم ففزع الياس وخرج الى القفار وقد اغتم غما شديدا فأرسل الله اليه ملكا معه خبز ولحم وماء فأكل وشرب وقواه الله حتى مكث بعد هذه الاكلة أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ثم جاءه الوحي بأن يمضي الى دمشق فسار اليها وصحب اليسع بن شاباب ويقال ابن حظور فصار تلميذه فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على الاردن فترعردهاءه ولفه وضرب به ماء الاردن فاقترب الماء عن جانبه وصار طريقا فقال اليسع حينئذ اليسع أسأل ما شئت قبل أن يحال بيني وبينك فقال اليسع أسأل أن يكون روحك في مضاعف فقال لقد سألت جسيما ولكن ان أبصرتني اذ رفعت عنك يكون ما سألت وان لم تبصرني لم يكن وبينما هما يتحدثان اذ ظهر لهما كالنار ففرق بينهما ورفع الياس الى السماء واليسع ينظره فانصرف وقام في النبوة مقام الياس وكان رفع الياس في زمن يهورام بن يوشافاط وبين وفاة موسى عليه السلام وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون سنة ومدة نبوة موسى عليه السلام أربعون سنة فعلى هذا يكون مدة عمر الياس من حين ولد بمصر الى أن رفع بالاردن الى السماء ستمائة سنة وبضع سنين والذي عليه علماء أهل الكتاب وجاعة من علماء المسلمين أن الياس حتى لم يمت الا انهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه هو فيخماس كما تقدم ذكره ومنع هذا جماعة وقالوا هما اثنان والله أعلم

* (كنيسة المصاصة) * هذه الكنيسة يجلبها اليه ودهى بخط المصاصة من مدينة مصر ويرعون أنها رمت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وموضعها يعرف بدرب الكرمه وبنيت في سنة خمس عشرة وثلاثمائة للاسكندر وذلك قبل الملة الاسلامية بنحو ستمائة واحد وعشرين سنة ويرى اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلس النبي الله الياس

* (كنيسة الشاميين) * هذه الكنيسة بخط قصر الشمع من مدينة مصر وهي قديمة مكتوب على بابها بالخط العبراني حفر في الخشب انها بنيت في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة للاسكندر وذلك قبل خراب بيت المقدس الحراب الثاني الذي خربه طيطش بنحو خمس وأربعين سنة وقبل الهجرة بنحو ستمائة سنة وهذه الكنيسة نسخة من التوراة لا يختلفون في أنها كلها بخط عزرا النبي الذي يقال له بالعربية العزيز

* (كنيسة العراقيين) * هذه الكنيسة أيضا بخط قصر الشمع
* (كنيسة بالجودرية) * هذه الكنيسة بمجارة الجودرية من القاهرة وهي خراب منذ أحرقت الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود كما تقدم ذكر ذلك في الحارات فانظره

* (كنيسة القرائين) * هذه الكنيسة كان يسلك اليها من تجاه باب ستر المارستان المنصوري في حدة ينتهي اليها بمجارة زويلة وقد سدت الخوخة التي كانت هناك فصار لا يتوصل اليها الا من حارة زويلة وهي كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين

* (كنيسة دار الحدة) * هذه الكنيسة بمجارة زويلة في درب يعرف الآن بدرب الرايض وهي من كنائس

* (كنيسة الرابانيين) * هذه الكنيسة بجحارة زويلة بدرب يعرف الآن بدرب البنادين يسلك منه الى تجباه السبع قاعات والى سويقة المسعودى وغيرها وهى كنيسة تختص بالرابانيين من اليهود
 * (كنيسة ابن شنيخ) * هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة وهى مما يختص به طائفة القرائين
 * (كنيسة السمرة) * هذه الكنيسة بجحارة زويلة فى خط درب ابن الكوراني تختص بالسمرة وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة فى الاسلام بخلاف

* (ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم) *

قد كانت اليهود أولًا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر بن فيلبس وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وأيام السنة ثمانمائة وأربعة وخسون يوما * فأما الشهور فأنها تسمى مرحشوان كسلو طييث شط آذر نيس ايار سيوان تموز آب ايلول * وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شأوا واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الى التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية وانتمروا بما أمروا به كما وصف فى السفر الثانى من التوراة اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيس والقمر تمام الضوء والزمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال فى السفر الثانى من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلافكم الى الدهر فى أربعة عشر من الشهر الاول وليس معنى الشهر الاول هذا شهر تسمى ولكنه عني به شهر نيس من أجل أنهم امروا أن يكون شهر التاسع رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذى خرجتم فيه من التعبد فلانكم لو اخبروا فى هذا اليوم فى الشهر الذى ينصرف فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيس فى أو ان الربيع حين تورق الاشجار وتزهو النمار والى استعمال سنة القمر ليكون حرمه فيه بدر تمام الضوء فى برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التى يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا استوفيت أيام شهر واحد فألحقوها بشهرات اسموها آذار الاول وسعوا آذار الاصل آذار الثانى لانه ردف سمياله وتلاه وسعوا السنة الكيسية عبورا لاشقاقهم من معيار وهى المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد فى السنة بحمل المرأة ما ليس من جلتها ولهم فى استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة فى الازياج * وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين * احدهما الرابانية واستعملهاهم اياها على وجه الحساب بحسب الشمس والقمر الوسط سواء رؤى الهلال أولم يرفان الشهر عندهم هو مئة ومفروضة تضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر فى كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عودهم من الجالية يابل الى بيت المقدس يصبون على رؤس الجبال دباب ويقومون رقباء للقصص عن الهلال والزمهم بايقاد النار وتذخين دخان يـكون علامة لحصول الرؤية وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم والواين ذلك شهرا اتفق فى أوائلها أن السماء كانت متغمة حتى فطن لذلك من فى بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فغيروا أن السامرة فتنتهم فالتجأوا الى أصحاب التعاليم فى ذلك الزمان ليأمنوا بما يتقونه من حسابهم مكاييد الاعداء واعتلوا الجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكرها فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلوهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال وانكروا بعض الرابانية حديث الرقباء ورفعهم الدخان وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا اذا تفرقوا فى الاقطار وعولوا على الرؤية أن يختلف عليهم فى البلدان المختلفة فيتشاجروا فلذلك استخراج جوا هذه الحسابات واعتنى بها البعازر بن فروح وأمرهم بالترامها والرجوع اليها حيث كانوا * والفرقة الثانية هم الميلادية الذين يعلون مبادئ الشهور من الاجتماع ويسمون القراء والامعية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزلوا على ذلك الى أن قدم عاتان رأس الجالوت من بلاد المشرق فى نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الالهة على مثل ما شرع فى الاسلام ولم يزل

أى يوم وقع من الأسبوع وترتج حساب الربانيين وكبس الشهور بأن نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحي العراق
والشام فيما بين أول شهر نيسان الى أن يمضى منه أربعة عشر يوماً فان وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد تركت
السنة بسيطة وان وجد هالم تصلح لذلك ~~كسبها~~ حيثئذ وتقدمت المعرفة به زمان الحيلة أن من أخذ برأيه يخرج
اسبعة تبقى من شفق فينظر بالشام والبقاع المشابهة في المزاج الى زرع الشعير فان وجد السقا وهو شوك
السنبيل قد طلع عدمنه الى القاصح خسين يوماً وان لم يره طالعا كبسها بشهر فبعضهم يردف الكبس بشفق فيكون
في السنة شفق وشفق مرتين وبعضهم يردف بأذرفيكون آذر وأذرفي السنة مرتين وأكثر استعمال العنانية
لشفق دون آذركما أن الربانية تستعمل آذردون غيره فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول ان شهر
تشرى لا يكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدته عندهم ثلاثون يوماً أبداً وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة
بعق الارقاء وهذا العيد في أول يوم منه ولهم أيضاً في اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند
الربانيين أن هذا الصوم لا يكون أبداً يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتمد في الشهور الرؤية أن ابتداء
هذا الصوم من غروب الشمس في ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادى عشر وذلك أربع وعشرون ساعة
والربانيون يجعلون مدة الصوم خمساً وعشرين ساعة الى أن تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قبل
شرعواهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصات وظلم الرجل أخاه وبجحد الربوبية وفيه
أيضاً عيد المظلة وهو سبعة أيام بعيدون في أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام
المظلة الى آخر اليوم الثاني والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون
في هذه الايام السبعة التي أولها خامس عشر تشرى تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها
من الاشجار التي لا يتناثر ورقها على الارض ويرون أن ذلك تذكار منهم لظلال الله آباءهم في التيه بالغمام وفيه
أيضاً عيد القرائين خاصة صوم في اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين يكون هذا
الصوم في ثلثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوماً وربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد * وكسليو
ربما كان ثلاثين يوماً وربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد إلا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة
الخامس والعشرين منه وهو مدة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر يحدث عندهم * وذلك أن بعض الجبارة تغلب
على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بني اسرائيل واقتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله
أصغرهم وطلب اليهود زينا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسرا وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج في كل ليلة
الى ثمان ليال فاحتذوا هذه الايام عيداً وسموها أيام الحنكة وهي كلمة مأخوذة من التنظيف لانهم تطفؤوا فيها
الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقزاة لا يعملون ذلك لانهم لا يعولون على شئ من أمر البيت الثاني * وشهر
طابيث عدد أيامه تسعة وعشرون يوماً وفي عاشره صوم سيبه أنه في ذلك اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر
لمدينة بيت المقدس ومحاصرة طبطش لها أيضاً في الخراب الثاني * وشفق أيامه أبداً ثلاثون يوماً وليس فيه عيد *
وشهر آذر عند الربانيين كما تقدم يكون مرتين في كل سنة فأذر الأول عدد أيامه ثلاثون يوماً ان كانت السنة
كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوماً وليس فيه عيد عندهم وأذر الثاني أيامه تسعة وعشرون
يوماً أبداً وفيه عند الربانيين صوم الفوز في اليوم الثالث عشر منه والفوز في اليوم الرابع عشر واليوم الخامس
عشر وأما القزاة فليس عندهم في السنة شهر آذرسوى مرة واحدة ويجعلون يوم الفوز في ثالث عشره وبعده
الى الخامس عشر وهذا أيضاً يحدث وذلك أن بخت نصر لما أجلى بني اسرائيل من بيت المقدس وخزبه ساقهم
جلاية الى بلاد العراق وأسكنهم في مدينة نحي التي يقال لها أصهان فلما ملك أزدشير بن بابك ملك القرس وتسميه
اليهوداً حشوارش كان له وزير يسمى هيون وكان لليهود حيثئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ أزدشير أن له
ابنة عم جميلة الصورة فترجها وخطبت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقر به فحسده الوزير هيون
وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين في مملكة أزدشير ورتب مع ثواب أزدشير في سائر أعماله أن يقتلوا كل
يهودى عندهم في يوم عينة لهم وهو الثالث عشر من آذرفبلغ ذلك مردوخاى فاعلم ابنة عمه بمادبره الوزير
وحثها الى أعمال الخيلة في تخليص قومها من الهلكة فأعلمت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاى على قر به من الملك
واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل أهله وكتب

لليهود أما فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيداً وصاموه شكر الله تعالى وجعلوا من بعده يومين
اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهم هاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك إلى اليوم وربما صور بعضهم في هذا
اليوم صورة هيون الوزير وهم يسمونه هامان فإذا صوروه ألقوه بعد العبث به في النارج حتى يحترق * وشهر
نيسن عدد أيامه ثلاثون يوماً أبداً وفيه عيد الفاسخ الذي يعرف اليوم عند النصارى بالقسمح ويكون في الخامس
عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيه الفطير ويتطفون بيوتهم من أجل أن الله سبحانه خلص بني إسرائيل
من أسرفرعون في هذه الأيام حتى خرجوا من مصر مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام وتبعهم فرعون
فأغرقه الله ومن معه وسار موسى ببني إسرائيل إلى التيه ولما خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم
والخبز والفطير وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فأمر وأبناخذ الفطير أولاً في هذه الأيام ليدذكروا به ما من
الله عليهم به من اتقاذهبهم من العبودية وفي آخر هذه الأيام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير
ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبداً يوم الاثنين ولا يوم الأربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخسبنيات
من نصفه * وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوماً وفيه عيد الموقف وهو ج الاسابيع وهي الاسابيع التي
فرضت على بني إسرائيل فيها القرائض ويقال لهذا العيد في زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد
الفطير وفيه خطب بنو إسرائيل في طور سيناء ويكون هذا العيد في السادس منه وفيه أيضاً يوم الخميس
وهو آخر الخسبنيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبداً يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت *
وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوماً وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لأن فيه هدم سور بيت المقدس عند
محاصرة بخت نصر له والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه لأن فيه هدم طيطش سور بيت المقدس
وخرّب البيت الخراب الثاني * وشهر آب ثلاثون يوماً وفيه عيد القرائن صوم في اليوم السابع واليوم العاشر
لأن بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر وفيه أيضاً كان اطلاق بخت نصر النار في مدينة القدس
وفي الهيكل ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه لأن فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني * وشهر أيلول
تسعة وعشرون يوماً أبداً وليس فيه عيد والله تعالى أعلم

* (ذكر معنى قولهم يهودى) *

أعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله إسرائيل ومعنى ذلك الذي رأسه القادر
وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لمجموعهم الاسباط وهذه أسماءهم
روبل وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخ وزبولون والستة أشقاء أمهم ليا بنت لابان بن بتوئيل بن
ناحور أخي ابراهيم الخليل وكان واشار ودان ونفتالي ويوسف وبنيامين فلما كبر هؤلاء الاسباط
الاثنا عشر قدم عليهم أبوه يعقوب وهو إسرائيل ابنه يهوذا وجعله كما على اخوته الا احدى عشر سبطاً فاستقر
رئيساً وحكاماً على اخوته إلى أن مات فووت أولاد يهوذا رياسة الاسباط من بعده إلى أن أرسل الله تعالى موسى
ابن عمران بن قاهات بن لاوي بن يعقوب إلى فرعون بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليه ما السلام بمائة وأربع
وأربعين سنة وهم رؤساء الاسباط فلما نفي الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه رتب عليه السلام
بني إسرائيل الاثني عشر سبطاً أربع فرق وقدم على جميعهم سبط يهوذا فلم يزل سبط يهوذا مقلداً على سائر
الاسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون فلما مات يوشع سأل بنو إسرائيل الله تعالى
وابتهلوا إليه في قبة الشمشار أن يقدم عليهم واحد منهم فجاء الوحي من الله بتقديم عثيئال بن قناز من سبط
يهوذا فقدم على سائر الاسباط وصار بنو يهوذا مقدمين على سائر الاسباط من حينئذ إلى أن ملك الله على
بني إسرائيل نبيه داود وهو من سبط يهوذا فووت ملك بني إسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما
السلام فلما مات سليمان افرق ملك بني إسرائيل من بعده وصار لثلاثة عشر من بني إسرائيل التي يقابلها اليوم نابلس عشرة
اسباط وبني مدينة القدس سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان يقال لسكان شعرون بنو إسرائيل
ويقال لسكان القدس بنو يهوذا إلى أن انقرضت دولة بني إسرائيل من مدينة شعرون بعد مائتين وأحدى
وخسين سنة فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بني يهوذا إلى أن قدم بخت نصر وخرّب القدس
وجلب جميع بني إسرائيل إلى بابل فعزفوا هناك بين الامم بني يهوذا واستقر هذا اسمهم لهم بين الامم بعد ذلك إلى أن

جاء الله بالاسلام فكان يقال للواحد منهم يهودى بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا وتلاعب العرب بذلك على عادتهم في التلاعب بالاسماء المعجمة وقالوا هبذال مهمللة ومعو طائفة بنى اسرائيل اليهود وبهذه اللغة نزل القرآن ويقال ان اول من سعى بنى اسرائيل اليهود بخت نصر والله يعلم وانتم لاتعلمون

* (ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل) *

اعلم ان الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها أن يكتب لكل من بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسعى هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهي وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كانه تفسير لما في التوراة من الكلام الالهي فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى أن كانت أيام يهوياقيم ملك القدس غزاهم بخت نصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا ينقلونها من المشنا التي بخط موسى ويجعلونها بأسمه فلما جلا بخت نصر يهوياقيم الملك ومعه أعيان بنى اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم في زيادة على عشرة آلاف نفس ساروا ومعهم نسخ المشنا التي كتبت لسائر ملوك بنى اسرائيل بأجمعهم الى بلاد المشرق فلما ساو بخت نصر من بابل الكرة الثانية لغزو القدس وخزبه وجلا جميع من فيه وفي بلاد بنى اسرائيل من الاسباط الاثني عشر الى بابل أقاموا بها وبقي القدس خرابا لاساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وبنوا بيتا ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا التي خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثاني بعد الجلاية ثلثمائة وثيق من السنين اختلف بنو اسرائيل في دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التي كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه وعملوا بما فيها لبلاد المشرق من حين خرجوا من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام وقدم عاتان رأس الجالوت من المشرق الى العراق في خلافة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سنى الهجرة المحمدية * وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا في افتراق واختلاف في دينهم الى أن غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثاني بعد قتل يحيى بن زكريا ورفع المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وسعى جميع من فيه وفي بلاد بنى اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التي كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخریب طيطش بيت المقدس في أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين من تآخراى قبيل تخریب القدس يقال لهما شمأى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبيا كتابا باسم مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمنها هذا المشنا الذي وضعه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عتة من اليهود وكان شمأى وهلال في زمن واحد وكانا في أواخر مدة تخریب البيت الثاني وكان لهما لثمانون تلميذا أصغرهم يوحنا بن زكاى وأدرك يوحنا بن زكاى خراب البيت الثاني على يد طيطش وهلال وشمأى أقوالهما مذكورة في المشنا وهي في ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة وأخبارها النوسى من ولد داود النبي بعد تخریب طيطش للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شمأى وهلال ولم يكمل المشنا فأكمل رجل منهم يعرف يهودا من ذرية هلال وحل اليهود على العمل بما في هذا المشنا وحقيقته انه يتضمن كثيرا مما كان في مشنا النبي موسى عليه السلام وكثيرا من آراء اكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا نحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السندوين ومعنى ذلك الاكابر وتصر فوافي تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلود أخفوا فيه كثيرا مما كان في ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلود الذي كتبوه بأيديهم وضموه ما هو من رأيهم ينسبون ما فيه الى الله تعالى ولذلك ذمهم الله في القرآن الكريم بقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم عما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلود نسختان مختلفتان في الاحكام والعمل الى اليوم على هذا التلود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائن فانه لا يعتقدون العمل بما في هذا التلود فلما قدم عاتان رأس

الجالوت الى العراق انكر على اليهود علمهم بهذا التلود ورعم أن الذي بيده هو الحق لانه كتب من النسخ التي كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذي بخطه والطائفة الربانيون ومن واقفهم لا يعولون من التوراة التي بأيديهم الاعلى ما في هذا التلود وما خاف ما في التلود لا يعبأون به ولا يعولون عليه كما اخبر تعالى اذ يقول حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وما عندهم من التوراة تبهر انهم ليسوا على شيء وأنهم ان يتبعون الا الطن وماتوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى ابن ميمون القرطبي عولوا على رأيه وعملوا بما في كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الى زمننا

* (ذكر فرق اليهود الآن) *

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله في الارض أما أربع فرق كل فرقة تخطى الطوائف الاخرى هي طائفة الربانيين وطائفة القرائين وطائفة العنانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الخلاية الى القدس وعمارة البيت ثانياً وذلك انهم في اقامتهم بالقدس أيام العمارة الثانية اختلفوا في دينهم وصاروا شيعة اختلفا ملكتهم اليونان بعد الاسكندر بن فيلبس وقام بأمرهم في القدس هورقافوس بن شععون بن مشيشا واستقام أمره فسمى ملكاً وكان قبل ذلك هو وجبوع من تقدمه ممن ولي أمر اليهود في القدس بعد عودهم من الخلاية انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهو وقافوس منزلة الملك ومنزلة الكهونية واطمأن اليهود في أيامه وامنوا سائر أعدائهم من الامم فبطروا معيشتهم واختلفوا في دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها القروشم ومعناه المعتزلة ومن مذهبهم القول بما في التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم وطائفة يقال لهم الصدوفية بقاء نسبوا الى كبير لهم يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الالهى فيهادون ما عدا من الاقوال وطائفة يقال لهم الجسديم ومعناه الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه والاخذ بالفضل والاسلم في الدين وكانت الصدوفية تعادى المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك هورقافوس أولاً على رأى المعتزلة وهو مذهب آباءه ثم انه رجع الى مذهب الصدوفية وباين المعتزلة وعاداهم ونادى في سائر مملكته بمنع الناس جملة من تعلم رأى المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتبعهم وقتل منهم كثيراً وكانت العاتمة بأسرها مع المعتزلة فنارت الشرور بين اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضاً الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق اليهود من حينئذ في أقطار الدنيا وصاروا ذمة والنصارى تقتلهم حينما ظفرت بهم الى أن جاء الله بالله الاسلاميه وهم في تفرقهم ثلاث فرق الربانيون والقرءاء والسمرة * (فأما الربانية) فيقال لهم بنومشون ومعنى مشنوا الثاني وقيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت الذي بنى ثانياً بعد عودهم من الخلاية وخزبه طيطش وينزلونه في الاحترام والالكرام والتعظيم منزلة البيت الاول الذي ابتدأ عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام وخزبه بخت نصر فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هي التي كانت تعمل بما في المشنا الذي كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس وتعول في أحكام الشريعة على ما في التلود الى هذا الوقت الذي نحن فيه وهي بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لا آراء من تقدمها من الاحبار ومن اطلع على حقيقة دينها تبهر أن الذي ذمهم الله في القرآن الكريم حق لا مريية فيه وانه لا يصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد الانتماء فقط لانهم في الاتباع على الملة الموسوية لاسيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبي بعد الخجمانية من سنى الهجرة المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا في أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية * (وأما القرءاء) فانهم بنومقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون على البيت الثاني جملة ودعوتهم انما هي لما كان عليه العمل مدة البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الاول وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خلفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يخالكون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كيسة بعض ويقال للقرئين أيضاً المبادية لانهم كانوا يعملون مبادئ الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لهم أيضاً

٢ قوله المبادية هكذا في بعض النسخ وهو الصواب بدليل ما بعده خلافا لما سبق في صحيفة ٤٧٦ من انه المبادية والعدو محريف نسخ الاصل اه صححه

الاسمعية لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد * (وأما العنانية) * فانهم ينسبون الى عاتان رأس الجالوت الذي قدم من المشرق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ومعه نسخ المشنة الذي كتب من الخط الذي كتب من خط النبي موسى وانه رأى ما عليه اليهود من الربايين والقرايين يخالف مامعه فتجيزد لخلافهم وطعن عليهم في دينهم وازدري بهم وكان عظيمًا عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضله من التسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لو ظهر في أيام عمارة البيت لكان نياظهم يقدروا على مناظرته لما اوفى مع ما ذكرنا من تقريب الخليفة له واكمرامه وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الالهة على مثل ما شرع في الله الاسلامية ولم يبال في أي يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربايين وكبس الشهور وخطأهم في العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجل القول في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هونج أرسل الى العرب الآن التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الى الناس كافة صلى الله عليه وسلم * (ذكر السمرة) * اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بني اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وهمودوا ويقال انهم من بني سامرك بن كفر كابر مري وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسي والنشاب والسيوف والمواشي ومنهم السمرة الذين تفرقوا في البلاد ويقال ان سليمان بن داود لما مات اقرب ملك بني اسرائيل من بعده فصار رجيم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يرهم بن يياط على عشرة اسباط من بني اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ عجلين دغا الاسباط العشرة الى عبادتهم من دون الله الى أن مات فولى ملك بني اسرائيل من بعده عدة ملوك على مثل طريقته في الكفر بالله وعبادة الاوثان الى أن ملكهم عري بن نوب من سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شاهر بقنطار فضة وبني فيه قصر واسماه باسم اشتقه من اسم شاهر الذي اشترى منه المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينة شمرون وجعلها كرسى ملكه الى أن مات فاتخذها ملوك بني اسرائيل من بعده مدينة للملك وما زالوا فيها الى أن ولي هوشاع بن ايلاههم على الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الاوثان مع قتل الانبياء الى أن سلط الله عليهم سنحاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاه معه جميع من في شمرون من بني اسرائيل وأزلههم بهراء ونلج ونهاوند وحلوان فاقطع من حينئذ ملك بني اسرائيل من مدينة شمرون بعد ما ملكوا من بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنحاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثير من أهل كوشا وابل وجاه وأزلههم فيها ليحمرها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على غير ما يجب وصاروا يقرؤونها ناقصة أربعة أحرف الهاء والخاء والعين فلا ينطقون بشيء من هذه الأحرف في قراءتهم التوراة وعرفوا بين الأمم بالسامرة لسكانهم بمدينة شمرون وهذه هي مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنا بلس الى أن غزا بخت نصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فخر على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلات السامري فأنزله ووضعه له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعا عظيما وحمل اليه أمانة والاجة وهدايا جليلة واستأذنه في بناء هيكل لله على الجبل الذي يسمى عندهم طور بريك فأذن له وسار عنه الى محاربة دار ملك الفرس فبنى سنبلات هيكلًا شبيها بهيكل القدس ليستعمل به اليهود وموهم عليهم بأن طور بريك هو الموضع الذي اختاره الله تعالى وذكره في التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلات قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فقتل اليهود منشا على ذلك وأبعده وحطوه عن مرتبة عقبه له على مصاهرة سنبلات فأقام سنبلات منشا زوج ابنته كاهنًا في هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصاروا يحججون الى هيكله في الاعياد ويقربون قراينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا قدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال في هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس

واستغنى كهنته وخذانه وعظم أمر منشا وكبرت حالته فلم تزل هذه الطائفة تنهج الى طور بريك حتى كان زمن هورقافوس بن شمعون الكوهن من بني حتماي في بيت المقدس فسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طور بريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتي سنة وقتل من كان هنالك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل في صلاتها حينما كانت من الارض طور بريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ما عليه اليهود ولهم كنائس في كل بلد تخصهم والسمرة يشكرون نبوة داود ومن تلامه من الانبياء وأبوا أن يكون بعد موسى عليه السلام نبي وجعلوا رؤساءهم من ولدهارون عليه السلام واكثرهم يسكن في مدينة نابلس وهم كثير في مدائن الشام ويذكروا أنهم الذين يقولون لامساس ويرعون أن نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب عليه السلام وهنالك مراعيه * وذكر المسعودي أن السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والاخر الروشان أحدا الصنفين يقول بقدم العالم والسمرة تزعم أن التوراة التي في أيدي اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى عليه السلام ويقولون توراة موسى حُرِّفَت وغيِّرت وبَدِّلَت وان التوراة هي ما بأيديهم دون غيرهم * وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البرقي أن السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بذلهم بخت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بني اسرائيل فلم يحرمهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعاقبتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حديت المقدس منذ أيام داود النبي عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولا يمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرنون نبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بني اسرائيل * وفي شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق * (الكتاب) * وكانوا يحاقلون على العادات التي اجمع عليها المشايخ مما ليس في التوراة * (والمعتزلة) * وهم القريسيون وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين في الاسبوع ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز في رؤس ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويألفون في اظهار النظافة * (والزنادقة) * وهم من جنس السامرة وهم من الصدوفية فيكفرون بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ما خلا موسى فقط فانهم يقرنون نبوته * (والمتهترون) * وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون لا يستحق حياة الابد الا من يتطهر كل يوم * (والاسايون) * ومعناه الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع الاوامر الالهية ويشكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون بكتب غير الانبياء * (والمقشفون) * وكانوا يمنعون اكثر المأكول وخاصة اللحم ويمنعون من التزويج بحسب الطاقة ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى ويتسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام ويتطرون في علم النجوم ويعملون بها * (والهيردوسيون) * سموا انفسهم بذلك لما الاتهم هيردوس ملكهم وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى * وذكر يوسف بن كرون في تاريخه أن اليهود كانوا في زمن ملكهم هورقافوس يعني في زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاية ثلاث فرق * الفروشم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما في التوراة وما فسره الحكماء من سلفهم * والصدوفية أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره * والجسديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والتسكك الآخذون في كل أمر بالافضل والاسلم في الدين انتهى وهذه الفرقة هي أصل فرقتي الربانيين والقراء * (فصل) زعم بعضهم أن اليهود عابانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولي القدس عند قدوم أبي الاسكندر وجالوتية وقبومية وسامرية وعكبرية وأصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشانية وفلسطينية ومالكية وربانية * فالعابانية تقول بالتوحيد والعدل وتني التشبيه * والشمعونية تشبه * وتبالغ الجالوتية في التشبيه * وأما القيومية فانها تنسب الى أبي سعيد القيومي وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة * والسامرية فيكفرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرنون نبوة من جاء بعد يوشع * والعكبرية أصحاب أبي موسى البغدادي العكبري واسماعيل العكبري يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة * والاصبانية أصحاب أبي عيسى الاصباني وادعى النبوة وانه عرج به الى السماء ففتح الرب على رأسه وانه رأى مجدا صلى

قوله فالعابانية الخ
لم يذكر في النشر
المغاربة كما ذكرهم
في الف وليجزأه
مصححه

الله عليه وسلم فآمن به ويزعم يهود أصهبان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم * والعراقية تحالف الخراسانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم * والشرشانية أصحاب شرشستان زعم انه ذهب من التوراة ثمانون سوقة أي أنه وادعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر * وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزيز ابن الله تعالى وأنكر أكثر اليهود هذا القول * والمالكية تزعم أن الله تعالى لا يجي يوم القيامة من الموق الامن اخرج عليه بالرسول والكتب ومالك هذا هو تليذعائان * والريانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوبين ثياب وجب غسل جميعها * والعراقية تعمل رؤوس الشهور بالالهة وآخرون بالحساب يعملون والله اعلم * (فصل) وهم يوجبون الايمان بالله وحده ويعوسى عليه السلام وبالتوراة ولا بد لهم من درسها وتعلمها ويغتسلون ويتوضئون ولا يمسكون رؤسهم في وضوئهم ويبدون بالرجل اليسرى وفي شئ منه خلاف بينهم وعائنان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ويرى اشعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ولا يتوضئون بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ولا يجيزون الطهارة من غدير ما لم يكن عشرة أذرع في مثلها والنوم قاعدا لا يقض الوضوء عندهم ما لم يضع جنبه الأرض الا العائنية فان مطلق التوم عندهم يقض ومن أحدث في صلاته من قى أو رعا ف أو ربح انصرف وتوضأ وبني على صلاته ولا تجوز صلاة الرجل في اقل من ثلاثة أثواب قبض وسراويل وملاءة يتردى بها فان لم يجد الملاءة صلى جالساً فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ولا تجوز صلاة المرأة في اقل من أربعة أثواب وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم والدلة عند الصبح وبعد الزوال الى غروب الشمس ووقت العتمة الى ثلث الليل ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة وفي يوم السبت وأيام الاعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث * ولهم خمسة أعياد * (عيد الفطير) وهو الخامس عشر من نيسان يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله * (وعيد الاسابيع) بعد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني اسرائيل من طور سيناء * (وعيد رأس الشهر) وهو أول تسري وهو الذي فدى فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ويسمونه عيد رأس هشابا أي رأس الشهر * (وعيد صوماربا) يعني الصوم العظيم * (وعيد المظلة) يستظلون سبعة أيام يقضيان الآس والخلاف * ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامراً * ويوجبون صوم أربعة أيام * أولها سابع عشر تموز من الغروب الى الغروب وعند العائنية هو اليوم الذي أخذ فيه تحت نصر البيت * والثاني عاشر آب * والثالث عاشر كانون الاول * والرابع ثالث عشر آذار * ويتشددون في أمر الحائض بحيث يعتزلونها وثيابها وأوانيها وما مسسته من شئ فانه نجس ويجب غسله فان مس لحم القربان أحرق بالنار ومن مسها أو شئاً من ثيابها وجب عليه الغسل وما عجنته أو خبزته أو طاجنته أو غسلته فكله نجس حرام على الطاهر من حل البيض ومن غلب ميتا نجس سبعة أيام لا يصلي فيها وهم يفسلون موتاهم ولا يصلون عليهم * ويوجبون اخراج العشر من جميع ما علك ولا يجب حتى يبلغ وزنه أو عدده مائة ولا يخرج العشر الامرة واحدة ثم لا يعاد اخراجه * ولا يصح التسكاح عندهم الا بولي أو خطبة وثلاثة شهود ومهر ما تقي درهم البكر ومائة للثيب لأقل من ذلك ويحضر عند عقد النكاح كاهن خمر وبقاة مرسين فيأخذ الامام الكاهن ويبارك عليه ويخطب خطبة النكاح ثم يدفعه الى الخنثي ويقول قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب وهو خاتم في يده وبهذا الكاهن من الخمر ويهر كذا ويشرب جرعة من الخمر ثم نهضون الى المرأة ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكاهن من يد الخنثي فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح ويضمن أولياء المرأة البكارة فاذا زفت اليه وكل الولي من يقف بباب الخلاء وقد فرشت ثياب بيض حتى يشاهد الوصل كبل الدم فان لم توجد بكرا رجعت ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن والعبد يعتق بعد خدمته لسنتين معلومة وهي ست سنين ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده اذا احتاج ولا يجوزون الطلاق الا بقا حشة أو سحر أو رجوع عن الدين وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما البكر ونصف ذلك للثيب وينزل في كل ما طلاقها بعد أن يقول الزوج أنت طالق متى مائة مرة ومختلفة متى وفي سعة أن تزوج من شئت ولا يقع طلاق الحامل أبداً انهم الآن يجوزون ويراجع الرجل امرأته ما لم تزوج فان تزوجت حرمت عليه الى الابد * والخياريين القبايعين ما لم يتقل المبيع الى البائع * والحدود عندهم على خمسة أوجه حرق ورجم وقتل وتعزير وتعزيم فالحرق على من زنى بامرأته أو ربيته أو بامرأة أبيه

أو امرأته أو ابنه والقتل على من قتل والرجم على المحصن إذا زنى أو لاط وعلى المرأة إذا مكنت من نفسها بهيمة
والتعزير على من قذف والتغريم على من سرق وورون أن البينة على المذمى واليمين على من أنكر وعندهم أن من
أتى بشئ من سبعة وثلاثين علفاً في يوم السبت أو ليلة استحق القتل وهي كرب الأرض وزرعها وحصاد الزرع
وسياقة الماء إلى الزرع وحلب اللبن وكسر الحطب واشعال النار وبغض العجين وخبزه وخباطة الثوب وغسله
ونسج سلكين وكناية حرفين أو نحوهما وأخذ الصيد وذبح الحيوان والخروج من القرية والانتقال من بيت إلى
آخر والبيع والشراء والدق والطحن والاحتطاب وقطع الخبز ودق اللحم واصلاح النعل إذا انقطعت وخط
علف الدابة ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قله ولا لحياط ومعه ابرته وكل من عمل شيئاً
استحق به القتل فلم يسلم نفسه فهو ملعون

قوله سبعة وثلاثين
هكذا في النسخ ولعل
صوابه سبعة
وعشرين ليوافق
التفصيل بعده تأمل
الحمد لله

* (ذكر قبض مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم في ذلك من القصر
والإنباء وذكر الخبر عن كثائهم وديارهم وكيف كان ابتداءها ومصر أمراً) *

اعلم أن جميع أهل الشرائع اتباع الانبياء عليهم السلام من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على أن نوحاً
عليه السلام هو الأب الثاني للبشر وأن العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذراً الله تعالى جميع أولاد
آدم فليس أحد من بني آدم إلا هو من أولاد نوح وخالف القبط والنجوس وأهل الهند والصين ذلك فأنكروا
الطوفان وزعم بعضهم أن الطوفان إنما حدث في إقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط وأن أولاد كيومرت
الذي هو عندهم الإنسان الأول كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا إلى الهند والصين
والحق ما عليه أهل الشرائع وأن نوحاً عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلاً
سوى أولاده فأنوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح في أولاده الثلاثة ويؤيد هذا قول الله تعالى
عن نوح وجعلنا ذريته هم الباقين وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافت اقسموا الأرض
* فصارت لبني سام بن نوح أرض العراق وفارس إلى الهند ثم إلى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين
ووبار والدودا وهنا جميع أرض اليمن وأرض الحجاز * وصارت لبني حام بن نوح جنوب الأرض مما يلي أرض مصر
مغرباً إلى بلاد المغرب الأقصى * وصارت لبني يافت بن نوح بجزائر جزر مشرقاً إلى الصين * فكان من ذرية سام بن
نوح القضاة والفرس والسرانيون والعبرانيون والعرب المستعربة والتبط وعاد وثمود والاموريون
والعماليق وأم الهند وأهل السند وعدة أم قبادت وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم كوش
ومصرايم وقبط وكنعان فنكوش الحبشة والنج ومن مصرايم قبط مصر والنوبة ومن قبط الفارقة
أهل إفريقية ومن جاوهم إلى المغرب الأقصى ومن كنعان أم كانت بالشام حارهم موسى بن عمران عليه
السلام وقومه من بني إسرائيل ومنهم أجنام عديدة من البربر رجوا * وكانت مساكن بني حام من صيدا
إلى أرض مصر ثم إلى آخر إفريقية نحو البحر المحيط وانتشر فيما بين ذلك إلى الجنوب وهم ثلاثون جنساً * وكان
من ذرية يافت بن نوح الصقل والفرنجية والغاليون من قبائل الروم والغوط وأهل الصين وقوم عرفوا بالمداينين
واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الأتراك وأجوج ومأجوج وأهل قبرص ورودس وعدة بني يافت
خمس عشرة جنساً سكنوا القطر الشمالي إلى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها
وتغلبوا على كثير من بلاد بني سام بن نوح * وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب أن القبط تنسب إلى
قبطيم بن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وأن قبطيم أول من عمل المجائب بمصر وأتار بها المعادن وشق الأنهار
لما ولي أرض مصر بعد أبيه مصرايم وأنه خلق بلبله اللسان وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطية وأنه ملك مدة
ثمانين سنة ومات فاغتم لموته بنوه وأهله ودفنوه في الجانب الشرقي من النيل بسرب تحت الجبل الكبير فقام
من بعده في ملك مصر ابنه قبطيم بن قبطيم وزعم بعض النساب أن مصر بن حام بن نوح ويقال له مصرايم ويقال بل
مصريم بن هرمس بن هردوس جد الاسعد كندر وقيل بل فقط بن حام بن نوح فكبح بفت يتاويل بن ترسل
ابن يافت بن نوح فولدت له بوقير وقبط أباقبط مصر قال ابن الحجاج ومن هاهنا قالوا أن مصر بن حام بن نوح وإنما
هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي مقدونية وقيل القبط

ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم

اعلم أن قبط مصر كانوا في غابر الدهر أهل شرك بالله ويعبدون الكواكب ويقربون لها قرايينهم ويقومون على أسمائها التماثيل كما هي أفعال الصابئة وذكر ابن وصف شاه أن عبادة الاصنام أول ما عرفت بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصر ايم بن يصير بن حام بن نوح وذلك أن ابليس أنار الاصنام التي غرقها الطوفان وزين للقبط عبادتها وان البودشير بن قبطيم أول من تكهن وعمل بالسحر وان مناوش بن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر وذكر الموفق أحمد بن أبي الفاسم بن خليفة المعروف بابن أبي اصبغ أنه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج إليها الناس من أقطار الارض وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهاقت عليهم وتريد التقرب اليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء ولهم في ذلك أخبار كثيرة وكانت لهم لغة يختصون بها وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامة وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر وخط الملوك وقال ابن وصف شاه كانت كهنة مصر اعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به فيقولون اخترنا حكاما بمصر بكذا وكذا وكانوا يخون بكهانتهم فحوا الكواكب ويزعمون انها هي التي تفيض عليهم العلوم وتجبرهم بالغيوب وهي التي تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم وتدلهم على العلوم المكتومة والأسماء الجلية المخزونة فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجلية وولدوا الاشكال الناطقة وصوروا الصور المتحركة وبنوا العالى من البنين وزبروا علومهم في الحجارة وعلموا من الطلسمات ما دفعوا به الاعداء عن بلادهم فحكمهم باهرة وعجايبهم ظاهرة وكانت أرض مصر خسا وثمانين كورة منها اسفل الارض خمس وأربعون كورة ومنها با الصعيد أربعون كورة وكان في كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذي يتبعده منهم الكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر والذي يتبعده منهم لها تسعاً وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه فاطر وهذا يقوم له الملك اجلا ولا يجلسه معه الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء الفاطر وكان كل كاهن منهم يتفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لا يعتداه الى سواء ويدعى بعبد ذلك الكوكب فيقال عبد القمر عبد عطار عبد الزهرة عبد الشمس عبد المريح عبد المشتري عبد زحل فاذا وقفوا جميعا قال الفاطر لاحدهم أين صاحبك اليوم فيقول في برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا ثم يقول للاخر كذا فيجيبه حتى يأتي على جميعهم ويعرف أما كن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغي أن تعمل اليوم كذا أو تأكل كذا أو تتجمل في وقت كذا أو تزك وقت كذا الى آخر ما يحتاج اليه والكاتب قائم بين يديه يكتب ما يقول ثم يلتفت الفاطر الى أهل الصنائع ويخرجهم الى دار الحكمة فيضعون أيديهم في الاعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم ثم يؤرخ ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة وتخزن في خزائن الملك وكان الملك اذا همهم أمر جمع الكهان خارج مدينة منف وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطليل بين أيديهم وما منهم الا من أظهر أعجوبة قد عملها فمنهم من يملو وجهه نور كهنة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر اليه ومنهم من على يده جواهر مختلفة الألوان قد نسجت على ثوب ومنهم من يتوشع بجنيات عظيمة ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور الى غير ذلك من بديع أعمالهم ويصيرون كذلك الى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به فيجيبون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكها القراعنة ثم ثدأوا لها من بعدهم أجناس آخرتنا قصت علوم القبط شيئا بعد شيء الى أن تنصروا فغادروا عوايد أهل الشرك واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية كما استقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى

ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية

اعلم أن النصارى اتباع عيسى نبي الله ابن مريم عليه السلام سمو انصارى لانهم يتسبون الى قرية الناصرة من

جبل الجليل بالجليم ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان وهو الآن في زمننا من جملة معاملته صفد والاصل في تسميتهم
نصاري أن عيسى ابن مريم عليه السلام لما ولدته أمته مريم ابنة عمران بيت لحم خارج مدينة بيت المقدس
ثم سارت به الى أرض مصر وسكنتم ازمنا ثم عادته الى أرض بنى اسرائيل قومها نزلت قرية الناصرة فتشأ
عيسى بها وقبل له يسوع الناصري فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل وكان من شأنه ما ستره الى أن
رفعه الله اليه تفرق الحواريون وهم الذين آمنوا به في أقطار الارض يدعون الناس الى دينه فنسبوا الى
ما نسب اليه بينهم عيسى ابن مريم وقيل لهم الناصرية ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا نصارى • قال
ابن سيده ونصري وناصرة ونصورية قرية بالشام والنصارى منسوبون اليها هذا قول أهل اللغة وهو ضعيف
الآن نادرا لتسبب سبغهم وأما سبغهم به فقال أما الناصري فذهب الخليل الى انه جمع نصري ونصران كما قالوا
نذرنا ونذاحي ولعلهم حذفوا احدى الباقين كما حذفوا من أنفسهم وأبدلوا مكانها ألفا قال وأما الذى
نوجهه نحن عليه فانه جاء على نصران لانه قد تكلم به فكأنك جئت وقلت نصارى كما قلت نذاحي فهذا أقيس
والأول مذهب وانما كان أقيس لاننا لم نسمعهم قالوا نصري والتنصر الدخول في دين النصرانية ونصره جعله
كذلك والانصر الاقلف وهو من ذلك لان النصارى قلف وفي شرح الانجيل أن معنى قرية ناصرة الجديدة
والنصرانية التجدد والنصراني المجدد وقبل نسبوا الى نصران وهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين
في غير عصابة صاحبه فهو دين من نصرته من أتباعه • واذا تقرر هذا فاعلم أن المسيح روح الله وكلته ألقاها
الى مريم هو (عيسى) وأصل اسمه بالعبرانية التي هي لغة امه وابائهم انما هو ياشوع وسمنه النصارى يسوع
وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين عيسى ومعنى يسوع في اللغة السريانية المخلص قاله في شرح الانجيل
ونعته بالمسيح وهو الصديق وقيل لانه كان لا يمسح يده صاحب عاهة الابرا وقيل لانه كان يمسح رؤس اليتامى
وقيل لانه خرج من بطن أمته ممسوحا بالدهن وقيل لأن جبريل عليه السلام مسح بجناحه عند ولادته صونا له
من مس الشيطان وقبل المسيح اسم مشتق من المسيح أى الدهن لأن روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن
الذى كان عند بنى اسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنوت وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه أصبح الرجلين ليس
الرجليه أخص وقيل لانه يمسح الارض بسياحته لا بسنن مكاونا وقيل هي كلمة عبرانية أصلها ما مسح فتلاعبت بها
العرب وقالت مسيح • وكان من خبره عليه السلام أن مريم ابنة عمران بينا هي في حجرها اذ بشرها الله تعالى
بعيسى فخرجت من بيت المقدس وقد اغتسلت من المحض فتمثل لها الملك بشرا في صورة يوسف بن يعقوب
التجار أحد خدام القدس فتفتح في جيبها فسررت النفقة الى جوفها فحملت به عيسى كما تحمل النساء بغير ذكر
بل حلت نفقة الملك منها محل الفصح ثم وضعت بعد تسعة أشهر وقيل بل وضعت في يوم جاءها بقر به بيت لحم من
عمل مدينة القدس في يوم الاربعاء خامس عشرى كلون الاول وناسع عشرى كيهك سنة تسع عشرة وثلاثمائة
للاسكندر فقدمت رسل ملك فارس في طلبه ومعهم هدية لها فيها ذهب ومز ولبان فطلبه هيرودس ملك اليهود
بالقدس ليقتله وقد أئذ به فسارت امه مريم به وعمره سنتان على جار ومعهما يوسف التجار حتى قدموا الى أرض
مصر فسكنوها مدة أربع سنين ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل
فاستوطنتها فتشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فسار هو وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر
الاردن فاعتسل عيسى فيه فخلت عليه النبوة فغضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شربا
ما وحى الله اليه بأن يدعوا بنى اسرائيل الى عبادة الله تعالى فظاف القرى ودعا الناس الى الله تعالى وأبرأ
الاكهم والابرص وأحيا الموتى بأذن الله وبكت اليهود وأمرهم بالزهد في الدنيا والتوبة من المعاصي فأمن به
الحواريون وكانوا قوما صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين وعددهم اثنا عشر رجلا وصدقوا بالانجيل
الذى أنزله الله تعالى عليه وكذبه عامة اليهود وظلوه وانهم موه بما هو برئ منه فكانت له ولهم عدة مناظرات
آلت بهم الى أن اتفق أحبارهم على قتله وطرده ليله الجمعة فقبل انه رفع عند ذلك وقيل بل أخذوه وأتوا به الى
بلاطس التبطي شحنة القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتى غلبوه
على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله فأمكنهم منه وعند ما أدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه الله اليه وذلك في الساعة
السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن وناسع عشرى شهر برمهاث وخامس عشر شهر آذار وسابع عشر

شهر ذى القعدة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر فصلبوا الذى شبه لهم وصلبوا معه لصين وسمر وهم بمسامير الحديد واقتسم الجند ثياب المصلوب فغشيت الارض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة في قبر جديد ووكّل بالقبر من يحرسه ثلاثاً يأخذ المقيوراً يحمله فزعم النصارى أن المقيور قام من قبره ليلة الاحد سحر او دخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم ثم بعد الاربعين يوماً من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام في عليه صبيون التى يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق فتكلموا بجميع الاسن فآمن بهم فبدأت كثرة زيادة على ثلاثة آلاف انسان فأخذهم اليهود وجسّوهم فظهرت كرامتهم وفتح الله لهم باب السجن ليلاً فخرجوا الى الهيكل وطفقوا يدعون الناس فهم اليهود يقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة آلاف انسان فلم يتمكنوا من قتلهم فتفرق الحواريون في أقطار الارض يدعون الى دين المسيح فسار بطرس رأس الحواريين ومعه سمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهم بشر كثير وقتل في خامس أيب وهو عبد القصرية وسار اندراوس أخوه الى نيقية وما حولها فآمن به كثير ومات في برنطية في رابع كيهك وسار يعقوب بن زبدي أخو يوحنا الانجيلي الى بلد ابدينية فتبعه جماعة وقتل في سابع عشر رمودة وسار يوحنا الانجيلي الى آسيا وأفسس وكتب انجيله باليوناني بعدما كتب متى ومرقص ولوقا أناجيلهم فوجدتهم قد قصروا في أمور فتكلم عليها وكان ذلك بعد رفع المسيح ثلاثين سنة وكتب ثلاث رسائل ومات وقد أناف على مائة سنة وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها وقتل بها في ثامن هاتور وقد اتبعه جماعة من الناس وسار برنولوماوس الى ارمينية وبلاد البربر وواحات مصر فآمن به كثير وقتل وسار توما الى الهند فقتل هناك وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى وكتب انجيله بالعبراني بعد رفع المسيح تسع سنين ونقله يوحنا الى اللغة الرومية وقتل متى بقرطاجنة في ثامن عشر بابه بعدما استجاب له بشر كثير وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ورجع الى القدس وقتل في عاشر امشير وسار يهوذا بن يعقوب من انطاكية الى الجزيرة فآمن به كثير من الناس ومات في ثاني أيب وسار سمعون الى حبس طحلب ومنيع وبرنطية وقتل في سابع أيب وسار ميثاس الى بلاد الشرق وقتل في ثامن عشر برمهات وسار يواص الطرسوسي الى دمشق وبلاد الروم ورومية فقتل في خامس أيب وتفرق أيضا سبعون رسولا في البلاد فآمن بهم الخلائق ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلي وكان اسمه أولاً يوحنا فعرف ثلاثة الاسن الفرنجي والعبراني واليوناني ومضى الى بطرس برومية وصحبه وكتب الانجيل عنده بالفرنجية بعد رفع المسيح بالثاني عشرة سنة ودعا الناس برومية ومصر والحبشة والنوبة وأقام حنايماً أسقفاً على الاسكندرية وخرج الى برقة فكثرت النصارى في أيامه وقتل في ثاني عيد الفصح بالاسكندرية ومن السبعين أيضاً لوقا الانجيلي الطبيب بليذبولس كتب الانجيل باليونانية عن بولس بالاسكندرية بعد رفع المسيح بعشرين سنة وقبل بالثنتين وعشرين سنة ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ونزل بأنطاكية أقام بها دار يوس بطركا وانطاكية أحد الكراسي الاربعة التي للنصارى وهي رومية والاسكندرية والقدس وانطاكية فأقام دار يوس بطركاً انطاكية سبعا وعشرين سنة وهو أول بطاركتها وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية واحداً بعد واحد وعاش سمعون الصفا برومية خمساً وعشرين سنة فآمنت به بطركية وسارت الى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلطها الى يعقوب بن يوسف الاسقف وبنت هناك كنيسة وعادت الى رومية وقد اشتدت على دين النصرانية فآمن بها عدة من أهلها واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وأرسلوها على يد قليموس قلم بطرس فكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها من العتيقة والجديدة فأما العتيقة فالانجيل وكتابات يوحنا وكتابات القضاة وكتابات راغون وكتابات يهوديت وسير الماول وسفر نيامين وكتب المقاتين وكتابات عزرة وكتابات أستير وقصة هامان وكتابات أيوب وكتابات من امير داود وكتب سليمان بن داود وكتب الانبياء وهي ستة عشر كتاباً وكتابات يوشع بن شيراخ وأما الكتب الحديثة فالانجيل الاربعة وكتابات القليلية وكتابات بولس وكتابات الابركسيس وهو قصص الحواريين وكتابات قليموس وفيه ما أمر به الحواريون وما نهوا عنه * ولما قتل الملك تيرون قيصر بطرس رأس

الحواريين برومية أقيم من بعده اريوس بطرك رومية وهو أول بطرك صار على رومية فأقام في البطركية اثنتي عشرة سنة وقام من بعده البطاركة بها واحدا بعد واحد الى يومنا هذا الذي نحن فيه * ولما قتل يعقوب اسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها ترابا كثيرا فصار كوما عظيما حتى أخرجتها هبلانة أم قسطنطين كاستراه قريبا ان شاء الله تعالى وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه أسقف القدس فكثرت انتين وأربعين سنة أسقفا ومات قنذاول الاساقفة بعده الاسقفية بالقدس واحدا بعد آخر * ولما أقام مرقس حناينا ويقال أباينو بطرك الاسكندرية جعل معه اثني عشر قساوا هم اذ مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقوموا بدل ذلك القس واحدا من النصارى حتى لا يزالوا أبدا اثني عشر قسافلم تزل البطاركة تعمل من القسوس الى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر كاستراه ان شاء الله تعالى وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حناينا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الحادي عشر من بطاركة الاسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصب الاساقفة بها وكثروا فغزاها في بطركيته هرقل وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها أبوالآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندرية الى كرسي رومية من أجل أنه كرسي بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمر على ذلك الى زمننا الذي نحن فيه وأقام اناينو وهو حناينا في بطركية الاسكندرية اثنتين وعشرين سنة ومات في عشرين ها قور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح فأقيم بعده مينيو فأقام اثني عشرة سنة وتسعة اشهر ومات وفي أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى وأخرجوهم من القدس فعبروا الاردن وسكنوا تلك الاماكن فكان بعده هذا قليل خراب القدس وجلاية اليهود وقتلهم على يد طيطس (ويقال طيطوس) بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة فكثرت النصارى في أيام بطركية مينيو وعاد كثير منهم الى مدينة القدس بعد تخريب طيطس لها وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أسقف ثم أقيم بعده مينيو في الاسكندرية في البطركية كرتيانو وفي أيام الملك انديانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثير وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد باقيهم قتل بهم بلاء لا يوصف في العبودية حتى رحلهم الوزراء واکابر الروم وشفعوا فيهم فن عاينهم قيصر وأعتقهم ومات كرتيانو بطرك الاسكندرية في حادي عشر برمودة بعد ما دبر الكرسي احدى عشرة سنة وكان جيد السيرة فقدّم بعده ايريموفا قام اثني عشرة سنة ومات في ثالث مسرى واشتد الامر على النصارى في أيام الملك أريد ويانوس وقتل منهم خلائق لا يحصى عددهم وقدم مصر فأفنى من بها من النصارى وخرب ما بنى في مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردد اليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس ايلد فلم يجاس نصراني أن يدنو من القدس وأقيم بعد موت ايريمو بطرك الاسكندرية بسطس فأقام احدى عشرة سنة ومات في ثاني عشر نوبة خلف بعده أرمانيون فأقام عشر سنين وأربعة اشهر ومات في عاشر نوبة فأقيم بعده موقيانو بطرك الاسكندرية تسع سنين وستة اشهر ومات في سادس طوبه فقدّم بعده على الاسكندرية كلوتيانو فأقام أربع عشرة سنة ومات في تاسع أيب وفي أيامه اشتد الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا فقدّم على كرسي الاسكندرية بعد كلوتيانو غرنوبطركا فأقام اثني عشرة سنة ومات في خامس امشير وفي أيام بطركيته اتفق رأى البطاركة بجميع الامصار على حساب فصيح النصارى وصومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطي وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم وفتحهم واستقر الامر على ما رتبوه فيما بعد وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح عليه السلام ويفطرون وفي عيد الفصح يعملون الفصح مع اليهود فنقل هؤلاء البطاركة الصوم واوصلوه بعيد الفصح لان عيد الفصح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغيرن وقته وأن يعملوه كل سنة في ذلك الوقت ثم أقيم بكرسي الاسكندرية بعد غرنوبطركية بوليانوس فأقام عشر سنين ومات في ثامن برمهات فاستخلف بعده ديمتريوس فأقام بعده في البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ومات وكان فلاحا مياوله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط وفي أيامه ثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاء كبيرا في جميع مملكته

وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى وهدم كائسهم ونى بالاسكندرية هيكلا
لاصنامهم ثم أقام بعده في بطركية الاسكندرية باركلا فأقام ست عشرة سنة ومات في ثامن كيهك فلقى النصارى
من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا فلما ملك فيلبس قيصر اكرم النصارى وقدم
على بطركية الاسكندرية ديوسيبوس فأقام تسع عشرة سنة ومات في ثالث ثوت وفي أيامه كان الراهب
انطونيوس المصرى وهو أقدم من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة الديارات في البرارى وأنزل بها الرهبان
ولقى النصارى من الملك داقبوس قيصر شدة فاته أمرهم أن يسجدوا لاصنامهم فأبوا من السجود لها فقتلهم
أبرح قتله وفتر منه القسبة أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا في مغارة في جبل شرقي المدينة
وناموا فغضب الله على آذانهم فلم يرالوا ثمانين ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فقام من بعده بالاسكندرية
مكسيموس وأقام بطركا ثنتي عشرة سنة ومات في رابع عشر برمودة فأقيم بعده ثوبيا بطركا مدة سبع سنين
وتسعة أشهر ومات وكانت النصارى قبله تصلى بالاسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل فلا طف ثوبيا
الروم وأهدى اليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية فصلى بها النصارى جهرا واشتد الامر
على النصارى في أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقا كثيرا فكانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف
عليه أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا كثيرا وكتب بغلق كائس النصارى وأمر بعبادة الاصنام
وقتل من امتنع منها فارتد خلق كثير جدا وأقام في البطركية بعد ثوبيا بطرس فأقام احدى عشرة سنة
وقتل في الاسكندرية بالسيف وقتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم من السجود للاصنام فقام بعده تليذه
ارشلاوش فأقام ستة أشهر ومات وبدقلطيانوس هذا وقتله انصارى مصر يورخ قبط مصر الى يومنا هذا
كما قد ذكرناه في تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب فراجع ثم قام من بعده مكسيميانوس قيصر
فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا حتى كانت القتل منهم تحمل على العجل وترعى في البحر ثم قام بعد
ارشلاوش في بطركية الاسكندرية اسكندروس تليذ بطرس الشهيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات
في ثاني عشرى برمودة وفي بطركيته كان يجمع النصارى بمدينة نيقية وفي أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل
رومية الى قسطنطين وكان على مدينة بزنطية يحثونه على أن يتقدمهم من جور مكسيميانوس وشكوا اليه
عقوة فأجمع على المسير لذلك وكانت أمه هيلاني من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلت
الكتاب فلما مر بقريتها قسطنطين صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وجعلها الى بزنطية
مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأندردقلطيانوس مخمومه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم
ويقتل دينهم فأراد قتله وفتر منه الى الرها لتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنطية
فسلمها له أبوه قسطنطين ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استعده أهل رومية فأخذ يدبر في مسيره فقرأ في
منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له اجل هذه العلامة تنصرت على عدوك
فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مكسيميانوس برومية فبرز اليه
وحاربه فاتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحول منها فجعل دار ملكه قسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب
وتظهوره في الناس فاتخذ النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبده وأكرم قسطنطين النصارى ودخل
في دينهم بمدينة نيقية في السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكائس في جميع ممالكه
وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل المجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاسكندروس بطرك الاسكندرية منع
اريوس من دخول الكنيسة وحرمة لمقاتلته وتقل عن بطرس الشهيد بطرك الاسكندرية انه قال عن اريوس ان
ايمانهم فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فحضر اريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا
الاسكندروس فأمر بأحضاره من الاسكندرية فحضر هو واريوس وجعل له الاعيان من النصارى لينظروا
فقال اريوس كان الاباذلم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو محدث مخلوق فرفض اليه الاب كل
شيء فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شيء من السموات والارض وما فيها فكان هو الخالق بما أعطاه الاب
ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك مسيحا فاذا المسيح معنيان كلمة وجسد وهما
جميعا مخلوقان فقال الاسكندروس أيا أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا فقال اريوس بل عبادة

من خلقنا أو جب فقال الاسكندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة
الاب الذي ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق ككفر او عبادة المخلوق ايمانا وهذا أقبح القبيح فاستحسن
الملك قسطنطين كلام اسكندروس وأمره أن يحرم اريوس فخرمه وسأل اسكندروس الملك أن يحضر
الاساقفة فأمرهم فأتوه من جميع عمالكة واجتمعوا بعد ستة اشهر عديدة بيقية وعدتهم ألفان وثلاثمائة
وأربعون أسقفًا مختلفون في المسيح فتنهم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعله نار تعلق من شعله أخرى فلم تنقص
الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سيبليوس الصعيدي ومن تبعه ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح
تسعة أشهر بل مرت بأحشاها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول البان ومن تبعه ومنهم من قال المسيح بشر مخلوق
وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطنع فحبيته النعمة الالهية بالحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله تعالى عن ذلك
ومع ذلك فآله واحد قديم وأنكرهؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولس السيمساطي بطررك
انطاكية وأصحابه ومنهم من قال الالهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهم وهذا قول مرقيون وأتباعه ومنهم
من قال المسيح وأتته الهان من دون الله وهذا قول المرايمية من فرق النصارى ومنهم من قال بل الله خلق الابن
وهو الكلمة في الازل كما خلق الملائكة روحا ظاهرة مقدسة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح في آخر الزمان
من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتخذ الابن المخلوق في الازل بالإنسان المسيح فصارا واحدا ومنهم من قال الابن
مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتخذ بالإنسان
المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهذا قول الثلثمائة وثمانية عشر فقير قسطنطين في اختلافهم
وكثير تعجبه من ذلك وأمرهم فأنزلوا في أما كن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى تبين له
صوابهم من خطاهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قواهم المذكور واختلف باقيهم فقال قسطنطين
الى قول الاكثروا عرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهم بكراسي وأجلسهم عليها ودفن
اليهم سيفه وخاتمه وبسط ايديهم في جميع عملة ككته فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين
الكنيسة وفيه ما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناحكات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا الجمع
الاسكندروس بطررك الاسكندرية واسطارس بطررك انطاكية ومقاريوس أسقف القدس ووجه سلطوس بطررك
رومية بقسطنطين اتفقوا معهم على حرمان اريوس فخرموه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشر الامانة المشهورة
عندهم وأوجبوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على مارتته البطاركة في أيام الملك أوراليانوس قيصر
كما تقدم ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكان الاساقفة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لا يمنع منها اذا
عمل أسقفا بخلاف البطررك فانه لا يكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة
والاسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه
ويجعلون له عيد في ثاني عشر هاتور ويذبحون له الذبايح الكثيرة فأراد الاسكندروس كسر هذا الصنم فنعاه أهل
الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في حديثه الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم
وحشم على تركه وأن يعمل هذا العيد ليكايل رئيس الملائكة الذي يشفع فيهم عند الاله فان ذلك خير من
عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلد بعمله ولا تبطل ذبايحهم فيه فرضى الناس بهذا
ووافقوه على كسر الصنم فكسره وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكايل فلم تزل هذه الكنيسة
بالاسكندرية الى أن حرقها جيوش الامام المعز لدين الله أبي عيم معتلم أقدموا في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة
واسمى عند ميكايل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل في كل سنة وفي السنة الثانية والعشرين من ملك
قسطنطين سارت أمته هيلاني الى القدس وبنت به كنائس للنصارى فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعزفها
ماعتة اليهود فعاقت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع فخفرتة فاذا قبر وثلاث خشبات زعموا أنهم لم يعرفوا
الصليب المطلوب من الثلاث خشبات الا بأن وضعت كل واحدة منها على ميت قديلي فقام حيا عند ما وضعت
عليه خشبة منها فعملوا ذلك عيد امدته ثلاثة أيام عرف عندهم بعيد الصليب ومن حينئذ عبد النصارى
الصليب وعملت له هيلاني غلافا من ذهب وبنت كنيسة القيامة التي تعرف اليوم بكنيسة قامة وأقامت
مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب

ثلاثمائة وثمان وعشرين سنة ثم قام في بطركية الاسكندرية بعد اسكندر دوس تلميذه ايناسيوس الرسولي
فأقام سناً وأربعين سنة ومات بعد ما تبلى بشداً ودغاب عن كرسية ثلاث مرات وفي أيامه جرت
مناظرات طويلة مع أوسانيوس للأسقف آلت إلى ضربه وفراره فانه تعصب لاريوس وقال انه لم يقل ان
المسيح خلق الاشياء وانما قال به خلق كل شيء لانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله
تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كُوت لانه كونها وانما الثلاثمائة وثمانية عشر تعدوا عليه وفي أيامه
تنصر جماعة من اليهود وطعن بعضهم في التوراة التي بأيدي اليهود وانهم نقضوا منها وان الصحيحة هي التي
فسرها السبعون فأمر قسطنطين اليهود باحضارها وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بمصر فكتب
باحضارها فحمت اليه فاذا بينا وبين تورااة اليهود نقص ألف وثلاثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقضوها
من مواليد من ذكر فيها الابل المسيح وفي أيامه بعث هيلاني بمال عظيم إلى مدينة الرها فبني به كنائسها
العظيمة وأمر قسطنطين باخراج اليهود من القدس وأزمهم بالدخول في دين النصرانية ومن امتنع منهم قتل
قتلهم كثير منهم وامتنع أكثرهم فقتلوا ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفصح في الكنيسة وأمرهم
بأكل لحم الخنزير فأبى أكثرهم أن يأكل منه فقتل منهم في ذلك اليوم خلائق كثيرة جداً * ولما قام قسطنطين
ابن قسطنطين في الملك بعد أبيه غلبت مقالة اريوس على القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وصار أكثر
أهل الاسكندرية وأرض مصر اريوسيين ومنايين واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك إلى رأيهم
وحمل الناس عليه ثم رجع عنه وزعم ابريس أسقف القدس انه ظهر من السماء على القبر الذي بكنيسة القمامة
شبه صليب من نور في يوم عيد العنصرة ل عشرة أيام من شهر ايار في الساعة الثالثة من النهار حتى غلب نوره على
نور الشمس ورآه جميع أهل القدس عياناً فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده فآمن يومئذ من اليهود
وغيرهم عدة آلاف كثيرة * ثم لما ملك مولهيا نوس ابن عم قسطنطين اشتدت نكاية للنصارى وقتل منهم خلقاً
كثيراً ومنعهم من النظر في شيء من الكتب وأخذوا في الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة
مما ذبحه لأصنامهم وفادى من أراد المال فليضع الجور على النار وليأكل من ذبائح الخفاء ويأخذ ما يريد من
المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن نصارى فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبورده وفي أيامه
سكن القديس أيارنوس بزية الاردن وبني بها الديارات وهو أول من سكن بزية الاردن من النصارى فلما ملك
يوسيانوس على الروم وكان متنعراً عاد كل من كان فتر من الاساقفة إلى كرسية وكتب إلى ايناسيوس بطرك
الاسكندرية أن يشرح له الامانة المستقيمة فجمع الاساقفة وكتبوا له أن يلزم امانة الثلاثمائة وثمانية عشر
فثار أهل الاسكندرية على ايناسيوس ليقتلوه ففر وأقاموا بده لوقيوس وكان اريوسيا فاجتمع مع الاساقفة بعد
خمسة اشهر وحرموه وفقوه وأعادوا ايناسيوس إلى كرسية فأقام بطركاً إلى أن مات خلفه بطرس ثم وثب
الاريسيون عليه بعد سنتين ففر منهم وأعادوا لوقيوس فأقام بطركاً ثلاث سنين ووثب عليه أعداؤه ففر منهم
فردوا بطرس في العشرين من امشير فأقام سنة وقدم في أيام واليس ملك الروم اريوس أسقف انطاكية إلى
الاسكندرية بأذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ونصب بدله اريوس السيمساطي
ففر بطرس من الحبس إلى رومية واستجار ببطركها وكان واليس اريوسيا فصار إلى زيارة كنيسة مارثوما بمدينة
الرها وبنى أسقفها وجماعة معه إلى جزيرة رودس وبنى سائر الاساقفة لمخالفتهم رأيه ما عدا اثنين وأقام في بطركية
الاسكندرية طيما تاوس فأقام سبع سنين ومات وفي أيامه كان المجمع الثاني من مجامع النصارى
بقسطنطينية في سنة اثنتي عشرة ومائة لقسطنطينوس فاجتمع مائة وخمسون أسقفاً وحرروا مقدونيون عدو روح
القدس وكل من قال بقوله وسبب ذلك انه قال ان روح القدس مخلوق وحرموه غير واحد لعقائد شنيعة
تظاهروا بها في المسيح وزاد الاساقفة في الامانة التي رتبها الثلاثمائة وثمانية عشر وثو من بالروح القدس الرب
الحق المنبثق من الاب قالت تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وحرّموا أن يزد فيها بعد ذلك شيء أو ينقص منها
شيء وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية ثمان وخمسين سنة وفي أيامه بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتب
جماعة كثيرة من مقالة اريوس وفي أيامه أطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح ايخالفوا الطائفة
المانية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقاً وورد المثلث اغراديانوس كل من نقاه واليس من الاساقفة وأمر

أن يلزم كل واحد دونه ما خلا المنانة ثم أقيم بكرسى الاسكندرية تاوفيلاً فأقام سبعة وعشرين سنة ومات في ثامن عشر بابه وفي أيامه ظهر القبية أهل الكهف وكان تاوداسيوس اذذاك ملكاً على الروم فبنى عليهم كنيسة وجعل لهم عيداً في كل سنة واشتد الملك تاوداسيوس على الاربسين وضيق عليهم وأمر فأخذت منهم كنائس النصرى بعدما حكموها نحو أربعين سنة وأسقط من جيشه من كان اربوسياً وطرده من كان في ديوانه وخدمه منهم وقتل من الخنفاء كثيراً وهدم بيوت الاصنام بكل موضع وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بالقدس وفي أيام الملك ارغاديوس بنى دير القصر المعروف الآن بدير البغل في جبل المقطم شرق طراخارج مدينة قسطنطينية مصر * ثم أقيم في بطركية الاسكندرية كراص فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات في ثالث أبيب وهو أول من أقام القومة في كنائس الاسكندرية وأرض مصر * وفي أيامه كان الجمع الثالث من مجامع النصرى بسبب نسطورس بطرك قسطنطين فانه منع أن تكون مريم أم عيسى وقال انما ولدت مريم انساناً اتحاداً بمشيئة الاله يعنى عيسى فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة بالابن الالهي وان اطلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والكرامة وقال ان المسيح حل فيه الابن الالهي واني أعبد له لان الاله حل فيه وانه جوهران وأقنومان ومشيئة واحدة وقال في خطبته يوم الميلاد ان مريم ولدت انساناً وأنا لا أعتقد في ابن شهرين وثلاثة الالهية ولا أسجد له سجودى للاله وكان هذا هو اعتقاد تادروس وديودادرس الاسقفين وكان من قولهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الالهي وانه حل في المسيح فسمى ابن الله بالموهبة والكرامة وان الاتحاد بالمشيئة والارادة وأثبتوا الله تعالى عن قولهم ولدين أحدهما بالجواهر والاخر بالنعمة فلما بلغ كراص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع فكتب الى اكليمس بطرك رومية والى يوحنا بطرك انطاكية والى يونايليوس أسقف القدس يعرفهم بذلك فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته فلم يرجع فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس فاجتمع بها مائتا أسقف ولم يحضر يوحنا بطرك انطاكية وامتنع نسطورس من الحجة اليهم بعد ما كثر روا الارسل في طلبه غير مرة فنظروا في مقالته وحرموه ونفوه فحضر بعد ذلك يوحنا فعز عليه فصل الامر قبل قدومه واتصر لنسطورس وقال قد حرموه بغير حق وتفرقوا من أفسس على شر ثم اصطالحوا وكتب المشرقون صحيفة بأمتهم وبجرمان نسطورس وبعثوا بها الى كراص فقبلها وكتب اليهم بأن أمتهم على ما كتبوا فكان بين الجمع الثاني وبين هذا الجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة وأما نسطورس فانه نفي الى صعيد مصر فقتل مدبنة اخيم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها وظهرت مقالته فقبلها برصوما أسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم في الثانية من ملكه ديسقورس بطركاً بالاسكندرية فظهر في أيامه مذهب اوطنى أحد القنوميين بالقسطنطينية وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو ولا جساداً وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئاً فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفاً وحرموه واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود في يوم الفصح وصلبوا اصناماً على مثال المسيح وبعثوا به فتأريتهم وين النصرى شرقتل فيه يمين الفريقين خلق كثير فبعث اليهم ملك الروم جيشاً قتل اكثر يهود الاسكندرية وكان الجمع الرابع من مجامع النصرى بمدينة خلقدونية وسببه أن ديسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهران وقنومين وطبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأى مرقيانوس ملك الروم انه جسد وأهل مملكته انه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد فلما رأى الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ما خلا ديسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوا الملك وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه اماتته هو وحرمهم وكل من يخرج عنها فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله فأشهر عليه بأحضره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً فأشار الاساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على سياسته فدعا الملك وقال لهم الملك لا يلزمه البحث في هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتديرها ويدع الكهنة يعنون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ولا يكون له هوى مع أحد ويتبع الحق فقالت بطارية زوجة الملك مرقيانوس وكانت جالسة

بازائه ياديسقورس قد كان في زمان أمي انسان قوى الرأس مثلك وحرموه ونفوه عن كرسيه تعني يوحنا
فم الذهب بطرك قسطنطينية فقال لها قد عات ما جرى لاتك وكيف ابتليت بالمرض الذي تعرفينه الى أن مضت
الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت فحنقت من قوله ولكمه فانقلع له ضرسان وتناولته أيدي
الرجال فتنفوا كثر لحيته وأمر الملك بجرمانه ونفيه عن كرسيه فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه
برطاوس ومن هذا الجمع أفرق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقياوس الملك ويعقوبية على رأى
ديسقورس وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة لقلطيانوس وكتب مرقياوس الى جميع ملوكه ان كل من
لا يقول بقوله يقتل فكان بين الجمع الثالث وبين هذا الجمع احدى وعشرون سنة وأما ديسقورس فانه أخذ
ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها الى الاسكندرية وقال هذه ثمرة تعجب على الامانة فتبعه أهل الاسكندرية ومصر وتوجه
في نفيه فعبّر على القدس وفلسطين وعرفهم مقاتله فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة يعقوبية ومات وهو
منفي في رابع ثوث فكانت مدة بطركيته أربع عشرة سنة وبقي كرسى الملكية بغير بطرك مدة ملكة مرقياوس
وقيل بل قدم برطاوس وقد اختلف في تسمية اليه قومية بهذا ف قيل ان ديسقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب
وانه كان يكتب وهو منفي الى أصحابه بأن يشتهوا على أمانة المسكين المنفي يعقوب وقيل بل كان له تلميذ
اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي الى أصحابه فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك
انطاكية وكان على رأى ديسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى النصارى ويشتمهم على أمانة ديسقورس
فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب ككثير العباداة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذع
من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويرد الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسما
يعقوبية ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجي وفي أيام مرقياوس كان سمعان الحليس صاحب
العمود وهو أول راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة في جبل انطاكية ولما مات مرقياوس وثب أهل
الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه في الكنيسة وحلوا جسده الى الملعب الذي بناه بطليموس
وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكي الاعتقاد فكانت مدة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه طيماتاوس وكان
يعقوبيا فأقام ثلاث سنين وقدم قائم من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ساويرس وكان ملكيا فأقام اثنتين
وعشرين سنة ومات في سابع مسرى فلما ملك زنبون بن لاون الروم أكرم يعقوبية وأعزهم لانه كان
يعقوبيا وكان يحمل الى دير يوقنا كل سنة ما يحتاج اليه من القمح والزيت وهرب ساويرس من كرسى
الاسكندرية الى وادي هيب ورجع طيماتاوس من نفيه فأقام بطركا ستين ومات فأقيم بعده بطرس فأقام
ثمانى سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات في رابع حثور فأقيم بعده اثناسيوس فأقام سبع سنين ومات في العشرين
من ثوث وفي أيامه احترق الملعب الذي بناه بطليموس وأقيم يوحنا في بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام
تسع سنين ومات في رابع بشنس فخلا الكرسى بعده سنة ثم أقيم يوحنا الحليس فأقام احدى وعشرين سنة
ومات في سابع عشرى بشنس فأقيم بعده ديسقورس الجديد فأقام سنتين وخمسة أشهر ومات في سابع عشر
بابه وكتب ايليا بطرك القدس الى نسطاس ملك الروم بأن يرجع عن قتاله اليه يعقوبية الى مقالة الملكية وبعث
اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجواز جليله وجهازه مالا جزى بالعمارة
الكثاس والديارات والصدقات فتوجه ساويرس الى نسطاس وعرفه أن الحق هو اعتقاد يعقوبية فأمر أن
يكتب الى جميع ملوكه بقبول قول ديسقورس وترك الجمع الخلق دوني فبعث اليه بطرك انطاكية بأن
هذا الذي فعلته غير واجب وأن الجمع الخلق دوني هو الحق فغضب الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك
القدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع لهم منهم عشرة آلاف نفس وحرموا نسطاس الملك ومن يقول
بقوله فأمر نسطاس بنى ايليا الى مدينة ايله فاجتمع بطركية الملكية وأساقفتهم وحرموا الملك نسطاس ومن
يقول بقوله وفي أيام نسطاس الملك ألزم الخنفاء أهل حران وهم الصابئة بالنصر فتنصر كثير منهم وقتل أكثرهم
على امتناعهم من دين النصرانية ورد جميع من نفاه نسطاس من الملكية فانه كان ملكيا وأقيم طيماتاوس
في بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين ونفى وأقيم بدله أبولينا ريوس وكان ملكيا فحدث في رجوع
النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده في ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثه فوافقوه

ووافقه رهبان ديارات يوم مقاربوا دى هيب هذا وبعة وب البراذعى يدورنى كل موضع وثبت أصحابه على الامانة التى زعم انها مستقيمة وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس لست تخلو من كانون الثانى وكان كثير منهم بعمل الميلاد والغطاس فى يوم واحد وهو سادس كانون الثانى وعلى هذا رأى الارمن الى يومنا هذا وفى هذه الايام ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية وزعم أن الابن والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وانه لطيف وروحانى لا يقبل الآلام الا عند مقارفة الخطيئة والمسيح لم يقارف خطيئة فلذلك لم يصب حقيقة ولم يتألم ولم يميت وانما ذلك كله خيال فأمر الملك البطرك طيماتاوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه ونفى وأقيم بدله بواص وكان ملكياً فأقام سنين فلم ير ضه اليعاقبة وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضه بطركا ديلوس وكان ملكياً فأقام خمس سنين فى شدة من التعب وأرادوا قتله فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات فبلغ ملك الروم يوستيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية وهصر وأنهم لا يقبلون بطركته فبعث أنوينا رويس أحد قواده وضم اليه عسكرا كبيرا الى الاسكندرية فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ولبس ثياب البطارقة وقدس فهم ذلك الجمع برجه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقراه على الناس وضرب الجرس فى الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال يا أهل الاسكندرية ان تركتم مقالة اليعقوبية والاأخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحرىكم فهموا برجه فأشار الى الجند فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس ما لا يحصى عدده حتى خاض الجند فى الدماء وقيل ان الذى قتل يومئذ ما تألف انسان وفزمنهم خلق الى الديارات بوادى هيب وأخذ الملكية كائس اليعاقبة ومن يومئذ صار كرسي اليعقوبية فى دير بمقاربوا دى هيب وفى أيامه ثارت السامرة على أرض فلسطين وهدموا كائس النصارى وأحرقوا ما فيها وقتلوا جماعة من النصارى فبعث الملك جيشا قتلوا من السامرة خلقا كثيرا ووضع من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكائس وأنشأ مارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع فى بناء كنيسة بيت لحم وبنى دير بطور سيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلالى ورتب فيها حرسا لحفظ الرهبان * وفى أيامه كان الجمع الخامس من مجامع النصارى وسببه أن أريحان أسقف مدينة منبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف أنقرة وأسقف المصيصة وأسقف الرهان جسد المسيح خيال لا حقيقى فحملوا الى القسطنطينية وجمع بينهم وبين بطركها أوطنس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع وأمر باحضار البطارقة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرمنوا هؤلاء الاساقفة ومن يقول بقولهم فكان بين الجمع الرابع الخلقدونى وبين هذا الجمع مائة وثلاث وستون سنة * ولما مات القائد الذى عمل بطرك الاسكندرية بعد سبع عشرة سنة أقيم بعده يوحنا وكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات وقدم اليعاقبة بطركا اسمه تاوداسيوس أقام مدة اثنتين وثلاثين سنة وقدم الملكية بطركا اسمه داقبوس فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبة أمانه المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه فعرض عليه ذلك فلم يقبله فأخرجه وأقام بعده بواص التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فغلقت كائس القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة واستجدت اليعاقبة بالاسكندرية كنيسة فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لداقيايوس ومات تاوداسيوس ثامن عشرى بؤنة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته منها مدة أربع سنين مدة نفسه فى صعيد مصر وأقيم بعده بطرس وكان يعقوبيا فى خفية بدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة فأقام سنين ومات فى خامس عشرى بؤنة

هذا يابض له
فى الأصل

من اليعاقبة سنة واحدة * وفى سنة احدى وعشرين وعثمانية أقيم داما يوب بطركا بالاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ستا وثلاثين سنة ومات فى ثامن عشرى بؤنة وفى أيامه خربت الديارات وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا منانيا اسمه أثناس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده يوحنا وكان منانيا ولقب القاسم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القاسم بالامر وكان ملكياً فأقام احدى عشرة سنة ومات وفى أيام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى بالمداث مداث كسرى هيكلًا وبنوا أيضا بمدينة واسط هيكلًا آخر * وفى أيام الملك موريقي قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبع عتبان ومشيتة واحدة

واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماء وقسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعر فوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه * وفي أيام فوقام ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر فخرّبوا كنائس القدس وفلسطين وعانة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا الى مصر في طلبهم فقتلوا منهم أمة كبيرة وسبوا منهم سبيلا لا يدخل تحت حصرو ساعدتهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو القرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصارى كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخرّبوا لهم كنيسة سين بالقدس وخرّبوا أماكهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تحت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفي أيام فوقا أقيم بوحنا الرحوم بطرك الاسكندرية على الملكية فدير أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فار من القرس فخلا كرسى اسكندرية من البطركية سبع سنين فخلقوا أرض مصر والشام من الروم واختفى من بقي بها من النصارى خوفا من القرس وقدّم اليعاقبة نسطاسيوس بطركا فأقام ثلثي عشرة سنة ومات في ثلثي عشرى كيمك سنة ثلاثين وثلثمائة لقطايا نوس فاسترد ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورم ما شئنه القرس منها وكانت اقامته بمدينة الاسكندرية فأرسل اليه انبا سيمون بطرك انطاكية هدية صعبة عدة كثيرة من الاساقفة ثم قدم عليه زائر افلقاه وسرّ بقدمه وصارت أرض مصر في أيامه جميعها يعاقبة فخلقوا هاهنا من الروم فثارت اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم في بلادهم وتواعدوا على الايقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهم زعم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب القرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليهد عمال الشام ومصر ويجدد ما خربه القرس منها فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤتمنهم ويحلف لهم على ذلك فأتمنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالانجيل والصلبان والبخور والشعوع المشعلة فوجدوا المدينة وكنائسها وقامتها خرابا فساء ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع القرس وايقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وانهم كانوا أشد نكاية لهم من القرس وقاموا قايما كبيرا في قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينهم لهم وحلفه فأقنائه رهبانهم وبطاركهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه في قتلهم فانهم علموا عليه حيلة حتى أتمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلتزموا النصارى بصوم جمعة في كل سنة عنه على عمر الزمان والدهور فال الى قولهم وأوقع باليهود وقعة شقاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فزوا حتى فكتب البطارقة والاساقفة الى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع في السنة فالتزموا صومه الى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالا كبيرا * وفي أيامه أقيم ادراسلون بطرك اليعاقبة بالاسكندرية فأقام ست سنين ومات في ثامن طوبه فخرّبت الديارات في مدة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمّر الدير الذي يقال له دير أبوبشاي ودير سيدة أبوبشاي وهما في وادي هيب فأقام تسعا وثلثين سنة ملك القرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل القرس بمصر وأقام فبرش بطرك الاسكندرية وكان منانيا وطلب بنيامين ليقته فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونيا فظفر بمينا حتى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد الى القسطنطينية فأظهر الله دين الاسلام في أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمة للمسلمين فكانت ذمة النصارى منذ رفع المسيح الى أن فتح مصر وصار النصارى من القبط ذمة للمسلمين منها مدة كونهم تحت أيدي الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب والتحريق بالنار والرحم بالحجارة ونقطع الاعضاء ومنهم مدة استيلائهم بتصرف الملوك

* (ذكر دخول النصارى من قبط مصر في طاعة المساليين وأدايتهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والانباء) *

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الممكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومى والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يميز منهم القبطى من الحبشى من التوبى من الاسرائيلى الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس وشيوخهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناحتهم ويوجب قتل بعضهم بعضا ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا فانهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المساليين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم اسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره فطلب القبط من عمرو والمصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الاراضى وغيرها وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيا مينا بطرك البعاقبة أمانا فى سنة عشرين من الهجرة فسرته ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسى بطركيته بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة منها فى ملك فارس لمصر عشر سنين وباقيها بعد قدومه هرقى الى مصر فغلبت البعاقبة على كائس مصر ودياراتها كلها وانفردوا بهادون الملكية ويذكر علماء الاخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على انفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وأنه جلس فى وسط صحن كنيسة القيامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على بابها بغيره ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا دهنا صلى عمرو وكتب كتابا يتضمن أنه لا يصلى أحد من المساليين على الدرجة الا واحد واحد ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذون عليها وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضى الله عنه من التراب فى ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شئ وعمر المسجد الاقصى أمام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة فى حرم الاقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم ان عمر رضى الله عنه أتى بيت لحم وصلى فى كنيسةته عند الخشبة التى وادفها المسيح وكتب سجلا بأيدى النصارى أن لا يصلى فى هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذون عليه وللمامات البطرك بنيا مينا فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية فى اماره عمرو والثانية قدم البعاقبة بعده أغانوف فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخسين وهو الذى بنى كنيسة مرقس بالاسكندرية فلم تزل الى أن هدمت فى سلطنة الملك العادل أبى بكر بن أبوب وكان فى أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين وكان يهتم بالاضفاء فأقيم بعده ايساك وكان يعقوبيا فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات فقدم البعاقبة بعده سيمون السريانى فأقام سبع سنين ونصف ومات وفى أيامه قدم رسول أهل الهند فى طلب أسقف يقيمهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسى الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدم البعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام أربعين سنة ونصف وقلب خمس وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومات به شدا ائودور فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفى أيامه أقر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار وهى أول جزية أخذت من الرهبان * ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتد على النصارى واقتدى به قره بن شريك أيضا فى ولايته على مصر وأرسل بالنصارى شدا ائد لم يتلوا قصبا بمثلها وكان عبد الله بن الحجاب متولى الخراج قد زاد على القبط قيراطا فى كل دينار فاتتض عليه عامة الخوف الشرقى من القبط فخارهم المسلمون وقتلوا منهم عدة وافرة فى سنة سبع ومائة واشتد أيضا أسامة بن زيد التميمى متولى الخراج على النصارى وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم ايدى الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديرهم ونار يحرقه فكل من وجد به غير ووسم قطع يده وكتب الى الاعمال

جان من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير ثم كبس الديارات وقبض على عدة
 من الرهبان بغير رسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ما تواخت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت
 الصلبان وحيت التماثيل وكسرت الاصنام بأجمعها وكانت كثيرة في سنة أربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن
 عبد الملك لما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة كتب إلى مصر أن يجرى النصارى على عوايدهم وما بأيديهم
 من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميراً على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وزاد في الخراج
 وأحصى الناس والبهاثم وجعل على كل نصراني وسما صورة أسد وتبعهم فن وجد بغير رسم قطع يده ثم أقام
 اليعاقبة بعد موت الاسكندر روس بطركاً اسمه قسيماً فأقام خمسة عشر شهراً ومات فقدموا بعده نادر في سنة
 تسع ومائة ومات بعد إحدى عشرة سنة * وفي أيامه أحدثت كنيسة بوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر
 في سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة أمير مصر بسببها وفي سنة عشرين
 ومائة قدم اليعاقبة ميخائيل بطركاً فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ومات * وفي أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا
 العمال في سنة إحدى وعشرين فخوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج بجند بسمنود وحارب وقتل في الحرب
 وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خلفت القبط برشيد فبعث إليهم مروان بن محمد لما قدم
 مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فصار
 بأساقفته في أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم في شدائد فعاد إلى القسطنطين ودفع إلى عبد الملك ما حصل له
 فأخرج عنه فقتل به بلاء * كبر من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلايتها وأسرعته من النساء
 المترهبات بعض الديارات وراود واحدة منهن عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته غمياً بأن رغبته في دهن معها
 إذا أذهن به الإنسان لا يعمل فيه السلاح وأوقفه بأن مكنته من التجربة في نفسها ففتحت حبلتها عليه وأخرجت
 زينة أذهنت به ثم مدت عنقه فاضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا وما زال البطرك
 والنصارى في الحديد مع مروان إلى أن قتل بيوصير فأفرج عنهم وأما الملكية فأن ملك الروم لاون أقام قسيماً
 بطركاً الملكية بالاسكندرية في سنة سبع ومائة قضى ومعه هدية إلى هشام بن عبد الملك فكتب له برّد كنائس
 الملكية إليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك
 في مصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة في هذه المدة على
 جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم أساقفة وبعث إليهم أهل بلاد النوبة في طلب أساقفة فبعثوا إليهم من
 أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ثم لما مات ميخائيل قدم اليعاقبة في سنة ست
 وأربعين ومائة أنبا مسيماً فأقام سبع سنين ومات * وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال
 في سنة خمسين ومائة وصاروا في جمع فبعث إليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكراً فأنهم القبط ليلاً
 وقتلوا عدة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتد البلاء على النصارى واحتاجوا إلى أكل الجيف وهدمت
 الكنائس المحدث بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لآبى شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين
 فبذل النصارى لسليمان بن علي أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار فأبى فلأولى بعده موسى بن عيسى
 أذن لهم في بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة فاضى مصر واحتججاً بأن بناء هامن
 عمارة البلاد وبأن الكنائس التي بمصر لم تبني إلا في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين فلما مات أنبا مسيماً قدم
 اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ومات * وفي أيامه خرج القبط ببلهيت سنة ست وخمسين
 فبعث إليهم موسى بن علي أمير مصر وهزمهم وقدم بعده اليعاقبة مر قص الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين
 يوماً ومات * وفي أيامه كانت الفتنة بين الامين والمأمون فاتهبت النصارى بالاسكندرية وأحرق
 لهم مواضع عديدة وأحرق ديارات وادى هيب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها الا نفر قليل * وفي أيامه مضى
 بطرك الملكية إلى بغداد وعالج بعض خطايا أهل الخليفة فاته كان حاذقاً بالطب فلما عوفيت كتب له برّد كنائس
 الملكية التي تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم وأقام في بطركية الملكية أربعة عشر سنة ومات ثم قدم
 اليعاقبة بعده مر قص يعقوب في سنة إحدى عشرة ومائتين فأقام عشرين سنة وثمانية أشهر ومات * وفي أيامه

عمرت الديارات وعاد الرهبان إليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيوس بطررك أنطاكية فأكرمه حتى عاد إلى كرسية * وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكمهم فبهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسي أكثرهم ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة إلى المكيدة واستعمال المكر والحيلة ومكيدة المسلمين وعملوا كتاب الخوارج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ثم قدم اليعاقبة سميان و بطرك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة أشهر وستة عشر يوما فخلفا كرسى البطاركة بعده سنة وسبعة وعشرين يوما وقدم اليعاقبة يوساب في دير يوم قمار بوادي هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثمانى عشرة سنة ومات * وفي أيامه قدم مصر يعقوب طران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم وأقامت عوضه أسقفا فبعث ملك الحبشة يطلب أعادته من البطرك فبعث به إليه وبعث أيضا عدة أساقفة إلى إفريقية * وفي أيامه مات بطرك أنطاكية الوارد إلى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته * وفي أيامه أمر المتوكل على الله في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطباية العسيلة وشدة الزنا وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى ومن خرج من نسائهم تلبس أزارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمرهم بدم يعهم المحدثه وباخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهر وافي شعائهم صليبا وأن لا يشعلوا في الطريق نارا وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض وكتب بذلك إلى الأفاق ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الذراعين والاقبية وبالاقصاف في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبرادين فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسى بعده ثلاثين يوما وقدم اليعاقبة قيسا بدير بجنس يدعى بميكائيل في البطركية فأقام سنة وخمسة أشهر ومات فدفن بدير يوم قمار وهو أول بطرك دفن فيه فخلفا الكرسى بعده أحدا وثمانين يوما ثم قدم اليعاقبة في سنة أربع وأربعين ومائتين ثمانا بدير يوم قمار اسمه قيسا فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة أشهر ومات فخلفا الكرسى بعده أحدا وخمسين يوما * وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة في كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة أنه عمل في صورة مريم عليها السلام شبه ثدى يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها فكشف عن ذلك فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث إليه قيسا بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح بإعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدم اليعاقبة ساتير بطركا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعترف فأقام إحدى عشرة سنة ومات وعمل في بطركيته مجارى تحت الأرض بالاسكندرية يجرى بها الماء من الخليج إلى البيوت * وفي أيامه قدم أجدين طولون مصر أميراعيا ثم قدم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمساً وعشرين سنة ومات بعدما أزمه أجدين طولون بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رابع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الجيش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقررا الديارية على كل نصراني قيراطا في السنة فقام بهما المقر عليه * وفي أيامه قتل الأمير أبو الجيش خازويه بن أجدين طولون فلما مات شغل كرسى الاسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة * وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثمانمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الاسكندرية وهي التي كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلا بطريرك * وفي سنة إحدى وثلثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركا فأقام إحدى عشرة سنة ومات وأخذت في أيامه الديارية على الرجال والنساء وقدم بعده اليعاقبة في سنة إحدى عشرة وثلثمائة قيسا فأقام ثنى عشرة سنة ومات * وفي يوم السبت التاسع من شهر رجب سنة ثنى عشرة وثلثمائة أحرقت المسلمون كنيسة مريم يدمشق ونهبوا ما فيها من الآلات والأواني وقيمتها كثيرة جدا ونهبوا ديرا للنساء بجوارها وشعوا كنائس النسطورية واليعقوبية * وفي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة قدم

الوزير على بن عيسى بن الجراح الى مصر فكشف البلد وأزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية فأدوها ومضى طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقدور بالله فكتب الى مصر بأن لا يؤخذ من الاساقفة والرهبان والضعفاء جزية وأن يجروا على العهد الذى بأيديهم * وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قدم البعاقبة بطركا اسمه فأقام عشرين سنة ومات وفى أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوا وخرّبوا منها ما قدر وعليه * وفى يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة مات سعيد بن بطريق بطرك الاسكندرية على الملكية بعدما أقام فى البطركية سبع سنين ونصف فى شرو ومصله مع طائفته فبعث الامير أبو بكر محمد بن طنج الأختيد أبا الحسين من قواده فى طائفة من الجند الى مدينة تنيس حتى ختم على كنائس الملكية وأحضر الأتباع الى القسطنطينية وكانت كثيرة جدا فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلا وله تاريخ مفيد وثار المسلمون أيضا بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا ما فيها وأعانهم اليهود حتى أحرقوها فحرق الاسقف عسقلان الى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم البعاقبة فى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة تاوفايوس بطركا فأقام أربع سنين وستة أشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام إحدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسي بعده سنة ثم قدم البعاقبة افراهم بن زرة فى سنة ست وستين وثلاثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموما من بعض كواب النصارى وسببه انه منعه من التسرى فخلا الكرسي بعده ستة أشهر وأقيم فيلايوس فى سنة سبع وستين فأقام أربعين سنة ومات وكان مترفا * وفى أيامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرك تسلمها منهم بطرك الملكية ارسانيوس فى أيام العزيز بالله زار بن المعز وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قدم البعاقبة زخريس بطركا فأقام ثمانى وعشرين سنة منها فى البلايا مع الحاكم بأمر الله أبى على منصور بن العزيز بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة أشهر وأمر به فألقى للسباع هو وسوسة النبى فلم تضربه فيما زعم النصارى ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوما وفى بطركيته نزل بالنصارى شدة لم يعهدوا مثلها وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاطموا الاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لا يملك نفسه اذا غضب فقبض على عيسى بن نسطورس النصرانى وهو اذنى فى رتبة تضاهى رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وأزدهم بلبس ثياب الغيار وشدة الزناد فى أوساطهم ومنعهم من عمل الشعائين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عاداتهم فعلم فى أعينهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وأدخله فى الديوان وكتب الى أعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التى بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأحرق كنائس القدس خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فاتهبوا منها ما يجلب وصفه وهدم دير القصير وأناب العامة ما فيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وأزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التى رنة كل صليب منها خمسة أرطال فى أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولحم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس فى القاهرة ومصر أن لا يركب أحد من المكارية قمتيا ولا يحمل نوتى مسلم أحد من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجيز وأن يعلق اليهود فى أعناقهم خشبا مذكورا رنة الخشبة منها خمسة أرطال وهى ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ فى هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهبوا وأقطعوا فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها وأقطع أجباسها وبني فى مواضعها المساجد واذن بالصلاة فى كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة فى قصر الشمع وأكثرت الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابه رافعها لمسأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك ونصروا فى أجباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد فى المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الأعمال بتكليف المسلمين من هدم الكنائس والديارات

هكذا يباين
فى الأصل

فعم الهدم في عام من سنة ثلاث وأربع مائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذي هدم إلى آخر سنة خمس وأربع مائة بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل التي بناها الروم نصف وثلاثون ألف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلية على مبان عجيبة وأزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم إذا دخلوا الحمام وأزم اليهود أن يكون في أعناقهم الأجراس إذا دخلوا الحمام ثم أزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت انقصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعبقو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى وفي سنة سبع وأربع مائة وثب بهضأ كابر البلغري على ما حكمهم قطورس فقتله وملك عوضه وكتب إلى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فاقظه ثم قبل بعد سنة فسار الملك باسيل إليهم في شوال سنة ثمان وأربع مائة واستولى على مملكة البلغري وأقام في قلاعها عدة من الروم وعاد إلى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغري ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدة العداوة وقدم البيعاقبة عليهم سابونين بطر كابل بالاسكندرية في سنة إحدى وعشرين وأربع مائة في يوم الأحد ثالث عشر برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصف ومات في طوبه وكان محبا للمال وأخذ الشرطونية فخلا الكرسى بعده سنة وخمسة أشهر ثم قدم البيعاقبة آخر سطوديس بطر كابل في سنة تسع وثلاثين وأربع مائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذي جعل كنيسة يوم رقوقه بمصر وكنيسة السيدة بجارة الروم من القاهرة في أيام بطر كيت فلم يبق بعده بطر كابل اثنين وسبعين يوما ثم أقام البيعاقبة كيرلس أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وأربع مائة وعمل بدلة للبطاركة من ديساج أزرق وبلاية ديساج أحمر تصاوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يبق بعده بطر كابل مدة مائة وأربعة وعشرين يوما ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار في سنة اثنين وعشرين وأربع مائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات في المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما تقصى نيل مصر بعثه إلى بلاد الحبشة بمعية سنية فلقاه مالهكاها وسأله عن سبب قدومه فمترقه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سد يجرى منه الماء إلى أرض مصر ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه وفي سنة اثنين وتسعين وأربع مائة قدم البيعاقبة مقاري بطر كابل بدير يوم قارو وكل بالاسكندرية وعاد إلى مصر ثم مضى إلى دير يوم مقار ففقدت به ثم جاء إلى مصر فقدم البيعاقبة فقام ستا وعشرين سنة وأحد أو أربعين يوما ومات فخلت مصر من بطر كابل البيعاقبة سنتين وشهرين وفي أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الأفضل بن أمير الجيوش بهدمها فأنها كانت في بستانه وفي أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده ثم قدم البيعاقبة غبريال المكني بأبي العلاء عبد بن تربك الشمامس بكنيسة مر قوربوس في سنة خمس وعشرين وخمس مائة بالمعلقة وكل بالاسكندرية وقدم بالدير بوادي هبيب وأقام أربع عشرة سنة ومات فخلا بعد كرسى البيعاقبة ثلاثة أشهر ثم قدم البيعاقبة ميخائيل بن القديس الراهب بقلية دمشق بطر كابل فقام مدة سنة وسبعين يوما ثم أقيم يونس أبو الفتح بطر كابل بالمعلقة وكل بالاسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات في سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمس مائة فخلا الكرسى بعده ثلاثة وأربعين يوما وقدم مر قس بن زرعة المكني بأبي الفرج بطر كابل البيعاقبة بمصر وكل بالاسكندرية فأقام اثنين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوما ومات في أيامه انتقل مر قس بن قنبر وجماعة من القنابرة إلى رأى الملكية ثم عاد إلى البيعاقبة فقبل ثم عاد إلى الملكية ورجع فلم يقبل وكان هذا البطرك لهمة ومروءة وفي أيامه كان حريق شلور الوزير مصر في ثامن عشر هاتور فاحترقت كنيسة يوم رقوقه وخلا بعده كرسى البطاركة سبعة وعشرين يوما ثم قدم البيعاقبة يونس بن أبي غالب بطر كابل في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وخمس مائة وكل بالاسكندرية فأقام ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثلثي عشرة وست مائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحبيش وكان في ابتداء أمره تاجرا يتردد إلى اليمن في البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لا ولاد الخيل فاتفق أنه غرق في بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه إلى القاهرة وقد أسس أولاد الخيل من ماله فمالهم فلما التهمهم أن ماله قد سلم فأنه كان قد عمله في نقاش خشب مسخرة في المركب فصاراهم به عناية فلما مات مر قس بن زرعة سعي يونس هذا للقس أبي ياسر

فقال له أولاد الخباب خذ أنت البطركية ونحن نتركك فوافقهم وأقيم بطركاً فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة. وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يأكل لاحد من النصارى خبزاً ولا قبل من أحدهم دية فلما مات قام أبو الفتح تشوا الخليفة بن المقاتل كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق القيومي فإنه كان خصيصاً به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد بن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الاسعد بن صدقة كاتب دار القس بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحراً معهم الشموع إلى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا لا يصلم وفي شربعتنا أنه لا يتقدم البطرك إلا بانفاق الجهور عليه فبعث الملك الكامل بطبيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الاساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الاحد فركب الملك الكامل بنحو كبير من القلعة إلى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الامر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس إلى كنيسة بوجرج التي بالجزء وبطلت بطركيته وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوماً ثم قدم هذا القس بطركاً في يوم الاحد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالماً بدينه محباً للراية وأخذ الشرطونية في بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة فجمع جماعة اساقفة كثيرة بجمالكثير أخذ منهم وفاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى اقراره وأزماه وساعده الراهب السني بن النعبان وأشاع مثالبه وقال لا يصح له كهونية لانه يقدم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلساً عند صاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح فقام الكتاب النصارى في امره مع صاحب بجمالكثير إلى السلطان حتى استقر على بطركيته وخلأ كرسى البطركية بعده سبع سنين وستة أشهر وستة عشر يوماً ثم قدم البعاقبة ابناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الاحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكل بالاسكندرية فأقام احدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوماً ومات يوم الاحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة ففقد مصر من البطركية خمسة وثمانين يوماً وفي أيامه أخذ الوزير الاسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفانزي الجولي من النصارى مضاعفة وفي أيامه تارت عوام دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب ما فيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز إلى دمشق قرره على النصارى بهامائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وجعلها اليه بسفارة الامير فارس الدين اقطاي المستعرب اتابك العسكر وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها أن الامير سنجر الشجاع كانت حرمة وافرته في أيام الملك المنصور فلاون فكان النصارى يركبون الخيول ثانياً في أوساطهم ولا يجسر نصراني يتحدث مسلماً وهو راكب واذا مشى فبذلة ولا يقدر احد منهم يلبس ثوباً مصقولاً فلما مات الملك المنصور وتسلطن من بعده ابنه الملك الاشرف خليل خدم الكتاب النصارى عند الامراء الخاصة وقوا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهياهم وكان منهم كاتب عند خاصكي يعرف بعين الغزال فصنف يوماً في طريق مصر سمسار شونة مخدومه قتل السمسار عن دابته وقبل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الامير وهو يترقب له ويعتذر فلا يزيد ذلك عليه الا غلظة وأمر غلامه فقتل وكف السمسار ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار إلى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير وامنهم الامن يسأله أن يجلي عن السمسار وهو يمنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت استاذة فبعث غلامه لينجده من فيه فأناه بطائفة من غلمان الامير وأجاقيته فقصوه من الناس وشرعوا في القبض عليهم ليقبضوا عليهم فصاحوا عليهم ما يحل ومرروا مسرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطلاع الكتاب النصارى على السمسار وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعة باحضار

النصارى اليه وطلب الامير بدر الدين بيدر النائب والامير شجر الشجاعى - وتقدم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فجاز الابه حتى استقر الحال على أن ينادى في القاهرة ومصر أن لا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير وأمر الامراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتب النصارى الاسلام فن امتنع من الاسلام ضربت عنقه ومن اسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع مباحث ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطالب لهم وقد اختفوا فصار العاعة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عمّ النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدر النائب مع السلطان في أمر العاعة وتلف به حتى ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانى شتى وقبض على طائفة من العاعة وشهرهم بعد ما ضربهم فانكفوا عن النهب بعد ما نهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع النائب كثير من النصارى كتاب السلطان والامراء وقهم بين يدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى - وأمير جندار أن ياخذ اعدته معهم وينزلوا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفر واحفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب ناراً فتقدم الامير بيدر واشفع فيهم فابى أن يقبل شفاعته وقال ماريد في دولتى ديوانا نصرانيا فلم يزل به حتى سمح بأن من اسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتى مع السلطان في أمركم الاعلى شرط وهو أن من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشرفا بدينه المسلمين بن السقاى - أحد المستوفين وقال يا خوندوا بياقوا ديختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل ونموت عليه بروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاروه حتى نروح اليه فقبل بيدر الضحك وقال له وياك أن نحن نختار غير دين الاسلام فقال يا خوند ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم فأحضر العادل واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخلها على السلطان فالبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير صاحب شمس الدين محمد بن الساعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكن بن السقاى - وناولوه ورقة ليكتب عليها وقال يا مولانا القاضى اكتب على هذه الورقة فقال يا بنى ما كان لنا هذا القضاء فى خلد فلم يزلوا فى مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضرتهم فصاروا الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا ييدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كان يمنع نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدر النائب

أسلم الكافرون بالسيف قهرا * واذا ما خلوا فهم محرمونا
سلوا من رواح مال وروح * فهم سالمون لاسلمونا

* وفى آخريات شهر رجب سنة سبع مائة قدم وزير مملك المغرب الى القاهرة حاجا وصار يركب الى الموكب السلطانى وبيوت الامراء فينا هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة اذ هور رجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجة مصقولة وجماعة يمشون فى ركابه وهم يسألونه ويتضرعون اليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلانه أن يطردوهم عنه فقال له بعضهم يا مولاي الشيخ بحياة ولدك النشوتنظر فى حالنا فلم يزد ذلك الاعتوا وتجاهم فافرق المغربى لهم وهم بمخاطبته فى أمرهم فقبل له وانه مع ذلك نصرانى فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كف عنه وطلع الى القلعة وجلس مع الامير سلا رنائب السلطان والامير بيبس الجاشنك كير وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يكي رجة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الامراء وحذرهم نقمة الله وتسلط عدوهم عليهم من تمكين النصارى من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين واذلالهم اياهم وان الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذى كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا الى قوله وطلبوا بطول النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصارى كنيسة المعلقة ونصارى دير البغلى ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الاربعة وناظروا النصارى واليهود فادعوا الى التزام العهد العمرى - وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمامة الزرق وشدة الزنار فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والتزام الصغار وحرم عليهم مخالفة ذلك او شئ منه وانه يرى من النصرانية ان خالف ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكامة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمامة الصفراء والتزام

العهد العمري وكتب بذلك عدة نسخ سبرت الى الاعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس الا ما استجد بناؤه فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسج بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فشارت العامة ووقفوا للنائب والامراء واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير إذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمام الزرق واجتجى كثير منهم بالامراء فنودى في القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمام الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمام الصفراء ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه ومنعوا جميعا من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الامراء حتى يسلموا فاستلظت الغوغاء عليهم وتبعوهم في رأيه بغير الرى الذي رسم به ضربه بالنعال وصفعوا عنقه حتى يكاد يهلك ومن مريم وقدر كبر ولا يثنى رجلاه ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربا فاختفى كثير منهم وألبأت الضرورة عدة من أعيانهم الى اظهار الاسلام أففة من لبس الازرق وركوب الخيل وقد أكرشعراء العصر في ذكر تغبيرى اهل الذمة فقال علاء الدين على بن مظفر الوداعي

لقد أزم الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشوisha

فقلت لهم ما ألبسوك عماما * ولكم قد أزموك براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تجيبوا النصارى واليهود معا * والنامرين لما عموا الخرقا

كانغابات بالاصباغ منسهلا * نسرا السماء فأضجى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشالونه في سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الامراء مع ما خص به السلطان وكتب يسأل في فتح الكنائس فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة للبعاقبة وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهري وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ما هو موقوف على الكنائس من أراضي مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاضل النصارى وتعديهم في الشر والاضرار بالمسلمين لتكنهم من امراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالات في أثمانها والتبسط في الماء كل والمشارب ونحو وجههم عن الحد في الجراءة والسلاطة الى أن اتفق من ور بعض كآب النصارى على الجامع الازهر من القاهرة وهو راكب بحف ومهماز وبقاء اسكندري طرح على رأسه وقد امه طرادون يمنعون الناس من مزاجته وخلفه عدة عبيد بتياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأترلوه عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحدث جماعة مع الامير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالانصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين فرتب على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الامراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بجمعهم من الشر وطفرس بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم بطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والامراء بين يدي السلطان وقرأ القاضي علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة وقد أحضره معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقروا به فعددت لهم أفعالهم التي جاورها بها وهم عليها وانهم لا يرجعون عنها غير قليل ثم يعودن اليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف فاستقر الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشي من ديوان السلطان ودواوين الامراء ولو أظهروا الاسلام وأن لا يكره أحد منهم على اظهار الاسلام وكتب بذلك الى الاعمال فستلظت العامة عليهم وتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوه ضربا ولم يتركوهم حتى يسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاختفوا في بيوتهم ولم يتجاسروا على المشي بين الناس فنودى بالمنع من التعرض لآذاهم فأخذت العامة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموا واشتتت الامر على النصارى باختفائهم حتى انهم فقدوا من الطرقات مدة فلم يرمهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصارى قد استجدوا عمارات في كنائسهم وسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان

من النصارى فرسم برصوب والى القاهرة وكشفه على ذلك فلم تهمل العاتة ومترت بسرعة فخرت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفقهادين بالحوانية من القاهرة ودير نيمان من الحيرة وكنيسة بناحية بولاق التكرورى ونهبوا حواصل ما خربوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا خشبها ورخامها وهجموا كائس مصر والقاهرة ولم يبق الا أن يخربوا كنيسة البندقائين بالقاهرة فركب الوالى ومنعهم منها واشتدت العارمة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كتب الى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يستخدم يهودى ولا نصرانى ولو أسلم وانه من أسلم منهم لا يمكن من العبور الى بيته ولا من معايشة أهله الا أن يسلموا وأن يلزم من أسلم منهم بلازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأن من مات من أهل الذمة يترك المسلمون قسمة تركته على ورثته ان كان له وارث والا فهى لبيت المال وكان يلى ذلك البطرك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الامراء ثم نزل به الحاسب فقراءه في يوم الجمعة سادس عشرى جادى الاخرة بجوامع القاهرة ومصر فكان يوما مشهودا ثم حضر في أنغريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعد ما هدمت اصبح الشهيد الذى كان يلقى في النيل حتى يزيد برغمهم وهو في صندوق فأحرق بيزيدى السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده في البحر خشبية من أخذ النصارى له فقدمت الاخبار ~~كثرة~~ دخول النصارى من أهل الصعيد والوجه البحرى في الاسلام وتعلمهم القرآن وان أكثر كائس الصعيد هدمت وبنيت مساجد وانه أسلم بمدينة قلوب في يوم واحد أربع مائة وخسعون نصرانيا وكذلك بعامه الارياض مكرامنهم وخديعة حتى يستخدموا في المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الانساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يخفى أمرهم على من نور الله قلبه فانه يظهر من آثارهم القبيحة اذا تمكنوا من الاسلام وأهله ما يعرف به القطن سواء اصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته

* (فصل) * النصارى فرق كثيرة المملكانية والنسطورية والبعقورية والبرذعانية والمرقولية وهم الزهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء فمنهم من مذهبه مذهب الخترانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثنوية كلهم يقولون بنبوته المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب ارسطاطليس والمملكانية والبعقورية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الاقانيم الثلاثة شئ واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس الموحدا وان الابن نزل من السماء فقدرت جسد من مريم وظهر للناس يحيى ويبرى وبني ثم قتل وصلب وخرج من القبر لثلاث قطهر لقوم من أصحابه فعرفوه حتى معرفته ثم صعد الى السماء فخلص عن يمين أبيه هذا الذى يجمعهم اعتقاده ثم انهم يختلفون في العبارة عنه فمنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة اقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأخذ هذه الاقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الاب والابن وأن الابن لم يزل موجودا من الاب وأن الاب لم يزل والدا الابن لاعلى جهة النكاح والتناسل لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حر النار من ذات النار ومنهم من يزعم أن معنى قولهم ان الاله ثلاثة اقانيم انها ذات لها حياة ونطق فالحياة هى روح القدس والنطق هو العلم والحكمة والنطق

هكذا يباين
في الاصل

والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرها فهو عبارة عن ثلاثة أشياء عترج الى أصل واحد ومنهم من يزعم انه لا يصح له أن يثبت الاله فاعلا حكما الا انه يثبت حيا ناطقا ومعنى الناطق عندهم العالم المميز لا الذى يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحى عندهم من له حياة بها يكون حيا ومعنى العالم من له علم به يكون عالما فالواقداته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والاصل واحد فالذات هى العلة للثلاثين اللذين هما العلم والحياة والاشيان هما المعلولان للعلة ومنهم من يتزه عن لفظ العلة والمعلول في صفة القديم ويقول أب وابن ووالد ومزور روح وحياة وعلم وحكمة ونطق فالوا والابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحيا واحدا وان المسيح هو الاله العبادور بهم ثم اختلفوا في صفة الاتحاد فزعم بعضهم انه وقع بين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى اتحادا فصارا مسيحيا واحدا ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهرته وعنصره وان المسيح الاله معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولده وانه قتل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتى والاخر ناسوتى وأن القتل والصلب وقعاه من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولده من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون ان المسيح بكاه

الله معبود وأنه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى فالجواهر اللاهوتى بسيط غير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد ومخاطبته إياه ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كناية الخاتم والنقش اذ وقع على طين اوشمع وكظهور صورة الانسان في المرآة الى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يوجد مثله في غيرهم حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد والمملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم ثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد واليعقوبية تقول انه واحد قديم وانه كان لاجسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس والمرقولية قالوا الله واحد وعلمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال ابراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوزغانية تزعم أن المسيح هو الذى يحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم

*(فصل) * وعندهم لا بد من تنصير اولادهم وذلك انهم يغمسون المولود في ماء قد اغلى بالرباخين والوان الطيب في اجانة جديدة ويقرؤن عليه من كتابهم فيزعمون انه حينئذ ينزل عليه روح القدس ويسمى هذا الفعل المعمودية وطهارتهم انما هي غسل الوجه واليدين فقط ولا يحتن منهم الا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون الى بيت المقدس وزكاهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يوماً فالثاني والاربعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذى خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذى خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديده وهو اليوم الذى ظهر فيه المسيح لتلاميذه بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوماً عيد السلاق وهو اليوم الذى صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذى وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضاً عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرايين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الاسقف وفوق الاسقف المطران وفوق المطران البطريق والسكر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع في الصوم وكل ما يباع في السوق ولم تغفهم أنفسهم بياح أككله ولا يصح النكاح الا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء ما يحرمه المسلمون ولا يحل الجمع بين امرأتين ولا التسترى بالاماء الا أن يعتقن ويتزوج بهن واذا خدم العبد سبع سنين عتق ولا يحل طلاق المرأة الا أن تأتى بها حشة مينة قطلى ولا تحل للزوج أبداً وحده المحصن اذا زنى الرجم فان زنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوج بها ومن قتل عمداً قتل ومن قتل خطأ يترتب ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعن منهم من لا طأ أو شهد بالزور أو فاجر أو زنى أو سكر

(ذكر ديارات النصارى)

قال ابن سيده الديرخان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديرانى * قلت الدير عند النصارى يختص بالنساء المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة
(القلاية بمصر) هذه القلاية بجانب المعلقة التى تعرف بقصر الشمع في مدينة مصر وهى مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكماء عندهم حكم الاديرة

(دير طرا) ويعرف بدير أبى جرج وهو على شاطئ النيل * وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع عن دين النصرانية ونوع له العسقيات من الضرب والتعريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه

(دير شعران) هذا الدير في حدود ناحية طرا وهو مبنى بالجمر واللبن وبه ثقل وبه عدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وان شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديماً بمرقوريوس الذى يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لما سكنه برص وما بن التبان عرف بدير برص وما وله عيد يعمل في الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك وأكابر النصارى ويتفقون فيه مالا كبيراً * ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس في تاسع عشر تموز وخامس عشر ايب وكان جندياً

(دير الرسل) هذا الدير خارج ناحية الصف والودى وهو دير قديم لطيف

(دير بطرس وبولس) هذا الدير خارج اطفح من قبلها وهو دير لطيف وله عيد في خامس ايب يعرف بعيد

في بعض النسخ هنا ياض
شخورة اه

القصرية * وبطرس هذا هو أكبر الرسل الخواريين وكان دباغا وقيل صيادا قتلته الملك نيرون في تاسع عشرى حزيران وخامس أيب * وبواص هذا كان يهوديا قنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا إلى دينه فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة

* (دير الجيزة) * ويعرف بدير الجود ويسمى موضعه البحارة جزائر الدير وهو قبالة الميرون وهو عزبة لدير العزبة بنى على اسم أنطونيوس ويقال أنطونة وكان من أهل قن فلما انقضت أيام الملك دقلطيانوس وفاته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة فوصل ثوابها أو قريبا من ذلك فترهب وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا طاولا لا يتناول طعاما ولا شربا مع قيام الليل وكان هكذا يفعل في الصيام الكبير كل سنة

* (دير العزبة) * هذا الدير يسار إليه في الجبل الشرقي ثلاثة أيام بسير الابل وبينه وبين بحرا القلزم مسافة يوم كامل وفيه غالب الفواكه حردرة وبه ثلاثة أعين تجرى وبناه أنطونيوس المتقدم ذكره ورهبان هذا الدير لا يزالون دهرهم صائمين لكن صومهم إلى العصر فقط ثم يفطرون ما خلا الصوم الكبير والبرمولات فان صومهم في ذلك إلى طلوع النجم والبرمولات هي الصوم كذلك بلغتهم

* (دير أنبا بولا) * وكان يقال له أولادير بواص ثم قيل له دير بولا ويعرف بدير النورة أيضا وهذا الدير في البر الغربي من الطور على عين ماء يردها المسافرون وعندهم أن هذه العين ظهرت منها مريم اخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى بنى إسرائيل في بزة القلزم * وأنبا بولا هذا كان من أهل الاسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولأخيه مالا يجانحاصه أخوه في ذلك وخرج مغاضبا له فرأى ميتا يقبر فاعتبر به ومتر على وجهه سائح حتى نزل على هذه العين فأقام هناك والله تعالى يرزقه فزبه أنطونيوس وصحبه حتى مات فبنى هذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجرى أيضا

* (دير القصير) * قال أبو الحسن علي بن محمد الشاذلي في كتاب الديارات وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسين البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يستقي له منها الماء وفيه حكمة صورة مريم عليها السلام في لوح والناس يقصدون الموضع للنظر إلى هذه الصورة وفي أعلاه غرفة بناها أبو الجليش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات إلى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير مجيبا بالصورة التي فيه يستحسنها ويشرب على النظر إليها وفي الطريق إلى هذا الدير من جهة مصر صعوبة وأمان قليلة فسهل الصعود والنزول وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهي قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته أمه إلى البحر في التابوت وبه أيضا دير يعرف بدير شهران ودير القصير هذا أحد الديارات المقصودة والمنتزهات المطروقة لحسن موضعه وشرافه على مصر وأعمالها وقد قال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته ولا يحرى أن أبي عاصم فيه من المنسرح

كملى بدير القصير من قصف * مع كل ذى صبوة وذى ظرف

لهوت فيه بشادن غنج * تقصر عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وقد اختلف في القصير فعن ابن لهيعة قال ليس بقصير موسى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال دخلنا على كعب الأحبار فقال لنا من أنتم قلنا قناتيان من أهل مصر فقال ما تقولون في القصير قلنا قصير موسى فقال ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان إذا جرى النيل يرفع فيه وعلى ذلك أنه لقدم من الجبل إلى البحر قال ويقال بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون إذا هو ركب من منف إلى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فاذا وأوال النار علوا بر كوبة فاعذوا له ما يريد وكذلك إذا ركب من مصر فامن عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم

سلام على دير القصير وسفحه * بجينات حلوان إلى النخلات

منازل كانت لي بهن ما ركب * وكنت مواخيرى ومنتزهاتى

إذا جئتها كان الجياد مراكبي * ومنصر في السفن منحدرات

فأقبض بالابصار وحنى عينها * وأقنص الانسى في الظلمات
معى كل بسام أغر مهذب * على كل مايوى النديم موائ
ولجان عما أمسكته كلابنا * علينا وما صيدى الشبكات
وكأس وباريق ونأى ومزهر * وساق غرير فاطر اللطفات
كان قضيب البان عند اهتزاره * تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفوى مشارب لنقى * وتعجب أيام السرور حياقي

وقال علماء الاخبار من النصارى ان أرفاد يوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده فظن أنه يقتله ففرّ
الى مصر وذهب فبعث اليه أمانا وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده فاستغنى وتحوّل الى الجبل المقطم شرق
طرا وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه أرفاد يوس فاذا هو قد مات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو
المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل أنه كان به بغل يستقى عليه الماء فاذا خرج من
الدير أتى الموردة وهناك من يلاء عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير * وفي رمضان سنة أربع مائة أمر
الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام

* (دير مر حنا) * قال السابتي دير مر حنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل والى جانبه بساتين
أنشأ بعضها الأمير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشاه الأمير تميم أيضا وبقر
الدير يترعرع بثمر مائى عليها جيزة كبيرة يجتمع الناس اليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغانى اللعب
ومواطن القصف والطرب وهو زه في أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر في أيام الزرع والنواوير
لا يكاد حينئذ يخلو من المتزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يعرف اليوم
بدير الطين بالنون

* (دير أبي النعناع) * هذا الدير خارج انصنا وهو من جلة عماراتها القديمة وكنيسته في قصره لاني أرضه
وهو على اسم أبي بختنص القصير وعنده في العشرين من بابيه وسياقي ذكر أبي بختنص هذا

* (دير مغارة شقليل) * هو دير لطيف معلق في الجبل وهو نقر في الحجر على حفرة تحتها عقبة لا يتوصل اليه من
أعداءه ولا من أسفله ولا سلم له وانما جعلت له نقور في الجبل فاذا أراد أحد أن يصعد اليه ارحيت له سلمة
فأمسكها بيده وجعل رجله في تلك النقور وصعد به طاحونة يديرها جارا واحدا ويطل هذا الدير
على النيل تجاه منفلوط وتجاه ام القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهي التي يقال لها شقليل وبها قريتان
احدهما شقليل والاخرى بنى شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم يومينا وهو من الاجناد
الذين عاقبهم ديقاطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للاصنام فثبت على دينه فقتله في عاشور حزين ورا دس
عشر بابيه

* (دير بقطر) * بجارج أنبوب من شرقي بني مرت تحت الجبل على مائتي قصبة منه وهو دير كبير جدا وله عيد
يجتمع فيه نصارى البلاد شرقا وغربا ويحضره الاسقف * ويقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء
ديقاطيانوس وكان هو جيل شجاعا له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع الى عبادة الاصنام
فلم يفعل فقتله في ثاني عشر نيسان وسابع عشرى برمودة

* (دير بقطر شرق) * في بحري أنبوب وهو دير لطيف خال وانما تأتيه النصارى مرة في كل سنة * ويقطر شرق
من عذبه ديقاطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتله في العشرين من هاتور وكان جنديا
* (دير بوجرج) * بنى على اسم بوجرج وهو خارج المعصرة بناحية شرق بني مترو تارة يخلو من الرهبان
وتارة يعمر بهم وله وقت يعمل العيد فيه

* (دير حماس) * وحاس اسم بلد هو بحريها وله عيدان في كل سنة وجوعات متعددة
* (دير الطير) هذا الدير قديم وهو مطل على النيل وله سلام منحوتة في الجبل وهو قبالة منلوط * وقال السابتي
وبنواحي انجيم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو يقرب الجبل المعروف ببجبل الكهف وفي موضع
من الجبل شق فاذا كان يوم عيده هذا الدير لم يبق في البلد بوقير حتى يجي الى هذا الموضع فيكون أمر اعظيما

بكثرتها واجتماعها وصباحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه في ذلك الشق ويصيح ويخرج ويحي غيره الى أن يعلق رأس أحدها وينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت وتتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر * وقال القاضي أبو جعفر القضاة ومن عجائبها يعني مصر شعب البوقيرات بناحية اشموم من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفاً تعرض أنفسها على الصدع فكلاً أدخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لطيفته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذي تحبسه معلقاً حتى يتساقط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد بطل هذا في جلة ما بطل

* (دير أبي هرمينة) * بحري فاوالخراب وبحريه برافا وهو هي ملوثة كتباً وحكايا بين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى

* (دير السبعة جبال باخيم) * هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذي هو في لطفه وأذا بقي للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجة عين ماء تظلمها صفصافة ويعرف هذا الموضع الذي فيه دير الصفصافة وادى الملوكة لان فيه نباتاً يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمر فان يدخل في صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير (دير القرقس) وهو في أعلى جبل قد نفق فيه ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه في نقور في الجبل ولا يتوصل اليه الا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان

* (دير صبرة) * في شرقي اخميم عرف بعرب يقال لهم بنى صبرة وهو على اسم ميخائيل الملك وليس به غير راهب واحد

* (دير أبي بشادة الاسقف) * قريب من ناحية انقه وهو بالحاجر وتجاهاه في الغرب منشأة اخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى

* (دير بوهور الراهب) * ويعرف بدير سواده وسواده عرب قزل هناك وهو قبالة منية بنى خصيب خربت به العرب وهذه الدير كلها في الشرق من النيل وجميعها اليعاقبة وليس في الجانب الشرقي الا ن سواها وأما الجانب الغربي من النيل فانه كثير الديار لكثرة عمارته

* (دير دموة بالجيزة) * وتعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع اقام بدموة وأن كنيسة دموة التي بأيدي اليهود الآن كانت ديراً من ديارات النصارى فابسا عنه منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم

* (دير نهما) * قال السابتي ونها بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأزهرها وأطيبها موضعاً وأجلها موقعاً عامر برهبانه وسكانه وله في أيام النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرعت الأرض اظهرت أراضيها غرائب النواوير وأصناف الزهور وهو من المنتزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضاً متصيد بمنع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا الدير

* (دير طموه) * قال ياقوت طموه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وباء ساكنة قريتان بمصر احدهما في كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة قال السابتي وطموه في الغرب بأزاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والتخل والشجر وهو زرع عامر أهل وله في النيل منظر حسن وحين ينحصر الأرض يكون في بساطين من البحر والزراع وهو أحد منتهات أهل مصر المذكورة ومواقع لهوها المشهورة * ولابن أبي عاصم المصري فيه من البسيط

واشرب بطموه من صهباء صافية * تزي بزخم قري هيت وعانات

على رياض من النوار زاهرة * تجرى الجداول فيها بين جنات
 كأن نبت الشقيق العصفري بها * كاسات خربت في اثر كسات
 كأن رجبها من حسنه حديق * في خفية يتناجى بالاشارات
 كأنما النيل في مزاليم به * مستلثم في دروع سايريات
 منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكن قدما مواخيرى وحاناتى
 اذلا أزال حلما باله — سبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

قلت هذا الدير عند النصارى على اسم يوحنا ويجمع فيه النصارى من النواحي

* (دير اقفاص) * وصوابها اقفص وقد خرب

* (دير خارج ناحية منهرى) * حامل الذكر لانهم لا يطعمون فيه أحدا

* (دير الخادم) * على جانب المنهى بأعمال الهمساعلى اسم غريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون

* (دير أشنين) * عرف بناحية أشنين فانه في بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد

* (دير ايسوس) * ومعنى ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد في خامس عشرى بنفس فاذا كان ليلة هذا اليوم سدت بئر فيه تعرف بتر ايسوس وقد اجتمع الناس الى الساعة السادسة من النهار ثم كشفوا الطابق عن البئر فاذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل فيبث وصل الماء فاسوا منه الى موضع استقر فيه الماء فابلق كانت زيادة النيل في تلك السنة من الاذرع

* (دير سدمنت) * على جانب المنهى بالحاجر بين القيوم والريف على اسم يوحنا وقد ضعفت أحواله عما كان عليه وقل ساكنه

* (دير القلون) * ويقال له دير الخشبة ودير غريال الملك وهو تحت مغارة في الجبل الذي يقال له طارف القيوم وهذه المغارة تعرف عندهم بظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطل على بالدين يقال لهما اطفح شيلا وشلا ويلا الماء لهذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجمع فيه نصارى القيوم وغيرهم وهو على السكة التي تنزل الى القيوم ولا يسلكها الا القليل من المسافرين

* (دير القلون) * هذا الدير في بزية تحت عقبة القلون يتوصل المسافر منها الى القيوم يقال لها عقبة الغريق وبني هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومات في ثامن كميل وفي هذا الدير نخل كثير يعمل من ثمره العجوة وفيه أيضا شجر اللبج ولا يوجد الا فيه وثمره بقدر الليون طعمه حلوى مثل طعم الرايح ولوا عدة منافع وقال أبو حنيفة في كتاب النبات ولا ينبت اللبج الا بأصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرغف ناشرها ويساع ألواح منها يخمس ديارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرحا في الماء سنة التأم وصارا لوحا واحدا وفي هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق وفيه أيضا عين ماء تجري وفي خارجه عين أخرى وبهذا الوادى عدة معابد قديمة وثم واد يقال له الاميل فيه عين ماء تجري وتخلل ثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحه يبيع رهبان الدير لمخافهم تلك الجهات

* (دير السيدة مريم) * خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلول وكان بأعمال الهمساعدة ديارات خربت

* (دير برقانا) * بحرى بنى خالد وهو مبنى بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان به في القديم ألف راهب وليس به الآن سوى راهبين وهو في الحاجر تحت الجبل

* (دير الوجه) * على جنب المنهى وهو لاهل دلجة وهو من الاديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين وهو باراء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين

* (دير مرقورة) * ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقها وليس به أحد

- * (دير صنبو) * في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به أحد
 * (دير نادرس) * قبلي صنبو وقد تلاثى أمره لاتضاع حال النصارى
 * (دير اليرمون) * في شرقي ناحية اليرمون وهو شرقي ملوى وغربي أنصنا وهو على اسم الملك غبريال
 * (دير المحرق) * تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياما وله عيد عظيم
 يعرف بعيد الزيتون وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير
 * (دير بني كلب) * عرف بذلك لنزول بني كلب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان
 وانما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها
 * (دير الجاولية) * هذا الدير ناحية الجاولية من قليها وهو على اسم الشهيد مرقس الذي يقال له مرقورة
 وعليه رزق محبة وتأنيب الذنوبات والعوايد وله عيدان في كل سنة
 * (دير السبعة جبال) * هذا الدير على رأس الجبل الذي غرق سيوط على شاطئ النيل ويعرف بدير بختس
 القصير وله عدة أعياد وخرب في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة من منسوط طرقة لبللا * (بختس) ويقال
 أبو بختس القصير كان راهبا قصاله أخبار كثيرة منها انه غرس خشبة يابسة في الأرض بأمر شيخه له وسقاها
 الماء مدة فصارت شجرة مثمرة تأكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في دير
 * (دير المثل) * هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط
 وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان

* (اديرة أدرنكة) *

- اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قرى النصارى الصاعدة ونصاراها أهل علم في دينهم وتفاسيرهم في اللسان
 القبطي ولهم اديرة كثيرة في خارج البلد من قليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقي منها
 * (دير بوجرج) * وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوائل
 * (دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه) * على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا
 ومعناه التساخ فان تساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل وفيه مغائر كثيرة منها
 ما يسر الماشي بجنبه نحو بومين
 * (دير أبي بغيام) * تحت دير كرفونه بالحاجر وقد كان أبو بغيام جنديا في أيام ديقلطيانوس قنصر وعذب
 ليرجع عن دينه ثم قتل في ثامن عشرى كانون الاول وثاني كيهك
 * (دير بوساويرس) * بجارج أدرنكة كان على اسم السيدة مريم وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا
 وظهرت آية عند موته وذلك انه أنذرهم لما ساروا الى الصعيد بأنه اذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على
 الكنيسة فلا تضرها فلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير
 بأن ساويرس قد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه
 * (دير نادرس) * تحت دير بوساويرس ونادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس أحدهما يقال له
 قائل التين والاخر الاسفهلار وقتلا كما قتل غيرهما
 * (دير منسي آل) * ويقال منسالك وبني سالك وابساك ومعنى ذلك اسحاق وكان على اسم السيدة ماريها
 يعني مار مريم ثم عرف بمنسالك وكان راهبا قديما له عندهم شهرة وبهذا الدير يترتج في الحاجر منها شرب
 الرهبان فاذا زاد النيل شربوا من مائه
 * (دير الرسل) * تحت دير منسالك ويعرف بدير الاثل وهو لا عمل بونيغ ودير منسالك لاهل ربة هو ودير
 ساويرس ودير كرفونه لاهل سيوط ودير بوجرج لاهل أدرنكة ودير الاثل كان في خراب فعمر بجانيه كفر لطيف
 عرف بنسأة الشيخ لان الشيخ أبابكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا وقد وجد موضعه بئر كبيرة
 وجد بها كرا أخبرني من شاهد من ذهبه دنائير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مئة قال ونصف
 وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغائر عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة
 القدماء كما على البرابي وهي من خرقه بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المثل

ودير التسخاخ خارج سيوط في المقابر ويقال انه كان في الخارجين ثلثمائة وستون ديراوان المسافر كان لا يزال من البدرشين الى اصفون في ظل البساتين وقد خرب ذلك وبادأهله

* (دير موشه) * وموشه خارج سيوط من قبايلها بنى على اسم توما الرسول الهندي وهو بين الغيطان قريب من ربة وفي أيام النيل لا يوصل اليه الا في مراكب وله أعياد والاعلى على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطي الصعيدي وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون الا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضا معرفة تامة باللغة الرومية * (دير أبي مقروفة) * وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير وهو منقور في لطف الجبل وفيه عدة مغار وهو على اسم السيدة مريم وبقروفة نصارى كثيرة غمامة ورعاة أكثرهم همج وفيهم قليل من يقرأ ويكتب وهو دير معطش

* (دير بومغام) * خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديما أهل علم * (دير بوشنوده) * ويعرف بالدير الايض وهو غربي ناحية سوهاى وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه الا كنيسة ويقال ان مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقي منه نخوفدان وهو دير قديم * (الدير الاحمر) * ويعرف بدير ابي بشاي وهو بجري الدير الايض بينهم نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر وأبو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تليذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب وله دير آخر في بزية شبات

* (دير ابي ميساس) * ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير * وأبو ميسيس هذا كان راهبا من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم يذكرونه ويرغمون فيه من اعم ولم يبق بعد هذا الدير الاديرة بجارج اسنا ونقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثروا من الصعيدي فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخرت أصفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد وهي كلها متلاشية آتلة الى الدور بعد كثرة عمارتها ووقورها أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم * (وأما الوجه البحري) * فكان فيه اديرة كثيرة خربت وبقي منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحرها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور في تاسع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وأباح ما كان فيها فنب منها ثمانين كنيسة بعد ما أمر في شهر ربيع الاول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضا في سنة أربع وتسعين كنيسة هنالك وألزم النصارى بلبس السواد وشدة الزنا وقبض على الاملاك التي كانت محبسة على الكنائس والاديرة وجعلها في ديوان السلطان وأحرق عدة كنيسة كثيرة من الصليبان ومنع النصارى من اظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين وتشد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان في ناحية أبي الغرس من الجيزة كنيسة قام في هدمها رجل من الزبالعة لانه سمع أصوات النواقيس يجهر بها في ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك في أيام الاشرف شعبان بن حسين فتمكن الاقباط في الدولة فقمام في ذلك مع الأمير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضي جمال الدين محمود العجمي محتسب القاهرة في ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجدا

* (دير الخندق) * ظاهر القاهرة من بحر يها عمره التائب جوهر عوضا عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقريط البئر التي تعرف الآن ببئر العظيمة وكانت اذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل انه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق في رابع عشر شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة في أيام المتصور قلاون ثم جدد هذا الدير الذي هنالك بعد ذلك وعمل كنيسة في باي ذكرهما في الكنائس

* (دير سرياقوس) * كان يعرف بأبي هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشافعي وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاءه بختيز فلحس موضع الوجع ثم أكل الخنازير

التي فيه فلا يتعدى ذلك الى الموضع الصحيح فاذا انطفئ الموضع ذر عليه رئيس الدير من رماذ خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه بزيت قنديل البيعة فانه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذي أكل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعذر ما دمل مثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى

* (دير اتريب) * ويعرف بمارى مريم وعيده في حادى عشرى بؤته وذكر الشابتى أن حمامة بيضاء تأتي في ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من اين جاءت ولا يرونها الى يوم مثله * وقد تلاشى أمر هذا الدير حتى لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون في عيده وهو على شاطئ النيل قريب من بنها العسل

* (دير المغطس) * عند الملاحات قريب من بحيرة البرلس وتحت اليه النصارى من قبلى "أرض مصر ومن بحر بها مثل حجهم الى كنيسة القمامة وذلك يوم عيده وهو في بشنس ويسمونه عيد الظهور من أجل انهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلفة وليس بهذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة في قلبه بشرق وبقرية الملاحة التي يؤخذ منها الملح الرشيدى وقد هدم هذا الدير في شهر رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين بقيام بعض الفقراء المعتقدين

* (دير العسكر) * في أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل وبقرية ملاحه الملح الرشيدى ولم يبق به سوى راهب واحد

* (دير جبانة) * على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد

* (دير المينة) * بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جليلة ولم يكن في القديم دير بالوجه البحرى أكثر رهباناً منه الا انه تلاشى أمره وخرب قفله الحبش وعمروه وليس في السباخ سوى هذه الاربعة الاديرة * وأما وادى هيب وهو وادى النظرون ويعرف ببرية شبات وبرية الاسقط ويميزان القلوب فانه كان بها في القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غربا على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والقيوم وهى في رمال منقطعة وسباخ مالحة وبرار منقطعة معطشة وقصار مهلكة وشراب أهلها من حفائر وتحمل النصارى اليهم النذور والقرابين وقد تلاشت في هذا الوقت بعد ما ذكر مورخو النصارى انه خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون ألف راهب يد كل واحد عكا زفلوا عليه وانه كتب لهم كتابا هو عندهم

* (قنادرابى مقار الكبير) * وهو دير جليل عندهم وبخارجة اديرة كثيرة خربت وكان دير التساك في القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرسى "اسكندرية" ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسة لاتزال مقيمة به وليس به الآن الا قليل منهم والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسكندرانى ثم ابو مقار الاسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم في ثلاث انايب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضا الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هيب بجرانه نواحى الوجه البحرى على ما أخبرنى من أخير رؤيته فيه * (أبو مقار الاكبر) هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن انطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاشكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ولقى انطونيوس بالجبل الشرقى من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير الى وادى النظرون ليقم هناك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها انه كان لا يصوم الاربعة الاطوايا في جميعها لا يتناول غذاء ولا شرابا البتة مع قيام ليلاها وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما كل خبز اطرياق بل يأخذ القراقيش فيلبها في نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير ما يمسك الرق من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتى مضوا السيلهم * وأما ابو مقار الاسكندرانى فانه ساح من الاسكندرية الى مقاريوس المذكور وتذهب على يديه ثم كان ابو مقار الثالث وصارا أسقفا

* (دير ابى بختن القصير) * يقال انه عمر في أيام قسطنطين بن هيلانة ولا ينجس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن الا ثلاثة رهبان

* (دير الياس) * عليه السلام وهو دير الحبشة وقد خرب دير بجنتس كما خرب دير الياس اكلت الارضة أخشابهما فسقطا وصارا الحبشة الى دير سيدة بوجنتس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بوجنتس القصير * وبالقرب من هذه الديرية

* (دير انبا نوب) * وقد خرب هذا الدير أيضا (انبا نوب) هذا من أهل سمندود قتل في الاسلام ووضع جسده في بيت بسمندود

* (دير الارمن) * قريب من هذه الديرية وقد خرب * وبجوارها أيضا

* (دير بوبشاي) * وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاي هذا كان من الرهبان الذين في طبقة مقاريوس وبجنتس القصير وهو دير كبير جدا

* (دير بارزادير بوبشاي) * كان يدعى البعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة وهو يدهم الآن ومواقع هذه الديرية يقال لها بركة الديرية

* (دير سيدة برموس) * على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان * وبازاته

* (دير موسى) * ويقال أبو موسى الاسود ويقال برموس وهذا الدير لسيدة برموس فبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدي ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم الى أرض مصر وعبر بترية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتى مات وكان فاضلا وأمانا في حياته ابنا الملك المذكور وترهبها على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس وأبو موسى الاسود كان لصافا قاتل مائة نفس ثم انه نصر وترهب وصنف عدة كتب وكان ممن يطوى الاربعين في صومه وهو بربري

* (دير الزجاج) * هذا الدير خارج مدينة الاسكندرية ويقال له الهياطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك انه لا بد أن يتوجه من المعلقة بمصر الى دير الزجاج هذا ثم انهم في هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرية البعاقبة

* (وللنساء ديارات تختص بهن) * فها (دير الراهبات) بحارة ذويلة من القاهرة وهو دير عامر بالابكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى

* (دير البنات) * بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات

* (دير المعلقة) * بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن

* (دير بربرة) * بمصر بجوار كنيسة بربرة عامر بالبنات المترهبات (بربرة) كانت قديسة في زمان دقلطيانوس فعذبها لترجع عن دياتها وتسجد للاصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهي بكر لم يسهار رجل فلما نيس منها ضرب عنقها وعنق عدة من النساء معها * (وللنصارى الملكية) * قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكايل بالقرب من جسر الافرم خارج مصر وهي مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم

* (دير بجنتس القصير) * المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرّف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد واسكان الياء آخر الحروف فكانت تصغير قصير وأصله كما عرفت دير القصير الذي هو ضد الطويل وسمى أيضا دير هرقل ودير البغل وقد تقدم ذكره وكان من اعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو يد الملكية

* (دير الطور) * قال ابن سيده الطور الجبل وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طورى والنسب اليه طورى وطواري * وقال ياقوت طور سبعة مواضع * الاول طور زيتا بلفظ الزيت من الادهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين * الثاني طور زيت أيضا جبل بالبيت المقدس وهو شرقي سلوان * الثالث الطور علم لجبل بعينه مطل على مدينة طبرية بالاردن * الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر من الجهة القبيلة بين مصر وجبل فاران * الخامس طور سيناء اختلفوا فيه فقيل هو جبل بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجازية وقيل سحرية * السادس طور عبيدين

يفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الال المهملة وباء آخر الحروف ونون اسم البلدة من نواحي نصيبين
في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودي * السابغ طور هارون أخى موسى عليهما السلام *
وقال الواحدى في تفسيره وقال الكلبي وغيره والجبل في قوله تعالى وله كن انظر الى الجبل اعظم جبل
بعد ين يقال له زبرود كركلبي أن الطور سمي بطور بن اسماعيل قال السهيلي فلهذا محذوف الباء ان كان صح
ما قاله وقال عمر بن شبة أخبرني عبد العزيز عن أبي معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أنهار في الجنة وأربعة أجبل وأربع ملاحم في الجنة
فأما الأنهار فسيحان وجحان والنيل والفرات وأما الاجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن
الملاحم * وعن كعب الاحبار معقل المسلمين ثلاثة فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الاردن
ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور * وقال شعبة عن ارطاة بن المنذر اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى
الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام اني قد أخرجت خلقا من خلقي لا يطيقهم أحد غيري فترجم معك الى
جبل الطور فتمز معه من الذراري اثنا عشر ألفا وقال طلق بن حبيب عن زرعة أردت الخروج الى الطور
فأتيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقلت له فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد الى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلاتأته وقال القاضي أبو عبد الله
محمد بن سلامة القاضي وقد ذكر كور أرض مصر ومن كور القبله قرى الحجاز وهي كورة الطور
وفاران وكورة راية والقلم وكورة ابلة وحيزها ومدين وحيزها والعويد والحوراء وحيزهما
ثم كورة بدوشعيب * قلت لا خلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذي
كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه أو عنده وبه الى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير
به فخل وعنب وغير ذلك من الفواكه * وقال الشاشي وطور سيناء هو الجبل الذي تجلي فيه النور لموسى بن
عمران عليه السلام وفيه صق والدير في اعلى الجبل مبنى بحجر أسود عرض حصنه سبع اذرع وله ثلاثة أبواب
حديدي وفي غريبه باب لطيف وقدامه حجرا قديم اذا اراد وارفعه رفعوه واذا قصد هم أحد أرسلوه فانطبق على
الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء خارجة عين أخرى وزعم النصارى أن به نار من انواع
النار التي كانت بيت المقدس يقدون منها في كل عشية وهي بيضاء لطيفة ضعيفة الحار لا تحرق ثم تقوى
اذا أوقد منها السراج وهو عامر بالزهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة * قال ابن عامر
فيه

انهار الخ
الحديث
في بيدي
ليها فليراجع
هـ معصمه

يا راهب الدير ماذا الضوء والنور * فقد أضاء بما في ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبرجها * أو غيب البدر فيه وهو مستور
فقال ما حله شمس ولا قمر * لكن تقرب فيه اليوم قورير

قلت ذكر مؤرخو النصارى ان هذا الدير أمر بهمارته يوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن
نوقه عدة قلالى وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من العرب وفي أيام هذا الملك كان
الجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلم وبين القلم وكانت مدينة طريقان احدهما في البر والاخرى في البحر
وهما جيبعا يؤديان الى مدينة فاران وهي من مدائن العمالة ثم منها الى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر
الى القلم ثلاثة أيام ويصعد الى جبل الطور بسطة آلاف وستمائة وست وستين فراسة وفي نصف الجبل كنيسة
لايلىا النبي وفي قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذي
كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الألواح ولا يكون فيها الراهب واحد الخدمة ويرعون أنه لا يقدر أحد أن
يبني فيها بل يبنيا له موضع من خارج بيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيستين وجود

* (دير البنات بقصر الشمع بمصر) * وهو على اسم يوحنا وكنان مقياس النيل قبل الاسلام وبه آثار
ذلك الى اليوم فهذا ما للنصارى العاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبلها وبحريها
وعدتها ستة وثمانون ديار منها لليعاقبة دير او الملكية

ياض في الاصل

* (ذكر كنائس النصارى) *

قال الازهرى كنيسة المودج بها كائس وهي معربة اصلها كنشت انتهى وقد نطقت العرب بذكر
الكنيسة قال العباس بن مرداس السلي

يدورون بي في ظل كل كنيسة * وما كان قومي يبتنون الكائسا

وقال ابن قيس الرقيات كانتا دمية مصورة * في بيعة من كائس الروم

* (كنيسة الخندق) * ظاهر القاهرة احدهما على اسم غريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس وعرفت
برويس وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة وعند هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم وتعرف بمقبرة
الخندق وعمرت هاتان الكنستان عوضا عن كائس القس في الايام الاسلامية

* (كنيسة حارة زويلة بالقاهرة) * كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة وهي على اسم السيدة وزعموا
انها قديمة تعرف بالحكيم زايون وكان قبل الملة الاسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وانه صاحب علوم شتى
وان له كنزا عظيما يتوصل اليه من بئر هناك

* (كنيسة تعرف بالمغيشة) * بجارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة
سوى هاتين الكنيستين وكان بجارة الروم أيضا كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربرة هدمت في سنة
ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسألون
الاذن في إعادة ما تهدم منها فأذن لهم في ذلك فعمروها أحسن ما كانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة
للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرس للامير علم الدين سنجر الخازن وإلى
القاهرة بهدم ما جددوه فركب وقد اجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها في اسرع وقت وأقاموا
في موضعها محرابا وأذنوا وصلوا وقرأوا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم تمكن معارضتهم خشية الفتنة فاشتد الامر
على النصارى وشكوا أمرهم للقاضي كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبا لدين اسلافه وما زال بالسلطان
حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك

* (كنيسة بومنا) * هذه الكنيسة قرية من السديمايين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كائس متجاورة
احداها لليعاقبة والاخرى للسريان وأخرى للارمن ولها عيد في كل سنة تجتمع اليه النصارى
* (كنيسة المعلقة) * بمدينة مصر في خط قصر الشمع على اسم السيدة وهي جليلة القدر عندهم وهي غير
القلية التي تقدم ذكرها

* (كنيسة شنودة) * بمصر نسبت لابي شنودة الراهب القديم وله أخبار منها انه كان ممن يطوى
في الاربعين اذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو وابائهم من عمل الخوص وله عدد
مصنفات

* (كنيسة مريم) * بجوار كنيسة شنودة هدمها على بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر
لما ولي من قبل أمير المؤمنين الهادي موسى في سنة تسع وستين ومائة وهدم كائس محرس قسطنطين وبذل
له النصارى في تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس في خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى في بنان الكائس التي هدمها على بن سليمان
فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالاهم من عمارة البلاد واحتجابا بأن الكائس التي بمصر
لم تبني الا في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين

* (كنيسة بوجرج الثقة) * هذه الكنيسة في درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب الثقة ويجاورها كنيسة
سيدة بوجرج

* (كنيسة بربرة) * بمصر كبيرة جليلة عندهم وهي تنسب الى القديسة بربرة الراهبة وكان في زمانها راهبتان
بكران وهما ابسى وتكلمة ويعمل لهن عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق

* (كنيسة بوسرحه) * بالقرب من بربرة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يقال ان المسيح وأمه مريم
عليهما السلام جلسا بها

* (كنيسة بابليون) * في قبلي قصر الشمع بطريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جدا وهي لطيفة ويذكر

أن تحبها كنزاً بليون وقد خرب ما حولها

* (كنيسة تاودورس الشهيد) * بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهلار

* (كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضاً) * وهاتان الكنستان مغلوقتان لخراب ما حولهما

* (كنيسة بومنا) * بالجرء وتعرف الجرء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة في سنة سبع عشرة ومائة من سني الهجرة بأذن الوليد بن رفاعه أمير مصر فغضب وهيب اليحصبي وخرج على السلطان وجاء إلى ابن رفاعه ليقتله فأخذ وقتل وكان وهيب مدرياً من العين قدم إلى مصر فخرج القترء على الوليد بن رفاعه غضباً لو هيب وقتلوه وصارت معونة امرأته وهيب تطوف ليلاً على منازل القترء تحترضهم على الطلب بدمه وقد حلفت رأسها و كانت امرأته جرة فأخذ ابن رفاعه بأعيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي بالقترء فاعتذروا إلى ابن رفاعه عنهم فسكنت الفتنة بعد ما قتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالجرء إلى أن كانت واقعة هدم الكنائس في أيام الناصر محمد بن قلاوون على ما يأتي ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى في وقت واحد

* (كنيسة الزهري) * كانت في الموضع الذي فيه اليوم البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع في بر الخليل الغربي غربي اللوق واتفق في أمرها عدة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع في سنة عشرين وسبع مائة قصد بناء زربية على النيل الاعظم بجوار الجامع الطيبرسي فأمر بنقل كوم تراب كان هناك وحفر ما تحته من الطين لاجل بناء الزربية وأجرى الماء إلى مكان الحفر فصار يعرف إلى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبع مائة فلما انتهى الحفر إلى جانب كنيسة الزهري وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها وبجانباها أيضاً عدة كنائس في الموضع الذي يعرف اليوم بحكر أقبغا ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر أخذ القنطرة في الحفر حول كنيسة الزهري حتى بقيت قائمة في وسط الموضع الذي عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد خرابها وصارت العامة من غلمان الامراء العمالين في الحفر وغيرهم في كل وقت يصرخون على الامراء في طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم إلى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطل فجميع عدة من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله اكبر ووضعوا أيديهم بالمساحي ونحوها في كنيسة الزهري وهدموها حتى بقيت كوماً وقتلوا من كان فيها من النصارى وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموها كنيسة بومنا التي كانت بالجرء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل اليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج اليه ويبعث اليها بالنذور والخليلة والصدقات والكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتسلى العامة إلى أعلاها وقتلوا أبوابها وأخذوا منها ما لا وقاشا وجرار خرفكان أمرامهولاً ثم مضوا من كنيسة الجرء بعد ما هدموها إلى كنيسة بجوار السبع سقايات تعرف احداًهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيسة وسبوا البنات وكن زيادة على ستين بنتاً وأخذوا ما عليهن من الثياب ونهبوا سائر ما ظفروا به وحرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس في صلاة الجمعة فعند ما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولاء كسيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم ما نهبوه فاشبه الناس الحال لهؤلاء الايام القيامة وانتشر الخبر وطار إلى الرملة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكزة افزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجاً عظيماً وغضب من تجرئ العامة واقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الأمير أيدي غمش أميراً خوراً أن يركب بجماعة الاوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله فأخذ أيدي غمش يتهماً للركوب واذا بخبر قد ورد من القاهرة ان العامة ثارت في القاهرة وخرت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضاً بان العامة قامت بمصر في جمع كثير جدا وزحفن إلى كنيسة المعقلية بقصر الشمع فأغلقتها النصارى وهم محصورون بها وهي على أن تؤخذ فزاد غضب السلطان وهم أن يركب بنفسه

ويطش بالعامّة ثم تأخر لما راجعه الأمير أيدي غمش ونزل من القلعة في أربعة من الأمراء الى مصر وركب الأمير
 بيبرس الحاجب والأمير الماس الحاجب الى موضع الحفر وركب الأمير طينال الى القاهرة وكل منهم في عدة
 وافرة وقد أمر السلطان بقتل من قدر وأعليه من العامّة بحيث لا يعفون عن أحد فقامت القاهرة ومصر على
 ساق وقتز النهاية فلم يظفر إلا بمصر منهم إلا بن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذي نهبه من
 الكنائس وخلق الأمير أيدي غمش بمصر وقد ركب الوالي الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر
 للنهب فأخذ الرجم حتى قتر منهم ولم يبق إلا أن يحرق باب الكنيسة فجرد أيدي غمش ومن معه السيوف يريدون
 القتل بالعامّة فوجدوا عالماً لا يقع عليه حصرو وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بأرجاف
 العامّة من غير اهراق دم ونادى مناديه من وقف حل دمه فقتر سائر من اجتمع من العامّة وتفرقوا وصار
 أيدي غمش واقفاً الى أن أذن العصر خوفاً من عود العامّة ثم مضى وألزم الى مصر أن يبيت بأعوانه هناك وترك
 معه خمسين من الاوساقية وأما الأمير الماس فانه وصل الى كنائس الجراء وكنائس الزهري لينتدركها فاذا بها
 قد بقيت كيما ناليس بها جدار قائم فعاد وعاد الامر افرزوا الخبر على السلطان وهو لا يزداد الاحتقار لآزواجه
 حتى سكن غضبه وكان الامر في هدم هذه الكنائس عجباً من العجب وهو أن الناس لما كانوا في صلاة الجمعة من
 هذا اليوم يجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع اهدموا
 الكنيسة التي في القلعة اهدموها وأكثرت من الصباح المتزعج حتى خرج عن الحد ثم اضطرب فتعجب السلطان
 والامراء من قوله ورسم لتقيب الجيوش والحاجب بالقبض عن ذلك فخصي من الجامع الى خرائب الترمين
 القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الجراء
 والقاهرة فكثرت عجب السلطان من شأن ذلك الفقير وطلب فلم يوقفه على خبر واتفق أيضاً بالجامع الازهر أن
 الناس لما اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذوا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعدما أذن قبل أن
 يخرج الخطيب وقال اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر وصار يزعج نفسه
 ويصرخ من الاساس الى الاساس فخذق الناس بالنظر اليه ولم يدروا ما خبره واقترحوا في أمره فقاتل هذا
 مجنون وقاتل هذه اشارة لشيء فلما خرج الخطيب أمسك عن الصباح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد
 وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا النهاية ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب
 غسأوا عن الخبر فقبل قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا
 الامر انما كان من غير أمر السلطان وكان الذي هدم في هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة
 الروم وكنيسة بالسند قاتين وكنيستين بحارة زويلة * وفي يوم الاحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه
 هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الأمير بدر الدين بيلك المحسني والى الاسكندرية بأنه لما كان
 يوم الجمعة التاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع في الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصباح
 هدمت الكنائس فركب المملوك من فوره فوجد الكنائس قد صارت كوما وعتتها أربع كنائس وان بطاقة
 وقعت من والى البحيرة بأن كنيستين في مدينة منهن وهدمتا والناس في صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثرت عجب
 من ذلك إلى أن ورد في يوم الجمعة السادس عشره الخبر من مدينة قوص بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة
 في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يا فقراء اخرجوا الى هدم الكنائس وخرج
 في جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها في ساعة
 واحدة وروا الخبر من الوجه القبلي والوجه البحري بكثرة ما هدم في هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها
 من الكنائس والاديرة في جميع اقليم مصر كله ما بين قوص والاسكندرية ودمياط فاشتد حق السلطان على
 العامّة خوفاً من فساد الحال وأخذ الامراء في تسكين غضبه وقالوا هذا الامر ليس من قدرة البشر فعله
 ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا إلا بأمر الله سبحانه وبقدرة لما علم من كثرة
 فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ما وقع تقمة وعذابا لهم هذا والعامّة بالقاهرة ومصر قد اشتد
 خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل فقتر عدة من الاوباش والغوغاء وأخذ القاضي

فخر الدين ناظر الجيش في ترجيع السلطان عن الفتك بالعائنة وسياسة الحال معه وأخذ كرم الدين الكبير ناظر الخاص يغريه بهم إلى أن أخرجه السلطان إلى الاسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكائس التي خربت بها فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر في عدة مواضع وحصل فيه من الشناعة اضعاف ما كان من هدم الكائس فوقع الحريق في ربيع بخط الشوايين من القاهرة في يوم السبت عاشر جمادى الاولى وسرت النار إلى ما حوله واستمرت إلى آخر يوم الاحد قتل في هذا الحريق شيء كثير وعندما أطفئ وقع الحريق بجارة الديلم في زقاق العريسة بالقرب من دور كرم الدين ناظر الخاص في خامس عشر جمادى الاولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت إلى بيت كرم الدين وبلغ ذلك السلطان فأنزعج انزعاجاً عظيماً لما كان هناك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الامراء لاطفائه فجمعوا الناس لاطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء فتراد الحبال في اشتعال النار وبجز الامراء والناس عن اطفائهم لكثرة انتشارها في الاماكن وقوة الريح التي ألفت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان إلى أعلى القصر فلم يملك الوقوف من شدة الريح واستمر الحريق والاستحاث يرد على الامراء من السلطان في اطفائه إلى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الامراء وسائر السقائين ونزل الأمير بكتمر الساقى فكان يوماً عظيماً لم ير الناس أعظم منه ولا أشده ولا واكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين إذا خرجوا من القاهرة لأجل اطفاء النار فلم يبق أحد من سقائى الامراء وسقائى البلد الا وعمل وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع التجارين وسائر البنائين لهدم الدور فهدم في هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرابع الكبيرة وعمل في هذا الحريق أربعة وعشرون أميراً من الامراء المقدمين سوى من عداهم من امراء الطبليخانات والعشراوات والممالك وعمل الامراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم في الشارع بجرا من كثرة الرجال والجمال التي تحمل الماء ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كرم الدين إلى بيت ولده بدر بصرى وخزبوا ستة عشر داراً من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل فاهوا الآن كل اطفاء الحريق ونقل الحواصل وإذا بالحريق قد وقع في ربيع الظاهر خارج باب زويلة وكان يشغل على مائة وعشرين بيتاً وتحتة قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالى لاطفائه وهدموا عدة دور من حوله حتى انطفأ فوق في ثاني يوم حريق بدار الأمير سلا في خط بين القصرين ابتداء من الباذهيج وكان ارتفاعه عن الارض مائة ذراع بالعمل فوق الاجتهاد فيه حتى أطفئ فأمر السلطان الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة والامير ركن الدين يسبرس الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودي بأن يعمل عند كل خانوتة فيه ماء وأوزير بماء بالماء وأن يقام مثل ذلك في جميع الحارات والازقة والدروب فبلغ عن كل دة خمسة دراهم بعد درهم وعن الزرثمانية دراهم ووقع حريق بجارة الروم وعدة مواضع حتى انه لم يحل يوم من وقوع الحريق في موضع قتبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى وذلك أن النار كانت ترى في منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدوا للحريق وتبعوا الاحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد ادف عليه خرق مبالغة بزيوت وقطران * فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عند ما خرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار في المدرسة ورائحة الكبريت في أيديهما فخما إلى الأمير علم الدين الخازن والى القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما فها هو الآن نزل من القلعة وإذا بالعائنة قد أمسكوا نصرانياً وجد في جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة في داخلها قطران ونفط وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر وما زال واقفاً إلى أن خرج الدخان فحشى يريداً الخروج من الجامع وكان قد قطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصراني فقبض عليه وتكاثرت الناس فجزوه إلى بيت الوالى وهو هيئة المسلمين فعوقب عند الأمير ركن الدين يسبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفرقة مع جماعة من أتباعهم وأنه ممن أعطى ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا

انهم من سكان دير البغل وأنهم هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة غيره وحقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس وان طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم ما لا جزيل لعمل هذا النفط واتفق وصول كريمة الدين ناظر الخصاص من الاسكندرية فعرّفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى فقال النصارى لهم بطرك يرجعون اليه ويعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريمة الدين ليتحدث معه في أمر الخريق وما ذكره النصارى من قيامهم في ذلك فجاء في حياية والى القاهرة في الليل خوفا من العامة فلما أن دخل بيت كريمة الدين بجارة الديلم وأحضر اليه الثلاثة النصارى من عند والى قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالى جميع ما اعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرك عند ما سمع كلامهم وقال هؤلاء سفهاء النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عند كريمة الدين مجلا مكر ما فوجده كريمة الدين قد أقام له بغلة على بابها ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يد او احدة فلولا أن والى كان يسايره والاهلك وأصبح كريمة الدين يريد الركوب الى القلعة على العادة فلما خرج الى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضى تحامى النصارى وقد أحرقوا سيوت المسلمين وتركهم بعد هذا البغال فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته واجتمع بالسلطان فأخذ يهون أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجها لفرس السلطان للوالى بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلفة فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على احرار ديار المسلمين كلهم وفيهم راهب يصنع النفط وانهم اقساموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبية جامع ابن طولون في يوم الجمعة وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذ جهود الناس على النصارى وقتلوا منهم وصاروا مسلمون ما عليهم من الثياب حتى خش الامر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع بالعامة واتفق انه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير في يوم السبت فرأى من الناس أمما عظيمة قدماء الطرقات وهم يصيحون نصر الله الاسلام أنصر دين محمد بن عبد الله فخرج من ذلك وعند ما نزل الميدان أحضر اليه الخازن نصرانين قد قبض عليهما وهما يخرقان الدور فأمر بهما يقههما فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس وبيناهم في احرار النصرانين اذا بدوا الامير بكتمر الساقى قد متر يريد بيت الامير بكتمر وكان نصرانيا فعند ما عاينه العامة ألقوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وجلوه ليلقوه في النار فصاح بالشهادتين وأظهر الاسلام فأطلق واتفق مع هذا مرور كريمة الدين وقد لبس التشرىف من الميدان فرجعه من هنالك رجما متابعا وصاحوا به كم تحامى للنصارى وتشتمعهم ولعنوه وسبوه فلم يجد بدا من العود الى السلطان وهو بالميدان وقد اشتدت ضجيج العامة وصياحهم حتى سمعهم السلطان فلما دخل عليه وأعلمه الخبر امتلا غضبا واستشار الامراء وكان بحضرة منهم الامير جمال الدين نائب الكرك والامير سيف الدين البوبكرى والخطيرى وبكتمر الحاجب في عدة أخرى فقال ابو بكرى العامة عي والمصلحة أن يخرج اليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه فقال نائب الكرك كل هذا من اجل الكتاب النصارى فان الناس أبغضوهم والرأى أن السلطان لا يعمل في العامة شيئا وانما يعزل النصارى من الديوان فلم يعجبه هذا الرأى أيضا وقال للامير الماس الحاجب امض ومعه أربعة من الامراء وضع السيف في العامة من حين تخرج من باب الميدان الى أن تصل الى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة الى باب النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد البنته وقال لو الى القاهرة اركب الى باب اللوق والى باب البحر ولا تدع أحدا حتى تقبض عليه وتطلع به الى القلعة ومتى لم تحضر الذين رجوا وكيلى يعنى كريمة الدين والاحياء رأسى شفتك عوضا عنهم وعين معه عدة من المماليك السلطانية فخرج الامراء بعد ما تلى كآوا فى المشرق حتى اشتهر الخبر فلم يجدوا أحدا من الناس حتى ولا غلمان الامراء وحواشيهم ووقع القول بذلك فى القاهرة فغلقت الاسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يسمع بأشد منه وسار الامراء فلم يجدوا فى طول طريقهم أحدا الى أن بلغوا باب النصر وقبض والى من باب اللوق وناحية بولاق وباب البحر كثيرا من الكلابية والنواحية وأسقاط الناس فاشتد الخوف وعصى كثير من الناس الى البر الغربى بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد فى طريقه الى أن معد قلعة الجبل

أحد من العامة وعندما استقر بالقلعة سيرا إلى الوالى يستجمل حضوره فاعربت الشمس حتى أحضر من أمسك من العامة نحو مائتي رجل فعزل منهم طائفة أمر بشتمهم وجماعة رسم بتوسطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم يا خوند ما يحل لك ما نحن الذين ربحنا فبكى الأمير بكى الساقى ومن حضر من الأمراء رحمة لهم وما زالوا بالسلطان إلى أن قال للوالى اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة إلى تحت القلعة بسوق الخليل وعلق هؤلاء بأيديهم فلما أصبح يوم الأحد علق الجميع من باب زويلة إلى سوق الخليل وكان فيهم من له برقة وهيئة ومز الأمراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أبواب الخوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حافوا وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان في الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالى فقطع أيدي وأرجل ثلاثة منهم والأمراء لا يقدر على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه فقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الأرض وهو يسأل العفو فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفر الخيزرة فأخرجوا وقدمات ممن قطع أيديهم اثنتان وأُنزل المعلقون من على الخشب وعندما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون وفي قلعة الجبل وفي بيت الأمير ركن الدين الأجدى بجارية بها الدين وبالقندق خارج باب البحر من المقص وما فوقه من الربع وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم قتائل النفط فأحضروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستقر الحريق في الأماكن المذكورة يوم السبت فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صلبوا خرد بلون أزرق وعلموا فيها صليبا أيضا وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لادين الادين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصر يا سلطان الاسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى فأرقت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل فرأى أن رأى في استعمال الإدارة وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه من وجد نصرا نيا فله ماله ودمه فخرج ونادى بذلك فصاحت العامة وصرخت نصرك الله ونجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمامة البيض فنودى في القاهرة ومصر من وجد نصرا نيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله ومن وجد نصرا نيا رابعا حصل له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بعلا ومن ركب جارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصرا نيا الحمام الا وفي عنقه جرس ولا يقرب أحد منهم بزي المسلمين ومنع الأمراء من استخدام النصارى وأخرجوا من ديوان السلطان وكتب لساير الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى وكثيرا يساع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعي في الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة فكان النصرا نيا إذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودى مبلغ أربعة آلاف درهم نفقة فصار إلى بيت اليهودى وهو مسكر في الليل ليطلبه فأمسكه اليهودى وقال أنا بالله وبالمسلمين وصاح فاجتمع الناس لاخذ النصرا نيا فقفر إلى داخل بيت اليهودى واستجار بأمرأته وأشهد عليه ببراء اليهودى حتى خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لاسراق الاماكن فقبض عليهم وسمروا ونودى في الناس بالامان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان إلى الميدان وذلك انهم كانوا قد تخوفوا على انفسهم لكثرة ما وقعوا بالنصارى وزادوا في الخروج عن الحد فاطمأنوا وخرجوا على العادة إلى جهة الميدان ودعوا السلطان وصاروا يقولون نصر لك الله يا سلطان الأرض اصطلمنا اصطلمنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفي تلك الليلة وقع حريق في بيت الأمير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدا فتوقيت النار وسرت إلى بيت الأميرات بنش فارتفع أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشواين وزقاق العريسة بجارية الديلم وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين وعدة أماكن بجارية الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسينى وأما كني باصطبل الطارمة وبدر العسل وقصر أمير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر يسرى وخان الحجر والجلون وقيسارية الادم ودار يسرى

بجارية الصالحية ودار ابن المغربي بجارية زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطا ويطوب. وبنى قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الاماكن بمصر والقاهرة يطول عددها وخرب من الكنائس كنيسة بنجراب التمر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبي المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بجارية الروم وكنيسة بالبندقاين وكنيسة بجارية زويلة وكنيسة بنجرانة البنود وكنيسة بالخنديق وأربع كنائس بغير الاسكندرية وكنيسة بدير البعل ودير شهران مدة ليس فيها أحد وكانت هذه بالشرقية وست كنائس بالهفساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصب ثمان كنائس وبقوص واسوان احدى عشرة كنيسة وكنيسة وبالاطفحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديار اثنتي عشرة واثبات دير البعل ودير شهران مدة ليس فيها أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن ما لا يمكن وصفه لكثرة ولله عاقبة الامور

* (كنيسة ميكايل) * هذه الكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر قبطية عقبة يحصب وهي الآن قرية من جسر الافرم أحدثت في الاسلام وهي مليحة البناء
* (كنيسة مريم) * في بساين الوزير قبطية بركة الحبش خالية ليس بها أحد
* (كنيسة مريم) * بناحية العدوية من قبلها قديمة وقد تلاشت
* (كنيسة أنطونيوس) * بناحية بياض قبطية اطفح وهي محدثة * وكان بناحية شرق بعة كنائس خربت وبنى بناحية اهرت الجبل قبطية بياض يومين * (كنيسة السيدة) * بناحية أشكرو على بابها برج مبنى بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام
* (كنيسة مريم) * بناحية الخصوص وهي بيت فعمارة كنيسة لا يعابها
* (كنيسة مريم وكنيسة يحنس القصير وكنيسة غبريال) * هذه الكنائس الثلاث بناحية أنبوب
* (كنيسة أسبوطير ومعناه المخلص) * هذه الكنيسة بمدينة اخميم وهي كنيسة معظمة عندهم وهي على اسم الشهداء وفيها ثراذاج جعل ماؤها في القنديل صار أحمر قانيا كأنه الدم
* (كنيسة ميكايل) * بمدينة اخميم أيضا ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين اذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعائين أن يخرج القسوس والشمامسة بالجواهر والبخور والصلبان والاناجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضى ثم أبواب الايمان من المسلمين فيخروا ويقرؤا فضلا من الانجيل ويطرحوا له طرحة يعنى

معدونه
* (كنيسة بونجوم) * بناحية انفه وهي آخر كنائس الجانب الشرقى وبونجوم ويقال بونجوميوس كان راهبا في زمن بونشودة ويقال له أبو الشركة من أجل أنه كان يربي الرهبان فيجعل لكل راهبين معلما وكان لا يمكن من دخول النهر ولا اللحم الى ديره وبأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحص المصنوع ويقال له عندهم حص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسة هذه بانفه قبطية اخميم
* (كنيسة مرقس الانجيلي) * بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت * ومرقص هذا أحد الخواريين وهو صاحب كرسي مصر والحبيشة

* (كنيسة بوجرج) * بناحية ابي التمر من الجيزة هدمت في سنة ثمانين وسبع مائة كما تقدم ذكره ثم أعيدت بعد ذلك

* (كنيسة بوفار) * اخر أعمال الجيزة

* (كنيسة شنودة) * بناحية هر بشت

* (كنيسة بوجرج) * بناحية بيا وهي جليلة عندهم يأتونها بالتدوير ويحلقون بها ويحكون لها فضائل متعدة

* (كنيسة ماروطا القديس) * بناحية شمس طاوهم بياغون في ماروطا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده

في انبوبة بدير بوشاي من بزية شبات يزورونه الى اليوم
 * (كنيسة مريم بالهنسا) * ويقال انه كان بالهنسا ثلثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بها الا هذه
 الكنيسة لاغير

* (كنيسة صويل) * الراهب بناحية شبرى
 * (كنيسة مريم) * بناحية طنبدى وهي قديمة
 * (كنيسة ميخائيل) * بناحية طنبدى وهي كبيرة قديمة وكان هناك كنائس كثيرة خربت وأكثر أهل
 طنبدى نصارى أصحاب صنائع

* (كنيسة الاصبطولى) * أعنى الرسل بناحية أشنين وهي كبيرة جدا
 * (كنيسة مريم) * بناحية أشنين أيضا وهي قديمة
 * (كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال) * بناحية أشنين أيضا وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة
 خربت كلها الا هذه الكنائس الأربع وأكثر أهل أشنين نصارى وعليهم الدرك في الخفارة وبظواهرها آثار
 كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربرة
 وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام

* (وفى منية ابن خصيب ست كنائس) * كنيسة المعلقة وهي كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص
 وكنيسة ميخائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انابولا الطمويي وكنيسة الثلاث قبة وهم
 حنايا وعزاريام وميخائيل وكانوا أجنادا في أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم
 بخت نصر أن يرجعوا الى عبادة الأصنام فامتنعوا من ذلك فحبسهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم
 وألقاهم في النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وان كانوا قبل المسيح يدهر

* (كنيسة بناحية طحا) * على اسم الحوارين الذين يقال لهم عندهم الرسل
 * (كنيسة مريم) * بناحية طحا أيضا

* (كنيسة الحكمين) * بناحية منهرى لها عيد عظيم في بشنس يحضره الاسقف ويقام هناك سوق كبير
 في العيد وهذا الحكميان هما قزمان ودميان الراهبان
 * (كنيسة السيدة) * بناحية بقرقاس قديمة كبيرة

وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنستان خراب احدهما على اسم بوجرج والاخرى على اسم الملك
 ميخائيل وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها الا ثلاث كنائس كنيسة السيدة وهي كبيرة وكنيسة شنودة
 وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها وبناحية صنوب كنيسة انابولا وكنيسة بوجرج وصنوب كثيرة النصارى
 وبناحية بيلاو وهي بحرى صنوب كنيسة قديمة بجانبها الغربى على اسم جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون
 وبناحية دروط كنيسة وفي خارجها شبه الدير على اسم الراهب سارامان وكان في زمان شنودة وعمل أسقفا
 وله أخبار كثيرة وبناحية بوق بن زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد وبالقوصية كنيسة مريم
 وكنيسة غبريال وبناحية دمشق كنيسة الشهيد مرقوريوس وهي قديمة وبها عدة نصارى وبناحية أم
 القصور كنيسة بوجرجس القصير وهي قديمة وبناحية بلوط من ضواحي منفوط كنيسة ميخائيل وهي صغيرة
 وبناحية البلاعة من ضواحي منفوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده وبناحية شقلقل ثلاث
 كنائس بكار قديمة احدها على اسم الرسل واخرى باسم ميخائيل واخرى باسم بومنا وبناحية منشأة النصارى
 كنيسة ميخائيل وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومنا وبناحية درنكة
 كنيسة قديمة جدا على اسم الثلاثة قبة حنايا وعزاريام وميخائيل وهي مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها
 من النصارى يعرفون اللغة القبطية فيحدث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية وبناحية ريفة
 كنيسة بوقلة الطبيب الراهب صاحب الاحوال المحبة في مداواة الرمدى من الناس وله عيد يعمل بهذا
 الكنيسة وبها كنيسة ميخائيل أيضا وقد أكلت الارضة جانب ريفة الغربى وبناحية موشة كنيسة
 مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت في أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها

ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعاً مبنية بالبحر الأبيض كلها وقد سقط نصفها الغربي ويقال ان هذه الكنيسة على كثر فتحها ويذكر أنه كان من سيوط الى موشة هذه ممشاة تحت الارض وبناحية بقور من ضواحي بوتيح كنيسة قديمة للشهيد كلوديس وهو يعدل عندهم مرة ووريوس وجأرجيوس وهو أبوجرج والاسفهلارنا أدروب وميناوس وكان كلوديوس أبوه من قواديق لطيافوس وعرف هو بالشجاعة فتضر فأخذه الملاك وعذبه ليرجع الى عبادة الاصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدين بينه وبينهم منافرة فدفعوه حيا وهم من شرار النصارى معروفون بالشر وكان منهم نصراني يقال له جرجس ابن الراهبة تعدي طوره فضر برقبته الامير جال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة في ايام الناصر فرج بن برقوق وبناحية بوتيح كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون في بيت لهم سراً فاذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيسة وعملا لها سباجا من جريد شبه القفص وأقاموا هناك عبادتهم وبناحية بمقروفة كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد في كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعا وبناحية دوينة كنيسة على اسم بوجنيس القصير وهي قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له يونس عمل أسقفا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حنذا منهم له على علمه ودفعوه حيا وقد توعد جسمه وبالمراغة التي بين طهطا وطما كنيسة وبناحية قلفا كنيسة كبيرة وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها في ايام الظاهر برقوق شماس يقال له أبساطيس له في ذلك يد طولى ويحكى عنه مالا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبعديّة هو كنيسة السيدة وكنيسة بومنا وبناحية بجورة كنيسة الرسل وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمدانى وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمدانى وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل انطاكية ذوى الاموال فزهد وفرق ماله كله في الفقراء وساح وهو على دين النصرانية في البلاد فعمل أبواه عزاء وظنوا أنه قد مات ثم قدم انطاكية في حالة لا يعرف فيها وأقام في كوخ على منزله وأقام رفقته بما يلقي على تلك المزبلة حتى مات فلما علمت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف انجيله فقص عنه حتى عرف انه ابنه فدفعته وبني عليه كنيسة انطاكية * وبعديّة فقط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدة كنائس خربت بجرباها وبعديّة قوص عدة أديرة وعدة كنائس خربت بجرباها وبقي بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلى من الكنائس سوى ما تقدم ذكرناه

* (وأما الوجه الغربى) *

ففي منية صرد من ضواحي القاهرة كنيسة السيدة مريم وهي جليظة عندهم وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وعمرضا كنيسة مستحثة على اسم بوجرج أيضا ويسمى كنيسة على اسم الرسل عملت في بيت وبسباط كنيسة جليظة عندهم على اسم الرسل وبسندقة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وباليدانية كنيسة السيدة ولها قدر جليظ عندهم وفي دعباط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل وليوحنا المعمدانى ولما لارى جرجس ولها مجد عندهم وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة في بيت محقى على اسم السيدة وبالحراوية كنيسة محدثة في بيت محقى وفي لقانة كنيسة بوجنيس القصير وبدمهور كنيسة محدثة في بيت محقى على اسم ميخائيل وبالسكنهرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة بوجرج وكنيسة يوحنا المعمدانى وكنيسة الرسل فهذه كنائس البعاقب بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة مارى نقولا بالبندقارين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بنحط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضا وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بر بادية بمصر وكنيسة مار يوحنا بنحط دير الطين والله أعلم * وهذا آخر الجزء الثانى وبتمامه تم الكتاب

والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده وسلم ورضى الله عن أصحاب

رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا عدوان

الا على الظالمين

قول المستعين بربه القوى محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطعة العدوى ^{مصحح} دار الطباعة المصرية
بلغه الله من الخير كل امنيته ان من جلة المحاسن المدوحة بكل لسان وأحسن الآثار الغني فضلها عن
البيان التي ظهرت في أيام صاحب العز والاقبال من طبع على المرجحة والعدالة في الاقوال والانفعال
واختص بحسن التبصر وسداد النظر ورعاية المصالح العاتية لاهل البدو والحضر ووهب من صفات
الكمال وكمال الصفات ما تقتصر دون تعداده العبارات والاشارات من هو الفرق الثاني في افق الهداية
العثماني عزير الديار المصرية ذي المناقب الفانورة السنية حضرة أفندي الحاج عباس باشا لازال
بصولة عدله جيش المظالم ثلاثي ولا يرح قري العين بأفجائه محفوظ الجناح نافذ القول في حاله واستقباله
ولا فتى علواء عزه منشورا ولا انكساعه مشكورا طبع كتاب الخطط للعلامة القريزي الشهير المجمع على
فضله وعموم نفعه بلانكبر كيف لا وقد جمع من تخطيط الحكومة المصرية وما يتعلق بها من المود الجغرافية
والتاريخية وذكر أصناف أهلها وولاتها وما عرض لها من تقلبات الازمان وتغيراتها وما تضمنته من
الاخلاق والعوايد الصحيح منها والفساد وما وارد عليها من الدول والحكومات واختلاف الملل
والديانات وغير ذلك من القوائد وصحيح الادلة والشواهد وعجائب الاخبار وغرائب الآثار ما يغني
الحاذق اللبيب ويكفي الماهر الارب ويغنيه المعتبرون ويتفككه المتسامرون بل هو التذم الذي لا يمل
والانيس الذي في استحقاقه تهون الكرائم وتبذل بيد أنه يتحفظ من ربح مصر بأطرف تحفه ويتحفظ
من طريف جغرافيتها وتليدها الطف طرفه ويسكنك من قصور أنبائها على غرفة ويشقك من زهر روض
أخبارها شميمه وعرفه غير أنه لما كان في التاريخ مع جليل نفعه وجزيل فائده عند أرباب المعارف وعظيم
وقعه قدر ميت سوقه في هذه الازمان بالكد وتقاشرت عنه الهمم من كل حاضر وباد كان هذا
الكتاب مما ختمت عليه عن كذب النسيان وعزت نسخة في ديارنا حتى كاد لا يعثر بها انسان فانها في اقليلة
محصوله متروكة الاستعمال مهجورة فكانت مع قلتها غريبة عن صحتها فكلم فيها من تحريف فاحش
وسقط متفاحش وغلط مخل وخطام مجرول يفضي بالقارئ الى الملل ويعوضه عن النشاط الكسل
لكن بحمد الله وعونه وعظيم فضله ومنه وبذل المجهود في التصحيح واستفراغ الوسع في التحرير والتنقيح
جاءت النسخة المطبوعة صحيحة حسب الامكان جدرة بأن تحل محل القبول والاستحسان فان ما كان من
عباراته بالتحريف سقيما ولم يفهم معنى مستقيا أجلت فيه ذهني مع قصوره وكلفته التسلق على قصوره
فان فتح له باب الرشاد وألهم المعنى المراد حمدت ربى حيث نلت اربى وان كانت الاخرى وبكازند القهم
وما اورى نهت على وجه التوقف في الحاشية بالعبارة أوردت فيها رقا هندا ليكون الى التوقف اشاره
وربما اشرت الى الصواب لكن على سبيل الرجاء في الاستصواب وربما تركت تعداد بعض اشياء يشتم منها
مخالفة العربية وتفصيل امور تأباه بحسب الظاهر القواعد الخويه وعذرنا في ذلك أن المؤلف نقلها
كذلك عن نقلها عن جريدة حساب وأثبتها على ما هي عليه في تقييدات الكتاب فأبقيناها على
حالتها ولم تسجها على غير منوالها حرصا على عدم التغيير في عبارات المؤلفين حسب انص عليه ائمة الدين
لا سيما والمعنى معه ظاهر لا يخفى على السامع والناظر ثم انه لبعض الاسباب فأتى تصحيح لهوا اثنين
وعشرين مازمة من أول الجزء الاول ومثلها من أول الثاني من هذا الكتاب ^{لكن} ان شاء الله تعالى
يحصل الاطلاع عليها والنظر بعين التامل اليها فان عثر فيها على ما يلزم التنبيه عليه والاشارة اليه نهت
عليه وأثبت ما يخص كل جزء بصلقه ليكون كل منها مستقيا لحقه هذا وكان في بحثه شق متشدد بعجل
بيدانة الانسان ولا يحقق قد استولى عليه الحسد فأعجى بسيرة ورفع بالذم والتشنيع عقيرته قائلا
ما لا يليق الابه مذيعا ما هو أولى به وما درى الجهول أن فن التصحيح خطر دقيق وصاحبه بضد ما يتبع به
جدير تحقيق ولو ذاق لعرف وبالعجز أقر واعترف وبالجلة نذته بشهد لي بالكمال أخذ ابقول
من قال

واذا أتت مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

على أني والله معترف بقله البضاعه وعدم الاهلية لهذه الصناعة ولكن كما هي اقامات وانما الاعمال بالنيات

وأفوض امرى الى اللطيف الخبير فانه نعم المولى ونعم النصير وكان طبع هذا الكتاب بدار الطباعة المصرية
المنشأة ببولاق القاهرة المعزبه لازالت بأنفاس الحضرة الأصفية منبع النشأ الكتب النافعة العلية تحت
ملاحظة صاحب نظارتها القائم بتدبيرها وادارتها رب القلم الذى لا يارى والانشاء الذى لا يجارى
من أحرز قصب السبق فى ميدان البراعة وانقاد له كل معنى أبى وإطاعه حضرة على أفندى جوده
بلغه الله فى الدارين مأموله وقصده وكان طبعه على ذمة ملتزمه المتسبب بعد الطى فى نشر علمه
واشتهاره فى الاقطار واستعماله عند أهل القرى والامصار البازل فى ذلك نفائس الكرام
المستغفر فى استحصاله الصعائب والعظام المستنصر بعموله فى حالى الضعف والأيد
الخواجه رفائيل عبيد وقد وافق تاريخ تمامه وانتهاء الطبع الى حد ختامه
يوم الاثنين التاسع عشر من شهر الين وانخير صفر الذى هو من شهر
سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد النبيين والمرسلين
صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين وعلى كل
الصحابه والتابعين ورزقنا بجاههم
الاعتصام بحبله على الدوام
ومنحنا التوفيق لما يرضيه
والقوز بحسن
الختام
امين
تم

فهرست الجزء الثاني من كتاب الخطط للعلامة المقرئ

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
١٩	الحارة المنصورية	٠٢	ذكر حارات القاهرة وظواهرها
٢٠	حارة المصامدة	٠٢	حارة بهاء الدين
٢٠	حارة الهلالية	٠٢	ذكر واقعة العبيد
٢٠	حارة البياطرة	٠٣	حارة برجوان
٢٠	حارة الحسينية	٠٤	حارة زويلة
٢٢	ذكر قدوم الاويراتية	٠٤	الحارة المحمودية
٢٣	حارة حجاب	٠٥	حارة الجودرية
٢٣	ذكر أخطاط القاهرة وظواهرها	٠٥	حارة الوزيرية
٢٣	خط خان الوراق	٠٨	حارة الباطلية
٢٤	خط باب القنطرة	٠٨	حارة الروم
٢٤	خط بين السورين	٠٨	حارة المديح
٢٥	خط الكافوري	١٠	حارة الاتراك
٢٦	ذكر كافور الاخشيدي	١٠	حارة كامة
٢٧	خط الخرنش	١٠	ذكر أبي عبد الله الشيعي
٢٨	خط اصطبل القطبية	١٢	حارة الصالحية
٢٨	خط باب سرالمارستان	١٢	حارة البرقية
٢٨	خط بين القصرين	١٢	ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام
٢٩	خط الخشبية	١٣	حارة العظوفية
٣٠	ذكر مقتل الخليفة الظافر	١٤	حارة الجوانية
٣٠	خط سقيفة العباس	١٤	حارة البستان
٣١	خط البندقاين	١٤	حارة المرتاحية
٣٢	خط دار الديباج	١٤	حارة القرحية
٣٢	خط المخمين	١٤	حارة فرج
٣٣	خط المسطاح	١٤	حارة قائد القواد
٣٣	خط قصر أمير سلاح	١٦	حارة الامراء
٣٣	بكتاش النخري	١٦	حارة الطوايق
٣٣	أولاد شيخ الشيوخ	١٦	حارة الشراعية
٣٤	خط قصر يشناك	١٦	حارة الدميري و اية الشاميين
٣٤	بشناك	١٦	حارة المهاجرين
٣٥	خط باب الزهومة	١٦	حارة العدوية
٣٥	خط الزراكشة العتيق	١٦	حارة العبدانية
٣٥	خط السبع خوخ العتيق	١٦	حارة الجزين
٣٥	خط اصطبل الطارمة	١٦	حارة بني سوس
٣٥	خط الاكفانيين	١٦	حارة البانسية
٣٥	خط المناخ	١٧	ذكر وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يانس الارمني
٣٦	خط سويقة أمير الجيوش	١٧	ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ
٣٦	خط دكة الحسبة	١٩	حارة المنتحية

٤١	درب ابن المجاور	٣٦
٤١	درب الكهارية	٣٦
٤١	درب الصغيرة	٣٦
٤١	درب الانجب	٣٦
٤١	درب كنيسة جدّة	٣٦
٤١	درب ابن قطز	٣٦
٤٢	درب الحريري	٣٧
٤٢	درب ابن عرب	٣٧
٤٢	درب ابن مغش	٣٧
٤٢	درب مشترك	٣٧
٤٢	درب العداس	٣٧
٤٢	درب كاتب سيدي	٣٨
٤٢	الوزير كاتب سيدي	٣٨
٤٢	درب مخلص	٣٨
٤٢	درب كوكب	٣٨
٤٢	درب الوشاق	٣٨
٤٢	درب الصقالية	٣٩
٤٢	درب الكنجي	٣٩
٤٢	درب رومية	٣٩
٤٣	درب الحضيري	٣٩
٤٣	درب شغلة	٤٠
٤٣	درب نادر	٤٠
٤٣	درب راشد	٤٠
٤٣	درب النيري	٤٠
٤٣	درب قراصيا	٤٠
٤٣	درب السلاحي	٤٠
٤٣	محمد الدين السلاحي	٤٠
٤٣	درب خاص ترك	٤٠
٤٣	درب شاطي	٤٠
٤٤	درب الرشيدى	٤٠
٤٤	درب الفريحية	٤٠
٤٤	الدرب الاصفر	٤٠
٤٤	درب الطاوس	٤٠
٤٤	درب ماينجار	٤٠
٤٤	درب كوسا	٤١
٤٤	درب الجاكي	٤١
٤٤	درب الحراني	٤١
٤٤	درب الزراق	٤١

خط الفهادين
خط خزائن البنود
خط السفينة
خط خان السيل
خط بستان ابن صيرم
خط قصر ابن عمار
ذكر الدروب والازقة
درب الاتزال
درب الاسواني
درب شمس الدولة
توران شاه
درب ملوخيا
درب السلسلة
درب الشمسى
درب ابن طلائع
أدهم أمير جندار سيف الدين
درب قيطون
درب السراج
درب القاضي
درب البيضاء
درب المنقدي
درب خرابه صالح
درب الحسام
درب المنصوري
درب أمير حسين
درب القماحين
درب العسل
درب الحباسة
درب ابن عبد الظاهر
درب الخازن
درب الحيشي
درب بقولا
درب دغمش
درب ارقطاي
درب البنادين
درب المكرم
درب الضيف
درب الرصاصي

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٤٨	رجبة الدمى	٤٤ زقاق طريف
٤٨	رجبة قردية	٤٤ زقاق منعم
٤٨	رجبة المنصوري	٤٤ زقاق الحمام
٤٨	رجبة المشهد	٤٤ زقاق الحرون
٤٨	رجبة أبي البقاء	٤٤ زقاق الغراب
٤٨	رجبة الحجازية	٤٤ زقاق عامر
٤٨	رجبة قصر بشتال	٤٤ زقاق فرج
٤٨	رجبة سلا	٤٤ زقاق حدره الزاهدي
٤٨	رجبة الفخري	٤٥ ذكر الخوخ
٤٨	رجبة الاكز	٤٥ الخوخ السبع
٤٨	رجبة جعفر	٤٥ باب الخوخة
٤٨	رجبة الافعال	٤٥ خوخة أيد غمش
٤٦	رجبة مازن	٤٥ أيد غمش الناصري
٤٩	رجبة أفوش	٤٥ خوخة الازقي
٤٩	رجبة براني	٤٥ خوخة عسيلة
٤٩	رجبة لؤلؤ	٤٥ خوخة الصالحية
٤٩	رجبة كوكاي	٤٥ خوخة المطوق
٤٩	رجبة ابن أبي زكري	٤٥ خوخة حسين
٤٩	رجبة بيرس	٤٦ حسين
٤٩	رجبة بيرس الحاجب	٤٦ خوخة الحلبي
٤٩	رجبة الموفق	٤٦ سنجر الحلبي
٤٩	رجبة أبي تراب	٤٦ خوخة الجوهرة
٥٠	رجبة ارطاي	٤٦ خوخة مصطفى
٥٠	رجبة ابن الضيف	٤٦ خوخة ابن المأمون
٥٠	رجبة وزير بغداد	٤٦ خوخة كريمة آقسنقر
٥٠	رجبة الجامع الحاكمي	٤٦ خوخة أمير حسين
٥٠	رجبة كنهقا	٤٧ ذكر الرحاب
٥٠	رجبة خوند	٤٧ رجبة باب العبد
٥١	رجبة قراسنقر	٤٧ رجبة قصر الشوك
٥١	رجبة بيغرا	٤٧ رجبة الجامع الازهر
٥١	رجبة الفخري	٤٧ رجبة الحلبي
٥١	رجبة سنجر	٤٧ رجبة البانياسي
٥١	رجبة ابن عليكان	٤٧ رجبة الايدمرى
٥١	رجبة ازدمر	٤٨ الايدمرى
٥١	رجبة الاخناي	٤٨ رجبة البدرى
٥١	رجبة باب اللوق	٤٨ رجبة ضروط
٥١	رجبة التين	٤٨ رجبة آقبا
٥١	رجبة الناصرية	٤٨ رجبة مقبل

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٦٥	دار ابن البقرى	٥١ رجة ارغون ازك
٦٦	دار طولبای	٥١ ذكر الدور
٦٧	دار حارس الطير	٥١ دار الاجدى
٦٧	الدار القردمية	٥٢ بيرس الاجدى
٦٧	دار الصالح	٥٢ دار قرانقر
٦٧	دار بهادر	٥٢ دار البلقينى
٦٨	دار البقر	٥٢ دار منكوتى
٦٨	قصر بكتمر الساقى	٥٢ دار المظفر
٦٩	الدار اليسرية	٥٣ دار ابن عبد العزيز
٦٩	بيسرى	٥٣ دار الجقدار
٧٠	قصر بشتاك	٥٣ دار آقوش
٧١	قصر الحجازية	٥٣ دار بنت السعيدى
٧١	قصر يلغا الجياوى	٥٤ دار الحاجب
٧٢	اصطبل قومون	٥٤ دار تنكز
٧٣	دار ارغون الكاملى	٥٤ تنكر الاشرفى
٧٣	ارغون الكاملى	٥٥ دار أمير مسعود
٧٣	دار طاز	٥٥ دار نائب الكرك
٧٣	طاز	٥٥ آقوش الاشرفى
٧٤	دار صرعتش	٥٥ دار ابن صغير
٧٤	دار الماس	٥٥ دار بيرس الحاجب
٧٤	دار بهادر المقدم	٥٥ بيرس الحاجب
٧٤	دار الست سفراء	٥٥ دار عباس
٧٤	دار ابن عنان	٥٦ دار ابن فضل الله
٧٤	دار بهادر الاعمر	٥٩ دار بيرس
٧٤	بهادر	٥٩ السبع قاعات
٧٥	دار ابن رجب	علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد المعروف بابن
٧٥	محمد بن رجب	زنبور
٧٥	دار القليجي	٦٢ دار الدوادار
٧٦	دار بهادر المعزى	٦٢ دار فتح الله
٧٦	دار طينال	٦٢ فتح الله
٧٦	دار الهرماس	٦٣ دار ابن قرقة
٧٧	دار اوحد الدين	٦٣ دار خوند
٧٧	عبد الواحد بن اسماعيل بن يس الخنى أوحد	٦٣ دار الذهب
٧٧	الدين	٦٤ دار الحاجب
٧٨	ربيع الزيتى	٦٤ بكتمر الحاجب
٧٨	الدار التى فى أول البرقية من القاهرة الى	٦٥ دار الجاوى
٧٨	حيطانها حجارة بيض منحوتة	٦٥ دار أمير أحمد
٧٨	دار ألتمر	٦٥ دار اليوسفى

صفحة	مكتبة	صفحة	مكتبة
٨٤	حمام الصغيره	٧٩	عمارة أم السلطان
٨٤	حمام الاعسر	٧٩	ذكر الحمامات
٨٤	سنقر الاعسر	٨٠	حمام السيدة العمة
٨٥	حمام الحسام	٨٠	حمام الساباط
٨٥	حمام الصوفية	٨٠	حمام لؤلؤ
٨٥	حمام بهادر	٨٠	حمام الصنمية
٨٥	حمام الدود	٨٠	حمام تتر
٨٥	حمام ابن أبي الخوافر	٨٠	حمام كرجي
٨٥	حمام قتال السبع	٨٠	حمام كبيلة
٨٥	حمام أولو	٨٠	حمام ابن أبي الدم
٨٥	لؤلؤ الحاجب	٨٠	حمام الحصينة
٨٦	ذكر القياسر	٨٠	حمام الذهب
٨٦	قيسارية ابن قريش	٨١	حمام ابن قرقة
٨٦	قيسارية الشرب	٨١	حمام السلطان
٨٦	قيسارية ابن أبي أسامة	٨١	حمام خوند
٨٦	قيسارية سنقر الاشقر	٨١	حمام ابن عمود
٨٧	قيسارية أمير علي	٨١	حمام صاحب
٨٧	قيسارية رسلان	٨١	حمام السلطان
٨٧	قيسارية جهار كس	٨١	حماما طغرين
٨٧	جهار كس	٨١	حمام السوباشي
٨٩	قيسارية الفاضل	٨١	حمام عجيبة
٨٩	قيسارية بيبرس	٨١	حمام دري
٨٩	قيسارية الطويلة	٨٢	حمام الرصاصي
٨٩	قيسارية العصفور	٨٢	حمام الجيوشي
٨٩	قيسارية العنبر	٨٢	حمام الرومي
٨٩	قيسارية الفائري	٨٢	سنقر الرومي
٩٠	قيسارية بكتمر	٨٣	حماما سويد
٩٠	قيسارية ابن يحيى	٨٣	حمام طغلق
٩١	قيسارية طاشمر	٨٣	حمام ابن علكان
٩١	قيسارية الفقراء	٨٣	حمام صاحب
٩١	قيسارية المحسن	٨٣	حمام كتبغا الاسدي
٩١	قيسارية الجامع الطولوني	٨٣	حمام ألتطمش خان
٩١	قيسارية ابن ميسر الكبرى	٨٣	حمام القاضي
٩١	قيسارية عبد الباسط	٨٣	حمام الخراطين
٩١	ذكر الخانات والقنادق	٨٣	حمام الخشبية
٩٢	خان مسرور	٨٣	حمام الكويك
٩٢	فندق بلال المغني	٨٤	حمام الجويني
٩٢	فندق الصالح	٨٤	حمام القفاصين

صفحة	صفحة	صفحة
١٠٣	سوق البخاتيين	٩٣ خان السبيل
١٠٤	سوق الخلعين	٩٣ خان منكورش
١٠٤	سويقة الصاحب	٩٣ فندق ابن قريش
١٠٤	سوق البندقانيين	٩٣ وكالة قوصون
١٠٥	سوق الاخفايين	٩٣ فندق دار التفاح
١٠٥	سوق الكفتيين	٩٤ وكالة باب الجوانية
١٠٥	سوق الاقباعين	٩٤ خان الخليلي
١٠٦	سوق السقطيين	٩٤ فندق طرنطاي
١٠٦	سويقة خزانة البنود	٩٤ ذكر الاسواق
١٠٦	سويقة المسعودي	٩٥ سوق باب الفتوح
١٠٦	سويقة طغلق	٩٥ سوق المرحلين
١٠٦	سويقة الصواني	٩٥ سوق خان الرقاسين
١٠٦	سويقة البلشون	٩٥ سوق حارة برجوان
١٠٦	سويقة اللقت	٩٦ سوق الشماعين
١٠٦	سويقة زاوية الخدام	٩٦ سوق الدجاجين
١٠٦	سويقة الرمله	٩٦ سوق بين القصرين
١٠٦	سويقة جامع آل ملك	٩٧ سوق السلاح
١٠٦	سويقة أبي ظهير	٩٧ سوق القضيصات
١٠٦	سويقة السناطة	٩٧ سوق باب الزهومة
١٠٦	سويقة العرب	٩٧ سوق المهاجرين
١٠٦	سويقة العزى	٩٨ سوق اللجمين
١٠٧	سويقة العياطين	٩٨ سوق الجوخين
١٠٧	سويقة العراقيين	٩٨ سوق الشرايين
١٠٧	ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة	٩٩ سوق الحوائصين
١٠٨	ذكر ظواهر القاهرة المعزية	٩٩ سوق الخلاويين
١١١	ذكر ميدان القيق	١٠٠ سوق الشوايين
١١٣	ذكر بحر الخليج الغربي	١٠٠ الشارع خارج باب زويلة
١١٤	ذكر الاحكار التي في غربى الخليج	١٠١ سويقة أمير الجيوش
١١٤	حكر الزهرى	١٠١ سوق الجمالون الصغير
١١٤	ابن التبان	١٠١ سوق الحمامين
١١٥	حكر الخليلي	١٠٢ الصاغة
١١٥	حكر قوصون	١٠٢ سوق الكتيين
١١٥	حكر الحلبى	١٠٢ سوق الصناديقين
١١٦	حكر البواشى	١٠٢ سوق الحريرين
١١٦	حكر أقبغا	١٠٢ سوق العنبرين
١١٦	حكر الست حندق	١٠٣ سوق الخراطين
١١٦	حكر الست مسكة	١٠٣ سواق الجمالون الكبير
١١٦	حكر طقة زمر	١٠٣ سوق الفترين

صفحة	خط	صفحة	اللوق
١٣٤	خط درب ابن السابا	١١٧	منشأة ابن ثعلب
١٣٥	حكر الخازن	١١٨	باب اللوق
١٣٥	سجبر الخازن	١١٨	حكر قردمية
١٣٥	ربع البرادة	١١٨	حكر كريم الدين
١٣٥	خط قناطر السباع	١١٨	رجبة التبت
١٣٥	بئر الوطاويط	١١٩	بستان السعيدى
١٣٦	ذكر خارج باب الفتوح	١١٩	بركة قزموط
١٣٦	ذكر الخندق	١١٩	الخور
١٣٨	صحراء الاهليلج	١١٩	حكر الساباط
١٣٨	ذكر خارج باب النصر	١١٩	بستان العدة
١٣٩	الريمانية	١١٩	حكر جوهر النوبى
١٣٩	ذكر الخلمان التى بظاهر القاهرة	١١٩	حكر خزان السلاح
١٣٩	ذكر خليج مصر	١١٩	حكر تكان
١٤٤	ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر	١١٩	حكر ابن الاسد جفريل
١٤٥	ذكر الخليج الناصرى	١٢٠	حكر البغدادية
١٤٦	ذكر خليج قنطرة الفخر	١٢٠	حكر خطبا
١٤٦	ذكر القناطر	١٢٠	حكر ابن منقذ
١٤٦	ذكر قناطر الخليج الكبير	١٢٠	حكر فارس المسلمين بدير بن رزيك
١٤٦	قنطرة السدة	١٢٠	حكر شمس الخواص مسرور
١٤٦	قناطر السباع	١٢٠	حكر العلائى
١٤٧	قنطرة عمر شاه	١٢٠	حكر الحريرى
١٤٧	قنطرة طقز دمر	١٢٠	حكر المساح
١٤٧	قنطرة آق سنقر	١٢٠	الدكة
١٤٧	قنطرة باب الخرق	١٢٠	ذكر المقس وفيه الكلام على المسكس
١٤٧	قنطرة الموسكى	١٢١	واكيف كان أصله فى أول الاسلام
١٤٧	قنطرة الامير حسين	١٢٤	ذكر ميدان القمح
١٤٧	قنطرة باب القنطرة	١٢٥	ذكر أرض الطبالة
١٤٧	قنطرة باب الشعربة	١٢٦	ذكر حشيشة الفقراء
١٤٧	القنطرة الجديدة	١٢٩	ذكر ارض البعل والتاج
١٤٨	قناطر الاوز	١٢٩	ذكر ضواحي القاهرة
١٤٨	قناطر بنى وائل	١٣٠	ذكر منية الامراء
١٤٨	قنطرة الاميرية	١٣٠	ذكر كوم الرش
١٤٨	قنطرة الفخر	١٣٠	ذكر بولاق
١٤٨	قنطرة قدادار	١٣١	ذكر ما بين بولاق ومنشأة المهرانى
١٥٠	قنطرة المكتبة	١٣٢	ذكر خارج باب زويلة
١٥٠	قنطرة المقسى	١٣٣	حوض ابن هفس
١٥١	قنطرة باب البحر	١٣٣	مناظر الكباش
١٥١	قنطرة الحاجب		

صحيحة

١٨٥	جزيرة القبل
١٨٦	جزيرة أروى
١٨٦	الجزيرة التي عرفت بحلجة
١٨٧	ذكر السجون
١٨٧	حبس المعونة بمصر
١٨٨	حبس الصيار
١٨٨	خزانة البنود
١٨٨	حبس المعونة من القاهرة
١٨٨	خزانة شمائل
١٨٨	المقنطرة
١٨٨	الجب بقلعة الجبل
١٨٩	ذكر المواضع المعروفة بالصناعة
١٩٥	صناعة المقس
١٩٦	صناعة الجزيرة
١٩٧	صناعة مصر
١٩٧	ذكر الميادين
١٩٧	ميدان ابن طولون
١٩٧	ميدان الاخشيذ
١٩٧	ميدان القصر
١٩٧	ميدان قراقوش
١٩٨	ميدان الملك العزيز
١٩٨	الميدان الصالحى
١٩٨	الميدان الظاهرى
١٩٨	ميدان بركة القيل
١٩٩	ميدان المهارى
١٩٩	ميدان سرياقوس
٢٠٠	الميدان الناصرى
٢٠١	ذكر قلعة الجبل
٢٠٢	ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها
٢٠٣	ذكر بناء قلعة الجبل
٢٠٤	البر التي بالقلعة
٢٠٤	ذكر صفة القلعة
٢٠٥	باب الدرقيل
٢٠٥	دار العدل القديمة
٢٠٦	الاويان
٢٠٧	ذكر النظر في المظالم
٢٠٨	ذكر خدمة الاويان المعروف بدار العدل
٢٠٩	القصر الابلق

صحيحة

١٥١	قنطرة اللهكة
١٥١	قناطر بحراى النجا
١٥١	قناطر البحيرة
١٥٢	ذكر البركة
١٥٢	بركة الحبش
١٥٥	ذكر الماردانى
١٥٧	ذكر بساتين الوزير
١٥٨	بركة الشعبية
١٦٩	ذكر المعشوق
١٦١	بركة شطا
١٦١	بركة فارون
١٦١	بركة القيل
١٦٢	بركة الشفاف
١٦٢	بركة السباعين
١٦٢	بركة الرطلى
١٦٢	البركة المعروفة بطن البقرة
١٦٣	بركة جناق
١٦٣	بركة الحجاج
١٦٤	بركة قرموط
١٦٥	بركة قراجا
١٦٥	البركة الناصرية
١٦٥	ذكر الجسور
١٦٥	جسر الافرم
١٦٥	الجسر الاعظم
١٦٥	الجسر بأرض الطبالة
١٦٦	الجسر من بولاق الى منية الشيرج
١٦٧	الجسر بوسط النيل
١٦٧	الجسر فيما بين البحيرة والروضة
١٦٧	جسر الخليلي
١٧٠	جسر شيمين
١٧٠	جسر امصر والبحيرة
١٧٠	الجسر من قلوب الى دمياط
١٧٧	ذكر الجزائر
١٧٧	ذكر الروضة
١٨١	الهودج
١٨٣	ذكر قلعة الروضة
١٨٥	المقياس
١٨٥	جزيرة الصابوني

صفحة	الاسمطة السلطانية	صفحة
٢٣٢	ذكر العلامة السلطانية	٢١٠
٢٣٢	الاشرفية	٢١١
٢٣٣	البيرية	٢١١
٢٣٥	الدهيشة	٢١٢
١٣٥	السميع قاعات	٢١٤
٢٣٥	الجامع بالقلعة	٢١٢
	الدار الجديدة	٢١٤
	خزانة الكتب	٢١٢
	القاعة الصالحية	٢١٢
	باب النحاس	٢١٢
	باب القلعة	٢١٢
	الزفر	٢١٢
	الحب	٢١٣
	الطبخانة تحت القاعة	٢١٣
	الطابق بساحة الايوان	٢١٣
	دار النيابة	٢١٤
	ذكر جيوش الدولة التركية وزبها وعوايدها	٢١٥
	ذكر الحجة	٢١٩
	ذكر أحكام السياسة	٢٢٠
	أمير جندار	٢٢٤
	الاستادار	٢٢٤
	أمير سلاح	٢٢٤
	الدوادر	٢٢٤
	نقابة الجيوش	٢٢٣
	الولاية	٢٢٣
	قاعة الصاحب	٢٢٣
	ذكر الدولة	٢٢٤
	نظر البيوت	٢٢٤
	نظريات المال	٢٢٤
	نظر الاصطبلات	٢٢٤
	ديوان الانشاء	٢٢٥
	نظر الجيش	٢٢٧
	نظر الخصاص	٢٢٧
	الميدان بالقلعة	٢٢٨
	الحوش	٢٢٩
	ذكر المياه التي بقلعة الجبل	٢٢٩
	المطبخ	٢٣٠
٢٣٢	ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل	
٢٣٢	ذكر من ملك مصر من الأكراد	
٢٣٣	السلطان الملك الناصر صلاح الدين	
٢٣٥	السلطان الملك العزيز عز الدين أبو الفتح عثمان	
١٣٥	السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد	
	السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر	
٢٣٥	محمد بن أيوب	
	السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو	
٢٣٥	المعالى محمد	
٢٣٦	السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر	
	السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتح	
٢٣٦	أيوب	
٢٣٦	السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه	
٢٣٦	ذكر دولة المماليك البحرية	
	الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر	
٢٣٧	الصالحية	
	السلطان الملك المعز عز الدين أيوب الجاشنكير	
٢٣٧	التركياني الصالحى	
	السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن المعز	
٢٣٨	أيوب	
٢٣٨	السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز	
	السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح	
٢٣٨	بيبرس البندقدارى الصالحى	
	السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى	
٢٣٨	محمد بركة خان	
	السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن	
٢٣٨	الظاهر بيبرس	
	السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون	
٢٣٨	الائق - العلاقى - الصالحى	
٢٣٨	السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل	
٢٣٩	السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون	
	السلطان الملك العادل زين الدين كيتبغا	
٢٣٩	المنصورى	
	السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين	
٢٣٩	المنصورى	
	السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون	
٢٣٩	(في ولايته الثانية)	
	السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس	

صحيفة

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٤

٢٤٦

٢٤٦

٢٥٦

٢٦٤

٢٦٤

٢٦٥

٢٦٦

٢٦٨

٢٦٩

٢٦٩

٢٧٣

٢٧٧

٢٨٠

٢٨٢

٢٨٣

٢٨٤

٢٨٥

٢٨٩

٢٩٠

٢٩٠

٢٩٠

٢٩٠

صحيفة

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٣٩

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٤٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤٠

٢٤١

٢٤١

٢٤١

٢٤١

٢٤١

٢٤٢

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٣

٢٤٤

٢٤٤

الجلال المنصور

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(في ولايته الثالثة)

السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر

السلطان الملك الأشرف علاء الدين جيشك

ابن الناصر محمد بن قلاوون

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن

الناصر محمد بن قلاوون

السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان

السلطان الملك المنصور زين الدين حاجي

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي

حسن بن محمد

السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح

السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن

قلاوون

السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن

المنصور حاجي بن محمد بن قلاوون

السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالي

شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور

قلاوون

السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن

شعبان بن حسين

السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي

ذكر دولة المعالي الجراكسة

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن

آفص

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو

السعادات فرج

الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل

العباس بن محمد العباسي

السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ الموحدي

السلطان الملك المنصور شهاب الدين أبو

السعادات أحمد

السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر

السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر

برسبای

الملك العزيز يوسف

الملك الظاهر جقمق

الملك المنصور عثمان

الملك الأشرف إينال

الملك المؤيد أحمد

الملك الظاهر خشمقدم

الملك الظاهر بلباي

الملك الظاهر قرغنا

الملك الأشرف قايتباي

الملك الناصر محمد

الملك الظاهر قانصوه الأشرفي قايتباي

الملك الأشرف جانبلاط الأشرفي قايتباي

الملك العادل طومانباي الأشرفي قايتباي

الملك الأشرف قانصوه الغوري الأشرفي

قايتباي

ذكر المساجد الجامعة

ذكر الجوامع

الجامع العتيق

ذكر المحارب التي بدار مصر وسبب

اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ

منها

جامع العسكر

ذكر العسكر

جامع ابن طولون

حديث الكنز

تجديد الجامع

ذكر دار الامارة

ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف

الجامع الازهر

جامع الحاكم

هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين

جامع راشدة

جامع المقص

العزيز بالله

الحاكم بأمر الله

جامع القبلة

جامع المقباس

الجامع الاخر

صفحة		صفحة	الامر باحكام الله
٢١٢	ابدمر الخطيرى	٢٩٠	يلبغا السالى
٢١٢	جامع قيدان	٢٩١	جامع الظافر
٢١٢	جامع الست حدى	٢٩٣	جامع الصالح
٢١٣	جامع ابن غازى	٢٩٣	طلائع بن رزيك
٢١٣	جامع التركمانى	٢٩٣	ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها
٢١٣	جامع سينو	٢٩٤	الجامع بجوار تبة الشافعى بالقرافة
٢١٣	شيخو	٢٩٦	جامع محمود بالقرافة
٢١٤	جامع الجماكى	٢٩٦	جامع الروضة بقلعة جزيرة القسطة
٢١٤	جامع التوبة	٢٩٧	جامع غين بالروضة
٢١٥	جامع صاروخا	٢٩٧	غين أحد خدام الخليفة الحاكم
٢١٥	جامع الطباخ	٢٩٧	جامع الافرم
٢١٥	على بن الطباخ	٢٩٨	الجامع بمنشأة المهرانى
٢١٥	جامع الاسيوطى	٢٩٨	جامع دير الطين
٢١٦	جامع الملك الناصر حسن	٢٩٨	جامع الظاهر
	الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن	٢٩٩	بيبرس الملك الظاهر
٢١٧	قلاون	٣٠٠	جامع ابن اللبان
٢١٨	جامع القرافة	٣٠٣	الجامع الطيبرى
٢٢٠	جامع الجيزة	٣٠٣	الجامع الجديد الناصرى
٢٢٠	جامع منجك	٣٠٤	محمد بن قلاون
٢٢٠	منجك	٣٠٤	الجامع بالمشهد النقيسى
٢٢٤	الجامع الاخضر	٣٠٦	جامع الامير حسين
٢٢٤	جامع البكبرى	٣٠٦	جامع الماس
٢٢٤	جامع السروجى	٣٠٧	جامع قوصون
٢٢٤	جامع كرى	٣٠٧	قوصون
٢٢٤	جامع القاخرى	٣٠٧	جامع الماردانى
٢٢٤	جامع ابن عبد الظاهر	٣٠٨	الطنبغا الماردانى الساقى
٢٢٥	جامع بساتين الوزير التى على بركة الحبش	٣٠٨	جامع أصل
٢٢٥	جامع انخندق	٣٠٩	جامع بشسالة
٢٢٥	جامع جزيرة الفيل	٣٠٩	جامع آق سنقر
٢٢٥	جامع الطواشى	٣٠٩	جامع آق سنقر
٢٢٥	جامع كراى	٣٠٩	اق سنقر
٢٢٥	جامع القلعة	٣١٠	جامع آل ملك
٢٢٥	جامع قوصون	٣١٠	آل ملك
٢٢٥	جامع كوم الريش	٣١١	جامع الفخر
٢٢٥	جامع الجزيرة الوسطى	٣١١	الفخر
٢٢٥	جامع ابن صارم	٣١٢	جامع نائب الكرك
٢٢٥	جامع الكينغنى	٣١٢	جامع الخطيرى بيولاى
٢٢٦	جامع الست مسكة		

٣٢٦	جامع ابن الفلك	٣٢٦	ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء
٣٢٦	جامع التكروري	٣٢٦	الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب
٣٢٦	جامع البرقية	٣٥٦	الاشعرية
٣٢٦	جامع الحزاني	٣٥٨	حقيقة مذهب الاشعرية
٣٢٦	جامع بركة	٣٥٩	أبو الحسن (الاشعرية)
٣٢٦	جامع بركة الرطلي		فصل اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق
٣٢٧	جامع الضوء	٣٦٠	معرفته الخ
٣٢٧	جامع الحوش	٣٦٢	ذكر المدارس
٣٢٧	جامع الاصطبل	٣٦٣	المدرسة الناصرية
٣٢٧	جامع ابن الترمكاني	٣٦٤	المدرسة القمعية
٣٢٧	جامع الباسطي	٣٦٤	مدرسة يازكوك
٣٢٧	جامع الحنفي	٣٦٤	مدرسة ابن الارسوقي
٣٢٧	جامع ابن الرقعة	٣٦٤	مدرسة منازل الغز
٣٢٧	جامع الاسماعيلي	٣٦٥	مدرسة العادل
٣٢٧	جامع الزاهد	٣٦٥	مدرسة ابن رشيق
٣٢٨	جامع ابن المغربي	٣٦٥	المدرسة الفاتمية
٣٢٨	جامع الفخري	٣٦٥	المدرسة القطبية
٣٢٨	الجامع المؤيدي	٣٦٥	المدرسة السبوية
٣٣٠	الجامع الاشرفي	٣٦٦	المدرسة الفاضلية
٣٣١	الجامع الباسطي	٣٦٧	المدرسة الازركشية
	ذكر مذاهب أهل مصر ونحاهم منذ افتتح	٣٦٧	المدرسة الفخرية
	عمرو بن العاص رضي الله عنه أرض مصر	٣٦٨	المدرسة السيفية
	الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الأئمة	٣٦٨	المدرسة العاشورية
	رحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث في	٣٦٨	المدرسة القطبية
	ذلك	٣٦٨	المدرسة الخروية
	ذكر فرق الخلافة واختلاف عقائد هاوتباينها	٣٦٨	مدرسة المحلى
	فرق أهل الاسلام (واختصار الفرق الهالكة	٣٦٩	المدرسة الفاروقية
	في عشر طوائف)	٣٦٩	المدرسة المهدية
	الفرقة الاولى المعتزلة	٣٦٩	المدرسة الخروية
	الفرقة الثانية المشبهة	٣٧٠	المدرسة الخروية
	الفرقة الثالثة القدسية	٣٧٠	المدرسة الصاحبية البهاية
	الفرقة الرابعة المجبرة	٣٧١	المدرسة الصاحبية
	الفرقة الخامسة المرجئة	٣٧٣	المدرسة الشريفة
	الفرقة السادسة الخروية	٣٧٤	المدرسة الصالحية
	الفرقة السابعة النجارية	٣٧٤	قبة الصالح
	الفرقة الثامنة الجهمية	٣٧٥	المدرسة الكاملة
	الفرقة التاسعة الروافض	٣٧٨	المدرسة الصيرمية
	الفرقة العاشرة الخوارج	٣٧٨	المدرسة السرورية

صفحة	صفحة	صفحة
٤٠٠	المدرسة الايتيمية	٣٧٨
٤٠٠	المدرسة المجدية الخليلية	٣٧٨
٤٠٠	المدرسة الناصرية بالقرافة	٣٧٨
٤٠١	المدرسة المسلية	٣٧٩
٤٠١	مدرسة آينال	٣٨٠
٤٠١	مدرسة الامير جمال الدين الاستادار	٣٨٢
٤٠٣	المدرسة الصرعشمية	٣٨٢
٤٠٥	ذكر المارستانات	٣٨٣
٤٠٥	مارستان ابن طولون	٣٨٣
٤٠٦	مارستان كافور	٣٨٦
٤٠٦	مارستان المغافر	٣٨٧
٤٠٦	المارستان الكبير المنصوري	٣٨٨
٤٠٨	المارستان المؤيدي	٣٩٠
٤٠٨	ذكر المساجد	٣٩٠
٤٠٩	المسجد بجوار دير البغل	٣٩١
٤٠٩	مسجد ابن الجباس	٣٩١
٤٠٩	مسجد ابن البناء	٣٩١
٤١٠	مسجد الحلبيين	٣٩١
٤١٠	مسجد الكافوري	٣٩١
٤١٠	مسجد رشيد	٣٩٢
٤١٠	المسجد المعروف بزرع النوى	٣٩٢
٤١١	مسجد الذخيرة	٣٩٣
٤١١	مسجد رسلان	٣٩٣
٤١١	مسجد ابن الشنقي	٣٩٤
٤١١	مسجد يانس	٣٩٤
٤١٢	مسجد باب الخوخة	٣٩٤
٤١٢	المسجد المعروف بمسجد موسى	٣٩٤
٤١٢	مسجد نجم الدين	٣٩٤
٤١٣	مسجد صواب	٣٩٥
٤١٣	المسجد بجوار المشهد الحسيني	٣٩٧
٤١٣	مسجد القبل	٣٩٧
٤١٣	مسجد تبر	٣٩٧
٤١٣	مسجد القطبية	٣٩٨
٤١٤	ذكر الخوانك	٣٩٨
	الخاتكاه الصلاحية دار سعيد السعداء	٣٩٩
٤١٥	دورة الصوفية	٣٩٩
٤١٦	خاتكاه ركن الدين بيبرس	٣٩٩
٤١٨	الخاتكاه الجمالة	٣٩٩
	المدرسة القوصية	
	مدرسة بحارة الديلم	
	المدرسة الظاهرية	
	المدرسة المنصورية	
	القبعة المنصورية	
	المدرسة الناصرية	
	المدرسة الحجازية	
	المدرسة الطبرسية	
	المدرسة الاقباوية	
	المدرسة الحسامية	
	المدرسة المنكوثرية	
	المدرسة القراستقرية	
	المدرسة الغزنوية	
	المدرسة البوبكرية	
	المدرسة البقرية	
	المدرسة القطبية	
	مدرسة ابن المغربي	
	المدرسة البديرية	
	المدرسة البديرية	
	المدرسة الملكية	
	المدرسة الجمالية	
	المدرسة الفارسية	
	المدرسة السابقة	
	المدرسة القيسرانية	
	المدرسة الزمامية	
	المدرسة الصغيرة	
	مدرسة تربة أم الصالح	
	مدرسة ابن عرام	
	المدرسة الحمودية	
	المدرسة المهدية	
	المدرسة السعدية	
	المدرسة الطفجية	
	المدرسة الجاولية	
	المدرسة الفارقانية	
	المدرسة البشيرية	
	المدرسة المهندارية	
	مدرسة الحاي	
	مدرسة أم السلطان	

صفحة		صفحة	
٤٣٢	زاوية الخلاوى	٤١٨	الخاتقاء الظاهرية
٤٣٢	زاوية نصر	٤١٨	الخاتقاء الشراييشية
٤٣٢	زاوية الختام	٤١٨	الخاتقاء المهمندارية
٤٣٢	زاوية تقي الدين	٤١٨	خاتقاء بشتاك
٤٣٢	زاوية الشريف مهدي	٤١٩	خاتقاء ابن غراب
٤٣٢	زاوية الطراطرية	٤٢٠	الخاتقاء البندقدارية
٤٣٢	زاوية القلندرية	٤٢١	خاتقاء شيخو
٤٣٣	قبة النصر	٤٢١	الخاتقاء الجاولية
٤٣٣	زاوية الزركاكي	٤٢١	خاتقاء الجيبغا المظفري
٤٣٣	زاوية ابراهيم الصانع	٤٢٢	خاتقاء سرياقوس
٤٣٤	زاوية الجعبري	٤٢٣	خاتقاء ارسلان
٤٣٤	زاوية أبي السعود	٤٢٣	خاتقاء بكتمر
٤٣٤	زاوية الحمصي	٤٢٥	خاتقاء قوصون
٤٣٤	زاوية المغربل	٤٢٥	خاتقاء طغاي النجعي
٤٣٤	زاوية القصري	٤٢٥	خاتقاء أم أنول
٤٣٤	زاوية الجاكي	٤٢٦	خاتقاء يونس
٤٣٥	زاوية الابناسي	٤٢٦	خاتقاء طيرس
٤٣٥	زاوية اليونسية	٤٢٦	خاتقاء اقبغا
٤٣٥	زاوية الخلاطي	٤٢٦	الخاتقاء الخروية
٤٣٥	الزاوية العدوية	٤٢٧	ذكر الربط
٤٣٦	زاوية السدار	٤٢٧	رباط الصاحب
٤٣٦	ذكر المشاهد التي تترك الناس بزيارتها	٤٢٧	رباط الفخري
٤٣٦	مشهد زين العابدين	٤٢٧	رباط البغدادية
٤٤٠	مشهد السيدة نفيسة	٤٢٨	رباط الست كليله
٤٤٢	مشهد السيدة كلثوم	٤٢٨	رباط الخازن
٤٤٢	سناوشا	٤٢٨	الرباط المعروف برواق ابن سليمان
٤٤٢	ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة	٤٢٨	رباط داود بن ابراهيم
٤٤٣	ذكر القرافة	٤٢٨	رباط ابن أبي المنصور
٤٤٥	ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة	٤٢٨	رباط المشتى
٤٤٥	مسجد الاقدام	٤٢٩	رباط الآتار
٤٤٥	مسجد الرصد	٤٣٠	رباط الافرم
٤٤٥	مسجد شقيق الملك	٤٣٠	الرباط العلاقي
٤٤٦	مسجد الانطاكي	٤٣٠	ذكر الزوايا
٤٤٦	مسجد التارنج	٤٣٠	زاوية الدمياطي
٤٤٦	مسجد الاندلس	٤٣٠	زاوية الشيخ خضر
٤٤٧	مسجد البقعة	٤٣١	زاوية ابن منظور
٤٤٧	مسجد الفخ	٤٣١	زاوية الظاهري
٤٤٧	مسجد أم عباس جهة العادل ابن السلار	٤٣١	زاوية الجنيزة

صحيفة	صحيفة	مسجد الصالح
٤٥٣	٤٤٧	مسجد ولي عهد أمير المؤمنين
٤٥٣	٤٤٧	مسجد الرحمة
٤٥٤	٤٤٧	مسجد مكذون
٤٥٥	٤٤٨	مسجد جهة ربحان
٤٥٧	٤٤٨	مسجد جهة بيان
٤٥٨	٤٤٨	مسجد نوبة
٤٥٩	٤٤٨	مسجد دري
٤٥٩	٤٤٨	مسجد ست غزال
٤٦٠	٤٤٩	مسجد رياض
٤٦٠	٤٤٩	مسجد عظيم الدولة
٤٦٣	٤٤٩	مسجد أبي صادق
٤٦٤	٤٤٩	مسجد القزاش
٤٦٥	٤٥٠	مسجد تاج الملوك
٤٧٢	٤٥٠	مسجد التمار
٤٧٤	٤٥٠	مسجد الحجر
٤٧٥	٤٥٠	مسجد القاضي يونس
٤٧٦	٤٥٠	مسجد الوزيرية
٤٧٦	٤٥٠	مسجد ابن العكر
٤٧٦	٤٥٠	مسجد ابن بكاس
٤٧٦	٤٥١	مسجد الشهية
٤٧٦	٤٥١	مسجد زكاة
٤٨٠	٤٥١	جامع القرافة
٤٨١	٤٥١	مسجد الاطفيحي
٤٨١	٤٥٢	مسجد الزيات
٤٨١	٤٥٢	ذكر الجواسق التي بالقرافة
٤٨١	٤٥٢	جوسق بن عبد الحكم
٤٨١	٤٥٣	جوسق بن غالب ويعرف ببني بابشاد
٤٩٢	٤٥٣	جوسق ابن ميسر
٥٠٠	٤٥٣	جوسق ابن مقشر
٥٠١	٤٥٣	جوسق الشيخ أبي محمد الخ
٥١٠	٤٥٣	جوسق المادرائي
	٤٥٣	جوسق حب الورقة

بيان الخطا والصواب في الجزء الثاني من كتاب الخطط

صفحة	سطر	صواب	خطا
٠٣	٠٥	وزيك (وهكذا كل ما أتى بعده)	رزيك
٢٧	١٣	رفع على قناة	رفع الى قناه
٢١	٢٢	كتبغا (وهكذا في كل ما بعده)	كتسفا
٢٧	٢٢	اللوص	الصوص
١٧	٢٣	كاظة	كافة
١٦	٢٦	ردى	ذرى
٠١	٣١	الشرارين	الشرارين
١٩	٣٢	وصاروا الى القاهرة	وصاروا الى القاهرة
٣٨	٣٤	تنكر (وهكذا ما أتى بعده)	تنكر
١٨	٣٥	في ما تيه	في تأنيه
٠٧	٣٦	السلامى	السلامى
١٩	٣٦	أبى الحسين	أبى الحسب
١٨	٣٩	حضر رميته (وهكذا ما بعده)	حضر دمنة
٣٩	٤٠	جنكزخان (وهكذا ما بعده) *	جنكزخان
١٤	٤١	تسيب	تبيت
٢٩	٤٣	والباحورة	والمأخوذة
٢٩	٤٣	الناصر تغير	الناصر قلاون تغير
١١	٤٤	الوافدى أيام	الوافدى أيام
١٣	٤٤	مقدمى الحلقة	مقدمى الخلفاء
٠٦	٤٦	ابن الرفعة	أبى الرفعة
٢٧ و ٢٥	٤٦	وسمائه	وسبع مائة
٢٣	٤٦	المسلمين	المسكين
٠٦	٤٨	الملك	أى ملك
٣٤	٥١	وقد يقال للمبنى من غير	وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير
٢٦	٥٢	وأياهما	وأيهما
١٧	٥٣	هى أيضا من	أيضا من
١٣	٥٨	جوزوا	حورا
١٢	٥٩	الامير دمرداش فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المؤيد	الامير دمرداش بارث ابنته
٢٣	٥٩	شيخ وقبض على الامير دمرداش ثارت ابنة	صرغتمش فى حل
٠١	٦٢	صرغتمش حل	وأمر المؤمنين
٢٥	٦٣	وامين الدين	نشاورا الجند
١٧	٦٤	نارا الجند	جاره مما جناه جناب
١٠	٦٨	جان له مما جناه مثاب	انشأها
٠٥	٦٩	انشاء	بيرس
٢٨	٦٩	يسرى	فى اليوم ستين
٠٥	٧٠	فى اليوم مبلغ ستين	منكر تمر
		منكوتمر (وهكذا ما بعده)	

خطا	صواب	صحيحه سطر
عناية قاضي القضاة	عناية فحكم قاضي القضاة	٠٢ ٧١
في عمل - حجن	في عمله - حجننا	٢٨ ٧١
وسار أرباب	وسائر أرباب	٠٧ ٧٢
صالح بن قلاون	صالح بن محمد بن قلاون	٢٠ ٧٣
اقبغا اص في سابع	اقبغا اص في ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين فباشروا ذلك الى ان صرف بابن اقبغا اص في سابع	١٨ ٧٥
يوم - فنين سره ذلك فلما	يوم حنين فلما	١٥ ٧٦
من درهم صاحب حمام	من درهم يعطيه صاحب حمام	٣٧ ٧٩
الى ملك القاضي السعيد	الى ملك القاضي رضى الدين عبد الناصر بن تقي الدين فعرفت به ثم صارت الى ملك القاضي السعيد	٢٣ ٨٣
له اسوة فاستحسن	له اسوة براسي فاستحسن	٠١ ٨٨

هذا ما وجدناه في الملازم الاول من الجزء الثاني مما يلزم التنبيه عليه واكثره في الغالب من تحريف النسخ التي طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها